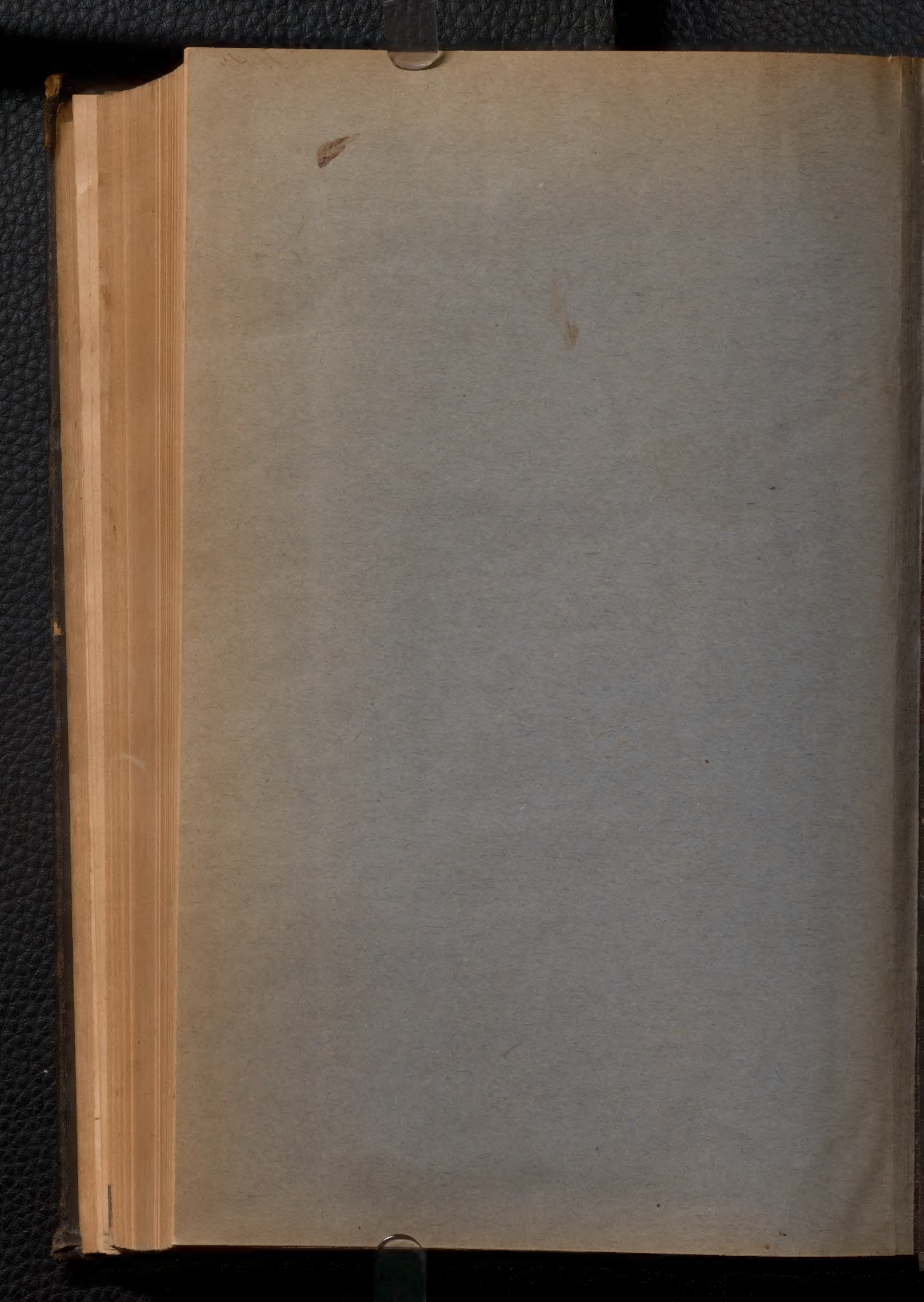
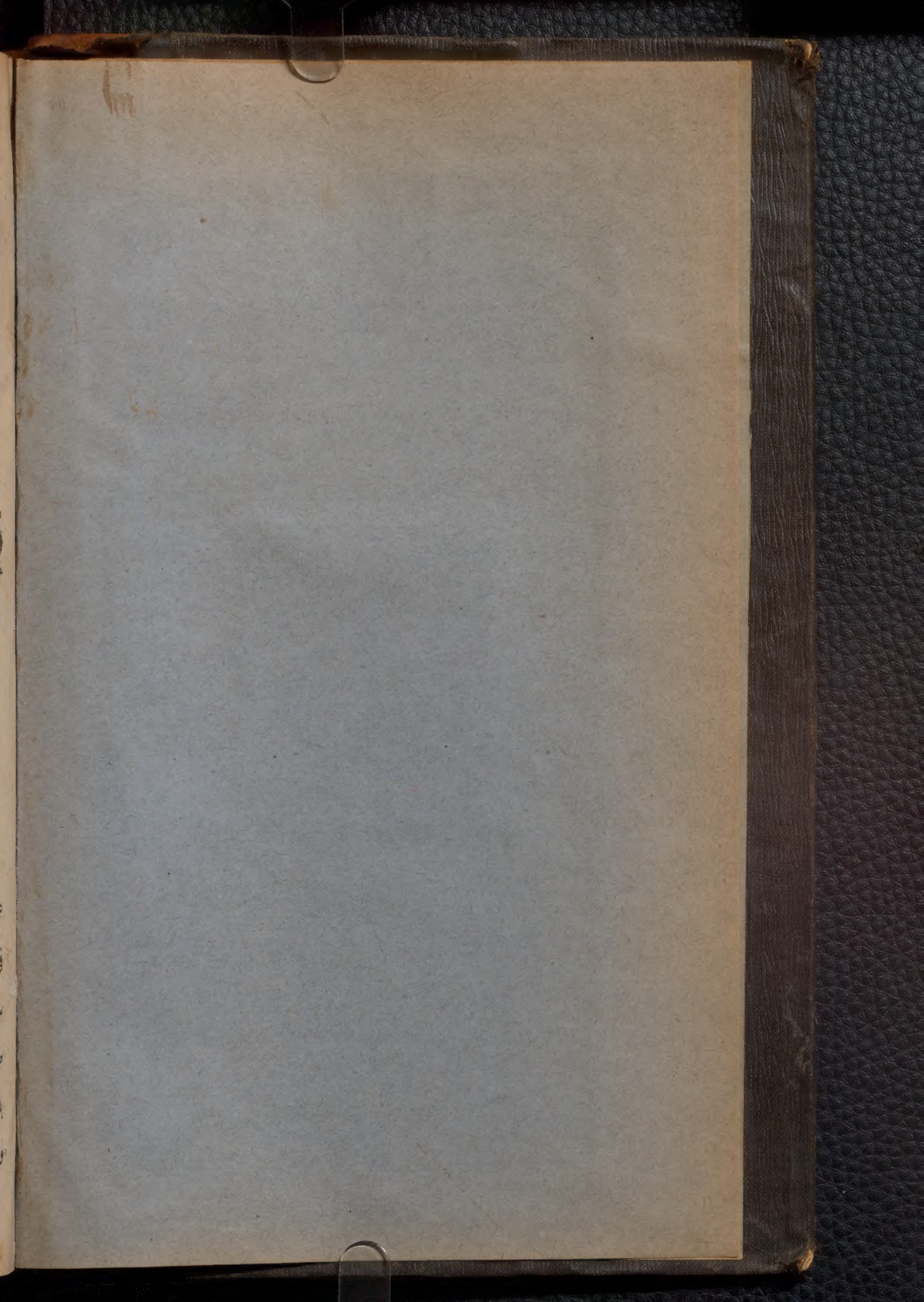
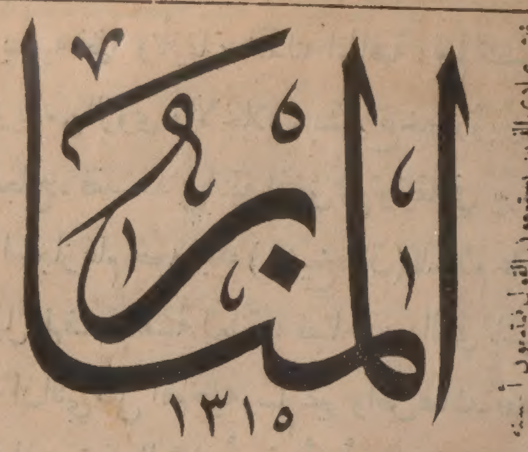

McGill University Libraries
3101389507J


McGill University Libraries
3 101 389 507 J





﴿ الجزء الاول ﴾ ١ ﴿ المجلد السادس عشر ﴾



قل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر ٣٠ المحرم ١٣٣١هـ ق ١٩ الشتاء الاول ١٢٩١هـ ش ٨ يناير ١٩١٣م ﴾

فاتحة السنة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فقد جرت عادتنا ان نشير في فواتح سني المنار ، الى شيء من تاريخه أو تاريخ الإصلاح ، أو حال سيره في عالم الاسلام ، ونقول الآن على رأس السنة السادسة عشرة ان صوت الاصلاح الديني قد علا كل صوت في الاقطار الاسلامية التي بلغتها دعوته ، وهزتها صيحته ، نخفتت دونه أصوات الحشوية الجامدين ، والدجاجلة المخرفين ، وقد خذل الله ببيروت في العام الماضي أشدهم إفكاً

وتحريفا ، فيما يسميه نظما وتأليفا ، خذلته الخاصة ، ولم تنصره العامة ، وعورض مايفتريه من الرؤى والاحلام ، بشيوع خبر رؤيين راهما بعض الصالحين من الحجاج ، فقد حدثني الثقة المتفق على توثيقه في بيروت ، قال: لما عاد والدي من الحجاز عام حجه جاء (الشيخ فلان) للسلام عليه وكان يعد من أصدقائه واقبل بلهف ودهشة ليعانقه، فصاح به والدي ياشيخ فلان — وذكر اسمه — ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راض عنك، فقد رأيته عند زيارته في المدينة المنورة في الرؤيا وأمرني أن أبلغك انه غير راض عنك.

وأما الرؤيا الأخرى فقد رويت لي عن رجل من الحجاج أعطاه ذلك الدجال نسخا من كتبه ليوزعها في المدينة المنورة فرأى النبي (ص) في نومه قبل دخول المدينة بليلة واحدة يقول له ان هذه الكتب غير مقبولة. فلما استيقظ ألقى تلك الكتب أو دفنها في جانب الطريق. فمثل هاتين الرؤيين، من ذينك الحاجين الصالحين ، نقض مايدعيه ذلك الدجال من الرؤى التي هو متهم فيها بتعظيم شأن نفسه ، والتمهيد لدعوى الولاية له ولولده ، وتحقير من اتخذهم أعداء له ، لأنهم ينيرون عقول الأمة حتى لاتغتر بمثله

هذا إيماء الى مبادئ عاقبة دجال القطر السوري المجاهر بعداوة الاصلاح وأهله ، ولا نكبر شأنه بالرد عليه أو التصريح باسمه ، وقد خفت أيضا صوت دجال (جاوه) وظهر جهله، وما أبقى عليه تكريم حكومة هولندة بل نسبه وسنه ، ودجال تونس المقيم ، معدود عند عقلاء بلده من المجاذيب أو المجانين ، ولو كان في تونس حرية لحزب الاصلاح ، كالحرية الشاملة لأهل الجمود والفساد ، لرأى العالم الاسلامي من تونس ما لم يروه من سائر الاقطار ، وأما دجالها المتقلب في البلاد ، كتقلبه في الآراء

والافكار ، فهو يتتبع مواقع الصيت والاشتهار ، ويتأيا مساقط الدرهم والدينار ، فيدور مع من يملك ذلك حيثما دار ، حتى انه أفتى بجواز بناء الكنائس للروم والبلغار ، والانفاق على ذلك من بيت المال ، فنال الحظوى، بمثل هذه الفتوى ، عند زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، واصطنعوه لكل مايبغون من الخداع الديني . وقد خذلهم الله ولم يعتبر المسكين ، (وأملي لهم ان كيدي متين)

هذه حال المجاهرين بمقاومة الاصلاح الديني وأهله ، لاصوت لأحد منهم يسمع ، ولا رأي لهم يتبع ، وانما يغترون بكثرة من يصدق الخرافات ، ويسلم كل مايعزى الى الاموات ، تقليدا للآباء والامهات ، ومواتاة للاتراب واللدات ، ويحسبون هذا اتباعا لهم ، ويعدون أهله من أشياعهم ، فيفتنون بكثرتهم ، ويهونون أمر المصلحين لقلتهم ، وقلة من يهتدي بهم ، ولو فكروا وقدروا ، وتدبروا واعتبروا ، لرأوا ان هذه القلة هي محل الرجاء ، وتلك الكثرة كالغثاء أو الهباء ، وانها تنفلت كل يوم من أيديهم كما تنفلت الابل من عقلها ، بل من جامعة الاسلام التي عرفوا اسمها وجهلوا حدها وفصلها ، فكثرة أشياع الخرافات الى قلة ، وقلة حزب المصلحين الى كثرة ، وقد فطن هرقل ملك الروم ، لهذا الامر الذي جهله المغرورون ، فسأل عن أتباع النبي (ص) أيزيدون أم ينقصون ، فلما علم انهم على قلتهم في ازدياد ، وان من دخل فيهم لا يخرج منهم ، علم انهم حزب الله الغالبون

ولو رجع أولئك الدجالون البصر ، وكرروا التأمل والنظر ، لرأوا أن هؤلاء العوام ، الذين لم تبلغهم حقيقة دعوة الاصلاح ، أو صدهم عن

النظر فيها سدنة القبور المعبودة وتجار الولاية والصلاح، هم الذين يتسللون يوما بعد يوم مما يسمى الاسلام التقليدي ، ولا يهتدون السبيل الى حقيقة الاسلام البرهاني ، فأكثرهم يفتنون بالشبهات المادية ، التي يبثها فيهم حملة قشور العلوم العصرية ، ومنهم من يشكون في الاسلام بمطاعن دعاة النصرانية ، فما بال زعماء الدجل والخرافات ، لا يتصدون للرد على تلك الشبهات ، وأنى لهم الرد عليها وهم لايعرفون مواردها ومصادرها ، ولا يقفون على شيء من العلوم المتولدة هي منها ، ولايميزون بين أصول الاسلام التي يجب الدفاع عنها ، والخرافات والاوهام الملصقة بها ، وانما قصارى ما عندهم ان يقولوا للعوام ان جميع العلوم الطبيعية باطلة، وان تعلمها كفر ومتعلميها زنادقة ، ويريدون ان يتلقى الناس قولهم هذا بالقبول والتسليم ، كما يوجبون عليهم قبول جميع ما يقولون انه من الدين، على انهم يعظمون الحكام والاغنياء المتعلمين لتلك العلوم، فهل يرضى أحد بأن يكون من هؤلاء في مكان المقلد من الامام المعصوم ، ؟ كلا إننا نرى كثيرا من المتعلمين في المدارس العصرية ، يعدون خرافات أمثال هؤلاء الدجالين حجة على جميع العلوم الاسلامية . فهم لذلك يصدون عنها ، ويعدّون من إضاعة الوقت النظر في شيء منها .

يزعم هؤلاء الدجالون ان الضلال كل الضلال هو مايدعو اليه المصلحون من هدي الكتاب والسنة ، على النحو الذي كان عليه الصدر الأول من الأمة ، ونبذ كل ما استحدثه الخلف، مخالفا لما كان عليه السلف، عملا بقوله (ص) « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه الشيخان وابو داود وابن ماجه من حديث عائشة .وقد جعلوا همهم الطعن

في دعاة هذا الاصلاح، ورميهم بحجارة الزور والبهتان ، وأكبر شبهتهم ان هذا من الاجتهاد، الذي انقطع فضل الله به عن العباد ، وان كتاب الله الذي أنزله هدى للعالمين، ووصفه بالتبيان والمبين ، لم يتبين معناه الا للأفراد الاقلين ، الذين وصفوا بالائمة المجتهدين ، حتى انهم لو لم يوجدوا لما أمكن لأحد ان يكون من المسلمين ، وان سنة الرسول (ص) لاتكفي في بيان كتاب الله من دون علمهم، وان قال الله تعالى (١٦ : ٤٤ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) ! ! فان لم يكن قد بينه كما أمر الله ، فكيف يكون قد بلغ رسالة الله ؟ وهل يعقل ان يكون عجز عن ذلك وقدر عليه سواه ؟ معاذ الله وحاش لله .

ألا إن هؤلاء ليسوا من أهل البصيرة والاستدلال، فنجذبهم بالحجة أو ندمغهم بالبرهان ، وانما نريد بمثل هذا الكلام، ان نذكر من لهم نصيب من الاستقلال ، بأن مقلدة أمثال هؤلاء المساكين ، كلهم عرضة للمروق من الدين ، وأنهم لو كانوا يغارون عليهم وعلى دينهم لجعلوا همهم في وقايتهم من الكفر والإلحاد ، لا في وقايتهم من هدي السنة وهدي القرآن ، وحصروا عنايتهم في كشف الشبهات التي تخرجهم من حظيرة الاسلام، لا في نشر الخرافات التي تحصرهم في زريبة الاوهام، ولكن يظهر ان ترك الاسلام ألبتة ، أهون عليهم من ترك التقليد الاعمى الى هداية الكتاب والسنة، ولذلك نراهم يدهنون للمارقين من أصحاب المال والجاه، ويثنون عليهم بالالسنة والاقلام ، ولا تظهر غيرتهم على الدين، إلا في تضليل حماة الدين، ونحمده تعالى أن خذلهم وكبتهم ، وصرف قلوب الناس عما تزوّر أقلامهم وتفتري ألسنتهم، هذا وإن الاسلام ليشكو اليوم من شيطان الافساد السياسي ، مالا

يشكو من شيطان الإفساد الديني ، فقد غلب على مقام أولي الامر ، زعنفة من عبدة الطاغوت والشر ، جعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفا ، وأرهقوا الامة قتلاً وحبساً ومصادرة وتخويفاً ، يأكلون تراث الامة أكلا لما ، ويحبون المال حباً جماً ، اذا دعوتهم الى الحق ولوا منك فراراً ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وقد مكروا بأناس استخدموهم لغش المسلمين مكرا كبارا ، فاتبعوا من لم يزده ماله وجاهه الا خسارا ، وكان من كيدهم ومكرهم ، وعند الله عاقبة مكرهم ، أنهم وقد عجزوا عن إسكان حركة الاصلاح ، وإسكات نداء دعاته حيّ على الفلاح ، أرادوا إفساد أمرها ، بتوسيدها الى غير أهلها ، من المنافقين المتزلفين اليهم ، الراضين ان يكونوا آلات في أيديهم ، فنصروا هؤلاء على أبناء بجدتها ، وآباء عذرتها ، كما وسدت صروف الزمان اليهم من الامر ، ماليسوا له بأهل ، فدنت بذلك ساعة الأمة ، وقد جاء اشراطها ولا تلبث أن تأتي بغتة ، قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة » رواه البخاري في صحيحه .

هذا هو السر في تناقض بعض الصحف التي ظهرت بعد ظهور الفئة الباغية ، والجمعية الطاغية ، الاسلامية في الظاهر ، الاتحادية في الباطن ، إذ تمدح الاسلام وتنفر عن الاعمال التي تحييه وتطعن في القائمين بها ، وتدعو الى الجامعة الاسلامية وتلقي الشقاق بين العاملين لها ، ويزاحم أهلها المصلحين ، وهم أعوان المفسدين ، ومنهم من تخدع رؤيته ، وتفتن خلابته ، ويغر ببكائه أو تباكيه ، والمنافق يملك عينيه فيبكي بهما متى شاء

فكم أذرى الدموع لنهب مال وكم أبدى الخشوع لنيل جاه

ومنهم من لو علم المغررون بورقته، حقيقة حاله في علمه وعمله وعقيدته، لولوا منه فرارا، وأعرضوا ازورارا، واستصغروا أنفسهم استصغارا، لتعجلهم باتباع كل ناعق، وعدم التزييل بين الصادق والمنافق، وستظهر للجميع الحقائق، فحبل الكذب وان طال قصير، ومصير المنافقين شر مصير. وانما نخشى ان لا تظهر العبرة، الا بعد خراب البصرة، وأن يأخذ الله المسلمين كافة، بما جنته تلك الفئة الباغية (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خَاصَّةً)

ذلك بان الامة تحتاج الى ضروب من الاصلاح يمد بعضها بعضاً وأصولها خمسة الديني والعلمي والاجتماعي والسياسي والمالي، وقد تداعت هذه الاصول كلها في العالم الاسلامي، ولا يسهل اقامة بعضها، الا بإقامة باقيها، لهذا أردنا عند ما لاحت لنا من الاستانة بارقة الامل في الاصلاح السياسي، أن ننشئ فيها عملا كبيرا من الاصلاح الديني والعلمي، الذي هو أكبر عون على غيره ولا سيما الاصلاح الاجتماعي، فعلمنا أن ما لاح لنا كان برقاً خلباً، وسراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً، بل تبين لنا أن مثل ذلك البلاء النازل، الذي تراءى بصورة الاصلاح الخادع، كمثل ذلك العذاب الذي نزل بصورة العارض، (٤٦: ٢٤ فلما رأوه عارضاً مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا، بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم ٢٥ تُدَمِّر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم، كذلك نجزي القوم المجرمين).

أجل ان هذا العذاب، ليمثل ذلك الانقلاب، الذي حسبنا ان وراءه ما نرجو من الاصلاح، فكان بسوء تصرف ذويه عين الافساد، وقد

أنذرنا الامة سوء عاقبته ، وخطر مغبته ،فتماروا بالنذر :(٥٤: ٣ وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (٤) ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر (٥) حكمة بالغة فما تغني النذر) وقد هزم الجمع وولوا الدبر ، فبأي القول والفعل بعد ذلك يُعتبر ، فان لم يتدارك الامر أهل البصيرة والنظر ،فلا منجاة بعد ذلك ولا مفر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) لاأريد الاشارة الى قيامة الناس كافة ؛ بل أريد قيامة هذه الامة خاصة ، فاذا هي فقدت هذا الرمق من استقلالها ، وزال هذا الذماء الذي تتردد به أنفاسها ، فأي نوع تداركه بعده من أنواع اصلاحها ؟

فليس الخطر الذي نخشاه اليوم على الاسلام ، هو كيد المفسدين لدعاة الاصلاح ، باغراء غير أهله بالدعوة اليه، لمعارضة المضطلعين بالقيام به ، واستئجارهم المنافقين،وتأييدهم على الصادقين،مع عدم تمييز الاكثرين، بين المحقين والمبطلين ، ولا نحو ذلك من أعمال هؤلاء الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، وانما الخطر الاكبر هو إفسادهم السياسي الذي فتح علينا باب المسألة الشرقية ، فبدأ بمملكة طرابلس الغرب الأفريقية ، وثنى بولايات الدولة الأوربية ، ويخشى ان يثلث بالولايات الاسيوية، ولا ينفعنا يومئذ ظهور صدقنا وكذبهم ، ونصحنا وغشهم ، لأن الامر يخرج من أيدينا وأيديهم ، الى من لا يرحمنا ولا يرحمهم ، على ان زعماء هذه الفتنة ، ومبسلي هذه الامة ،لاحظ لهم من الحياة الا الجاه والمال ، فاذا فاتهم الاول بفقد الاستقلال، فان لهم من الآخر ماتمتعهم بسائر اللذات،ولم يدرء هذا الخطر مقاومة أهل الاخلاص لهم،وانتزاعهم تلك المقاليد من أيديهم ، على انه لا يبعد أن تعود اليهم ، فتكون الكرة

الثانية ، هي الطامة القاضية ، ولا يدرؤها من بعد، مثل ما كان من قبل،
وانما يرجى ان يدرأه البدار الى تقوية كل قطر من المملكة في نفسه ،
ونوط الدفاع عنه وإقامة العمران فيه بأهله ،وهو مايعبرون عنه بالمدافعة الملية،
والادارة اللامركزية،ثم بناء المصلحة العامة على قواعد الصدق والاخلاص،
فاذا لم تتفق الامة والدولة على هذا فعلى الامة والدولة السلام .

(الدعوة الى انتقاد المنار)

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض في الاسلام هو سياجه وحفاظه ان تعتدى حدوده بين أهله ، كما ان الجهاد سياجه وحفاظه أن يعتدي عليه غير أهله ، وقد قصر المسلمون في الفريضتين فكان عاقبة أمرهم ما نسمع ونرى ونذوق، فالمنار يدعو كل من يطلع عليه ويرى فيه خطأ أن يبينه لنا بالمشافهة ان كان ممن يلقانا ونلقاه ،وإلا فبالكتابة . والطريقة المثلى في ذلك أن يقال ان في صفحة كذا من جزء كذا خطأ .ويبين ذلك الخطأ وصوابه بالدليل ، من غير استطراد ولا تطويل ، ونحن نرجع الى الصواب ان ظهر لنا ، أو نبين ماعندنا في المسألة .

هذه هي طريقة الامر والنهي ، والتواصي بالحق والصبر ، لا مايذهب اليه أهل الاهواء الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . وهو أنهم اذا رأوا أو سمعوا - ولو كذبا - أن أخاهم أخطأ في شيء أشاعوا ذلك بين الناس بالقول والكتابة فيدري بذلك الخطأ من يلقونه دونه ، وربما كان ذلك منكرا أو شبهة على الدين تعلق في نفس المستمع ولا يدري كيف يتفصى منها . وكثيرا مايكونون هم المخطئين . ومنهم من يصدق عليهم قول الشاعر :

إن يسمعوا الخير اخفوه وإن سمعوا شرا أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

فمن ابتلي من أهل التقوى والاخلاص، من هؤلاء الذين يوسوسون في صدور الناس يذم أو يسب أو يطعن ، من يدعي عليه انه اخطأ ، فليقل له ان هذه غيبة يفسق صاحبها ، لا نصيحة يتبع قائلها ، فان كان فلان أخطأ فذكره بينك وبينه، فان لم يرجع فهو شيطان ، فأعرض عنه وقل سلام

محمد رشيد رضا الحسيني

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

﴿ استدراك . تابع لجواب الشبهة السادسة على الصلب ﴾

﴿ قول بعض النصارى بعدم موت المسيح بالصلب ﴾

رووا ان القبر الذي دفن فيه المصلوب وجد في صباح الأحد خاليا واللفائف ملقاة ، وأن اليهود والوثنيين لما علموا بذلك قالوا ان الجثة سرقت

ويروى عن بعض المدققين من علماء اوربة الاحرار وكذا الذين يسمون المسيحيين العقليين ان الذي صلب لم يمت بل أغمي عليه فلما أنزل ولف باللفائف ووضع في ذلك الناووس أفاق وألقى اللفائف حتى اذا جاء الذين رفعوا الحجر لافتقاده خرج واختفى عن الناس حتى لا يعلم به أعداؤه . ومما اوردوا من التقريب على هذا ان المصلوب لم يجرح منه الا كفاه ورجلاه وهي ليست من المقاتل ولم يمكث معلقا الا ثلاث ساعات وكان يمكن ان يعيش على هذه الصفة عدة ايام ، وانه لما جرح بالحربة خرج منه دم وماء والميت لا يخرج منه ذلك ، بل قالوا ان ذلك لم يكن صلبا تاما كالمعتاد في تلك الأزمنة

ومن النقول المصرحة بشيوع هذا الرأي ما جاء في (ص ٥٦٣ من كتاب ذخيرة الالباب، في بيان الكتاب) وهو : « فللكفرة والجاحدين في تكذيب تلك المعجزة مذاهب شتى ... فمنهم من استفزتهم مع بهرد واك" و بولس غتلب حماقة الجهل ووساوس الكفر الى أن قالوا أن يسوع نزل عن الصليب حيا ودفن في القبر حيا »

وقال (في ص ٥٦٤ منه) ان اليهود والوثنيين وهم أعداء المسيح ودينه الحق قد توغلوا في بيداء الهذيان وتمادوا في إغواء ضلالهم حتى قالوا ان تلاميذ يسوع رفعوا جسده خفية وعلى حين غفلة من الحراس وبثوا في القوم انه انبعث

حيا وعندهم ان ذلك كان شائعا عند اليهود حين كتب القديس متى انجيله (عد ١٥ من فصل ٢٨ من متى) اه

(الشبهة السابعة) يقولون انكم تأخذون بقول انجيل برنابا وغيره في هذ الموضوع وأقوال مبتدعة النصارى الاولين الذين زعموا أن يهوذ هو الذي صلب لا المسيح مع أن يهوذا قد انتحر كما ثبت في الانجيل

ونقول في الجواب تفقت النصارى على القول بأن يهوذا الاسخريوطي هو الذي دل على يسوع المسيح وكان يهوذا هذا رجلا اميا من بلدة تسمى (خربوت) في ارض يهوذا تبع المسيح وصار من خواص أتباعه الذين يلقبونهم بالتلاميذ الاثنى عشر الذين بشرهم بانهم يكونون معه في الملكوت على اثنى عشر كرسيا و يدينون بني اسرائيل ، أي يحاسبونهم في يوم الدين . ومن الغريب ان يهوذا كان يشبه المسيح في خلقه كما نقل (جورج سايل) الانكليزي في ترجمته للقرآن المجيد فيما علقه على سورة آل عمران ، وعزا هذا القول الى (السيرنثيين والسكر بوكراتيين) من أقدم فرق النصارى الذين أنكروا صلب المسيح وصرحوا بأن الذي صلب هو يهوذا الذي كان يشبهه شبها تاما

وقالوا ان يهوذا اسف وندم على ما كان من اسلامه المسيح الى اليهود حتى حمله ذلك على بخع نفسه (الانتحار) فذهب الى حقل وخنق نفسه فيه (متى ٢٧ : ٣ ـ ١٠) أو علقها (اعمال ١ : ١٨) وغرضنا من هذا الخبر بيان انهم معترفون بان يهوذا فقد بعد حادثة الصلب ولم يظهر في الوجود وانهم يدعون ان سبب هذا هو قتل نفسه من الحزن والاسف . واختلف الرسل في كيفية القتل وان كانوا معصومين (؟) . ونحن نرى أنه انما فقد لأنه هو الذي صلب ، والمسيح هو الذي نجاه الله تعالى ورفعه ، فان الذي يحمله انفعاله وألم نفسه على أن يبخع نفسه بيده خنقا او شنقا لا يستبعد منه ان يدعها بالاستسلام الى من يتولى ذلك عنه فانه أهون عليه ، فمن المعقول أن يكون يهوذا عندما دل اليهود على المسيح في الليل رأى بعينيه عناية الله تعالى بانجائه وانقاذه من بين ايديهم (كما انجى اخاه محمدا عليهما الصلاة والسلام من أيدي كفار قريش وكانوا اشد معرفة له من معرفة

اليهود المسيح — لانهم لم يكونوا يحتاجون الى بذل المال لمن يدلهم عليه كما بذلت اليهود ثلاثين قطعة من الفضة ليهوذا — فخرج ليلة الهجرة من بين الذين كانوا ينتظرونه عند داره ليقتلوه ولم يبصروه) فلما رأى يهوذا ذلك وعلم درجة عناية الله تعالى بعبده ورسوله عظم ذنبه في نفسه واستسلم للموت ليكفر الله عنه ذنبه كما كفر ذنب الذين اتخذوا العجل من بني اسرائيل بقتل أنفسهم فأخذوه وصلبوه من غير مقاومة تذكر . فرواية الانجيل وسفر الاعمال عن وجدانه مخنوقا أو مشنوقا غير مسلمة وقد تعارض القولان فتساقطا ووجب اعتماد قول برنابا الذي أخذ به بعض قدماء النصارى .

وإذا كان ايمان يهوذا قويا الى هذه الدرجة درجة الانتحار والبخع من ألم الذنب فليت شعري لماذا لا تقبل توبته ولاينفعه ايمانه حتى ادعوا انه مات كافرا، وان كرسيه في الملكوت سيبقى خاليا ، وبشارة المسيح له لا تكون صادقة ؟ ولماذا تقبل توبة بطرس الذي انكر المسيح وتركه ولعنه المسيح في حياته وسماه شيطانا ، على ان توبته دون توبة يهوذا ، وما كان يهوذا الامتمما لذريعة الفداء التي هي أساس الدين عندهم ؟

(الشبهة الثامنة) يقولون إن المسيح قد قام من قبره بعد موته ودفنه وظهر للنساء ولتلاميذه ولأناس آخرين ، وأرى بعضهم أثر المسامير في جسده ، وقد اتفقت على قيامه جميع الاناجيل ، فكيف يجمع بين هذا و بين القول بأن الذي صلب غيره

ونقول (أولا) انه لاثقة لنا برواية هذه الاناجيل ، و بينا الدلائل على عدم الثقة بها بالاختصار ، ومنها تعارضها في هذه المسألة ونبينها هنا بشيء من التطويل (وثانيا) انه يحتمل ان يكون لهذه الدعوى سبب ثم توسع القوم فيها كما هي عادتهم في الروايات عن العجائب والمستغربات ، حتى تسنى لبولس ومريديه أن يفرغوها في هذا القالب الذي نراه في كتب العهد الجديد. وسترى بيان هذا قريبا

أما البيان الاول ففي انجيل متى ان مريم المجدلية ومريم الاخرى (أي أم يعقوب) جاءتا وقت الفجر لتنظرا القبر فوجدتا الملك قد دحرج الحجر وجلس عليه فأخبرهما ان يسوع قام منه وسبق تلاميذه الى الجليل وهناك يرونه. فذهبتا لتخبرا التلاميذ

فلاقاهما يسوع وسلم عليهما وقال لهما كما قال الملك . (راجع ٢٨ متى وهو الفصل الاخير)

وفي الفصل الاخير من مرقس ان النساء كن ثلاثة الثالثة سالومة وانهن جئن القبر عند طلوع الشمس ، وانهن رأين الحجر مدحرجا ولم يقل كمتى ان الملك كان قاعدا عليه بل قال انهن وجدن في القبر شابا عن اليمين ، وانه قال لهن « اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل » فزاد عطف بطرس على التلاميذ. وقال انهن هربن ولم يقلن لأحد شيئا اذ أخذتهن الرعدة والحيرة وكن خائفات ثم قال انه ظهر أولا لمريم المجدلية (أي دون من كان معها خلافا لمتى) فذهبت وأخبرت الذين كانوا معه فلم يصدقوا . ثم ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما منطلقان الى البرية . فأخبرا الباقين فلم يصدقوا . « ١٤ أخيرا ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لانهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام » وهذا مما زاده على متى

وأما لوقا فلم يقل ان النساء اللواتي جئن لافتقاد القبر هن الثلاث اللواتي ذكرهن مرقس ولا الثنتان اللتين اقتصر عليهما متى بل ذكر انهن نساء كن جئن من الجليل مع يوسف الذي دفن يسوع ونظرن القبر والدفن . وانهن جئن أول الفجر لا عند طلوع الشمس كما قال مرقس ، وانهن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن القبر ولم يجدن الجسد فيه . ولم يقل انهن وجدن شابا فيه عن اليمين كما قال مرقس ولا الملك على الحجر خارجه كما قال متى . بل قال انهن بينما كن متحيرات اذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة وقالا لهن لماذا تطلبن الحي بين الاموات (وهذا تعبير قد يؤيد قول من قالوا انه لم يمت) وذكرهن بقوله انه يسلم و يصلب وفي اليوم الثالث يقوم . ولم يأمرهن بإخبار التلاميذ بأن يسبقوه الى الجليل وانهم هناك يرونه» كما قال متى ومرقس(١) . وقال انهن رجعن « وأخبرن الاحد عشر وجميع الباقين بهذا كله » فخالف مرقس الذي قال انهن لم يقلن شيئا . وقال ان هؤلاء النسوة هن مريم المجدلية و يونّا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن . وان التلاميذ وجميع الباقين لم يصدقوهن إذ تراءى لهم كلامهن كالهذيان .

(١) تكررت عبارة « وهناك يرونه » وهي تفيد الحصر أي لا يرونه الا هناك ثم انهم اتفقوا على انهم رأوه في غير ذلك المكان ولم يصرحوا بأنهم رأوه فيه

ثم ذكر أنه (أي يسوع) مشى مع اثنين منهم كانا منطلقين الى قرية عمواس وهي على ٦٠ غلوة من أورشليم (خلافا لمرقس الذي قال لاثنين منطلقين الى البرية) وقال ان أعينهما أمسكت عن معرفته . وانهما ذكرا قصته وانه كان « انسانا نبيا » وانه وبخهما ووصفهما بالغباوة و بطء القلوب في الايمان ، وانهما ضيفاه في القرية وانه لما اتكأ معهما وأخذ خبزا و بارك وكسر وناولهما انفتحت أعينهما فعرفاه ثم اختفى عنهما ، وانهما في تلك الساعة رجعا الى أورشليم ووجدا الأحد عشر (هكذا مع ان الظاهر انهما منهم فيكون الباقي تسعة) مجتمعين هم والذين معهم و يقولون انه ظهر لسمعان . فأخبراهم خبرهما . ولم يلبث ان ظهر لهم وأكل معهم

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فذكر في الفصل ٢٠ أن مريم المجدلية جاءت الى القبر باكرا والظلام باق فنظرت الحجر مرفوعا فركضت الى سمعان بطرس والى التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه وقالت لهما اخذوا السيد من القبر فركضا الى القبر ودخلا فيه فرأيا الاكفان موضوعة . وكانت مريم تبكي خارج القبر ثم انحنت الى القبر فنظرت ملاكين جالسين واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين : و بعد الكلام معهما عن سبب بكائها التفتت الى الوراء فنظرت يسوع واقفا فلم تعرفه وظنت انه البستاني . ثم تعرف اليها وأمرها أن تخبر التلاميذ بقوله « اني صاعد الى أبي وأبيكم و إلهي وإلهكم » فاخبرتهم

ثم ذكر ان التلاميذ كانوا مجتمعين عشية ذلك اليوم والابواب مغلقة خوفا من اليهود فجاء يسوع ووقف في الوسط وسلم عليهم . وان توما لم يكن معهم فظهر له بعد ثمانية أيام . ثم ذكر في الفصل ٢١ أنه أظهر نفسه للتلاميذ على بحر طبرية فلم يعرفوه أولا ثم اصطادوا سمكا بأمره وحضر غداءهم

هذا ملخص دعوى قيام يسوع من القبر برواية الاناجيل الاربعة . ويرى المتأمل فيها انها متعارضة متناقضة . ومن الغريب انه لم يصرح أحد منهم بأنه ظهر لهم في الجليل كما نقلوا عنه وعن الملاك أو الملكين . والقاعدة الاصولية في المتعارضين اذا لم يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما على الآخر أن يقال « تعادلا فتساقطا » وبهذه القاعدة التي لا مندوحة عن القول بها في هذه القصة وغيرها من التعارض في

هذه الاناجيل اتقاء الوقوع في الترجيح بغير مرجح نقول ان روايات الاربعة ساقطة لا يعتد بشيء منها . فهذا هو بيان الوجه الاول من وجهي الجواب .

واما الوجـه الثاني المبني على احتمال ان يكون لهذه الدعوى سبب أو أصل بني عليه فبيانه أنه يحتمل ان يكون قد شاع في ذلك الوقت ان يسوع قـد قام من قبره وانه رآه بعض النساء و بعض تلاميذه واضطربت الاقوال في ذلك فكتب كل مؤلف انجيل ما سمعه . وأن يكون سبب الاشاعات تخيل مريم المجدلانيـة العصبية المزاج (التي روت هذه الاناجيل ان المسيح اخرج منها سبعة شياطين) أنها رأت المسيح وكلمته . ويجوز أن تكون الرؤية الخيالية اتفقت لغيرها أيضا من التلاميذ أو غيرهم بعـد أن سمعوها منها ومثل هـذا يقع كثيرا كما سيأتي بيانه بالشواهد

وامثال هؤلاء العامة لا يقدرون على التمييز بين الحقيقة والخيال . ألم تر أنهم يروون ان المسيح وبخهم على غباوتهم وضعف إيمانهم بعد ان كانوا عاشروه زمنا رأوا فيه ما أيده الله تعالى به من الآيات ، أو لم تر أنهم ما كان بعضهم يصدق بعضا بل يتهم بعضهم بعضا بالكذب والهذيان ، وأنهم لضعفهم تركوا نبيهم وقت الشدة وانكره أمثلهم وارتشى عليه بعضهم؟ فأمثال هؤلاء الصيادين والنساء لا يستغرب منهم عدم التمييز بين الحقيقة والخيال ، وطالما وقع مثل ذلك في حال الانفعالات العصبية للناس ، كالحزن والخوف والعشق ، يتراءى للانسان في مثل هذه الاحوال شخص يكلمه زمنا طويلا او قصيرا كما يحصل في الرؤى والاحلام . و بعضهم يعد هذا من رؤية الأرواح ، وقد راجت سوق هذه المسألة في أوربة في هذا العصر ، حتى صاروا يزعمون ان فيهم من يستحضر الروح ، وكان هـذا معروفا في الزمن السابق ، ولذلك احترس عنه بعض مؤلفي هذه الاناجيل فقال انه لما ظهر لهم خافوا وظنوا أنهم يرون روحا فنفى هو ذلك

وقد كنا بينا هـذه المسألة في كتابنا (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفناه في زمن التحصيل . ومما قلناه فيه ان الصوفية يفرقون بين رؤية الارواح والرؤية الخيالية . ومما أوردناه عن صاحب كتاب الذهب الابريز من

القسم الثاني واقعة جرت في بلدهم (فاس) قال : اخبرني بعض الجزارين انه مات له ولد كان يحبه كثيراً وانه لم يزل شخصه في فكره حتى ان عقله وجوارحه كانت كلها معه ، فكان هذا دأبه ليلا ونهارا الى ان خرج ذات يوم الى باب الفتوح احد ابواب فاس حرسها الله تعالى لشراء الغنم على عادة الجزارين فجال فكره في أمر ولده الميت فبينما هو يجول فكره فيه اذ رآه عيانا وهو قادم اليه حتى وقف الى جنبه . قال فكلمته وقلت له : ياولدي خذ هذه الشاة ـ لشاة اشتريتها ـ حتى أشتري اخرى ، وقد حصلت غيبة قليلة عن حسي . فلما سمعني من كان قريبا أتكلم مع الولد قالوا : مع من تتكلم انت؟ فلما كلموني رجعت الى حسي وغاب الولد عن بصري ، فلا يدري ما حصل في باطني من الوجد عليه الا الله تبارك وتعالى اه

وما كل من يقع له مثل هذا يعلم ان هذه رؤية خيالية كالرؤيا المنامية . وإنني اعرف امرأة كبيرة السن من اهل بلدنا (القلمون) كانت دائما ترى الموتى وتخاطبهم وتأنس بخطابهم تارة و يظهر عليها الانقباض اخرى . وكان أكثر حديثها مع اخ لها مات غريقا . وكنت أجزم أنا وكل من عرفها بأنها غير كاذبة ولا متصنعة بل كانت هائمة في ذلك ولا تبالي بشيء

ولا يغرن العاقل انتشار أمثال هذه الاشاعات بين العامة ، وجعلها من القضايا المسلمة ، فان هذا معهود في الناس في كل عصر ، وقد بينه الفيلسوف العالم الاجتماعي غوستاف لو بون الفرنسي بياناً علمياً في الفصل الثاني من كتابه (روح الاجتماع) ومما قاله في بيان قابلية الجماعات للتأثر والتصديق وانخداع الحواس والفكر مايأتي ملخصاً :

« ان سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في اختراع الاقاصيص التي تنتشر بين الناس بسرعة بل لذلك سبب آخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة المجتمعين اذ تكون الواقعة بسيطة للغاية فتنقلب صورتها في خيال الجماعة بلا ابطاء لان الجماعة تفكر بواسطة التخيلات ، وكل تخيل يجر الى تخيلات ليس بينها وبينه أدنى علاقة معقولة . . .

« ولقد كان يجب تعدد صور التشويش التي تدخلها الجماعة على حادثة

شاهدتها وتنوع تلك الصور لان أمزجة الافراد الذين تتكون هي منهم مختلفة متباينة بالضرورة . لكن مشاهد غير ذلك ، والتشويش واجب عند الكل بعامل العدوى ، لان أول تشويش تخيله واحد من الجماعة يكون كالخميرة تنتشر منه العدوى الى البقية . فقبل أن يرى جمع الصليبيين القديس جورج فوق اسوار بيت المقدس كان بالطبع قد تخيله أحدهم أولا فما لبث التأثر والعدوى ان مثلاه للبقية جسما مرئيا

« هكذا وقعت جميع التخيلات الاجماعية الكثيرة التي رواها التاريخ وعليها كلها مسحة الحقيقة لمشاهدتها من الألوف المؤلفة من الناس

« ولا ينبغي في ردّ ماتقدم الاحتجاج بمن كان بين تلك الجماعات من أهل العقل الراجح والذكاء الوافر لانه لاتأثير لتلك الصفة في موضوعنا إذ العالم والجاهل سواء في عدم القدرة على النظر والتمييز ما داموا في الجماعة ، ورب معترض يقول : ان تلك سفسطة لان الواقع غير ذلك الا أن بيانه يستلزم سرد عدد عظيم من الحوادث التاريخية ولا يكفي لهذا العمل عدة مجلدات غير اني لاأريد أن أترك القارئ امام قضايا لادليل عليها ولذلك سآتي ببعض الحوادث أنقلها بلا انتقاء من بين الالوف من الحوادث التي يمكن سردها

« وأبدأ برواية واقعة من أظهر الأدلة في موضوعها لانها واقعة خيال اعتقدته جماعة ضمت الى صفوفها من الافراد صفوفاً وأنواعاً ما بين جاهل غبي ، وعالم ألمعي ، رواها عرضاً ربان السفينة (جوليان فيليكس) في كتابه الذي ألفه في مجاري مياه البحر وسبق نشرها في (المجلة العلمية) قال :

« كانت المدرعة (لابيل بول) تبحث في البحر عن الباخرة (بيرسو) حيث كانت قد انقطعت عنها بعاصفة شديدة وكان النهار طالعا والشمس صافية وبينما هي سائرة اذا بالرائد يشير الى زورق يساوره الغرق فشخص رجال السفينة الى الجهة التي أشير اليها ورأوا جميعاً من عساكر وضباط زورقاً مشحونا بالقوم تجره سفن تخفق عليها أعلام اليأس والشدة . وكل ذلك كان خيالاً فقد أنفذ الربان

زورقا صار ينهب البحر انجاداً للبائسين . فلما اقترب منهم رأى من فيه من العساكر والضباط اكداساً من الناس يموجون ويمدون أيديهم ، وسمعوا ضجيجا مبهماً يخرج من أفواه عديدة ، حتى اذا بلغوا المرئي وجدوه أغصان أشجار مغطاة بأوراق قطعت من الشاطئ القريب ، واذ تجلت الحقيقة غاب الخيال

« هذا المثال يوضح لنا عمل الخيال الذي يتولد في الجماعة بحال لاتحتمل الشك ولا الابهام — كما قررناه من قبل — فهنا جماعة في حالة الانتظار والاستعداد ، وهناك رائد يشير الى وجود مركب حفه الخطر وسط الماء ، فذلك مؤثر سرت عدواه فتلقاه كل من في الباخرة من عساكر وضباط بالقبول والاذعان »

ثم بين المؤلف ان مثل هذا الانخداع يقع للجماعات المؤلفة من العلماء فيما هو بعيد عن اختصاصهم العلمي . واستشهد على ذلك بالواقعة الآتية :

(قال) « ومن الامثلة على ذلك ما رواه لنا (موسيو دافي) أحد علماء النفس المحققين وقد نشرته حديثا مجلة (أعصر العلوم النفسية) وهو: دعا (موسيو دافي) جماعة من كبار أهل النظر منهم عالم من أشهر علماء انكلترة وهو (مستر ولاس) وقدم لهم أشياء لمسوها بأيديهم ووضعوا عليها ختوما كما شاؤا ثم أجرى امامهم جميع ظواهر فن استخدام الارواح من تجسيم الارواح ، والكتابة على الالواح ، حتى كتبوا له شهادات قالوا فيها ان المشاهدات التي وقعت أمامهم لا تنال الا بقوة فوق قوة البشر ، فلما صارت الشهادات في يده بين لهم ان جميع ما عمله شعوذة بسيطة جدا . قال راوي الحادثة ليس الذي يوجب الدهش والاستغراب في هذه المسألة هو ابداع (دافي) ومهارته في الحركات التي عملها بل هو ضعف الشهادات التي كتبها أولئك العلماء » ثم استنتج المؤلف من ذلك انه اذا كان انخداع العلماء بما لاحقيقة له واقعا فما أسهل انخداع العامة !

ثم ذكر حادثة وقعت في أثناء كتابته هذا البحث وخاضت فيها جرائد باريس وكان منشأ الانخداع فيها الشبه الذي هو موضوع بحثنا قال (في ص ٥٠ من النسخة العربية المترجمة)

« أنا أكتب هذه السطور والجرائد ملأى بذكر غرق بنتين صغيرتين

واخراج جثتهما من نهر (السين) عرضت الجثتان فعرفهما بضعة عشر شخصا معرفة مؤكدة واتفقت أقوالهم فيها اتفاقا لم يبق معه شك في نفس قاضي التحقيق فأذن بدفنهما . و بينما الناس يتأهبون لذلك ساق القدر البنتين اللتين عرفهما الشهود بالاجماع وظهر انهما باقيتان ولم يكن بينهما و بين المفقودتين الا شبه بعيد جدا . والذي وقع هو عين ماوقع في الامثلة التي سردناها : تخيل الشاهد الاول ان الغريقتين هما فلانة وفلانة فقال ذلك ، فسرت عدوى التأثير الى الباقي اه .

تبين مما تقدم أن الاشاعات التي تبنى على تخيل بعض الناس كثيرة تقع في كل زمان ومكان . و ينخدع بها العلماء كالعوام ، وانما بين غوستاف لو بون انها جارية على سنن الاجتماع ، وليست مما يجهل تعليله من الفلتات والشواذ. واننا بعد كتابة ماتقدم بأيام جاءتنا مجلة المقتطف (الصادرة في ٢٣ المحرم من هذا العام ١٣٣١) فقرأنا في مقالة فيها عنوانها (مناجاة الارواح والبحث في النفس) أن أربعة من علماء الانكليز وكبار عقلائهم الثقات شاهدوا واقعة من وقائع مستحضري الارواح احتاطوا فيها أشد الاحتياط لئلا تكون غشا أو شعوذة . وكان الوسيط فيها أي الذي يستحضر الروح رجلا اسمه (مستر هوم) وقد شهد أولئك العلماء الثقات أنهم شاهدوا الروح المستحضر فخاطب كلا منهم باسمه وأجابه عما سأله عنه وان أحدهم سأله : ألك جسم حقيقي أم أنت خيال ؟ فقال انجسمي أقوى من جسمك ، فامتحنه بوضع أصبعه في فيه فألفاه حارا وأسنانه صلبة حادة وعضه عضة صرخ من ألمها

قال المقتطف بعد ذكر الواقعة انه يحتمل أن تكون شعوذة من (مستر هوم) أي وان كان أولئك العلماء قد ربطوا يديه ورجليه بأسلاك من النحاس الى كرسي متصل بالموقد موثقا بذلك الرباط ولحموا الاسلاك بلحام معدني وقالوا انه لا يمكن لقوة بشرية أن تزيحه من مكانه ما لم تقطع الاسلاك المعدنية ، ثم رأوه بعد مشاهدة الواقعة كما تركوه في قيوده وأغلاله

(ثم قال المقتطف وهو محل الشاهد) « واذا لم يكن (هوم) قد فعل ذلك فلا يستحيل أن يكون كوكس وكروكس وغلتون قد خدعوا كلهم فرأوا مالا يرى

وسمعوا مالا يُسمع لانه كما يحتمل أن يفعل بعض الناس أفعالا خارقة لا يستطيع غيرهم فعلها يحتمل أن يتخيل بعضهم أنهم يرون و يسمعون مالا حقيقة له في الخارج ، كيف لا والنائم والحادس يريان و يسمعان مالا وجود له »

أقول فاذا جاز في رأي علماء العصر وفلاسفته أن ينخدع العلماء الطبيعيون وغيرهم بالتخيل فكيف لا يجوز أن ينخدع به مثل مريم المجدلية العصبية (الهستيرية) وتوما واخوانه من صيادي السمك . واذا جاز أن يتخيل ضباط المدرعة (لا بيل پول) وعسكرها و بحارتها زورقا يساوره الغرق فيجزمون بأنهم رأوه بأعينهم وهو مكتظ بالمستنجدين المستغيثين وهم يرون أيديهم تومئ وتشير ، و يسمعون جلبتهم بالصياح والضجيج ، واذا جاز أن يتخيل جماهير الصليبيين القديس جورج فوق أسوار بيت المقدس فيظنوا أنهم رأوه حقيقة ، فلماذا لا يجوز مثل هذا التخيل في أولئك الافراد الذين نقل عنهم انهم رأوا المسيح بعد حادثة الصلب ان صحت الرواية على انقطاع سندها ؟ واذا جاز أن يجزم بضعة عشر شاهدا في البنتين اللتين غرقتا في نهر السين جزما مبنيا على ماشبه لهم ، فلماذا لا يجوز ان يجزم بمثل ذلك في يهوذا الذي كان يشبه المسيح ، من لم يكونوا يعرفون المسيح

وقع في عصرنا هذا واقعتان من قبيل مسألة رؤية المسيح ورؤية القديس جورج (احداهما) وقعت في الشام منذ سنين وهي ان رجلاً اسمه علي راغب اشتغل بالتصوف والرياضة فغلبت عليه الخيالات فكان اذا تخيل شيئا مهما عنده يتمثل له كأنه حاضر بين يديه . وقد اشتغل زمنا بقراءة الاناجيل حتى كان يحفظ منها ما لا يكاد يحفظه أحد من النصارى ، ثم انه عاشر بعض النصارى في دمشق حتى كان يحضر كنائسهم ، فكبر تخيله لقصة الصلب التي قرأها في الاناجيل فرأى المسيح مرة متمثلا أمامه بالصورة التي ذكروا انه كان عليها عند الصلب ورأى أثر المسامير في يديه فاعتقد أن هذه الرؤية حسية حقيقية وخطب في النصارى بذلك فصدقوه وقالوا انه قدّيس . وشاعت المسألة ولغط الناس بها . ثم التقى الشيخ طاهر الجزائري بالشيخ راغب هذا وتحدثا في المسألة فلم يفجأه الشيخ طاهر بالتخطئة بل شغل باله وخياله بآيات المسيح و بما كان له من القدرة

على الظهور بأشكال مختلفة (كما ذكروا في الانجيل) وانتقل من هذا الى مسألة إلقاء شبهه على يهوذا وما بينه الله تعالى من التشبيه لهم ، فما زال يحدثه بمثل هذا حتى ذهب واقصة الصلب في خياله صورة أخرى فرأى المسيح متمثلا أمامه وليس في يديه ولا غيرها أثر للصلب ، فسأله عن حقيقة مسألة الصلب فقال له : ألقيت على يهوذا صورة من صوري فأخذوه وصلبوه . فذهب الشيخ راغب وخطب في النصارى بهذه الرؤية فنبذوه واعتقدوا انه مجنون . فهذه الرؤية تشبه رؤية توما للمسيح عليه الصلاة والسلام

وأما الواقعة الثانية فهي ان بعض الناس في هذه الايام تخيل ان الشيخ المتبولي خرج من قبره المعروف بجوار محطة مصر ووقف على قبته ثم طار في الهواء ونزل على الكنيسة الجديدة التي ينشئها اليونانيون ، ولما شاع هذا الخبر في القاهرة اجتمع خلق كثير من العامة عند الكنيسة وصاروا يهتفون باسم المتبولي ففرقتهم الشرطة والشحنة بالقوة وادعى كثيرون منهم انهم رأوا المتبولي فيها . وروت بعض الجرائد اليومية ان مجذوبا من أبناء السبعين قال أنا المتبولي فصدقه الناس وصاروا يتبركون به . ولولا حزم الحكومة لحدث بين عوام المصريين واليونانيين من جرّاء هذه المسألة فتن سفكت فيها الدماء ولكن الحكومة تداركت ذلك وفرقت شمل الجماهير وقبضت على بعضهم وحبستهم

هذا وان كثيرا من الصوفية الذين يناجون الارواح يرون المسيح وأمه كثيرا . وقد تعرّف الي بعضهم وهو أعجمي من أصحاب المظاهر الدنيوية يخفى تصوفه عن أقرانه وأخبرني أنه يرى أرواح الانبياء ويتلقى عنهم علوما يكتبها بالعربية ، وانه رأى عيسى ومريم عليهما السلام مرارا وتلقى عنهما ، ومن ذلك انه سأل مريم عن تمثل الملك لها ونفخه فيها فأجابته عن ذلك وانه حصل من ذلك نحو ما يحصل بالزواج من التلقيح . وسألته أنا عن استحضار الارواح الذي نسمعه عن الافرنج هل هو مثل ما يذكره عن نفسه ، و يؤثر عن الصوفية من قبله، فقال انه بعضه حيل و بعضه له أصل دون ما عندنا وأبعد عنه بمراحل . وانا لا أتهم هذا الرجل بالكذب عن نفسه ولا أتهم الامام الغزالي فيما رواه عن نفسه من مثل ذلك أيضا . وانما أقول

اذا كانت هذه الرؤية خيالية أيضا كرؤية الشيخ راغب فهي تؤكد ما نحن فيه من جواز مثل ذلك على جماعة المسيح . وان كانت حقيقية وهي ولا شك أعلى وأكمل مما يثبته الكثيرون من علماء الافرنج فهي مصدقة لخبر القرآن في قصة المسيح، وناقضة لتلك العقيدة الخيالية ، المقرر مثلها عند الامم الوثنية .

حاصل المباحث والشك في وجود المسيح

حاصل هذه المباحث ان قصة الصلب ليس لها سند متصل الى الافراد الذين رويت عنهم ، وأولئك الافراد الذين رووها غير معروفين معرفة يقينية كما يعلم من دائرة المعارف الفرنسية وغيرها من الكتب التي ألفها علماء أوربة الاحرار . وان الذي يؤخذ من مجموع تلك الروايات المنقطعة الاسناد أن أول من وضع هذه العقيدة النصرانية المعروفة الآن هو بولس اليهودي الذي كان أشد أعداء المسيح عليه السلام وألد خصوم اتباعه خصاما . ثم رأى انه لا يتمكن من نكايتهم وافساد امرهم ، الا بدخوله فيهم ، ففعل . وعلى تقدير وقوع الصلب ورؤية المسيح بعده فالذي يقرب من المعقول في تصويره هو ما بيناه .

ولا يروعن القارئ المستقل الفكر هذه الشهرة المنتشرة بانتشار النصارى في اقطار الارض ، وما لهم فيها من القوة والايد ، فانما العبرة في إثبات الوقائع والحوادث كونه في زمن وقوعها ، كما ثبت القرآن المجيد في زمن نزوله حفظا وكتابة ، ألم تر ان هذه الشهرة المنتشرة للمسيح عليه السلام لم تمنع بعض علماء اوربة الاحرار من الشك في وجوده نفسه ، ولا من ترجيح كون قصته خيالية ، لا حادثة الصلب والقيام منها فحسب . كما أن بعضهم يرى مثل هذا الرأي في بعض آلهة الوثنيين ، وفي (هوميروس) شاعر اليونان ، الذي تضرب بشعره الامثال ، فهو أشهر رجل في تاريخ امته الذي هو من اشهر تواريخ الامم الغابرة . ومثله في تاريخ امتنا العربية قيس العامري الشهير بمجنون ليلى . ذكر في الاغاني روايات عن بني عامر انه غير معروف عندهم . وانه قيل ان الشعر الذي ينسب اليه هو لبعض كبراء بني امية عزاه الى مجهول تسترا بعشقه

مثل هذا في التاريخ كثير فهو غير مستبعد عقلا ولكننا نحن المسلمين نؤمن

بالمسيح لا لذكره في اناجيلهم وكتبهم فكم في الكتب من قصص خيالية مثل قصته ، بل لان القرآن اثبت وجوده ونبوته والقرآن ثابت عندنا قطعا فنؤمن بكل ما اثبته . وان لي كلمة قديمة اذكرها في هذا السياق الذي لم اتوسع فيه الالرد هجمات دعاة النصرانية الذين اسرفوا في الطعن في الاسلام وهي : إن إثبات القرآن للمسيح عليه السلام هو أقوى حجة للمسيح واقوى شبهة على القرآن . فان الشبهات التي يوردها الملاحدة والعقليون من النصارى وامثالهم على إثباته كون المسيح وامه آية وان الله آتاه آيات اخرى - هي اقوى الشبهات الواردة على القرآن ، ولكن درها سهل على قاعدة الايمان بقدرة الله تعالى وتصرفه في خلقه كما يشاء . ومن آيات كون القرآن من عند الله تعالى عدم موافقته للنصارى في رواياتهم في الصلب والتثليث، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الجمع بين الاسلام النصرانية

ان تلك الاقوال المعروفة عند النصارى دفعت بعض الراغبين في التأليف بينهم وبين المسلمين الى الجمع بين ما جاء في القرآن العزيز وما يؤخذ من الاناجيل بنوع من التأويل . وهو ان قول القرآن « وما قتلوه يقينا » يشعر بأنه قد حصل ما هو مظنة القتل لانه صورة من صوره ، ووسيلة من وسائله ، وهو ذلك التعليق على الخشبة الذي كان بدون كسر عظم ولا اصابة عضو رئيسي ولم يطل زمنه فكأنه ليس صلبا . وعندهم أن هذا هو معنى قوله « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وهذا التأويل بعيد والاول هو الاقرب

وممن ولع بالجمع بين النصرانية البولسية التي تؤخذ من الكتب التي يسمونها العهد الجديد وبين الاسلام قسيس من طائفة الروم الارثوذكس اسمه (خريستوفورس جباره) كان برتبة ارشمندريت وكاد يكون مطرانا ، فخلع ثوب (الكهنوت) وطفق يدعو الى التأليف والجمع بين الاسلام والنصرانية ، ويقول بعدم التنافي بينهما ، ويؤلف الكتب في ذلك ، يثبت فيها التوحيد وصدق القرآن ، ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، مع صحة الاناجيل وتطبيقها على القرآن ، ولكن لم يستطع أن يؤلف حزبا ، وإنني أعتقد أنه كان مخلصا في عمله ، وكان الاستاذ الامام يحسن الظن فيه أيضا ويرى

أن دعوته لا تخلو من فائدة وتمهيد للتأليف بين الناس ، وظهور دين الله الحق في جميع البلاد. والحق ان الاسلام هو دين محمد ودين المسيح ودين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولكن المحال هو الجمع بين دين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبين الديانة البولسية المبنية على أن الثلاثة واحد حقيقة والواحد ثلاثة حقيقة ، وعلى عقيدة الصلب والفداء الوثنية .. وكيف يمكن الجمع بين التوحيد والتثليث ، وبين عقيدة نجاة الانسان وسعادته بعلمه وعمله ، وعقيدة نجاته بايمانه بلعن ربه لنفسه ، وتعذيبه إياها عن عبيده ، وان لم يتم لربه مراده من ذلك ،

ألا إن القرآن هو الجامع المؤلف ، ولكن ترك دعوته المنتمي اليه فكيف يستجيب له المخالف ، فدين التوحيد والتأليف لا يقوم بدعوته أحد ، ولا يحمي دعاته أحد ، ولا يبذل له المال لهداية الناس أحد ، ودين التعديد والفداء تبذل له القناطير المقنطرة من الدنانير ، ويستأجر لدعوته الالوف من المجادلين والعاملين ، وتحميهم الدول القوية بالمدافع والاساطيل ، على اننا لا نيأس من روح الله ، فكما وفق لتأليف جماعة الدعوة والارشاد ، فهو الذي يوفق لمساعدتها من أراد ، والله خلقنا من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، وما هي الا أن يستيقظ المسلمون من رقدتهم ، وينتبهوا من غفلتهم ، ويعرفوا الغرض من حرص الافرنج على تنصيرهم ، وان اول بلايا دعوتهم ، وما ينشرون من صحفهم وكتبهم ، وينشئون من مدارسهم ومستشفياتهم ، هو ابطال ثقة المسلمين بدينهم ، وحل الرابطة التي تجمع بين افرادهم وشعوبهم ، حتي يكونوا طعمة للطاعمين ، بل عبيدا للطامعين ، فاذا انتبهوا وفقهوا ، عرفوا كيف يحفظون انفسهم ودنياهم بحفظ دينهم ، وتوثيق رابطته بينهم ، والاستغناء عن الجمعيات والمستشفيات ، التي ينشئها جمعيات التغرير بالتبشير لهدم الاسلام ، بانشاء خير منها لإعلاء منار الاسلام ، الذي هو دين العقل والعرفان ، والعدل والعمران ، الذي اكمل الله به دين الانبياء عليهم السلام ، ويجذبون اليه من في بلاد أمريكة وأوربة من المستقلين الاحرار ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في كل مكان ، ـ لا إله الا الله ، محمد رسول الله ، وآخر دعوانا ان الحمد لله ،

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه، وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ الجهاد أو القتال في الاسلام ﴾

(١ س) من صاحب الامضاء في فاينات (خراسان)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى العلامة السعيد المرتضى ، السيد محمد رشيد رضا ، صاحب مجلة المنار الغراء

بعد اهداء شكري اليه مما انعمت به من فيض دجلة تلك المجلة ، اني قرأت في مجلتكم الغراء مايشعر بتنزيل ماورد في الجهاد من الآيات الكريمة على الجهاد الدفاعي فحسب دفعا لما أورده الافرنج على دين الاسلام وما نقموا من نكير سيفه وتمره في ذات الله. وهذا وان كان له وجه وجيه بالنظر الفلسفي، حيث ان العلة التي أوجبت الدعوة الى دين يراد به ترقية الانسان الى كافة السعادات الدنيوية والأخروية ، واخراج الناس كافة من الظلمات الى النور ، ومن الوحشية الموحشة، الى المدنية المؤنسة ، ومن الشقاوة الكبرى، الى السعادة العظمى، هي التي أوجب ابرامها ، والتي أوجب ابرامها ، هي التي أوجب اعلانها ، بحيث يصلح للبقاء الى قيام الساعة. والعقل السليم يفرق بين موجبات نشر دين من شأنه دفع ظلمة التوحش وطردها ، وبين ما لايراد به الا التجافي عن الدنيا والفراغ للعبادة ولو في شعب الجبال ، ويلزم على الصادع بمثل هذا الدين اندفاع عن علوه وابقائه ، كما يلزم عليه الدفاع عن ابلاغه واسماعه ، فمثله في عالم التشريع ، كمثل النور في عالم التكوين ، وكما ان النور يطرد الظلمة بسنابرقه ، فكذلك ذاك الدين طارد للوحشة بسنابريقه، فهو من بدء ظهوره ظهر دافعا وهو كذلك الى الابد هذا هو الحق الحقيق بالتصديق لكنه لايلائم ظاهر معنى الدفاع ولا تقسيمهم الجهاد

الى دفاعي وابتدائي، ولا يزيح علة الخصم في لجاجه وايقاعه، ولا يوافقه شواهد التاريخ وأدلة الاحكام وعناوين الفقهاء التي كلها منك بسمع ومرأى ولو تركناها على ظاهرها فان تحقق معنى الدفاع بظاهره يتوقف على سبق الخصم بالمزاحمة وعليه فكيف يمكننا ان نقول ان الفرس والروم زاحموا محمداً وصحبه الكرام، عليه وعليهم السلام، وهم في بحبوحة الحجاز، حتى أوجب عليه وعليهم دفعهم الى حد الصين شرقا وأفريقية غربا. فيا عجباً من الافرنج كيف يعد احتلال بلاد الاسلام وصلب رجالها واستحياء نسائها أو ذبح أطفالها لأدنى فائدة اقتصادية ترجع اليهم من دون حق لهم عليه مشروعا تمدنيا بل دينيا، ولا يعد ضرب السيف بعد اتمام الحجة وايضاح المحجة وتخيير المكلف بين الاسلام ونيل سعادته الابدية في أعقابه أو قبول أدنى جزية وصون حقوقه البشرية في انجاده مشروعا دينياً اسلامياً، مع ان ماهو عليه الآن من الترقي والتمدن صدقة من صدقات الاسلام عليه بعد ما كان عليه من أخس مراتب التوحش. أرجو من فضيلتكم السامية بعد تجديد شكري اليكم بسط الكلام في هذا الموضوع بحيث تزيح علة الخصم مع موافقته لظواهر الآثار

خادم الاسلام محمد هادي البيرجندي

من قطر قاينات من بلاد خراسان

(ج) لايجهل أحد له نصيب ما من تاريخ الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أظهر دعوته الى الاسلام عاداه قومه وقاوموه وآذوه هو وكل من آمن به واتبعه، ولم يعصمه دمه ولا دم أحد من أصحابه الا حماية عشائرهم أو مواليهم لهم بنعرة النسب أو الولاء وعصبيتهما. وان تلك الحماية لم تمنع الايذاء بل اضطرت قريش أبا طالب عم النبي (ص) ان يخرج بأهل بيته مع ابن أخيه من مكة الى الشعب لاصراره على حمايته وعدم تمكينهم منه، ثم مازالوا يكيدون ويمكرون حتي ائتمروا بالنبي (ص) ليقتلوه بصفة يضيع بها دمه في كل القبائل بأن يختاروا من كل قبيلة رجلا ليضربوه بسيوفهم في آن واحد، فأطلعه الله تعالى على كيدهم، وأذن له بالهجرة من بلدهم، راجع تفسير قوله تعالى (٨: ٣٠ واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك)

هاجر النبي (ص) من مكة الى المدينة وهاجر السابقون الاولون من أصحابه فآواهم اخوانهم الانصار الذين كانوا أسلموا في موسم الحج بمكة وبايعوا النبي (ص) على ان يمنعوه من كل معتد كما يمنعون ويحمون أنفسهم وأولادهم، وبذلك صار حربا للعرب عامة، وأهل مكة خاصة، أي صاروا يعدونه محاربا ويعدهم محاربين بحسب

العرف العام في ذلك الزمان ، فكان المؤمنون مع المشركين يومئذ كالعثمانيين مع البلقانيين اليوم ، لايقدر أحد ان ينال من الآخر نيلا فيقصر فيه . بل كانت العرب قبل البعثة وفي عهدها في غزو دائم وقتال مستمر ، لايعصم قبيلة من قبيلة الا بأسها وقوتها ، أو المعاهدات التي كانت تفي بها ، فكانت كل قبيلة تتوقع القتال في كل أوان، من كل قبيلة ليس بينها وبينها عهد أو حلاف ، فالحرب (معلنة) عرفا في كل زمان ومكان ، الا ما كان لهم من التقاليد المتبعة في الاشهر الحرم والبلد الحرام ، ومن البين الجلي ان البدء بالقتال ، لايعد من الاعتداء في مثل هذه الحال ، ومع ذلك كان المشركون هم الذين يعتدون على النبي (ص) والمؤمنين ، ويحزبون عليهم الاحزاب ، فكان قتاله (ص) كله دفاعا حتى ما كانت صورته هجوما ، وكانت القاعدة الاساسية للحرب قوله تعالى (٢: ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

ما كان النبي (ص) يطلب بالقتال ملكا وقد رغبوا اليه في مكة ان يجعلوه ملكا عليهم بشرط أن يترك دعوته، وعرضوا عليه كل مايقدورن عليه من مال ومتاع، فلم يقبل ذلك وهو في حال الضعف والاحتياج، وكان دفاعه في أكثر سني الهجرة دفاع الضعف للقوة ، الى ان أظفره الله الظفر الاكبر بفتح مكة ، وأظهر الآيات على حرصه(ص) على حقن الدماء ، وكراهته للقتال ، رضاؤه بصلح الحديبية ، وهو في قوة ومنعة ، على ما في ذلك من الشروط الثقيلة التي كرهها يومئذ جميع الصحابة ، حتى تراءى للنبي (ص) انهم خرجوا أو كادوا يخرجون من الطاعة . فالقتال الديني الحقيقي هو ما كان دفاعا عن الدعوة وأهلها ، أو لحمايتها وحمايتهم في نشرها وتعميمها ،

أما غير العرب فلم يقصد النبي (ص) الا الى قتال الروم منهم في غزوة تبوك وكان سببها انه بلغه ان الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وقدموا مقدماتهم الى البلقاء لقتال المسلمين باغراء متنصرة العرب .ولولا ذلك لما أمر بالخروج في ذلك الوقت الذي كان المسلمون فيه في عسرة ومجاعة وقد أدركت ثمارهم فاضطروا الى تركها والحر شديد والشقة بعيدة ، والعدد كثير . ولهذا كانت هي الغزوة التي ظهر فيها صدق الصادقين ونفاق المنافقين .

على ان نشر الدعوة في ذلك العصر كان متعذرا بغير قوة يأمن بها الدعاة على أنفسهم، وكان جيران جزيرة العرب من الروم في الشام ومصر والفرس والعراق قد اعتدوا على بعض أهلها وأخضعوهم لسلطانهم ، فلما اجتمعت كلمة أكثر العرب في الجزيرة

بجامعة الاسلام، صار أولئك الجيران عدوا لهم، وكان العدو حربا لعدوه حيث كان، فكان لا مندوحة للمسلمين - والحال ما ذكرنا - ان يؤيدوا نشر الدعوة بما يستطيعون من قوة ، ولكنهم لا يستعملون القوة الا عند الحاجة أو الضرورة ، فكانوا يعرضون على الناس الاسلام فان أجابوا كانوا مثلهم، والا اكتفوا منهم بأخذ جزية قليلة تكون اكتفاء شرهم، وتركوا لهم الحرية في أنفسهم وأموالهم ودينهم ، حتى انهم لا يجبرونهم على التحاكم اليهم ، وان تحاكموا اليهم ساووهم في ذلك بأنفسهم ، فلم يكن الغرض من هذا الا ان تكون دعوة الحق في حماية قوة يمكن بها إظهارها ،كما يعتقدها ويدين الله بها أربابها ، من غير اعتداء على دين أحد ولا ماله ، مادام محافظا على ذمته وعهده ، فهكذا كانت سيرة الخلفاء الراشدين في فتوحاتهم ، وأما من بعدهم من خلفاء العرب وملوك الطوائف في عهدهم، فقد شاب فتوحاتهم لنشر دعوة الاسلام ، شائبة حب سعة الملك وعظمة السلطان، ومع هذا قال غوستاف لوبون من أكبر فلاسفة الاجتماع والعمران وعلماء التاريخ من الافرنج «ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب»

هذا مجمل ما نفهمه من آيات كتاب الله عز وجل ، وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو مبني على قواعد العدل والرحمة ، وما شرع لاجله الدين من اصلاح الامة ، وهو في الاسلام اصلاح البشر كافة ، ولسنا كغيرنا ممن يغيرون ويبدلون ، ويحرفون ويؤولون ، لدفع مايعترض به المعترضون ، فان ديننا ليس كسائر الاديان التي يدافع عنها أهلها كما يدافع المحامي عن موكله المبطل بتمويه باطله ، وتصويره بغير صورته ، وانما دفاعنا عن ديننا هو اظهار حقيقته ، وازالة ما عرض من التمويه والتلبيس عليه ، ونحن نعلم ان المعترضين عليه فريقان لا ثالث لهما الجاهلون بحقيقته ، والمعادون له للعصبية الدينية ، أو المطامع السياسية، وهؤلاء يطعنون فيما يرونه من محاسنه بأشد مما يطعنون فيما يتوهمون من مساويه . وغرضهم من ذلك إضعاف أهله بازالة ثقتهم به ثم بأنفسهم. ومن ذلك طعنهم في مسألة الجهاد وهم لا يطعنون في التوراة التي تأمر باستئصال الاعداء واصطلامهم من الارض ، كما بينا ذلك في المنار مراراً ومن أوضحها مارددنا به على لورد كرومر . ولو أن المسلمين عملوا بأحكام القتال كما أمر الله ورسوله لكان سلطانهم في علو دائم، ومد لا جزر معه، بما يدعمه من العدل والرحمة ، مع استكمال أسباب القوة . فالواجب على الدولة الاسلامية ان تكون أقوى دول الارض وان تقيم دعوة الاسلام وتحميها بالقوة ، وقد يكون ذلك بالدفاع وبالهجوم ،مع مراعاة قاعدة (٢: ٢٥٥ لا إكراه في الدين)

﴿ اسئلة من الشيخ راغب القباني في بيروت ﴾

لقب الامام

(س) تطلقون على المرحوم الشيخ محمد عبده لقب الاستاذ الامام ونرى بعض المعترضين عليكم يقولون ان هذا اللقب لا يجوز اطلاقه الا على المجتهدين أصحاب المذاهب المتبعة

(ج) ان هذا اللقب قد أطلقه الناس على كثير من العلماء في القرون الاخيرة حتى في هذا القرن وما قبله كما ترونه على الكتب المطبوعة في مصر من تأليف علماء الازهر وغيرهم الذين لم يدعوا ولم يدع لهم أحد الاجتهاد ولا كانوا مظنة لدعواه. واشتهر اطلاقه على بعض العلماء في القرون الوسطى ممن لا يعدونهم من المجتهدين بل يذكرونهم في طبقات المقلدين كالفخر الرازي الاشعري الشافعي فهو الذي ينصرف اليه لقب الامام اذا أطلق في كتب اصول الفقه والكلام والمنطق التي الفت بعده . وكان تاج الدين السبكي يطلق على والده لقب الشيخ الامام كما ترونه في كتبه كجمع الجوامع وطبقات الشافعية وسبقه الرازي الى ذلك

﴿ قول الشيخ محمد عبده في الربا ﴾

(س) يزعم بعض الناس ان الشيخ محمد عبده فتح بابا للقول بجواز الربا اذا كان غير أضعاف مضاعفة

(ج) نحن ما رأينا هذا الباب فدلونا عليه في كلامه وبينوا لنا الباطل منه لنشره للناس ، لازالة الالتباس ، ونحن نعلم ان بعض أعداء الاصلاح يطعن في الرجل كذبا وبهتانا اتباعاً للهوى ، فلا تغتروا بأقوال أمثال هؤلاء الطعانين اللعانين

﴿ التصوير الحيواني ﴾

(س ٤) لم يقنع الناس بالاستدلال على جواز التصوير الحيواني بأن المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما فانهم يقولون ان العلة لا تزال موجودة فنرغب اليكم بالتفصيل

(ج) ليس عندنا تفصيل نوافيكم به ولسنا لا وكلاء على الناس فيما يرونه ويعتقدونه ونحن نعلم ان من الناس من هو متمتع بأن ما شائبة للدين فيه من أمر هذه الصور والتصوير لا يمس الدين كالذي يفعله بعض جواسيس الحرب وكصور المجرمين التي تستعين بها الحكومة على معرفتهم وكالصور التي يستعان بها على تعليم التشريح والتاريخ الطبيعي واللغة فان كثيراً من الحيوانات التي نرى أسماءها في كتب اللغة لا نعرف مسمياتها اذا رأيناها مالم نكن رأينا صورها . فاذا كان الناس الذين يعنيهم السائل يقولون ان علة تحريم التصوير متحققة في هذه الامثلة جدلاً وعنادا أو رأياً واعتقاداً فهم لا يخاطبون لانهم لا يفقهون

ميزان الجرح والتعديل (*)

٢

(درء وهم واشتباه)

يقول بعضهم : ان مسلما روى عن ابن عباس انه قال في نجدة الحروري: لولا ان أرده عن نتن يقع فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين : قال النووي: كان ابن عباس يكرهه لبدعته وهي كونه من الخوارج

والجواب انه لا يلزم من كراهة الفرد كراهة المجموع ، والا لما خرج لثقاتهم وعلمائهم الشيخان وغيرهما، وهل يؤخذ الجمع بجريرة الفرد؟ على ان نجدة ليس من رجال الرواية عند المحدثين ، فقد ضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال وقال عنه : ذكر في الضعفاء للجوزجاني ، على ان الحال وصل اليه في قومه أن يختلفوا عليه وينبزوه بالكفر كما تراه في كتاب الفرق للامام أبي منصور البغدادي ، والملل والنحل للشهرستاني وغيرهما، فلا نعمة عين له - كما قال ابن عباس - ولو كان يكره كل خارجي لبدعته لما أخرج لاثباتهم أئمة السنة في الصحاح والمسانيد ، ويكفي ان الامام مالكا رضي الله عنه عُد ممن يرى رأيهم كما رواه الإمام المبرد في كامله (١) ومن عزا لك ماياثره ، وأراك مصدره ، فقد أوقفك من المسالك على الصراط المستقيم

ومن الغريب أن يستدل بعضهم على معاداة المبدعين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجر الثلاثة الذين خلفوا ، ورفض تكليمهم حتى

(*) لعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي

(١) جزء ٢

تيب عليهم ، مع انه لاتناسب بين دليله والدعوى بوجه ما - لأن البحث في الرواة المجتهدين الثقات المتقنين الذين مانبذ السلف مرويهم لرأي رأوه ، أو مذهب انتحلوه ؛ فهل كان المخلفون كذلك ؟ وما المناسبة بين قوم هجرهم النبي صلى الله عليه وسلم لذنب محقق اعترفوا به حتى تيب عليهم - وقوم لايرون ماهم عليه الا طاعة وعقداً صحيحا يدان الله به ، وتنال النجاة والزلفى بسببه ، فالانصاف يا اولي الالباب الانصاف ، وحذار من الجري وراء التعصب والاعتساف

غريب امر المتعصبين ، والغلاة الجافين ، تراهم سراعا الى التكفير والتضليل ، والتفسيق والتبديع ، وان كان عند التحقيق لاأثر لشيء من ذلك الا مادعا اليه الحسد ، او حمل عليه الجمود وضعف العلم ، وجهل مشرب البخاري ومسلم ، واصحاب المسانيد والسنن هداة الأمة ، ولا قوة الا بالله

(ثمرة الرفق بالمخالفين)

قال بعض علماء الاجتماع : يتخلف فكر عن آخر باختلاف المنشإ والعادة والعلم والغاية . وهذا الاختلاف طبيعي في الناس ؛ وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا ، ومن عادة صاحب كل فكر ان يحب تكثير سواد القائلين بفكره ، ويعتقد انه يعمل صالحا ، ويسدي معروفا ، وينقذ من جهالة ، ويزع عن ضلالة ، ومن العدل ان لا يكون الاختلاف داعياً للتنافر ما دام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو اليه ، ولو كان على خطأ في غيره ، لان الاعتقاد في شيء اثر الاخلاص ، والمخلص في فكر ما اذا اخلص فيه يناقش بالحسنى ، ليتغلب عليه بالبرهان ، لا بالطعن

واغلاظ القول وهجر الكلام ، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافقه على فكره ريثما يهتدي الى ما يراه صوابا ، ويراه غيره خطأ ، او يقرب منه ، وفي ذلك من امتثال الأوامر الربانية ، والفوائد الاجتماعية ، ما لا يحصى . فان اهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة الا اذا قل تعاديهم ، واتفقت على الخير كلمتهم ، وتناصفوا وتعاطفوا ، فكيف تريد مني ان اكون شريكك ، ولا تعاملني معاملة الكفؤ على قدم المساواة

دع مخالفك - ان كنت تحب الحق - يصرح بما يعتقد ، فاما ان يقنعك ، واما ان تقنعه . ولا تعامله بالقسر ، فما قط انتشر فكر بالعنف ، او تفاهم قوم بالطيش والرعونة . من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن ، يحرجه فيخرجه عن الأدب ويحوجه اليه - لان ذلك من طبع البشر مهما تثقفت أخلاقهم ، وعلت في الآداب مراتبهم . وبعد فان اختلاف الآراء من سنن هذا الكون ، وهو من أهم العوامل في رقيّ البشر ، والأدب مع من يقول فكره باللطف قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع . والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن الجاهلين لا العالمين ، والمهوسين لا المعتدلين اه مع تلخيص وزيادة ،

ولا يخفى ان الاصل في هذا الباب قوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » وقوله سبحانه « وقولوا للناس حسنا » وقوله جل ذكره : (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولا تنس ما أسلفنا عن السلف في تفسيرها .

(حملة الاعلام المحققين على المتفقهة المكفرين)

لما استفحل الرمي بالتكفير والتضليل لخيار العلماء في منتصف قرون الألف الاولى من الهجرة ضجت عقلاء الفقهاء ، وصوبت سهام الردود في وجوه زاعمي ذلك، حتى قالت الحنفية (عليهم الرحمة) مامعناه : لوأمكن ان يكفر المرء في أمر من تسعة وتسعين وجها ، ومن وجه واحد لا يكفر يرجح عدم التكفير على التكفير لخطره في الدين

ولم يشتد الرمي بالتكفير والارهاق لاجله ، والارجاف به ، في عصر من العصور مثل القرن الثامن للهجرة. ومن سبر تاريخ الحافظ ابن حجر المسمى (بالدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) أخذه من ذلك المقيم المقعد، اذ يرى ان العالم الجليل الذي هو زينة عصره ، وتاج دهره ، كان لا يأمن على نفسه من الافك عليه ، والسعاية به ، فيما يكفرُه ويحل دمه ، حتى صار يخشى على نفسه من أخذت منه السن ، واقعده الهرم ، وأفلجته الشيخوخة ، ولا من راحم أومنصف ـ كما نقرأ ذلك في ترجمة علاء الدين العطار تلميذ الامام النووي ، وانه مع زمانته ، وكونه صار حلس بيته ، يتأبط دائما وثيقة أحد القضاة بصحة ايمانه وبراءته من كل ما يكفره ، ولقد اريقت دماء محرمة ، وعذبت أبرياء بالسجون والنفي والاهانات باسم الدين ، وروعت شيوخ وشبان أعواما وسنين ، حتى عج لسان حالها وقالها بالدعاء الى فاطر الارض والسموات ، بكشف هذه الغمم والظلمات، ولم يزل سبحانه يملي لها ويستدرجها في غيها ، ولم تحسب للايام ماخبئ لها في طيها، الى أن امتلأ اناؤها ، وحان حصدها وافناؤها ، فأخذها الله

وهي ظالمة جائرة ، ودارت على دولتها الدائرة ، ومحق الله بفضله تلك الدولة المجنونة الجاهلة ، وأورثها للدولة الصالحة العاقلة ، فأمنت الناس على انفسها ودمائها ، وذهبت عصبة الجمود بزبدها وغثائها ،

سيقول بعض الناس ممن تغره القشور، ولم تقف مداركه على لباب روح العصور : ان تلك الدماء المراقة، والارواح المهدرة، لم يحكم عليها الا بالبينة والشهود ، التي بمثلها تقام الحدود ، وهل بعد ذلك من ملام أو جحود ؟ يقول ويجهل أو يتجاهل ان التعصب يحمل على الاخذ بالظنة، أو الايقاع بالشبهة، وان المتطوعة بالشهادة قد يحملهم على اختلاقها ظن الاجر بنصرة الدين، بقتل هؤلاء المساكين، لاسيما اذا دفعوا بتشويق المتصوحين والمتمفقرين [١] ، والحشوية البكائين، احتيالا وقنصا للمغفلين ، ولقد استفيض عن كثير من هؤلاء الضالين المضلين، الاغراء بقتل الداعين الى الكتاب والسنة والمجاهدين في الاصلاح العاملين ، على ان قاعدة المحققين هي عدم البت في أمر تاريخي الا بعد تعرفه من اطرافه، ومراجعة عدة اسفار للوقوف على كنهه وحقيقته ، والاشراف على غثه وسمينه ، ووزنه بميزان العقول السليمة ، والقواعد الاجتماعية المعقولة - كما أشار اليه الامام ابن خلدون في مقدمته

نحن لم نصم أعمال أولئك بالظلم والجور والبغي الا لما فضح نبذاً منها الامام زين الدين ابن الوردي الشهير صاحب البهجة ، واللامية ، والديوان، والمقامات ، فقد شفى بالحقيقة الأوام ، وأوضح عن مكر أولئك بالتمويه والايهام، في مقالة بديعة أنشأها في القاضي الرباحي المالكي [٢] سماها (الحرقة

---

(١) المتمفقر كالمتمسكن مدعي الفقر اي التصوف وليس من أهله (٢) راجعها في ص ١٩٠ من المجموعة الادبية التي طبعت في مطبعة الجوائب عام ١٣٠٠ ، مشتملة على لامية العرب وشرحها وشرح المقصورة الدريدية، وديوان ابن الوردي، وديوان الخشاب ورسائله

للخرقة) ولا بأس بنقل جمل منها تأييداً لما قلناه ، قال رضي الله عنه :

« أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على المكاره سواه ، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي خاف مقام ربه وعصم من اتباع هواه ، وعلى آله وصحبه الذين بذل كل منهم في صون الامة قواه ، وسلمت صدورهم من فساد النيات وانما لكل امرئ مانواه ، فان نصيحة أولي الامر تلزم ، والتنبيه على مصالح العباد قبل حلول الفساد أحزم ، والمتكلم لله تعالى مأجور ، والظالم ممقوت مهجور ، وتحسين الكلام لدفع الضرر عن الاسلام عبادة ، والنثر والنظم للذب عن أهل الاسلام من باب الحسنى وزيادة ، وجرحة الحاكم الاعراض بالاغراض صعبة ، اذ نص الحديث النبوي ان حرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة ، ومخرق خرقته مذموم ، ولحم العلماء مسموم ، « وهذه رسالة » أخلصت فيها النية ، وقصدت بها النصيحة للرعاة والرعية ، أودعتها من جوهر فكري كل ثمين ، وناديت بها على هزيل ظلم أبناء جنسي مناداة اللحم السمين ، لكن جنبتها فحش القول اذ لست من أهله ، وخلدتها في ديوان الدهر شاهدة على المسيء بفعله ، ورجوت بها الثواب ، نصرة للمظلوم ، وغيرة على حملة العلوم ، وسميتها : (الحرقة للخرقة) فقلت : اعلموا ياولاة الامر ، وياذوي الكرم الغمر ، أبقاكم الله بمصر[1] للأمة ، ووفقكم لدفع الاصر وبراءة الذمة ، ان حلب قد نزعت للزبدة ، ووقعت من ولاية التاجر الرباحي في ضر وشدة ، قاض سلب الهجوع ، وسكب الدموع ، واخاف السرب ، وكدر الشرب ، بجراءته التي طمت وطمت ، وعاميته التي عمت وغمت ، وفتنته التي بلغت الفراقد ، وأسهرت ألف

(١) كانت مصر في عهد المؤلف وهو القرن الثامن عاصمة دولة المماليك

راقد ، ووقاحته التي أدهشت الالباب ، وأخافت النطف في الاصلاب ، فكم لطخ من زاهد ، وكم أسقط من شاهد ، وكم رعب بريا ، وكم قرب جريا ، وكم سعى في تكفير سليم ، وكم عاقب بعذاب أليم ، وكم قلب ذائب ، بنائبة توسط بها عند النائب ، فامتنعت الامراء عن الشفاعة ، وظنوا هم والنائب ان هذا امتثال لأمر الشرع وطاعة ،

ياحامل النائب في حكمه ان يقتل النفس التي حرمت
غششته والله في دينه بشراك بالنار التي أضرمت

(الى ان قال الزين ابن الوردي) ثم انه فسق مفتيا في الدين ، وفضح خطيبا على رؤوس المسلمين ، (ثم قال) يحب اثبات الردة والكفر ، لحب الدنانير الصفر ،

حاكم يصدر منه خلف كل الناس حفر
يتمنى كفر شخص والرضا بالكفر كفر

(ثم قال) اذا وقع عنده عالم فقد وقع بين مخالب الاسود ، وأنياب الافاعي السود :

ادركوا العلم وصونوا أهله من جهول حاد عن تجبيله
انما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله

(ثم قال) ماأقدره على السفير ، وما أسهل عليه التفسيق والتكفير ، كم دعي الى بابلة فما ارتاح الى الباب ، ونراه حيران لعدم الرقة فاذا قيل له فلان قد كفر طاب ، يحبس على الردة بمجرد الدعوى ، ويقوي شوكته على أهل التقوى ، قد ذلل الفقهاء والاخيار ، وجرأ عليهم السفهاء والاغيار ،

يحبس في الردة من شاء بغير شاهد

لا كان من قاض حكى الـ   فقاع جدّ بادر

أراح الله من تعرضه، وصان عراض الاعراض عن تعرضه، يقصد بذلك أهل الدين، والقراء المجودين،

جرحت الابرياء فأنت قاض   على الاعراض بالاغراض ضاري
ألم تعلم بأن الله عدل   «ويعلم ماجرحتم بالنهار»

هذا بعض ماجاء في رسالة الامام ابن الوردي التي هي أشبه بمقامة بديعية، وكلها حقائق صادقة ناطقة بما كان عليه تعصب قضاة ذاك الوقت ولا سيما المالكية منهم. ولقد كان قضاة المذاهب يحيلون الامر في التعزير والتأديب الى القاضي المالكي لما اشتهر في الفقه المالكي من مضاعفة النكال، وشدة التأديب في باب التعزير، اذ بسط للقاضي يده فيه بسطا لم يوجد في مذهب غيره، فلذا كان محبو الانتقام والتشفي، يعمدون الى احالة القضية الى القاضي المالكي لما يعلمون ماوراء قضائه - مما فصل بعضه الامام ابن الوردي كما قرأت - على ان الامر في التعصب لم يقف عند القاضي المالكي وحده، لنتعصب ضده، وانما كان هو الاقوى تعصبا، والاشد تصلبا، والا فان مظهر ذاك العصر كان التعصب لجميعهم، فقد حكى الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى في مقدمة طبقاته الكبرى المسماة بلواقح الانوار ما مثاله: «وقد أخبرني شيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة موهمة للتكفير، فأفتى علماء مصر بتكفيره، فلما أرادوا قتله قال السلطان جقمق: هل بقي أحد من العلماء لم يحضر، فقالوا نعم الشيخ جلال الدين المحلي شارح المنهاج، فأرسل وراءه فحضر، فوجد الرجل في الحديد بين يدي السلطان، فقال

الشيخ : مالهذا ، قالوا : كفر ، فقال : ما مستند من أفتى بتكفيره ، فبادر الشيخ صالح البلقيني من مشاهير الشافعية — وقال قد أفتى والدي شيخ الاسلام الشيخ سراج الدين في مثل ذلك بالتكفير ، فقال الشيخ جلال الدين رضي الله عنه : ياولدي أتريد أن تقتل رجلا مسلما موحداً يحب الله ورسوله بفتوى أبيك ؟ حلوا عنه الحديد ، فجردوه وأخذه الشيخ جلال الدين بيده وخرج والسلطان ينظر ، فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله تعالى عنه

وقد عد الشعراني من الاعلام الذين أكفرهم الجامدون المتعصبون ما يقرب من الثلاثين (فمنهم) القاضي عياض اتهموه بأنه يهودي لملازمته بيته للتأليف نهار السبت وذكر ان المهدي قتله (ومنهم) الامام الغزالي كفره قضاة المغرب ، وأحرقوا كتبه ، (ومنهم) التاج السبكي رموه بالكفر مراراً وسجن أربعة أشهر [1] ، وكل هذا انما كان بزعم المتعصبين بشهادات وأقضية وفتاوي ، ولكن سرعان ما فضحهم التاريخ ، وكشف عوارهم كما حكاه الشعراني وغيره ، والحمد لله الذي جعل الباطل زهوقا

وهكذا يمر بتواريخ تلك القرون ما لا يحصى من حوادث من أقيمت عليهم الفتن ، واتهموا بما اتهموا به ، مع ان الحدود تدرأ بالشبهات ، ونعني بالحدود مانص عليه في الكتاب العزيز والسنة الغراء ، فاذا كانت في تلك المكانة وقد شرع فيها محاولة درءها بالشبهات ، فكيف بحدود لا سند لها الا بالاجتهاد ، وليس لها أصل قاطع ، ولا نص محكم ، فلا ريب انها أولى بالدرء ، وأجدر بالدفع ، ولا يدري المرء ما الذي حملهم على نسيان هذه الموعظة حتى عكسوا القضية ، وأصبحوا يكبرون الصغير ،

(١) ذكر السبكي محنته هذه في آخر منظومة له في الفقه ، عندي الكراسة الاخيرة منها

ويعظمون الحقير ، ويهولون الامور ، ويدعون بالويل والثبور ، مما لا يقومون بعشره للمنكرات المجمع عليها ، وللكبائر التي يجاهر بها ، فلا حول ولا قوة الا بالله

ولما تشددت القضاة المالكية في هذا الباب ، اصبحوا هدفا لأُولي الالباب ، حتى قال الامام ابن الوردي في ذاك القاضي المتقدم الرباحي : ان المالكية بدمشق كتبوا اليه يامغلوب ، لقد بغضت مذهب مالك الى القلوب ، وقطعت المذاهب الاربعة عليه بالخطا ، وزالت بهجته عندالناس وانكشف الغطا ، الخ . والسبب في ذلك ما ابتدعه الملك الظاهر برقوق من توظيف قضاة أربعة على المذاهب الاربعة مما لم يعهد قبله في دولة من الدول ، حتى نشأ من ذلك مانقمه عليه الأعلام ، وعدوه من التفرقة في الاسلام ، قال التاج السبكي في طبقاته [1] في ترجمة قاضي القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي المتوفى سنة ٥٦٦ مامثاله : وفي أيامه جدد الملك الظاهر القضاة الثلاثة في القاهرة ، ثم تبعتها دمشق وكان الامر متمحضا للشافعية فلا يعرف ان غيرهم حكم في الديار المصرية منذ وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي في سنة ٢٨٤ الى زمان الظاهر إلا أن يكون نائب يستنيبه بعض قضاة الشافعية في جزئية خاصة ، وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المشار اليه الا شافعي غير التلاشاعوني التركي ، الذي وليها يويمات وأراد أن يجدد في جامع بني أمية اماما حنفيا ، فأغلق أهل دمشق الجامع وعزل القاضي [2] (قال السبكي) واستمر

(١) جزء (٥) صفحة (١٣٤) (٢) تأمل هذا التعصب واسترجع وحوقل أين غاب عنهم فضل سائر الأئمة المتبوعين الأربعة وغيرهم وكيف نسوا ان الناس عيال عليهم تستمد من بركة فقههم واستنباطهم وتأصيلهم وتفريعهم ؟ ما أجمد قوما =

جامع بني أمية في يد الشافعية — كما كان في زمن الشافعي رضي الله عنه (قال) ولم يكن يلي قضاء الشام والخطابة والامامة بجامع بني أمية الا من يكون على مذهب الاوزاعي الى ان انتشر مذهب الشافعي ، فصار لا يلي ذلك الا الشافعية (ثم قال السبكي) وقد حكي ان الملك الظاهر رؤي في النوم فقيل : مافعل الله بك ، قال عذبني عذابا شديداً بجعل القضاة أربعة ، وقال فرقت كلمة المسلمين » اه ولا يخفى على ذي بصيرة ماحصل من تفرق الكلمة ، وتعدد الامراء ، واضطراب الآراء ، وقد قال أبو شامة لما حكى ضم القضاة ، انه مايعتقد ان هذا وقع قط : قال السبكي : وصدق فلم يقع هذا في وقت من الاوقات ، (قال) وبه حصلت تعصبات المذاهب ، والفتن بين الفقهاء : فانه يؤيد ماقدمناه من اتخاذ هذه آلة للفتن والتشفي من المخالفين ، حتى أدال الله من تلك الدولة للسلطان سليم خان ، فنسخ كل ذلك ، وقصر الامر على قاض حنفي واحد ، ولا ريب ان هذا كان من النعم الكبيرة ، اذ قمعت به فتن خطيرة ، وحسمت به شرور وفيرة ، ثم لم يزل في الامر حاجة الى الكمال ، وهو سعي أولي الحل والعقد بعقد مؤتمر علميّ من كبار فقهاء المذاهب المعروفة ، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الائمة الاربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر ، ومشي مع المصالح والمنافع ، ودفع المضار في أبواب المعاملات ، فبذلك تظهر محاسن الدين في الاقضية والاحكام ، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان الى قيام الساعة وساعة القيام ، وان اليوم الذي تحقق فيه هذه الامنية لهو أسعد الايام ، والمستعان بالله ذي الجلال والاكرام اه

= يزعمون انهم تعبدوا بمذهب واحد أو اتباع امام واحد ، أوما علموا ان كلهم من رسول الله ملتمس ، وان الله تعالى انما تعبد الناس بتنزيله الكريم ، وهدي نبيه المعصوم

نظرة في الجزء الثاني (*)

﴿ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

٢

(الخطأ في النقل)

قد اخطأ المؤلف في نقل عبارات المؤلفين اما بتصرفه فيها تصرفا افسد معناها واما بتحريف الكلم واما بنقلها عن نسخة محرفة من غير تمحيص لها . فمن ذلك

(١) قوله في ترجمة سلم الخاسر « هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو احد موالي ابي بكر الصديق »

فسالم الخاسر هو (سلم) بفتح السين وسكون اللام . فمن اين جاء للمؤلف ان يقال في اسمه سالم ايضا وليس سلم مجهولا حتى يشتبه في اسمه

منشأ هذا التحريف الذي وقع فيه المؤلف ان نسخة تاريخ ابن خلكان المطبوعة كتب فيها سلم بالف توهما من الناسخ الاصلي أن الالف محذوفة كما تحذف في (القسم والحرث) فاثبتها وطبعت النسخة على هذه الصورة خطأ وفي نسخة ابن خلكان هذه ذكر اسم (سلم) منظوما في الشعر في قول ابي العتاهية له

تعالى الله ياسلم بن عمرو اذل الحرص اعناق الرجال

ونحن لا نشك ان المؤلف قرأ ترجمة (سلم) في الاغاني وفيها وقع اسمه منظوما في غير موضع فمن ذلك قول ابي العتاهية فيه

انما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وله فيه وقد حبس ابراهيم الموصلي

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلي فالعيش مر

وقول ابي محمد اليزيدي فيه

(*) بقلم الاستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري

عق سلم امه صغرا وابا سلم على كبره

ومن هجاء ابي الشمقمق فيه

(يا أم سلم هداك الله زورينا)

وقول مروان ابن ابي حفصة فيه

اسلم بن عمرو وقد تعاطيت غاية تقصر عنها بعد طول عنائكا

وقول أشجع السلمي يرثيه

يا سلم ان أصبحت في حفرة موسدا تربا وأحجارا

فرب بيت حسن قلته خلفته في الناس سيارا

فهو عند هؤلاء الشعراء المعاصرين له اسمه (سلم) فحسب . ويجوز عند مؤلفنا ناسخ ابن خلكان أن يسمى (سالما) أيضا فليختر القارئ لنفسه مايحلو

(٢) ومن خطئه في النقل قسمة اسم رجل واحد على مسميين

فذكر في ترجمة الصولي (ص ١٧٥) أن له كتابا اسمه الاوراق وهو في دار الكتب الخديوية، وذكر ممن ترجم له هذا الكتاب احمد بن يوسف بن صبيح فقال « واحمد بن يوسف وزير المأمون وآله . وابن صبيح كاتب دولة بني العباس وتوقيعات احمد المذكور وكلامه فضلا عن اشعاره »

والحقيقة ان الثاني هو عين الاول ومن يراجع الكتاب يعرف ذلك .

وهو احمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح . ويتبين هذا ايضاً من خلال كلام مؤلفنا اذ ذكر احمد ثم ابن صبيح ثم قفى بذكر توقيعات احمد ورسائله وشعره . فلو كان ابن صبيح غير احمد فما الداعي لفصل توقيعات احمد عن ترجمته

ولو فرضنا ان المؤلف يريد بابن صبيح جده القاسم فذلك لم يكن كاتب دولة بني العباس بل كان يكتب لبني امية وللمنصور في بدء خلافته ولم تطل ايامه ، وليس هناك في الكتابة وانما ذكره الصولي مع من ذكره من آل احمد بن يوسف

(٣) ومن خطئه في النقل بتصرفه في عبارة المؤلفين قوله في ترجمة ابن الرومي صفحة (١٥٨)

« اشتهر بالتوليد في الشعر لانه اتي بكثير من المعاني لم يسبق اليها :ومن مميزاته انه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلا »

ومن عبارة المؤلفين في ذلك ماقاله صاحب معاهد التنصيص

« هو ابو الحسن ...... صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على

المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في احسن قالب وكان اذ اخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لايدع فيه فضلة ولا بقية »

وقال ابن خلكان

« صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه الى آخره ولا يبقي فيه بقية »

فترى ان عبارة ابن خلكان اجود في تصوير الشاعر وعنه نقل صاحب معاهد التنصيص مع تغيير قليل

فرأى مؤلفنا ان ينقل عنهما بتغيير آخر ولكن تغييره شذ عن مرادهما فهما يقصدان بقولهما « صاحب التوليد الغريب » انه اذا استنبط معنى من قرآن او حديث او حكمة او مثل او من كلام شاعر آخر أو اخترعه اختراعا لايزال يولد منه معاني متشاكلة بالزيادة عليه او النقص منه او بالقياس عليه فيستعمله في مدح ويقلبه في هجو ويزينه في وصف حتى لايدع لغيره وجها ايا كان يستعمله فيه بعد . وقد فسر المؤلفان غرضهما في عبارتهما بقولهما (يغوص على المعاني الخ)

ففهم مؤلفنا من (التوليد) انه (يأتي بمعان لم يسبق اليها) مع ان ابن الرومي كثيرا مايغير على قول غيره . وفهم من قولهما (وكان اذا اخذ المعنى الخ) انه يوضح المعنى ويمثله تمثيلا . وما كان عليه لو نقل عبارة المؤلفين كما فعل في أكثر مواضع الكتاب

(٤) ومن تقصير المؤلف في توضيح ماينقله مانقله عن السيوطي ناقلا عن كتاب العين ومختصر الزبيدي احصاء المستعمل من الالفاظ العربية والمهمل منها فاستخرج المؤلف من كلام الزبيدي جدولا استنتج منه ان عدد المستعمل من ألفاظ اللغة العربية ٦٢٠٠ لفظا، مع ان كتاب القاموس وحده (وهو ليس الا قطرة من بحر اللغة العربية) يشتمل على ستين الف مادة متوسط مافي كل منها من المزيد والمشترك عشرون كلمة على الاقل أي نحو مائتي الف والف الف كلمة فكيف ولسان العرب به ثمانون الف مادة متوسط مافي كل منها ثلاثون كلمة على الاقل

والمؤلف نقل عبارة الزبيدي عن المزهر للسيوطي وهي فيه مختلة أيضاً اسقط منها النساخ كلمة (الف) المكررة في عدد المهمل والمستعمل فصار فيها الف الالف (أي المليون) الفا فقط، ويعرف هذا بمراجعة مقدمة شارح القاموس فانه نقل عبارة الزبيدي أيضاً وفيها مكان الالف في بيان المهمل والمستعمل (الف الف) وان وجد

بها بعض تحريف أيضاً فكان جديراً بالمؤلف أن يزن العبارة بميزان عقله ويعدلها اذا شاء كما عدل الارقام التي ذكرها المزهر لتصح له عملية الجمع

(٥) ومن تحريف المؤلف بنقل عبارة المؤلفين ناقصة مانقله في ترجمة المتنبي في قوله « حتى صار يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق، فلما رأى كافور منه سموّه بنفسه وتعاليه بشعره خافه وقال « ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعي الملك مع كافور فحسبكم » فاغضبه فخرج ابو الطيب من مصر »

والمتأمل في هذه العبارة يجدان قول كافور « ياقوم الخ » مقتضب مما قبله بل هو تتمة لكلام محذوف ، وهو الواقع فان كافورا كان وعده بولاية بعض اعماله وطمع المتنبي في ذلك واستنجزه وعده في شعره مرارا وهو يماطله ، فعاتبه بعض كبار الدولة في مطله عن ابلاغه امنيته على كثرة مدحه له وهجرته اليه مغاضبا لسيف الدولة فقال كافور « ياقوم الخ »

(عدم تحري الحقيقة والصواب)

اعتاد المؤلف أن ينقل الى كتبه ما يعتقده بذاته أو ما يكون ذائعاً على ألسنة عامة القراء والورّاقين ، أو يقرؤه في الكتب التي تلقي الاخبار على عواهنها ، من غير تمحيص لحقيقتها ، حرصاً على افادة القراء واتحافهم بالغرائب ، وهو اجتهاد يشكر عليه لولا ما يشوّه بهذه الاخبار محاسن كتبه من حيث لايقصد . وربما يلتمس له في ذلك عذر وهو تسرعه في تأليف الكتب تعجيلا لفائدتها ، وان التحري والبحث والتحقيق والتدقيق كلها تستدعي أزماناً طويلة ومراجعة الكثير من الكتب، ومساءلة لجمهور الادباء ، وهو مايضيق دونه وقته الثمين، وعامة القراء يرضيهم ما دون ذلك والمستفيد يتوخى أربح الطريقين (ولكل وجهة هو موليها)

ولكن الرأي الذي نراه انه ينبغي لكل من تعرض لتدوين التاريخ في السياسة أو الادب ألا يكتفي برواية كتاب واحد أوكتابين وبما يذيع على ألسنة الناس ، بل يجب عليه تحقيق الخبر وتمحيصه والاخذ بالرواية القريبة من العقل ، واللائقة بمنزلة من روي عنهم

ويوجد في هذا الكتاب كثير من الاخبار التي اغتر المؤلف بنقلها من الكتب ولم يمحصها ، فمن بعض ذلك :

(١) نقله عبارة ابن خلكان التي نقلها مثل المؤلف كثير من الناقلين من أن الأمين جمع بين سيبويه والكسائي في مجلسة للمناظرة وان الكسائي زعم أن العرب تقول « كنت أظن الزنبور اشد لسعاً من النحلة فاذا هو اياها » وان سيبويه قال ان المثل « فاذا هو هي » وان الامين تعصب لاستاذه الكسائي وأوعز سرا الى أعرابي حكموه في المسألة أن يصوب الكسائي ويخطئ سيبويه .

مع ان المسألة مشهورة في كتب الأدب والتاريخ والنحو من أن المناظرة جرت في مجلس يحيي بن خالد البرمكي وان الكسائي كان يجيز الوجهين (أي فاذا هو هي - و - فاذا هو اياها) وان اعرابا عدة معروفين بعينهم واسمائهم شهدوا بجواز الامرين وان الغلبة كانت على سيبويه في هذا المقام وليس في العلم كبير . وهذا ما يليق بمقام الكسائي والامين وثقات رواة الأعراب . والقصة مبسوطة بالتفصيل في معجم الادباء لياقوت ص ١٩١ ج ٥ في ترجمة الكسائي وفي ص ٨١ ج ٦ ولم يكمل طبعه ولكن ما طبع اطلعت عليه وفيه ترجمة سيبويه وفي ص ٣٦٦ من (بغية الوعاة في طبقات النحاة) وفي مبحث (اذا) من الجزء الاول من مغني اللبيب لابن هشام وفي غيرها من الكتب غير المطبوعة وفي اكثرها إعراب الوجه الثاني من الوجهين اللذين يجوزهما الكسائي ، وان البصريين أنفسهم لا ينكرون صحة شهادة الاعراب الثقات وانما يطعنون فيهم بانهم من أعراب الحطمة أي انهم ليسوا فصحاء . ولولا طول هذه القصة لأوردتها من كثير من الكتب التي تخالف ابن خلكان في النقل وربما اطلع عليها المؤلف ولكنه آثر روايته إما لغرابتها أو لغرض آخر

(٢) ومن الامور التي لم يتحر فيها المؤلف الحقيقة والصواب قوله في ص ١٤٦ في تعداد كتب الواقدي

« ٢ كتاب فتوح الشام : هو اشبه بالقصص منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح ، وقد طبع مرارا - الى ان قال - وطبع ايضا في مصر سنة ١٨٨٢ » وغيرها .

ثم بعد ان ذكر عدة كتب له قال :

« ٧ عدة كتب في الفتوح تنسب اليه كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ولكن المؤرخين نقلوا عنه . واكثر كتبه محشوة بالمبالغات لا يعول عليها وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة »

اقول اني لم اطلع على مجلة المشرق ولا على انتقادها ولكن الامر لا يجهله من له ادنى إلمام بتمييز كتابات العصور المختلفة او بالتاريخ ان كتب المغازى التي تطبع في مصر من مثل فتوح الشام ومصر والبهنسا وفتح خيبر وفتح مكة ورأس الغول ونحوها هي من الكتب الموضوعة الخيالية المشتملة على بعض حقائق تاريخية والاقرب انها وضعت هي وقصة عنترة وذات الهمة وغيرها زمن الحروب الصليبية لتغرس في الناس فضيلة الشجاعة والاقتداء بالسلف الصالح لا انها هي تمس كتب الواقدي الحقيقية وان الذين سموها بهذه الاسماء هم جماعة الوراقين والنساخين لترويج سلعهم عند القراء كما نسب مؤلف قصة عنترة روايتها الى الاصمعي وزعم انه عمر وادرك الجاهلية وقابل شيبوبا اخا عنترة . واني لأخجل ان ارى مثل مؤلفنا قد انخدع بهذا الباطل وطوح به الامر ان قال في كتب الواقدي ابي التاريخ انها محشوة بالمبالغات لا يعول عليها. وليت شعري على من نعول في تاريخ الفتوح اذا لم نعول عليه . وهذا ابن سعد كاتب الواقدي وتلميذه نقل عنه اكثر اخبار الفتوح في كتابه الكبير (طبقات ابن سعد) البالغ بضعة عشر مجلداً وهو أصح كتاب في طبقات الصحابة . على ان المؤلف لو راجع عبارة بعض هذه الكتب المنحولة للواقدي وبعض الكتب الاخرى الصحيحة النسبة اليه كفتح افريقية وفتح العجم لميز بين الصحيح والموضوع . ولكن قاتل الله العجلة وخاصة العجلة في التأليف .

(٣) ومن الامور التي لم يتحر فيها المؤلف الحقيقة نقله ما يقول بعض خصوم الجاحظ من الصفاتية واهل السنة من انه كان يقول: ان القرآن المنزل من قبيل الاجساد وانه يمكن ان يصير مرة رجلا ومرة حيوانا الخ الخ والجاحظ اعقل من ان تنسب اليه هذه المقالة وهو هو من علمت، ومذهب المعتزلة مبسوط معروف في كتب الكلام ولم يسمع عنهم هذا القول، والجاحظ لسانهم وحجتهم والمؤيد لمذهبهم وانما اخذ اعداؤه هذا من قوله في القرآن: انه مخلوق، اي كما تخلق بقية الموجودات من انسان وحيوان وترجمة الحافظ ذكرت في كثير من الكتب واخصها ترجمة ياقوت في معجم الادباء وهي نحو ٢٥ صفحة ولا توجد فيها هذه الفرية ولا اعرف المؤلف نقلها عن غير الشهرستاني او عمن نقل عنه.

(التناقض)

ناقض المؤلف نفسه في كثير من مواضع كتابه فمن ذلك : (١) قوله في صفحة

(١٥٩) « ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبي فيطلب صحة المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة »

قرأنا هذه العبارة فتعجبنا من تناقضها ولمحنا في أثنائها رقما يشير به الى الذيل من أنه أخذ هذه العبارة من العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٨٢ فراجعنا العمدة فاذا فيها « ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي الخ » ولم يذكر العبارة التي زادها مؤلفنا من عنده فاوقع نفسه في التناقض كما أوقع قارئ كتابه في حيرة.

(٢) ومن تناقض كلام المؤلف قوله في صفحة ١٢٣ في تعرضه لكتاب العين « ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه وفي صحة ماجاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال (وقع في البصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا ، وكان قد سمع بهذا الكتاب انه في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق »

فانت ترى من هذه العبارة ان الكتاب اشتهر في عصر الخليل حيث لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصره الا استفاد منه على زعم المؤلف ، ولكن لا تكاد تفرغ من قراءة هذه الجملة حتى تقع في ان الثقات الباحثين مختلفون في نسبته للخليل وفي صحة ما فيه. فليت شعري من هم هؤلاء الثقات الباحثون؟ أهم جميع النابغين من النحويين واللغوين والادباء الذين استفادوا جميعهم منه؟ ام هم غير هؤلاء النابغين؟

وبعد فمتى استفاد هؤلاء النابغون؟ والكتاب بشهادة ابن النديم بل بشهادة كل من كتب في تاريخ كتاب العين لم يظهر الا بعد موت الخليل بنحو سبعين سنة وذلك ماجعل العلماء يشكون فيه وانه لو كان للخليل لذاع أمره وعرفه تلاميذه ونقلوا عنه مع أن تلاميذ الخليل مثل الاصمعي وابي عبيدة وابي زيد وتلاميذهم - كل أولئك لا يعرفون عن كتاب العين شيئا ، ولكن مؤلفنا وحده يعلم انه لم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وبعده الا استفاد منه ولله في خلقه شؤون .

(٣) ومن تناقض المؤلف قوله في صفحة ٢٠١ « نشأ علم الجغرافية في هذا العصر (اي العصر الثاني العباسي) بعد نقل علوم القدماء الى العربية وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان. على أن المسلمين بدءوا بوضع

الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الى وضعها الخ الخ ». فان تمحلنا عذرا للمؤلف في هذا التناقض وقلنا انه استعمل شبه الاستخدام البديعي في كلامه فيكون قد ذكر الجغرافية أولا بمعنى الجغرافية الرياضية واعادها ، ثانيا الجغرافية التخطيطية التي كانت تسمى علم المسالك والممالك فلا يصح رفع التناقض من كلام المؤلف أيضاً لان العرب اشتغلوا بالجغرافية اليونانية قبل العصر الثاني ، والمأمون وعلماؤه ممن صحح اغلاط بطليموس وغيره في محيط الارض وقطرها ومقياس الدرجة الارضية .

(٤) ومن تناقض المؤلف وتحيره قوله في ابي العتاهية « وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتازمنها بالزهد ويؤخذ من سيرة حياته أنه كان مترددا متقلبا ويغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم أهل خيال وأوهام وخصوصا الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . على ان تمنع أبي العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سببا حمله على ذلك » ! !

ما قولك أيها القارئ في هذه العلل التي لو صدقت (لا قدر الله) على كل شاعر يتكسب بالشعر كأبي العتاهية لتبرمت الدنيا بكثرة المحرورين والموسوسين المتخبطين . على أن الله أرحم من أن يصدق زعم المؤلف في الشعراء من عباده فلم تر بعد أبي العتاهية من يشبهه في سودائه والحمد لله .

(الاختصار فيما ينبغي الاطناب فيه)

« والاطناب فيما ينبغي الاختصار أو فيما هو اجنبي من موضوع الكتاب »

من اعجب امور المؤلف انه يعلم ويعلم ان الناس تعلم انه يؤلف كتابه في آداب اللغة العربية لا آداب اللغة اليونانية القديمة ولا الفارسية ولا الهندية ولا السريانية ولا اللغات الاوربية الحاضرة، ثم نراه اذا خاض في ذكر مبحث من مباحث الآداب العربية او عدد نبغاءاً او ذكر ترجمة نابغ شاعر أو كاتب او مصنف اقتصر على ذكر نتف قليلة من المبحث او اقتصر على العدد القليل من مشهوري النبغاء واختصر تراجمهم مكتفيا بذكر ما لا يلزم الناقد الاديب وبذكر الكتب التي يراجعها من شاء التوسع وقد لا تزيد عن كتابين معروفين لا كثر الناس لا حاجة للدلالة عليهما على

حين انه يطول في كثير من المواضع حتى ليكرر كثيرا من المباحث في غير مكانه لمجرد ولعه واعجابه بل يخرجه ولعه بالشيء ان يدخل في كتابه مباحث مطولة جدا ليست من موضوع آداب اللغة العربية وتراجم اناس ليسوا من العرب ، ولا خالطوا العرب — فمن النوع الاول :

(١) اختصاره في تراجم مشهوري الشعراء واقتصاره منها على ذكر نتف جافة قلما يتعرض فيها لنقد او موازنة او تقرير حكم معتذرا عن ذلك بانه ليس من الادباء المتفرغين للدرس والنقد . قال في صفحة ٥٨ عند ذكر سبعة من شعراء العصر الاول :

« واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز والا فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته الى مجلد قائم بنفسه فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء » .

ونحن نسلم معه انه ليس من المتفرغين للدرس والنقد من الادباء ولكن لا نسلم ان من لم يتفرغ للدرس والنقد من الادباء يوثق بقبوله أو يعتد برأيه في هذا الباب أو يظن انه باختصاره آثر الاهم على المهم . وأيّ مقام يفرض عليه الايجاز الخالي من الحكم الادبي والكتاب ليس مذكرة مدرسية تنطبق على برنامج مدرس مختصر وانما يقصد المؤلف به أن يكون مرجعا لجمهور المتأدبين من القراء الشداة لا التلاميذ الاحداث، بدليل ان (حضرته) وعد في كتابه هذا ان يختصر منه ملخصاً لتلاميذ المدارس. على ان الذي يستطيع ان يؤلف مجلدا في ترجمة شاعر لا يعجزه أن يلخص هذا المجلد في صفحة أو اثنتين بحيث يشير في كلامه الى نتيجة البحث والنقد .

(٢) ومن اختصاره أو اقتصاره أو تقصيره انه لم يترجم لاحد من كتاب الرسائل في العصر الاول ولا الثاني (اي في مدة مائتي سنة) وهما عصرا البلاغة والجزالة الا لاثنين ، أحدهما عمرو بن مسعدة والآخر القائد طاهر بن الحسين فاتح بغداد وقاتل الامين ووالي خراسان، وقد علمت انه ليس من كتاب الرسائل ولا عمل في ديوان. مع ان كتاب الرسائل في هذين العصرين لا يقل النابغ منهم عن عشرين تولى اكثرهم الوزارة او ديوان الرسائل والتوقيع والخاتم كعمارة بن حمزة وابي عبيدالله ويعقوب بن داود وزيري المهدي وخالد بن برمك وابنيه الفضل وجعفر واحمد بن

يوسف وزير المأمون وابن الزيات وابراهيم الصولي والحسن بن وهب وسليمان بن وهب وسعيد بن حميد وابن مكرم واحمد بن اسرائيل والحسن بن مخلد وبني المدبر وآل ثوابة وآل الفرات وآل الجراح وابن مقلة وغيرهم ممن تزينت كتب الادب ببارع كتبهم ، وطلعت اهلة البلاغة من خلال فصولهم ، وليسوا بالمجهولين فيجهلهم المؤلف ، ولا المدفوعين عن تقدم فيلوي عنهم عنانه .

(٣) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الجرمي من نحاة العصر الثاني مع ترجمته لابن ولاد وابي جعفر النحاس وغيرهما ومكان الجرمي في النحو لا يجهل .

(٤) ومن تقصير المؤلف اهماله ذكر الاوزان والقوافي التي طرأت على الشعر في جميع العصور التي ذكرها كالمواليا والدوبيت وابحر المولدين والشعر المزدوج والمسمط والتعريف بقائليها واكتفى بنبذة يسيرة في الموشحات في العصر الثالث

ومن النوع الثاني اي التطويل في غير موضعه بل ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه أوما ليس من موضوع هذا الجزء الثاني الخاص بالعصر العباسي :ـ

(١) تخصيصه اثنتي عشرة صفحة من كتابه لموضوع اجنبي من موضوع آداب اللغة العربية بالمرة وهو آداب اللغة اليونانية واطوارها وتراجم مستقلة بصور كبيرة لفلاسفة اليونان كسقراط وافلاطون وارسطو وابقراط واقليدس وارشميدس وجالينوس وآداب اللغة الفارسية واطوارها وآداب اللغة السريانية واطوارها وآداب اللغة الهندية . نقل هذه المباحث من دوائر المعارف ووضعها في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي لاقل مناسبة ثم نقلها هنا بلا مناسبة وكان الاولى بالمؤلف ان يحل محلها كتاب الدولة العباسية وهم فحول البلاغة وقادة الكلام

(٢) ومن ذلك اسهاب المؤلف في شرح الادب والانشاء عند الافرنج ص ٢٧٦ مع انه ليس من غرض كتابه

(٣) وذكره لبعض قصص الافرنج الخرافية ووضع صور خرافية لحروب الاسكندر المقدوني مع أمم لهم ست أيد وأمم لهم وجوه بهائم

(٤) ومن التطويل أو من الاخلال بالنظام وضع الكلام في مبحث تأثير القرآن الكريم في اللغة العربية في هذا الجزء وكان من حقه أن يدرج فى الجزء الاول

(٥) ومن التطويل تكرار الكلام في موضعين أو ثلاثة لغير موجب مثل وصف التهتك والخلاعة ذكره في الشعراء ثم اعاده بعينه في الشعراء ص ٥٠

(٦) ومن التطويل في غير موضعه نقل القصة المطولة التي تحكي عن عبد الملك

من انه قال لجلسائه يوما « ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي "ماشاه » وان سويدا ذكر من كل حرف كلمة ثم ثلاث كلمات ، وان هذه القصة وما سيقت لاجله ـ وقد بلغت نحو صفحة ـ كان حقها أن توضع في حالة اللغة في بني أمية لا أن تذكر في علم اللغة في بني العباس

(٧) ومن ذلك ذكره حالة الغناء في الدولة الاموية ضمن مقالة الموسيقى والغناء في الدولة العباسية وكان من حقها أن توضع في الجزء الاول

(الاستدلال بحادثة جزئية على أمر كلي)

اعتاد المؤلف في كتبه أن يستنتج من حادثة جزئية أمراً كلياً وهذه الخصلة من أكثر ما ينعاه عليه النقاد وقد عمل بها في كتابه هذا غير مرة كقوله في صفحة ٧٨ في ترجمة في سلم الخاسر

« وكثيرا ما كان يأخذ أقواله (أي أقوال بشار) فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته   وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فجعله

من راقب الناس مات غما   وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيده ما دام حيا فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضي الخ »

فـكل من تتبع ترجمة سلم الخاسر في مظانها لا يجد من سرقته لشعر بشار غير هذا البيت وهو وحده سبب الغضب

وقوله في صفحة ١٦٧ في ترجمة الحافظ وذكر إصابته بالفالج ولزومه بيته بالبصرة « وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه فلا يمر أديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه »

فليتفضل علينا المؤلف ويذكر لنا أديبين أو ثلاثة من هؤلاء غير ذلك الوالي البرمكي المصروف عن ولايته بالسند الذي جعل ذهبه في أشكال الاهليلج ان جاز له أن يدعي انه كان أديبا عالما

ومن هذا القبيل شيء كثير في الكتاب

(تقليده مستعربي الفرنجة حتى في الخطإ)

للمصنف ولع بنقل ما يكتبه المستعربون عن العرب وآدابهم - ولو خالف الواقع - ومن ذلك نقله فصولا برمتها مشوبة بالخطأ من كتاب نيكلسن الانكليزي وبروكلمان الالماني مثل مقالة الشعر في العصر الاول وغيرها

(اضطراب التبويب والتقسيم)

ان بعض مقرظي هذا الكتاب وصفه بأن أهم ما يمتاز به عن كتب المتقدمين هو حسن تبويبه وتقسيمه ، ولكني لسوء حظي لم أوفق الى سر تبويبه وتقسيمه لهذا الكتاب - اذ أجد ما يصلح ان يذكر في تاريخ الآداب، ومايلزم أن يوضع في كتب آداب الفرنجة، وضع في أدب العرب ، وما ينبغي أن يجعل في عصر ظهور الاسلام جعل في عصر بني العباس، ومن يجب أن يترجم له في عصر معين أو في طائفة بعينها ترجم له في عصر غير عصره أو في طائفة غير طائفته الخ الخ بحيث تضطرب المباحث وتتداخل العصور ويلتبس الامر على القارئ فلا يدري خاصة كل عصر . فمن ذلك :

(١) ذكر القرآن الكريم والعلوم التي تفرعت منه وبيان تأثيره في آداب الجاهلية من الخطابة والشعر والانشاء واللغة وبيان تأثيره من الوجهة الاجتماعية والاخلاقية مع أن محل ذلك مبدأ ظهور الاسلام اذ هو وحده مبدأ هذه التغيرات

(٢) ابتداء المؤلف هذا الجزء بالكلام المسهب في العلوم الدخلية وتراجم رجال اليونان وتأخيره الشعر العربي والعلوم العربية والشرعيـة عن موضعها مع أنها هي المباحث العربية الاولى بالتقديم - لان الكتاب صنف في آدب اللغـة العربية لا الدخيلة . ولو سلمنا ان للمؤلف سرا في تقديم الدخيلة ، فما هو السر في أنه أخرها عن الشعر العربي والعلوم العربية والشرعية في العصر الثاني والثالث ؟

(٣) اسهابه في صفحة ١١٩ و ١٢٠ في حالة العناية بأمر اللغة في زمن بني أمية ، وكان الاليق أن يذكرها في الجزء الاول الخاص بآداب الجاهليـة وعصر الخلفاء الراشدين وبني أمية

(٤) اسهابه في الكلام على الاغاني في عصر بني أمية في هذا الجزء الخاص ببني العباس ومن حقه ان يذكر في الجزء الاول

(٥) ذكره ان احتدام الخلاف بين النحويين الكوفيين والبصريين حصل في العصر الثاني وما بعده من عصور الدولة العباسية . والحقيقة أن الخلاف أشد ما كان بين كوفي وبصري قد كان في العصر الاول . وأما الثاني والثالث وما بعدهما فقد هان فيها الخلاف ووجدت مذاهب ملفقة من المذهبين — فكان الاولى ذكر هذا المبحث المسهب في العصر الاول

(٦) ومن ذلك تأخيره الكلام في نشأة علم الفرائض الى العصر الثالث مع أنه قديم دوّن منذ دون الفقه فكان الواجب ذكره في العصر الاول

(٧) ومن ذلك ذكره عدد كثير من الشعراء والعلماء المصنفين من أهل عصرين العصر الذي يليه أو الذي قبله ويعلم ذلك من وفياتهم فليتنبه لها القارئ . ولولا أني سئمت من كثرة التعداد لأتيت عليهم جميعا . وكثيرا ما يذكر المؤلف علماء فن مع علماء فن آخر وشعراء نوع في شعراء آخر . وان شاء المؤلف ان نفصل له هذا الاجمال ونذكر من هم الذين عاملهم بهذه المعاملة فنحن على كتب من إجابته

(تهافت المؤلف)

للمؤلف تهافت وولع بالشيء لا يؤبه له أو بالامر يناسب مقاما خاصا فيقحمه في كل مقام كما فعل هذا في كتابه هذا وغيره في مواضع شتى فمن أمثلة ذلك : ولعه بمسألة النشوء والارتقاء يقيس بها كل أمر حتى خرج به القياس الى عكس مايراد بها فذكر في هذا الكتاب صفحة ٢٢١ ان اضطراب الخلافة الاسلامية وانحلالها الى إمارات وممالك صغيرة متنافسة متشاكسة من دواعي النشوء والارتقاء في حين يعده المؤرخون من دواعي الانقراض والفناء ، كما هي النتيجة الحقيقية التي أعقبت هذا الانشعاب . فذلك حيث يقول « فلما اضطربت أحوال الخلافة في أيام المتوكل ثم نشأت الدول الجديدة في المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء تفرق العلماء الخ الخ »

ثم ناقض قوله هذا بقوله في العصر الثاني أي الذي كان بعد ان اضطربت الخلافة وحدث الارتقاء — على زعمه — « حدث في العصر العباسي الاول نهضة علمية عقبها في العصر الثاني فتور على أثر البحران السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بأنفسهم عن تنشيط العلم — ثم ذكر أن بعد هذا الفتور حدثت نهضة لم يبين سببها وقال — : والفاعل في هذه النهضة ناموس النشوء الطبيعي الخ » ومن مثل هذه المسألة كثير في الكتاب

(اللحن والاغلاط اللغوية)

لا تكاد تمر بالقارئ صفحة من الكتاب الا مشتملة على خطأ لفظي إما في النحو أو الصرف أو اللغة وكان يجدر بالمؤلف أن يعرض كتبه على ناقد بصير بصناعة الاعراب حافظ لمستعمل اللغة حتى لا يرذل كتبه النفيسة بهذه الاغلاط الشائنة

واذ كانت هذه الاغلاط تعد بالعشرات بل المئات لا نرى من الواجب علينا شحن مجالتنا هذه بشيء منها ولكننا لا نتأخر عن اجابة حضرة المؤلف اذا أراد تصحيح كتابه مرة أخرى بتعدادها له في فرصة من فراغنا ان سنحت

(النتيجة)

ان الكتاب على ما فيه من مواضع النقد لا يخلو من منافع في موضوعه وغير موضوعه ونشكر حضرة المؤلف على اهتمامه بخدمة العلم ونسأله مسامحتنا فيما كتبنا اقتداء به أو مساعدة له على هذه الخدمة لاغير وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية ﴾(*)

— ١ —

مقدمة وتمهيد

من الناس من يكتب ليعجب الناس بما يأتي به من زخرف القول ، ومنهم من يكتب ليرضيهم بما يبديه من حسن الرأي . فهذا يفترص حوادث الزمن ، وذاك يرتقب سوانح النكت ، ليحل كلامهما محل القبول، ويصيب مواقع الاستحسان من القلوب ، ونسأل الله أن لا يجعلنا منهم

ومن الناس من يكتب لاجل النفع ، بازالة باطل أو اظها حق ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فهو يتخول الناس بالموعظة، ويتخونهم بالكشف عن مكامن العبرة . ونرجو الله أن نكون من هؤلاء في الدنيا وأن نحشر معهم في الآخرة

تساءل بعض الناس لم كتبت تلك المقالات الطوال في المؤيد حين أوقدت نار

(*) نشرناها أولا في المؤيد

الحرب في طرابلس الغرب وبرقة . ولم أكتب فيه شيئاً في ابان هذه الحرب ،وهي أدهى وأمر ، وأنكى وأضر ، ولو تذكروا تلك المقالات لعلموا أنها كتبت في شأن هـذه الحرب وكون تلك مقدمة لها ، أي أنها فتح لباب المسألة الشرقية وتصد من أوربة لحل هذه المسألة ، والقضاء المبرم على ما بقي للمسلمين من هذه الدولة . فلو وعاها اخواننا المسلمون ووزنوها بميزانها لفكروا في مستقبلهم ، واجتمع أهل الرأي منهم في كل مكان للبحث عن مصيرهم ، ولم يرضوا أن تبقى مصلحتهم العامة في أيدي بعض سفهاء الاحلام ، الذين لا يملكون هنا الا البذاء في الكلام ، وتضليل العامة بالوساوس والاوهام ، وكان من ضررهم ما كان . فكيف بحال أمثالهم في عاصمة الدولة وقد ملكوا مع هذا كل شيء فدمروا كل شيء

انني وايم الله لأكتب لأجل الافادة والنفع، وما اكتفيت في أيام هذه الحرب بما كتبت في المنار، وأمسكت عن الكتاب في الجرائد اليومية - وأولاها بما أكتب في هذه الحال المؤيد - الا لانني أرى أن هذه مثل البلاد لا تستطيع أن تنفع الدولة الآن الا بالمال . وقد انبرى لجمعه لها أمراؤها فخفت لصوتهم كل صوت ، وقصر عن قولهم كل قول ، وتضاءل دون سعيهم كل سعي، جزاهم الله أفضل الجزاء ، وحسبي من شرف مشاركتهم في ذلك ولو بالاسم انني عضو في جمعية الهلال الاحمر- فلم يبق من طرق نفع الكلام في هذه الحرب الا بيان ما فيها من العبر ، وما أدى اليها من الاسباب ، وما يلزم عن تلك المقدمات من النتائج . وهذا ما كنت أتربص به أن تضع الحرب أوزارها ، لئلا يقال إنما بتسر العبرة فجاءت قبل أوانها . كما قال بعض أصدقائي في مقالة نشرتها في المنار

أما وقد عقدت الهدنة ، وعين المفوضون للبحث في شروط الصلح ، وقد ثبت خيانة وفساد جمعية الاتحاد والترقي للدولة ثبوتاً رسمياً ، وعلم الخاص والعام ، انها هي علة حرب طرابلس وحرب البلقان ، فقد جاء الوقت الذي يرجى أن ينفع فيه القول ، ويخشى أن يضر السكوت . وترجح المقتضى على المانع

قد كاد يكون من موانع الكتابة قلة وجود المتدبرين الذين يميزن بين قول الحق ويعرفون أهله بأدلتهم وسيرتهم، و بين أقوال المبطلين الذين يغشون الامة ويغرونها بتأييدهم للاقوياء الذين ينتفعون منهم ، فقد كان زعماء الحزب الوطني هنا يغشون الناس بالسلطان عبد الحميد الذي باعوه ذمتهم بالرتب والنياشين والدراهم والدنانير حتى كان بعض زعمائهم يجعل الشهادتين في الاسلام ثلاثاً . فأوجب على من

يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . أن يثلث فيقول وأشهد أن السلطان عبد الحميد خليفة الله. ولولا هذا التثليث لما انتقل من لقب أفندى الى لقب بك . ومنه الى لقب باشا . وما زالت جريدة اللواء تفش المسلمين عامة والمصريين خاصة بعبد الحميد مدة حياة مؤسسها وبعد موته الى ما قبيل اعلان الدستور بيوم واحد اذ كتب فيها يوم الاربعاء طعن شديد في طلاب الدستور من العثمانيين ورمي لهم بأنهم يريدون به هدم الدولة ، وأنبأتنا البرقيات باعلان الدستور يوم الجمعة

فلما سقط عبد الحميد ونزا على الدولة بعده أولئك الاغيلمة المتخرجون في ملاهي غلطه و بيوغلي وسلانيك وباريس ، وأفسدوا كثيرا من ضباط الجيش ، وجعلوا بقوتهم الدستور آلة لتفريق عناصر الدولة وذريعة لمحو اسمها من لوح الوجود - قام أنصار عبد الحميد هنا وفي بلاد أخري ينصرون هؤلاء المتغلبين الخربين ، ويغشون الامة بهم كما كانوا يغشونها به أو أشد . وكان يصدقهم في إطرائهم كثير من الناس مع بيان جرائد الامم كلها لمفاسدهم ، بل مع ظهور هذه المفاسد بالفعل - الى أن أبكم الله ألسنتهم قبل ثبوت خيانة مستأجريهم للدولة ثبوتاً رسميا ، وتشكيل الحكومة السلطانية بهم وتمزيقها لشملهم . ولعله لو بقى لهم لسان ينطق ، وقلم يكتب وينشر ، لم يخجلوا من الاستمرار على التمويه والتضليل . اذا كان أملهم بعودة الجمعية الى استبدادها باقيا ، أو امدادها لهم لا يزال متصلا ، ويا حسرتي على شبان هذه البلاد ، الذين خدع كثير منهم بهؤلاء المفتونين بالمال والشهوات ، والشهرة الباطلة ، والاوهام المضللة

نعم ان رواج التغرير والتضليل في سوق السياسة وقلة التمييز بين المحق والمبطل ، والصادق والكاذب ، قد كاد يكون مانعاً من التصدي للكتابة لولا أن الله تعالى أوجب النصح وبيان الحق ، وحرم القنوط واليأس ، وجعل العاقبة للمتقين

﴿ مقدمات الخذلان في هذه الحروب ﴾

جمعية الاتحاد والترقي

انني اعرف من أمر هذه الجمعية ما لا يعرفه أحد في القطر المصري ، وقد بلوتها واختبرتها في الاستانة مدة سنة كاملة ، رأيت من زعمائها وسمعت من ألسنتهم ، ورويت عنهم بالاسانيد العالية المتصلة بهم ، مالا يتفق مثله الا لقليل من الناس ، ثم أيدت أحاديث جرائد العالم وحوادث الدهر ووقائعه ما علمته عنهم ، فأنا أروي ماتؤيده الاحاديث

والحوادث، وأستخرج العبرة منه، ليعلم أولو الغيرة على هذه الدولة التي لم يبق للمسلمين غيرها أين مكانها، وما هو الخطر الذي ينذرها، لعل ذلك يكون مما يستبين به أولو الرأي ما يجب لحفظ سلطة الاسلام، المهددة بالزوال والانقراض (والعياذ بالله)

أبدأ بذكر أهم الوسائل التي شرع الاتحاديون فيها ولا أذكر مقصدهم الذي يتوسلون اليه بتلك الوسائل الآن، لانه لا يصدقه غير العارف بحقيقة أمرهم، الا اذا أطلع على المقدمات والوسائل التي أذكرها، لانه مقصد غريب في نفسه

(أعمال الاتحاديين التي كانت مقدمات الخذلان في الحرب)

ازالة قوة المسلمين غير الترك من الدولة

أول ما قرر زعماء هذه الجمعية البدء به من الاعمال، بعد ما عنوا به من جميع الاموال، بضروب من القوة والاحتيال، هو ازالة كل قوة للمسلمين في هذه الدولة

حدثني غير واحد في الاستانة من الترك وغير الترك من العثمانيين وبعض الاجانب العارفين بأمور الدولة أن من برنامج جمعية الاتحاد والترقي أن تجمع السلاح من الارنؤوط وتضربهم ضربة شديدة، ثم تجرد جيشا آخر أو جيوشا لضرب العرب في اليمن وعسير، وعشائرهم وعشائر الدروز في حوران وجنوب بلاد الشام ثم العراق، وتجمع السلاح من الجميع، وسأذكر ما قرر في شأن طرابلس بعد، وبعد هذا وذاك تجرد جيشا آخر على الاكراد تذللهم وتجمع السلاح منهم، فاذا هي جمعت السلاح، وأخضعت لهيبتها أولي القوة والبأس من المسلمين، يسهل عليها أن تنفذ مقصدها بلا معارض ولا منازع.

قررت جمعية الاتحاد والترقي تنفيذ هذه المادة من برنامجها ولم تفكر في عواقبه. لم تفكر في عجز الدولة عن حماية هذه البلاد اذا كانت مجردة من القوة الذاتية، ولم تفكر فيما تخسره في قتال هذه الممالك من الاموال التي تأخذها من أوربة بالربا الفاحش، ومن الجنود المنظمة التي تحتاج اليها للدفاع عن الدولة وحفظ سلطانها، ولا فيما ينشأ عن هذا القتال من الفتن، وتفرق عناصر الدولة وانحلال روابطها

بدأت الجمعية بقتال الارنؤوط وأنا في الآستانة فبذل مبعوثو هذا الشعب جهدهم في اقناع رجال الجمعية بأن يتوسلوا الى حل مسألة الارنؤوط بالنصح والسلم فلم يقبلوا. وأظهروا الاحتقار لهؤلاء المبعوثين حتى انهم صفعوا اسماعيل كمال بك الزعيم الشهير

في مجلس الامة . ومن غرائب صنعهم أن جمعوا ماقدروا على جمعه من سلاح المسلمين ولم يعيدوه اليهم، ولكنهم أعادوا السلاح الى المالِيسوريين لانهم نصارى، فانظر كيف كان عاقبة أمرهم ، وكيف ظهر انه كان يجب عليهم أن يسلحوا جميع مسلمي تلك البلاد ويدربوهم على الفنون العسكرية لاجل الدفاع عنها ، ويؤلفوا منهم عصابات كعصابات البلغار وغيرهم . ولو فعلوا ذلك لنفع الدولة في هذه الحرب نفعاً عظيماً

ثم فعلوا فعلتهم في اليمن وعسير ، وفي الكرك وحوران ، فقد جردوا لقتال المسلمين في هذه البلاد زهاء مئة ألف جندي من أحسن جنود الدولة النظامية أو أحسنها على الاطلاق. قتل منهم في اليمن ألوف كثيرة و بقيت مسألة اليمن كما كانت. ولكن خربوا بلاداً كثيرة منها ومن بلاد الكرك وحوران ولم تستفد الدولة في مقابلة هذا التخريب والخسران شيئا . ولو تم لهم ماأرادوا من جمع السلاح من بلاد اليمن لاستولت عليها ايطالية في السنة الماضية وقتلت من فيها من العسكر ، لان الدولة ما كانت تستطيع أن ترسل اليها مدادا . ولو ظل أولئك الجنود في معسكرهم لرجحت الدولة على البلقانيين بهم

والآن يتحدث الناس فيما ذكرته الجرائد الفرنسية عن سورية ومصالح دولتها فيها، والظاهر أن المراد به اختبار رأي الدول في أمر استيلائهم عليها . وقد عرف بالقياس على مسألة طرابلس الغرب ومسألة البلقان أن الدولة لا تقدر على حفظ سورية الا اذا كان فيها قوة ذاتية تخشي الدول العظمى بأسها . ولا يمكن ان تأتي هذه القوة من الروملي ولا من الاناضول ، بل يجب أن تكون مؤلفة من الجند النظامي والاحتياطي الذي فيها ، ومن قبائل العرب والعشائر الوطنية والمجاورة، وهؤلاء هم الذين تخشى الاجانب من جانبهم اذا كانوا مدربين على القتال مالا يخشونه من الجند الرسمي ، لان قتالهم يكون بالمطاولة لا بالمناجزة فالخسارة فيه عظيمة، وانما هؤلاء الاجانب تجار يطلبون الربح من أقرب طرقه . وأشدهم اتقاء للقتال أعظمهم توغلا في الاستعمار كانكلترة وفرنسة . ولعل ايطالية لاتعود الى مثل غلطها في طرابلس الغرب . بل أظن أن البلغار قد ندمت على تهورها في طلب أمنيتها على ماأتيح لها من الظفر بتخاذلنا واهمالنا، وأنها لاتعود الى مثله

ظهر ضرر هذا العمل السيء الذى شرع فيه الاتحاديون ، وظهر أنه كان الواجب المحتم أن يعملوا ضده ، وأن يجعلوا في كل قطر من هذه الاقطار قوة أهلية تساعدها الدولة وتؤهلها للدفاع عن قطرها ، فهل يعتبر الناس بهذا ويسمون للواجب من جميع الطرق ، هل يعتذر عنه الاتحاديون ويندمون عليه ، هل يسكت عن الاعتذار لهم مأجوروهم والمغرورون بهم ؟

كلا اننا قرأنا في جرائد أمس أن زعماءهم لايخجلون من الاصرار على التبجح بقتال الدولة - أو الحكومة الاتحادية - للارناؤوط وان ظهر ان ذلك كان مصابا كبيراً على جمعيتهم من جهة وعلى الدولة نفسها من جهة أخرى . وهاك شاهداً مما نقلته احدى جرائد الاستانة عن أحد زعماء الجمعية الذين فروا في هذه الايام الى أوربة:

كتب صاحب جريدة اقدام التركية من سويسرة الى جريدته في الاستانة يقول انه قرأ في جريدة (بسترلويد) حديثا دار بين مكاتب هذه الجريدة (مسيورالي) وبين جاويد بك أحد زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذي كان ناظر المالية في أهم وزاراتها سأل ذلك المكاتب جاويد بك عن أسباب انكسار الجيش العثماني وخذلانه في البلقان فكان الجواب بعد مقدمة فيما ينقص الجيش وفي معداته ماخلاصته :

« اننا كنا هيأنا كل شيء وأنفقنا على ذلك أربعين مليون ليرة في السنوات الاربع الماضية . ولقد ظهر كل هذا في تجهيزنا الحملة على بلاد الارنؤوط ومحاربتنا لتلك البلاد . أما أسباب فشلنا العظيم فترجع الى تنظيم رجال جدد لم يطلعوا على الترتيبات »

فليتأمل العقلاء كيف اعترف الزعيم الاتحادي الذي كان ناظرا للمالية بأنهم صرفوا على الجيش أربعين مليون ليرة وكيف يتبجح بأن ثمرة تنظيمهم للجيش وانفاقهم عليه قد ظهرت في قتالهم لطائفة من رعية الدولة الخاصة لها . أهذه هي غاية استعداد الدولة الحربي أيتها الجمعية الدستورية المصلحة ؟ أتعدون منتهى شوطكم أن تأخذوا أبناء الامة وأموالها وتحملوها الديون التي تذلها للاجانب لاجل أن تقاتلوها به وتذلوها وتدمروا بلادها ؟ ألا فليعتبر المعتبرون ، أو ليأتينهم العذاب وهم ينظرون.

-- ٢ --

تهييج عصبية العناصر العثمانية

كان الناس يفهمون من اسم جمعية الاتحاد والترقي انها جمعية غرضها أن تجعل بين العناصر العثمانية وحدة سياسية اجتماعية بالمساواة بين الترك وغيرهم في الحقوق الشخصية والحقوق العامة كمناصب الدولة ووظائفها وان هذا هو المراد من كلمة (الاتحاد) الذي يتبعه الترقي في العمران وما يتوسل به اليه من العلوم والفنون. فلما صار النفوذ في هذه الجمعية لامثال الدكتور ناظم وطلعت وجاويد ورحمي وجاهد وأضرابهم ظهر للباحثين والمطلعين من العثمانيين والاجانب ان مرادهم بالاتحاد أن تدغم العرب والارنؤوط والكرد وغيرهم في الترك وتفنى لغاتهم وجنسياتهم فيهم فيكون جميع العثمانيين تركا !

كنا في طليعة من كتب في هذه المسألة ببيان فوائدها وغوائلها ومفاسدها ، ووجوب تقديم دره المفاسد على جب المصالح ، ومن أوسع ما كتبناه في ذلك بيانا مقالة فلسفية اجتماعية عنوانها (الجنسيات العثمانية . واللغات التركية والعربية) نشرت في منار رجب سنة ١٣٢٧ أي بعد الدستور بسنة واحدة ، بينا فيها بالدلائل والحجج القيمة أن محو جنس من البشر بادغامه في جنس آخر قد صار في هذا العصر محالا ، وان الدولة العثمانية لا تستطيع أن تجعل غير الترك فيها تركا ، وانها لو كانت تستطيعه لعذرتها عليه سياسة لا دينا ، لانني وأنا مسلم أرى أن الاسلام لا حياة له إلا بحياة اللغة العربية . وانما حياتها بجعلها لغة الخطاب وتعلم عند أهلها . ولكن زعماء الجمعية المغرورين الاغرار ، كانوا يرون أنفسهم قادرين على المحال

لا عجب ولا غرابة في الامر . فان أولئك الزعماء اذا لم يسمعوا حجج تلك المقالة ولم يشعروا بها فقد كان لهم على غرارتهم مانع من نشوة الغرور بخضوع العثمانيين لهم ، وتقديسهم لجمعيتهم ، وافاضتهم الدنانير والدراهم عليهم ، ومن سكر الاعجاب بثناء الجرائد الاوربية على رجال الانقلاب العثماني - وان كان المستحق لهذا الثناء هو صادق بك والضباط الذين اتبعوه من دونهم - ولكن العجب والغرابة في استمرار أكثر العثمانيين على الاغترار بهم بعد السنة الاولى للانقلاب ، وأعجبه وأغربه ما كان من العرب الذين لم يهتم الاتحاديون بشيء اهتمامهم بمحو لغتهم وازالة جنسيتهم ، أو اضعافها وانهاك قواها ، ليستريحوا من إدلالهم بالكثرة والدين الذي يخيفهم منه على السلطة التركية ما في كتب العقائد وكتب الحديث من كون الخلافة في قريش والائمة منهم ، وان لم ينازعهم العرب في جعل الخلافة فيهم ،

وكل ما يوجد من هذا القبيل فيما نعلم أن بعض أصحاب الدسائس والمطامع في مصر كانوا يستغلون وسواس السلطان عبد الحميد فيوهمونه ان للعرب جمعية أو جمعيات تسعى للخلافة سعيها ، فكان بعضهم يرسل التقارير السرية الى المابين في ذلك حتى تجرأ مصطفى كامل على الجهر بالارجاف بهذه الفتنة في لوائه ، في أول العهد بانشائه ، وكبر الوهم فيها وعظمه بزعمه أن بعض الامراء يساعد هؤلاء الساعين على سعيهم . وقد أنكرنا على اللواء الاجارف بهذه الفتنة في المجلد الثاني من المنار فكان انكارنا هذا هو السبب الاول في طعن ذلك الرجل وأخلافه فينا (كما أنكر المؤيد عليه ذلك مرارا)

فلما زالت سلطة عبد الحميد ودالت الدولة لفتيان الترك الاحرار الذين كنا نسعى معهم سعيا واحدا الى ازالة الاستبداد السابق ظننا أننا استرحنا من الدسائس ،

التي يروجها المفسدون في سوق الوساوس ، ولكن رأينا زعماء جمعية الاتحاد والترقي لم يدعوا سيئة من سيئات العهد الحميدي الا وأعادوها جذعة ، فهم بعد أن أرسلوا مفتشيهم وجواسيسهم الى جميع البلاد العربية حتى الحجاز فلم يروا من العرب الا الاخلاص الكامل للدولة ، ولم يشموا في بلادهم أدنى رائحة لشيء يسمى الخلافة العربية ، وبعد أن أغروا شريف مكة بابن سعود ، وامام اليمن بالسيد الادريسي ، وليس عند العرب قوة حربية تذكر الا ماعند هؤلاء - وبعد أن رأوا جميع كتاب العرب في مصر وسورية والعراق يثنون عليهم ويدافعون عنهم ، وليس عند العرب قوة أدبية الا ما عند هؤلاء - بعد هذا كله رجحوا سعاية المفسدين على البراهين الحسية ، وأصغوا الى المرجفين بالخلافة العربية ، فتقرب شياطين العهد السابق واخلافهم اليهم ، اذ رأوهم يحسبون كل صيحة عليهم ، وعاد محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش الى مثل إرجاف سلفهما (مصطفى كامل) بهذه المسألة فأعادوها في جريدتهم (العلم) سيرتها الاولى في جريدته (اللواء)

ولما كان الشيخ عبد العزيز شاويش أشد غلواً وتهافتا من مصطفى كامل لم يكتف باتهام جماعة الدعوة والارشاد بهذه التهمة بل طعن في جميع مسلمي العرب فكتب في جريدة العلم ان الدولة العلية لا يخشى عليها من البلغار ولا من الروم ولا من الارمن ولا من نصارى العرب وانما يخشى عليها من مسلمي العرب خاصة . ولاجل هذا الغلو قربته جمعية الاتحاد والترقي منها ، وجعلته من دعاتها وأعوانها ، وأنشأت له مطبعة وجريدة يومية في الاستانة كانت تنفق عليها من مال الحكومة زهاء ٣٥٠ جنيها عثمانياً في كل شهر

ثم جاءت الحوادث تكذب هذا الارجاف فان الحكومة الاتحادية حاربت عرب اليمن ، ونكلت بعرب حوران والكرك ، وعرضت عرب طرابلس الغرب لنيران ايطالية ، ومع هذا كله لم يزدد العرب الا تعلقا بالدولة وإقداما على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيلها. وما رأينا من الامراء الذين أرجف بهم اللواء أولا والعلم ثانيا والهلال العثماني ثالثا الا النجدة العالية للدولة والمساعدة التامة لها ، وهي في أحرج مواقفها . وبعد هذا كله نرى كثيرا من الناس لا يفقهون ولا يعتبرن ، ولا يميزون بين المصلحين والمفسدين

نعم ان العرب قد ظلوا على اخلاصهم للدولة ولكنهم ليسوا حجارة ولا حديدا فتمر عليهم هذه الكوارث ولا تؤثر في نفوسهم . ألا إنها قد أثرت شر تأثير . وهو ان اليأس من الدولة قد دب دبيبه الى قلوبهم وخصوصا بعد حمل الجمعية مولانا

السلطان على حل مجلس المبعوثين الذي ضعفت فيه السلطة الاتحادية . وتأليفهم مجلسا جديداً بقوة الحكومة بعد الضغط على الصحف وحرية الاجتماع وغير ذلك .
يئسوا من عد الدولة اياهم عضوا صحيحا منها كاخوانهم الترك أولا، ومن اصلاح الدولة ثانياً ، ومن بقائها ثالثاً ، الا أن تزول منها مفاسد الاتحاديين وتنشأ خلقا جديداً .
ومن العجائب أن يئوسهم هذه لم تدفعهم الى القيام بمشروع ما لحفظ وجودهم وحفظ سلطة الاسلام في الارض . بل ظل لسان حالهم يقول : ان بقيت الدولة نعيش معها بعز أوذل بحسب ما اتفق لنا، وان ماتت نموت معها، ولا خير لنا في الحياة بعدها
واني اذكر من شواهد اليأس الاول من هذه اليئوس ما سمعته من احد أفراد حزب الاتحاد والترقي من العرب بعد استعراض الجيش العثماني في روابي الاستانة امام ملك البلغار سنة ١٣٢٨ وكنت حضرت هذا الاستعراض في خيمة المبعوثين فلما انتهى وأردنا الذهاب قال لي ذلك المبعوث العربي الاتحادي « متى يكون لنا جيش منظم مثل هذا ؟؟ » فكانت هذه الكلمة كجذوة نار وقعت في قلبي اذ علمت منها ان هذا المبعوث الذي كنا نعد وجود مثله في الاتحاديين سببا لحسن الظن فيهم ، قد أداه اختباره الصحيح لهم الى الاعتقاد بان جيش الدولة ليس جيشا لنا ، وانما هو في الغالب علينا
هنا يخطر في بال كل قارئ هذا السؤال : اذا كان هذا هو اعتقاد هذا المبعوث في الجمعية فلم بقي فيها ؟ وعندي جواب هذا السؤال فاني كنت ألقيته عليه قبل تلك السنة التي قال فيها كلمته النارية فقال : اسكت انني علمت ان زعماء هذه الجمعية اذا أحسوا بأن أمر الدولة أشرف على التفلت من أيديهم فانهم يعرضونها للزوال دون ذلك . ولهذا أرى أن بقاءنا معهم خير من تركنا إياهم ! !
هذا بعض تأثير تهييج الاتحاديين للعصبية الجنسية ومحاولتهم تتريك العناصر حتى العرب الذين هم أخلص المخلصين للدولة وقد ظهر صدق اخلاصهم لها بالبرهان والعيان. وناهيك بكفاحهم في طرابلس الغرب ، وبلائهم في هذه الحرب ، وهل يخفى على بصير ما لليأس من الغوائل وسوء العواقب . وأما تأثيره في الالبانيين فقد كان ظاهرا وهو الذي أزال سلطة الجمعية من الدولة . وأما تأثيره في نصارى أوربة العثمانيين من البلغاريين واليونانيين والصربيين فهو الذي أوقد نار هذه الحرب وكان أكبر شرها وويلها على الترك والمستتركين الذين هضم الاتحاديون حقوق جميع العناصر وقصدوا اذلالها لاجلهم، وما كان أغناهم عن ذلك !

كان المفتونون بخداع الاتحاديين من مسلمي العرب يخطئون أهل البصيرة من اخوانهم اذا طالبوا الدولة بالعناية بتعليم اللغة العربية في مدارسها ، وجعل القضاة والحكام في الولايات العربية من العارفين بلغة أهلها ، وما كان حجتهم إلا أن قالوا انكم اذا طلبتم هذا فتحتم الباب لنصارى مقدونية لطلب مثله لانفسهم ، ظانين ان رضانا بهضم حقوقنا يكون سببا لرضاء أولئك بمثل ما نرضى به وبدونه . جاهلين أنهم لايرضون بمثل تلك الحقوق التي يحملوننا على السكوت عن طلبها ، وإن كان صلاحنا وصلاح دولتنا لا يكونان الا بها ، وانما وجهتهم انفصال ولا يأتهم من الدولة البتة ، واتصال كل شعب منها بالدولة التي هو من جنسها .

بل جهل هؤلاء المفتونون بخداع الاتحاديين انه لولا نصارى الولايات العثمانية الاوربية لما خطر في بال أحد من رجال دولتنا واخواننا الترك فكرة الحكومة النيابية . ولا حاجة الى شرح هذه المسألة الآن وانما موضع العبرة الذي اقتضت الحال بيانه هو ان جمعية الاتحاد والترقي جعلت الدستور خدعة لهؤلاء الناس وللدول التي تنتصر لهم . وأما مسلمو العثمانيين من العرب والارنؤط والاكراد فلا قيمة لهم عندها لانها تعتقد انها تدبر أمرهم بالقوة القاهرة . فكان غرورها هذا مهيجا لهؤلاء النصارى وحاملا اياهم على الحرب الحاضرة بعد ان رأوا الجمعية نفرت جميع العثمانيين من الدولة وأضعفت ثقتهم بها ، وأحدثت مفاسد أخرى أضعفت قوتيها المادية والمعنوية . وهو ما بينا بعضه في المقالة الاولى وسنبين بقية المهم منه في المقالات الاخرى

﴿ احوال مسلمي الصين ﴾

مسلمو مدينة نانكين في الصين

نانكين مدينة من كبريات المدن الصينية المشهورة بتجارتها . سكان هذه المدينة زهاء مليون نسمة والمسلمون منهم مقدار مسلمي (بكين) في الكثرة . ومنهم أناس أولو ثروة طائلة وتجارة كبيرة . وهم أرقى مسلمي الصين على الاطلاق في دنياهم ، اذ أكثر الموظفين في دوائر الحكومة منهم ، وكذلك منهم أكثر المعلمين في المدارس ، ويعد المسلمون في هذه الولاية أرقى علماً وفكراً من سائر أهلها ولكن لبعدهم عن العاصمة « مدينة بكين » التي هي مركزهم الاسلامي لايعرفون من الاسلام غير كلمة التوحيد

والسلام ، والمستنيرون منهم قد عرفوا اخيرا أي بعد حصولهم على الحرية وجوب تربية أولادهم على روح الاسلام فأسسوا في مدينة نانكين جمعية باسم « جمعية نشر الاسلام والمعارف »

لهذه الجمعية مقاصد (احدها) بيان حقيقة الجمهورية للمسلمين والدلالة على طرق الاستفادة منها ، ولذلك يطبعون رسائل مختصرة في لغة الصين وينشرونها بين المسلمين في البلاد والقرى ويخطبون بذلك في الجامع ، وأكثر مايهتمون به هو شؤون الانتخابات يجتهدون كثيراً في انتخاب نواب الولاية من الذين يحبون الاسلام ويسعون لخير المسلمين

(ثانيها) افتتاح المكاتب الابتدائية والرشدية في احياء المسلمين كلها ، ونشر لسان العرب وبيان حقيقة الاسلام للاهالي ، وتكثير سواد المسلمين الحقيقيين

(ثالثها) الاجتهاد في محو العادات والاخلاق الفاسدة المتمكنة من المسلمين ، وافتتاح المكاتب الصناعية لازالة الكسل والفقر منهم . ومسلمو الصين لجهلهم وتعصبهم المفرط لعوائدهم لايشتغلون بما يشتغل به الوثنيون . من الصناعات فيستنكف أحدهم أن يكون حداداً أو خياطاً أو ساعاتياً (مصلحا للساعات) لان الوثنيين يشتغلون بهذه الصناعات وينفرون ممن هذه صناعته من المسلمين

فبجهلهم هذا وتعصبهم الزائد صارت منزلتهم في التجارة والصناعة متأخرة جداً بالنسبة الى غيرهم وبلغوا نهاية قصوى من الفقر ، وبسعي هذه الجمعية أخذوا يتعلمون في المدارس الصناعية ويشتغلون ببعض الصناعات كالخياطة .

ومن مقاصد الجمعية أيضاً السعي في انتخاب العلماء لمنصب الامامة في المساجد من الذين يستحقونها

والحاصل أن مقصد الجمعية السعي في ترقية المسلمين وازالة أسباب الفقر وفساد الاخلاق من بينهم . وانقاذهم من المهانة في الدنيا والخسار في الآخرة . والجمعية تفتح أيضاً شعباً لها في ولايات خانقو شانغاي . وسيجوان . وأرسلت نور الدين افندي وثلاثة آخرين من زعمائها الى تلك البلاد للتشاور بينها وبين مسلميها واختيار أعضاء منهم للجمعية . ولها الآن أكثر من عشرة آلاف عضو في مدينة نانكين وولايتها.

فاذا اجتهد مسلمو الصين على هذه الكيفية من غير فتور يرجى أن يرتقوا في مده يسيرة .

(ع . أحمدي)

مترجم من جريدة « وقت » (عدد ١٠٥٠)

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ العلم الشامخ . في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ﴾

هذا الكتاب من تصنيف أحد علماء اليمن المجتهدين « الشيخ صالح مهدي المقبلي المتوفى سنة ١١٠٨ » وكان في الاصل على مذهب الزيدية ولكنه قرأ كتب الكلام والاصول وعرف مذاهب الفرق كلها وكتب التفسير والحديث وسائر العلوم، وطلب بذلك الحق ومرضاة الله تعالى فانتهى به ذلك الى ترك التمذهب، وقبول الحق الذي يقوم عليه الدليل، وقد شهد له الامام الشوكاني بالاجتهاد المطلق . وهو يشرح في هذا الكتاب أمهات المسائل التي وقع الخلاف فيها بين المذاهب الشهيرة كالاشعرية والمعتزلة وأهل السنة والشيعة الزيدية والامامية وكذا الصوفية . ويبين مايظهر له أنه هو الحق لايتعصب لمذهب على مذهب ، وهذا هو مراده ، الذي يدل عليه اسم كتابه . وقد توسع في الكلام على مسائل التحسين والتقبيح العقليين ، والكسب والاختيار والجبر ، وأفعال الباري تعالى وأفعال العباد ، ورواية الحديث ونقدها ، والجزاء والتوبة، وافتراق المسلمين والفرقة الناجية المشار اليها في الحديث ، والطائفة التي تبقى ظاهرة على الحق لايضرها من خالفها فيه . وعنده ان أهل الحق يكونون من مجموع المسلمين لامن أهل مذهب معين . وبين في هذا المقام مفاسد الخلاف بين المسلمين ومضاره . ومسألة وحدة الوجود وحقيقة حال أهلها . ولا تكاد تجد كتاباً منشوراً تعرف منه حقيقة مذهب المعتزلة والزيدية غير هذا الكتاب ، ومنه تعلم ان اكثر ماتجده في كتب العقائد المتداولة من مذهب المعتزلة خطأ لأنه من نقل المخالفين لهم نظروا اليه بعين السخط، ونقلوه بالمعنى لا بالنص، وتصرفوا فيه كما فهموا . وبهذا يتجلى لك صدق قول العلماء ان نقل المخالف لايعتد به

كان هذا الكتاب من الاسرار والمخبآت يكتمه كل من يظفر بنسخة منه اعجاباً به وخوفا من الناس ان يشنعوا عليه لانه يخالف كل مذهب من المذاهب في بعض المسائل وان لم يخرج عن مجموعها في شيء . وهو شديد الحملة على ما يعتقد بطلانه

قوي الانكار لايتحامى التشنيع والنبز بالالقاب المنكرة ، فهو في هـذا الخلق يشبه الامام ابن حزم الذي هجر جمهور الناس كتبه في الاصول والفقه لشدة انكاره على مخالفيه من أئمة الفقهاء ، ونبزهم بلقب الجهـل وما أشبهه من الالقاب . ولولا ذلك لاشهرت كتبه وأخـذ الناس بها وترك كثير منهم مذاهبهم اليها ، لانها في الذروة العليا ، كما شهد بذلك سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشهير اذ سئـل عن أحسن ما كتبه المسلمون في الفقه فقال « المحلى » لابن حزم «والمغني» للشيخ الموفق . وأنا أرى ان كتب ابن حزم هي أكبر وأوسع مادة استمد منها شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم . ولـكنهما كانا أنزه قلما وأشد أدباً مع الائمة

فـكتاب « العلم الشامخ » كـكتاب المحلى هو من الـكتب التي يستفيد منها العلماء الخواص أصحاب العقول والافهام المستقلة والصـدور الواسعة ، وقد نقل عنه شيخ الازهر العطار الشهير في حاشيته على الجلال المحلي ، فدل ذلك على ان الـكتاب كان يتداوله العلماء ويتناسخونه كما كانوا يتناقلون قبل ذلك كتب ابن حزم

وقد تصدى لطبع هذا الـكتاب منذ ثلاث سنين بعض الشرفاء والفضلاء من الحجازيين والسوريين بعد أن استنسخه بعضهم من مكتبة حسين حسني أفندي الذي كان شيخ الاسلام في دار السلطنة . ولما قيل له اننا نريد طبعه ، قال ومن يجرأ على طبعه ؟ ومن عاش معظم عمره في حجر السلطة الحميدية تحيط به جواسيسها لايبعد منه ان يقول مثل هذا القول ، على انه رحمه الله كان من أوسع علماء الاستانة صدراً ، وأشدهم تسامحاً ، وكان معجباً بالـكتاب ضنيناً به ، ولـكنه سمح بنسخه ، ولو علم بما يطبع في مصر من كتب الفرق والجدل ومن كتب دعاة النصرانية لرأى الفرق الـكبير بين مصر والاستانة حتى في عهدها الذي يسمى الدستوري

طبع الـكتاب مع زوائده (الارواح النوافخ لايثار آثار الآباء والمشايخ) الذي أوضح به مسائله وفند به كلام من أنكر عليه بعضها ، ووضعت له عدة هوامش فيها انتقاد على المؤلف بعضها من النسخة الاصلية يوشك ان تكون للمحقق الشوكاني . وهو مطبوع على ورق جيد وصفحاته تناهز ٨٠٠ صفحة . ولهما فهرس واسع جدا مرتب على حروف المعجم وثمن النسخة منه ٢٥ قرشاً وأجرة البريد للخارج خمسة قروش وللقطر المصري ٢٥ مليما وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ رسالة ﴾ (*)

بغية الراغبين ، وقرة عين أهل البلد الامين . فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم الامين
تأليف العالم الفاضل السيد عبد الله بن السيد محمد صالح الزواوي الحسني الادريسي ،
المدرس بالمسجد الحرام ورئيس لجنة عين زبيدة

رسالة تشتمل على ذكر أحوال عين زبيدة التي يستقي منها أهل البلد الحرام (مكة) والوافدون لحج البيت العتيق مع بيان التصليح والترميم مما أحدثته اللجنة المشكلة لذلك تحت رعاية صاحب السيادة والدولة أمير مكة المعظم ورئاسة مؤلف هذه الرسالة ثم بيان خطط البلد الامين

وقد تبرع السيد عمر الحشاب الكتبي بطبع هذه الرسالة اعانة لهذا المشروع الجليل النفع العميم الفائدة ومن يطلع على هذه الرسالة يعلم ان اعانات عين زبيدة انما أنفقت في طريقها وعلى وجهها ، فنشكر للمؤلف سعيه في سبيل الله وخدمة بلده الحرام

﴿ كفاية الطالبين . لرد شبهات المبشرين ﴾

تأليف الشيخ محمد عبد السميع حفناوي مدرس اللغة العربية بالمدارس الحرة صفحاته ١٣٣ بقطع الاسلام والنصرانية مطبوع بمطبعة أبي الهول بالقاهرة سنة ١٣٣٠ على ورق نظيف متوسط ثمنه ثلاثة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

موضوع الكتاب الرد على دعاة النصرانية وقد أبطل المؤلف به ادعاء النصارى كون كتبهم كتبت بالهام من الله ، وبين اختلافاتها وأغلاطها وأنحى على عقيدة التثليث ببراهين وأدلة عقلية وكذلك فعل في نفي الشريك والولد عن الله تعالى وفي ابطال مايتمسك به النصارى من صلب المسيح وتكلم على حقية القرآن ووجوه اعجازه وفي نبوة سيد الانبياء (ص) مستدلا على ذلك بنصوص كتبهم التي يسمون مجموعها الكتاب المقدس ورد شبهات أولئك الدعاة وختم الكتاب بمقابلته بين آيات من القرآن الشريف وجمل من العهد العتيق والعهد الجديد

﴿ كتاب أمراض النساء ﴾

تأليف الدكتور نجيب بك محفوظ الطبيب بمستشفى القصر العيني الاميري صفحاته ١٧٦ بقطع الاسلام والنصرانية طبع بمطبعة التوفيق ويشتمل على ٤٥ شكلا من أشكال الاعضاء والادوات يباع بعشرين قرشا في المكاتب الشهيرة بمصر

هذا الكتاب من الكتب العلمية السهلة الفهم التي تفيد مطالعها الخاصة والعامة

(*) كتب هذا التقريظ وما بعده من التقاريظ شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

خصوصاً الذين يتعلمون الجراحة بغير اللغة العربية فنشكر لمؤلفه على اجتهاده ونتمنى لكتابه الانتشار ليعم نفعه

كتاب الفتوحات الالهية . في مجمل العلوم الازهرية
وكتاب التسهيلات الالهية في أصول الحنفية والشافعية

كلاهما تأليف الشيخ أحمد بن محمد درويش القاضي الشرعي وأحد علماء الازهر .

طبع الكتابان في القاهرة بمطبعة مقداد على ورق نظيف بقطع المنار صفحات الاول منهما ٢٧ تكلم فيه مؤلفه في تعريف أشهر العلوم الازهرية تعريفاً أزهرياً اصطلاحياً وبيان موضوعاتها وفوائدها ومسائلها وصفحات الثاني ٢٠٠ واسمه يدل على موضوعه ويطلبان من مكتبة المنار بمصر

﴿ حكم النبي محمد ﴾

للفيلسوف تولستوي . تعريب سليم افندي قبعين . صفحاته ٧٧ بقطع تفسير الفاتحة مطبوع بمطبعة التقدم بمصر ويطلب من مكتبة المنار وثمنه قرش واحد صحيح

بحث مؤلف هذا الكتاب في حالة المسلمين الدينية في روسية وشرح ما قاسوه من الاضطهاد بسبب دينهم وما منحهم اياه القيصر نقولا الثاني من حرية عود المتنصرين جبراً الى دينهم ومن حرية المدافعة عن الدين ونشر الجرائد بلغة المسلمين الى غير ذلك ثم استطرد الى بيان أخلاق المسلمين وتعظيم القرآن للمسيح وأمه وأفرد فصلا للكلام على النبي محمد (ص) تكلم فيه عن حالة العرب قبل ظهور الاسلام وأورد آيات من القرآن للحكم على الدين الاسلامي فيها التوحيد الخالص والاحكام العمومية وأبان ما كان للدين الاسلامي من الاثر الصالح في العالم وأورد طائفة من الاحاديث النبوية في الاحكام والحكم ومكارم الاخلاق ، وتكلم على الحجاب وبين مفاسد التهتك الخ ولكن فيه شيئا من الغلط ومن التحريف المطبعي ، ولو قوبلت الحكم بأصلها من القرآن والاحاديث لكان أقوم قيلا

﴿ امالي الشيخ علي عبد الرازق من علماء الازهر في علم البيان ﴾

صفحاته ١٢٢ بقطع أسرار البلاغة طبع سنة ١٣٣٠ بمطبعة مقداد على ورق نظيف ويباع بخمسة قروش في مكتبة المنار ومكتبة النيل

هذا الكتاب هو مجموعة أمالي القاها المؤلف دروساً في الازهر سنة ١٣٣٠ هـ

ثم جمعها في كتاب على حدة فجاءت كتاباً وافياً بالغرض حسن الاسلوب سهل الفهم ولم أرَ لعالم أزهري لهذا العهد كتابة محررة مختصرة مفيدة تدل على تفكر الكاتب وتوخيه الاستفادة والفائدة مثل هذا الكتاب وان القارئ ليقرأه فيفهم فن المعاني مجرداً

﴿ الجرح والتعديل ﴾

رسالة من تأليف عالم الشام العامل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي نشرت في المنار وجمعت فجاءت ٤٠ صفحة بقطع المنار على حدة وثمنها قرشان وهي تطلب من مكتبة المنار بمصر ومن مؤلفها في دمشق الشام

هذه الرسالة هي الحكمة التي تكم أفواه الحشوية ومتعصبي الفرق وترجع بهم الى سماحة الاسلام ببيان ما جرى عليه العلماء الاعلام مثل البخاري وغيره من اعتبار رواية الفرق التي يكفر أهلها اليوم جهلة المقلدين والحشوية . وتبين اضرار التعصب للمذاهب ميلا مع الهوى، وتكون خير عون للمصلحين، على جمع كلمة المسلمين، والتأليف بين المختلفين

﴿ العلاج الجراحي ﴾

الجزء الاول منه

تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب صفحاته ١٩٥ بقطع المنار طبع سنة ١٩١٢ بمطبعة المعارف بمصر طبعا نظيفا على ورق جيد وهو مزين بالرسوم الملونة والاشكال التي بلغت عشرين شكلا ويطلب من معربه بقليوب ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه عشرة قروش خلا أجرة البريد

مواد الكتاب « البكتيريولوجية { العدوى المناعة } ، الالتهاب ، فحص الدم في حالتي الصحة والمرض، العدوى الصديدية غير النوعية ، التقرح ، الغنغرينة

أسلوب الكتاب يسهل حتى على الغريب عن فن الجراحة وما هو الا خدمة جديدة ضمها المعرب الى خدماته السابقة

التشريح الجراحي

الجزء الاول منه

تأليف فردريك لريفي وارثر كيث وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد أيضا صفحاته ٢٥٢ بقطع الاسلام والنصرانية طبع في مطبعة المعارف طبعاً نظيفاً على ورق جيد مزينا بالصور الملونة التي بلغت ٤٥ شكلا وثمنه عشر قروش ويطلب من معربه ومن مكتبة المنار بمصر

مواد الكتاب: فروة الرأس، قبوة الجمجمة، محتويات الجمجمة، الحجاج والعين،

الانف وتجاويفه، الوجه، الفم واللسان والحنك والبلعوم، العنق، وأسلوبه كاسلوب سابقه بل كسائر معربات الدكتور محمد عبد الحميد الذي يفيد لغته وأمته بما يقدمه حيناً بعد حين من الآثار النافعة

(بلوغ المرام من ادلة الاحكام)

تأليف شيخ الاسلام قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني صفحاته ٢٧٨ بقطع المنار طبعه بمطبعة التمدن الشيخ عبد الرحمن بدران الكتبي وشريكاه على ورق متوسط وثمنه سبعة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

الكتاب مجموعة أحاديث مخرّجة مرتبة على أبواب الفقه ، وزاد فيه باب الادب فيجدر بكل من يروم فقه الدين من السنة ان يطلع على هذا الكتاب

كتاب التبيان في تخطيط البلدان

« الجزء الاول منه »

يشمل الدروس التي ألقاها بالجامعة المصرية العالم المؤرخ اسماعيل رأفت بك استاذ الجغرافية وعلم الشعوب (قبوغرافية) بها ومدرس الجغرافية والتاريخ العام بمدرسة دار العلوم صفحاته ٤٩٩ بقطع المنار طبع بمطبعة محمد مطر الوراق بمصر سنة ١٣٢٩ وله خرائط للاستعانة على توضيح ابحاثه ويباع بعشرين قرشا في مكتبة المنار بمصر

معظم مانقرأه من كتب الجغرافية العربية انها أشبه بالنقل منها بالتأليف ولكن كتاب التبيان على العكس من ذلك فان مؤلفه قرأ وبحث وباحث ونظر فكتب، وانه لخيل الى القارئ ان المؤلف سائح خريت جاب القارة الافريقية وأثبت مشاهداته في مؤلفه هذا

والكتاب يتناول قارة افريقية وقد وصفها باوصافها الطبيعية والاقتصادية والسياسية والجوية وذيل الكتاب بفهرس ذكر فيه أسماء مشاهير المكتشفين والسياح الذين مر ذكرهم في الكتاب وكتبها بالحرف اللاتيني والحرف العربي ليرجع القارئ الى ما كتبه عنهم في أسفل صحائف الكتاب بسهولة

وحبذا لو أتم المؤلف كتابه على هذا النمط فان اللغة العربية في أشد الحاجة الى كتاب جغرافي عمومي مطول

باب الأخبار والآراء

الحرب البلقانية الصليبية

لقد بدا للناس من هذه الحرب مالم يكونوا يحتسبون ، فقد كانت أقوال صحف اوربة تدل على ان الاوربيين كالعثمانيين يظنون ان كفة الدولة العثمانية تكون هي الراجحة ، وكفة البلقانيين تكون هي المرجوحة ، ولذلك صرحت الدول الكبرى بأنها متفقة على أن هذه الحرب لاتغير شيئاً من الحال الحاضرة ولا من خارطة البلقان. فلما ظهر رجحان كفة البلقانيين رجعت عن قولها ، وصرحت بأنه ليس من العدل حرمان الدول المتحالفة من ثمرة انتصارها (والعدل عند هؤلاء الناس لايجوز أن يتعدى أبناء جنسهم وأهل ملتهم ودينهم) بل تجاوزت ذلك الى محاولة اكراه الدولة العثمانية وقسرها على أن تعطي الصليبيين مافتحوا من بلادها وما أعياهم فتحه كأدرنة، وقد أجمعت ذلك دول التثليث كاهن سواء منهن من أبدى ناجزي الشر للدولة وأظهر ضلعه وتعصبه للصليبيين كدول الاتفاق الثلاثي، ومن جامل العثمانيين بالقول بعض المجاملة كدول التحالف الثلاثي

نعم ان ماظهر من ضعف الدولة العثمانية وخللها هو مالم يكن يحتسبه كله أحد ولا الاوربيون الذين يعبرون عنها بالرجل المريض ويرون انها بهذا المرض تكاد أن تكون حرضاً أو تكون من الهالكين . وهكذا شأن الناس في تقدير أحوال من ضعف بعد قوة عظيمة ، أو افتقر بعد ثروة كبيرة ، فانهم يتصورون شيئا من ماضيه مع تصور حاضره ، ويستخرجون النتيجة من مقدمات من التاريخ الماضي زالت مع زمنها ومن مقدمات التاريخ الحاضر . وكذلك يخطئون في تاريخ حال من دخل في حياة جديدة ، استصحاباً لشيء من ماضيه يمزجونه بما عرفوا من حاضره ، حتى تأتي الحوادث والوقائع الكبيرة بما لم يكن في الحسبان ، كما رأينا في حرب الروسية واليابان، ولكن العبرة في رجحان البلغار على الترك اكبر ، والتفاوت بين الفريقين فيها أعظم ومما ظهر وبان ، هاجما من وراء حدود الحسبان ، شيء آخر كان كثير من

من المغرورين بمدنية هذا الزمان ، يظنون انه من وراء حدود الامكان ، وهو طغيان صليبي البلقان الظافرين ، على أبناء وطنهم المسلمين المسالمين ، واسرافهم في تقتيلهم وتعذيبهم ، وهتك أعراضهم وسلب أموالهم ، وانهم ليقتلون النساء والاطفال ليقل عدد المسلمين في البلاد ، حتى ألجؤا بعضهم الى الخروج من الاسلام ، وانتحال النصرانية حفظاً لانفسهم ، وصيانة لأعراضهم وأموالهم . وقد شهد فظائعهم هذه كثير من مكاتبي الصحف الاوروبية من الشعوب المختلفة وبعض وكلاء الدول السياسيين (القناصل) وذكرت الجرائد الاوربية والتركية كثيرا من حوادثه تقشعر منها الجلود ، وتفتت لهولها الكبود

ولم يكن عجب الناس من اقتراف البلقانيين لهذه الجرائم والجنايات ، والفواحش والمنكرات ، وجعلهم ذلك باسم الصليب في سبيل المسيحية ، كعجبهم من الدول والشعوب الافرنجية في أوربة وامريكة لسكوتهم عنها ، بل اقرارهم اياهم عليها ، فهل هذه هي المسيحية التي يبذلون الملايين في سبيل دعوتنا اليها ، وهل هذه هي الانسانية التي يفتخرون بدعواها ؟؟

اختلفت دعاة النصرانية في مؤتمرهم الذي عقدوه للنظر في وسائل تنصير المسلمين: هل إله المسلمين هو إله النصارى أم لا ؟ فقال قس من أكبر قسوسهم ان إله المسيحيين ، غير إله المسلمين ، لانه دين محبة ورحمة ، وإله المسلمين ليس كذلك !!!

فأين هذا القس المحب الرحيم الآن ؟ لا أراه الا فرحا مسرورا مع قومه بفظائع الصليبيين في البلقان ؛ فانه هو وأمثاله قد اتخذوا المسيحية آلة للشهوات واللذات وسعة الملك واستعباد الأمم والشعوب ، وهم أبعد خلق الله عن دين المسيح عليه الصلاة والسلام وعن دين بولس الذي تمثله الكتب والرسائل التي يسمونها العهد الجديد أيضا

واذا كان هذا شأن رجال الدين فيهم فكيف يكون شأن رجال السياسة المنافقين الذين ينفثون في أرواحهم سموم العصبية الدينية ويغرونهم بافساد عقائد الناس ، ويعينونهم على ذلك بالنفوذ والمال ، واذا لقوا أحدا من أهل الملل الذين يغرونهم بهم ادعوا انهم يمقتون العصبية الدينية وأهلها ، وانهم لايدينون بدين الا دين الانسانية العامة ، وهم بهذا الوجه الذي يلقون به المسلمين وغيرهم من أهل الملل الشرقية المخالفة أشد إفسادا في الدين والاجتماع من دعاة دينهم ، فان الذين أفسد عليهم الافرنج دينهم باسم الانسانية ، أضعاف اضعاف الذين أفسدوا عليهم دينهم ودنياهم باسم المسيحية .

صدق هؤلاء المنافقين تلاميذهم ومريدوهم من المسلمين وغيرهم وظنوا فيهم الخير ، وتوهموا انهم بترك الدين وحل رابطته والدعوة الى رابطة أخرى يسلكون طريقهم في الترقي المادي ، وإنما يهوون في مهواة التدلي والانقراض

الا انه قد وجد فينا الحكماء العارفون وطالما حذروا وأنذروا ، فعلت أصوات الخادعين أصواتهم فلم تعتبر بها الامة . واننا نذكرها الآن بنبذة من مقالة التعصب احدى مقالات العروة الوثقى التي نشرناها في المنار من قبل ونقلتها بعض الصحف ، وهي منشورة أيضا في بعض الكتب .

بين الاستاذ الامام رحمه الله في أول تلك المقالة معنى التعصب في اللغة والاصطلاح ومفاسد الغلو فيه ومدح الاعتدال ، وما ثبت في التاريخ من غلو الاوربيين في تعصبهم ، وابادتهم للمخالفين لهم ، وتسامح المسلمين وتساهلهم ، ثم بين غرضهم من تنفير المسلمين خاصة من التعصب الديني مطلقا وان كان معتدلا لا يترتب عليه شيء من إيذاء المخالفين ، وهو أن حلوا رابطتهم ، ويتمكنوا من إزالة سلطانهم ، وبين كون الموافقين لهم المخدوعين بسحرهم ، يخربون بيوت أنفسهم بأيديهم وأيدي أعدائهم ، ثم قال:

« هذا أسلوب من السياسة الاوربية اجادت الدول اختباره ، وجنت ثماره ، فأخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم ، فكثير من تلك الدول نصبت الحبائل في البلاد العثمانية والمصرية ، وغيرها من الممالك الاسلامية ، ولم تعدم صيدا من الامراء والمنتسبين الى العلم والمدنية الجديدة ، واستعملتهم آلة في بلوغ مقاصدها من بلادهم ، وليس عجبنا من الدهريين والزنادقة ممن يتسترون بلباس الاسلام ان يميلوا مع هذه الأهواء الباطلة ، ولكنا نعجب من أن بعضا من سذج المسلمين مع بقائهم على عقائدهم ، وثباتهم في ايمانهم ، يسفكون الكلام في ذم التعصب الديني ويلهجون في رمي المتعصبين بالخشونة والبعد عن معدات المدنية الحاضرة ، ولا يعلم أولئك المسلمون أنهم بهذا يشقون عصاهم ويفسدون شأنهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المارقين . يطلبون محو التعصب المعتدل وفي محوه محو الملة ودفعها الى أيدي الاجانب يستعبدونها مادامت الارض أرضا والسماء سماء . والله ماعجبنا من هؤلاء وهؤلاء بأشد من العجب لأحوال الغربيين من الامم الافرنجية الذين يفرغون وسعهم لنشر هذه الافكار بين الشرقيين ولا يخجلون من تبشيع التعصب الديني ورمي المتعصبين بالخشونة . الافرنج أشد الناس في هذا النوع من التعصب واحرصهم على القيام بدواعيه ، ومن القواعد الاساسية في

حكوماتهم السياسية الدفاع عن دعاة الدين والقائمين بنشره ومساعدتهم على نجاح أعمالهم، واذا عدت عادية مما لا يخلو عنه الاجتماع البشري على واحد ممن على دينهم ومذهبهم في ناحية من نواحي الشرق، سمعت صياحا وعويلا وهيعات ونبآت تتلاقى أمواجها في جو بلاد المدنية الغربية وينادي جميعهم : الا قد ألمت ملمة ، وحدثت حادثة مهمة، فأجمعوا الامر وخذوا الأهبة لتدارك الواقعة والاحتياط من وقوع مثلها حتى لا تخدش الجامعة الدينية : وتراهم على اختلافهم في الاجناس ، وتباغضهم وتحاقدهم وتنابذهم في السياسات ، وترقب كل دولة منهم لغرة الاخرى حتى توقع بها السوء ، يتقاربون ويتألفون ويتحدون في توجيه قواهم الحربية والسياسية لحماية من يشاكلهم في الدين وان كان في أقصى قاصية من الارض، ولو تقطعت بينه وبينهم الانساب الجنسية. أما لو فاض طوفان الفتن وطم وجه الارض وغمر وجه البسيطة من دماء المخالفين لهم في الدين والمذهب فلا ينبض فيهم عرق ولا يتنبه لهم احساس بل يتغافلون عنه ويذرونه وما يجرف حتى يأخذ مده الغاية من حده ويذهلون عما أودع في الفطر البشرية من الشفقة الانسانية والرحمة الطبيعية كأنما يعدون الخارجين عن دينهم من الحيوانات السائمة والهمل الراعية . وليسوا من نوع الانسان الذي يزعم الاوربيون أنهم حماته وأنصاره. وليس هذا خاصا بالمتدينين منهم بل الدهريون ومن لا يعتقدون بالله وكتبه ورسله يسابقون المتدينين في تعصبهم الديني ولا يألون جهدا في تقوية عصبيتهم، وليتهم يقفون عند الحق ولكن كثيرا ما تجاوزوه . أما أن شأن الافرنج في عسكهم بالعصبية الدينية لغريب .

يبلغ الرجل منهم أعلى درجة في الحرية كغلادستون واضرابه ثم لا تجد كلمة تصدر عنه الا وفيها نفثة من روح بطرس الراهب، بل لا نرى روحه الا نسخة من روحه (انظر الى كتب غلادستون وخطبه السابقة) اه

*

ومما بدا للمسلمين من هذه الحرب ولم يكونوا يحتسبونه ، أن الدولة العثمانية ليست بالدولة القوية التي يرجى ان تحفظ نفسها من أوربة بقوتها الحربية ، سواء منها البرية والبحرية ، وأنما بقاؤها ، بدوام تنازع الدول في اقتسامها ، وان هذا الاقتسام متفق عليه في الجملة ، مختلف عليه في التفصيل ، وان ممالكها في نظرهن كالارض الموات من سبق الى شيء منه ملكه ، وأن ما يبديه بعضهن لها من الميل والانعطاف

أحيانا – وهو لا يتعدى القول اللطيف والمساعدة السلبية – فانما سببه جر المغنم العاجل كالامتيازات والقروض وبيع الاسلحة والذخائر ، على أنهن صرن يقبضن أيديهن عن إقراضها ولو بالربا الفاحش ويتشددون في ذلك ، وأما ما كان من مساعدة بعضهن لها في الزمن الماضي فسببه تعارضهن في النفوذ والطمع في بلادها أيضا وقد ارتقوا عن هذه الدرجة الآن

عرف خواص المسلمين هذه الحقائق في الاقطار الكثيرة ، وشعر به عوامهم في مصر وولايات السلطنة أيضا ، فأصابهم من الغم والكآبة ما وجلت له القلوب ، وذرفت لأجله العيون ، وطفق الناس يتساءلون ، عن النبإ العظيم الذي فيه يختلفون، وهو كيف يكون حال الاسلام والمسلمين ، اذا صارت هذه الدولة في عداد الغابرين؟

ان أصحاب هذه الدولة يجدون ويجتهدون في هدمها منذ قرنين أو أكثر وكانت بعض الدول الاوربية تدعهم الى الاسراع في الهدم ، وبعضها تدعوهم الى التريث فيه، وقد اشتد الهدم على عهد عبد الحميد ولكن من وراء الحجب والاستار ، وفي حنادس الظلمات ، وأما بعد سقوطه فقد صار الهدم أشد، ولكن الهادمين يسمون أنفسهم البنائين الاحرار، وصار أبين وأظهر لانه يؤتى في ضوء النهار .

لقد كان جهل المسلمين بحقيقة حال هذه الدولة ، أكبر مصائبهم ومصائب الدولة ، ولو كانوا يعرفون كنه حالها ، منذ تنبهوا لانفسهم ولها – أي من عهد انكسارها في حرب الروسية الاخيرة – لاجتهدوا في اصلاح أنفسهم وإصلاحها ، ولكنهم اغتروا وخدعوا بها ، وأمدتهم جرائد المنافقين في غرورهم ، فحسبوا انها دولة قوية عزيزة تقيم شرعهم ، وتعلي كلمة دينهم ، وتدافع عنه وعنهم ، وكم نبهناهم وأنذرناهم فتماروا النذر ، ولا يزال كثير منهم على غرورهم، كما يدلنا على ذلك تجاوب اقتراحهم عليها إدامة الحرب ، وكراهتهم لما جنحت اليه الوزارة الكاملية من السلم، وعقد الهدنة للبحث في شروط الصلح ،

ان كل ما عرفناه من مساعدة العالم الاسلامي للدولة في حربها هذه هو أنهم أمدوها باعانة لا تجاوز نصف مليون من الجنيهات الا قليلا ، الا ان يكون هنالك إعانات خفية عنا وعن غيرنا . وليس هذا بالذي ينهض بمثل هذه الدولة الكبيرة ، ولا اظهار الغيرة عليها ، بالذي يدفع عدوان الدول عنها ، بل يخشى ان يكون مغريا لدول الاستعمار بالتعجيل عليها ، فانا لا أزال أعيد ما بدأت من القول بأن الدولة على خطر ، وحل المسألة الشرقية أقرب غائب ينتظر ، وادعو عقلاء المسلمين خاصة الى التفكير في

المآل، وإعداد ما يستطيعون له من العدة والمال، وما بعد بذل الجهد الا العزم والاتكال، وانني أشير الى شيء من ذلك بالاجمال:

مستقبل الاسلام والمسلمين

أهم مايهم كل مسلم في الارض أن يكون للاسلام سلطة تقام بها شريعته، وتحيا بها دعوته، وقد كان المسلمون لفشوّ الجهل فيهم، مغرورين بحكوماتهم ودولهم، ولم يكن غرور التابعين للدول ذات التاريخ الكبير كالدولة العثمانية، بأشد من غرور التابعين للدول ذات التاريخ الصغير كسائر الدول الافريقية أو الاسيوية، ولكن الغرور بالدولة العثمانية تجاوز بلادها الى الملايين من المسلمين الذين استولت عليهم الدول الاوربية في الشرق والغرب. وان هذا الغرور قد أوصل السلطة الاسلامية الى درجة الخطر، خطر الفناء والزوال. فوجب على كل عارف مخلص أن يصرح للمسلمين بما يعرف؛ وقد كنا في السنين الغابرة نكني ولكن الوقت ضاق عن الكني

ولو عرف جماهير المسلمين كنه حال دولهم وحكوماتهم من قبل لجدّ العقلاء في السعي لاصلاحهم وحفظها ولكان الفوز أرجى لهم من الخيبة، ويجب أن يعرفوا الآن ماجهلوا من قبل وان كان الرجاء في السعي الآن أضعف، ولكن المسلم لاييأس ولا يقنط، ولقد كان اكبر بلاء الدولة العثمانية من بعض رجالها الذين يئسوا منها، في الزمن الذي دبّ فيه الى مسلمي الآفاق الرجاء فيها، وما زلزل غرور المسلمين، وأزال بقايا غرور غير الحكام من العثمانيين، الا هذه الحرب البلقانية فاذا كانت ثمرتها أن نعرف حدنا، ونهتدي الى رشدنا، فنعرف كيف ندرء خطر الزوال عنا، فان هذه الحرب تكون كما قلت من قبل اكبر نعمة علينا

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن وجود الدولة العثمانية في أوروبة هو سبب غرورها وفقرها ومولد الفتن فيها، وهو الذي جعل رجال الدولة يحتقرون بلادها في آسية وأفريقية وجميع الشعوب الذين في هذه البلاد، فكل قوة الدولة تعد في ولاياتها الاوربية ولولاياتها الاوربية، ومعظم أموال الدولة تصرف فيها، وعاقبتها للاوروبيين دون العثمانيين، لان أوروبة كلها مجمعة على ذلك ولكن تنفذه بالتدريج. فلا ينبغي أن نأسى على مايزول من أملاك الدولة في أوربة ولا نفرح بما يبقى منها، وانما ينبغي أن نوجه كل عنايتنا الى أملاكنا في آسية، وأن نقيم بناء الادارة والاصلاح فيها على الطريقة التي يسمونها اللامركزية

فتجب العناية قبل كل شيء بجعل كل من يقدر على حمل السلاح في كل قطر من الاقطار جنوداً مستعدين للدفاع عنه اذا هاجمه العدو، وأن يكونوا في هذا متكافلين متعاونين بنظام يوضع لذلك، وأن يكون أول ما يبدأ به من ذلك الحجاز والبلاد المجاورة له ، وأن يكون كل ما يجمع من المال لاعانة الدولة خاصاً بتحصين الحرمين الشريفين وما حولهما ، واعداد تلك البقاع كلها للدفاع عنهما ، وبجعلهما مثابة للعلوم والفنون باقامة المدارس العامة في المدينة المنورة والطائف . وأن يتولى هذا العمل جمعية علمية اسلامية يختار أعضاؤها من خيار مسلمي الآفاق كلها . فاذا لم يبادر عقلاء المسلمين من العرب والترك والهنود والفرس وغيرهم الى جمع المال لهذين العملين والسعي لتنفيذهما فوالله ثم والله ليندمن وليعلمن أن اهتمامهم بأدرنة والقسطنطينية لا يغني عنهم من ذلك شيئاً . وليسقطن تحت نير أوربة كل ما بقي لهم، حتى كعبتهم وروضة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فليتدبروا وبتذكروا ،(وما يتذكر الا من ينيب) وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله تعالى

﴿ رحلتنا الهندية — شكر علني ﴾

كنت أرى من حقوق اخواني مسلمي الهند وعمان والعراق الذين أكرموا مثواي في رحلتي ، واحسنوا ضيافتي وبالغوا في مودتي ، ان أكتب الى كل واحد منهم كتاب شكر خاص به ، وكنت أتربص فرصة فراغ أوفيهم فيها حقهم هذا . ولكن قد طال العهد والزمان لم يجد علي بهذه الفرصة . وذلك أن زمن الرحلة قد امتد في العودة فلم ابلغ القاهرة الا في النصف الثاني من شهر شوال، فالاعمال التي كانت متأخرة من مدة ستة أشهر ، وما يجب من الاهتمام والعمل لفتح مدرسة الدعوة والارشاد - وكان قد جاء موعد فتح المدارس - وما يجب من جمع الهيئة العامة لجماعة الدعوة والارشاد في النصف الاول من ذي القعدة ، وما عرانا من انحراف المزاج - ثم ماشغل البال والوقت من هذه الحرب المشؤمة - كل ذلك كان حائلا دون سنوح الفرصة المنتظرة

لهذا رأيت انه يجب علي في عرف الوفاء والادب ان أستعيض عن الشكر التفصيلي الخاص، بشكر إجمالي عام ، لأولئك الاصدقاء الكرام ، والعلماء الاعلام، والامراء الفخام ، وانني أرجو وقد وفقت للكتابة الى قليل منهم ، ان أوفق الى مكاتبة سائرهم أو أكثرهم ، وانني أخص بالذكر من أتذكر الآن اسماءهم

أولهم وأولاهم بالشكر من جالية العرب في بمبي ومن أهلها صديقي الحميم ، المحسن العظيم ، الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم،

فهو الذي قام بحسن ضيافتي ، في غدوتي وروحتي ، وأعد لي سيارة كهربائية خاصة مدة اقامتي في بمبي . ثم ابنا أخيه الشيخ عبد الرحمن ابراهيم ، والشيخ يعقوب إبراهيم ، والشيخ محمد المشاري رئيس شركة البواخر العربية وعبد الله فوزان ، وسائر الجالية العربية في بومباي الذين استقبلوني على رصيفها هم وبعض كرام أهلها كالحاج سليمان عبد الواحد شريف البلد والحاج اسماعيل صوباني رئيس (انجمن اسلام) الذي حياني على رصيف البحر بخطبة بليغة ، وميان محمد حاجي جان محمد شوتهاني كبير طائفة الميمن وأشهر تجارهم نجدة ومروءة ، والحاج عبدالله ميان الكهندواني من كبراء طائفة الميمن أيضا ، وهؤلاء قد أدبوا لنا مأدبة حافلة اجتمع لها مئات من الكبراء والفضلاء ثم أشكر فضل باي من أكابر سروات البلد جماعة آغاخان ، وكنت أتمنى لو كان زعيمهم محمد سلطان (امام الاسماعيلية) يومئذ في بمبي فاني كنت حريصا على لقائه ، وقد سررت من اهتمام فضل باي بأمر الجامعة الاسلامية لانها كانت جل حديثنا في تزاورنا

وممن أخصهم بالشكر والثناء السيد علي الحسن معاون البوليس في (آكره) الذي أحسن ضيافتي واطلاعي على الآثار العظيمة التي فيها ، ومحمد شعيب مفتش مصلحة الآثار في آكره ودهلي

وأما أهل دهلي فأجدرهم بثنائي وشكري النواب محمد أجمل خان حاذق الملك الطبيب الشهير كبير سروات دهلي وأحد أفراد المسلمين الممتازين في الهند بالعلم والفضل وعلو الجناب ، وقد أحسن حفظه الله ضيافتي وجمعني في داره بأكبر علماء البلد ووجهائه ، وخصص لي سيارة كهربائية تيسر لي بركوبها رؤية جميع الآثار القديمة في ضواحي تلك المدينة في مدة قصيرة . ولا أنسى أولئك العلماء الكرام الذين أنسنا بهم هناك وأخص بالذكر منهم (مولوي) الشيخ سيف الرحمن المدرس الاول والناظر لمدرسة (فتح بوري) الدينية وقد زرنا مدرسته وسمعنا وأسمعنا مافتح الله به فيها . وتكلمنا معه في اصلاح التعليم والعناية باللغة العربية فصادفنا منه ارتياحا لرأينا في ذلك ، ومولوي الشيخ عبد الله الغازيبوري ، ومولوي أحمدالله المبارك بوري ، وميرزا ضمير الدين أحمد اللوهاري . ولا أنسى مودة التاجر الصادق الحاج التقي عبد الغفار بن الحاج علي جان ، الذي كان يترك محل تجارته الكبير ويصاحبني في كل مكان . وقد صحبنا معه في رؤية آثار دهلي النواب ضمير الدين . وبالقرب من الاثر العظيم الذي هو اكبر آثار دهلي (منارة قطب أوليا) بلدة اسمها (مهرولي) عرجنا فيها على دار

الشيخ رياض الدين من كبراء أهلها وكان أعد لنا غداء طيبا نوع فيه ألوان الاطعمة الهندية ، وكان من مظاهر الكرم الاسلامي في تلك الديار

ولم أنس لاأنسى زيارة مدرسة (مظاهر العلوم) في مدينة (سهارنبور) ولقاء ناظرها واكبر مدرسيها (مولوي) الشيخ خليل أحمد الذي لم أرَ في علماء الهند الاعلام أشد منه انصافاً ولا أبعد عن التعصب للمشايخ والتقاليد، وما ذلك الا لاخلاصه وقوة دينه ونور بصيرته

وابدأ من شكر أهل (لاهور) الكرام بالثناء على الامير الجليل ، والسري النبيل ، النواب (فتح علي خان قزلباش) الذي أحسن ضيافتنا ، وأكرم وفادتنا ، ولا غرو فقصره في تلك المدينة القديمة معهد الكبراء والفضلاء ، وموئل السائحين والغرباء ، وأثني بالثناء على الصديقين الفاضلين ، والرصيفين الكريمين ، (مولوي محبوب عالم) صاحب جريدة (بيسه اخبار) و (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) وكان هذان الفاضلان يتسابقان لضيافتي ، ويرى كل منهما انه أولى بي : الاول لانه تكرم بزيارتي في مصر عند منصرفه من أوربة ، والثاني لما بيني وبينه من صلة المكاتبة وعنايته بنشر تفسير المنار ، ولكن النواب الجليل قال انه هو الاحق بذلك فلم يسعهما الا الاذعان ، لانه هو البدء الذي لا يختلف في تقديمه اثنان . ثم أثني الثناء الاوفى على الكاتب البليغ والخطيب المصقع (مولوي ظفر علي خان) صاحب جريدة (زميندار) الذي بالغ في الترحيب بي قبل وصولي الى الهند واقترح ان تعقد لجنة لوضع برنامج لحفاوة مسلمي الهند بي ، وكان يريد ان يحتفل بي احتفالا عاما يجتمع له الالوف من جميع طبقات الشعب فاعتذرت له عن ذلك ، بأني مضطر الى السفر الى ندوة العلماء لقرب موعد احتفالها العام ، ومما أذكره مع الشكر والثناء مواتاته لي في الصلح بينه وبين صديقي صاحب جريدة وطن الذي أشكر له مثل هذه المواتاة ، وكانت جرت بينهما مناظرة حادة أدت الى الجفوة وآلمت فضلاء المسلمين في جميع البلاد الهندية حتى رغب الي كثير من كبرائهم في السعي للصلح بينهما عند زيارة لاهور . ومما أشكره لصديقي (محبوب عالم) شكراً خاصاً تركه لنجله الكريم مريضاً يعالج وطوافه بي على مساجد البلد ومدارسها ومعاهدها الاثرية فيها وفي ضواحيها

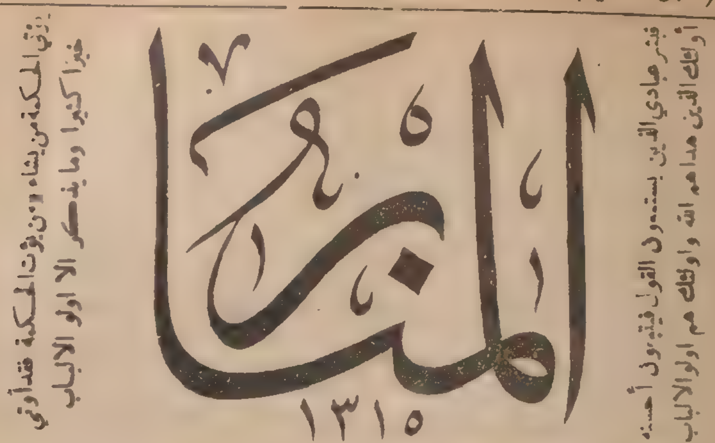
وأما أهل (لكهنؤ) فلا أستطيع ان أوفيهم حقهم من الشكر والثناء فقد استقبلني الألوف منهم بحفاوة قلما يستقبل بمثلها الملوك حتى خجلت واستحييت ، وكلما رجوتهم أن يختصروا في التكريم غلوا فيه وأفرطوا ، حتى انهم جروا المركبة التي ركبتها

بأيديهم . وأخص بالشكر والثناء رجال ندوة العلماء الكرام ، وفي مقدمهم رئيسهم صديق العلامة الهمام شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني ، والسيد ممتاز حسين رئيس لجنة المستقبلين فيها وهو الذي خصص داره الفيحاء لنزولي فيها ، وتأنق في اتقان الضيافة ماشاء فجمع بين مقتضى أصله العربي الصميم ، وفرعه الهندي الكريم ، واحتشام السلطنة أمين أموال الندوة ، وسائر علماء الندوة وغيرهم كالعلامة الكبير السيد ناصر حسين كبير علماء الشيعة . ثم عظماء البلد الذين أدبوا لنا المآدب الحافلة : (مشير حسين القدوائي) الذي كان كاتب السر لجمعية الجامعة الاسلامية في لندن وأخوه (شاهد حسين) و(السيد محمد علي حسن خان) ابن أمير العلماء وعلامة الامراء المرحوم السيد صديق حسن خان نواب بهوپال صاحب التصانيف الشهيرة -- والامير الكبير النواب (محمد علي راجا ولاية محمود آباد) وهو من أعظم أمراء الهند وسرواتهم من طائفة الشيعة الامامية ، وأركان النهضة الاسلامية ، فانه يبذل المال لمدرسة العلوم الكلية في عليكده بألوف الجنيهات ، كما يبذل للمدارس الخاصة بأهل السنة كمدرسة ندوة العلماء ، فنسأل الله ان يكثر في المسلمين من أمثاله ، وكانت خاتمة الدعوات الحافلة في لكهنؤ دعوة الطبيب الشهير الحكيم (محمد عبد الولي) حياه الله تعالى

وقد سرت من لكهنؤ الى (بنارس) مدينة البراهمة المقدسة ومقر أقدم أصنام في الارض فلم أعرف من مسلميها الا مضيفنا الكريم (محمد ممنون حسن خان) المعاون المسلم للحاكم الانكليزي فيها وهو افغاني الاصل فقد تفضل أحسن الله جزاءه مع حسن الضيافة بمساعدتنا على رؤية الآثار القديمة الوثنية الثابتة من ألوف السنين والمكتشفة حديثا في ضواحيها ، صرفنا كل وقتنا هنالك في رؤية الآثار والعاديات فلم نتعرف لأحد على أن أكثر مسلمي بنارس من الصناع والزراع وقلما يوجد فيها أحد من أهل العلوم والآداب فيما نعلم للشكر بقية

﴿ أبو سعيد العربي الهندي ﴾

كان هذا الرجل في (درنه) يتردد على أنور بك وحاشيته مثل الشيخ صالح التونسي وجاء مصر فاتصل بأخلاط الحزب الوطني فلحقه الفريقان بالطعن في صاحب المنار فكتب في بعض الجرائد الهندية ينكر عليها اطراءه وتسميته مصلحا وبلغني انه ادعى في بعضها انه يتكلم في شأني عن معرفته بي وهو لا يعرفني وانا رآني مرتين احداها في لجنة الهلال الاحمر وثانيهما في الطريق دعوته فيها الى ادارة المنار للتعارف والمذاكرة فاعتذر . فاذا كان قد كتب ما كتب بسوء الفهم وهو مخلص فسنظهر له عاقبة المنافقين الذين كذبوه وخدعوه (والله يعفو عنه) وان كان مثلهم فجزاؤه على الله تعالى والعاقبة للمتقين



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

«مصر ٢٩ صفر ١٣٣١ هـ ق ١٨ الشتاء الثاني ١٢٩١ هـ ش ٦ فبراير ١٩١٣ م»

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٥٨) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا (١٥٩) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ النَّاسِ بِالْبَٰطِلِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦٠) لَٰكِنِ الرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ - وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ - وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

بين الله لنا في الآيات السابقة ما كان من اليهود من نقض العهد والكفر وقتل

الانبياء ... ثم بين في هذه الآيات جزاءهم على ما دون ذلك من سيئاتهم فقال

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ أي فاذا كان هؤلاء اليهود قد استحقوا بظلم مما ظلموا به أنفسهم ان نحرم عليهم طيبات كانت أحلت لهم ولمن قبلهم، فحرمناها عليهم عقوبة وتربية لهم، لعلهم يرجعون عن ظلمهم، فكيف لا يستحقون اكبر الخزي والنكال في الدنيا والآخرة بنقضهم ميثاق ربهم وقتلهم لانبيائه ورسله، وكفرهم بالمسيح وبهتهم لأمه، وتبجحهم بدعوى قتله وصلبه؟ فتعليل تحريم الطيبات عليهم بظلم مبهم منهم، وبما ذكر بعده من المعاصي عطفا عليه زائدا عنه أو بيانا له - يدل على العقاب العظيم والخزي الكبير الذي يستحقونه على نقض الميثاق الاكبر وما عطف عليه من الكفر والموبقات، وهو المتعلق المحذوف لقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم » الخ فهو قد حذف ذلك المتعلق، ثم ذكر عقابهم في الدنيا على ما دون ذلك وهو تحريم بعض الطيبات عليهم، فعلم منه ان ذلك المتعلق المحذوف يشمل كل ما أصابهم في الدنيا من الخزي والنكال وفقد الاستقلال، وختم الآيات بذكر عذابهم في الآخرة. اما الطيبات التي حرمها الله عليهم فهي مبينة بقوله عز وجل (٦:١٤٧ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية - وسيأتي تفسيرها في سورة الانعام ان شاء الله تعالى. هكذا ذهب بعض المفسرين. وتوقف بعضهم فلم يجزم بتعيين ما حرم عليهم، ولم يعرّف ما نكره الكتاب. وفي الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين (الاحبار) تفصيل ما حرم عليهم في التوراة من حيوانات البر والبحر وهي كثيرة جدا. وكانت قد أحلت لهم بقاعدة كون الاصل في الاشياء الحل وبإحلالها لسلفهم كما ورد في قوله تعالى (٣ : ٩٣ كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) فليراجع تفسير هذه الآية في أول جزء التفسير الرابع. وتقديم « فبظلم » على «حرمنا» يفيد الحصر أي حرم عليهم ذلك بسبب الظلم لا بسبب آخر. وقد أبهم ماحرم عليهم هنا لان الغرض من السياق العبرة بكونه عقوبة لابيانه في نفسه، كما أبهم الظلم الذي كان سببا له، ليعلم القارئ والسامع ان أي نوع من الظلم يكون سببا للعقاب في الدنيا قبل الآخرة، هذا اذا

لم يكن ماعطف عليه بيانا له . والعقاب قسمان : دنيوي وأخروي ، والاول قسمان أيضا وضعي : كالتكاليف الشرعية الشاقة في زمن التشريع ، والجزاء الوارد فيها على الظلم من حد أو تعزير ، وطبعي وهو ماقتضته سنن الله تعالى في نظام الاجتماع من كون الظلم سببا لضعف الامم وفساد عمرانها ، واستيلاء أمة أخرى على ملكها .

واما قوله تعالى ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ﴾ فهو عطف على قوله « فبظلم » وقد اشرنا آنفا الى احتمال انه هو وما عطف عليه مبين له أي للظلم ، وهو حينئذ لاينافي الحصر ، لان العطف على المعمول المتقدم على عامله ينافي الحصر اذا كان المعطوف مغايرا له ، واما اذا كان مبينا له فهو عينه . ويجوز أن يكون عطف مغايرة وان يكون تقديم ذكر الظلم للاهتمام ببيان قبح قليله وكثيره واقتضائه العقاب لا للحصر . وقيل ان بصدهم متعلق بمحذوف . أي وبسبب صدهم عن سبيل الله الخ شددنا عليهم في أحكام وتكاليف أخرى كالبقرة التي أمروا بذبحها في حادثة القتيل التي تقدمت في الجزء الاول . وعلى الاول يكون من البيان والتفصيل بعد الإبهام والاجمال ، وهو أوقع في النفس ، وأبلغ في العبرة والموعظة .

والصدود والصد يستعمل لازما ومتعديا ومعناه المنع . أي صدودهم أنفسهم عن سبيل الله مرارا كثيرة بما كانوا يعصون موسى عليه السلام ويعاندونه، أو صدهم الناس عن سبيل الله بسوء القدوة أو بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف . وقال بعض المفسرين إن المراد صدهم الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فاوقعوا أنفسهم بهذا التفسير في الإشكال وحار بعضهم في الخروج منه ، ونسوا أنهم كانوا في غنى عن الدخول فيه ، حتى عد بعضهم الآية من أكبر المشكلات ، لان تحريم تلك الطيبات على بني اسرائيل كان قبل بعثة النبي (ص) فكيف يكون الصد عن الايمان به سببا لها والسبب يجب ان يكون قبل المسبب ؟ ويتفصى بعضهم من الاشكال بجعل هذا الصد متعلقا بفعل محذوف كما تقدم . وتساءل بعضهم : من حرم ذلك عليهم ومتى كان ؟ وبمثل هذه الافهام الضعيفة وتقليد بعضهم لبعض يولدون لنا شبها على القرآن وأصل الدين ، ينقلها الكافرون به ويطعنون بها في بلاغته وبيانه ، والصواب ماجرينا عليه أولا وان صدهم عن سبيل هو إعراضهم عن

هداية دينهم غواية وإغواء . على ألسنة نبيائهم وذلك مفصل في كتبهم الدينية .

﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴾ ولكن التوراة التي بين أيديهم انما تصرح بتحريم أخذهم الربا من شعبهم ، ومن اخوتهم دون الاجانب أموال غيرهم ، ففي سفر الخروج (٢٢ : ٢٥ ان أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي ، لاتضعوا عليه ربا) وفي سفر اللاويين (الاحبار) (٢٥ : ٣٥ واذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا فيعيش معك ٣٦ لاتأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش الهك فيعيش أخوك معك ٣٧ فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لاتعطه بالمرابحة) وفي سفر تثنية الاشتراع (٢٣ : ١٩ لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا شيء مما يقرض بربا ٢٠ للاجنبي تقرض بربا ، ولكن لاخيك لا تقرض بربا)

ونحن لا نسلم ان هذا هو نص التوراة التي كتبها موسى عليه السلام لان نسخة موسى فقدت باجماع اليهود والنصارى ، وهذه التي عندهم قد كتبت بعد السبي وثبت تحريفها بالشواهد الكثيرة . والظاهر ان عبارة « للاجنبي تقرض بربا » قد أخذها الذي كتب التوراة — عزرا أو غيره — من مفهوم الاخ لانه كتب ماحفظ منها بالمعنى. وهذا من مفهوم المخالفة الذي لا يحتج به جمهور علماء الاصول اذا كان مفهوم لقب. على ان بعض أنبيائهم قد أطلقوا ذم الربا والنهي عنه إطلاقا فلم يقيدوه بشعب اسرائيل ولا بأخوتهم كقول داود عليه السلام في المزمور الخامس عشر (وهو الرابع عشر في نسخة الجزويت) « فضته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ الرشوة من البريء » وكقول سليمان عليه السلام في سفر الامثال (٢٨ : ٨ المكثر ماله بالربا والمرابحة فلمن يرحم الفقراء يجمعه) وقول حزقيال مما أوحاه اليه الرب في صفات البار (١٨ : ٧ بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوبا ٨ ولم يعط بالربا ولم يأخذ مرابحة) وشريعة هؤلاء الانبياء هي التوراة فلا بد ان يكونوا أخذوا إطلاق تحريم الربا منها .

﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ كالرشوة والخيانة وغير ذلك (١) فان من

(١) راجع تفسير (ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك) في الجزء الثالث من التفسير

أخذ من مال آخر شيئا بغير مقابل ، فقد أكله بالباطل ، وانما يعتد بالمقابل اذا كنت تملكه ، ولا يجب عليك بذله بغير عوض (١)

ثم بين تعالى جزاءهم في الآخرة على هذه الذنوب بعد بيان بعض جزائها في الدنيا فقال ﴿ وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ وهو عذاب النار المؤلم الدائم فهو مما اعتده الله وهيأه للذين كفروا منهم بأي رسول من رسله ولا سيما عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

لما أطلق القول في هذا السياق ببيان سوء حال اليهود وكفرهم وعصيانهم ، وكان ذلك يوهم ان ماذكر عنهم عام مستغرق لجميع أفرادهم ، جاء الاستدراك عقبه في بيان حال خيارهم ، الذين لم يذهب عمى التقليد ببصيرتهم ، وهو ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم ﴾ أي لكن أهل العلم الصحيح بالدين من اليهود ، الآخذون فيه بالدليل دون التقليد ، الراسخون أي الثابتون فيه ثبات الاطواد ، بحيث لا يشترون به ثمنا قليلا من المال والجاه ﴿ والمؤمنون ﴾ من عامتهم أو من أمتك أيها الرسول ايمان إذعان يبعث على العمل ، لا ايمان دعوى وعصبية وجدل ، كما هو المعروف عن المقلدة في كل الملل ، كل منهم ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك ﴾ أيها الرسول من البينات والهدى في القرآن ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ على موسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم السلام ، لا يفرقون بين الله ورسله بالهوى والعصبية . روى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة انه قال في هذه الجملة استثنى الله منهم فكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم وما أنزل على نبي الله يؤمنون به ويصدقون به ، ويعلمون انه الحق من ربهم . وروى ابن اسحق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس انه قال في الآية : نزلت في عبد الله بن سلام وأسيد بن سعية وثعلبة بن سعية حين فارقوا يهود وأسلموا .

وما جرينا عليه من جعل ما تقدم جملة تامة ظاهر يسيغه الفهم بغير غصة ، ولا يعترض الذهن فيه شبهة ولا كبوة ، واختار بعضهم ان جملة « يؤمنون » الخ

(١) راجع تفسير (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) في الجزء الثاني من التفسير

حالية أو معترضة لاخبرية وان الخبر هو جملة « أولئك سنؤتيهم » في آخر الآية.
وقد راجعت تفسير الرازي بعد كتابة ما تقدم فاذا هو يجزم بأن « الراسخون » مبتدا خبره يؤمنون ، واذا هو يفسر الراسخين بالمستدلين وعلل ذلك بأن المقلد يكون بحيث اذا شكك يشك ، وأما المستدل فانه لا يتشكك ألبتة ، وأورد في قوله « والمؤمنون » وجهين أحدهما أنهم المؤمنون منهم والثاني انهم المؤمنون من المهاجرين والانصار ، وهذا أظهر والاقل « لكن الراسخون في العلم والمؤمنون منهم » الخ والمعنى ان الراسخين في العلم منهم هم ومؤمنو المهاجرين والانصار سواء في كونهم يؤمنون بما أنزل الى محمد (ص) وما أنزل الى من قبله من الرسل (ص) لا يفرقون بينهم

وأما قوله تعالى ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ فهو جملة مستقلة ، و « المقيمين » فيه منصوب على الاختصاص أو المدح على ما قاله النحاة البصريون سيبويه وغيره والتقدير أعني او وأخص المقيمين الصلاة منهم الذين يؤدونها على وجه الكمال ، فانهم أجدر المؤمنين بالرسوخ في الايمان . والنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ الا لنكتة ، والنكتة هنا ما ذكرنا آنفا من مزية الصلاة وكون اقامتها آية كمال الايمان . على ان تغيير الاعراب في كلمة بين أمثالها ينبه الذهن الى التأمل فيها ، ويهدي التفكر لاستخراج مزيتها ، وهو من أركان البلاغة ، ونظيره في النطق ان يغير المتكلم جرس صوته وكيفية آدائه للكلمة التي يريد تنبيه المخاطب لها ، كرفع الصوت او خفضه او مده بها . وقد عد مثل هذا بعض الجاهلين او المتجاهلين من الغلط في اصح الكلام وابلغه. وقيل ان المقيمين معطوف على المجرور قبله. والمعنى يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على الرسل ، و بالمقيمين الصلاة ، وهم الانبياء أنفسهم فان الله تعالى قال في الانبياء (وأوحينا اليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة) أي إقامتها ، أو الملائكة فانه تعالى حكى عنهم قولهم « وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون» و وصفهم بقوله « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » والايمان بهم من أركان الايمان كالايمان بالرسل .

وما ذكرناه أولا أبلغ عبارة ، وان عده الجاهل أو المتجاهل غلطا أو لحنا ، وروي ان الكلمة في مصحف عبدالله بن مسعود مرفوعة (والمقيمون الصلاة) فان

صح ذلك عنه وعن قرأها مرفوعة كمالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي كانت قراءة والا فهي كالعدم . وروي عن عثمان انه قال ان في كتابة المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها ، وقد ضعف السخاوي هذه الرواية وفي سندها اضطراب وانقطاع فالصواب انها موضوعة ، ولو صحت لما صح ان يعد ماهنا من ذلك اللحن لانه فصيح بليغ . واني بعد كتابة ماتقدم راجعت الكشاف فاذا هو يقول : نصب على المدح لبيان فضل الصلاة ، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد . ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب (أي كتاب سيبويه) ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم من النصب على الاختصاص من الافتنان ، وغبي عليه ان السابقين الاولين ... كانوا أبعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم ، وخرقا يرفوه من يلحق بهم ، اه

﴿ والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ يجوز ان يكون هذا عطفا على « الراسخون » وعلى ضمير « يؤمنون بما أنزل اليك » وان يكون مبتدأ خبره محذوف .أي والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك . أو كذلك ، أي مثل اولئك المؤمنين او مثل المقيمين الصلاة في استحقاق المدح بالتبع ، واقامة الصلاة تستلزم إيتاء الزكاة دون العكس ، فان الذي يقيم الصلاة لا يمكن أن يمنع الزكاة لان الصلاة تعلي همته وتزكي نفسه فيهون عليه ماله ، وقد قال تعالى (٧٠ : ١٨ ان الإنسان خلق هلوعا ١٩ اذا مسه الشر جزوعا ٢٠ واذا مسه الخير منوعا ٢١ الا المصلين) الخ .

وقد يرد ههنا سؤال وهو ان من سنة القرآن ان يذكر الايمان بالله قبل العمل الصالح سواء ذكر غفلا الايمان مطلقا أو ذكرت أركانه كلها أو بعضها كقوله تعالى (١٨: ١٠٨ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) ومثلها كثير وكقوله (٢ : ٦١ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) والجواب ان القاعدة الاساسية في التقديم والتأخير هي ان يقدم الاهم الذي يقتضيه السياق لا الاهم في ذاته.

ولذلك قال تعالى في سياق تخطئة المفاخرين بدينهم بالاماني (٤ : ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) بعد ما قال في الآية التي قبلها (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به) فالسياق لبيان ان العبرة بالعمل بالدين لا بالانتماء اليه والى الرسول الذي جاء به والفخر بذلك ، فقدم ذكر العمل على الايمان . والسياق الذي نحن فيه هو بيان أحوال أهل الكتاب في عصر نبينا (ص) فكان المهم أولا بيان إيمان خيارهم بما انزل اليه كايمانهم بما انزل الى أنبيائهم من قبله ، ثم كون هذا الايمان إذعانيا يترتب عليه العمل ، واكتفى منه بأعلى أنواع العبادات البدنية والمالية . ثم ختم الكلام ، بوصفهم بأول صفات الكمال ، أي بالايمان بالله واليوم الآخر ، ويجوز ان يراد بالمؤمنين هنا المهاجرون والانصار وبالمؤمنين في اول الآية المؤمنون من اهل الكتاب .

﴿ اولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾ أي اولئك الموصوفون بما ذكر كله سنعطيهم في الآخرة أجرا عظيما لا يدرك كنهه في الدنيا أحد منهم

(١٦١ (*)) إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمٰنَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٢) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنٰهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٣) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٤) لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا

(*) نقص من المصحف الذي على هامشه البيضاوي عدد ١٦٠ فجعل ١٦١ ولأجله وافق فلوجل

لا يزال الكلام في أهل الكتاب عامة ، وكان أول هذا السياق أنهم يفرقون بين الله ورسله فيدعون الايمان ببعضهم ويصرحون بالكفر ببعض ، وان هذا عين الكفر ، وإيمان يتبع فيه الهوى ليس من معرفة الله ومعنى رسالته في شيء ، ثم ذكر بعده شيء من عناد اليهود خاصة وإعناتهم وسؤالهم النبي (ص) ان ينزل عليهم كتابا من السماء ، وبين له تعالى أنهم شاغبوا موسى (ص) من قبله وسألوه ما هو اكبر من ذلك ، وكفروا بعيسى وبهتوا امه ، وحاولوا قتله وصلبه ، فليس كفرهم وعنادهم ناشئا عن عدم وضوح الدليل ، بل عن عناد أصيل وهوى دخيل ، كأنه يقول له انه لولا ذلك لبادروا الى الايمان بك أيها الرسول ، ولما شاغبوك بهذا القال والقيل ، لان أمر نبوتك ورسالتك ، أوضح دليلا وأقوم قيلا مما يدعون الايمان بمثله ممن قبلك . ولهذا ناسب الى يختم الكلام في محاجة اليهود ويمهد للكلام في محاجة النصارى ببيان ان الوحي جنس واحد ، وانه لو كان إيمانهم بمن يدعون الايمان بهم من الرسل السابقين صحيحا مبنيا على الفهم والبصيرة لما كفروا بمحمد (ص) فقال عز وجل

﴿ إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾ أي إنا بما لنا من العظمة والارادة المطلقة اللائقة بمقام الالوهية ، والرحمة الواسعة التي هي شأن الربوبية ، قد أوحينا اليك يا محمد هذا القرآن ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده الذين يدعي الايمان بهم هؤلاء الناس ، ولم ننزل على أحد من أممهم ولا منهم كتابا من السماء ، كما سألوك للتعجيز والعناد ، لان الوحي ضرب من الإعلام السريع الخفي ، وما هو بالامر المشاهد الحسي ، بل هو أمر روحي ، يعدّ الله له النبي ، (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا)

الوحي في اللغة يطلق على الاشارة والايماء ، ومنه قوله تعالى (١٠:٣ فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وعلى الالهام الذي يقع في النفس وهو أخفى من الايماء ومنه قوله عز وجل (٢٧ : ٧ وأوحينا الى أم موسى) ويظهر ان هذا بعناية خاصة من الله تعالى ، ومنه ما يكون غريزيا دائما ومنه قوله تعالى (١٦ : ٦٨ وأوحى

ربك الى النحل) وعلى الاعلام في الخفاء وهو أن نعلم انسانا بأمر تخفيه عن غيره ، ومنه قوله تعالى (٦: ١١٣ شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض) وأطلق على الكتابة والرسالة لما يكون فيها من التخصيص . ووحي الله الى أنبيائه هو ما يلقيه اليهم من العلم الضروري الذي يخفيه عن غيرهم بعد ان يكون أعد أرواحهم لتلقيه بواسطة كالملك أو بغير واسطة . وعرفه الاستاذ الامام في رسالة التوحيد بأنه « عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قِبَل الله ، بواسطة أو بغير واسطة . وَالاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت . ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى . وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور » ثم بين وجه امكانه ووقوعه في فصلين لم ينسج أحد على منوالهما

بدأ الله تعالى بذكر نوح لانه أقدم نبي مرسل ذكر في كتب القوم (وقصة بعثته في سفر التكوين وهو السفر الاول من الاسفار الخمسة التي يسمونها التوراة) وانما تنهض الحجة على الناس اذا كانت مقدماتها معروفة عندهم .

ثم خص بعض النبيين الذين جاؤا من بعد نوح بالذكر لشهرتهم وعلو مقامهم عند أهل الكتاب فقال ﴿ وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ﴾ أي وكما أوحينا الى ابراهيم ومن بعده . فأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، فمجمع على فضله ونبوته عند أهل الكتاب كلهم وعند العرب أيضا ، وكل أولئك الانبياء الذين ذكروا بعده من ذريته . ويعقوب هو ابن اسحاق بن ابراهيم واشتهر بلقب (اسرائيل) فسائر أنبياء أهل الكتاب من ذريته ، ويسمون أنبياء بني اسرائيل ، وأما محمد خاتم النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، فهو من نسل أخيه الاكبر اسماعيل الذبيح عليه الصلاة والسلام

وأما الاسباط فجمع سبط وهو يطلق على ولد الولد . وأسباط بني اسرائيل اثنا عشر سبطا ، فكل نسل ولد من أولاد يعقوب العشرة وولدي ابنه يوسف وهما (افرايم ومنسّى) يسمى سبطا ولذلك قيل إن الاسباط في بني اسرائيل

كالقبائل في ولد اسماعيل . وأما أبناء يعقوب العشرة آباء الاسباط الاخرى فهم (١) رؤبين (بالهمزة ويخفف فيقال روبين وتصرف فيه بعض العرب فقالوا روبيل) (٢) شمعون (٣) يهوذا (٤) يسّاكر (٥) زبولون (٦) بنيامين (٧) دان (٨) نفتالي (٩) جاد (١٠) أشير . فسلالة هؤلاء مع سلالة ابني يوسف هم اثنا عشر سبطا . وأما سلالة (لاوى) الابن الثالث ليعقوب فلم تجعل سبطا مستقلا بل نيط بهم خدمة دينيه خاصة ولهم أحكام خاصة بهم . والمراد بالوحي الى الاسباط الوحي الى الانبياء الذين بعثوا فيهم ، وخص منهم بالذكر اشهر المرسلين لان لهم كتبا يهتدى بها . وما كل نبي يوحى اليه يكون مرسلا وله كتاب

والمشهور عند المفسرين ان الاسباط هم أولاد يعقوب ولذلك استشكلوا الوحي اليهم وكونهم من النبيين مع ما بينه الله تعالى من كيدهم لاخيهم يوسف وكذبهم على أبيهم وغير ذلك مما لا يليق بالنبيين ، وأجاب بعضهم بأن ذلك كان منهم قبل النبوة ، ولا يرضي هذا من يقول ان الانبياء معصومون من الكبائر قبل النبوة وبعدها . وهم يقولون بعموم هذه العصمة وان كان الدليل الذي يحتجون به خاصا بالرسل منهم ، وقد علمت ان اطلاق لفظ الاسباط على أبناء اسرائيل من صلبه خاصة غلط ، وان المتفق عليه عند أهل الكتاب عامة هو ما ذكرناه ، وما حاجهم الله تعالى الا بما هو معروف عندهم ، فلا آية لا تدل على نبوة إخوة يوسف من أولاد يعقوب

﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ أي وكما أعطينا داود كتابا خاصا مزبورا أي مكتوبا فالزبور بمعنى المزبور كالركوب بمعنى المركوب ، وقرأه حمزة وخلف بضم الزاي وهو جمع وزن مفرده ووزنه (كعرق وعروق) أو (فلس وفلوس) وقيل جمع زبور بالفتح وقيل مصدر . وهو على كل حال بمعنى كتاب ومكتوب . وقد ذكر بهذا اللفظ ولم يعطف على ماقبله فيفيد مطلق الوحي ، لان الزبور داود شأنا خاصا في كتب الوحي وعند أهل الكتاب ، وهو مع هذه الفائدة موافق لنسق الفواصل فائتلاف به اللفظ مع المعنى ، فصاحة وبلاغة وحسنا ،

﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ أي وأرسلنا غير هؤلاء رسلا آخرين قد قصصناهم عليك من قبل تنزيل هذه السورة أوحينا اليهم كما أوحينا

الى هؤلاء ، وهم المسرودة أسماؤهم أو المبينة قصصهم في السور المكية ، وأجمع الآيات لأسماء الانبياء قوله تعالى في سورة الانعام في سياق الكلام عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (٦ : ٨٤ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ٨٥ وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين ٨٦ واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) وأجمع السور لقصصهم هود وطسم الشعراء . ومنهم هود وصالح وشعيب وهم من العرب

﴿ ورسلا لم نقصصهم عليك ﴾ أي كالمرسلين الى الامم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كامم الشرق الصين واليابان والهند وأمم بلاد الشمال (أوربة) وأمم القسم الآخر من الارض (أمريكة) وانما لم يقص الله تعالى عليه خبر الرسل الذين أرسلهم الى أولئك الاقوام لان حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم له (ص) لاتتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب . وهذه الحكم والفوائد هي المشار اليها في مثل قوله تعالى (١٢ : ١١١ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) وقوله (١١ : ١٢٠ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وقوله (٢٨ : ٤٤ وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ٤٥ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين ٤٦ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) . فالعبرة والتثبيت والذكرى والاحتجاج على نبوته (ص) كل ذلك يظهر في قصص من ذكرهم من الرسل دون من لم يذكرهم . وحسبنا العلم أن الله تعالى أرسل الرسل في كل الامم فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة في شعب معين احتكرها لنفسه كما كان يزعم أهل الكتاب ، غير مبالين بكونه لا يليق بحكمة الله ولا ينطبق على سعة رحمته . قال تعالى (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (٣٥ : ٢٣

انا ارسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ، وان من أمة الا خلا فيها نذير) وهذه حقيقة من حقائق العلم الالهي والدين السماوي لم يكن يعلمها أهل الكتاب الذين يزعم مشاغبوهم ان القرآن مقتبس من كتبهم ، وكم فيه من هذه الحقائق ولكن طبع على قلوبهم فهم لا يعقلون ولا نخوض في إحصاء الانبياء والرسل فانه لا يعلم الا بوحي من الله تعالى ولم يبين الله ذلك في كتابه ولا رسوله فيما صح من الخبر عنه

﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ خاصا ممتازًا عن غيره من ضروب الوحي العامة لاولئك النبيين ، ولولا ذلك لم يختلف التعبير ، كما علمت من ايتاء داود الزبور ، وان صح ان يسمى الوحي المبهم تكليما ، والتكليم لهم وحيا ، كما يفهم من قوله تعالى (٤٢ : ٥١ وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) والظاهر ان تكليم موسى كان من النوع الثاني وهو التكليم من وراء حجاب . وقد سماه وحيا في قوله تعالى (٢٠ : ١٠ وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) الخ . اما حقيقة ذلك الوحي والتكليم فليس لنا ان نخوض فيه لاننا لم نكن من أهله ، على اننا لا نعرف حقيقة كلام بعضنا مع بعض بواسطة الاصوات التي تجعل كل ذرة من الهواء متكيفة به ، وهي أعم الوسائط وأظهرها . وأما الحجاب فحكمته حصر القوة الروحية والاستعداد بالتوجه الى شيء واحد تتحد فيه همومها وأهواؤها المتفرقة كما كان شأن موسى اذا رأى النار في الشجرة . وأما الرسول الذي يرسله الله فيوحي الى النبي باذنه ما يشاء فهو ملك الوحي المعبر عنه بالروح الامين

واستدل بعضهم بتأكيد الفعل على كون تكليم الله لموسى لم يكن بواسطة الملك ، يعنون انه لو قال هنا كما قال في سورة البقرة (٢ : ٢٥٣ منهم من كلم الله) ولم يزد عليه كلمة (تكليما) المؤكدة لجاز أن يكون التكليم مجازيا ، فان الفراء قال : ان العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما بأي طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر ، فاذا أكد لم يكن الا حقيقة الكلام . وقال بعضهم إن هذا التأكيد لا يمنع أن يكون التكليم نفسه مجازيا لأنه يمنع المجاز في الفعل لا في الاسناد ، بل يجوز أن يسند الكلام المؤكد بمثله الى المبلغ عن المتكلم كما يبلغ عن الملك حاجبه أو

وزيره وعن المرأة المحجبة زوجها أو ولدها ، أقول ومنه اسناد الكلام الى الترجمان اذ المقصد من التكليم توجيه الخطاب الى المخاطب ولو بواسطة الترجمان أو غيره ، والمقصد من الكلام معناه ، الا أن يكون رسالة مقصودة لذاتها . ولكن نقل عنهم تأكيد الفعل المستعمل في حقيقته دون مجازه كقول هند بنت النعمان في زوجها روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان :

بكى الخز من روح وأنكر جلده   وعجت عجيجا من جذام المطارف

فأكدت « عجت » مع العلم بأنه مجاز لان المطارف (جمع مطرف بالكسر والضم وهو رداء من خز له أعلام) لا تعج (والعجيج الصياح)

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ﴾ أي أرسلنا اولئك الرسل الذين منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، رسلا مبشرين من آمن وعمل صالحا بالاجر العظيم ، ومنذرين من كفر وأجرم بالعذاب الاليم ، ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ بأن يدعوا أنهم ماكفروا وأجرموا الا لجهلهم ما يجب عليهم بهدايتهم من الايمان والعمل الصالح قال تعالى (٢٠: ١٣٤ ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) وقال عز وجل (٢٨ : ٤٧ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين) ثم قال في هذه السورة ٢٨ (٥٩ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا . وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقال سبحانه (١٧ : ١٥ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تبارك اسمه (٦ : ١٥٥ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ١٥٦ أن تقولوا إنما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين ١٥٧ أو تقولوا لو أنا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة)

المتبادر من الشواهد الاولى أنها في عذاب الدنيا سواء كان بالاستئصال او فقد الاستقلال ، وهو المشار اليه بالهلاك ، أو بما دون ذلك وهو المشار اليه بالمصيبة ، وأما الشاهد الاخير فيظهر انه أعم ، وقد جاء بعده الوعيد بسوء العذاب والتهديد

بقوله (١٥٧ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وفيه تهديد بعذاب الدنيا أو بالموت وقيام الساعة العامة أو الخاصة، ويعقب ذلك عذاب الآخرة .

وأما الآية التي نحن بصدد تفسيرها فهي مطابقة والمتبادر منها ان من حكمة إرسال الرسل قطع حجة الناس واعتذارهم بالجهل عند ما يحاسبهم الله تعالى في الآخرة ويقضي بعذابهم ، ومفهومه ومفهوم سائر الآيات انه لولا إرسال الرسل لكان للناس ان يحتجوا في الآخرة على عذابها وعلى عذاب الدنيا الذي كان أصابهم بظلمهم . واستدل بها كثير من العلماء على امتناع مؤاخذة الله الناس وتعذيبهم على ترك الهداية التي لا تعرف الا من الرسل عليهم السلام . ويستدلون بآية الاسراء على نجاة أهل الفترة ، وكل من لم تبلغه الدعوة . ولما كانوا شيعا تتعصب كل شيعة منهم لمذهب ينسب الى عميد منهم قدسوه باشهاره والانتساب اليه صارت كل شيعة تلتمس من الآيات مايؤيد مذهبها وتأول ماينقضه . وعلى هذا الاساس أوّل بعضهم آية الاسراء بأن المراد بالرسول فيها العقل ، ويرد هذا التأويل سائر الآيات التي بمعناها كالآية التي نفسرها ، فلا يجد أبرع المأولين والمحرفين، منفذا لمثل هذا القول في الرسل المبشرين المنذرين، الذين ذكروا في سياق إثبات الوحي الذين قص الله على نبيه بعضهم وذكرهم بأسمائهم وبين أحوالهم ، وكذلك آية القصص « حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا » لا يقول عاقل ان الرسول هنا هو العقل ولكن قد يقوله الذي جنّ في مذهبه جنونا مطبقا، وما المجانين في ذلك بقليل ، وكيف والتقليد مبني على عدم استعمال العقل في فهم الدين، والاكتفاء فيه بما يعزى الى المذهب بحجة ان المقلدين تعجز عقولهم عن ادراك الادلة العقلية والنقلية وانما يفهمون كلام علمائهم دون كلام الله وكلام رسوله

اختلف العلماء الذين اتبع الناس مذاهبهم في التكليف هل يتوقف كله على إرسال الرسل، أم يمكن أن يعرف كله أو بعضه بالعقل ، فقالت طائفة لا يجب على أحد إيمان ولا عمل صالح، ولا يحرم على أحد كفر ولا جرم ولا يستحق أحد ثوابا

ولا عقابا على شيء ، لا من بلغته دعوة رسول قامت بها عليه الحجة فانه يكلف العمل بما جاء به فحسب ، ولا يجازى الا على ذلك . وذهبت طائفة الى أن التكليف بعد بعثة الرسل لا يتعدى ما جاؤا به لمن بلغته ، وأما من لم تبلغه دعوة فانه يمكن ان يدرك بعقله حسن الاشياء والاعمال وقبحها و يجب عليه ان يعمل الحسن و يترك القبيح ، والله تعالى يؤاخذه بحسب ما يدركه من ذلك بالعقل ، كما يؤاخذه بحسب ما يدركه من ذلك بالشرع

والمتبادر من الآية التي نحن بصدد تفسيرها أن عدم إرسال الرسل يمكن ان يكون حجة للناس يوم القيامة اذا أراد الله ان يؤاخذهم و يعذبهم على ترك الهدى الذي يرسلهم الله لدعوة الناس اليه. والمتبادر من آية سورة الاسراء انه ليس من شأن الله تعالى ولا من سنته ان يعذب الامم التعذيب السماوي العام الذي عبر عنه بقوله (٢٩ : ٤٠ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الا اذا أرسل اليهم رسولا فكذبوه ، وسنته في هذا النوع من التعذيب مبينة في مواضع من الكتاب العزيز ، فهو لا يأخذ به كل قوم كذبوا رسولهم ، بل من أنذرهم العذاب فتماروا بالنذر ، وتمادوا في عناد الرسل

ومن أخذ القرآن بجملته وفقه أحكامه وحكمه يعلم أن الدين وضع إلهي لا يستقل العقل البشري بالوصول اليه بنفسه بل يعرف بالوحي ، وأنه مع هذا موافق لسنن الفطرة في تزكية النفس ، واعدادها للحياة الابدية في عالم القدس ، فهو من حيث هو وضع إلهي ، يترتب على العمل به والترك جزاء وضعي يحدده الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا الجزاء خاص بمن بلغته دعوته على وجهها . ومن حيث انه موافق لسنن الفطرة يترتب على الاهتداء به تزكية النفس وعلى الاعراض عنه تدسيتها ، وتأثير العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة والآداب العالية التي يهدي اليها تأثير فطري ذاتي ، فكل من اهتدى بها زكت نفسه بقدر اهتدائه بها وان لم يعلم ان رسولا جاء بها . وكذلك تأثير العقائد الباطلة والاعمال القبيحة والاخلاق الفاسدة التي ينهى عنها ، فكل من تلوثت بها نفسه فسدت وسفلت ، والاصل في هذا وذاك الاخلاص في إيثار ما يعتقد الانسان انه الحق والخير على ضده . فكما

دلت الآيات على ان الله تعالى لايؤ خذ الناس بمخالفة ماجاءت به الرسل الا اذا بلغتهم دعوتهم ، وقامت عليهم حجتهم ، لان هذا النوع من المؤاخذة وضعي لايتحقق الا بتحقق الوضع الذي يترتب هو عليه . كذلك تدل آيات أخرى على الحساب والجزاء العامّ بالقسط على حسب تأثير الاعمال في النفوس ، فمن دسى نفسه وأبسلها ، لايمكن ان يكون عند الله كمن زكى نفسه وأسلمها ، ولا يمكن أن يقول عاقل إن نفوس من لم تبلغهم الدعوة الصحيحة تكون سواء مهما اختلفت عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم . فان هذا مخالف لحكم العقل وأدراك الحس ، اذ لم توجد ولا توجد أمة الا وفيها الصالحون والطالحون والابرار والفجار ، والذين يؤثرون مايرونه من الهدى ، على داعية الشهوة والهوى ، والعكس . فهل يكون الفريقان عند الحكم العدل سواء ؟ (٥ : ١٠٤ قل لا يستوي الخبيث والطيب * ١١ : ٢٤ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا ؟ أفلا تذكرون)

﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك ﴾ هذا استدراك على ماعلم من السياق من انكارهم نبوته (ص) وعدم شهادتهم بها ، وهي عندهم في مرتبة المشهود به لوضوحها ، ولكنهم استبدلوا المباهتة والمكابرة بالشهادة والايمان ، فسألوه أن ينزل عليهم كتابا من السماء يثبت دعواه ، ويكون شاهدًا له مقنعا لهم ، فبين الله تعالى له أن هذا الطلب جار على شنشنتهم في معاملة أنبيائهم من قبل ، وان وحيه اليه هو من جنس وحيه الى أولئك الانبياء الذين يزعمون انهم يؤمنون بهم ويشهدون لهم ، فكأنه تعالى يقول لرسوله (ص) انهم مع وضوح هذا الامر في نفسه لايشهدون بما أنزل اليك وان كانوا يشهدون لما هو من جنسه لكن الله يشهد لك به فانه ﴿ أنزله بعلمه ﴾ أي متلبسا بعلمه الخاص الذي لم تكن تعلمه أنت ولا قومك من قبل انزاله اليك (١١ : ٤٨ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا * ٤٢ : ٥٢ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا * ٢٩ : ٤٨ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) فهو بما فيه من العلوم الالهية والادبية والسياسية والقضائية

والاجتماعية ومن علوم الانبياء والرسل والامم وغير ذلك، — وما جاء به من الاسلوب البديع الذي لم يسبق اليه ولا يلحق فيه من مزج هذه العلوم بعضها ببعض مزجا دقيقا يؤلف بين ما كان موضوعه منها أعلى الموضوعات كالمسائل الالهية وما كان منها أدنى كشؤون الكفار والمجرمين ، بحيث يكون القليل من آياته كالكثير منها مؤثرا في جذب القلوب الى الايمان وتغذيتها بالحق والخير - وبما له من السلطان على الارواح بهدايته وبلاغته وبما فيه من أنباء الغيب عن الماضي والحاضر والمستقبل - وبما فيه التناسق والتصادق، والسلامة من الخلاف والتعارض ، على كثرة علومه وتشعب فنونه ، هو بمثل هذه الخصائص والمزايا البارزة في اعلى حلل الفصاحة والبلاغة مثبت لشهادة الله تعالى به ، وبأنه وحي من عنده ، لأن تلك الخصائص والمزايا لا يقدر على الاتيان بها افراد العلماء الواسعي الاطلاع ، فضلا عن أمي مثلك أيها الرسول نشأ بين الاميين ووصل الى سن الكهولة ولم يظهر منه شيء من مثل ذلك، ولا مما دونه من مظاهر فصاحة قومه كالشعر والخطابة والمفاخرة ، بل لا يقدر على مثله أحد من علماء الاولين والآخرين ، وفحول البلاغة المقرمين ، فماذا يضرك جحود اليهود وعدم شهادتهم والله يشهد بما أنزله اليك وأنت على يقين من ذلك بالوحي ، وقد أيد شهادته لك بعلمه الذي أودعه هذا القرآن فكان بذلك مثبتا لحقية نفسه وكونه أنزل عليك من ربك ، بأقوى من إثبات الدعاوى بالبينات والشهادات التي تحتمل النقض، ويؤيدها كذلك يوما بعد يوم بتصديق ما أنزله في هذا القرآن من الوعد لك بالنصر والفوز ووعيد من عادوك بالخذلان والخسر ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ أيضا بذلك لان الذي نزل به اليك هو الروح الامين منهم ، وأنت تراه وتتلقى عنه لا ريب عندك في ذلك . والله يؤيدك بجند منهم ينفخون روح التثبيت والسكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم (اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وكل ذلك قد كان وثبتت بذلك شهادة ملائكة الله عند نبيه وعند المؤمنين باخبار الله وبما ظهر لهم من صدقها حتى أنفسهم . ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ فشهادته أصدق وقوله الحق ، (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين ﴾

(س ٥) من صاحب الامضاء بالاسكندرية

حضرة مولانا الاستاذ الفاضل والعلامة الكامل السيد محمد رشيد رضا الاكرم

السلام عليكم ورحمة الله . مولاي نشرت إحدى الصحف ان طبيبا أمريكيا اكتشف عائلة مكونة من أب وأبناء له ثلاث بأن كل فرد منهم له قلبان وان كل قلب مستقل عن الآخر ويؤدي وظيفته تمام التأدية ، ولما كان هذا معارضاً بقوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أرجوكم اجلاء الحقيقة مع اظهار معنى الآية الشريفة وبيان وجه مخالفة الآية والعقل معاً لذلك ان كان ثمت مخالفة أو موافقة وهل الآية قاصرة على الرجل أو تشمل المرأة التي هي فرعه وهل يؤخذ من الآية أم الخارج . أملي التكرم بالجواب خدمة للعلم والدين لازلتم للفضل أهلا

من المخلص

محمد سليمان بجريدة الاهالي

وقد أرسل السائل الفاضل مانشرته في ذلك جريدة الاهالي (في عدد ٦٨٩) وهذا نصه :

المعروف للآن ان القلب يسكن الجانب الايسر من صدر الانسان وان الذين وجدت لهم قلوب في الجانب الايمن يمكن أن يعدوا على الاصابع بين مئات الملايين من بني آدم . ولكن أحد أطباء أمريكا اكتشف أخيراً أمر أغرب الكثير من وجود القلب في الجانب الايمن . اكتشف أربعة أشخاص من أسرة واحدة لكل منهم قلبان: قلب في اليمين وقلب في اليسار وهؤلاء اربعة هم الاب وأبناؤه الثلاثة

وبعد المشاهدة والامتحان عرف ان كلا من القلبين منفصل عن أخيه تماماً ويؤدي وظيفته كما لو كان وحده . رأيه أن الابناء ورثوا ذلك من أبيهم. اه

(ج ٥) يطلق لفظ القلب اسما لمضغة من الفؤاد معلقة بالنياط أو بمعنى الفؤاد مطلقاً ويقول بعضهم إن القلب هو العلقة السوداء في جوف هذه المضغة الصنوبرية الشكل المعروفة . كأنه يريد ان هذا هو الاصل ثم جعله بعضهم اسما لهذه المضغة وبعضهم توسع فسمى هذه اللحمة كلها حتى شحمها وحجابها قلباً . ويطلق اسما لما في جوف الشيء وداخله كقلب الحبة واسما لشيء معنوي وهو النفس الانسانية التي تعقل وتدرك وتفقه وتؤمن وتكفر وتتقي وتزيغ وتطمئن وتلين وتقسو وتخشى وتخاف ، وقد نسبت اليه كل هذه الافعال في القرآن . والاصل في هذا ان أسماء الاشياء المعنوية ، مأخوذة من أسماء الاشيا الحسية وقد أطلق على الشيء الذي به يحيا الانسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء عدة أسماء منها (الروح) وهو من مادة الريح فان لفظ الريح أصله روح بكسر الراء فقلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة كواو الميزان ولذلك تجمع الريح على أرواح والميزان على موازين . والمناسبة بين الروح والريح ان كل منهما خلق خفي قوي . ومنها (النفس) وهو من النفس (بفتحتين) لان النفس دليل الحياة التي تكون بالنفس . ومنها (القلب واللب) لان لب الشيء وقلبه من المخلوقات الحية هو مستقر حياته ومنشؤها كما يعرف ذلك في الحبوب ، وهنالك مناسبة أخرى للقلب هو ان قلب الحيوان هو مظهر حياته الحيوانية ومصدرها ، والوجدانات النفسية والعواطف تأثير في القلب الحسي يشعر به الانسان . ومهما كانت المناسبة التي كانت سبب التسمية فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة التي يموت الانسان بخروجها منه . قال تعالى { وبلغت القلوب الحناجر } أي الارواح لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها . وقال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) أي نفوس أو أرواح وليس المراد ان القلب الحسي هو آلة العقل . وقال (نزل به الروح الامين على قلبك) أي على نفسك الناطقة وروحك المدركة ، وليس المراد بالقلب هنا المضغة اللحمية ولا العقل لأن العقل في اللغة ضرب خاص من ضروب العلم والادراك لا يقال ان الوحي نزل عليه . ولكن قد تسمى النفس العاقلة عقلا ، كما تسمى قلباً ، وقد يعزى الى القلب ويسند اليه ماهو من أفعال النفس أو انفعالاتها التي يكون لها أثر في القلب الحسي كقوله تعالى (اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقوله (ليجعل الله ذلك حسرة في

قلوبهم) وقوله (ويذهب غيظ قلوبهم) وللاشتراك بين القلب المعنوي وهو النفس، والقلب الحسي وهو المضغة التي ينبعث منها الدم ، أو لان الاسم الاول مأخوذ من الثاني وان صار مستقلا بمعناه قال تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) اما الجوف في قوله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فقد يراد به الصدر وقد يراد به ماهو أعم منه فان جوف الشيء باطنه كقلبه فالرأس له جوف وفيه الدماغ والقلب له جوف وفيه السويداء. فعلم مما تقدم أن القلب في هذه الآية هو الروح الانساني المدرك

روى أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس انه قال في سبب نزول هذه الآية « قام النبي (ص) يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه : الا ترى ان له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم . أي مع أصحابه الصادقين . وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال كان رجل من قريش يسمى ذا القلبين كان يقول : لي نفس تأمرني ونفس تنهاني . فأنزل الله فيه ماتسمعون . وروى انه وجد من المشركين من ادعى ان له قلبين يفهم بكل منهما أو يعقل أفضل من عقل محمد ، وانه هو أو غيره كان يدعى ذا القلبين وان الآية ردت هذا الزعم كما أبطلت مزاعم التبني والظهار من ضلالات العرب . ومعنى القلب اللحمي غير مراد على كل حال

ولو فرضنا ان المراد بالآية نفي ان يكون للانسان قلبان حسيان لكان الكلام صحيحاً سواء صحت رواية الجريدة أم لا ، ولا تصلح ان تكون هذه الرواية ناقضة لخبر الآية ، لا لأن خبر الآية ماض وما اكتشف بعدها لاينقض خبرها عما قبله ، بل لأن بيان أحوال الخلق انما تبنى على ما مضت به السنة العامة التي يعبرون عنها بالناموس الطبيعي والشاذ لاحكم له ، ولا يعد مكذبا لمن يخبر عن السنن الكونية بما هو المعروف . فاذا قال علماء وظائف الاعضاء والتشريح ان جسد الانسان مركب من رأس ويدين ورجلين مثلا وان لكل يد ورجل خمس أصابع فلا ينقض قولهم هذا ولادة طفل برأسين أو أكثر من يدين بست أصابع ، ونحو ذلك مما يسمونه فلتات الطبيعة

واذا أنت تدبرت السياق الذي وردت فيه الآية وفهمت المراد منها بمعونته علمت ان مسألة اكتشاف رجل له ولكل من أولاده قلبان لايدنو من معنى الآية بوجه ما . ذلك بأن السورة افتتحت بالامر بتقوى الله والنهي عن طاعة الكافرين

والمنافقين وتباع الوحي لتنزل خاصة وجاء بعد ذلك قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين) فكان المراد منه ان الانسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين وهما ابتغاء رضوان الله وابتغاء مرضاة الكافرين والمنافقين بل له قلب واحد اذا صدق في التوجه الى شيء لا يمكنه أن يتوجه الى ضده بالصدق والاخلاص فيكون في وقت واحد مخلصاً لله ومخلصاً لاعداء دينه ، ومن هذا الباب قول الشاعر :

لو كان لي قلبان عشت بواحد وتركت قلباً في هواك معذب

فهل يتعلق اكتشاف قلبين لحميين لرجل واحد — اذا صح — بشيء من مراد الشاعر هنا ؟ لا إلا ان كانت ادراكاته ووجداناته النفسية صارت تجمع بين الضدين في حال وزمن واحد كأن يكون مؤمنا كافرا محبا مبغضا آمنا خائفا من غير ترجيح بين هذه الاشياء المتقابلة وهذا محال

﴿ ترتيب آي الرحمن الرحيم ﴾

(س ٦) من صاحب الامضاء الرمزي في جبل لبنان

حضرة الفاضل العلامة السيد رشيد رضا منشئ المنار الاغر

بعد السلام . أعرض انه قد تجاهل بعضهم حكم الله تعالى وآياته المحكمة ، التي أنزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي أحرزت بقوله « قل لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » وأخذ مأخذه من التغيير والتأويل ، والتحريف والتبديل ، مدعياً ما لم يدعه أحد قبله في العصر الخالية ، وهو ان البسملة التي هي فاتحة الكتاب ، فيها خلل يعثر عليه المنتبهون مثله من ذوي الالباب ، وهو ان البلاغة تقضي بتقديم الرحيم على الرحمن .

فأرجو من سيادتكم وارشادكم أن تبينوا هذا لمن جهل الحقيقة على صفحات مناركم المنير ، كيلا يتشبث بهذا التشبث من غلب عليه الجهل من المسلمين

م . ح

(ج ٦) ان بعض المتعصبين الكارهين للشيء لا ينظرون اليه الا نظرة الكاره الملتمس للمذام والمعايب فاذا وجدوا منفذا لشبهة يشوهون بها حسنه عدوها حجة

ناهضة ، وقد استنبط بعضهم الاعتراض الذي أشار اليه السائل من قول اكثر المفسرين للبسملة ان لفظ (الرحمن) أبلغ وأعظم معنى من لفظ (الرحيم) لانه اكثر حروفا والاصل ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، وفسروا الرحمن بأنه المنعم بجلائل النعم ، والرحيم بأنه المنعم بدقائقها ، وأوردوا على هذا ان الترتيب لا يكون على قاعدة الترقي في الكلام بالانتقال من الادنى الى الاعلى . وأجابوا على ذلك بأن الترقي انما يكون هو الابلغ اذا كان اللفظان كعالم ونحرير يدل أحدهما على معنى الآخر وزيادة فانك اذا قلت فلان نحرير عالم كان لفظ «عالم» تكرارا لافائدة له لان لفظ «نحرير» يدل عليه . لان النسبة بينهما هي العموم والخصوص وذكر الاخص يستلزم الاعم ولا عكس . وكلتا الرحمن الرحيم ليستا من هذا القبيل لان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم فقط فبدئ به لانه الاعظم معنى والمقام مقام الثناء فيقدم فيه الابلغ الادل على الفضل ، ثم جيء بلفظ الرحيم كالمتمم للمعنى ، ولئلا يحجم من يحتاج الى النعم الدقيقة عن طلبها من الله تعالى . وهذا توجيه قوي جهله أو تجاهله المعترض المتعصب فقال ماقال

على ان هذا التفسير للاسمين الكريمين ليس هو التفسير الذي لامعدل عنه فقد اختار الاستاذ الامام قول بعضهم أن لفظ الرحمن من قبيل الصفات العارضة كالعطشان والغضبان ولفظ الرحيم من الصفات الثابتة كالحكيم والعليم فذكر الوصف الدال على التلبس بالرحمة بالفعل عند عروض الحاجة اليها بالنسبة الى البشر لا الى الله تعالى الذي لايطرأ عليه تغيير ، ثم ذكر الوصف الدال على الثبات والدوام ليفهم العربي من أسلوب كلامه انه سبحانه وتعالى متصف بالرحمة بالفعل عند حاجة العباد اليها وأنها مع ذلك صفة ثابتة له في الازل والابد بصرف النظر عن تعلقها بالعباد وهو وجه ظاهر . وهنالك وجه آخر في حسن الترتيب وبلاغته وهو ان الرحمن هو الوصف الذي عد من قبيل اسم العلم واسم الذات ولذلك قال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وأما الرحيم فهو الوصف الذي يراد منه معنى الوصفية ولذلك تعلقت به الباء في قوله (ان الله كان بكم رحيما) وهذا الوجه ظاهر أيضا لا شبهة تجرئ المتعصب على الاعتراض عليه بل هو الأظهر ، فهو اذا لم يجهله يتجاهله تعصبا ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

﴿ رحلتنا الهندية . شكر عني ﴾

(تتمة مافي الجزء الاول)

مدرسة عليكره

ابدأ من شكر مدرسة عليكره ومديري شؤونها وطلابها بذكر الشيخ الجليل ، والمولي النبيل (النواب وقار الملك بهادر مولولي مشتاق حسين) سكرتير (عمدة) المدرسة وأحد زعماء مسلمي الهند وأركان النهضة العلمية فيها . وبالعالم الاصولي النحرير ، والمحامي الشهير المقبل على شأنه ، الخبير بأهل زمانه (آفتاب احمد خان) رئيس مؤتمر التربية والتعليم في الهند ، وبالعالم العامل ، المهذب الفاضل (مولولي محمد حبيب الرحمن) رئيس الشرف للشعبة الدينية في المدرسة ، ثم بسائر العلماء الاعلام المدرسين ، ووجهاء البلد المقدمين ، وفى طليعتهم الدكتور محمد اشرف ، والدكتور ضياء الدين ، والاستاذ يوسف هردوتس الالماني استاذ الشعبة العربية في المدرسة . والسيد سليمان اشرف البهاري معلم الشعبة الدينية على مذهب أهل السنة ، و (مولوي فدا حسين) معلم الشعبة الدينية على مذهب الشيعة الامامية . وعبد المجيد خواجه المحامي ، وابو الحسن معاون سكرتير المدرسة .

تفضل هؤلاء العلماء الاجلاء باستقبالي على محطة السكة الحديدية خارج البلد مع جمهور عظيم من أهل المدرسة ووجهاء البلد ، وبتوديعي كذلك ، وبالحفاوة الفائقة بي مدة اقامتي بينهم ، وقد بالغ النواب الجليل وقار الملك في التأنق بضيافتي وأعد لي دار صديقه السري الكبير (خان بهادر نواب محمد فرمل الله خان) الفسيحة الفيحاء ، ذات الحديقة الغناء ، وكان يدعو لمؤانستي على الطعام كل يوم أكابر العلماء والادباء ، وقد استفدت من فضلاء عليكره علما وخبرة بأحوال اخواني مسلمي الهند لم أجدهما عند غيرهم

ثم اشكر لناظر المدرسة الهمام (مستر جي ايشتول بهادر) ترحيبه بي هو وقرينته الفاضلة ودعوتهما إياي الى شرب الشاي في دارهما ، ووعد الناظر إياي بالاجابة الى ما اقترحته عليه من العناية بتوسيع نطاق تعليم اللغة العربية في المدرسة ، واشكر مثل هذا الوعد لاستاذ الشعبة العربية (يوسف هردتس) الألماني . أما النواب وقار الملك وعمدة المدرسة واساتذتها فان ارتياحهم لاقتراحي هذا عليهم لم يكن الا تذكيرا بما لايغيب عن أذهانهم ، بل رميا عن قوس عقيدتهم ، وقد وعدوني

بأنهم سينشئون ناديا في المدرسة لا يتكلمون فيه الا بالعربية ولعلهم أنجزوا الموعد، فانهم أهل الوفاء والصدق . وقد ذكرني رأيهم هذا - وكان وعدا مفعولا - ماحدثني به بعض علماء المسلمين في روسية وهو انهم توسلوا الى التمرن على اللغة العربية باتفاق اهل العلم وطلابه على التزام التكلم بالعربية دون سواها في مدة شهر رمضان

أما النواب الجليل فقال كما قال هردوتس انه لا يتيسر لهم اتقان تعليم اللغة العربية مادامت المدرسة تابعة لنظارة معارف (إله آباد) قال النواب واننا قد جمعنا المال الكافي لتحويل المدرسة الى جامعة مستقلة فمتى تم لنا ذلك فاننا نجتهد فيما افترحتموه علينا من اتقان تعليم الدين وتعليم العربية أتم الاجتهاد . وقد احزنني بعد عودتي مابلغني من استقالة النواب الجليل من المدرسة ولا أدري احق ماقيل من ان المال الذي كان جمع لجعلها جامعة قد دفع لاعانة الدولة العثمانية على الحرب أم لا . واذا صح فهل تصدوا لجمع غيره أم لا ؟ أما المبلغ فهو مئتا ألف جنيه انكليزي وبضعة آلاف من الجنيهات

ولا يسعني من شكر طلاب المدرسة النجباء والثناء عليهم الا الاجمال ، فقد قرت عيني بما رأيته من أمارات النجابة والاجتهاد عليهم ، وما توسمته من شعور الاخاء الاسلامي في وجوههم ، وما قابلوا به خطبتي عليهم في التربية من الارتياح والقبول ، وقولهم انهم نقشوها في ألواح النفوس ومحف القلوب ، ثم إن طلاب القسم العالي والاعلى منهم لم يكتفوا باظهار سرورهم واحترامهم بالقول الحسن ، والزيارة والسؤال ، وغير ذلك من شعائر الاحترام ، بل استأذنوا النواب الجليل في مأدبة حافلة للعشاء باسمهم فكانت مأدبتهم أكبر مادبة أكرمني بها أمراء الهند وأغنياؤهم ، فان أصحاب الدعوة من الطلبة بضع مئين ودعوا معي أساتذة المدرسة من الوطنيين والاوربيين ووجهاء البلد . على انهم قدروا نفقات دعوة لزهاء ألف رجل يقدم لهم أنفس ما يأكل الامراء والكبراء من الطعام ، ثم اكتفوا بعد مذاكراتي ورضائي مع الاعجاب والسرور بأن يجعلوا المأدبة في الدرجة الوسطى ويجعلوا باقي ماقدروه من نفقتها اعانة لأيتام وجرحى المجاهدين في طرابلس الغرب فكان ذلك ثلث ماقدروه . وكذلك فعل العالم العامل التقي الحفي مولوي حبيب الرحمن الذي اسر بأن اسميه صديقي المحبوب في دعوته اياي الى حفلة الشاي فحيا الله هؤلاء الاخوة الكرام

مدرسة ديوبند

قد بينت في العجالة التي كتبتها عن رحلتي وأنا في العراق ما كان من سروري

وارتياحي في مدرسة ديوبند الدينية وان الخبر لها كان خيراً من الخبر عنها ،فأشكر لعلمائها الاعلام ، وطلابها النجباء ، تواضعهم وكرمهم بالحفاوة بي ، والعناية باستقبالي وتوديعي ، اذ خرج لهما رؤساؤهم وجمهورهم الى محطة السكة الحديدية البعيدة عن البلد، وفي مقدمتهم مولانا العلامة الشيخ محمود حسن رئيس المدرسين ، ومولانا الحافظ محمد أحمد ناظر المدرسة ، ومولانا العلامة الشيخ عبيد الله رئيس جمعية الانصار، ومولانا العلامة الشيخ أنور شاه، ومولانا العلامة الشيخ محمد حبيب الرحمن من كبار المدرسين . وكان من ذوقهم ولطفهم ان وضعوا على باب المدرسة قطعة كبيرة من النسيج ، مرسوماً عليها حديث « ان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » وقد حيوني بالخطب والشعر حياهم الله تعالى ، وبالغوا في الاعتذار عن التقصير في الضيافة بأن حالهم وحال بلدهم الصغيرة لا يمكنانهم من كل مايرونه لائقاً من كثرة الالوان، وضروب الاتقان، وأقول انهم والله ماقصروا ولقد كانت كيفية ضيافتهم آثر عندي وأروح لنفسي من ضيافات كبراء الدنيا . ومن مبالغتهم في ضيافتهم أنهم زودونا بأطعمة نفيسة حملوها الى القطار الحديدي عند توديعنا ، فاكلنا منها في الطريق وأفضنا على الفقراء في بعض المحطات ، وهذا من الكرم الذي انفردوا به دون سائر الكرماء

وانني أختم الشكر والثناء بذكر من يستحق أن يشارك أهل كل بلد زرته هنالك في شكري لهم، وهو صديقي الصفي الوفي، السيد عبد الحق حقي الاعظمي البغدادي، مدرس اللغة العربية ، في مدرسة العلوم الكلية ، فانه كان رفيقي وأنيسي وترجماني في كل هاتيك البلاد ، وانني مالقيت في حياتي رفيقاً أخف روحاً واكبر مروءة وأشد تواضعاً وأحسن تصرفاً من هذا الاخ الكريم ، والولي الحميم ،فانه وضع نفسه مني — وهو الكفؤ الكريم — في موضع التلميذ المجتهد من الاستاذ المحقق، والمريد الصادق من المسلك العارف، والولد البار من الوالد ، بل الخادم الامين، من المخدوم القمين ، ثم كتب رسالة في ملخص رحلتي لقب نفسه فيها بهذه الالقاب ، وطبعها ونشرها في البلاد ، ولولا ذلك لما أبحت لنفسي أن أذكرها ولو لأشكرها ، وأبين ان فضله وكماله هما اللذان حملاه على التفضل بها ، فهي أياد له يمنها عليّ وليس لي يد أمنها عليه ، وانما أسأل الله أن يحسن جزاءه ، ويديم وفاءه ، وأن يقر عينه بولده ، حتى تتصل بهم سلسلة الولاء والوفاء من بعده .

(للكلام بقية في شكر أهل عمان والعراق)

الدولة العثمانية

﴿ تعلق مسلمي الهند وغيرهم وآمالهم فيها . ونظرة في حالها ومستقبلها ﴾

لا يظهر الاهتمام بأمر الدولة العثمانية في قطر من الاقطار الاسلامية كما يظهر في الهند ومصر لما امتازا به من الحرية وانتشار العلم . واننا نرى في هذه الايام في مطبوعات الهند مالا نراه في المطبوعات العربية ولا التركية من اللهج بالخلافة ، والخوف على دولة الخلافة ، والتألم من الحرب البلقانية ، وتمني العود اليها بعد الهدنة رجاء النصر للدولة العثمانية

ومن موجباب الاسف أن هؤلاء المسلمين لا يعرفون حقيقة حال الدولة ولا حقيقة مصلحتها ومصلحة المسلمين المرتبطة بها ، ويترتب على هذا أنهم لا يعرفون كيف ينفعونها ولا كيف يدفعون الضرر عنها ، بل كانوا ولا يزالون يظنون ان الانتصار والتحزب لكل من يتولى أمر هذه الدولة في الاستانة هو الذي يقويها ويحفظ استقلالها ، ويحفظ بحفظه الاسلام ويقام شرعه ويحمى الحرمان الشريفان

على هذه القاعدة كانوا يتشيعون للسلطان عبد الحميد المخرّب لبنيان الدولة من الداخل ، ثم صاروا ينتصرون لمن خلفوه من المخربين من الداخل والخارج ، وكانت جرائدهم مظهر هذا الانتصار ، وكان من تأثيرها اضعاف سعي طلاب الاصلاح من العثمانيين في مصر مدة زمن السلطان عبد الحميد ، وقد استطاع الاتحاديون أعداء عبد الحميد أن يستخدموا كثيرا ممن كان يستخدمهم كالحزب الوطني في مصر ، ولكن كان من شؤمهم ان سقط هذا الحزب ولم يبق له من أثر الا سفاهة بعض الشبان الحمقى تظهر في بعض الجرائد التي لا يأبه لها أحد يؤبه له في مصر

ولم يستطع المصريون والهنديون ان ينفعوا الاستانة بشيء الا ما جمعوه من المال للاعانة على الحرب وبعثات الهلال الاحمر ، ولم يكن للحزب الوطني تأثير في جمع مئات الالوف من الدنانير التي جمعت من مصر ، ولكن كان للمؤيد ولمؤسس المؤيد يد بيضاء وتأثير عظيم في ذلك وهما اللذان يتهمها الحزب الوطني بعداوة الدولة العثمانية

ثم ان مسلمي الهند ومصر صاروا يبحثون في سياسة الدولة الداخلية والحربية واني أعتقد ان جميع الهنديين وأكثر المصريين مخلصون في ذلك تدفعهم الغيرة الدينية الى هذا البحث ، ولا يشذ الا أفراد من المنتمين الى الحزب الوطني هنا فانهم مستأجرون ،

ولا تنفع الكتابة في هذا الموضوع وأن كانت عن اخلاص الا اذا كانت عن معرفة صحيحة بحقيقة الحال ورأي صحيح فيما تقتضيه

نشرة صحيفة بريس من حيدر آباد

جاءتنا نسخ من هذه النشرة التي طبعت باللغة العربية لايقاف العرب في مصر والشام والاستانة « على رغائب اخوانهم المسلمين في الهند في الازمة الحاضرة » وعهد اليهم الكاتب ان ينقلوها الى جرائدهم العربية ويترجموها بالتركية . وقد وزعنا النسخ التي وصلت الينا ورأينا من حق الكاتب الغيور أن نشير الى ما كتبه في المنار ايضا وان كنا لانوافقه على كل ما رآه . في النشرة مسائل مهمة نلخصها فيما يأتي

(١) وصف الكاتب شدة تعلق مسلمي الهند بالدولة العثمانية وان « الدولة البريطانية تعرف هذا جيدا فاستفادت بالخلافة الاسلامية ما استفادت » وذكر من ذلك ان السلطان تيپو الك بطل الاسلام في الهند كان في القرن الثامن عشر أرسل سفارة سياسية الى سدة الخلافة ولكن رجال الدولة العلية اصدروا الفرمان الشاهاني بوجوب مودته للدولة البريطانية . وان السلطان عبد المجيد أصدر فرمانا في عهد الثورة الهندية الكبرى سنة ١٨٥٧ بوجوب طاعة مسلمي الهند للدولة البريطانية كما طلب منه الانكليز . وهكذا أصدر الفرمان للامير شير علي خان أمير الافغان بوجوب الاعتصام بحبل مودة الانكليز

ونحن نقول للكاتب صدقت ونزيده أن الدولة لجهلها بقيمة منصب الخلافة لم تعمل عملا ما تستفيد به منه ، ولكن الانكليز هم الذين احيوا اسم الخلافة واستخدموه حتى في عهد سلطة الاتحاد والترقي فقد حملت الوزارة الاتحادية السلطان محمد رشاد في العام الماضي على إرسال أحد انجاله بكتاب خاص من خط يده الى توديع ملك الانكليز في مياه ثغر بور سعيد عند سفره الى الهند لاجل الاحتفال بالباسه تاج الامبراطورية الهندية ، واعلان مودته له ولدولته.

ولكن مايدرينا الآن أن اظهار المسلمين لشدة تعلقهم بالدولة العثمانية صار يخيف الانكليز من عاقبته فحملهم هذا على الرضى بازالة سلطتها ، وهل ينفع الدولة حينئذ شدة حزن الهنود على ما أصابها ، وترك طلبة العلم هنالك أكل اللحم لتوفير المال لها ؟

(٢) أشار الكاتب الى أقوال ظن ان أهل هذه البلاد اطلعوا عليها كبيان جريدة (كامريد) الدهلوية لحال المسلمين الآن ، وقول الخواجة مظهر الحق (بيرسترات لا) في محاضرة ضجت بها ارجاء الهند « ازهذه الحرب أريد بها اخراج الترك أو المسلمين من أوربة - أو حرب بين الاسلام والنصرانية » وما قاله (السير جيمس مستن لفتنت

غورنر) في خطابه لطالبة كلية عليكره . ونحن نخبره ان أهل البلاد العربية لم يطلعوا على ما ذكره ولكني أظن أنه لم يقل عندهم شيء الا وقيل عندنا مثله أو أشد ،

(٣) قال « بل الخطر ظهر جلياً لآسية الصغرى والشام والعراق بل العرب نفسها مركز قلوب المسلمين فان نفوذ أوربة في هذه البلاد أنتم أعلم به منا ولا شك انكم تعرفون كيف يزداد نفوذ ألمانية كل يوم في العراق والاناضول » وذكر طمع هذه الدولة هناك وطمع فرنسة في سورية (ونسي أو تناسى ان طمع انكلترة في بلاد العرب أشد وأوسع) وان دول أوربة أنشأت تبحث في تقسيم أملاك الدولة في آسية بعد ان فرغت منها في أوربة . ثم أشار الى ما ذهب من أملاك الدولة في القرنين الاخيرين بتدخل أوربة وانه لا فائدة في ابقاء سيادة الخلافة اسما بلا مسمى

ونقول ان خواصنا أعلم من خواصهم بكل ما قال كما قال ، ويرون ان الذنب على الدولة لا على دول أوربة فان أوربة قد وصلت الى درجة عالية في فتح الممالك وهي ما تسميه الفتح السلمي ومن المحال ان تبقى الدولة العثمانية بجانبها وهي على جهلها وخللها وكسلها وعدم اهتمام رجالها بشيء غير سلب مال الامة لأجل التمتع به . ولو جارت الدولة تلك الدول في العلم والعمل والعدل في امتها والنظام والقوة لتنافسن في التقرب اليها وتسابقن الى محالفتها ، للانتفاع من قوتها ، أو تركنها وشأنها خوفاً من شدة بأسها ، فهي قد تركت كل عمل نافع واتكلت على تنازع الدول عليها ، توهما انهن لن يتفقن عليها ، فخاب ظنها وبطل وهمها

(٤) نتيجة ما تقدم والمقصد من النشرة ان إخواننا مسلمي الهند يرون انه يجب ان لا ترضى الدولة باستقلال ألبانية (بلاد الارنؤط) ولا بالتنازل عن شيء من مكدونية لان ذلك يسقط مقام الخلافة وهيبتها ويغري الدول بالجري على هذه الخطة في ولايات آسية . فيجب ان لا تقبل الدولة الصلح بحال من الاحوال ، وان لا تبالي بسيلان أضعاف ما سال من أنهار الدماء ، فالخطر على الدولة مترتب على الصلح واذاً يصير الحرمان الشريفان على خطر . وقد بالغ الكاتب في التحريض على مداومة القتال ، وأتى بما أتى به من العبر والامثال . فعلم انه هو وجمهور اخواننا المسلمين هناك يعتقدون ان بالعود الى الحرب تحفظ عظمة الخلافة ويصان الحرمان وتعلو كلمة التوحيد

ونحن هنا نرى جمهور المصريين موافقين لاخوانهم الهنديين في رأيهم وشعورهم ، ومن يعلم هـذا منهم يزداد استمساكا برأيه واطمئنانا به . وما هذا منهم بعجيب فانهم لا يعرفون حقيقة حال الدولة وإنما العجيب أن يضرب بعض الكتاب العثمانيين بهذا

الدف، ويردد نغمات الحرب، ويقول إما صلح شريف تحفظ به أدرنة أو نصف أدرنة وإما موت شريف ! ! وذلك ان الدولة يئست من البلقان كله الا (أدرنة) التي ثبتت على الحصار

اني ليعز علي أن تؤخذ مدينة أدرنة غنيمة باردة بترك الدولة لها صلحا كما عز علي اضعاف ذلك تركها مملكة طرابلس الغرب وبرقة صلحا، ولكنني لا أفهم معنى معقولا لتعريض الدولة للموت في الحرب، ولا كيف يكون هذا الموت شريفا في سبيل المحافظة على مدينة أدرنة كلها كما يقترح بعض الكتاب، أو على نصفها كما تقترح وزارة محمود شوكت باشا الاتحادية

ان موت الدولة ليس كموت رجل واحد يهان فيبارز من يهينه وان كان أقوى منه لينتقم منه أو يموت فلا يرى نفسه مهينا بين الناس. فان الدولة شخص معنوي وموتها عبارة من خروج الحكم فيها من أيدي أهلها الى أيدي الاجانب، وأهلها الذين يعزون بحياتها ويشرفون، ويذلون بموتها ويهانون، لا يموتون بذهاب الحكم منهم ولا ينقرضون، فهم اذاً يطلبون الوقوع فيما يحذرون .

الا إن من كتم داءه قتله، الا اننا قد سئمنا الغرور والتغرير، ألا إننا قد أصبحنا على شفا جرف، وسقوطنا في هاوية العدم منتظر في كل يوم، فلم يبق عندنا شيء نخاف عليه من اظهار حقيقة حالنا لمن لا يعرفها منا . الا ان الحقيقة المجردة من لباس الزور والغرور هي ان هذه الدولة قد أمست بجهلها وسرفها وغرورها وفقرها، ودهاء أوربة وعلوها وثروتها، لا تستطيع أن تعيش مستقلة عزيزة في عاصمتها بقوانينها وأنظمتها وتقاليدها، وبرجالها الذين ربتهم أوربة لها، لانها تربية مذبذبة لا هي اسلامية ولا أوربية، وانما تعيش في تلك العاصمة كما تريد أوربة . فلا هي قادرة أن تحفظ عاصمتها من أوربة ولا الحرمين الشريفين ولا غيرهما من البلاد . ولا يمنع أوربة أن تتصرف فيها — وهذه حالها — كما تريد الا تنازع الدول الكبرى واختلافهن فمتى اتفقن على شيء أردنه كان أمراً مفعولا

الا اني قد فطنت لهذا الامر من قبل وقتلته بحثاً وتفكيرا، ثم اقترحت على الدولة من بضع عشرة سنة أن تجعل الاستانة مركزا حربياً وتجعل عاصمتها دمشق الشام فان لم يقبل متعصبو الترك فقونية، وأن تترك هذا التفرنج كله وتؤسس لها قوة أسيوية حربية أهلية من العرب والترك فتجعل جميع أفراد الامة مستعدين للحرب والكفاح للدفاع عن بلادهم وقت الحاجة . ولكن افتتانها بعظمة اسم القسطنطينية وموقع

القسطنطينية، وتسمية نفسها دولة أوربية ، وما يتبع ذلك من لذات هذه المدنية، قد حال دون التفكر في هذا الاقتراح وتنفيذه . وقد علمت في هذه الايام ان بعض كبراء رجال الدولة اقترح على السلطان عبد الحميد نقل العاصمة الى الاناطول قبل الانقلاب الاخير بعدة سنين ، وان أحد كبار ضباط ألمانية الذين تولوا تعليم الجيش العثماني وتنظيمه قد اقترح مثل هذا الاقتراح في الزمن الاخير ، وأخشى أن يصدق عليه المثل « بعد خراب البصرة » وجميع من أعرف من أهل الرأي العثمانية سيما الترك يرون ان استمرار الحرب خطر، وليس له فائدة تنتظر، وسيظهر الصواب لجميع البشر

حال الدولة ومستقبلها

فاجأنا في هذه الايام نبأ مفزع وهو ان أنور بك الضابط الاتحادي هجم على الباب العالي مع فتية من رجال جمعيته الفدائيين في حال انعقاد جلسة الوزراء وقتلوا ناظم باشا ناظر الحربية والقائد العام وبعض الحاشية واكرهوا كامل باشا على الاستقالة فذهب بها أنور الى قصر السلطان وعاد يحمل فرمان تعيين محمود شوكت باشا(١) صدراً أعظم وناظراً للحربية . فكيف حال دولة هكذا تسقط وزارتها وهكذا تنصب

سنشرح في آخر هذا الجزء أخبار هذا الانقلاب ونقول هنا ان الخطر على الدولة قد اشتد ، وسواء عادت الحرب أو لم تعد ، فان الامر بيد الدول ولن تستطيع الدولة أن تعمل بقوتها شيئا، ولكن تبذل دماء ألوف كثيرة وملايين من النقد بغير عوض ولا فائدة فتزداد ضعفا على ضعف ، ويخشى أن تستتبع فتنة أنور فتنة داخلية أكبر منها ، واللعنة مسجلة من الله ورسوله على موقظها ، ثم ماذا ؟

تمتص الآستانة في هذه الفرصة ما يمكن امتصاصه من وشل ثروة الامة العثمانية المسكينة، وما يمكن من أموال المسلمين المتمتعين بالثروة والحرية وهم أهل مصر والهند، فلا يكون ذلك كله الا كنقطة أو نقط قليلة من الماء تقع على خزفة أو آجرة سخنة. ثم لامندوحة للدولة عن الركوع بين يدي أوربة والتماس مساعدتها بالمال والحال لادارة حركة الدولة الداخلية ، ويخشى ان تتوسل الدول بذلك الى جعل مالية الدولة وادارتها تحت مراقبتها ، وذلك منتهى ماتبغيه أوربة من إزالة هذه الدولة بالفتح السلمي .

ان ظني وظن من أعرفهم من العثمانيين المخلصين في زعماء جمعية الاتحاد والترقي سيء جدا . فنحن لا نستبعد ان يعطوا الدول فوق ماتطلب من ذلك كبيع الاراضي

(١) محمود شوكت باشا شركسي الاصل بغدادي المنشأ وليس فاروقيا ولا عربي النسب كما شاع عقب الانقلاب ووقعنا يومئذ في الخطأ الذي وقع فيه غيرنا . وقد أخبرني اخوه الفاضل مراد بك بأصلهم وسبب وجودهم في العراق . وكان رفيقا لي في سفري من بغداد الى حلب

الاميرية والامتيازات وتقوية النفوذ وهو بيع البلاد الذي يسمونه الفتح السلمي. فاذا واتاهم محمود شوكت باشا الذي نال الوزارة بسد ساتهم وخناجرهم فهي القاضية، ويجب على جميع الولايات العثمانية بالفعل أو الاسم أن لا تقبل بيع شيء من بلادها بأي اسم كان فمن يبلغهم بيع شيء من بلادهم للاجانب فليعلنوا استقلالهم وعدم اعترافهم بهذا البيع كيفما كانت صورته، ولا بالبائع مهما كانت صفته. وليستعد كل قطر ليكون مثل طرابلس الغرب

لا أريد تثبيط العثمانيين وسائر المسلمين عن مساعدة الدولة بالمال فانا قد ساعدت بحسب استطاعتي، وانما أقول ان هذه الحرب ان عادت لا تطول، وينبغي ان يعلم المساعدون أين يضعون أموالهم، فيحبسها أهل الاقطار العثمانية على صلاح بلادهم، ويخصها سائر المسلمين بحرم ربهم وحرم نبيهم، فان ما يتسرب الى الآستانة لا يفيد الحرمين ولا غيرهما شيئا، وان لا يأمنوا جمعية الاتحاد والترقي على شيء من المال، والا ندموا بعد أيام أو شهور حيث لا ينفع الندم. بذلت هذه النصيحة وأنا موطن نفسي على احتمال ايذاء أشد مما آذتني به الحكومة الحميدية، وعلى احتمال تخطئة وذم ولعن من الجاهلين والمنافقين، كما احتملت مثل ذلك قبل من أنصار عبد الحميد، ولكن اذا كان حقنا في مقاومة عبد الحميد لم يظهر الا بعد جهاد عدة سنين، فان حقنا في الازمة الحاضرة سيظهر بعد أسابيع أو شهور، وقد كنا نبين سيئات الجمعية ونسكت عن الحكومة فاذا رأينا هذه الوزارة آلة بيد الجمعية كوزارة حقي باشا فاننا لا مندوحة لنا عن الوقوف لها بالمرصاد، وقد انتهينا الى وقت لا يمكن السكوت معه والانتظار،

ان الدولة على خطر لا يمكن لعاصمة البزنطيين الخروج منه ولا يرجى للاسلام خير منها، فاذا كان محمود شوكت باشا رجلا فليكسر جميع تلك القيود والمقاطر، ويقطع جميع هاتيك الاغلال والسلاسل، وليخرج الدولة من ذلك السجن الذي يتحكم بها فيه الاوربيون واليهود الصهيونيون كما شاؤا وهو عنوان الاسلام والخلافة. ولينشيء في قلب آسية عاصمة جديدة لا اسراف فيها ولا تبذير، ولا نخفخة فيها ولا غرور، ولا مكر يهودي، ولا كيد اتحادي، ولا ضغط أوربي، وليقم الحكومة الجديدة على أساس اللامركزية، ويجعلها شق الابلمة بين الامتين العربية والتركية، بحيث يكونان أمة واحدة قوية، وينفذ ذلك بهمة تجمع بين العدل والاستبداد، بعد أن ينظف الجيش مما طرأ عليه من الفساد، ويقتل القتلة الاوغاد. ولا يضيعن الفرصة التي أضاع مثلها من قبل، وبذلك ينقذ نفسه والدولة من الخطر، والاندم حيث لا ينفعه الندم، ونسأل الله ان يهيء لهذه الأمة فرجا ومخرجا، واننا لا ندخر في خدمة من يعمل لانقاذها وسعا.

نظريتي (*)

﴿ في قصة صلب المسيح وقيامته من الاموات ﴾

ذهب علماء الافرنج المحققون في تعليل منشأ هذه المسألة مذاهب شتى لانهم لا يعتقدون حصول هذه القيامة الموهومة . ولسنا في حاجة الى نقل آرائهم في مثل هذه المقالة ومن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ مؤلفات رينان ، وأدوارد كلود ، ودائرة المعارف المتعلقة بالتوراة، وكتاب دين الخوارق وغير ذلك . وإنما نريد الآن أن نقول كلمة في هذا الموضوع لنزيل الغشاوة عن أعين هؤلاء الناس الملقبين بالمبشرين وهي نظريتي (١) في هذه المسألة فنقول :-

كان بين تلاميذ المسيح رجل يدعى (يهوذا) وهو من قرية تسمى (خريوت) في أرض يهوذا فلذا عرف (بالأسخريوطي) وكان يشبه المسيح في خلقته شبها تاما (٢) ومن المعلوم أن المسيح كان يدعو الناس إلى دينه في الجليل ولكنه كان

---

*) من قلم الدكتور محمد توفيق افندى صدقى

(١) حاشية : النظرية هي الرأي الذي يقال لتفسير بعض المسائل وتعليل بعض الحقائق تعليلا عقليا مقبولا فنحن في هذه المقالة قد فرضنا جدلا صحة أكثر ما في هذه الاناجيل من الحكايات وسلمنا أن لبعضها الآخر أصلا صحيحاً وما رفضناه منها انما هو لسبب معقول . ولكن علمنا بما فعل منتحلو النصرانية الاقدمون من التلاعب والتحريف والغش والتزوير فيما وصل الى ايديهم من الكتب سواء كانت لهم أو لغيرهم من الامم وافتجارهم الرسائل الكثيرة والكتب العديدة ونسبتها الى غير مؤلفيها كل ذلك يحملنا على الشك في جميع مانقلوه ورووه ولذلك ترى علماء النقد الآن في أوربة يشكون في جميع هذه الكتب المقدسة عندهم ويرفضونها بالبراهين العلمية العقلية التاريخية الصحيحة ومنهم من تغالى حتى أنكر وجود المسيح نفسه في العالم لكثرة ماعلمه عن القوم من الاباطيل والاختراعات والاكاذيب والمفتريات (راجع دائرة معارف التوراة مجلد ٣ ص ٣٦٢٠ وكتابات المستر ج م . روبرتسن)

(٢) حاشية : ذكر العلامة جورج سيل الانكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران ص ٣٨ أن السيرنثيين (Cerinthians) والكربوكراتيين (Carpocratians) وغيرهم من اقدم فرق النصارى قالوا ان المسيح نفسه لم يصلب وانما صلب واحد آخر « من تلاميذه يشبهه شبها تاما » . وفي انجيل برنابا صرح بأن هذا التلميذ الذي صلب بدل المسيح =

يذهب إلى أورشليم كل سنة في عيد الفصح كما هي عادة اليهود فزارها في السنة الأولى من بعثته وكان هو وأتباعه القليلون محتقرين فيها لان اليهود كانوا يحتقرون أهل الجليل وخصوصا سكان (الناصرة) (١) فما كان أحد يبالي بهم أو يلتفت إليهم، وفي السنة الثالثة من بعثته لما زارها في المرة الاخيرة من حياته كان شأنه قد ارتفع عن ذي قبل وكثرت أتباعه فحقد عليه رؤساء اليهود الذين استاءوا من أقواله وأعماله وتعاليمه فصمموا على الفتك به واتفقوا مع يهوذا الاسخريوطي على أن يدل مبعوثيهم عليه ليقبضوا عليه فذهب يهوذا معهم ودلهم عليه فانهم ما كانوا يعرفونه (مرقس ١٤ : ٤٣ ـ ٤٦) فأمسكوه وكان ذلك ليلا وساقوه الى بيت رئيس الكهنة فتركه جميع تلاميذه وهربوا (مر ١٤ : ٥٠) ولكن تبعه بطرس من بعيد ثم أنكر علاقته به وفر هو أيضا هاربا (وأما دعوى صاحب الانجيل الرابع أن يوحنا تبعه أيضا (يو ١٨ : ١٥ ـ ١٨) فالظاهر أنها مخترعة من واضعه لمدح يوحنا كما سيأتي بيانه وإلا لذكرها الثلاثة الانجيليون الآخرون)

ولما كان الصباح ساقوه الى بيلاطس الذي كان يود إنقاذه منهم ولكن الظاهر من الاناجيل أنه لم يفلح فحكم بصلبه فأخذه العسكر إلى السجن حتى يستعدوا للصلب ففر من السجن هاربا إما بمعجزة أو بغير معجزة كما فر بعض أتباعه بعده من السجون أيضا (راجع أع ١٢ : ٦ ـ ١٠ و ١٦ : ٢٥ و ٢٦) وربما ذهب الى جبل الزيتون ليختفي (انظر مثلا يو ٨ : ١ و ٥٩ و ١٠ : ٣٩ و ١١ : ٥٣ ـ ٥٧) وهناك توفاه الله أو رفعه اليه بجسمه أو بروحه فقط

= هو يهوذا الاسخريوطي وهو الذي قالت عنه كتبهم انه انتحر يوم الصلب (مت ٢٧ : ٣ ـ ٨) لانهم لم يجدوه والظاهر انهم لم يعرفوا حقيقة ما حدث له ولذلك اختلفت تفاصيل قصته في سفر الاعمال (١ : ١٨ ـ ٢٠) عما في انجيل متى . فلهذا كله ذهبنا الى انه كان يشبه المسيح وانه هو الذى صلب بدله كما في المتن

(١) حاشية ـ : دعوى ولادة المسيح في (بيت لحم) قد كذبها علماء النقد في أوربة وبينوا أن الاحصاء الذي يقول لوقا انه حمل مريم أم عيسى ويوسف على السفر الى بيت لحم للاكتتاب هناك (لو ٢ : ١ ـ ٧) لم يحدث الا في مدة ولاية كيرينيوس الثانية أي بعد ولادة عيسى بنحو ١٠ سنين على الاقل . والذي حمل النصارى على هذا التلفيق رغبتهم في تطبيق نبوات اليهود وأفكارهم على المسيح (كما في ميخا ٥ : ٢ ـ ٩) فان اليهود كانت تعتقد أن المسيح لابد أن يكون من نسل داود ومولودا في مدينته التي ولد فيها (بيت لحم) مع أن نسل داود كان قد انقرض قبل زمن المكابيين ولم يقف أحد له على أثر (راجع الفصل الثاني والخامس عشر من كتاب رينان في حياة المسيح)

فخرج الحراس للبحث عنه. وكان يهوذا مسلمه قد صمم على الانتحار وخارجا ليشنق نفسه في بعض الجبال (متى ٢٧: ٣-١٠) ندما وأسفا على ما فعل فلقيه الحراس، ونظرا لما بينه وبين المسيح من الشبه التام فرحوا وظنوه هو وساقوه إلى السجن (١) متكتمين خبرهرو به

(١) حاشية : فان قيل ان الذي يفهم من هذه الاناجيل أن الصلب كان عقب صدور أمر بيلاطس مباشرة فلم يكن ثم وقت لهروبه من السجن ولا للقبض على غيره كما تقول ، قلت : وهل يوثق بما في هذه الاناجيل من التفاصيل المتضاربة المتناقضة في كل جزئية من جزئيات حياة المسيح كما بينه بالتفصيل التام كثير من علماء الافرنج أنفسهم كصاحب كتاب دين الخوارق (Superatuarl Religion) وغيره ؟ ألا ترى أن هذه الاناجيل اختلفت حتى في نفس يوم الصلب وساعته وفي يوم صعود المسيح الى السماء ومكانه ؟ فقد نصت الثلاثة الاول منها على أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه كعادة اليهود (أي في يوم ١٤ نيسان) (راجع متى ٢٦ : ١٧ و ١٩ و ٣٦ و ٤٧ ومر ١٤ : ١٢ و ١٦ ولو ٢٢ : ٧ و ١٣) وأن عشاءه الاخير كان في يوم الفصح المذكور ولذلك اتخذه النصارى خصوصاً في أسيا الصغرى عيداً من قديم الزمان . ثم صلب في اليوم الثاني للفصح (أي في ١٥ نيسان) ولكن الانجيل الاخير جعل هذا العشاء ليس في يوم الفصح بل عشاء آخر عاديا قبل الفصح كما في الاصحاح ١٣ منه (أي في يوم ١٣ نيسان) فيكون الصلب وقع في يوم ١٤ منه أي يوم عيد الفصح نفسه والذي حمل مؤلفه على على ذلك أنه أراد أن يجعل هذا العيد اليهودي رمزاً الى المسيح كأنه هو خروف الفصح الذي يذبح في هذا اليوم بخلاف الاناجيل الاخري فانها نصت على أن الخروف كان ذبح قبل يوم الصلب وأكله المسيح نفسه مع تلاميذه وسن فريضة العشاء الرباني في هذا اليوم لذكراه لانه كان يوم وداعه وأعظم أعياد الشريعة الموسوية . ولكن الانجيل الرابع يتجاهل هذه الفريضة كما يفهم من الاصحاح ١٣ المذكور ويقول بعد ذلك ان محاكمة المسيح أمام بيلاطس كانت وقت استعداد اليهود للفصح في الساعة السادسة وأن اليوم التالي لهذا الاستعداد كان يوم السبت وكان عظيما عند اليهود أي لانه أول أيام الفطير (راجع يو ١٩ : ١٤ و ٣١) وهو صريح في أن الصلب وقع في يوم الاستعداد الذي يذبح في مساءه خروف الفصح أي يوم ١٤ نيسان وعليه فلم يجعل المسيح هذا اليوم عيداً بحسب الانجيل الرابع ولذلك تركت كنيسة رومة وأكثر النصاري عيد الفصح هذا واستبدلوا به عيد القيامة وقد وقعت بينهم وبين نصارى أسيا الصغرى مناقشة عنيفة في هذا الموضوع في أواخر القرن الثاني وأصر أهل أسيا على جعل يوم عيد الفصح اليهودي (١٤ نيسان) عيداً لهم أيضاً لانهم يقولون ان يوحنا الذي كان مقيما في وسطهم وغيره من تلاميذ المسيح كانوا يحتفلون بهذا العيد كما رواه يوسيبيوس في القرن الثالث عن بوليكارب تلميذ يوحنا وروى بوليقراط (Polycrates) أسقف أفسس في آخر القرن الثاني عن يوحنا مثل هذا أيضاً. فكيف اذاً اتخذ يوحنا هذا اليوم (يوم الفصح اليهودي) عيداً مع أنه لم يذكر في انجيله — اذا صح أنه هو الكاتب له — أن المسيح جعله عيداً كما قالت الاناجيل الثلاثة الاخرى بل صلب فيه فلم يسن فيه فريضة العشاء الرباني ولا أكل الفصح في هذه السنة ؟ (راجع كتاب دين الخوارق ص ٥٥٢ و ٥٥٣ ٥٦٣ و ٥٦٤) وقد نص يوحنا على أن المسيح كان مقبوضا عليه قبل أن يأكلوا الفصح (١٨ : ٢٨) مع أن الاناجيل الاخرى نصت علي أن القبض =

خوفاً من العقاب ولما وجدهوذا أن المقاومة لا تجدي نفعاً ولما طرأ عليه من التهيج العصبي والاضطراب النفساني الشديد الذي يصيب عادة المنتحرين قبل الشروع في الانتحار، ولاعتقاده أنه بقتل نفسه يكفر عما ارتكب من الاثم العظيم ولعله أن

عليه كان بعد أكل الفصح فهل بعد ذلك يقال انهم متفقون ؟ وهل هذه العبارة تقبل أيضا التأويل؟

أما ساعة الصلب فهي أيضا مختلفة في الاناجيل كما قلنا ففي انجيل مرقس أنه صلب في الساعة الثالثة (مر ١٥ : ٢٥) وفي انجيل يوحنا (١٩ : ١٤) أنه لم يصلب الا بعد الساعة السادسة. فان قيل ان ماذكره يوحنا هو بحسب اصطلاح الرومان . قلت وكيف يجري يوحنا على هذا الاصطلاح مع أنه كتب انجيله في اسيا الصغرى ولا يجرى على هذا الاصطلاح مرقس الذي كتب انجيله في رومة نفسها بناء على طلب الرومان منه ذلك كما رواه اكليمندس الاسكندري ويوسيبيوس وجيروم وغيرهم ؟ ؟ على اننا اذا راجعنا انجيل يوحنا نفسه ظهر لنا نقض هذه الدعوى فانه قال (يو ١٨ : ٢٨) انهم جاءوا بيسوع من عند (قيافا) الى بيلاطس في الصبح فخرج اليهم بيلاطس لمحاكمته ثم أخذ يسوع الى دار الولاية (عدد ٣٣) وناقشه مدة ثم خرج الى اليهود (٣٨) ثم أخذ يسوع وجلده (١٩ : ١) واستهزأت به العساكر ثم أخرجه اليهم (١٩: ٤) وناقش اليهود في أمره ثم دخل الى دار الولاية (١٩: ٩)وتكلم مع المسيح ثم اخرجه وجلس على كرسي الولاية في موضع يقال له البلاط وبالعبرانية جباثا (١٩ : ١٣)فكانت الساعة السادسة (يو ١٩ : ١٤) فاذا كان المراد بهذه الساعة الساعة الرومانية اي في الصباح كما يقولون فكم كانت الساعة اذاً حينما اتوا بالمسيح الى بيلاطس وقت الصبح كما قال يوحنا نفسه (يو ١٨ : ٢٨) أفلم تستغرق كل هذه المحاكمة والدخول والخروج بالمسيح والتكلم معه ومع اليهود زمنا ما وهل عملت كلها في لحظة واحدة في الصباح نحو الساعة السادسة ؟؟ وكم كانت الساعة اذاً حينما أيقظوا بيلاطس في الصبح من نومه لمحاكمته ؟ ومتى أرسله الى هيرودس كما يقول لوقا (٢٣ : ٧-١١)؟ فالحق أن المراد بالساعة هنا الاصطلاح العبراني الذي جرى عليه مرقس وغيره لا الاصطلاح الروماني كما يزعمون . ولذلك حرفوا هذه العبارة في بعض نسخهم وكتبوه الثالثة بدل السادسة (يو ١٩ : ١٤) لرفع هذا الاشكال !!

اما اختلافهم في يوم صعود المسيح الى السماء ومكانه فبيانه : ان المسيح بحسب انجيل متى (٢٨ : ١٦ و ١٧) صعد بعد ظهوره لرسله من الجليل اى بعد مدة طويلة من قيامته من الموت وفي انجيل لوقا أنه صعد في يوم قيامته من مدينة اورشليم نفسها (لو ٢٤ : ١ و ١٣ و ٢١ و٢٩ و ٣٣ و ٣٦ و ٤٩ و ٥٠ - ٥٣)

وفي انجيل يوحنا (٢٠ : ٢٦) انه ظهر لهم بعد ثمانية ايام من قيامته اى ان الصعود لم يكن في يوم قيامته كما في انجيل لوقا

ومن العجيب انهم يقولون ان لوقا هو مؤلف سفر الاعمال ايضا وتراه في هذا السفر يقول انه صعد من اورشليم بعد اربعين يوما (اع ١ : ٣ - ٩) وهو خلاف ما في انجيله ويخالف ايضا انجيل متى ومرقس (مر ١٦ : ٧) اللذين جعلا الصعود من الجليل لا من اورشليم

فانظر الى مقدار اختلافهم وتضاربهم حتى في هذه المسألة الهامة !! فهل بعد ذلك نلام لاننا لم نعول على كل عبارة من عبارات اناجيلهم في هذه الادلة ؟ !

قتله بيد غيره أهون عليه من قتل نفسه بيده ـ لهذه الاسباب كلها استسلم للموت استسلاما تاما ولم يفه ببنت شفة رغبة منه في تكفير ذنبه وإراحة لضميره بتحمله العذاب الذي كان سلم سيده لاجله (١) ولما جاءت ساعة الصلب اخرجوه وساروا به وهو صامت ساكت راض بقضاء الله وقدره ونظرا لما أصابه من التعب الشديد والسهر في ليلة تسليمه للمسيح وحزنه واضطرابه لم يقو على حمل صليبه أو أنه رفض ذلك فحملوه لشخص آخر يسمى سمعان القيرواني وذهبوا الى مكان يسمى الجمجمة خارج أورشليم وهناك صلبوه مع مجرمين آخرين فلم يكن هو وحده موضع تأمل الناس وامعانهم ولم يكن أحد من تلاميذ المسيح حاضرا وقت الصلب إلا بعض نساء كن واقفات من بعيد ينظرن الصلب (مت٢٧ : ٥٥) ولا يخفى أن قلب النساء لا يمكنهن من الامعان والتحديق إلى المصلوب في مثل هذا الموقف وكذلك بعد موقفهن عنه فلذا اعتقدن أنه هو المسيح . وأما دعوى الانجيل الرابع (١٩ : ٢٦) أن مريم أم عيسي ويوحنا كانا واقفين عند الصليب فالظاهر أنها مخترعة كالدعوى السابقة لمدح يوحنا أيضا إذ يبعد كل البعد (كما قال رينان) ان تذكر الاناجيل الثلاثة الأول اسماء نساء أخريات وتترك ذكر مريم امه وتلميذه المحبوب (يوحنا) ـ كما يسمى نفسه بذلك في أغلب المواضع ـ اذا صح أنه هو مؤلف الانجيل الرابع (انظر أصحاح١٣ : ٣ و٢ : ٢٠ وغير ذلك كثير)

هذا وقلة معرفة الواقفين للمسيح لانه كان من مدينة غير مدينتهم (راجع يوحنا ص ٧) وشدة شبه يهوذا به وعدم طروء أي شيء في ذلك الوقت يشككهم فيه كل ذلك جعلهم يوقنون أن المصلوب هو المسيح، حتى اذا شاهد القريبون منه

---

(١) حاشية : ـ يقول النصاري ان يهوذا هذا مطرود من رحمة الله مع أنه ندم ندما شديداً وتاب توبة نصوحا ولم يكفه ذلك حتى انتحر كما يقولون؟ (متى ٢٧ : ٣ ـ ١٠) وكان من ضمن الاثنى عشر رجلا الذين بشرهم عيسى بالجنة (متى ١٩ : ٢٨) فلم لم يغفر ذنبه كما غفر ذنب التلاميذ الذين فروا وتركوا المسيح ، وكما غفر ذنب بطرس الذي أنكر سيده وتبرأ منه وأقسم أنه لايعرفه مع أن توبته كانت قاصرة على البكاء . فلم لايكون بطرس من الناس الذين تبرأ منهم المسيح بقوله متى٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ اصرح لهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يافاعلي الاثم) ؟!! وخصوصا لان المسيح قد سماه شيطانا (مت ١٦ : ٢٣)

تفاوتا قليلا في خلقته حملوه على تغير السحنة الذي يحدث في مثل هذه الحالة ومن مثل هذا العذاب . وكم في علم الطب الشرعي من حوادث ثابتة اشتبه فيها بعض الناس بغيرهم حتى كان منهم من عاشر امرأة غيره الغائب بدعوى أنه هو وجازت الحيلة على الزوجة والاهل والاقارب والمعارف وغيرهم ثم عرفت الحقيقة بعد ذلك. وأمثال هذه الحوادث مدونة في كتب هذا العلم في باب تحقيق الشخصية (Identification) فليراجعها من شاء

ومنهم من شابه غيره حتى في آثار الجروح والعلامات الاخرى واللهجة في الكلام (راجع الفصل الاول من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفريو الانكليزيين)

فلا عجب إذن اذا خفيت حقيقة المصلوب عن رؤساء الكهنة والعسكر وغيرهم وخصوصا لانهم ما كانوا يعرفونه حق المعرفة ولذلك أخذوا يهوذا ليدلهم عليه كما سبق فاشتبه عليهم الامر كما بينا وكان المصلوب هو يهوذا نفسه الذي دلهم عليه فوقع فيما كان دبره لسيده (أنظر مز ٦ : ٨ - ١٠ و ٧ : ٥ ؛ ومز ٣٧ وأمثال ١١ : ٨ و٢١ : ١٨)

ولما كان المساء جاء رجل يسمى يوسف فأخذ جسد المصلوب ووضعه في قبر جديد قريب ودحرج عليه حجرا وكان هذا الرجل يؤمن بالمسيح ولكن سرا (يو ١٩ : ٣٨) ومن ذلك يعلم أنه ما كان يعرف المسيح معرفة جيدة تمكنه من اكتشاف الحقيقة وخصوصا بعد الموت فإن هيئة الميت تختلف قليلا عما كانت وقت الحياة لاسيما بعد عذاب الصلب. وروى الانجيل الرابع وحده أن رجلا آخر يدعى نيقوديموس ساعد يوسف في الدفن أيضا (١٩ : ٣٩) وكان هذا الرجل عرف (يسوع) من قبل وقابله مرة واحدة في الليل (يو ٣ : ١ - ١٣) فمعرفته به قليلة جدا وكانت ليلا منذ ثلاث سنين تقريبا أي في أوائل نبوته . وفي كتب الطب الشرعي والمجلات الطبية عدة حوادث خدع فيها الابوان والاقارب بجثث موتى آخرين (راجع كتاب الطب الشرعي المذكور صفحة ٣٢ منه) فما بالك اذا لم يكن الشخصان الدافنان للمصلوب يعرفانه حق المعرفة كما بينا

لذلك اعتقد جمهور الناس وقتئذ أن المسيح صلب ومات ودفن فحزن تلاميذه وأتباعه حزنا شديدا وفرحت اليهود وشمتوا بهم ولو أمكن التلاميذ احياءه من الموت لفعلوا ففكر منهم واحد أو اثنان في إزالة هذا الغم الذي حاق بهم وما لحقهم من اليهود من الشماته والاحتقار والذل فوجد أن أحسن طريقة لازالة كل ذلك ولاغاظة اليهود أن يسرق جثة المصلوب من القبر ويخفيها في مكان آخر ليقال إنه قام من الاموات ولم تفلح اليهود في إعدامه إلا زمنا قليلا وهكذا فعل وأخفى الجثة

فلما مضى السبت الذي لا يحل فيه العمل لليهود جاءت مريم المجدلية الى القبر في فجر يوم الاحد فلم تجد الجثة فدهشت وتعجبت وأسرعت الى بطرس (ويقول الانجيل الرابع كما هي عادته الى يوحنا أيضا) وأخبرتهما أن الجسد فقد من القبر فذهبا معها ووجدا كلامها صحيحا فقالا « لابد إنه قام من الموت » وهذا القول هو أقرب تفسير يقال من تلاميذ المسيح المحبين له المؤمنين به وربما كانا هما المخفيين للجثة أو أحدهما (بطرس) ولذلك نجده في سفر الاعمال وفي الرسائل يتكلم أكثر من يوحنا عن قيامة المسيح بل أكثر من جميع التلاميذ الآخرين

أما مريم المجدلية فمكثت تبكي لعدم وجود الجثة وعدم معرفتها الحقيقة وكانت عصبية هستيرية (وبتعبيرهم كان بها سبعة شياطين (مرقص ١٦ : ٩)) فخيل لها أنها رأت المسيح ففرحت وأسرعت وأخبرت التلاميذ (يو ٢٠ : ١٨) أنها رأته وأما النساء الأخريات اللاتي ذهبن الى القبر فلم يرينه كما يفهم من انجيل مرقص واوقا وغاية الامر أنهن رأين القبر فارغا وبعض الكفن الابيض باقيا فخيل لبعضهن وكلهن عصبيات أن ملكا كان واقفا في القبر وأمثال هذه التخيلات الخادعة كثيرة الحصول للناس وخصوصا للنساء عند القبور وفي وقت الظلام (يو٢٠ : ١) وما حادثة قيام (المتبولي) من قبره عند عامة أهل القاهرة ببعيدة . ويجوز أنهن رأين رجلين من أتباع المسيح ممن لا يعرفنهم وكانا هما السارقين للجثة ففزعن منهما وغشاهن حتى ظنن أنهما ملكان بثياب بيض (أنظر لو ٢٤ : ٤) فكثرت أحاديث هؤلاء النسوة كل منهن عما رأته ومنها نشأت قصص الاناجيل في قيامة المسيح كما

نشأت الحكايات الكثيرة المتنوعة عن قيامة المتبولي في هذه الايام في مصر (١) ولذلك اختلفت « قصة القيامة » في الاناجيل اختلافا عجيبا يدل على أن كل كاتب أخذ ما كتب عما حوله من الاشاعات والروايات المختلفة التي لم تكن وقتئذ مرتبة ولا منظمة

ويظهر من هذه الاناجيل أن التلاميذ بعد ذلك صاروا مخاطين بالوساوس

---

(١) جاء في العدد ٧١٧٤ من جريدة المقطم الصادرة في يوم الخميس ٣١ أكتوبر سنة ١٩١٢ — ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٠ ما يأتي بالحرف الواحد : —

(ورد على محافظة العاصمة اليوم اشارة تلفونية بحدوث تجمهر كبير وهياج عظيم أمام الكنيسة الجديدة التي ينشئها النزلاء اليونانيون في هذه العاصمة وان أكثر المجتمعين يرمون بالحجارة العساكر الاحتياطية الذين أرسلهم قسم بولاق لحفظ النظام وان بعضهم أصيب بجراح فذهب في الحال سعادة هارفي باشا ومعه قسم من بلوك الخفر وقسم كبير من بلوك السواري وجناب البكباشي اوثر المفتش ببوليس العاصمة وحضرة عبد الرحمن افندي أحمد المفتش بالحكمدارية الى مكان الحادثة ولما رأى كثرة الجموع المتألبة في ذلك المكان أمر باحضار وابور المطافيء ثم أطلقت المياه منه عليهم فتشتتوا ووقفوا جماعات جماعات رجالا ونساء في أماكن بعيدة وجعلوا يصيحون يامتبولي يامتبولي

ثم حضر الى مكان الحادثة سعادة ابراهيم باشا نجيب محافظ العاصمة وعزتلو علي بك وكيلها وشهدا الاجراآت التي اتخذها البوليس لتشتيت المجتمعين

وكان السبب في هذا التجمهر والهياج أن بعض الموسوسين من سكان جهة المتبولي أشاع أمس الساعة الثامنة مساء انه رأى الشيخ المتبولي المدفون في ضريحه المعروف أمام محطة مصر قد قام من ضريحه ووقف على قبته ثم طار في الفضاء ونزل على الكنيسة اليونانية التي تقدم ذكرها فتناقل الناس هذه الاشاعة واجتمع خلق كثير في نحو الساعة العاشرة مساء امام الكنيسة وجعلوا يصيحون سرئ يامتبولي فحضر حضرة مأمور القسم وبعض العساكر وفرقوهم

ثم حدث في الساعة الثامنة من صباح اليوم أن مجذوباً من سكان قسم بولاق — وهو رجل في السبعين من عمره يدعى فارس اسماعيل واصله من أسيوط وقد حضر الى مصر منذ خمسين سنة — خرج من منزله لابسا عمامة وملابس خضراء وأخذ يركض في الشوارع ويصيح فيها أنا المتبولي أنا المتبولي فاجتمع خلفه خلق كثير وساروا في موكب من بولاق الى شارع الدواوين وكانوا جميعاً يصيحون يامتبولي ويلثمون يده وملابسه وما زالوا سائرين كذلك الى المسجد الزيني حيث دخل الرجل فتبعه الناس وازدحم الميدان بالمتجمهرين فقام حضرة الصاغ علي شكري أفندي مأمور القسم وقبض على الرجل وأحضره الى الحكمدارية . أما الجماهير التي كانت تسير معه فقصدت الكنيسة اليونانية وأفضى ذلك الى تلك المظاهرة التي فرقها رجال البوليس) اه

ذكرنا هذه الحادثة المضحكة هنا ليعلم القاريء مبلغ تأثير الوهم والاشاعات الكاذبة في عقول العامة والجهلة من الناس وخصوصا النساء . بل قد يتسلط الوهم على بعض العقلاء حتى يروا ما لا حقيقة له . فاقرأ بعد ذلك قصة قيامة المسيح من الموت وما حدث للنساء اللاتي ذهبن الى قبره هذا اذا صح أن هذه القصة ليست ملفقة من أولها الى آخرها وانها في الاصل كانت كما رويت في هذه الاناجيل الحالية على أن التلفيق ثابت عليهم فيها . راجع ص ٧٦ من كتاب دين الله

والاوهام من كل جانب حتى إنهم كانوا كلما لاقاهم شخص في الطريق واختلى بهم أو أكل معهم ظنوه المسيح ولو لم يكن يشبهه في شيء ظنا منهم أن هيئته تغيرت (مر ١٦ : ١٢ ولوقا ٢٤ : ١٦ ويو ٢١ : ٤-٧) فكانت حالهم أشبه بحال العامة من سكان القاهرة الذين التفوا منذ زمن قريب حول رجل سائر في الطريق في صبيحة اشاعة انتقال المتبولي من قبره وكلهم يصيحون (سرك يامتبولي) كما نقلناه هنا عن بعض جرائد العاصمة التي ذكرت تلك الحادثة في ذلك الحين لاعتقاد الناس أنه هو المتبولي الذي قام من قبره وكانوا يعدون بالمئات ان لم يبلغوا الالوف. ولا يبعد أن بعض أولئك الناس الذين لاقاهم التلاميذ كان بلغهم تلك الاشاعات عن قيامة المسيح فكانوا يضحكون من التلاميذ ويسخرون بهم ويأتون من الأعمال والحركات مايوهم التلاميذ أن ظنهم فيهم هو صحيح كما كان ذلك الرجل السابق ذكره يقول للناس لما رآهم التفوا من حوله « أنا المتبولي . أنا المتبولي »

وروى الدكتور كار بنتر في كتابه (أصول الفسيولوجيا العقلية) ص ٢٠٧ ان السير والتر سكوت (Sir Walter Scott) رأى في غرفته وهو يقرأ صديقه اللورد بيرون (Lord Byron) بعد وفاته واقفا أمام عينيه فلما ذهب اليه لم يجد شيئا سوى بعض ملابس وهي التي أحدثت هذا التخيل الكاذب (Illusion) وفي حريق قصر البلور (Crystal Palace) في سنة ١٨٦٦ خيل لكثير من الناس أن قردا يريد الفرار من النار بتسلقه على قطع حديدية كانت في سقف هناك والناس وقوف يشاهدون هذا المنظر متألمين ، ثم اتضح أنه لم يكن ثم قرد مطلقا وانما هو منظر كاذب كما حكاه الدكتور تيوك (Dr. Tuke) وذكر الدكتور هبرت (Dr. Hibbert) في مقال له أن جماعة كانوا في مركب فشاهدوا امامهم طباخا لهم يمشي وكان مات منذ بضعة أيام فلما وصلوا اليه وجدوا قطعة من خشب طافية على سطح الماء ، وهناك أمثلة أخرى عديدة كهذه يعرفها المطلعون على علوم الفسيولوجيا والپسيكولوجيا والامراض العقلية وكان المخدوعون فيها عدة اشخاص

ويدخل في هذا الباب (باب الخيالات الكاذبة والاوهام) دعوى القبط

في مصر أنهم في ثاني يوم لعيد النيروز « اي ٢ توت من السنة القبطية » اذا نظروا الى جهة الشرق بعد طلوع الشمس بقليل رأوا رأس يوحنا المعمدان كأنه في طبق والدم يسيل من جوانبه وقد اكد لي بعضهم -وهو من الصادقين عندي- أنه رأى ذلك المنظر بعيني رأسه في الافق وكثير من نسائهم يقلن انهن رأينه أيضا !!

ومن ذلك أيضا ما كان يراه القدماء وخصوصا النصارى في أوروبا في القرون الوسطى وقت ظهور ذوات الاذناب في السماء كالذي ظهر عندهم في سنة ١٥٥٦ ميلادية فانهم رأوا فيه وفي غيره سيوفا من نار وصلبان وفرسان على الخيل وغزلان وجماجم قتلى إلخ إلخ وكانوا يتشاءمون من هذه المناظر وينزعجون منها ، وقد رسم بعضهم صور ما كانوا يرونه من ذلك ونشر في كتبهم (راجع كتاب « الفلك للعاشقين » تأليف كاميل فلامريون ص ١٨٧ و ١٨٩) .

ورأى اليهود قبل خراب أورشليم نحو ذلك أيضا في السماء كمركبات وجيوش بأسلحتها تركض بين الغيوم حتى تشاءموا منها كثيرا . وفي عيد الخمسين لما كان الـكهنة داخلين ليلا في دار الهيكل الداخلي سمعوا صوتا كأنه صوت جمع عظيم يقول (دعنا نذهب من هنا) إلى غير ذلك من الاوهام والخيالات التي وصفها مؤرخهم الشهير يوسيفوس في بعض كتبه وذكرها أيضا تاسيتوس مؤرخ الرومان وهي أوهام لم تخل أمة من مثلها في كل زمان اومكان !! وقد تظهر أيضا مناظر عجيبة كهذه في الافق من انكسار أشعة الشمس في طبقات الهواء (Mirage) راجع كتاب « الرسل » لرينان ص ٤٢ في رؤية المسيح في الجليل بعد الصلب .

أما دعوى الانجيـل الاول (متى) أن حراسا ضبطوا القبر وختموا عليه (٢٧ : ٦٦) فهي كما قال العلامة (ارنست رينان) اختراع يراد به الرد على اليهود الذين ذهبوا إلى القول بسرقة الجثة حينما أكثر النصارى من القول بالقيامة بعد المسيح بمدة (انظر مت ٢٨ : ١٥) ولذلك لم ترد قصة حراسة القبر في الاناجيل الاخرى ولو كانت حقيقية لما تركوها فهي الرد الوحيد الذي أمكن لكاتب الانجيل الاول أن يبتكره لدفع ماذهب اليه اليهود في ذلك الزمان . وزد على ذلك أن هـذا الاصحاح (٢٧) من انجيل متى قد اشتمـل على غرائب أخرى كانفتاح

القبور وقيام الراقدين من الموت ودخولهم المدينة ، الخ الخ (٢٧ : ٥١ ـ ٥٤) وكل هذه أشياء يراد بها التهويل والمبالغة ولا يخفى على عاقل مكانها من الصحة ولذلك رفضها المحققون من علماء أوروبا اليوم . ولو وقعت لكانت أغرب مارأى الناس ولتوفرت الدواعي على نقلها فنقلها كتبة الاناجيل كلهم ممن اعتمدت الكنيسة أناجيلهم ومن غيرهم ولاشتهرت فنقلها المؤرخون كيوسيفوس وغيره .

ولا ندري متى قال المسيح لليهود إنه سيقوم في اليوم الثالث ؟ ولماذا لم يظهر نفسه لهم ؟ وما فائدة هذا الجسد المادي الذي كان يحتاج للاكل والشرب بعد القيامة (لو ٢٤ : ٤١ و٤٢) حتى يحيى بعد الموت ويبقى إله العالمين مقيدا به إلى الابد ؟ نعم ورد في انجيل يوحنا أنه قال لليهود (٢ : ١٩) (انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه) ولكن نصت هذه الاناجيل على ان اليهود لم يفهموا هذا القول بل ولا تلاميذ المسيح أنفسهم (انظر لوقا ١٨ : ٣٤ ويو ٢ : ٢١ و٢٢ و٢٠ : ٩ ومر ٩ : ٣٢) وقد كذب هذه العبارة متى نفسه فقال إنها شهادة زور (٢٦ : ٦٠ و٦١) فكيف إذا أرسل اليهود (كما قال متى) حراسا ليضبطوا القبر خوفا من ضياع الجثة ؟ وأي شيء نبههم إلى ذلك العمل مع أن أقوال المسيح لم يفهمها نفس تلاميذه إذا صح أنه قال هذه العبارة أو غيرها ؟ أما قوله لليهود (متى ١٢ : ٤٠) (لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال) فقد قال فيه بعض محققيهم (مثل بالس وشاتر) إنه زيادة من كاتب الانجيل للتفسير . وهي زيادة خطأ فانه لم يمكث إلا يوما وليلتين ولذلك لم ترو هذه الزيادة في انجيل من الاناجيل الاخرى . وقول متى ١٢ : ٣٩ (ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي) يريد به أنه كما آمن أهل نينوى بيونان (يونس) من غير أن يروا منه آية كذلك كان الواجب أن تؤمنوا بي بدون اقتراح آيات وبدون عناد ، ولذلك قال بعد ذلك ٤١ (رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لانهم تابوا بمناداة يونان . وهوذا أعظم من يونان ههنا) وفي القرآن الشريف نحو ذلك أيضا (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب

الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) وعلى كل حال ، اذا كان نفس تلاميذه لم يفهموا ذلك الا بعد قيامته (يو ٢٠ : ٩) مع أنه كان أخبرهم به أيضاً على انفراد (مت ٢٠ : ١٧) فكيف فهمه اليهود قبلهم ؟ وكيف لم يصدق التلاميذ قيامته حينما أخبروا بها ؟ (مر ١٦ : ١١) اذا صح أن المسيح أنبأهم بها من قبل ؟ وكيف يعقل أن رؤساء الكهنة والفريسيين يذهبون الى بيلاطس في يوم السبت كما قال متى (٢٧ : ٦٢) وينجسون أنفسهم بالدخول اليه و بالعمل في السبت كضبط القبر بالحراس وختم الحجر (مت ٢٧ : ٦٦) مع أنهم هم الذين لم يقبلوا الدخول الى بيلاطس يوم محاكمة المسيح خوفاً من أن ينجسوا أنفسهم فخرج هو اليهم كما قال يوحنا (١٨ : ٢٨) وهم الذين سألوه اكراماً للسبت أن لا تبقى المصلوبون على الصليب فيه (يو ١٩ : ٣١) فما هذا التناقض وما هذا الحال ؟

ولنرجع الى ما كنا فيه : وقد اعتقد جمهور الناس في ذلك الوقت أن المصلوب هو المسيح وأنه قام من الموت ولما لم يجدوا يهوذا الاسخريوطي قالوا انه انتحر بشنق نفسه وربما أنهم بعد بعض أيام وجدوا خارج أورشليم في بعض الجبال جثة مشقوقة البطن من التعفن الرّمي فظنوها جثته (اع ١ : ١٨) ويجوز أنها كانت جثة المسيح نفسه على القول بأنه مات بعد هروبه من السجن كباقي الناس، ولم يرفع الى الله تعالى الا رفعاً روحانياً معنوياً كقوله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض) وكقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وقوله (ورفع بعضهم درجات) وفي معنى ذلك أيضاً قوله تعالى (إني ذاهب « الى » ربي سيهدين) وقوله (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقوله (بل أحياء عند ربهم) وغير ذلك كثير .

ولما كان بعض التلاميذ يستبعدون الموت على المسيح لشدة حبهم وتعظيمهم له ـ كما فعل بعض الصحابة عقب موت رسول الله ـ ذهب بعضهم بالرأي والاجتهاد الى ان المصلوب لابد أن يكون غير المسيح وقالوا إنه إما يهوذا او واحد آخر وخصوصاً لأنهم لم يعلموا أين ذهب يهوذا . ومن ذلك نشأت مذاهب مختلفة بين النصارى الاولين في مسألة الصلب والقيامة كانت أساساً لفرق كثيرة ظهرت

بعدهم ذكرناها مرارا سابقة في المنار وغيره مما كتبنا . لذلك قال تعالى (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا)

فساد مذهب القائلين بالصلب لانه هو الظاهر مما شوهد إذ ذاك وساعد على نشره القول بالقيامة ودعمه بولس ومن وافقه بنظرياتهم في الخلاص (١) والفداء

(١) حاشية : اذا صحت عقيدة النصارى في الصلب وخلاص البشر به فلماذا لم يقتل المسيح نفسه أو يطلب من تلاميذه أن يقتلوه قربانا لله بدلا من أن يوقع اليهود في هذا الاثم العظيم؟ فكأن الله تعالى بعد أن دبر هذه الوسيلة لخلاص الناس من سلطة الشيطان لم يقدر أن يخلص بها أحب الشعوب اليه المفضلين على العالمين الذين خصهم كما يقولون بالوحي والنبوة والمعجزات العظيمة من قديم الزمان ولم يعتن بأحد غيرهم اعتناءه بهم حتى جعلهم الواسطة الوحيدة لهداية البشر أجمعين الى دينه الحق !! أما كان هؤلاء الناس أولى بالخلاص دون سواهم فلماذا إذاً أوقعهم في هذا الذنب العظيم بصلبهم المسيح بدون ارادته مع انه كان يمكنه أن يقدم ابنه (هذا البرئ) بدون ايقاعهم في هذا الاثم الكبير !! ألا يدل ذلك لو صح على أن الشيطان قد نجح في اهلاك أحباب الههم وشعبه المختار وعجز هذا الاله عن تخليصهم من مخالبه بعد ان فكر في ذلك مدة طويلة ثم صلب نفسه ومع ذلك لم تنجح حيلته !! فوا أسفا على مثل هذا الاله الضعيف الذي غلبه الشيطان وجعله يندم على خلقه الانسان ويحزن (تك ٦:٦و٧) وأوقعه في الحيرة والارتباك من قبل ومن بعد الطوفان (تك ٨ : ٢١و٢٢ و١١ : ٦و٧ الخ الخ) وما أغناه عن هذا كله لولا حبه في سفك الدماء كثيراً (قض ١١ : ٢٩ ـ ٤٠) حتى سفك دم نفسه وقاده الشيطان الى هذا الانتحار (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وجاءه من قبل ذلك مجرباً وممتحنا ليسجد له وليكفر (مت ٤ : ١ ـ ١٠) ولم يكتف بذلك (على حسب زعمهم) بل أصاب ويصيب عبادة بالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم والجنون والعتاهة وغير ذلك من الامراض التي تنسبها كتبهم الى تأثير الشيطان ولا يقدرون الآن على تخليص الناس من شره وسلطانه فما أعظمه عندهم من لعين قادر حتى قهر العالمين والههم فمن منهما سحق الآخر على ما يقول سفر التكوين (٣ : ١٥) (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

واذا صح أن المسيح ادعى الالوهية بين اليهود (يو ٨ : ٥٨ و١٠ : ٣٠ و٣٣) فأي ذنب عليهم في قتله وهم لم يفعلوا شيئاً سوى تنفيذ ما أمرهم الله تعالى به على لسان موسى. قال في سفر التثنية ١٣ : ١ اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الاعجوبة التي كلمك منها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها الى قوله ٥ وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يُقتل) فاذا كان الله يعلم أن المسيح سيدعي الالوهية ويدعو الناس لعبادته فلماذا وضع هذا الحكم في الشريعة الموسوية ؟ ولما أنفذه اليهود اطاعة له كرههم وغضب عليهم فلم هذا التضليل ولم هذا الظلم ؟ فمقتضى عقيدة النصارى أن الله تعالى عاجز جاهل ولذلك ما كان يعلم المستقبل وكان كما يقول سفر التكوين يضطر للنزول (!!) ليشاهد بنفسه أعمال البشر (تك ١١ : ٥ و٦ و١٨ : ٢١) التي أغضبته وجعلته يندم ويحزن فكأنه ما كان يعلم ماذا يصير اليه أمر الانسان ولذلك ترى أنه بعد أن دبر طريقة الخلاص ومات صلبا لم يخلص من البشر الا قليل بالنسبة لمجموعهم وأهلك بسبب ذلك أفضل أمة عنده !! (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا)

و ببعض نصوص من العهد القديم لووها وأولوها بحسب أوهامهم وأفكارهم وقد بينا بطلانها في كتاب (دين الله) وقد رفض بولس هذا وجميع رسائله اقدم فرقهم القديمة كالابيونيين (Ebionites) وكانوا اقرب الناس الى تعاليم المسيح الحقيقية وغاية فى الزهد والتقوى وكان عندهم انجيل متى العبراني الاصلي المفقود الآن .

ومن الجائز أن يوسف ونيقوديموس (اذا صح أنه حضر معه) كانا يخافان على الجثة من اليهود أن يهينوها أو يمثلوا بها أو يتركوها للحيوانات المفترسة كالمعتاد أو نحو ذلك زيادة في النكاية بالمسيح و بأتباعه وكما كان يعمل في المصلوبين بحسب عادة الرومان ، فتظاهرا بأنهما قد أتمّا دفن الجثة وضيا . فلما تحققا أنه لم يبق عند القبر أحد مطلقا خوفا من أن يطلع على ما يفعلان رجعا ونقلاها الى موضع آخر لايعلمه أحد ، وتعاهدا على أن لا يبوح أحد بسرهما ثم ذهب يوسف الى بلدته الرامة على بعد ٦ أميال الى الشمال من أورشليم ورجع نيقوديموس الى بيته وكلاهما كان عضوًا في (السنهدريم) -مجمع اليهود- وكانا يؤمنان بالمسيح ولكن سرا لخوفهما من اليهود (يو ١٩ : ٣٨و٧:٥٠) وربما أنهما لم يجاهرا اليهود بشيء حتى ولا بأنهما هما اللذان دفنا الجثة وخصوصا نيقوديموس، ولذلك لم تذكره الاناجيل الثلاثة الاول، وربما قال يوسف لليهود تعمية لهم «اني بعد ان استلمت الجثة وكفنتها سلمتها لغيري ممن حضر ليدفنها وتركته ولا أعلم باليقين أين وضعها ولا أعرف اسمه» وخصوصا لان كل الجموع الذين كانوا حاضرين الصلب كانوا قد رجعوا الى منازلهم كما قال لوقا (٢٣:٤٨) ولم يبق وقت الدفن احد يشاهدهما إلا مريم المجدلية ومريم أم يوسي (مر ١٥ :٤٧ومت ٢٧ : ٦١) ولا ندري اذا صح ذلك كيف أرادتا العودة الى القبر لتحنيط الجثة مع أنهما شاهدتا يوسف ونيقوديموس يحنطانها كما تقول الاناجيل؟ (يو ١٩ : ٣٩ و٤٠) وقال « كيم » أحد علماء الافرنج في كتابه « يسوع الناصري » مجلد ٣ ص ٥٢٢ « انه لايحرم على أحد من اليهود في يوم السبت ان يقوم بالواجب نحو جثة الميت كالتحنيط والتكفين ونحوها » فلا يفهم أحد ماالذي أخرهؤلاء النسوة عن الذهاب إلى القبر يوم السبت والقيام بما يردن عمله للمسيح فيه «أنظر كتاب

دين الخوارق ص ٨٢٦ » وهل لم يكفهن الحنوط العظيم الذي أحضره نيقوديموس (يو ١٩ :٣٩) حتى اشترين غيره (مر ١٦ :١) ولكن لنتغاض ! !

وبعد السبت في فجر يوم الاحد جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى الى القبر الذي كانتا شاهدتا الجثة وضعت فيه اولاً (متى ٢٨ :١) فلم تجداها فكان ما كان من اشاعة قيامة المصلوب من الموت . هذا اذا لم نقل انهما ضلتا عن القبر بسبب شدة الحزن والبكاء والتعب والظلام ، وكثيرًا ما تضل نساء مصر مثلا ورجالها عن معرفة قبورهم حتى بعد التردد عليها مرة او مرتين كما هو مشاهد معروف ولذلك لم يعرف علماؤهم موضع هذا القبر باليقين الى اليوم

ولما انتشرت اشاعة القيامة كانت قاصرة على التلاميذ وأتباع المسيح فقط في أورشليم (لو ٢٤ :٣٣) ولم يقدروا على التجاهر بها امام اليهود في أول الامر ولذلك كانوا يجتمعون والابواب مغلقة لئلا يسمع كلامهم اليهود خوفا منهم كما قال يوحنا (٢٠ : ١٩) وكانوا على هذه الحالة الى ثمانية أيام (يو ٢٠ :٢٦) ثم لم يجسروا على المجاهرة بالدعوة الى دينهم الا بعد نحو خمسين يوما كما في سفر الاعمال (٢ :١) وفي هذه المدة على فرض عثور احد على الجثة لا يمكن تمييزها عن غيرها بسبب التعفن الرمي . ودعوى إيمان ثلاثة آلاف نفس من اليهود في يوم الخمسين يكذبها عدم وجود بيت للتلاميذ يسع كل هذا العدد فانهم كانوا نحو ١٢٠ رجلا (أع ١ : ١٥) واليهود الذين تنصروا نحو ثلاثة آلاف (ع ٢ :٤١) ولا ندري عدد الذين لم يتنصروا من اليهود الذين حضروا الاجتماع في اورشليم من كل أمة تحت قبة السماء كما قال سفر الاعمال (٢ :٦ -١٣) الذي قال ايضا ان هذا الاجتماع العظيم كان في بيت (٢ :٢) فأين هذا البيت وملك من التلاميذ وكلهم من الجليل (اع ٢ : ٧) ؟؟ !! ومن الذي اخبر كل هذه الجماهير من جميع الامم المتنوعة بما هو حاصل في بيت التلاميذ الخاص من نزول روح القدس عليهم وتكلمهم بألسنة مختلفة حتى هرعوا اليه صنفا صنفا ؟ ولماذا لم يكتب التلاميذ الاناجيل والرسائل بلغات العالم هذه التي عرفوها ليتيسر للناس قبولها بدون ترجمة ؟ وتكون معجزة باقية الى الابد ؟ ولماذا كان بطرس محتاجا لمترجمه مرقس إذًا ؟ كما رواه پاپياس

وصدقه جميع آباء الكنيسة القدماء ! ! ولكن لنرجع الى ما كنا فيه

وذهب جماعة من علماء النقد في أوربا وكثير ماهم الى أن القبر الذي وضع فيه المصلوب وكان منحوتا في الصخر أصابه ما أصاب غيره من الزلزلة التي حدثت في ذلك الوقت وذكرها متى في انجيله (٢٨ : ٢)فتفتحت بعض القبور وزالت بعض الصخور وتشققت (راجع أيضا مت ٢٧ : ٥١ و٥٢) فضاع بسبب ذلك الجسد المدفون في شق من الشقوق، ثم انطبق أو انهال عليه شيء من التراب والحجارة حتى انسد الشق ولم يقف احد للجثة على اثر . وكان ذلك قبيل وصول المرأتين الى القبر فلما وصلتا الى هنالك ولم تجدا الجثة ورأتا آثار الزلزلة او شعرتا بشيء منها فزعتا وظنتا ان ذلك بسبب نزول الملائكة وقيام المسيح من القبر (مت ٢٨ : ٢) وقد اخذت الرعدة والحيرة منهما كل مأخذ حتى لم تقدرا على الكلام (مر ١٦ : ٨) ولا يستغرب القارىء ماذكر ففي وقت الزلازل كثيرا ما تنفتح الارض وتبتلع بعض اشياء ثم تنطبق عليها .

ووقوع هذه الزلزلة قبيل وصول المرأتين إلى القبر من المصادفات التي حدث في التاريخ أعجب منها فقد كسفت الشمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله حتى ظنت الصحابة أن ذلك معجزة للنبي (ص) فقال عليه السلام لهم (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته) الحديث، يعني ان نظام هذا الكون العظيم لا يتغير لموت اي احد في هذه الارض الصغيرة الحقيرة. فيالله ما اصدقه من رسول !! ولو كان كغيره من الكذابين لفرح بما قال اصحابه وثبت اعتقادهم فيه .

ومن اعجب المصادفات التاريخية ان قمبيز ملك الفرس طعن العجل (ابيس) في فخذه فقتله استهزاء بالمصريين و إلههم و بينما هو سائر في طريقه سقط سيفه على فخذه ايضا فجرحه جرحا بليغا ساقه في الحال إلى الموت فظن المصريون ان ذلك بسبب فعل آلهتهم به ـ فما اعجب عقل الانسان وما اغرب كثرة ميله إلى الاوهام والخرافات !!

و إذا تذكرنا ان ذلك القبر كان منحوتا في الجبل في مكان خارج اورشليم

بقرب الموضع المسمى (بالجمجمة) وكان مدخل مثل هذا القبر (او الكهف) من الجهة السفلى كما كانت عادة الناس في ذلك الوقت في نحت القبور على ما ذكره (رينان) وغيره . فمن الجائز ان الزلزلة ازالت الحجر الذي سد به هذا القبر فدخلت بعض الحيوانات المفترسة كالسبع او الضبع ونحوهما واخذت الجثة وفرت بها . وهو تعليل آخر معقول

وقال بعض علماء الافرنج إن من عادة اليهود ان لا يضعوا هذا الحجر على باب القبر إلا بعد مضي ثلاثة ايام من الدفن فاذا صح ذلك فلا داعي للقول بهذه الزلزلة هنا في هذا الوجه

والخلاصة ان ضياع الجثة لادليل فيه على هذه القيامة وخصوصا لان المسيح لم يظهر لاحد من المنكرين له مع انه كان وعدهم بذلك بحسب انجيل متى (١٢ : ٣٩ و٤٠) وفضلا عن ذلك فليس بين تلاميذه واتباعه من رآه في وقت عودة الحياة إليه وقيامه من القبر فان ذلك كان أولى باقناع الناس واقناع تلاميذه الذين بقي بعضهم شاكا حتى بعد ظهوره لهم (مت ٢٨ : ١٧ ولو ٢٤ : ٣٨ - ٤١ ويو ٢٠ : ٢٧) مع أن اتباع هذه الطريقة كان أقرب وأسهل في الاقناع وابعد عن مثل الشبهات التي ذكرناها

فان قيل إن ذلك يكون ملجأ للايمان وهو ينافي الحكمة الالهية — قلت وهل احياء المسيح للموتى أمام الناس ما كان ملجئا ولا منافيا للحكمة الالهية وكذلك قيام أجساد القديسين الراقدين ودخولهم المدينة المقدسة على ما ذكره متى (٢٧ : ٥٢ و٥٣) ؟؟ فأي فرق بين هذه الآيات البينات والمعجزات القاطعة ، وبين قيامته هو من الموت ؟ فكيف يجب على البشر الايمان بها وهي قابلة للشك والطعن ؟ حتى من أتباعه الذين ملأوا الدنيا بكتبهم المشككة في هذا الدين وعقائده !! وحتى شك فيها التلاميذ أنفسهم (متى ٢٨ : ١٧) من قديم الزمان !!

(لها بقية)

— عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية —

٣

مقدمات الخذلان في هذه الحروب

محاربة الاتحاديين للدين

من المسلمات التي لايختلف فيها عاقلان ، ولا ينتطح فيها عنزان ،ان القوة المعنوية ، هي الاصل الباعث على الاعمال المادية أو الصورية ، وان الدين هو أعظم القوى المعنوية أثراً ، وأشدها على المخالف خطرا ، وان الفريقين المتحاربين اذا تساويا في في جميع ما ينبغي للقتال من علم ومعرفة ، وذخيرة وعدة ، وتفاوتا في قوة الايمان بالله عز وجل والرجاء في الحياة الآخرة ، فان أقواهما ايماناً وأعظمهما رجاء هو الجدير بأن يكون له الفلج ويتيسر له النصر . وقد صرحت الجرائد الاوربية بهذه الحقيقة في سياق البحث في أسباب رجحان البوير على الانكليز في حرب الترنسفال، كما بيناه في المجلد الثاني من المنار

وقد نشرنا في المجلد الاول من المنار نبذة في هذه المسألة ترجمها الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من (وقائع بسمرك) التي نشرها بعد موته أمين سره (مسيو بوش) قال :

جلس البرنس بسمارك على مائدة الطعام فرأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه « كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئاً فشيئاً كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هنالك أمل في الاجر والمكافأة . ذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان . ذلك لما يشعر به كل أحد من أن واحداً مهيمناً يراه وهو يجالد ويجاهد ويموت وان لم يكن قائده يراه » .

فقال بعض المرتابين أتظن سعادتكم أن العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة ؟ فأجابه البرنس :

« ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان . هو بوادر تسبق الفكر . هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها . ولو أنهم لاحظوا لفقدوا ذلك

الميل ، وأضلوا ذلك الوجدان . هل تعلمون أنني لا أفهم كيف يعيش قوم ، وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ماعليهم من الواجبات ، أو كيف يحملون غيرهم على أداء مايجب عليهم ان لم يكن لهم ايمان بدين جاء به وحي سماوي . واعتقاد بالله يحب الخير ، وحاكم ينتهي اليه الفصل في الاعمال ، في حياة بعد هذه الحياة ؟ »

بعد هذا تكلم ذلك الرجل العظيم عن نفسه فأكد القول بأنه لولا ايمانه بالعناية الالهية ويقينه بحياة بعد الموت وشعوره بأنه يرضي الله بخدمته للامة الالمانية وسعيه لوحدتها واعلاء شأنها ، لما رضي لنفسه أن يكون من حزب الملكية وأن يخدم الملك لانه هو جمهوري بالطبع . والوظائف والرتب والالقاب لابهاء لها في نظره . وانه لايحب الا العيشة الخلوية في المزارع . ومما قاله « اسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني » ومنه « ان لم اكن خاضعاً لامر الهي فلم أضع نفسي تحت طاعة هذه الاسرة المالكة مع انها تتصل باصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل الذي تتصل به عشيرتي ؟ » ومن أراد ترجمة نص قوله برمته فليرجع الى المنار (ص ٨٤٦ م ١ من الطبعة الثانية)

وقد قال الاستاذ في مقدمة هذه الترجمة انه ترجمه « ليطلع عليه من لم يمن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يعدون النسبة الى دينهم سبة ، والظهور بالمحافظة عليه معرة ، وليعلموا ان الايمان بالله وبالوحي الالهي الى أنبيائه ليس نقصاً في الفكر ، ولا ضلة عن صحيح العلم ، ولا عيباً في الرئاسة ، ولا ضعفاً في السياسة »

وقال بعدها « هذا كلام بسمارك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم كان يعتقد أن عظائم أعماله ، انما كانت من مظاهر ايمانه ، وان الايمان بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان طار بهما الى مالم يدركه فيه مفاخر ، ولم يكثره مكاثر »

أقول بعد هذا التمهيد ولكن زعماء الاتحاديين قد نخروه وكثروه في السياسة فكان اتحادهم العثماني ، أقوى وأعلى وأثبت من اتحاده الالماني ! ! ! لانه بني على صخر الايمان ، وبنوا على رمل الالحاد

لقيت في الاستانة الدكتور ناظم بك الزعيم الاكبر للاتحاديين الذي خلف صادق بك أمير الالاي بعد ان تبرأ من الجمعية فصار هو المرخص المسئول لها . لقيته يتحدث مع نطين افندي المدرس في دار الشفقة والمدير للمرصد الفلكي الجديد في ضواحي العاصمة وكان يومئذ من صميم الاتحاديين ، على حين تركهم أكثر أمثاله المعممين ، حتى كان يشك في تدينه رجال الدين ، فقال لي تعال احكم

بيني وبين البك . قلت ماخطبكما ؟ قال ان البك يقول اننا نحن العثمانيين لايمكن أن نترقى الا اذا نبذنا الدين وراء ظهورنا وعصرنا العلماء عصرا ، ومحقهم به محقا ، وسرنا وراء فرنسة خطوة خطوة . وأما أنا فقلت له اننا يجب أن نأخذ من أوربة —لامن فرنسة خاصة — الفنون الصناعية والزراعية وكل مانحتاج اليه للترقي العملي في دنيانا. وأما الامور المعنوية والادبية فنرجع فيها الى أصول ديننا ونستمدها منه . فقال لا يجب أن نأخذ عن فرنسة كل شيء فان جميع ماعندنا فاسد وموجب للتدلي

لا يحتاج القاريء الى القول بأن رأي فطين أفندي هو الموافق لرأيي في هذه المسألة وقلما رأيت أحداً أوجز وأفاد في تحرير هذه المسألة الكبيرة مثل هذا الرجل ، ولكنني سلكت في تأييده مسلك بيان السبب في هذه التفرقة والخلاف بين المتعلمين ، وتطرف بعضهم في التفرنج وبعضهم في الجمود على القديم ، وشدة الحاجة الى المتدلين الذين يعرفون القديم والحديث (أي كفطين أفندي) وانتقلت من هذا الى مشروع العلم والارشاد الذي كنت أسمى له هنالك وليس هذا المقال بمحل تفصيل القول فيه

جميع زعماء الجمعية على رأي ناظم بك الذي ذكرناه آنفا ولكن قلما يوجد فيهم من يجرأ على التصريح به مثله . وقد سمعت منه ومن غيره منهم وعنهم غير ذلك ولولا ظهور قوة تأثير الدين لهم في الجيش يوم ٣١ مارث (أو ١٣ ابريل) لظهر من تهكمهم والجهر بمقاومتهم للدين أضعاف ماظهر للناس. وما الذي ظهر بقليل. ونكتفي من ذلك بشيء مما يتعلق بالجند حذراً من التطويل

كانت الصلاة في العسكر أمراً اجباريا يتساهل فيه الضباط المارقون والمرتابون في خاصة أنفسهم ، وقد يتعدى ذلك الى الجنود التابعين لهم . فاذا جاء متدين منهم وشدد فيه لايستطيع معارضته أحد لانه رسمي . فلما دالت الدولة للاتحاديين جعلوا الصلاة أمراً اختياريا وصاروا يوعزون الى حزبهم من الضباط بذمها واشتغال العسكر عنها بالتمرين أو غيره من العمل في أوقاتها ، حتى في المدرسة الحربية العليا نفسها

أخبرني من أثق بهم في الاستانة بهذا ، وآخرون بخبر آخر أضر منه في الجيش وهو أنهم كانوا عند التنسيق العسكري يعنون باخراج الضباط المتدينين من الجيش . وأكثر هؤلاء المتدينين من الذين ارتقوا الى رتب الضباط بالعمل والتمرن في الجيش في إبان السلم والحرب سنين كثيرة ويسمونهم (الألايلية) نسبة تركية الى (ألاي) وكان عذرهم في اخراجهم أنهم غير متخرجين في المكتب الحربي فمارفهم غير قانونية.

وقد أخرجوا بعض المتخرجين في المكتب الحربي بملال أخرى ، كما أبقوا بعض (الالايلية) الذين اتبعوا هوى الجمعية . ولو كان عدد الضباط المكتبيين كافياً لعسكر الدولة لكان لهم في اخراج من أخرجوا وجها للاعتذار وان أضر ذلك بمالية الدولة وخسر به جيشها طائفة من الضباط ، يفضلون كثيراً من متخرجي المكتب الاحداث الاغرار ، (أي الذين لاتجربة لهم)

وقد كان غرض الاتحاديين من تنسيق عمال الحكومة في جميع النظارات والمصالح أن يخرجوا منها من شاؤا ، ويبقوا من أحبوا ، ليلم كل فرد من أفراد هذه الدولة ان جمعية الاتحاد والترقي هي ولية أمره وصاحبة السلطان عليه ، فيكون طوع يدها ، ويؤدى لها ماعدا الضريبة الاولى مافرضه قانونها على كل منتم اليها ، وهو اثنان في المئة من جميع دخله (ايراده) وقد كانت خسارة الدولة بهذا التنسيق أكثر من ثلاثة ملايين جنيه في كل سنة تعطي رواتب للمعزولين والمنسقين . وما كان الذين استحدثوهم ، خيراً من الذين أخرجوهم ، ولولا هذا التنسيق لكان للدولة من المال الذي خسرته به مايمكنها من شراء مدرعة وطرادة من الدرجة الاولى في كل سنة

ان أكثر الضباط الذين تعول عليهم الجمعية في نصرها من الملحدين أو المرتابين في دينهم ، ومنهم الذين يصرحون بالكفر تصريح الحقود المنتقم من الدين ، ومن ذلك ما حدثني به بعض الثقات في الاستانة عن بعض الباشوات انه قال : لو كان في بدني شعرة تؤمن بفلان — وذكر خاتم الرسل وسيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم — لقلعتها مع اللحم الذي حولها وألقيتها . ومن لم يجدوه على مثل هذا الفساد من قبل حاولوا افساده بالسياسة ، فكانوا لايقبلون ضابطاً في الجمعية ، الا اذا دخل الماسونية ، وهذا وذاك أهم الاسباب التي حملت أمير الألاي صادق بك الشهير على محادّة الجمعية ومقاومتها ، بعد ان عجز عن اقناع زعمائها بترك هذه المفاسد . وكان محمود شوكت باشا جاراه باظهاره له انه مجتهد في منع الضباط من الاشتغال بالسياسة وجهر بذلك في خطبة له في نظارة الحربية ، وخطبة أخرى في أدرنه ، كنت من المعجبين بهما وبه يومئذ وأنا في الاستانة ، ثم ظهر لصادق بك أن ذلك خداع ، ثم ظهر لسائر الناس أيضاً في العريضة التي استقال بها محمود شوكت باشا من نظارة الحربية ، فانه صرح فيها بانه يترك تنفيذ قانون منع الضباط من السياسة لخلفه . أي انه لايمكنه تنفيذ هذا القانون وهو الذي أسلس العنان للضباط حتى توغلوا في السياسة أن تنعم منها عند ماقامت ثورة طائفة كبيرة منهم في بلاد الارنؤط طالبين اسقاطه واسقاط جمعيته

مثل جمعية الاتحاد والترقي في إضعاف الدين في الجيش واخراج عدد كثير من الضباط المتدينين من صفوفه كمثل من كان له بيت يؤويه ويقيه فواعل الجو فهدمه لانه صار يراه غير لائق بمقامه ، ولكن قبل أن يبني له بيتاً آخر على النحو الذى يحب ، فبينا هو في العراء يفكر ويقدر ويجاب بعض الحجارة لبناء بيت آخر، عصفت الريح فأثارت السحاب فاعتلجت فيه البروق ، وقصفت الرعود ، وانهمر الصيب الهتون، فجرفه هو وما كان جلبه لبناء البيت

انهم أرادوا أن يستبدلوا الوطنية العثمانية والجنسية التركية ، بما يهدمون من الرابطة الاسلامية والنزعة الدينية، التي لولاها لم يكن الجيش العثماني مضرب المثل في شجاعته وبأسه وثباته في مواقف النزال ، وبلائه فى معارك القتال ، فأنشأوا أناشيد وأغاني باسم الوطن التركي، والجيش العثماني، ليخلقوا بها شعورا جديداً للجند يقوم مقام الشعور الديني ، ولعل هذا من أقوى الجوامع التي جمعت بينهم وبين زعماء الحزب الوطني المصري فان هذا الحزب يفخر دائما — وليس له أثر صالح في البلاد — بأنه أوجد الشعور الوطني ، وهذا الشعور هو الذي يخرج الانكليز من القطر !! ومن حسن حظ مصر أن هؤلاء المغرورين لم يتولوا أمراً من أمور البلاد ، وأما الاتحاديون فمن سوء حظنا انهم تولوا أمر المملكة ثلاث سنين أفسدوا فيها ما لم يستطع عبد الحميد مثله في ثلاثين سنة

شهد العلماء الذين أرسلتهم الحكومة لوعظ الجيش في شتالجه بانه تبين له بعد الاختبار أن أهم أسباب انكساره في هذه الحرب قد كان مما أودعه الاتحاديون في نفوسهم من أن وظيفة الجيش الدفاع عن الوطن بعد ان نزعوا منها الاعتقاد بأن هذا الدفاع مشروع ديناً وأن الذي يقتل فيه شهيد له عند الله حياة خير من هذه الحياة ذات نعيم دائم ورضوان من الله اكبر

وشهد عظماء الالمانيين الذين يتلقى الجيش العثماني عنهم فنون القتال ان أهم أسباب انكساره هي افساد الاتحاديين له باشتغاله بالسياسة . وقد بينا أن هاتين المفسدتين متلازمتان فانهم ما اجتهدوا في اضعاف الدين الا لغرضهم السياسي ، وما ادخلوا الضباط في السياسة الا الاستعانة على مقاصدهم بالقوة ، لعلمهم بأنهم عاجزون عن الوصول اليها باقناع الامة . وقد كانوا يظنون عقب الانقلاب انه يتسنى لهم ان يقودوا جميع علماء الاستانة وعلماء الولايات بزمام المنافع والمناصب ، والرتب والرواتب ، غرورا بما كان من خضوعهم لعبد الحميد وبعض المنافقين ، الذين رأوهم مستعدين

لخدمتهم في كل شيء باسم الدين، ثم بدا لهم من علماء الاستانة ما لم يكونوا يحتسبون
كانوا قد استمالوا اليهم جمهور العلماء فلما خبرهم الاذكياء من هؤلاء العلماء
وبلوهم ، قلوهم وهجروهم ، وأسسوا الجمعية العلمية لوقاية الاسلام والمسلمين من
كيدهم ، وبقي يدهن لهم اكثر موظفي المشيخة الاسلامية الذين عرفوا حقيقة
حالهم ،والتبس الامر على بعضهم فكانوا يحسنون الظن فيهم ، لانهم لم يعرفوا أحداً
منهم الا بعد حادثة (٣١ مارس — ١٣ ابريل) التي صاروا بعدها يحسبون للدين
ورجاله حساباً . وناهيك بعلماء الاستانة ونفوذهم الروحي في الشعب التركي فقد
أخبرني محمود شوكت باشا في أول اجتماع كان لي معه ان الحكومة لا تستطيع أن
تعمل عملاً اذا كان العلماء كارهين له يأبون وجوده. قال هذا عند ما بينت له مشروع
الدعوة والارشاد وبين لي رأيه فيه . ومنه لابد أن يكون بصفة لا يستنكرها العلماء.
قلت له أنا أضمن استحسان جميع العلماء له وتمنيهم تنفيذه

بل رأيت الدكتور ناظما على صلابته في مقاصد الجمعية وما علمته عنه من العزم
على تجريد الحكومة العثمانية من الدين يدهن لعلماء الاستانة ويوهمهم انه هو وجمعيته
يودون خدمة الدين . فقد دعيت الى الحفلة التي كرمت الجمعية بها الحاج عمر اليابانى
الذي أسلم وحج وزار الاستانة بعد حجه ؛وكانت تلك الحفلة في نادي (نور عثمانية)
أشهر أندية الجمعية في الاستانة وكان من المدعوين بعض كبار العلماء ، وخطب منهم
محمود أسعد أفندي ناظر الدفتر الخاقاني بالتركية (وخطب كاتب هذه السطور
بالعربية) وقام الدكتور ناظم فتكلم كلاما قال فيه ان الاسلام محتاج الى خدمة
عظيمة من العلماء وهم مقصرون لا يقومون بالواجب عليهم ، وأهم هذه الخدمة
الدعوة الى الاسلام وتعميم الارشاد الاسلامي . فعندئذ قال له مصطفى أفندي أوده مشلي
مستشار شيخ الاسلام وكان جالساً بجانبي : إن القيام بهذا الواجب لم يكن متيسراً
في زمن الاستبداد والآن اقترح رشيد أفندي مشروعا يكفل القيام به على أكمل
وجه وننتظر مساعدة الحكومة عليه (أو قال مساعدتكم — أي مساعدة الجمعية —
الشك مني) وقد استبشرت حين سمعت هذه الكلمة من الدكتور ناظم لانني كنت
أسمع انه رجل الجد وانه ليس كثير الكذب والنفاق كطلعت بك ، فجئته وقلت
له اذا كان هذا رأيكم فالمرجو منكم أن تكلموا طلعت بك بانجاز وعده لنا وتنفيذ
المشروع . فقال لي مامعناه ليس هذا بالوقت المناسب لهذا العمل فلا بد من انتظار
سنة أو سنتين . فتأمل

ومما عملته الجمعية لابطال نشر هداية الدين اصدار أوامر عامة لجميع رؤساء الادارة في الولايات العثمانية بمنع الاجتماع في المساجد لالقاء الخطب ونحوها وتصريحها بأن المساجد للصلاة دون غيرها . وهذا من جهلهم بالاسلام وتاريخه فان المساجد كانت في الصدر الاول لجميع مصالح المسلمين كالمشاورة في الامور العامة والوعظ والقضاء وتوزيع الصدقات وغير ذلك

وجملة القول ان جمعية الاتحاد والترقي كانت عازمة على ازالة نفوذ العلماء من الامة وكل تأثير للدين فيها الا التأثير السياسي الذي يوافق مقاصد الجمعية تستخدم له من أرباب العمائم من يميل مع القوة والمنفعة حيث تميل كالشيخ صالح التونسي والشيخ عبد العزيز شاويش وأضرابهما . وكان زعماؤها يعتقدون انه لم يبق للدين تأثير يؤبه له . ولكنهم بعد مسألة طرابلس الغرب غيروا رأيهم وعزموا على الجد في الاستفادة من فكرة الجامعة الاسلامية وهو مانبينه في النبذة التالية

٤

عبث الاتحاديين بالجامعة الاسلامية

لي كلمة في زعماء جمعية الاتحاد والترقي كادت تكون مثلا في سورية وهي : « ان هؤلاء الاتحاديين قد توسلوا الى مقصدهم بكل شيء الا الحق » . ولكنهم فشلوا في كل عمل الا جمع المال ولا سيما عقب الانقلاب فلولا المال لكانوا الآن في عداد الموتى

وقد سلكوا طرق النفاق فهم دائما يظهرون غير مايبطنون كما صرح لي بذلك رجل في الآستانة من أعظم أنصارهم . فانه سألني مرة : الى أين وصلت في تشبثك؟ (أي مشروع الدعوة والارشاد) قلت : وعدني طلعت بك بكذا وكذا من المساعدة، وحقي باشا قال انه طالما فكر في هذا المشروع وهو يبذل الجهد في تنفيذه . فقال : أو صدقت أقوالهم ؟ ان هؤلاء ظاهرهم غير باطنهم . وأنا أكشف لك الغطاء عن هذا الامر فأمهلني الى يوم كذا ... وبعد مراجعة حقي باشا ثم طلعت بك ظن انه جاءني بالنبإ اليقين وما هو الا ان طلعت بك كذب عليه أيضاً

ثم انهم كانوا يظهرون غير مايبطنون ، ويسرون ضد مايعلنون . لا في مشروعي الذي غذوني فيه بالوعود سنة كاملة فقط بل في كل مقاصدهم . فمن أوائل مقاصدهم تتريك العناصر العثمانية وكانوا يعاقبون من يحث عنصره على الارتقاء من غيرهم بدعوى انه يفرق عناصر الدولة . ومن مقاصدهم ازالة سلطة الدين وقوته من الدولة ولكنهم

يظهرون للمسلمين أنهم يريدون القيام بالجامعة الاسلامية . على ان سيرتهم وأعمالهم تكذب هذه الدعوى ، وحسبك ان جميع زعماء الجمعية من الماسون . وأصول الماسونية تنافي الجامعة الدينية، وهم لا يخالفون الماسونية، الا في العصبية التركية، فهم يخادعون المسلمين في شيء والماسون في شيء آخر .

سيقول بعض الغارين والمغرورين بزعماء هذه الجمعية من مسلمي سورية وغيرها: اننا قد علمنا مما أسره الينا بعض رجال الجمعية ومن بعض أعمالها أنها تريد احياء الجامعة الاسلامية . وان هذا هو غرضها الباطن وانما لاذت بالماسونية ، وأحيت كلمة الوطنية، لاجل مخادعة الشعوب المسيحية ، والدول الاوربية .

لا أقول انهم سيقولون هذا الا لأني سمعتهم قد قالوه من قبل . وأعلم أن بعض قائليه مأجورون ، وبعضهم مخدوعون . وأنا أعرف سبب هذا ومنشأه . ولا أعجب من تصديق بعض أغرار المسلمين كلام هؤلاء الذين يظهرون لكل قوم بوجه ، ويخاطبون كل أناس باسان . فقد خدع هؤلاء الاتحاديون قبلهم دهاة السياسة ورجال الخبرة من اخوانهم النصارى السوريين في سورية ومصر جميعا . اذ أوهموهم أن ميلهم اليهم واتحادهم بهم خير لهم من اتحادهم بأهل وطنهم من المسلمين وأن مسلمي العرب يغلب عليهم التعصب الديني فلا يمكن أن يعترفوا أو يرضوا بمساواة اخوانهم في الجنس والوطن لهم . وأما الاتحاديون الترك فانهم لا يقيمون للدين وزنا ، ويرون من المصلحة التركية ترجيح نصارى العرب ليضعف مسلموهم فلا يكون لهم مجال للمطالبة بالخلافة العربية التي هي أكبر خطر على نصارى العرب ثم على غيرهم لانها تكون دينية محضة .

وسوس دعاة الجمعية في آذان كتاب النصارى ووجهائهم بمثل هذا الكلام فصدقوه وانخدعوا به . وظهر أثر ذلك في جرائدهم في كل مكان ، وفي مساعدتهم للاتحاديين في انتخاب المبعوثين. ولا بدع في ذلك فقد انخدع كتاب أوربة وساستها من جميع الدول بنفاق هؤلاء الاتحاديين في القول والفعل . حتى ان جريدة (الطان) الفرنسية الشهيرة نشرت مرة لاحد مكاتبيها تفضيلا لهم على الحزب الوطني المصري بأنهم يصرحون بانتقاد دين الاسلام ولا يبالون بأمر المسلمين من غير أبناء جنسهم (الترك) خلافا للمصريين الذين تغلب عليهم النزعة الاسلامية فيبحثون عن مسلمي تونس والجزائر ومراكش ويهتمون بأحوالهم

ثم ماعتم ان انكشف الغطاء للاوربيين عن نفاق زعماء الاتحاديين وجهلهم وغرورهم ، فسبق الى بيانه الفرنسيون والانكليز . ولم يصرح به الالمانيون كغيرهم الا بعد هذه الحرب، فقد نقل لنا المقطم منذ أيام ان كثيرا من أولئك الزعماء يقيمون الآن في (بروكسل) عاصمة البلجيك وفي مقدمتهم حقي بك وطلعت بك وجاويد بك . وذكر أن جاويد بك قال لمكاتب جريدة (فرنكفور زيتونغ) الالمانية في سياق حديث له . ان أعمال الحكومة العثمانية هي التي كانت السبب في فشل الجيش الذي كان متأهبا أتم الاهب ومجهزاً أحسن التجهيز ولم يكن ينقصه الا حكومة منظمة (أي اتحادية) لتنتصر به على البلقانيين كما انتصرت على الارنؤوط - كما قال في جوابه لمكاتب جريدة أوربية أخرى الذي بينته في المقالة الاولى - وطعن في كامل باشا فوصفه بالغرور وحب الانتقام « رمتني بدائها وانسلت »

ثم نقل المقطم بعد ذلك ان مكاتب التيمس في برلين قال تعليقا على هذا الحديث « لم تعد الدوائر السياسية في ألمانية تعير مايتشدق به الاتحاديون أذنا صاغية ، حتى ان الذين كانوا يعجبون بجاويد بك وزملائه صاروا أشد الناس انتقاداً لهم، واكثرهم سخرية بهم، ويذهب أولو الرأي في ألمانية الآن الى ان السياسة التي بثها الاتحاديون في الجيش كانت السبب الاكبر في فشله وانكساره » اه

ثم تنبه نصارى سورية في مصر وفيها الى نفاقهم، وبقي أفراد منهم في البرازيل على انخداعهم ، وظل بعد هذا كله بعض مسلمي السوريين يغرون الناس بهم ، إما بأجر قليل ، وإما اتباعاً للوهم ، وكان يجب أن يجمع العرب على مقتهم ومحادتهم ، لان العرب أبغض الناس اليهم ، وانني أعتقد ان أكثر الذين يتحيزون اليهم منا منافقون وطلاب مال وجاه ، وأقلهم مخدوعون مصدقون أنهم يعملون للجامعة الاسلامية ، وانني أذكر مثالاً من مخادعتهم للمسلمين بهذه المسألة :

لما ألممت ببيروت في رمضان الماضي وأنا عائد من رحلتي الهندية زارني ليلة مع الزائرين بعض رجال الحكومة في الدار التي كنت نازلا فيها وكان فيهم رجل من رجال القضاء (العدلية) من اخواننا الترك فنقل الحديث الى الجامعة الاسلامية وفوائدها للدولة وادعى ان جمعية الاتحاد والترقي ترمي الى احياء هذه الجامعة . فقلت له انما ترمي الى احياء الجامعة التركية ، وتتجر باسم الجامعة الاسلامية ، تجذب بهذا الاسم المسلمين الغافلين ، وتخيف الاوروبيين المستعمرين، وانني أدرى الناس بمكانها من الدين ، فقد جئت الاستانة باذن الجمعية لاجل مشروع الدعوة والارشاد الذي

شهد العقلاء من الاتحاديين وغيرهم أنه أنفع مايخدم به الدين ، وكنت موعوداً من الجمعية بالمساعدة عليه ، ثم لما عرف زعماء الجمعية حقيقة المشروع وأنه خدمة حقيقية للدين قاوموه ولم ينفذوه ، لان فاقد الشيء لايعطيه . وكانوا يظنون ان اسلامي سياسي فيسهل جعلي آلة سياسية ، فلما تبين لهم أن اسلامي ايمان ونية وعمل، ظهر لهم أن مشربي يخالف مشربهم ، وعملي يناقض عملهم ، وقد كان بعض علماء الاستانة يحذرني منهم ويقول : لايغرنك منهم اظهار الميل الى مساعدة مشروعك (وهم يقولون تشبثك) فانهم يريدون أن يستفيدوا من اسمك وشهرتك ليظن المسلمون أنهم يريدون الخير للاسلام . وكان هؤلاء العلماء يرون ان عدم تنفيذهم للمشروع خير من تنفيذهم اياه مخادعة ورياء لان الامور بمقاصدها .

وكان هنالك علماء ونبهاء آخرون يرون أن الرياء قنطرة الاخلاص، وانهم اذا نفذوا المشروع يربحه المسلمون ولا يضره رياء مساعديه ، اذا صحت نية القائمين به، وكان من رأي هؤلاء أن أكتم عن الجمعية حقيقة مرادي ، وأوهمها انني أريد أن أربي أناساً يكونون دعاة للدين في الظاهر ولسياسة الجمعية في الباطن ، وأن أطلب جعل تعليم الفنون في هذه المدرسة الاسلامية العامة باللغة التركية لا العربية ليقبلوا المشروع . وبعض أصحاب هذا الرأي من الذين انتموا الى الجمعية ليتمكنوا بنفوذها مما يريدون من الخير لانفسهم ولامتهم ، ولكنني لم أقبل نصحهم وقلت : انني لاأجعل الباطل وسيلة الى الحق فأنا أبين لهم كل مرادي ، وانني لا أريد ولا أقبل أن يكون المشروع آلة سياسية بل دينيا خالصاً ، لان السياسة تفسده باختلاف الاحزاب والحكام من الداخل ، وبمقاومة أوروبة له من الخارج ، ومن الجهل والغرور أن نظن اننا نستطيع أن نخدع أوروبة فان الجاهل القاصر ، لا يستطيع أن يخدع العالم الراشد .

ذكرت شيئاً من سيرتي هذه للزائر التركي الذكي ، ثم قلت له أليس الدكتور ناظم صاحب النفوذ الاعلى في هذه الجمعية يصرح بأن الدولة لايمكن أن ترتقي ما دامت متمسكة بالاسلام ؟ أليس جميع اخوانه الزعماء وأنصاره فيها على هذا الرأي ؟ أليسوا يرون أن فشو الالحاد في متخرجي مكاتب العاصمة هو العون لهم على ما يريدون ؟ فكيف يرجى منهم مع هذا تأييد الجامعة الاسلامية ؟

قال الزائر – ويالله العجب مما قال — ان الدكتور ناظما وكثيراً من زعماء الجمعية كذلك ولكن أكثر المنتمين الى الجمعية متدينون ولعل غير المتدينين منهم

لايزيدون على ثلاثين في المئة !

قلت انني لم أكن أظن انهم يبلغون هذه الدرجة من الكثرة وهب ان المتدينين منهم تسعون في المئة والملاحدة عشرة في المئة أليست الزعامة والسلطة في يد الاقلين ؟ قال نعم ولكن هذا لايدوم،

ثم قلت اذا كانت جمعية الاتحاد والترقي تريد تأييد الجامعة الاسلامية فلماذا تحاول اماتة اللغة العربية وتطهير التركية منها ، فهل يمكن للشعوب الاسلامية أن تتعارف وتتعاون من غير أن يكون لها لغة مشتركة ؟ وهل يمكن أن تتوجه كلها الى تعليم لغة عامة غير لغة دينها ؟

اذا كانت جمعية الاتحاد والترقي تريد تأييد الجامعة الاسلامية فلماذا نرى جرائدها ودعاتها وأساتذتها في جميع مكاتب الحكومة قد جعلوا شعارهم وهجيراهم « الملة التركية » والقومية التركية ومحاولة تعميم اللغة التركية ، فقط ؟ أليست الامة الاسلامية أمة واحدة ملتها واحدة وأفرادها اخوة كما يؤخذ من نص القرآن المجيد. فتقسيمها الى ملل وأجناس كما يفعلون هو الهدم لا البناء للجامعة الاسلامية ؟

قال الزائر التركي الذكي ويالله العجب مما قال— ان اللاهج بالملية التركية والعناية باحياء العنصرية التركية ونشر اللغة التركية ، يريدون به الجامعة الاسلامية ، فان المقصود منه استمالة مسلمي تركستان والتتار الروسيين الى الدولة واتحادهم بالترك العثمانيين وبذلك تقوى الجامعة الاسلامية ، وليس المراد به البتة تقوية الترك على العرب ! !

قلت له أو يقال لمثلي هذا ؟ هل الاسلام محصور في الترك والتتار حتى لاتكون الجامعة الاسلامية الا منهم ؟ أم يرون لغرورهم ان دولة روسية هي أضعف الدول فيبتزونها عشرين مليوناً من الترك والتتار يكونون به الجامعة التركية ؟ انني واقف على دسائس الجمعية في هذه المسألة ، ونشرت في (المنار) ترجمة مقالات لجريدة (نوفى فريميا) الروسية تنحي فيها باللائمة على حكومتهم في تركستان لغفلتها عن المدارس التي ينشئها التتار هناك زاعمة ان هؤلاء التتار مرسلون من الاستانة أو موعز اليهم منها ليبثوا فكرة الجامعة الاسلامية في تركستان ويستميلوا أهلها البسطاء الى اخوانهم الترك العثمانيين بدسائس المانية والنمسة . وقد نصحت لاخواني التتار بعد نشر ما ذكرت بان ينزهوا سعيهم لنشر العلم بينهم وبين سائر اخوانهم عن شوائب السياسة الاتحادية ودسائسها ، لان صلة بعضهم بأهلها تضرهم وتضر الدولة العثمانية

لانها تغري حكومتهم بالتشديد في منعهم من نشر العلم الذي يحيي المسلمين في بلادها وبالتصدي لعداوة الدولة العثمانية من جهة أخرى (وكذلك كان فانها هي التي كونت الاتحاد البلقاني ودفعته الى هذه الحرب)

ثم قلت للزائر التركي الذكي : ان ماوافقتنا عليه من مناداة الاتحاديين بالملية التركية والقومية التركية واللغة التركية وبث ذلك في مدارس الدولة هو من أقوى الادلة على ضد ما استدللت به عليه اذ جعلته عملا للجامعة الاسلامية ، فان كانت الجمعية تريد الجامعة الاسلامية الصحيحة كما تقول فلماذا اهتمت بأمر مسلمي تركستان الذين دون وصولها اليهم خرط القتاد دون مسلمي العرب في الحجاز مهد الاسلام ومهبط الوحي ، وفي سياجه جزيرة العرب وسائر العرب الذين لا يحيا الاسلام الا بحياة بلادهم ولغتهم، ولا يعز الا بعزهم ؟ فقد قال نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام (اذا ذلت العرب ذل الاسلام) رواه أبو يعلى في مسنده بسند صحيح . ولماذا لم تهتم بأمر مسلمي أفريقية العثمانية فعرضت عرب طرابلس الغرب وبرقة لنيران مدافع ايطالية ؟ ولماذا لم تهتم بأمر أربعين مليوناً من المسلمين في جزائر جاوه والملايو وثمانين مليونا من المسلمين في الهند ؟ فهل انحصر الاسلام في الترك والتتار؟ لو كان الاتحاديون يريدون خدمة الاسلام لنفذوا مشروع الدعوة والارشاد ، واجتهدوا في احياء اللغة العربية وعمران الحجاز وجزيرة العرب قبل كل شيء . هذا ما خطر في بالي من حديثنا مع ذلك الزائر وربما كان فيه زيادة ايضاح لبعض المسائل واختصار في بعضها . وقد كان معنا جماعة من أدباء بيروت وطرابلس يسمعون .

فهذا مثل من أمثال مخادعة الاتحاديين لمسلمي سورية وأمثالهم وما كل من يسمع مثل ماسمعت يجيب بمثل ماأجبت، وانني أرى ان زعماء الجمعية ماأيقنوا بأنه يمكنهم الانتفاع من الجامعة الاسلامية اذا استخدموها باسم حكومة الخلافة ونفوذها الا بعد حادثة طرابلس الغرب . فقد سمعت ورويت عنهم وأنا في الاستانة انهم يقولون لافائدة لنا من الجامعة الاسلامية فانا اذا حاربنا روسية لا ينفعنا مسلمو بلادها ولا غيرهم واذا حاربنا انكلترة (أي في مصر طبعاً) فلا يفيدنا مسلمو الهند شيئاً. وكانوا هم وغيرهم من رجال الدولة يعتقدون قبل حادثة طرابس الغرب أن العرب فيها لايبالون بصلتهم بالدولة وربما فضلوا ايطالية عليها تفضيلاً ، وسلموا تسليماً ، وان سائر المسلمين لايشعرون بألم انفصال هذه المملكة من ممالك الدولة .

يدل على هذا ما رواه بعض فضلاء العثمانيين عن رأي سفارة الدولة في باريس حين أنذرت

ايطالية الدولة ذلك الانذار واتبعته بضرب أسطولها لطرابلس فذهبت الى السفارة العثمانية لأتعرف رأيها وأعرض لها رأيي فقيل لي انه لاشك في أن أهل طرابلس لا يأسفون ولا يأسون على زوال سلطتنا عنهم لانهم مارأوا منا خيراً قط !! وقد تألفتهم ايطالية منذ سنين فهم يفضلونها علينا . بل نقلت البرقيات والصحف عن محمود شوكت باشا وكذا عن أحمد مختار باشا انهما قالا ان الدفاع عن طرابلس الغرب جناية لاننا لانجد طريقاً لذلك .

هب عرب طرابلس للدفاع عن بلادهم والمحافظة على عثمانيتهم، وهب العالم الاسلامي لمساعدتهم ، فبدا لجمعية الاتحاد والترقي مالم تكن تحتسب، وأحبت أن تستفيد من هذه الاريحية الاسلامية . وكانت باعت طرابلس وبرقة لايطاليـة على شرط أن تأخذها بالفتح السلمي بعد ان تخرج منها العسكر العثماني والسلاح ، أي أن تـترك الاسم والعلم للدولة العثمانيـة وتفعل في البلاد ما تشاء . فغـدرت ايطالية وتصدت لاخذها صورة وحقيقة بالقوة القاهرة اذ خلا لها الجو باخراج العسكر والسلاح منها - فلما هب العرب للقتال، وهب المسلمون كافة للمساعدة بالمال، وقام المبعوثون المعارضون للجمعية يتهمون الوزارة الاتحادية بالخيانة ويطلبون محاكمة الصدر الاعظم حقي باشا وناظر الحربية محمود شوكت باشا ، وفي ذلك هتك الستر ، وانكشاف السر ، ورأى زعماء الجمعية أن الامة العثمانية يوشك أن تثور عليهم اذا لم يبرؤا أنفسهم — لما كان ذلك كله أرسلت الحكومة بعض الضباط وأمدتهم بأموال الاعانة وبما يمكن من السلاح ، وظهر للجمعية أن في الجامعة الاسلامية حياة يمكن الاستفادة منها .

ومن العجائب أن الدكتور ناظم بك لم يقنعه ماسمع وما قرأ عن استبسال عرب طرابلس وبرقة ، وأريحية أهل مصر والشام وغيرهم من المسلمين ، واندفاع الجميع الى السعي لابقاء راية الهلال فوق تلك البـلاد ، بل أرسل زميـله رحمي بك الى طرابلس ليختبر الحال ، فلما عاد منها كان هو الذي أقنعه بأن للجامعة الاسلاميـة وجوداً وتأثيراً حقيقياً ، فصرح الدكتور بذلك في خطبة له رأيت ترجمتها في بعض الجرائد السورية وأنا في البصرة عائداً من الهند ، فهممت أن أكتب اليـه كتاباً أذكره فيه بما أعرف من آرائه وآراء رفاقه في الجمعيـة وأبني على ذلك بعض الاسئلة والحجج .

نعم ان الجمعية بعد ذلك كله أرادت الاستفادة من الجامعة الاسلامية واستثمار هذه القوة من وجوه (منها) استدرار المال من المسلمين كافة باسم الخلافة ودولة

الخلافة وحماية الاسلام — والمال هو المعبود الاول للجمعية كما عرف ذلك من سيرتها منذ الانقلاب الى اليوم — (ومنها) تخدير أعصاب مسلمي العرب العثمانيين حتى لايطالبوا بحق لهم في دولتهم ، ولا يعارضوا الاتحاديين بشيء من مقاصدهم (ومنها) استمالة مسلمي الترك والتتار الروسيين بالدسائس العملية وسائر مسلمي المستعمرات الاوربية بالجرائد وبعض المعممين الذين يسخرونهم لهذه الخدمة . ولاجل هذا أسسوا جريدة (الهلال العثماني) لما رأوا الشيخ عبد العزيز شاويش مواتياً لهم في كل ما يستخدمونه به . وأمدوا جريدة (العلم) المصرية وبعض الجرائد السورية بقليل من المال ووسعوا للهلال وأذنوا له الحرية في تحريك العصبية الدينية والتنويه بالجامعة الاسلامية ، على تضييقهم على علماء الاستانة وسائر رجال الدين بقدر الامكان (ومنها) غير ذلك مما لا يتسع هذا المقام لشرحه .

وجملة القول ان عبث الاتحاديين بالجامعة الاسلامية واستخدام مثل الشيخ شاويش في ذلك كان اكبر الاسباب التي زادت حنق دول الاتفاق الثلاثي عليهم ظناً منها أنهم ما تجرأوا على ذلك الا باغراء ألمانية والنمسة لضعفهم وعجزهم. فتصدت هذه الدول للتنكيل بالدولة وأسست روسية الاتفاق البلقاني وأغرت دول البلقان بهذه الحرب وأمدتهن بالمال والرجال كما قيل ، ومن ورائها انكلترة وفرنسة يمدونهن بالنفوذ ، حتى ان جرائد هذه الدول كانت أقوى عضد للبلقانيين ، فما جنينا من هذه الخادعة بالجامعة الاسلامية الا الزقوم واليحموم ، وهذه عاقبة النفاق والغرور ، والعياذ بالله مما هو أعظم من ذلك .　　(نشرت في مؤيد ٢٧ محرم)

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

﴿ رسالة عين الميزان ﴾

بقلم صاحبها محمد الحسين النجفي آل الشيخ الكبير الشيخ جعفر نقد بها مقالة (ميزان الجرح والتعديل) للشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي التي نشرت في المنار وقد نشر بعض هذه الرسالة في مجلة العرفان في آخر عدد منها صفحاتها ٢٦ بالحرف الصغير والقطع المثمن وقد وعد المؤلف باتمامها بعد اطلاعه على تتمة مقالة (ميزان الجرح والتعديل) وهذه الرسالة مطبوعة بمطبعة العرفان (في صيدا) وثمنها قرش ونصف قرش صحيح وهي تطلب من مكتبة المنار بمصر

(*) كتب هذا التقريظ شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

﴿ امثال الشرق والغرب ﴾

تأليف يوسف توما أفندي البستاني السكي بمصر صفحاته ١٢٦ بقطع تفسير سورة الفاتحة طبع على ورق متوسط بمطبعة البوستة بمصر سنة ١٩١٢ يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه ٣ قروش

جمعه مؤلفه من كلام العلماء والحكماء من السابقين والمعاصرين ورتبه على ٢٤ فصلا جمع فيها من أمثال العرب والعجم والبربر والفرنجة واليونان والهنود طائفة كبيرة والكتاب نافع لاشتماله على حكم رائقة مفيدة

﴿ الامازون ﴾

جريدة جامعة تصدر صباح كل خميس من الاسبوع ذات ثمان صفحات على شكل جريدة الافكار قيمة اشتراكها في السنة ٢٥ فرنكا عنوانها « سان بولو البرازيل صندوق البوسته عدد ١٣٤٣ » مديرها ومحررها فارس دبغي

﴿ المصور ﴾

جريدة علمية أسبوعية مصورة صفحاتها أربع عنوانها « ادارة جريدة المصور في المطبعة العثمانية في بيروت » قيمة اشتراكها مجيدي ونصف في البلاد العثمانية و١٠ فرنكات في الخارج .صاحب امتيازها عبد الوهاب سليم التنير ومديرها المسئول محمد طاهر أفندي التنير

﴿ الفجر ﴾

جريدة أسبوعية تصدر موقتا كل عشرة أيام مرة صفحاتها ثمان وقيمة اشتراكها ١٢٠ قرش في الخارج صاحبها ومحررها ناصر شاتيلا أفندي عنوانها

Al-Fajr Caixa Postal, 1595 Rio de janeiro Brazil

﴿ رائد السودان ﴾

جريدة علمية أدبية اخبارية اقتصادية تصدر يوم السبت من كل أسبوع باربع صفحات على شكل جريدة الاهرام قيمة اشتراكها فى مصر والسودان خمسون قرشا صحيحاً وفي الخارج ٢٠ فرنكا عنوانها (صندوق البوسته عدد ٥١ و٥٢ بالخرطوم)

﴿ السهام ﴾

جريدة تبحث في كل موضوع تصدر مرة في الاسبوع قيمة اشتراكها ٢٠٠ قرش في البرازيل عن سنة و٣٥ فرنكا في الخارج عنوانها التلغرافي (السهام . مناوس) مديرها ومحررها جورج اسحق يارد

الانقلاب الخطر

﴿ وجمعية الاحمرين الدم والذهب ﴾

كل من نعرف من العثمانيين المخلصين ، والاجانب الخبيرين المستقلين ، يعتقدون ان جمعية الاتحاد والترقي هي « جمعية الاحمرين » الدم والذهب ، أما كونها جمعية دم وثورة فهو صفتها الرسمية . ولما سقطت وزارتهم السعيدية الشقية جمعوا مؤتمرهم العام وزعموا انهم قرروا فيه التحول عن جمعية ثورة الى حزب سياسي . وكان هذا خداعا للامة الجاهلة المسكينة كذبته ثورتهم الجديدة لقلب وزارة كامل باشا . وأما كونها جمعية ذهب، فلا يخفى على أحد ، فقد نهبوا أموال عبد الحميد خان وصادروا أكثر أغنياء الأمة وباعوا بوسنة وهرسك للنمسة . وطرابلس الغرب لايطالية، واتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة وعلى تمهيد الاسباب لامتلاكها البلاد المقدسة لاقامة ملك اسرائيل فيها ، ولهذا قال وزيرهم حقي باشا في خطبة علنية له : ان مستقبل هذه الدولة العثمانية لليهود . وأخذت وزاراتها من ميزانية الدولة أكثر من ٤٠ مليون جنيه للحربية لم يظهر لها أثر يذكر .

لاجل هذا كله كنا نخشى ان تعود لها الكرة لامتلاك زمام الدولة فتكون هي الكرة الخاسرة ، وتقوم بذلك قيامة هذه الامة البائسة في هذه الاحوال الحرجة ، وزاد هذا الخوف في قلوبنا اخراج الجمعية لبطلها أنور بك من درنة الذي وضعته هناك وجعلت في يده جميع الاعانات الحربيـة لتوهم العالم الاسـلامي انها هي التي تدافع عن طرابلس وبرقة — وما هي الا البائسـة لهما على الوجه الذي بيناه من قبل — وانما أخرجته وجاءت به الى الاستانة ليعينها باسمه وشهرته الخادعة على الثورة وسفك الدم . وقد وقع ما كنا نتوقع وهاك ما ورد علينا وعلى غـيرنا من أصحاب الجرائد المصرية من الاستانة في ذلك

رسالة الينا خاصة من الاستانة :

كتب الينا أحد الاصدقاء من عاصمة الملك ومركز الحوادث يقول :

« أكتب اليكم وأنا أشهد بعيني ، وأسمع باذني، كيف تكون مصارع الدول، وكيف تخط مضاجع الامم ، وكيف يفتك العلم بالجهل، وتستولي النباهة على الخمول ،

وكيف تنشب القوة مخالبها في الضعف فتمزق أشلاءه ، وكيف يتضاءل المقصرون أمام السابقين ، ويتصاغر المهملون لصولة العاملين ، هذا وهؤلاء المتأخرون في كل شيء ، والمتقدمون الى شفير كل هلكة ، كأنهم لا يألمون لما يألم له الاحياء فتراهم في غمرتهم ساهين ، وعلى ما ألفوا من الحرص والطمع عاكفين ، وعلى هذا الذماء الحقير من السلطة متهالكين ، كأن الآلام تقع على غيرهم ، وكأن من يقصد بهذا الشر المستطير سواهم ، فكل ماحل بهم ، وما سيحل بمن يتصل بهم ، لم يظهر له ولا أثر ضعيف في أعمالهم وحالهم ، أو كما يقول شاعرهم التركي (عالم ينه أول عالم ، دوران ينه أول دوران) بل أشهد كيف يحتفر الجاهل قبره بيده ، ويهدم قصره بفأسه ومعوله ، حتى لايترك للعدو سبيلا الى الفناء ، فلقد اختلس الطامعون فرصة اشتغال العسكر في المرابطة على الحدود، واشتغال الوزارة بالجواب على مخابرة الدول، فخرجوا من (زقاق شرف) مع رئيس من رؤسائهم المعروفين بعدد من الزعانف لايبلغ المائتين ، أعيتهم الحيل في جمعهم ، ومنهم قسم عظيم من جهال مهاجري طرابلس الغرب ، أغروهم بالوقوف أمام الباب العالي يطلبون معاشهم الذي مضى وقت صرفه، ولم تتمكن الوزارة من تدارك قرض لصرفه، فوقفوا ووقف أولئك معهم يصيحون ويصخبون ، وجاء رئيسهم (أنور) فدخل على كامل باشا ورفاقه وطلب اليهم الاستعفاء بحجة أنهم ضعفوا أمام الاعداء وأطمعوهم ، وأشار اليهم بأن ممثلي الامة وراءه وهم الواقفون أمام الباب ، وكان ذلك بعد ان اغتيل ذلك القائد العظيم (ناظم باشا) وضابطان آخران ، فاضطرت الوزارة الى الاستعفاء وخرج (أنور) وهو يكاد يسامق الفلك غروراً ، وتوجه تواً لسفارة ألمانية حيث مكث هناك برهة ثم صعد الى (سراي طولمه باغجه) حيث أخبر السلطان بعمله وأشار عليه بنصب (محمود شوكت باشا) وأعادة الوزارة الاتحادية ، فأجابه الى طلبه (طبعاً) وعاد فأعلن ذلك الى ممثلي الامة الواقفين في ساحة الباب العالي (؟) فهتفوا باسم الاتحاد والترقي ، وكان ذلك وقت الغروب أو بعيده .

« ثم قبض على علي كمال وأحيط بادارة جريدة (اقدام) وعلى محرر (يكي غزته) وأحيط بادارتها ، وبناظري المالية والداخلية ، وبكثير من رجال العلمية والملكية ، وفر كثيرون مما لم نقف بعد على تفصيله . وتوجه في تلك الليلة رجلان الى ادارة « صباح » حيث كان محررها فأمروه بكتابة ما يريدون ، وهددوه ان لم يفعل بالقتل ، فخرجت « صباح » ثاني يوم تمجد هذا العمل وتقدسه وتلبسه لباس الحق ،

وأن للامة أن تخرج عن الطاعة وتنبذ طاعة حكومتها إذا عملت على غير مصلحتها .

وكان قد اصيب في تلك المظاهرة مرخص الاتحاديين (مصطفى نجيب) فهلك فأخرجوا جنازته في اليوم التالي بين التهليل والتكبير، والبكاء والعويل، والتأبين المطولة، والمراثي المطنطنة ، وفي جملة من أبنه عبد العزيز شاويش، أبنه بالانكليزية (!) . ثم مشوا به ومعه ألوف مؤلفة فيهم قسم عظيم من الحمالين (الشيالين) وقسم عظيم من شيوخ الطرق ، وآخر من رجال العلمية والطلبة ، والباقون من شبان المأمورين ، ومشت أمامه فرقة من العساكر ، وأخرى من النواحين يرثونه ويذكرون بلاءه في سبيل الوطن، وتعريضه بنفسه الى الموت لتخليص وطنه من الذين يريدون بيعه وتسليمه للاعداء ، ويتباكون كأن المصاب بهذا المجاهد أعظم من المصاب بكل من مات في ميدان الحرب، وأعظم من الهزيمة التي أسقطت الجيش والعثمانية كلاهما من مرتبة الوجود

كل هذا على حين أن جنازة ناظم باشا كانت تمشي من طريق آخر وليس معها سوى بعض الجند وبعض ضباط الاجانب والمأمورين العسكريين والناس يتناجون فيما بينهم ولا يجسر أحد منهم أن ينبس ببنت شفة

جرت كل هذه المضحكات المبكيات ثم عادت الوزارة الجديدة لمباشرة العمل ، والقيام بما ملأت به ماضغيها من التحريض على الحرب ورد مخطرة الدول، وراجعت الاساس الذي كانت الوزارة السابقة تريد بناء الجواب عليه فاذا هو عبارة عن تسليم بعض الحدود الخارجية عن منطقة أدرنة وتسليم بعض الجزر ، والرجاء من الدول بالاكتفاء بهذا وصرف النظر عن مطالبهن ، فجعلت الوزارة اللاحقة تحاول تعديل جزء يسير من هذا فلم تجد اليه سبيلا ، ولا عليه معينا ، فاضطرت فيما سمعنا الى تقريره بعينه وستقدم الجواب اليوم أو غداً (١)

أما صدى هذه الحركة في الجيش فالمسموع أنه صدى سيء ، وأن العسكر في جتالجه منقسمون وبعضهم يريد الزحف على الاستانة لتأديب القائمين بها، وبعضهم يطالب بدم ناظم باشا ، وبعضهم فر من الجيش الى جيش البلغار . وأما الولايات فلم يرد منها الا التقبيح لهذا العمل ورفض الاعتراف بالوزارة الجديدة فيما سمعنا ، حتى قيل إن ولاية البصرة عازمة على طرد الاتراك من بلادها ،واعلان الاستقلال، وعلمت أن تلغرافاً ورد طالب بك يتضمن هذا أو نحوه وأن تلغرافات وردت من بيروت والقدس بالرفض أيضاً (٢).

---

(١) المنار : قدمتها فاذا هي تطلب قسمة مدينة أدرنة بينها وبين البلغار !!

(٢) أخبار الولايات لم تصح

أما التهانئ التي وردت من بعض أقضية الاناضول ونشرتها الجرائد فهي خافتة الصوت ظاهر عليها أثر التصنيع وأول مادرج منها تلغراف من رئيس الحمالين في أزمير يهنئ الوزارة ويذكر أن لديه عدداً كبيراً من عربات النقل مستعدة لخدمة الحكومة في الحرب التي تنوي استئنافها لتخليص الوطن (؟) وعلمت من ثقة أن أول عمل قررته الوزارة اعادة المجلس المنحل ودعوة المبعوثين لأنها لا تعتبر ذلك الفسخ قانونيا ولم ينشر في الجرائد تصريح بذلك . أما تلميحاً فقد نشر، والجرائد لا تذكر واحداً من هؤلاء المبعوثين باسم مبعوث سابق بل تطلق كلمة مبعوث إطلاقاً . وبالجملة فكل ماتراه ونسمعه هو من آيات الانتحار والانقراض . ولا ندري ماذا يكون شأن بلادنا وماذا يعمل زعماؤها وكيف السبيل الى النجاة » ؟ انتهى بنصه

*

ونشر المؤيد في العدد الصادر أمس (يوم الاربعاء ٢٨ صفر سنة ١٣٣١ و ٥ فبراير سنة ٩١٣) رسالة قال انه تلقاها عن أوثق المصادر جاء فيها مانصه :

« بينما كانت الوزارة الكاملية مجتمعة في الباب العالي بعد ظهر أول أمس (أي يوم الخميس ٢٣ يناير) للمداولة في الجواب المزمع ارساله الى سفراء الدول بشأن مسألة أدرنة والجزر اذ أقبل نحو الباب العالي زمرة من الاتحاديين وأتباعهم يحملون أعلام الجمعية - وكانت الساعة الثالثة زوالية - وفي مقدمة الجميع القائمقام أنور بك والميرالاي جمال بك وهو والي بغداد السابق والبكباشي اسماعيل حقي بك وهو والي بتليس السابق وعمر ناجي بك مبعوث قرق كليسا السابق وممتاز (المتهم بقتل المرحوم زكي بك) وتحسين بك صاحب جريدة سلاح ومصطفى نجيب (الذي لقي حتفه في هذه الفتنة) وبعض المنتمين للهلال الاحمر الهندي والهلال الاحمر المصري من الهنود والمصريين (وهؤلاء انضموا الى المتظاهرين في الآخر) وقسم كبير من المشايخ صنائع الاتحاديين يهللون ويكبرون

« ثم دخل أنور بك ورفقاؤه المذكورون الى رحبة الصدارة وحاولوا الولوج الى الغرفة التي يجتمع فيها الوكلاء فعارضهم نافذ بك ياور الصدر الاعظم وتوفيق بك ياور ناظم باشا وجلال أفندي البوليس الملكي الذي يمشي بمعية سماحة جمال أفندي شيخ الاسلام . وكان هؤلاء الحجاب محقين بمنع هؤلاء الجماعة من الدخول على مجلس الوكلاء في ساعة انعقاده لانهم مأمورون بذلك قانونا وهم قاموا بوظيفتهم التي ينبغي أن تكون محترمة عند الجميع

« ولكن أنور بك وجماعته هجموا بالقوة وقتلوا برصاص المسدس المرحوم نافذ

بك ياور الصدارة فأصيب في جنبه وهجموا على الحاجبين الآخرين بالمدى والخناجر التي كانوا خبأوها تحت ثيابهم ، وكان الحاجبان يدافعان عن حياتهما وعن باب مجلس الوكلاء بمسدسين كانا معهما

أما ناظم باشا فقد أقلقه انطلاق الرصاص داخل الباب العالي وعلى باب مجلس الوكلاء وكذلك قلق سائر الوزراء فخرج ناظم باشا من الباب وقبل أن يسمعوا كلامه أو يفهم مرادهم أطلق عليه مصطفى نجيب رصاصة - وقيل بل الذي بدأ باطلاق الرصاص عليه هو أنور بك ونسب ذلك الى مصطفى نجيب لانه مات فيما بعد - ثم انهمر الرصاص على ناظر الحربية من الآخرين فأصيب برصاصة في صدغه وأخرى تحت عينه اليسرى ومات فأقبلوا على جثة يطعنونها بالخناجر والمدى

«وكان الياور توفيق بك الى ذلك الحين يطلق الرصاص في الفضاء ارهابا لهؤلاء الجماعة فلما رأى جثة وزير الحربية ملقاة على الارض ملطخة بالدماء لم يملك عواطفه - مع ماأصابه من الجروح - فقتل مصطفى نجيب بالرصاص

« وبعد قتل ناظم باشا تحول رصاص القوم على توفيق بك وبوليس شيخ الاسلام وعلى اثنين من خدمة الباب العالي فقتلوا جميعا

« وبعد هذه المعركة دخل أنور بك وجمال بك على الصدر الاعظم وطلب منه الاول أن يستقيل فأجابه الى ماأراد وكتب كتاب الاستقالة وسلمه الى أنور بك فخرج هذا بها الى جماعته الذين ينتظرونه في الخارج (أمام الباب العالي) وكان عددهم الى تلك الساعة لم يزد على مائة شخص فبشرهم باستقالة كامل باشا وقال لهم لاتفارقوا باب الباب العالي حتى أعود اليكم من القصر السلطاني بتعيين وزارة أخرى

وذهب الى سراي طولمه بغجه راكبا أوتومبيلا فقابل جلالة السلطان وأخذ منه الارادة السنية في الحال بتعيين محمود شوكت باشا صدرا أعظم وطلعت بك وكيلا لنظارة الداخلية الى أن تتألف الوزارة الجديدة . وكان هذان ينتظران مع آخرين عند سراي طولمه بغجه . ثم صحب أنور بك محمود شوكت باشا وطلعت بك وجاءبهما الى الباب العالي فاستقبلهم الواقفون هناك بالتصفيق والهتاف وتلي الفرمان السلطاني على المتجمهرين . وبعد ذلك خطب محمود شوكت باشا فقال :

« اني قبلت هذا المنصب وأنا عالم بحرج الموقف . واني واثق بالله ان يوفقني الى خدمة الوطن »

«ثم طلب من المتظاهرين أن يتفرقوا فذهبوا من الباب العالي الى حزب الحرية

والائتلاف فنهبوه وأخذوا أوراقه ودفاتره وحطموا زجاج كل نوافذه

« ومن الغريب في هذا الحادث أن الجنود الذين من وظيفتهم أن يوجدوا في الباب العالي أرادوا أن يمنعوا أنور بك وجماعته من الدخول فسألهم أنور بك: ألستم تعرفونني؟ قالوا بلى . قال ألستم تثقون بي؟ أجابوا بلى . قال اذن فافسحوا لي الطريق فاني ما جئت الا لانقاذ الوطن وعقولكم لاتدرك مثل هذه الامور (نعم ان عقولهم لاتدرك مثل هذه الامور ولكن الذي كان يجب عليهم أن يدركوه هو اتباع أوامر ضباطهم فلم يفعلوا) وهكذا تركوا رجال المظاهرة يفعلون ما سبقت الاشارة اليه

« وعند دخول أنور بك كان منتبها الى أنه ربما استدعيت الجنود بواسطة أسلاك التلفون والتلغراف فقطعها كلها .

« ومما انتبه الاتحاديون له قبل وقوع الحادث أنهم أمروا الضباط المنتسبين الى جمعيتهم فأخذوا الالايات الحميدية الى الجسر الجديد الذي بين السركه جي وغلطه فقطعوا الصلة بين شطري العاصمة

« وكانوا قد طبعوا من قبل منشوراً يتقربون به الى الامة بما آنسوه من شعورها بعواطف الاستياء من التنازل عن بعض أدرنة والجزر مع أنه لو كشف الله للناس عن قلوب بعضهم في هذه الازمة لعلموا من هو المستاء أكثر ومن هو المخلص أكثر ومن الذي يتخذ العواطف ذريعة لاغراضه .

« وأغرب ما في الامر أن هذا المنشور الذي طبع من قبل جاء فيه أن الوزارة استقالت ، مع أنه كتب وطبع قبل حدوث كل شيء وقبل أن يخطر على بال الوزارة أن تستقيل بهذه الصورة . ولكنها فتنة دبرت بليل

« في اليوم الثاني كانت قد أقفلت جريدة اقدام وجريدة علمدار وجريدة بني غزته وقام أمامها من رجال البوليس وقبل ذلك - أي في ابيل - ألقي القبض في مطعم طوقاتليان على علي كمال بك رئيس تحرير اقدام واسماعيل حقي بك مبعوث كوملجنة السابق ونور الدين بك المدير المسؤول لجريدة اقدام والدكتور رضا نور بك والدكتور رضا توفيق بك وغيرهم فسجنوا جميعاً

« أما رشيد بك ناظر الداخلية السابق وعبد الرحمن بك ناظر المالية السابق فقد سجنا في دائرة (برنجي قول أوردو) ولا يزال البحث جاريا عن المعارضين

« والاعتقاد سائد هنا (أي في الآستانة) أنه لولا طيب قلب ناظم باشا ورشيد بك لما حصل شيء من كل هذه الفتنة

« ويقال انه مما قرر أثناء ترتيب الفتنة أن يعين نسيم ماسلياح اليهودي وكيل الجمعية الصهيونية ناظراً للتجارة بدلا من جلال بك ويرسل جلال بك والياً على أزمير . وجاويد بك يمين وزيرا للمالية

أما بازاريا الذي عين ناظراً للنافعة (الاشغال) فهو فلاخي وكان رئيساً لتحرير جون ترك التي تصدر بأموال اليهود الصهيونيين اه

ونشرت جريدة الاهرام تحت هذا العنوان (في عدد ١٠٦١٨) رسالة من الآستانة هذا نصها :

الانقلاب الخامس

مقدماته — تفاصيله — نتائجه

برح مراسلكم الخصوصي فروق الى مكان أجهله فسألني قبل سفره مراسلة الاهرام في مدة غيابه نظراً لما بيننا من صلات المحبة والوداد فوعدته خيراً . ولقد كنت أود لو ان لي قلماً كقلمه يصف لكم الحوادث والاشياء . الا ان مالا يدرك كله لايترك جله . فانا أصف لكم مارأيناه ومر امام نظرنا ببساطة العامي لعلمي ان الحقيقة جميلة بنفسها لاتحتاج الى بلاغة انشاء . ففي جمالها مايغني عن البلاغة

اذا كان في العالم كله شعب يصح به قول الشاعر

وصرت اذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

فهذا الشعب هو ولا شك الشعب العثماني الساكت النائم على الضيم المغلوب على أمره . فلقد أخذت النوائب ترشقه بسهامها منذ عامين أو أكثر فقتلت أولاده في حروب طرابلس الغرب والروملي ورملت نساءه ويتمت أطفاله وخربت تجارته وهدمت دياره وأحرقت مزارعه وأخرجت الحكم من يده الى يد عدوه . فبلاد الروملي اليوم ديار خربة لاتصلح لشيء يحرق العدو فيها ديار المسلمين ويحرق المسلمون فيها قرى أعدائهم . وهكذا دواليك .

منذ أربعة أعوام قلب الجيش حكم عبد الحميد . وأنشأوا حكومة دستورية . ثم قام الجيش فقلب تلك الحكومة . ثم قام رجال تلك الحكومة فقلبوا بعض توابير ذلك الجيش . ثم عاد ضباط الجيش الكرة الرابعة منذ شهور وقلبوا ذاك الحكم . فقام الاتحاديون اليوم وقلبوا حكومة ذلك الجيش وهي خامس ثورة حدثت في اربعة اعوام في سبيل القبض على الحكومة ليس غير

قبل الانقلاب

برح انور بك بنغازي بطلب من جمعية الاتحاد والترقي . فلما وصل الاستانة قابله رجاله (طبعاً) ولم يجر له استقبال فخيم كما عوده ذووه فساءه ذلك وزاد في استيائه انه بعد ان وصل قصد نظارة الحربية فدخل على ناظم باشا فلم يقف له ناظر الحربية بل قابله بصفة عسكرية كفريق وقائمقام عسكري وقال له ماخلاصته :

« أنا مسرور منك لما بذلته من الهمة والنشاط في بنغازي وأسر بوجود ضابط نشيط مثلك في الجيش غير اني أفيدك انني لاأحب أبداً مداخلة الضباط في السياسة ولا أسمح لهم بذلك فاذا اقسمت لي بأنك لاتتدخل فيها أبداً اقسم لك بشرفي اننا نقدر ان نقضي العمر معاً . » فأقسم له انور بك بشرفه العسكري انه لا يتداخل في السياسة . وخرج من حضرته وفي الصدر ما فيه

كان بين عزت باشا رئيس اركان الحرب وانور بك صداقة ووداد من قبل ويظهر ان عزت باشا لايميل قلباً الى ناظم باشا فعقد مع انور بك عهداً . واخذ الاثنان في ملاطفة ناظم باشا واظهار الود له ومما كانا يقولانه له « اليوم لاتوجد جمعيات ابداً فلا اتحاد ولا ائتلاف بل يوجد شرف الجيش العثماني وان شاء الله بهمتك ياباشتنا نعيد هذا الشرف الى ما كان عليه » وبرهاناً على هذا القول دعوه مرتين الى تناول الطعام في دار البرنس سعيد باشا حليم مع رهط الاتحاديين وتناول الطعام معهم مرة في فندق توقتليان حتى قال بعضهم ان ناظم باشا اتفق مع الاتحاديين والتحق بهم

ولقد بلغ وثوقه حداً ماكان يجب له ان يبلغه فترك أمور الحل والربط في الجيش لعزت باشا وأخذ يشتغل هو بأمور الدفاع وغيرها ، ولقد كانت هذه السياسة التي بسطتها توطئة لدور الانقلاب

قبل الانقلاب بأيام

اتصل برشيد بك ناظر الداخلية السابق قبل الانقلاب بأيام خبر مايهيئه الاتحاديون من المؤمرات فأراد أن يقبض على زعمائهم ويوقفهم فمنعه ناظم باشا من ذلك فالح فجاءوا بنصف تابور واسكنوه في الباب العالي

من هم [illegible]

ان رجال هذه البلوكات الاربعة التي جاءوا بها هي من تابور عشاق . وقد انتخبوه دون غيره لان جميع ضباطه من الاتحاديين يقبضون رواتبهم شهرياً من صندوق جمعية الاتحاد والترقي . وما خلا هذا فقد أبعدوا جميع الجنود التي كانت في الاستانة

الى الثكنات البعيدة . فلم يبق في ثكنات الاستانة ذاتها الا تابور واحد نصفه في الباب العالي والنصف الآخر مستمال بعمدات الاستمالة : على هذا الشكل تمت مهيئات المؤامرة

يوم الانقلاب بالذات

أعد الاتحاديون أسباب الانقلاب بتمامها . فبعد أن أتموا تهيئة الوسائل العسكرية التي تقدمت الاشارة اليها هيأوا الاسباب الملكية أيضاً فجاؤا بنحو مائتي شخص من أنديتهم المختلفة ووزعوهم في القهوات الواقعة امام الباب العالي التى ظلوا فيها الى نحو الساعة الثانية بعد الظهر

وكان طلعت بك يقوم بدور التفتيش بين كل ساعة وأخرى فيجيء هذه القهوات مضطرباً ويكلم هذا الشخص أو ذاك ويهمس لهذا وذاك كلمة في اذنه ثم يرجع ثم يعود الى القهوة ويقول الذين شاهدوه انه ذهب ورجع عشر مرات وهو على مثل هذا الحال

وفي الوقت المعين هب هؤلاء الناس من قهواتهم وأخذوا ينسلون عشرات عشرات ويقفون امام الباب العالي فلما اجتمع قدر مائة منهم قدم أنور بك على جواده يحيط به أربعة من الفدائيين وضعوا مسدساتهم تحت ستراتهم الا انها كانت ظاهرة لكبر حجمها

وكان في هذه الاثناء قد بلغ الوزارة خبر هذا التجمع فخرج ناظم باشا ليعطي الامر الى الجنود الموجودة بتفريق المجتمعين وقدجاء ياوره نافذ بك وأمرهم بذلك . وبعد دقائق قليلة قدم انور بك يحيط به جماعته فتظاهر ضباط تابور عشاق برغبتهم في مخالفته فخطب فيهم قائلا : ألست قائدكم؟ اما أنا مسلم مثلكم ؟ اما أنا عثماني ؟ لماذا تضربون هؤلاء القوم دعوهم وشأنهم ؟

دور المشايخ

وفي هذه الاثناء وقف الشيخ أحمد ماهر وشيخ آخر (في رواية أخرى انه موسى كاظم) واعظين في الجند والقوم وأخذا يصيحان : أيها المسلمون استغفروا الله . أيها المسلمون استغفروا الله . الله أكبر . الله أكبر . فيجيبهما الجميع أستغفر الله . استغفر الله

(غرضهم من ذلك) كان أنور بك يعلم هو وجماعته انه لا بد لهم من اطلاق النار لدخول غرفة اجتماع الوكلاء فارادوا بوجود هذه الضوضاء (العلوية) أن يخفوا صوت اطلاق النار عن الواقفين خارجا . ثانياً أن يحركوا العواطف الدينية

بعد ان دخل أنور بك وفدائيته الباب الخارجي الكبير وتبعهم بعض رجال الاندية الاتحادية أقفلوا الباب وراءهم ومنعوا غيرهم من الدخول

ولما وصلوا الى الداخل وطلبوا الدخول الى غرفة مجلس الوكلاء منعهم نافذ بك ياور ناظم باشا فاطلق مصطفى نجيب بك أحد ملازمي الجيش وكان بثوب ملكي النار على نافذ بك فلم يرده لاول طلق فاجابه نافذ بك بالمثل فارداه وسقط الاثنان يتضرجان بدمائهما فتصدى توفيق بك ياور الصدر وشقيق حرم أدهم بك والي بيروت لممانعتهم فأردوه على الفور . فلما سمع ناظم باشا اطلاق النار خرج ليرى الامر فما فتح الباب حتى كان قد عاجله أحد الفدائية برصاصتين ذهبتا بحياته حالا فوقع الى الارض يتضرج بدمه الذي ذهب ثمن غفلته واهماله (١)

وعلى هذه الصورة وفي هذا الشكل دخل هذا الجمع مجلس الوكلاء وكان في يد أنور بك عريضة الاستقالة فقبض على المسدس بيد وبسط العريضة بالاخرى لكامل باشا قائلا وقع على هذه العريضة حالا فالامة لاترضى بوزارتكم . ثم أشار الى بعض رجاله بعدم السماح لاحد بالخروج ولا لأحد من الخارج بالدخول

جرى كل ذلك والناس في الخارج يهللون ويكبرون وهم لايعلمون ماجرى داخلا فركب أنور بك سيارة كانت معدة له وقصد السراي السلطانية وكان قد احتاط بها مئات من الناس أيضاً يحمل الامر بتعيين محمود شوكت باشا صدراً أعظم

في السراي

لا يعلم الناس ما الذي جرى في السراي الا انهم يعلمون ان أنور بك دخل وخرج بالامر موقعاً عليه وقد اختلفوا كثيراً في الرواية فادع للتاريخ التمحيص

وعاد أنور بك بامر تعيين محمود شوكت باشا صدراً أعظم فاستلم على الفور طلعت بك نظارة الداخلية

ووقف الخطباء يعددون مساوىء كامل باشا وخيانته ويقولون عنه انه باع طرابلس الغرب والروملي (٢) . اما الخطباء فبعض مشايخ الدين وأفراد من مهاجري الروملي

شكل موظفي الدولة

قبل ان خرج أنور بك من مكانه الذي كان فيه الى الباب العالي أعطى أمراً الى أحد أنفار البوليس من الاتحاديين الى جعفر إلهامي بك مدير البوليس العام بوجوب تسليم الادارة الى عزمي بك المدير السابق فلما أخذ جعفر الهامي بك الامر

(١) اثبتت هذه الرواية أن ناظم باشا قتل بعد قتل مصطفى نجيب الذي أراد الاتحاديون ان ينسبوا اليه قتله ليبرؤا أنور بك من اتهامه بمباشرته. على انه يسهل عليهم اصدار أمر من السلطان بالعفو عن هذه الجنايات وان كان لا يجوز شرعا

(٢) أما كامل باشا فيجيب الجمعية بقول المثل « رمتني بدائها وانسلت »

قبله ووضعه على رأسه وسلم الادارة الى عزمي بك ووقف امامه يسأله مايريده فأمر البوليس بأن يقبضوا عليه ويوقفوه ففعلوا

التوقيفات

قبل أن يتلى الامر بصدارة محمود شوكت باشا كانت التوقيفات قد بدأت فقبض على أصحاب جريدة علمدار ومحرريها وعلى علي كمال بك المحرر المعروف واسماعيل بك مبعوث كوملجنه وعلى نور الدين بك مدير اقدام وغيرهم

وفي الوقت الذي ذهب فيه أناس الى الباب العالي وآخرون الى نظارة البوليس ذهب فريق الى مكان المحكمة العرفية فأفهموا ضباطها ان (الامة) ؟ ؟ في غير حاجة اليهم وطردوهم من الدار التي كانوا فيها وأخذوا مفتاحها. فخرجوا لايبدون مقاومة ولا يفوهون بكلمة

الخط الهمايوني

قلت لكم ان أنور بك ذهب الى السراي مساء يوم الخميس ورجع بالخط السلطاني القاضي باسناد منصب الصدارة الى محمود شوكت باشا واليكم تعريبه

وزيري سمير المعالي محمود شوكت باشا

بناء على استعفاء كامل باشا ولاهمية الموقع التي تستغني عن الايضاح رأينا توجيه مسند الصدارة الى رجل مجرب الاقتدار ولما كان اقتداركم وكفاءتكم معلومين ومجربين لدينا وجهنا اليكم منصب الصدارة مع رتبة الوزارة والمشيرية السامية ونحن متفكرون في انتخاب ذات لمسند المشيخة الاسلامية . وقد صدرت لكم الارادة بتشكيل الوزارة وعرضها علينا لتصديقها وفقكم الله للخير آمين بحرمة سيد المرسلين

١٥ صفر سنة ٣٣١ و ١٠ كانون ثاني ٣٢٨ محمد رشاد

نشرة الداخلية

وما كاد يستلم طلعت بك نظارة الداخلية بالوكالة حتى طير النشرة الآتية الى الولايات والملحقات واليكم تعريبها

« لما كانت وزارة كامل باشا قد تجاوزت على حقوق الامة فتركت للاعداء ولاية أدرنه كلها وجزر بحر سفيد وجمعت في السراي السلطانية مجلس مشورة من أعضاء مجلس شورى الدولة ورؤساء الموظفين دعته المجلس الملي - ثار الشعب وأصبح في حال الغليان فقام بمظاهرة امام الباب العالي أدت الى استعفاء الوزارة فصدرت الي الارادة السنية بادارة أمور نظارة الداخلية بالوكالة الى ان تعين الوزارة وباشرت

الامر مستعيناً بقوته تعالى . ولما كنا سندافع بكمال العزم عن حقوق السلطنة المقدسة وبناء على احتمال رجوع الحرب نوصيكم بتشويق الاهالي بمساعدة الحكومة ماديا ومعنوياً . الامضاء — طلعت

المنشورات الاخرى

ولقد نشرت الجمعية منشورات أخرى وزعتها على أفراد الشعب يضيق نطاق هذه الرسالة عن تعريبها سأعود اليها في رسالة أخرى باذن الله

العزل والنصب

ما كادت الوزارة الجديدة تصل الى مقام السلطة حتى أخذت في عزل بعض القواد كمحافظ موقع الاستانة وغيره ومتصرف بك أوغلي واستخلافهم بغيرهم

الضباط

حالة الضباط اليوم غير معلومة . في الاستانة ثلاثة أحزاب حزب محمود شوكت وحزب ناظم باشا وحزب الخلاصكاران الذي عمل الانقلاب السابق ويقولون ان الخلاصكاريين وجماعة ناظم باشا اتفقوا على الاتحاديين فحال الجيش المعنوية الآن ضعيفة جداً وانظر بمزيد الخوف والقلق الى المستقبل

عدد القتلى

يبلغ عدد القتلى المعروفين أربعة هم ناظم باشا ونافذ بك وتوفيق بك ومصطفى نجيب بك . ويوجد عدد من القتلى والجرحى من أنفار الجند لم تعلم أسماؤهم الى الآن

جنازة ناظم باشا

حمل رفات ناظم باشا الى مستشفى كلخانه فبقيت فيها الى يوم الجمعة حيث خرجت جنازتها ودفنت في تربة السليمانية . وقد مشى في الجنازة بلوك من الجند احتراما للملحقين الدول العسكريين الذين خفروا الجنازة ومشى وراءها محمود شوكت وهادي باشا باكياً يمسح دموعه وعزت باشا وأنور بك

مصطفى نجيب بك

خرجت جنازته من كلوب نور عثمانية الاتحادي ودفن بارادة سنية في الفاتح الى جانب السلطان محمد الفاتح وجرى له احتفال عظيم جدا

﴿ الوزارة الجديدة واوصاف رجالها (*) ﴾

محمود شوكت باشا الصدر الاعظم وناظر الحربية — معروف

شيخ الاسلام محمد أسعد أفندي — كان أميناً للفتوى وهو من أعظم رجالهم

(*) ذكر في الاصل أسماء الوزراء ثم أوصافهم فاختصرناها ببعض تصرف

الحاج عادل بك ناظر الداخلية معروف

بساريا أفندي ناظر النافعة – فلاخي من الاعيان كان رئيس تحرير (جون تورك) ومراقباً على ما يكتب فيها من قبل الجمعية و (جون تورك) جريدة صهيونية . وقد ذهب كل الفلاخ من بد الدولة مع ولاية يانيا والروملي وانما بقي لنا منهم بحمد الله هذا الناظر

رفعت بك ناظر المالية – منتظر قدوم جاويد بك يوم الاثنين ليفرغ له المنصب فهو وكيل مسخر

(شكري بك ناظر المعارف – فدائي للجمعية وهو المتهم بقتل أول قتيل قتل بأمرها في سرس)

البرنس سعيد حليم باشا ناظر الخارجية – معروف[1]

ابراهيم بك ناظر العدلية – والي الاستانة سابقاً

نسيم مازلياح ناظر التجارة والزراعة – مبعوث أزمير الاسرائيلي سابقاً ومفوض الجمعية الصهيونية

محمود جوروك صول ناظر البحرية – من أركانهم يقال انه كان خلف عبد الله باشا في قيادة الجيش

اوسقان أفندي – كان منذ ٥ سنوات كاتباً في البالقخانة (دار بيع السمك) من قبل نظارة الديون العمومية براتب ١٤٠٠ غرش ثم أرسل مفتشاً مالياً الى الروملي وأصبح ناظر البوستة اليوم

ففي الوزارة ٣ وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية نسيم مازلياح وجاويد بك وبساريا افندي أما العرب فلا يوجد لهم فيها ولا رجل واحد . وهذا معقول مفهوم لانه لا يوجد عرب في البلاد العثمانية

في سوريا

عين علي ضيف بك والياً لحلب وعارف بك المارديني والياً لسوريا وستعلن الاحكام العرفية في كل البلاد السورية وسيقال عند سفرهما انهما مأموران باجراء الاصلاح كي لا يلقيا مقاومة عند وصولهما وسيسافران يوم الجمعة القادم في الفرنسوي الى بيروت

﴿ رأي المنار في هذه الكارثة ﴾

يرى القراء أن رواية رسالتنا وروايتي المؤيد والاهرام يؤيد بعضها بعضاً . وكتب الى المقطم من (لندن) ومن الاستانة ما يؤيد ذلك كما أيدته الجرائد الاوربية

(١) هو أمين صندوق الجمعية وقد قبل هذه النظارة بعد ان أباها عثمان نظامي باشا وحقي باشا

في جملته ولا خلاف الا في بعض التفصيلات الجزئية كالخلاف في قاتل ناظم باشا وسمعنا من بعض من غادروا الاستانة بعد الانقلاب ان الذي قاتل ناظم باشا هو (أنور) نفسه ، وهو لم ينكث عهد العرب في (ادرنه) ويجيء الاستانة الا لاجل هذه المكيدة ، وكنا سمعنا من أهل الخبرة بدخائل السياسة ان الاتحاديين لا يرون لهم خصما قويا يعارضهم في جعل الضباط آلة سياسية ثورية بأيديهم الا ناظم باشا وصادق بك (أمير الالاي الذي قام بالانقلاب الاول) وان قتل هذين الرجلين مقرر عندهم. وقد حاولوا قتل صادق بك عقب هذه الثورة فتوارى . وكانوا يريدون قتل جميع خصومهم المشهورين فلما علم سفراء الدول بعزمهم هددوا وزارتهم هذه بأنهم ينزلون جيشا أجنبيا يتولى حفظ الامن في العاصمة فكفوا عما كانوا شرعوا فيه

وزارة كامل باشا

أما كامل باشا وهو الرجل السياسي المحنك المنفرد بخبرته وقدرته ونزاهته وشجاعته فكان من رأيه أولا عدم الحرب وكان رأي الاتحاديين وجوب الحرب ثم لما وقع الخذلان والانكسار في الجيش واستقالت وزارة أحمد مختار باشا قبل الوزارة مروءة منه في ذلك الوقت الحرج ، وأي حرج وخطر أكبر من انكسار الجيش ووصول العدو الى ضواحي العاصمة في وقت فرغت فيه الخزينة من المال وأعرضت عنها جميع الدول ، بل صارت تتحدث بقسمة سائر بلادها . وهل كان يمكن انقاذ الدولة من السقوط في الهاوية في هذه الحال الا اقتراح الهدنة لأجل الصلح ، واستمالة الدول لكف عدوانها والتماس مساعدتها المالية والادبية بقدر الامكان ؟ كلا ان هذا هو أقصى ما كان يمكن أن يناله الحاذق الماهر في السياسة ، وهو ما عني بالوصول اليه كامل باشا ، على انه لم يقصر في أثناء الهدنة فيما يجب من الاستعداد الحربي فهو قد فوض ذلك الى ناظم باشا الذي هو أعلم قواد الدولة بالفنون العسكرية وأقدرهم على العمل ، نعم ان هذه الوزارة قد قصرت تقصيرا داخليا صدق عليها قول خصومها انها ضعيفة وكذب قولهم انها منتقمة وهو التقصير في تربية زعماء الثورات والفتن والقتلة وقد لقيت جزاءها على ذلك والظالم سيف الله ينتقم به ثم ينتقم منه

لما بين البلقانيون مطالبهم وكان منها (أدرنه) وجزائر البحر الابيض قاوم كامل باشا في ذلك وكبر أمر أدرنة وعظمه حتى جعلها كأنها حياة الدولة الصورية والمعنوية وسياج المملكة كلها ، لعلها تسلم للدولة . فلما قدمت له الدول الكبرى ذلك الانذار بوجوب جعلها للبلقان لم يقبل ان يستقل بذلك دون استشارة أهل الحل والعقد في العاصمة فجمع

(الجمعية الملية) في حضرة السلطان فكانت مؤلفة من أفراد الاسرة المالكة ووزراء الدولة الحالين والسابقين وأعضاء مجلس الاعيان وكبار العلماء وأمراء العسكرية . وهذه هي الاستشارة الشرعية التي يوجبها الشرع الاسلامي ويهزأ بها الاتحاديون ويعدونها من الجرائم

ولما قررت هذه الجمعية في القصر السلطاني ترجيح الصلح وتفويض الامر فيه الى الوزارة ولم تبال بالاصرار على أدرنة في سبيل مغاضبة الدول الكبرى في هذه الازمة السياسية والعسرة المالية اجتمعت وزارة كامل باشا لوضع جواب للدول تشترط فيه شروطاً تتعلق بأمن الدولة على باقي بلادها ومساعدة الدول الملية والادبية لها لتلم شعثها . وهذا كل مايدخل في الامكان، ولكن عاجلها الاتحاديون بالثورة لاسقاطها بشبهة واهية كما ظهر ذلك للعيان

مخادعة الاتحاديين للامة

لا يزال الاتحاديون ، وكتابهم الاجراء والمنافقون ، يوهمون الامة العثمانية بل الاسلامية ، أن الاتحاديين لم يقوموا بهذه الثورة الا لاجل اعادة الحرب لاعادة شرف الجيش وإظهار قوته واستعادة أدرنة (سياج الدولة والحافظة لها من الزوال!)

كذب المنافقون فان سادتهم زعماء جمعية الاحمرين ومدبري الثورات والفتن قد صرحوا في أوربة بأنهم يريدون السلم لاالحرب وصرح محمود شوكت باشا بمثل ذلك رسمياً ، ولم يستطع أن يبرر الثورة التي جاءت بوزارته الا بطلب شق من مدينة (ادرنه) لدولته وإعطاء الشق الآخر للبلغار ، وهو خير الشقين عمراناً ، فهل هذا هو الذي يعود به شرف الجيش ومجده وتحفظ به المملكة من الزوال !!

ان وجود أدرنة بحصونها التي عني بها السلطان عبد الحميد وزادها ناظم باشا تحصيناً لم يدفع جيش البلغار عن الوصول الى ضواحي الاستانة فهل يحفظ لنا نصفها الآهل بالقبور ولايات الاناضول والعراق وسورية وجزيرة العرب بعد أن ذهبت ولايات أوربة كلها من أيدينا ، بجهل المفتاتين على الدولة وخيانتهم وفسادهم ؟؟

مقصد الاتحاديين من الثورة

قد عرف الخاص والعام أن الاتحاديين قد دبروا ثورتهم ، لاجل أن يستعيدوا السلطة لانفسهم ، فكان من دسائسهم التحريض على الحرب قبل وقوعها والدولة غير مستعدة لها ، ليجدوا من ذلك منفذاً لاستعادة السلطة ، ثم ان بعض زعمائهم كطلعت بك وجاويد بك نظموا أنفسهم في سلك المتطوعين ليبثوا دسائسهم في الجيش ويخذلوه وقد فعلوا ، ثم لما عقدت الهدنة صاروا يظهرون المعارضة في الصلح ويهيجو

الناس لطلب ذلك ، فلما صار الامر اليهم صرحوا بأنهم يريدون الصلح والسلم دون القتال فما هو غرضهم إذاً ؟ إن اعتقادنا الذي ما كاشفنا به عثمانياً عارفاً الا ووافقنا فيه هو انهم لم يفعلوا فعلتهم ويكيدوا مكيدتهم الا لاجل الذهب وكنت منذ شهور أصرح بتوقع ذلك وأقول انهم اذا عادوا يبيعون بلادنا ، ويسلبوننا هذه البقية التي في أيدينا بتدبير اليهود الصهيونيين الذين يديرون جميتهم كما يريدون . وكيف ذلك ؟

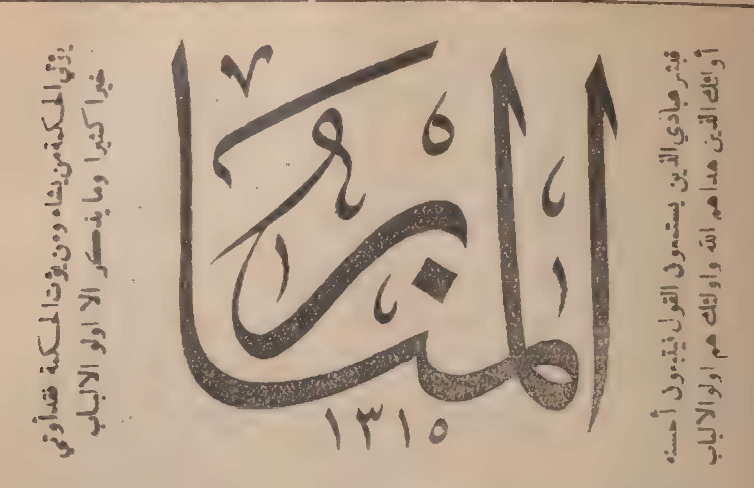
طرق استنزاف المال من الدولة لاتزال كثيرة (فمنها) الاعانات والضرائب الحربية والمالية ... سواء سميت اختيارية أو اجبارية (ومنها) القرض الداخلي وهو من الضرائب ولكن تختلف الاسماء (ومنها) القراطيس المالية يسلبون بها الذهب والفضة من البلاد فلا يبقى في أيدي الناس الا أوراق لا يمكن أن ينال أحد رغيفاً واحدا بورقة منها وان كان ثمنها مئة ليرة (ومنها) ذخائر السلاطين وجواهرهم وقد بلغنا أنهم مدوا أيديهم اليها عند ماهاجمت ايطالية (الدردنيل) فوضعوها في صناديق لاجل تهريبها : وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

(ومنها) بيع مزارع السلطان عبد الحميد لليهود الصهيونيين (ومنها) الامتيازات الزراعية والصناعية والتجارية وما فيها من السمسرة وغير السمسرة .

ولم تكد الوزارة الجديدة تتبوأ مقعدها من الباب العالي حتى أعطت شركة ألمانية امتيازا بخط ترام واسع من الاستانة الى (البوسفور)

ومما جاء مصدقاً لسوء ظننا في الجمعية انها جعلت في وزارتها الجديدة ثلاثة وزراء من حزب اليهود الصهيونيين وجعلت في أيديهم نظارة النافعة ونظارة الزراعة والتجارة أي ينابيع الثروة في البلاد . وسيكون هذا مبدأ عداوة بين اليهود والعرب ربما أدى الى سفك الدماء وتخريب كل ما يملك اليهود بهذه الوسائل الاتحادية غير الشرعية

فالواجب على الامة أن تتفكر وتتدبر في الهاوية التي أمامها ، وأن تحافظ على هذا الذماء القليل الذي بقي لها من ثروتها ، وأن تعلم أن النقدين (الذهب والفضة) ان ذهبا من يدها فانها ستقع في مجاعة عامة ، تفضي الى ثورة طامة ، تهلك الحرث والنسل ، فلا تخدعنها وعود المحتالين ، ولا زخرف كتابها المنافقين ، التي يموهونها باسم الدولة والدين ، وليعلم أهل كل ولاية أنهم على خطر احتلال الاجانب لبلادهم ، وان (أدرنة) ان بقيت للاتحاديين — وهي وطن زعيمهم الثوري طلعت — فانها لاتغني في الدفاع عن بلادنا شيئا . واذا أصبحت البلاد خاوية من المال ، فلا تقدر على دفاع بالرجال ، بل تقع في خزي ونكال ، وسوء مآل ، لا ينفع معهما احتيال (والعياذ بالله)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الانور ١٣٣١ هـ ق ١٩ الشتاء الثالث ١٢٩١ هـ ش ٨ مارس ١٩١٣ م

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٦٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٧) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٦٨) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

لقد تجلت في الآيات السابقة الحجة ، وتضاءل كل ما أورده اليهود على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم من شبهة ، فثبتت هذه النبوة بشهادة الله تعالى بما أنزله عليه اذ لا يستطيع أحد من الخلق أن يأتي بمثله ، فحسن بعد هذا أن ينذر الذين يصرون على كفرهم ، و يستمرون على صدهم وظلمهم ، وإنما ينذرهم عز وجل سوء العاقبة، ويبين لهم مصيرهم من الهاوية ، لذلك قال بعد ما تقدم :

﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ أي أعرضوا عن طريق الحق والخير الموصلة الى رضوان الله تعالى، وحملوا غيرهم على الاعراض عنها ، بسوء القدوة ، وتمويه الشبهة ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ بسيرهم في سبل الشيطان سيرًا حثيثا ، بعدوا به عن سبيل الله بعدًا شاسعا ، حتى لم يعودوا يبصرون ما اتصفت به من الوضوح والاستقامة ، ولا يفقهون انها هي الموصلة الى خير العاقبة ومرسى السلامة،

﴿ ان الذين كفروا وظلموا ﴾ أنفسهم بكفرهم وقبح عملهم ،وظلموا غيرهم بإغوائهم إياهم بزخرف قولهم وسوء عملهم ، ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ أي ليس من شأنه ولا من مقتضى سنته في خلقه ، أن يغفر لهم ذلك الكفر والظلم يوم الحساب والجزاء ، لان الكفر والظلم يؤثران في النفس ويكيفانها بكيفية خاصة من الظلمة وفساد الفطرة لا يزولان بمقتضى سنته تعالى في النفوس البشرية وتأثير عقائدها وأعمالها فيها الا بما يضاد ذلك الكفر والظلم من الايمان الصحيح والعمل الصالح الذي يزكي النفس ويطهرها فتنشأ خلقا جديدا ، ولا سبيل الى ذلك في يوم الحساب وما يتلوه من الجزاء المشار اليه بقوله ﴿ ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم ﴾ أي وليس من شأنه ولا من مقتضى سنته أن يهديهم طريقا أي يوصلهم الى طريق من طرق الجزاء على عملهم الا طريق جهنم وهي تلك الهاوية التي ينتهي اليها كل من يدسّي نفسه بالكفر والظلم، وهي الطريق التي اختاروها لانفسهم ، وأوغلوا في السير فيها طول عمرهم ، كالذي يهبط الوادي يكون منتهى شوطه قرارة ذلك الوادي لا قمة الجبل الذي هو فيه، فانتظار المغفرة ودخول الجنة لهؤلاء كانتظار الضد من الضد والنقيض من النقيض . أو انتظار ابطال نظام العالم ونقض سنن الله تعالى وحكمته في خلق

الانسان . هذا هو التحقيق في مثل هذا التعبير ، لامايزعمه القائلون بالجبر لفظا ومعنى أو معنى فقط ، ولا مايزعمه خصومهم من كل وجه . وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم معينين علم الله منهم انهم لايتوبون من كفرهم وظلمهم ، والاوجب تقييد عدم المغفرة والهداية لغير طريق جهنم بشرط عدم التوبة لان من تاب تاب الله عليه كما هو ثابت بالنص والاجماع . وما حمل قائلي هذا القول عليه الا غفلتهم عن كون هذا هو جزاء الكافرين الظالمين في الآخرة ، وظنهم أن قوله تعالى « ولا ليهديهم طريقا » الخ هو عبارة عن حرمانهم من الهداية في الدنيا ، وحينئذ يقعون في معتركهم في الجبر والقدر ، لعدم تطبيق مثله على مقتضى الحكمة واطراد الاسباب والسنن ،

ولما كان مقتضى سنة الله في أولئك الكافرين الظالمين أنه لا يهديهم بكفرهم وظلمهم طريقا الاطريق جهنم ، وعلم منه انهم صائرون اليها ، ولا بد ان يصلوها ، قال ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ أي يدخلونها ويذوقون عذابها حال كونهم خالدين فيها أبدا . قيل ان لفظ « أبدا » ينفي أن يراد بالخلود طول المكث فيكون معنى العبارة الخلود الدائم الذي لانهاية له . والصواب أن هذا معنى اصطلاحي لالغوي . أما معنى الخلود في اللغة فهو كما يؤخذ من مفردات الراغب بقاء الشيء مدة طويلة على حال واحدة لايطرأ عليه فيها تغير ولا فساد كقولهم للاثافي (حجارة الموقد) خوالد قال « وذلك لطول مكثها لالدوام بقائها » والابد كما قال « عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لايتجزأ كما يتجزأ الزمان ... وتأبد الشيء بقي أبدا ويعبر به عما يبقى مدة طويلة » وفي لسان العرب « الابد الدهر » وفيه تساهل . وقالوا في المثل « طال الابد على لبد » يضرب ذلك لكل ماقدم . وقالوا : أبد بالمكان (من باب ضرب) أبودا ، أقام به ولم يبرحه . ولم يكن عندهم شيء بمعنى اللانهاية يدور في كلامهم . وفسر الخلد في اللسان بدوام البقاء في دار لايخرج منها . والمراد بالسكنى الدائمة في العرف مايقابل السكنى الموقتة المتحولة كسكنى البادية ، فالذين لهم بيوت في المدن يسكنونها يقال في اللغة انهم خالدون فيها . قال في اللسان : وخلد بالمكان يخلد خلودا (من باب نصر) وأخلد أقام ... وخلد (كضرب

ونصر) خلدا وخلودا أبطأ عنه الشيب . ومن كبر ولم يشب أو لم تسقط أسنانه يقال له المخلد وقال زهير :

لمن الديار غشيتها بالفرقد كالوحي في حجر المسيل المخلد

﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أي وكان ذلك الجزاء سهلا على الله دون غيره ، لانه مقتضى حكمته وسنته ، ولا يتعاصى على قدرته ، فعلى العاقل أن يتدبر و يتفكر ، ليعلم أنه لاملجأ له من الله ولا مفر ، ولكل نبأ مستقر ،

﴿ ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ﴾ نادى الله تعالى بهذه الآية جميع الناس ، في سياق خطاب أهل الكتاب ، لان الحجة اذا قامت عليهم بشهادة الله تعالى بنبوة محمد (ص) ووجب عليهم الايمان به ، فبالأولى تقوم على غيرهم ، ممن ليس لهم كتاب ككتابهم ، وذكر الرسول ههنا معرّفا لان أهل الكتاب قد بشروا به ، وكانوا ينتظرون بعثته ، بعنوان انه الرسول الكامل ، الذي هو المتمم الخاتم ، ومما يدل على أن اليهود كانوا ينتظرون من الله مسيحا ونبيا بشر بهما أنبياؤهم ماجاء في أوائل الفصل الاول من انجيل يوحنا وهو انهم أرسلوا بعض الكهنة واللاويين الى يوحنا (يحيى عليه السلام) ليسألوه من هو وكانت قد ظهرت عليه أمارات النبوة — فسألوه أأنت المسيح؟ قال لا ، قالوا أأنت النبي؟ قال لا . والشاهد انهم ذكروا له النبي بلام العهد . فلا شك ان يهود العرب لما سمعوا هذه الآية في زمن التنزيل تذكر مجيء الرسول المعرّف بصيغة التحقيق (قد) فهموا أن المراد به الرسول الذي بشرهم به موسى (ص) في التوراة (وهو في سفر تثنية الاشتراع) وعيسى في الانجيل (وسيأتي شاهد منه في تفسير الآية التالية لهذه) وغيرهما من الانبياء عليهم السلام . ومن لم يعرف شيئا من أمر هذه البشارات يفهم من التعريف معنى آخر هو صحيح ومراد وهو ان التعريف لافادة ان هذا الرسول هو الفرد الكامل في الرسل لظهور نبوته ، ونصوع حجته ، وعموم بعثته ، وكونه جاء الناس بالحق من ربهم ، أي بالقرآن الذي هو أبلغ بيان للحق ، وأظهر الآيات المؤيدة له . واختيار لفظ الرب هنا للاشعار بأن هذا الحق الذي جاء به هذا الرسول يقصد به تربية المؤمنين وتكميل فطرتهم ، وتزكية نفوسهم ، ولهذا قال ﴿ فآمنوا

خيرًا لكم ﴾ أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا فان تؤمنوا يكن الايمان خيرًا لكم لانه يزكيكم ويطهركم من الادناس الحسية والمعنوية، ويؤهلكم للسعادة الابدية، هذا هو التقدير المتبادر عندي وعليه الكسائي وأما الخليل وتلميذه سيبويه فيقدران واقصدوا بالايمان خيرًا لكم، أي مما أنتم عليه. وقال الفراء فآمنوا ايمانا خيرًا لكم. ويدل على مااخترناه قوله في مقابله ﴿ وان تكفروا فان لله مافي السموات والارض ﴾ أي ان تؤمنوا يكن الايمان خيرًا لكم، وإن تكفروا فان الله غني عن ايمانكم، وقادر على جزائكم بما يقتضيه كفركم، وما يترتب عليه من سوء عملكم، لان له ما في السموات ومافي الارض خلقا وعبيدًا، وكل يعبده طوعاً أو كرهاً، أما عبادة الكره وعدم الاختيار، فبالخضوع للسنن والاقدار، وهي عامة في جميع الخلق، حتى ما ليس له ادراك ولا عقل، وأما عبادة الاختيار، فخاصة بالمؤمنين الاخيار، والملائكة الأبرار، وأمثالهم من جنود الله ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ فلا يخفى عليه شيء من امركم، في ايمانكم وكفركم، ولا يعدو حكمته أمر جزائكم، وحاشا علمه وحكمته ان يخلقكم عبثا، وأن يترككم بعد ذلك سدى، كلا انه يجزي كل نفس بما تسعى، فطوبى لمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وويل لمن أعرض عن ذكر ربه ولم يرد الا الحياة الدنيا.

---

(١٦٩) يَاأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ، إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَٰهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَٰثَةٌ، ٱنتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ، إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ. لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧٠) لَن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ، وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧١) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا وَٱسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

هذه الآيات نزلت في محاجة النصارى خاصة بعد محاجة اليهود واقامة الحجة عليهم ، وقد غلت اليهود في تحقير عيسى وإهانته والكفر به ففرطوا كل التفريط ، فغلت النصارى في تعظيمه وتقديسه فأفرطوا كل الافراط ، فلما دحض تعالى شبهات أولئك قفى بدحض شبهات هؤلاء ، فقال عز من قائل ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ فتتجاوزوا الحدود التي حدها الله لكم ، فان الزيادة في الدين كالنقص منه ، كلاهما مخرج له عن وضعه ﴿ ولا تقولوا على الله الا الحق ﴾ أي الثابت المتحقق في نفسه إما بنص قطعي ثابت ، وإما ببرهان عقلي قاطع ، وليس لكم على مزاعمكم في المسيح شيء منهما ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﴾ الى بني إسرائيل أمرهم بأن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا ، وان يرجعوا عن الايمان بالجبت والطاغوت ، وعن اتباع الهوى وعبادة المال ، وايثار شهوات الارض على ملكوت السماء ، وزهدهم في الحياة الدنيا ، وحثهم على حق التقوى ، وبشرهم بالنبي الخاتم الذي يبين لهم كل شيء ، ويقيمهم على صراط الاعتدال ، ويهديهم الى الجمع بين حقوق الارواح وحقوق الاجساد ﴿ وكلمته ألقاها الى مريم ﴾ أي وهو محقيق كلمته التي ألقاها الى أمه مريم ومصداقها ، والمراد كلمة التكوين أو البشارة ، فانه لما أرسل اليها الروح الامين جبريل عليه السلام يبشرها بأنه مأمور بأن يهب لها غلاما زكيا فاستنكرت أن يكون لها ولد وهي عذراء لم تتزوج قال لها (٣ : ٤٧ كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له « كن » فيكون)

فكلمة « كن » هي الكلمة الدالة على التكوين بمحض قدرة الله تعالى عند ارادته خلق الشيء وايجاده، وقد خلق المسيح بهذه الكلمة . وفي تفسيرها وجوه أخرى سبقت في الجزء الثالث من التفسير (ص٣٠٤) والإلقاء يستعمل في المعاني والكلام كما يستعمل في المتاع ، قال تعالى (١٦: ٨٦ فألقوا اليهم القول إنكم لكاذبون ٨٧ وألقوا الى الله يومئذ السلم) ومعناه الطرح والنبذ . فلما عبر الله عن التكوين أو البشارة بالكلمة حسن التعبير بقوله « وكلمته ألقاها الى مريم » أي أوصلها اليها و بلغها إياها

وأما قوله ﴿ وروح منه ﴾ ففيه وجهان (احدهما) ان معناه انه مؤيد بروح منه تعالى . ويوضحه قوله فيه (٢: ٢٥٣ وأيدناه بروح القدس) وقال في صفات المؤمنين الذين لايوادون من حادّ الله ورسوله ولو كان من ذوي القربى (٥٨: ٢٢ أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) (وثانيهما) ان معناه انه خلق بنفخ من روح الله وهو جبريل عليه السلام ، ويوضحه قوله تعالى في أمه (٢١: ٩١ والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال تعالى فيها (١٩: ١٦ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) كما قال في خلق الانسان بعد ذكر بدئه من طين (٣٢: ٨ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ٩ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) وقال بعضهم ان المراد بالروح هنا النفخ أي نفخ الملك بأمر الله في مريم فانه استعمل بمعنى النفخ والنفس الذي ينفخ كما قال ذو الرمة في إضرام النار

فقلت له ارفعها اليك وأحيها   بروحك واجعلها لها فيئة قدرا

والروح الذي يحيا به الانسان مأخوذ من اسم الريح (واصل الريح روح بالكسر فقلبت الواو ياء لتناسب الكسرة وجمعه أرواح ورياح واصل هذه رواح بالكسر) كما ان اسم النفس بسكون الفاء من النفس بفتحها

ويجوز ان يراد بقوله تعالى « وروح منه » الأمران معا أي انه خلق بنفخ الملك المعبر عنه بالروح وبروح القدس في أمه نفخا كان كالتلقيح الذي يحصل باقتران الزوجية، وكان مؤيدا بهذا الروح مدة حياته ولذلك غلبت عليه الروحانية، وظهرت آيات الله فيها زمن الطفولية وزمن الرجولية ،(٥: ١١٣ إذ قال الله ياعيسى

ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا) فلما كان كذلك أطلق عليه أنه « روح » كأنه هو عين ذلك الملك الذي جعله الله سبب ولادته ، وأيده به مدة حياته ، كما يقال « رجل عدل » على سبيل المبالغة والمراد ذو عدل . وقال بعض المفسرين ان المراد بالروح هنا الرحمة كقوله تعالى في المؤمنين « وأيدهم بروح منه » ويقويه قوله تعالى فيه (١٩ : ٢٠ ولنجعله آية للناس ورحمة منا) ويمكن ادخال هذا المعنى في الوجه الأول لانه من فروعه . والمعنى الجامع ان الروح ما به الحياة ، والحياة قسمان حسية ومعنوية . فالأولى ما به يشعر الانسان ويدرك ويفكر ويتذكر ، والثانية ما به يكون رحيما حكيما فاضلا محبا محبوبا نافعا للخلق ، وقد سمى الله الوحي روحا فقال لخاتم رسله (٤٢ : ٥٢ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وقال (١٦ : ٢ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) وكلا المعنيين متحقق في عيسى عليه السلام على وجه الكمال ، فلهذا جوزنا الوجهين في المسألة .

وآية الله تعالى في خلق عيسى بكلمته ، وجعله بشرا سويا بما نفخ فيه من روحه ، كآيته في خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روحه ، اذ كان خلق كل منهما بغير السنة العامة في خلق الناس من ذكر وانثى (٣: ٥٩ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

وقد علم مما قررناه ان قوله « منه » متعلق بمحذوف صفة لروح أي وروح كائنة منه . وزعم بعض النصارى ان من للتبعيض وان عيسى جزء من الله بمعنى انه ابنه . ونقل المفسرون ان طبيبا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم مايدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى ، وتلا هذه الآية . فقرأ له الواقدي قوله تعالى (٤٥ : ١٢ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) وقال يلزم اذاً ان تكون جميع هذه الاشياء اجزاء منه تبارك وتعالى ، فانقطع النصراني وأسلم ففرح الرشيد باسلامه ووصل الواقدي بصلة فاخرة

أما أناجيل النصارى وكتبهم فقد استعملت لفظ الروح في معان مختلفة فيها

يتعلق بالمسيح وفي غير مايتعلق به . فمن ذلك قول متى (١ : ١٨ أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا : لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس) وفي الفصل الاول من انجيل لوقا تفصيل لظهور الملك جبريل لها وتبشيره اياها بولد ومحاورتهما في ذلك ، ومنها انها سألته عن كيفية ذلك فقال لها « ٣٥ الروح القدس يحل عليك » فروح القدس ليس هو الله، ومن يؤيده الله به لايكون إلها ، ففي هذا الفصل نفسه من انجيل لوقا أن (اليصابات) أم يحيى امتلأت من الروح القدس (٤١) و بذلك حملت بيحيى وكانت عاقرا . - وان زكريا أباه امتلأ من الروح القدس (٦٧) وفي الفصل الثاني منه مانصه « ٢٥ وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان وهذا الرجل كان بارًا تقيا ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه ٢٦ وكان قد أوحي اليه بالروح القدس» وهذا الاستعمال كثير عندهم لاحاجة لاضاعة الوقت بكثرة ايراد الشواهد فيه ، وانما نقول أن روح القدس عندهم وعندنا واحد وهو ملك من ملائكة الله الذين لا يحصي عددهم غيره تعالى ، والقدس الطهر ، ويذكر في مقابله في الاناجيل الروح النجس أي الشيطان ، فجعلوه إلها كما فعل الوثنيون من قبل

وجملة القول ان هذه الاناجيل تدل على ماذكرناه آنفا من كون عيسى خلق بواسطة روح القدس ، وأن يحيى خلق كذلك ، وكان خلقه آية من وجه آخر اذ كان أبوه شيخا كبيرًا وأمه عاقرًا ، ولكن الواسطة والسبب واحد وهو الملك المسمى بروح القدس أيدهم الله به نساء ورجالا عليهم السلام ، فمن الحماقة أن يقول قائل مع هذا أن قوله تعالى « وروح منه » يفيد انه جزء من الله تعالى الله عن التركيب والتجزؤ والحلول والاتحاد بخلقه . بل يقولون ان تلاميذ المسيح أنفسهم كانوا مؤيدين بروح القدس حتى من طرده المسيح ولعنه منهم وسماه شيطانا . وقد أيد به من كان دونهم أيضا

علمنا أن مؤلفي الاناجيل يستعملون كلمة روح القدس استعمالا يدل على أنه ملك من خلق الله ، ولكن يوحنا قد انفرد بعبارات يمكن ارجاعها الى استعمال

غيره ويمكن تحريفها للاستدلال بها على شيء آخر كما فعلوا، فهم يقولون ان الروح منبثق من الآب وانه عين الآب ويستدلون على ذلك بقول يوحنا حكاية عن المسيح (١٥: ٢٦ ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي) أصل الانبثاق أن يكسر الماء ما أمامه من سد على الشط ويفيض على ما وراءه ، وفي قراءة أخرى في ترجمة البروتستانت « يخرج » فمن هذه الكلمة استنبطوا عقيدة وثنية تنقضها نصوص كثيرة في الاناجيل

وهذه الجملة خبر عن شيء يكون في المستقبل (وفرق بين ينبثق من عنده وبين انبثق منه على ان هذه لا تدل على ما زعموا أيضا) وهي بشارة من المسيح بمن يرسله الله تعالى بعده الذي عبروا عنه هنا بالمعزي . وكلمة المعزي ترجمة للبارقليط وهي كلمة يونانية معناها (محمد او أحمد) وتقرأ بالاستقامة وبالامالة فلا يحتاج في تحريفها عن المعنى الذي قلناه الى معنى المعزي الذي قالوه الا الى ليّ اللسان بها ليا قليلا. وقد ترجمت في انجيل برنابا بمحمد فكانت هذه الترجمة موضع الاستغراب عند كثير من الناس ظانين ان برنابا نقل عن المسيح انه نطق بكلمة محمد العربية، والظاهر انه نطق بترجمتها، ومن عادة أهل الكتاب، ترجمة الاعلام والألقاب، على ان « روح الحق » من جملة اسماء نبينا (ص) كما ترى في أسمائه المسرودة في دلائل الخيرات . وقد بين يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله تفصيلا عن المسيح عليه السلام لبشارته بالبارقليط منه أنه خير لهم ان يذهب هو من الدنيا لانه اذا لم يذهب لا يأتي البارقليط ، وانه متى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر والحساب (الدينونه) وفسر الخطيئة بعدم الايمان به أي المسيح ، ومنه انه هو أي المسيح لا يستطيع ان يقول لهم كل شيء لعدم استعدادهم وعدم طاقتهم الاحتمال، قال (١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) ولم يجيء بعد المسيح أحد من عند الله وبخ الناس وبكتهم على عدم الايمان بالمسيح وعلى طعن بعضهم فيه وفي أمه ،وعلى غلو طائفة فيهما وجعلهما آلهين مع الله ، وعلم الناس كل شيء من أمور العقائد والآداب والفضائل والاحكام الشخصية والمدنية، وأخبر بالامور المستقبلة - لم يجيء أحد بكل

هذا الا روح الحق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو منبثق من الله أي مرسل منه لاحياء الناس كما يرسل الله الغيث لاحياء الارض ، وفي الحديث انه شبه بعثته بالغيث الذي تأخذ منه كل أرض بحسب استعدادها . فاذا كانت عبارة يوحنا تدل على ان روح الحق الذي بشر به المسيح وانه يأتي بعده تدل بلفظ الانبثاق على ما قالوا فليجعلوا محمداً (ص) هو الاقنوم الثالث أو اقنوما رابعا وينتقلوا من التثليث الى التربيع ، لا، لا أقول لهم أصروا على هذا التأويل والتضليل، بل أقول لهم ماقاله الله عز وجل ، «لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق» الى قوله تعالى:

﴿ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ﴾ الخ أي فاذا كان الامر كذلك وهو المعقول ، الذي لا تحتمل غيره النقول ، فآمنوا بالله إيمانا يليق به وهو انه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد، تنزه عن صفات الحوادث، ونسبتها اليه واحدة ، وهي أنها مخلوقة وهو الخالق، ومملوكة وهو المالك ، وان هذه الارض في مجموع ملكه أقل من حبة رمل بالنسبة الى اليابس منها ، ومن نقطة ماء بالنسبة الى بحارها وأنهارها ، فمن الجهل الفاضح ان يجعل له ندّ وكفوء فيها، أو يقال انه حل أو اتحد بشيء منها ،- وآمنوا برسله كلهم، كما يليق بهم، وهو انهم عبيد له خصهم بضرب من العلم والهداية (الوحي) ليعلموا الناس كيف يوحدون ربهم ويعبدونه ويشكرونه، وكيف يزكون أنفسهم، ويصلحون ذات بينهم -ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة الآب والابن وروح القدس، أو: الله ثلاثة أقانيم كل منها عين الآخر، فكل منها إله كامل، ومجموعها إله واحد. فتسفهوا أنفسكم بترك التوحيد الخالص الذي هو ملة ابراهيم وسائر الانبياء عليهم السلام ، والقول بالتثليث الذي هو عقيدة الوثنيين الطغام، ثم تدعوا الجمع بين التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وهو تناقض تحيله العقول ولا تقبله الافهام ، ﴿ انتهوا خيرا لكم ﴾ أي انتهوا عن هذا القول الذي ابتدعتموه في دين الانبياء، تقليدا لآبائكم الوثنيين الأغبياء، يكن هذا الانتهاء خيرا لكم، أو انتهوا عنه وانتحلوا قولا آخر خيرا لكم منه، وهو قول جميع النبيين والمرسلين بتوحيده وتنزيهه حتى المسيح الذي سميتموه إلها فان مما لا تزالون تحفظون عنه قوله في انجيل يوحنا (وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته)

﴿ إنما الله اله واحد ﴾ ليس له أجزاء ولا أقانيم ولا هو مركب ولا متحد بشيء من المخلوقات ﴿ سبحانه أن يكون له ولد ﴾ أي تنزه وتقدس عن أن يكون له ولد كما تقولون في المسيح انه ابنه وانه هو عينه ، فانه تبارك وتعالى ليس له جنس فيكون له منه زوج يقترن بها فتلد له ابنا . والنكتة في اختيار لفظ الولد في الرد عليهم، على لفظ الابن الذي يعبرون به، هي بيان انهم اذا كانوا يريدون الابن الحقيقي الذي يفهم من هذا اللفظ فلا بد ان يكون ولدا أي مولودا من تلقيح أبيه لامه وهذا محال على الله تعالى ، وان أرادوا انه ابن مجازا لا حقيقة كما أطلق في كتب العهد العتيق والعهد الجديد على اسرائيل وداود وعلى صانعي السلام وغيرهم من الاخيار ، فلا يكون له دخل في الألوهية ولا يعد من باب الخصوصية ،

﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾ أي ليس له ولد خاص مولود منه يصح ان يسمى ابنه حقيقة بل له كل ما في السموات والارض - والمسيح من جملتها - خلق كل ذلك خلقا ، وكل ذي عقل منها وادراك يفتخر بأن يكون له عبدا ، (إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) لا فرق في هذا بين الملائكة المقربين ، والنبيين الصالحين ، كما صرحت به الآية التالية لهذه . ولا بين من خلقه ابتداء من غير أب ولا أم كالملائكة وآدم ، ومن خلق من أصل واحد كحواء وعيسى ، ومن خلق من الزوجين الذكر والانثى . كلهم بالنسبة اليه تعالى سواء ، عبيد له من خلقه محتاجون دائما الى فضله وهو يتصرف فيهم كما يشاء ، ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ أي به الكفاية لمن عرفه وعرف سنته في خلقه اذا وكلوا اليه أمورهم ، ولم يحاولوا الخروج عن سنته وشرائعه بسوء اختيارهم .

﴿ فصل في عقيدة التثليث ﴾

قلنا ان هذه العقيدة وثنية نقلها الوثنيون المتنصرون الى النصرانية ، وفسروا بعض الالفاظ الواردة في كتبهم اليهودية على ان تعطيهم شبهة يتكئون عليها في هذا التضليل ، وأرغموها عليه بضرب من التحريف والتأويل ، هدموا به آيات التوحيد القوية البنيان ، العالية الاركان ، اما كون هذه العقيدة وثنية فقد بينه علماء أوربة

بالتفصيل ، وأتوا عليه بالشواهد الكثيرة من الآثار القديمة والتاريخ ، واننا نشير الى قليل منها في هذا المقام (*

التثليث عند البراهمة

قال موريس (في ص ٣٥ من المجلد السادس من كتابه « الآثار الهندية القديمة ») ما ترجمته : كان عند أكثر الامم الوثنية البائدة تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثي أو الثالوثي . وقال دوان (في ص ٣٦٦ من كتابه خرافات التوراة وما يماثلها في الاديان الاخرى) اذا رجعنا البصر الى الهند نرى ان أعظم وأشهر عبادتهم اللاهوتية هو التثليث . ويسمون هذا التعليم بلغتهم « ترى مورتي » وهي عبارة مركبة من كلمتين بلغتهم السنسكريتية « ترى » ومعناها ثلاثة و « مورتي » ومعناها هيئات أو أقانيم ، وهي « برهما وفشنو وسيفا » ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة فهي إله واحد (بزعمهم) .

وقد شرح المؤلف معنى هذه الاصول أو الاقانيم عندهم وذكر أنهم يرمزون اليها بثلاثة أحرف وهي (أ . و . م) وأنهم يصفون هذا الثالوث المقدس الذي لا ينقسم في الجوهر ولا في الفعل ولا في الاتحاد بقولهم « برهما الممثل لمبادي التكوين والخلق ولا يزال خلاقا الهيا ، وهو (الآب) - وفشنو يمثل حفظ الاشياء المكونة (أي من الزوال والفساد) وهو (الابن) المنبثق والمتحول عن اللاهوتية — وسيفا هو المهلك والمبيد والمبدئ والمعيد (أي الذي له التصرف والتحويل في الكون) وهو (روح القدس) . ويدعونه : (كرشنا) الرب المخلص والروح العظيم الذي ولد منه (فشنو) الإله الذي ظهر بالناسوت على الارض ليخلص الناس . فهو أحد الاقانيم الثلاثة التي هي الاله الواحد . الخ ما قال ومنه أنهم يرمزون للأقنوم الثالث بصورة حمامة ، وهذه عين عقيدة النصارى في التثليث من كل وجه فهي عقيدة برهمية وثنية ، اخذها النصارى عن البراهمة وصاروا يدعونهم اخيرا اليهم . وكان منتهى شوط أحد اليسوعيين في التفرقة بينهما ان ثالوث البراهمة وأمثالهم مجسم

---

*) من أراد زيادة على ما نذكره هنا فليراجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية فان لم يروه بصوضه أورواه بما يرشده اليه من الكتب الانكليزية في ذلك

وثالوث النصارى مقدس !! فاذا قال لهم الوثنيون الامر بالعكس ، فارجعوا الى الاصل ودعوا المبتدع ، فبماذا يحجونهم ؟؟

والذي يظهر لي ان التوحيد هو أصل عقيدة البراهمة وأن أول رسول أرسل اليهم وصف لهم الاله بثلاث صفات هي التي تظهر بها حقيقة الألوهية وهي (١) الخلق والايجاد ، و (٢) الحفظ والإمداد ، و (٣) التصرف والتغيير في عالم الكون والفساد . فلما طال عليهم الامد ودبت اليهم الوثنية جعلوا لكل فعل من هذه الافعال الهاً ، وجعلوا أسماء الصفات، أسماء أقانيم وذوات ،ولما كانوا ناقلين بالتواتر كلمة التوحيد وان الله إله واحد قالوا إن الثلاثة واحد ، وكل واحد منها عين الثلاثة . وسرت هذه العقيدة الى غيرهم من الوثنيين في الشرق والغرب .

وللهنود تماثيل للوحدة والتثليث رأيت واحدا منها في دار العاديات التي بنتها الحكومة الهندية الانكليزية في ضواحي مدينة بنارس (المقدسة عند البراهمة) وهو تمثال واحد له ثلاثة وجوه . ولعله هو الذي قال عنه موريس (في ص ٣٧٢ من المجلد الرابع من كتابه آثار الهند القديمة) لقد وجدنا في انقاض هيكل قديم قوضه مرور القرون صنما له ثلاثة رؤوس على جسد واحد والمقصود منه الرمز للثالوث »

التثليث عند البوذيين

(٢) قال مستر فابر في كتابه (أصل الوثنية) : كما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من برهما وفشنو وسيفا ، نجد عند البوذيين ثالوثا فانهم يقولون ان (بوذه) إلـه له ثلاثة أقانيم . وكذلك بوذيو (جينست) يقولون ان (جيفا) مثلث الاقانيم (قال) والصينيون يعبدون بوذه و يسمونه (فو) ويقولون انه ثلاثة أقانيم كما تقول الهنود . وذكر رمزهم (أ . و . م)

وقال دوان (في ص ١٧٢ من كتابه خرافات التوراة الخ) وأنصار لاوكومتذا الفيلسوف الصيني المشهور - وكان قبل المسيح بأربع سنين وستمئة (٦٠٤) يدعون «شيعة تاوو» ويعبدون إلها مثلث الاقانيم . وأساس فلسفته اللاهوتية ان « تاوو » وهو العقل الاول الازلي انبثق منه واحد ، ومن الثاني انبثق ثالث، وعن هذا الثالث انبثق كل شيء . وهذا القول بالتولد والانبثاق أدهش العلامة موريس لأن قائله وثني

التثليث عند قدماء المصريين

(٣) قال دوان في ص ٤٧٣ من كتابه المشار اليه آنفا : وكان قسيسو هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بتعلم الدين بقولهم إن الاول خلق الثاني وهما خلقا الثالث و بذلك تم الثالوث المقدس . وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره: هل كان قبله أحد أعظم منه وهل يكون بعده أحد أعظم منه ؟ فأجابه الكاهن نعم يوجد من هو أعظم وهو الله قبل كل شيء ثم الكلمة ومعهما روح القدس ،ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات، وعنهم صدرت القوة الابدية ،فاذهب يافاني ياصاحب الحياة القصيرة.قال المؤلف: لاريب ان تسمية الاقنوم الثاني من الثالوث المقدس « كلمة » هو من أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالمسيحية . و «أبولو » المدفون في (دهلي) يدعى « الكلمة » وفي علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح بسنين عديدة « الكلمة هي الاله الثاني » و يدعى أيضا ابن الله البكر

وقال بونويك (في ص ٤٠٢ من كتابه عقائد قدماء المصريين) : أغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين هي قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شيء صار بواسطتها ، وانها منبثقة من الله ، وأنها هي الله (* وكان بلاتو عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك ارسطو وغيرهما ، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بسنين (بل بقرون) ولم نكن نعلم ان الكلدانيين والمصريين يقولون هذا القول و يعتقدون هذا الاعتقاد الا في هذه الايام

أقول الذي يظهر لي ان الرسل الذين أرسلهم الله الى المصريين وأمثالهم من القائلين بمثل قولهم هذا كانوا يقولون لهم ان كل شيء خلق بكلمة الله ،فلما طال عليهم الامد وسرت اليهم الوثنية ظنوا أن الكلمة ذات تفعل بالارادة والاختيار فقالوا ماقالوا . والحق أنها عبارة عن تعلق ارادة الله الواحد الاحد بالشيء الذي يريد خلقه ، ومتى تعلقت ارادته بخلق شيء كان كما أراد (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) فلو لم يكن عندنا من إعجاز القرآن الا بيان هذه

*) هذه العبارة كالجملة الاولى التي افتتح بها يوحنا انجيله بلا فرق

الحقيقة التي ضلت بها الامم من أقدمها كالهنود والمصريين الى أحدثها قبل الاسلام كالنصارى لكفى في الاستدلال على انه من عند الله ، فانه بين لنا ضلال تلك الامم ، والاصل المعقول المقبول الذي يتفق مع التوحيد الذي نقل عنهم أجمعين ، فتجلى بذلك دين الله الى جميع رسله نقيا من ادران الشرك ونزغات الشياطين .

التثليث عند الفرس وغيرهم من أهل آسية

قال هيجين (في ص ١٦٢ من كتابه الانكلوسكسون) كان الفرس يدعون متروسا الكلمة والوسيط ومخلص الفرس . اه وقال مثل هذا دونلاب و بنصون . وقال دوان في كتابه الذي ذكر غير مرة : كان الفرس يعبدون الها مثلث الاقانيم مثل الهنود ، ويسمونها أوزمرد ومترات وأهرمن - فأوزمرد الخلاق ، ومترات ابن الله المخلص والوسيط ، وأهرمن الملك. أقول وقد بينت آنفا أصل هذا الاعتقاد، وكيف سرى اليه الفساد . والمشهور عن مجوس الفرس التثنية دون التثليث ، فكانوا يقولون بإلـه مصدر النور والخير ، وإلـه مصدر الظلمة والشر

ونقل عن الكلدانيين والاشوريين والفينيقيين الايمان بالكلمة على انها ذات تعبد ويسميها الكلدانيون (ممرار) والاشوريون (مردوخ) ويدعون مردوخ ابن الله البكر ، وهكذا الامم يأخذ بعضها عن بعض. وقد قال برتشرد (في ص ٢٨٥ من كتابه خرافات المصريين الوثنيين) لا يخلو شيء من الابحاث الدينية المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي .ونقول ان أديان أسلافه الغربيين كذلك ، فان لم تكن أعرق في الوثنية . فهم تلاميذ الشرقيين فيها ، ولا سيما المصريين منهم ، ولكنهم هم الذين شوهوا الديانة المسيحية الشرقية فنقلوها من التوحيد الاسرائيلي الى التثليث الوثني ،

التثليث عند أهل أوربة اليونان والرومان وغيرهم

جاء في كتاب (سكان أوربة الاولين) ماترجمته : كان الوثنيون القدماء يعتقدون ان الاله واحد ولـكنه ذو ثلاثة أقانيم

وجاء في كتاب ترقي الافكار الدينية (ص ٣٠٧ م ١)ان اليونانيين كانوا يقولون ان الاله مثلث الاقانيم ، واذا شرع قسيسوهم بتقديم الذبائح يرشون المذبح

بالماء المقدس ثلاث مرات (اشارة الى الثالوث) ويرشون المجتمعين حول المذبح ثلاث مرات ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاث أصابع ، ويعتقدون ان الحكماء قالوا انه يجب ان تكون جميع الاشياء المقدسة مثلثة ، ولهم اعتناء بهذا العدد في جميع شعائرهم الدينية . اه

أقول وقد اقتبست الكنيسة بعد دخول نصرانية قسطنطين فيهم هذه الشعائر كلها ونسخت بها شريعة المسيح التي هي التوراة ، ويسمون أنفسهم مع ذلك مسيحيين ويعملون كل شيء باسم المسيح ! فهل ظلم أحد من البشر بالافتيات عليه كما ظلم المسيح عليه السلام ؟ لا لا

ونقل دوان عن اورفيوس أحد كتاب اليونان وشعرائهم قبل المسيح بعدة قرون انه قال : « كل الاشياء صنعها الاله الواحد مثلث الاسماء والأقانيم »

وقال فسك (في ص ٢٠٥ من كتاب الخرافات ومخترعوها : كان الرومانيون الوثنيون القدماء يؤمنون بالتثليث يؤمنون بالله أولا ثم بالكلمة ثم بالروح ،

وقال باوخورست في القاموس العبراني: كان للفلنديين (البرابرة الذين كانوا في شمال بروسية) إله اسمه (تريكلاف) وقد وجد له تمثال في (هرتو نجربرج) له ثلاث رءوس على جسد واحد . أقول تريكلاف مركب من كلمة ترى ومعناها ثلاثة وكلمة كلاف ولعل معناها إله

وقال دوان (في ص ٣٧٧ من كتابه) كان الاسكندناويون يعبدون إلها مثلث الاقانيم يدعونها اودين وتورا وفري . ويقولون هذه الثلاثة الأقانيم إله واحد . وقد وجد صنم يمثل هذا الثالوث المقدس بمدينة (أوبسال) من اسوج وكان أهل اسوج ونروج والدنمارك يفاخر بعضهم بعضا في بناء الهيا كل لهذا الثالوث . وكانت تكون جدران هذه الهيا كل مصفحة بالذهب ومزينة بتماثيل هذا الثالوث . ويصورون أودين بيده حسام وتورا واقفا عن شماله وعلى رأسه تاج وبيده صولجان ، وفري واقفا عن شمال تورا وفيه علامة الذكر والانثى . ويدعون أودين الآب وتورا الابن البكر - أي ابن الاب اودين - وفري مانح البركة والنسل والسلام والغنى اه

أقول فهل ترك الاوربيون أديانهم الوثنية الى دين المسيح عليه السلام الذي هو التوراة المبنية على أساس التوحيد الخالص أم ظلوا على وثنيتهم وأدخلوا فيها شخص المسيح وجعلوه أحد آلهتهم التي كانوا يعبدون من قبل ... ؟؟ انهم نقلوا عنه انه ماجاء لينقض الناموس (شريعة موسى) وانما جاء ليتممها ولكن مقدسهم بولس نقضها حجرا حجرا ولبنة لبنة الا ذبيحة الاصنام والدم المسفوح والزنا الذي لا عقاب عليه عندهم فأراحهم ومهد لهم السبيل لتأسيس دين جديد لايتفق مع دين المسيح عليه السلام في عقائده ولا في أحكامه ولا في آدابه، وأبعد الناس عن دين المسيح الافرنج الذين بذلوا الملايين من الدنانير لتنصير البشر كلهم باسم المسيح، وغرضهم من ذلك استعباد جميع البشر بازالة ملكهم وسلب أموالهم لتكون جميع لذات الدنيا وشهواتها وزينتها وعظمتها خالصة لهم، فهل جاء المسيح لهذا، وبهذا أمر أم بضده ؟

والله إنني لا أرى من عجائب أطوار البشر وقلبهم للحقائق ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية في الارض : ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول، أخذوه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة اقتباسا مشوها - ديانة شريعة سماوية، نسخوا شريعتها برمتها وأبطلوها، واستبدلوا بها بدعا وتقاليد غريبة عنها - ديانة زهد وتواضع وتقشف وايثار وعبودية، جعلوها ديانة طمع وجشع وكبرياء وترف وأثرة واستعباد للبشر - ديانة أصولها التي هم عليها مقتبسة من الوثنية الاولى لم يرد كلمة تدل على عقيدتها عن أنبياء بني اسرائيل ولكنهم زعموا انها مستمدة من جميع كتب أنبياء بني اسرائيل - ديانة نسبوها الى المسيح عليه السلام وليس عندهم نص من كلامه في أصول عقيدتها التي هي التثليث، وانما بقي عندهم نصوص قاطعة من كلامه في حقيقة التوحيد والتنزيه وإبطال التثليث وعدم المساواة بين الآب والابن الذي أطلق لفظه مجازا عليه وعلى غيره من الابرار، على انه كان يعبر عن نفسه في الاكثر بابن الانسان

لو لم يكن عندهم من النصوص في هذه العقيدة الا مارواه يوحنا في الفصل

السابع عشر من إنجيله لكفى وهو قوله عليه السلام (٣ وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فبين أن الله تعالى هو الاله وحده وانه هو رسوله ، وهذا هو الذي دعا اليه القرآن ، وكان يجب ان يكون أساس عقيدتهم يرد اليه كل ما يوهم خلافه ولو بالتأويل ، لاجل المطابقة بين المعقول والمنقول .

ونقل مرقس في الفصل الثاني عشر من إنجيله ان أحد الكتبة سأله عن أول الوصايا قال (٢٩ فأجابه يسوع أول الوصايا اسمع يااسرائيل الرب إلهنا رب واحد الخ . . . - ٣٢ فقال له الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأنه واحد وليس آخر سواه . . . - ٣٤ فلما رأى يسوع انه أجاب بعقل قال له لست بعيدا عن ملكوت السموات) فعلم من هذا ان التوحيد الخالص هو العقيدة المعقولة التي تؤخذ على ظاهرها بلا تأويل ، فان فرضنا انه ورد ما ينافيها ، وجب رده أو ارجاعه اليها .

وروى يوحنا عنه في الفصل الاول من انجيله انه قال (٢٨ الله لم يره أحد قط) ومثله في الفصل الرابع من رسالة يوحنا الاولى (١٢ الله لم ينظره أحد قط) وفي الفصل السادس من رسالة بولس الاولى الى أهل تيموثاوس (١٦ لم يره أحد من الناس ولا يقدر ان يراه) وقد رأى الناس المسيح والروح القدس

وروى مرقس في الفصل الثالث عشر من انجيله انه قال في الساعة و يوم القيامة ما نصه : (٣٢ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) فلو كان الابن عين الآب لكان يعلم كل مايعلمه الآب . وقوله عليه السلام في القيامة موافق لقول الله سبحانه في القرآن خطابا لخاتم رسله (ص) (قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو)

ولو كان هؤلاء النصارى يقبلون نصوص انجيل برنابا لأتيناهم بشواهد منه على التوحيد مؤيدة بالبراهين العقلية والنقلية على ان المسيح بشر رسول قد خلت من قبله الرسل وليس بدعا فيهم ، وناهيك بالفصل الرابع والستين منه الذي يحتج به المسيح بما آتى الله الانبياء من الآيات على ان الآيات لاتنافي البشرية والعبودية لله تعالى ، و بالفصل الخامس والتسعين الذي يحتج فيه بأقوال الانبياء في التوحيد

وأنه تعالى خلق كل شيء بكلمته وأنه يَرى ولا يُرى ، وأنه غير متجسد وغير مركب وغير متغير ، وانه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام . ثم قال (١٩ فاني بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وانه كان لي بداية وسيكون لي نهاية ، واني لا أقتدر أن أبتدع خلق ذبابة) وحسبنا ما كتبناه هنا في مسألة التثليث الآن ، وسنبقي بقية مباحثها الى تفسير سورة المائدة

﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ﴾ الاستنكاف الامتناع عن الشيء أنفة وانقباضا منه . قيل أصله من نكف الدمع اذا نحاه عن خده باصبعه حتى لا يظهر ، ونكف منه أنف . وانكفه عنه برأه . والمعنى لن يأنف المسيح ولا يتبرأ من أن يكون عبدًا لله ولا هو بالذي يترفع عن ذلك لانه من أعلم خلق الله بعظمة الله وما يجب له على العقلاء من خلقه من العبودية والشكر ، وأن هذه العبودية هي أفضل ما يتفاضلون به ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ يستنكفون عن ان يكونوا عبيدًا لله أو عن عبادته ، أو لا يستنكف أحد منهم أن يكون عبدًا لله . (كل تقدير من هذه التقديرات صحيح يفهم من الكلام) على أنهم أعظم من المسيح خلقا وأفعالا ، ومنهم روح القدس جبريل عليه السلام الذي بنفخة منه خلق المسيح و بتأييد الله اياه به كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله ، ولولا نفخته وتأييده لما كان للمسيح مزية على غيره من الناس .

وقد استدل بهذه الآية على أن الملائكة المقربين أفضل من الانبياء المرسلين ، وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني والحليمي من أئمة الاشعرية وجمهور المعتزلة ، وأما جمهور الاشعرية فيفضلون الانبياء على الملائكة ، ووجه التفضيل أن السياق في رد غلوّ النصارى في المسيح اذ اتخذوه إلهًا ورفعوه عن مقام العبودية فالبلاغة في الرد عليهم تقتضي الترقي في الرد من الرفيع الى الأرفع كما تقول ان فلانا التقي لا يستنكف عن تقبيل يده الوزير ولا الامير . فاذا بدأت بذكر الامير لم يعد لذكر الوزير مزية ولا فائدة ، بل يكون لغوا لأنه يندمج في الأول بالطريق الأولى . وقد بين ذلك الزمخشري وجزم به فتكلف بعضهم في الرد عليه وكان آخر شوط البيضاوي ان جعل غاية الآية تفضيل الملائكة المقربين على أولي العزم من المرسلين لا كل

الملائكة على كل الانبياء . وأما القاضي أحمد بن المنير فانه بعد ان أطال في تقريره على الكشاف برد طريقة الترقي والتفصي من الاستدلال بها على تفضيل الملائكة المقربين، على الانبياء المرسلين، عاد الى الانصاف من نفسه ، وجزم بأن الآية تدل على تفضيل هؤلاء الملائكة في عظم الخلق والقدرة على الاعمال العظيمة وهو الذي يناسب الرد على من استكبروا خلق المسيح من غير أب وصدور بعض الآيات عنه فجعلوه إلها ، والملائكة خلقوا من غير أب ولا أم ويعملون ما هو أعظم من آيات المسيح فهم بهذا أفضل منه وأعظم ، ولكن هذا التفضيل في غير موضع الخلاف بين الاشعرية والمعتزلة وهو كثرة الثواب على الاعمال في الآخرة . والمنصف يرى ان التفاضل في هذا من الرجم بالغيب ، اذ لا يعلم الا بنص من الشارع ولا نص ، وليس للخلاف في هذه المسألة فائدة في إيمان ولا عمل ، ولكنه من توسيع مسافة التفرق بالمراء والجدل ،

﴿ ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ﴾ الاستكبار ان يجعل الانسان نفسه كبيرة فوق ما هي عليه غرورا واعجابا فيحملها بذلك على غمط الحق سواء كان لله أو لخلقه وعلى احتقار الناس . ومعنى الجملة : ومن يترفع عن عبادته أنفة ويتبرأ منها ، ويجعل نفسه كبيرة فيرى انه لا يليق بها التلبس بها ﴿ فسيحشرهم اليه جميعا ﴾ أي فسيحشر هؤلاء المستنكفين والمستكبرين للجزاء ، مجتمعين مع غير المستكبرين والمستنكفين الذين ذكر بعضهم في أول الآية ، فان الله يحشر الخلق كلهم في صعيد واحد كما ورد . ثم يحاسبهم ويجزيهم عملهم كما يجزي غيرهم على النحو المبين في قوله

﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ أي يعطيهم أجورهم على إيمانهم وعملهم الصالح وافيا تاما كما يستحقون بحسب سنته تعالى في ترتيب الجزاء على تأثير الايمان والعمل في النفس ، ويزيدهم عليه من محض فضله وجوده من عشرة أضعاف الى سبعمئة ضعف — الى ما شاء (وتقدم الكلام في المضاعفة في تفسير سورة البقرة)

﴿ وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ﴾ أي فيعذبهم عذابا مؤلما كما يستحقون بحسب سنته تعالى أيضا، ولكن لا يزيدهم على ما يستحقون شيئا، لان الرحمة سبقت الغضب، فهو تعالى يجازي المحسن بالعدل والفضل، ويجازي المسيء بالعدل فقط ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ أي ولا يجدون لهم من غير الله تعالى وليا يتولى شيئا من أمرهم يوم الجزاء والحساب، ولا نصيرا ينصرهم فيدفع عنهم العذاب، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)

ومن مباحث اللفظ والاعراب في الآية افراد فعل يستنكف وما عطف عليه مراعاة لفظ « من » وجمع فعل فسيحشرهم مراعاة لمعناها فانها من صيغ العموم (ومنها) مسألة مطابقة التفصيل في هذه الآية للمفصل المذكور بصيغة العموم في آخر الآية التي قبلها . قال بعضهم ان التفصيل للمجازاة لا للمحشورين المجزيين فلا حاجة الى المطابقة وذلك ان الجزاء لازم للحشر فبينه عقبه، واختار هذا البيضاوي ورده السعد . وقال الزمخشري هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله (أي أعطاه ما يركبه) ومن خرج نكل به . وصحة ذلك لوجهين (أحدهما) أن يحذف احد الفريقين لدلالة الآخر عليه، ولأن ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني، كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا « فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به » (والثاني) هو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم . فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى أجور العاملين، وبما يصيبه من عذاب الله اه أقول وقد يدل على حشر المستنكفين مع غيرهم قوله تعالى (جميعا) كما أشرنا اليه . وثم وجه آخر وهو أن القرآن كثيرا ما يذكر العاملين بصيغة مبتدإ يكون خبره محذوفا لدلالة الكلام أو القرينة عليه ولا سيما اذا كان شرطا كما هنا وكان جزاؤه كلاما عاما يشير الى الخبر اشارة ضمنية كقوله تعالى (٨ : ٥٠ ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) وقوله (٥٧ : ٢٤ ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) ولا يبعد ان يكون ما هنا من هذا القبيل، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيجزيه يوم يحشر الناس كلهم للجزاء . ثم فصل الجزاء المشار اليه بالسياق، والله أعلم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اللعب بالنرد والشطرنج والورق وحضور دور اللعب ، ومجاملة أهل الكتاب ﴾

(س ٧) من صاحبي الامضاء بالمطرية (في الدقهلية)

حضرة مرشد الامة ورشيدها صاحب المنار المنير فضيلتلو أفندم

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد ألتمس من فضيلتكم اجابتنا عن السؤال الآتي عسى بجواب فضيلتكم تمنع الحيرة ونهتدي الى سبيل الرشاد

أسس بالمطرية (دقهلية) نادباسم « نادي الموظفين » الغرض منه نشر الفضيلة ومدارسة العلم وتوثيق عرى المحبة والاخاء والانسانية وأعضاء النادي المذكور تتألف من محمديين وعيسويين وموسويين ، وأعمال النادي على مقتضى قانون قد جاء فيه (منع الخمر والميسر منعاً بتا) ولكن بالنادي المذكور حجرة للهو واللعب بالنردشير (الطاولة) والشطرنج والورق (أي الكتشينة) ترتب على وجودها بالنادي منع بعض أعضائه المسلمين من الحضور فيه وحرمانه من سماع مايلقى من المحاضرات النافعة لعلمه أن هذه الالعاب حرام لكونها ميسر كما نص عليه الشافعي وجرى عليه أكثر أصحابه واعتمده الشيخان وغيرهما مستدلا على تحريمه وتغليظ العقوبة فيه بأحاديث كثيرة وأقوال شهيرة مذكورة في كتاب (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع) وكتب غيره ، ولما بين الممتنع عن الحضور هذا المانع الى بعض مؤسسي النادي أجابه بعدم أحقيته في الامتناع حيث هذه الالعاب لم تكن من الميسر في شيء ولم تكن حراما ولا مكروهة وانها نافعة لما فيها من (مجاملة أهل الكتاب باللعب معهم) وتشحيذ الخواطر وتزكية الافهام وراحة القلوب من عناء الافكار وترويح النفوس من شاق الاعمال وغير ذلك مستشهداً بأقوال كثيرين وببعض فتاوى المرحوم الامام مفتي الديار (قياساً) وقد كثر الاخذ والرد بينهما وانتهى الموضوع الى رفع الامر اليكم رجاء الجواب عما اذا كانت الالعاب

المذكورة حراما أو مباحة والاكمل حضور الممتنع بالنادي لاعادة النفع العلمي عليه أو امتناعه عن الحضور مع وجود حجرات بالنادي خلاف المختصة باللعب أفندم

حسن حسن عزام بالمطرية دقهلية

ملحوظه

غرفة الالعاب مفصولة عن غرفة المطالعة والمحادثة بصالة عرضها ٤ أمتار تقريباً وحضرات أعضاء النادي الاقباط يلعبون واذا كان كل مسلم يبتعد عن ذلك فسينمو الجفاء طبعاً ومن جهة أخرى فان النادي تلقى به محاضرات علمية وأدبية وفنية كل ليلة جمعة - فاذا ابتعد المسلم خسر هذه الفوائد التي لاتخفى على فضيلتكم فأفتونا بما يقرب الناس ويزيل سوء التفاهم ويكون سبباً لرقينا بعد ذلك النوم الطويل أدامكم الله للمخلص

سكرتير النادي

عبد الحميد حسن محجوب

(ج) من اعتقد ان عملا من الاعمال حرام وجب عليه تركه ألبتة الا لعذر شرعي كالضرورة التي تبيح المحرم لذاته كأكل الميتة، والحاجة التي تبيح المحرم لعارض كرؤية الطبيب ما يحرم رؤيته من بدن المرأة أو الرجل ، واذا زال العذر عاد حكم التحريم كما كان . وليست مجاملة أهل الكتاب ولا المسلمين من الاعذار التي تبيح المحرمات . ومن توهم ان التهاون بأحكام الدين من أسباب الترقي فقد انقلبت الحقيقة في نظره الى ضدها ، بل الاسراع الى تغيير شعائر الامة وآدابها وعاداتها التي تعد من مقوماتها أو مشخصاتها هو الذي يحل روابطها، ويمزق نسيج وحدتها، فلا ينبغي لعاقل أن يتهاون في المحافظة على ما ذكر ، بل ينبغي مراعاة التدريج في ترك العادات الضارة اذا فشت في الامة وصارت تعد من مميزاتها . فهذا أول مايجب التفكر فيه والاعتبار به في هذا المقام وهو مما يغفل عنه الناس، على ان المجاملة لا تنحصر في اللعب بما هو محرم ولا بما هو مباح أيضا . ثم ان في مسألة اللعب بحثين أحدهما : هل الالعاب المذكورة في السؤال محرمة قطعاً وهي من الميسر أم لا ؟ وثانيهما : هل الدخول الى حجرة الخطابة من النادي لسماع شيء من العلم النافع يعد محرماً لوجود حجرة فيها تلعب فيها تلك الالعاب عند من يرى تحريمها ؟

أما اللعب بالنرد فالجمهور على تحريمه الا ان أبا اسحق المروزي قال يكره ولا يحرم، وهو محجوج بحديث أبي موسى مرفوعاً في صحيح مسلم وسنن أبي داود وابن ماجه « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » وعللوا ذلك بأنه كالازلام يعول فيه

على ترك الاسباب والاعتماد على الحظ والبخت فهو يضر بذلك ويغري بالكسل ، والاتكال على مايجيء به القدر ، أي فيه معنى الميسر المبني على الكسب بالحظ والنصيب دون العمل والجد ، وما أشد افساد هذا في الامم ؟ وما أبعده عن الاسلام الذي يهدي أهله الى الجد والسعي والعمل ، ولا يمكن التفصي من تحريم لعب النرد الا اذا ثبت ان سبب النهي عنه انهم كانوا يلعبون به على مال وانه حرم لذلك وليس عندنا نص في ذلك ، وهو لا يكون من الميسر حقيقة الا اذا كان اللعب على مال

وأما الشطرنج فالا كثرون على انه غير محرم ومنهم الشافعية ، قال الشافعي « انه لهو يشبه الباطل أكرهه ولا يتبين لي تحريمه » وقال النووي ان اكثر العلماء على تحريمه وانه مكروه عند الشافعي أي تنزيهاً ، واشترط لتحريمه أن يكون على عوض أو يفوت على اللاعب الصلاة اشتغالا به عنها . ولا يوجد حديث يحتج به ناطق بتحريمه. وكل مالا نص من الشارع على تحريمه فهو مباح لذاته اذا لم يكن ضارا واستعمل فيما يضر، فان ترتب على فعل مباح حرام حرم لهذا العارض لا مطلقاً كأن يترك اللاعب بالشطرنج ما يجب عليه لله أو لعياله مثلاً . ويدخل في ذلك اللعب بالورق فانه لا نص فيه من الشارع ولكن قال بحرمته بعض الشافعية ، وهؤلاء قد جعلوا للعب قاعدة فقالوا أنه يحل منها ما فيه حساب وتفكر يشحذ الذهن كالشطرنج دون ما كان كالنرد أو كان من العبث ، والحق انه لا يحرم الا ما كان ضارا كما تقدم آنفاً . ولا شك في كراهة الانهماك في اللعب والاسراف فيه . ولنا في النرد والشطرنج فتوى مطولة في المجلد السادس من المنار فليراجعها من شاء (ص ٣٧٣ - ٣٧٦)

وأما حضور الخطب والمحاضرات العلمية والادبية في النادي فلا وجه لتحريمها بحجة ان في النادي حجرة يلعب فيها لعب محرم لان الحرمة انما هي على اللاعب وعلى من يراه ولا ينكر عليه ، وكذا يباح دخول أي مكان من النادي ليس فيه منكر وقد يستحب اذا كان فيه فائدة كموادة الاصدقاء ومجاملتهم

﴿ احاديث تقويم ديوان الاوقاف ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

صاحب الفضيلة العلامة منشئ المنار الاغر

ماقول سيدي الاستاذ — وهو المحقق الاوحد في فن الحديث الشريف — فيما تذيل به صحائف التقويم الذي يصدره ديوان عموم الاوقاف عن حساب الايام والشهور

ومواقيت الصلاة الخ الخ من الجمل الحكمية التي اختيرت على انها أحاديث صحيحة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليس على كثير منها صبغة ذلك الكلام البليغ الذي عهدناه في كتب الحديث الصحيح وأمهات كتب الشريعة الاسلامية .

واذا صح ان متخير هذه الحكم لم يحتط في بحثه ولم يرجع في مثل هذا العمل الخطير الى الاخصائيين الراسخين في علم الحديث والسنة وهو أول وأحق ما يجب اتباع قول الله فيه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فما عذر علماء مصر ورجال الدين فيها ؟؟ وهذه الحكم تنشر على صحائف جريدة المؤيد وتعلق عليها الشروح الضافية على انها أحاديث صحيحة

وكان يجوز أن نلتمس لهم بعض العذر لو بقيت هذه « الاحاديث » طي صحائف التقويم بين جدران الغرف . ولكن الامر قد شاع وذاع وكثر اللغط فيه

فهل لسيدي الاستاذ أن يتصدى للموضوع بباعه الطويل، وقلمه البليغ ، لتنجاب عنا هذه الغيوم ، وتبيد تلك الحموم ، ابن منصور

(ج) انني لم أنظر تقويم الاوقاف الا معلقا على بعض الجدر من بعيد فلم أر فيه شيئا من هذه الاحاديث ولكني رأيت بعض ذلك في المؤيد وقلت لاحد محرريه ان كثيراً منها لم يروه أحد من المحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف وبعضها مروي فيجب على شارحها تمييز الحديث من غيره منها . واطلاق اسم الاحاديث عليها غير جائز إذ ليس لمسلم أن يعتد بعزو أحد حديثاً الى رسول الله (ص) الا اذا عزاه الى بعض أئمة المحدثين أصحاب الدواوين المعروفة في تخريج الاحاديث أو وثق بعلمه بالحديث ، سواء رأى هذا الحديث في جريدة أو كتاب أو سمعه من متكلم أو خطيب، فاننا كثيراً ما نسمع من خطباء الجمعة الاحاديث الضعيفة والموضوعة والمحرفة حتى صار يضيق صدري من دخول المسجد لصلاة الجمعة قبل الخطبة الاولى أو في أثنائها فمن سمع الخطيب يعزو الى رسول الله (ص) قولاً يعلم انه موضوع يحار في أمره ، لانه اذا سكت على هذا المنكر يكون آثما واذا أنكر على الخطيب جهراً يخاف الفتنة على العامة. والواجب على مدير الاوقاف منع الخطباء من الخطابة بهذه الدواوين المشتملة على هذه الاحاديث أو تخريج أحاديثها اذا كانت الخطب نفسها خالية من المنكرات والخرافات والاباطيل وما أكثر ذلك فيها !

وفي ص ٣٢ من فتاوى ابن حجر الحديثية انه سئل عن خطيب يرقي المنبر كل جمعة ويذكر أحاديث لا يبين مخرجيها ولا رواتها - وذكر السائل بعضها - وقال في ذلك الخطيب انه مع ذلك يدعي رفعة في العلم وسموا في الدين فما الذي يجب عليه وما الذي يلزمه

فأجاب بما حاصله انه يجوز له أن يروي الحديث من غير أن يذكر الرواة أو المخرجين إلا اذا كان من أهل المعرفة بالحديث أو بنقلها من كتبه (قال) « وأما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك ومن فعله عزر عليه التعزير الشديد. وهذا حال أكثر الخطباء فانهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها (كذا) من غير أن يعرفون أن لتلك الاحاديث أصلا أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك . ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك ان ارتكبه » الخ

وحاصل الجواب ان ماطبع في تقويم الاوقاف من الاحاديث بعضها له أصل صحيح أو غير صحيح ، وبعضها لا أصل له بل هو حكم منثورة لبعض الحكماء والعلماء . وأنه لا ينبغي لمسلم أن يروي شيئا منه مسميا إياه حديثا نبويا الا اذا علم ذلك بالرواية عن الثقات في علم الحديث أو برؤيته في بعض دواوين الحديث المشهورة كالصحيحين وكتب السنن، أو معزوا الى هذه الكتب وأمثالها في مثل الجامع الصغير. وليعلم انه ليس كل ما في كتب السنن وأمثالها كمسند الامام احمد من الاحاديث يصل الى درجة الصحيح في اصطلاحهم بل فيها الصحيح والحسن والضعيف وفيها ماعده بعض المحدثين موضوعا، فليس لمن رأى فيها أو فيما نقل عنها حديثا لم يصرحوا بقولهم انه صحيح ان يقول هو حديث صحيح ، وكذا ما يراه في كتب الفقه والأدب والمواعظ فان هذه الكتب يكثر فيها اطلاق الاحاديث بغير تخريج وكثير منها واه وموضوع لا تحل روايته الا للتحذير منه . ومن الكتب المتداولة التي تكثر فيها الاحاديث الموضوعة والشديدة الضعف كتاب خريدة العجائب وكتاب نزهة المجالس ، بل يوجد مثل ذلك في بعض الكتب الجليلة كاحياء علوم الدين للامام الغزالي . وأكثر كتب التصوف لا يوثق بما فيه من الاحاديث . والعمدة التخريج والتصريح بالتصحيح أو التحسين . فالمناوي يعزو الاحاديث في مسند الفردوس مثلا ولا يشير الى صحتها أو ضعفها فليس لك أن تصحح شيئاً منها بغير علم، فاذا وضع بجانب الحديث (خ) أو (م) كان صحيحاً لعزوه الى الصحيحين، واذا وضع بجانبه (فر) أو (حل) كان في الغالب ضعيفاً وربما كان أقل من ذلك رتبة

هذا واننا قبل طبع ماتقدم رأينا المؤيد يعبر عما ينقله عن تقويم الاوقاف بلفظ الحكم والحكمة ، ولا يسميها كلها نبوية فالظاهر ان الشارح لها في المؤيد صار يراجع ويميز بين الاحاديث المأثورة ، والحكم المنثورة ، فنقترح عليه أن لايذكر حديثا مرفوعا الا معزوا الى مخرجه ، كما جرينا على ذلك في المنار منذ إنشائه

ــ عبر الحرب البلقانيـة وخطر المسألة الشرقية ــ

■

قد وصلنا الى الخطر فالى متى نغش أنفسنا

كتبت في شهر المحرم فاتحة هذا العام أربع مقالات في هذا الموضوع، ثم شغلت عن اتمام مابدأت به من أسباب خذلان دولتنا في هذه الحرب حتى حدثت فتنة جمعية الاتحاد والترقي الاخيرة بزعامة (أنور بك) فأسقطت وزارة كامل باشا وقتلت ناظر الحربية (ناظم باشا) في الباب العالي ونصبت وزارة اتحادية جديدة صدرها وناظر حربيتها (محمود شوكت باشا) فتعجل البلقانيون على أثر ذلك بقطع الهدنة، وأعيدت الحرب جذعة

كنت عازماً على أن أبين في سلسلة هذه المقالات جميع الاسباب التي فتحت علينا باب المسألة الشرقية ، بحرب طرابلس الغرب فالحرب البلقانية ، وأن لا أدع من تلك الاسباب الا مسألة واحدة أومئ اليها ولا أبينها وهي عبث جمعية الاتحاد والترقي بالعرش السلطاني ومقام الخلافة ، تكريما لهذا المقام ، واحتراما للجالس على ذلك العرش

فلما حدثت الثورة الاتحادية وظن الناس ــ ولم أظن ــ ان ألمانية ستؤيد تلاميذها الاتحاديين ، والنمسة وايطالية معها ظهير ، وأن دهاقين السياسة المحنكين ، سيعرضون عمران أوربة كله للتدمير، انتصاراً لهؤلاء الاحداث المخربين ــ وما رأيت أوربة قابلت هذه الفتنة بهدوءها المعتاد ، ورأيت جماهير المسلمين لم يقدّروا ضررها حق التقدير، ولم يفكروا في عاقبـة الحرب حق التفكير ، بل ألقوا السمع الى سماسرة التغرير ، وحسبوا ان مايرجون من النصر ، يدفع عن الدولة ما كان يخشى من الخطر ، ــ لما ذلك كله كما ذكرت ، رأيت أن التمادي في السكوت أولى فتماديت ، الى أن قرأت في جرائد مساء أمس و(مؤيد)صباح هذا اليوم (السبت ٩ ربيع الاول) هـذه البرقية الرسمية الواردة من عاصمة النمسة فكانت هي الباعثة لي على العود الى الـكتابة في ذلك الموضوع مكتفياً منه بالبحث في النتيجة والعاقبة، وهذه ترجمتها :

« نشرت الحـكومة بلاغاً رسميـا أزالت به المخاوف التي تسربت الى الافكار بشأن مهمة (البرنس هوهنلوه) حاجب عاهل النمسة . وقد جاء في البلاغ أن البرنس لقي في روسية مقابلة في منتهى المودة والصداقة ، وأن الاسباب القديمة التي أسفرت عن حصول نزاع في روسية قد زالت ، وأن الشعوب البلقانية صارت الآن عضوا من

أعضاء الاسرة الاوربية الغربية، وستهتم حكومة النمسة والمجر اهتماما خاصا بترقية هذه الشعوب واعلاء شأنها »

تفكرت في هذه البرقية مليا ، وقارنت بينها وبين ماورد قبلها من نبأ الوفاق والتواد بين انكلترة وألمانية، وقلت في نفسي ان هذا الاتفاق بين هذه الدول لا يكون في هذا الوقت الا علينا ، ولا بد أن يكونوا به قد صاروا إلباً واحداً على الدولة العثمانية التي كان أساس سياستها الخارجية ، انه لا بقاء لها ، الا بتنازع الدول عليها ،وسواء صح اتفاقهم النهائي علينا الآن ، أم أخروه الى أعوام ، فالنتيجة واحدة وهي انه يجب أن تكون حياتنا ذاتية لنا ، لا بتنازع الدول علينا ، وان نفكر في طريق اتفاق الدول وكيفية حلهم للمسألة الشرقية ، التي كانت عضلة العقد ، وأم المشاكل ، هل يقسمون ما بقي بأيدينا فيحتل كل منهم حصته احتلالا عسكريا لان الدولة لا تستطيع مقاومتهم فتنتهي بالفتح الحربي ، أم اختاروا لها صورة من صور الفتح السلمي ؟ وقد تفكرت فكان الثاني هو المرجح عندي ، فان هذه الدول العاقلة الرشيدة تأبى الاستيلاء على سائر بلاد الدولة الغالب عليها الخراب والجهل بالاحتلال العسكري لاسباب متعددة (منها) أن ذلك يقتضي نفقات كثيرة هم في غنى عنها (ومنها) أنه لا بد أن يفضي الى ثورات وفتن داخلية في البلاد التي يغلب على أهلها البداوة كالبلاد العربية والكردية وما يجاورها وهم في غنى عن سفك الدم الاوربي المقدس (؟) في أرض الهمجية (في عرفهم) وفي انفاق المال على ذلك (ومنها) أنه يترتب على ذلك وقوع العداوات والاحقاد بين المحتلين، وأهالي البلاد المسلمين ، فيكون ذلك مؤخراً للاستفادة من استعمارها، (ومنها) ان ما تطمع فيه كل دولة منها وتعده من منطقة نفوذها ليس بينه وبين ما تطمع فيه الاخرى حدود طبيعية يؤمن بها التنازع بين المحتلين مع ما بينهم من المناظرة والمباراة ، بل الشقاق والمعادة، ولا يتيسر الآن اقامة معاقل تتكافؤ بها القوى فيخشى ان تقع بينهم الحروب لاجل ذلك ، (ومنها) انه لا يوجد في أكثر هذه البلاد ثكنات ولا قلاع ولا حصون للجيش ولا مباني تليق بالاوربيين الذين يتولون الادارة والاعمال ، ولا طرق حديدية لنقل العسكر عند الحاجة ولسهولة المعيشة ، فلهذا يتعذر اتقاء خطر التنازع الذي أشرنا اليه في الوجه الذي قبل هذا ويتعذر تلافي خطر الثورات والفتن الداخلية (ومنها) انه لا يوجد عندهم العدد الكافي من الرجال ، الذين يصلحون لتولي الاعمال ، ويرجى أن تصلح بهم الحال (ومنها) ان ذلك أشد ما يوقظ به استعداد مسامي الارض كافة ويوجه قلوبهم الى وجوب السعي

للانتقام ممن أزالوا ملكهم ، وهدموا سلطان دينهم ؛

تلك هي الاسباب المانعة من الفتح الحربي، وأما الفتح السلمي وهو ادارة البلاد وحكمها بواسطة أشباح من العثمانيين تحسبهم عامة الامة رجالا منها ، فلا يؤدي الى هذا المحظور

ياسبحان الله ! ان ساسة أوربة ينشرون في رسائلهم وجرائدهم الآراء في كيفية إزالة هذه الدولة كما أزالوا دولة مراكش ودولة ايران ولا نرى أحداً من المسلمين يعتبر أو يفكر ، ولا نقول يسعى أو يعمل ، وما هو رأيهم في كيفية ازالتها ؟:

نشر مدير مجلة العالم الاسلامي الفرنسية رسالة في أوائل العهد بهذه الحرب سماها (المسألة الشرقية) أشار فيها الى ان أمثل الطرق في حل هذه المسألة أن تجعل الدولة العثمانية تحت مراقبة الدول كما تجعل حكومة ألبانية الجديدة . وبين ان من مسهلات ذلك سبق الدولة الى جعل جميع مقومات حياتها في أيدي الاوربيين كمجلس الديون العمومية وشركة احتكار الدخان ، والبنك العثماني ، والسكك الحديدية ، والمستشارين الماليين ، والمعلمين العسكريين ، والمدارس والصناعات والملاحة . فلم يبق الا تحويل نفوذ السفراء في الاستانة الى سلطة شوروية مختلطة تكون هي المشرفة على حكومة العاصمة والمديرة لها ، ويجعل وكلاء الدول في الولايات والمتصرفيات مسيطرين على الحكام فيها ، ويكون من أهم عملهم تحديد النفقات العسكرية لان العسكر لا يبقى من الحاجة اليه الا حفظ الامن (كالعسكر المصري) وأما الخلافة فتظل محترمة بصفة كونها امامة دينية فيكون السلطان محصوراً في قصره لا سلطة له ولا قوة

ويقول الكاتب ان هذا يثقل على أصحاب المناصب والاهالي ولكن الدولة في حالة افلاس وسيعلم رجالها انه لايمكن بقاؤها الا بهذه الطريقة، وسيتعود الاهالي الخضوع لسلطة وكلاء الدول كما خضعوا لرجال الانقلاب العثماني أي وهم أخلاط وأوشاب لايعرف لهم عرق راسخ في الامة كما بينه الكاتب في موضع آخر من رسالته

وقد قرأنا في مؤيد هذا اليوم ترجمة برقية أرسلها صاحب جريدة اقدام التركية من (فيننة) الى جريدته بالاستانة يؤيد هذا الرأي . وهي هذه :

« عقد مندوبو البنك الشرقي الالماني والبنك الاهلي والعثماني جلسة في باريس تداولوا فيها بمسألة القرض الذي تطلبه الوزارة العثمانية وقرروا أن يقرضوا الحكومة مايكفيها لدفع رواتب الموظفين والضباط والجنود فقط

« وطلبوا في مقابل ذلك أن يمنح لشركة انكليزية امتياز ري أراضي الجزيرة

« وأن تمنح الى شركات فرنسوية امتيازات انشاء الخطوط الحديدية في الاناضول

« وأن تمنح الى شركات ألمانية امتيازات انشاء خطوط حديدية تتفرع عن الخط الاصلي لسكة حديد بغداد

« وان تصدق الحكومة على تمديد امتياز احتكار الدخان في المملكة العثمانية لشركة الريجي

« واجراء اصلاح في ميزانية نظارة الحربية

« وأن يكون لهذه البنوك حق المراقبة على النفقات العمومية للحكومة

« وأخيراً أن تفوض الى مصلحة الديون العمومية مسئلة عقد القروض » اه

يقرأ المسلمون مثل هذا في الجرائد وتراهم وادعين ساكنين لايهتمون بها ثم تراهم يهيجون لذكر آخذ أدرنة أونصف أدرنة !! ويشيد بعضهم باطراء جمعية الاحمرين التي تجد ببيع ما بقي من هذه الدولة لأوربة بالرهون والامتيازات !! فاهذا الجهل والغرور

نعم ان أمتنا الاسلامية قد استحوذ عليها الجهل والغرور معا ، وصار رؤساؤها وكبراؤها شرارها ، فمن ذا الذي يعلمها ويهديها رشدها ؟ ان السيادة والسلطة أعلى واغلى شيء في نفسها ، وقد كان لها ممالك كثيرة فكانت تزول بالتدريج وهي لاتعقل سبب زوالها ، ولا تعتبر اللاحقة بما حل بالسابقة منها

تألفت الدولة العثمانية من عدة من هذه الممالك فكانت أكبرها وأقواها ، ولكنها منذ صارت القوة تبنى على أسس العلم والنظام ، صارت هي ترجع القهقرى في كل شيء ، فهي منذ أزال السلطان محمود منها قوة الانكشارية الهمجية الى هذا اليوم لم تقدر ان تؤسس قوة نظامية تحفظ بها ملكها الواسع ، ولو بحيث تحجو من طمع الطامع ،وانما اكتفت من القوة المنظمة في الجملة بالقدر الذي يمكن العاصمة البيزنطية، من تذليل جميع الشعوب العثمانية ، وجباية الضرائب والمكوس منها ، ليتمتع أهل تلك العاصمة ومن حولهم بها،وكانوا يرون ان ذلك لايدوم لهم الا ببقاء الامة على جهلها ، فكان مصير ثروة الدولة والامة كلها الى أوربة. ولكن المسلمين راضون لجهلهم بسوء حالهم ، ومقتنعون بأن لهم دولة قوية تحمي حماهم وحرمهم ، فهذا الجهل والغرور، هو الذي انتهى بالدولة الى هذا المصير ، ولا يزال المسلمون على غرورهم ، يحثون الدولة على الحرب، رجاء ان يكون لها الغلب ، فيعود اليهم التلذذ بالطمأنينة على ملك الاسلام ، الذي تمثله لهم الاماني والأوهام ، وان زالت اللذة بعد شهور أو أيام

اماني من سعدى عذاب كأنما	سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا
منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى	والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

أيها الاخوة المخلصون في الغيرة على الملة والدولة ، إن الرائد لايكذب أهله ، اعلموا ان الدولة على شفا جرف من الخطر ، وان استيلاء أوربة عليها بالفتح السلمي أقرب غائب ينتظر ، ومن مقدماته الفتنة الثورية التي حدثت في الآستانة وماسيعقبها من الفتن ،ولا منجاة للدولة ،ولا لمثيري الفتنة، بنصر يرجى لأخذ نصف مدينة ادرنة ،ولا أخذ كل تلك المدينة، ولا بلجنة الدفاع الملية،ولا بالاعانات والضرائب الحربية،وقد كنتم مغرورين بجيش عبد الحميد وسررتم بظفره باليونان،ثم انفق الاتحاديون باسم هذا الجيش خمسين مليونا من الليرات ، ولم يمنع البلقانيين أن يسلخوا من الدولة بضع ولايات تضاهي جميع ممالكهم ، فهل يمنع الدول الكبرى من أخذ الباقي اذا هي اتفقت على ذلك

أيها الاخوة المخلصون للدولة والاسلام ، إنني انا النذير العريان ، الذي حمله الاخلاص في النصح ، على تعريض عرضه للسب والشتم ، بل تعريض ماله للسلب ونفسه للقتل ، اعلموا ان الدولة على خطر الزوال ، فيجب على العقلاء منكم ان يفكروا أولا في عاقبة سلطة الاسلام ، وحفظ حرم الله تعالى وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام ، فان أدرنة التي خدعتم بتعظيم أمرها ، لاتغني فتيلا في الدفاع عنهما، وانما حفظهما بحفظ سياجهما ، والبلاد والسواحل المحيطة بهما ، ثم أن يفكروا ثانيا بحفظ سائر بلاد الدولة ووقايتها من امتلاك الأجانب لها ، وحفظ استقلال الدولة فيها ،

سمعتم ان جمعية الاتحاد والترقي قد أسست في الآستانة لجنة باسم الدفاع الملي أي الوطني أو الجنسي وانها كتبت الى جميع البلاد العثمانية تطلب الاعانة المالية على ذلك، وكتبت الى غير البلاد العثمانية في هذا الأمر كما كتبت في غيره. وقد كنت أول من اقترح على الدولة الاستعداد للدفاع الوطني العام ، وأكدت وجوبه في العام الماضي بما كتبت في المنار ،ولكن لاعلى الوجه الذي تدعو اليه الجمعية الآن ، فان فائدة هذا محصورة في الاتحاديين يبغون به الدفاع عن أنفسهم ، وتوسيع موارد ثروتهم ،وسيظهر هذا لجميع الناس ، وأما هذه الحرب فستحكم في صلحها أوربة حكمها النافذ الذي لامرد له

ما كل مايعلم وما يجب أن يعمل يجوز أن يكتب وينشر ، وانما أقول ان استبقاء السلطة الاسلامية وحفظ الحرمين لايزال ممكنا ولا ينفذ الاعمال فيجب الآن على جميع أهل الغيرة والبصيرة من مسلمي الارض أن يجمعوا المال لذلك ويحفظوه حفظا الى ان يتبين لهم العمل الذي لاشك فيه بواسطة مؤتمر يعقد لذلك من أهل الغيرة والبصيرة في العالم الاسلامي كالامير عمر باشا طوسن من مصر والنواب وقار الملك من الهند فهذا كل مايجب الآن والسلام ... (وسنعود الى هذا البحث في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى)

نظريتي

﴿ في قصة صلب المسيح وقيامته من الاموات ﴾

تابع ما قبله

ولنا أن نسأل هنا الاسئلة الآتية : ـ

( ) اذا كان المسيح أخبر تلاميذه بأنه بعد قيامته سيسبقهم الى الجليل وأمرهم بالذهاب إلى هناك لكي يروه (مت ٢٦ : ٣٢ و ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) فلماذا إذاً ظهر لهم في أورشليم كما يقول لوقا ويوحنا في نفس اليوم الذي قام فيه (لو ٢٤ : ٣٦ و ٣٧ ويو ٢٠ : ١٩) ؟

(٢) ما الحكمة في إرسالهم إلى الجليل ليروه هناك مع أنه ظهر لهم مرارا في أورشليم (أع ١ : ٣) وما الداعي إلى ذلك ؟ وهو الذي أمرهم ان لا يبرحوا أورشليم حتى يحل عليهم روح القدس (لو ٢٤ : ٤٩ و أع ١ : ٤)

(٣) هل ظهوره لهم في الجليل كان بعد ظهوره لهم في أورشليم أم قبله؟ فان كان بعده فلماذا شكوا فيه (مت ٢٨ : ١٧) بعد أن كان اقنعهم بذلك في اورشليم (لو ٢٤ : ٣٩ ـ ٤٩ ويو ٢٠: ٢٠ و٢٧) وان كان قبله فمتى ذهبوا إلى الجليل اذاً مع العلم بأن الجليل يبعد عن أورشليم مسيرة ثلاثة أيام على الاقل وقد نصت الاناجيل على أنهم رأوه في اورشليم في نفس يوم قيامته من القبر فهل يعقل انهم ذهبوا إلى الجليل ورأوه هناك ثم رجعوا في نفس ذلك اليوم ؟ وان كان السبب في الشك أن هيئته كانت تتغير بعد القيامة مرارا فلماذا كان ذلك وما الحكمة في هذا التضليل واذا كانت هيئته قابلة للتغيير والتبديل بعد القيامة وقبلها كما يفهم من الاناجيل (راجع متى ١٧ : ١ ـ ٧ ومر ٩ : ٢ ـ ٨ ولو ٩ : ٢٨ ـ ٣٦) وكان له القدرة على الاختفاء عن أعين الناس والمرور في وسطهم بدون أن يروه والافلات من أيديهم

(يو ٨ : ٥٩ و ١٠ : ٣٩ ولو ٤ : ٣٠) فكيف إذاً يجزمون بأن اليهود صلبوه وأنهم عرفوه حقيقة وأمسكوه مع أن نفس تلاميذه كانوا يشكون فيه لكثرة تغير هيئته وتبدلها (يو ٢١ : ٤) وهم أعرف الناس به وأقربهم اليه وأكثرهم اختلاطا به (لو ٢٤ : ١٦ ومر ١٦ : ١٢ ويو ٢٠ : ١٤) فأي غرابة إذا قلنا أن اليهود لم يعرفوه وأخطأوه كما أخطأته مرة مريم المجدلية وظنته البستاني (يو ٢٠ : ١٥)

(٤) إذا كان المسيح ظهر لهم في اورشليم يوم قيامته فلماذا لم يأمرهم بنفسه وقتئذ بالذهاب الى الجليل بدلا من أن يرسل اليهم هذا الامر بواسطة النساء (متى ٢٨ : ١٠ ومر ١٦ : ٧) ولماذا لم يذكر متى هذا الظهور ويذكر ما ينافيه مما سبق بيانه ؟ ألا يدل ذلك على أنه ماظهر لهم في أورشليم والا لما احتاج لتوسيط النساء بينه و بين تلاميذه؟ ولم ترك متى ذكر ذلك وهو من الاهمية والبعد عن الشك كما يقول الآخرون بمكان عظيم (لو ٢٤ : ٤٥ ويو ٢٠ : ٢٥) ؟

بقي علينا ان نناقش في قصة الصلب هذه من وجوه أخرى :—

(١) ان الشريعة الموسوية في مثل حالة المسيح كانت توجب الرجم وليس فيها صلب لاحد وهو حي وانما يعلق المقتول على خشبة (تثنية ٢١ : ٢٢) . اما الشريعة الرومانية فكان الصلب فيها للعبيد ولقطاع الطريق ونحوهم من ارباب الجرائم الدنيئة . فكيف اذا صلب المسيح وعلى اي شريعة كان ذلك ؟ وكيف طلب اليهود صلبه وانفذه الرومان لهم وهو ليس موجودا في شرائعهم لمثله ؟ وكيف صلب معه « لصان » كما يسميهما متى ومرقس وليس في شريعة الرومان ولا شريعة اليهود صلب اللصوص ؟ ! لذلك شك بعض العلماء حتى في اصل هذه القصة . ومنهم ايضا من اظهر بالدلائل التاريخية المعقولة الكذب او المبالغة في بعض قصص اضطهاد النصارى واستشهادهم الكثير في القرون الاولى كما يحكون في تواريخهم

(٢) جاء في انجيل لوقا أن المسيح قبيل القبض عليه قال لتلاميذه ٢٢ : ٣٦ (الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك . ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفا ٣٨ فقالوا يارب هوذا هنا سيفان . فقال لهم يكفي ٣٩ وخرج ومضى

كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكي لاتدخلوا في تجربة ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس. ولكن لتكن لا ارادتي بل إرادتك ٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه ٤٤ واذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض الى قوله ٤٩ فلما رأى الذين حوله مايكون قالوا يارب أنضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى) وعلى هذه العبارة ترد عدة مسائل : —

(أولا) إن المسيح أمر تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه وأراد واحد منهم أن يقتل عبد رئيس الكهنة ولكن أصابت الضربة أذنه فقطعتها ولم ينهه المسيح عن ذلك الا بعد أن أخطأت الضربة الرجل كما يفهم من متي (٢٦ : ٥١ و٥٢) فكيف يتفق هذا مع قول الاناجيل عنه انه أمر تلاميذه بمحبة الاعداء (مت ٥: ٤٤) وأنه قال (مت ٥: ٣٩) « من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا » فلماذا لم يعمل هونفسه بأقواله هذه وأراد تلاميذه على حمل السيوف للدفاع عنه ؟ أم كانت هذه الاقوال السلمية في مبدأ امره كما يفهم من انجيل متى قبل ان يتقوى فلما قوي قليلا تركها ؟ فماذا كان يفعل لو بلغ من القوة مبلغا يستطيع معه ان يقهر دولة الرومان ؟ وبم يفتخر المسيحيون علينا إذًا ونحن نرى ان المسيح مادعا الى السلم الا وقت ضعفه الشديد ؟ ولمَ يعيبون محمدًا صلى الله عليه وسلم لانه حارب اعداءه وقد كان حينئذ قويا شديدًا ؟ أو لا يفهم من عبارة لوقا هذه ان المسيح هو الذي اشار عليهم بالضرب بالسيف حينئذ فانه هو الذي امرهم بشرائها وحملها معهم؟ نعم انه لم يصرح بذلك حينما سألوه « انضرب بالسيف؟ » ولكن كان سكوته ايعازا خفيا خوفا من اليهود ومن الدولة الرومانية لان الظاهر انه كان عنده أمل في النجاة منهم ولذلك لما تم صلبه على زعمهم يئس وقال « إلهي إلهي لماذا تركتني ؟ » (مت ٢٧ : ٤٦)

« ثانيا » اذا كان المسيح ابن الله الذي نزل من السماء للموت ليرفع خطيئة العالم فلماذا اراد الدفاع عن نفسه ولماذا لم يسلم نفسه لهم طائعا مختارا ؟ وما معنى

هذه الصلاة الطويلة العريضة والالحاح بطلب النجاة وما حكمة ذلك يا ترى وهو يعلم انه لافائدة من هذا كله ولا بد من صلبه الذي جاء لأجله ! !

« ثالثا » اذا كان عبيد الله يتقدمون انفسهم للشهادة في سبيله بكل شجاعة وثبات واقدام فكيف يمكن ان يجبن ابن الله عن مساواتهم في ذلك حتى يتصبب عرقه من شدة الخوف من الموت . وليس في الموت الا انه يعود ثانية الى ابيه فلم كره ذلك يا ترى ؟ ولم هذا الحزن الشديد كما ذكر متى (٢٦ : ٣٧ و ٣٨) ؟

« رابعا » كيف يحتاج ابن الله الممتلئ من روح القدس الى ملاك من السماء ليقويه مع ان في ناسوته يوجد أقنومين الهيين (الابن وروح القدس يو ١ : ٣٢) وهما متحدان به فهل هذا الملك عندهم أقوى من الله ؟

« خامسا » هل من العدل عند النصارى ان ينقذ الله المذنبين (آدم وبنيه) ويصلب ابنه البرئ رغم ارادته وهو يستغيث به فلا يغيثه فأين عدله ورحمته ؟ واذا لم يكن عادلا رحيما بابنه فهل مثل هذا الاله يرحم عبيده ويعدل فيهم ؟ ولم هذا الحب الكثير من إلههم لسفك دم الابرياء من قديم الزمان ؟ راجع قصة يفتاح الممتلئ من روح الله الذي قتل ابنته الوحيدة البريئة قربانا لله وذكر الله قصته هذه في بعض كتبه ولم يزجر أباها ولم يعاقبه على ما فعل كأن قتلها كان مرضيا عنده تعالى (قضاة ١١ : ٢٩ - ٤٠) لان أباها أصعدها بعد قتلها محرقة له فلعله سر من رائحتها والنيران تأكل جثتها ! ! فلذلك ذكر هذه القصة ولم يذكر ماينفر منها ليقتدي الناس بيفتاح هذا ! ! (راجع أيضا مقالة القرابين والضحايا في كتابنا « دين الله »)

(٣) يقول انجيل يوحنا ١٩ : ٣١ (ثم اذ كان استعداد فلكي لا تبقى الاجساد على الصليب في السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيما ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ٣٢ فأتى العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر المصلوب معه ٣٣ وأما يسوع فلما جاءوا اليه لم يكسروا ساقيه لانهم رأوه قد مات ٣٤ لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء ٣٦ لان هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه ٣٧ وأيضا يقول كتاب

آخر سينظرون الى الذي طعنوه) فاذا كانت هذه القصة حقيقية ووقعت لتتميم نبوات قديمة فكيف لم يشر اليها الثلاثة الانجيليون الآخرون ؟ وليس هذا فقط بل ان عبارة مرقس (١٥ : ٤٢-٤٦) تنافي هذه القصة لان يوحنا (١٩ : ٣٨) يقول ان يوسف أتى إلى بيلاطس بعد ان أمر بكسر سيقان المصلوبين وبعد ان ماتوا فأذن له بأخذ الجثة فكيف اذاً تعجب بيلاطس (حسب رواية مرقس) من موت المسيح بسرعة حينما جاءه يوسف طالبا الجسد ؟ ولماذا سأل قائد المائة قائلا (هل له زمان قد مات ؟) (مر ١٥ : ٤٤) اذا كان حقيقة أصدر أمره بكسر سيقان المصلوبين ورفعهم كما قال يوحنا ؟ فهل بعد هذا الكسر يبقى موضع للعجب ؟ ولا يخفى ان المسيح صلب بين اللصين (يو ١٩ : ١٨) فكيف تخطاه العسكر وكسروا ساقي الاول والآخر ولم يكسروا ساقيه بل كسروا الثالث قبله ؟ فان قيل لانهم رأوه قد مات . قلت إذا كانوا متحققين من الموت فلماذا طعنه أحدهم بالحربة في جنبه ؟ وان لم يكونوا متحققين فما الذي أخرهم عن كسر ساقيه بعد صدور الامر لهم بذلك ؟ ولماذا ترددوا في إطاعة الامر حتى تخطوه الى الثالث وهل من شأن العسكر التردد والتوقف والبحث في مثل ذلك ؟ مع ان الامر صدر لهم صريحا بكسر سيقان الجميع والتعجيل بموتهم ورفعهم عن الصلبان اجابة لطلب اليهود من بيلاطس فما الذي أخرهم عن تنفيذ الامر في الحال ؟ ألا يدل ذلك على أن هذه القصة مصطنعة لتطبيق نبوات قديمة على المسيح كما هي عادة كتبة الاناجيل ؟ (راجع كتاب دين الله ص ٣٣-٣٦ و ١٠٢)

وكيف يفسرون خروج الدم منه بعد الموت من الوجهة الطبية وما هذا الماء الذي رآه يوحنا خارجا من جنبه كما يقول انجيله (١٩ : ٣٤ و ٣٥) ؟ !

(٤) ذهب بعض علماء الافرنج الى أن المصلوب لم يمت لان مدة الصلب كانت ست ساعات على الا كثر (راجع مرقس ١٥ : ٢٥ - ٣٧) وهي غير كافية للموت بالصلب فان المصلوب يموت عادة من يوم الى ثلاثة أيام ولذلك تعجب بيلاطس من هذه السرعة (مر ١٥ : ٤٤) وقال بسبب ذلك أوريجانوس وغيره من آباء الكنيسة القدماء أن موته كان من خوارق العادات وأيضا فانه

لم تسمر الا يديه فقط وربطت رجلاه ولذلك لم يذكر يوحنا الا أثر المسامير في يديه ولم يذكر رجليه (يو ٢٠ : ٢٠ و٢٥ و٢٧) ولم يُرهما المسيح لتلاميذه بحسب هذا الانجيل . وأما عبارة لوقا (٢٤ : ٣٩و٤٠) فانها تحتمل أن المراد بها أنه أراهم يديه ورجليه ليجسوهما ليعلموا أنه جسم حقيقي له لحم وعظم - كما قال - ليقنعهم أنه ليس روحا وانما أراهم يديه ورجليه دون سائر جسمه لانه يسهل كشفهما دون باقي الاعضاء الاخرى . على ان هذه القصة قد ردها علماء النقد المحققون (راجع كتاب دين الخوارق في الانكليزية صفحة ٨٣٧ و ٨٣٨)

هذا ولم يكن ربط رجلي المصلوب عند الرومانيين وغيرهم بأقل من تسميرهما ان لم نقل انه كان الغالب في الصلب . وفوق ذلك فان عظامه لم تكسر كما قال يوحنا (١٩ : ٣٦) وأما طعنه بالحربة فلم تذكرها الاناجيل الاخرى وقصتها مشكوك فيها كما بينا . واذا صحت فيجوز ان الحربة لم تنفذ الى داخل الجسم وتكون فقط قد قطعت الجلد والشحم وبعض العضلات على ان الفعل اليوناني المترجم في الانجيل بطعن (يو ١٩ : ٣٤) لا يفيد ان الجرح كان غائرا كما يقول علماء هذه اللغة . ثم ان هذه الحادثة تدل على الحياة اكثر من دلالتها على الموت فانه لو كان المصلوب ميتا لما سال منه دم فسيلان الدم منه هو احد الدلائل على انه كان حيا فبعد ان سال منه جزء من الدم بطل النزف كالمعتاد . والظاهر ان هذه القصة اخترعت قديما لاثبات الموت لجهلهم بعلم الطب اذ ذاك . فلهذه الاسباب كلها قال العلماء ان المصلوب لم يمت حقيقة وانما أغمي عليه اغماء شديدا كما حصل لبولس بعد ان رجم (أع ١٤ : ١٩ و٢٠) فلما أنزل عن الصليب ودُفِنَ بالكفن والكتان (مت ٢٧ : ٥٩) واستراح في القبر وانتعشت روحه بالاطياب الكثيرة التي وضعها له نيقوديموس (يو ١٩ : ٤٠) أمكنه ان يقوم ويخرج من القبر والذي أزال الحجر عن هذا القبر هي الزلزلة التي ذكرت سابقا او ان مسألة الحجر هذه مخترعة لان العادة كانت ان لا يوضع هذا الحجر الا بعد مضي ثلاثة ايام (راجع كتاب دين الخوارق ص ٨٣٢) فلما قام المصلوب ومشي قليلا سقط ميتا بسبب ما تحمله من العذاب وانهاك قواه والجوع والعطش مدة طويلة وآلام الجروح والتهابها أو تعفنها

وربما ساعد على ذلك وجود بعض امراض في احشائه لم تعلم أو أنه أصابه ذهول فألقى بنفسه من مكان عال أو زلت قدمه فهوى الى غير ذلك من الاسباب المحتملة المتنوعة التي تسبب الوفاة في مثل هذه الحالة ولم يعلم المكان الذي مات فيه فان القبر كان خارج مدينة أورشليم في بعض جبالها . و بسبب عدم وجود الجثة في القبر نشأت هذه القصص المختلفة عن القيامة

هذا شيء مما يقال في هذه المسألة وهو قليل من كثير مما يقوله علماء أوربا الآن في الدين المسيحي حتى انه ليخيل الانسان انه لا يمضي زمن طويل حتى تخرج اوربا كلها عن النصرانية وليس ذلك بعجيب عند من يعلم ان اكبر العلماء والمفكرين هناك قد خرجوا الآن فعلا عن هذا الدين ونبذوه وراءهم ظهريا والفوا المجلدات الضخمة في اثبات بطلانه وفساد عقائده كلها - كما يقولون - ولا أدري لماذا يفتخر المبشرون بأوربا وعلمها بين المسلمين مع أنه قل أن يوجد بين الافرنج عالم مستقل الفهم والعقل يعتقد بشيء من عقائد النصرانية، فالاولى بجماعة المبشرين بدل نشر دينهم خارج أوربا ان يحصنوه في داخلها ضد غارات هؤلاء العلماء المحققين والا لخرجت أوربا كلها عن المسيحية يوما ما وحينئذ لا يجديهم افتخارهم بها و بعلمها ومدنيتها نفعا

هذا واذا وجد في بعض كتابات مؤرخي الوثنيين الاقدمين ان المسيح صاب كما في تاريخ تاسيتوس (Tacitus) المؤلف نحو سنة ١١٧ ميلادية فلا يعتد بقوله لوجوه : --

(١) أن يكون تاسيتوس أخذ ذلك من الاشاعات الحاصلة في ذلك الوقت وجمهورها يؤيد ذلك كما قلنا ، ولو لاحظنا احتقار تاسيتوس للنصارى في ذلك الوقت لما استغربنا منه هذا القول الذي صدر منه بدون تحقيق ولا تمحيص لعدم عنايته بهم فهو كأقوال نصارى أوربا في القرون الوسطى في محمد (ص) ودينه فقد كانت كلها مبنية على الاشاعات الكاذبة والاختلاقات

ومما يدلك على صحة قولنا في تاسيتوس هذا وغيره من مؤرخي الوثنيين أنهم كانوا يأخذون بالاشاعات والاكاذيب المنتشرة حولهم ويحشرونها في تواريخهم

بدون تحر ولا بحث ، أنه دوّن في تاريخ اليهود خرافات عديدة مضحكة ظنها حقائق ثابتة كما قالت دائرة المعارف الانكليزية (مجلد ١٣ صفحة ٦٥٨) والحق يقال أن الرومانيين لم يهتموا بالمسيح أدنى اهتمام لانه لم يفه ببنت شفة يفهم منها أنه يريد الخروج عليهم وكانت كل أعماله قاصرة على اصلاح حال أمته دينيا وأدبيا ولم يتبعه الا بعض فقراء اليهود وأصاغرهم فلذلك لم يلتفت اليه أحد من غير اليهود فحادثة الصلب كانت من المسائل المحلية الداخلية لهم لم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج أورشليم ولذلك صدر امر بيلاطس فيها بدون استئذان رومية كما يفهم من جميع الاناجيل (١) والراجح عند العلماء ان بيلاطس لم يبلغها رسميا للامبراطور (طيباريوس) في رومية (راجع كتاب «شهود تاريخ يسوع» ص ٢٣) لانها كانت من المسائل الصغيرة القاصرة على اليهود وكانوا غير خاضعين لشرائع الرومان في مسائلهم الدينية . فغاية الامر ان عيسى وهو أحدهم حكم عليه مجمع السنهدريم اليهودي بالموت . وهو لم يكن رومانيا حتى تهتم به الرومان

(١) جاء في كتاب « حكايات من العهد الجديد » لمؤلفه (حولد) الانكليزي ص ١٢٦ (أن رؤساء مدينة أورشليم لو كانوا اهتموا بأمر المسيح اذ ذاك لارسلوه الى رومية أو لانفذوا فيه العقوبة وحده) اه فاذا كانوا عاملوه معاملة اللصوص وصلبوه بينهم فهل أبلغ بيلاطس أمر اللصين أيضاً الى رومية ؟ إن كان ذلك فأين مايؤيده من تواريخ الرومان القديمة التي ذكرت حادثة الصلب لتعيير النصارى وتحقيرهم كما يقولون ؟ فأي تحقير أبلغ من ذكر صلب الههم بين اللصوص اذا كانوا سمعوا به ؟ وان لم يكن بيلاطس بلغ خبر اللصين الى رومية فلماذا اذاً أبلغ خبر المسيح اليها مع أنه باجماع المؤرخين لم ينظر اليه بأكثر مما ينظر به الى آحاد اليهود وضعفائهم اذ لم يأت المسيح بأقل شيء يمس الرومان ودولتهم مطلقاً !!

فان قيل اذا كانت معجزات المسيح التي ذكرها القرآن حقيقيـة فلماذا لم يذكرها مؤرخو اليهود والرومان فيما ثبت أنهم كتبوه من التاريخ ؟ قلت لان جل هذه المعجزات وأعظمها كان يعملها عليه السلام بعيداً عن أورشليم في بعض القرى الصغيرة أو الخلوات بين تلاميذه وبعض عامة اليهود وما كان يجيب أحداً منهم عن طلبه حينما يقترحون عليه عمل المعجزات (راجع مثلا يو ٢ : ١٨ — ٢٠ و ٦ : ٣٠ — ٤٠ ومر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ٢٢ : ٦٤ وغـير ذلك) فلم ير الرؤساء من اليهود والرومان آياته وانمـا كانوا يسمعون عنها من عامتهم حتى أن أكبر معجزاته وهي احياء لعازر بعد دفنه بأربعة أيام لم يروها بأنفسهم وانما سمعوا عنها ممن آمن به لأجلها من عامة اليهود (يو ١١ : ٤٥ — ٤٧) وكذلك هـيرودس كان يسمع عن آياته وما رأى شيئاً منها بنفسه حتى لم يجبه المسيح عما طلب منه (لو ٢٣ : ٨ و ٩) وما راء كمن سمع ولو كان مؤمناً فما بالك اذا كان السامع كافراً به فيذهب في تأويل ما سمع مذاهب شتى ولا يصدق =

وكان لا بد لهذا المجمع ان يحصل على تصديق الحاكم الروماني في بلادهم لكي يقدر على تنفيذ ما حكم به رسميا ، نعم وكان الرومان على الحياد بالنسبة لمسائل اليهود الدينية الداخلية الا أنه كان لا بد من تصديقهم على مثل هذه العقوبات التي يريد اليهود تنفيذها في شؤونهم الدينية . شأن الامم الغالبة مع الامم المغلوبة كما هو مشاهد في هذا العصر . (راجع كتاب رينان في حياة المسيح ص ١٣٤) فلم يكن ثم باعث لاهتمام الرومانيين بهذه المسألة حتى لو بلغ الحكومة خبرها رسميا بعد وقوعها ولذلك كان مؤرخوهم يجهلون تاريخ المسيح ولم يذكره الا قليل منهم عرضا في كتبهم والغالب ان اهل رومة لم يسمعوا به الا بعد ان دخلت النصرانية ايطاليا وكانوا يحتقرون النصارى احتقارا شديدا ولا يهتمون بهم ولا يعرفون الفرق بينهم و بين اليهود ولا شيئا من اخبارهم الصحيحة ولذلك يقول تاسيتوس إن لليهود والنصارى إلها رأسه رأس حمار ، ويقول سويتونيوس المؤرخ الروماني « Suetonius » في أوائل القرن الثاني « ان اليهود (يريد النصارى) طردهم كلوديوس من رومة لانهم كانوا يحدثون شغبا وقلاقل فيها يحرضهم عليها دائما « السامي او الحسن » (Chrestus) يريد « المسيح » » اه وكان يظن ايضا ان المسيح عليه السلام كان مقيما في رومية في ذلك الزمن (١) فاذا كان هؤلاء

= وهؤلاء المؤرخون كانوا من خواص اليهود والرومان ولم يروا شيئاً بانفسهم فما كانوا يصدقون مايسمعون ، ولا ينتظر منهم أن يدونوا في تواريخهم مالا يعتقدون

أما معجزة خلق (أي تقدير وترتيب) قطعة من الطين كهيئة الطير وصيرورتها طيرا باذن الله والكلام في المهد فوقعتا في صغره وفي مدينة الناصرة وهي قرية في الجليل صغيرة حقيرة عند اليهود ولم يكن فيها أحد من كبار الرجال أو مشاهير الكتاب فلذلك لم يروهما أحد غير بعض أتباعه الجليليين فذكرتا في انجيل توما وانجيل الطفولية وغيرهما من الاناجيل غير القانونية عند النصارى الآن ونسيها الآخرون منهم لبعد زمنها ولوقوعها قبل ان يشتهر أمر عيسى بين الناس

وأما قصة تفتح القبور وقيام كثير من أجساد الراقدين ودخولهم مدينة أورشليم وظهورهم للناس كما قال متى (٢٧ : ٥١ — ٥٤) فنما أنكرناها لانهم ادعوا أنها وقعت في أعظم مدن اليهود حيث يوجد كبار الرجال منهم ومن الرومان ومع ذلك لم يروها أحد غير متى ولم يروها انجيل آخر مما كتبه نفس أتباع المسيح مع القول بأنها وقعت بعد أن ذاع صيته وكان له أتباع كثيرون

(١) لاحظ الوجه الثاني الآتي

المؤرخون الى أوائل القرن الثاني لم يعلموا إن كان المسيح وجد في رومية أو لم يوجد ولا حقيقة عقيدة اهل الكتاب في « الله » فكيف يعول النصارى على شهادتهم ؟

فقيمة هذه التواريخ الوثنية عن مؤسس النصرانية عليه السلام هي كقيمة كتابات بعض مؤلفي الافرنج في القرون الوسطى الذين كانوا يكتبون عن المسلمين انهم يعبدون « ماهوم » أو غير ذلك من الاسماء وأن له صنما عندهم من ذهب في مكة او في أورشليم . ومنهم من زعم انه رأى هذا الصنم بعينيه الخ ما نشر من خرافاتهم وهذياناتهم فكذلك كانت كتابة الوثنيين عن المسيح والمسيحيين . فهي لا قيمة لها ولا يجوز ان يعتبر شيء منها تاريخا صحيحا فانها كلها مبنية على الاشاعات والاختلاقات والاوهام والا كاذيب بدون ان يكلفوا انفسهم اقل عناء في معرفة الحقيقة . ولم يكن للنصارى اذ ذاك شأن عندهم حتى يلتفتوا للبحث في تاريخهم ولذلك جهلوا حتى اسمهم واسم رئيسهم « يسوع » (١) عليه السلام فاذا قالوا انه صلب او عبده جميع النصارى من دون الله او غير ذلك فهي اقوال لا يهتم بها احد من المسلمين فانها صادرة عن قوم لا يفهمون من امر النصارى شيئا وربما قاسوا بعض معتقداتهم على معتقدات أنفسهم ونظروا اليها بهذا المنظار وفهموها خطأ فظنوا أنها إما خرافات وخزعبلات كما قالوا في كتبهم عنها أو انها تحوير لعبادتهم للآلهة الرومانية قام به المتنصرون منهم أي انهم ألهوا رئيسهم وعبدوه بدل تلك الآلهة الرومانية (٢) . وما كانوا ليفهموا من النصرانية أكثر من هذا أو نحوه كما كان يظن الاوروبيون أن المسلمين يعبدون محمدا عليه السلام وجهلوا اسمه كما جهل الرومان اسم (يسوع) وجعلوا لنا ثلاثة آلهة أو (ثالوثا) قياسا على ثالوثهم (٣)

---

(١) حاشية اذا سلم أن بيلاطس أرسل عن صلب المسيح تقريرا الى رومة اطلع عليه تاسيتوس كما يدعون فلا يعقل أن بيلاطس لا يذكر في هذا التقرير اسمه (يسوع) فكيف اذاً جهل تاسيتوس وغيره هذا الاسم كأنه ماسمع به ألم يره في هذا التقرير المزعوم ! !

(٢) لما دخل الرومان وغيرهم في المسيحية جعلوا يوم الاحد (وهو يوم عبادة الشمس أعظم آلهتهم) العيد الاسبوعي لهم بدل (سبت) التوراة وجعلوا يوم ٢٥ ديسمبر (وهو يوم ميلاد الشمس أيضا) يوم الميلاد للمسيح عليه السلام فحملوا بذلك وبغيره وثنيتهم الى النصرانية (راجع تاريخ جولد مجلد ١ ص ٥٤)

(٣) راجع كتاب الاسلام تعريب فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية بمصر

والخلاصة أن أمثال هذه التواريخ المبنية على مثل هذه الاوهام والجهل لا تفيد النصارى شيئاً وهي لا قيمة لها بالمرة فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين هـذا اذا كانت خالية من التحريف فكيف وما خلت منه كما في الوجه الآتي

(٢) إن هذه العبارة المذكورة في تاريخ تاسيتوس قال فيها كبار العلماء من المحققين في أوربا إنها إما أن تكون مدسوسة عليه أو محرفة بالزيادة . (راجع كتاب « شهود تاريخ يسوع ص ٢٠-٥٠ » وكتاب « ملخص تاريخ الدين » لمؤلفه جولد (Gould) ص ٢٢ مجلد ٣) وقد بين هؤلاء العلماء دلائلهم على صحة دعواهم هذه ولكن يطول بنا إيرادها في مثل هذه المقالة . والحق أن المؤلفات التي وصلتنا من طريق النصارى لا يوثق بها لكثرة تعودهم على تحريف جميع ما نقلوه من الكتب التي وصلت الى أيديهم سواء كانت دينية أو تاريخية أو غير ذلك كما يعترف بذلك علماء النقد منهم الآن فكم من عبارة أظهروا تحريفها أو دسها . وكم من كتب أظهروا وضعها واختلاقها ونسبتها إلى غير كاتبيها حتى لم يسلم من عملهم هذا الكتب التي توجد عند غيرهم من الامم كتاريخ يوسيفوس الموجود عند اليهود أيضا وقد بينا ذلك في كتاب دين الله (صفحة ٧٩ و ٨٠ منه) فمنذ القرن الرابع حينما صارت دولة الرومان اليهم تصرفوا في كتبهم وفيما وصلهم من كتب غيرهم بما شاءوا وشاءت أهواؤهم ولم يخشوا حسيبا ولا رقيبا

وقد بين العلامة اندريس (Andreser) أن أصل عبارة تاسيتوس هذه في أقدم النسخ المخطوطة باليد مغاير الموجود في النسخ المتأخرة في كلمة (Chrestianos) التي حرفوها الى (Christianos) والفرق بين الكلمتين عظيم فان الاول بمعنى (الطيبين) والثانية بمعنى « المسيحيين » وكانت الكلمة الاولى (Chrestianos) تطلق على عبّاد الآله المصري (Chrestus) المسمى أيضا أوزيريس (Osiris) وكان عبّاده في رومية إذ ذاك كثيرين من عامة الرومان ومن مهاجري المصريين وهم الذين كان يمقتهم الرومانيون الآخرون واضطهدوهم كثيرا لأسباب دينية وسياسية ولشدة كرههم لأولئك المصريين واحتقارهم لهم لم يمكنهم أن يميزوا بينهم وبين اليهود المصريين المهاجرين اليهم من الاسكندرية وغيرهم واعتبروهم كلهم سواء

في الجنس والدين فلما احترقت رومية نسبوا الحريق اليهم فحل بهم ماحل من اضطهاد نيرون قيصر الرومان (Nero) كما فصله تاسيتوس في تاريخه فالظاهر أن بعض النصارى ظن أن تاسيتوس يريد بقوله (Chrestianos) المسيحين أي (Christianos) فأضاف إلى تاريخه هذه العبارة للتفسير « ان هذا الاسم (أي (Chrestianos) منسوب الى اسم المسيح (Christ) الذي صلب بأمر الوالي بيلاطس في عهد الامبراطور طيباريوس (Tiberius) » مع أنه نسبة الى (Chrestus) إله المصريين ولما لاحظ النصارى هذا الخطأ حرفوا اللفظ الوارد في كتابة تاسيتوس من (Chrestianos) الى (Christianos) لتصح النسبة الى المسيح (Christ) ولذلك اختلفت النسخ الحديثة عن النسخ القديمة في هذا اللفظ كما حققه أندريس على ماسبق وعليه فتاسيتوس لم يذكر المسيح في كتابه مطلقا . و (Chrestus) المذكور هنا هو اسم آخر لأوزيريس كما تقدم وكان يطلق أيضا على رئيس كهنة هذا المعبود بل وعلى بعض موالي الرومانيين وهذا يفهمنا المعنى الحقيقي لقول سويتونيوس (Suetonius) السابق « إن اليهود طردهم كلوديوس (Claudius) من رومية بسبب ما يحدثونه من الفتن بتحريض الحسن أو السامي (Chrestus) » وهو على هذا أحد رؤساء الكهنة أو شخص آخر سمي بهذا الاسم . وهو تفسير معقول ولولاه لكان سويتونيوس لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى ويزعم أن المسيح وجد في رومية وهو خطأ يبعد جداً أن يقع فيه مؤرخ مثله . فالحق أنه لم يذكر عيسى عليه السلام كما لم يذكره تاسيتوس على ما بينا ولولا تحريف النصارى لكتبهما لفظا ومعنى لما فهم منهما غير ما قررناه ولما توهم أحد وقوع سويتونيوس في هذا الخطأ الفظيع والجهل الفاضح الذي ينسبونه اليه . ولما انتشرت المسيحية في رومة بقى الرومان مدة لا يفرقون بين كلمة (Chrestians) و (Christians) وكلمة (Chrestus) و (Christus) وظنوا أن المسيح هو معبود المصريين (Osiris) القديم . فحصل بسبب ذلك هذا الخلط والخبط حتى توهم أيضا يوستينوس (Justin) الشهيد النصراني الشهير المتوفى في القرن الثاني أن هناك علاقة بين اسم المسيحيين (Christians)

وكلمة (Chreston) أي حسن أو طيب كما في كتاب جوالد المذكور (ص ١٩ من المجلد ٣)

(٣) اذا سلم أن تاسيتوس أخذ خبر الصلب من مصدر رسمي في رومية كما يدعون فنحن لانقول ان بيلاطس ورؤساء اليهود كانوا يعرفون الحقيقة بل نقول انهم كانوا مخدوعين بل ربما كان العسكر الذين قبضوا على يهوذا بعد فرار المسيح أيضا مخدوعين إذ يجوز انهم أخذوه الى السجن لا لمجرد تخليص أنفسهم من العقاب باتهامهم أي شخص كان بل لاعتقادهم أنه هو عيسى وساعدهم على هذا الظن شدة شبه يهوذا به وجهلهم بطرق تحقيق الشخصية « وهو العلم الذي توسع فيه الآن » وكذا عدم شدة مقاومة يهوذا لهم لتصميمه على قتل نفسه من قبل القبض عليه كما بينا فاذا قال لهم مرة أو مرتين حينما قبضوا عليه انه ليس هو عيسى ظنوا أنه كاذب وانه يريد الفرار منهم مرة أخرى فلم يلتفتوا الى قوله

ومما ساعد على جهل الناس حقيقة المصلوب حتى انخدعوا أن هيرودس غير ملابس المسيح وألبسه لباسا أبيض لامعا استهزاء به (لو ٢٣ : ١٠) ورده الى بيلاطس فوضع بيلاطس أيضا اكليلاً من شوك فوق رأسه وألبسه ثوب أرجوان وخرج به هكذا وحاكمه أمام اليهود (يو ١٩ : ٢ — ١٦) ولما حكم عليه بالصلب أخذه العسكر الى داخل دار الولاية وألبسوه رداء قرمزيا ووضعوا اكليلاً من شوك على رأسه (مت ٢٧ : ٢٨ و ٢٩) وكل هذه المظاهر المختلفة تغير هيئته امام من رآه خصوصا من لم يعرفوه معرفة جيدة وتساعد على الوقوع في الخطا . وفي وقت الصلب جردوا المصلوب عن ثيابه كلها وبقي عريانا ولا يخفى أن من لم يتعود رؤية شخص وهو عريان لا يسهل عليه معرفته بعد تجريده من ملابسه « أنظر مر ١٥ : ٢٤ — ٢٧ ومتى ٢٧ : ٣٥ و ٣٦ »

وكيف يعجبون من قولنا ان النساء اللاتي كن واقفات بعيداً عنه وقت الصلب لم تعرف الحقيقة ولا اللذين دفناه وهما ما كانا يعرفانه حق المعرفة كما بينا — كيف يعجبون من ذلك ولا يعجبون من أن مريم المجدلية التي كانت تعرفه حق المعرفة ومختلطة به أتم الاختلاط لم تعرفه وقت القيامة مع انها كانت واقفة بالقرب منه

وكان يكلمها « يو ٢٠ : ١٥ » وكذلك بعض التلاميذ الآخرين ماعرفوه مع انه كان يمشي معهم ويحادثهم ويأكل معهم « لو ٢٤ : ١٣–٣٤ » وكان الشك فيه ملازما لهم كلما رأوه « مت ٢٨ : ١٧ ولو ٢٤ : ٣٧–٤٢ ويو ٢٠ : ٢٧ » ولماذا تغير شكله وما هو السبب في ذلك ؟ ولماذا لم يبق على صورته الاصلية حتى يقنع تلاميذه بدل الشك فيه مرارًا !! اما يكفي انه لم يره احد غير تلاميذه فهل بعد ذلك يشككهم مرارًا في نفسه بسبب تغير هيئته « مر ١٦ : ١٢ » ثم يحاول اقناعهم بصعوبة زائدة حتى بقي بعضهم شاكا في الجليل بعد ان رأوه في أورشليم . أنظر متى « ٢٨ : ١٧ »

ولا تنس أن القبض على المسيح ومحاكمته أمام مجمع اليهود ورؤسائهم كانا ليلاً ولا يخفى على أحد مبلغ طرق الاضاءة في تلك البلاد وتلك الازمنة وكان ذلك أكبر وقت قضاه المسيح أمام اولئك الرؤساء . أما محاكمته في النهار فكان وقتها قليلا جدا وكان يختلي به بيلاطس فيها مرات (أنظر يوحنا ١٨ : ٣٣ – ١٩ : ١٦) فضاع بذلك اكثر هذا الوقت القصير أيضا وكان المسيح — كلما خرج أمام اليهود في وقت هذه المحاكمة — لابسا ملابس السخرية والاستهزاء (يو ١٩ : ٥) كما بينا وهي طبعا غير ملابسه العادية ولا بد أنها تغير شكله . وعليه فكل هذه الظروف تساعد على وقوع الخطأ والاشتباه

ومما يؤيد قولنا بهروب المسيح من السجن ويقرب ذلك من عقول النصارى ماجاء في انجيل يوحنا وهو يدل على قدرته على الاختفاء والافلات من أيدي الناس بطرق عجيبة جدا خارقة للعادة قال ٨ : ٥٩ (فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا) أي بدون أن يروه وقال ١٠ : ٣٩ (فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم) فلم لايجوز أن يكون خرج من أيدي الحراس كما كان يخرج من أيدي اليهود على ماقال الانجيل ولم يره أحد ؟ (راجع أيضا لوقا ٤ : ٢٩ و ٣٠)

ومن الجائز أنهم لما لم يجدوه وخرج من أيديهم واختفى بهذه الكيفية التي ذكرتها الاناجيل وتحققوا من عدم وجوده بالمدينة خاف الحراس من العقاب

وارتبكوا وخاف اليهود أن يؤمن به كثير من الناس فأخذوا عمداً واحداً غيره من المسجونين يشبهه أو لا يشبهه باتفاقهم مع العسكر و ربما رشوهم بمال كثير حتى لا يبوحوا لاحد بالسر مطلقا (أنظر مت ٢٨ : ١٢) وصلبوا هـذا الرجل خارج المدينة وأفهموا الناس أنهم صلبوا المسيح وكان المسيح في ذلك الوقت قد ذهب الى الجليـل أو غيره هربا منهم وخوفا (أنظر يو ٧) ومن هناك رفع الى السماء فلم يعثر عليه أحد كما رفع أخنوخ (تك ٥ : ٢٤) وايليا (٢ مل ٢ : ١١ و١٧)وقد منع اليهود الناس من الاقتراب من المصلوب لئلا يعرفوا الحقيقة. وأيضا كان من رأيهم أن هلاك واحد عن الشعب خير من هلاك الامة كلها على حسب زعمهم (يو ١١: ٥٠) فلا يبعد أن واحدا من رؤساء الكهنة قدم نفسه لذلك العمل كما يفعل بعض الناس للآن في زمن الحروب وغيرها . ويحتمل أيضا ان هذا الذي أخذوه كان أحد المحكوم عليهم بالاعـدام كباراباس (لو ٢٣ : ١٩) الذي قال علماؤهم انه كان يسمى (يسوع) أيضا في أقدم تراجم المسيح فحذف النصارى هذا الاسم منها (راجع دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ صفحة ٦٥٦) . ونظراً لان هذا الرجل كان محكوما عليه بالاعدام على ما يظهر وكان اسمه يسوع فلما صلبوه ظن أنه صلب لاجل ما حدث منه من القتل والفتنة وكلما نادوه باسمه لم يخطر على باله أنهم أقاموه مقام يسوع المسيح الذي ظنه الناس أنه هو المصلوب وبذلك تحقق قول المسيح لليهود (يو ٧ : ٣٣) (أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي الى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا) واستجاب الله دعاءه برفع كأس الموت عنه (مر ١٤ : ٣٥ — ٤٢) والا فكيف يعقل ان الله يرد دعاء مثله ؟ راجع ايضا يوحنا ١٦ : ٣٢ و٣٣

وعلى هـذا الوجه يكون الذين كتبوا الاناجيل انما لم يعرفوا حقيقة المسألة فكتبوها كما شاع في ذلك الوقت واشتهر عند اكثر الناس

وبعـد الصلب جاء يوسف ونيقوديموس وهما يهوديان من اعضاء مجلس السنهدريم واخذا الجثة بأمر رؤساء الكهنة واخفياها عن اعين اتباع المسيح خوفا من ان يعرفوا الحقيقة فتظاهرا بأنهما من اتباع المسيح في السر (يو ١٩ : ٣٨

و ٣٩) ليمنعاهم من دفنه بأنفسهم واخذا الجثة و وضعاها اولا في قبر ولما ذهب كل من كان واقفا من الناس نقلاها الى موضع آخر لم يعلمه احد

ولما شاعت إشاعة القيامة واعتقدها بعض الناس كانت اولا قاصرة على التلاميذ كما سبق ولم يجاهروا بها امام اليهود خوفا منهم (يو ٢٠ : ١٩ و ٢٦) و بعد نحو خمسين يوما كما في سفر الاعمال (٢ : ١ و ١٤) بدءوا يخبرون اليهود باعتقادهم هذا . ولكن في ذلك الوقت كانت جثة المصلوب قد تغيرت جميع معالمها بسبب التعفن الرمي ولا يمكن لليهود ان يحضروها بعد اخفائهم لها واذا احضروها فلا يقتنع بها احد ولا يمكن ان يعرفها فكان من العبث ان يحاول احداقناعهم بذلك(١) . ولذلك سكت رؤساء اليهود عن مثل هذه الحجة التي تظهرهم بمظهر العاجز المتحير وظنوا ان احسن طريقة لاسكات النصارى هي استعمال القوة والاضطهاد لا بمثل هذه المناقشة التي لاطائل تحتها . وربما اشاع بعض عامة اليهود في ذلك الوقت فكرة سرقة تلاميذ المسيح الجثة من القبر لانهم لم يعرفوا الحقيقة . ولا يبعد ان بيلاطس نفسه دخلت عليه الغفلة من رؤساء الكهنة والعسكر ولم يعرف هو ايضا الحقيقة فانه كان يحب المسيح كثيرا هو وامرأته (متى ٢٧ : ١٩ و ٢٤) فكان هؤلاء الرؤساء يخافون ان يؤمن به وخصوصا اذا تحقق ان المسيح افلت من ايديهم واجتاز في وسطهم بدون ان يروه كما يقول الانجيل بعد ان كان بيلاطس يسعى في خلاصه منهم بنفسه فلم يقدر (مت ٢٧ : ١٧ — ٢٥)

ولنا أن نسترسل في هذا الوجه ونقول كما قال متى ان المسيح بعد ذلك عاد الى بعض تلاميذه لما ذهبوا الى الجليل وأخبرهم بحقيقة المسألة فبعضهم صدق كلامه وأنه هو و بقي البعض الآخر شاكا (مت ٢٨ : ١٧) متمسكا بما ذهب اليه أولا من حصول الصلب له والقيامة من القبر . أما الذين صدقوا فمن شدة حيرتهم

(١) حاشية : هذا اذا سلمنا صحة ماجاء في سفر الاعمال . ولكن الاظهر عندنا أن النصارى لم تجاهر بدعوى القيامة أمام المخالفين لهم ولم يدعوهم اليها علانية الا في القرن الثاني للمسيح ولذلك لم يرد في تاريخ من التواريخ القديمة لليهود أو الرومان أو غيرهم أن النصارى كانت تقول بتلك العقيدة أو تدعو الناس اليها جهرا في تلك الازمنة الاولى فكيف لم تذكر التواريخ ذلك ولو على سبيل الاستهزاء والسخرية وقد كان عدد المسيحيين اذ ذاك في العالم مما يستحق الذكر كما يقولون ؟ !

ودهشتهم لم يفهموا منه جميع تفاصيل القصة كما لم يفهموا كلامه في أثناء حياته عن موته وقيامته على ماسبق بيانه مع أنهم لم يكونوا إذ ذاك في حالة من الحيرة والدهشة كهذه ولذلك فاتهم بعض أشياء من هذه القصة فاختلفوا في تصويرها للناس ومن ذلك نشأت فرق النصارى القديمة التي أنكرت الصلب وقالت ان المصلوب واحد آخر غير المسيح لم يتفقوا على تعيينه وقال بعضهم انه سمعان القيرواني الذي تقول الاناجيل انه حمل الصليب (مت ٢٧ : ٣٢) وذلك مثل طائفة الباسيليديين « Basilidians » كما ذكره جورج سيل الانكليزي في ترجمته للقرآن الشريف في سورة آل عمران صفحة ٣٨

فان قيل ولماذا لم يظهر المسيح نفسه لليهود حينئذ و يكذبهم في قولهم بصلبه ؟ قلت لعله خاف منهم (يو ٧ : ١ و١٠ و١١ : ٥٤ و١٢ : ٣٦) على أن هذا السؤال وارد على النصارى بالاولى بأن يقال لماذا لم يظهر نفسه كما وعد للمنكرين له بعد قيامته حتى يؤمنوا به وحتى لا يشك فيه نفس تلاميذه ؟ فما يقولونه في الجواب عن ذلك هو عين جوابنا نحن أيضا

هذا واذا لم يثبت أن المسيح عاد للتلاميذ وأخبرهم بالحقيقة فلا غرابة في ذلك لانه كان قد لمح لهم بها من قبل حادثة الصلب فقال لهم (يو ١٦ : ٣٢ هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوني وحدي وأنا لست وحدي لان الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وقال أيضا (يو ١٣ : ٣٣ ستطلبونني وكما قلت لليهود (ص ٧ : ٣٤) حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا أقول لكم انتم الآن) ولكن الناس قد نسوا ذلك أو شكوا فيه او لم يفهموه كما لم يفهموا كثيرًا من كلامه الآخر (يو ٢١ : ٢٢ و٢٣ و٢ : ١٩ - ٢٢ ولو ١٨ : ٣٤) الخ وكيف يتفق قوله (ان الاب معي) مع قول المصلوب (مت ٢٧ : ٤٦ إلهي الهي لماذا تركتني ؟) فالحق ان الله ما تركه بل رفعه اليه ونجاه من ايدي اليهود (راجع ايضا كتابنا دين الله ص ١٠٠ - ١٠٣) وربما انه بعد

فراره منهم ذهب الى الهند كما كان يهرب من أورشليم مرارًا خوفا من اليهود (أنظر مثلا يو ١٠ : ٣٩ - ٤٢ و١١ : ٥٣ - ٥٧) وقد بين ذلك الاستاذ صاحب المنار في تفسيره واستدل على ذلك بروايات الهنود وبوجود قبر لشخص جاءهم منذ التاريخ المسيحي واسمه (يوز اسف) وهو يقرب من اسم المسيح (يسوع) تعريب (ييزس) « Iesous » اليوناني ومنه ييسس الانكليزي « Jesus » الخ ويقال هناك ان اسمه الاصلي (عيسى صاحب)

وعليه يكون المسيح مات هناك بعد ان عاش مدة قليلة في راحة وهناء ودفن ولم يرفع بجسمه الى السماء حيا كما يقول كثير من المسلمين والنصارى الآن ويكون المراد بالرفع في القرآن الرفع المعنوي أو الروحاني . وربما انه هناك لم يؤمن به أحد أو آمن به قليلون انقرضوا أو اندمجوا في باقي اهل الهند وتلاشت عقائدهم في عقائد أولئك . ومما يؤيد القول بعدم ايمان أحد به انه لم يرسل إلا إلى بني اسرائيل ولم يدع احدا الى دينه سواهم (مت ١٠ : ٥ و٦ و١٥ : ٢٤) والى هذه الهجرة الهندية قد اشار القرآن الشريف كما قال الاستاذ السيد صاحب المنار بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) فأمه هاجرت معه ولذلك لم يقف النصارى على شيء يعتد به من تاريخها بعد حادثة الصلب باليقين

ومما يزيدك وقوفا على اضطراب الاناجيل وخطأها في هذه المسألة وغيرها اكثر مما تقدم ان انجيل يوحنا (وهو متأخر عنها فلذا نمت فيها العقائد اكثر) يقول ان يحيى بن زكريا كان يعتقد ان عيسى هو حمل الله الذي يرفع الخطية عن العالم (يو ١ : ٢٩ - ٣٥) مع ان الاناجيل الاخرى قالت انه وهو في السجن في آخر حياته لما سمع من تلاميذه عن اعمال المسيح ارسل اليه اثنين منهم يسألانه (هل هو المسيح المنتظر أم ينتظر غيره ؟) (راجع لوقا ٧: ١٨-٢٣ ومتى ١١ : ٢ - ٦) ولا ادري كيف يتفق هذا مع اختراعات انجيل يوحنا فانظر وتعجب !! ومن خطأ الاناجيل قول متى (٢٣ : ٢٣) ان الكتبة والفريسيين كانوا يدفعون العشر عن النعنع والشبث والكمون مع أن مثل هذه الاشياء ما كان يدفع عنها شيء (راجع كتاب شهود تاريخ يسوع ص ٢٣٨) وقال هذا الانجيل أيضا عن المسيح

إنه قال إن اليهود قتلوا زكريا بن برخيا بين الهيكل والمذبح (مت ٢٣ : ٣٥) مع أن الذي قتلوه هو زكريا بن يهوياداع كما في سفر أخبار الايام الثاني (٢٤ : ٢٠ و٢١) وأما ابن برخيا (أو باروخ) فهذا قتل بعد المسيح حينما حاصر الرومانيون أورشليم كما ذكره يوسيفوس في كتابه (تاريخ حرب اليهود) وهذا مما يدل على خبط الاناجيل وخلطها في حوادث تاريخ المسيح فكيف يطمئن الانسان الى روايتها أو يثق بشيء منها مع امتلائها بالغلط والتناقض الذي بيناه مرارا . وسنكتب ان شاء الله قريبا شيئا عن تاريخ هذه الاناجيل وعن بولس مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي

فان قيل : الا ترى ان وقوع الصلب بهذه الكيفية التي شرحتها يشكك الناس في صدق عيسى أنه هو المسيح المنتظر فانهم كانوا يتوهمون انه يرد الملك الى اسرائيل (أع ١ :٦) ؟ قلت: اذا كان الاعتقاد بصلبه لم يشككهم جميعا في ألوهيته فكيف إذًا يشككهم في صحة مسيحيته ؟ وأي ضرر إذا شككهم في أوهامهم التي كانوا بالغوا فيها بشأن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ وهل نسيت أن باب التأويل عند الناس في مثل هذه المسائل واسع فانهم يرجعون الى أوهامهم فيحورونها والى نبواتهم فيأولونها ؟ ولذلك تراهم أولوا صلبه بأن ذلك انما فعله بارادته رغبة منه في خلاص البشر مع أن المسيح كان يلح في طلب النجاة من الله (متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٤ ولو ٢٢ : ٤١-٤٥) وقالت أناجيلهم انه قال (إلهي إلهي لماذا تركتني) وهو يدل على اليأس والقنوط من استجابة دعائه (راجع أيضا مزمور ٢٢ خصوصا عدد ١٤ و١٥ منه) . وأولوا فقدان جثة المصلوب بأنه قام من الموت !! وأولوا ملك المسيح الذي كانوا ينتظرونه بأنه سيأتي قريبا (رؤ٢٢ : ٧ و١٠ و١٢ و٢٠ ومت ١٦ : ٢٧ و٢٨ و١٠ : ٢٣ ورؤيا ٣ : ١١ ويع ٥ : ٨ و١ بط ٤ : ٧ و١ يو ٢ :١٨ و١ تسا ٤ :١٥-١٧ و١ كو ١٠ :١١ و١٥ :٥١ و٥٢ الخ) ويرد الملك لهم ويحكم في الارض الف سنة كما في سفر الرؤيا (٢٠ : ٤ و٧) وأن يوحنا لا يموت حتى يجيء المسيح (يو ٢١ : ٢٢) فلما مات يوحنا ومضت القرون ولم يجئ رجعوا الى عبارته في يوحنا فوجدوها لا تفيد ما توهموه وأولوا جميع عباراته

المزعومة وعبارات غيره الدالة على قرب مجيئه (حتى ما في متى ٢٤: ٣ و٢٩ - ٤١) وقالوا ان ملكوته روحاني لا دنيوي الخ الخ.

وقد بين علماء الافرنج في كثير من كتبهم أن اليهود لكثرة اختلاطهم بالامم الوثنية وتسلطها عليهم ورؤية اليهود مالهم من عز ومجد ومدنية ولطول زمن خضوعهم لهم يئس كثير من خواصهم من أن يكون مسيحهم المنتظر سلطانا دنيويا مخلصا لهم من تسلط هؤلاء الامم الاجنبية القوية وتأثروا بما عندهم فاقتبسوا بعض أفكارهم الوثنية في آلهتهم التي قالوا انها نزلت بارادتها الى الارض لخلاص البشر بالخضوع للموت والصلب وطبقوا هم أيضا هذه الافكار على مسيحهم فقالوا انه سيكون شخصا إلهيا أو ابن الله تعالى وسيرسله لتخليص الناس بالموت والصلب طائعا مختارا (!!) كما قال الوثنيون في آلهتهم فان ميل اليهود للوثنية متأصل فيهم من قديم الزمان ولذلك كثيرا ما عبدوا آلهة الامم وكفروا مرارا بربهم وكانت نساء أورشليم يبكين على «تموز» إله البابليين الذي قتل لاجل خلاص البشر ثم قام من الموت أيضا (حز ٨: ١٤). وهذا هو سبب ورود بعض ما يشبه هذه الافكار الوثنية في بعض كتب العهد القديم كما في أشعياء (٥٣) وميخا (٥: ٢ - ٩) فلما جاء عيسى اخترع له مؤلفو العهد الجديد بعد زمنه من الحوادث والصفات والاقوال ما يجعلهم قادرين على تطبيق أوهام اليهود القديمة عليه (راجع مثلا ع ٨: ٢٦-٤٠) هذا اذا صح أن ما في تلك الكتب هو حقيقة اشارة الى المسيح وصلبه وقِدَمه كما يزعمون على أن أكثر اليهود كان يرى فيها خلاف ذلك ويعتقد أن المسيح لا بد أن يكون ظافرًا منصورًا لا مغلوباً مقهورًا كما هو صريح أكثر النبوات الواردة في شأنه في العهد القديم (راجع مثلا ميخا أصحاح ٥ وزكريا ٩: ٩ - ١٧ وملاخي ٣: ١ - ٦ و ٤: ٥ وأشعيا ١١: ١-١٦ وايضا اصحاح ٤٢ منه إذا صح زعمهم انه في المسيح هو وما في حجى ٢: ٦ - ٩) ولذلك كانوا يعدون الصلب اكبر عثرة في سبيل ايمانهم به كما قال بولس (١ كو ١: ٢٣) ولكن الآخرين منهم اعتقدوا فيه كما اعتقد بولس وكان توهمهم صلبه مما يؤيد اعتقادهم انه هو المسيح المنتظر لا يزعزعه فلذا كان وقوع حادثة الصلب بالكيفية التي شرحناها اولا مما يؤيد قول فريق منهم بصحة مسيحية عيسى ويناقض قول الآخرين ولو وقع عكس ذلك

بأن نجا المسيح ولم يشتبهوا في غيره لاعتقد كونه هو المسيح كثيرون وخالفهم ايضا آخرون ممن يعتقدون وجوب تألم المسيح فلذا كان وقوع حادثة الصلب وعدمها على حد سواء بالنسبة لهذه المسألة. على ان من الاوجه التي سبقت ان رؤساء اليهود صلبوا عمدا واحدا غيره حينما نجا منهم فلم يكونوا مخدوعين بل كانوا هم الخادعين للناس. و بسبب غشهم هذا انقسم الناس في امر المسيح الى طوائف عديدة يعرفها المطلعون على تاريخ الكنيسة المسيحية فمنهم من جوز الصلب والعذاب على المسيح كبولس واتباعه ووافقهم على ذلك تلمود اليهود أيضا في القرن الثاني، ومنهم من لم يجوزه وهم جمهور اليهود الآخرين، الآن ومنهم من اعتقد أن المصلوب هو عيسى وأنه انسان او إله او كاذب، ومنهم من قال ان المصلوب شخص آخر ومنهم من يرى ان نبوات التألم والعذاب تمت أو ستتم في المسيح المنتظر ومنهم من يرى أنها ليست في حقه بالمرة بل في موضوعات أخرى، ولله في خلقه شؤون

هذا وقد أفاد وقوع الصلب بهذه الصورة التي شرحناها فوائد: -(١) أن المسيح نجا من أذاهم (٢) أن يهوذا (على الوجه الاول) وقع في الحفرة التي حفرها للمسيح عقابا له على خيانته (٣) عرف الناس خطأهم في الاعتقاد بأن المسيح لا يموت (يو ١٢ : ٣٤) وبأنه يكون حاكما دنيويا يرد الملك لاسرائيل وان الله لم يجعله فوق نواميس الوجود كما كانوا يتوهمون (أفسس ١ : ٢٠ و ٢١) (٤) عرف بعض طوائفهم قديما وحديثا بأنه ليس الها والا لما صلب-على زعمهم- رغم انفه ولما دعا الله طلبا للنجاة ولما يئس المصلوب من رحمة الله، ولولا ذلك لكان اعتقاد ألوهيته عاما بين أتباعه جميعا في كل زمان ومكان ولما قال جمهورهم إن فيه جزءا ناسوتيا حادثا (١) ولأجمعوا على اعتباره كله لاهوتا محضا لقرب عهد الامم بالوثنية وشدة ميلهم اليها في زمنه. راجع ما يقرب من ذلك المعنى في انجيل برنابا (٢٢٠: ١٤-٢١) فان قيل ولماذا لم يرسل الله نبيا بعد موته مباشرة ليخبر الناس بحقيقة المسألة

---

(١) حاشية: اذا كان المصلوب هو عيسى باعتبار أنه انسان فما معنى قول النصارى بعد ذلك «ان الله افرط محبته للبشر ضحى بنفسه عنهم لخلاصهم» ؟؟ مع أنه باعترافهم ماضحى الا «بالانسان يسوع» الذي أكرهه على ذلك اكراها !! فأين اذاً محبته هذه الزائدة للبشر وأين محبته لابنه هذا وعدله معه ؟!

حتى لا يذهبوا الى ماذهبوا اليه في أمر خلاص البشر بصلبه؟ قلت :-

(١) إن هذه العقيدة وحدها بدون دعوى الالوهية له لا ضرر فيها كبيرا سوى أنها خطأ نظري عقلي . ولم يكن اعتقاد الصلب هو الحامل لهم على دعوى الالوهية له في مبدأ الامر بل لم تحملهم حادثة الصلب نفسها وضياع الجثة على القول با كثر من أنه قام من الموت كما يعتقد المسلمون قيام الذي مر على القرية (قر ٢:٢٥٩) وكانت الدعوة الاولى الى المسيحية كما في كتبهم قاصرة على (أن عيسى هو انسان وأنه هو المسيح المنتظر وانه صلب ولكنه قام من الموت وجعله الله ربا وسيدا كما جعل موسى (خر ٧ : ١) رغما عن صلب اليهود للمسيح) راجع خطاب بطرس لليهود في سفر الاعمال (اع ٢ : ٢٢ - ٣٦) ولما جاء بولس نبههم أو اخترع لهم[1] حكمة للصلب وهي تخليص البشر بعد أن فكر في ذلك مدة طويلة منها ثلاث سنين تقريبا اعتزل فيها الناس في بلاد العرب وفي آخرها ذهب الى دمشق (غل ١ : ١٧ و١٨) وربما وافقه بعض التلاميذ على هذه الحكمة التي أرشدهم اليها والظاهر أنهم خالفوه في غيرها من أفكاره كقوله بعدم وجوب الختان وجواز أكل ما ذبح للاوثان (راجع غل ٥ : ٢ و١ كو ٦ و ٨ ورومية ١٤ وكو ٢ : ١٦ ثم اقرأ رؤيا ٢ : ٩ و١٤ و٣ : ٩) ولذلك ذمه يوحنا بعد موته في رؤياه هذه. وقد سمى بولس إنجيله (إنجيل الغرلة للامم غير اليهودية) (غل ٢ : ٧ - ١٠) وانجيل تلاميذ المسيح (بانجيل الختان) وكانت دعوتهم قاصرة على اليهود فقط كدعوة المسيح عليه

---

(١) حاشية - اذا صح أن هذه العقائد كانت عند بعض خواص اليهود من قبل عيسى بسنين عديدة أخذا عن الوثنيين كما يقول علماء الافرنج الآن - كان بولس هو فقط أعظم من أرشد عامة اليهود اليها وتوسع فيها وأتقن تطبيقها على المسيح ودعا بعض الامم الاجنبية اليها ولكنه مع ذلك ما كان يعتقد في عيسى الالوهية الحقيقة الكاملة بل اعترف كثيرا في رسائله أنه فقط رب (أي سيد) وخلقه الله قبل جميع الخلائق (كو ١ : ١٥) وأخضع الله له كل شيء وبه خلق كل شيء (١ كو ٨ : ٦) فهو عنده ليس قديما كالاله تعالى بل منه استمد وجوده وقدرته (راجع أيضا أمثال ٨ : ٢٢ - ٣١) وهو أقل منه درجة وخاضعا له (١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ و ١١ : ٣) وأما مساواة عيسى بالله تعالى في كل شيء وخصوصا في الجوهر والمقام والأزلية فبولس لم يعرفها كما هو صريح جميع رسائله وانما هي مسألة سرت الى النصرانية بعد بولس من فلسفة الرواقيين في (الكلمة) وفلسفة يهود الاسكندرية فيها وخصوصا (فيلو) (Philo) الذي كان معاصرا للمسيح والظاهر أنها لم تصل الى كتب المهدين التي بقيت الى الآن خالية من كل نص صريح قاطع يدل على الالوهية الحقيقة للمسيح ومساواته للاب المساواة التامة في كل شيء بل جميع عباراتها تنافي هذه العقيدة (راجع أيضا كتابنا « دين الله » فصل ٢ وصفحة ٧٦ و٧٧)

السلام نفسه (راجع كتاب دين الخوارق Supernatural Religion فصل ٣ - ٧ من الجزء الرابع)

(٢) إن اختلاف البشر أمر طبيعي أراده الله ولا بد منه ولو أرسل الله رسولا لبيان ذلك عقب المسيح مباشرة لآمن به بعض الناس وكفر به الآخرون ولما زال الخلاف من بينهم

(٣) لما كثر الفساد في عقائد الامم قاطبة وفي مذاهبهم وعم جميع شؤونهم الدينية والدنيوية وكثر سفك الدماء وظلم الابرياء وخصوصا عند النصارى أرسل الله محمدا على فترة من الرسل فبين لهم الحق من الباطل

(٤) إن النصارى تقول ان روح القدس نزل على تلاميذ المسيح بعده وأرشدهم الى الحق في كل شيء فهل زال الخلاف من بين النصارى بسبب ذلك ؟ لا. اننا لانرى أمة من الامم اشتد اقتتالها واختلافها في كل جزئية من جزئيات الدين والدنيا أكثر من النصارى وخصوصا بعد نزول هذا الروح المزعوم . فلهذا كله اقتضت الحكمة الالهية تأخير البيان حتى اشتدت حاجة الامم كافة واستعدت نفوس البشر لقبول الاصلاح بعد أن عم الفساد الارض فجاء محمد على حين فترة من الرسل كما قال القرآن الشريف (٥ : ١٩) بالاصلاح الذي ينشدونه و بيان الحق الذي يتطلبونه فلذا دخل الناس في دينه أفواجا أفواجا وعم سلطانه الارض في وقت قصير لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر كما بينه الاستاذ الامام في رسالة علم التوحيد والى الآن نرى الناس يقتربون من الاسلام شيئا فشيئا حتى أوشك حكماء أوروبا وعلماؤها أن يدخلوا فيه من حيث لا يشعرون وسيكون ان شاء الله هو دين الانسانية العام في الارض كما تدل عليه بوادر الامور ولا يهولنك ضعف دوله الآن فان ذلك لا يعد شيئا في جانب ما نراه من اقتراب جميع العقلاء والمفكرين من عقائده اقترابا كليا وجزئيا حتى سادت العقائد الاسلامية على أذهان كبار الناس اليوم في كل مكان (راجع ما تنشره جماعة العقليين (Rationalists) كالكتب التي تصدر من مطبعة Watts Co. شركة واطس بلندرة ومن هذه الكتب يتضح لك صدق قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)

﴿ استطراد لا بأس به ﴾

بمناسبة ذكر جبل الزيتون كثيرا في هذه المقالة نقول ما يأتي : —

سمي هذا الجبل بذلك لكثرة ما كان به من شجر الزيتون ولهذا الجبل شهرة عظيمة في تاريخ المسيح يعرفها المطلعون على الاناجيل والأرجح أنه أول ما نزل عليه الوحي كان عليه السلام هناك (راجع مثلا لو ٤: ١ و٥ و٩) لذلك أقسم الله تعالى به في قوله (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) أما التين فهو شجرة بوذا مؤسس الديانة البوذية التي تحرفت كثيرا عن أصلها الحقيقي لان تعاليم بوذا لم تكتب في زمنه وانما رويت كالاحاديث بالروايات الشفهية ثم كتبت بعد ذلك حينما ارتقى أتباعها . والراجح عندنا (بل المحقق اذا صح تفسيرنا لهذه الآية) أنه كان نبيا صادقا ويسمى (سكياموني) أو (جوتاما) وكان في أول أمره يأوي الى شجرة تين عظيمة وتحتها نزل عليه الوحي وأرسله الله رسولا فجاءه الشيطان ليجربه هناك فلم ينجح معه كما حدث للمسيح في أول نبوته (راجع لو ٤: ١ – ١٣) وهذه الشجرة شهيرة كبيرة عند البوذيين وتسمى عندهم (التينة المقدسة) (وبلغتهم أجابالا) « Ajapala »

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أعظم أديان البشر الاربعة الموحاة منه تعالى لهدايتهم ونفعهم في دينهم ودنياهم فالقسم فيها كالتمهيد لقوله بعده (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) الى آخر السورة . ولا يزال أهل الاديان الاربعة هم أعظم أمم الارض وأكثرهم عدداً وأرقاهم . والترتيب في ذكرها في الآية هو باعتبار درجة صحتها بالنسبة لاصولها الاولى فبدأ تعالى بالقسم بالبوذية لانها أقل درجة في الصحة وأشد الاديان تحريفا عن أصلها كما يبدأ الانسان بالقسم بالشيء الصغير ثم يرتقي للتأكيد الى ما هو أعلى . ثم النصرانية وهي أقل من البوذية تحريفا ثم اليهودية وهي أصح من النصرانية ثم الاسلامية وهي أصحها جميعا (١) وأبعدها عن التحريف والتبديل بل ان أصولها (الكتاب والسنة العملية المتواترة) لم يقع فيها تحريف مطلقا . ومن محاسن هذه الآية الشريفة غير ذلك ذكر ديني الفضل (البوذية والمسيحية) أولا ثم ديني العدل (اليهودية والاسلامية) ثانيا للاشارة الى الحكمة بتربية الفضل والمسامحة مع الناس أولا ثم تربية الشدة والعدل وكذلك بدأ الاسلام باللين والعفو ثم بالشدة والعقاب . ولا يخفى على الباحثين التشابه العظيم بين بوذا وعيسى ودينيهما وكذلك التشابه بين موسى ومحمد ودينيهما فلذا جمع الاولان معاً والآخران كذلك . وقدم البوذية على المسيحية لقدم الاولى كما قدم الموسوية على المحمدية لهذا السبب بعينه . ومن محاسن الآية أيضاً الرمز والاشارة الى ديني الرحمة بالفاكهة والثمرة والى ديني العدل بالجبل والبلدة الجبلية (مكة) وهي البلد الامين . ومن التناسب البديع بين ألفاظ الآية أن التين والزيتون ينبتان كثيراً في أودية الجبال كما في جبل الزيتون بالشام وطورسينا وهما مشهوران بهما . فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحي وأكرم أماكن التجلي الالهي على أنبيائه الاربعة الذين بقيت شرائعهم للآن وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم في أحسن تقويم

استدراك – نص كتاب صدق المسيحية (The Truth of Christianity) في ص ٥٦٠ على أن المسيحية انتشرت قديما في بلاد الهند . فلعل ذلك مما يساعد على القول بالهجرة الهندية السابقة ؟

---

(١) قال العلامة أرثر دروز (Arthur Drews) في كتابه شهود تاريخ يسوع ص ٢٩٥ « ان الاسلام هو الدين العظيم الوحيد الذي نعرف عنه باليقين أن مؤسسه كان شخصا له وجود حقيقي تاريخي » اهـ وقد ذكر هذه العبارة بعد أن أظهر شكه من الوجهة التاريخية في سائر مؤسسي الاديان الاخرى

خطبة (*)

« لرأس هذه السنة الجديدة سنة ١٣٣١ هجرية »

الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً — قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير — تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور — شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم — محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما — لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا — وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين — والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم — ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما — ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما — اللهم صل على نبيك رسول الرحمة ، وكاشف الغمة ، ومزيل النقمة ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن اهتدي بهديهم في الاولين والآخرين ، واجعلنا منهم برحمتك ياأرحم الراحمين ، وسلم تسليما كثيرا .

(*) ألقاها السيد عبد الحق حقي الاعظمي البغدادي الازهري نائب استاذ الشعبة العربية في الكلية الاسلامية الكبرى في عليكره بالهند
وطبعت على حدتها العربية مع ترجمتها بالاوردية على نفقة الشاب النجيب المهذب الشيخ عبد الرحمن الذكير نجل التقي الصالح الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير التاجر الشهير في البحرين

أما بعد فيا أيها المسلمون — هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين — ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين - ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين — وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين — أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين — ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون — أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون — ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا

أيها المسلمون — مرت الليالي والايام ، وتعاقبت الشهور والاعوام ، والامة الاسلامية في كل موضع ومقام ، تظلم وتضام ، وتداس بالاقدام ، عند جميع الاقوام وهم (لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة) ولا ينظرون الى مسلم بعين انصاف أو رحمة ، وان من أشد هاتيك الاعوام الماضية ، وتلك الايام النحسة الخالية ، هذا العام الذي طويت صحيفته من الوجود ، ومحيت أيامه ولياليه من الخافقين فلا تعود ، (هنالك ابتلي المؤمنين وزلزلوا زلزالا شديدا) وعم الويل والثبور القريب منهم والبعيد ، فقد انتابتهم النوائب الماحقة ، وصبت عليهم المصائب الساحقة ، وألمت بهم الرزايا العديدة ، ونزلت بساحتهم البلايا المبيدة ، وأحاطت بهم المهالك ، فجعلت أيامهم البيض سودا حوالك ، وها هي ذي الامة الاسلامية تردد النفس الاخير ، وسيقضى عليها (لا قدر الله) ان لم يتداركها برحمته العزيز القدير (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

أنظروا بعيني البصر والبصيرة ، الى هذه الامة الكبيرة ، ذات العزة والسطوة ، والمنعة والقوة ، والايام المشهورة والآثار المسطورة ، تروها على وجه هذا الصحصحان ، ككرة الصولجان ، تتقاذفها الفرسان ، وتطاردها الفتيان ، وتقلبها في الميدان ، وهي لضعفها طوع صوالجهم ، ولعجزهم تبع ارادتهم ، لا ترد ضربة ضارب ، ولا تكف يد لاعب (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ـ ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن أنفسهم يظلمون)

تأملوا رحمكم الله وأصلح بالكم ، في هذه الامة الكريمة ، ذات الشهرة العظيمة ، والرعب والرهبة ، والفتح والغلبة ، تجدوها بين الامم ، كقطيع من الغنم ، غاب عنها راعيها وقد خيمت عليها الظلم ، فانقضت عليها ذئاب الغرب المتمدنة ، وثعالب تمدن

هذه الازمنة ، تنهشها بالانياب والحراب ، وتمزق منها الجلباب والاهاب ، وتسومها سوء الهوان والعذاب ، تقطع أوصالها ، وتستلب أموالها ، تقتطع ممالكها مملكة فمملكة وتجرها من مهلكة الى مهلكة ، تغتصب بلدانها وتختطف تيجانها ، تستنزف دماءها ، وتمزق اشلاءها ، مرتكنة في استباحة أفعالها ، على حجج لا مبرر لها ، ودعاوي أوهن من بيت العنكبوت ، وانه لاوهن البيوت ، وأمتكم تستغيث بالانسانية ولا انسانية لدى القوم ، وتستجهر بالمروءة وقد ماتت ومات أهلها من بينهم اليوم ، تناشدهم شفقة الاخوة الادمية ، وتذكرهم بالحقوق الملية ، والمعاهدات الدولية ، وهم يتصامون عن سماعها ، وينغضون اليها رؤسهم استهزاء بها ، تخوفهم عاقبة هذه الدار ، وعقاب القوي الجبار ، لكل ظالم ختار ، وهم لا يرهبهم الا الحديد ، والعدد العديد ، من الابطال الصناديد ، أولي الأيد والبطش الشديد ، ولا تخيفهم الا الجماعة المتساندة ، والعصبة المتحدة ، والفئة المتعاضدة ، ذات القلوب المتوادة ، والاهواء الواحدة ، والمقاصد المتماثلة ، والاعمال المتواصلة ، والآراء السديدة ، والمساعي الحميدة ، والهمم العالية ، والمطالب السامية ، ولا ترعبهم الا السيوف البتارة ، والجيوش الجرارة ، والخيل والعدة ، والبأس والشدة ، والشهامة والنجدة ، ولا تفزعهم الا البواخر الماخرة ، والقلاع الزاخرة ، والمدافع المزمجرة ، والقذائف المدمرة ، ولا تردعهم الا الرعاة الساهرة ، والقواد الماهرة ، والذخائر الوافرة ، والنيران الملتهبة ، والليوث المتأهبة ، ولا يردهم عنكم أيها المسلمون الساهون اللاهون ، الا الاهتداء بتعليم القرآن ، والامتثال لاوامر الرحمن ، والمبادرة الى العمل بقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) وأنّى للامة الجاهلة اللاهية الغافلة ، بمثل هذه الصفات الفاضلة ، وأين منها هذه المزايا الفضلى ، والمعاني الجلى ، وقد اشتغل ساداتها وكبراؤها ، وأمراؤها وزعماؤها ، بالالقاب العاطلة ، والفخفخة الباطلة ، عن اعداد القوة المرهوبة ، وتهيئة العدد المطلوبة ، وبفتح زجاجات الخمور ، عن تحصين الثغور ، وبتشييد القصور والتفاخر بالرياش والملابس ، عن تشييد القلاع والحصون وانشاء المدارس ، وبنصب مراسح التمثيل ، ورفع منصات السفه والاباطيل ، عن تأسيس المعامل لبناء الاساطيل والبواخر ، وعمل الخراطيش والاسلحة والذخائر ، وبالخرافات والترهات ، عن اقامة المصانع لابراز المصنوعات ، وبالركون الى البطالة اعتماداً على موهوم الامارة ، عن تعميم الزراعة وتنشيط التجارة ، حتى تكثر الثروة

وتمز القوة ، وبالتخيلات الشعرية والشهوات البهيمية ، عن العلوم والفنون والمعارف العصرية ، وبمطالعة روايات الفحش والفجور ، عن تواريخ الامم ووقائع الدهور ، وبسير الفجار والاشرار ، عن سير القواد الكبار ، والاسلاف الاخيار ، وبتلقف أخبار زمرة الفسق والدعارة، عن النظر في أحوال الامة والمملكة أو الامارة، وبمعاقرة بنات الدنان ، ومعانقة الغيد الحسان ، عن تلاوة القرآن لمعرفة أوامر الرحمن ، وبالانهماك في قصص البغايا والبغاء ، عن الالتفات الى أحاديث خاتم الانبياء، وبالاعتناء الشديد بقول الخناس الوسواس ، عن الاهتداء بقول ذي العرش المجيد « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » وبالتفاني في طاعة النفس والهوى ، في كل مايضرهم ولا ينفعهم ، ويفسدهم ولا يصلحهم ،وهم غافلون لاهون، لايحسون ولا ولا يشعرون ، عن امتثال أوامر فالق الحب والنوى ، مما به يعلون ويعتزون ، ولا يهنون ولا يحزنون،ويحترمون ويهابون، ولا يهانون ولايظامون ،يبيتون لياليهم سجدا ولكن في المراقص والحانات ، وركعاً ولكن على مناضد الخمور والمغبيات ، وخشعاً ولكن لاصوات المغنيات ، ووسواس حلي الراقصات ، ويقضون نهارهم في سررهم نائمين ، لايهمهم من أمري الدنيا والدين ،الا تناول المساحيق وابتلاع المعاجين (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين — ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين — ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا — ربناهؤلاء أضلونا — ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) فهل والحال هذه يفرح ذو شعور باختتام عام وافتتاح عام، أو تنشط نفس مسلم غيور الى السرور بتجدد الشهور والايام، وهل يستلذ بمنام، أو يهنأ بطعام، من يشاهد حال هذه الامة ، التي تراكمت عليها الخطوب المدلهمة ،ويرى غفلة رعاتها عن الواجبات الجمة ، وتقاعدهم عن الامور المهمة ، ألا يليق بذي الاحساس أن يبكي بدل الدمع دما ، ألا يجدر به أن يلبس حداداً على هذه الامة ثوبا أقتما ، ألايجب على كل مسلم أن يقبل على رب العالمين ، ويتضرع اليه بقلب خاشع حزين ، ولسان صادق مبين ، قائلا في كل وقت وحين (لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) ألا يجب على المسلمين أن يسارعوا الى التوبة من كل باب ، ويقلعوا عن المعاصي التي جلبت عليهم أنواع الهلاك والخراب ، وينيبوا الى الرؤف الرحيم، ويستغفروه قائلين (ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين — ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ألا يجب عليهم أن يجددوا الايمان ، ويوقنوا بوعد وعهد

الواحد الديان ، فيعملوا بتعليم القرآن ، ويهتدوا بهدى أكمل وأشرف بني الانسان ، ويقتدوا به صلى الله عليه وسلم ، وبأصحابه أصحاب العزم والحزم ، ويقبلوا على اصلاح الحال ، بتطهير النفوس والعقول من الغي والضلال ، والزيغ في الاقوال والافعال ، والانحراف عن الجادة المثلى في النيات والاعمال ، فيبادروا الى تدارك مافات عاملين مجدين ، وعلى ربهم متوكلين ، واليه لاجئين ، وله خاضعين ، ومنه مؤملين ، وبحبله معتصمين ، متضرعين اليه ومبتهلين ، ولعفوه ونصره ومدده ومعونته طالبين ، قائلين (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين – ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)

فاليقظة اليقظة أيها النائمون ، والانتباه الانتباه أيها الغافلون ، والعمل العمل أيها المقصرون ، والوجل الوجل أيها المفرطون ، والحذر الحذر أيها المتكاسلون ، قبل حلول القضاء المبرم ، ووقوع البلاء المحتم ، من القوي الجبار ، المنتقم القهار . على من عصى وتجبر وعرف الحق ثم أنكر . وزاغ بعد الهداية ، ولم يتعظ بما مضى في البداية ، ولا تفكر في العاقبة والنهاية (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذابا نكراً * فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا * ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن مايحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) فالفرار الفرار ، من موجبات العذاب النكر والحساب الشديد ، والبدار البدار الى امتثال أوامر العلي المجيد ، الفعال لما يريد (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون – ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون – أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون)

أيها المسلمون – جربتم العصيان فجربوا الطاعة . وعملتم للباطل فاعملوا للحق من هذه الساعة . وذقتم مرارة الافراط والتفريط والاسراف والاضاعة . فذوقوا حلاوة القصد والعدل والثبات والاستقامة فانها أربح بضاعة . وسعيتم للخزي والعار

وتمسكتم بالموصلات الى النار . وغضب الجبار . فاسعوا للعز والشرف والفخار . وتمسكوا بالمدخلات في رضوان الله وجنته دار القرار . فالله الله في أنفسكم أيها المسلمون. والتوبة مقبولة والرحمة مبسوطة والطريق ممهد لايخيب فيه السالكون . والسرعة السرعة يا خير الامم . قبل أن يؤخذ بالكظم .وتندموا فلا ينفعكم الندم. واذكروا قوله تعالى — ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم - وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون - واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون - ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون- واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور - واذكروا اذ كنتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين — ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً . اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا- واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون - فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون

الفهم والتفاهم

كنا نود أن لا يأتي الزمان شاهداً بليغاً بصحة ما كنا نقول ونصف من مضار الابتعاد عن الفهم والتفاهم ،أما وقد أتى الزمان بهذه الشهادة التي سمعتها كل أذن فنحن غير ضانين باعادة التذكير على الحياة التي يرجى شيء منها لقومنا في الأيام الآتية تكون في تقويم أحسن ، وشكل أمتن .

عهدنا القوم يقولون نحن نؤمن أن البارئ عز وجل قد أكرمنا بهداية عظيمة ولكننا لانفهمها الا بواسطة فلان وفلان ولتعدد الذين هم أئمة ومقتدَون لهم رأيناهم متباغضين أشد التباغض ، ومتنافرين أشد التنافر وما ذلك الا لان فهم الامام فلان قد خالف فهم الامام فلان ولكل منهم امام معلوم . وأعظم هذا الافتراق قد وقع

بين الذين يسمون الشيعة وبين الذين يسمون السنية ، ولم ينم ويترعرع ذلك بين هاتين الفئتين الكبيرتين الا بسبب عدم التفاهم ولم يبعدهم عن التفاهم الا قول كل واحد من كل فريق منهم « نحن لا نفهم » فلستُ أدري اليوم من بعد أن رأوا ما نزل بساحتهم أيبقى باب الفهم والتفاهم مسدوداً فيما بينهم ، أم يتشاءمون بذلك السد ويرجون ما ترجوه الامم الفاهمة من فوائد الفهم والتفاهم

نعم لست أدري أيبقون مصرين على سد ذلك الباب وان أصبح البيت خراباً أم يلهمهم الله معرفة أن الفهم والتفاهم ليسا بعجائبين كما ظنوا ؟ وكذلك لست أدري ماهي الفوائد التي ينتظرونها من ذلك السد بعد ان أدى الافتراق والابتعاد عن الفهم الى ماصار اليه هؤلاء المفترقون الذين يقولون نحن أهل ملة واحدة وما أدراك ماصار اليه هؤلاء أجمعون ؟ انهم صاروا الى أسوأ ما تصير اليه الامم

نحن لانقصد بهذا تقريعاً ، ولا نرمي به الى وقيعة، غفرانك اللهمّ ان علق شيء من هذا بنيتنا ، أو مرّ بخاطرنا ، كلا بل ليس قصدنا الا التذكير وما نحن بناسين - ولله الحمد - ما للناس من العذر في ذلك الموقف الذي وقفوه قروناً متطاولة ، نعني به موقف الاقتداء بالآباء والجدود فيما تعلقوا به من تقديس فهوم بعض المتقدمين والتبرئ من فهومهم أنفسهم فان استعداد أكثر الناس آخذ بهم الى مثل هذا

إي والله أنما نقصد التذكير لا التقريع ، ولكي نزيد هذا تأكيداً نصف ههنا كيف يخلص التقليد الى اكثر النفوس ، وكيف يخلص منه بعضها . فاقرأه أيها الاخ وأنت ذاكر سنن ربك عز وجل تخرج منه الى ثمرة عظيمة النفع ان شاء الله تعالى

***

كان الناس أمة واحدة في أوائل أمرهم فما لبثوا ان أتت عليهم المفرقات فأصبحوا أمماً في الأوطار والأفكار ، كما صاروا أمماً في الأوطان والديار ، وأعظم ما طرأ عليهم من المفرقات هو الفضل الذي يوجد في علوم بعضهم على علوم الآخرين ولو شاء الله تعالى أن يكونوا جماعة واحدة لخسبُ لفطرهم على نحو ما فطر سائر أنواع الحيوان من تساوي أفراد كل نوع منها في المدارك تقريباً ، أما وقد جعل الفاطر عز وجل بين أفراد النوع الانساني هذا التباين العظيم في الادراك والاحاطة فاننا نفهم حينئذ أنه سبحانه قد قضى أن لا يكون الناس أمة واحدة فكانوا على ما نراهم عليه أمماً وجماعات ولله سبحانه الحكمة البالغة ، على أنه قد لطف بعباده فخلق لهم مع أسباب التفريق أسباب الجمع ، وكما جعل في تفاوت الادراك شيئاً من الضرر قد

جعل فيه ذرواً من النفع ، فمن كانت شهوته من فلاسفة الانسانية أن يكون البشر على عقل واحد فانما يتيسر له ذلك باعدام كل من يخلق في مداركه شيء من الفضل على مدارك غيره ، أما الذين عافاهم الله تعالى من تلك الشهوة فأولئك يعلمون أن هذا النوع لم تمزق أوصاله بتفرعه الى أمم ممدودة محدودة معهودة كلا! بل بسقت بذلك دوحته وعظم أصلها وازدادت قوتها وأصبحت بحيث لا يضيرها أن تذبل بعض فروعها

نعم . ثم قد خلق الفاطر سبحانه أسباب الجمع كما خلق أسباب التفريق ومن جملة أسباب الاثنين معاً ذلك الاقتداء الذي جعله غريزة في البشر عامة شديدة الالتصاق ، فبما توحيه هذه الغريزة يمشي الملايين من الأبناء والبنات ، على ما عليه مشت الملايين من الآباء والامهات ، ويظلون على ذلك عصورا كثيرة من غير ما تغيير ولا تبديل الا قليلا لا يكاد يعد مفرقاً لشمل هذا الجمع العظيم . وهكذا يكون شأن سائر الجموع والامم كما هو مشاهد ، وبما خص به العقل الانساني الذي جعله الله جوّالاً ولم يوزعه على الافراد بالسوية نرى أنه مهما وقف الاقتداء بملايين من بني آدم عند الحدّ الذي وقف فيه آباؤهم يقوم أحياناً فرد من بين تلك الملايين تتقد فيه جذوة من ذلك المشرق العقلي وتدفعه الى التماس ما هو أحسن مما وقفت عنده أمته وحينئذ يجدهم معارضين له فان نجحوا أخمدوا جذوته ، وان نجح دخل بأمته في خلق جديد ، أو خرج منها بأمة حديثة في الوجود ، ولذا لا يمدح الاقتداء من حيث هو مطلقاً لانه قد يوقف الامم وقفة واحدة ، ولا يذم مطلقاً لانه به تتكون أمم وبه تنتقل في أطوارها ، وأنت تراه تارة صديق النوابغ اذ لولاه لما وجدوا تابعاً وُمظاهراً ، ولولاه لما ظهرت مقادير هممهم عند مقاومة الأجيال لهم ، وطوراً تراه عدوهم اذ لولاه لما وجدوا تلك العقبات الهائلة في سبيل الاصلاح ولاجل هذا ترى الذين ينظرون الى الامور من جهة واحدة منهم من يحسب فيه كل الفوائد ومنهم من يخال كل المضار فيه . أما الذين يمعنون نظراً في الاشياء ويسلم نظرهم من شوائب الهوى الخاص فأولئك يعرفون انقسام أكثر الاشياء الى أجزاء أو جهات بعضها نافع وبعضها ضار ويعرفون المقادير والحدود التي بينها فيعطون كل شيء حقه ، ويذكرون له حده . فاذا مر هؤلاء باقتداء ضارّ ذكّروا بالعقل وقالوا ان الانسان لا يليق به الجمود ، واذا مرّوا باقتداء نافع ذكّروا بالفضل الذي جرت سنة الفاطر أن يمنحه بعض الأفراد ونفّروا من الجحود ، ألا ترى القرآن المجيد كيف يقص من مناقب الأنبياء لأكرم رسله محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول

له « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » أولا تراه كيف عاب على الذين صدفهم اقتداؤهم بآبائهم عن الايمان بفضل الله تعالى الذي خص به الانبياء عليهم السلام وكيف هزّ عقولهم هزة قوية بقوله « أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون »

هذا واذ كان المقتدى الأعظم في الملة الاسلامية هو ذلك الوحي الذي نزل على محمد الأمين صلى الله تعالى عليه وسلم كان من شأن الذين يتخذون مقتدين آخرين سواه أن يكون ضرر اقتدائهم ذلك أكثر من نفعه لأن المتمذهب بمذهب رجل من الذين يقال لهم أئمة السنة إن قال إن مقتداي رجل من علماء السلف الابرار، يجد تجاهه مخالفاً من الذين يقال لهم الشيعة يقول له إن مقتداي أيضاً رجل من علماء السلف الابرار ، ولا يستطيع الذي يسمي نفسه سُنياً مثلا أن يقول إن الامام جعفراً أو الامام زيداً رضي الله تعالى عنهما ليسا من علماء السلف الابرار، وانما قصاراه أن يقول إن هؤلاء الذين يقال لهم الشيعة ليسوا في الحقيقة على مذهب جعفر أو زيد وهذا لايلتفت اليه الجعفري أو الزيدي وليس هو من المناظرة القانونية في شيء .

ومن أعجب مافي مضارّ هذا الافتراق الذي جاء به هذا التقليد أنك أصبحت ترى جميع أقطاب الامة وكبار علمائها مرنوا بسببه على اليأس من الصلح بين هاتين الفئتين الكبيرتين في الامة حتى كأن هذا الامر أي الصلح بينهما ليس مما يعني الامة وليت شعري كيف يتيسر الصلح ما دام باب التفاهم مسدوداً ، وكيف يفتح باب التفاهم ما دام الجماهير جيلا خلف جيل لا تجول أفكارهم في مسئلة من المسائل ولايقولون فيها بقول من الاقوال الا قول رجل من أولئك الرجال القليلين الذين اتخذوهم مقتدِين ، هذا على تسليمهم بأن فلاناً وفلاناً الذين يعنونهم لم يحصلوا في فهومهم تلك إلا ظنا وعلى تسليمهم أن الحق ليس في ظنونهم تلك على وجه اليقين والجزم والتعيين ، فإلى متى يا قوم هذا ومتى تأذنون بفتح باب الفهم والتفاهم ؟

عبد الحميد الزهراوي

حاشية للكاتب — اني الهمت تحرير هذه المقالة على أثر اطلاعي على كتاب (العلم الشامخ) الذي نشر في هذه الايام واني رأيت أن مطالعته تفيد كثيراً في زحزحة مطالعه عما ألفه من التقليد الضار الذي يحول بينه وبين الفهم والتفاهم ويشوش عليه الاخاء الذي يوجبه الدين فمن أحب أن ينال حظاً من العلم الصحيح فليمر به مرور تدبر واستقلال

بيان حزب اللامركزية الادارية العثماني (*)

ان غرض الامم الذي ترمي اليه في هذا الوجود انما هو الحياة : الحياةالاجتماعية والحياة السياسية . أي أن يكون لها وجود اجتماعي راق ، ووجود سياسي ثابت . ومن الضروري أن تسعى الامة لكلا الوجودين في منهجهما القويم الموصل الى الغاية وتعنى بهما جميعاً ولا تقصر مجهوداتها على بلوغ غاية أحدهما دون الآخر ، لئلا يكون مثلها كمثل من علم بركاز من الذهب في مكان فاسرع اليه بكل ماتصل اليه قوته وجهده فلما بلغه لم يجد معه أداة لاستخراج ذلك الركاز فرجع القهقري من حيث جاء واهي القوى خائب الامل والرجاء

فالقوانين الاجتماعية مهما كانت راقية قلّ أن تضمن الحياة لامة اذا لم تكن قائمة على أساس متين هو القوانين السياسية . ومهما عنيت الحكومة بتنظيم قوانين الحياة الاجتماعية للأمة وأكثرت من مشروعات الاصلاح في المملكة في التعليم والاقتصاد والادارة والقضاء ونحو ذلك فانها لا تخرج في هذا كله عن معنى الوصاية على محجور عليه لا يملك التصرف بشؤون حياته الخصوصية ليثبت لنفسه وجوداً صحيحاً بين الناس ويعمل لسعادته جهد العامل المجدّ .

ولذا أصبح لهذا العهد شكل الحكومات التي تقوم به الحياة السياسية لكل أمة همّ جميع الامم وصار من المسلم بالبداهة ان وجود الامة السياسي والاجتماعي بين مجاميع الانسان الحية متوقف على شكل الحكومة فكلما كانت مشاركة الشعب للحكومات أكثر ، كان ذلك لدوام وجوده أضمن .

لهذا السبب تكاد تكون سائر الحكومات التي للامم المستقلة اليوم دستورية شعبية لاشأن فيها لسلطة الافراد بل الشأن لعامة الامة ومشاركتها للحكومة في كل جليل وحقير من الشؤون العامة ، الا أنها تتفاوت في ذلك منازلودرجات وتختلف في الشكل اختلافاً روعي فيه الاجتهاد والنظر الى حالة الشعوب الاجتماعية والعرفية والقابلية والاستعداد .

ومما ثبت بالتجارب لهذا العهد ان أفضل شكل من أشكال الحكومات هو الدستوري ، وأفضل أشكال الدستوري هو اللامركزية خصوصاً في الممالك التي

(*) تألف في مصر حزب سياسي بهذا الاسم وهذا بيانه الذي نشرته لجنته العليا مقدمة لبرنامجه السياسي ويتلوه البرنامج

تعددت فيها الفروق والمذاهب واللغات ، واختلفت العوائد والتقاليد والاخلاق ، فكان من المتعذر ان تساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الاحوال ، ولم ينظر معه في الحاجة والزمان والمكان

ثبت ذلك بالتجارب كما ثبت ان اللامركزية هي أفضل مربّ لافراد الامة على الاستقلال الذاتي الذي هو خيروسيلة لترقي الامم ، لانها أي اللامركزية تأبى بطبيعتها ان تكون تبعة الحكم مقصورة على أفراد قليلين تصدر عنهم القوة والعمل الى كل ناحية من أنحاء المملكة فيكونوا كالمحرك في آلة كبيرة جدا اذا أصابه عطب أوضعف تعطلت أجزاء سائر الآلة عن العمل دون ان يكون لاي جزء من هذه الاجزاء قوة ذاتية يعمل بها بنفسه ودون ان يكون مسؤولا عن نتيجة وقوفه عن العمل .

ومن البديهي ان الشعب غير المسؤول عن أي خطأ يصدرعن حكومته لايشعر كل فرد منه بالتبعة فلا يهتم بنتائج خطأ الحكومة الا بعد الوقوع فيه . ذلك لانه مسير بارادة غيره ، لاسلطة له حتى ولا على نفسه ، لانها محكوم عليها أن تسير في السبيل الذي يريده غيره وان خالف رغبته ومصلحته وهواه

فاللامركزية توزع التبعة على أفراد الامة بمقدار ماتعطيهم من السيطرة على مصالح الوطن ، وبسبب ذلك تنزع عنهم ثوب الحياة الاتكالية الخلق الممقوت — حياة الاعتماد على غير النفس ، وتفسح امام كل فرد مجال العمل الواسع في جهاد الحياة ، وتمهد للشعب بلوغ غايات المدنية والترقي والعمران من أقرب سبيل وفي وقت قصير ، والعكس بالعكس .

مثاله مانراه لهذا العهد من الفرق بين السلطنة العثمانية التي تحكم بالمركزية وبين سويسرا التي تحكم باللامركزية . ففي هذه يرى من آثار العمران والمدنية والحياة العالية الصحيحة والوفاق الشامل لكل العناصر التي تقطن هذه المملكة الصغيرة مالا يُرى مثله حتى في كثير من الممالك المتمدنة الراقية بفضل توزيع السلطة على أقسامها الثلاثة العنصرية واطلاق حرية التعليم لكل عنصر من العناصر الثلاثة المؤلفة للامة السويسرية بلسانه وبما يوافق رغباته واطلاق حرية العمل لكل ولاية منها فيما ينمي عمرانها ويرقي سكانها على الوجه الذي يناسب مركزهم الاقتصادي والاجتماعي بحيث صار يضرب المثل بترقي هذه البلاد الجميلة وترقي أهلها البالغين منتهى مايريده قوم من السعادة والرفاه .

أما السلطنة العثمانية التي تحكم بالمركزية فعلى نقيض ذلك اذ نرى المعارف فيها

منحطة والعمران قليلا في بعض جهاتها مفقوداً في بعض آخر ، ووسائل الترقي الصحيح معدومة البتة ، لان حياة الاتكال على المركز في كل شيء مستحوذة على الشعوب العثمانية كافة، والمركز مقيد لكل ولاية بقيود تمنعها عن الحركة نحو الاصلاح المطلوب إلا ببطء وبما لايوافق الحال والحاجة في الغالب

والمثال على ذلك قوانين التعليم مثلا فانها على نقصها وعدم وفائها بالحاجة تحتم أن يكون التعليم في عدة أقطار بغير لسان أهلها وعلى برنامج واحد غير مراعى فيه حاجة كل ولاية واستعداد أهلها ، ثم ان المركز لايعطي المال اللازم للتعليم لكل ولاية الا بقدر محدود هو دون الحاجة فينشأ عن هذا وذاك نقص في التعليم وضعف في العلم وتضييق على الراغبين فيه فتعم الجهالة وتحرم البلاد من المعارف العالية التي هي أهم أسباب الترقي والحياة والسؤدد في كل أمة من الامم الحية المتمدنة لهذا العهد

وعلى هذا فقس سائر الاعمال النافعة التي يتوفر بها العمران في الولايات العثمانية فانها لتوقف صدورها على المركز بطيئة ضعيفة بل تكاد بعض الولايات تحرم منها البتة

زد على ذلك اننا نرى هذه الحكومة المركزية قد أعجزها تنائي أطراف المملكة واختلاف لغات وأجناس ومشارب أهلها عن أن تنفذ قوانينها في كل ولاياتها فان كثيراً من الاقطار العثمانية ليس فيها للدولة ديوان اداري ولا محكمة ولامدرسة ولا ثكنة ولا قلعة ولا حصن، ومنها مالا يؤخذ منه الجنود ، فبعض هذه الاقطار عالة في حمايته من المغيرين عليه على الولايات الاخرى ، عملاً بمبدإ الاتكالية الممقوت ، واعتمادا على المركز . ولذا نرى هذه الحكومة المركزية لاتقدر على الدفاع عن اكثر البلاد العثمانية اذا هاجمها عدوّ أجنبي كما ظهر ذلك في مسألة طرابلس الغرب ومثلها كثير ،ناهيك بتوالي الفتن والثورات في انحاء السلطنة وعجزها عن اخمادها وبالاحرى عجزها عن تلافيها قبل ظهورها بما يمنع حدوثها أو امتدادها حتى ان قطراً من الاقطار وهو اليمن لايزال مع الدولة في حرب مستمرة منذ دخل أول عثماني فيه الى عهد قريب

وقد ظهر للعيان ان المملكة كلها عرضة لخطر الزوال بهذه الحكومة المركزية مهددة بفقد الاستقلال الذي يفديه كل عثماني بأعز شيء لديه وهو النفس ويتمنى كل شعب تظله راية الهلال بقاءه ليبقى عزيزاً في وطنه أميناً من تسلط المغيرين عليه.

اذا تمهد هذا فقد علمنا ان المركزية أصبحت في مثل هذا العصر عصر التنازع الشديد في ميدان الحياة لاتصلح لترقي الامة العثمانية المرغوب ، ولا تضمن لها الحياة السياسية والاجتماعية ولا البقاء لاسيما اذا أضفنا الى هذا حاجة الشعوب العثمانية الى

الراحة من الغوائل السياسية والفتن الداخلية ، التي توالت على الدولة في العهدين عهد الحكومة المطلقة وعهد الحكومة الدستورية ، وأصيبت بسببها الدولة بغائلة الحرب البلقانية ، وانفكاك أعز ولاياتها عن جسم السلطنة العثمانية ، بفساد سياسة المركزية ، وسياسة مزج العناصر التي ذهب اليها فريق من المتهوسين بالسيادة فجروا على المملكة من المصائب مالا يحتاج الى برهان ، بعد الذي حدث وكان .

ولكي تأمن الامة العثمانية على حياتها السياسية في المستقبل وعلى سلامة الدولة من غوائل الفتن والمشاغبات الداخلية والصدمات الخارجية التي يسببها عدم رضاء العناصر العثمانية والتفافها باخلاص حول النقطة الجامعة وهي العرش العثماني الرفيع الذي أصبح وجود الامه السياسي لازما لوجوده مرتبطاً به — لكي تأمن الامة على ذلك صار من الحتم على كل عثماني صادق الوطنية النظر في الاسباب التي تماسك بها أعضاء هذا الجسم الذي تفكك بقوتي الجذب والدفع بين المركز والاطراف ودخله الوهن والضعف المؤديان الى الانحلال . وهذا مادعا فريقا من العثمانيين الى تأليف حزب اللامركزية الادارية بعد البحث والتروي الكثيرين فيما يضمن سلامة هذه المملكة وتضام كافة شعوبها واتحادهم على العمل الانفع لعمران البلاد وسعادتها وقوة الدولة وبقائها .

فهذا الحزب يعرض على أنظار جمهور العثمانيين من اخوانه في الجامعة والوطنية برنامجه ليكون موضع النظر والبحث من سائر العثمانيين وهو يرجو أن يجد منهم أنصارا كثيرين وأعوانا غيورين على تنفيذ قواعد اللامركزية الادارية في الاقطار العثمانية والله الموفق والمعين .

﴿ برنامج حزب اللامركزية الادارية العثماني ﴾

(المادة الاولى) الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية . وكل ولاية من ولاياتها تعد جزأ من السلطنة لاينفك عنها بحال من الاحوال وانما تبنى ادارة هذه الولايات على أساس اللامركزية الادارية والسلطان الاعظم هو الذي يعين الوالي وقاضي القضاة

(المادة الثانية) قاضي القضاة يعين القضاة الشرعيين والوالي يعين سائر الموظفين بعد اختيار مجلس الادارة لهم (وفاقاً للمادة السابعة) ولا يجوز عزل موظف الاحكام

من مجلس تأديب . ومن عزل لايجوز استخدامه ولايعطى معاش معزولية

(المادة الثالثة) يوضع نظام خاص لترقية عمال الحكومة وتأديبهم وتقاعدهم وما يتعلق بذلك

(المادة الرابعة) يكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس اداري ومجلس معارف ومجلس أوقاف

(المادة الخامسة) جميع قرارات المجلس العمومي تكون نافذة

(المادة السادسة) من حقوق المجلس العمومي للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شؤون الادارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الامن العام والمعارف والنافعة والاوقاف والبلدية وتقرير مايراه فيها وسن النظامات لها . وأما ما كان من أمور النافعة يتعلق من بعض الوجوه بالامور العسكرية أوالسياسة الخارجية كسكك الحديد فيرفعه بعد ابداء رأيه فيه الى العاصمة

(المادة السابعة) من حقوق مجلس ادارة الولاية وضع ميزانيتها وانتخاب جميع موظفيها

(المادة الثامنة) من حقوق مجلس معارف الولاية وضع برنامج التعليم والنظر في جميع شؤونها ووضع ميزانية خاصة لها يراعي فيها حصة المعارف التي تضاف على الاعشار والويركو ومايقرره المجلس العمومي من الضرائب لها وما لها من الاملاك والاوقاف

(المادة التاسعة) من حقوق مجلس أوقاف الولاية وضع ميزانية خاصة لها والنظر في جميع شؤونها فما كان منها له شروط تجب مراعاتها يكون العمل فيها بحسب شروطه وما كان منها غير ذلك يصرف فاضل ريعه على اقامة الشعائر ثم على التعليم الاسلامي

(المادة العاشرة) جميع أعضاء هذه المجالس تكون بالانتخاب الا مجلس الادارة فان نصف أعضائه ينتخبهم الشعب والنصف الآخر من رؤساء المصالح

(المادة الحادية عشرة) تعدل طريقة الانتخاب لهذه المجالس ولمجلس المبعوثين وللمجالس البلدية بحيث تكون حرة وممثلة لجميع عناصر الشعب

(المادة الثانية عشرة) ماجرى عليه العرف في بعض البلاد والاقاليم التي لاتنفذ فيها قوانين الحكومة وأحكامها يبقى على ما كان عليه الآن . ويراعى في تغيير الادارة في كل بلاد رضاء أهلها به

(المادة الثالثة عشرة) ينظر الحزب في قانون تعديل الاراضي على الوجه الذي ينمي الثروة العامة وفي تحضير القبائل البدوية لاجل تنمية الثروة وترقية الامة

(المادة الرابعة عشرة) يكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحلية

(المادة الخامسة عشرة) يجب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها

(المادة السادسة عشرة) أهل كل ولاية يؤدون الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكرها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم وأما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذ يجب على المجلس العمومي أن يتخذ الوسائل للدفاع عن الولاية

حديث كامل باشا

﴿ مع مؤسس المؤيد ﴾

تلقى السيد علي يوسف مؤسس المؤيد حديثا سياسيا عن كامل باشا في حالة الدولة في وزارته الاخيرة وما بعدها فنشرها في مؤيد هذا اليوم (سلخ ربيع الأول) فرأينا أن تنقل معظمه لأنه في معنى الرسمي القطعي . والعنوانات لمؤسس المؤيد قال :

تشرفت بمقابلة شيخ السياسة العثمانية أول أمس بأوتيل سميراميس . وهذه سلسلة الحديث :

(١) هل هناك غرامة حربية

س ـ مولاي ، ان الاخبار التي تحملها الينا الشركات البرقية عن الصلح سيئة جدا فقد كانت المشكلة في السابق منحصرة في مسألة ترك أدرنة لحكومات البلقان ونراها الآن قد انتقلت الى طور آخر وصارت تظهر لنا أمور جديدة مثل مسألة الغرامة الحربية فما هي ياترى نتائج هذه الاحوال ؟

ج ـ ماذا أقول ياسيدي . الحكم لمن غلب . أمّا من جهة الغرامة الحربية فالذي أظنه أن الدول العظمى التي تعرف حالتنا المالية لا توافق البلقانيين الحريصين على مطامعهم من هذه الجهة ، لان اجابتهن البلقانيين الى هذا الطلب يؤدي الى انحطاط الثقة المالية في الدولة فتسقط بذلك أسعار سندات الديون العثمانية التي كل حامليها من الاوربيين فيلحقهم من وراء ذلك ضرر عظيم ، وبديهي ان الدول العظمى لا تتوسط

لفائدة البلقانيين فيما فيه ضرر الاوربيين . وأنا أعتقد أن هذه الدول تلاحظ ان أقساط هذه الغرامة اذا دفعت للبلقانيين عاماً بعد عام ستستهلك كل فائدة تأتي من وراء ماوعدتنا به دول أوروبا من المساعدات المادية والادبية للاطمئنان على مستقبلنا وحينئذ لا يبقى لنا ماننفقه على عمار بلادنا واصلاحها فتكون مساعدات الدول التي وعدتنا بها من قبيل المساعدة للبلقانيين لانا . وعلى كل حال فان حاجتنا الى الصلح ظاهرة كالشمس في رابعة النهار

(٢) ماهو الباعث على ذلك الانقلاب

س - اذا كان هذا مبلغ حاجتنا الى عقد الصلح فأي فائده كانت جمعية الاتحاد والترقي تؤمل أن تحصل عليها من وراء الثورة التي أثارتها ضد الصلح ؟

ج - الغاية الاولى لجمعية الاتحاد والترقي من ذلك هو التربع في دست السلطة. أما فائدة أو ضرر استمرار الحرب فتلك مسئلة ثانوية في نظر الجمعية .ولوكان هنالك أقل أمل في الفوز والفائدة لكانت وزارتنا تستمر في الحرب الى النهايه

ولعمري ان حسابنا لم يخطئ قطعاً . وكيف كان يجوز لنا ترجيح الاستمرار في الحرب والتقارير العسكرية التي كانت تعرض من قواد الجيش على مجلس الوكلاء بواسطة وكيل جلالة السلطان في القيادة العامة كانت - مع التصريح باستعداد الضباط والجنود للموت في سبيل الوطن - خالية من كلمة واحدة تشف عن الامل في النجاح، بل القواد يصرحون على العكس بترجيح جانب الصلح على الاستمرار في الحرب . واذا كانت وزارتنا قد خدعت في فهم حقيقة مافذلك في شيء واحد هو تقدير شكري باشا للمؤن وكم تكفي لتقاوم حامية أدرنة الاعداء المحاصرين لها ، فانه حدد الوقت الذي سيضطره فيه نفاد الارزاق لتسليم أدرنة بأقصر مما ظهر بعد ذلك (١) . ولو كنا علمنا هذه الحقيقة كما هي لما عجلنا بالموافقة على اقتراح الدول العظمى ، ولكانت وزارتنا صححت اعتقادهن في هذا الباب وطلبت منهن أن يدخلن تعديلا جديداً على اقتراحهن

(٣) أدرنة قطب رحى المخابرات

س - هل لكم يامولاي أن تتفضلوا ببيان الحوادث التي تعد تتمة لهذه الحرب صوناً للحقيقة أن يتناولها التاريخ على غير وجهها ؟

(١) المنار : يرجح كامل باشا ان سبب غلط شكري باشا في تقديره هو انه أخبر الحكومة أولا بما عنده ثم ظهر له مخازن للمؤنة والذخيرة لم يكن رآها ولا علم بها فان أدرنة قد حصنت من عهد السلطان عبد الحميد . وجاء في بعض الجرائد انه وصل اليها ذخائر مهربة بمساعدة النمسة

ج - أجل ، ان هذا الامر مهم جدا في الحقيقة . معلوم أن أدرنة لم يكن في الامكان انقاذها من حصارها بالقوة العسكرية . وكانت الدول العظمى ترى أنه قد قضي على هذه المدينة بالسقوط لنفاد أرزاقها ولذلك أرسلت الينا مذكرة اجماعية تنصح لنا فيها بلهجة حازمة أن نترك أدرنة للمتحالفين وأن نفوض أمر الجزر لانصافها أما مجلس الوكلاء فقد رأى بعد التفكير في كل الطرق أنه لامندوحة عن قبول طريق الصلح حيث لم يكن ثمة تدبير آخر . وقبل يوم واحد من حدوث تلك الجناية عقد في السراي السلطانية مجلس عمومي صدق على ضرورة الصلح بعد أن اطلع على حقيقة موقفنا . ومع ذلك فانه لما كان لأدرنة شأن عند عموم الاهالي و من المنتظر أن تركها للاعداء صلحا يستلزم هياج الافكار والخواطر ، ولا يخفى أن العامة التي لا تطلع على حقائق الاحوال عن قرب ربما تهيج على الحكومة - لذلك لم تقدم هيئة الوزارة على تحمل هذه المسؤلية وقررت أن توضح لأوربة هذه المحذورات في جوابها . وبما أن السير ادوارد غراي ناظر خارجية انكلترا كان قد اقترح على مندوبي الباب العالي أن تكون أدرنة في منطقة على الحياد وأن تكون معفاة من الرسوم الجمركية فنحن قد وافقنا على جعل أدرنة على الحياد وعلى اعفائها من رسوم الجمرك ولكننا اشترطنا أن تبقى تابعة للدولة العلية فرفض مندوبو البلغار قبول ذلك وأحيلت المسألة على مؤتمر السفراء فلم تنتج مذاكرات المؤتمر شيئا

(٤) جواب الباب العالي يومئذ على مذكرة الدول

ثم قال فخامته : ولما أردنا أن نجيب على مذكرة الدول قررنا أن نوافق على جعل أدرنة بلداً اسلامياً كما كانت وأن تكون هي وضواحيها مستقلة وعلى الحياد بشرط أن لاتطالبنا الدول البلقانية بعد ذلك بشيء جديد . أما حاكم أدرنة فطلبنا أن يكون مسلما مهما كانت جنسيته وأن تنتخبه الدول الموقعة على معاهدة برلين (والدولة العلية احدى هذه الدول بالطبع) وحينئذ فان الباب العالي مستعد لتجريد أدرنة من حاميتها وذخائرها الحربية . وانما رجحنا هذا الحل لما كنا لاحظناه من المحاذير من وراء استمرار الحرب وقد تركنا للدول العظمى أمر تعيين حدود الاراضي التي ستتبع المتحالفين

أما مسئلة الجزر فقد قلنا في الجواب عنها اننا واثقون من انصاف الدول العظمى

وأنها ترى لزوم ابقاء هذه الجزر تابعة للدولة العلية لقربها من سواحل الاناضول العثمانية . وحيث ان بلاغ الدول كان يحتوي على وعود منها معاونة الدولة مادياً ومعنوياً لرقي وعمران الممالك العثمانية وزيادة قوتها فقد قرر مجلس الوكلاء أن يذكر في جوابه على مذكرة الدول كيف هو يتلقى تلك الوعود الحسنة التي تعوض علينا خسائرنا . ثم استحسنا أيضا أن يدرج في ذلك الجواب أننا نعتمد كل الاعتماد على الدول العظمى في أن ترفع - بعد زوال الروم ايلي تقريباً من يدنا - كل القيود التي قيدتنا بها المعاهدات القديمة التي كانت أمضيت في تركية أوربا. وأن يسمح للدولة باطلاق الحرية في معاملاتها الاقتصادية وفقاً لما هو جار بين الدول العظمى نفسها

(٥) لم يبلغ الجواب رسميا

على هذا النمط حررت صيغة جواب الباب العالي باللغة الفرنسوية على أن يبلغ في مساء ذلك اليوم (٢٣ يناير) الى سفراء الدول

(٦) هجوم جماعة الاتحاد والترقي على الباب العالي

وبينما كان مجلس الوكلاء يمعن النظر في ترجمة مسودة الجواب هجمت شرذمة قليلة احتلالية من جمعية الاتحاد والترقي بصورة وحشية على الباب العالي وحاولت أن تدخل غرفة مجلس الوكلاء فبادرهم ناظم باشا ليمنعهم ويسكن جأشهم فقتلوه في الحال واضطر حينئذ بقية الوكلاء أن يدخلوا غرفاً أخرى ينتظرون فيها ماذا يكون. أما أنا فقد لبثت في غرفة الصدارة ومعي حضرة فؤاد بك باشكاتب المابين الذي جاءني حاملا بعض ارادات ملوكانية وعلمت حينئذ أن الثائرين ملأوا الباب العالي اعتداء وأنهم قتلوا أيضاً ستة من الياورية والحجاب الذين قاموا بواجب المحافظة على الوكلاء والدفاع عنهم وعلمت كذلك أن اثنين من الثائرين قد قتلا في هذه الحادثة. وفي خلال هذه الفاجعة قفل فؤاد بك راجعاً من حيث أتى . ثم دخل عليّ شرذمة من الضباط لاأعرفهم ومعهم أشخاص آخرون بألبسة ملكية فتقرب مني جسور منهم وقال : « ان الخواطر خارج الباب العالي متهيجة تهيجاً عظيما »

وطلب مني أن أكتب استقالتي فتحققت وقتئذ أن جميع تلك الفعال الجنائية انما كانت وسيلة فقط ليحصل الاتحاديون على أزمة السلطة . وأنهم لاقصد لهم في الثأر من أحد

(٧) استقالة فخامته

وقد خطر ببالي أنني لو ترددت في أمر الاستقالة لتجرأ الثائرون على الايقاع بي حتى يتسنى لهم احتلال مقام الصدارة . فبناء على اصرار الضباط استقلت وكتبت

عريضة للحضرة السنية الملوكانية التمست فيها بلا تردد اعفائي من منصب الصدارة ولم يمض ساعة الا وجاءني رئيس قرناء الحضرة السلطانية مبلغاً عن لسان مولانا السلطان الاعظم كدره من هذه الواقعة وراجياً أن لا أترك الباب العالي خلواً من الحكومة ريثما تظهر نتيجة الحال . فامتثالا لامر جلالته وانتظاراً للنتائج بقيت على كرسي الصدارة منتظرا .

وفي خلال ذلك كان يدخل ويخرج أناس كثيرون ومنهم طلعت بك وأنور بك ثم عمر ناجي بك مبعوث قرقكليسا سابقاً المعدود من أركان الجمعية فتقرب هذا مني قائلا : « مولاي ان شاء الله أنتم تنفعون الدولة في هذا المقام كثيراً . ونحن جميعاً محتاجون اليكم . وسنكون مطيعين لاوامركم . » وقد أراد بهذا الكلام مداهنتي فقلت له : « لا حاجة لي بالصدارة فقد سبرت طالع الدولة وحسبي ما مضى » وبهذه الكلمة صرفته عني

(٨) الاعيب أنور بك

ثم جاءني أنور بك متظاهراً بحيرة واندهاش وقال : « انني كنت في تمرين العسكر ، وفي أثناء الطريق أخبرت بالواقعة » هذا ما قاله لي في حين أنه كان قد تواتر ساعتئذ في الباب العالي أنه من جملة الذين قتلوا ناظم باشا

وبعد ساعة من الزمان اجتمع عليّ شيخ الاسلام وآخرون من الوكلاء واحداً بعد آخر

(٩) تعيين الصدر الجديد

وعقب ذلك نصب محمود شوكت باشا صدرا أعظم وجاء الى الباب العالي مع شيخ الاسلام الجديد . وبعد أن تلي الخط السلطاني على رأس السلم جاء محمود شوكت باشا الى الغرفة العمومية مستقبلا تبريكات المهنئين ثم شرع في الترتيبات اللازمة

وبعد نصف الليل اجتمع بي خافي في غرفة أخرى فتفاوضنا هنيهة فى الاحوال الحاضرة . وعلى هذه الصورة بقيت هزيما من الليل ولكثرة الازدحام لم يمكن ايقاد مدافئ الغرف مع شدة البرد وكثرة الامطار . وظلت جثث القتلى هناك ولذلك لم أتمكن من مغادرة الباب العالي الا بعد الساعة الثالثة بعد نصف الليل فأثر البرد ليلتئذ في جسمي حتى أصابتني حمى ارتفعت درجتها الى ٣٩ (درجة) وقد زارني سفراء الدول العظمى في منزلي فشكرت مسعاهم واعتذرت لهم بالواسطة عن قبولهم . وبعد معالجة دامت عشرة أيام عادت الي صحتي فاشار علي الاطباء بتبديل الهواء . وفي

الحقيقة كنت قد تعبت لملازمتي الباب العالي ليل نهار مدة ثلاثة أشهر تقريباً - أي منذ شبت الحرب - فكنت مستمراً طول هذه المدة على الاشتغال بمهام الامور فانهك العمل جسمي ولذلك وافقت رأي الاطباء وجئت الى القطر المصري على احدى بواخر الشركة الخديوية

(١٠) دخول سعيد باشا في الوزارة الجديدة

أما محمود شوكت باشا فانه في اليوم الثاني من صدارته شكل وزارته . ولما جاءه سعيد باشا مهرولا ومباركاً له فوزه انتخبه محمود شوكت باشا رئيساً لشورى الدولة وباشر العمل بوظائفه

(١١) سقوط الوزارة الجديدة في الشرك

ومن الاتفاقات الغريبة أن الوزارة الجديدة كانت تحسب أن الوزارة السابقة قد أبلغت جوابها الى الدول موافقة على طلبهن مذعنة لشروط الصلح كما طلبتها الدول . ولكن لما رأت الوزارة الجديدة أوراق مجلس الوكلاء علمت أن كل ذلك لم يكن. وأن اللائحة الجوابية لم تعط . وأنه لم يكن ثمة مندوحة لسلامة الدولة غير طريق الصلح فاسقط في يدها وبعد مفاوضة دامت يومين رأت أن تقسم مدينة أدرنة الى شطرين بينهما نهر مريج اعتبرته حدا فاصلا . فالشطر الذي فيه الطوابي والاستحكامات أرادت أن تعطيه للبلغار والشطر الثاني طلبت أن يبقى للدولة العلية . ثم طلبوا في مبحث التعويضات إلغاء العهود القديمة ومكاتب البريد الاجنبية الى غير ذلك من الشروط مظهرين بذلك ميلهم الى الصلح .

(١٢) كيف عادت الحرب

فلما علم هذا في لوندرة اتبع البلغار - على ماجاء في الصحف - خطة أخرى فقالوا لاسبيل للمذاكرة مع هيئة ثورية اذ يعد ذلك ذلا لهم - أي البلغار - وأمروا القائد الاول للجيش البلغاري باستئناف الحرب وفقاً لما قرر في صوفيا . وعليه اضطر المعسكر العثماني للمقابلة

على هذا استمر الحرب الذي كان قد انقطع (كذا) في اليوم الرابع عشر من شهر كانون الاول (٢٧ دسمبر سنة ١٩١٢) فاستشهد في هذه المدة ألوف ومئات ألوف من شدة القر وفتحت أبواب جديدة للنفقات فصرف حتى الآن بضعة ملايين من الجنيهات واشتدت الازمة المالية حتى وصلت غايتها وظل المأمورون والمستخدمون والمردودون الى المعاش والارامل والايتام بل جميع المحتاجين بغير معاش فأصبح هؤلاء المساكين على شفا جرف الهلاك

وقد بيعت أملاك أميرية بأثمان بخسة ، ثم أعطي زيد وعمرو – خلافاً لكل قانون ولكل قاعدة – كثيراً من الامتيازات ولم يمكن مع هذا كله سد الرمق

فهذا أيها الاستاذ نتيجة ماجناه الاتحاديون بوضع أيديهم على أزمة الحكومة بسائق طمعهم فيها . ولا أدري ماذا يكون مجرى الحال في المستقبل مع فقد الامن. على أن العناصر العثمانية أخذت تنتبه الى انتهاج المناهج التي تأمن بها على مستقبلها . أما الامم ذات العلاقات الاقتصادية والتجارية ببلادنا فهي لا تألو جهداً الذب عن منافعها . والله أسأل أن يحسن العاقبة اهـ المراد من الحديث وله في المؤيد تتمة في مشروعية الحكومة الحاضرة وعدم رغبة كامل باشا في العود الى الوزارة

﴿ اللامركزية الادارية ، حياة البلاد العثمانية ﴾

جربت الحكومة المركزية العثمانية عدة قرون بالحكم المطلق وخمس سنين بالحكم الدستوري النيابي فلم تفلح، وكانت خمس سنين منها دستورية ، أسرع الى التخريب من خمس مئة سنة استبدادية ، فظهر لكل ذي بصيرة ان هذه المملكة المؤلفة من أقطار متنائية الارجاء ، مختلفة العناصر في اللغات والعادات ، والتقاليد والاخلاق ، لايمكن ان يحسن ادارتها الداخلية أفراد من عنصر واحد من عناصرها يتربون ويتعلمون في عاصمتها من علوم الافرنج ولغاتهم وقوانينهم مايريدون الاستعانة به على ادارتها مع جهلهم بلغاتها وسائر شؤونها ، ويجعلون جميع مصالحها مرتبطة بالعاصمة البعيدة عن أكثرها ، والتي يجهل لغتها (التركية) السواد الاعظم من أهلها ، بحيث اذا أراد رجل عربي ان يفتح مكتب أهلياً في ذروة جبل من اليمن لا يبيح له نظامها فتحه الا اذا كتب الى العاصمة باللغة التركية يستأذن بذلك وجاءه الاذن ولن يجيئه الا اذا كان يعلم بالتركية ولن يجد من يعلم بها ، واذا هدم مكان للحكومة في أبعد أرجائها لا يجوز بناؤه ولا ترميمه الا بعد استئذان العاصمة وورود الاذن ، ولن يرد اذا اهتموا به الا بعد عدة شهور وإلا فعدة سنين

أكبر مااستفاده العثمانيون من اعلان الدستور جواز ابداء آرائهم في حكومتهم ومصالحهم، وقد صرح بعضهم في السنة الاولى للدستور بأنه لايستقيم أمر هذه المملكة الا بالادارة اللامركزية ، ولكن الجمهور صبروا على حكم المركز مع اشتداد وطأته بغلو الاتحاديين واسرافهم فيه ، فرأوا من بوادر نتيجته ان الاتحاديين وجهوا قوة الدولة

كلها لقتال عناصرها وتذليلهم فنكلوا بالارنؤط وعرب اليمن والعسير والكرك وحوران، وأضاعوا طرابلس الغرب فالولايات الاوربية العثمانية كلها ، واضطروا الى الاعتراف باستقلال امام اليمن في بلاده وعرضوا مثل ذلك على السيد الادريسي في عسير ، فكان كلما حدثت حادثة من هذه الحوادث يقتنع كثيرون من أهل البصيرة والرأي بان عدم المركزية خير وأبقى لهذه الدولة فان لم تبادر اليه اضمحلت اضمحلالا ، وانحلت انحلالا

وقد كان أكبر الشبهات التي يغالط بها المتمتعون بالمركزية العامة وأشياعهم ان اللامركزية تمزق الدولة فيسهل على الاجانب ابتلاعها ، ولكن أهل المعرفة والحجة قد بينوا الحقائق للجمهور فلم يعد يهذي بهذه المغالطة مع المتمتعين بلذة السلطة المركزية وعظمتها وأموالها الا منافق متملق لهم ليشاركهم في بعض مايتمتعون به ، أو جاهل غملاج يتابع كل أحد على رأيه .

تكشف هذه الشبهة بكلمة واحدة وهي : ان المطلوب هو اللامركزية الادارية ، وهو لادخل له في السياسة الخارجية ولا في الحربية . وحفظ البلاد من استيلاء الاجانب عليها انما يكون بالقوة الحربية أو الوسائط السياسية، ولا نعلم ان أحداً ينازع العاصمة فيهما . على ان مسألة طرابلس الغرب وحرب البلقان قد أثبتتا لكل ذي عقل وفهم أن حكومة الاستانة لاتقدر أن تصد أية دولة من الدول الكبرى عن امتلاك ماتطمع فيه من بلادها ، فعلم من لم يكن يعلم أن بقاء مابقي للدولة منوط أمره بالدول الكبري ان شاءت أن تقسمه بينها فعلت ، وان شاءت أن تتركه فعلت ،والثاني هو المرجح عندنا الآن لما بيناه في موضع آخر من هذا الجزء ، ولا دخل فيه لشكل ادارة الولايات ألبتة. بل نقول إن جعل ما بقي تحت نفوذهن بالوسائل المالية أو السياسية وهو الخطر المنتظر لا يتم لهن بسهولة الا مع بقاء الحكومة المركزية اذ يكفي ارضاء اثنين أو ثلاثة أصحاب النفوذ في مجلس الوكلاء لاخذ كل ما تريده أوربة من الامتيازات والاراضي العثمانية ، ورهن موارد الدولة ، ولا يسهل هذا مع اللامركزية لانه يتوقف على اقناع مجالس الولايات ثم العاصمة . فالخطر كل الخطر على البلاد انما هو من الحكومة المركزية ولا سيما اذا كانت السلطة بيد جمعية الاتحاد والترقي

﴿ حزب اللامركزية ، ولجان الاصلاح السورية ﴾

نشرنا في هذا الجزء بيان هذا الحزب وبرنامجه السياسي ، وهو مؤلف من طائفة من أولي البصيرة والرأي وحملة الاقلام من العثمانيين المقيمين في مصر . وقد

تألفت في سورية عدة لجان للتشاور في طلب الاصلاح على أصول اللامركزية الادارية وان لم يذكر هذا الاسم فيها ، وكانت حكومة العاصمة على عهد وزارة كامل باشا راضية من هذه الحركة ومؤيدة لها . وكان أمثل تلك اللجان لجنة بيروت فانها انتخبت انتخاباً قانونياً فكانت مؤلفة ٨٦ عضواً من خواص الطوائف كلها وسننشر لائحتها في الجزء الآتي

والذي يسر في مجموع هذه المطالب وهذه الحركة المباركة ان شاء الله هو انها صادرة عن الشعور بالحاجة اليها المشترك بين المسلمين وغيرهم . وأنها كانت أفضل مجلى من مجالي الاتفاق والالفة بين الجميع ، وقد ظهر ذلك في بيروت بصفة لم يسبق لها نظير ، ولا أستثني ما كان عقب اعلان الدستور فان تلك نشوة عارضة لا يعتد بمثلها ولا يوثق بدوامه .

وقد توهم بعض الناس أن هذه الحركة كانت بتحريض أفراد من الاذكياء يمكن استمالتهم بالمناصب والوظائف والوعود فاغترت بذلك جمعية الاتحاد والترقي ووجهت همتها الى استمالة هؤلاء الافراد أو استمالة من تظن ان تركهم لطلب الاصلاح يتبعه ترك غيرهم ، وسترى الجمعية انها مخطئة وان كل من تستطيع استمالته يسقط من نظر اخوانه فلا يبقى له عندهم قيمة ولا تأثير ، كما ظهر مثل ذلك لعبد الحميد الذي اتبع هذه السياسة من قبل

وكتب الينا والى اناس آخرين ان الجمعية تريد إرسال وفد الى سورية لأجل التفريق بين طلاب الاصلاح وإيقاع الشقاق بين المسلمين والنصارى . وربما تستعين على ذلك ببعض جرائد المنافقين التي تمدها بمالها ونفوذها ، فان الجمعية على محاربتها لكل ما يفيد الاسلام صارت تستخدم اسم الاسلام لتأييد نفوذها ، والمرجو من عقلاء إخواننا البيروتيين عامة وأصحاب الجرائد الرشيدة منهم خاصة ، أن يكونوا إلباً واحداً على من يسعى للتفريق بينهم بقول أو عمل ، وان يحذروا من كل جريدة عرفت بالانتصار للاتحاديين أو تنشأ لترويج سياستهم ، واذا ظهرت لهم جريدة عربية في الاستانة فليكونوا منها على حذر ، ولا سيما اذا استخدم لها قلم شيطان التفريق السفيه المشهور

وقد جاء في بعض جرائد أمريكة ان لعزت باشا العابد يداً في هذه الحركة وانني أجزم على علم بأنه لم يكن له ولا لغيره من المقيمين في خارج البلاد السورية والمصرية يد في ذلك ولا رأي البتة ، ويتبع ذلك أنه ليس لأحد منهم نفوذ ولا تأثير في ذلك

﴿ تمليك الشخص المعنوي في الدولة العلية ﴾

جاء في البرقيات العامة من الاستانة انه قد صدرت الارادة السنية بجواز تمليك الشخص المعنوي . قال المؤيد في تعليقه على هذه البرقية « وكان السلطان السابق ممتنعاً كل الامتناع من أن يفعل هذا فمثلا كان لا يجوز لشركة عثمانية أو أجنبية أن تمتلك واذا كان لا بد من هذا فكان التمليك باسم رئيس الشركة والملك لا ينتقل للشركة ذاتها في سجلات الحكومة فكانت الشركات تأبى أن تأخذ ملكا باسماء رؤسائها خوفاً من انحلال الملك عنهم الى الحكومة متى توفوا ولا وارث لهم

« وكان هذا المنع حتى لا تصبح الشركات مستعمرات أجنبية ذات ملك واسع في البلاد ينتهي أمرها الى مثل ما انتهت اليه الشركات الانكليزية في الهند أو الهولاندية في الترنسفال أو البلجيكية في الكونغو

« أما الآن فقد أجيز تملك الشخص المعنوي ويخشى أن لا يكون هذا الشخص المعنوي مقيدا بقيد العثمانيـة لانه اذا لم يكن كذلك أمكن لمثل شركة سكة حـديد الاناضول الالمانية مثلا أن تملك الاراضي الواسعة حولها فتصبح مستعمرات ألمانيـة ومثل ذلك يقال في الشركات الانكليزية والفرنساوية في بغـداد والبصرة وسوريا وفي الشركات التي تنشأ من كل دولة أخرى

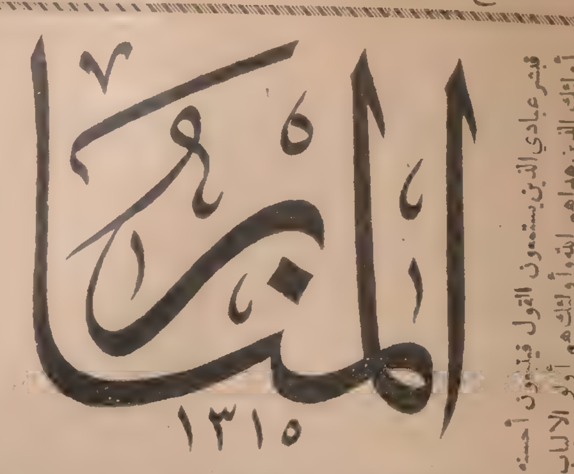
« ولهذا هرع الى الاستانة منذ أسبوعين ماليون كثيرون كانوا يتطلعون الى أراض واسعة في البلاد العثمانية ولا يستطيعون شراءها بواسطة الشركات لانهم رأوا الفرصة سانحة لهم . وبعض هؤلاء يؤملون ان جمعية الاتحاد والترقي تأخذ أملاكا واسعة باسم شخصها المعنوي وتبيعها لهم سريعاً بثمن موافق

« ولـكنا مع هذا كله نؤمل أن نرى في نص الارادة السنية ما يقيد الشخص المعنوي بقيد العثمانية حتى يزول الخطر الذي كان يخشاه السلطان عبد الحميد » اه

(المنار) هذا الخبر يدل على ما أثبتنا عن مقاصد الاتحاديين المالية من قبل . وهو أخوف ما نخافه من سياستهم المالية . فنسأل الله السلامة

﴿ يجب اصلاح الاغلاط الآتية في الجزئين الاول والثاني ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨٩	١٠	الى يحتم	أن يحتم
٩٥	١	أويأتي أمر ربك	أو يأتي ربك
١٠٠	٤	السواء	السوداء
١٠٢	١٥	لو اجتمعت	لئن اجتمعت



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الآخر ١٣٣١ هـ ق ١٨ الربيع الأول ١٢٩١ هـ ش ٧ ابريل ١٩١٣ م

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٣) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

لما قامت الحجة في الآيات الاخيرة على النصارى وفيما قبلها على اليهود وهم أهل الكتاب ، والمعرفة بالنبوات والشرائع ، وقامت الحجة قبل ذلك على المنافقين في اثناء السورة كما قامت على المشركين في سور كثيرة ، وظهرت نبوة النبي الخاتم ظهور الشمس ليس دونها سحاب ، لأن سحب الشبهات قد انقشعت بالحجج المشار اليها كل الانقشاع - نادى الله تعالى الناس كافة ودعاهم الى اتباع برهانه ، والاهتداء بالنور الذي جاء به ، فقال :

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ﴾ أي قد جاءكم من قبل ربكم، بفضله وعنايته بتربيتكم وتزكية نفوسكم ، برهان عظيم يبين لكم حقيقة الايمان الصحيح بالله عز وجل ، وجميع ما تحتاجون اليه من أمر دينكم - مبينا لكم ذلك بالدلائل والبينات والحكم ، وهو محمد النبي العربي الأمي ، الذي يظهر لكل من عرف سيرته في نشأته وتربيته ، وحاله في بعثته وسنته ، انه هو نفسه برهان على حقية ما جاء به : أمي لم يتعلم شيئا من الكتب قط ، ولم يعن في طفوليته ولا في شبابه بشيء مما كان يسمى علما عند قومه الاميين كالشعر والنسب وأيام العرب ، قام في كهولته يعلم الاميين والمتعلمين حقائق العلوم الالهية ، وصفات الربوبية ، وما يجب لتلك الذات العلية ، وما تتزكى به النفس البشرية ، وتصلح به الحياة الاجتماعية ، ويكشف ما اشتبه على أهل الكتاب من أصول دينهم ، وما اضطرب فيه نظار الفلسفة العليا من مسائل فلسفتهم ، ويرفع قواعد الايمان على أساس الحجج الكونية العقلية ، ويسلك هذا المسلك في بيان الشرائع العملية ، والحكمة الادبية ، والسياسة الحربية والاجتماعية ، كل ذلك كان على طريق الحجة والبرهان ، فلا غرو أن يسمى هو نفسه برهانا.

وهو برهان بسيرته العملية ، كما انه برهان في دعوته العلمية الشرعية ، فقد نشأ يتيما لم يعن بتربيته عالم ولا حكيم ولا سياسي ، بل ترك كما كان ولدان المشركين يتركون وشأنهم ، وكان في سن التعليم وتكوّن الاخلاق والملكات يرعى الغنم نهارا وينام من أول الليل ، فلا يحضر سمّار قومه (مواضع السمر في الليل) ولا معاهد لهوهم ، واتجر قليلا في شبابه ، مع قومه من ابناء الجاهلية وأترابه ، فهو لم يصادف من التربية المنزلية والتأديب الاجتماعي في اول نشأته ، ما يؤهله للمنصب الذي تصدى له في كهولته ، وهو تربية الامم تربية دينية اجتماعية سياسية حربية ، ولكنه قام بهذه التربية أكمل قيام ، وما زال يعجز عن مثل ما قام به من يستعدون له بالعلوم والاعمال ، فكان بهذا برهانا على عناية الله به ، وتأييده إياه بوحيه وتوفيقه ، وذلك قوله عز وجل

﴿ وأنزلنا اليكم نورًا مبينا ﴾ أي وأنزلنا اليكم أيها الناس بما أوحينا اليه كتابا من لدنا هو كالنور بين في نفسه ، مبين لكل ما أنزل لبيانه ، تنجلي لكم به الحقائق وتتبين

ببلاغته وأساليب بيانه بحيث لا يشتبه فيها من تدبره وعقل معانيه ، بل تثبت في عقله ، وتؤثر في قلبه ، وتكون هي الحاكمة على نفسه ، والمصلحة له في عمله ،

مثال ذلك توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، هو أثبت الحقائق، وأعلى مايصل اليه البشر من المعارف، وأفضل ماتتزكى به النفوس ، وتترقى به العقول ، وقد بعث به جميع رسل الله الى جميع الامم ، كان كل منهم يدعو أمته اليه، وكان يستجيب الناس لهم بقدر استعدادهم لفهم هذه الحقيقة العليا، ثم لايلبثون أن يشوهوها بعدهم بالشرك وضروب الوثنية التي تطمس العقول ، وتدنس النفوس ، وتهبط بالفطرة البشرية من أوج كرامتها وعزتها التي جعلها الله أهلاً لها، الى المهانة والذلة بالخضوع والخنوع والاستخذاء لبعض المخلوقات من جنسهم أو من أجناس أخرى فضل الله جنسهم عليها، وكان أقرب الامم التاريخية عهداً بالانبياء والرسل اليهود والنصارى وكانوا على نسيانهم حظا مما ذكروا به لايزالون يحفظون بعض وصايا رسلهم بالتوحيد، ولكنهم لايفقهون معناها اذ يلبسونها بالشرك في الالوهية كاتخاذ المسيح إلها بل اتخاذ من دونه من مقدسيهم آلهة أو أنصاف آلهة يزعمون أنهم وسطاء بينهم وبين الله في كل ما ينفعهم ويضرهم في معاشهم ومعادهم، وبالشرك في الربوبية باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، يشرعون لهم من الدين مالم يأذن به الله، ويحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم

هكذا كانت اليهود والنصارى في عهد بعثة النبي (ص) يتبعون أناسا من علمائهم وأحبارهم ومقدسيهم في عقائد وآداب وشرائع مشوبة بالوثنية والخضوع لغير الله تعالى، لم تؤخذ من وحي الله المنزل كما هو الواجب في أمور الدين الخالص من العقائد والعبادات وسائر مايتقرب به الى الله تعالى ، ولو كان البشر يستقلون بمعرفة هذا من غير وحي من الله لما كانوا محتاجين الى بعثة الرسل . وقد يزعمون أنهم كانوا متبعين لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام ، ولو صدقوا لما صار دينهم في شكل غير ما كانا عليه هما ومن كان متبعا لهما في زمنهما، بحيث لو بعثا ثانية لانكرا كل ما عليه هؤلاء الادعياء أو اكثره . واذا كان الركن الاعظم لدينهما وهو التوحيد قد زلزل عند اليهود وزال من عند النصارى فكيف يكون دينهما هو دين موسى وعيسى

عليهما السلام ؟ . - هذه اشارة الى ما كان عليه أقرب الناس عهداً بدعوة الرسل الى التوحيد فما ظنك بغيرهم ؟ ، فما الذي فعله القرآن في بيان هذه العقيدة ؟

لو لم يجئ محمد عليه الصلاة والسلام في بيان التوحيد بغير عنوانه في الشهادتين (لا إله إلاّ الله) لما كان نوراً مبينا لهذه الحقيقة لان من أشرك من أهل الكتاب وأمثالهم من الامم القديمة كالهنود والكلدانيين والمصريين واليونان كانوا يقولون ان الاله واحد، و بعضهم كان يصرح بمثل كلمة التوحيد عندنا أو بها نفسها ولكنهم كانوا على ذلك مشركين يزعمون أن بعض البشر أو الحيوان أو الجماد ينفع أو يضر بصفة خارقة للمادة غير داخلة في سلسلة نظام الاسباب والمسببات، فيتوجهون الى تلك الاشياء المعتقدة توجه العبادة . و يزعمون ان ماجاءت به رسلهم من أحكام الدين غير كاف في بيان الدين فيجب تركه الى مايضعه لهم بعض رؤسائهم من أحكام الحلال والحرام من غير نظر في موافقته أو مخالفته له أي لما جاء به الرسل، أو مع ضرب من النظر التقليدي فيه ، لدعمه به وارجاعه اليه

فلما كانت الوثنية قد تغلغلت في جميع الاديان المأثورة وأفسدتها على أهلها، فقلد بعضهم بعضا فيما ورثوه منها ، أنزل الله لهداية البشر هذا النور المبين (القرآن) فكان أشد إبانة لدقائق مسائل التوحيد وخفاياها من نور الكهرباء المتألق في هذا العصر الذي نرى فيه السراج الواحد في قوة مئات أو الوف من نور الشمع، فبين لمن يفهم لغته حقيقة التوحيد بالدلائل والبراهين الكونية والعقلية ، وضرب الامثال المادية والمعنوية ، وضروب القصص والمواعظ ، والهداية الى النظر والتجارب، وكشف ماران على هذه العقيدة من شبهات المضلين، وأوهام الضالين، التي مزجتها بالشرك مزجا ، جمع بين الضدين بل النقيضين جمعا ، ولوّن أساليب الكلام فيها ونوعه لتتقبل النفس تكراره بقبول حسن، ولا يعرض لها من ترتيل آياته شيء من الملل، فكان بيانه في تشييد صرح الوحدانية ، وتقويض بناء الوثنية ، بيانا لم يعهد مثله في كماله وتأثيره في كتاب بشري ولا إلهي .

الا ان ادراك هذه الحقيقة العليا والاحاطة بها ، والعلم بما كان من ضروب الشبهات عليها ، والاباطيل المتخللة فيها ، و بما لها من التمكن في نفوس الناس، وما

يتوقف عليه امتلاخها وانتزاعها من فنون البيان ، بحسب سنة الله تعالى في تحويل الامم من حال الى حال ، كل ذلك مما لا يعقل ان يتفق لرجل أمي لم يقرأ كتابا في الدين ولا في العلم ، ولا عاشر أحدا عارفا بهما ، كيف وقد كان ذلك فوق علوم الذين صرفوا كل حياتهم في الدرس والقراءة . بل نقول إن هذا البيان الاكمل لتقرير التوحيد واجتثاث جذور الوثنية الذي جاء به القرآن وأشرنا اليه آنفا لم يكن قط معهودا من الحكماء الربانيين ، ولا من النبيين المرسلين ، دع من دونهم من الأميين أو المتعلمين ، لهذا تعين ان يكون الله تعالى هو المنزل لهذا النور المبين ، (٢٦ : ١٩٢ وانه لتنزيل رب العالمين ١٩٣ نزل به الروح الامين ١٩٤ على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٥ بلسان عربي مبين)

فمن تأمل ماقلناه بانصاف ظهر له به على اختصاره ان محمدا النبي الامي (ص) كان نفسه برهانا من الله تعالى أي حجة قطعية على حقية دينه ، وان كتابه القرآن العربي انزل من العلم الالهي عليه ، ولم يكن امله الكسبي ان يأتي بمثله ، وانما أنزل نور مبينا الى جميع الناس ، ليروا بتدبره حقيقة دين الله الذي يسعدون به في حياتهم الدنيا ، وينالون به في الآخرة ماهو خير وأبقى ، ولذلك قال

﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾ الاعتصام الاخذ والتمسك بما يعصم ويحفظ ، مأخوذ من العصام وهو الحبل الذي تشد به القربة والاداوة لتحمل به ، والاعصم الوعل يعتصم في شعاف الجبال وقنها ، فالذين يعتصمون بهذا القرآن يدخلهم الله تعالى في رحمة خاصة منه لا يدخل فيها سواهم ، وفضل خاص لايتفضل به على غيرهم ، ويدل على هذا التخصيص تنكير الفضل والرحمة ، ورحمة الله وفضله غير محصورين ولكنه يختص من يشاء بما شاء من أنواعها . وقد فسرت الرحمة هنا بالجنة ، والفضل بما يزيد الله به أهلها على مايستحقون من الجزاء ، كما قال في آية أخرى تقدمت (ويزيدهم من فضله) ويمكن ان يفسرا بما هو أعم من نعيم الآخرة جزاء وزيادة ، فيشملا مايكون لاهل الاعتصام بالقرآن الذي هو حبل الله المتين من الخصوصية في الدنيا ، اذ يكونون رحمة للناس بعلومهم وأعمالهم وفضائلهم ، واجتماعهم وتعاونهم وتراحمهم ، يرحم

الناس بالاقتداء بهم والاقتباس منهم ، ومن ذلك انهم يكونون رحماء للناس ، تحملهم رحمتهم على السعي لخير الناس ، و بذل فضلهم من علم وعمل ومال لهم ، فيكونون أئمة للناس برحمتهم وفضلهم

﴿ ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴾ أي ويهديهم تعالى هداية خاصة موصلة اليه صراطا مستقيما أي طريقا قويما قريبا يبلغون به الغاية من العمل بالقرآن ، أما في الدنيا فبالسيادة والعزة والكمال ، وأما في الآخرة فبالجنة والرضوان ، فهذا الصراط المستقيم ، لا يهتدى اليه الا بالاعتصام بالقرآن الكريم ، فياخسارة المعرضين ، ويا طوبى للمعتصمين ، وقد صدق وعد الله للصادقين ، ففاز من اعتصم من الاولين ، وخاب وخسر من أعرض من الآخرين ، فعسى أن يعتبر بذلك المنتمون في هذا العصر الى هذا الدين . وقد سكت عن القسم الآخر المقابل لهؤلاء المؤمنين المعتصمين للعلم به من المقابلة ، والايذان بأنه بعد ظهور البرهان ، وتألق نور البيان ، لا ينبغي ان يوجد ، وان وجد لا يؤبه له لأنه كالعدم .

---

(١٧٤) يَسْتَفْتُونَكَ ، قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَالَةِ : إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ، وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ، فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ، وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ، يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ : وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله (ص) وانا مريض لا أعقل فتوضأ ثم صب علي فقلت انه لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث ؟ فنزلت آية الفرائض . هكذا أورده في الدر المنثور عند ذكر هذه الآية . وهي المراد من آية الفرائض هنا للتصريح بذلك في روايات أخرى عند كثيرين منها ما رواه ابن سعد والنسائي وابن جرير والبيهقي في سننه عن جابر قال : اشتكيت فدخل النبي (ص) عليّ فقلت يا رسول : أوصي

لأخواتي بالثلث ؟ قال « أحسن » قلت بالشطر ؟ قال « أحسن » ثم خرج ثم دخل علي فقال « لا أراك تموت في وجعك هذا ، ان الله أنزل وبين ما لأخواتك وهو الثلثان » فكان جابر يقول نزلت هذه الآية في « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »

وأخرج العدني والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في الفرائض بسند صحيح عن حذيفة قال نزلت آية الكلالة على النبي (ص) في مسير له فوقف النبي (ص) فاذا هو بحذيفة فلقاها إياه . فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة فدعا حذيفة فسأله عنها ، فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله (ص) فلقيتك كما لقاني والله لا أزيدك على ذلك شيئا أبدا . أقول ويفسر قوله « فلقيتك كما لقاني » مارواه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن ابن سيرين قال : نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » والنبي (ص) في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي (ص) حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل عنها حذيفة ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة: والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني على ان أحدثك مالم احدثك يومئذ . فقال عمر : لم أرد هذا رحمك الله .

وقد بينا في الجزء الرابع من التفسير (ص ٤٢٢ - ٤٢٤) معنى الكلالة واشتباه عمر رضي الله عنه فيها وسؤاله النبي (ص) عنها بنفسه وبواسطة بنته حفصة زوج النبي (ص) وروى ابن راهويه وابن مردويه ان هذه الآية نزلت بسبب سؤاله عن الكلالة فلم يفهمها فكلف حفصة ان تسأل النبي (ص) عنها عند ماتراه طيبة نفسه . وروى مالك ومسلم وابن جرير والبيهقي عن عمر قال « ما سألت النبي (ص) عن شيء أكثر ماسألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال « تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » . وروى أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي عن البراء بن عازب ان رجلا سأل النبي (ص) عن الكلالة فقال « تكفيك آية الصيف » وروى عبد بن حميد وأبو داود في المراسيل والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مثله وزاد « فمن لم يترك ولدا ولا والدا فورثته كلالة » وأخرجه الحاكم موصولا عن أبي سلمة عن أبي هريرة

قال الخطابي : أنزل الله في الكلالة آيتين أحداهما في الشتاء وهي الآية التي في أول سورة النساء وفيها اجمال وابهام لايكاد يتبين هذا المعنى من ظاهرها ، ثم أنزل الآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر سورة النساء، وفيها من زيادة البيان ماليس في آية الشتاء ، فأحال السائل عليها ليتبين المراد بالكلالة المذكورة فيها اه أقول وقد بينا في تفسير الآية الاولى انها نزلت في الاخوة من الأم بعد بيان إرث الوالدين لانهم يحلون محلها عند فقدها فيأخذون ما كانت تأخذه. ثم عرضت الحاجة الى بيان حكم اخوة العصب عند مرض جابر فنزلت هذه الآية. وما ورد أنها نزلت في السفر غلط سببه أن حذيفة لما تلقاها من النبي (ص) ظن انها نزلت في ذلك الوقت لانه لم يكن سمعها من قبل، وبهذا يجمع بين الروايتين، وكثيرا ما كان يظن الصحابي عند سماعه الآية لاول مرة أو عند حدوث حادثة انها نزلت في ذلك الوقت أو عند حدوث تلك الحادثة وتكون قد نزلت قبل ذلك ، ومن علم هذا سهل عليه الجمع بين كثير من الروايات المتعارضة في أسباب النزول وهي كثيرة جدا . ومن الغلط على الغلط قول بعضهم ان السفر الذي نزلت فيه هو سفر حجة الوداع ، وانما كانت حجة الوداع في الشتاء وقد صرح في الروايات الصحيحة ان هذه هي آية الصيف ورواية نزولها بسبب سؤال عمر لا تصح

ثم ان اختلافهم في تفسير الكلالة له مثار من اللغة ومجال من الآيتين . اما الاول فقد قيل ان أصل الكلالة في اللغة مالم يكن من النسب لحا أي لاصقا بلا واسطة، وقيل إنهما عدا الوالد والولد من القرابة وهو بيان للقول الاول، وقيل ماعدا الولد فقط، وقيل الاخوة من الأم .قال في لسان العرب عند ذكره « وهو المستعمل» وقيل الكلالة من العصبة من ورث معه الاخوة من الام . ويطلق هذا اللفظ على الميت الذي يرثه من ذكر ، وقيل بل على الورثة غير من ذكر ، وقيل على كل منهما والمرجح القرينة ، وهذا هو الصحيح لغة الذي يجمع به بين النصوص . والجمهور على ان الكلالة من الموروثين من لا ولد له ولا والد، وهو الذي قضى به أبو بكر (رض) وهو الحق وفيه الحديث الذي أرسله ابو داود ووصله الحاكم ، ولعله لو بلغهم كلهم لزال به كل خلاف

واما الثاني وهو مجال الخلاف من الآيتين فهو ان الآية الاولى التي ذكرت بين آيات الفرائض في اوائل السورة لم تفسر الكلالة وانما ذكرت مايرثه الاخوة للام إرث كلالة، واجمعوا على ان المراد بالاخوة فيها الاخوة من الام. والآية الثانية بينت فرض أخوات العصب كلالة واشترطت فيه عدم الولد. ولكن من تأمل الآيات كلها، علم انه لا خلاف ولا اشكال فيها، ذلك أنه بين قبل الآية الأولى إرث الاولاد ثم ارث الوالدين مع وجود الاولاد وعدمه، ومع وجود الاخوة وعدمه، ثم إرث الازواج مع وجود الاولاد وعدمه، وهؤلاء هم الذين يدلون الى من يرثونه بانفسهم وكل من عداهم يرث بالواسطة فيعد كلالة على الاطلاق، ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى (٤ : ١١ وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس) ومعنى يورث كلالة يموت فيرثه من يرثه من اهله ارث كلالة او حال كونه أي الميت كلالة اي لا ولد له ولا والد، فلو لم يعلم من اللغة تعلم من الآيات السابقة لانه تقدم فيها ذكر ارث كل منهما، فتعين ان تكون الكلالة عبارة عن عدمهما، ولم يشترط ان لا يكون له زوج لان العرب تطلق الكلالة على النسب دون الصهر، ولولا ذلك لكانت القرينة قاضية بأن يقال ان المراد بالكلالة هنا من ليس له ولد ولا والد ولا زوج (١) لأن الزوج يرث بلا واسطة كالاصول والفروع وقد ذكر فرضه ذكرا وانثى قبل ذكر الكلالة، فعلم من هذه الآية ان الاخوة من الام أصحاب فرض في الكلالة وأن فرضهم هو فرض الام التي حلوا محلها في الارث، وهو من القرائن على كون المراد الاخوة من الام. وبقي الاخوة من الأب والام معا أو من الاب فقط مسكوتا عنهم، وقد بينت السنة ان من لم يفرض له فرض من الاقارب يحوز ما بقي من التركة بعد الفريضة إن كان عصبة على قاعدة أخذ الذكر مثل حظ الانثيين وقاعدة كون الاقرب يحجب الابعد. فلما مرض جابر وله أخوات من عصبته أراد ان يوصي لهن لانه ليس لهن فرض وهو كلالة والعرب لم تكن تورّث الاناث فأنزل الله آية الفتوى في الكلالة فجعل لهن فيها فرضا،

(١) يطلق على الذكر والانثى

ولكن عمر (رض) أخذ بظاهر هذه الآية اذ نفت الولد ولم تنف الوالد، و روي انه رجع في آخر الامر الى رأي أبي بكر والجمهور (رض) . وروي أنه كان كتب رأيه في لوح ومكث يستخير الله مدة فيه يقول اللهم ان علمت فيه خيرا فأمضه، حتى اذا طعن دعا بالكتاب فمحي ولم يدر أحد ما كتب فيه، فقال : إني كنت كتبت في الجد والكلالة كتابا وكنت أستخير الله فيه فرأيت ان أتركـكم على ما كنتم عليه .
وروى عبد الرزاق وابن سعد عن ابن عباس قال أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال « احفظ عني ثلاثا فاني أخاف ان لا يدركني الناس : اما انا فلم اقض في الكلالة ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لي عتيق » وروي أيضا ان عليا كان أنكر قول أبي بكر ان الكلالة من لا ولد له ولا والد ثم رجع الى قوله

وههنا عبرة يجب تدبرها وهي انني لم أر في سيرة عمر (رض) أغرب من هذه المسألة ولا أدل منها على قوة دينه وايمانه بالقرآن وحرصه على بيان كل حكم من الشرع بدليله، ووقوفه اذا لم تتبين له الحجة، ولا سيما اذا كان الحكم في القرآن فلا مجال للاجتهاد فيه، وقد سئل مرة عن الكلالة وهو على المنبر فقال : الكلالة، الكلالة، الكلالة، وأخذ بلحيته ثم قال والله لأن اعلمها أحب اليّ مما طلعت عليه الشمس من شيء، سألت عنها رسول الله (ص) فقال « ألم تسمع الآية التي انزلت في الصيف» فاعادها ثلاث مرات . رواه ابن جرير . فالظاهر ان صحت الروايات - أن عمر كان يحب ان يبين النبي (ص) أحكام الكلالة بالتفصيل فيسأله عن الكلالة سؤالا مطلقا مبهما لا يبين مراده منه فيذكر له (ص) ما أنزل الله ولا يزيده من اجتهاده شيئا، فكبرت المسألة في نفسه وصارت اذا ذكرت تهوله وتحدث في نفسه اضطرابا فلا يتجرأ ان يستعمل اجتهاده ورأيه في فهمها . وقد عهد من كثير من العقلاء ماهو أغرب من هذا وهو ان يعجزوا عن تصور بعض الامور كبعض أرقام الحساب مثلا ويكون تصورهم وادراكهم الكل ماعدا ذلك صحيحا من غير ان يكون هنالك ماتخافه النفس ويضطرب له العصب كالقول في كتاب الله تعالى بغير بينة . فهل يعتبر بهذا من يقدمون اجتهادهم أو اجتهاد شيوخهم على ظاهر القرآن أوالسنة أو الذين لا يقدمون كتاب الله على كل شيء ؟

وجملة القول ان الكلالة من الوارثين من كلّ وأعيا عن ان يصل الى الميت الموروث بنفسه فهو يصل اليه بواسطة من يتصل نسبه به بالذات ، وانما النسب المتصل بالذات الاصل والفرع ، وما علا من الاصول وسفل من الفروع وهو عمود النسب فلا يكون كلالة ، فالكلالة من الوارثين اذاً هم الحواشي الذين يدلون الى الميت بواسطة الابوين أحدهما أو كليهما من الاطراف. والكلالة من الموروثين هو الذي يرثه غير الولد والوالد، فهذا ما كان يفهمه الصحابة لأنه المعروف في العربية ولا صحة لغيره ، وما اشتبه بعضهم الا لنفي الولد دون الوالد في هذه الآية ، لأنهم عهدوا أن القرآن خال من العبث واعتقدوا انه منزه عنه في ذكر مايثبته وترك ما يتركه في معرض الحاجة الى بيانه ، وهم موقنون بأنهم حفظوا هذا القرآن أكمل حفظ وأتمه فلا يحتمل ان يكونوا قد نسوا أو تركوا ذكر نفي الوالد مع نفي الولد في الآية . ولهذا أغلظ حذيفة الرد على عمر في خلافته لما سأله عن الآية اذ توهم ان يحمله على ان يقول فيها شيئا برأيه . وعلى هذا يكون محل الاشكال هو نكتة نفي الولد دون نفي الوالد في الآية واليك تفسيرها متضمنا لهذه النكتة :

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ أي يطلبون منك أيها الرسول الفتيا فيمن يورث كلالة كجابر بن عبد الله الذي ليس له والد ولا ولد ، وله اخوات من عصبته وهؤلاء لم يفرض لهم شيء في التركة من قبل ، وانما فرض للأخوة من الام السدس للواحد منهم والثلث لما زاد عن الواحد شركاء فيه مهما كثروا لانه سهم أمهم ليس لها سواه، فقل لهم ان الله يفتيكم في الكلالة التي سألتم عنها بقوله: ﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك ﴾ هلك مات ولا يستعمل منذ قرون الا في مقام التحقير ، وقد استعمله القرآن في غير هذا المكان بمعنى الموت مطلقا بقوله عن يوسف عليه السلام (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) و « ليس له ولد » صفة امرؤ أو حال من الضمير في هلك. والمعنى ان هلك امرؤ عادم للولد أو غير ذي ولد والحال ان له اختا من أبويه معا أو من أبيه فقط فلها نصف ماترك .

والنكتة في الاكتفاء بنفي الولد وعدم اشتراط نفي الوالد تظهر بوجوه: (١) أنه داخل

في مفهوم الكلالة لغة (٢) ان الاكثر أن الانسان يموت عن تركة بعد موت والديه لأن المال الذي يتركه اما ان يكون ورثه منهما و إما ان يكون اكتسبه وانما يكون الكسب في سن الشباب والكهولة ويقل في هذه الحال بقاء الوالدين فلم يراع في الذكر إيجازا — (٣) وهو العمدة أن عدم ارث الاخوة والاخوات مع الوالد الذي يدلون به قد علم من آيات الفرائض التي أنزلت أولا وتقدمت في أوائل السورة ، ومضت السنة في بيانها والعمل بها على ذلك - وعلم أيضا من القاعدة القياسية المأخوذة من تلك الآيات ومن هذه الآية ، وهي كون الاصل في الارث ان يكون للذكر من كل صنف مثل حظ الانثيين ، ومن قاعدة حجب الوالد لاولاده . قال تعالى في الآيات الاولى (فان لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلامه الثلث) أي والباقي وهو الثلثان لابيه عملا بالقاعدة . (فان كان له اخوة فلامه السدس) لان أولادها يحجبونها حجب نقصان فيكون ثلثها سدسا، والسدس الآخر يكون لهم عند ابن عباس واما الجمهور فيقولون ان الباقي كله للاب لان الآية بينت ان وجودهما ينقص فرضها ولم تفرض لهم شيئا ، وعلى كل قول ليس لهم فرض مع وجود الاب الذي يحجبهم حجب حرمان لأنهم لايصلون الى أخيهم الا به وما يتركه من هذا المال وغيره يعود اليهم ،فلهذه الوجوه لم يكن لاشتراط عدم الاب فائدة فترك ايجازا للعلم به من لفظ الكلالة ومن الآية السابقة ، والقواعد الثابتة ، وكذا من قول النبي (ص) المبني على ماذكر والمبين له وهو مارواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر » وليس الاستغناء عن نفي الوالد هنا مع ارادته الا مثل الاستغناء عن اشتراط ان يكون هذا الفرض من بعد وصية يوصى بها أو دين ، كل منهما علم مما قبله، فاستغني عن اعادة ذكره، بل الاستغناء عن ذكر نفي الوالد أقوى لما ذكرناه من العلم به من اللفظ ،وكون الغالب انه لا يوجد ، وكونه ان وجد يكون حجبه لأولاده معلوما قطعيا لانه منصوص ومقيس . وانما اطلت في هذه المسألة وكررت بعض المعاني لاضطراب المتقدمين والمتأخرين في الـكلالة وعدم الاطلاع على بيان تام في التوفيق بين ما جرى عليه جمهور الصحابة واتفق عليه المتأخرون و بين عبارة القرآن المجيد ، والحمد لله الذي

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقد اختلفوا في الولد هنا هل هو على إطلاقه فيشمل البنت أو هو خاص بالابن كما يطلق أحيانا . وسبب الخلاف ان الاخت لاترث شيئا مع وجود الابن بالاجماع وأما مع وجود البنت فترث ، ومن قال ان الولد يشمل الذكر والانثى هنا لم ير ارث الاخت مع وجود البنت مانعا من اشتراط عدم وجود البنت لارثها النصف فرضا ، لأن الفرض الثابت لها هنا وهو النصف يشترط فيه عدم وجود البنت فانها اذا وجدت تجعلها عصبة ترث مابقي بعد أخذ كل ذي فرض حقه من التركة ، وقد يكون هذا الباقي النصف وقد يكون أقل من النصف، فاذا لم يكن ثم وارث الا البنت والاخت كان النصف للبنت فرضا والباقي وهو النصف للاخت تعصيبا لافرضا فلا ينافي الآية ، لانه اذا كان مع البنت زوجة فانها تأخذ الثمن فيكون مابقي للاخت أقل من النصف، ولو كانت ترث النصف فرضا مع وجود البنت ووجد مع البنت زوجة للميت لعالت المسألة وكان النقص من السهام لاحقا بكل الانصباء فلا تقل سهام الاخت عن سهام البنت، فعلم من هذا أن الولد المنفي هنا يشمل الذكر والانثى ولا إشكال فيه

﴿ وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ﴾ أي والمرء يرث أخته اذا ماتت إن لم يكن لها ولد ذكر ولا انثى ، ولا والد يحجبه عن إرثها كما علم من معنى الكلالة ومن الآيات والقواعد التي أشرنا اليها آنفا وبينا انها هي التي جعلت من الايجاز البليغ عدم ذكر اشتراط نفي الوالد، لانه كتحصيل الحاصل، كاشتراط كونه بعد الوصية والدين للعلم بذلك ، فان لم يكن لها ولد البتة ورثها وحده فكان له كل التركة ، وهو موافق لقاعدة للذكر مثل حظ الانثيين. والظاهر ان هذا هو المراد لانه مقابل إرث الاخت للنصف. وانما أطلق الارث ولم يبين النصيب لان الاخ ليس صاحب فرض معين لا يزيد ولا ينقص بل هو عصبة يحوز كل التركة عند عدم وجود أحد من أصحاب الفروض وأما عند وجود أحد منهم يرث هو معه فيحوز كلالة جميع ما بقي على القاعدة المبينة في الحديث الصحيح الذى ذكرناه آنفا ،فثبت الاخت في مسألتنا لها النصف فرضا اذا انفردت فهو يرث معها الباقي وهو النصف الآخر، فاذا ماتت عنه وعن

بنت وزوج فللبنت النصف وللزوج الربع وللاخ الباقي وهو الربع . وقد أراد بعضهم أن يدخل الصور التي يرث فيها الاخ مع بنت الاخت في مفهوم « وهو يرثها ان لم يكن لها ولد » فقسروا الولد بالابن ولا مندوحة عن ذلك اذاً لان البنت لا تحجبه عن الميراث بالاجماع ، ولكن ارادة هذه الصور غير متعين وحكمها معلوم من النصوص الاخرى

﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ أي فان كان من يرث بالاخوة أختين فلهما الثلثان مما ترك أخوهما كلالة وكذا ان كن اكثر من اثنتين بالأولى كاخوات جابر وكن سبعا أو تسعا ، والباقي لمن يوجد من العصبة ان لم يكن هنالك احد من اصحاب الفروض كالزوجة والا اخذ كل ذي فرض فرضه أولا كما هو مقرر. وعبر بالعدد فقال اثنتين دون أختين لان الكلام في الاخوة والعبرة في الفرض بالعدد

﴿ وان كانوا اخوة رجالا ونساء ﴾ أي وان كان من يرثون بالاخوة كلالة ذكورا واناثا ﴿ فللذكر مثل حظ الانثيين ﴾ منهم على القاعدة في كل صنف اجتمع منه أفراد في درجة واحدة الا أولاد الام فانهم شركاء في سدس أمهم لحلولهم محلها ولولا ذلك لم يرثوا لأنهم ليسوا من عصبة الميت. وفي العبارة تغليب الذكور على الاناث وهو معروف في اللغة

﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي يبين الله لكم أمور دينكم ومن أهمها تفصيل هذه الفرائض وأحكامها كراهة أن تضلوا أو تفاديا بها من أن تضلوا ، والمراد لتتقوا بمعرفتها والاذعان لها الضلال في قسمة التركات وغيرها . هذا هو التوجيه المشهور زدناه بيانا بالتصرف في التقدير ، وهو على هذا مفعول لاجله . وقدم البيضاوي عليه وجها آخر فقال « أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ، ونقل الرازي عن الجرجاني صاحب النظم انه قال « يبين الله لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها » اه والكوفيون يقدرون حرف النفي أي لئلا تضلوا . والأول الذي عليه البصريون أظهر ، وفي حديث ابن عمر « لا يدعو أحدكم على ولده أن يوافق من الله ساعة اجابة » قيل معناه لئلا يوافق ساعة اجابة ، والاظهر تقدير البصريين اي كراهة ان يوافق ساعة إجابة ، وفي معنى

الكراهة الحذر والتفادي وهو استعمال معروف وتكرر في القرآن ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ فما شرع لكم هذه الاحكام وسواها الا عن علم بأن فيها الخير لكم وحفظ مصالحكم وصلاح ذات بينكم ، كما هو شأنه في جميع أحكامه وأفعاله ، كلها موافقة للحكمة ، الدالة على إحاطة العلم وسعة الرحمة ،

ومن مباحث اللفظ والاسلوب في الآية انها تدل على أن المعلوم من السياق له حكم المذكور في اللفظ حتى في إعادة الضمير عليه ، فلا يتعين تقدير لفظ المرء في بيان مرجع ضمير «وهو يرثها» بل يصح ان نقول إن المعنى وهواي أخوها يرثها الخ ومثله قوله « فان كانتا ـ وان كانوا »

ومن مباحث تاريخ القرآن وأسباب نزوله ماروي من كون هذه الآية آخر آية نزلت . روى الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن البراء قال : آخر سورة نزلت كاملة براءة (أي التوبة) وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » أي من آيات الفرائض كما صرح به بعضهم . وبهذا لاتنافي مارواه البخاري عن ابن عباس قال « آخر آية نزلت آية الربا » وروى البيهقي عن ابن عمر مثله ، وفي بعض الروايات عن عمر التعبير بقوله « من آخر مانزل آية الربا » رواه أحمد وابن ماجه ، قالوا المراد بآية الربا «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا » الآية . وذكر عمر أن النبي (ص) توفي ولم يفسرها . وفي روايات ضعيفة عن ابن عباس ان آخر آية نزلت أو آخر مانزل قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » الآية وهي بعد آيات الربا من سورة البقرة التي تقدم انها من آخر مانزل أو آخره . قال في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه: وكان بين نزولها وبين موت النبي (ص) أحد وثمانون يوما . ورواية الكلبي عن أبي صالح هي أوهى الروايات عن ابن عباس فلا يعتد بها . وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير انها « آخر مانزل من القرآن كله ـ قال ـ وعاش النبي (ص) بعد نزول هذه الآية تسع ليال ومات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول » وفي هذه الرواية بحث ليس هذا محله . وجملة القول انه لاسبيل الى القطع بآخر آية نزلت من القرآن وانما نقول ان هذه الآية من آخر مانزل قطعا ويجوز ان تكون آخرها كلها والله أعلم

﴿ خلاصة السورة ﴾

افتتحت السورة بالامر بالتقوى وذكر بدء خلق الناس وتناسلهم، ثم بالاحكام المتعلقة بالبيوت (الاهل والعشيرة) وحقوق اليتامى والنساء المالية والادبية ، ومنها فرائض المواريث وارث النساء وعضلهن وعقاب من يأتي الفاحشة من الجنسين ، ومحرمات النكاح ومحللاته ، وغير ذلك من أحكام الازواج وحقوق الزوجية . فهذا نسق واحد في خمس وثلاثين آية تتخللها على سنة القرآن الوصية بالتقوى والترغيب في الطاعة والوعد عليها والوعيد على المعاصي وغير ذلك من المواعظ التي تغذي الايمان بالله وتزكي النفس

يلي ذلك محاجة أهل الكتاب من اليهود ممهدا لها بالامر بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك والامر بالاحسان بالوالدين والاقربين واليتامى والمساكين والجيران ، وتشنيع البخل وكتمان نعم الله ووعيد الكفر وعصيان الرسول . وذلك في بضع آيات ليس فيها من آيات الاحكام شيء الا ما ختمت به من آية التيم المفتتحة بالنهي عن الصلاة في حال السكر . ثم صرح بعدها بحكاية أحوال اليهود في دينهم، وأخلاقهم وبين ما في ذلك من العبر ، وما يستحقون عليه من الوعيد ، ليعلم منه سنة الله وحكمه فيمن يعمل مثل عملهم ، وتكون حاله كحالهم ووعد من كان على ضد ذلك وهو الايمان والصلاح . وذلك من آية ٤٣ الى ٥٦

ولما كان في بيان أحوال اليهود ذكر لحالهم في الملك لو كان لهم نصيب منه وهو الاثرة وحرمان غيرهم من أقل منفعة ، بين عقبه مايجب أن تؤسس عليه الحكومة الاسلامية وهو أداء الامانات الى أهلها ، والحكم بين الناس كلهم بالعدل بلا محاباة ، واطاعة الله فيما جاء في الكتاب من الاحكام ، ورسوله فيما مضت به سنته من بيانها والقضاء بها او باجتهاده (ص) ، وأولي الامر وهم أهل الحل والعقد فيما يضعون للناس من النظام المدني والسياسي مما يحتاجون اليه بحسب المصالح العامة في كل عصر ، فيكون ما يضعونه مطاعا في الدرجة الثالثة

ثم شرع في بيان أحوال المنافقين وأخلاقهم وما يجب ان يعاملوا به وأهم

ذلك أحوالهم ومعاملتهم في وقت القتال ، وبهذه المناسبة ذكرت أحكام وحكم ومواعظ كثيرة تتعلق بالقتال والهجرة والامان وقتل الخطأ والعمد وصلاة الخوف والسفر ، وقد أكد في أثناء هذه الآيات أمرطاعة الله ورسوله . فهذا سياق بدىء من آية ٥٧ الى ١٠٣

بعد هذا جاءت آيات في خطاب الرسول بالحكم بين الناس بما أراه الله والاشارة الى واقعة أراد بعضهم ان يحابي الرسول فيها بعض المسلمين على أهل الكتاب ، وعقبها بما يناسب هذا المقام من الوعظ والوعد والوعيد ولا سيما وعيد من يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ثم مسألةجواز المغفرة لما عدا الشرك يتبعها بيان شيء من ضلال مشركي العرب ثم بيان ان أمر النجاة في الآخرة منوط بالايمان والعمل لا بالاماني والانتساب الى دين شريف ونبي مرسل . فكانت أحكام هذه الآيات ومواعظها في شؤون أهل الكتاب والمشركين والمؤمنين جميعا ومزايا الاسلام ولذلك ختمها ببيان حسن ملة ابراهيم الحنيفية وهو المتفق على فضله عند هذه الطوائف كلها . ويمتد هذا السياق الى آية ١٢٥

تلا ذلك آيات في أحكام النساء واليتامى والمستضعفين من الولدان ونشوز النساء والعدل بينهن، والاصلاح بين الازواج والتفرق ، دعمت بآيات في الوصية بالتقوى والتذكير بالله تعالى ووعده ووعيده والامر بالمبالغة في القيام بالقسط والشهادة بالحق ولو على الاقربين والاغنياء والفقراء من غير محاباة ولا شفقة. وذلك في نحو من عشر آيات

ثم عاد الى الكلام في أحوال المنافقين بعد التمهيد له بالامر بالايمان وذكر أركانه ووعيد الذين يتقلبون ويتذبذبون فيه، فذكر موالاتهم للكافرين وسببها ومنشأها من نفوسهم ومخادعتهم لله ووعيدهم وجزاءهم وجزاء من تاب وأصلح منهم وجزاء المؤمنين الصادقين. وقد انتهى ذلك بآية ١٤٦ وهي آخر الجزء الخامس

ثم عاد الكلام الى أحوال أهل الكتاب في الايمان والكفر فافتتح بحكم الجهر بالسوء من القول، وكون الاصل فيه القبح والذم، وحسن مقابله وهو ابداء الخير في القول والعمل . وبعد هذا ذكر الذين يفرقون بين الله ورسله بدعوى الايمان

بعض والكفر ببعض ، و بيان عراقة هذا في الكفر ، وما يقابله من الايمان بالجميع ، وقفى على ذلك ببيان مشاغبة اليهود للنبي (ص) وحجته تعالى عليهم بمعاندة موسى وعبادة العجل ونقض ميثاق الله وقتل الانبياء وإيذاء المسيح وامه والافتخار بدعوى قتله . وختم ذلك ببيان حال الراسخين في العلم منهم والمؤمنين . وذلك في نصف حزب ينتهي بآية ١٦١

بعد هذا أقام الله حجته على صحة نبوة خاتم رسله بكون وحيه اليه كوحيه الى من قبله منهم، وكونه بعث الرسل الى كل الامم، اي فلم يجعله خاصا ببني اسرائيل، وكونه تعالى يشهد بما أوحاه الى رسوله اذ جعله مقرونا بالعلم الاعلى، منزلا على الأمي الذي لم يتعلم شيئا ، وختم هذا ببيان حال من يكفر به وغايته التي يؤول اليها، ودعوة الناس كافة الى الايمان به . فتم هذا السياق ببضع آيات

ثم انتقل الكلام الى اقامة الحجة على النصارى وابطال عقيدة التثليث واثبات الوحدانية و بيان ماهو المسيح، وختمها بالوعد والوعيد و بيان ان محمدا رسوله تعالى برهان، وكتابه نور ، ودعوة الناس كافة الى الاهتداء بهما، و وعد من اعتصم بهذا الكتاب بالرحمة والفضل الالهيين ، وهداية الصراط المستقيم الذي يصل سالكه الى سعادة الدارين . وهذا هو ختم هذه السورة الحكيمة التي بين الله فيها أصول الحكومة الاسلامية وأهم فرائضها وأحكامها وناهيك بأحكام النساء والاهل والمواريث والنكاح وحقوق الزوجية والايمان والشرك والتوبة والقتال ، وشؤون المنافقين وأهل الكتاب ودحض شبهاتهم فهي أعظم السور الطوال فوائد

وأما الآية الاخيرة فهي ذيل للسورة في فتوى متممة لاحكام الفرائض التي في أوائلها . وقد بينا غير مرة الحكمة في أسلوب المزج في القرآن . وفائدة الاحكام أو المسائل التي تجعل ذيلا أو ملحقا الكتاب أو قانون هي ان الذهن يتنبه اليها فضل تنبه فلا يغفل عنها كما يغفل عما يكون مندمجا في أثناء أحكام أو مسائل كثيرة من ذلك النوع . فكأن جعل هذه الآية مفردة على غير فواصل في السورة يراد به توجيه النفوس اليها ، لئلا تغفل عنها ، وهذا الاسلوب صار مألوفا هذا العصر عند كثير من أمم العلم حتى في المراسلات الخاصة ، والله أعلم وأحكم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ سبب نقل الروايات الموضوعة ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء

حضرة امام المرشدين ، وقدوة العلماء العاملين ، من يتلقى سؤال كل سائل ملهوف بالقبول والرضا ، الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا ، أبقاه الله للمسلمين يداوي كل مرض كان عارضاً ، آمين

ذكرتم في الجزء الثاني من منار هذه السنة تفسير قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة الخ ورأيتكم ذكرتم كما ذكر غالب المفسرين بازاء تفسير (والمقيمين الصلاة) الرواية الموضوعة المنسوبة لعثمان من أن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها وذكرتم أيضاً أنها موضوعة وأن السابقين الاولين بعيدين عن ذلك الخ فاذا كانت الآية بريئة من نسبة هذه الرواية الموضوعة وكذلك باقي آيات القرآن قطعاً فما الداعي لذكر غالب المفسرين لهذه الرواية مع أن القرآن جميعه بريء منها فهلا تركوا ذكرها بازاء تفسير الآية حتى لايتأتى تشويش فكر لضعيف

ابراهيم محمد عريقات

من برنبال غربية

(ج) مامن أمة من الامم الا وفيها الصادقون والكاذبون ، وما من دين من الاديان الا وينتمي اليه المخلصون والمنافقون ، وقد كذب الزنادقة وأهل الاهواء على نبينا (ص) وأصحابه (رض) كما كذب أمثالهم على المسيح وحواريه وعلى غيرهم من الانبياء في الامم السابقة ، ولكن المسلمين امتازوا على جميع الامم بتمحيص كل

ماروي عن نبيهم وعن أصحابه وان لم يكن قول الصحابي برأيه حجة شرعية عندهم ومن أظهر آيات صدق أئمة المحدثين أصحاب الجرح والتعديل وبيان علل الحديث أنهم لم يكتموا شيئا مما روي، ولم يحكموا مذاهبهم وآراءهم أوأهواءهم في ذلك ، بل نظروا في الرواية نظر المؤرخ العادل، فما ظهر لهم قوة سنده منها صححوه أوحسنوه، وما كان غير ذلك ضعفوه أو كذبوه ، ولم تحملهم صحة المعنى على تصحيح الرواية ، ولا مجرد كون المتن موضعاً للطعن والنقد ، على الحكم على سنده بالوضع ، بل فصلوا بين نقد المتون ونقد الاسانيد، فعني بهذا أناس وبذاك آخرون، ويقل من جمع بينهما، فجمعوا لنا كل ماروي وقيل فينا ،سواء كان لنا أو علينا ،فأما المفسرون فمنهم من لاهم له الا نقل مايراه في كتب من قبله من غير بحث ولا نقد ، ولاتمييز بين مايصح ومالا يصح لاجل نقده وبيان الحق، ومن هذا الباب نقلهم لما روي عن عثمان.ومن كان همه النقل فقط لايخطر بباله مايثيره نقله في نفوس القارئين ولا يحفل بذلك

﴿ اختلاج الاعضاء ﴾

(س١٠) ومنه : ذكر الخوارزمي في كتاب (مفيد العلوم ومبيد الهموم) بابا لاختلاج الاعضاء جميعها وقال بأنه اذا اختلج عضو كذا يحصل من الخير كذا واذا اختلج عضو كذا يحصل من الشر كذا وهكذا الى آخر الاعضاء مابين خير وشر فهل لهذا الاختلاج من حكم وأصل واذا قيل بأنه لاأصل له نقول قد وجدنا غالب ماذكره الخوارزمي في باب الاختلاج عند التجارب صحيحاً فهل ذلك من الاسباب العادية أم كيف ؟ أفيدونا

(ج) مسألة اختلاج الاعضاء وكونها سببا للخير والشر ليست دينية ولاعقلية وأما التجربة فلايثبت بها مثل هذا الا بالاستقراء المطرد وأنتم تنفون ذلك بقولكم انكم وجدتم غالب ماذكره الخوازمي في باب الاختلاج صحيحاً ، وهذا اثبات لعدم صحة مقابل الغالب. ولا يكفي في الاستقراء تجربة واحد اذ يتفق أن يحدث له بعد الاختلاج مالايحدث لغيره ، وما يدريكم لعل غيركم رأي اكثر ما يقوله أهل هذا الزعم أو كله غير صحيح. ها أناذا رأيت في صغري أرجوزة في دلالة اختلاج أعضاء البدن علق بذهني أبيات منها طالما خطرت في بالي عند الاختلاج فظهر لي كذب الناظم . منها

وجفنه الاعلى يري مايؤثر   وفي شماله بكاء يكثر
وجفنه الاسفل صحة الجسد   وفي شماله بكاء لايحد

على ان رؤية مايؤثر أو البكاء بعد الاختلاج قد يكون كثيرا أو يقع نادرا ولا صلة بينه وبين الاختلاج بسببية ولا علية . وصفوة القول في الجواب ان هذه المسألة وهمية ومن ظهر له صدق شيء مما قيل كان واهماً ، وكثيراً مايؤثر الاعتقاد في الانسان تأثيراً يكون سبباً في حدوث مايعتقده . فاذا اعتقد عقب اختلاج جفنه الايسر انه لابد أن يحدث له مايبكيه لايلبث أن يبكي مما لايبكي لولا وهمه هذا . وكثيراً مايرى الانسان أمرا حدث عقب أمر فيتوهم أنه سبب له وما هو في الحقيقة بسبب طبيعي ، ومن نشأ التشاؤم والتطير ، ولذلك جعل علماء المنطق القضية الشرطية قسمين حقيقية واتفاقية فالحقيقية ماكان فيها المقدم سبباً وعلة للتالي مثل : ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود . والاتفاقية مثل قولهم : ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق . ومن البديهي أن نطق الانسان ليس سبباً لنهيق الحمار . فعليكم أن تتدبروا ذلك

﴿ استحلال حكم الحاكم المخالف للشرع والمانع من الحكم بالشرع ﴾

(س ١١ و ١٢) ومنه : ماحكم المستحل لحكم الحاكم المخالفة للشرع المنزل وذلك كمحاكم مصر الاهلية وهل من مانع من رجوع جميع محاكم الحكومات الاسلامية للحكم بالشريعة الحنيفية واقامة الحدود خصوصاً الحكومة المصرية واذا لم تتمكن الحكومة المصرية مثلا من اقامة الحدود وغيرها من الاحكام الشرعية المعطلة لاسباب ظاهرية أو وهمية أفلا يمكنها وهي حكومة اسلامية رسميا أن تمنع ولو أربعة أمور فقط وأن تعكس قضاياها في قوانينها من ايجاب الى سلب لانها من أكبر أمهات فساد الاحوال وضياع الاموال في هذا القطر الاسلامي ألا وهي (الزنا والربا والخمر والقمار)

(ج) الاحكام الشرعية منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة كالحدود الثابتة بنص القرآن وفي معناها كل ماهو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن استحل حراما من هذا النوع كان كافراً ، ولا يعذر بجهله الا من كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ بعيدا عن المسلمين منفردا عنهم . وما كان غير قطعي لا يكفر مستحله الا اذا ثبت عنده وكان غير متأول في استحلاله وانما يكفر جاحد هذا النوع بجحو استحلال حرامه لانه يكون مكذباً للشرع رادا له ، فمن استحل حكم المحكمة المخالف للشرع المنزل أي في القرآن يكفر اذا كانت الآية التي خالفها الحكم قطعية الدلالة أي نصا لا يحتمل التأويل ، ومثله ما اذا كانت دلالتها ظنية وكان المستحل يعتقد ان ذلك هو المراد منها ، وأما اذا اعتقد ان ماخالفه الحكم من ظاهرها ليس

هو المراد منها فلا يكفر ، فالكفر يناط بتكذيب القرآن أو استحلال مخالفته، فمن خالف غير مكذب ولا مستحل ولو لما ترجح عنده انه حكم الله من غير قطع كان عاصيا يجب عليه التوبة والعمل الصالح الذي يرجى أن يكون كفارة لذنبه ، فان أصر يخشى أن تحيط به خطيئته ويرين عصيانه على قلبه فيكون من الخاطئين، وأما مخالفة الناس أو الحاكم لآراء الفقهاء الاجتهادية فالامر فيه أهون والعبرة باعتقاد المخالف فان كان يعتقد انه من شرع الله كان عاصيا

وأما مسألة الحكم بالشرع فأئمة اليمن الزيدية لايحكمون الا بفقه الزيدية وأهل نجد لايحكمون الا بفقه الحنابلة. ولكن ترك الحكم بالشرع في الجنايات وبعض القضايا المدنية طرأ على البلاد الاسلامية التي قلدت المدنية الاوربية وانما يسأل السائل عنها، واذا أردنا أن نشرح جواب هذا السؤال شرحا تاما لايتم لنا ذلك الا بتأليف كتاب يكون من أبوابه باب استبداد ملوك المسلمين وأمرائهم بالاحكام وأسباب ذلك — وباب خضوع الامة لاحكامهم وأسبابه التي سهلت عليها قبول أحكامهم المخالفة للشرع — وباب فقه المسلمين ومآخذه ، وكون الفقيه عند سلف المسلمين هو المجتهد وأسباب ترك الاجتهاد ومقتضاه فقد الفقهاء العارفين بأحكام الشرع معرفة صحيحة أي بالدليل ، وسبب امتلاء كتب الفقه بالخلاف والاضطراب في تصحيح الاقوال المنقولة عن أئمة الفقهاء ، وسبب جعل اقوالهم أصولا للدين يستنبط منها المقلدون الذين ليسوا أهلا للاستنباط، وسبب ما فيها من التشديد وسوء التأليف والتعقيد اللفظي والمعنوي وغير ذلك من الامور التي جعلت فهمها واستخراج الحكم الصحيح منها عسرا — وباب ما حدث للناس من شؤون المعاش والاجتماع والفنون والاحوال والعادات والعرف التي ترتبت عليها قضايا كثيرة لانص عليها في أصل الشريعة ولا تقبل الامة ولا حكوماتها أن يكون فيها مجتهدون يضعون لها أحكاما تتفق مع الاصول المقررة — وباب تغلب الافرنج على المسلمين واستيلائهم على اكثر بلادهم استيلاء رسميا تاما وضمهم الباقي تحت نفوذهم واضطرارهم حكامه الى الخضوع لهم فيما يريدونه منهم — ثم ضعف العلم والدين في الحاكمين والمحكومين وافتتانهم بتقليد الافرنج في قوانينهم واستخراج الجواب من مجموع تلك الابواب

فاذا تأمل السائل عناوين هذه الأبواب ولمح بعض مايدخل فيها من المسائل علم ان ترك الحكم بالشريعة له أسباب كثيرة اثمها الاكبر على الملوك والامراء والعلماء ، وسببها الاكبر جهل الامة وتركها لحقوقها بغش رؤساء الدين والدنيا لها ليتسنى لهم استخدامها واستغلالها، فمتى أرادت الامة أن تحكم بشريعتها التي تؤمن بها حكمت بها

دون غيرها لان ارادة الامة لاترد . ولكن متى تريد ؟ ان من لا وجود له لاحياة له، ومن لاحياة له لا ارادة له ، فالمسلمون الآن ليسو أمة فنطالبهم بالاعمال الارادية التي هي من شأن الامم الحية، وانما هم أفراد متفرقون « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » لهذا كنا نقول منذ أنشأنا المنار : ان الواجب قبل كل شيء هو تكوين الامة .

بل أقول ان حكم محاكم البلاد الاسلامية بالعقاب على الزنا والسكر والقمار وامتناعها من الحكم بالربا لا يتوقف على جمع كلمة الامة الاسلامية ومطالبتها بذلك بلسان القال والحال بل يمكن بما هو دون ذلك، أما في البلاد العثمانية فلو طلب ذلك اكثر المبعوثين لكان قانوناً نافذا ولكن كان أكثر المبعوثين ممن لايرى ذلك والذنب على الامة التي تنتخب من لا تثق بدينه .وأما في مصر فلو انتدب علماء مصر للمطالبة بذلك يتبعهم السواد الاعظم من المسلمين ولا يبقى للحكومة مندوحة من اجابتهم متى قاموا يطالبونها مع علمائهم في كل مكان ، ولكن النفوس ماتت فلا يتجرأ أحد على طلب شيء باسم الدين. نعم ان الحكومة المصرية لاتقدر على منع الاجانب من بيع الخمر وشرائها، ولا بغايا الاجانب من فتح مواخير الزنا، ولا مصارفهم من الدين بالربا، ولا المحكمة المختلطة من الحكم به ، ومن ذا الذي يطالبها بذلك وهي تقصر في تنفيذ مواد القانون المصري التي وضعت للتشديد في أمر الفسق والقمار لان الكثيرين من رجال القانون يحبون التساهل في ذلك ، بل الامر أعظم من ذلك. وكأن السائل لا يعرف من أمر بلاده شيئا ، والا فسؤاله على غير ظاهره

واذا أراد العبرة بمسألة من المسائل المتعلقة بصعوبة الفقه الاسلامي وجمود التقليد اللذين أشرنا اليهما فليقرأ الرسالة الآتية وتعليقنا عليها . ولو كان ممن يقرأ المنار من أول صدوره لما احتاج الى السؤال عن مثل هذا فما من مسألة من المسائل التي يتوقف عليها فهم جواب هذا السؤال بالتفصيل الا قد كتبنا فيها مرارا ، ولكن الناس اتخذوا رؤساء جهالا مفسدين فصار السواد الاعظم من المسلمين في حيرة بين ألوف من دعاة الفتنة باسم المدنية أو الوطنية أو التقاليد الخرافية ، وما عساه يوجد من داع الى الهدى ينفر الناس عنه المضلون بالكذب والبهتان، ويعارضونه باغراء بعض المنافقين بمثل دعوته كالذين اتخذوا مسجد الضرار ، فالنتيجة لهذه المقدمات انه لا طمع في الحكم بالشريعة الا بتكوين أمة اسلامية تنصب لنفسها حكومة اسلامية ، وكم بينا الوسيلة لهذا التكوين وجاهدنا الذين لايزالون يمزقون شمل المسلمين ويحاولون تكوين أمم منهم جامعتها الوطن أو لغة غير لغة الاسلام ، كاحداث الوطنية بمصر والاتحاديين في المملكة العثمانية

﴿ إذن سلطاني عن فتوى شيخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي ﴾

أو

اوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي (*)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لايخفى أن محاسن الشريعة المحمدية يسرها وسماحتها ومشيها مع المصالح في كل شؤونها ،ولذا كان من أوائل أصولها ودعائم قواعدها ان لاضرر ولا ضرار،واتساع الامر اذا ضاق ، ورفع الحرج والعسر، ونحو ذلك من قوانينها المقررة، ونواميسها المحررة ، فاليسر ورفع العسرلازم من لوازمها وخاصة من خصائصها، كما ان من مزاياها وفرة المآخذ لاحكامها، وتنوع المدارك لفروعها ، فقد فتح بفضل ذلك أبواب لمخارج لولاها لضاقت الصدور

وقد رحم الله سبحانه – وله الحمد – هذه الامة بكثرة مجتهديها وانتشار فقه أئمتها وتلقي ذلك خلفاً عن سلف حتى سهل الانتفاع بعلومهم وفروع أصولهم ، والاستمداد من مدوناتهم وفتاويهم ، وحتى أصبح أسلوب التفريع في كتب الفقه والفتاوي خير رائد لتعلم الحكم والقضاء وتوليد الفروع من الاصول ، وتعرف الاشباه والنظائر

أقول كتب الفقه وأعني بها كتب عامة الائمة المجتهدين وأصحابهم وأتباعهم رضوان الله عليهم فهي التي تجلى فيها يسر الدين ورحمته وكاد أن لاتقع نازلة الا ويجد المنقب لهم كلاماً في أمرها ، هذا اذا نظر الى النوازل من الوجهة الفقهية وأما اذا نظر اليها من الوجهة الاصولية فلا ريب ان آيات الاحكام المنزلة ،وأحاديثها المصححة والمحسنة كافية وافية كلها بمنطوقها ومفهومها ، عامة لكل ماجد ويجد

من هنا كان الخلاف رحمة أي اختلاف المآخذ وتنوع وجوه المدارك وتعدد مناحي المصالح ، اذبذلك صار يتسنى تعرف الاقوى فالاقوى من الاقوال ،والاصلح فالاصلح من الاقضية لمراعاة الاحوال ، وارتفع الحرج من التحريج على الافكار

(*) نشر هذه الرسالة بهذا العنوان في مجلة المقتبس الشهيرة صديقنا علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي نزيل مصر الآن، ورغب الينا ان ننشرها في المنار لزيادة الفائدة

واستبان الاحق بالقبول ، ولم يبق الا تطبيق العلم على العمل

ومن المعلوم ان كثيرا من مسائل القضاء الشرعية كمسألة فسخ عقد من يغيبون غيبة منقطعة انما يتمشى القضاء بها على بعض المذاهب دون بعض ، فكم من أقضية لايتيسر القضاء بها الآن على مذهب النائب الشرعي الحنفي لانحصار قضائه في مذهبه الذي أنيب للحكم به ؟ وأما على غير مذهبه فيمكن القضاء بها الا ان أمر تنفيذ القضاء بها موقوف على توسيع الاذن للنائب الحنفي بأن يولي القضاء لمن يقضي بتلك النازلة على مذهبه ممن يراه أهلا للقضاء والحكم ، فاذا قضى هذا نفذ النائب الاصلي قضاءه فينفذ حينئذ .

وأما الوقائع لهذه القضية التي سهل العمل بها الآن وكان مغلقاً دونها ابواب التنفيذ فلا تحصى أيضاً فيعلم الناس ان من الرجال من يغيب عن زوجته غيبة ينقطع بها خبره أو يكون لامال له حاضر ينفق عليها منه أو يعسر بنفقتها المعروفة فيفر من وجهها ويتعذر الانفاق عليها حينئذ لفقد مال له تعاش به أو تراش ، فكيف المخرج لهذه البائسة تبقى على هذه الحالة التي سكرات الموت أهون منها أم ترجع الى ماعسى ان يكون لها في الشرع الانور فرج ومخرج ؟ ... لاجرم ان لها فرجاً ومخرجاً والدين ليس بالجافي وان ضاق بها مذهب فقد يتسع لها مذاهب ، وأقوال الأئمة اشتملت على كثير مما فيه سعة ورحمة

انا لاأحصي مذاكراتي مع قضاة دمشق وسواها لحل هذه المعضلة ، وازاحة هذه المشكلة ، بل كثيراً مافاتحت بها مبعوثي سورية وغيرها ممن رغبت اليهم في اقتراح توسيع المجلة بأبواب أخر لاسيما في بابي النكاح والوقف ، بل كلمت مرة في ذلك شقيق أحد الصدور العظام لما قدم دمشق ، كل ذلك لما يحمله قلبي من هم تلك النازلة ومايشغل فكري على المدى من تلمس المخرج لها .

ماا تفق اني تجولت في ضواحي دمشق ومراكز اقضيتها الا وشكا لي خيار نوابها ومن نزلت بهم هذه المسألة ضيق صدورهم بعصابها ، فكم يشكو آل الزوجة غيبة الزوج في بلاد اميركا مثلا وانقطاع خبره وطول مدة غيبته واهماله اقامة وكيل عنه ينفق على زوجته أو فقدان مال له ينفق منه عليها وعدم صبرها على ذلك لاسيما مع قلة ذات يدها وفقر آلها ؟ .

أحضروا لي مرة امرأة بهذه الحالة معلقة وذكروا أنه صار لزوجها بضع سنين في

أميركا ولا كتاب منه ولا خبر، ولا حوالة بمال، ولا صلة بحال، ولا أهل له ولا وكيل، وأخذوا يبكون على نضوب ماء حسنها، وقرب الزهادة فيها، ووكس مهرها، ووجودها بين أترابها كالمعلقة، لا مزوجة ولا مطلقة، وتجرع مرارة الفراق، وهموم تسيل الدم من المآق، وانهم كانوا كلما انتجعوا وجهاً لحل عقدتها لايجدون، وكان يعتذر لهم النواب بأن فسخ هذا النكاح سدت دونه الابواب، حتى يصدر الامر من المشيخة الاسلامية بالعمل على فسخه، وابطاله ونسخه

أما الآن فقل للنواب والقضاة في عامة المراكز والجهات قد صدر الامر تلو الامر من مقام المشيخة الجليلة مؤيدا بالارادة السنية بالقيام بفسخ هذا النكاح. واليك ماأذنت به المشيخة الاسلامية الجليلة لعام ١٢٩٣ وأرسلت أمرها بذلك للولايات ليحفظ في سجلات محاكمها الشرعية معرباً عن الاصل بالتركية (١) :

عدد (غمرو) ٢٩٩

« ورد من قبل علماء لواء السليمانية (كتاب يستفتون فيه) عما اذا كان الحكم العالي الناص بأن للقاضي الحنفي ان يأمر وفقاً للمذهب الشافعي بفسخ عقد من يغيبون غيبة منقطعة وتزويج زوجاتهم من غيرهم والمرسل (٢) سنة ١٢٠٢ جواباً على ماورد من متصرفية الموصل لايزال الى اليوم مستمراً أم لا ؟ ويرجون في كتابهم بعد الآن تعيين نواب عالمين بالمذهبين لينظر في الدعاوي الواقعة وتفصل على المذهب الشافعي فيما اذا كان الطرفان شافعيين أو على المذهب الحنفي فيما اذا كان المتخاصمان حنفيين أو احدهما فقط حنفياً بباعث ان كثيرين من أهالي السليمانية وكركوك وقرى سنجار واربيل شافعيون كما ان ولاية بغداد وأهل المغرب يتمذهبون بالمذهب المالكي وكذلك معظم أهل نجد حنابلة وقد حول كتابهم واستفتاؤهم الى دار الفتوى (وأجيب عنه) بأنه لما كان القضاة الكرام في زماننا مأمورين بأن يحكموا على المذهب الحنفي وانهم ممنوعون من تنفيذ حكم خلاف مذهبهم وان قضاء قاض على خلاف رأيه فيما هو مجتهد فيه لاينفذ على القول المفتى به كان جعل النائب مأذونا له بأن يحكم بأقوال بقية المذاهب مخالفاً للقول المفتى به ومؤدياً لتشويش أمور العباد. غير ان الكتب الفقهية المعتبرة صرحت بأنه يصح شرعاً تفويض ذلك الى رجل شافعي ليحكم فيها على المذهب الشافعي لذلك وجب في المسائل المختلف فيها كالطلاق والنكاح اذا كان

(١) المنار : أي مترجما بالعربية عن الاصل الذي هو بالتركية (٢) المرسل صفة للحكم معطوفة ويفهم منه ان أهل الموصل كانوا استأذنوا من المشيخة الاسلامية ان يحكم بينهم بمذهب الشافعي فأذنت لهم

داعيان شافعيين ان ينتخب المفتي الشافعي أو من كان أعلم وأقدم علماء البلدة . كان معروفاً بالعقل وموصوفاً بالدين والاستقامة ويفوض اليه ويطلب منه الحكم ثم يقوم بتنفيذه القاضي الحنفي وان يجرى على هذا الوجه أيضاً في المالكي والحنبلي . ولما كان يفهم من مآل مذكرة(؟) انه يجب على القضاة الشرعيين المعينين في تلك الانحاء ان يستحصلوا في ذلك اذناً من قِبل مستجمع الشرف وملجإ الخلافة وكان ذلك أوفق للمصلحة فقد استؤذن من حضرة ظل الله في الارض ان تجري المعاملات المذكورة بموجب الفتوى المقدمة فصدرت ارادته التي من شأنها الاصابة آذنة بذلك ، وقد سطرنا لكم هذا الرقيم لتهتموا بعد الآن بأن تعملوا بمنطوقه الجليل عندكم . »

في ١٠ صفر سنة ١٢٩٣ وفي ٢٣ شباط ١٢٩١ شيخ الاسلام

حسن فهمي

واليك صورة الفتويين الجليلتين من جانب المشيخة الاسلامية لهذا العهد تعزيزاً للفتوى المتقدمة ارسلتا لقضاء المدينة المنورة غب مراسلته لها بذلك :

عدد « نومرو » ٤٧

جواب الرسالة البرقية المؤرخة في ٢٥ نيسان سنة ١٣٢٨ :

يفهم من مؤدى التحريرات القديمة المتضمنة فسخ النكاح والمؤرخة في ١٠ صفر سنة ٩٣ وذات العدد التاسع والتسعين بعد المائتين ان للقاضي الحنفي الحق شرعا ان يعطي اذناً للاشخاص المسطرين ضمنها بأن يحكموا وفقاً للمذاهب الاخرى ، وقد بودر باشعار الكيفية الى جانب فضيلتكم مع نص دار الفتوى في ٩ جمادى الاخرى سنة ١٣٣٠ وفي ٣٠ مايس سنة ١٣٢٨

شيخ الاسلام عبد الرحمن نسيب

عدد « نومرو » ٩١

لما كان اشعر بمحررات جوابية مؤرخة في ٩ جمادى الاخرى سنة ١٣٣٠ وذات العدد السابع والاربعين بأن للقاضي الحنفي الحق شرعا ان يعطي اذناً للاشخاص المسطرين ضمنها بأن يحكموا وفقاً للمذاهب الاخرى كما يفهم من مؤدى التحريرات القديمة المتضمنة فسخ النكاح والمؤرخة في ١٠ صفر سنة ١٢٩٣ وذات العدد التاسع والتسعين بعد المائتين أرسل لكم ذلك مطوياً مع رسالة برقية مقدمة بامضاء السيد محمد تحتوي بعض الجمل في ذلك الباب . في ٢٩ رمضان سنة ١٣٣٠ وفي ٢٩ آغستوس سنة ٣٢٨ شيخ الاسلام محمد جمال الدين

وبعد فإن من يتدبر هذه الفتاوي الجليلة يعلم انه اذا عمل بها قضاتنا ونوابنا حينا تمس الحاجة اليها فانها تزاح بها آصار وغموم لاسيما في بعض مسائل الزوجية التي لايقضى بها على مذهب الحنفية ، ويسهل الحكم بها على المذاهب الاخر .

ومن الصور التي يفسخ بها النكاح على غير مذهب الحنفية اعسار الزوج بالنفقة أو انقطاع خبره ولا مال له ففي الصورتين لها فسخ النكاح ففي المنهاج وحواشيه (من كتب الشافعية) ان من أعسر بأقل نفقة أو كسوة أو مسكن ولم تصبر فلها الفسخ ان ثبت اعساره عند قاض باقراره أو بينة وكذا اذا انقطع خبره ولا مال له حاضر فلها الفسخ كما في كتاب النفقات . وفي الاقناع وشرحه (من كتب الحنابلة) انه متى تعذر الانفاق على الزوجة بأن لم يكن للزوج مال ولا نقد ولا عرض ولاعقار فلها الفسخ لتعذر الانفاق عليها من ماله كحال الاعسار . وفي بداية المجتهد للامام ابن رشد (من أئمة المالكية) مامثاله :وأما الاعسار بالنفقة فقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وأبو عبيد وجماعة يفرق بينهما .

وكذلك يعتبر عند الحنابلة الشروط التي تحصل عند العقد وهي مايقتضيه العقد أو تنتفع به المرأة فكله لازم للزوج بمعنى ثبوت الخيار لها بعدمه وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « مقاطع الحقوق عند الشروط » وتفاصيل الفروع في المطولات .

لهذا كان من الواجب المحتم على نواب المراكز والالوية والاقضية ان يحتفظوا بهذه الاوامر الشرعية والفتاوي الجليلة في باب الزوجية وليقيدوها في سجلاتهم وليحافظوا عليها وليحفظوها لمحاكمهم ، وليقوموا بها في كل دعوى أقيمت على هذه الحال، ولينفذوا حكمها بما أمر به مشايخ الاسلام الاعلام، بتفويض ذلك الى من يقضي بها ثم ينفذون الحكم في الحال، وليرحموا من تنزل بهم هذه النازلة من البائسات، وليوفوا بما عهد اليهم من ذلك لاسيما وقد صدرت به الارادة السنية التي طاعتها في الحق من الواجبات ، ومن خالف من القضاة بعد وضوح الحجة ، فقد قامت عليه الحجة ، والله حسيبه ، وعليه حسابه . أه

﴿ المنار ﴾

ان حل المشيخة الاسلامية لهذا المشكل بهذه الصورة حسن يحصل به المقصود ويكفي للخروج من الحرج، وبه تفك قيود المحاكم الشرعية في القطر المصري وأكثر أهله شافعية فمالكية ، بل يجوز لمن يسمون حنفية تبعاً لآبائهم أن يطلبوا الحكم

بمذهب الشافعي أو غيره فيها اذا احتاجوا الى ذلك في مثل الواقعة التي أشار اليها ناشر هذه الاوامر وفي غيرها من الوقائع ، والعامي لا مذهب له الا مذهب مفتيه والحكم يرفع الخلاف

وكان يمكن أن يحل شيخ الاسلام حسن فهمي افندي وغيره المشكلة بغير ما حلها به ولكنه أراد التفصي من الاذن لقضاة الترك الحنفية بالحكم بمذهب الشافعي أو غيره لجهلهم بهذه المذاهب ولئلا يضطرب أمر القضاء بتوسيع مجال الاحكام فيه وتتناوح أهواء القضاة ان أذن لهم بالحكم بما يرونه الاصلح من هذه المذاهب في كل واقعة ، ولا يمكن جعل الاذن خاصا بمسألة أو مسألتين كفسخ النكاح ، ولا تحب حكومة الآستانة أن تولي على كل بلاد قضاة من أهل المذهب الذي عليه جميع أهلها أو أكثرهم لان من سياستها جذب الناس الى مذهب الدولة — أراد الشيخ التفصي من ذلك وتعليل أمر القضاة بالحكم بالمذهب الحنفي وعدم تنفيذ غيره فعلله أولا بقوله « وان قضاء قاض على خلاف رأيه فيما هو مجتهد فيه لا ينفذ على القول المفتي به » فكان هذا تعليلا في غير محله لان القاضي المجتهد غير موجود عندهم فان كان موجوداً وجب أن يولى على أن يحكم باجتهاده وحينئذ لا ينفذ ما يحكم به على خلاف رأيه وان وافق المذهب الحنفي ، فالحق انه لا فرق في القضاة المقلدين الذين ليس لهم رأي في المسائل بين حنفي وشافعي ومسألة التنفيذ تابعة للسلطة فكل من عينه السلطان القادر على التنفيذ ينفذ حكمه مهما كان المذهب الذي أمره بالحكم به ، وليست المسألة تعبدية

وقد كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى طاف على المحاكم الشرعية مفتشاً لها باذن الحكومة عقب توليته افتاء الديار المصرية وكتب تقريرا ضافيا في طريقة اصلاحها اقترح فيه عدم حصر القضاء في الحنفية توسعة على الامة ، واقترح أيضا أن تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر ولاسيما الاحكام التي هي من خصائص المحاكم الشرعية ، ونحن لايضاح المقام الذي نتكلم فيه نذكر عبارته ، ثم ما أيدناها به في مقدمتنا لذلك التقرير عند طبعه ، أما عبارته فهذا نصها :

﴿ الاحكام ﴾

« ما عليه العمل من أقوال العلماء في الاحكام الشرعية مذكور في الكتب مخلوطا بالخلاف والبحث وطرق الترجيح ومن رفعت اليه واقعة شرعية قد يصعب عليه الحكم فيها الا بعد مراجعته بعض المؤلفات الطويلة وربما احتاج الى مراجعة عدة

[illegible] في أبواب [illegible]
المطولات وفي الحق ان ذلك [illegible] [illegible] قضاء لله الابعد
اصلاح طريقة تعليم الفقه في الجامع الازهر وعادتها الى ما كان عليه السلف الصالح
وذلك أمر بعيد المنال الآن. نعم يجب ان يكون القاضي مقتدرا على البحث والمراجعة
في المشكلات اما في كل حكم فذلك من العسر بمكان وقد كثر الخطأ في أحكام الاوقاف
والطلاق والمهور والوصايا ونحو ذلك لهذا السبب

«ثم انه توجد شؤون للمسلمين تقضي الضرورة بالنظر فيها وبيان الاحكام التي ترفع
الضرر وتقرر العدل ولا تخالف الشرع بل هي من قوامه كاحكام الغائب والمفقود
الذي ترك مالا وهل يمكن اقامة وصي يخاصم له ويحفظ ماله ويدفع الخصوم عنه
وتنفذ الاحكام عليه بالنيابة عنه ؟ وهي من المسائل الخلافية في المذاهب والوقائع فيها
كثيرة ورجال المحاكم فيها مضطربون ، وكالزوجة يتركها زوجها بلا منفق أو يغيب
عنها الغيبة الطويلة وتنقطع أخباره أو يكون معروف المقر ولا أمل في الوصول اليه لو
حكم عليه بالنفقة ، أو كان من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة أو السجن لمدد طويلة وتخشى
على نفسها الفتنة أو لا تجد ما تنفق منه ولا من تستدين منه على حساب الزوج ، ومثلها التي
يكون زوجها حاضرا ولكنه لا ينفق عليها وهي مضطرة لما تنفق منه ، وكذلك التي
يضارّها زوجها في العشرة – فجميع ذلك مما عمت به البلوى وكثرت فيه الشكوى من جميع
انحاء البلاد ، وكثير من النساء يجن أنفسهن افتتانا أو اضطرارا للقوت لانهن لم يجدن
السبيل الى دفع الضرورة أو الخلاص من الفتنة في المحاكم الشرعية على حالتها التي هي
عليها الآن . أليس من الواجب ان نفزع الى الشريعة الاسلامية المطهرة لنجد فيها
الوسيلة الى وقاية الاعراض والانفس مع ان المحافظة عليهما من اهم مقاصد الدين
الاسلامي والشريعة السمحة ولا نعدم في نصوصها وسيلة الى أهم ماجاءت له

« كل ذلك يجب ان يوضع بين يدي لجنة من العلماء ليستخرجوا من الاحكام
الشرعية مافيه شفاء لعلل الامة في جميع أبواب المعاملات خصوصا مالا يمكن النظر
فيه لغير المحاكم الشرعية من الاحوال الشخصية والاوقاف ويكون مايستخرجونه
كتابا شاملا لكل ماتمس اليه الحاجة في تلك الابواب ويضم الى مايستخلص في أبواب
المرافعات الشرعية ويصدر الامر بأن يكون عمل القضاة عليه فاذا أغمض عليهم أمر
راجعوا فيه من يكون في وظيفة افتاء الحقانية أو الديار المصرية وعليه ان ينظر فيه
بنفسه أو مع لجنة العلماء على حسب الحاجة اه

(المنار) ليعلم القارئ ان هذا الاقتراح لم يقبل ولم تعمل به الحكومة المصرية على شدة الحاجة اليه لا لاقامة العدل فقط بل لحفظ الدين أيضا ، وكان من سبب ذلك جمود قاضي مصر الذي يجيء من الآستانة وتعصبه وجمود سائر القضاة والعلماء وعدم وعدم اهتمامهم ، ولو أنهم اجتمعوا وألفوا الكتاب الذي اقترحه الاستاذ الامام وطالبوا الحكومة بتنفيذه لفعلت . فهذا الجمود والاهمال من العلماء قد كان اكبر أسباب اقتباس الحكومتين العثمانية والمصرية للقوانين الاوربية ، واتسع التشريع الاوربي بمصر اكثر من الاستانة لان نفوذ العلماء فيها أضعف ، وعنايتهم بشؤون الحكومة أقل

ومما جعل عقبة في طريق تنفيذ اقتراح المفتي زعمهم أن الحكم لا يجوز أولا ينفذ الا بمذهب السلطان مع ان السلطان أمر قضاه البلاد العثمانية بانابة من يحكم بغير مذهبه عند الحاجة وتنفيذ ما يحكمون به ، وانني عند طبع التقرير سنة ١٣١٧ ونشره كتبت له مقدمة بحثت فيها في هذه المسألة بحثا فقهيا أزلت فيها الشبهة ، ومهدت السبيل للعمل بالحنيفية السمحة ، فقلت في بيان الامر الثالث من الامور الاصلاحية التي اشتمل عليها التقرير وأعدت نشرها هنا آنفا ما نصه :

(الامر الثالث) ان تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر لاسيما الاحكام التي هي من خصائص المحاكم الشرعية يكون سهل العبارة لاخلاف فيه كما عملت الدولة العلية في مجلة الاحكام العدلية. ولا يكون هذا الكتاب وافيا بالغرض واقيا للمصالح الا اذا أخذت الاحكام من جميع المذاهب الاسلامية المعتبرة ليكون اختلافهم رحمة للأمة . ولا يلزم من هذا التلفيق الذي يقول الجمهور ببطلانه كما لا يخفى (*) . وقد أشير في صفحتي ٣٨ و ٤٠ من التقرير الى عدم التقيد بالمذهب الحنفي وتوهم بعض الناس ان هذا يمس حقوق مولانا الخليفة وان الاحكام بغير مذهب الحنفية لا تصح ولا تنفذ لهذا ونجيب عنه بأمور

(١) جاء في كتاب الاحكام السلطانية مانصه « فلو شرط المولّى وهو حنفي أو شافعي على من ولاه القضاء ان لايحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما ان يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفاً له، وأما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها وأخرجه

(*) بينت في محاورات المصلح والمقلد نقض قولهم ببطلان التلفيق وكون مذهب الحنفية ملفق من ثلاث مذاهب

مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسداً سواء تضمن أمراً أو نهياً ويجوز ان يحكم بما أداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه أو خالفه ويكون اشتراط المولى لذلك قدحاً فيه ان علم انه اشترط مالا يجوز ولا يكون قدحاً ان جهل ، لكن لا يصح مع الجهل ان يكون مولياً لا والياً ، فان أخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط » اه المراد منه

(٢) لا يعدل عن مذهب الحنفية الا في الاحكام التي لا تنطبق على مصلحة الناس في هذا العصر اذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالة ضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس اليه الحاجة أو يضطر اليه يصير متفقا عليه

(٣) ان مذهب الحنفية واسع متشعب جدا بمعنى ان فيه كثيرا من الاقوال في كل مسئلة حتى قال كثير من فقهائه انه لا يوجد قول لمجتهد في مسئلة الا وهو موجود في مذهبنا لأحد أئمتنا أو مشايخنا ولو ضعيفا ومن المقرر عندهم أيضا ان القول الضعيف يقوى بأمر الامام بالعمل به وقد ألفت لجنة من العلماء مجلة الاحكام العدلية وأخذوا فيها ببعض الاحكام التي لا تصح في مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ولكنها صحت في مذهب غيره وقالوا انها وافقت أقوالا ضعيفة لعلماء الحنفية تقوّت بأمر السلطان ووجب الحكم بها . واذا ألف علماء الازهر الكتاب الذي اقترحه فضيلة مفتي الديار المصرية في هذا التقرير ولم يجدوا الوجهين اللذين قبل هذا كافيين لجواز الحكم بموجبه فيمكن طلب صدور الأمر به من السلطان أو نائبه اذا كان له هذا الحق ولا يمكن ان مولانا السلطان عبد الحميد أو سمو عزيز مصر الحالي يتوقفان في أمر رأى أكابر علماء الازهر ان فيه صيانة مصالح المسلمين وحفظ حقوقهم اه

وأقول الآن انه كان يمكنني بيان حل آخر لهذا الاشكال يصح شرعاً لا سياسة فتركته اتقاء فتن السياسة . وأما الحل الذي جرت عليه المشيخة الاسلامية وأذن به السلطان فتنفيذه في مصر أسهل من تنفيذه في سائر البلاد العثمانية لكثرة علماء الشافعية والمالكية هنا فالى متى هذا التواني والاهمال الذي ينفر الناس من الشرع لظنهم انه هو علة التضييق عليهم ويسيء ظنهم بالحكومة والمسيطرين عليها ؟؟

لو ألف علماء الازهر اللجنة التي اقترحها الاستاذ الامام ووضعت الكتاب الذي أشار به وطلبت الحكومة المصرية من شيخ الاسلام في الآستانة الفتوى بالعمل ثم اذن السلطان الذي يعبر عنه بالارادة السلطانية لكان هذا أرجى مايرجى للاجابة ولتجرئة المائلين الى الاصلاح من علماء باب المشيخة في الاستانة وغيرهم على تعميم ذلك

جرت بيني وبين شيخ الاسلام موسى كاظم افندي مذاكرة في داره عندما كنت في الآستانة سنة ١٣١٨ تناسب مانحن فيه، فقد اخبرني انهم يشتغلون بوضع كتاب في الجنايات وغيرها لأجل محاكم اليمن (وكان اليمانيون صرحوا بأنهم لايقبلون الا الحكم بالشرع دون القوانين) قال شيخ الاسلام لكن لابد من إنشاء محكمة تجارية ـ وأحسب انه قال في الحديدة وفي صنعاء ـ لأن هنالك بعض اليهود وهم لايرضون بحكم الشرع لأنه لايجيز شهادتهم . فقلت له اذا التزمتم مذهب الحنفية فيما تضعونه من الاحكام المدنية والشخصية والجزائية فان كثيرا من المسلمين لايسهل عليهم قبولها مختارين، واما اذا اقتبستم من جميع كتب الشرع ولم تلتزموا كتب مذهب واحد فانه يسهل عليكم وضع كتاب موافق لمصلحة الناس لا يشكو منه مسلم ولا غير مسلم وشهادة غير المسلم تجدون لها حلا مرضيا في بعض الكتب المعتبرة ، وانا زعيم بأنه ما من مشكلة الا ويوجد لها حل يحل العقال بهذا الشرط . فقال الشيخ وأنا أعتقد هذا ولكن من يستطيع اقناع مشايخ (الفتوى خانه) به ؟ الخ ولنا ان نقول ان من لم تقنعه الاقوال والاحاديث تقنعه الاحوال والحوادث رغم أنفه

العبرة فى هذه الحادثة

لولا مطالبة الجمهور من أهل السليمانية والموصل لحكومة الآستانة بما ذكر في فتوى شيخ الاسلام من الحكم بمذهب الشافعي الذين ينتمون اليه لما خرجت تلك الفتوى والارادة السلطانية بالحكم بها ، وكنت سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان السلطان ولى على أهل السليمانية قاضيا شافعيا لانهم كتبوا اليه انهم لايقبلون قاضيا يحكم بغير مذهبهم الذي يدينون الله به . ولا أدري أكان ذلك على ظاهره كما بلغه أم هو تكبير لصدور الارادة بفتوى شيخ الاسلام حسن فهمي افندي كما هو شأن الناس في تكبير الاخبار عند ما ينقلونها من قطر الى قطر ؟

وكيفما كانت الحال فالعبرة التي يجب أن يفهمها عامة المسلمين من هذه الواقعة هي ان الجمهور اذا عرف كيف يطالب الحكومة بالاصلاح فانها لاتجد لها مندوحة

من اجابته الى طلبه — وان استمرار الحكام والعلماء على شيء واصرارهم على الجمود عليه باسم الشرع أو السياسة ليس برهانا قاطعا على كونه حتما لامرد له ولا مصرف عنه — وانه يمكن تقويم العامة للخاصة كما يمكن العكس . ولكن آفة العامة الجهل فهي لاتدري ماذا يجب ان تطلب من اصلاح أمرها ، وآفة الخاصة فساد الاخلاق فهو الذي يحول بينها وبين العمل بما تعلم من اصلاح أمر الأمة

الى الله نشكو مرض عامتنا وخاصتنا جميعا ، وعلاج هذا المرض أو الامراض يتكلم فيه الناس ، فيخلطون الخطأ بالصواب ، ويعز من يعرفه معرفة تفصيلية تامة ويعرف كيفية تنفيذه ، وهذا العارف العزيز يعز عليه ان يفرغ معرفته في قلب غيره ، لأن مسائل العلوم الاجتماعية يدعيها جميع الناس وقل ان يعرف حقيقتها منهم أحد

يقولون التعليم ، ويقولون التربية ، ويقولون الجرائد والمجلات ، ويقولون الاحزاب والجمعيات ، وأكثرهم لايعرف حق ذلك من باطله ، فنحن نرى فساداً كبيراً دخل على الأمة من قبل هذه الاشياء ، فالعبرة بروح التربية والتعليم والصحف والاحزاب والجمعيات لا بصورها وأشكالها ، وهذه الروح لاتكون صالحة مصلحة الا اذا كان القائمون بهذه الاشياء صالحين مصلحين ، فهل من السهل ان تعرف الأمة من عساه يوجد فيها من هؤلاء الرجال فتكل أمر الاصلاح اليهم ؟ انى ذلك وعوامها جاهلون ، وخواصها يخافون من كل مصلح على جاههم الذي يستغلون به جهل العامة ، فينفرون وينفّرون منه ، وينهون عنه وينأون عنه ،

ليس هذا الموضع بالذي يسع الاطناب في هذا البحث — والمغرور بجهله المركب الذي يحسبه علما لايفيده ايجاز ولا إطناب — وانما نريد ان نذكر المستعد للفهم والاعتبار بأن دون ما يشتهون من حكومة لهم تحكم بينهم بشريعتهم عقبات أمنعها على المقتحم جمود المتدينين ، وأهونها جمود المتفرنجين ، لأن هؤلاء لا يزالون هم الأقلين ، واذا دام هذا الجمود فسيكونون الاكثرين ، ويعم سلطان ما ينسخ به الشرع من القوانين ، ويتبع ذلك انحلال عقدة الدين ، فأما الوسيلة لحياة الاسلام وحفظ شرعه فهي واحدة لا تعدد فيها ، ولا يمكن الجمع بين الدين الحق والمدنية الصحيحة بدونها ، الا وهي المبادرة الى تربية طائفة عظيمة من خيار نابتة المسلمين ، ليكونوا دعاة ومرشدين ، ينهضون بهذه الامة ، ويخرجون بها من هذه الغمة ، وهذا هو الذي تحاوله جماعة الدعوة والارشاد ، فعلى من كان على رأيها ان يتعاهدها بالاسعاد والامداد ، (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد)

لائحة الاصلاح لولاية بيروت

﴿ وهي اللائحة التي صدقت عليها وقررت السعي في انفاذها ﴾

« الجمعية العمومية الاصلاحيه في بيروت »

المؤلفة من ستة وثمانين عضوا منتخبين انتخابا قانونيا من قبل المجالس الملية والرؤساء الروحيين لجميع الطوائف في بيروت ليمثلوا طوائفهم وينوبوا عنها في تقرير الاصلاح اللازم لولايتهم . وقد تم التصديق لهذه اللائحة وتفويض انفاذها الى لجنة الجمعية العمومية في الجلسة العامة الثالثة المنعقدة في دار المجلس البلدي في يوم الجمعة الواقع في ٢٣ صفر سنة ١٣٣١ و٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣

مادة أساسية — الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية

(الادارة)

المادة الاولى - تقسم ادارة الولاية الى قسمين : القسم الاول هو المشتمل على الاعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الاساسية وهي المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبوستة والتلغراف وسن القوانين ووضع المكوس .

والقسم الثاني هو المشتمل على الاعمال المحلية المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية الخاصة

فكل مايتعلق بالقسم الاول منوط تقريره واجراؤه بالحكومة المركزية

وكل مايتعلق بالقسم الثاني منوط تقريره بمجلس الولاية العمومي

(الوالي — حقوقه ووظائفه)

المادة الثانية - للوالي صفتان قانونيتان : الاولى تمثيل الحكومة المركزية وبهذه الصفة يتولى اجراء جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الاول طبقاً لقرارات الحكومة المركزية والثانية تمثيل حكومة الولاية التي يرأسها وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الثاني طبقاً لقرارات المجلس العمومي. أما حقوق الوالي ووظائفه فهي :

أولا - تنفيذ قرارات المجلس العمومي . ثانياً - الاعتراض على قرارات المجلس العمومي على الشروط الآتي بيانها في باب « الوالي والمجلس العمومي » ثالثاً - الاطلاع على لوائح المشاريع التى تعدها « لجنة المجلس العمومي » لابداء ملحوظاته عليها قبل تقديمها الى المجلس . رابعاً - تعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم

على الحكومة المركزية وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي . خامساً - تعيين الطلاب المتحنين الذين تعرض عليه لجنة الامتحان أسماءهم لاجل التوظيف. سادساً - دعوة المجلس العمومي في الميعاد المعين لاجتماعه . ويمكنه دعوته لاجتماع فوق العادة بمصادقة لجنة المجلس أو « مجلس المستشارين »

(المجلس العمومي — حقوقه ووظائفه)

المادة الثالثة - يؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضوا ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات وهم ينتخبون منهم رئيساً لهم بالاقتراع السري . (أما سائر الانتخابات العمومية فتبنى على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات)

أما حقوق المجلس العمومي ووظائفه فهي : أولا - تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية والمذاكرة في ما يعرض عليه من قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من أعضائه . ثانياً - وضع الانظمة الداخلية بشرط أن لا تمس شؤون السلطنة الاساسية . ثالثا - عقد القروض التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية . أما القروض التي تتجاوز هذا المبلغ فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية . رابعاً - اعطاء رخص لتأليف شركات مساهمة (آنونيم) عثمانية للمشاريع العمومية النافعة للتجارة والصناعة والزراعة وسائر الشؤون العمرانية داخل الولاية على شرط أن لا تتضمن امتيازاً . أما المشاريع التي تتضمن امتيازاً فيجب مصادقة الحكومة المركزية عليها . وتخول هذه الشركات الشخصية المعنوية بمعنى أن يكون لها حق التملك . خامساً - تقرير الضمائم الكسورية على المكوس المقررة . سادساً - تقرير رواتب موظفي ومستشاري الدوائر التي هي بادارة حكومة الولاية . سابعا - حق استيضاح الوالي وطلب عزله . لا يتدخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقا

(الوالي والمجلس العمومي)

المادة الرابعة — قرارات المجلس العمومي نافذة مالم يعترض عليها الوالي بمصادقة مجلس المستشارين خلال أسبوع من تاريخ تبليغه اياها فيعيد المجلس النظر في قراره واذا أصر عليه بأكثرية ثلثي الاصوات يكتسب القرار الصفة القانونية القطعية وعلى الوالي تنفيذه

(لجنة المجلس العمومي)

المادة الخامسة - ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع السري لجنة من أعضائه واحد

منهم من كل لواء واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة فتجتمع بادارة مستشار المجلس العمومي

أما وظائف اللجنة فهي : أولا - مراقبة تنفيذ قرارات المجلس . ثانياً - درس المشاريع اللازمة للولاية واعداد لوائحها . ثالثاً - تعيين مهندسين اختصاصيين للاستعانة بهم في أعمالها . رابعاً - حق الاعتراض على الممتحنين الذين تقدم اليها «لجنة الامتحان» اسماءهم قبل عرضها على الوالي . خامساً - دعوة المجلس العمومي لاجتماع فوق العادة باتفاق ثلثي اعضائها ومصادقة مستشار المجلس

(الموظفون - تعيينهم وعزلهم)

المادة السادسة - الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية والدفتردار وباشمدير الرسومات وباشمدير البوسطة والتلغراف وقومندان الجندرمة وضباطها تعينهم الحكومة المركزية على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفة تامة ، ويستثنى من هذا الشرط والي الولاية لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع الاجراء

أما بقية الموظفين فينبغي ان يكونوا من أهالي البلاد ويجري تعيينهم على الوجه الآتي بيانه :

تعيين الموظفين

يمتحن طالبو الوظيفة امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلبون الدخول فيها فتقدم لجنة الامتحان اسمي الممتازين منهم الى لجنة المجلس العمومي وبعد مصادقتها يعرضان على الوالي فيعين احدهما . ولدى تعيينه يبلغ الوالي اسمه للنظارة المنسوب اليها فيقيد في سجلها محافظة على حقوق ترقيته وتقاعده . وأما رؤساء العدلية فيعينون وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي

عزل الموظفين

الموظفون المعينون من قبل الولاية عدا رؤساء العدلية تكف يدهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها معاً . واما رؤساء العدلية فتكف يدهم بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين . وقرار كف اليد في كلا الحالين ينفذه الوالي . والموظف المكفوفة يده الحق بمراجعة الوالي في خلال سبعة أيام من تاريخ تبليغه ذلك اذا كان موظفا في مركز الولاية وخمسة عشر يوماً اذا كان خارج المركز . فيحيل الوالي دعواه الى مجلس المستشارين ليحكم في

[illegible] على طلب المستشار بعزله لا يجوز استخدامه في دوائر الحكومة ولا يعطى معاش [illegible] محاكمة المعزول جزائياً فتجري في المحاكم العدليه بمذكرة خاصة من المستشار لدى المدعي العمومي

واما موظفو الحكومة المركزية فتكف يدهم بطلب المستشار ومصادقة الوالي الذي يطلب عزلهم بعد حكم مجلس المستشارين عليهم من النظارة المنسوبين اليها وينبغي ان يعين خلفهم في مدة ثلاثين يوما

واما المفتشون والمستشارون فيكون عزلهم بطلب الوالي من مجلس المستشارين وبحكم صادر من هذا المجلس

واما الوالي فيكون عزله بناء على قرار المجلس العمومي باكثرية ثلثي مجموع أعضائه فتعين الحكومة المركزية خلفه في مدة أربعين يوماً

(المستشارون والمفتشون)

المادة السابعة — تعين الحكومة المركزية مستشارين من الاجانب على شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث العربية أو التركية او الفرنسوية وذلك للدوائر الآتية في مركز الولاية وهي الجندرمة والمالية (وتلحق بها غرفة التجارة) والبوسطة والتلغراف والجمرك . وتعين أيضاً مفتشاً أجنبياً عاماً لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية الداخلة تلك المسألة المراجع فيها ضمن دائرة اختصاصه

ويعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للدوائر الآتية : وهي مجلس الولاية العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس . ويلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثماني في أوقات العمل . اما مدة الاستشارة والتفتيش فخمس عشرة سنة ويمكن تجديدها

(مالية الولاية)

المادة الثامنة — واردات الولاية على نوعين : أحدهما يعود برمته الى مركز السلطنة وهو حاصلات الجمارك والبوسطه والتلغراف والبدلات العسكرية . والآخر وهو عدا ماذكر من الواردات يعود برمته الى الولاية

(رواتب الموظفين) .

المادة التاسعة — ينظم المجلس العمومي ميزانية الولاية السنوية فيدخل فيها رواتب جميع الموظفين والمستشارين عدا موظفي ومستشاري الجمارك والبوستة والتلغراف

(الاراضي المحلولة)

المادة العاشرة - تسلم الاراضي المحلولة والاملاك الاميرية الداخلة ضمن الولاية الى المجلس العمومي وتكون برمتها ملكا للولاية

(الاوقاف)

المادة الحادية عشرة - لاعلاقة للادارة ولا للمجلس العمومي في الاوقاف بل يسلم كل وقف الى مجلس الملة المنسوب اليها لاستخدامه بموجب قانونها (بناء عليه جميع أوقاف المسلمين في الولاية تسلم الى مجلس ملتهم أسوة بباقي الطوائف)

(البلديات)

المادة الثانية عشرة - البلديات مستقلة بجميع أعمالها . ولها الحق بوضع الرسوم البلدية بمصادقة المجلس العمومي دون مراجعة الحكومة المركزية

(مجلس المستشارين)

المادة الثالثة عشرة - يؤلف مجلس يسمى مجلس المستشارين ويكون أعضاؤه رئيس المجلس العمومي (أو من ينيبه عنه من أعضاء لجنة المجلس) وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية

أما وظائف هذا المجلس فهي : أولا - تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية (بناء على هذه اللائحة) كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومي . ثانيا - تفسير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي : ثالثا - النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه . رابعاً - النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو احدى لجانه أو أية دائرة كانت ويكون حكمه مبرما ويرأس هذا المجلس والي الولاية وينوب عنه في غيابه رئيس المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس

(اللغة المحلية)

المادة الرابعة عشرة - ان اللغة العربية تعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية . وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلسي النواب والاعيان

(الخدمة العسكرية)

المادة الخامسة عشرة - تخفض الخدمة العسكرية الى سنتين وتقضى الخدمة أيام السلم في الولاية . وتنزل قيمة البدل النقدي للنظامية الى ثلاثين ليرة عثمانية وللرديف والاحتياط الى عشرين ليرة

(الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت)

(المنار) إنني اشكر لاخواني أهل بيروت هذا العمل الاصلاحي الذي أقيم على أساس الاتفاق بين مسلميهم ونصاراهم ، وان بذل الأولون في استمالة الآخرين مالم يبذله غيرهم من الناس وهو أنهم رضوا أن تكون قلة النصارى في الولاية مساوية لكثرة المسلمين في الاشتراك بادارة حكومتهم ، فهذا برهان عملي قاطع على تساهل من يعدون أشد المسلمين عصبية في سورية . وقد صدق ولله الحمد حسن ظني في أهل بيروت اذ فضلتهم على جميع أهل بلادنا فيما كتبته عنها عند زيارتي لها بعد اعلان الدستور

واذا كنا نعد لهؤلاء المسلمين من المزية سماحهم ببعض حقوقهم لأبناء وطنهم ونشكر للجميع الوحدة الوطنية والاتفاق فاننا نعدّ على الجميع سماحهم بأقدس حقوقهم للمستشارين من الأجانب فقد منحوهم من الحقوق مالا يطلب من مثلهم وما هو خطر عظيم على مستقبل البلاد ، ولم يجعلوا لأنفسهم عليهم سلطة تبيح لهم مؤاخذتهم اذا اخطأوا ومعاقبتهم اذا أذنبوا ، على أن مؤاخذة الضعيف للقوي بالحق والقانون تكاد تكون متعذرة فكيف اذا كان القوي صاحب سلطة مطلقة لانوجب عليه للضعيف حقا ولا تفرض عليه مؤاخذة ؟ وانني اشير إلى أهم ما أنكرته من حقوق هؤلاء المستشارين في اللائحة لعلّ اخواننا يتدبرون ذلك فينقحون لائحتهم تنقيحا يتقون به الخطر ويقطعون ألسنة المعترضين والمقاومين لهم اتباعا لاهواء السياسة المركزية المنصرية ، ويقنعون المخالفين لهم بحسن النية ، لئلا يكون هؤلاء من حزب المقاومين بالهوى فتقوى بهم مقاومتهم فان لحسن النية تأثيرا وان كان صاحبه مخطئا ، والحكومة بين الفريقين ترجح ما تراه أولى لها . ويرون انتقادي لما أنكرته في موضع آخر من هذا الجزء

وكنت أود لو جروا على طريقة حزب اللامركزية بمصر فلم يقيدوا أنفسهم بهذه القيود الثقيلة في مسألة المستشارين من الاجانب ولكن يظهر ان المقترحين لتلك المواد لم يصادفوا من المخالفين لهم فيها من محص المسألة وقدر على الاقناع ، ولعمري ان ذلك ليس بالأمر اليسير ، والصواب أن يكون طلاب الاصلاح كافة على رأي واحد في القواعد الاجمالية التي تطلب من الحكومة المركزية ، لان التفرق ضعف والاجتماع قوة ، وحزب اللامركزية الادراية في مصر لم يتعرض في برنامجه للتفصيل لان الاتفاق عليه متعذر فعسى ان يكون هو الجامع للجميع

انا أقر بأنه لولا وجودي بمصر ووقوفي على دخائل السياسة والادارة فيها لما كان هذا القليل الذي اعرفه من تاريخها وتاريخ تونس كافيا للحكم في هذه المسألة التي عرضت لاخواننا أهل بيروت فكان رأيهم فيها محتاجا لزيادة المراجعة والتمحيص

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ﴾

(وبعد) فقد كتبت هذه المقالة - وهي بحث تاريخيّ عقليّ في العهد الجديد وفي عقائد النصرانية - تتميما للبحث السابق في (مسألة الصلب والفداء) راجيا من الله أن يوقظ بها الغافلين ، ويهدي بها الضالين ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، فأقول وبه تعالى وحده أستعين ، انه حسبي ونعم الوكيل :

اتفقت شهادة علماء النصارى الاقدمين على ان متى لم يكتب انجيله اليوناني الحالي ، وانما الذي فعله - كما سيتضح لك - هو أنه جمع بعض أقوال المسيح عليه السلام باللغة العبرية . وأقدم شهادة وصلت الى النصارى في هذا الموضوع هي شهادة (پاپیاس) (Papias) أسقف هيراپوليس الذي استشهد في سنة ١٦٤ أو ١٦٧ ميلادية فانه كتب في منتصف القرن الثاني كتابا ضخما في خمسة مجلدات فقِدَ ولم يبق منه سوى جمل قليلة نقلها عنه اوسابيوس (Eusebius) وإيريناوس (Irenaeus) فمن هذه الجمل التي نقلها اوسابيوس (مات سنة ٣٤٠ م) قوله « ان متى كتب مجموعة من الجمل (Logia) باللغة العبرية » يعني بعض كلمات المسيح باللغة الآرامية « وقد ترجمها كل بحسب طاقته » اه ومع ان أوسابيوس المؤرخ وغيره وصفوا پاپیاس هذا بسخافة العقل وضعف الادراك فانه لا يوجد عند النصارى شهادة لكتبهم أقدم وأعظم من شهادته هذه على ضعفها فهي سندهم الوحيد من عصر المسيح الى منتصف القرن الثاني

وفي سنة ١٨٠ ميلادية ذكر ايريناوس الذي مات سنة ٢٠٢ م ان متى كتب « انجيلا » باللغة العبرية (أو الارامية) ولا ندري لماذا فقدت كتابات متى العبرية ومن ترجمها ومتى ترجمت ؟ واذا لاحظنا أن الاصل الذي كتبه متى كان عبارة عن

بعض عبارات للمسيح وكلماته (Logia) كما هو صريح شهادة (باپياس) المذكورة ظهر لنا أن واحدًا مجهول الاسم أخذ هذه المجموعة وترجمها وهذبها ورتبها وأضاف اليها ماشاء من الحوادث وغيرها لربط الجمل بعضها ببعض حتى صارت هي الانجيل اليوناني الذي سمي باسم (متى) فيما بعد . فهل بمثل هذا الانجيل يمكننا أن نثق ونحن لا نعلم من ترجمه ؟ ومن الذي توسع فيه ؟ وهل الترجمة صحيحة أم محرفة ؟ وهل الزيادات التاريخية التي فيه صادقة أم كاذبة ؟ وأين هو الاصل الذي ترجمه هذا المترجم ؟ واعلم انه لم ير و أحد من قدمائهم أن متى كتب انجيـلا يونانيـا كما يدعون الآن بلا برهان

فهـذا هو حال انجيلهم الاول ومنه يعلم أن أول من نص على أن متى كتب « انجيلا » عبرانيا هو ايريناوس سنة ١٨٠ ميلادية أي في أواخر القرن الثاني ولا نعلم ان كان الانجيل اليوناني الحالي مترجما عن هذا الذي ذكره ايريناوس أم لا ؟

أما مرقس فانه جمع بعض أخبار المسيح وأقواله غير مرتبة كما هي الآن على ماصرح به باپياس المذكور . وعليه فيَدٌ أخرى رتبت هذا الانجيل وزادت فيه ، ثم زيد فيه شيئا فشيئا حتى صار كما هو الآن . ومن أحدث الزيادات فيه العبارات المذكورة في آخره (١٦ : ٩ — ٢٠) ولذلك لم توجد في بعض نسخهم القديمة التي عثروا عليها لان زيادتها اذ ذاك لم تعم جميع النسخ ولكنها عمتها فيما بعد كما هو الحال الآن وهذه العبارات المشار اليها تتضمن ظهور المسيح لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية ورفعه الى السماء ودعوى اعطاء المؤمنين بالمسيح القدرة على خوارق العادات والمعجزات (عدد ١٧ و ١٨) وهي دعوى يردها الحس والعيان وسيأتي البحث فيها

هذا وقد كتب مرقس ما كتب بعـد موت بطرس و بولس كما صرح بذلك ايريناوس (Irenaeus) فلم يطلع اذًا بطرس على ماكتبه مرقس بالرواية عنه . ومرقس لم يجتمع بالمسيح ولم يره قط . فأي ثقة لنا بمثل هذا الانجيل ؟ وهو لم يذكر إلا في أواخر القرن الثاني كانجيـل متى . وأما ماذكره باپياس في منتصف هذا القرن فمن مجموعـة أخرى من أقوال المسيح وأخباره غـير مرتبة بحسب زمن

وقوعها بخلاف هذا الانجيل فانه مرتب

وأما لوقا فانه أيضا ليس تلميذا للمسيح ولم يره وكذلك بولس أستاذه[1] ولا يوجد دليل على أنه كتب إنجيله بالوحي بل الظاهر من مقدمته أنه كتبه بالاجتهاد (١:١ - ٣) ولم يذكر ايضا هذا الانجيل صريحا في القرن الاول والثاني الى سنة ١٨٠ ميلادية وقد اعترف مؤلفه أنه وجد قبله أناجيل أخرى كثيرة وهو يدل على تأخر زمنه

وأما انجيل يوحنا فلم يذكره أحد أيضا إلا في أواخر القرن الثاني وفيه من الاقوال والآراء مالم يروه أحد غيره . مثال ذلك دعواه أن المسيح قال ٨ : ٥٨ (قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن) ولا ندري لماذا لم تذكر أمثال هذه العبارة في الاناجيل الثلاثة الاخرى ؟ فهل كان العالم غير مستعد لهذه التعاليم قبل كتابة إنجيل يوحنا كما يزعمون ؟ مع أن بحث الناس في « الكلمة » (Logos) بدأ قبل المسيح بقرون عديدة فكان الفيلسوف اليوناني زينو (Zeno) أستاذ الرواقيين من سنة ٣٤٠ - ٢٦٠ قبل الميلاد يعتقد أن « الكلمة » هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه ، وكان الناس في زمن المسيح كثيري البحث في مثل هذه المسألة وغيرها ، شديدي الشغف بأمثال هذه الفلسفات اليونانية اليهودية التي نشأت عنها بعض العقائد المسيحية . ولذلك نجد بحثا طويلا في هذه المسألة في كتابات (فيلو) (Philo) الفيلسوف اليهودي الاسكندري الذي كان معاصرا للمسيح وفي الترجوم الكلداني وأيضا في كتاب الحكمة (Wisdon) المنسوب لسليمان عليه السلام . فلماذا إذًا لم يذكر بحث « الكلمة » إلا في مؤلفات يوحنا دون سائر التلاميذ الآخرين مع أن البحث فيها كان شاغلا لاذهان الناس قبل المسيح وفي زمنه و بعده ؟ فان كان المسيح حقيقة قال تلك الجملة السابقة او نحوها فلماذا تركها الانجيليون الآخرون ولماذا لم يرشدهم روح القدس بعد حلوله عليهم إلى جميع الحق أو أهمه ليدونوه كما دوّنه يوحنا ؟ أم كان الخوف من اليهود هو الذي منعهم من ذلك كما يزعمون ؟ ولماذا لم يمنع هذا الخوف النصارى الاولين من المجاهرة بعقائدهم حتى نالهم من الاضطهاد والأذى والقتل

(١) هذا اذا صح أن كاتب الانجيل هو لوقا تلميذ بولس (فل ٢٤) لا واحدا آخر غيره

ما نالهم على ما يقولون ؟ فكيف يمنع الخوف « الرسل » من بيان الحق للناس ولا يمنع من هم أقل منهم من المجاهرة به في كل مكان وزمان !!

وهناك مسائل أخرى كثيرة مذكورة في هذا الانجيل الرابع ذكرنا بعضها سابقا في مقالة الصلب ولا أثر لها في الثلاثة الاولى كدعواه أن يوحنا ذهب مع بطرس الى دار رئيس الكهنة وقت محاكمة المسيح ودخوله وحده قبل بطرس ثم استئذانه له (١٨ : ١٥ و ١٦) وأنه دون سائر التلاميذ كان واقفا عند الصليب مع مريم أم عيسى (١٩ : ٢٦) وذهابه مع بطرس الى القبر بعد قيامة المسيح منه (٢٠ : ٢ و ٣) وتسميته نفسه في أغلب الاوقات بالتلميذ الذي يحبه يسوع (٢١ : ٢٠ و ١٣ : ٢٣ - ٢٦) إلى غير ذلك مما لم يرد في الاناجيل الاخرى وهي كلها مسائل موضوعة من مؤلف هذا الانجيل المبالغة في مدح يوحنا وتعظيمه وتفضيله عن باقي التلاميذ ولذلك لم يروها انجيل من الاناجيل الاخرى وهي من الاهمية بمكان عظيم لو صحت

ومما يلاحظه الانسان أن يوحنا يتكلم في رسائله بصيغة المتكلم وأما في هذا الانجيل فيتكلم دائما عن نفسه بصيغة الغيبة . وورد في آخر هذا الانجيل ٢١ : ٢٤ هذه العبارة (هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم أن شهادته حق) وهي تشعر بأن بعض أتباع يوحنا في أفسس أخذوا ما كتبه يوحنا وتوسعوا فيه ومنه ألفوا هذا الانجيل ونسبوه اليه وعظموه فيه كثيرا واخترعوا له من الحوادث مالم يذكره غيرهم ثم قالوا (ونعلم أن شهادته حق) ولذلك ترى هذا الانجيل أصح عبارة في اللغة اليونانية من سفر الرؤيا لمهارة كاتبيه فيها . ومن غرائب استدلال النصارى على أن ابطرس يدا في تأليف إنجيل مرقس أنه خال من مدح بطرس (مع أنه قد خص بطرس بالذكر في أعظم المقامات (مر ١٦ : ٧) وهو انجيل مختصر وترك تفصيل كثير من المسائل . وفي مقابلة هذا النقص والاختصار لم يذكر تفاصيل أخرى من الخالية عن المدح تكون مكتسبة من معلومات بطرس). ومع ذلك فاذا صح استدلال النصارى هذا في بطرس فكيف ساغ ليوحنا مدح نفسه كل هذا المدح حتى خص نفسه بحب المسيح اكثر من كل احد سواه

وذكر لنفسه من الحوادث مالم يروه احد غيره

فالحق أن هذا الانجيل هو من وضع بعض أتباع يوحنا المتأخرين في أفسس كما قلنا ولذلك نجد أن يوليكارب (Polycarp) تلميذ يوحنا الخصيص لم يشر الى هذا الانجيل بكلمة واحدة مع أنه ذكر كثيرا من العبارات عن المسيح توجد في الاناجيل الاخرى وكذلك پاپياس (Papias) لم يذكره . وإن كان يوستينوس (Justin) الشهيد المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية يقول إن سفر الرؤيا هو ليوحنا لكنه لم يذكر أن يوحنا كتب هذا الانجيل مطلقا وهو ينقل كل ما يكتبه من حياة المسيح عن الكتاب المسمى (Memoirs of the Apostles) «مذكرات الرسل» تاركا ذكر جميع هذه الاناجيل الحالية. وما في كتاباته عن حياة المسيح يختلف كثيرا في بعض المسائل عما في انجيل يوحنا. فلو كانت هذه الاناجيل معروفة في زمنه لنقل عنها وخصوصا انجيل يوحنا فانه يناسب آراءه ومع ذلك لم يشر اليه بكلمة واحدة . وفي هذه «المذكرات» أشياء لا توجد في الاناجيل الحالية أو تناقضها

وقد صوّرت الاناجيل الثلاثة الاول المسيح بأنه ما كان يعلم أن يهوذا الاسخريوطي سيسلمه (متى ١٩ : ٢٨ ولو ٢٢ : ٣٠) الا في آخر حياته وأنه ما كان يعلم متى تقوم القيامة [1] (مر ١٣ : ٣٢) وأنه كان حزينا جدا ويستغيث بالله مرارا لينجيه من الصلب (مت ٢٦ : ٣٨ - ٤٤ ومر ١٤ : ٣٤ - ٤١) حتى صار يتصبب عرقا من كثرة الالحاح في الدعاء فنزل عليه ملك من السماء ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣ و ٤٤) وأما الانجيل الرابع فصوره بأنه كان من أول الامر يعلم أن يهوذا سيخونه (يو ٦ : ٧٠ و ٧١) وأنه يعلم كل شيء (٦ : ٦٤ و ٢ : ٢٥ و ١٦ : ٣٠) وانه ما كان حزينا

(١) حاشية : اذا كان المسيح بمقتضى هذه العبارة لا يعلم متى تقوم الساعة باعترافه هذا ، فكيف يكون هو ديان الخلائق يوم القيامة؟ وقوله فيها (ان الابن لا يعلمها) نص على انه ليس باله . فان قيل : لعله يريد (الانسان يسوع) قلت ولِمَ لمْ يصرح بذلك ليكون قوله خاليا من اللبس والتضليل ؟ واذا كان أقنوم الابن متحدا بناسوته فكيف لم يعلم الناسوت مايعلمه اللاهوت والا فما معنى هذا الاتحاد ؟

وجاء أيضاً في انجيل يوحنا أن المسيح لما أشار عليه اخوته بالذهاب الى أورشليم لاجل العيد قال لهم (يو ٧ : ٨) (أنا لست أصعد بعد الى هذا العيد) ولكن لما مضى اخوته الى العيد مضى هو أيضا بعدهم متخفيا (يو ٧ : ١٠) فعبارته هذه لهم اما أنها كذب وغش ولذلك ذهب بعدها متخفيا واما انه ما كان يعلم أنه سيذهب الى العيد (أي جهل وتردد) وكلاهما مما يجب أن ينزه الله تعالى عنه وان كان قالها باعتبار الناسوت (وهو الجواب الذي صدعوا آذاننا به) قلت : وكيف لم يهده =

لاجل الصلب (اصحاح ١٤-١٧) غير انه اضطرب قليلا (يو ١٢ :٢٧)وأنه أسلم نفسه لليهود طائعا مختارًا (يو١٠ :١٨) حتى كانوا يسقطون على الارض من هيبته (١٨ :١-١١) وقد ترك أيضا هذا الانجيل ذكر تجارب الشيطان له[1] وصيامه أربعين يوما وليلة لله تعالى (مت ٤ :١-١١) وصلواته الكثيرة (لوقا ٦ : ١٢ و١١ :١و٩ :١٨ ومر ٦ :٤٦ ومت ١٤ :٢٣) وصراخه وقت الصلب من الالم (مت ٢٧ :٤٦)وكذلك ترك قصة شجرة التين[2] (مت ٢١ :١٨—٢٢ ومر ١١ :١٢-١٤)

= اللاهوت المتحد به الى الى البت في عمل صغير كهذا وتركه يبدي كل هذا التردد والجهل؟ وما فائدة اللاهوت له اذاً وفي أي شيء أفاده؟ ولم اتحد به الله وهو لم يصلب معه بل تركه ولذلك قال (الهي الهي لماذا تركتني) ؟ ولم تعبدون هذا الناسوت العاجز الجاهل مع اللاهوت ولم تفرقوا بينهما ؟ فان قيل ولماذا ذكر يوحنا هذه القصة وهي منافية لمبدئه في كتابة تاريخ المسيح كما تدعي؟ قلت لعله لم يدرك ما تؤدي اليه أو ربما أنه كان يستحسن مثل هذا التضليل ويعجب بحيلة المسيح هذه وتخفيه حتى عن أهله ويرى أن ذلك مهارة منه وسياسة عالية وما درى أنها كذب مذموم ولا مسوغ له مطلقا ولا يصح صدوره من ابن الله ! !

(١) قصة تجارب الشيطان هذه للمسيح تشبه قصة قديمة للهنود في (بوذا) شبها يبعد أن يكون منشأه الصدفة والاتفاق لا القياس والنسج عليها . ومما تمتاز به قصة الاناجيل قولها (مت ٤ :٨ ولو ٤ :٥) ان الشيطان (بعد ان اخذه الى أورشليم كما في متى (عدد ٥ و٨) أو قبل ذلك كما في لوقا « عدد ٥ و٩ ») أرى المسيح العالم كله من جبل عال جدا ، فكيف يمكن ذلك والارض كروية ؟ واين هذا الجبل الذي يرى منه العالم كله ؟ فالحق ان كتبة الاناجيل كباقي أهل زمنهم كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن القطعة المحدودة التي عرفوها اذ ذاك من الارض (راجع أيضاً لوقا «٢ :١»)وملكها الرومان ولما تنبه بعض النصارى الى ذلك الغلط حذفوا من انجيل لوقا قوله (في عدد ٥) «الى جبل عال » فلم يوجد في بعض النسخ القديمة وربما كان هذا الانجيل عند المحرفين له أكثر استعمالا من غيره أو كان تداوله قليلا عند غيرهم فلذا أقدموا على تحريفه في ذلك دون انجيل متى. ولا ندري كيف تجاسر الشيطان على مثل هذا العمل مع اله حتى صار يحمله من مكان الى مكان طائرا به في الهواء ويمتحنه مرات ويعده باعطائه جميع ممالك المسكونة اذا هو سجد له !! فهل نسي الشيطان أن هذا الذي يجربه هو الذي أعطاه كل هذه السلطة لو ٤ :٦) وأنه هو خالق السموات والارضين ، ورب العالمين ؟ فكيف نسي الشيطان ذلك ؟ وما الحكمة في وضوح الهمهم للشيطان الى هذا الحد ، وتجرئه عليه في كل ذلك ؟! (راجع أيضاً ص ١٠٩ و١١٠ من رسالة الصلب والفداء)

« ٢ » قد ناقض مرقس متى في وقت ملاحظة التلاميذ يبس هذه الشجرة ، فجعله متى (في الحال) ٢١ :١٩ و٢٠ وجعله مرقس في (صباح اليوم التالي) ١١ : ٢٠ فيجوز أن الشجرة كانت مريضة من قبل وآخذة في الذبول وتم ذلك أو كاد بعد مضي ٢٤ ساعة (مت عدد ١٨ ومر عدد ٢٠)فتبين لهم حينئذ يبسها جلياً .فكان الواجب أن يذكر يوحنا (وهو -كما يقولون- المكمل لنقص الاناجيل التي قبله)هذه القصة من جديد لرفع تناقضها وبيان ان كان فيها شيء من الاعجاز ام لا ولكن كيف يفعل ذلك وفائدتها لا تذكر في جانب ما تجلبه عليه من الضرر العظيم كما بين في المتن

لانها تؤدي الى نسبة الجوع والجهل والظلم والعجز للمسيح حيث انه لم يعرف ان كان بالشجرة تين أم لا مع أنه لم يكن وقت التين كما ذكر مرقس (١١ : ١٣) ثم انه ظلمها وظلم صاحبها أو كل من كان ينتفع بها من السابلة بدعائه عليها حتى يبست وكان الاولى به أن يوجد التين فيها في غير وقته بقدرته فان ذلك يكون أفيد وأحكم وأدل على القدرة أو يشفيها ان كان عدم ثمرها لمرضها . لذلك ترك يوحنا هذه القصة كما ترك «كل» أمثالها خوفا مما تؤدي اليه !! فكل ذلك يدل على أن هذا الانجيل كتب في زمن كان فيه الناس قد تغالوا في المسيح ورفعوه لدرجة تقرب من درجة الاب (الله) (١) فهو مظهر من مظاهر ترقيهم في هذه العقيدة تدريجا

---

(١) حاشية مع ذلك ترى أن انجيل يوحنا لايزال ينص على أن الابن أقل من الاب ولذلك يقول عن لسان الابن (عيسى) ٥ : ٣٠ (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا * كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لاني لاأطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي أرسلني) وقال ٥ : ٢٢ (لان الآب لايدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن) وقال ٨ : ٢٨ (ولست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي) وقال ١٤ : ٢٤ (والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني) وقال ١٤ : ٢٨ (لان أبي أعظم مني) وقال ١٢ : ٤٩ (لاني لم أتكلم من نفسي لكن الاب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) وهي كلها نصوص صريحة على عدم مساواته تماما لله تعالى ، وأن الله تعالى هو الذي أعطاه القدرة على كل شيء والكلام والعلم والدينونة ، وأنه أعظم منه ، وأن المسيح انما يعمل مشيئته تعالى وأن الله هو الهه أيضا كما هو اله للناس يو ٢٠ : ١٧ اما قول هذا الانجيل ١ : ١ (والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله)فهو صريح في أن الكلمة غير الله وانما صارت الها للعالم كما صار موسى الها لفرعون على مايقول سفر الخروج (٧ : ١) راجع أيضا قول بطرس في سفر الاعمال بعد نزول روح القدس عليهم (ان الله جعل يسوع ربا ومسيحا) (أع ٢ : ٣٦) فلفظ (كان) فى الانجيل بمعنى صار كقول القرآن الشريف (فننفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) أي يصير . فانجيل يوحنا كباقي أسفار العهد الجديد يجعل الابن مخلوقا قبل كل شيء (رؤ ٣ : ١٤ وكو ١ : ١٥ وقارنهما بيع ١ : ١٨) ولا يساويه بالله تعالى (رومية ١ : ٤) أما هذه المساواة فقال بها النصارى بعد زمن تأليف العهد الجديد في وقت كثرت فيه فرقهم ومذاهبهم واختلفت في هذه المسألة فلذا لم يمكنهم حذف هذه الاقوال (المنافية للمساواة التامة) من العهد الجديد لوجوده اذ ذاك عند طوائف أخرى تعرف هذه الاقوال فيه وتتمسك بها ضد الاخرين المخالفين لهم ولكن بعد انعقاد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ميلادية وحكمه على أتباع أريوس الموحدين بالكفر والزندقة فشت بين جمهورهم عقيدة مساواة الابن بالاب في كل شيء وأولوا هذه الاقوال وغيرها اذ بعد عدم امكانهم حذفها كلها لا مناص لهم من تأويلها وذلك كله لميل الجمهور في ذلك الزمن للشرك والوثنية والعقائد الرومانية والفلسفة اليونانية واليهودية وغيرها ومع ذلك فقد أجروا بعض تحريفات راجت في نسخهم لاثبات ألوهية المسيح ومساواته بالله ولم يدركها أحد في تلك الازمنة لعدم حفظهم لكتبهم في صدورهم ولانتشار الجهل بينهم اذ ذاك وقلة نسخهم ووجودها عند رؤسائهم فقط وقد عرفت بعض هذه الاشياء الآن بالمراجعة والبحث في النسخ القديمة والحديثة =

ولذلك اختلف هذا الانجيل المتأخر عن الاناجيل الثلاثة الاول في هذه المسائل وغيرها وتركها عمدا لغاية اه علمها العلماء من الناس الآن

فان قيل : امل يوحنا اراد ان يكون انجيله مكملا للاناجيل الثلاثة الاولى فلذا لم يذكر ماذكرته منعا للتكرار . قلت ان ماسبق بيانه لايصح أن يعتبر تكميلا بل هو تناقض بين كما لايخفى على المتأمل والظاهر من الاناجيل ان كلا منها كتب ليكون كاملا بنفسه لا مكملا لغيره والا اذا صح قولكم هذا فكيف ذكر يوحنا كثيرًا من الحوادث التي ذكرتها الاناجيل الثلاثة مع أنها ليست من الاهمية بمنزلة الاشياء التي تركها .مثال ذلك معجزة اطعام خمسة آلاف رجل قد ذكرها متى (١٤ :٢١) ومرقس (٦ :٤٤) ولوقا (٩ :١٤) فكيف بعد ذلك ذكرها يوحنا (٦ :١٠) وكذلك دخول المسيح أورشليم راكبا حمارا (١) قد ذكروه كلهم (أنظر مت ٢١ :٢ ومر ١١ :٢

= فمن ذلك ابدال لفظ (الرب) بالمسيح في ١ كو ١٠ :٩ وزيادة قولهم (يسوع المسيح) في أف ٣ :٩ وزيادة كلمتي (البداية والنهاية) في رؤ ١ :٨ وكلمات (أنا هو الالف والياء. الاول والآخر) في رؤ ١ :١١ وزيادة عقيدة التثليث في ١ يو ٥ :٧ و٨ وزيادة لفظ الله في يه ٤ و١ تي ٣ :١٦ وأع ٢٠ :٢٨ الخ الخ فكيف بمثل نقل هؤلاء الناس يثق الانسان وتلاعبهم بكتبهم أصبح محققا معروفا ؟ راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٧٦ و ٧٧ ورسالة الصلب ص ١٦٢

(١) من المضحكات المخجلات المتعلقة بمسألة ركوب الحمار هذه مايأتي :—

قال زكريا في كتابه ٩ :٩ و١٠ (ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يابنت أورشليم .هو ذا ملكك يأتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب . ويتكلم بالسلام للامم وسلطانه من البحر الى البحر .ومن النهر الى أقصى الارض) الخ وعدم انطباق هذه النبوة على المسيح ظاهر فانه لم يكن ملكا لاورشليم ولا هو منصور ولم يمتد ملكه من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الارض ومنذ وجوده الى الآن استمرت نيران الحروب ولم تقطع قوس الحرب وتشتت اليهود بعده بقليل وخربت أورشليم ولم يتكلم بالسلام للامم بل قال مت ١٠ : ٣٤ (ماجئت لالقي سلاما بل سيفا)وعقب دخوله أورشليم أخذه اليهود وأهانوه وصلبوه وقتلوه كما زعموا فكيف تنطبق هذه النبوة عليه ولكن أبى الانجيليون الاربعة الا تطبيقها عليه لانهم ان لم يفعلوا ذلك لما انطبقت على أحد مطلقا لانه على زعمهم بعد عيسى مباشرة لم يبق الا مجيء القيامة في عصرهم !! فانظر الآن كيف طبقوها عليه . قول زكريا (وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان) مفهومه أن الحمار هو عين الجحش ابن الاتان على طريق البدل المطابق وكذلك فهم مرقس ولوقا ويوحنا (مر ١١ :٧ ولو ١٩ :٣٥ ويو ١٢ :١٥) ولكن متى فهم أن الحمار غير الجحش ابن الاتان فقال ٢١ :٢ (ان المسيح قال لاثنين من تلاميذه . اذهبا الى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان=

ولو ١٩ : ٣٠ ويو ١٢ : ١٤) فان قيل ان ذكرهم لركوب الحمار هو لانه كان تتميما لنبوة زكريا (٩ : ٩) قلت كذلك كان صراخ المصلوب (الهي الهي لماذا تركتني) تتميما للمزمور (٢٢ : ١) فلمَ لم يذكره يوحنا ؟ ألا يدل ذلك على أنه تحاشى ذكر كل مامن شأنه أن يقلل من درجة المسيح التي يريد رفعه اليها ايجعله كلمة الله القديمة التي وجدت قبل جميع المخلوقات وبها كانت المخلوقات ثم تجسدت وقبلت الصلب بارادتها لا رغما عنها كما يفهم من الاناجيل الاخرى ؟ (راجع رسالة الصلب ص ١٢٤ و ١٥٦ و ١٦١) فالحق ان كلا منهم كتب انجيله على استقلال وتوخى فيه غاية مخصوصة فذكر من الحوادث والاقوال مايلائم غرضه ولو كان مكررًا في الاناجيل الاخرى

= أتاناً مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما ٣ وان قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج اليهما فللوقت يرسلهما (ثم ذكر متى هنا عبارة زكريا السابقة) ٦ فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ٧ وأتيا بالاتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما) وفي بعض النسخ (أجلسوه عليهما) ولا ندري كيف جلس يسوع أو أجلس على الاتان والجحش معا وما الحكمة في ذلك وكيف لم يخف أن يقع من فوقهما مع أن ركوب واحد منهما سهل وهو المعتاد !! ؟؟ ولكن عدم فهم كاتب انجيل متى أوقعه في هذا الهذيان ولم يبال بمخالفة العقل والعادة في سبيل تطبيق هذه النبوة على المسيح كما هي عادتهم فاخترع قصة وجود الاتان والجحش معها وأركب المسيح عليهما معا !! وكيف سكت أصحاب الاتان والجحش (مر ١١ : ٥ ولو ١٩ : ٣٣) عن منع التلميذين من حلهما وأخذهما وهم لا يعرفونهما بل ربما لا يعرفون سيدهما المسيح نفسه ؟ وكيف تأكد انهما رسولاه حقيقة لا لصان ؟ وكيف يركب المسيح على جحش لم يجلس عليه أحد من الناس قط كما قال مرقس ولوقا ؟ فلعله فعل ذلك بمعجزة !!

فمن هذه القصة الصغيرة يتضح لك صدق قولنا مرارا في كتبة الاناجيل أنهم يعرفون نبوات العهد القديم أولا ثم يصطنعون منها حوادث للمسيح ويدعون انها وقعت فعلا تتميما لتلك النبوات القديمة ولا يبالون مهما أوقعهم ذلك في الغلط ومخالفة العقل والعادة . فهل يصح اعتبار هذه الاناجيل تواريخ صحيحة حرة وهي في كل ما كتب فيها متأثرة بنبوات اليهود عن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ واذا سلم أن المسيح فعل ماحكاه متى وركب الاتان والجحش معا فما الذي يمنع منكري نبوته من القول بأنه انما اجهد نفسه وخالف العادة رغبة منه في تطبيق نبوة زكريا عليه لتصح دعواه بأنه هو المسيح المنتظر وان لم يقدر على تطبيق باقي النبوة عليه لخروجها عن استطاعته اذ ليس في وسعه ان يكون ملكا ولا منصورا ولا قاطعا للحروب ولا له ملك يمتد من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الارض فما قدر عليه (وهو ركوب الاتان والجحش معا) فعله وما لم يقدر عليه سلم فيه الامر لأتباعه ليقولوا فيه ما شاؤا والسلام . هذا شيء مما يقوله ملحدو النصارى في أوربة الآن وغيره كثير جدا جدا لا يحصى ولولا القرآن ومحمد الذي يكرهه النصارى ويحاربونه لقال (٣٠٠٠٠٠٠٠٠) من البشر في المسيح اضعاف اضعاف ما يقوله ملحدو أتباعه واليهود وغيرهم . فشكرا لله ولرسوله على ادبه العالي في المسيح الذي أدب به المسلمين والحمد لله رب العالمين

فتجدها تتفق في بعض المسائل حتى في لفظها ثم تختلف في الاخرى حتى يتعسر أو يتعذر الجمع بينها وما دام هذا حال الاناجيل فهي من الوجهة التاريخية لا قيمة لها لانها تابعة للاغراض تدور معها حيث دارت

وقد ذكرت الاناجيل الثلاثة الاول (مت ١٩ : ١٧ ومر ١٠ :١٨ ولو ١٨ : ١٩) أن رجلا نادى عيسى (ص) بقوله « أيها المعلم الصالح » فانكر المسيح عليه ذلك تواضعا وقال له « لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله» وأما يوحنا فلم يذكر هذه القصة مطلقا كعادته وروى عن المسيح أنه كان يقول مرارا (يو ١٠ : ١١ و١٤) « أنا هو الراعي الصالح » وأنه قال (يو ١٠ : ٣٠) « أنا والآب واحد » وغير ذلك كثير مما لم تروه الاناجيل الاخرى. وان كانت العبارة الاخيرة التي رواها يوحنا ليست نصا في ألوهيته إذ حملها على المجاز سهل كما هو ظاهر وقد قال المسيح أيضا نحوها في تلاميذه (يو ١٧ : ١٤ ـ ٢٦) إلا أن روح العظمة والكبرياء التي في رواية يوحنا هذه لاتتفق مع روح التواضع التي ترى في رواية الآخرين عن المسيح . فان كان مارواه يوحنا عنه (مثل ٣ : ١٣ و٨ : ٥٨ و١٢ : ٤٥ و١٤ : ١٠ و١٦ : ٢٨ و١٧ : ٥) صحيحا فمن أقبح النقص ومن أعظم أسباب تضليل الناس في أمر المسيح أن يترك ذلك الانجيليون الثلاثة وخصوصا لوقا الذي تعمد أن يكون انجيله كاملا وجامعا لجميع أخبار المسيح وأقواله المهمة إذ قد تتبع ـ كما يقول عن نفسه (١ : ٣) ـ كل شيء من الاول بتدقيق . فلا يعقل أن مثل هذا الكاتب المدقق يترك كل أقوال المسيح المهمة في مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا أو غيره كما يدعون وان خالفوا قول لوقا نفسه وهو عندهم موحى اليه وكتب انجيله بالالهام الالهي بعد نزول روح القدس عليهم جميعا ! ! فلم إذا لم يوح اليه ماأوحي الى يوحنا مع أن يوحنا لم يرد أن يكون انجيله كاملا كلوقا (يو ٢١ : ٢٥) أم نسي الله ان يلهمه هذا المبحث العظيم ولم يعلم ان ذلك سيكون سببا في انكار كثير من الناس ألوهية عيسى في كل زمان ومكان وتكذيبهم يوحنا فيما رواه وانفرد به دون جميع زملائه الآخرين حتى أن تسمية المسيح « بالابن الوحيد » و « بالكلمة » بالمعنى الذي اراده يوحنا لم

ترد في كتاب من كتب العهد القديم او الجديد الا في المؤلفات المنسوبة لى هذا الرجل . وما هي الا فلسفة يهود الاسكندرية وغيرهم سرت الى المؤلف فطبقها على المسيح . والمسيح براء مما ينسبه اليه ، او يرويه عنه ، كما هو ظاهر من الاناجيل الاخرى

فان قيل: لعل لوقا اراد ان يكون انجيله شخصيا لانه قدمه (لثاوفيلس) وربما ان هذا الرجل كان يعرف الوهية المسيح واقواله في هذه المسألة وما كان يشك فيها فلذا تحاشى لوقا ذكر كل مايثبتها له من اقوال المسيح ؟ قلت ان الذي يفهم من انجيل لوقا نفسه (١ : ٤) ان ثاوفيلس ما كان يجهل شيئا مما جاء في هذا الانجيل وانما كان الغرض من كتابته له تثبيته، فلماذا إذا لم يثبته لوقا في عقيدته في لاهوت المسيح ولم يرو له ماقاله المسيح نفسه في ذلك كما ثبته في غيرها من الحوادث وان كان يعرفها من قبل ؟ واي ضرر اذا ذكر لوقا اقوال المسيح في الوهيته حتى انه تجنب ذكرها (١) في إنجيله بالمرة ؟ وسماه انسانا ونبيا (لو ٢٤ : ١٩)

---

(١) لاحظ أن انجيل لوقا (مع أنه أوفى الاناجيل وأدقها وأصحها) هو أيضاً أبعدها عن عقيدة النصارى في ألوهية المسيح حيث أنه اعتبره انسانا من أول الامر الى آخره (أنظر مثلا لو ٢٢ : ٤٣ و٢٤ : ١٩) ولم يطلق عليه لفظ الرب (وهو في جميع اللغات لقب تعظيم بمعنى السيد والمعلم ونحو ذلك كما في (يو ١ : ٣٨ ومت ٢٣ : ٧ و٨)) لم يطلقه عليه الا مرات قليلة وظهر لهم أن بعضها زيد فيه تحريفاً في الازمنة الاولى (كما فى أصحاح ٧ : ٣١ و٢٢ : ٣١ منه) وليس هذا فقط بل لم يجعل هذا الانجيل المسيح ديانا للخلائق جميعا مجازياً لهم بحسب أعمالهم كما فعل متى وغيره ولم يقل إن الملائكة هي ملائكة المسيح (قارن متى ١٦ : ٢٧ و٢٨ و٢٥ : ٣٢ و٣٣ و٢٤ : ٣١ بلوقا ٩ : ٢٦ و٢٧ و٢١ : ٢٧) ولم يذكر عبارة متى (٢٨: ١٩) التي اتخذها النصارى إشارة الى ثالوثهم. قارن أيضاً كلمات الوداع في انجيل متى (١٨:٢٨-٢٠) بما في لوقا (٢٤ : ٤٦-٥٣) فأقرب الاناجيل لعقيدة النصارى هو انجيل يوحنا ويليه متى ثم مرقس ثم لوقا . قارن أيضاً قول متى ١٣ : ٤١ (يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الاثم) قارنه بقول لوقا ١٢ : ٨ و٩ (وأقول لكم كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الانسان =

ولو فرض ان لوقا لم يذكر الا ماجهله ثاوفيلس فهل يعقل ان هـذا الصديق العزيز

= قدام ملائكة الله . ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله) ثم راجع سفر الاعمال وهو من تأليف لوقا أيضا عندهم تره يقول فيه عن لسان بولس استاذه ان المسيح انسان وأن الله هو الذي أقامه من الاموات (أع ١٧ : ٣١) أنظر أيضاً (أع ٢ : ٢٤) وأما قول بولس في سفر الاعمال هذا (١٧ : ٣١) ان الله سيدين المسكونة بهذا الرجل (يعني المسيح) فهو لايدل على أنه كان يعتقد ألوهيته لانه سماه في هذه العبارة نفسها رجلا وقال ان الله هو الذي أقامه من الاموات (راجع أقواله في المسيح في ١ تي ٢: ٥ وأف ١ : ١٧ ورو ٥: ١٥و١ كو ٣ : ٢٣ وغل ٤: ١٤) وأيضاً فان تلاميـذ المسيح أنفسهـم سـيدينون (بحسب هـذه الاناجيل) أسـباط اسرائيـل الاثنى عشر (أنظر مثلا مت ١٩ : ٢٨) وقال عيسى لتـلاميذه (مت ١٨ : ١٨) (الحق أقول لـكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا في السماء) ولم يقل أحد من النصارى بألوهيتهم ولو أنهم كثيراً ماسجدوا لصبورهم ولصبور غيرهم من القديسين والقديسات في كنائسهم، وهذه العبارة الاخيرة ونحوها كانت منشأ سلطة الباباوات العظيمة وربما أنهم هم الذين اخترعوها ونسبوها لعيسى وهو منها ومن أمثالها بريء، ومما يشعر بأن هذه العبارة هي من اختراع رؤساء النصرانية القدماء قولهم عن لسان المسيح قبلها (مت ١٨ : ١٧) (وإن لم يسمع (أي من أخطأ الى أخيـه) منهم (أي من الشهود) فقل للـكنيسة . ان لم يسمع من الـكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار) فأي كنيسة كانت في ذلك الوقت يحاكم اليها تلاميذ المسيح وهو لايزال بينهم؟ فالحق أن هذه العبارة مما اضيف الى الانجيل بعد المسيح بمدة ويؤيد ذلك جواب المسيح الوارد في إنجيل متى (٢٠: ٢٣) لأم ابني زبدي بأنه لايقدر أن يعطي شيئا الا لمن أراده الله فكيف اذاً يتصرف تلاميذه في الـكون كما أردوا ؟ وقال بولس إنه هو والقديسين وسائر النصارى سيدينون العالم والملائكة !! فهل هؤلاء كلهم آلهة ؟ (أنظر ١ كو ٦ : ٢ و٣) ومن ذلك يعـلم أن المسيح ليس وحده عندهم ديانا للخلائق بل هو أكبرهم وأعظمهـم فهو كقاضي القضاة يوم القيامة . واذا لاحظت أن اليهود كانوا يسمون قضاة الدنيا آلهة (وبالعبرية ألوهيم) وهـذه اللفظة تطلق على المفرد وعلى الجمع فلذا كانت تطلق على الله تعالى وعلى عظماء البشر أو قضاتهم كما يفهم من (مز =

لوقا (١ : ٣) والذي يعلم النصرانية من قبل (لو ١ : ٤) كان يجهل او يشك في

= ٨٢:٦ واصمو ٢٨: ١٣ ويو ١٠: ٣٤-٣٧ راجع أيضاً خر ٢١: ٦ و٢٢: ٨ و٩)
وربما كان اطلاقها على الله وهي جمع من بقايا أثر الشرك القديم والوثنية في اللغة العبرية، اذا لاحظت ذلك وتذكرت أن بولس ويوحنا كانا يهوديين صميمين لم تستغرب تسميتهما المسيح - وهو عندهم ديان القيامة الاعظم باذن الله (يو ٥ : ٢٧) مرة أو مرتين إلها كما في (رومية ٩ : ٥ و١ يو ٥ : ٢٠) بعد أن وصفاه بصفات الحوادث مرارا ونصا على أنه أول مخلوقات الله تعالى (كو ١: ١٥ ورؤ ٣: ١٤) على ان عبارة بولس الواردة في رومية { ٩:٥ } اختلف فيها المفسرون والمترجمون فيرى بعضهم أن ما بعد قوله (حسب الجسد) جملة مستأنفة ومعناها هكذا « ومن على الكل هو الله مبارك الى الابد » أو « ومن هو الله على الكل يبارك الى الابد » راجع الترجمة الانكليزية المنقحة « Revised Version »

ومما تقدم يعلم أن ادانة الخلائق والتصرف في الكون ليس عندهم قاصرا على الله تعالى وحده كما هي العقيدة الصحيحة في دين الحق ودين التوحيد الحقيقي القائل كتابه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) (مالك يوم الدين) (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) وقال مخاطبا محمد (ص) (ليس لك من الامر شيء) وقال (انما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر) فأين هذه العقائد العالية من عقائد الشرك والتشبيه والتجسيم؟ وجاء في سفر التثنية (وأوامر التوحيد والتنزيه فيه وفي غيره من كتب العهد القديم كثيرة جدا) قوله ٣٢ : ٢١ (هم أغاروني بما ليس الها . أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم) وهي الامة الاسلامية الناشئة بين الاميين الجاهلين مصداقاً لقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبيّ الاميّ) الى آخر الآيات ثم قال سفر التثنية ٣٢: ٣٤ (أليس ذلك مكنوناً عندي مختوماً عليه في خزائني ٣٥ لي النقمة والجزاء . في وقت تزل أقدامهم. ان يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة ٣٦ لان الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق ٣٧ يقول أين آلهتهم الصخرة التي التجأوا اليها ٣٨ التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية ٣٩ أنظروا الآن أنا أنا هو وليس اله معي. أنا =

وجود عيسى وفي جميع تفاصيـل حياته وولادته من العذراء وفي صلبـه وقيامته وصعوده الى السماء حتى فصل له لوقا كل ذلك تفصيـلا ؟ واذا كان يجهل هذه المسائل أو يشك فيها فكيف لم يشك في ألوهيـة المسيح ؟ وكيف علم ثاوفيلس أقوال المسيح في ألوهيته ولم يعلم باقي تفاصيل قصته التي فصلها له لوقامع أن هذه الاقوال ما كانت منفصلة عن حوادث حياته كما يفهم من انجيـل يوحنا ومن علم هذه علم تلك فلم فَصـلَها لوقا عنها وتركها؟ واذا كان هذا الانجيل شخصيا فلمَ لم يكتب تلميذ من تلاميذ المسيح انجيلا عموميا يكون وافيا بجميع المسائل ؟ ولم اذًا جعلتم انجيل لوقا عموميا ونشرتموه بين الناس في كل زمان ومكان وهوغير واف بالغرض ؟ وأي انجيل عندكم أوفى منه ؟ وكيف يجب على البشر الايمـان با كبر معضلة في العالم مخالفة للعقل ولما نقل عن جميع أنبياء بني اسرائيل وهي مسألة ألوهية المسيح كيف يجب الايمان بها لمجرد رواية شخص واحد خالف فيها جميع التلاميذ الآخرين وأتى بما لم يأتوا به ؟ وهل نسيتم أن من دعا لعبادة غير الله يجب قتله كما في سفر التثنية (١٣: ١-٥) ولو كان مؤيدًا بالآيات والمعجزات؟ فكيف اذًا يصدق يوحنا هذا وهو لم تتواتر عنه أي معجزة ؟ ولو تواترت لما عاقته من استحقاق القتل بنص التوراة . على أن جميع عباراته في هذه المسألة ليست نصا قاطعا كما بين في إحدى الحواشي الماضية وفي كتابنا دين الله ص٧٦ و٧٧ وهي كلها مما يمكن تأويله. ولا أدري لمَ لم يأولوها وباعهم في التأويل أطول من جميع العالمين، ولهم في التعسف والتكلف آراء تعجز عنها الجن والشياطين، فالحق أن لوقا انما لم يرو مارواه يوحنا لان كاتب انجيل يوحنا افتجره من عند نفسه افتجارًا وليس هناك من سبب آخر غير ذلك فلا تجهدوا أنفسكم في انتحال الاعذار والاسباب ولا تكونوا في كل شيء مكابرين ، وعن الحق دائما معرضين

= أميت وأحيي. سحقت واني أشفي وليس من يدي مخلص. ٤٠ اني أرفع الى السماء يدي وأقول حي أنا الى الابد ٤١ اذا سننت سـيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضيّ) فقارن هذه العبارات السامية الجليلة بأوهام النصاري في العهد الجديد هداهم الله الى سواء السبيل

وهناك مسائل أخرى كثيرة ذكرها علماء النقد تدل على ان كاتب هذا الأنجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح بل ولا يهوديا ممن يعرفون أرض فلسطين ولا هيكل أورشليم ولذلك وقع في الغلط في أثناء وصف تلك البلاد ومعبدها. فمن ذلك قوله ١:٢٨ (هذا كان في بيت عنيا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد) كما في جميع النسخ القديمة وهي مدينة لا وجود لها في هذا المكان ولم يعرفها أحد حتى ولا أوريجانوس المتوفى نحو سنة ٢٥٤ ولذلك أبدلوها في نسخهم الحالية (ببيت عبرة) وقوله ٣:٢٣ (وكان يعمد في (عين نون) بقرب ساليم لانه كان هناك مياه كثيرة) وهذا الموضع أيضا ماعرف قط حتى ولا في القرن الثالث وأقرب مكان يمكن أن يقال انه هو المراد موضع في شمال السامرة ولكن الذي يفهم من انجيل يوحنا أنه في اليهودية (٣:٢٢ و٤:٣) وقوله ٤:٥ (فأتى الى مدينة من السامرة يقال لها «سوخار») وهي غير معروفة ويظن بعضهم أنها «شكيم» ويرد هذا الظن أن بئر يعقوب عند مدخل الوادي تبعد ميلا ونصف ميل عن شكيم ولا يعقل أن المرأة السامرية كانت تذهب هذه المسافة البعيدة لجلب الماء مع أن الماء غزير بالقرب من المدينة (راجع قاموس بوست مجلد ١ ص ٥٩٢) ومن ذلك أيضا قوله (يو٢: ١٤ و١٥) إن البقر والغنم كانت تباع في هيكل أوشليم وقد حقق العلماء أنه لم يكن لها موضع هناك بل كانت تباع في سوق بعيدة عنه خارج اورشليم (راجع كتاب دين الخوارق ص ٥٥٠) على أن هذه القصة ذكرت في الاناجيل الاخرى متأخرة عن الزمن الذي ذكره يوحنا (انظر متى ٢١ : ١٢ ومر ١١ : ١٥ ولو ١٩ : ٤٥) والظاهر أن الحق معها فان المسيح ماكان ليقدم على طرد الباعة وكب الدراهم وقلب الموائد وضرب الناس بالسوط (يو ٢ : ١٥) وهو لا يزال في أول أمره في السنة الاولى من بعثته قبل أن يعرفه الناس مع أنه كان بعد ذلك يذهب الى أورشليم مختفيا خوفا من اليهود كما قال يوحنا نفسه (٧ : ١٠ - ١٣ و١١ : ٥٣- ٥٧) ثم قصة بركة بيت حسدا (٥ : ٢ - ٩). ومع أن هذه البركة الآن غير معروفة مطلقا فمن العجيب أن يكون لها هذه الخاصية العظمى الذي ذكرها يوحنا في شفائها للمرضى الذين كانوا ينزلون أولا فيها بعد تحريك الملك ماءها مباشرة

ولا يذكرها يوسيفوس ولا غيره من المؤرخين في ذلك العصر فهي قصة كاذبة ولذلك حاول النصارى حذفها من الانجيل من قديم الزمان وهذا هو سبب حذفها في كثير من نسخهم القديمة كالسينائية والفاتيكانية ولكنها موجودة في الاسكندرية وغيرها فانظر الى مقدار تصرف هؤلاء الناس في كتبهم المقدسة !!

والخلاصة أن هذه الاناجيل الاربعة ما كانت معروفة الا في أواخر القرن الثاني وكان هناك كتب أخرى كثيرة يستشهد بها المؤلفون غير هذه الاناجيل كمذكرات الرسل[1] المذكورة سابقا وانجيل العبرانيين وانجيل الابيونيين والاناجيل المنسوبة الى بطرس وتوما والاثنى عشر وبرنابا ونيقوديموس وغيرها كثير وبعد ذلك صارت تشتهر الاناجيل الاربعة شيئا فشيئا حتى جعلت هي القانونية ورفض غيرها الذي ضاع اكثره وأعدموه تدريجيا . والسبب في بقائها دون غيرها هو أنها أصح عبارة في اللغة اليونانية واقرب الى غرض النصارى في تلك الازمنة واقل تناقضا وخطأ من غيرها وربما كان مروجوها بينهم اكثر وأمهر من مروجي تلك وابرع منهم في حسن السبك . هذا وقد امتدت فلسفة اليهود في « الكلمة » (Logos) أو « الحكمة » كما يسميها سفر الأمثال (٨ : ١٢) وكتاب الحكمة ليشوع بن سيراخ (٢٤ : ٩) امتدت من الاسكندرية الى أسية الصغرى وهناك وجدت وسطا صالحا لنموها فامتزجت بآراء بولس وغيره في المسيح وفي الفداء والخلاص وهي لآراء التي فشت في النصارى وقتئذ ومن مجموع ذلك صدرت الكتب المنسوبة الى (يوحنا) من كنيسة (أفسس) وهي المدينة التي كان يوحنا مقيما فيها ولذلك لم تعرف هذه الكتب (الاناجيل والرسائل) المنسوبة اليه بين النصارى الاقدمين الا في آخر القرن الثاني كما سبق

فان قيل اذا كانت الاناجيل الحالية مما كتب في القرن الثاني فكيف لم يحذف النصارى منها أقوال المسيح الدالة على قرب مجيئه وعلى أن ذلك يكون عقب

---

(١) قد بين كثير من علماء الافرنج المحققين أن هذا الكتاب الذي كان ينقل عنه يوسيفوس لا يمكن ان يكون هو هذه الاناجيل الاربعة بالمرة كما يدعي المبشرون الآن وقد اثبتوا ذلك بعدة براهين يطول بنا ايرادها هنا فمن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ كتاب (دين الخوارق) « Supernatural Religion » ص ١٨١ – ٢٦٧

خراب أورشليم مباشرة (راجع مثلا مت ١٠ : ٢٣ و ١٦ : ٢٨ و ٢٤ : ٣ و ٢٩ - ٣٤ ومر ١٣ : ٢٤ - ٣٠) مع أن ذلك لم يتحقق ؟ قلت ان هذه الاقوال كانت تعزية المسيحيين الكبرى على مصائبهم في هذه الدنيا (١ تس ٤ : ١٨) من عهد المسيح الى أوائل القرن الثاني بعد موت يوحنا الذي كانوا يظنون أنه يبقى حيا الى مجيء المسيح عليه السلام (يو ٢١ : ٢٣) فاذا صح أن عيسى قال شيئا منها فلا بد أنهم لم يفهموا مراده الحقيقي فنقلوا عباراته محرفة حتى خرجت عن معناها الاصلي وشاعت بينهم على غير حقيقتها . والارجح عندي أن اليهود الذين دخلوا في المسيحية استنتجوا من كتبهم ان زمن عيسى هو آخر الزمان وأن القيامة قريبة جدا منهم كما يفهم من سفر أشعياء (٢ : ٢) وأرمياء (٢٣ : ٢٠) والتكوين (٤٩ : ١) ويوئيل ٢ : ٢٨ — ٣٢) فانتشرت هذه الاقوال بين النصارى الاولين (راجع أيضا أع ٢ : ١٦ — ٢١) وفشت فيهم حتى نسبوها الى المسيح نفسه وزعموا أنه قال ان القيامة ستقوم عند خراب أورشليم مباشرة (مت ٢٤ : ٣ و ٢٩ — ٣٥) ولذلك قال سفر الاعمال أيضا نقلا عن يوئيل مايفهم منه أنها ستقوم عقب نزول الروح على التلاميذ يوم الخمسين (٢ : ١ — ٢١) فكان النصارى في القرن الاول وفي أوائل الثاني يظنون قرب مجيء القيامة فدخلت هذه الاقوال فيما كتب من الاناجيل اذ ذاك (كأصل انجيلي متى ومرقس القديم) وتداولها الناس بينهم واشتهرت عندهم هذه النبوات وصاروا يترقبون تحققها يوما بعد يوم فلا يمكن بعد أن كتبت وشاعت أن يتلاعبوا فيها وأعين الناس متجهة اليها في ذلك الزمن . أما كاتب الانجيل الثالث فالظاهر أنه كان في زمن يئس فيه الناس من تحقق هذه النبوات وأمثالها في القرن الثاني أو الجيل الثاني كما يفهم من مقدمة انجيله فلذا شك في رواية الفاظها الواردة في أصل الانجيل الاول والثاني وحور عباراتها تحويلاً يجعلها أصلح للتأويل مما في الانجيلين الاولين ولم يذكر الاقوال الاخرى الواردة في انجيل متى التي أشرنا اليها هنا (راجع لو ٢١ : ٧ و ٢٥ — ٣٢ تجد عبارته مخففة في هذا الموضوع عن سابقيه) ولم يمنعه اشتهار الفاظها الواردة في الاناجيل

التي قبله وشيوعها بين الناس واعتقادهم لها من هذا التحوير لجزمه بخطاء روايتها والا لكان المسيح نفسه هو المخطئ فيها وهو غير جائز طبعا

وأما الانجيل الرابع فتركها بالمرة وهو مما يدل على شدة تأخر زمنه وتحقق الناس من عدم صحتها ويأسهم منها يأسا تاما (١)

ولا يلزم من اشتهار هـذه الافكار والنبوات بين النصارى في القرن الاول كله والثاني أن غيرها مما في الانجيل المنسوب لمتى ومرقس كان شهيرًا شهرتها ومعروفا بينهم مثلها فكتابتهما وان تحاشيا تحريفها أو تحويرها لشهرتها الأن ذلك لايضمن لنا صحة رواية الاشياء الاخرى التي ليست شهيرة بين الناس شهرة هذه النبوات . هذا وعـدم علم بابياس المتوفى نحو سنة ١٦٤ - ١٦٧ ميلادية بهـذين

(١) حاشية - لما كان النصارى في القرن الاول يعتقدون قرب انتهاء العالم كما بينا هنا وفي مقالة الصلب (ص ١٥٧) وأنهم آخر الامم وآخر الدهور وأن الساعة قريبة جداً منهم (رؤ ٢٢ : ١٠) و (أ بو ٢ : ١٨) و (اكو ١٠ : ١١) وأن بعضهـم يبقى حيا الى مجيء القيامة (اكو ١٥ : ٥١ و٥٢ و١ تس ٤ : ١٥ - ١٨) لما كان هذا اعتقادهم كان هناك مسوغ زمني للقول بحصول التجسد والصلب والخلاص في زمن المسيح آخر الزمان كما يزعمون ولـكن الآن وقد مضى على البشر عشرون قرنا (ولا ندري كم بقي من عمر العالم ؟) لأنهـم لمَ حصل الصلب وجاء المسيح في ذلك الزمن ولم يجيء في نهاية العالم أو في أول الامر بعـد عصيان آدم مباشرة ؟؟ وحيث قد ظهر أن العالم لم ينته عقب المسيح مباشرة كما توهموا وقد وصل الرقي البشري الى درجة لم يصل اليها قبل المسيح ظهر لنا عدم التناسب بين حصول الصلب والزمن الذي حصل فيه فكان الاولى عقلا والانسب أن يحصل قرب نهاية العالم حتى تختم جميع القرابين والضحايا به ويختم به الزمان أيضاً

فان قيل - كلامك هذا صحيح اذا كان المسيح مجرد ذبيحة فقط ولـكنه هو ذبيحة ومثال للبشر في تقديم أنفسهم ضحية لاجل اخوانهم الآخرين فلذا جاء في ذلك الزمن ليقتدي به الناس بعده في أرقى العصور . قلت : الظاهر من صلوات المسيح ودعائه وحزنه وتقوية الملك له وطلبه النجاة من الله ومحاولته الدفاع عن نفسه وتصببه عرقا وصراخه الخ الظاهر من هذا كله كما بينا في مقالة الصلب (صفحة ١٢٢ - ١٢٥ وص ١٦١ وأيضاً ١٠٩) أنه لم يقدم نفسه باختياره بل أكره على ذلك اكراها وبذله الله بدل الناس ولم يشفق عليه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فهو ليس مثالا حسناً لتضحية الذات في سبيل نفع الناس بارادته رغبة منه واختياراً (راجع أيضاً كتاب دين الله ص٨٠) وعليه يكون صلب المسيح مجرد ذبيحة بشرية لارضاء هذا الاله المحب لسفك الدماء البريئة وليس فيه شيء آخر يستفيد منه الناس فكان الانسب أن يحصل صلبه في نهاية العالم أو في أوله وأما حصوله في ذلك الزمن (من زهاء عشرين قرنا) فلا أفهم له حكمة ولا أعرف له مناسبة ! ! فلعل المعجبين بعقيدتهم هـذه من النصارى يهدوننا اليها . وفوق كل ذي علم عليم

الانجيلين (متى ومرقس) بحالتهما الحالية كما بينا يدل على أنهما لم يكونا بهذه الحالة في زمنه أو لم يشتهرا بها إذ ذاك بل كان انجيل متى عبارة عن بعض أقوال عن المسيح باللغة العبرية وانجيل مرقس عبارة عن مجموعة من أخبار المسيح وأقواله باللغة اليونانية الا أنها غير مرتبة كما سبق بيانه وربما كان الذي منع التلاميذ من الاعتناء بكتابة الانجيل هو توهمهم قرب انتهاء العالم فاذا صح أن نبوات يوم القيامة كانت في أصل هذين الانجيلين فمترجم الاول ومرتب الثاني لم يجسرا على تحويرها أو تحريفها نظرا لشهرتها بين الناس أو لظنهما أنها ربما تحققت عن قريب ولكن هذا السبب لم يكن عند كاتب الانجيل الثالث كافيا لمنعه من اصلاح ما اعتقد خطأه لتأخر زمنه ويأسه وخصوصا لانه كان كثير الاجتهاد والتدقيق كما هو صريح مقدمته ولم يقصد بكتابة انجيله أن يكون لجميع الناس بل لشخص صديق له يسمى ثاوفيلس فلا يهمه ان قبله الناس منه أو لم يقبلوه مادام مقتنعا بصحة ما استنتجه وكتبه وصدقه فيه صاحبه

البقية تأتي — الدكتور محمد توفيق صدقي

﴿ خطأ وصواب الجزء الثالث ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٨٧	١	انه يجوز	انه لايجوز
١٨٧	٦	أن يعرفون	أن يعرفوا
١٨٩	٢١	تسكافؤ	تسكافأ
٢٠٩	١١	باولالى	بالاولى
٢١٨	١٤	ابتلي المؤمنين	ابتلي المؤمنون
٢١٨	٢٥	أنفسهم	الناس أنفسهم
٢١٩	٢٠	من شيء يوف	من شيء في سبيل الله يوف
٢٢٠	١٦	كبرائنا	كبراءنا
٢٢٣	١٥	والتبرئ	والتبرؤ
٢٣٧	١٩	يفتح مكتب	يفتح مكتبا

كتاب سياسي للعبرة والتاريخ

عثرنا على صورة هذا الكتاب الذي أرسله السيد محمد الادريسي
(الى الامام يحيى حميد الدين)

بتاريخ ١٦ ربيع الأول الأنور سنة ١٣٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الادريسي الى جناب المولى ، الذي هو بالمحامد أولى ،[١] الامام يحيى حميد الدين أشرق الله شموس سعده ، وأعلى مراتبه على سنن جده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد تقديم تحيات بين يدي نجوى هذه السطور ، تهديها اليكم نسمات الوداد ونفحات الاخلاص على أطباق النور ، فقد وردت كتبكم الكرام آخرها ماهو بصحبة السادة الاجلاء العلماء الاعلام : السيد العلامة صفي الاسلام الصنو أحمد بن يحيى ابن قاسم عامر ، والصنو العلامة العزي محمد بن علي بن أحمد بن حسين الذاري ، والصنو العلامة الوجيه عبد العزيز بن يحيي بن المتوكل ، والصنو العلامة العزي محمد بن محمد الشرعي الحوليّ ، وقد سرنا وصولهم وشريف قدومهم وانشرح البال من لطائف علومهم ، وظرائف فهومهم ، وتذاكرنا في أبحاث شتى .

اما مادة الصلح بيننا وبين الحكومة فمن أول يوم وما ندعو اليه هو الوفاق ، وكلما أرادوا عقد ذلك نقضوه وكفى بما كان في هذه المدة

(١) حذف من هذا المكان ما أعتيد من الالقاب والسجع

الاخيرة، فان المذاكرة حصلت بيننا وبينهم في هذا الموضوع ثلاث مرات بل اربع (مرات) بعد وصول رسلهم الينا فاذا أجبنا بما فيه الوفاق أعرضوا تيهاً وكبراً واحتقاراً لنا

فأولى المرات بواسطة محمد توفيق[1] في مجيئه الاخير فأجبناهم ذاكرين مواد بسيطة لأن في ذلك الوقت لم يكن قد وقع بيننا وبينهم سفك دماء. وتلك المواد هي أن نكون في جهاتنا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، ضابطين للبلاد من الفساد، مع بقاء مراكزهم، واليهم تساق الحاصلات، وعليهم القيام بما يلزم من معاش القضاة والمترددين في مصالح البريات، وان يبقوا (جازان) برتبة المعتاد، وان لايحدثوا زيادة من القوة في البلاد، وان يفك أمير مكة صالح بن حسن وصاحبه من الحجاج، وان

---

(١) هو الشيخ محمد توفيق الأرنؤطي الأصل المعدود من علماء الترك جاور في الازهر وعرف السيد الادريسي فيه وقد أرسله اليه الاتحاديون بعد الدستور غير مرة ليكشف لهم حقيقة أمره، وقد كنت مرة في ناديهم الشهير (بنور عثمانية في الآستانة) حين جاءهم أول كتاب منه فأخبروني أنه أثنى عليه فيما كتبه ووصفه بالاخلاص للدولة ولمقام الخلافة وانه لايريد الا ارشاد الناس لما فيه صلاحهم في دينهم وطاعتهم للدولة. فذكرت هذا الكلام للصدر الاعظم حسين حلمي باشا: فقال الشيخ توفيق رجل بسيط ساذج الخ ولم أسمع يومئذ من رجال الجمعية مثلما سمعت من الصدر من الارتياب وسوء الظن. وقد اجتمعت بعد ذلك بالشيخ توفيق في الآستانة ثم في مصر بعد عودته المرة الثانية من اليمن وكانت الحكومة قد اظهرت العداوة للادريسي وآذنته بالحرب فسألته عنه فقال: انه على ماعهدت من قبل من الاستقامة والاخلاص ولكن الحكومة اعرف بسياستها. أو ماهذا معناه. وقد رأيت بعض اخواننا العرب في بعي يطعنون في الادريسي فعارضتهم وذكرت لهم ما سمعته وما رأيته من بعض كتبه لأهله في السودان الناطقة باخلاصه للدولة حتى اضطره الاتحاديون بضغطهم الى ما كان من المقاومة .. فاقتنعوا

تتوسط فيما بينكم وبينهم من الصلح . وهذه المواد مما يضحك منها لأنها لبساطتها لا تكاد ان تكون مطالب . ولكن أدانا الى ذلك حب الراحة للبلاد والعباد .

فما كان الجواب الا بنقيض ذلك فساقوا تلك القوة التي يقدمها محمد راغب بك ومحمد علي باشا في جازان ، وملأوه بالآلاف ، وازدادوا عدواناً على طلب الحجاج لحبسهم كما وقع في حبس بعض رجال (المع) في حج هذا العام . وأشعروا ان العسيري تابع لامارة حسين بن عون [١] وأرسلوا الينا بطريق مصر في حين وصول القوة العامة برفق عزت [٢] اني ان أردت السلامة افتح لهم الطريق الى الإمام التي تمر على طرف البلاد التي بيدنا ، ففوضنا الامور الى الله واستعنا به في مدافعتهم وبحمد الله قد كان ماكان

ثاني المرات بواسطتكم عند ماوصل اليكم عزيز [٣] ووافقنا كم فكان منهم الجواب بالتعليق على ماهو في حكم المستحيل وهو اجابتنا لحضور الاستانة . وقد تحقق لكم من هذا نهاية الاعراض ، مع انكم قد بذلتم الجهد كما أخبر عزيز عند وصوله مصر لبعض أصدقائنا بذلك ، وبما كررتموه من المراجعة فيما هنالك ، ومنع عزت وأخذ في تجهيز نحو تسعة وثلاثين طابورا الى ان حال بيننا وبينهم الله بما تداركنا به من رحمته

(١) أي جعلوا بلاد عسير تابعة لأمير مكة الشريف حسين بن عون (٢) هو عزت باشا القائد الاخير لحملة اليمن وهو الآن القائد العام لجيش الدولة في شطلجة بجوار الآستانة لمدافعة البلقانيين عنها (٣) هو عزيز بك علي المصري الذي كان واسطة الصلح بين الامام وعزت باشا في اليمن وهو الآن أمير العرب وقائدهم في في قطر بنغازي يجاهد ايطالية

فكشف عنا الغمة ونجانا كما هو سنته مع عباده المؤمنين ، وعكس عليهم القضية وسلط عليهم عبادًا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدًا مفعولا .

ثالثها كان بواسطة السيد الشراعي مع بعض اخواننا فأجبنا فكان الجواب منهم بالسكوت .

رابعها مع سليمان متصرف عسير لما أتانا جوابه [1] بعد أن قامت عليهم فتنة الطليان يدعونا فيه الى الوفاق ، وان نكون اخوانا ونهجر الشقاق ، فأجبنا عليه بالترحيب والتسهيل ، فارسلنا بعض خلص أصحابنا الى ان وصل بقرب معسكرهم وخاطبه بحضوره لاجل المذاكرة فيما يجمع الشأن فكان يساجل الى ان تمكن من أرزاق ومعاش لأنه في ذلك الوقت كان عادماً فلما رأى انه استغنى تكبر وأجاب بالغلظة وأعداد الطوابير الجملة للمخالفين فرجع صاحبنا بذلك

ثم في هذه المدة مع مارأيناه من فتك الطليان بهم أخذنا العطف فامسكنا كل حركة ، وكتبنا لمن في مفرزة (ميدي) [2] ان دهمكم شيء فاسكم مناعون . فكان منهم أن محمد علي [3] مر بطريق القنفدة ، وليته لما مر قصر اشتغاله بمصلحة العسكر بل أخذ يحرق ماوجد في طريقه من بيوت

(١) قد وقفنا على كتاب سليمان باشا هذا للسيد وجواب السيد له وسننشرها بعد (٢) ميدي ثغر من ثغور عسير بين الحديدة وجيزان او جازان وفيه قلعة عسكرية وهو الآن من الثغور التي بيد السيد وقد عثرنا على كتاب من القومندان التركي الذي عرض السيد عليه المساعدة على ايطالية (٣) هو محمد علي باشا الذي كان والي اليمن وقائدها العام

السادات العلماء لان هذا الرجل أكبر عداوته لاهل الدين لان ماناله من الشرف في الآستانة (كان) باسباب شنقه لعالم في اطنه أيام تنازع وقع بين المسلمين والنصارى هناك. ولما قدم جازان بالعساكر لم يختر لهم (خستهخانه) الا جامع تلك البلدة ولا يهمه أن تلوث بالنجاسة وتعطلت اقامة الجمعة فيه وكأنه يظن أن هذه هي الاسباب في ارتزاقه النياشين والرتب من باب « من رزق من شيء فليلزمه » وهذا هو السبب في تجهيز ما وجهناه من الجند الى جهة الشام [1] لاجل مدافعة هذا الطغيان ، والمحافظة على مراكز أهل الدين والايمان

وقد حصلت المذاكرة بيننا وبين هؤلاء الاخوان في هذه الاحوال الى أن ساق بنا الكلام الى مفرزة (ميدي) وأخبرناهم ان الطليان قد ضرب قلاع الدولة ومراكزها من باب المندب الى جدة ، وهد تلك الحصون بمدافعه المسلطة ولم يبق الا هذه القلعة مع ان شيخ البلدة التي فيها قد سبقت له جناية مع الطليان بواسطة شهادة سبنوك طال الخلاف بين الترك والطليان فيه وتوقف الامر على شهادة هذا الشيخ وتهددته الدولة بالشهادة لها فشهد . فاذا قصد الطليان هذه المفرزة لا يقتصر عليها بل يتعداها الى تلك البلد لما جناه شيخها عليهم وسابقاً قد ضربوا هذه البلدة كما قد عرفته

ومن المشاهد ان هذه العساكر لجملة من في كل موضع اذا ضرب الطليان المواقع هربوا من مواقعهم تلك الى محلات العامة ولم يدافعوا ولا يضرب مدفع واحد ، وقد ضربت هذه القلعة من نحو شهر وخرجوا

(١) هي الحدود الشمالية لعسير يسمونها جهة الشام

منها كما ذكرنا ، وهذا مما أوقع الناس فى العجب ، فان الدولة لما عجزت عن اصلاح الداخلية كان يرجى منها حفظ الخارجية ، والقيام بالمدافعة عن الرعايا ممن قصدهم بسوء ، فعجزت الدولة الآن عن هذا وهذا فما بقي لهم الا أن يسعوا الناس بحسن الخلق لو كانوا يعقلون

ثم انه قد اشتد الخطب من الطليان بمحاصرتهم للحديدة الى حالة يخشى معها أن تحتل الحديدة فتكلمنا مع العسكر الذين في القلعة بأن بقاءهم بها ضرره على الاسلام والمسلمين لأن الحديدة اذا احتلت يتبعها ملحقاتها ومن ذلك هذه القلعة ، ومن المعلوم حسب أصولهم أنه اذا احتلت الحديدة وجاء المحتلون ببوابيرهم لاستلام هذه النقطة تبعاً للمركز ومعهم الاذن بالتسليم من كبراء الترك فان من في هذه النقطة لا يلتفت الى الاسلام ولا الى المسلمين ولا يهتمون بأمر الوطن بل حالا يعملون الترتيب اللازم في التسليم الى المحتلين ولو بطريق الحرب مع أهل الوطن بأن يضربوا من القلاع وتضرب البوابير من الساحل حتى يتصلوا بالمحتلين ويدفعوا لهم موقع الحرب ، ويسلموا أهل الوطن الى الاسر ، كما فعلوا في بني غازي احدى متصرفيات طرابلس ، فان أهلها عشية احتلال الطليان لما رأوا بوابير الطليان بالساحل أسرعوا الى مركز الحكومة ليستعدوا للقتال ويودعوا أهاليهم وأموالهم في محل مكين ، فمنعهم الاتراك وألزموهم الطمأنينة فرجعوا الى بيوتهم ، فلما جن الليل لم يشعروا الا والمتصرفية باجمعها صارت عساكر طليانية فقاموا للدفاع ولم يمكن الخروج من المنازل الا للرجال دون النساء والذرية ، وهم الآن تحت قبضة الطليان . واشتهر ان هذه المعاملة من

العساكر باسباب ما أخذه كبراؤهم من الطليان خفية . وبأسباب ذلك استقال الصدر فتبين ان بقائهم حينئذ في المواقع الحربية لا للدفاع وحماية الثغور كما هو اللازم لمن يتولى امارة المسلمين بل للاغراض الفانية ، وبيع البلاد للمصلحة الشخصية ، فمن ينع الاسلام فلينعه من الترك ، ومن يندب الدين فليندبه مما لهم من اختلاق الافك ، فلما خاطبناهم في النزول معنا ليبقوا مع العساكر العربية جنبا بجنب حتى اذا احتلت الحديدة يكون موقع المفرزة الميدية بأيدي المسلمين يؤدون فيه ما أوجب الله عليهم وان امتنعوا فلا الزام . وان أرادوا اللحاق بكبرائهم فلهم ذلك . فأبوا هذا وهذا « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

والعجب من هؤلاء الناس يذكرون اننا السبب في تركهم للمدافعة كما روى عنهم السادة الواصلون فليت شعري من أيّ وجه ؟ وأي قرب بيننا وبينهم في المسافة أن يقولوا نخشى أن نصلى بنارين اذ في الاقل بيننا وبين الحديدة ثمانية أيام ولو سلم هذا فما يكون جوابهم في احتلال الطليان لطرابلس ؟ وما المانع من المدافعة هناك مع أن أهل تلك الجهة من المخلصين للحكومة بل هم قائمون بالقتال للمحتلين من الآن ، ومن العجاب ان الحكومة قبل أن يحتل المحتلون رفعت الاسلحة والوالي والعسكر الا شيئاً قليلا وبعد ذلك لم تمد المجاهدين ولا بدرهم أو نفر . وفي عهدي انا عرفناكم سابقاً ان في صبح ليلة خروج الاتراك من جازان وفي اليوم الذي بعده جاءت بوسطة بطريق البحر فوقعت بيد المجاهدين فاذا بعض رسائلها يحتوي ترجمتها على اعلان حرب ايطاليا لهم وانه يلزم مأميرهم هنا العناية برعايا الايطاليين وحفظهم ، فتعجبنا من حسن معاملتهم ، هذا لمن

ناوؤهم بالعداء الاكبر واذا حصل منا معاشر المسلمين أدنى شيء معهم قامت القيامة . وبينما نحن في هذا الموضوع اذ ورد منكم كتاب كريم ، فتلقيناه بالترحيب والتكريم ، وسنوفي كل بحث مما أشرتم اليه حقه ان شاء الله

فأما ما أشرتم اليه من قولكم (والدولة العثمانية وان كان أمراؤها كما عرفتم فانه عندالشدائد تذهب الاحقاد - الى ان قلتم - أما ما كان سابقاً مما ذكرتم من تباعد العثمانية عن الصلاح فانه لا يغرنا الآن الانصاف)

وقد أنصف الغارات من راماها . فلا يخفا كم أي حقد عندنا ؟ ولما جاءني كتاب سليمان (باشا) يجنح الى السلم في وقت قيام الطليان وافقت وأجبت بما صدرت اليكم صورته وأرسلت من أخصاء اخواننا من يقوم بحل هذه المشاكل كما قد أشرنا لكم في أول الجواب ولم نلتفت الى ماسبق منهم من الايعاد بأنواع المهالك حتى بشق بطون الحوامل فلماجاء جواب سليمان لذلك الاخ (يعني مندوبه) بالتهديد واعداد الطوابير للتربية تعجبنا من ذلك ومازلنا نتوقف عن عمل أي حركة رجاء أن يهتدوا الى الصواب فما كان بعد ذلك الا مرور محمد علي (باشا) في شهر ذي الحجة يحرق بيوت السادات والعلماء وأفاضل الناس كما قد ذكرنا لكم أول الكتاب . فياليت شعري مانصنع بعد هذا وهل فيه انصاف أعظم من هذا الانصاف حتى من كان لنا بالامس عدوا لدودا أصبحنا نتقرب اليه بالمودة لا لشيء * بل كان حباً للصلاح مزيدا * وهل من العقل بعد ذلك لنا ان نرمي بانفسنا اليه ولو على المهالك ؟ وهل هذا من الدين ؟ كلا وأصدق القائلين يقول (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)

ثم ان ما أشرتم اليه هو لم يزد عن كونه من قبلكم ولم ندر ماهم عليه

اذ لم يرد من كبرائهم وأعيانهم من تحسن المخاطبة معه في ذلك وفي كيفية مواصلة الخطاب الى الاستانة لان ولاية اليمن صارت الآن منقطعة عن الولاية العثمانية للحيلولة بالقوة الايطالية

وأما ما أشرتم اليه (ان او اقترن ما بيننا وبينهم بصلح ما بينكم وبينهم) فاعلم أيها الامام اني عند ما أتلو ذلك ، أجد خاطري ينكسر مما هنالك ، لانه حين أرادوا أن يغتنموا الفرصة فيّ وان كنتم جزاكم الله خيرا كررتم التوسط في الصلح لكن لا على طريق الشرطية بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم أوفق فآثرتموهم عليّ مع اني الصاحب القديم ، والخل الذي هو على العهد الى الممات مقيم :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب الا للحبيب الاول
ومنازل في الارض يألفها الفتى   وحنينه أبداً لاول منزل

وأما ماذكرتموه (ان الملل الكفرية كما عرفنا فوقت سهام انتقامها على الدين القويم ، وفعلت بالمسلمين أقبح الافاعيل الى آخر ماشرحتموه) فلا يخفاكم ان هذه الامة قد أخذت هذه الازمان الطويلة وهي في اطمئنان بال ، وسكون الاحوال ، لما كان سلاطين آل عثمان قائمين بحماية الشرع الشريف ، ولا مظهر لهم الا انهم نواب الامة الاسلامية في حقوق دينهم الحنيف ، ولا شك ان أهل الملل المختلفة لا يتجاسرون على هدم هذه السياسة لانها تستدعي الثورة العامة بين المسلمين وغيرهم في جميع الاقطار الشاسعة ولا أضر على الاجانب من هذه الحرب الدينية ، وبها كان يتهددهم السلطان السابق عند المشاكل الدولية ، فيجنحون الى الموافقة ، فلهذا عشنا وعشتم طول النشأة لم نسمع في الخارج بمشاقة ، بل كان في آخر المدة الاخيرة

مارفع الدولة لأعلى مكان حيث ظفرت باليونان، واحتلت عاصمة ملكهم بقوة عظيمة القدر والشان، فلما جاءت هذه النشأة الاخيرة من الاتراك تظاهروا بالحرية ليرضوا أهل الملل الاخرى وأن الاختصاص بدين الاسلام هم منه على فكاك ولهذا سموا أنفسهم بالجامعة العثمانية، ليوحدوا الملل هربا من الجامعة الاسلامية . وقد أرسل جنابكم الينا تلك الرسالة المؤلفة لشيخ الاسلام سري زاده محمد صاحب ونبهتم عافاكم الله على مافيها من الالحاد وجزاكم الله خيراً بتلك الافادة . فحينئذ حدث أمران: ضج أهل الاسلام من رغبة الاتراك عنهم، وطمع أهل الملل في الاتراك لنفور الجمعية الاسلامية منهم، فأخذوا في انتهاب البلاد منهم . فاستقلت ولاية البلغار، بعد ان كان ملكهم في زمن السلطان السابق برتبة ياوران، وبيعت ولايتا البوسنه والهرسك علنا، وطرابلس خفية، وصدق لفرنسا على تبعية تونس، وحينئذ قامت الاجانب يغار بعضهم من بعض فمدوا أيديهم الى احتلال البلاد العثمانية لهذه الاسباب ولغير العثمانية بطريق أولى كتبريز وفاس كما ذكرتم، مع ان فاس هذه من أعوام قريبة سعى السلطان السابق في استقلالها بواسطة ملك ألمانيا لتحفظ من غوائل الاجانب، فتغيرت في هذه الايام السياسة الاسلامية من اهلها فكان ما كان في مسافة ثلاث سنوات، وهذه الرابعة أقبلت فيها تتداعى الشدائد من كل الجهات، وكل فريق عد يده الى ماشاء من النواحي المختلفات .

وقد عرفناكم بمنشأ هذه الاحوال، لتعرفوا من هم السبب في محاق البلاد الاسلامية والاضمحلال، فهم الاحق بالملامة، والتقريع والتوبيخ وسلب الكرامة

وياليت شعري ما المراد منا في الرابطة التي أشرتم اليها فان كان لقصد

التسكين المجرد الى ان توافق معهم الامور ثم يثبوا كأن لم يكن بيننا وبينهم صداقة كما كان بالعام الماضي اذ قدمنا لهم عشرة آلاف عود للسلك وأمنا لهم الطرق وتعهدنا لهم بالاصلاح حتى صاروا دولة حقيقة يروحون ويغدون بكل شرف، فما كان منهم الا تدبير الحيلة في الهجوم للقبض علينا فنجانا الله وآل الامر الى ماهم فيه من الاهانة والحيرة ولا حول ولا قوة الا بالله .

أولا توافق الامور كما هو المنتظر ان لم يستعطفوا خواطر المؤمنين واشتد الحال ان آل الى سقوط البلاد بأيدي الغير يسلمها الاتراك لهم ولا يلزمنا الا قبول ماحلوه وأبرموه فما في هذه الا اقامة الحجة علينا من الله ، وما المعذرة في ذلك المقام الالهي. وان كان القصد ان نكون نحن وهم شركاء في المواقع بدون خداع في الحال والاستقبال ، شركاء في الدفاع عن الدين ، شركاء في الرأي حتى نعلم مايراد بنا ، ونؤدي ماأوجب علينا ربنا ، ولا نكون ألعوبة للاتراك يسلموننا الى الغير متى شاءوا والعياذ بوجه الله بل نكون على أمن من ذلك كله ، فأهلا بالوفاق وسهلا .

وفي الحقيقة الحقير ان هو الا رجل قام بتأييد الله في هذه البرية القفراء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واقامة الشريعة التي لاحرز لنا دونها ولا عصمة ، ان كنا ممن يحتفلون بتعاليمها الالهية ويخدمونها

فقامت هذه النشأة الجديدة من الاتراك وحشدوا العساكر المصحوبة بالمدمرات والسيوف البواتر، وشاع وذاع انه صدرت ارادة سلطانية ، واشارة من لدن الجمعية ، باستئصالنا ، ولا يعلمون ان الامر بيد الله وهو أكرم الاكرمين ، لايضيع من منّ عليه من بريته ، وكساه

من الايمان بحلل كرامته ، بل ينصره وينتقم ممن عاداه كما وعد في كتابه العزيز ، وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا . فقال عزوجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) . وقال عزوجل (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) واني والله عند هذه الآيات اعلم من أين أخذت هذه الدولة فتداعت عليها الاهوال من كل جانب جملة واحدة على غير أسلوب معروف ، ولا تقدير في الحساب مألوف (واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له)

فاجأها القهر الالهي بغتة وانقطعت في مدافعته كل حيلة فسبحان القائل (وما لهم من دونه من وال) . واني والله لا علم بدواء تلك العلة فهل من سبيل الى ان أكون الطبيب الرباني ، ولا تكاد تلبث هذه الدولة ساعة حتى يشفيها الله في جميع الانحاء لكن ان رجعت سياستها الى الصراط المستقيم الرحماني . وقد ذكرنا للسادة الواصلين تفاصيل الامور وأبدينا لهم مايصلح في المقام واكتفينا ببيانهم عن شرح ذلك هنا لأن للكلام مقامات طويلة ومباحث مختلفة ، كما سيوضحون لكم ، وهم من أفضل عباد الله وله الحمد ان جعل بيننا وبينهم التآلف وخالص الوداد في الله ، ومثلهم يقوم بالبيان وكونوا على يقين ان مافيه صلاح المسلمين والاسلام وحفظ البلاد بدون خداع فانا فيه على وفاق. وكذلك اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من (الشرف) الى (بني جماعة) وقد تحررت بذلك ورقة بخط العلامة المفضال بدر اللآلي السيد أحمد بن يحيى عامر ، هذا وشريف السلام وأسناه يعمكم ومن بالمقام ورحمة الله وبركاته

الامضا

﴿ انتقاد لائحة الاصلاح البيروتية ﴾

(الحقوق التي اعطتها اللائحة للمستشارين الاجانب)

(١) جاء في المادة الرابعة أن اعتراض الوالي على قرارات المجلس العمومي مقيد بمصادقة مجلس المستشارين . وهو قيد لا حاجة اليه لان مجرد اعتراض الوالي على قرار ما لا يقتضي الغاءه حتى يقيد فيه بما يمنع استبداده به ، ومن شأن الاعتراض أن يبنى على أحد أمرين اما مخالفة القوانين أو مخالفة المصلحة ، ولو قيدوه بهما لكان أولى حتى لا يكثر الاعتراض من الولاة البلداء فيضيع بهما الوقت . وما دام القول الفصل في الاعتراض للمجلس فالاعتراض اما أن ينفع وإما ألا يضر

(٢) في المادة الخامسة ان لجنة المجلس العمومي تجتمع بادارة مستشار هذا المجلس ومن حقوقها دعوة المجلس لاجتماع فوق العادة باتفاق ثلثي أعضائها ومصادقة مستشار المجلس . فهذا القيد لاحاجة اليه أيضاً وفيه هضم لحقوق اللجنة عظيم ، فاذا سوغنا أن يكون اجتماعها بادارة المستشار لاتخاذه اماما ومرشداً لها فيما هو أعلم به منها من وظائفها كلها أو بعضها ، فلم لايجوز لها الاستقلال بطلب عقد المجلس اذ رأى ثلثا أعضائها الحاجة الى ذلك لامور تتعلق بمصلحة بلادهم يجوز أن لا يعرفها المستشار ؟ ألا يجوز أن تكون المسألة التي يدعونه لاجلها مهمة جدا في نظرهم وأن يكون للمستشار هوى في عدم اجتماع المجلس لها لان فيها تعارضا بين مصلحة الوطن ومصلحة أبناء جنسه الاوربيين ؟ بلى فالمصلحة أن لانجعل له حقا يمكن أن يضر ولا حاجة تدعو اليه أي ليس لنا فيه نفع . على ان القاعدة الاصولية ان دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح

(٣) في الكلام على تعيين الموظفين من المادة السادسة أن طالب الوظيفة يمتحن امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلب الدخول فيها . والظاهر ان الامتحان يكون باللغة العربية ولا تشترط اللائحة أن يكون المستشار عارفاً بها لانها معرفته للتركية أو الفرنسية تقوم مقامها ، ثم ماهي مواد الامتحان ولم يشترط في كل مستشار أن يعرف قوانين الدولة فنقول ان الامتحان يكون بموادها

(٤) في الكلام على عزل الموظفين من المادة السادسة أيضاً أن رؤساء المدلية تكف أيديهم عن العمل بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين ، وأن سائر الموظفين المعينين من قبل الولاية تكف أيديهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها فقط ، وان موظفي الحكومة المركزية يكون عزلهم

بطاب من مجلس المستشارين وبحكم من هذا المجلس . وقد جعلت اللائحة للقسمين الاولين من الموظفين الذين تكف يدهم حق مراجعة الوالي في مدة معينة ولكنها أوجبت على الوالي أن يحيل دعوى من يراجعه الى مجلس المستشارين الذين كان كف اليد من قبلهم ليحكم فيها . فهذه حقوق تجعل أمر العزل كله بأيدي المستشارين الذين لايعرفون لغة البلاد ولا قوانينها ولا يشترط فيهم ذلك ولم يقيدوا بقانون آخر يحكمون به في العزل والايقاف . وهذه سلطة استبدادية خطرة قد تقع على بعض الناس بالقوة القاهرة ، وأغرب الغرائب أن يطلبها بعض الناس لانفسهم ويسمونها اصلاحا وانما طلبها مبني على قاعدة عدم وجود الاكفاء لادارة الحكومة في البلاد ، فكيف يكون حال هؤلاء الموظفين الذين يقل فيهم الكفؤ مع المستشارين الذين بأيديهم أمر رزقهم وهم يذلون الآن لرؤسائهم من الترك خوفاً من العزل الذي لا يقطع الامل من العودة الى الوظيفة أو نيل خير منها ، فكيف يكون ذلهم لمن اذا عزلوهم يحرمون بعزلهم من خدمة حكومتهم طول حياتهم ؟؟

(٥) اغرب كل ما في هذه اللائحة على الاطلاق انها بعد ان جعلت أمر عزل الوطنيين في أيدي الاجانب ناطت بهم عزل أنفسهم أيضا كان واضعيها يحسبون انهم سيجدون في أوربة من المستشارين والمفتشين ، من يجري على سنة الخلفاء الراشدين ، ونسوا انه لا يعرف في أوربة كلها رجل سياسي رفع صوته بالرضاء بالغاء امتياز الاوربي على الشرقي في الحقوق والعقوبات ، بل المعروف عن الكثيرين منهم أنهم لايرون أمة من أمم الشرق توازي صعلوكا اوربيا ، والذي يزيد هذا الامر غرابة ان هؤلاء المستشارين الذين يعدون في تكافلهم واتحادهم في الشرق كأنهم رجل واحد قد جعلت اللائحة أمر مذنبهم مفوضا الى آرائهم وأهوائهم لا الى قانون يوجب عليهم الحكم بمواد معينة في كل ذنب ، على حين انهم اذا قيدوا بقانون ونيط أمرهم بمجلس تأديب وطني أو مختلط لا تسهل معاقبتهم بما يوجبه ذلك القانون « هذا وما فكيف لو »

*

اقترحت اللائحة في المادة السابعة ان تعين الحكومة المركزية المستشارين من الاجانب للشرطة (الجندرمه) والمالية والبوسطة والتلغراف والجمرك في مركز الولاية ومفتشا عاما منهم لكل لواء — وان يعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للمجلس العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس ولكنها لم تبين أعمالهم ووظائفهم في هذه المصالح وانما بينت في المادة الثالثة

عشرة فنذكرها واحدة واحدة في سلسلة انتقادنا هذا وهي أربعة

(٦) أول وظائف هذا المجلس تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية على ان يكون دستورا لحكومة الولاية ومجلسها العمومي، ولست أرى لاعطاء المستشارين هذا الحق وجها الا انه حكم بين الولاية والعاصمة والا فمجلس ادارة الولاية أجدر من المستشارين بفهم هذه القوانين، ولعل حكومة العاصمة ترى حكمه أقرب الى مصلحتها اذا كان مؤلفا من الاعضاء المنتخبين ورؤساء المصالح الذين يعين بعضهم من قبلها وبعضهم من قبل الولاية، على أن إعطاءهم حق هذا التفسير مطلق عام ولهم بذلك مجال واسع للحكم بالرأي والهوى . .

(٧) الوظيفة الثانية لهذا المجلس تفسير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي . ولست أرى لهذه الوظيفة وجها ألبتة، فاذا اشتبه الوالي أو غيره فيما يضعه المجلس فينبغي أن يراجع المجلس فيه لانه أعلم بما يضع، ويترتب على إعطاء المستشارين هذا الحق وجوب نقل كل مايضعه المجلس بلغة البلاد الى اللغة الفرنسية لأنها ستكون هي اللغة التي يعرفها جميع المستشارين حتما، وقد يكون هذا من مقدمات احتلال فرنسة للبلاد

(٨) الوظيفة الثالثة له النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه، وقد أشرنا الى انتقاده من قبل ونقول هنا : أن الواجب المتعين أن يكون لكل مصلحة مجلس تأديب يتألف من رئيسها وبعض كبار الموظفين فيها ويجوز أن يكون مستشارها عضوا فيه

(٩) الوظيفة الرابعة له النظر والحكم (بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين) في كل خلاف يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أي دائرة (مصلحة) كانت ويكون حكمه مبرما (!!!) وقد انتقدنا مثل هذه الوظيفة من قبل ونزيد هنا انتقاد جعل حكمه مبرما انتقادا شديدا مؤكدا، فان هذا الحكم المبرم الذي لا يقبل النقض ولا المعارضة ولا يجوز فيه الاستئناف، لا يصح أن يعطى الا للمعصوم من الخطاء والمنزه عن الهوى، ولا يعقل أحد وجه الحاجة اليه، ولا كيف يمنحه الناس للحاكم من تلقاء أنفسهم

تلك اشارة وجيزة الى ما رأيناه من خطأ هذه اللائحة في موضوع المستشارين ولنا عليها انتقادات أخرى لا حاجة الى بسطها. ولما كنا جازمين بأن الحكومة المركزية يستحيل ان تقبل هذه اللائحة ولاسيما الوزارة الاتحادية منها التي لا يرضيها الا استبداد العاصمة في المملكة فالواجب على طلاب الاصلاح المخلصين من أهل بيروت ان ينضموا الى حزب اللامركزية الادارية لتكون يد الجميع واحدة ويد الله على الجماعة - كما ورد - والله الموفق

المسألة العربية عند الاتحاديين

من لم تفده عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى

كنا نقول: ان مصيبتنا بهؤلاء الاتحاديين الذين ورثوا ملك عبد الحميد أنهم أصحاب نظريات في السياسة والادارة يجربونها في هذه الدولة التي يجب الجري فيها على قواعد ثابتة لأنها لم تعد تحتمل التجارب ، وكنا نظن انها اذا لم تفاجئها الدواهي الخارجية في أثناء هذه التجارب فربما ظهر لهؤلاء العاملين خطأهم فرجعوا عنه ، وقد رأينا القوم خابوا وفشلوا في كل شيء واعترف بعضهم ببعض خطأهم وادعوا انهم رجعوا عن بعضه وأنهم سيرجعون عن بعض آخر ، ولكنهم لم يفوا بوعد ، ولا رجعوا عن سوء قصد ، ولا اعتبروا بالحوادث ، ولا تأدبوا بالكوارث ، بل ازدادوا كذبا وخداعا ، وهذا من الغرور ، الذي قلما يوجد في البشر له نظير ، والأمثلة على هذا كثيرة جدا ، بل أعمالهم اليوم هي عنوان أعمالهم بالامس ، لا فرق بين ما كنت تراه منها في أول عهد وزارتهم « الحقيقة » اذ كانوا يدلون ببأسهم وقوتهم وجيوشهم ، وبين ما تراه على عهد وزارتهم « الشوكية » بعد أن أضاعوا ثلثي المملكة باضاعة طرابلس الغرب وبرقة وجميع الولايات الاوربية ، ومعظم الجزر البحرية ، وبعد افساد الجيش والتفريق بين العناصر واضاعة الاموال - فهم بعد هذا كله لم يتحولوا عن سياستهم السوءى في المسألة العربية الذي أحدثوها في هذه المملكة وقطبها عندهم الضغط والارهاب بالقوة من جهة ، والغش والمخادعة من جهة أخرى ، وغرضنا من هذا ان نقول كلمة في هذه المخادعة:

زرت الآستانة في اواخر سنة ١٣٢٧ وبقيت فيها الى آخر ما بعدها وكان مما اجتهدت في تلافيه سد ثغرة التنافر بين الترك والعرب : ولما حدثت طلعت بك الزعيم الاتحادي في ذلك وكان ناظرا للداخلية وقابضا على زمام الادارة والسياسة في الدولة أظهر لي قبول رأيي وكان مما قاله انهم عازمون على إنشاء جريدة عربية في الآستانة لأجل استمالة العرب ومودتهم ، فسألته عمن يقوم بادارة هذه الجريدة وتحريرها فقال: عبيد الله افندي مبعوث آيدين ، قلت: ان الرجل معروف ببغض العرب والعربية فلا أراه يزيد مسافة الخلف الا انفراجا واتساعا الخ ما دار بيننا في ذلك. ثم ظهرت الجريدة باسم العرب وكان ما كان من أمر قيامة الجرائد العربية عليها في سورية والعراق ومصر وأمريكة وغيرها من البلاد ، واشتهر عند الخاص والعام في هذه الاقطار ان هذه الجريدة أسست للتفريق بين العرب وغشهم ومخادعتهم وتحقير مصاحيهم ، وايقاع الشقاق بين

مسلمي سورية ونصاراهم منهم ، وبهذا بطل الغرض من انشائها فاضطروا الى إبطالها

شاويش خلف عبيد الله

ثم بدا لهم أن ينيطوا هذه المفسدة برجل يعده بعض العرب منهم فلم يروا أحداً أهلا لذلك الا الشيخ عبد العزيز شاويش لانه كان قد مهد السبيل الى ثقتهم به بما كان ينصر جمعيتهم ويطري زعماءهم في جريدة العلم ، وبمقاومته لمشروع الدعوة والارشاد ثم بطعنه في مسلمي العرب وزعمه أنهم أضر على الدولة من نصارى البلغار والروم وغيرهم !!

بمثل هذا تقرب شاويش الى جمعية الاتحاد والترقي عدوة العرب والاسلام ونال الحظوة عندها فأسست له جريدة في الاستانة كانت تنشرها في البلاد العربية بقوة الحكومة وهي (الهلال العثماني) ولكن نفوذ الحكومة قد عجز عن جعل الناس يتلقونها بالقبول ، ثم سقطت هذه الجريدة المنافقة بسقوط وزارتهم السعيدية ، فلما عادت لهم الكرة بفتنة أنور بك وألفوا الوزارة الشوكية أنشأوا لشاويش جريدة أخرى باسم (الحق يعلو) وسمى أحد شبان المصريين المتصلين به مديراً لها ليكون مدح شاويش واطراؤه فيها لنفسه سائغاً مقبولا ، ولئلا يكون اذا حالت الاحوال مسؤلا ،

لم أقرأ من هذه الجريدة الا عددا واحدا وجدت فيه دسيسة من شر دسائسهم في التفريق بين العرب واغراء العداوة والبغضاء بينهم الذي يراه الاتحاديون الوسيلة الى إضعافهم وأخذ منافذ الترقي والاصلاح عليهم في سورية ، وهو أنه زعم أن أهل الذمة الذين بيننا يتربصون بنا الدوائر فاذا أمكنتهم الفرصة فعلوا بنا أقبح مما فعل البلقانيون بمسلمي بلادهم من القتل والسلب والنهب والفضائح ... فما الذي حمل الاتحاديين على دفع الشيخ عبد العزيز شاويش على كتابة مثل هذا الكلام في مثل هذا الوقت ؟ أليس المعقول ان مصلحة الدولة الآن تقتضي الالفة أو السكون في الولايات الاسيوية ، وهي مرتبكة في الحرب البلقانية ، لئلا تفتح على نفسها أبوابا جديدة من المشاكل ؟ ألم يكن الواجب على الشيخ عبد العزيز شاويش أن يكتم علمه بما قاله ان كان في ذلك على علم - وما هو علم ولا ظن بل هي فتنة - لئلا يكون سبباً لثورة في سورية تفضي الى خروجها من ملك الدولة كما خرج غيرها ؟ بلى! ولكن الاتحاديين علموا ان أواخي الوفاق قد شدت بين المسلمين والنصارى في بيروت وأجمعوا على أن يكونوا يداً واحدة في طلب الاصلاح لبلادهم وهذا ما لا يطيقه الاتحاديون ، والظاهر أن تعريض البلاد العربية لاستيلاء أوربة عليها أخف على قلوبهم وأدنى الى سياستهم من اتفاق أهلها واصلاح حالهم فلهذا أوعزوا الى عضاء مفاسدهم بهذا من غير أن يحسبوا لعاقبته

حساباً ، وربما كان هذا الغلو في الافساد الى هذه الدرجة من سوء اجتهاد الشيخ شاويش وجريا منه على ماتعوّد بمصر من إطلاق العنان لقلمه في مثل هذا حتى زجه في السجن غير مرة ثم اخرجه من القطر المصري كله ، واذا كان شأنه في التفريق بين المسلمين والقبط ماعلمه الناس وفيها حكومة منظمة ومحاكم تقيم القانون فكيف لايكون شأنه في ذلك مارأينا واشد مما رأينا منه في الآستانة وهو يرمي عن قوس جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة في المملكة العثمانية وينضح بسهامها ويكافأ على ذلك عال العثمانيين المنكوبين بجميع أنواع المصائب بشؤم هذه الجمعية

الشيخ عبد العزيز شاويش مفتون بحب الشهرة والزعامة وهو يحاول أن ينال بجاه الاتحاديين ماأعياه نيله بغلوه في الحزب الوطني المصرى ، والاتحاديون يرون من مصلحتهم ايجاد زعيم عربي يخدعون به العرب ، وليس الشيخ شاويش بأهل لهذه الزعامة ولا الاتحاديون قادرين على ما يبغون منه ، حتى انهم لو قربوا منهم بعض الافراد الذين نالوا الثقة بحق بين العرب لكان قربه منهم وثقتهم به مما يسرع بالتهمة اليه ويفيده الظنة ، فاذا بدرت منه بادرة تنافي مصلحة قومه عدت دليلا قاطعا على نفاقه وبيع ذمته للاتحاديين ، فكيف اذا يستطيعون جعل الشيخ شاويش زعيما عربيا ويرجون ان يؤثر كلامه في السوريين وهو قد اشتهر بالنفاق للترك والحط على العرب وفاق زعماء الحزب الوطني وكتابه في بغض السوريين منهم خاصة! وهل ينسى السوريون من هؤلاء مطاعن جريدتهم اللواء فيهم وقولها في طائفة من جنودهم ما قاله مالك في الخمر اذ كانت باخرة تحمل بعض العسكر العثماني الى اليمن ففر بعضهم من بور سعيد او السويس وقيل انهم من السوريين فافترصت ذلك جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطني وعدوة السوريين كافة وشنعت على السوريين وعللت هربهم « بخسة منبتهم » ثم تبين أنهم غير سوريين

سيعلم الاتحاديون أنهم مخطئون في نظريتهم هذه كما ظهر لهم مثل ذلك في استخدام عبيد الله بمثل مايستخدمون له شاويشا وفي غير ذلك من أعمالهم المبنية على نظرياتهم الباطلة ، بل سيعلمون أن خداعهم هذا سيعود عليهم بضد مايرون كما وقع لهم غير مرة ولم يعتبروا

الا فليعلموا ان جميع من يفهم ويعقل من العرب يعتقد ان جمعية الاتحاد والترقي لاتريد بالعرب الا شرا ، ولا تستخدم لشيء يتعلق بمصالحهم الا من يكون عونا لها عليهم ، والسوريون منهم خاصة يعرفون ان كتاب الحزب الوطني كفريد وشاويش كانوا يبغضون جميع السوريين قبل أن يستخدمهم الاتحاديون في أهوائهم وان شاويشا قد غلا في ذلك وأفرط فلا قيمة لكلامه عند أحد منهم الا قيمة العدو المستأجر

لايذاء عدوه . فاذا كانوا يريدون إرضاء العرب فلا طريقة لذلك الاترك الجمعية لمقصدها الأول وهو العصبية التركية وجعل العرب والترك كالاخوين الشقيقين لاترجيح لاحدهما على الآخر في شيء والا خسروا العرب أو خسروا أنفسهم ، وانه ليستحيل في اعتقادي الجمع بين بقاء الدولة وبقاء سلطة الجمعية فيها وهي على طريقتها الاولى

لولا ان هذه الجريدة منشأة بأموالنا لافساد ذات بيننا باغواء المفتاتين على حكومتنا لما كتبت في شأنها كلمة واحدة اذ ليس الشيخ عبد العزيز شاويش أحق بان يلتفت الى قوله من صبية الحزب الوطني الذي يخلقون كل يوم من الكذب والبهتان ويخترعون من الغش والتمويه ما نعرض عنه ونمرّ به كراما كما أرشدنا الله تعالى في كتابه ، فنحن نحذر قومنا من دسائس جمعية الاتحاد والترقي لامن شاويش .

فالذي ينبغي لكل محب لقومه محترم لنفسه من العرب أن لايعنى بقراءة هذه الجريدة المستأجرة عال السحت ولا يبالي بما يسمعه عنها . وعلى أصحاب الجرائد العربية الصادقة المحترمة أن لاتردد صوتها ، ولا تنقل عنها ولا ترد عليها ، ولكن يجب عليهم أن يحيطوا بكل مافيها ، فان رأوا فيها مفسدة لابد من درئها وتفنيد باطلها فليكن ردهم على المستأجرين دون الأجير ، وعلى الكلام دون المتكلم ولا يغتروا بما عساه يكتب فيها من مدح العرب او دعوى السعي لخيرهم ، فقد رأوا مثل ذلك في جريدة (العرب) وعلموا انه خداع وتغرير ، و « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهل رأوا شرا من افاعي جحر الاتحاديين ؟ فجريدة « الباطل يسفل » التي سميت بضد معناها شر خلف للجريدة التي سميت (العرب)

الوفاق بين المسلمين والنصارى

وعلى عقلاء البلاد السورية ان يعتبروا بهذا الافساد فيزداد استمساكا بحبل الوفاق والتآلف الذي وفقهم الله له ، وان يعنى كتاب المسلمين منهم خاصة برد كل كلام يكتب لافساد ذات بينهم باسم الاسلام وبتحريك نعرة العصبية الدينية فان هذا الافساد مخالف لهدي الاسلام ، ولا تغرنهم سفسطة بعض اجراء الاتحاديين وزعمهم انه يجب احترام شاويش بكونه من علماء الدين لالأن شاويشاً ليس من صنف علماء الدين ولا زيه زيهم ولا سمته سمتهم اذ هو يحلق لحيته ويعفي شاربه خلافاً للسنة بل لان كلامه باطل يراد به ماهو شر منه والعبرة عندنا بالحقائق والمقاصد ، لا بالرسوم والظواهر ، وحسب العامي الذي يشتبه عليه الكلام ، ان يعلم انه صادر عمن جاهروا بعداوة العرب بالقول والعمل ، فهذه آية لاتخفى على أحد

﴿ الصلح بعد سوء العاقبة ، بسقوط يانية وأدرنة ﴾

كان زعماء الاتحاديين يزعمون أن سبب خذلان الجيش العثماني وانكساره في حرب البلقانيين هو ان وزارة مختار ووزارة كامل لم تحسنا ادارته ولم تكلا قيادته الى القادرين عليها، وانه لو تعين محمود شوكت باشا مفتشاً للجيش لتحولت الحال وكان الظفر للعثمانيين مضموناً، ثم عمدوا الى اسقاط وزارة كامل باشا لرضائها بالصلح وزعموا انهم لا يصالحون الا بعد أن ينقذوا أدرنة ويعيدوا شرف الجيش اليه بالظهور على البلقانيين، وان قوته ومعداته كافية لذلك لا ينقصها الا ان تكون الادارة والقيادة في أيدي الاتحاديين ، وقد نقلنا بعض مزاعمهم هذه وبينا أنهم لا غرض لهم الا الاستيلاء على الدولة بهذه الفرصة وانهم لا يستطيعون ان يصلوا الى صلح شريف كالصلح الذي كان يريده كامل باشا وهو به زعيم بأن يجعل أدرنه ولاية اسلامية مستقلة فاصلة بين البلقان والآستانة . ثم صدقت الحوادث آراءنا ففتحت اليونان يانيا عنوة وفتحت البلغار أدرنة عنوة ، وفقدنا كل ما كان فيهما من السلاح والذخائر وهو معظم ما بقي عند الدولة وأخذ منا عشرات الالوف أسرى فهل هذا هو الشرف العسكري الذي أرجعوه بجعل الصدارة مع الحربية بيد محمود شوكت باشا ؟

كان المنافقون للاتحاديين يعظمون أمر أدرنة على عهد الوزارة السابقة ويزعمون انها اذا سقطت في أيدي البلغار حرباً أو صلحاً فقد سقطت الآستانة وسقطت وراءهما الدولة والاسلام ! فلما أخذت أدرنة عنوة وحصونها أمنع من جميع حصون البلاد المحصنة في الدولة وعلم جميع الناس أنه لا يوجد في هذه المملكة حصن يمتنع على حكومة صغيرة كالبلغار قام هؤلاء المنافقون يجعلون سقوط أدرنة وأخذها عنوة من قبيل الظفر للدولة لان الاعداء علموا ان أخذ بلادها لا يمكن الا بخسارة كبيرة !!! وأين البلاد المحصنة كادرنة في الدولة ؟؟ ومثل هؤلاء المنافقين لا يكلمون ولا يخاطبون وانما يتمثل عند ذكر تهافتهم هذا بالحديث الصحيح المتفق عليه « ان ماأدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت »

ومنهم من يقول ان أخذها عنوة اقل ذلا من أخذها صلحا بالنزول على حكم الدول الكبرى لان الرضاء بما تقترحه الدول يطمعها فينا ويجعلنا تحت سيطرتها !! وكان يمكن تسليم هذا الكلام على علاته لو أن الدولة سلمت بعد أخذ أدرنة من سيطرة لدول وتحكيمهن في أمر الصلح وأمر الجزر ولكنها لم تسلم من ذلك بل عادت بعد

أخذ أعظم بلادها وأكثر ذخائرها بالقوة القاهرة الى تفويض أمر الصلح الى اولئك الدول بلا شرط ولا قيد وذلك شر ما وصلنا اليه من تسليم الامر الى الدول وقبول سيطرتها وما بعده أعظم منه ، وسيرى القراء صدق رأينا في هذا كما رأوا مثله كثيرا وجملة القول إن هؤلاء الاتحاديين قد تجلوا على هذه الدولة مالم يعجل عبد الحميد فهم الذين استبدوا بالامر كل هذه المدة لم يخرج الامر من أيديهم الا شهورا لم يتجدد فيها شيء لم يكن من آثارهم وعمل أيديهم،ولا يزالون يمنون علينا بكلمة الدستور أو «مشروطيت» فلا كانوا ولا كان دستورهم الخادع ولا مشروطيتهم الخاطئة الكاذبة

﴿ مستقبل الدولة العثمانية ﴾

قد عرف القراء قبل هذه الحرب رأينا في الدولة.وانه يخشى عليها سرعة الزوال اذا ظل أمرها في يد جمعية الاتحاد والترقي ، واما بعد هذه الحرب فقد صار يخاف عليها الزوال كل أحد حتى عوام العثمانيين . وقد كنت أعتقد وأقول منذ بدأت هذه الحرب البلقانية .اذا ذهبت ولايات أوربة من الدولة فلا يمكن ان يبقي الترك حكومة الدولة نيابية بقانونها الاساسي الحاضر،وناهيك بها اذا ظل أمرها في أيدي الاتحاديين غلاة النعرة التركية وان من مقاصد صلحهم مع امام اليمن والسيد الادريسي ان يقل عدد العرب الذين لهم حقوق في ادارة الدولة ، وقد قامت الشعوب العثمانية تطلب الاستقلال الاداري الداخلي المعبر عنه باللامركزية الادارية وتريد الحكومة ان تلهيهم عن ذلك بقانون جديد وضعته للولايات لاترضى به ولاية باختيارها . وجملة القول في الدولة انه لابد من انقلاب عظيم في شكلها العام الدستوري وفي ادارتها الداخلية

واما حالتها الخارجية فالظاهر لنا ان دول أوربة المسيطرة عليها لاتريد الآن ان تحدث في ولاياتها الاسيوية تقسيما . وقد بلغنا ان بريطانية العظمى — وهي صاحبة النفوذ الاعلى في السياسة الاوربية العامة تريد وتقنع الدول بما تريد — ان تمهل الدولة خمس سنين لاصلاح بلاد الاناطول وتساعدها على ذلك بمساعدتها على عقد قرض لايقل عن عشرين مليوناً من الجنيهات . ونحن نعلم ان انكلترة لابد ان تختم هذه الحرب باظهار مساعدة للدولة ترمي به الى عدة أغراض منها ارضاء مسلمي الهند الذين اشتد سخطهم عليها . وسنبين سائر هذه الاغراض اذا صار ما بلغنا أمراً مفعولا

حكمت علينا كثرة المواد الضرورية ان نؤخر شكرنا لأهل عمان والعراق على اكرامهم ايانا في رحلتنا الاخيرة كما أخرنا كثيراً من التقاريظ والاخبار



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الاولى ١٣٣١هـ ق ١٨ الربيع الثاني ١٢٩١هـ ش ٧ مايو ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

سورة المائدة

(وهي السورة الخامسة ، وآياتها مئة وعشرون عند القراء الكوفيين وعليه فلوجل ، ومئة وثنتان وعشرون عند الحجازيين والشاميين ، ومئة وثلاث وعشرون عند البصريين فالخلاف فيها في فاصلتين فقط)

هي مدنية بناء على المشهور من ان المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة ، والا فقد روي في الصحيح عن عمر أن قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم » الخ نزل عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع . وما رواه ابن مردويه عن ابي سعيد انها نزلت يوم غدير خم ، وعن ابي هريرة في ثامن عشر ذي الحجة مرجع النبي (ص) من حجة الوداع كلاهما لا يصح . وروى البيهقي في شعب الايمان ان أول المائدة نزل بمنى .

أي عام حجة الوداع . وروى عن عبيد عن محمد بن كعب انها نزلت كلها في حجة الوداع بين مكة والمدينة

أما التناسب بينها و بين سورة النساء فقد قال الـكواشي انه لما ختم سورة النساء آمرا بالتوحيد والعدل بين العباد اكد ذلك بالأمر بالوفاء بالعقود . ونقل الآلوسي عن الجلال السيوطي في بيان ذلك ان سورة النساء قد اشتملت على عدة عقود صريحا وضمنا فالصريح عقود الأنكحة وعقد الصداق وعقد الحلف وعقد المعاهدة والامان . والضمني عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والاجارة وغير ذلك الداخل في عموم قوله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها » فناسب ان تعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود . فكأنه قال : ياأيها الناس اوفوا بالعقود التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت وان كان في هذه السورة ايضا عقود

(قال) ووجه أيضا تقديم النساء وتأخير المائدة بأن أول تلك « ياأيها الناس » وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو أشبه بتنزيل المـكي . وأول هذه « ياأيها الذين آمنوا » وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو أشبه بخطاب المدني ، وتقديم العامّ (أي خطاب الناس كافة) وشبه المـكي أنسب .

(قال) ثم ان هاتين السورتين في التلازم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران فتانك اتحدتا في تقرير الاصول من الوحدانية والنبوة ونحوهما . وهاتان في تقرير الفروع الحـكمية ، وقد ختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكأنهما سورة واحدة وقد اشتملت على الاحكام من المبدإ الى المنتهى اه

أقول هذا اجمع ما اطلعنا عليه ولم يأت الرازي ولا البقاعي بشيء جديد . وانت ترى ان معظم سورة المائدة في محاجة اليهود والنصارى مع شيء من ذكر المنافقين والمشركين وهو ماتكرر في سورة النساء واطيل به في آخرها ، فهو أقوى المناسبات بين السورتين وأظهر وجوه الاتصال ، كأن ماجاء منه في هذه السورة متمم ومكمل لما فيما قبلها . وفي كل من السورتين طائفة من الاحكام العملية في العبادات والحلال والحرام ، ومن المشترك منها في السورتين آيتا التيمم والوضوء ، وحكم حل المحصنات من

المؤمنات وزاد في المائدة حل المحصنات من أهل الكتاب ، فكان متمما لاحكام النكاح في النساء . ومن المشترك في الوصايا العامة الامر بالقيام بالقسط والشهادة بالعدل من غير محاباة لأحد ، وكذا الوصية بالتقوى . ومن لطائف التناسب فيها ان سورة النساء مهدت السبيل لتحريم الخمر وسورة المائدة حرمتها ألبتة فكانت متممة لشيء فيما قبلها . وانفردت سورة المائدة بأحكام قليلة في الطعام والصيد والاحرام وحكم البغاة المفسدين وحد السارق وكفارة اليمين، وامثال هذه الاحكام من كاليات الشريعة المؤذنة بتمامها ، كما انفردت النساء بأحكامهن وأحكام الارث والقتال وهي مما كان يحتاج اليه عند نزولها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَمِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ، إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (٢) يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَٰئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلَٰئِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً ، وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا . وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ . إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

الوفاء والإيفاء هو الاتيان بالشيء وافيا تاما لانقص فيه « وأوفوا الكيل اذا كلتم » « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » ويقال لمن لم يوف الكيل أخسر الكيل -وكذا الميزان ، ولمن لم يوف العهد غدر ونقض ، ولكل كلمة موضع . (والعقود) جمع عقد بالفتح وهو مصدر استعمل اسما فجمع ، ومعناه في الاصل ضد الحل ، وقال

الراغب: العقد الجمع بين اطراف الشيء (أي وربط بعضها ببعض) ويستعمل في الاجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما اه ومنه عقدة النكاح . وفسروه في الآية بالعهد وهو مايعهد اليك لاجل ذلك ويطالب منك. يقال عقد اليمين وعقد النكاح أبرمه « والذين عقدت أيمانكم» وعقد البيع، وعقدوا الشركة ويقال عاقدته وعاهدته، وتعاقدنا وتعاهدنا . وعهد الله كل ما عهد الى عباده حفظه والقيام به أو التلبس به من اعتقاد وأمر ونهي ، وما يتعاقد الناس عليه من العهود هو أو ثقها وآكدها ، فالعقد أخص من العهد . (والبهيمة) مالا نطق له وذلك لما في صوته من الابهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير ، قاله الراغب . وروي عن الزجاج ان البهيمة من الحيوان مالا عقل له مطلقا . وفي القاموس : البهيمة كل ذات أربع قوائم ولو في الماء أوكل حي لايميز جمعه بهائم اه (والانعام) هي الإبل والبقر : العراب والجواميس، والغنم: الضأن والمعز . واضافة بهيمة الى الانعام للبيان « كشجر الاراك » أي أحل لكم أكل البهيمة من الانعام . وذهب بعضهم الى ان الاضافة على معنى التشبيه أي أحلت لكم البهيمة المشابهة الانعام قيل في الاجترار وعدم الانياب ، والاولى ان يقال ان وجه الشبه المقتضي للحل هو كونها من الطيبات التي هي الاصل في الحل . (والحرم) بضمتين جمع حرام وهو المحرم بالحج أو العمرة . (شعائر الله) معالم دينه ومظاهره وغلب في مناسك الحج (والهدي) جمع هدية كجدي جمع جدية لحشية السرج والرحل ، وهو ما يهدى الى الكعبة من الانعام ليذبح هنالك وهو من النسك (والقلائد) جمع قلادة وهي ما يعلق في العنق وكانوا يقلدون الابل من الهدي بنعل أو حبل أو لحاء شجر او غير ذلك ليعرف فلا يتعرض له أحد ، كما كانوا يتقلدون اذا أرادوا الحج ليأمنوا على انفسهم (ويجرمنكم) من جرمه الشيء أي حمله عليه وجعله يجرمه أي يكسبه ويفعله ، فهو ككسب يتعدى الى مفعول والى مفعولين . وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجرة

﴿ ياأيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ﴾ روي عن ابن عباس أن المراد بالعقود عهود الله التي عهد الى عباده « ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله

لا تغدروا ولا تنكثوا » وعن قتادة هي عقود الجاهلية أي ما كان من الحلف فيها. وعن عبد الله بن عبيدة العقود خمس : عقدة الايمان وعقدة النكاح وعقدة البيع وعقدة العهد وعقدة الحلف . وعن زيد بن أسلم عقدة النكاح وعقدة الشركة وعقدة اليمين وعقدة العهد وعقدة الحلف . والظاهر المتبادر أن الله تعالى أمرنا بالوفا بجميع العقود الصحيحة التي عقدها علينا والتي نتعاقد عليها فيما بيننا . وفي روح المعاني عن الراغب قال : العقود باعتبار المعقود والعاقد ثلاثة أضرب : عقد بين الله تعالى وبين العبد ، وعقد بين العقد ونفسه ، وعقد بينه وبين غيره من البشر . وكل واحد باعتبار الموجب له ضربان ضرب أوجبه العقل وهو ما ركز الله تعالى معرفته في الانسان فيتوصل اليه إما ببديهة العقل وإما بأدنى نظر ، دل عليه قوله تعالى (٧: ١٧ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم) الآية . وضرب أوجبه الشرع وهو مادلنا عليه كتاب الله وسنة نبيه (ص) فذلك ستة أضرب ، وكل واحد من ذلك إما ان يلزم ابتداء أو يلزم بالتزام الانسان إياه . والثاني أربعة أضرب فالاول واجب الوفاء كالنذور المتعلقة بالقرب نحو ان يقول : عليّ أن أصوم ان عافاني الله تعالى ، والثاني يستحب الوفاء به ويجوز تركه كمن حلف على ترك فعل مباح فان له ان يكفر عن يمينه ويفعل ذلك ، والثالث يستحب ترك الوفاء به وهو ماقال (ص) « اذا حلف أحدكم على شيء فرأى غيره خيرا منه فليأت الذي هو خير منه وليكفر عن يمينه ، والرابع واجب ترك الوفاء به نحو ان يقول علي ان أقتل فلانا المسلم[١] فيحصل من ضرب ستة في أربعة أربعة وعشرون ضربا ، وظاهر الآية يقتضي كل عقد سوى ما كان تركه قربة أو واجبا فافهم ولا تغفل اه

هذا أجمع كلام رأيته للمفسرين في العقود . وقد تجدد لأهل هذا العصر انواع من المعاملات تبعها أنواع من العقود يذكرونها في كتب القوانين المستحدثة منها مايجيزه فقهاء المذاهب الاسلامية المدونة ومنها مالا يجيزونه لمخالفته شروطهم التي

(١) ما يجب ترك الوفاء به لا يعد عقدا شرعا اذ ليس للانسان ان يلتزم الحرام ، واما ما أذن لنا الشارع بعدم الوفاء به في مقابلة كفارة فهو كالمستثنى من الامر بالوفاء

يشترطونها ، كاشتراط بعضهم الايجاب والقبول قولا حتى لو كتب اثنان عقدا بينهما على شيء قولا أو كتابة نحو « تعاقد فلان وفلان على ان يقوم الاول بكذا والثاني بكذا » من غير ذكر ايجاب وقبول بالقول وامضيا ما كتباه بتوقيعه أو ختمه ، لا يعدونه عقدا صحيحا نافذا . وقد يصبغونه بصبغة الدين فيجعلون التزام المتعاقدين له وإيفاءهما به محرّما ومعصية لله تعالى . ويشترطون في بعض العقود شروطا منها ما يستند على حديث صحيح أو غير صحيح صريح الدلالة أو خفيها ، ومنها ما لا يستند الا على اجتهاد مشترطه ورأيه ، ويجيزون بعض الشروط التي يتعاقد عليها الناس ويمنعون بعضها حتى بالرأي

وأساس العقود الثابت في الاسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة « اوفوا بالعقود » وهي تفيد انه يجب على كل مؤمن ان يفي بما عقده وارتبط به، وليس لأحد ان يقيد ماأطلقه الشارع الابنص منه . فالتراضي من المتعاقدين شرط في صحة العقد لقوله تعالى « عن تراض منكم » وأما الايجاب والقبول فلا نص فيه وانما هو عبارة عن العقد نفسه اذ الغالب فيه ان يكون بالصيغة اللفظية قولا أو كتابة ، والاشارة تقوم مقام العبارة عند الحاجة كاشارة الاخرس . وأما الفعل فهو ابلغ من القول في حصول المقصد من العقد كبيع المعاطاة الذي منعه بعضهم تعبدا بصيغة الايجاب والقبول اللفظية ، ومثل بيع المعاطاة إعطاء الثوب للغسال أو الصباغ أو الكوّاء فمتى أخذه منك كان ذلك عقد إجارة بينكما بأجرة المثل . ومن هذا القبيل إعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في سكك الحديد أو البواخر واخذ التذكرة منه ، ومثله دخول الحمام وركوب سفن الملاحين ومركبات الحوذية الذين يأخذون الاجرة بعد إيصال الراكب الى المكان الذي يقصده ،

فكل قول أو فعل يعده الناس عقدا فهو عقد يجب ان يوفوا به كما أمر الله تعالى مالم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام مما ثبت في الشرع كالعقد بالاكراه أو على إحراق دار أحد أو قطع شجر بستانه أو على الفاحشة أو أكل شيء من أموال الناس بالباطل كالربا والميسر (القمار) والرشوة فهذه الثلاثة منصوصة في الكتاب والسنة ، ونهى النبي (ص) عن بيع الغرر كما في

صحيح مسلم وغيره لأنه من قبيل الميسر في كونه مجهول العاقبة وهو من الغش المحرم ايضاً ، وقد توسع بعض الفقهاء في تفسير الالفاظ القليلة التي وردت في الكتاب والسنة فأدخلوا في معنى الربا والغرر ما لا تطيقه النصوص من التشديد ودعموا تشديداتهم بروايات لا تصح ، وأشدهم تضييقا في العقود الشافعية والحنفية وأكثرهم تسامحا وسعة المالكية والحنابلة .

ومن **الاصول** التي بنوا عليها معظم تشديداتهم في ذلك ذهاب بعضهم الى ان الاصل في العقود والشروط الحظر فلا يصح منها الا ما دل الشرع على صحته ، وأن كل شرط يخالف مقتضى العقد باطل ، وعدوا من هذا ما يمكن ان يقال انه ليس منه . واطلاق الوفاء بالعقود يدل على ان الاصل فيها الاباحة وكذلك الشروط ولا سيما العقود والشروط في أمور الدنيا ، والحظر لا يثبت الا بدليل ، ويؤيد اطلاق الآية حديث « الصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، والمسلمون على شروطهم » رواه أبو داود والدارقطني من طريق كثير بن زيد ، والترمذي والبزار بزيادة « الا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما » وقال الترمذي حسن صحيح [1] والصواب انه ضعيف يعتضد كما قيل بحديث « الناس على شروطهم ماوافقت الحق » رواه البزار من حديث ابن عمر [2] وهو أشد ضعفا من حديث الصلح الذي ذكره السيوطي في الجامع الصغير بدون زيادة الشروط وعلم عليه بالصحة

وقد يعترض على هذا بحديث عائشة في قصة بريرة وهو « ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وان كان مئة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وانما الولاء لمن اعتق » رواه الشيخان وغيرهما . والمراد بالشرط هنا حاصل المصدر أعني

(١) في سنده كثير بن عبدالله بن عمرو ، وقد ضعفوه كلهم وأما كثير بن زيد فقد اختلفت الرواية عن يحيي بن معين في توثيقه فروى ابن الدورقي عنه انه قال ليس به بأس ، وابن ابي مريم عنه انه قال فيه ثقة . ولكن صرح النسائي بضعفه وقال ابن المديني صالح وليس بقوى قال الذهبي في الميزان بعد نقل جرح كثير بن عبدالله « وأما الترمذي فروى من حديثه « الصلح جائز » وصححه فلهذا لايعتمد العلماء على تصحيح الترمذي اه !! ولكن قال ابن تيمية لعل تصحيح الترمذي له لروايته من وجوه وذكر حديث ابن عمر عند البزار وهو الذي أوردناه هنا (٢) في سنده محمد ابن عبد الرحمن ابن البيلماني عن أبيه ضعفوه بل قال ابن حبان حدث عن أبيه بنسخة شبيها بمئتي حديث كلها موضوعة

المشروط لا المصدر الذي هو الاشتراط، ولذلك قال ولو كان مئة شرط ، واذن باشتراط الولاء لمكاتبي بريرة لانه لغو كما يأتي قريبا في بيان سبب هذا الحديث والمراد بما ليس في كتاب الله ما خالفه لما يؤخذ من سبب الحديث والا كان جميع المسلمين مخالفين لهذا الحديث حتى الظاهرية لأنهم يجيزون في العقود شروطا لاذكر لها في كتاب الله تعالى وليس في كتاب الله تعالى شروط لانواع العقود فيكتفى بها ويقتصر عليها ، وانما الواجب ان لايشترط أحد شرطا يحل ما حرمه كتاب الله أو يحرم ما أحله فذلك هو الذي يصدق عليه انه ليس في كتاب الله اذ في كتاب الله ما يخالفه . وأما اشتراط ما أباحه كتاب الله تعالى بالنص أو الاقتضاء فهو في كتاب الله تعالى

وفي هذا الحديث بحث آخر وهو انه ورد في مسألة دينية من العبادات وهي المكاتبة والعتق والولاء وسبب الحديث بينته راويته عائشة في الصحيحين قالت « جاءتني بريرة فقالت كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني ، « فقلت إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت » فذهبت بريرة الى أهلها فقالت لهم فأبوا عليها ، فجاءت من عندهم ورسول الله (ص) جالس فقالت اني قد عرضت عليهم فأبوا الا ان يكون لهم الولاء ، فأخبرت عائشة النبي (ص) فقال « خذيها واشترطي لهم الولاء فانما الولاء لمن اعتق » ففعلت عائشة ثم قام رسول الله (ص) في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فما بال رجال يشترطون » الخ فالواقعة في أمر ديني اشترط فيه شرط مخالف لحكم الله فكان لغوا والامور الدينية موقوفة على النص . وأما الامور الدنيوية كالبيع والاجارة والشركات وغيرها من المعاملات الدنيوية فالاصل فيها عرف الناس وتراضيهم مالم يخالف حكم الشرع في تحليل حرام أو تحريم حلال كما تقدم ، ومن أدلة هذا الاصل بعد الآية التي نفسرها وما أيدناها به حديث « أنتم أعلم أمر دنياكم » رواه مسلم من حديث أنس وعائشة ، وحديث « ما كان من أمر دينكم فإلي وما كان من أمر دنياكم فأنتم أعلم به » رواه أحمد . لهذا تجد الامام أحمد أكثر أئمة الفقه تصحيحا للعقود والشروط على انه أوسعهم رواية للحديث وأشدهم استمساكا به ، فابو

حنيفة يقدم القياس الجلي على حديث الآحاد الصحيح وأحمد يقدم الحديث الضعيف على القياس

ومن العقود التي شدد بعض الفقهاء في ابطال شروطها عقد النكاح فترى الذين يجوزون الشروط في البيع وهو من المعاملات الدنيوية الموكولة الى العرف لايجوزون الشروط في عقد النكاح ، وقد قال النبي (ص) « ان احق الشروط ان توفوا به مااستحللتم به الفروج » رواه احمد والشيخان في صحيحيهما واصحاب السنن عن عقبة بن عامر . وقد جوز أحمد بهذا الحديث ان تشترط المرأة في عقد النكاح أن لايتزوج عليها وأن لاتنتقل من بلدها أو من الدار ، ويجيز لها فسخ النكاح اذا تزوج عليها وقد اشترطت عليه عدم التزوج عليها كما يجوز لها الفسخ بغير ذلك من العيوب والتدليس — وكذا عند عدم النفقة وعند الغيبة المنقطعة في مذاهب أخرى . واجاز احمد اشتراط التسري في شراء الجارية وحينئذ لا تجبر على الخدمة ، واشتراط ان يأخذ البائع الجارية بثمنها اذا أراد المشتري بيعها ، ولكن قال لا يقربها وله فيها شرط . ومذهبه هذا في الشروط هو الموافق لسهولة الحنيفية السمحة ورفع الحرج منها . ولم أر أحدا من العلماء وفى موضوع العقود حقه مؤيدا بدلائل الكتاب والسنة وآثار السلف ووجوه الاعتبار في مدارك القياس الا شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فليراجعه من أراد التوسع في هذه المسألة

﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ أي احل الله لكم أكل بهيمة الانعام والانتفاع بها ، قالوا ان هذا من التفصيل بعد الاجمال بناء على ان العقود شاملة لجميع الاحكام التي شرعها الله تعالى وامر المكلفين بالإيفاء بها ، فبدأ بعد وضع هذه القاعدة العامة ببيان مايحل من الطعام بشرطه الذي يتضمن ما يحرم من الصيد في بعض الاحوال ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ في الآية الثالثة من هذه السورة من المحرمات كالميتة والدم الخ ﴿ غير محلّي الصيد ﴾ أي احلت لكم بهيمة الانعام حال كونكم غير محلي الصيد الذي حرمه الله عليكم بأن لا تجعلوه حلالا باصطياده او الاكل منه ﴿ وأنتم حرم ﴾ أي وأنتم محرمون بالحج أو العمرة أو كليهما أو وانتم داخلون في

أرض الحرم، وهذه الجملة حال من محلي الصيد فلا يحل الصيد لمن كان في أرض الحرم ولو لم يكن محرما ولا للمحرم أي الداخل في الاحرام بالحج أو العمرة وان كان في خارج حدود الحرم بأن نوى الدخول في هذا النسك و بدأ بأعماله كالتلبية ولبس غير المخيط . ولك ان تجعل هذا القيد لحل بهيمة الانعام مرجحا لقول من قال ان المراد بها ما كان مشابها للانعام من البهائم الوحشية التي من شأنها ان تصاد كالظباء و بقر الوحش وحمرها ، وأما حل الانعام الانسية فيعلم من الآية بالطريق الاولى ومن غيرها من النصوص بل كان معروفا عند نزول هذه الاية جاريا عليه العمل في الحل والحرم ﴿ ان الله يحكم ما يريد ﴾ اي يمنع ما أراد منعه، او يجعله حكما وقضاء، وارادته انما تكون على حسب علمه المحيط وحكمته البالغة ورحمته الواسعة ، فلا عبث في أحكامه ولا جزاف ولا خال ولا ظلم

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ أي لا تجعلوا شعائر دين الله حلالا تتصرفون بها كما تشاؤن، وهي معالمه التي جعلها أمارات تعلمون بها الهدى من الضلال كمناسك الحج وسائر فرائضه وحدوده وحلاله وحرامه بل اعملوا فيها بما بينه لكم ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ ولا تحلوا الشهر الحرام با ستئنافكم قتال المشركين فيه ، قيل المراد به هنا ذو القعدة وقيل رجب ، و المتبادر ان المراد به جنس الشهر الحرام فيدخل فيه بقية الاربعة الحرم وهي ذو الحجة والمحرم. وراجع تفسير قوله تعالى (٢ : ٢١٧ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) في الجزء الثاني من التفسير لتقف على تتمة هذه المسألة ﴿ ولا الهدي ولا القلائد ﴾ ولا تحلوا الهدي الذي تهدونه الى بيت الله من الانعام للتوسعة على من هناك من عاكف و باد تقربا اليه تعالى . وإحلاله يكون بمنع بلوغه الى محله من بيت الله كأخذه لذبحه غضبا او سرقة أو حبسه عند من أخذه ، ولا تحلوا القلائد التي يقلد بها هذا الهدي بنزع القلادة من عنق البعير لئلا يتعرض لها أحد بجهله . وقيل المراد با لقلائد ذوات القلائد من الهدي كأنه قال لا تحلوا الهدي مقلدا ولا غير مقلد ، وخص المقلد بالذكر لانه اكرم الهدي واشرفه ، و يؤخذ من الكشاف انهم ما كانوا يقلدون الا البدن (الابل) وقيل الهدي هو مالم يقلد ، وهذا كما قالوا في « ولا يبدين زينتهن » لا يبدين مواضع زينتهن ، وقد يدخل

في عمومه من يتقلد من الناس ليعرف انه محرم ، وكان من يريد الحج في الجاهلية ومن يرجع منه يتقلد من لحاء شجره ليأمن على نفسه فلا يعرض له أحد، فاقر الله تأمين المقلد لتعلم العرب ان من تقلد لاجل النسك كان في جوار المسلمين وحمايتهم وبهذا فسر بعضهم الآية ،وقيل ان المراد هنا المنع من أخذ شيء من شجر الحرم لاجل التقلد به عند العودة من أرض الحرم لأن هذا من استحلال قطع شجر الحرم أو التحائه أي أخذ قشر شجره ، والظاهر ان المراد بالنهي تحريم التعرض للقلائد نفسها بازالتها والتعرض المقلد بها من الهدي لان كل ذلك يعد من احلال القلائد حقيقة ، فلا حاجة الى القول بأن النهي عن إحلال القلائد يدل على النهي عن إحلال ذوات القلائد بالاولى ، وهذا هو المتبادر عندي ، وأما من يقصد الحرم للنسك أو غير النسك فقدم حرم التعرض لهم بقوله ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ أي ولا تحلوا قتال آمين البيت الحرام أي قاصديه المتوجهين اليه، يقال أمّه و يممه وتيممه اذا توجه اليه وعمده وقصد اليه قصدا مستقيما لايلوي الى غيره . والبيت الحرام هو بيت الله المعروف بمكة المكرمة الذي حرمه وما حوله أي منع أن يصاد صيده وان يقطع شجره وان يختلا خلاه-أي يؤخذ نباته وحشيشه- وجعله آمنا لايروع من دخله (راجع ومن دخله كان آمنا في أول الجزء الرابع)

﴿ يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ أي يطلبون بأمهم البيت وقصده التجارة والحج معا . أو ربحا في التجارة ورضاء من الله يحول بينهم و بين عقوبته في الدنيا فلا يحل بهم ماحل بغيرهم في عاجل دنياهم ، وبهذا فسره ابن جرير ورواه عن أهل الأثر بناء على ان المراد بالكلام هنا المشركون . فروى عن قتادة انه قال هم المشركون يلتمسون فضل الله ورضوانه فيما يصلح لهم دنياهم . وفي رواية أخرى عنه : والفضل والرضوان الذي يبتغون: ان يصلح لهم معايشهم في الدنيا وان لا يعجل لهم العقوبة فيها . وروى عن مجاهد انه قال : يبتغون الاجر والتجارة . وعن ابن عمر انه قال في الرجل يحج ويحمل معه متاعا « لا بأس به » وتلا الآية . ولم يرو فيها عن ابن عباس الا انه قال « يترضون ربهم بحجهم » وروى عبد بن حميد عن الربيع بن أنس انه فسر الفضل من ربهم بالتجارة والرضوان بالحج نفسه .

ولهذا قال قتادة ومجاهد وغيرهما ان هذه العبارة من الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة براءة « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . وقال بعضهم انها نسخت بقوله تعالى في المشركين « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله (ص) فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر اه أي لم ينسخ الحكم ولكن زال الوصف الذي نيط به ، وقال بعض المفسرين ان الآية في المسلمين فهي محكمة وحكمها باق فلم تنسخ ولم ينته حكمها . ومن فسر القلائد بمن كان يتقلد من المشركين قال ان النهي عن احلالها منسوخ وايضا . وقد روي ان هذه السورة من آخر القرآن نزولا وانه ليس فيها شيء منسوخ

أما مارواه أهل المأثور في سبب نزول الآية وكونها في المشركين فهو - كما روى ابن جرير عن السدي - ان الحطم بن هند البكري اتى النبي (ص) وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه فقال الى م تدعو ؟ فأخبره ، وكان النبي (ص) قال لاصحابه « يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان ، فلما أخبره النبي (ص) قال انظر ولعلي أسلم ولي من اشاوره . فخرج من عنده فقال رسول الله (ص) « لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر » فمر بسرح من سرح المدينة فساقه ... ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد وأهدى فاراد رسول الله (ص) ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية حتى بلغ « ولا آمين البيت الحرام » فقال له ناس من أصحابه يارسول الله خل بيننا و بينه فانه صاحبنا . قال « انه قد قلد » قالوا : انما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية فأبى عليهم فنزلت هذه الآية . وروى عن ابن جريج عن عكرمة ان الحطم قدم المدينة في عير له يحمل طعاما فباعه ثم دخل على النبي (ص) فبايعه وأسلم . فلما ولى خارجا نظر اليه فقال لمن عنده « لقد دخل علي بوجه فاجر وولى بقفا غادر » فلما قدم اليمامة ارتد عن الاسلام وخرج في عير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة ، فلما سمع به اصحاب رسول الله (ص) تهيأ للخروج اليه نفر من المهاجرين والانصار ليقطعوه في عيره فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله » فانتهى القوم (ثم قال ابن جرير) قال ابن

جريج : قوله « ولا آمين البيت الحرام » قال ينهى عن الحجاج ان تقطع سبلهم (قال) وذلك ان الحطم قدم على النبي (ص) ليرتاد و ينظر فقال اني داعية قوم فاعرض علي ماتقول . قال له « أدعوك الى الله ان تعبده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت » قال الحطم : ان في أمرك هذا غلظة ، فأرجع الى قومي فأذكر لهم ماذكرت فان قبلوا أقبلت معهم وان ادبروا كنت معهم . قال له « ارجع » فلما خرج قال « لقد دخل علي بوجه كافر ، وخرج من عندي بعقبى غادر ، وما الرجل بمسلم » فقاتهم وقدم اليمامة وحضر الحج فجهز خارجا وكان عظيم التجارة ، فاستاذنوا ان يتلقوه و يأخذوا ما معه . فأنزل الله عز وجل « لاتحلوا شعائر الله » الخ وأنت ترى هذه الروايات متعارضة وسواء صحت أو لم تصح فالآية على اطلاقها وعمومها ، والمفيد من مثل هذه الروايات معرفة أحوال أهل ذلك العصر ، فانها تعين على الفهم ،

﴿ واذا حللتم فاصطادوا ﴾ أي خرجتم من إحرامكم بالحج أو العمرة ومن ارض الحرم فاصطادوا ان شئتم فانما حرم عليكم الصيد في ارض الحرم وفي حال الاحرام فقط ، فهذا تصريح بمفهوم قوله في الآية السابقة « غير محلي الصيد وانتم حرم » والاصل في الامر بالشيء يجيء بعد حظره ان يكون للاباحة أي رفع ذلك الحظر كقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) - أي بالبيع والكسب - الذي جاء بعد قوله (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ومنه حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة » رواه ابن ماجه ، وله شاهد في صحيح مسلم من غير تعليل . وما كان الاصل فيه الاباحة قد يجب أو يندب أو يحظر لعارض يقتضي ذلك

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ﴾ قرأ ابن عامر وابو بكر بن عاصم واسماعيل عن نافع شنآن بسكون النون الاولى والباقون بفتحها وهما لغتان . وقرأ ابن كثير وابو عمرو « إن صدوكم » بكسر إن على انها شرطية والباقون بفتحها على انها للتعليل . وهذه القراءة تشير الى صد المشركين

المؤمنين عن العمرة عام الحديبية ونهاهم ان يعتدوا عليهم عام حجة الوداع الذي نزلت فيه السورة لأجل اعتدائهم السابق ، والمعنى عليه ولا يحملنكم بغض قوم وعدواتهم على أن تعتدوا عليهم لأنهم صدوكم عن المسجد الحرام . ومعنى القراءة الاخرى انه لا يباح المسلمين ان يعتدوا على أعدائهم إن صدوكم عن المسجد الحرام أي عن النسك فيه وزيارته ولو للتجارة . واستشكل بأن هذا قد نزل بعد فتح مكة ولم يكن يتوقع صد من أحد و بأنه معارض لقوله « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم » واجيب بأن الشرط على معنى الماضي بتقدير الكون أي ان كانوا صدوكم عن المسجد الحرام ، ويمكن ان يقال إن ورود هذا بعد فتح مكة وظهور الاسلام على الشرك وأهله لا إشكال فيه لأن الاحكام قد تبني على الفرض ، ولأن هذا الصد قد يقع من المسلمين بعضهم لبعض كما يفعله بعض أمراء مكة في عصرنا من منع بعض العرب - كأهل نجد - من الحج لاسباب دنيوية - كأخذ بعض أمراء نجد الزكاة من بعض القبائل الذين يعدهم أمراء مكة تابعين لهم - ويحتمل ان تكون هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى « فاصطادوا » داخلة في حيز شرطه ويكون المعنى ان الصيد الذي كان محرما عليكم حال كونكم حرما يحل لكم اذا حللتم وأما الاعتداء على من تبغضونهم فلا يباح لكم وأنتم حل كما انه لايباح لكم وأنتم حرم وان كانوا صدوكم عن المسجد الحرام من قبل . وهذا لايمنع من الجزاء على الاعتداء بالمثل لأنه نهي عن استئناف الاعتداء على سبيل الانتقام ، فان من يحمله البغض والعداوة على الاعتداء على من يبغضه يكون منتصرا لنفسه لا للحق ، وحينئذ لايراعي المماثلة ولا يقف عند حدود العدل ، ولم أر من نبه على هذا ولا من حرر هذا المبحث ، ولكن أجاز بعضهم ان يكون هذا من توجيه النهي الى المسبب وارادة السبب ، كقوله « لا أرينك ههنا » فالمراد النهي عن البغض والعداوة وجعلها حاكمة على النفس ، حاملة لها على الاعتداء والبغي ، ولا ينفي هذا ان يكون لكل نوع من أنواع الاعتداء كالصد عن المسجد الحرام جزاء خاص يعرف بدليله

لما كان اعتداء قوم على قوم لا يحصل الا بالتعاون قفى على النهي عن الاعتداء

بقوله ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (البر) التوسع في فعل الخير ، قاله الراغب ، وسيأتي تحقيقه (والتقوى) اتقاء كل ما يضر صاحبه في دينه أو دنياه فعلا أو تركا ، (والاثم) فسره الراغب بأنه كالآثام اسم للافعال المبطئة عن الثواب وجمعه آثام ، والآثم متحمل الاثم وفاعله . ثم صار الإثم يطلق على كل ذنب ومعصية . (والعدوان) تجاوز حدود الشرع والعرف في المعاملة والخروج عن العدل فيها . وفي الحديث « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس » رواه مسلم واصحاب السنن عن النواس بن سمعان (رض) وروى احمد والدارمي وحسنه النووي في الار بعين عن وابصة بن معبد الجهني (رض) انه قال اتيت رسول الله (ص) فقال « جئت تسأل عن البر » وفي رواية « جئت تسأل عن البر والاثم » قلت نعم - وكان قد جاء لأجل ذلك فأخبره النبي (ص) بما في نفسه واجابه عنه - فقال « استفت قلبك البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر ، وان افتاك الناس وأفتوك » وليس هذا تفسيرا للبر والإثم بالمعنى الشرعي ولا اللغوي وانما هو بيان لما يطلبه السائل من الفرقان بين ما يشتبه من البر والاثم فيشك الانسان هل هو منهما أم لا ، فأحاله (ص) في ذلك على ضميره ووجدانه وأرشده الى الاخذ بالاحتياط الذي تسكن اليه النفس ، و يطمئن به القلب ، وان خالف فتوى المفتين الذين يراعون الظواهر دون دقائق الاحتياط الخفية . وكان (ص) يجيب كل سائل بحسب حالته

كان الصحابة وسائر العرب يفهمون معنى البر وانما كان القرآن والنبي (ص) يبينان لهم خصال البر وأعماله وآياته ، وما قد يغلطون في عده منه ، ولذلك قال الله تعالى (٢ : ١٨٩ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى) وكانوا في الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها اذا كانوا محرمين بالحج و يعدون هذا من النسك والبر . وقال تعالى (٢ : ١٧٥ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء

والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فهذا بيان لأهم أركان البر في الدين من الايمان والعبادات البدنية والمالية والاخلاق . وقال تعالى (وتناجوا بالبر والتقوى)

فمجموع ما ورد في البر مصداق لما فسره به الراغب من أنه التوسع في فعل الخير اذا أريد به مايشمل الافعال النفسية والاخلاق الحسنة باعتبار ماينشأ عنها من الافعال . وقد قال انه مشتق من البر بالفتح - الذي هو مقابل البحر - بتصور سعته. والا قلنا ان البر اسم لمجموع ما يتقرب به الى الله تعالى من الايمان والاخلاق والآداب والاعمال ،وكل واحد منها يعد خصلة أو شعبة من البر

أما الامر بالتعاون على البر والتقوى فهو من اركان الهداية الاجتماعية في القرآن لأنه يوجب على الناس ايجابا دينيا أن يعين بعضهم بعضا على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفرادا وأقواما في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم ، فجمع بذلك بين التحلية والتخلية ولكنه قدم التحلية بالبر وأكد هذا الامر بالنهي عن ضده وهو التعاون عن الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير وعن العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض

كان المسلمون في الصدر الاول جماعة واحدة يتعاونون على البر والتقوى عن غير ارتباط بعهد ونظام بشري كما هو شأن الجميات اليوم فان عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره وقد شهد الله تعالى لهم بقوله(٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولما انتثر بأيدي الخلف ذلك العقد ، ونكث ذلك العهد ، صرنا محتاجين الى تأليف جمعيات خاصة بنظام خاص لأجل ان جمع طوائف من المسلمين وحملهم على إقامة هذا الواجب (التعاون على البر والتقوى) في أي ركن من أركانه أو عمل من أعماله ، وقلما ترى أحدا في هذا العصر ، يعينك على عمل من البر ، مالم يكن مرتبطا معك في جمعية ألفت لعمل معين، بل لا يفي لك بهذا كل من يعاهدك على الوفاء، فهل ترجو ان يعينك على غير ماعاهدك عليه ؟ فالذي يظهر ان تأليف الجمعيات في هذا العصر مما يتوقف عليه

امتثال هذا الامر وإقامة هذا الواجب ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب كما قال العلماء ، فلا بد لنا من تأليف الجمعيات الدينية والخيرية والعلمية ، إذا كنا نريد ان نحيا حياة عزيزة ، فعلى أهل الغيرة والنجدة من المسلمين أن يعنوا بهذا كل العناية ، وان رأوا كتب التفسير لم تعن بتفسير هذه الآية، ولم تبين لهم أنها داعية لهم الى أقوم الطرق وأقصدها لاصلاح شأنهم في أمر دينهم ودنياهم . اللهم انك تعلم اننا عنينا بتأليف جماعة يراد بها اقامة جميع ما تحب من البر والتقوى ، واصلاح أمر المسلمين في الدين والدنيا ، (وهي جماعة الدعوة والارشاد) اللهم أيد من أيدها ، وأعن المتعاونين على أعمالها ، واخذل من ثبط عنها ، انك العزيز القادر ، القوي القاهر ، العليم بما في السرائر ،

﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ أي اتقوا الله ايها المؤمنون بالسير على سننه التي بينها لكم في كتابه وفي نظام خلقه ، لئلا تستحقوا عقابه الذي يصيب من أعرض عن هدايته ، ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه باتباع شرعه ، ومراعاة سننه في خلقه ، لا هوادة ولا محاباة في عقابه ، لأنه لم يأمر بشيء الا وفعله نافع وتركه ضار ، ولم ينه عن شيء الا وفعله ضار وتركه نافع ، وفي معنى المأمور به كل ما رغب فيه ، وفي معنى المنهي عنه كل ما رغب عنه ، فلهذا كان ترك هدايته مفضيا بطبعه الى الحرمان من المنافع والوقوع في المضار التي منها فساد الفطرة وعمى البصيرة ، وذلك إبسال للنفس يظهر أثره في الدنيا ، وسوء عاقبته في الآخرة . وكذلك عدم مراعاة سنن الله تعالى في خلق الانسان وسجاياه وتأثير عقائده وأخلاقه في أعماله ، وسننه في ارتقاء الانسان في أفراده وشعوبه ، كل ذلك يوقع الانسان في الغواية ، وينتهي به الى شر عاقبة وغاية ، وانما يظلم الانسان نفسه ولا عتب له الا عليها ، والعقاب هنا يشمل عقاب الدنيا والآخرة كما أشرنا اليه ، وقد ورد في بعض الآيات التصريح بالجمع بينهما ، وفي بعضها التصريح باحدهما ، كقوله في عذاب الامم في الدنيا (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذه أليم شديد) . ووضع اسم الجلالة المظهر في قوله « ان الله شديد العقاب » والمقام مقام الاضمار لما لذكر الاسم الكريم من الروعة والتأثير ، وذلك أدعى الى حصول المقصود من الوعظ والتذكير .

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(أسئلة من صاحب الامضاء في دربند (بوسنه وهرسك)

الى جناب الاستاذ الاكبر ، والمصلح الغيور الافخم ، الامام العلامة الاجل ، والهمام الفهامة الاكمل ، حكيم الاسلام ، وفيلسوف الانام ، قدوة العلماء الاعلام ، سيد المحققين وسند المدققين ، مقتدى الامة ، وعمدة أهل السنة ، ناصر السنة وقامع البدعة ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، البحر النحرير ، والعلم الشهير ، صاحب المنار المنير ، السيد الشريف السيد محمد رشيد رضا . حفظه الله عز وجل وحياه وشكر سعيه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(س ١١) ماقولكم في رجل مسافر يريد اقامة مدة أربعة أيام في بلد فأكثر على اختلاف الأئمة هل يسوغ له أن يؤمّ المقيمين في الرباعية من غير قصر وهل يعد مقيما أم لا ؟

(س ١٢) ماقولكم في قوم مسافرين في البحر أو سكة الحديد هل يتوجهون عند اقامة الصلاة جماعة أو أفراداً حيث يتوجه المركب ويسير من غير تحر للقبلة ولا اعتناء بها أم يتحرون القبلة ويتوجهون اليها من غير استدارة في الصلاة واعتناء بحفظها عند تحول المركب عنها أم يفعلون غير ذلك ؟

(س ١٣) ماقولكم في رجل يبدأ في الصلاة بأم الكتاب غير انه يأتي بالاستعاذة والبسملة بعد التكبير ولا يقرأ شيئاً سوى ذلك لانحو « سبحانك اللهم » الخ ولانحو « وجهت وجهي الخ » . واذا سئل عن سبب ذلك أجاب : قراءة « سبحانك » لم يرد فيه حديث صحيح مرفوع يصلح للاحتجاج به ، وقراءة « وجهت » لم يرو الا في النوافل بل الذي صحّ قراءته عنه عليه الصلاة والسلام في الفرائض هو قوله « اللهم باعد » الخ مع انه لم يأخذ بما ورد في هذا أحد من الأئمة .

وعلى كل حال فأم الكتاب أحوى وأشمل للثناء والتحميد والتمجيد من غيرها فهو إذاً مستغن عنه وأحب اليه من جميع ماسواه ، هل يكون فعله مخالفاً للسنة أم لا؟

(س١٤) ما قولكم في رجل لا يأتي بآمين في شيء من الصلاة الا في حال الاقتداء واذا سئل عن ذلك أجاب : لم يرد فيه حديث صحيح صريح يقتضي ذلك الا في هذه الحال وهو قوله عليه الصلاة والسلام « اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين » ومع ذلك فاني عند الاتيان به في غير حال الاقتداء أخاف الالتباس بالقرآن والزيادة عليه بما ليس منه فحينئذ لا أحب الاتيان به الا في ذلك الحال. هل يكون تاركا للسنة أم لا؟

(س١٥) ماقولكم فيما نقل عن الطحاوي من أن من توضأ ولبس الخفين على طهارة كاملة فسبقه الحدث قبل أن يمسح عليهما لايجوز له المسح عليهما أبداً ، هل هو صواب وموافق لاصول الشريعة أم لا ؟

(س١٦) ماقولكم فيما قاله من قال من العلماء - أظنه صاحب تاج العروس - من أن الامام أبا حنيفة أعظم اعتناء في الحديث واشتراط شروطه من الشيخين الامام البخاري والامام مسلم مع قلة اشتهار أبي حنيفة برواية الحديث فضلاً عن الاعتناء به وبوضع شروطه . هل قوله صواب أم لا ؟

فأرجو من أمواج علومكم الجواب الشافي عن هذه الاسئلة مع الادلة الشرعية والبراهين الواضحة حتى يبين الحق ويظهر اليقين. ولكم الشكر الجميل والحمد الجليل على ممر الدهور والاوان

أحد قراء المنار المنير

ع.ظ.م.ر.ر.ت.ر.ب.ر

﴿ اجوبة المنار عن هذه الاسئلة بالترتيب ﴾

« صلاة المسافر ينوي أن يقيم أربعة أيام فأكثر »

ان السائل الفاضل يعرف خلاف العلماء في هذه المسألة وانما يسألنا عن الراجح المختار عندنا فيها ، فنحن نصرح له به تصريحا ، مع بيان اننا لانجيز لأحد ان يقلدنا فيه تقليدا ، وهو أن المسافر الذي يمكث في بلد أربعة أيام أو أكثر وهو ينوي أن يسافر بعد ذلك منها لا يعد مقيما منتفيا عنه وصف السفر لا لغة ولا عرفا ، وانما يعد مقيما من نوى قطع السفر ، واتخاذ سكن له في ذلك البلد ، وان لم يتم له فيه الا يوم أو بعض يوم. اننا نرى المسافر يخرج من بلده وقد قدر لسفره تقديرا منه انه يقيم في بلد كذا ثلاثة أيام وفي بلد كذا عشرة أيام وفي بلد كذا عشرين يوما الخ وهو اذا سئل

في أي بلد أو سئل عنه هل هو من المسافرين السائحين ? أم من المقيمين الوطنيين أو المستوطنين ? لم يكن الجواب الا انه من المسافرين السائحين . فالمكث الموقت لايسمى اقامة الا بقيد التوقيت ، بحيث لو سئل صاحبه هل انت مقيم في هذا البلد ? يقول لا وانما انا مسافر بعد كذا يوما ، أو امكث أياما معدودة ثم أسافر الى بلد كذا أو أعود الى بلدي ، وقد يعبر عن هذا المكث بلفظ الاقامة وذلك لاينافي انه مسافر ، ولا فرق في التوقيت بين اليوم الواحد والايام ، بل يصح أن يقول المسافر انني أقيم في هذا البلد ساعة أو ساعتين أو ساعات ولا تخرجه هذه التسمية عن كونه مسافرا ، ولذلك ترى الشافعية الذين يشترطون في الجمعة ان تقام بأربعين فأكثر مقيمين في البلد لا يعدون من المقيمين فيه من ينوي المكث فيه أربعة أيام أو ثمانية عشر يوماً أو اكثر ثم يسافر ، بل يعدونه مسافراً لايحسب من الاربعين . ولكنهم يناقضون أنفسهم ويعدونه مقيما بالنسبة الى صلاة المسافر . واني لم أعجب لغلط أحد في هذه المسألة كما عجبت لغلط الشوكاني فيها اذ قال انه يعلم بالضرورة ان المقيم المتردد غير مسافر حال الاقامة فاطلاق اسم المسافر عليه مجاز باعتبار ما كان عليه أو ماسيكون عليه اه وانما المعلوم بالضرورة ماذكرناه آنفاً من عرف الناس قديما وحديثاً ، وهذا المجاز الذي ذكره انما يصح فيمن كان مسافراً وعاد الى بلده فقال الناس المسلمون عليه كنا نسلم على فلان المسافر أو هيابنا نزور فلانا المسافر . فهذا هو المجاز باعتبار ما كان عليه ، وأما المجاز الآخر فمثاله قول من تجهز لسفر من بلده وعزم عليه وقد طلب منه ان يعمل عملا لايعمله الا المقيم « انني مسافر فلا استطيع ان أبدأ بهذا العمل » ولم يقل أحد ان السفر عبارة عن الحركة والانتقال بين البلاد ، وقد أقام النبي (ص) في مكة عام حجة الوداع عشرا وهو يقصر رواه الشيخان وغيرهما ، واقام فيها عام الفتح تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ويأمر أهلها بالاتمام ويقول « يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » رواه مالك في الموطأ ، واقام بتبوك عشرين يومايقصر أيضا ، رواه احمد وابو داود فكان غير مسافر حقيقة على رأي الشوكاني بل مجازاً ، واذاً يثبت القصر في السفر المجازي فلم لم يقل به ? وليراجع السائل تتمة هذا البحث في تفسيرنا لقوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) الآية ، فانا حررناه هناك تحريرا ، ومنه يعلم ان صلاة السفر ركعتين ركعتين الا المغرب عزيمة لا رخصة ، خلافا لعائشة ان صح عنها الاتمام والتأول بأنها تطيقه ، وجزم بعضهم بعدم صحته لمخالفته عمل النبي (ص) المطرد في القصر ولروايتها ، فهي قد روت ان الصلاة شرعت ركعتين ركعتين

ثم زيد في صلاة الحضر كما مر مفصلا ، ولولا أن جعل الرباعية في السفر ثنائية عزيمة لكان الخطب فيما سأل عنه السائل سهلا ، فملخص السؤال هل يتم المسافر الذي ينوي الاقامة أربعة أيام اذا أمّ المقيمين ؟ وملخص الجواب انه لا يتم في هذه الحالة كما لا يتم في غيرها على المختار من كون القصر عزيمة والا فهو مخير ، والله أعلم

﴿ استقبال المصلي في المراكب والقطارات الحديدية ﴾

استقبال القبلة في الصلاة فرض وشرط لصحتها يسقط بتعذره « والميسور لا يسقط بالمعسور » فعلى المسافر في البر أو البحر ان يتحرى القبلة ويستقبلها اذا أمكن وهذا متيسر في سفن البحر الكبيرة المعدة للسفر في هذا العصر وقلما تحول السفينة تحولا سريعاً يحرف به المصلي عن القبلة في أثناء الصلاة بل هذا شيء كأنه لا يحصل ، فاذا فرضنا انها تحولت وعلم بتحولها يتحول هو الى القبلة أيضاً . وأما القطارات الحديدية فلا يتيسر فيها استقبال القبلة كما يتيسر في البواخر والسفن الشراعية الكبيرة فالاولى للمسافر فيها ان ينتظر وقوفها ويصلي صلاته تامة ولو بالجمع بين الصلاتين فان خاف ان تفوته صلاة تحرى القبلة وصلى كيفما تيسر له كما يصلي في السفينة الصغيرة قائماً أو قاعدا مستقبلا يتحول بتحولها ويستدير باستدارتها اذا أمكن والا بقي على حاله، والصلاة في السفينة معروفة في الفقه وهي محل الاجماع

﴿ الاستفتاح في الصلاة بين التكبير والقراءة ﴾

حديث الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » لا يصح كما قال الرجل . وأما قوله : إن حديث « وجهت وجهي » لم يرو الا في النوافل دون الفرائض فغير صحيح فان حديث علي كرم الله وجهه فيه - وان قيده مسلم بصلاة الليل- قد قيده الشافعي في سننه وابن حبان في صحيحه بالصلاة المكتوبة ، ولا منافاة بين القيدين فانه كان يستفتح بذلك في المكتوبة وفي صلاة الليل . وأما حديث « اللهم باعد بين خطاياي » الخ فلا يمنع العمل به عدم أخذ أحد من الائمة به ان صح هذا ، وعدم العلم بأخذهم به لا يقتضي عدمه ولم يؤثر عن أحد منهم الطعن فيه -فذلك الرجل الذي يبدأ بعد تكبيرة الاحرام بالاستعاذة والبسملة وأم الكتاب يعد مخالفا للسنة فيما ثبت وصح عن النبي (ص) عنده ثم رغب عن العمل به لأنه لم يعرف عن أحد من الائمة انه أخذ به ، كحديث « اللهم باعد » وكذا حديث علي اذا علم به ولم يكن له مطعن في تقييد مثل الشافعي وابن حبان إياه

بالصلاة المكتوبة ، فينبغي له ان يأتي بما صح ونواظب عليه

﴿ التأمين بعد الفاتحة في الجماعة وغيرها ﴾

ثبتت مشروعية تأمين الامام والمأمومين بأحاديث متفق على صحتها . وروى ابو داود وابن ماجه والدارقطني وقال اسناده حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما والبيهقي وقال صحيح عن أبي هريرة قال : كان رسول (ص) اذا تلا «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال «آمين» حتى يسمع من يليه في الصف الاول ، وروى مثله احمد وابو داود والترمذي وحسنه والدارقطني وصححه وابن حبان من حديث وائل ابن حجر ، قال الحافظ ابن حجر وسنده صحيح وخطأ ابن القطان في إعلاله ، وقد ورد من طرق ينتفي بها اعلاله وقال ابن سيد الناس ينبغي ان يكون صحيحا . فيدل هذا وما قبله على مشروعية التأمين مطلقا فلا حاجة الى نص في تأمين الذي يصلي منفردا - لهذا نرى ان اجتهاد من يترك التأمين في غير حالة الاقتداء خطأ

﴿ المسح على الخفين بعد الحدث واشتراط الطهارة قبل لبسهما ﴾

الاصل في اشتراط طهارة الرجلين قبل لبس الخفين لجواز المسح عليهما حديث المغيرة بن شعبة المتفق عليه وما في معناه ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في مسير له فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه وغسل ذراعيه ومسح برأسه ، ثم أهويت لأنزع خفيه فقال « دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما اه وورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في الصحيحين وغيرهما وكان ما ذكر فيه في وقعة تبوك وهي بعد نزول سورة المائدة التي فيها آية الوضوء . واختلف فقهاء الامصار من سلف الامة في المراد بطهارة القدمين فذهب الجمهور الى انها الطهارة الشرعية وذهب بعضهم الى انها الطهارة الحسية التي تستفاد من اطلاق اللغة أي ادخلهما نظيفتين ليس عليهما خبث ، وهذا مذهب الامام داود . وفي حديث عمرو بن امية الضمري عند أحمد والبخاري وغيرهما وحديث بلال عند احمد ومسلم واصحاب السنن ماعدا ابا داود ، وحديث المغيرة عند مسلم والترمذي ان النبي (ص) مسح على العمامة (وفي بعض الروايات الخمار) والخفين ، وروي العمل بحديث المسح على العمامة عن جماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الامصار كالأوزاعي واحمد واسحق وابي ثور وداود . ولم يرو اشتراط وضع العمامة أو الخمار على طهارة الا عن أبي ثور ، وهذا يرجح قول داود بن علي في طهارة القدمين لأن من شأنهما ان يصيبهما الخبث . وهذا المسح لا

ينافي حكمة الوضوء وهي تمهد أطراف البدن بالنظافة لكثرة طروء الوسخ عليها وما في غسلها من التنشيط على العبادة مع سهولة ذلك وعدم الحرج والمشقة فيه الا في نزع العمامة والخفين ، (واعني العمامة التي كانوا يتعممون بها في عهد التشريع فقد كانت تدار على الرأس مباشرة في الغالب ويحتنك بها فتشبه الخمار ولهذا ورد المسح بلفظ العمامة وبلفظ الخمار) وازالة مثل هذه العمامة لمسح الرأس واعادتها لايخلو من مشقة كنزع الخفين وغسل الرجلين ، فلما كان الامر كذلك وكان الله عز وجل يقول في آية الوضوء « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » - والمراد بالطهارة النظافة - وكانت الطهارة المطلوبة تحصل بغسل الاعضاء المكشوفة والمسح على ساتر العضوين اللذين من شأنهما المسح في ظاهر الآية - لما كان ذلك كذلك علمنا ان مسح النبي (ص) على العمامة والخمار والخفين بيان عملي لقوله تعالى « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وليس عندنا نص نقيد به المسح بما اشترطه الطحاوي فظهر ان قول الطحاوي بوجوب الوضوء والمسح عليهما قبل ان يحدث بعد لبسهما على طهارة لا يقتضيه نص الاحاديث الواردة في مشروعية المسح ولا حكمة الوضوء والمسح ولذلك كان الجمهور على خلافه

﴿ تفضيل الامام أبي حنيفة بالاعتناء بالحديث وشروطه على الشيخين ﴾

لاينبغي ابداء الرأي في عبارة من فضل أبا حنيفة في الحديث على الشيخين (رحمهم الله اجمعين) الا بعد الاطلاع عليها، وما نقله السائل عنه أراه غير صواب ، ولا أحب الخوض في هذه المسألة لأني لا أرى له فائدة بل ربما كان ضارا لأن الناس يتبعون الهوى في الكلام على الأئمة المتبوعين ولا يقبلون الا ما وافق اهواءهم، وليس لأبي حنيفة كتب في الحديث كالصحيحين حتى تكون فائدة التفاضل الاعتماد على كتبه وما اعتمده في اسانيدها وترجيحها على الصحيحين أو ترجيح الصحيحين عليها عند الاحتجاج . والمحدثون الذين تكلموا في الامام ابي حنيفة قد اعترف جمهورهم بأنه سمع الحديث من عدة رجال وسمع منه تلاميذه ولكنهم لم يعدوه من رجال الجرح والتعديل الذين يعتمد على كلامهم في نقد الحديث كالشيخين ومن قبلهما ومن بعدهما فلا تكاد ترى اسمه في كتب هذا العلم. وما يعزى اليه من الحديث كاستدلاله به في كتب الفقه مثلا يحكم المحدثون فيه رواية الحفاظ ويرجعون اليه في كتبهم كالصحاح

والمسانيد والسنن والمعاجم ويعتمدون على أسانيدها وعلى كلام أئمة الجرح والتعديل في رجالها كابن القطان واحمد بن حنبل ويحيى بن معين والشيخين واصحاب السنن الاربع ، ويعتمدون فيما اختلف فيه منها على تحقيق حفاظ القرون الوسطى كالذهبي وابن حجر ، ولا يعدون استدلال الامام وأصحابه بحديث كافياً في الحكم بصحته وان صرحوا بأنه صحيح بل نراهم يحكمون بضعف كثير من الاحاديث التي استدل بها الحنفية على قول الامام وأصحابه بل جزموا بأن كتبهم فيها أحاديث موضوعة . ولو كان لأبي حنيفة كتب في الجرح أو التعديل أو رويت عنه أقوال في ذلك لأحلها هؤلاء محلها من الاعتبار لانهم ترجموه بالورع والتقوى . وصرح بعض المتأخرين بأنه لايخل بمقامه تضعيف بعض الحفاظ له من جهة حفظه كالنسائي وابن عدي . وجملة القول انأبا حنيفة يعد عندهم من أئمة الفقه لا من رجال نقد الحديث فلا وجه للمفاضلة بينه وبين الشيخين في الحديث ، ونسأل الله ان ينفعنا بعلوم الجميع ويحفظنا من العصبية الجاهلية لاحد منهم

﴿ محاورة بين عالم سياسي وتاجر ذكي ﴾

(في المركزية واللامركزية)

التقى أحد التجار الاذكياء بصديق له من أهل العلم والوقوف على السياسة وأحوال الزمان - وكلاهما من العثمانيين - ودار بينهما الحديث الآتي

التاجر - نرى الجرائد قد شغلت الناس بكلمتين ما كنا نسمعهما قبل هذا العهد، وهما كلمة المركزية وكلمة اللامركزية ، ونرى الناس قد اختلفوا فيهما اختلافاً كبيراً فنهم من يقول سعادة الامة وحياة الدولة لايسلمان الا بالمركزية ، ومنهم من يقول بالعكس . ولما كنت واثقاً بمعرفتك وصدقك أيها الاستاذ وباخلاصك للدولة عولت عليك في كشف الحقيقة فأسألك أولا ماهي المركزية واللامركزية ؟

الاستاذ - المركزية عبارة عن كون رجال الحكومة العليا في عاصمة المملكة يتولون بأنفسهم أمر سياستها الخارجية وادارتها الداخلية، فيكون بيدهم الحل والعقد، والدخل والخرج ، والنصب والعزل ، وعدم المركزية عبارة عن جعل الادارة الداخلية لكل ولاية أو قطر من المملكة الواحدة في أيدي أهل تلك الولاية، وتكون رابطتهم بمركز الحكومة العام في الامور العامة كلها كالسياسة الخارجية والحربية ومصلحتي البريد والبرق ،

التاجر ـ هل الممالك الاوربية والامريكية من نوع المركزية أم من نوع اللامركزية

الاستاذ ـ بعضها من هذا النوع وبعضها من النوع الآخر فجمهورية فرنسة مركزية وجمهوريتا سويسرة والولايات المتحدة لامركزية وكذلك أمبراطوريتا ألمانية والنمسة

التاجر ـ ماهو سبب الاختلاف في نوع ادارة هذه الممالك مع كونها كلها مرتقية في العلم والقوة والسياسة

الاستاذ ـ أما فرنسة فترى ان الادارة المركزية تناسبها لان مملكتها كدار واحدة تسكنها أسرة واحدة . فهي ضيقة المساحة ومتصلة الارجاء كلها بالسكك الحديدية وأهلها من جنس واحد ودين واحد وينطقون بلغة واحدة . وبقية الممالك المرتقية ليس لها كل هذه الصفات فكان الاصلح لها والادعى الى عمرانها ورضاء أهلها واتحادهم وارتباط بعضهم ببعض أن تكون حكومتها من نوع اللامركزية

التاجر ـ ماهو الاصلح لدولتنا العلية ؟ المركزية أم اللامركزية ؟

الاستاذ ـ ان اللامركزية أصلح لها، بل لا صلاح لها بغيرها ، لاسباب كثيرة اذا أمكن الجدال والمراء في بعضها ، فلا يمكن في سائرها ، الا لمن أراد أن يسمي الضلالة هداية والباطل حقاً .

التاجر ـ تكرم عليّ ببيان هذه الاسباب أو المهم منها

الاستاذ ـ ان هذه الاسباب قسمان قسم منها لبيان كون اللامركزية أسهل طرق العمران وأقوى وسائل الترقي ، والقسم الآخر لبيان كونها ضرورية للدولة لا يمكن عمرانها ولا حفظها بدونه ، وبحثنا الآن في الاول يعد من ترك الضروري للاشتغال بالكمالي . فيجب أن نبحث أولا عما يقي بلادنا من الخراب والدمار المشرفة عليهما لا اننا في عمران نبحث عما هو أكمل منه ، فالولايات المتحدة الامريكية كانت باللامركزية في مقدمة ممالك الارض عمراناً،ولو اختارت لنفسها الحكومة المركزية لامكنها بها أيضاً أن تكون عامرة لانها على سعتها متصلة الارجاء بالسكك الحديدية ولها لغة واحدة وتربى اهلها تربية واحدة أو متشابهة،فأين نحن منها ومن التشبه بها ؟

أما الاسباب التي تجعل اللامركزية ضرورية للمملكة العثمانية فأهمها ما يأتي

(١) ان هذه المملكة واسعة المساحة بعيدة الارجاء ، نائية الانحاء ، حتى ان مساحة آسية الصغرى والبلاد العربية تضاهي بسعتها ممالك الهند التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة مليون ، وهي على سعتها ليس فيها سكك حديدية تربط ولاياتها

بالعاصمة التي صارت في الطرف منها ولا بعضها ببعض ، فتوقف أمورها الادارية والقضائية وغيرها على أمر المركز ونهيه مفسد لها لبطئه ولاسباب اخرى تعلم مما يأتي، فقد تحدث الحادثة المهمة كالثورة الاهلية او الخروج على الحكومة في بعض البلاد فلا يستطيع المركز العام ان يبدأ بتدارك ذلك الا بعد عدة أشهر ولا أن ينتهي منه الا بعد سنين ، فأي فساد أشد من جعل أمور الامن والعدل والتعليم والعمران مقيدة بهذا المركز السحيق

(٢) ان أهل هذه المملكة مختلفو اللغات ، وأكثرهم لايعرف لغة أهل المركز العام ولا أهله يعرفون لغاتهم، وكذا سائر الشعب التركي الحريص على الاستئثار بجميع انواع السلطة والحكم وادارة جميع المصالح في جميع هذه البلاد ، فاقامة العدل الذي هو الشرط الأول للعمران متعذر من حكام لايعرفون لغة الذين يحكمون بينهم، وكذلك سائر المصالح لأنها تتوقف على فهم كل فريق من الآخر ، ودع عصبية الاجناس التي اثارها الاتحاديون فيهم

(٣) ان أهل هذه المملكة مختلفون في الاديان والمذاهب والعادات والاخلاق اختلافا كبيرا بحيث ان أكثر مسلمي العرب كأهل الحجاز واليمن ونجد لا يقبلون ان يحكم بينهم بالقوانين التي يرضى بها مسلمو الترك ، بل يعدون الحكم بها كفرا يجب قتال الحكومة التي تقرره عند القدرة على ذلك ، فاذاً لايستقيم الامر بجعل الادارة والقضاء والتعليم في كل بلاد موافقا لحالها ، وهذا هو اساس اللامركزية

(٤) ان المتخرجين في مدارس عاصمة دولتنا الرسمية الذين هم أصحاب التقدم في وظائفها الشرعية والادارية والقضائية (العدلية) لايكاد يوجد فيهم أحد يعرف تاريخ جميع شعوب الدولة وأحوالهم الروحية والاجتماعية فتوسيد الأمر اليهم مدعاة الخلل في الادارة والظلم في القضاء . زد على هذا أن أكثرهم لايعرف من لغات هذه الشعوب الا لغة شعب واحد وهي التركية كما قلنا في بيان السبب الثاني

(٥) ان أكثر المتخرجين في هذه المدارس الرسمية متفرنجون حتى انه يقل فيمن ينتسبون الى الاسلام منهم من يؤدي الفرائض ويجتنب كبائر المعاصي. وأمثال هؤلاء لايصلحون لتولي الاحكام بين من يمقتون التفرنج والفسق وان كان من المعاصي الشخصية كشرب الخمر ، فكيف اذا اقترن كما هو الغالب بالمعاصي التي يتعدى ضررها كالرشوة.

(٦) ان مركز دولتنا شر من مركز كل حكومة مركزية في الدنيا فان رجالها لاهم لهم الا جباية المال بالحق وبالباطل والتمتع به وعدم وضعه في مواضعه فأموال

الاوقاف والطرق ومخصصات المعارف للولايات لاتصرف في مصارفها بل يجرف أكثرها الى المركز العام (الاستانة) وهناك يذوب ويضمحل والبلاد كلها خراب حتى الآستانة، فلو كانت المركزية تصلح لهذه المملكة لكان ما علمنا من حال القائمين بها كافيا وحده لتركها وجعل اللامركزية بدلها

وانني اعلم علم اليقين، ان الناس ماصبروا على امثال هؤلاء الحكام في مثل بلادنا الا كارهين مكرهين، وها نحن أولاء نرى أهل بلادنا السورية وهم أحسن البلاد العثمانية عمرانا بنشاطهم قد يئسوا منها فهم يهاجرون منها أفواجا، فاذا استمرت هذه الهجرة بضع سنين تصبح البلاد خرابا يبابا، وانت تعلم ان البلاد التي يهاجرون اليها ليست أشد قابلية للعمران من بلادهم، ولكن العمران محال في ظل حكومة مركزية بينها و بين أهل البلاد من الفروق ما أشرنا اليه .

فهذه أهم الاسباب التي تعرف بها ان هذه المملكة لا يصلح أمرها الا باللامركزية الادارية الواسعة أو الاستقلال الاداري التام، والا فهي سائرة الى الخراب أو صائرة الى الزوال، أعني استيلاء الاجانب عليها بالفتح السلمي أو الحربي

التاجر - يالله العجب انني سمعت بعض المعترضين على طلاب اللامركزية يقولون إن حسنها من جهة العمران لاينكر الا انها تكون وسيلة الى استيلاء الاجانب علي كل ولاية تدار باللامركزية لانها تنفصل من مركز السلطنة فتكون ضعيفة لاتقدر على حفظ نفسها كما وقع في تونس ومصر

الاستاذ - يمكنني ان أكتفي من معارضة هذا القول بالسؤال عن ولاية طرابلس الغرب وولايات الدولة الأوربية التي انقدت منها أولا فتألفت منها عدة ممالك، والولايات التي انفصلت منها في هذا العام أو هذه الأيام بقوة تلك الولايات التي صارت ممالك قوية بعد استقلالها، هل كانت هذه الولايات الزائلة وامثالها مما أخذته روسية والنمسة تدار على قطب اللامركزية، أم كانت - ماعدا طرابلس - أشد الولايات اتصالا بالمركز ومعهدا ومقرا لكل مافيه من القوة؟ فاذا كانت الحكومة المركزية الشديدة لم تمنع أقرب الولايات الى المركز العام وأشدها اتصالا به من استيلاء اضعف الاجانب عليها، فكيف تقدر أن تمنع الولايات البعيدة عن المركز كالعراق وسورية ان تستولي عليها الدول الكبرى كانكلترة وفرنسة ؟؟

كان يمكنني ان اكتفي بهذا ولكنني أفرض ان الدولة اعزها الله وأصلحها يمكنها ان تحمي سورية من فرنسة والعراق من انكلترة بأساطيلها وجيوشها البرية التي تتدفق

من المركز العام في طرف المملكة الاقصى - افرض هذا فأقول ما الذي يمنعها من هذه الحماية اذا كانت ادارة البلاد بأيدي أهلها وهم عثمانيون تابعون لها على كل حال، وما يطلبونه من اللامركزية الادارية لايخرج قوة البلاد العسكرية من سلطة المركز العام، ولا يبيح للولايات أن تعقد مع الاجانب معاهدات سياسية، ولا أن تعطيهم شيئا من الامتيازات التي تنافي مصلحة المركز السياسية أو الحربية، ؟ كما كانت عليه تونس ومصر بالفعل قبل حماية فرنسة للأولى واحتلال انكلترة للثانية، على ان حكومة الاستانة المركزية لو كانت ذات قوة حربية وسياسية لما حل بهذين القطرين ما حل بهما، فهذه انكلترة لم تحتل مصر الا بعد ان طالبت حكومة الباب العالي بارسال جيش عثماني لقمع الثورة العرابية فلم تفعل بل اذنت لها بأن ترسل الجيش الانكليزي للقيام بذلك واصدرت ارادة سلطانية بناء على طلب انكلترة بعصيان عرابي ومن معه للخليفة أو لدولة الخلافة بقيامهم على الخديو وقتالهم لانكلترة !!

فلو ان طلاب اللامركزية طلبوا الاستقلال الاداري والسياسي والعسكري لكان اعتراض أولئك المعترضين موضع النظر والبحث، ولكنهم لم يطلبوا ذلك كله وانما طلبوا القسم الاداري منه المتعلق بالمصالح الداخلية المحضة كالادارة والقضاء والتعليم والزراعة والصناعة، ولا يقصد من هذا الا عمران الولايات وترقي أهلها بحيث تكون كل ولاية عضوا قويا في بنية الدولة

التاجر — ان للمعترضين اعتراضاً أقوى من الاعتراض الاول، وهو أن أهل الولايات يغلب عليهم الجهل وفساد الاخلاق والعجز عن القيام بأعمال الحكومة لانهم لم يتمرنوا عليها وانما المتمرن على ذلك والمستعد له هم اخواننا الترك. وقد سمعت قولك في ضعف الترك وجهلهم فما قولك في غيرهم من العثمانيين ونسبتهم اليهم ؟

الاستاذ — انني لاأجهل ما عليه أهل بلادنا العربية من الجهل وضعف الاخلاق ولا أنكر ذلك وانا أعلمه وأعلم ان سببه الاكبر ما كان من سوء ادارة حكومتهم المركزية واستبداد رجالها وظلمهم، ولكنني أقول ان إخوانهم الترك ليسوا خيراً منهم في شيء قط، لانهم ليسوا أزكى فطرة ولا أذكى قريحة ولا أفضل وراثة لسلف صالح، ولا كان الاستبداد الذي يفسد البشر أخف وطأة عليهم، بل ربما كان أشد، لان نفوذ الحكومة الاستبدادية كان عاماً فيهم شاملا لهم، ولم يعم البلاد العربية كلها، فلا يزال فيها ملايين عجز الظلم عن التسلق اليهم، وتضاءل الاستبداد ان ينال منهم، ومن دونهم ملايين آخرون (أهل اليمن) وقفوا في وجوه جيشه

وقفة القرن للقرن ، وكانت الحرب بينهما سجالا مدة أربعة قرون ، ثم ان تاريخ سريانه فيها قريب ، وهو في الولايات التركية اصيل وقديم ،

نعم ان العاصمة البزنطية التي كانت تكتفي في الاجيال الحالية بأن يكون لها في كل قطر رجل أو رجلان لتمثيل قوتها وعظمتها، وجباية المال لها ، قد وسعت نفوذها في عهد السلطان عبد المجيد بعض التوسع ولم تستطع ان تبث رجالها في كل مدينة من مدن البلاد الا في عهد نيرونها عبد الحميد خان ، الذي يلعنه أهلها وغيرهم بكل شفة ولسان، فاذا كان عبد الحميد ورجاله وخلفهم من الاتحاديين - وهم شر منهم - هم الذين يفضلهم الجاهلون والمنافقون على سائر أهل المملكة من جميع الشعوب بدعوى انهم تمرنوا على الادارة والاحكام ، فحسبنا في الرد عليهم ان السماء والارض قد استغاثتا من ظلمهم وسوء ادارتهم، وحسبك من الشواهد العيانية ماجرته ادارتهم وسياستهم على المملكة من اضاعة ثلثها الافريقي وثلثها الاوربي، وبعض الثلث الثالث الاسيوي، وجعل الباقي على خطر، وانه لم يوجد أحد منهم له في المملكة أثر ما من آثار العمران ، الا أن يكون مدحت باشا على ضعف فيه ، فاننا لا ننسى له مثل تأسيس شعبة المعارف في سورية وخط الترام بين طرابلس وميناها ، وأمثال ذلك من الاعمال الصغيرة فيها نفسها، التي نستكبرها لانه لم يخرج من الاستانة أحد له عمل عمراني مثلها، فالبزنطيون قوم متمرنون على التخريب ، كما ثبت بالمشاهدة والتجريب ، فهل نجعل هذا دليلا على استعدادهم للتعمير ؟

اذا أردنا ان تنصف التاريخ في وصف الشعوب العثمانية فلا مندوحة لنا عن القول بأن الشعب الارمني هو الآن اكثرها تعلما وتربية مدنية ونشاطاً في الكسب والعمل ، ويليه الشعب السوري ، وانما ينقص عنه في نسبة التعليم والتفرق ، فان تساهلنا وتنازلنا قلنا كلنا في الهوى سوى ، فلماذا تجعل الاحكام والمصالح كلها في أيدي البزنطيين دون غيرهم؟ فان فرضنا أنهم يمتازون بشيء من قشور العلوم والفنون الاوربية التي تقرأ في مدارسهم، فأي حاجة لنا بهذه القشور في بلادنا التي لا تعرف لغتهم لتستفيد شيئا منها ، ان كانت محتاجة اليها ، على ان كثيرا من أبنائنا المتعلمين في تلك العاصمة والمتعلمين في بلادهم وفي مصر وأوربة هم خير منهم، فنستغني بهم عنهم

اننا قد جربنا حكمهم وعرفنا ثمرته فلنجرب استعدادنا أيضاً عسى ان تكون غيرة أهل كل قطر على بلادهم ، أشد من غيرة البزنطيين على ما كان من سلب أموالهم ، فتقع المباراة في وسائل العمران بين الشعوب العثمانية كلها ، ويعتمد كل منهم على ما

آتاه الله من المواهب فتعمر البلاد ويكون بعضها لبعض عونا وظهيرا ،

التاجر ـ أليس طلب العرب الادارة اللامركزية مشعرا بكراهة اخوانهم الترك ونشاقهم؟

الاستاذ ـ أن الاعمال العامة من سياسية وادارية تبني على المصلحة لا على عاطفة الحب او عاطفة البغض ، وان ماجرى عليه حكم عاصمة هذه الدولة باسم الحاكمية التركية كان وما زال ضارا بالترك والعرب وسائر الشعوب التي تغلبت عليها تلك العاصمة الظالمة ، وانما يتلذذ الجاهلون من اخواننا الترك بنسبة الدولة اليهم ، وتكلم رجال الحكومة البزنطية بلغتهم ، بل بلغة تسمى التركية وان كان حظها من التركية الاصلية لا يزيد على حظها من غيرها كثيرا . ولا شك ان نسبة هؤلاء البزنطيين الى الترك اضعف من نسبة لغتهم الى التركية ، فانهم أوشاب من شعوب شتى أكثرهم من الروم الذين انتموا الى الاسلام . وكيفما كانوا وكانت أنسابهم فانهم قد اضاعوا ثلثي ملك بني عثمان وخربوا الثلث الآخر ، ولم يبق في الامكان ان يطول حكم هذه العاصمة المركزي ولا سيما بأمثال هؤلاء الرجال ، فطلب تغييره يعد خدمة لاخواننا الترك قبل غيرهم من الشعوب العثمانية ، والا صار الجميع أكلة للاجانب . ولا يعده كراهة للترك ، الا من يود ان تبقى هذه المملكة عرضة للاستبداد والنهب ، والحق ان اللامركزية هي التي تشد اواخي إخاء العرب والترك ، وعدمها هو الذي يخشى أن يؤدي في أقرب وقت الى شقاق عظيم وفتن خطرة ، وأي عاقل يقول ان تميز أحد الاخوين على الآخر وجعله سيدا له ، وحاكما قاهرا فوقه ، هو الذي تقوم به حقوق الاخوة وتحفظ به رابطتها ؟ لأجل هذا نرى العقلاء المخلصين من الترك موافقين لأمثالهم من العرب على اللامركزية ومنهم صادق بك رئيس الائتلافيين وموجد الدستور واركان حزبه

التاجر ـ هذا هو الحق المعقول وان كان بعض وجهاء بلادنا الذين مردوا على النفاق وبعض طلاب المال والجاه من فضلات الاتحاديين يسفهون أنفسهم ويحقرون شعبهم بتفضيل أولئك الخربين عليهم ، ثم إنهم يقولون ان كل ما يطلب من الاصلاح باسم اللامركزية يمكن ان يحصل بطريقة أخرى يسمونها « توسيع المأذونية » فما رأي الاستاذ في ذلك ؟

الاستاذ ـ ان مايسمونه « توسيع المأذونية » ليس الا توسيعا لنطاق الاستبداد ، فهو شر من عدمه ، لأنه عبارة عن اذن المركز العام للولاة وغيرهم من الحكام الاداريين بأن يتصرفوا في بعض الامور بدون اذن من نظارة الداخلية ، فهو يستلزم قلة المسؤلية والتجرئة على الاستبداد ، ونحن في طور يجب ان تكون المسؤلية فيه شديدة على الحكام لأنهم تربوا على الاستبداد ، والكبر الذي هو غمط الحق واحتقار

الناس ، وذلك مناف لروح الحكومة النيابية التي هي شكل حكومتنا الرسمي الآن ، وعشاق الاستبداد يزهقون هذه الروح بمثل توسيع المأذونية ، لأنه توسيع للسلطة الشخصية ، وكيف يتفق توسيع سلطة الولاة والمتصرفين فمن دونهم في حكومة ضيق قانونها الاساسي سلطة السلطان الذي اثبت له منصب الخلافة والقيادة العامة؟؟ ، وسترى ما يترتب على ذلك من الفساد

التاجر - بقي عندي سؤال واحد وهو انني سمعت بعض الناس يقول ان اللامركزية ضرورية لا بد منها ، ولكن هذا الوقت ليس وقتا لطلبها لاشتغال الدولة بالحرب ، فما رأيك في ذلك ؟

الاستاذ - سمعت مثل هذا الكلام ورأيت ان بعضهم يقوله تزلفا للحكومة الاتحادية ونفاقا لأنه لايجد كلاما يشنع به على طلاب اللامركزية أو الاصلاح على قاعدتها غيره، إما مطلقا واما كلاما مرجو القبول عند العقلاء، ومنهم من يقوله لاشتباه الامر عليه وميله الى قبول كل رأي أو قول في تخطئة من يشغل الدولة عن الحرب ، وشبهة جميع من يقولون هذا القول هي ان الدولة مشغولة بالحرب وهي أهم الامور فلا يجوز ان تشغل بغيرها! والواجب ان يؤجل هذا الطلب الى ان يجتمع مجلس الامة

وجواب هذه الشبهة سهل جدا نذكره مختصراً لبيان جهلهم وان كانت الشبهة زالت بانقضاء الحرب ، وهو من وجوه (١) انه لايقول عاقل ان الحكومات والدول لا تشتغل في أثناء الحرب الا بها وبشؤونها فتعطل لأجلها سائر مصالحها الادارية والسياسية والعلمية والعمرانية ، بل يجب ان تشتغل كل نظارة منها بعملها الخاص وتدع أمور الحرب لنظارة الحربية وما يتعلق منها بالسياسة لمجلس الوكلاء ، ونحن نرى الحرب لم تمنع نظارة الداخلية من الاشتغال بقانون الولايات ومحاولة تنفيذه قبل جمع مجلس الامة وتصديقه عليه ، فكان يمكنها أيضا ان تضع قانونا للادارة اللامركزية وان لم تنفذه موقتا كقانون الولايات

(٢) ان طلاب اللامركزية الذي جعلوا لجنتهم العليا بمصر قد ألفوا لها حزبا سياسيا طلب من حكومة الآستانة التصديق عليه ، وغرضه السعي الى انتخاب أعضاء مجلس الامة (المبعوثين) من الموافقين لرأيه ليقرروه في المجلس ، فأي شاغل للدولة في هذا عن الحرب؟ وأي مانع فيه يمنع نظارة الحربية من القيام بما يجب عليها في قتال اعدائها؟ وهل كان تقصيرها فيما يجب عليها ناشئا عن اشتغالها بهذا الحزب؟ لا لا . وأما طلاب الاصلاح في بيروت والشام والبصرة فقد طلبوا من الحكومة ما رأوه مرجوا لبلادهم

ولم يهددوها بثورة ولا عصيان ولا امتناع عما أوجبته عليهم من الضرائب والعشور ، بل لم يجتمعوا أولا لطلب الاصلاح الا باذن الحكومة ؟ فهل يقول عاقل ان هذا يشغل الدولة عن الحرب أو يمنعها من الاستعداد لها ؟

(٣) لو ان اللامركزيين وطلاب الاصلاح ألفوا جمعية سياسية فدائية كجمعية الاتحاد والترقي ، وحاولوا ان يتوسلوا الى نيل مقصدهم الجليل بكل ما تبيح التوسل به جمعية الاتحاد والترقي الثورية الى مقاصدها - لما كان لهذه الجمعية وانصارها والمنافقين لها ان يكونوا هم الذين يدعون الحق في لومهم ، فاذا كانت الجمعية استباحت لنفسها ان تهجم بزعنفة من الاشقياء والجهلة الاغبياء على الباب العالي وتسقط حكومة الدولة العليا بقوة السيف والنار وتستحل قتل ناظر الحربية وقائد الجيش العام - واستحلاله كفر بالاجماع - ولم تكن الحرب مانعة لها من هذه الجريمة التي لها أكبر تعلق بالحرب ، فلماذا تزعم أن مثل ذلك بل ما هو دون ذلك وأبعد منه عن الشغب وعن مخالفة الشرع والقانون جريمة لا تغفر ؟ ؟

من أمعن النظر ومحص الحقيقة ظهر له ان طلاب الاصلاح قصروا لأنهم لم يغتنموا فرصة اشتداد الحرب لالزام الدولة بما يطلبون بعد تجربتهم لها في السنين الطوال وايقانهم بانها لم تفعل باختيارها الا الاستبداد وتخريب البلاد . ولو فعلوا لنفعوها وكانت كمن يقاد الى الجنة بالسلاسل (كما ورد) ولسلمت مما ينتظر من سيطرة الاجانب، ولم يكن لعملهم ادنى تأثير ضار لها في الحرب. ولكنهم بالغوا في الهدوء والسكينة، وهم ينتظرون ما يدعي المعترضون انه الصواب، وسترى ان الصلح يتم قبل ان يعملوا عملا ما، ويخشى أن يبادر الاتحاديون المتفرنجون في اثناء الصلح وعقبه الى بيع مرافق البلاد العربية وغيرها للدول الكبرى الطامعة فيها باعطائهم الحقوق والامتيازات وتوسيع دائرة نفوذهم ، بل وبوضع ادارتها تحت مراقبتهم، وهو ما تطلبه الدول وتسميه الفتح السلمي، وعلى هذا الوجه باع حقي باشا طرابلس الغرب لايطالية فاستخفها الغرور قبل التنفيذ وبعد مقدماته باخلاء البلاد من العسكر والسلاح الى محاولة اخذها بالفتح الحربي، وهذا السمسار يطوف العواصم الآن لاجل البيع، ولو نجح طلاب اللامركزية لامتنع عليه هذا البيع لأن برنامجهم لا يجيز اعطاء امتياز فيها، ولا بيع شيء منها ، ولا انشاء الاعمال العمرانية الا بقرار مجالس الولايات العمومية فالآن يسهل على مندوب من جمعية الاتحاد ، ان يسمسر ويقرر بيع البلاد ، فأي الامرين يخشى ان تضيع به المملكة ويأخذها الاجانب؟ أليست هي المركزية التي نحن فيها؟ بلى فهل ترى بعد هذا البيان ان طلاب اللامركزية ملومون، وأن المعترضين عليهم مصيبون ؟

التاجر - لا لا وانني أشكر لكم أيها الاستاذ بيانكم والسلام عليكم (وانصرف)

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

هذا واشتهار هذه الاناجيل بعد ذلك في آواخر القرن الثاني أو أوائل الثالث لم يمنع النصارى من محاولة تحريفها هي وغيرها من كتبهم في بعض الاماكن التي لم ترق لهم أو التي كثر انتقاد الناس عليها كعبارة لوقا في تقوية الملاك للمسيح (٢٢:٤٣) (راجع كتابنا دين الله ص ٨٠) وكساعة الصلب في انجيل يوحنا (١٩ : ١٤) فجعلوها في بعض النسخ « الثالثة » بدل السادسة [1] وغير ذلك كثير (راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٦٢ وكتاب دين الله ص ٧٦ - ٧٨) وعبارة انجيل لوقا المشار اليها هنا تدل على أن كاتبه إما أنه ما كان يعتقد في المسيح الألوهية الحقيقية كباقي زملائه كتّاب العهد الجديد (أنظر مثلا رؤيا ٣:١٤) أو أنه لم يقدر الله حق قدره فلذا قال هذه العبارة ، والوجه الأول هو الراجح عندنا كما سبق بيانه

---

(١) ذهب بعض مفسريهم الآن لرفع الخلاف بين انجيل يوحنا ومرقس (١٥:٢٥) في ساعة الصلب الى أن ساعة يوحنا رومانية وساعة مرقس عبرية وقد رددنا على هذه الدعوى في رسالة الصلب (ص ٩٣ و٩٤) ونزيد الآن أن الباحثين في تواريخ الامم قد عرفوا خطأ هذه الدعوى مطلقا فان الرومانيين لم يكونوا يعدون ساعاتهم كما يعدها الافرنج الآن وانما كانوا يعدونها من شروق الشمس واليهود من الغروب كالعرب راجع كتاب « التوراة غير موثوق بها » تأليف (Walter Jekyll) ص ٨٦ . وعليه فتفسيرهم لهذه المسألة منقوض من أوله الى آخره ومبني على الخطأ والجهل وقياس القديم بالحاضر في عادات الامم . ومادامت كتبهم مملوءة بالخطأ والتناقض والتحريف والتبديل والزيادة والنقصان في المسائل الطفيفة وغير الطفيفة وما داموا يسلمون بخطأ النساخ الكثير فيها بل بالزيادة عمدا حتى في بعض العقائد المهمة (كما في رسالة يوحنا الاولى ٥:٧ و٨) فكيف بعد ذلك يمكنا أن نقطع بشيء فيها أو نجزم بأنه من قول المسيح أو تلاميذه وأنه لم يزد خطأ أو عمدا وخصوصاً لان أقدم ما عندهم من النسخ لا يتجاوز على قولهم القرن الرابع (راجع كتاب صدق المسيحية لمؤلفه Turton ص ٣٠٩ و٣١٠) ولا أدري اذا كان الله يريد أن تكون هذه الكتب هداية للبشر في كل زمان ومكان الى يوم القيامة فلم لم يصنها عن كل ما حصل لها وما وقع فيها حتى تطمئن نفوس الناس اليها وخصوصاً أهلها الذين أصبحوا أشد الناس محاربة وانكارا لها فالحق أن الله لم يرد ذلك وانما جعلها درجة تحضيرية تمهيدية للقرآن المصون من التحريف والتبديل (كما وعد تعالى قر ١٥:٩) والباقي الى يوم القيامة (انظر كتاب دين الله ص ٨٢ و٨٣) فما حفظه الناس من تلك الكتب انما كان كافيا لهم الى زمن القرآن

ومن العجيب ان المحرفين قد يضيفون بعض عبارات من عند انفسهم كما في انجيل مرقس (١٦ : ١٧ و١٨) وينسبونها للمسيح كذبا وإن أوقعهم ذلك في اشكال عظيم مادام في عملهم هذا تطبيق لنبوات قديمة على المسيح وأتباعه فان هذا هو أكبر مقاصدهم بل مقصدهم الوحيد في كل مايكتبونه عن المسيح حتى أعماهم عن كل شيء آخر. ألا ترى أن كاتبي انجيل متى ومرقس زعما أن المسيح صرخ وهو مصلوب قائلا «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧ : ٤٦ ومر ١٥ : ٣٤) رغبة منهما في تطبيق المزمور (٢٢:١) عليه ونسيا أن مثل هذا الصراخ يدل على العجز والضعف واليأس والقنوط من رحمة الله وعدم الرغبة في تضحية ذاته في سبيل خلاص الناس. ولكن رغبة الانجيليين في تطبيق نبوات اليهود على المسيح أنستهم كل شيء آخر، وكذلك ادعى متى ركوب المسيح الأتان والجحش معا حينما دخل أورشليم تطبيقا لنبوة زكريا عليه التي لم يفهمها كما سبق بيانه، وتراهم مثلا يقولون في انجيل مرقس وغيره (مثل يو ١٤ : ١٢) ان الذين يؤمنون بالمسيح يخرجون الشياطين باسمه ويتكلمون بألسنة جديدة ويحملون الحيات ولا تضرهم السموم ويشفون المرضى مع أن هذه الاشياء لانرى أحدا منهم الآن يقدر على فعلها، وإن زعموا أنها خاصة بتلاميذه مع أن النص عام، قلنا: ولماذا لا تشاهد هذه الآيات والمعجزات الآن مع شدة احتياج العالم اليها وامتلاء قلوب العالمين بالشك في الدين المسيحي على الخصوص وكثرة الطعن فيه وتكذيبه حتى ممن كانوا أتباعه؟

ولو جاز اتخاذ مثل هذه العبارات دليلا على أن الانجيليين ومن عاصرهم كانوا يرون بأعينهم المعجزات تعمل في زمنهم على يد تلاميذ المسيح، لجاز أيضا أن يقال انهم كانوا يرون الجبال تنتقل من مكانها وتنطرح في البحر بل كانوا يرون ماهو أكبر من ذلك يحصل بكلمة أي رجل منهم ولو كان إيمانه ضعيفا كحبة الخردل كما قالوا في اناجيلهم (مت ١٧ : ٢٠ ومر ١١ : ٢٣ ولو ١٧ :٦) مع أنه لم يشاهد أحد منهم شيئا من ذلك قطعا ولا انتقلت الجبال ولن تنتقل بأضعف الايمان ولا بأكمله، فلم اذاً نسبوا هذه العبارات للمسيح وخطؤها واضح لايحتاج الى دليل؟ ألا يدل ذلك على أنهم كانوا يخترعون ولا يبالون، والناس لجهلهم يصدقون؟!

وإذا صح قول المسيح ان حبة خردل من الايمان تفعل كل شيء فكيف بعد ذلك مباشرة (مت ١٧ : ٢١) اشترط الصلاة والصوم لاخراج شيطان (!!) من شخص قدم لتلاميذه أفلم ينجحوا في اخراجه منه ؟ أولم يكن عندهم قدر حبة خردل من الايمان ؟ وان كانت عندهم فلم اشترط اذاً الصلاة والصوم وهو القائل قبل ذلك ان حبة الايمان كافية لكل عمل حتى لا يكون شيء مستحيلاً [1] مع وجودها ؟!

أما السبب عندنا في نسبة مثل تلك العبارات للمسيح فهو أيضا ورودها في النبوات القديمة كعادتهم وتوهم الكاتب بدون بحث ولا تحقيق - لشيوع الجهل إذ ذاك - قدرة الناس على هذه المعجزات لكثرة ادعائهم لها في تلك الأزمنة بشيء من الشعوذة أو التأثير العصبي على عامة الناس ليثبتوا صدق النبوات الماضية القائلة بحصولها في زمن المسيح وزمن أتباعه [2] فامتلاؤهم بروح القدس وتكلمهم

---

(١) قارن عبارة المسيح هذه بقول القرآن (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ونحوها كثير فالقرآن أول كتاب نص على أن نواميس الكون لا تتبدل ولا تتغير فهي ليست خاضعة لصلاة فلان ، ولا لدعاء علان ، ولا لكلمة مخلوق مهما كان ، حتى نفس «يسوع ابن الانسان»

(٢) جاء في تلمود اليهود أن أتباع عيسى كانوا في أواخر القرن الاول وأوائل الثاني يشفون المرضى باسم (يسوع) ويبرئون لسم الحيات به أيضاً ويقول العهد الجديد انهم كانوا يخرجون الشياطين باسمه . فهذه الاوهام كانت منتشرة بين الناس في تلك الازمنة القديمة حتى كان اليهود أيضا يخرجونها باسم «سليمان» والى الان نرى بعض عامة المسلمين يدعون الكرامات ويفعلونها باسم مشايخهم كالرفاعي وغيره فيأكلون النار ويضربون أنفسهم بالسيف ويشربون السموم ويحملون الحيات باسمهم الى غير ذلك من كراماتهم التي تشبه ماذكر في العهد الجديد عن النصارى . ومع أن النصارى كانوا يستعملون اسم (يسوع) لاخراج الشياطين على زعمهم (أنظر مثلا أع ١٦ : ١٨ و١٩ : ١٣ - ١٧) نراه هو نفسه يعترف بأنه انما يخرجهم بروح الله (مت ١٢ : ٢٨) وان كل أعماله هي باسم الله (يو ١٠ : ٢٥) وكان اليهود المعاصرون له لشدة جهلهم يقولون أنه يخرجهم ببعلزبول رئيس الشياطين (مت ١٢ : ٢٤) لأنهم كانوا يظنون أن الامراض التي كان عليه السلام يشفيها هي ناشئة عن الشياطين

فأمثال هذه الاوهام شائعة بين الناس الجهلة في كل زمان ومكان وخصوصا في الأزمنة القديمة حتى صدقها بعض الخاصة كيوسيفوس المؤرخ الشهير الذي روى أنه شاهد شخصا يسمى اليعيزر (Eliezer) اليهودي يخرج الشياطين بالقسم عليها باسم «سليمان» في حضرة الامبراطور فسباسيان الذي توج سنة ٦٩ م (Vespasian) وبحضور أولاده وجيشه ، وكان هذا الرجل يضع اناء مملوءاً بالماء على بعد من المصاب ثم يأمر الشيطان بقلبه بعد خروجه من الانسان وبذلك كان يظهر - كما يقول يوسيفوس - براعة سليمان وحكمته . والى الآن نرى بعض النساء في مصر حتى المسلمات يزرن صورة مارى جرجس وقبره في الكنيسة والنصرانيات قد يزرن بعض قبور أولياء المسلمين أيضا والكل يزعمن أنهن شفين من أمراضهن وأوجاعهن وخرجت عفاريتهن

بألسنة جديدة قال عنه يوئيل (٢ : ٢٨ - ٣٠ راجع أيضا أع ٢: ١٦-١٩) وعدم أذية الحيات وغيرها لهم وسلامتهم من كل سوء ذكره كتاب أشعياء (١١: ٨ و٦٥: ٢٥) والمزامير (٩١: ١٣) وغيرهما وشفاؤهم المرضى ذكره أشعياء أيضا (٢٩ : ١٨ و٣٥ : ٥ - ١٠) ولما كانت أغلب هذه الامراض عندهم ناشئة عن تأثير الشياطين فلا عجب اذاً اذا جعلهم كُتاب الاناجيل قادرين على اخراج الشياطين أيضا . والحق ان سفر أشعياء هذا هو أعظم مصدر لقصص وعبارات العهد الجديد فجل ما حكوه فيه تجد أن الحامل لهم عليه هو تطبيق عبارات أشعياء على المسيح وعلى أتباعه، ولو لم يقدروا على عمل شيء من ذلك الآن لاقناع الشاكين منهم في دينهم . وزيادة هذه العبارة في مرقس (١٦ : ٩ - ٢٠) مسلمة عند كثير من علمائهم حتى من أشد المدافعين عن المسيحية المتعصبين لها كتُرتون (Turton) مؤلف كتاب «صدق المسيحية» «The Truth of Christianity» ص ٣٨٢ منه . فرغبة كتاب العهد الجديد في تطبيق هذه النبوات القديمة كان أعظم سبب لضلالهم ووقوعهم في الغلط الكثير الذي ملأ أكثر كتبهم . والذي منع النصارى فيما بعد عن اصلاح هذه الغلطات مع كثرة تلاعبهم في كتبهم أمران : (١) اشتهار هذه الغلطات ومعرفة خصومهم لها من قديم الزمان وتعييرهم بها فلا يمكنهم والحالة هذه اصلاحها (٢) شيوع الجهل بينهم في الازمنة القديمة، واعتقادهم أن الايمان بدون بحث ولا تعقل فضيلة ، وقلة عدد نسخ كتبهم وعدم ضم بعضها الى بعض كما هي الآن وقلة المطلعين عليها حينئذ فلم يتنبهوا لهذه الغلطات إلا بعد ان وقف عليها الناس وعرفوها وحفظوها عليهم في كتبهم فلا يصح جعل هذه الغلطات - كما يفعل بعضهم الآن - دليلا على أمانتهم في النقل فكم من غلطات غيرها حاولوا إصلاحها أو أصلحوها فعلا لعدم شهرتها وعرف ذلك أخيرا كما بينا بالمراجعة والبحث في النسخ الحديثة والقديمة والكتب الاخرى غير المقدسة التاريخية والتفسيرية وغيرها ولولا خوف الفضيحة والعار لأصلحوا كل غلطات كتبهم الآن ليستريحوا من كثرة القيل والقال ، ومع ذلك يتجدد لهم فيها كل حين تنقيح وتصحيح ، وأخذ ورد ، وتسليم ورفض ، فلم يستقروا في أمرها على حال الى الان

« تلاميذ المسيح المسمون بالرسل (١) وبولس »

هؤلاء التلاميذ هم اثنا عشر رجلا : ثمانية منهم لم يكتبوا شيئا كما يقول النصارى وهم اندراوس ، ويعقوب ، وفيلبس ، وبرتولماوس ، وتوما (٢) ، وسمعان القانوني ويعقوب بن حلفي ، ويهوذا الاسخريوطي ، وهاك خبر الاربعة الباقين : -

(١) بطرس لم يكتب سوى رسالتين وكان ضعيفا ولذلك انكر المسيح وقت الصلب من شدة الرعب والجبن وسماه المسيح من قبل ذلك شيطانا (مت ١٦ : ٢٣ ومر ٨ : ٣٣) وكان يرائي اليهود في انطاكية حتى زجره بولس (غلاطية ٢ : ١١-١٤) فاذا سلم انه هو الكاتب للرسالتين المنسوبتين اليه فلا ثقة لنا به وخصوصا لان بولس كان يؤثر عليه كثيرا . وأما تسمية المسيح له ببطرس (أي الصخرة) فالظاهر أنها كانت في أول الامر عند ابتداء ايمانه كما في يوحنا (١ : ٤٢) أي قبل أن يحصل منه ما حصل فكان عيسى عليه السلام يحسن به وبغيره الظن كما هو شأن المخلصين الصالحين وكما أحسنه بيهوذا حتى وعده بالجنة (مت ١٩ : ٢٨) هذا اذا صح أن المسيح نفسه هو الذي سماه بطرس . وأما قصة بناء

---

(١) يرى بعض علماء اللغات ان كلمة (الحواريين) في القرآن هي معربة عن الحبشية ومعناها فيها (الرسل) أو (المرسلون) سماهم بذلك القرآن اما بحسب العرف الجاري في ذلك الزمن بين نصارى العرب كما نسمي الآن دعاة النصرانية (بالمبشرين) واما لان المسيح أرسلهم في حياته لدعوة اليهود الى المسيحية كما في الاناجيل (راجع متى ١٠ : ١-١٥ ولوقا ٩ : ١-٦ و ١٠ : ١-١٢) وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل بعض أصحابه الى بعض الجهات لتعليم الناس الدين والحكم بينهم وغير ذلك كمعاذ بن جبل الذي أرسله الى اليمن . وكانوا يسمون أيضاً « رُسُل رسول الله » والحكمة في اختيار القرآن هذه الكلمة الحبشية دون مرادفها بالعربية هي منع الالتباس لتكون علما خاصا بهؤلاء التلاميذ الممتازين من أصحاب عيسى والظاهر من نصوص القرآن أن ايمان بعضهم (على الاقل) لم يكن كما يجب وخصوصاً بعد عيسى وأن الخلاف في مسائل الدين نشأ منذ عصرهم (راجع قر ٣ : ٥٢-٥٤ و ٥ : ٧٧ و ١١٣ و ١١٧ و ١٩ : ٣٧ و ٤٣ : ٦٥ و ٦١ : ١٤) فطباعهم كانت كطباع أسلافهم قوم موسى ، بل قد نص المسيح نفسه على انه لم يكن عندهم ايمان مطلقا (مت ١٧ : ٢٠) وقال لبطرس أيضاً (مت ١٤ : ٣١) « يا قليل الايمان » مع أنه أعظمهم ، فما بالك بغيره !!

(٢) يقال ان توما هذا سافر الى جزائر الهند الشرقية ومات هناك (قاموس بوست مجلد ١ ص ٢٩٥) ولعله كان في رحلته هذه مصاحبا للمسيح عليه السلام في هجرته الهندية التي ذكرناها في مقالة الصلب (١٥٣ و ١٥٤) . وتوما هذا هو التلميذ الوحيد بحسب الاناجيل الحالية (يو ٢٠ : ٢٥) الذي كان عارض التلاميذ في قولهم بقيامة المسيح . وله انجيل يوناني ذكر معجزة خلق الطين طيرا وغيرها مما ذكره القرآن ولكن النصارى يرفضون هذا الانجيل

الكنيسة عليه واعطائه مفاتيح الملكوت (مت ١٦: ١٨و١٩) فالارجح أنها كغيرها من تاريخ بطرس زيادة من رؤساء الكنيسة الاقدمين في هذا الانجيل ليبنوا عليها سلطتهم التي كان منها ما كان مما لاينساه تاريخ النصرانية من سفك الدماء وظلم الابرياء ودعوى القدرة على غفران الذنوب للناس وغير ذلك . ومع كون هذه القصة لا تتفق مع تسميته بعدها مباشرة بالشيطان لم تذكر في انجيل آخر غير متى فالظاهر أن المحرفين خافوا الفضيحة فاقتصروا على اضافتها في انجيل واحد لتيسر ذلك عن اضافتها في الكل وكما هي عادتهم غالبا في التحريف ليقال « انهم لم يمسوا الكتب بسوء وإلا لاضافوها في الجميع » كما يقول بعض مبشريهم الآن

(٢) متى روي انه جمع بعض أقوال المسيح بالعبرية وما جمعه مفقود الآن كما سبق

(٣) لباوس المسمى يهوذا كتب رسالة واحدة ليس فيها شيء يذكر من عقائدهم وفيها يستشهد بكتب غير قانونية عندهم (أبو كريفية) (عدد ٩ و ١٤). ومن مضحكات براهين النصارى أنهم اذا وجدوا في بعض الكتب القديمة قولا من أقوال المسيح تشبه ما في أناجيلهم الحالية زعموا ان المؤلف اقتبسه من أناجيلهم واتخذوا ذلك دليلا على وجود هذه الاناجيل في زمن المؤلف وعلى صحة نسبتها الى من نسبت اليهم ، ولا أدري لماذا إذاً رفضوا كتاب أخنوخ وقالوا انه موضوع مكذوب مع أن يهوذا (وهو موحى اليه عندهم) قد ذكره في رسالته هذه واستشهد به ونص على ان أخنوخ هو القائل للعبارة التي استشهد بها فلماذا إذاً خالفوا طريقتهم في الاستدلال على صحة هذا الكتاب ؟ !!

(٤) يوحنا وانجيله مشكوك فيه كما بينا وقد زادوا في إحدى رسائله أصرح عبارة عندهم في عقيدة التثليث (١ يو ٥: ٧) فاذا سلمنا صحة نسبة هذه الكتب الى يوحنا فكيف نأمن أن يكونوا حرفوها كما حرفوا هذه العبارة ؟ ومن أين لنا صدق هذا الرجل وعصمته من الخطأ وما الدليل على أنه موحى اليه ؟ وفضلا عن ذلك فهو لم ينص على الألوهية الحقيقية للمسيح كما بيناه ولو سلم أنه دعا الناس اليها لاستحق القتل بنص التوراة (تث ١٣ : ٥) ولو كان مؤيدا بالمعجزات فما بالك وهو لم تثبت له ولا واحدة باليقين

ومما تقدم تعلم أن الرسل لم يكتبوا شيئا هاما عن تاريخ المسيح وتعاليمه !!فهل كتبوا شيئا غير ذلك لم يصل الينا ؟ لاندري . ولماذا تعرض للكتابة سواهم من تلاميذ بولس ومريديه؟ حتى انك لترى أن جل العهد الجديد ليس من عمل تلاميذ المسيح بل هو عمل بولس ومريديه ! !

واذا تذكرنا مشاجرة بولس مع برنابا (أع ١٥ : ٣٩) مع أنه هو الذي قدمه للرسل وجعلهم يثقون به (أع ٩ : ٢٧) وعدم وصول شيء لنا من برنابا تثق به النصارى الآن مع أنه كان شريك بولس والمخصص معه لدعوة الامم غير اليهودية الى المسيحية (غل ٢ : ٩) ووصول جميع كتابات بولس وذيوله (١) (تلاميذه) الينا وانتهار بولس لبطرس في أنطاكية وكلام بولس القارص وتحامله وبغضه لأكثر تلاميذ المسيح كما هو صريح عباراته في رسالته الى أهل غلاطية (أصحاح ١ و٢) وتهكمه بهم وترفعه عنهم (غل ٢ : ٦ و٢ كو ١١ : ٥ و٦ و٢٣) - اذا تذكرنا كل ذلك تبين لنا كيف كان هذا الرجل مستبدا فيهم مسلطا عليهم غير مبال اليهم مستأثرا بهذا الامر دونهم مع أنه لم ير المسيح ولم يعرفه ولا آمن به في عهده بل كان عدوا له ولمن اتبعه طول حياته . ثم انه كان يناقض نفسه بنفسه في قصته كما في سفر الاعمال حينما سمع صوت يسوع ورآه كما يزعم (راجع أع ٩ : ٦ - ٨ و ٢٢ : ٩ و ٢٦ : ١٣ - ١٨) وكذلك يناقض برسالته الاولى الى أهل تسالونيكي سفر الاعمال (قارن أع ١٧ : ١٤ - ١٦ و ١٨ : ٥ مع ١ تسا ٣ : ١ - ٢) وأيضا فان عباراته في غلاطية (١ و٢) تناقض أخباره الواردة في سفر الاعمال المذكور كما بينه (رينان) بالتفصيل في كتابه عن الرسل (صفحة ٢١ و٢٢ منه) وذلك لتقلب هذا الرجل وتلونه فهو كما يقول عن نفسه يهودي لليهود (انظر أع ٢١ : ١٨ - ٢٦ و ١٦ : ١ - ٣) ونصراني للنصارى ووثني للوثنيين (أنظر ١ كو ٩ : ١٩ - ٢٣) ليربح الجميع لمذهبه وتعاليمه التي يسميها الانجيل، والظاهر من رسائله أنه كان له انجيل مخصوص يدعو الناس اليه ويزعم أن الله

---

(١) حاشية : لاحظ أن هذا الكلام وما يأتي مبني على فرض صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم كما فرضنا ذلك في مقالة الصلب . ولكن بعض علماء النقد في أوروبا يرى الآن أن جل هذه الكتب أو كلها منسوب الى هؤلاء الناس كذبا كصاحب كتاب «مصادر النصرانية» المستر توماس ويتاكر وغيره عديدون من محققي الافرنج

سيدين سرائرهم يوم القيامة بحسب هذا الانجيل (رو ٢: ١٦ و ١٦: ٢٥ و ٢ تي ٢: ٨) ولا ندري ما هو هذا الانجيل؟ وأين ذهب؟ وقال انه كان غيرَ انجيل تلاميذ المسيح المسمى بانجيل الختان (غل ٢: ٧) — أي أن تعاليمه كانت خلاف تعاليم موسى وعيسى — وأنه وحده أو تمن على هذا الانجيل (١ تي ١: ١١) فهو في الحقيقة الكل في الكل وجميع العهد الجديد هو مؤلفه إما بنفسه أو بيد تلاميذه وشيعته كمرقس ولوقا. الا القليل جدا منه وقد قضى على كل عمل لغيره تقريبا من أعمال التلاميذ الآخرين الا اللذين وافقاه على آرائه وشايعاه وهما بطرس ويوحنا على أن يوحنا قد ذمه تلميحا بعد موته في سفر الرؤيا ولم يجاهر بذلك خوفا من أتباعه الكثيرين من الامم (رؤ ٢: ٢ و ٩ و ١٤ و ٣: ٩) هذا اذا صح ان يوحنا هو الكاتب لسفر الرؤيا. واما الذين تجاهروا بمخالفته من الحواريين فكان يمقتهم ويدعي انهم يريدون تحريف الانجيل (غل ١: ٧) وانهم دخلاء في المسيحية (غل ٢: ٤) مع أنه هو الدخيل فيهم[1]. ومن شدة تأثيره في الناس في ذلك الوقت ولعبه بعقولهم أنه لما تشاجر مع برنابا وانفصل عنه مرقس (أع ١٥: ٣٩)

(١) قال الابيونيون (أي الفقراء) وجمهورهم عبرانيون وكانوا هم النصارى الحقيقيين في القرن الاول والثاني. (كما قال رينان وغيره). قالوا: — ان بولس هذا لم يكن يهوديا وكذبوه في هذه الدعوى التى ادعاها عند من لم يعرفه في رسائله لهم وقالوا انه دخل في اليهودية لكي يتزوج ببنت رئيس الكهنة واختتن فلما أبى رئيس الكهنة أن يزوجه ابنته دخل في المسيحية وادعى أنه رسول المسيح الى النصارى فلم يحب أن يرى في النصرانية أثراً من آثار الديانة الموسوية ولذلك سعى جهده في اخراج المسيحيين عن الناموس وحنق على كل من قاومه (راجع رسالته الى أهل غلاطية) وأبطل جميع شرائع موسى وتبعته الامم الداخلون حديثاً في المسيحية في ذلك لان ذلك كان أسهل بكثير من عبء الناموس (أنظر كتاب دين الخوارق صفحة ٧٤٨) وبقي تلاميذ المسيح والنصارى الاولون محافظين على تعاليم موسى وعيسى ولذلك قال يوحنا في رؤياه ٢: ٢ (وقد جربت القائلين أنهم رسل وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين ٩ وتجديف القائلين إنهم يهود وليسوا يهودا بل هم مجمع الشيطان ١٤ ان عندك هناك قوما متمسكين بتعليم بلعام الذي كان يعلم بالاق أن يلقي معثرة أمام بني اسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للاوثان ويزنوا) والمراد بالزنا هنا عدم مراعاة الوثنيين أحكام الشريعة الموسوية في مسائلهم الزوجية وعدم اعتدادهم بها. والظاهر أيضا ان كاتب رسالة يعقوب كان من اليهود المتنصرين أو بعبارة أخرى كان من هؤلاء الابيونيين ولذلك خالف في رسالته هذه (ص ٢) بولس في دعواه الخلاص بالايمان وحده (أنظر مثلا رومية ص ٣ و ٤ وغلاطية ٢: ١٦ و ٢١ و ٣: ٢ — ٢٩) وبين صاحب رسالة يعقوب أن العمل الصالح لا بد منه مع الايمان (أنظر ٢: ١٤ — ٢٦) ولم يذكر في هذه الرسالة شيء من عقائد النصرانية المعروفة وكون هذا الكاتب من الابيونيين (الفقراء) يظهر من عدة مواضع من رسالته هذه (مثل ١: ٩ — ١٠ و ١١ و ٢: ٢ — ٧ و ٥: ١ — ٦) والراجح ان الكنيسة لم تقبلها — كسفر الرؤيا — الا بعد بولس بمدة وربما كان قبولها للرغبة في ضم أصحابها اليهم

الكنائس بعدم قبول مرقس اذا جاءهم واعظا ولما صالحه أرسل اليهم بقبوله ، فكانوا طوع أمره دون غيره من الرسل ، ومما يدل على ذلك قوله في رسالته الى أهل كولوسي ٤ : ١٠ (ومرقس ابن اخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا . ان أتى اليكم فاقبلوه) ولولا هذه العبارة لما قبل مرقس أحد ر بما ما كان يبقى الانجيل المسمى باسمه الى اليوم كما حصل لتلاميذ المسيح الذين أطفأ ذكرهم ولم يقف أحد لهم على اثر او خبر وخصوصا المحافظين منهم على تعاليم موسى وعيسى وهم الذين كانوا قدوة لبعض الفرق القديمة كالابيونيين والناصريين وغيرهم ولذلك ذم ذما شنيعا في الخطب المنسوبة الى اكليمندس الروماني

ومما انفرد به عن سائر الناس قوله (١ كو ١٥ : ٦) في قيامة المسيح من الموت (وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لاكثر من ٥٠٠ أخ أكثرهم باق الى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا ـــــ ٨ وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا) ولا ندري ولا غيرنا يدري من أين له هذا الخبر خبر ظهوره لخمسمائة شخص ومتى وكيف كان ذلك ومن هم وأين ظهر لهم المسيح ؟

وهل رأوا شخصه أو رأوا نورا وبرقا فظنوه المسيح كما ظنه بولس (قارن أع ٩ : ٣ و٤ و٧ و٢٢ : ٩ مع ١ كو ١٥ : ٨) وما دام بولس لم يعين أسماء هؤلاء الاشخاص الخمسمائة أو بعضهم فما فائدة قوله « أكثرهم باق الى الآن » فمن من الناس اذ ذاك يمكنه أن يكذبه وهو لم يذكر اسم أحد معين؟ وكيف يتيسر لاهل كورنثوس أن يسألوهم وهم بعيدون عنهم ولا يعرفونهم على التعيين ؟ واذا سألوا بعض المسيحيين عن ذلك في ذلك الوقت فهل نضمن أن لا يحملهم حب تأييد دينهم والرغبة في الظهور والتشرف بهذه الرؤية والاغراب في القول على الاخبار بما لم يبصروه أو تقرير مالم يوقنوا به ؟

واذا تذكرنا كثرة الكذب الآن في نقل أخبار البلاد القريبة منا والبعيدة عنا مع توفر جميع الوسائل عندنا لنقلها الينا (كالجرائد وغيرها) ومع سهولة المواصلات وسرعة نقل الاخبار بطرق مدهشة خارقة لعادة تلك الازمان وارتقاء

الناس في العلم والعقل - اذا تذكرنا كل ذلك أدركنا كيف تكون حالة الاخبار في ذلك الزمان ومبلغها من الصدق وخصوصا أخبار مثل تلك الغرائب والعجائب. وهل يبعد على أهل تلك الازمنة أن يكونوا هم الذين افتجروا هذه العبارة ونسبوها الى بولس بعد زمنه كما هي عادتهم والا اذا كان هذا الخبر صحيحا فكيف تركته جميع الاناجيل مع أنه من الاهمية بمكان عظيم كما لا يخفى؟ واذا كان هذا الجم الغفير كله رأى المسيح فكيف لم يرو هذا الخبر أحد منهم مطلقا في الاناجيل أو في الرسائل أو غيرها وبقي سرا مكتوما بينهم حتى أفشته رسالة بولس هذه؟ وان كان هذا الخبر وصل بولس بالوحي فلم لم يوح به الى غيره ليدونه؟ وما هذا الوحي الذي يكثرون من ادعائه لكل نصراني في القرن الاول؟ واذا كانت روح القدس توهب لكل شخص من المؤمنين (أع ٨: ١٤-٢٠ و١٩: ١-٧) بمجرد وضع اليد عليه فما حاجة الناس إذاً لهؤلاء الرسل الكثيرين وكتاباتهم ورسائل بولس وغيره الطويلة العريضة اذا كانوا كلهم أنبياء ممتلئين من روح الله؟ واذا صح قول النصارى في نبوة دانيال (٩: ٢٤) أنها في حق المسيح فلماذا لم تختم الرؤيا والنبوة به كما قال دانيال فيها؟ وكيف يكون جميع تلاميذ المسيح أنبياء بعده ملهمين من الله؟ وما معنى قول سفر الاعمال نقلا عن يوئيل ٢: ١٧ (يقول الله ويكون في الايام الاخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى (جمع رؤيا) ويحلم شيوخكم أحلاما ١٨ وعلى عبيدي أيضا وإمائي أسكب من روحي في تلك الايام فيتنبأون) وهو ينافي ختم الرؤيا والنبوة بالمسيح!! وكيف رأى يوحنا رؤياه المشهورة؟ وكيف صار بولس نبيا موحى اليه من الله بعد المسيح يحل ما يحل ويحرم ما يحرم؟ فهل نسي صاحب كتاب الاعمال نبوة دانيال أم هذه النبوة في اعتقاده ليست في حق المسيح؟ ففي حق من إذاً؟ (١) وكيف كثرت الانبياء الى هذه الدرجة بعد المسيح كما في كتاب الاعمال حتى كان منهم أغابوس وغيره (أنظر أع ١١: ٢٧ - ٣٠ و١٣: ١-٣ و٢١: ١٠-١٢) الخ الخ. فلولا عبارة يوئيل السابقة (٢: ٢٨-٣١) في انسكاب روح الله على «كل بشر» وكثرة تنبأ الناس في آخر الزمان لما جعل كاتب سفر

(١) راجع «كتاب دين الله» ص ١٥-٢٨ لتعرف الجواب عن هذا السؤال

الاعمال جميع النصارى الاولين انبياء ، ولما صاغ كل هذه القصص في نزول روح القدس عليهم وتنبئهم ، فهو في هذه المسألة أيضا لم يخرج عما ألفوه من عادة اختراع الحكايات لتطبيق النبوات عليهم . فهل مثل هذه الكتب يصح أن تعتبر تاريخية يؤخذ بما فيها و يعول عليها وهي كما بينا مرارا لم تخل في كل ما كتب فيها من الاهواء والاغراض ؟ ولماذا لا تنزل عليهم روح القدس الآن ؟ وأين ذهبت معجزاتهم وآياتهم العديدة وقد امتلأت أوروبا وغيرها بالملحدين والمشككين وجماعة العقليين (Rationalists) وغيرهم ؟ ولماذا لا تقدر النصارى على عمل الآيات والعجائب الآن كما وعدهم المسيح على زعمهم بقوله مثلا مر ١٦ : ١٧ (وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة ١٨ يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم و يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون) وما وجه تخصيصهم الآن هذه العبارات ونحوها (كما في يو ١٤ : ١٢) بالحواريين وهي عامة في جميع المؤمنين كما هو ظاهر منها ؟ أليس لأنها لم تتحقق ؟؟

وهناك مسألة أخرى تبطل أيضا دعوى بولس السابقة ظهور المسيح لخمسمائة شخص واليك بيانها :

جاء في كتاب (صدق المسيحية) (The Truth of Christianity) في صفحة ٣٨٥ منه ما مؤداه (أن ظهور المسيح لهؤلاء الخمسمائة كان في الجليل لأنه لم يكن في أورشليم قدر هذا العدد من التلاميذ كما يفهم من كتاب الاعمال ١٥:١) اه وهذا الرأي هو المعول عليه عند جميع علماء المسيحية وهو مبني على قول متى (٢٨ : ١٠) ان المسيح أرسل الى تلاميذه أمرا بالذهاب الى الجليل لكي يروه هناك (راجع أيضا مرقس ١٦ : ٧) ولكن متى نفسه ذكر أن الذين ذهبوا هم الاحد عشر تلميذا (٢٨ : ١٦) وأن بعضهم شكوا حينما رأوه (عدد ١٧) والظاهر من ذلك أنهم رأوه على بعد في الافق ولذلك خرجوا الى الجبل ليرتقبوا ظهوره هناك . فلم يقل متى ولا غيره انهم كانوا خمس مئة . ومع ذلك فرواية الظهور في الجليل هذه منقوضة بقول لوقا ان المسيح في مساء اليوم الذي قام فيه قابل تلاميذه وقال لهم « أقيموا في مدينة أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الاعالي »

(لو ٢٤ : ١ و١٣ و٢٩ و٣٣ و٣٦ و٤٤ - ٤٩) ثم صعد الى السماء ورجعوا هم الى أورشليم (عدد ٥١ و٥٢) و بقطع النظر عن مناقضة لوقا نفسه في سفر الاعمال حيث جعل الصعود بعد أربعين يوما من أورشليم (أع ١ : ٣ و٩) الا أنه قال إن المسيح أوصاهم أيضا في آخر يوم أن لايبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم روح القدس (عدد ٤ و٨) فيستفاد من ذلك أن المسيح من أول يوم الى آخر يوم « أوصى تلاميذه بعدم مبارحة أورشليم الا بعد حلول روح القدس عليهم » وهذه الروح لم تحل عليهم الا يوم الخمسين أي بعد صعوده بنحو عشرة أيام (أع ٢ : ١ - ٤) وعليه فهم لم يبرحوا أورشليم الا بعد الصعود فكيف اذاً قال متى إن المسيح أمرهم بمبارحتها الى الجليل وأنهم هناك رأوه ؟ وكيف يمكن رفع هذا التناقض البين من بينهما ؟ اللهم الا بالتكلف البارد والتعسف الذي لامزيد عليه !! وان كان ظهر لهم في أورشليم فالتلاميذ الذين كانوا فيها وامروا أن لايبرحوها من اول يوم الى آخر يوم كانوا نحو (١٢٠) شخصا) بنص كتاب الاعمال (١ : ١٥) وان قيل لعلهم كانوا ٥٠٠ نفرا ولما ظهر لهم المسيح سافر اكثرهم و بقي الاقلون . قلت وهل يعقل ان تلاميذه هؤلاء الذين رأوه بأعينهم بعد قيامته من الموت يكونون أول العاصين له المخالفين لأوامره حتى أنهم تركوا أورشليم بعد أن شدد عليهم ووصاهم مرتين على الاقل بعدم مبارحتها ؟ وان كانوا غير مطيعين له ولا مبالين بأمره ونهيه بعد كل هذه المعجزات فمن يثق بهم ؟ او يصدق مايقررونه ؟ هذا اذا كانوا شهدوا بأنهم رأوه فما بالك اذا كنا لم نسمع من أي واحد منهم أنه شهد بأن (٥٠٠) شخص رأوا المسيح حقيقة بل لم نسمع من احد من تلاميذ المسيح ولا من غيرهم (خلاف بولس) ان المسيح ظهر لكل هذا العدد من الناس الذين لم يعرفهم احد قط !! فان قيل لعل المسيح ظهر لهم في الجليل بدون علم احد من التلاميذ الاحد عشر ؟ قلت ومن إذاً الذي جمع كل هذا العدد من الناس في ذلك المكان وعينه لهم واخبرهم بأن المسيح سيظهر فيه و بوقت الظهور مع ملاحظة ان مثل هؤلاء الناس لابد ان يكونوا من الذين يئسوا منه وتركوه بعد حادثة الصلب ورجعوا الى بلادهم شاكين فيه حائرين ، فكيف اذاً اجتمعوا في ذلك الوقت والمكان المعين ؟

ولم يرو عن احد منهم خبر هذه الرؤية ؟ ولِمَ فعلها المسيح بدون علم أعظم تلاميذه؟ ولم لم يخبر بها الرسل حين ظهوره لهم ؟ ولم لم يخبرهم روح اقدس بها بعد نزوله عليهم ليدونوها في الاناجيل ؟ وكيف يقول متى (٢٨ :١٦) ان الذين ذهبوا الى الجليل ورأوه هناك كانوا هم الأحد عشر رسولا ولم يشر الى غيرهم بل نص على أن بعض هؤلاء أيضا شك في ان الذي رأوه هل هو المسيح أم لا ؟ فكل هـذه الاسباب تحملنا قطعا على رد زعم بولس هذا وعدم الاعتداد به مطلقا

ومن تناقض كتبهم أيضا في هذه المسألة غير ماتقدم قول يوحنا (٢٠ :٢٢و٢٣) ان المسيح وهبهم روح القدس في مساء اليوم الذي قام فيه (عدد ١٩) مع قول لوقا إنها لم تنزل عليهم الا يوم الخمسين (أع ١ :٤ و٥ و٢ : ١ - ٤ ولو ٢٤ : ٤٩)

ومن التناقض العجيب أن المسيح يطلب ليلا من تلاميذه بعد قيامته أن يجسوه كما في لوقا (٢٤ :٣٩) مع أن يوحنا يقول انه منع في الصباح مريم المجدلية من لمسه بعلة أنه لم يصعد بعد الى أبيه وإلهه (يو ٢٠ :١٧)وفي انجيل متى (٢٨ :٩و١٠) يقول انها هي ومريم الاخرى أمسكتا بقدميه وسجدتا له فلم يمنعهما المسيح من ذلك بخلاف ما يقول يوحنا بل قال لهما « لاتخافا »

وجاء في لوقا (٢٤ :٣٣)ان الاحد عشر تلميذا كانوا مجتمعين في مساء يوم قيامة المسيح فظهر لهم ووقف في وسطهم (عدد ٣٦) وفي يوحنا (٢٠ :٢٤)ان توما احدهم لم يكن موجودا في هذا الاجتماع حينما جاء المسيح فلم يكونوا إذاً إلا عشرة لا أحد عشر كما قال لوقا. فانظر الى مقدار تناقضهم في كل شيء حتى في أبسط المسائل لانهم اخذوا ما كتبوه عن الاشاعات المتضاربة والروايات المتناقضة ولم يميزوا بين صحيحها من باطلها فهل مثل هذه الـكتب يصح أن يعول عليها ؟ وهي كالثوب الخلق كلما رقعته من مكان اتسع الخرق عليك أو ظهر لك غيره حتى أصبحت بالية لاتصلح لشيء

ومن كثرة مبالغة بولس واغراقه قوله أيضا ١ كو ١٥ :٥ (وأنه ظهر لصفا (بطرس) ثم للاثنى عشر ـــــ ٧ و بعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين) مع أن يهوذا أحدهم كان قد مات في ذلك الوقت ولم تكن الرسل الا أحد عشر

فقط وبذلك قال مرقس ١٦ : ١٤ (أخيرا ظهر للأحد عشر) ولكن رغبة بولس في تكثير عدد الذين رأوا هذه القيامة المزعومة أنسته موت يهوذا فقال ماقال

أما بطرس فلم يروعنه في انجيل من الاناجيل أنه قال انه رآه أولا وحده غير أن لوقا (٢٤ : ٣٤) قال في انجيله ان اثنين من التلاميذ مجهولين يسمى أحدهما كليو باس قالا (ان الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان) « بطرس » وصريح القصة أن هذه اشاعة نقلاها ولا ندري عمن روياها وكيف سكتت الاناجيل عن رواية هذه الرؤية الاولى لبطرس حتى نفس انجيل لوقا الذي روى قصة كليو باس هذه

أما ظهور المسيح للاحد عشر فلا برهان عليه الا رواية هذه الاناجيل الاربعة التي أظهرنا لك قيمتها وقيمة سندها على انها لم تذكر ذلك رواية عن كل فرد منهم وقد تضاربا الانجيلان المنسوبان الى التلاميذ (متى ويوحنا) في امر هذه الرؤية ، ففي انجيل متى ان ملكا قال للمرأتين ٢٨ : ٧ (اذهبا سريعا وقولا لتلاميذه انه قام من الاموات . هاهو يسبقكم الى الجليل هناك ترونه – ١٦ فانطلق التلاميذ الى الجليل الى الجبل ١٧ ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا) وليس في انجيل متى رؤية اخرى غير هذه وهي التي شك فيها بعضهم (١) . اما انجيل يوحنا فانه يذكر انهم رأوه في اورشليم قبل الذهاب الى الجليل مرتين وفي المرة الاولى منحهم الروح القدس (يو ٢٠ : ٢٢) وفي الثانية اقنع توما الذي لم يره في

(١) انجيل متى هو عند النصارى أقدم أناجيلهم الاربعة وليس فيه غير هذا الخبر عن رؤية المسيح بعد الموت كما قلنا في المتن . أما انجيل مرقس فلم يذكر فيه أي خبر عن ظهور المسيح بالفعل لتلاميذه ورؤيتهم له بعد قيامته ، وما فيه من ذلك { ١٦ : ٩ – ٢٠ } انما هو كما قلنا – باعتراف علمائهم الآن – زيادة ألحقها به رجل مجهول في بعض القرون الاولى ، فهي لاقيمة لها بالمرة من الوجهة التاريخية . ومن زاد هذه لايبعد عليه أن يزيد غيرها في الاناجيل الاخرى كعبارة متى المتقدمة . وأما انجيل لوقا ويوحنا فهما متأخران وما فيهما في هذه المسألة انما هي أقاصيص راجت بين النصارى في القرون الأولى ، وهي لاشك مختلقة بدليل أنها لو كانت موجودة في زمن الكاتب للانجيل الاول أو الثاني لما تركاها بالمرة مع أنها في غاية الاهمية عند النصارى بل لايوجد عندهم أهم ولا أعظم منها لاثبات دعواهم قيامة المسيح من الموت على =

المرة الاولى وكان شاكا فيه وأراه يديه وجنبه حتى صدق كباقي التلاميذ (يو ٢٠: ٢٠ و٢٧) ولا ندري لماذا لم يذكر متى كل ذلك ؟ واذا كان التلاميذ رأوه في اورشليم المرة بعد المرة كما قال سفر الاعمال (١ : ٣) حتى اقتنعوا وزال عنهم كل شك وأعطوا الروح القدس كما قال يوحنا أي صاروا أنبياء ملهمين فكيف

= مافيها من التناقض والتضارب الذي بينا مرارا نحن وغيرنا من علماء الافرنج المحققين فليس عندنا اذاً سوى رواية واحدة قديمة تستحق أن يُنظر فيها بشيء من العناية وهي رواية انجيل متى فنقول :—

ان كانت هذه الرواية ليست مما أضافوه الى الاناجيل وصادقة فالذي يفهم منها أن ظهور المسيح لم يكن جليا ولا واضحاً ، ولذلك لم تقتنع به نفس تلاميذه ، فيجوز أن الذي رأوه كان برقا أو خيالا في الافق كالذي ينشأ مثلا عن انكسار أشعة النور في طبقات الهواء كما هو معلوم في العلوم الطبيعية أو كان شخصاً بعيداً يشبهه سائراً في تلك الجبال لم يسهل عليهم الوصول اليه أو وصلوا إلى مكانه وكان الرجل قد غاب عن أعينهم فلم يعثروا عليه ولذا لم يحققوا إن كان هو المسيح أو غيره ولذلك أظهر بعضهم شكه فيه . ومن العجيب ان متى مع ذكره ذلك وحده لم يبين لنا صريحاً ان كان التلاميذ الشاكون زال عنهم هذا الشك حينما قرب منهم — كما قال — الشخص الذي نظروه على بعد أم بقوا شاكين بعد ذلك طول حياتهم مصرين على عدم التصديق ؟ وان كانوا اقتنعوا فبماذا اقتنعوا ؟ وهل قرب منهم لدرجة تزيل الشك عنهم فيه أم لا ؟ وكيف فارقهم وأين ذهب ؟ وهل مدة مكثه معهم كانت طويلة أم قصيرة ؟ وما كان موقفه بالنسبة اليهم ؟ وهل كان واقفاً على الارض أم معلقا في الهواء ؟ وهل أمره لهم بتعميد جميع الامم (١٩:٢٨) سمعه جميع الحاضرين أم بعضهم فقط ؟ وهل تكلموا معه في غير هذه المسألة ؟ وماذا كان موضوع كلامهم الآخر ؟ وهل كان صوته عين صوت المسيح الذي يعرفونه وألفاظه مفهومة أو مبهمة ؟ وهل بقوا ساجدين الى أن فارقهم أم رفعوا أعينهم اليه حينما اقترب وتأملوا فيه ؟ وهل سجد الشاكون معهم أم لا ؟ الى غير ذلك من المسائل التي كان يجب على الكاتب تفصيلها حتى لا تبقى النفوس متعطشة للوقوف على الحقيقة ، شاكة حائرة في أعظم عقائد دينهم فالظاهر أن الكاتب تجنب مثل هذه التفاصيل لانه كان قريب العهد بتابعي الحواريين وربما أنه خاف أن يكذبه أحد فهو لم يكن عنده من المهارة والجراءة والمعرفة بطباع الناس =

بعد ذلك شكوا فيه لما رأوه في الجليل على ماقال متى (٢٨ : ١٧) الذي يفهم منه أنها كانت أول رؤية لهم ولذلك شك بعضهم فيها !! واذا كان المسيح هوالذي وهبهم روح القدس بنفسه قبل أن فارقهم فما معنى قول انجيل لوقا ٢٤ : ٤٩ وقول سفر الاعمال أن المسيح أوصاهم أن لايبرحوا أورشليم حتى تحل عليهم وأنها حلت عليهم بعد صعوده يوم الخمسين كما هو صريح الاصحاح الاول والثاني من الاعمال كما سبق بيانه ؟ واذا صح تفسيرهم لعبارة البارقليط التي في انجيل يوحنا وأن المراد بها روح القدس هذه كما يزعمون فما معنى قول المسيح ١٦ : ٧ (لكني أقول

= ماعتقد غيره ، وأما الاناجيل الاخرى فلم تخش أحداً لان زمنها أبعد عن الوقت الذي قيل ان هذه الحوادث حدثت فيه ولمعرفة كاتبيها بطباع أهل زمنهم أكثر من غيرهم فقالت ماقالت . فيرى من ذلك أن أقدم رواية عندهم يحوم حولها شيء كثير من الشك ، هذا اذا سلم أنها صحيحة صادقة . وأما اذا كانت مخترعة فقول الكاتب فيها (مت ٢٨:١٧) « ولكن بعضهم شكوا » يريد به ـ كعادة المزورين الخداعين ـ أن يظهر للناس أنه فيما قصه عليهم خال من كل غرض ويقول الحق ولو على نفسه . فهي طريقة من طرق حسن السبك معتادة بين القصاصين الافاكين لاحكام تلفيقهم وان كان كاتبنا هذا قد فاتته بعض أشياء لازمة لاتمام حسن السبك لبساطته وجهله. وأيضاً فانه يريد أن يظهر أن التلاميذ لم يكونوا سريعي التصديق ولا ميالين لاعتقاد هذه المسائل بسهولة بل كانوا مدققين نقادين حتى لم يبالوا بالشك في هذه المسألة ، ولا باظهار شكهم لاخوانهم الذين يريد الكاتب أن يصورهم بأنهم كانوا أحرار سمحاء في معتقدهم يحملون خصومهم بكل أناة وعقل ويقنعونهم بالحسنى والدليل . فمن اقتنع منهم بشيء فهو لم يقتنع به ـ كما يريد الكاتب أن يقول ـ الا بعد التثبت والتحقق منه بالبحث والفحص فهذه القصة هي كقصة شك توما واقتناعه بعد ذلك المذكورة في انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٤ ـ ٢٩ . فان المراد بهما في الحقيقة المغالاة في بيان تدقيق التلاميذ بطريقة خفية وحيلة تافهة معتادة لا تدخل الا على البسطاء المغفلين . ولذلك ترى المبشرين الآن وفي كل زمان يتخذون مثل هذه العبارة دليلا على أن كتبة الاناجيل كانوا مؤرخين صادقين لانهم ذكروا هذه المسائل التي تدل على شك الحواريين وهي — كما يتوهم هؤلاء الناس أو يزعمون — لا تصدر الا من المجردين عن الاغراض والاهواء الصادقين من المؤرخين !!

لكم الحق انه خير لكم أن انطلق . لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (البارقليط) ولكن ان ذهبت أرسله اليكم) فاذا كانت روح القدس لاتنزل عليهم الا اذا انطلق ولا يرسلها اليهم إلا بعد ذهابه فكيف اذا أرسلها اليهم قبل صعوده كما قال نفس انجيل يوحنا (٢٠ : ٢٢) ألا يدل ذلك على صحة قولنا في كتاب دين الله ص ١١٨ ـ ١٢٠ . أن البارقليط هو غير روح القدس [١] وأن المراد به محمد (ص) كما بيناه هناك ؟ ولماذا كان انطلاق المسيح ونزول الروح خيرا للتلاميذ من بقاء عيسى بينهم مع أنه لو بقي لأمكنه أن يعلمهم كل شيء علمه لهم روح القدس على حد سواء اذ كل منهما اقنوم إلهي يعلم كل شيء كما يدعون ؟ أليس في ذلك تصريح بأن الرسول الآتي سيكون خيرا للناس من المسيح وأنه افضل منه ؟ ولذلك كانوا

---

[١] كان أقدم فرق النصارى يعتقدون أن المراد بالبارقليط شخص يظهر بعد عيسى لا روح القدس (الاقنوم الالهي عندهم) ومن هذه الفرق القائلة بذلك الغنوسيون Gnostics ومنهم المركيونيون أتباع مركيون Marcion من أهل القرن الثاني الذين ادعى بعضهم أن المراد بالبارقليط (بولس) راجع كتاب « مصادر النصرانية » لوماس ويتاكر صفحة ١٤٤ وفي نحو سنة ١٥٦ ميلادية ادعى منتنوس Montanus النبوة في فريجية Phrygia ـ قسم من آسيا الصغرى ـ وقال انه هو البارقليط وصدقه في ذلك أناس كثيرون من النصارى وغيرهم الى القرن الرابع وفي أيام ماني Mani) كان النصارى ينتظرون مجيء البارقليط فهذا ادعى هذا الرجل أنه هو، وكان ذلك في سنة ٢٠٥ ـ ٢٧٦ . راجع قاموس تشمبرس Chambers وكتاب « السعداء الوثنيين » لروبرتسن Robertson صفحة ٢٦٨ و ٢٧٤ وكتاب « ملخص تاريخ الدين مجلد ٣ ص ٢٣٦ »

وقد بين صاحب كتاب « اظهار الحق » أيضا أن النصارى كانوا في زمن النبي « ص » ينتظرون تحقق بشارة عيسى هذه بنبي يظهر بعده . فدعوى النصارى الآن أن المراد بها روح القدس وأنها منذ القدم فهمها الناس بهذا المعنى هي دعوى كاذبة وانما اتفق عليها النصارى بعد محمد « ص » الذي تحققت بعثته هذه النبوة فرارا من الايمان به عنادا وحسدا (راجع أيضا كتاب دين الله ص ١١٨ ـ ١٢٠) ويؤيد ذلك أيضا أن انجيل يوحنا صرح أن أهل الكتاب كانوا في زمن عيسى عليه السلام منتظرين ثلاثة أشخاص لابد من مجيئهم بحسب الكتب المقدسة قبل يوم القيامة وهم ايليا والمسيح والنبي (أنظر يو ١ : ١٩ ـ ٢٦ و ٧ : ٤٠ و ٤١) وصريح عبارات يوحنا المشار اليها هنا أنهم كانوا يفهمون من كتبهم أن المسيح غير النبي كما هو ظاهر لمن راجعها فدعواهم الآن أن المسيح الذى كانوا ينتظرونه هو هو عين النبي دعوى مردودة بنصوص كتبهم وبالتاريخ أيضا كما بيناه هنا والظاهر أنهم اتفقوا عليها بعد ظهور محمد (ص) كما قلنا ، فالنبي المبشر به في العهد القديم (أنظر مثلا تث ١٨ : ١٥ ـ ٢٢) هو هو البارقليط في العهد الجديد الذى بشر به عيسى ولا بد من ظهوره بعده وقد كان ذلك ولله الحمد فظهر محمد مصدقا لما عندهم عنه من التوراة والانجيل (راجع أيضا فصل البشائر في كتابنا دين الله)

يرغبون فيه أكثر من رغبتهم في المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من هذه العبارة .
ونرجع الى ما كنا فيه :

اما قول بولس ١ كو ١٥ : ٧ (و بعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل اجمعين) فلا يوجد ايضا في انجيل من الاناجيل انه ظهر ليعقوب هذا! فلا ندري من ابن اتى بذلك بولس ! واذا كان حقيقيا فلماذا تركته الاناجيل ولماذا لم يروه متى ولا يوحنا التلميذان ولا لوقا المدقق الذي تتبع كل شيء قبل كتابة انجيله (١:٣) ؟

الظاهر أن بولس إنما ذكر كل هؤلاء التلاميذ وخصوصا بطرس و يعقوب أخا يسوع في قائمته هذه (أو جدوله) تملقا لهم في أوائل أمره ليرضوا عنه وليعترفوا له بالرسالة . فان دعوى الرؤية هذه كانت عندهم كالشهادة العظمى (دبلوما) لهم باستحقاق الرسالة (١) !! فمن منهم يتبرأ من هذه (الدبلوما) و ينكرها أو يردها بعد أن أعطاها بولس لهم جميعا ؟ !

والذي يدلك على أن ظهور المسيح لأي واحد منهم كان يعتبر عندهم « شهادة بالرسالة » قول بولس ١ كو ٩ : ١ (ألست أنا رسولا .... . أما رأيت يسوع المسيح ربنا) وقوله ١ كو ١٥ : ٨ (وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا ٩ لأني أصغر الرسل أنا الذي لست أهلا لأن أدعى رسولا - الى قوله - ١٠ ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم) وهو صريح في أن المسيح انما ظهر له في آخر الكل لانه أصغر الرسل ، وهذا التعليل يفهم منه أن المسيح لا يظهر الا للرسل ووقت ظهوره لهم يختلف باختلاف مقامهم عنده فبولس وان كان قال ذلك اضطرارا للتعليل عن ظهور المسيح له في آخر الكل الا أن نفسه الفخورة المعجبة المتكبرة عادت فرفضت هذا التواضع الظاهري الذي اضطرت اليه أولا وقالت « انا تعبت اكثر من الرسل جميعهم » !! وقال ايضا عن نفسه ٢ كو ١١ : ٢ (فاني اغار عليكم غيرة الله ٥ لاني احسب أني لم أنقص شيئا عن فائقي الرسل ٦ وإن كنت عاميا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شيء ظاهرون لكم بين

---

(١) مسألة الرؤية هذه تشبه من بعض الوجوه رؤيا النبي (ص) عند المسلمين في المنام فهم أيضا يقولون انه لا يظهر الا للمؤمنين الصالحين . وقد خيل لبعض متصوفيهم أنه رآه وكلمه يقظة أيضا

الجميع ٢٣ أهم خدام المسيح . أقول كمختل العقل فأنا افضل . في الاتعاب اكثر في الضربات اوفر في السجون . اكثر في الميتات مرارا كثيرة ٢٦ باسفار مرارا كثيرة . باخطار سيول . باخطار لصوص . باخطار من جنسي . باخطار من الامم . بأخطار في المدينة . باخطار في البرية . باخطار في البحر . باخطار من اخوة كذبة ٢٧ في تعب وكد . في اسهار مرارا كثيرة . في جوع وعطش . في اصوام مرارا كثيرة . في برد وعري ٢٨ التراكم على كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس ٢٩ من يضعف . وانا لا اضعف . من يعثر وانا لا ألتهب ٣٠ ان كان أحد يحب الافتخار فسأفتخر بأمور ضعفي) الى غير ذلك من خيلائه واعجابه بنفسه وافتخاره بأعماله ومنّـهِ على الناس وعلى الله (راجع أيضا كو ٢ : ١) كأن جميع الرسل الآخرين لم يسافروا ولم يدعوا أحدا قط الى المسيحية ولم ينلهم شيء مما ناله من المتاعب ولم يعملوا عملا مثله مطلقا فهو - كما قلنا يعتبر - نفسه أفضل منهم وأنه الكل في الكل . ولا عمل لاحد سواه ! وقد بلغت به درجة حبه للظهور والفخر انه كان يطالب بنفسه من اتباعه ان يمدحوه ولا يستحي من ذلك كما في رسالته الثانية إلى اهل كورنثوس (١٢ : ١١)

ومما تقدم تعلم ان ظهور المسيح كانوا يعتبرونه اعظم شهادة لاستحقاق الرسالة ولذلك كان بولس يذكر مرارا ظهور المسيح له كما في سفر الاعمال وفي رسائله حتى ادعى انه اختطف الى السماء الثالثة والى الفردوس ورآه هناك وسمعه (٢ كو ١٢ : ١ - ٤) (١) وأي برهان يمكن لمثله ممن لم ير المسيح في حياته أن يقدمه للناس البسطاء على صحة رسالته سوى مثل هذه الدعاوي ؟ وربما كان هو الذي بث في التلاميذ فكرة إدعائهم رؤية المسيح بعد موته لينالهم شيئا من الشرف الذي ناله بدعواه لها . ولا يبعد على مثل أولئك العامة من الناس الفقراء الذين لا عمل لهم ولا علم ان يوافقوه على ذلك و يعترفوا له بها كما اعترف هو لهم جميعا بها حتى

---

(١) اذا كان بولس صادقا في حكاية هذه التخيلات وما ماثلها فلا رجح أن السبب في حصولها له هو كونه عصبي المزاج كثير التفكير والاجهاد لقواه العقلية والجسمية مع انه كان مصابا بداء الصرع كما يفهم من عبارته عن نفسه الواردة في (٢ كو ١٢ : ٧ - ٩) وأمثال هذه التخيلات معتادة عند أهل الصرع وغيرهم من ذوي الامراض العصبية . ومن أشهر مشاهير رجال العالم العظام كنابوليون بونابرت ويوليوس قيصر من كان مصابا بالصرع مثله فان ذلك لا ينافي كونه عاقلا ذكيا مدبرا

ذكر في رسالته ظهور المسيح لخمسمائة شخص ولجميع الرسل !! فكأنه في سياسته اتبع المثل العامي القائل « حملني وأنا أحملك »

ولكنه هو فاقهم في ذلك كثيرا حتى جعل الظهور لكل فرد من التلاميذ - فان عددهم لا يمكن أن يزيد عن ٥٠٠ شخص - ليرضوا عنه جميعا. واي خسارة عليه في ذلك ؟ بل أي فائدة له أعظم من مسالمتهم واستجلاب رضاهم كلهم عنه؟ ولو في اوائل امره (١) قبل ان يعلم ماذا يكون من شأنه بينهم، ومقامه عندهم، ولو علم ذلك وعلم انه سيكون إمامهم وقائدهم الاعظم في كل شيء لما اعترف لهم بشيء مطلقا كما تدل عليه سيرته معهم فيما بعد

هذا ولما كانت رؤية المسيح عندهم أعظم دليل على الرضا والاصطفاء والرسالة - كما قلنا - تحاشوا ادعاءها للكفرة والمعاندين اذ لا يمكن ان يتشرفوا بها مثلهم. ويثبت ذلك أيضا قول بطرس منكرا على بولس « وكيف يظهر لك (يعني المسيح) مع ان آراءك هي مضادة لتعاليمه » كما في الخطب (Homilies) المنسوبة الى إكليمندس الروماني وهي مكتوبة في أواخر القرن الثاني او بعده بقليل (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣٢٠) وهذه الخطب وان كانت منسوبة كذبا لاكليمندس الا انها تدل على ان النصارى كانوا في اوائل المسيحية يعتقدون ان المسيح لا يمكن ان يظهر للمخالفين له المعاندين . وهذا الاعتقاد هو احد أسباب خلو كتبهم من هذه الدعوى بل هو اعظم الاسباب . وهناك سبب آخر لذلك وهو تحاشي النصارى في القرون الاولى إثارة اليهود والرومانيين عليهم لكي لا يزيدوا في احتقارهم والسخرية بهم وتكذيبهم وايذائهم واضطهادهم وتنفير الناس منهم ومن دينهم فكانوا في ذلك

---

(١) لذلك ذكر رؤيتهم للمسيح في أول رسالة كتبها - كما يقولون - بعد رسالتيه الى أهل تسالونيكي فان هذه الرسالة التي لاهل كورنثوس كتبها سنة ٥٧ م حينما بلغه أن بعض الناس أنكروا رسالته وقالوا ان تعاليمه تغاير تعاليم بطرس وغيره من التلاميذ فذكرهم جميعا فيها تملقا لهم لئلا يخرجوا عليه ويكذبوه ويؤيدوا كلام الناس فيه . وقد دارى في رسالته هذه أيضاً (أبلوس) اليهودي الاسكندري البليغ الذي كان مزاحما له (راجع ١ كو ٣: ٦-٩ و١٦: ١٢ وأعمال ١٨: ٢٤-٢٨) وأما رسالته الى أهل غلاطية التي احتد فيها على التلاميذ - كما بينا - فكتبها بعد ذلك سنة ٥٨ م على ما يزعمون ثم عاش بولس بعدها نحو عشر سنين لانه مات سنة ٦٨ وكان وقتئذ قد طار صيته بينهم حتى ملأ ذكره الافاق لدهائه وسياسته وعلمه ونشاطه اكثر من سائر رفقائه

حقيقة حكماء ، ولعلهم فعلوا ذلك ايضا بارشاد بولس وضربائه من عقلائهم وساستهم

ولكن من لم يفهم ذلك من النصارى بعدهم ادعى أن المسيح وعد اليهود بالظهور لهم بعد دفنه في الارض بثلاثة أيام وثلاث ليال فزاد هذه العبارة في انجيل متى (١٢ : ٣٩ و ٤٠) فان العدد (٤٠) منها لاوجود لمثله في الاناجيل الاخرى وقد تكلمنا على ذلك في رسالة الصلب صفحة ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٧ و ١١٨ . راجع ايضا (لو ١١ : ٢٩ - ٣٢ ومت ١٦ : ٤ ومر ٨ : ١٢) وجميع هذه النصوص المشار اليها هنا صريحة في أن المسيح اجاب المقترحين للآيات مرة بقوله « لن يعطى هذا الجيل آية » كما في مرقس ومرة بقوله « لن يعطيهم آية الا آية يونان لاهل نينوى » كما في لوقا وغيره. ولا يخفى ان يونان لم يعط اهل نينوى اي آية فكأن مراد المسيح أنه يجب أن يؤمنوا به بمجرد دعوته لهم كما آمن اهل نينوى بيونان لمجرد مناداته لهم (راجع لو ١٠ : ٣٢) ولمنكري المعجزات ان يستدلوا بذلك على صحة دعواهم أنه لم يفعل شيئا منها . فالمسيح لم يظهر لأحد ، ولا وعد اليهود بذلك كما ادعى المحرف للانجيل . ولولا ان عدم ظهور المسيح لأي احد من اليهود والرومانيين وغيرهم من الكافرين كان معروفا شائعا متواترا بين النصارى الاولين لزاد المحرفون للانجيل قولهم انه ظهر لفلان وعلان منهم ايضا ولكن مثل هذه الزيادة لا يمكن ان تمر على الناس بسهولة ، ولا تدخل عليهم خفية بدون ان يشعروا بها كما دخلت عليهم الزيادة التي في انجيل متى (١٢ : ٤٠) لان ادراك هذه الزيادة يحتاج لشيء من الانتباه والتدبر ولذلك ترى النصارى يقرأون هذه العبارة في انجيل متى صباح مساء ولا يشعرون بأنها كانت وعدا لليهود بالظهور لهم ولا بأنه وعد لم يتحقق ، واذا صح أن المسيح قالها لهم وجب عليه أن يُرِي نفسه لهم بمقتضاها كما أرى نفسه لتلاميذه والا لكانوا معذورين في عدم الايمان به وتكذيبه فان نفس تلاميذه شكوا فيه مرارا كما بيناه في رسالة الصلب ولم يقنعهم الا بمجهود . فهل كان ينتظر منهم أن يكونوا أكثر ايمانا به من نفس تلاميذه حتى يطالبهم بالايمان بقيامته من غير أن يروه لمجرد سماع هذا الخبر من تلاميذه الذين كانوا كثيري الشك ، عديمي الايمان بنص الانجيل (مت ١٧ : ٢٠) . فكيف أخلف المسيح اذا وعده لهم ؟ وكيف يجب

عليهم تصديق عدعي الايمان ؟ ولا يخفى ان من كان كذلك لا يتحاشا الكذب وخصوصا لمصلحته ولا يخشى الله . وأي مصلحة أكبر من أن يصبح أولئك الاشخاص الفقراء ، المحتقرون، المستضعفون، بعد موت سيدهم و يأسهم منه وابتداء تلاشيهم - يصبحون رؤساء للناس ورسلا لهم يشرعون لهم مايشاؤون، ويأخذون من أموالهم مايرغبون (أع ٢: ٤٤و٤٥و٤: ٣٢-٣٧و١ كو١٦: ١-٣ و٢ كو ١١: ٨و٩) بل يقتسمون جميع الاموال والممتلكات بينهم بلا عمل ولا تعب سوى القول بأنهم رأوا المسيح بعد موته حيا . كما علمهم بولس وغيره . وقد عاد اليهم الامل - لما بثه فيهم عقلاؤهم ومفكروهم - بقرب رجوع ملك إسرائيل اليهم حينما رأوا اقبال الناس عليهم وخضوعهم لهم وهو الامل الذي طالما خالج نفوسهم وكانوا يرتقبون كل يوم تحققه من قديم الزمان (أنظر أع ١: ٦) حتى أنهم اعتقدوا أنهم سيملكون في الارض مع المسيح الف سنة (رؤ ٢٠ : ٤و٦) في ذلك العصر الذهبي الذي كان يتوهمه اليهود والى الآن ينتظرونه ، وأنه متى جلس المسيح على كرسي مجده يجلس التلاميذ الاثنا عشر[1] على الكراسي ليدينوا أسباط اسرائيل الاثني عشر (مت١٩: ٢٨)

(١) حاشية : لو جارينا النصارى في طريقتهم لاثبات قدم كتبهم لقلنا ان عبارة جلوس التلاميذ على اثني عشر كرسيا الواردة في إنجيل متى تدل على أن هذا الانجيل كتب قبل حادثة الصلب وقبل تسليم يهوذا (وهو أحد الاثني عشر) للمسيح. والا اذا كان هذا الانجيل كتب بعد ارتداد يهوذا لما ذكر كاتبه فيه الا أحد عشر ا كرسيا تفاديا من نسبة الخطا الى المسيح . فلا أدري لِمَ لم يقولوا بذلك وقد كانو يجدون لهم أنصاراً كثيرين !!؟ فهذا مثل من أمثلة براهينهم على قدم كتبهم !!

فان قيل لعل الكاتب أخذ هذه العبارة عن بعض مكتوبات قديمة كتبت قبل حادثة الصلب ولم يصلحها لعدم التفاته أو لأنها تقبل التأويل حيث قد انتخب (متياس) بدل يهوذا (أع ١: ٢٦) . قلت كذلك نحن نقول في بعض عبارات كتبهم التي تدل على القدم فان مؤلفي الاناجيل أخذوها أحيانا كما هي عمن قبلهم لعدم التفاتهم أو لأنها تقبل التأويل ولو مع التكلف الزائد كما فعل النصارى فيها بعد ذلك ، وأحيانا حوروها لتكون أقرب للتأويل مما كانت أو حرفوها . مثال ما فيها مما أولوه قول متى عن لسان المسيح ٢٤ : ٣٤ (الحق أقول لكم لايمضي هذا الجيل حتى يكون =

وأن زمن رجوع المسيح قريب جدا وأنهم يبقون أحياء الى نزوله (١ تس ٤: ١٥ - ١٨) حتى قال لهم بولس « عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام » وليس هذا فقط بل قد وعدهم المسيح (كما في مر ١٠ : ٣٠) بأن من ترك شيئا لاجله يأخذ مائة ضعف في هذه الدنيا وله الحياة الابدية في الآخرة ، وأفهمهم بولس أيضا بأنهم جميعا سيدينون العالم والملائكة (١ كو ٦ : ٢ و ٣) وقد بلغ بالرؤساء منهم الغرور والجهل الى درجة ان توهموا او اوهموا الناس ان بيدهم غفران الذنوب[1] ومفاتيح

= هذا كله) فاذا صح أن الجيل قد يراد به في لغتهم الصنف من الناس كالأمة اليهودية كلها فالكاتب انما استعمله بهذا المعنى وعليه فهو لا يدل على قدم الانجيل . واذا كان هذا اللفظ لا يراد به الا الطبقة الموجودة في زمن ما كان هذا القول دليلا على أن هذا الانجيل كتب قبل انقراض جميع معاصري المسيح وحينئذ يكون عيسى نفسه مخطئا في هذه العبارة . فهي إما أن تكون صحيحة والانجيل ليس بقديم، وإما أن يكون الانجيل قديما وعيسى مخطئا فأي الوجهين يختارون ؟ وأما القول بأنها صحيحة وأنها تدل على قدم الانجيل فهذا مما لا أفهمه !! والحق أنه لولا عدم التفات أولئك الكتبة لما وجد في كتبهم ما وجد فيها من التناقض والغلطات التي لا تحتاج لكبير تأمل أو تفكر ولذا كان منهم من ناقض نفسه بنفسه في الكتاب الواحد بل في العبارة الواحدة راجع صفحة ٤٨ !!

(١) ان كان هؤلاء الناس معصومين من الخطايا فكيف راءى بطرس اليهود في انطاكية حتى قال عنه بولس « انه كان ملوما أومدانا وانه هو ومن معه لا يسلكون باستقامته حسب حق الانجيل » (غل ٢ : ١١ — ١٤) ؟ وكيف أنكر المسيح وقت أخذه للصلب وأقسم أنه لا يعرفه (مر ١٤ : ٧١) ؟ وان كانوا غير معصومين فكيف اذاً يغفرون للناس ذنوبهم وهم — فوق ماتقدم — عديمو الايمان كما قال لهم المسيح ؟ (مت ١٧ : ٢٠) أليس اليهود أفضل منهم لانهم امتنعوا عن ادانة الزانية — حينما ذكرهم المسيح بخطاياهم — وبكتتهم ضمائرهم (يو ٨ : ٧ - ١١) وأما هؤلاء فيدينون الناس {أع ١٣ : ١١} ويمسكون خطاياهم {يو ٢٠: ٢٣} وهم أنفسهم مدينون !! فلم ذلك وما حكمته وهل هو مما تسعه عقول النصارى أيضاً كما وسعت التثليث وغيره ؟ ! وهل لا يزال البروتستنت منهم ينكرون أن مسألة الاعتراف، وبيع أوراق الغفران(Indulgences)والقطع من الكنيسة ،والسلطة البابوية، وغير ذلك مما تسببت عنه مفاسد عديدة - يعرفونها - بين جميع النصارى =

ملكوت السموات (١) وان كل ما يربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء وكل ما يحلونه على الارض يكون محلولا في السماء (مت ١٦ : ١٩ و١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣) الخ الخ فمن اذاً لا يقول بقولهم في قيامة عيسى ليدخل في زمرتهم حتى ينال ما نالوه أو سينالونه في الدنيا والآخرة ؟ مهما ناله من الاذى والاضطهاد الموقت طمعا فيما سيحصل له ولأمته من صلاح الحال وحسن المستقبل والنعيم الدائم في الدارين . الا ترى ان القاتل يقدم على القتل طمعا في المال مع علمه بأنه غالبا سيقع في القصاص الذي يذهب بحياته كلها ولكن الأمل في السعادة والطمع فى لذة المال يدفعه لارتكاب هذا الاثم الفظيع مهما كانت نتيجته .

= منذ القدم أننا نشأت كلها من عبارات كتبهم هذه التي - في الحقيقة - ماوضعها الآباء فيها الا ليبنوا عليها سلطتهم بدعواهم أنهم خلفاء المسيح ورسله ونوابهم فيكون لهم من السلطة والحقوق ما لاولئك سواء بسواء ؟ واذا كان للتلاميذ حق التصرف في ملكوت السموات ! فكيف أصبح البروتستنت ينكرون على الرؤساء الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ طبعا) حق التصرف في هذه الارض الصغيرة الحقيرة وهو الحق الذي يدعونه دائما لتبقى الناس في أيديهم كالانعام كما كانوا منذ القرن الاول؟ أليس انكارهم هذا أثرا من آثار العقائد الاسلامية التي وصلت الى مصلحيهم من حيث لا يشعرون، أم هم يكابرون؟ وقد جاء بها النبي الامي في أزمنة الجاهلية والعالم كله في الضلال المبين

(١) أي عقل أصغر ! وأي إدراك أقصر ! وأي علم أقل ! وأي عقيدة أسخف ! وأى وهم أكبر ! وأي غرور أعظم ! ممن يعتقد مثل هذه العقائد ؟ فان الارض ومن عليها ليست الا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الكبير العظيم كما أثبته علم الفلك الحديث. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن الشريف (ومن يغفر الذنوب الا الله) ؟ وقوله : (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وقوله (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فالبشر ليسوا أفضل من جميع مخلوقات الله تعالى كما كان يتوهم أولئك الواهمون المفتونون المغرورون ، وما قدروا الله حق قدره ، سبحانه وتعالى عما يتوهمون ويصفون ويشركون ، هو الكبير المتعال ، ليس لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا ، لا إله الا هو الواحد القهار ، رب السموات والارض رب العرش العظيم ، فلله وحده الحمد والشكر أن طهر عقولنا بعقائد الاسلام، من تلك الاوهام ، ورفع نفوسنا بالتوحيد ، حتى لا نعتها بالذل والجبن والعبادة لامثالنا من العبيد

هذا اذا . لم أن التلاميذ ومن معهم من النصارى كانوا حقيقة يجاهرون على رؤوس الاشهاد بدعواهم قيامة المسيح (انظر رسالة الصلب ص ١٤٩) وانه نالهم جميع الاضطهادات التي تسمعها من قصاصي النصارى . واذا سلم ذلك فهل كانت كل هذه الاضطهادات بسبب هذه العقيدة وحدها ؟ مع انهم كانت لهم عقائد اخرى يخالفون بها غيرهم ، وكان اكثر ما يتهمون به هو التهم السياسية لما عند الرومانيين من الحرية في المسائل الدينية ولعدم وجود سلطة عليهم في ايدي خصومهم اليهود وخصوصا بعد تشتت هؤلاء وخراب اورشليم سنة ٧٠ م وقد اعترف مؤرخوهم بأنه لم يمس المسيحيين اذى في اثناء حرب الرومانيين مع اليهود لان المسيح كان انبأهم بخراب اورشليم ووصاهم بهجرها

ولا يخفى ان (استفانوس) - اول شهيد في النصرانية، وإنما رجمه اليهود لانهم اتهموه بالتجديف على موسى والناموس وعلى الله (راجع اع ٦ : ١١ - ١٤) وكان رجمه بعد ان القى عليهم خطابا طويلا كما هو مذكور في الاصحاح السابع من سفر الاعمال وليس في هذا الخطاب ذكر لقيامة المسيح من الموت ولا لرؤية احد له بعد هذه القيامة المزعومة ، بل قال ان اليهود قتلوه كما قتلوا قبله انبياء كثيرين (اع ٧ : ٥٢) . ومن عبارة استفانوس هذه يفهم ان بعض اليهود المتنصرين في أوائل المسيحية لم يكونوا يعتبرون الصلب والموت مقللا من قيمة المسيح عندهم ولا مزلزلا لعقيدتهم فيه بل كانوا يعدونه من مصائب الدهر التي اصابت المسيح واصابت غيره من انبياء الله السابقين الذين تعود اليهود قتلهم من قديم الزمان . فقول المبشرين الآن انه لولا قيامة المسيح من الموت ماقامت للنصرانية قائمة لأن صلبه[1] وقتله زلزل عقيدة تلاميذه فيه وبرؤيتهم له بعد الموت انتعشت نفوسهم، إنما هو قول باطل لأن التلاميذ ما كانوا يعتقدون استحالة الموت والقتل عليه ولم يعتبروا حصول ذلك الا شيئا معتادا بين الكثيرين من الانبياء قبله فهو ليس بدعا من الرسل في ذلك . وهذا الاعتقاد هو الذي كان فاشيا فيهم قبل ان نبههم بولس

(١) هذا الكلام كله مبني على تسليم قصة الصلب كما هي في كتبهم

واضرابه من مفكريهم - البصيرين بحال امتهم ومستقبلها الغيور بن عليها - الى حكمة لحصول الصلب والموت للمسيح وهي خلاص البشر به فبعدئذ اصبحوا ينظرون الى الصلب بغير نظرهم اليه أولا واعتبروه اكبر ما يشرف المسيح ويرفع منزلته في عيون الناس اجمعين فصاروا بعد ذلك يدعون الى عقيدتهم هذه فرحين مسرورين (١ كو ١: ١٨) نعم يجوز انه لولا ان تنبهوا الى هذه الحكمة لكان يمكن لليهود أن يأثروا في بعض عامتهم الضعفاء ويزلزلوا عقيدتهم في المسيح أو يحولوا بعضا منهم عن الايمان به . فالذي حمى النصارى من ذلك (اولا) هو علمهم بما حصل للانبياء قبله من الاضطهاد والاذى والقتل والمرض وغيره من مصائب هذه الحياة التي يجب ملاقاتها بالسكينة والصبر والرضا بقضاء الله وقدره (انظر أع ٢: ٢٣) (وثانيا) هو الحكمة التي اخترعها لهم بولس وغيره أو نبهوهم اليها ، ولو ان بولس جعل قيامة المسيح من أكبر أسس هذه الحكمة إلا انه كان لاشك يمكنه الاستغناء عن القول بها لولا ميله الفطري دائما الى الغلو والاغراق في كل ما اعتقده او ارتآه كما هو ظاهر من رسائله ومن اعماله قبل دخوله في المسيحية وبعدها فقوله بها انما كان من زيادة غلوه في تكريم المسيح (١) ومحقا لشماتة اليهود به وغيظا لهم واستمالة للوثنيين بتقليد عقائدهم في مخلصيهم . وهو في تحوله هذا السريع من بغض المسيحية واضطهاد اتباعها الى محبتها ونصرتها يشبه عمر بن الخطاب في تحوله فجأة من عداوة الاسلام واهله الى محبته ونصرته . هذا إذا سلمنا قصة بولس الواردة في كتبهم وفرضنا أن ما نصره واحبه هو المسيحية لا ديانة جديدة هو الواضع لها ، ولكننا نرى ان علماء الافرنج المحققين قد اصبحوا الآن يشكون في كل ما رووه ونقلوه لما علموه عنهم من كثرة التحريف والاختلاق ، وهو الأمر الذي قرره القرآن منذ نزوله (راجع مثلا ٢: ٧٥ و٧٦) ولكنهم كانوا وقتئذ يكابرون و يكذبون

(لها بقية) الدكتور محمد توفيق صدقي

---

(١) كما تغالى بعض اليهود كيوسيفوس وقالوا ان موسى لم يمت وانما اختفى عن قومه ولا يزال حيا ، وكما تغالى النصارى في مريم وقالوا انها رفعت بعد الموت الى السماء بروحها وجسدها ولهم عيد (يوم ١٥ اغسطس) يحتفلون فيه بذكرى رفعها !! وكان الوثنيون يقولون برفع بعض آلهتهم الى السماء (انظر مثلا كتاب « النصرانية والاساطير » لمؤلفه روبرتسن ص ٣٨٤) ويقول اليهود برفع بعض الانبياء اليها ايضا (راجع عب ١١: ٥ و٢ مل ٢: ١١)

باب المناظرة والمراسلة

سيدي العلامة المشتهر منشيء المنار الازهر أيد الله بك الشرع الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فلم أنس لا أنسى تلاوة أعداد مجلتك المحترمة وما حوته من منشورات نصارى البروتستان في الغارة على العالم الاسلامي ودسائسهم في اضلال ضعفاء المسلمين وتهديدهم حياة الاديان حتى الاسلام بقواهم ومعداتهم المدهشة وما كان يشيعه (زويمر) عن مسلمي البحرين من تأثير عملياته فيهم

أقرأ تلك المنشورات وأناملي ترتعش وفرائصي ترتعد، ونيران الاحزان تلتهب في أحشاي وتتقد .. حتى اني سئمت العيش آنئذ ودفت الاهلين والوطن وخرجت بوجهي كهائم في فلاة حتى بلغت مجمع البحرين لكي أطلع على حقيقة الامر وأتحقق صحة ما أشاعه دعاة البروتستان عن تلك القارة الاسلامية المحضة فاتدارك الخطب بعدئذٍ عن بصيرة

فحللت بلاد البحرين في أول يوم من هذه السنة والتقيت بأميرها وقاضيها وبالعلماء والاعيان من أهليها . وفتشت عن (زويمر) فأخبروني بسفره الى البلاد المصرية واتفق نزولي في دار قريبة من مستشفى البروتستان ومن مدرستهم وبيوتهم فأرسلت الى بعض خدمهم من مسلمي الجزيرة وأخذت منه بعض المعلومات الضرورية وظفرت بتصاوير اداراتهم الكائنة في البحرين وفي مسقط والكويت والبصرة

ان الخطر مما لا يستصغر ولكن مما يهون الخطب ان اكثر ما يشيعونه من نجاح مسعاهم في هذه البلاد مبالغات أو مفتريات يقصدون من نشرها اغراء جمعياتهم الكبرى وتشويقها حتى تبذل لهم الاموال الجسيمة

وها أنا ذا ذاكر لسيادتك بعض ما كشفته عن أمر هؤلاء وسوف أذكر في حضرتك البقية بالمشافهة ان شاء الله تعالى

أما الدعاة المنتشرة في البحرين فلا يبلغ عددهم العشرين رجالا ونساء وأكثرهم لا يحسنون العربية ، ولا يعرفون شيئاً من العلوم الدينية ، وهذا بعض مايدل على ان

هؤلاء يفشون جمعياتهم الكبرى التي تنفق عليهم الاموال الطائلة لظهور عجزهم وقصورهم في اداء وظيفتهم فتذهب بهم أموال الجمعية هواء في شبك

وقد لقيني معلمهم بعض الايام وسألني عن قوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » الخ الآية . فقال ان المستفاد من الآية هو علم الملائكة بالغيب بل بما لم يعلمه الله تعالى . قلت ياسبحان الله كيف تستفيد ذلك من الآية مع تصريح الملائكة في هذا السياق بقولهم (لا علم لنا الا ما علمتنا) وتصريح الباري عز شأنه بقوله (إني أعلم مالا تعلمون) : ثم ان الملائكة لم تعترض على الله في خلق آدم وانما استفهموا منه تعالى عن جواز صيرورة الظالم المفسد (في رأيهم) خليفة فقالوا بعد قوله (إني جاعل في الارض خليفة) (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الخ ولم يقولوا أتخلق فيها من يفسد

ومتى كان هذا القول من الملائكة استفهاما وسؤالا عن جواز استخلاف الله تعالى ظالماً ولم يكن ذلك منهم اعتراضاً عليه دلّ ذلك على عدم علم الملائكة الغيب وعلى سعة علم الله تعالى دون العكس كما توهمت

وتكلمت معهم يوماً في مكتبتهم في مسئلة اشباع المسيح عليه السلام خمسة آلاف نفس بخمسة ارغفة المذكورة في انجيل متى وغيره وبرهنت لهم بالأدلة الواضحة منافاة هذه القضية لحكم العقل والعلم ، فاعترفوا بمناقضتها لحكم العقل لكنهم اعتذروا بأن الدين لا يضره مناقضة العقل! فبينت لهم في مقالة ضافية الذيل وجوب معاضدة العقل للدين ومصادقتهما ويستحيل بدون ذلك ايمان الانسان ايماناً صادقاً وذكرت لهم موافقة الدين الاسلامي للاحكام العقلية وتصريح بعض علماء الاسلام بقضية (كل ما حكم به العقل حكم به الشرع وكذلك العكس)

ولدعاة البروتستان في البحرين مدرسة صغيرة مركبة من حجرتين يجلس الاطفال في التحتانية منهما ويجمع الكبار للصلاة في الفوقانية ولا يبلغ تلاميذها عدد الاصابع وما فيها من المسلمين غير صبيين عربي وفارسي يتعلمان فيها الانكليزية ، ورأيتهما يستهزآن بصلاة هؤلاء ويقول احدهما للآخر كيف يقبل الله تعالى صلاة يغنون فيها بأدوات اللهو ويقضون باسم الصلاة شهوات انفسهم

وأما تاريخ (زويمر) فالمشهور بين أهالي البحرين انه في أول مجيئه قبل بضع عشرة سنة صادف خشونة من الناس فهاجر الى بلاد الحسا ليستقر فيها فوجد في أهليها ذكاء وتنبها وان البلاد عثمانية لا يسود فيها حكم لقونسل انكليزي حتى يستظهر

مثله به كما ستسمع ، فرجع الى البحرين بخفي حنين واستعذب ماراه ثمة من المهانة وكان يلقب نفسه « ضيف الله » والاهالي يدعونه « ضيف إبليس » (كذا ذكر الناس) وكان قد فتح في مبدإ أمره حانوتا في السوق لبيع الكتب لحنيفه ثم تخصص بالتدريج لبيع الكتب المسيحية وبعد اعوام عزم على شراء أرض هناك فامتنع الحاكم ان يبيعه مع انه اشترط على نفسه ان لايضع فيها ناقوساً ولا غيره من آثار النصرانية ولا يدعو فيها الى دينه لكن (زويمر) توسل بقونسلية الانكليز في بوشهر والبحرين فألحت القونسلية على الحاكم واخذت منه قدرا واسعاً من الارض لزويمر بثمن أربعة آلاف روبية تقريباً واسسوا فيه مدرسة ومستشفى صغيراً لنشر دعوة الانجيل بتمام حريته (أفلا يدل هذا وأمثاله على توربة في لهجة أوربا في ادعاء اجتناب ساستها الامور الروحية وتجنب رجال دياناتها الامور السياسية ؟)

ولم يظهر خلال هذه الاعوام نجاح لزويمر الا في أمور أربع (الاول) زيادة راتبه ومعاشه الى ١٥٠ ربية في الشهر غير مايتبرع عليه بعض أحبائه الامريكانيين (الثاني) تكثيره عدد الدعاة في بلاد البحرين من رجال ونساء امريكيات يتطلبون بمساعيهم الارتزاق (الثالث) استخدامهم لفقراء المسلمين في ارادتهم ثم يأخذون صورهم يرسلونها الى بلاد أخرى يشيعون عنهم أنهم تنصروا والصحيح انهم تبصروا في دسائس مخالفيهم ولقد شاهدت في مستخدميهم الغيرة الاسلامية والشكوى مما هم فيه حيث ان الفقر ألجأهم الى خدمة عباد المسيح (الرابع) توزيعهم نسخ الاناجيل بين المسلمين ولشد ما أخطأوا في هذا الامر وسيندمون حين لاينفعهم الندم ، لان أبناء القرآن اذ اطلعوا على آيات الانجيل سقط موقعها من أعينهم . وقد اتسع نطاق فحصي في ذلك فلم أجد مسلماً يسمع الانجيل الا ويتكلم عليه.

ولقد قال لي بعض البحرانيين انني كنت أعتقد قبل ان أرى الانجيل أنه كتاب الهي ولكن يد التحريف مست بعض آياته : وبعد ماوصلتني منه نسخة سقط من عيني حتى كدت ان أنكر نسبة شيء منه الى الباري

ولقيت الشاب الغيور (يوسف كانون) أحد أجلاء البحرين وممن يحبب اليهم زويمر وقد اتحفه بنسخة من العهدين فقال وقد أعانتني قراءتهما على محاجة زويمر معي في كثرة أزواج نبينا محمد (ص) فقلت انها لاتنافي رسالته من الله تعالى وهذا سفر صموئيل من التوراة ينطق بأن سليمان النبي عليه السلام تزوج بمئات من من النساء وان داود عليه السلام تزوج بغير زوجته على وجه غير وجيه: الى آخر ماقال

وكان شبان العرب يذكرون لي ما سنح في خواطرهم من الاعتراضات على الاناجيل وجاء بعضهم يوماً بنسخ من الانجيل الموزع عليهم قد كتبوا على هوامشها اعتراضات جمة .. ولقد نهيتهم عن احراقها اذ بلغني ان أكثر جهالهم يأخذون نسخ العهود الموزعة عليهم ويحرقونها !! أو يلقونها في البحر !! ويبيعون اغلفتها ويستعملون الاوراق لصنعة الكرتون أو سائر حوائجهم !

وبالجملة ان نشر هؤلاء تلك الكتب بالمجان وشبهه تلقي خسارات باهظة على كاهل جمعياتهم من دون فائدة ، بل المرجح ان ذلك يعود عليهم بضرة كبيرة يصعب عليهم ملافاة اخطارها في المستقبل . وهي توجه أفكار المسلمين الى اشاعة ما في الاناجيل وانكاره تماماً فهم مالم يقرؤا الاناجيل مذعنون حسبما يظهر من قرآنهم المقدس (ان العهود كتب إلهية مست يد التحريف بعضا من آياتها) ومتى اطلعوا على خوافيها ، نفروا من جميع مافيها ، وعرفوا مواضع الطعن منها .. أقول هذا ولا أظن المسيحي يعترف لي أو يصدقني لما ملأ قلبه من الشغف بالانجيل، ويزعم ان الناس كلهم يرون انجيله مثلما يراه ، كلا ، ومن أنذر فقد أعذر

أخذ الافرنج منذ سنين يوزعون الاسلحة النارية في بلاد العرب ، بالمجان بعضاً وبازهد الاثمان أخرى ، يقصدون من ذلك إلقاء الفتن والقلاقل الداخلية فيقع بأس المسلمين بينهم ، ويمزق الاسلام أيدي أبنائه ، ولقد تأكد ظنهم من فتنة اليمن وما أنبه لخسروا في توزيع الاسلحة ثروة عظيمة

ولما ظهرت صيحة طرابلس ونهض العرب كاسود ضارية يستعملون تلك الاسلحة والسهام في نحور أعداء الاسلام خابت ظنون الافرنج وانتقضت سياستهم فطفقوا الآن في موانئ جزيرة العرب يشترون منهم بأثمان غالية تلك الاسلحة التي فرقوها بينهم بأبخس الاثمان فتضاعفت خسارتهم مرة أخرى (تلك اذن كرة خاسرة)

وها أنا ذا أنذرهم (ولا يغني الانذار) واحذرهم من نشر كتبهم في المسلمين لانهم في هذه الفكرة كالباحث عن حتفه بظلفه يبصرونهم بمواضع الطعن و يمكنونهم منها ، ولسوف تراهم يشترون بأغلى القيم جميع الأناجيل التي فرقوها فيهم بالمجان أو بقيمة زهيدة ويسعون في جمعها بكل وسيلة وحيلة وتكون خساراتها في حال جمعها أكثر من خساراتهم حال تفريقها وتكون عاقبة أمرهم في نشر أسلحتهم الدينية كأمرهم وخطأهم في نشر أسلحتهم النارية .. ومن أنذر فقد أعذر

من (بطون الفلوات) (سائح ناصح)

(المنار) ان هؤلاء القوم لا يبالون بزيادة نفور بعض من يرى كتبهم من دينهم ويكتفون ممن يأخذ هذه الكتب بالانس بهم واعتياد البحث عنهم والتشوف الى سائر ماينشرونه ولو بقصد الاختبار أو السخرية ، وحينئذ يفتح لهم باب التشكيك في الاسلام بنشر الكتب التي تطعن فيه ولا يذكر فيها شيء من كتبهم ، ومتى شك المسلم في القرآن أو نبوة النبي (ص) كفر وبطلت ثقته بالاسلام ، وهذا عند الدول أول أول درجات الفتح السلمي بواسطة دعاة النصرانية . فالاولى للمسلمين ان لا يأخذوا شيئا من كتبهم البتة الا من كان متصديا للدفاع عن الاسلام والتفرقة بين الحق والباطل ، ومن أخذ منها شيئا فلا كفارة لاخذه مثل إحراقه بالنار ، قبل ان يهوي به الى النار ، وقد أخطأ السائح الفاضل بنهي الناس عن احراق تلك الكتب التي تثير الفتنة ، وتمزق شمل الأمة ، وتكون وسيلة للشك في الدين ، ولازالة ملك المسلمين ،

وكما ينبغي إحراق تلك الكتب الضارة ينبغي أيضا نشر الكتب التي تبين حقيقة هذه النصرانية التي يدعوننا اليها ليعلم المسلمون انها أبعد الأديان عن دين المسيح الصحيح ، وعن دين بولس الذي الفه باسم المسيح ، وأودعه هذه الكتب التي يسمونها العهد الجديد . وليعلم أهل الصلاح والتقوى والغيرة الدينية من أهل البحرين والكويت وسائر بلاد الخليج الفارسي وعمان والعراق أن نشر الكتب التي تشكك الناس في القرآن والاسلام ، ستزداد عاما بعد عام ، فعليهم ان يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم يكون أول عملها مجاهدة هؤلاء الدعاة (المبشرين) بمثل مايجاهدون المسلمين به ، بأن يكون أول عملها توزيع الكتب التي تبين حقيقة النصرانية الحاضرة مجانا في كل مكان وصلت اليه فتنة هؤلاء الدعاة ، وأهمها هذه الرسائل الجديدة التي ننشرها نحن وكتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهذه أنفع من كتاب الجواب الصحيح وكتاب إظهار الحق وامثالهما من المطولات التي لا يفهمها حق الفهم الا العلماء

وليتذكر الشيخ مقبل الذكير والشيخ قاسم بن ثاني أن الاجر في نشر امثال هذه الكتب والرسائل صار في مثل تلك البلاد أفضل من طبع كتب الفقه والفتاوى والرد على المبتدعة المتقدمين الذين انقرضت مذاهبهم وماتت بدعهم . لان هذا يتعلق بحفظ أصل العقيدة وكنه الاسلام . ثم يجب على الجمعية ان تغني المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الدخول فيها بكل الوسائل الممكنة . والا ندموا حيث لاينفعهم الندم . ومن أنذر فقد أعذر ، والسلام

﴿ جمعية خدام الكعبة (*) ﴾

ان الاتحاديين أضروا بالاسلام والمسلمين أكثر من أضرار الاعداء الحقيقيين فقد مزقوا الدولة وأذلوا العثمانيين والمسلمين معا وفرقوا الكلمة ولعبوا بالامة وضيعوا من ممالك الدولة الاسلامية في خمس سنين مالم يضيع مثله عبد الحميد وأعوانه في أكثر من ربع قرن - وقد نفروا من هذه الدولة - المصابة من أيدي أبنائها بأكثر مما أصابها به الاغيار - قلوب العالم الاسلامي - واذا كان العدو العاقل خيراً من الصديق الجاهل فما بالك بهذا الصديق الجاهل اذا كان زنديقاً ملحدا لايعتقد بالله ولا يؤمن بما به تؤمن، ولا يصدق ويوقن بما تصدق به، وتوقن اللهم الا دعوى لسانية تخالفها الافكار والاعمال، وتباينها السيرة والحال وهو مع ذلك قد تطور باطوار لاتلائم الجنس الذي يدعي الانتساب اليه، وتشكل باشكال صارت وبالا على جنسه وعليه

لئن كنا نؤاخذ الاتحاديين على السيئات التي اجترحوها، والجرائم التي ارتكبوها، والاضرار التي جلبوها على الدين والامة والدولة، وعلى العثمانيين عامة وعلى أنفسهم خاصة - فانما ذلك لكونهم اخواننا، نحب لهم مانحب لانفسنا، ولا نود لهم الزيغ والضلال ولا نريد لهم الخراب والدمار، ولا نرضي لهم بالذل والصغار ونغار عليهم أضعاف غيرتهم على أنفسهم

ولئن كنا في أسف وحزن وغم على ما أصاب اخواننا الاتراك، من أيدي الاتحاديين الاغرار، وأذنابهم المفسدين الاشرار، وعلى عمل هؤلاء الاتحاديين بأنفسهم وشعبهم (والجاهل يعمل بنفسه مالا يعمله العدو به) فانا نشكر من جهة أخرى لهؤلاء الاغرار أعمالهم الخبيثة، وأعمالهم السافلة، لانها نبهت المسلمين الى وجوب ترك الاتكال على الغير والى السعي والعمل لملتهم وأمتهم وحماية دينهم والنظر في أمورهم واصلاح ذات بينهم وترقية أنفسهم وان كان ذلك قد جاء (بعد خراب البصرة)

فقد قعدت هذه الملايين العديدة من المسلمين عن العمل من قبل اتكالا على هذه الدولة التي يفتخر سلطانها (ويحق له الفخر) بخدمة الحرمين الشريفين كعبة المسلمين قاطبة وروضة نبيهم أجمعين — والذي يحترمه المسلمون كل الاحترام ويغارون عليه أشد الغيرة ويفدونه بالارواح والانفس والاموال بسبب الاتسام بسمة

(*) جاءتنا هذه الرسالة من صديقنا صاحب التوقيع ونشرها المؤيد

هذه الخدمة الشريفة. وتوهم أنها هي التي ترفع شأن الاسلام وتحفظ سلطته والحكم بشريعته وتحمي أهله وتعزهم وتنهض بهم وترفع رؤوسهم ، وتفك أغلال الاستعباد عن المستعبدين، وتذيقهم نعمة الحرية الكاملة التي يتنعم بها بقية العالمين

ولما ظهر لهم الآن الصواب من الخطأ، وتبين الرشد من الغي، وأزال الاتحاديون بأيديهم الاثيمة سجوف الشكوك والاوهام، وتجلت حقيقة هذه الدولة المنكودة للخاص والعام من هذه الملايين المتوا كلة - انتبهوا لحالهم، ورجعوا الى أنفسهم، وثابت اليهم عقولهم، وندموا على انخداعهم كل هذه المدة (ولات ساعة مندم) فهبوا من نومهم طائشين مدهوشين يتشبثون كالغرقى بكل ما تصل اليه أيديهم، وينظرون الى مستقبلهم ومستقبل دينهم وأمتهم ومآل كعبتهم وقبر نبيهم بعيون ملؤها الخوف والفزع، وقلوب تحيط بها جيوش الاضطراب والهلع ، ولا يدرون أين يسيرون وماذا يفعلون وأي شيء من الاعمال يقدمون

ولأذكر لكم مثالا واحداً من أمثلة رجوع المسلمين الى أنفسهم، وخلعهم نير الاتكال على غيرهم عن عاتقهم، ويأسهم من الدولة العثمانية، والحكومة الاسلامية القائمة بها الامة التركية. وهذا الرجوع والخلع وان جاءا متأخرين عن وقتهما كثيرا وربما لا تثمر المساعي اليوم ولا ينفع العمل فان فيهما بشارة عظيمة لأن اعتماد المسلمين على أنفسهم بعد اتكالهم على الله، واهتمامهم بشؤونهم وأمورهم ، والسعي والعمل لملتهم وأمتهم وتوجه أفكارهم وأنظارهم نحو حماية الاسلام ورفعة شأنه، وصيانة الشرع الشريف من العبث به، لابد وأن ينفعهم اما عاجلا أو آجلا، وأن يحفظ لهم البقية الباقية، ان لم يعد لهم ما كان لهم في الايام الخالية (وكل من سار على الدرب وصل) والقنوط ليس من شأن المسلمين الصادقين، كيف وقد أخبرهم ربهم بأن العاقبة للمتقين، وان الله ولي المؤمنين:

تألفت في لكهنؤ من بلاد الهند جمعية نافعة جداً ولكنها لا تزال في طور التكوين اسمها مجلس أو انجمن (خدام الكعبة) وقد نشر نظامها وبروجرامها بعد بيان مقاصدها وأغراضها (وكل ذلك بصورة اقتراح لطلب الموافقة عليه) حضرة الكاتب الغيور، والمحامي المسلم الكبير، مستر (مشير حسين القدوائي)

ولما كان الوقت ضيقا وكان النظام والاقتراح طويلا اكتفيت اليوم بنقل مقدمة القدوائي وتمهيده الذي مهد به الكلام على اقتراحه مرجئا نقل الاقتراح وارساله الى البريد التالي ان شاء الله

وهذا هو التمهيد مترجما عن الخلاصة التي نشرت منه في العدد ١٦ من المجلد الثاني من جريدة (الهلال الاسبوعية) الغراء الصادرة يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩١٣ من كلكته :

﴿ مجلس خدام الكعبة ﴾

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون

لاشبهة في ان الله جل جلاله هو الحافظ لنوره . ولكن ألا نحب نحن بقاءهذه الامانة النورانية لدينا ؟ هل يختار الله غيرنا للمحافظة على هذا النور ؟ألا يبقى من يؤتمن على هذا النور من نسل الامة المحمدية الموجودة ؟

منذ سنتين ونحن في ابتلاء شديد . كم استشهد من المسلمين في طرابلس ؟ وكم ذبح منهم في البلقان ؟ولم يكتف الظالمون بسفك دماء اخواننا بل تعدوا ان انتهاك حرمات الاماكن الاسلامية في البلاد التي وقعت في أيديهم فجعلوها اصطبلات واتخذوها كنائس

ولا تزال قوات البلقان المتحدة ومعها جميع الدول المسيحية في سعي متواصل لاخراج أدرنة من أيدي المسلمين تلك البلدة المحتوية على مساجد خلفاء الاسلام سلاطين آل عثمان ومقابرهم ، ولاجل تمكين الرعب من قلوبنا نحن المسلمين تطلب بلغاريا الاستيلاء على القسطنطينية التي فيها مسجد أياصوفيا والمزار المقدس

ان ماجرى في المشهدالمقدس(١) من قريب غير خاف على أحد — واذا كان هكذا هيجان المسيحيين ذوي التهذيب المادي فى القرن العشرين فمن يضمن لنا خلاص الكعبة المعظمة والمدينة المنورة من جريان مثل ذلك عليهما (لاقدر الله)

انا قد استفدنا درسا وافيا في عدم الاعتماد على قوة أخرى أو دين آخر فيجب علينا أن نفكر ونعمل للمحافظة على مواضعنا المقدسة وخدمتها

اخواني !لا أريد بهذا القول الدول المسيحية بل أريد أن أنبهكم الى أن الواجب عليكم من الآن أن لاتتركوا أمر الاماكن المقدسة لشعب من شعوبكم أو طائفة من طوائفكم - أتراكا كانوا أم ايرانيين - فان هؤلاء المدعي الحياة لايقدرون على الاعداء الكثيرين سواء كانوا منفردين أو مجتمعين ،ولا يمكن لقوة أن تقابل عشر قوات . ألا وان الحق في نظر التهذيب المادي هو الشدة والقوة . ان العثمانيين

(١) المنار :المشهد المقدس مزار قبر الامام علي الرضا من ائمة آل البيت عليهم السلام والرضوان وهو في (طوس) من بلاد فارس وقد انتهك حرمته عسكر روسية وضربه بالمدافع

يجودون بالارواح، نساؤهم ترمل وأولادهم تتيم، وديارهم تخرب، ومزروعاتهم تتلف وتنهب، فماذا يمكنهم أن يفعلوا وحدهم مع ذلك؟ لقد صار من الصعب العسير على السلطان صيانة قبور أجداده من أيدي الاعداء واساآتهم - وقد وجهت القوات المسيحية بأجمعها ضغطها عليه - فما الذي يطمئنه على صيانة الكعبة المعظمة والمدينة المنورة والبيت المقدس وكربلاء اذا اجتمع عليها الاعداء؟ وهل في قدرته وامكانه حفظها من أيديهم؟ لا أدري لم يترك المسلمون فرض حماية الاماكن الاسلامية المقدسة واحترامها لذمة الاتراك وحدهم؟

أيها المسلمون! اما أن تتركوا من الآن قولكم انا معكم مسلمون، واما أن تستعدوا على بكرة أبيكم من الآن لحماية وخدمة أماكن دينكم المقدسة وأن تتخذوا للوصول الى ذلك ذرائع نافعة، وتدابير قويمة ثابتة، وأن لا تدعوا الاسلام ذليلا في أعين أحد

ان المسلمين اليوم مع ما هم عليه من الهيجان لم يقدروا على صيانة مساجد طرابلس وبرقة وسلانيك من انتهاك حرماتها

انا اذا كنا نحترم أماكننا المقدسة حقيقة، واذا كنا نحب ديننا محبة صادقة، واذا كنا نرغب في حفظ الحرم المحترم من القذائف، واذا كنا نود صيانة قبر أشرف العالمين نبينا وهادينا من حملة الاعداء، واذا كنا لا نريد أن تكون حال قبر شهيد كربلاء كحال قبر الامام الرضا، واذا كنا لا نتحمل تسليم بيت المقدس الى مخالب بلغاريا أو روسيا - فمن الواجب اللازب علينا اذن ان نختط لانفسنا خطة ثابتة للمحافظة على الاماكن الاسلامية المقدسة وخدمتها وحمايتها وذلك يفرض علينا جميعا الاعتناء بابقاء أماكننا المقدسة على حالة جيدة سارة، وأن نيسر سبل تردد المسلمين اليها، وأن نعتني بالمحافظة على الصحة وغيرها فيها، حتى يستدل من ذلك على عظمة الدين الاسلامي وقدسيته وعلو شأنه وسيطرته وجلاله، وحتى لا يتجرأ أحد من الملل الاخرى على النظر الى تلك الاماكن المقدسة بنظر الازدراء أبداً

هذا هو التمهيد وسنتبعه بالاقتراح ان شاء الله والسلام خير ختام

عبد الحق البغدادي

نائب أستاذ العربية في كلية عليكره الاسلامية

(المنار) إننا ننتظر ترجمة الاقتراح لنبدي فيه رأينا التفصيلي وأما الرأي الاجمالي فهو الاستحسان والتحبيذ فان هذا في جملته عين ما اقترحناه في آخر المقالة الخامسة من مقالاتنا (عبر الحرب البلقانية وخطر المسألة الشرقية) (راجع آخر ص ١٩٢ من هذا المجلد)

كتاب متصرف عسير

﴿ وقائدها سليمان باشا الى السيد الادريسي [*] ﴾

(يطلب فيه الاتفاق وعقد الصلح)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الهادي الى سبل السلام ، والصلاة والسلام على سيد الانام ، وعلى آله وصحبه الكرام ، من سليمان شفيق علي كمال متصرف وقومندان عسير الى السيد محمد علي الادريسي أرشدنا الله واياه لما فيه رضاه ، وألهمنا تقواه ، وتولى هدانا وهداه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فان الانقطاع الحاصل والتنازع الواقع هو مخالف لما أمر الله تعالى بقوله (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) ولكن كل هذا بقضاء الله وقدره ، ولسنا الآن بصدد البحث عما مضى ، وعسى الله ان يجمع القلوب ويكون الاسلام يداً واحدة على أعداء الدين ، ونذب عن حقوق المسلمين ، كما قال سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم « الاسلام كالبنيان يشد بعضه بعضاً » (١) الى كثير من الآيات والاحاديث الواردة بوجوب الاتحاد والتناصر بالدين ولا نزيدكم علماً بهذه العجالة فأنتم لستم كغيركم بل أنتم بدرجة من العلم . فهلم أيها الاخ في الدين نسعى بما فيه صلاح المسلمين فهذه دول الاجانب من النصارى أعداء الدين قد تعاونوا وتناصروا واتفقوا على محو الاسلام وهدم قواعد الايمان وان يجعلوا البلاد الاسلامية مضغة في أفواههم ، ولقمة باردة في اطماعهم ، وقد بلغنا ماحل باخواننا المسلمين في الجهات فواجب علينا معشر الاسلام الذب عن الوطن ، الذب عن العرض ، عن النفس ، عن الدين ، كما قال عليه الصلاة والسلام « قاتل دون مالك » (٢) فما بالك دون نفسك ، دون عرضك ، دون دينك . ويعفو الله عما سلف ، فبادر لندفع عن الوطن ، عن الدين ، عن المسلمين هذه البلية ونكون يداً واحدة على حفظ حقوق المسلمين . هذا زمن الحمية الاسلامية والجهاد هذا وقت الاخلاص وأوان الخلاص . ان الامة الاسلامية في أقطار الدنيا ناظرة الينا وعندها الظن الجميل بتعاوننا وتناصرنا وها أني أنتظر منك

(*) هو الذي اشرنا اليه في الجزء الماضي في هامش كتاب السيد الادريسي الى الامام يحيي

(١) لفظ الحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان » الخ رواه الشيخان وغيرهما عن ابي موسى

(٢) رواه احمد والطبراني وله تتمة

الجواب الشافي الذي يكون فيه حفظ شرف الاسلام فان أجدادك الكرام قد أسسوا مجد أخرويا فهدوا وأرشدوا وحفظوا كيان الاسلام، وشادوا أركان الايمان، وهذه نزغات قلم مسطور باح لك به النصح الواجب فان أجبت فارسل لنا بسرعة هيئة تعتمدون عليها لنتخابر معها بما يصلح ويحفظ شأن الاسلام والمسلمين على شرط بالوجه والامان، وان شئت بين لنا معالمكم لدفع أعداء الدين فيجتمع الرأي المصيب بما فيه الصلاح ان شاء الله . واني عازم بحول الله على مدافعة أعداء الدين والجهاد امام المسلمين، مع ما لدي من قوة هي تزيد عن عشرين الفاً ، ونحن بهذا العزم ولو فني منا الصغير والكبير، وعلى الله توكلنا واليه المصير، فاسرعوا الينا بالجواب، وفقنا الله واياكم للصواب، والسلام   في ٢١ شوال سنة ١٣٢٩

﴿ كتاب السيد الادريسي في جواب سليمان باشا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وهو حسبي وكفى ، وأتم الصلاة والسلام المقترنين بالتحيات القدسية على أشرف الخلائق المصطفى، وآله وصحبه معادن الصدق والوفا . من محمد بن علي الادريسي الى أخينا في الدين صاحب السعادة سليمان شفيق بن علي كمال متصرف وقندان لواء عسير سلك الله بنا وبه مسالك أهل البصائر المبصرة ، وأخذ بيدنا وبيده الى ماينفع في الدنيا والآخرة ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبينما النفس في قلق، والانفاس تتصاعد بنيران الارق ، مما فعل المسلمون بانفسهم ، بينما أسلافهم قد رفعوا لهم أعلام العز ، وشادوا على قوائم الدين دعائم العصمة والحرز ، أولئك الذين استمسكوا بعروة الله الوثقى التي ليس لها انفصام ، وكان لهم من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً » وغير ذلك من آيات الذكر الحكيم أعظم اعتصام ، اذ خلف من بعدهم خلف أضاعوا الحقوق ، واستبدلوا باخاء الدين الذي به ملاك الامر القطيعة والعقوق، ليستعد أحدهم لاخيه المدمرات، ويعد أعظم المفاخر اذا صرعه فمات، مع ان مجرد الاشارة بحديدة وردفيها « من أشار الى أخيه بحديدة لم تزل الملائكة تلعنه حتى يشيمها » (١) هذا وأعداء الملة من وراء هذه الاستار

(١) المنار : حديث رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث ابي هريرة بلفظ « من اشار الى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان اخاه لابيه وامه » ورواه الحاكم من حديث عائشة وصححه بلفظ « من أشار بحديدة الى احد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه » ورواه =

ينظرون نظر المفترس الينا، ويترقبون كل آن الفرصة لمحونا ، ومن الحمق أن نخرب بيوتنا بايدينا ، فأعناهم بنا علينا، كأننا لم نتل في القول الصحيح ، ان التنازع يوجب الفشل ويذهب بالريح ، (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) فلا عجب من هذه الغمة ، اذا حلت بنا معاشر هذه الامة ، وانطوى على الهوان يومهم وأمسهم، لانهم (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (فهل يهلك الا القوم الفاسقون). (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) ولو انهم اعتصموا بحبل الله مولاهم، لكان لهم نعم المولى ونعم النصير وكفاهم، ولكان لهم ما كان لاسلافهم اذ دانت لهم المشارق والمغارب، وما قاومهم أحد الا خُذل لانهم حزب الله وحزب الله كما كتب على نفسه هو الغالب (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، انهم لهم المنصورون، وان جندنا هم الغالبون * ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم * وان تولوا فاعلموا ان الله هو مولاكم نعم المولى ونعم النصير) ومهما هال العدو بما في يده من الآلات الشنيعة، فانها والله ستنكشف عما هو كسراب بقيعة (فأيّ الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون) وأعداء الدين في كل وقت أعظم عدداً، وأكثر استعدادا وأقوى مدداً وجندا ، ليحق الله قوله { ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين * والله غالب على أمره * حتى اذا مارأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً } ولا يزال الحق هذه صفاته، وفي كل آن ومكان هذه نعوته ، { وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم }

فبينما الخاطر في هذه المهامه ، والفكر في هذه المفاوز حيران وواله ، وهل من مستبصر مستهد، يأخذ في هذه المضايق بالأيدي، اذ ورد كتابكم الكريم، المستحق للاحترام والتعظيم والتفخيم، مسفراً عما تحدو اليه الرغائب، من الدعوة للاتحاد ونبذ ماهو بجانب، فانشرح البال وأسرعت الى داعيك، وحمدت الله اذ كانت نسائم التوفيق تهب بناديك ، متوكلين على الملك الجليل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهل يرضى الله ورسوله الا اذا كان المسلمون اخواناً ، يجاهدون في سبيله وعلى الحق أعواناً ، ولقد أخذنا وأخذتم بذلك، حتى حالت أمور قد ذكرتم لاحاجة الى ذكر ماهنالك، وما ذكرتم من الهيئة فقد أرسلنا اليكم أخانا محمد يحيي ومعه جماعة يتوجهون الى

= البزار والطبراني عن أبي بكرة بلفظ «اذا سل» (وفي رواية شهر) المسلم على أخيه سلاحا فلا تزال ملائكة الله تلعنه حتى يشيمه عنه) اي يغمده

رجال {المع} (١) ولا تطمئن نفسه بالدخول الى ابها فيتفق بجانبكم باطراف المع الشام وتحصل المذاكرة. وان شرفتم بالقدوم فحيهلاً وسهلاً، وغيرنا وغيركم لايكاد بهذه المقاصد أن يقوم، ولعلنا أن نكون السبب في كشف هذه المشاكل، من جميع الوجوه في أقرب وقت عاجل، فترتاح الدولة لافي هذه الديار، بل في جميع الاقطار والامصار، والامور وان تشعبت فان مرجعها الى الله، وبيده الحركة والسكون وهو أهل الكرم حاشاه أن يخيب من وفقه للالتجاء اليه ودعاه، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم والسلام عليكم وعلى من حواه المقام، ورحمة الله وبركاته في البدء والختام

غاية شوال سنة ١٣٢٩

﴿ الكتاب الذي ارسل الى السيد الادريسي من مأمور مفرزة (ميدي) ﴾
وهو جواب ما أرسله اليه السيد بالمسعدة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم الى جناب السيد الاجل، رفيع القدر والمحل، السيد محمد ابن علي الادريسي سلمه الله آمين. بعد مزيد شريف السلام مع التحية والاكرام تغشاكم على الدوام. اطلعنا على جوابكم المؤرخ في ٢٣ شوال سنة ١٣٢٩ والجوابات التي بباطنه نقل {صور} كتاب عزت باشا وكتاب الامام يحيى الواردة منكم بواسطة السيد يحيى بن موسى الرفاعي وقد أمرنا ذلك وقد قرأناهم بين سادة وشرفاء ومأمورين وأعيان وجملة من الاسلام وقد أخذنا نقل {صور} الجميع وعزمنا نرسلهم الى محل رجوعنا {الاستانة} وعند ورود الجواب نعرفكم بكل حقيقة وربنا يؤلف بين القلوب ويصلح ذات البين ويعيد الاسلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والسلام

٢٦ شوال سنة ١٣٢٩

مأمور مفرزة العسكرية بميدي

اسماعيل

(المنار) قد رأى القراء كتاب سليمان باشا الى السيد الادريسي ورأوا مافيه من الاستمالة باسم الاسلام. ورأوا كيف اجابه السيد بالقبول والرغبة في الاعتصام، وقد علموا من كتاب السيد الى الامام الذي نشرناه في الجزء الماضي ان كتابة الباشا كانت خديعة. هكذا فعلوا وهكذا يفعلون! (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا)

(١) اسم موقع (٢) المسعدة موضع

المؤتمر العربي بباريس وحزب اللامركزية بمصر

بحث الأوربيون آنا بعد آن في خطرين وهميين يمكن عقلا وفرضاً ان ينازعا دولهم في سيادة الارض، وهما خطر الجامعة الاسلامية والخطر الاصفر. فرضوا احتمال رجوع المسلمين الى الاعتصام بحبل الاسلام واسترجاع سيادته وقوته ولو في بعض الممالك الاسلامية - واحتمال ارتقاء الامة الصينية وقوتها في بلادها، فحملهم هذان الفرضان على أخذ الاهبة والتعاون فيما بينهم على ازالة ما بقي من ملك هاتين الامتين واقتسام بلادهم ولو بالفتح السلمي الذي هو أرقى ما وصل اليه البشر في الفتح والسيادة، وهو الفتح بالعلم والعقل والحزم والمال، تؤيدها قوة الاساطيل والجنود عند الحاجة لأجل حمايتها وهيبتها

أما الشرقيون فتصخ نذر الاخطار آذانهم، وتفقأ أشباحها المزعجة أعينهم، وهم يتمارون بالنذر، ويتجادلون في مواضع العبر، وقد كانت الحرب البلقانية العثمانية آخر صدمة صدمت الشرق فأتت على هدم آخر ركن للاستقلال في آخر مملكة مستقلة فيه أو كادت، وأهل هذه المملكة يتمارون فيما بينهم ويتجادلون، ولا يعتبرون بما حل بهم ولا يزدجرون

من يحاول من الشرقيين عملا ما لأمته فانما يحاوله في آخر الوقت الذي يمكن فيه العمل أو بعد ذهاب الوقت، وقد كان يجب على الامة العربية أن تهب من رقدتها، وتعمل لنفسها ولدولتها، وتثبت لنفسها وجوداً تحترم به حقوقها وتعمر بلادها، - ان لم أقل ان هذا كان يجب عليها منذ تغلغلت السلطة الحميدية التدميرية في ولاياتها، وأنشأت تجهز الحملات العسكرية على معاهد القوة منها كاليمن، والحملات الافسادية على الولايات الضعيفة كسورية. وإذ لم يفعلوا فليكن ذلك العهد عهد الايقاظ والتنبيه، وعهد الاتحاديين الذي هو شر منه وأضر عهد الوحدة والعمل

رأى العرب من الاتحاديين ما رأوا من سفك دماء إخوانهم وتدمير بلادهم في اليمن والكرك وحوران، وإفساد ذات بينهم ومقاومة لغتهم في سورية والعراق، ورأوا ان هؤلاء قد أنشأوا يهدمون ما أبقى عليه عبد الحميد من ملك بني عثمان، ومع ذلك لم يزدادوا الا أملا ورجاء في عاصمتهم البزنطية عاصمة الجهل والغرور، والخيلاء والاسراف والظلم والخيانة والتدمير، ولم تزل العبر والكوارث المحدقة بهم، والمنذرة لدولتهم، قد أثرت فيهم تأثيراً جمع كلمة أهل الرأي والبصيرة الى العمل الواجب، حتى اذا بلغت التراقي

وقيل من راق ، والتفت الساق بالساق ، وظفرت جيوش البلقانيين باخوانهم وأبناء دولتهم، وصارت مدافع البلغاريين تزلزل بدويها منازل تلك العاصمة، وتقلق باصواتها سلطانها في مضجعه بقصر «ضولمه بغجه » ، وصارت الامم الاوربية، تحدث بتصفية حساب المسألة الشرقية ، وسمع من باريس صوت مزعج يدعي لفرنسة حقوقا في سورية ، ورؤيت المدرعات الفرنسية وغير الفرنسية، تتهادى في المواني السورية وغير السورية،— بعد هذا كله تحرك أهل الغيرة والاخلاص من العرب وحاولوا ان يعملوا عملا يحفظ بلادهم من استيلاء الاجانب عليها ، وان يصلح حالهم فيها ، فكانت حركتهم هذه في آخر الوقت، ان لم نقل انها كانت او كادت تكون بعد ذهاب الوقت

ماذا عملوا ؟ ألف أهل الاخلاص والغيرة من السوريين المقيمين بمصر حزب اللامركزية الادارية العثماني، فلم يجعلوه حزباً سورياً ولا عربياً بل عثمانياً عاماً ،وقام أهل ولايات سورية (بيروت والشام) والعراق يطلبون الاصلاح لولاياتهم على أساس وقواعد اللامركزية، وفي باريس مئون من العرب السوريين أهل العلم العصري والادب والتجارة وطلاب العلوم العالية أزعجهم صوت (موسيو بوانكاره — رئيس وزارة فرنسة بالامس ورئيس جمهوريتها اليوم) اذ قال في مجلس النواب ان لدولته حقوقاً موروثة في سورية. وهم أول من سمع هذا الصوت في مركز قوته وعظمته، فأحسوا بالخطر على وطنهم الخاص وعلى قومهم ودولتهم ، فأجمعوا أمرهم على ان يسمعوا فرنسة وسائر عالم المدنية صوتهم المعبر عن احساسهم ورأيهم في أمتهم ودولتهم، وكراهة افتياتها عليهم ومقاومة احتلالها لبلادهم ، وان يدعوا لمشاركتهم من شاء واستطاع السفر اليهم من امتهم العربية ، وهم يعلمون كما يعلم كل عاقل خبير انه قلما يرحل هذه الرحلة الا من يشتغلون بالمصلحة العامة من حملة الاقلام الاحرار، وأصحاب الافكار ، فتكون وظيفة المؤتمر الطبيعية ان يطلع العالم الاوربي على رأي جمهور كبير من العرب يمثل بطبعه نهضتهم، فيعرفوا حقيقة المسألة العربية التي أحدثتها جمعية الاتحاد والترقي في عالم السياسة ، ولم تكن شيئاً مذكوراً الا على ألسنة جواسيس عبد الحميد وأقلام مستغلي أوهامه ، ولا شيئاً موجوداً الا في خياله وخيال مبغضي العرب من ساسة دولته ، وان هذه المسألة لو وجدت في كتاب تاريخ السياسة قبل الآن ، لنجت الدولة بقوة العرب مما وقعت فيه من الخذلان والهوان

وقد رأى الداعون الى هذا المؤتمر انه يجب ان يكون لهم حزب يؤيدهم ويؤيدونه

فانتسبوا الى (حزب اللامركزية الادارية العثماني) الذي أسس في مصر وجعلوا مؤتمرهم تابعاً له، وطلبوا منه أن يرسل اليهم وفدا يكون أحد أعضائه رئيساً للمؤتمر ، فتلقى الحزب ذلك بالقبول واختار السيد عبد الحميد الزهراوي واسكندر بك عمون لذلك وسيكون أولهما رئيس المؤتمر . وقد تقرر أن تدور مباحث المؤتمر على المسائل الآتية:

(١) مقاومة الاحتلال الاجنبي للوطن (٢) حقوق العرب في المملكة العثمانية (٣) وجوب تغيير شكل الادارة العثمانية الحاضر وجعله من نوع اللامركزية الادارية اذ لا يرجى صلاح المملكة بدون ذلك ، ولا بقاء لها الا بصلاحها كما تقتضيه سنة الله تعالى في الخلق، المعبر عنها في لسان العلم بالانتخاب الطبيعي وبقاء الامثل (٤) المهاجرة من سورية واليها

هذه المسائل هي أهم المسائل الاجتماعية الحيوية في المملكة العثمانية، واكثرها قد صار حديث ساسة الدول وجرائد الامم ، ولو لم يوجد من العرب حزب ولا مؤتمر يبحث فيها لجاز لجميع الامم والدول أن تعتقد أنه لا يوجد في المملكة العثمانية أمة تسمى الأمة العربية ، وأن تصدق مغروري جمعية الاتحاد والترقي في زعمهم أن العرب ليسوا أمة ولا شعبا فيحسب لهم حساب في ادارة المملكة العثمانية ومصالحها وانما هم قسمان: عرجلة أو عراجل من الوحوش في اليمن وبوادي الشام والعراق والحجاز ونجد ينكل بهم الجيش العثماني (المظفر !!) وقطعان من الغنم في سورية ومدن العراق تتصرف بهم الحكومة المركزية بما تشاء من رعي ومنع ، وذبح وبيع

سيكون لحزب اللامركزية ولمؤتمره في باريس ، ولطلاب الاصلاح المبني على قواعد هذا الحزب في الولايات السورية والعراقية شأن عظيم في الآستانة وأوربة المسيطرة على الحكومة العثمانية ، وان كابر الحس والنفس في ذلك زعماء جمعية الاتحاد والترقي واستعملوا سلطة الحكومة وألسنة المنافقين المتزلفين لها وأقلامهم لتحقيرها وتهوين أمرها ، وهي لم تحقر شيئا الا وعظم، ولم تعظم شيئا الا وحقر ، لانها مخذولة من الله المتنكبة لسنته في خلقه وشرعه، كما ثبت بالتجربة مرارا ، ومن ذلك أنها تلبس الحق بالباطل فتصف الشيء بضد ما هو عليه ، وتسلك الى كل غاية الطريق الموصل الى ضدها، فهي تأمر منافقيها بأن يذيعوا ان المؤتمر وحزب اللامركزية وطلاب الاصلاح يعملون بايعاز من الاجانب ليمهدوا لهم طريق احتلال وطنهم !! والامر بالضد كما هو ظاهر وسيكون في المؤتمر أتم ظهورا — كما توعز اليهم أن يقولوا انها تعمل لاحياء الجامعة الاسلامية على حين نرى بعض كتابها ينشر في مجلة الشرق الانكليزية مقالا

يحاول فيه اقناع الانكليز وغيرهم من الاوربيين بأنه لا يوجد في المملكة أحد غير هؤلاء الفتيان من الترك يتجرأ على كسر القيود الدينية التي تقيدت بها الدولة العثمانية ويطلب اعانة أوربة لهم على ذلك

وجملة القول إن الحكومة الاتحادية قد أضاعت بجهلها وغرورها وخبث طويتها جميع الممالك العثمانية الاوربية والافريقية، وهي تساوم أوربة على بيع منافع الممالك الاسيوية ، وكل هذا من فساد الحكومة المركزية التي تجعل أمر الامم والممالك في يد واحد أو آحاد اذا فسدوا أفسدوا وأهلكوا الجميع ، ولو كان للامة صوت مسموع في مصالحها كالصوت الذي نسمعه الآن من حزب اللامركزية وطلاب الاصلاح لما أمكن لهؤلاء وأمثالهم اضاعة الدولة . وهذا الصوت على كونه قد تأخر عن وقته لابد ان تكون له فائدة ما ، وأقلها أن تحسب أوربة له حسابا فيما ستقرره في كيفية ادارة هذه الدولة ، اذ فوضت الحكومة الاتحادية اليها أمر المملكة ، بل ظهرت فوائد ذلك قبل تمام ظهوره فبدأت الوزارة الاتحادية تستميل العرب بعض الاستمالة ، ولولا انها وجدت فيهم بعض المنافقين يهونون عليها امر طلاب الاصلاح لما تلبثت في قبوله الا قليلا . فاذا كان هذا السعي مفيدا مع كون أمر الدولة في أيدي الاتحاديين أعداء العرب والاسلام ، فكيف يكون نفعه اذا عجل الله انتقامه منهم، ودالت الدولة للائتلافيين(*) والصباحيين دونهم؟ يومئذ يكون العرب شركاء الترك لاعبيدهم في هذه الدولة، فلا يكون احدهما مظلوما مع الآخر فيمقته ويخذله ، ويقوم بناء ادارة المملكة على قواعد اللامركزية الثابتة ، يومئذ يعضّ المنافقون على أيديهم يقولون يا ليتنا اتخذنا مع حزب المصلحين سبيلا ، و خفضنا من اسرافنا في في التملق للاتحاديين المفسدين ولو قليلا .

وجملة القول انه قد ثبت قطعا ان الدولة لا تستطيع حماية بلادها من الدولة الكبرى اذا اردن اقتسامها ، وان أمر اقتسامها منوط باتفاق الدول بينهن لا بطلب الامة للاصلاح وعدمه. وانه اذا لم يصلح أمر الامة ويظهر استقلالها بشؤونها الادارية والاقتصادية فان بلادها ستكون غنيمة باردة للاوربيين سواء احتلوها بالجند أم لا، وانها لن تصلح مادام أمرها كله بأيدي من يتغلب على السلطة في عاصمتها ولو بالثورة وسفك الدماء. فنسأل الله أن يأخذ بأيدي المصلحين، ويكفيهم شر المستبدين والطامعين، آمين

(*) يظن كثير من الناس ان وزارتي مختار باشا وكامل باشا كانتا ائتلافيتين وهذا خطأ وقد سمعنا من صادق بك رئيس الائتلافيين انهم لما أسقطوا وزارة سعيد باشا رأوا أن يثبتوا للامة انهم يعملون لها لا لأنفسهم فسلموا الوزارة لاشهر رجال الدولة وكان يجب ان يشاركوهم فيها

رحلتنا الهندية العربية

﴿ شكر علني لأهل عمان والكويت ﴾

شكرنا في الجزءين الأول والثاني لاخواننا مسلمي الهند حفاوتهم بنا وحسن ضيافتنا، ووعدنا بأن نشكر مثل هذه الحفاوة لاخواننا العرب الكرام في مسقط والكويت والعراق، وقضت كثرة المواد التي لا يمكن تأخيرها ان نرجئ الوفاء بهذا الوعد الى هذا الجزء

سافرت من بمبي صباح الجمعة لتسع خلون من جمادى الاولى للعام الماضي في سفينة انكليزية قاصدا مسقطا عن طريق كراجي، وكنت حريصا على السفر في احدى بواخر الشركة العربية التي يديرها في بمبي مؤسسوها من اصدقائنا تجار العرب، وكان ذلك يسرهم أيضا ، وقد تحدثنا به مع مدير الشركة الهمام الشيخ محمد المشاري في قصر الزعيم الكبير صديقي ومضيفي الشيخ قاسم ابراهيم فعلمنا ان انتظار مواعيدها يضيع علي اياما كثيرة. وقد انتقلنا في ميناء كراجي الى سفينة انكليزية أخرى حملتنا الى مسقط فوصلنا اليها ضحوة يوم الاثنين (١٢ ج ٢٩ ابريل) وعند مارست كان قد وصل اليها زورق بخاري من السلطان الكريم السيد فيصل ملك عمان يحمل بعض رجاله لاستقبالي وكان كاف من يعتمد عليه في بمبي ان يخبره عن سفري منها ببرقية يعرف بها موعد وصولي، فصعدوا ومعهم صديقي الفاضل السيد يوسف الزواوي أكبر سادات مسقط بعد اسرة السلطان وأكبر تجارها قدرا وجاها وشهرة، فعرف الجماعة بي وبعد السلام نزلنا الى الزورق فحملنا الى رصيف قصر السلطان فصعدنا القصر وبعد السلام والمكث مع السلطان ساعة من الزمان ذهبنا الى دار ضيافته التي أعدها لنا . وكان صديقنا السيد الزواوي أعد دارا جديدة له على الطرز الحديث لأكون فيها مدة وجودي في مسقط فنفس عليه السلطان ولم يسمح له بذلك

أقمت في مسقط أسبوعا كان يختلف الي كل يوم وكل ليلة منه وجهاء البلد وأذكياؤه ويلقون على الاسئلة الدينية والفلسفية والأدبية والاجتماعية، وزارني السلطان في دار الضيافة أيضا ومكث معي عدة ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدة مرات وكان يلقي علي في كل مرة الاسئلة المختلفة ، وكان يكون معه في مجالسه اخوه السيد محمد وهو كثير المطالعة في الكتب ولكنه لايحب البحث في المجالس في كل مايطلع عليه من المسائل . وقد عهد السلطان الى كاتبه الخاص من أهل السنة الزبير بن علي ان يتولى

أمر العناية بضيافتي والى كاتبه الآخر الشيخ ابراهيم بأن يتعاهدني معه أيضا

وأدب لي صديقي السيد الزواوي مأدبتين حافلتين احداهما في داره العامرة في نفس مسقط دعا اليها علماء ووجهاء البلد والاخرى في دار له بقرية { سداب } وهي على مسافة ميل من مسقط ذهبنا اليها بزورق السلطان في البحر وعدت انا ماشيا مع بعض المدعوين برا لأجل الرياضة ورؤية ثنية الجبل التي يسلك منها الى مسقط المطوقة بالجبل . وقد دعا الى هذه المأدبة مع وجهاء مسقط وجهاء القرى المجاورة لها فاجاب الدعوة عشرات منهم وكان الغرض من ذلك ان يسمعوا كلامي وتذكيري بآيات الله ، وقد فاض معين السخاء العربي الهاشمي في هذه المأدبة على فقراء القرية الذين اعتادوا ان يعشوا الى ضوء نار السيد الزواوي الذي هو مظهر لقول الشاعر * «ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا » فتراه بين مظاهر الكرم والنعيم ، لا يغفل عن مراعاة ما يمكن تحصيله من فوائد العلم والدين ، بنى لنفسه عدة دور فخمة جميلة في مدخل البلد على البحر وهو موقع غير واسع يشارك هو فيه السلطان وقنصل الانكليز في الملك ، ويسكن في دار له فيه قنصل أمريكة . وبنى لله مسجداً هو أنظف مساجد البلد وأزهاها ، وقد جر اليه الماء بأنابيب الرصاص (المواسير) وجعل له عدة حنفيات ، وعلى هذه الطريقة اقترح على يوم المأدبة الاولى وكانت للغداء في يوم الجمعة ان اعظ الناس في مسجده بعد صلاة الجمعة فأجبت ، وكان من تأثير الكلام فيهم أن ارتفعت اصواتهم بالبكاء والنحيب والنشيج ، واقترح علي ايضا ان اتكلم واذكر من يحضر المأدبة الثانية من الوجهاء والخواص فأجبت . ونجله الكبير الشيخ عبد القادر له ذوق في النظام وميل الى الصناعة وقد مد من داره في سداب الى داره في مسقط مسرة (تليفون) فكانت هي الوحيدة في تلك القرية

وسافرت من مسقط ضحوة يوم الاثنين لتسع عشرة خلون من الشهر ومكثت في مجلس السلطان زهاء ثلاث ساعات من أول نهار السفر كان يلقي فيها علي الاسئلة الكثيرة في العقائد وما يتعلق بها والاحكام الشرعية والاجتماعية والتاريخية وتارة يشير الى رجاله بأن يسألوا وكانوا جميعا يسرون من الاجوبة ، ثم نزلنا الى البحر فودعني السلطان على رصيف قصره ونزل معي في زورقه البخاري جميع من كان ثم من أنجاله الكرام وهم خمسة اكبرهم السيد نادر ، ومعهم بعض كتابه وحاشيته (ومن سوء حظي ان كان ولي عهده السيد تيمور مسافرا فلم أره) وظل هو واقفا على الرصيف حتى بعد الزورق عنه ، فودعته الوداع الاخير بالاشارة . ونزل معنا

ايضا صديقنا السيد الزواوي ونجله والسيد علي ابن عم السلطان وصهره وقد سافر معنا قاصدا البصرة فرأيت منه رفيقا تقيا نقيا صفيا. وقد مكث معنا أولاد السلطان والزواوي ساعة من الزمن في الباخرة ثم ودعناهم الوداع الاخير وعادوا الى مسقط موشحين بجلابيب شكرى الخالص وودي الدائم ان شاء الله تعالى { وسنصف مسقط ونتكلم عن حالة اهلها الاجتماعية في الرحلة }

جرت السفينة بنا من مسقط ظهر يوم الاثنين وهي انكليزية تقطع في الساعة ١٢ ميلا فقط ، وفي ضحوة اليوم الثاني خرجت بنا عن محاذاة جبال عمان ودخلت في الخليج الفارسي فصرنا نرى بر فارس عن اليمين وبر العرب عن اليسار . ووقفت بنا فجر يوم الخميس في موضع من عرض البحر كان ينتظرنا فيه مركب شراعي كبير أرسله الينا الشيخ مبارك الصباح صاحب الكويت وكان علم باننا نصل اليه في هذا الوقت في هذه الباخرة مما كتب اليه من بمبي ومسقط ، فنزلنا فيه قبل طلوع الشمس فاقلع بنا والريح لينة والبحر رهو، ثم قويت الريح قليلا في النهار فبلغ بنا الكويت قبل غروب الشمس . وكان رجال الشيخ مبارك حملوا فيه خروفين كبيرين وكثيرا من الحلوى والمشمش والخيار فأفطرنا وتغدينا فيه (وقد أعجبني جداً طبخ الطاهي الذي كان معهم للخروف بالرز الهندي وهو طاه متفنن وطبخ للعشاء ألوانا متعددة اثلا نتأخر الى الليل فبقيت للبحارة) وقد استقبلنا أولاد الشيخ مبارك وبعض الوجهاء في زورق صغير خارج الميناء

أنزلني الشيخ مبارك في قصره الجديد الذي هو قصر الامارة وتولى مؤانستي ومجالستي في عامة الاوقات نجله الشيخ ناصر رئيس لجنة مدرسة الكويت لانه هو الذي يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الاسلامية ، وأقمت في الكويت أسبوعاً كنت كل يوم - ما عدا يوم البريد - ألقي فيه خطابا وعظيا في اكبر مساجد البلد فيكتظ الجامع بالناس ، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والاصول والفقه وغير ذلك ، على أنه لم يتلق عن الاساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر

ومما احب أن اذكره هنا - وهو من مباحث الرحلة - مسألة علاقة الشيخ مبارك بالدولة العثمانية والانكليز . كنا نسمع المنافقين لرجال الدولة يصفون صاحب الكويت بالخيانة للدولة ويعيبونه بطلب حماية الانكليز له ، فسألته عن ذلك فقص علي قصة سألت عنها بعد ذلك السيد رجبا نقيب البصرة مندوب الحكومة اليه فيها فكان

جوابه، وافقا لجواب الشيخ مبارك . ثم ذكرت ما قاله للشيخ فهد بك الهزال شيخ قبائل عنزه في العراق اذ كنت في ضيافته على نهر الفرات مع صديقي مراد بك { اخي محمود شوكت باشا } فصدق ماقاله الشيخ مبارك وزادني فوائد هو أعرف الناس بها

وملخص ماقاله الشيخ مبارك انه في اواخر مدة عبد الحميد ساقت الدولة بعض العسكر مع عربان ابن الرشيد الى قرب الكويت وأرسل المشير فيضي باشا السيد رجبا النقيب ومعه نجيب بك ابن الوالي الى الكويت فبلغاه انه قد صدرت ارادة سنية بوجوب خروجه من الكويت الى الآستانة أو الى حيث شاء من ولايات الدولة والحكومة تعين له راتبا شهريا يعيش به فان لم يخرج طائعا دخل الجند مع عرب ابن الرشيد وأخرجوه بالقوة . فسألهم ماهو ذنبه الذي استحق به النفي من بلده وعشيرته؟ وذكّر نقيب البصرة بما يعرف من إخلاصه للدولة واعانته لها بالمال عند كل حادثة وبما كان من محاربة سلفه وعشيرته لقبائل المنتفك المالكين للبصرة واخراجهم منها وجعلها في حكم الدولة كما ملكهم هو وعشيرته بقوتهم الاحساء وغيرها . وطلب منه ان يعود الى البصرة فيقنع المشير بمراجعة الآستانة . فقال له انما علينا البلاغ وليس في يدنا غيره، قال فخرجت من عندهما بقصد مشاورة أهلي وكانت حكومة الهند الانكليزية قد علمت بكل ما دبرته الدولة في ذلك وبمجيء عشيرة ابن الرشيد مع العسكر الى جهة الكويت فأرسلت مدرعتين فوقفتا تجاه البلد فلما عدت رأيت أميرالا انكليزيا قد نزل من احدى المدرعتين ومعه بعض الجند فسألني عما جرى فأخبرته الخبر فقال ان حكومتنا متفقة مع حكومة الترك على أن تبقى الكويت على حالها ، لايتعرضون ولا نتعرض لها ، واذ قد غدروا وخالفوا فقد صار لنا حق الدخول في أمرها ، ولا يمكن ان نسمح لجندي عثماني ان يدخلها ، واذا دخلوا برضا كم دمرناها على رءوسكم ورءوسهم ، ثم بلغ الاميرال ذلك لنقيب البصرة رسول الحكومة فقفل راجعا وبلغ المشير ذلك فأمر المشير بصرف الجنود والعربان، { قال } فما كان من تدخل الانكليز في أمر الكويت لم يكن بطلب مني بل كان هذا سببه . وقد عرضوا علي أن اختار لنفسي راية أرفعها على البلد وأعلن الاستقلال تحت حمايتهم فأبيت ذلك وهذه الراية العثمانية تراها كل يوم مرفوعة فوق رأسي . وقد تعجبوا من قولي لهم انني اختار ان اكون دائما عثمانيا . قيل لي اتقول هذا بعد ان رأيت منهم مارأيت؟ قلت ان الوالد اذا قسا في تربية ولده احيانا لا يخرج بذلك عن كونه والده الذي تجب عليه طاعته !! اه وسأذكر في الرحلة ما أيد به نقيب البصرة وشيخ عنزه هذا الكلام . فليعتبر المعتبرون باخلاص العرب للدولة على سوء معاملتها لهم (للكلام بقية)

﴿ أخبار مختصرة مفيدة ﴾

« الصلح العثماني البلقاني »

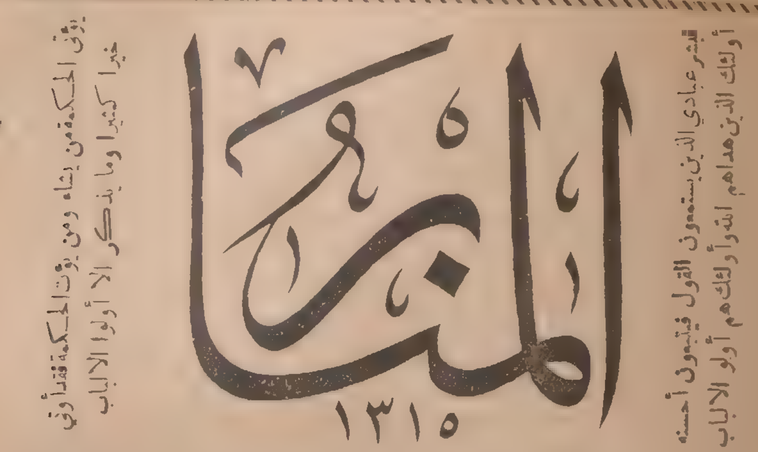
كان الاتحاديون هم سبب اتحاد البلقانيين على قتالنا وهم سبب اقدام الدولة على قتالهم، وهم المانعون لكامل باشا من عقد صلح شريف في الجملة وزعموا انهم لايذلون لاوربة وانهم قادرون على الثأر من البلقانيين وحفظ شرف الجيش وانقاذ ولاية أدرنة . وكان الامر بالضد فذهبت أدرنة ويانية وكل ما كان للدولة فيهما من السلاح والذخائر ورضيت الوزارة الشوكية الاتحادية بعد هذا الذل والخسران بصلح فوضت فيه الامر الى أوربة بلا شرط ولا قيد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« الشيخ قاسم ابراهيم في دار الدعوة والارشاد »

ألم صديقنا المحسن الشهير الشيخ قاسم ابراهيم في هذا الربيع بمصر فأقام فيها أسبوعا كان فيها محل التكريم من سمو أمير البلاد ووجهائها . ولما كان هو عضو الشرف الأول في جماعة الدعوة والارشاد دعاه اعضاء مجلس ادارة الجماعة الى شرب الشاي وما يتصل به في مدرسة (دار الدعوة والارشاد) واعدوا لذلك مائدة حافلة شهدها مع الكثيرين من أعضاء الجمعية بعض كبار رجال العلم الديني والدنيوي يتقدمهم الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر وشيخ مذهب الشافعية وبعض كبار علماء الازهر وعلي باشا ابو الفتوح وكيل نظارة المعارف واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار، وقد سئل الطلبة امام الحاضرين عدة اسئلة احسنوا الجواب عن أكثرها . وطاف الشيخ قاسم مع ناظر المدرسة (صاحب هذه المجلة) معاهد المدرسة فأعجبه نظامها ونظافتها وسر بهذا العمل الشريف الذي كان هو المتبرع الأول له

« اقتران صاحب المنار »

في الليلة الثامنة عشرة من هذا الشهر بنى صاحب هذه المجلة على سعاد كريمة الشيخ حسن الصفدي ، وبيت الصفدي في طرابلس الشام من بيوتات العلم التي امتازت بمكارم الاخلاق وطهارة الاعراق . فاسأل الله تعالى ان يجعله بناء مباركا وقرانا ميمونا (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣١هـ ق ١٩ الربيع الثالث ١٢٩١هـ ش ٥ يونيو ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذَلِكُمْ فِسْقٌ . الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ، فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا. فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ؟ قُلْ

أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ، وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

قال تعالى في الآية الاولى من هذه السورة «وأحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم» ثم بين هذا الاستثناء بقوله ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ الآية. وهذه المحرمات الثلاثة قد ذكرت بصيغة الحصر في سورة الانعام بقوله تعالى (٧:١٤٥ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهلّ لغير الله به) وفي سورة النحل بقوله عز وجل (١٦: ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به) وختم كلا من هاتين الآيتين بقوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) وقد نزلت آية المائدة التي نحن بصدد تفسيرها بعد هاتين الآيتين وليست ناسخة للحصر فيهما بزيادة المحرمات في قوله ﴿والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ـ الا ما ذكيتم ـ وما ذبح على النصب﴾ بل هذا شرح وتفصيل للميتة وما أهل به لغير الله كما سنبينه. فمحرمات الطعام أربعة بالاجمال وعشرة بالتفصيل وهاك بيانها وحكمة تحريمها

﴿الاول الميتة﴾ يراد بالميت عند الاطلاق ما مات حتف أنفه أى بدون فعل

فاعل ، والتأنيث هنا وفي قوله والمنخنقة الخ لأنه وصف للشاة كما قالوا وهي تطلق على الذكر والانثى من الغنم وان كانت موضوعة في الاصل للانثى والمراد الشاة وغيرها من الحيوان المأكول . ولك أن تقدر البهيمة بدل الشاة ولفظها أعم وهو الذي ورد في قوله « أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم » فلما كانت هذه الآية مبينة لما استثني من حل بهيمة الانعام صار المناسب ان نقول ان الميتة هنا صفة للبهيمة اى حرمت عليكم البهيمة الميتة . والمراد من الميتة في عرف الشرع ما مات ولم يذكه الانسان لأجل أكله تذكية جائزة ، فيدخل في عمومه جميع ما يأتي مع اعتبار قاعدة: اذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما وراء الخاص . وحكمة تحريم ما مات حتف أنفه انه يكون في الغالب ضارا لأنه لابد ان يكون قد مات بمرض أو ضعف أو نسمة خفية مما يسمى الآن بالميكروب انحلت به قواه وولد فيه سموما وقد يعيش ميكروب المرض في جثة الميت زمنا، ولأنه مما تعافه الطباع السليمة وتستقذره وتعده خبثا، والمشهور عند علمائنا ان سبب ضرر الميتة احتباس الرطوبات فيها وفيه بحث سيأتي في الكلام على التذكية

﴿ الثاني الدم ﴾ والمراد به المسفوح أي المائع الذي يسفح ويراق من الحيوان وان جمد بعد ذلك بخلاف المتجمد في الطبيعة كالطحال والكبد ،وما يتخلل اللحم عادة. وحكمة تحريم الدم الضرر والاستقذار ايضا كما قيل في الميتة ، اما كونه خبثا مستقذرا عند الناس فظاهر ، واما كونه ضارا فلأنه عسر الهضم جدا ويحمل كثيرا من المواد العفنة الميتة التي تنحل من الجسم وهي فضلات لفظتها الطبيعة كما تلفظ البراز واستعاضت عنها بمواد حية جديدة من الدم فالعود الى التغذي بها يشبه التغذي بالرجيع ، وقد يكون في الدم جراثيم بعض الامراض المعدية وهي تكون فيه أكثر مما تكون في اللحم واللبن الذي أعده الخالق الحكيم في أصل الطبيعة للتغذي به، ومع هذا ترى الاطباء متفقين على وجوب غلي اللبن قبل التغذي به لاجل قتل ماعساه يوجد فيه من جراثيم الامراض المعدية . والدم لا يغلى كما يغلى اللبن بل يجمد بقليل من الحرارة ، وحينئذ تبقى جراثيم المرض فيها حية تؤثر في الجسم الذي تدخله . فان قيل ان المشهور عن الاطباء ان الدم مادة الحياة الحيوانية الفعالة في الصحة فاذا أمكن

للانسان ان يضيف دم غيره من الاحياء الى دمه فالقياس انه لا يزيده ذلك الا صحة وقوة . والجواب ان هذا لا يؤخذ على اطلاقه ولم يثبت عند الاطباء ان شرب الدم المسفوح أو اكله بعد ان يجمد بنفسه أو بالطبخ مفيد للصحة والقوة ولا أنه يزيد الدم ولذلك لا يفعلونه ولا يأمرون الناس به، ولا يقولون ان معد الناس تقوى على هضمه والتغذي به بسهولة ، وانما يتولد الدم مما يهضم من الطعام ، نعم يمكن ان يحقن ضعيف الدم بدم حيوان سليم فيزيده ذلك قوة ، وهذا غير محرّم ولا مما نحن فيه

﴿ الثالث لحم الخنزير ﴾ وحكمة تحريمه مافيه من الضرر وكونه مما يستقذر أيضا ، وان كان استقذاره ليس لذاته كالميتة والدم بل هو خاص بمن يتذكر ملازمته للقاذورات ورغبته فيها، ولهذا المعنى ورد النهي عن أكل الجلاّلة وشرب لبنها وهي التي تأكل العذرة والجلّة أي البعر (والجلالة صيغة مبالغة وهي كالجلة بفتح الجيم وتشديد اللام) فروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة- وصححه الترمذي منهم كما صححه البيهقي- عن ابن عباس « نهى رسول الله (ص) عن شرب لبن الجلالة » وروي بلفظ « وعن أكل الجلالة وشرب ألبانها » وصححه ابن دقيق العيد . وروى أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه عن ابن عمر مثله قال « نهى رسول الله (ص) عن أكل الجلالة وألبانها » وقد اختلف في وصله وإرساله. واختلف العلماء في النهي عن الجلالة من الانعام وغيرها كالدجاج والاوز هل العبرة بعلفها قلة وكثرة أم العبرة برائحة لحمها ؟ وهل النهي للتحريم أم للكراهة؟ وقال بعض أئمة الفقه لا تؤكل حتى تحبس عن أكل القذر أياما، واختلفوا في مدة الحبس، وكان ابن عمر يحبس الدجاجة ثلاثا ولم ير بأكلها بأسا . والغرض من هذا أن الاسلام طيب أحل الطيبات وحرم الخبائث وبالغ في أمر النظافة فلا غرو اذا عد اكل الخنزير للقاذورات علة أو حكمة من علل تحريم لحمه أو حكمها وان لم يترتب عليه ضرر فكيف اذا ترتب عليه ضرر عظيم

وأما كون أكل لحم الخنزير ضارا فهو مما يثبته الطب الحديث وجل ضرره ناشيء من أكله للقاذورات ، فمنه انه يولد الديدان الشريطية كالدودة الوحيدة نعوذ بالله منها، وسبب سريان ذلك اليه أكل العذرة ، ومنه انه يولد دودة أخرى

يسميها الاطباء الشعرة الحلزونية وهي تسري الى الخنزير من أكل الفيران الميتة ، ومنه ان لحمه أعسر اللحوم هضما لكثرة الشحم في أليافه العضلية، وقد تحول الانسجة الدهنية التي فيه دون عصير المعدة فيعسر هضم المواد الزلاليـة للعضلات فتتعب معدة آكله ويشعر بثقل في بطنه واضطراب في قلبه فان ذرعه القيء فقذف هذه المواد الخبيثة والا تهيجت الامعاء وأصيب بالاسهال . ولولا العادة التي تسهل على كثير من الناس تناول السموم أكلا وشربا وتدخينا، ولولا ما يعالجون به لحم الخنزير لتخفيف ضرره لما أمكن الناس ان يأكلوه ولا سيما أهل البلاد الحارة . ومن أراد أن يعرف كنه الضرر الذي ذكرناه مفصلا بعض التفصيل فليراجع المجلد السادس من المنار (ص ٣٠٢ — ٣٠٨).

فان قلت ان آية الانعام عللت تحريم أكل لحم الخنزير بكونه رجسا فهـل معنى ذلك أكله للقذر ، أم ما فيـه من الضرر ؟ فاعلم ان لفظ الرجس يطلق على كل ضار مستقبح حسا أو معنى فيسمى النجس رجسا ويسمى الضار رجسا ، ومن الاخير قوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) فتعليل آية الأنعام تشمـل الأمرين اللذين ذكرناهما معا ، فهي من ايجاز القرآن الذي لا يصل الناس الى شرحه وتفصيله الا باتساع دائرة علومهم وتجاربهم

﴿ الرابع ما اهل لغير الله به ﴾ وهذا هو الذي حرم لسبب ديني محض لا لاجل الصحة والنظافة كالثلاثة الماضية ، والمراد به ما ذبح على ذكر غير الله تعالى من المخلوقات التي يعظمها الناس تعظيما دينيا ويتقربون اليها بالذبائح . والاهلال رفع الصوت . يقال أهلّ فلان بالحج اذا رفع صوته بالتلبية له، ومنه استهل الصبي اذا صرخ عند الولادة . وكانوا يذبحون لأصنامهم فيرفعون صوتهـم بقولهم : باسم اللات أو باسم العزّى. وحكمة تحريم أكل هذا انه من عبادة غير الله تعالى فالاكل منه مشاركة لاهله فيه ومشايعة لهم عليه ، وهو مما يجب إنكاره لا إقراره ، ورفع الصوت ليس هو علة التحريم ولا شرطا له بل هو لبيان الواقع، وانما سبب التحريم ما ذكرناه من كونه من عبادة غير الله تعالى ، ويدخل فيما اهلّ به لغير الله ما ذكر عند ذبحه اسم نبي من الانبياء أو وليّ من الاولياء ، كما يفعله بعض أهل الكتاب

وجهلة المسلمين الذين اتبعوا سنن من قبلهم شبرًا بشبر وذراعا بذراع

﴿ الخامس المنخنقة ﴾ قال صاحب القاموس : خنقه خنقا (ككتف) وخَنقا فهو خنق أيضا (أي ككتف) وخنق ومخنوق كخنّقه فاختنق ، وانخنقت الشاة بنفسها » وقد روى ابن جرير في تفسير المنخنقة أقوالا عن مفسري السلف في هذا المعنى ، فمن السدي أنها التي تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق فتموت ، وعن ابن عباس والضحاك : التي تختنق فتموت ، وعن قتادة : التي تموت في خناقها . وفي رواية عن الضحاك : الشاة توثق فيقتلها خناقها . وفي رواية أخرى عن قتادة : كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها . قال ابن جرير : وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال هي التي تختنق إما في وثاقها أو بادخال رأسها في الموضع الذي لاتقدر على التخلص منه فتختنق حتى تموت . وانما قلنا ان ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك من غيره لان المنخنقة هي الموصوفة بالانخناق دون خنق غيرها لها . ولو كان معنيا بذلك أنها مفعول بها لقيل والمخنوقة حتى يكون معنى الكلام ماقالوا اه وهو المختار عندنا لانه هو المعنى اللغوي المنطبق على حكمة الشارع

ويغلط من يقول ان فعل الانخناق هنا مما يسمونه فعل المطاوعة كما قال الصرفيون في مثل كسرته فانكسر . ويتوهم من لاذوق له في اللغة ان هذه الصيغة لاتجيء الا لما كان أثرًا لفعل فاعل مختار ككسرته فانكسر . والصواب ان هذه فلسفة باطلة ، وأن العربي القح إنما يقول انكسر الشيء اذا كان يعلم انه انكسر بنفسه أو يجهل من كسره . الا اذا كان المقام مقام تعبير عن شيء تعاصى كسره على الكاسرين ثم انكسر بفعل أحدهم ، وهذا لايتأتى الا في بعض المواد . وأرى ذوقي يوافق في مادة الخنق مايفهم من عبارة القاموس من ان مطاوع خنق هو اختنق من الافتعال ، وان انخنق لايفهم منه الا ما كان بفعل الحيوان بنفسه كما قال ابن جرير .

ويؤيد هذا الفهم الذي جزم ابن جرير بأنه هو الصواب الجمع به بين هذه الزوائد في سورة المائدة وبين حصر المحرمات في الاربعة الاولى منها . فالمنخنقة بهذا المعنى من قبيل ما مات حتف انفه من حيث انه لم يمت بتذكية الانسان له

لاجل أكله ، فهي داخلة في عموم الميتة بالمعنى الشرعي الذي بيناه في تفسيرها ، وانما خصها بالذكر لأن بعض العرب في الجاهلية كانوا يأكلونها ولئلا يشتبه فيها بعض الناس لان لموتها سببا معروفا ، وإنما العبرة في الشرع بالتذكية التي تكون بقصد الانسان لاجل الأكل حتى يكون واثقا من صحة البهيمة التي يريد التغذي بها . ولو أراد تعالى بالمنخنقة المخنوقة بفعل الانسان لعبر بلفظ المخنوق أو الخنيق لانه حينئذ يفيد ان الخنق وان كان ضربا من التذكية بفعل الفاعل لايحل، ويفهم منه تحريم المنخنق بالاولى ، بل يفهم هذا من لفظ الميتة أيضا كما تقدم ، فالعدول الى صيغة المنخنقة لاتعقل له حكمة الا الاشعار بكون المنخنقة في معنى الميتة

﴿ السادس الموقوذة ﴾ وهي التي ضربت بغير محدّد حتى انحلت قواها وماتت. قال في القاموس : الوقذ شدة الضرب . قال شارحه :وفي البصائر للمصنف: الموقوذة هي التي تقتل بعصا أو بحجارة لاحد لها فتموت بلا ذكاة اه وشاة وقيذ وموقوذة. والوقذ أيضا الشديد المرض المشرف على الموت . وما نقله ابن جرير من أقوال مفسري السلف موافق لهذا وهو ان الوقيذ ماضرب بالخشب أو العصا ، وكانوا يأكلونها في الجاهلية . والوقذ محرم في الاسلام لانه تعذيب للحيوان وقد قال (ص) « ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا قتلتم فأحسنوا القِتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليُحدّ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته» رواه احمد ومسلم واصحاب السنن عن شداد بن اوس. فلما كان الوقذ محرما حرم ما قتل به ، ثم ان الموقوذة تدخل في عموم الميتة الشرعية على الوجه الذي فسرناها به أخذاً من مجموع النصوص ، فانها لم تذك تذكية شرعية لاجل الاكل

قال الرازي: ويدخل في الموقوذة مارمي بالبندق فمات وهي أيضا في معنى المنخنقة فانها ماتت ولم يسل دمها اه فاما ماقاله في البندق - وهو ما يتخذ من الطين فيرمى به بعد يبسه - فعليه الجمهور عملا بحديث الصحيحين عن عبدالله بن مغفل أن رسول الله (ص) نهى عن الخذف وقال « انها لاتصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » والخذف بالخاء المعجمة الرمي بالحصا والخذف وكل يابس غير محدد سواء رمي باليد أو المِخذفة والمقلاع، وهو في معنى الوقذ لأنه يعذب الحيوان

و يؤذيه ولا يقتله فالعلة في النهي عنه منصوصة في الحديث وهو انه تعذيب للحيوان وليس سببا مطردا ولا غالبا في القتل بخلاف بندق الرصاص المستعمل في الصيد الآن فانه يصيد وينكأ ولذلك افتى بجواز الصيد به المحققون من المتأخرين. واما قوله — أي الرازي — : وهي في معنى المنخنقة فانها ماتت ولم يسل دمها . فهو تعليل مردود لأن سيلان الدم سبب لحل الحيوان ولكنه ليس شرطا ، بدليل حل ما صادته الجوارح فجاءت به ميتا ، ولم يشترط ان تجرحه في نص ولم يقل به أئمة الفقه كما سيأتي

﴿ السابع المتردية ﴾ وهي التي تقع من مكان مرتفع أو في منخفض فتموت. قال ابن جرير يعني بذلك جل ثناؤه وحرمت عليكم الميتة ترديا من جبل أو بئر أو غير ذلك ، وترديها رميها بنفسها من مكان عال شرف الى سفله اه وهذا التفسير يدخل المتردية في الميتة بحسب معناها الذي بيناه اذ لم يكن للإنسان عمل في إماتتها ولا قصد بها الى أكلها

﴿ الثامن النطيحة ﴾ وهي التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح من غير ان يكون للانسان عمل في إماتتها كما سبق القول فيما قبلها . وفيها بحث لفظي وهو انها بمعنى المنطوحة وصيغة « فعيل » اذا كانت بمعنى اسم المفعول يستوي فيها المذكر والمؤنث فلا تحتاج الى التاء ، اذ تقول العرب: عين كحيل، لا كحيلة ، وكف خضيب ، لاخضيبة . وقد أجاب بعض البصريين عن هذا بأن التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية .وجعله بعضهم من استعمال فعيل بمعنى فاعل كانه قال والناطحة التي تموت بالنطاح أي تنطح غيرها وتنطحها فتموت . وقال الكوفيون انما يمتنع إلحاق التاء بفعيل بمعنى مفعول اذا كان وصفا لموصوف مذكور كعين كحيل فاما اذا لم يسبق للموصوف ذكر فلا يمتنع

﴿ التاسع ما أكل السبع ﴾ أي ماقتله بعض سباع الوحوش كالاسد والذئب ليأكله ، وأكله منه ليس شرطا للتحريم فان فرسه إياه يلحقه بالميتة كما علم مما مر . وكانوا في الجاهلية يأكلون بعض فرائس السباع ، وهو مما تأنفه أكثر الطباع ، ولا يزال الناس يعدون أكله ذلة ومهانة وان كانوا لا يخشون منه ضررا

ثم قال تعالى « الا ما ذكيتم » وقد اختلف فيه المفسرون هل هو استثناء من جميع المحرمات التي يتوقف حلها على تذكية الانسان لها أي إماتتها اماتة شرعية

لاجل اكلها ؟ أم هو استثناء من الاخير وهو ما أكل السبع ؟ أم هو استثناء من التحريم دون المحرمات يقصد به انه حرم عليكم ماذكر الا ماذكيتم، أي ولكن لم يحرم عليكم ماذكيتموه بفعلكم مما يذكى ؟ والاول هو الظاهر المتبادر، ورجحه ابن جرير بعد ذكره وذكر الثالث، وجعله بعضهم استثناء من المنخنقة والثلاث بعدها ،لان ما أهل به لغير الله . وما ذبح على النصب لا شأن للتذكية فيهما . قال ابن جرير :

وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الأول وهو ان قوله « الا ماذكيتم » استثناء من قوله « وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع » لان كل ذلك مستحق الصفة التي هو بها قبل حال موتها ، فيقال لما قرب المشركون لآلهتهم فسموه له : هو ما اهل به لغير الله ، وكذلك المنخنقة اذا انخنقت وان لم تمت فهي منخنقة ، وكذلك سائر ماحرمه الله تعالى مابعد ما اهل به لغير الله ، الا بالتذكية المحللة دون الموت بالسبب الذي كان به موصوفا اه

ثم أورد ابن جرير سؤالا وأجاب عنه فقال : فان قال لنا قائل فاذا كان ذلك معناه عندك فما وجه تكريره ما كرر بقوله « وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية » وسائر ماعدد تحريمه في هذه الآية ، وقد افتتح الآية بقوله « حرمت عليكم الميتة » ؟ وقد علمت انه شامل كل ميتة كان موته حتف انفه من علة به غير جناية أحد عليه؟ أو كان موته من ضرب ضارب إياه أو انخناق منه أو انتطاح أو فرس سبع ، وهلا كان قوله — ان كان الامر على ماوصفت في ذلك من انه معنيّ بالتحريم في كل ذلك الميتة بالانخناق والنطاح والوقذ وأكل السبع أو غير ذلك دون ان يكون معنيا به تحريمه اذا تردّى أو انخنق أو فرسه السبع فبلغ ذلك منه مايعلم انه لايعيش مما أصابه منه الا باليسير من الحياة - « حرمت عليكم الميتة » (١) مغنيا من تكرير ما كرر بقوله « وما اهل لغير الله به والمنخنقة » وسائر

(١) جملة « حرمت عليكم الميتة » هي مقول القول وكلمة مغنيا بعدها خبر كان في قوله « وهلا كان قوله » وما بين ذلك اعتراض

ما ذكر مع ذلك وتعديده ما عدد ؟ قيل وجه تكراره ذلك — وان كان تحريم ذلك اذا مات من الاسباب التي هو بها موصوف وقد تقدم بقوله « حرمت عليكم الميتة» - أن الذين[١] خوطبوا بهذه الآية كانوا لا يعدون الميتة من الحيوان الا مامات من علة عارضة به غير الانخناق والتردي والانتطاح وفرس السبع ، فأعلمهم الله ان حكم ذلك حكم مامات من العلل العارضة ، وان العلة الموجبة تحريم الميتة ليست موتها من علة مرض أو أذى كان بها قبل هلاكها ، ولكن العلة في ذلك انها لم يذبحها من أحل ذبيحته بالمعنى الذي أحلها به اه

وقد أيد رأيه هذا برواية عن السدي في المنخنقة وما بعدها قال : هذا حرام لان ناسا من العرب كانوا يأكلونه ولا يعدونه ميتا انما يعدون الميت الذي يموت من الوجع فحرمه الله عليهم الا ماذكروا اسم الله عليه وأدركوا ذكاته وفيه الروح.اه

وقد أخطأ ابن جرير في سياقه هذا بما ذكر من العلة و بالتعبير فيه بلفظ الذبح بدل لفظ التذكية الذي هو تعبير القرآن، والتذكية أعم من الذبح كما سيأتي، وقد ثبت ان المتردية في بئر اذا طعنت في أي جزء من بدنها فكان ذلك هو المتمم لموتها عد تذكية وحل أكلها . وما هو بالذي يجهل هذا ولكن الاستعمال الغالب ينسي الانسان غيره أحيانا فيعبر به ، وقد يريد به المثال . ثم ان عبارة السدي التي رواها عنه لتأييد قوله تفيد ان بعض العرب هم الذين كانوا لا يعدون ذلك من الميتة ، وهي أخص من عبارته هو . وأقول انه ليس المراد بذلك انهم لا يعدونها من الميتة لغة بل المراد ان العرب كانت تعاف أكل الميتة الا ان بعضهم كان لا يعاف منها الا ماجهل سبب موته، واما ما عرف كالمنخنقة والموقوذة الخ ما ذكر في الآية فلم يكونوا يعافونه

وجملة القول في أصل المسألة أن الله تعالى أحل أكل بهيمة الانعام وسائر الطيبات من الحيوان مادب منه على الارض وما طار في الهواء وما سبح في البحر ولم يحرم على سبيل التعيين الا الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله . ولما كان بعض العرب يذبح الحيوان على اسم غير الله وهو شرك وفسق و بعضهم يأكل بعض أنواع الميتة وربما كان بعضهم يأكل كل ميتة سهل ذلك

(١) هذه الجملة خبر قوله : وجه تكراره . وما بينهما اعتراض

عليه عدمه وفقره - وهم الذين كانوا يقولون لم تأكلون ماقتلتم ولا تأكلون ماقتل الله - ولما كان ذلك مظنة الضرر وفيه شيء من مهانة النفس ، جعل الله تعالى حل أكل المسلم لذلك منوطا بأن يكون إتمام موته والاجهاز عليه بفعله هو ليذكر اسم الله على مابدئ بالاهلال به لغير الله عند ازهاق روحه فلا يكون من عمل الشرك ، ولئلا يقع في مهانة أكل الميتة وخسة صاحبها بأكله المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وفريسة السبع ، وناهيك بما في الموقوذة من اقرار واقذها على قسوته وظلمه للحيوان وهو محرم شرعا

ويكفي في صحة ادراك ذكاة ماذكر ان يكون فيه رمق من الحياة عند جمهور مفسري السلف وقال بعض الفقهاء لابد ان تكون فيه حياة مستقرة وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة. روى ابن جرير عن الحسن انه قال في بيان ماتدرك ذكاته من هذه الاشياء : اذا طرفت بعينها أو ضربت بذنبها . وفي رواية أخرى عنه عنده: اذا كانت الموقوذة تطرف ببصرها أو تركض (تضرب) برجلها أو تمصع بذنبها (تحركه) فاذبح وكل منه، وعن قتادة في قوله «الا ماذكيتم» قال: فكل هذا الذي سماه الله عز وجل ههنا ماخلا لحم الخنزير اذا أدركت منه عينا تطرف أوذنبا يتحرك أو قائمة تركض فذكيته فقد أحل الله ذلك . وفي رواية أخرى عنه : الا ماذكيتم من هذا كله فاذا وجدتها تطرف عينها أو تحرك أذنيها من هذا كله فهي لك حلال . وعن علي كرم الله وجهه قال : اذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة وهي تحرك يدا أو رجلا فكلها .وفي رواية أخرى عنه عنده أيضا اذا ركضت برجلها أو طرفت بعينها أو حركت ذنبها فقد أجزى. وعن الضحاك كان أهل الجاهلية يأكلون هذا فحرم الله في الاسلام الا ماذكي منه فما أدرك فتحرك منه رجل أو ذنب أو طرف فذكي فهو حلال . وروى القول الآخر عن مالك قال حدثني يونس عن أشهب قال سئل مالك عن السبع يعدو على الكبش فيدق ظهره أترى ان يذكى قبل ان يموت فيؤكل؟ قال ان كان بلغ السحر[1] فلا أرى ان يؤكل، وان كان إنما أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأسا . قيل له وثب عليه فدق ظهره ،قال لا يعجبني

(١) السحر بفتح السين وضمها وبالتحريك الرئة

ان يؤكل هذا لا يعيش منه ، قيل له فالذئب يعدو على الشاة فيشق بطنها ولا يشق الامعاء ، قال اذا شق بطنها فلا أرى ان تؤكل . (قال ابن جرير) وعلى هذا القول يجب ان يكون قوله « الا ما ذكيتم » استثناء منقطعا ثم بين ان هذا مرجوح وان الصواب غيره وقد نقلنا عبارته في أول هذا البحث

اما الذكاء والذكاة والتذكية والإذكاء فمعناها في أصل اللغة إتمام فعل خاص أو تمامه لا مجرد إيقاع ذلك الفعل أو وقوعه ، يقال ذكت النار تذكو ذكوا وذكا وذكاء اذا تم اشتعالها ، والشمس اذا اشتدت حرارتها كأتم ما يعتاد واكمله، وذكى الرجل (كرمى ورضي) تمت فطنته ، وأذكى النار وذكاها تذكية وذكى البهيمة اذا أزهق روحها وان بدأ بذلك غيره أو عرضت لها علة توجبه لو تركت ، إذ العبرة بالتمام. قال في لسان العرب : الذكاء شدة وهج النار يقال ذكيت النار اذا أتممت إشعالها ورفعها . وكذلك قوله تعالى « الا ما ذكيتم » ذبحه على التمام ، والذكا تمام إيقاد النار مقصور يكتب بالألف(١) اه أقول ذكر الذبح مثال ومثله غيره مما تتم به الإماتة كنحر البعير وطعن المتردية في البئر والحفرة وخنق الجارح الصيد . والذكاء السن (العمر) ايضا . يقال بلغت الدابة الذكاء أي السن . واصله انهم يعرفون اعمارها برؤية اسنانها، ومنه «جري المذكيات غلاب» وهي الخيل تمت قوتها واشرفت على النقص فهي تغالب الجري مغالبة . وذكى الرجل (بالتشديد) أسن و بدن . وفي السن معنى التمام قال في اللسان : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب فاذا نقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاء . والذكاء في الفهم ان يكون فهما تاما سريع القبول. ابن الأنباري في ذكاء الفهم والذبح : انه التمام وانهما ممدودان اه ثم نقل أقوالا عن اللغويين في كون الذبح والنحر ذكاة وذكر أقوال بعضهم في تفسير الآية وقال: وأصل الذكاة في اللغة اتمام الشيء فمن ذلك الذكاء في السن والفهم اه

وقد جعل النبي (ص) خزق حديدة المعراض وقتل الكلب (ونحوه) للصيد ذكاة ، ففي حديث عدي بن حاتم في الصحيحين وغيرهما « اذا رميت بالمعراض

---

(١) يكتب بالالف لانه واوي الاصل. والذكوة بالضم ما تذكى النار به من جمرة وحطب وبعر ويقال الذكية بالياء ايضاً قال في لسان العرب من باب جبوت الخراج جباية . أي فاصلها الواو ايضاً

بخزق فكله وان أصابه بعرضه فلا تأكله » وفي رواية « اذا ارسلت كلبك فاذكر اسم الله فان أمسك عليك فأدركته حيا فاذبحه وان ادركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فان اخذ الكلب ذكاة » قال صاحب منتقى الاخبار عند ايراد هذا الحديث المتفق عليه : وهو دليل على الاباحة سواء قتله الكلب جرحا أو خنقا . والمعراض - كما في اللسان - : بالكسر سهم يرمى به بلا ريش ولا نصل يمضي عرضا فيصيب بعرض العود لا بحده اه وانما يصيب بحده - أي طرف العود الدقيق الذي يخزق أي يخدش - اذا كان الصيد قريبا كما في شرح القاموس وقيل هو خشبة ثقيلة في آخرها عصا محدد راسها وقد لا يحدد . وقوى هذا القول النووي في شرح مسلم تبعا للقاضي عياض، وقال القرطبي انه المشهور . وقال ابن التين : المعراض عصا في طرفها حديدة يرمى بها الصائد فما أصاب بحده فهو ذكي فيؤكل وما أصاب بغير حده فهو وقيذ اه والاول أظهر وهو المقدم في معاجم اللغة . والشاهد ان خدش المعراض وقتل الكلب يعد تذكية لغة وشرعا لانه مما يدخل في قصد الانسان الى قتل الحيوان لاجل أكله لا تعذيبه . وفي حديث ابي ثعلبة عند مسلم مرفوعا « اذا رميت بسهمك فغاب عنك فادركته فكله مالم ينتن »

ولما كانت التذكية المعتادة في الغالب لصغار الحيوانات المقدور عليها هي الذبح كثر التعبير به فجعله الفقهاء هو الاصل وظنوا انه مقصود بالذات لمعنى فيه فعلل بعضهم مشروعية الذبح بأنه يخرج الدم من البدن الذي يضر بقاؤه فيه لما فيه من الرطوبات والفضلات ولهذا اشترطوا فيه قطع الحلقوم والودجين والمريء على خلاف بينهم في تلك الشروط . وان هذا لتحكم في الطب والشرع بغير بينة ، ولو كان الامر كما قالوا لما أحل الصيد الذي يأتي به الجارح ميتا ، وصيد السهم والمعراض اذا خزق لان هذا الخزق لا يخرج الدم الكثير كما يخرجه الذبح . والصواب ان الذبح كان ولا يزال أسهل أنواع التذكية على اكثر الناس فلذلك اختاروه وأقرهم الشرع عليه لانه ليس فيه من تعذيب الحيوان ما في غيره من أنواع القتل ، كما أقرهم على صيد الجوارح والسهم والمعراض ونحو ذلك . واني لأعتقد أن النبي (ص) لو اطلع على طريقة للتذكية أسهل على الحيوان ولا ضرر فيها كالتذكية بالكهربائية - ان

صح هذا الوصف فيها لقضايا على الذبح لان قاعدة شريعته انه لا يحرم على الناس الا مافيه ضرر لانفسهم أو غيرهم من الاحياء، ومنه تعذيب الحيوان بالوقذ ونحوه. وأمور العادات في الاكل واللباس ليست مما يتعبد الله الناس تعبدا باقرارهم عليه، وانما تكون أحكام العبادة بنصوص من الشارع تدل عليها ، ولا يعرف مراد الشارع وحكمته في مسألة من المسائل الا بفهم كل ما ورد فيها بجملته . ولو كان اقرار الناس على الشيء من العادات أو استئناف الشارع لها حجة على التعبد بها لوجب على المسلمين اتباع النبي (ص) في كيفية اكله وشربه ونومه ، بل هنالك ماهو أجدر بالوجوب كالتزام صفة مسجده وحينئذ يحرم فرشه و وضع السرج والمصابيح فيه .

وقد تأملنا مجموع ماورد في التذكية ففقهنا ان غرض الشارع منها اتقاء تعذيب الحيوان بقدر الاستطاعة فأجاز ما أنهر الدم وما مراه او أمراه او أمرّه وهو دون أنهره في معنى اخراجه او إسالته ، وأمر بأن تحد الشفار وان لا يقطع شيء من بدن الحيوان قبل ان تزهق روحه ، وأجاز النحر والذبح حتى بالظرار اي بالحجارة المحددة و بالمرو اي الحجر الابيض وقيل الذي تقدح منه النار ، و بشق العصا ، وهذا دون السكين غير المحدود بالشحذ ، ولكل وقت وحال ما يناسبهما ، فاذا تيسر الذبح بسكين حاد لا يعدل الى ما دونه ، واذا تيسر في الذبح إنهار الدم يكون أسهل على الحيوان واقل إيلاما له فلا يعدل عنه الى مثل طعن المتردية في ظهرها أو فخذها أو خزق المعراض وخدشه لاي عضو من البدن ، والرمي بالسهم للحيوان الكبير ذي الدم الغزير . روى احمد والشيخان واصحاب السنن عن رافع ابن خديج قال كنا مع رسول الله (ص) في سفر فند بعير من ابل القوم ولم يكن معهم خيل فرماه رجل منهم بسهم فحبسه فقال رسول الله (ص) « ان لهذه البهائم أو بدا كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا » ند البعير نفر ، وحبسه ثبته في مكانه اذ مات فيه برمية السهم . واستدل جمهور السلف بالحديث على جواز أكل مارمي بالسهم فجرح في اي موضع من الجسد ولكن اشترطوا ان يكون وحشيا او متوحشا او نادا ، الا ان مالكا وشيخه ربيعة والليث وسعيد بن المسيب لم يجيزوا أكل المتوحش الا بتذكيته في حلقه اولبته اي نحره

﴿ العاشر من محرمات الطعام ما ذبح على النصب ﴾ قال الراغب في مفرداته :

نصب الشيء وضعه وضعا ناتئا كمنصب الرمح والبناء والحجر . والنصيب الحجارة تنصب على الشيء وجمعه نصائب ونصب (بضمتين) وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها قال « كأنهم الى نصب يوفضون » قال « وما ذبح على النصب » وقد يقال في جمعه انصاب ، قال « والانصاب والازلام » اه وقال في اللسان : النصب (بالفتح) والنصب (بالضم) والنصب (بضمتين) الداء والبلاء والشر ، وفي التنزيل « مسني الشيطان بنصب وعذاب » ... والنصيبة والنصب (بضمتين) كل ما نصب فجعل علما · وقيل النصب جمع نصيبة كسفينة وسفن وصحيفة وصحف ، الليث : النصب جماعة النصيبة وهي علامة تنصب للقوم ، والنصب (بالفتح) والنصب (بضمتين) العلم المنصوب ، وفي التنزيل « كأنهم الى نصب يوفضون » قرئ بهما جميعا ، وقيل النصب (بالفتح) الغاية ، والاول أصح . قال ابو اسحق من قرأ الى نصب (بالفتح) فمعناه الى علم منصوب يستبقون اليه ، ومن قرأ الى نصب (بضمتين) فمعناه الى أصنام كقوله « وما ذبح على النصب » ونحو ذلك قال الفراء ، قال والنصب (بالفتح) واحد وهو مصدر وجمعه الانصاب ، واليَنصوب علم ينصب في الفلاة . والنصب والنصب كل ما عبد من دون الله تعالى والجمع أنصاب . الجوهري : والنصب (بالفتح) ما نصب فعبد من دون الله تعالى ، وكذلك النصب بالضم وقد يحرك مثل عسر اه

وقال ابن جرير : والنصب الاوثان من الحجارة جماعة انصاب كانت تجمع في الموضع من الارض فكان المشركون يقرّبون لها وليست بأصنام ، وكان ابن جريج يقول في صفته - وذكر سنده اليه - النصب ليست بأصنام ، الصنم يصوّر وينقش وهذه حجارة تنصب ثلاث مئة وستون حجرا ، منهم من يقول الثلاث مئة منها لخزاعة ، فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة . قال المسلمون يارسول الله: كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق ان نعظمه ، فكأن النبي (ص) لم يكره ذلك فأنزل الله « لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ثم ايد ابن جرير قول ابن جريج بما رواه عن غيره من المفسرين ، ومن قول مجاهد : النصب حجارة حول

الـكعبة تذبح عليها أهل الجاهلية ويبدلونها اذا شاؤا بحجارة احب اليهم منها ، وقول قتادة : والنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها و يذبحون لها فنهى الله عن ذلك ، وقول ابن عباس : انصاب كانوا يذبحون ويهلون عليها

فعلم من هذه النصوص ان ماذبح على النصب هو من جنس ما أهل به لغير الله من حيث انه يذبح بقصد العبادة لغير الله تعالى ولـكنه أخص منه ، فما اهل به لغير الله قد يكون ذبح لصنم من الاصنام بعيدا عنه وعن النصب ، وما ذبح على النصب لابد ان يذبح على تلك الحجارة أو عندها وينشر لحمه عليها . فعلم من هذا ومما قبله ان المحرمات عشرة بالتفصيل وأربعة بالاجمال ، وكما خص المنخنقة وما عطف عليها من الميتات بالذكر بسبب خاص معروف لئلا يغتر احد باستباحة بعض أهل الجاهلية لها – خص ماذبح على النصب بالذكر لازالة وهم من توهم أنه قد يحل بقصد تعظيم البيت الحرام اذا لم يذكر اسم غير الله عليه ، وحسبك انه من خرافات الجاهلية التي جاء الاسلام بمحوها

ثم عطف على محرمات الطعام التي كان أهل الجاهلية يستحلونها عملا آخر من خرافاتهم فقال ﴿ وان تستقسموا بالأزلام ﴾ أي وحرم عليكم ان تطلبوا علم ما قسم لكم بالازلام كما تفعل الجاهلية ، وجعل بعضهم هذا من محرمات الطعام كما يأتي . والزلم محركة وكصرد (أي بضم ففتح) قدح لاريش عليه ، وسهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية جمعه أزلام . قاله في القاموس. والمراد انها قطع من الخشب بهيئة السهم الا انها لا يلصق عليها الريش الذي يلصق على السهم الذي يرمى به ليحمله الهواء، ولا يركب فيها النصل الذي يجرح مايرمى به من صيد وغيره. قال بعضهم كانت الازلام ثلاثة مكتوبا على أحدها « امرني ربي » وعلى الثاني « نهاني ربي» والثالث غفل ليس عليه شيء ،فاذا أراد أحدهم سفرا أوغزوا أو زواجا أو بيعا أو غير ذلك أجال هذه الازلام فان خرج له الزلم المكتوب عليه أمرني ربي مضى لما أراد وان خرج المكتوب عليه « نهاني ربي» أمسك عن ذلك ولم يمض فيه . وان خرج الغفل الذي لاكتابة عليه أعاد الاستقسام . وروى ابن جرير عن الحسن قال كانوا اذا أرادوا أمرا أو سفرا يعمدون الى قداح ثلاثة على واحد

منها مكتوب أؤمرني ، وعلى الآخر انهني ، ويتركون الآخر محالا بينهما ليس عليه شيء، ثم يجيلونها فن خرج الذي عليه أؤمرني مضوا لامرهم وان خرج الذي عليه انهني كفوا ، وان خرج الذي ليس عليه شيء أعادوها . وروى عن آخرين في الكتابة كلمات أخرى بمعنى ما ذكرنا . وعن السدي انها كانت تكون عند الكهان فاذا أراد الرجل ان يسافر أو يتزوج أو يحدث أمرا أتى الكاهن فأعطاه شيئا فضرب له بها ، فان خرج شيء يعجبه منها أمره ففعل وإن خرج شيء يكرهه نهاه فانتهى، كما ضرب عبد المطلب على زمزم وعلى عبد الله والإبل .

وعن ابن اسحق قال : كانت هبل أعظم أصنام قريش بمكة وكانت في بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة ، وكانت عند هبل سبعة قداح كل قدح منها فيه كتاب (أي كتابة شيء وبينه بقوله) قدح فيه العقل (أي دية القتيل) اذا اختلفوا في العقل من يحمله ضربوا بالقداح السبعة، وقدح فيه « نعم » للامر اذا أرادوه يضرب به فان أرادوه يضرب به (أي يجال في سائر القداح) فان خرج قدح « نعم » عملوا به ، وقدح فيه « لا » فاذا أرادوا أمرا ضربوا في القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك، وقدح فيه « منكم » وقدح فيه « ملصق » وقدح فيه « من غيركم » وقدح فيه المياه إن أرادوا ان يخرجوا الماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوا به ، وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو أن ينكحوا منكحا أو أن يدفنوا ميتا أو يشكوا في نسب واحد منهم ذهبوا به الى هبل بمائة درهم وبجزور (بعير يجزر) فأعطاها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فيضرب ، فان خرج عليه « من غيركم » كان حليفا ، وان خرج عليه « ملصق » كان على ميراثه منهم لا نسب له ولا حلف ، وان خرج فيه سوى هذا مما يعملون به « نعم » عملوا به، وان خرج « لا » أخروه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح اه

والظاهر من اختلاف الروايات انه كان يكون عند بعض الكهنة أزلام غير السبعة التي عند هبل التي يفصل فيها في كل الامور المهمة . وانهم كانوا يتعرفون قسمتهم وحظهم بغير ذلك من اللعب الذي يسكن به اضطراب نفوس أصحاب الأوهام، وفسر مجاهد الأزلام بكعاب فارس والروم التي يقمرون بها وسهام العرب. وقال الازهري : الازلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي وافعل ولا تفعل ؟ وقد زلمت وسويت ووضعت في الكعبة يقوم بها سدنة البيت، فاذا أراد أحد سفرا أو نكاحا أتى السادن وقال اخرج لي زلما : فيخرجه وينظر اليه الخ (قال) وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه فاذا أراد الاستقسام اخرج احدهما اه وهذا محل الشاهد . وقال بعضهم ان الازلام قداح الميسر ، وقال بعضهم انها النرد والشطرنج . والجمهور على القول الاول . وقد بينا سهام الميسر في تفسير (٢: ٢١٩ يسألونك عن الخمر والميسر) وهي عشرة لها اسماء اسبعة منها انصبة متفاوتة فليراجعه من شاء (ص ٣٣٢ ج ٢) واللعب بالنرد ونحوه ليس استقساما وقد يستقسم به

أما سبب تحريم الاستقسام فقد قيل انه ما فيه من تعظيم الاصنام ويرده أن التحريم عام يشمل ما كان عند الاصنام وما لم يكن كالزلمين اللذين يحملهما الرجل معه في رحله ، وقيل لانه طلب لعلم الغيب الذي استأثر الله به، ويرده انه لم يكن يطلب بها علم الغيب في مثل الامر والنهي، وقيل لان فيها افتراء على الله ان أرادوا بقولهم « امرني ربي » الله عز وجل ، وجهلا وشركا ان أرادوا به الصنم، ويرد بأن هذا رواية عن بعض الازلام لا عن كلها

والصواب أن هذا قد حرّم لانه من الخرافات والاوهام التي لا يركن اليها الا من كان ضعيف العقل يفعل ما يفعل عن غير بينة ولا بصيرة، ويترك ما يترك عن غير بينة ولا بصيرة ، ويجعل نفسه ألعوبة للكهنة والسدنة ، ويتفاءل ويتشاءم بما لا فأل فيه ولا شؤم ، فلا غرو ان يبطل ذلك دين العقل والبصيرة والبرهان، كما أبطل التطير والكهانة والعيافة والعرافة وسائر خرافات الجاهلية ، ولا يليق ذلك كله الا بجهل الوثنية وأوهامها

ومما يجب الاعتبار به في هذا المقام ان صغار العقول كبار الاوهام في كل زمان

ومكان، وعلى عهد كل دين من الاديان، يستنون بسنة مشركي الجاهلية، ولا تطمئن قلوبهم الا بخرافات الوثنية، فان لم يستقسموا بالازلام استقسموا بما هو مثلها وفي معناها، ولكنهم يسمون عملهم هذا اسما حسنا، كما يفعل بعض المسلمين حتى عصرنا هذا بالاستقسام بالسبح وغيرها، و يسمونه استخارة وما هو من الاستخارة التي ورد الاذن بها في شيء. وقد يسمونه اخذ الفال، وذلك انهم يقتطعون طائفة من حب السبحة ويحولونه حبة بعد أخرى يقولون «افعل» على واحدة و«لا تفعل» على أخرى ويكون الحكم الفصل للحبة الاخيرة، و بعضهم يقول كلمات أخرى بهذا المعنى، تختلف كلماتهم كما كانت تختلف كلمات سلفهم من الجاهلية والمعنى والمقصد واحد. ومنهم من يستقسم بورق اللعب الذي يتمارون به أحيانا، ومنهم من يأخذ الفال بفصوص النرد (الطاولة) وامثاله من أدوات اللعب. وفصوص النرد هذه هي كعاب الفرس التي أدخلها مجاهد في الأزلام وجعلها كسهام العرب في التحريم سواء. وقد ورد في الاحاديث ما يؤيد تحريمها. ومنهم من يستقسم أو يأخذ الفال أو الاستخارة كما يقولون بالقرآن العظيم، فيصبغون عملهم بصبغة الدين، وهو يتوقف على النص لان الزيادة في الدين كالنقص منه، وهل يحلّ عمل الجاهلية بتغيير صورته؟ و يلبس الباطل ثوب الحق فيصير حقا؟ اللهم انك أنزلت القرآن هدى للمتقين فترك قوم الاهتداء وحرموه على أنفسهم، وا كتفوا مما يدعون من الايمان به والتعظيم له بالاستقسام به كما كانت الجاهلية تستقسم بالازلام، أو الاستشفاء بمداد تكتب به آياته في كاغد اوجام، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبهم في الآخرة، فقد كفانا ما أصاب الامة بضلالهم في هذه الحياة العاجلة، اللهم واجعل لنا فرجا ومخرجا من فتنتهم، وفتنة من تركوا الدين كله استنكافا من خرافاتهم وخرافات امثالهم،

واعلم القارئ أن العادة والالف يجعلان البدعة معروفة كالسنة، والسنة منكرة كالبدعة، فما حاول احد إماتة بدعة أو احياء سنة الا وأنكر الناس عليه عمله باسم الدين، ولا طال العهد على بدعة الا وتأولوا لفاعليها وانتحلوا لها مسوغا من الدين، ومن ذلك زعم بعضهم ان ما يفعله بعض الناس من الاستقسام بالسبح وغيرها يصح ان يعد من الفال الحسن وقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة والحاكم عن عائشة انه

صلى الله عليه وآله وسلم « كان يعجبه الفأل الحسن » وما هو منه ، انما الفأل ضد الطيرة التي نفتها وابطلتها الاحاديث الصحيحة، وهو أن يسمع الانسان اسما حسنا أو كلمة خير فينشرح لها صدره وينشط فيما اخذ فيه . وقيل يكون الفأل في الحسن والرديء . والطيرة (بوزن عنبة) مايتشاءم به من الفأل الرديء .هذه عبارة القاموس وهي من الطائر اذ كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بحركة الطير ذات اليمين وذات الشمال حتى صار زجر الطير عندهم صناعة . قال في القاموس: والطائر الدماغ وما تيمنت به أو تشاءمت اه . وقوله (ص) « لا طيرة » في حديث الصحيحين يبطل حسن الطيرة ورديئها لانه خرافة مبنية على الاستدلال على الحسن والقبح بما لا يدل عليه عقلا ولا شرعا ولا طبعا. لا فرق في التطير بين ان يكون بحركة الطير أو بغيرها من الاقوال والافعال.

وهذه الطيرة قديمة العهد في العرب وقد أبطلها الله تعالى قبل الاسلام ، على لسان نبيه صالح عليه السلام ، كما بين لنا ذلك في مجادلته لقومه (ثمود) في سورة النمل قال (٢٧ : ٤٧ قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) والاستقسام بالأزلام أو غيرها شر من التطير الذي يقع للانسان من غير سعي اليه ، والفرق واضح بين الخرافات والأوهام التي تؤثر في نفس الانسان عرضا لقلة عقله أو تأثره بأحوال من تربى بينهم ، و بين مايسعى اليه منها و يستثيره باختياره ويجعله حاكما على قلبه ، فيعمل بأمره ونهيه . واذا صح ان النبي (ص) تساهل مع أصحابه وأقرهم على التفاؤل بالكلمة الطيبة ولم يعد هذه من الطيرة لعلمه بأنه أزال تلك العقائد الوهمية الباطلة من نفوسهم فلم تبق حاجا للتشديد عليهم فيما ينشرح له الصدر – فهذا التساهل لايدل على جواز استقسام الجاهلية المحرم قطعا بنص القرآن الصريح لتغير المستقسم به، فان تحريم الاستقسام ليست علته أنه بالأزلام ، بل أنه من الاباطيل والاوهام، وأي فرق بين خشبات الازلام وخشبات السبحة أوغير ذلك من حبها ؟

وأغرب من ذلك جعل الاستقسام من قبيل الاستخارة اذ استحله بعض الدجالين باطلاق اسمها عليه، وجعله بعضهم من قبيل القرعة المشروعة ، وكل هذا من قياس الشيطان ، والحكم في دين الله بالهوى دون بينة ولا سلطان ،

بيان ذلك ان الاسلام دين البصيرة والعقل والبينة والبرهان ، وآيات القرآن الكثيرة ناطقة بذلك (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة * قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) الخ وارشاد القرآن وهديه في الحث على الاخذ بالدليل والبرهان ، عام يشمل جميع شؤون الانسان ، ولما كانت الدلائل والبينات تتعارض في بعض الامور ، والترجيح بينها يتعذر في بعض الاحيان ، فيريد الانسان الشيء فلا يستبين له آلاقدام عليه خير أم تركه؟ فيقع في الحيرة — جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته ، وذلك المخرج هو الاستخارة ، وهي عبارة عن التوجه الى الله عزوجل والالتجاء اليه بالصلاة والدعاء بأن يزيل الحيرة ويهيء وييسر المستخير الخير ، وجدير هذا بأن يشرح الصدر لما هو خير الامرين ، وهذا هو اللائق بأهل التوحيد ان يأخذوا بالبينة والدليل الذي جعله الله تعالى مبينا للخير والحق فان اشتبه على أحدهم أمر التجأ الى الله تعالى فاذا شرح صدره لشيء أمضاه وخرج به من حيرته ، والقرعة تشبه ذلك بل أمرها أظهر ، فانها انما تكون للترجيح بين المتساويين قطعا كالقسمة بين اثنين فانه لا وجه لإلزام من تقسم بينهما بأن يأخذ زيد منهما هذه الحصة وعمرو الاخرى . فالقرعة طريقة حسنة عادلة . وقس على هذا ما يشبهه

والذي صح في الاستخارة مارواه الجماعة (أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربع) من حديث جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله (ص) يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول « اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل « اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ (أو قال عاجل أمري وآجله) ـ فقدُره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه ، واقدُر لي الخير حيث كان ثم أرضني به »

قال ويسمي حاجته. وهذا لفظ البخاري والخلاف في ألفاظ رواياته قليل كأرضني به من الارضاء ورضني من التوضية.

ليس في هذه الرواية التي رواها الجماعة اشارة ما الى معنى يقرب من معنى الاستقسام ولا التفاؤل، بل هي أمر بعبادة ودعاء عند الاهتمام بالأمر والعزم عليه حتى لاينسى المؤمن ربه تعالى عند اهتمامه بالشأن من شؤون الدنيا. وما بيناه من فقه الاستخارة وحكمتها في بدء الكلام عنها مبني على ما اشتهر من معناها عند الجمهور ولا أعرف له أصلا صحيحا في السنة. ولكن روى ابن السني في عمل يوم وليلة والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس « اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخيرة فيه » قال النووي فيه انه يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له صدره، لكنه لايقدم على ما كان له فيه هوى قبل الاستخارة. قال الحافظ ابن حجر في الفتح بعد ما عزى الحديث الى ابن السني: لو ثبت لكان هو المعتمد ولكن سنده واه جدا اه أقول وآفته إبراهيم بن البراء ضعفوه جدا بل قال ابن حبان فيه: شيخ كان يدور بالشام ويحدث عن الثقات بالموضوعات لا يجوز ذكره الا على سبيل القدح فيه

ثم قال تعالى ﴿ ذلكم فسق ﴾ ذهب ابن جرير في تفسيره الى ان الاشارة هنا راجعة الى جميع ما سبق من المحرمات أي كل محرم منها خروج من طاعة الله ورغبة عن شرعه. وذكر الرازي فيه وجها آخر وهو انه راجع الى الاخير فقط وهو الاستقسام بالازلام

ثم قال عز وجل * ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشون واخشون ﴾ انني اتنسم من وضع هذا الخبر في هذا الموضع وترتيب هذا الامر والنهي عليه ان حكمة الاكتفاء في أول الاسلام بذكر محرمات الطعام الاربعة الواردة في بعض السور المكية وترك تفصيل ما يندرج فيها مما كرهه الاسلام للمسلمين من سائر ما ذكر في هذه الآية الى ما بعد فتح مكة هو التدريج في تحريم هذه الخبائث والتشديد فيها كما كان التدريج في تحريم الخمر، لئلا ينفر العرب من الاسلام ويرون فيه حرجا عليهم يرجون به أن يرتد اليهم من آمن من الفقراء وهم أكثر السابقين الاولين. جاء هذا

التفصيل للمحرمات بعد قوة الاسلام وتوسعة الله على أهله وإعزازهم ، وبعد ان يئس المشركون بذلك من نفور أهله منه وفرارهم من تكاليفه ، وزل طمعهم في الظهور عليهم وازالة دينهم بالقوة القاهرة ، فكان المؤمنون أجدر بأن لا يبالوا بمداراتهم ، ولا يهتموا بما ينفرهم من الاسلام ، وأن لا يخافوهم على أنفسهم وعلى دينهم . قيل ان المراد باليوم في هذه وفيما بعدها مطلق الوقت والزمن كما تقول كنت بالامس طفلا أو غلاما وقد صرت اليوم رجلا . والصحيح ان المراد به يوم عرفة من عام حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة وكان يوم جمعة ، وهو اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية المبينة لما بقي من الاحكام التي أبطل بها الاسلام بقايا مهانة الجاهلية وخبائثها واوهامها ، والظهور المسلمين على المشركين ظهورا تاما لا مطمع لهم في زواله ولا حاجة معه الى شيء من مداراتهم أو الخوف من عاقبة أمرهم ، وستأتي الروايات في ذلك . والمعنى ان اخبر الله المؤمنين بأن الكفار أنفسهم قد يئسوا من زوال دينهم ، وانه ينبغي لهم وقد بدلهم بضعفهم قوة وبخوفهم أمنا وبفقرهم غنى ان لا يخشوا غير الله الذي جربوا فضله عليهم وإعزازه لهم . ثم قال

﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾

نبدأ تفسير هذه البشارات الثلاث مع حمد الله وشكره، والثناء عليه بما هو أهله، بذكر صفوة ماورد فيها عن مفسري السلف من معناها وزمن نزولها ومكانه . روى البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس في قوله « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » يقول يئس أهل مكة ان ترجعوا الى دينهم عبادة الاوثان ابدا « فلا تخشوهم » في اتباع محمد « واخشوني » في عبادة الاوثان وتكذيب محمد . فلما كان (أي النبي ص) واقفا بعرفات نزل عليه جبريل وهو رافع يده والمسلمون يدعون الله « اليوم أكملت لكم دينكم » يقول حلالكم وحرامكم فلم ينزل بعده حلال ولا حرام، «وأتممت عليكم نعمتي » قال منتي فلم يحج معكم مشرك « ورضيت » يقول اخترت « لكم الاسلام دينا » مكث رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية احدى وثمانين يوما (؟) ثم قبضه الله اليه . وروى ابن جرير وابن المنذر عنه (أي ابن عباس) قال : اخبر الله نبيه والمؤمنين انه قد أكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة ابدا،

وقد أتمه فلا ينقص ابدا ، وقد رضيه فلا يسخطه ابدا . وروى احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والبيهقي في سننه عن طارق بن شهاب قال : قالت اليهود لعمر انكم تقرؤن آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود انزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال: وأي آية ؟ قالوا « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » قال عمر : إني والله لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله (ص) فيه ، والساعة التي نزلت فيها ، نزلت على رسول (ص) عشية عرفة في يوم جمعة . وفي رواية عند اسحق بن راهويه وعبد بن حميد ان عمر قال لرجل من اليهود قال له ذلك : الحمد لله الذي جعله لنا عيدا واليوم الثاني ، نزلت يوم عرفة واليوم الثاني يوم النحر ، فأكمل الله لنا الامر ، فعلمنا ان الامر بعد ذلك في انتقاص . واخرج ابن جرير عن عيسى بن حارثة الانصاري قال كنا جلوسا في الديوان فقال لنا نصراني (١) يا أهل الاسلام لقد انزلت عليكم آية لو انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيدا مابقي منا اثنان « اليوم اكملت لكم دينكم » فلم يجبه أحد منا فلقيت محمد بن كعب القرظي فسألته عن ذلك ، فقال ألا رددتم عليه فقال قال عمر بن الخطاب انزلت على النبي (ص) وهو واقف على الجبل يوم عرفة فلا يزال ذلك اليوم عيدا للمسلمين ما بقي منهم أحد . وروى البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) وهو بعرفة . وروى ابن عباس نحو ما رواه هو وغيره من جواب عمر . وهو انه قرأ الآية فقال يهودي لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيدا ، فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين اثنين يوم عيد ويوم جمعة . وروى عنه ايضا انه قال في تفسير « اليوم » ليس بيوم معلوم يعلمه الناس، ورجح الرواية عن عمر في تعيينه بصحة سندها

وأما الذي اختاره ابن جرير في تفسير اكمال الدين لهم فهو خلوص البيت الحرام لهم واجلائه المشركين عنه حتى حجه المسلمون وهم لايخالطهم المشركون . واستدل على ذلك بخلاف السلف في مسألة اكمال الفرائض والاحكام في ذلك اليوم . وذكر مارواه قبل ذلك عن ابن عباس والسدي من تفسير الاكمال باكمال

(١) الديوان هو الذي أنشأه عمر فكان أول نظارة مالية في الاسلام والنصراني كان كاتبا فيه

الفرائض والاحكام وما يعارضه من قول البراء بن عازب في آية « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » إنها آخر آية نزلت . ونقول لامعارضة فان مراده انها آخر آيات الفرائض وهذا لاينفي ان تكون نزلت قبل آية المائدة أو سورة المائدة. واستدل على الترجيح أيضا باتفاق العلماء على ان الوحي لم ينقطع عن رسول الله (ص) الى ان قبض، وكونه كان قبل وفاته أكثر ما كان تتابعا، وجعل منه آية الفتوى في الكلالة ، واصحاب القول الآخر يعنون ان تكون هذه الآية مما نزل بعد آية المائدة ولا يعنون غيرها مما ليس فيه فرائض ولا حلال ولا حرام ، وبهذا يبطل ترجيحه اثبات نزول شيء من الاحكام على نفيه بتقديم المثبت على النافي

وقد كان قدم قول من قالوا بخلاف ما اختاره وبينه أتم بيان اذ قال : اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي وامري إياكم ونهيي وحلالي وحرامي وتنزيلي من ذلك ما انزلت منه في كتابي ، وتبياني مابينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي ، والادلة التي نصبتها لكم على جميع مابكم الحاجة اليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد اليوم اه المراد منه .ثم ذكر تاريخ ذلك اليوم وانه لم ينزل بعده من الفرائض والحلال والحرام شيء ، وأيده بالرواية عن ابن عباس والسدي . وأما مقابله وهو تفسير الدين بالحج خاصة فأيده بالرواية عن قتادة وسعيد بن جبير ، وسنبين رأينا في رده

واما مفسرو الخلف فقد نظروا في الآية نظرًا آخر وهو انه استدل بها أهل الظاهر على بطلان القياس وكل ماترتب عليه من احكام العبادات والحلال والحرام فارادوا دفع ذلك ، واستشكل بعضهم مافي مفهوم الاكمال من سبق النقص فارادوا التفصي منه ، وقد سبق صاحب الكشاف الى قول جامع في الامرين تبعه فيه مثل البيضاوي والرازي وابو السعود كعادتهم ، قال : «اليوم أكملت لكم دينكم» كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم ، كما تقول الملوك : اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا مانريد : اذا كُفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومنافعهم ، أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف

على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد « وأتممت عليكم نعمتي » بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين ، وهدم منار الجاهلية ومناسكهم ، وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان ، أو أتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة أتم من نعمة الاسلام اه وقال البيضاوي : « اليوم أكملت لكم دينكم » بالنصر والاظهار على الاديان كلها بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد « وأتممت عليكم نعمتي » بالهداية والتوفيق ، أو باكمال الدين ، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية اه وتبعهما في ذلك ابو السعود باللفظ والفحوى . قال : وتقديم الجار والمجرور - « أي تقديم « لكم » على قوله « دينكم » - للايذان من أول الامر بأن الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم ، كما في قوله « ألم نشرح لك صدرك » وشرح الرازي احتجاج منكري القياس بالآية ورد مثبتيه عليهم ، والرد مبني على اثبات الاجتهاد لكل مكلف وهو يستلزم بطلان التقليد . واعتمد في مسألة إكمال الدين من أوله قول القفال ان كل مانزل في وقت كان كافيا لاهله فيه ولم تكن مست الحاجة الى غيره ، وان هذا الاكمال في الآية هو اكماله بالنسبة الى نزول الآية وما بعدها الى يوم الساعة (للموضوع بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ اشكالان في حديث وآيتين ﴾

(س ١٧ و١٨) من دمياط

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من مصطفى نور الدين الى المصلح المظيم ، والرباني الحكيم ، السيد محمد رشيد رضا سلام عليك أيها الوارث لهدي النبيين ، المجدد لما اندرس من معالم هذا الدين ، المحيي لما أماته الناس من سنة خير المرسلين ، سلام عليك وعلى عترتك الطيبين الطاهرين ،

وبعد فقد عرض لي مسألتان من مسائل الدين وأنتم في نظري أفضل من يوثق به في هذا العصر فلذلك أجدني غير مرتاح الا لما تقولون

{ الاولى } جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا ـ الحديث » فهل المشركون من المسلمين يشملهم هذا الخروج لانه يصدق عليهم أن في قلوبهم مثقال حبة من خردل من ايمان وقد جعلهم القرآن مؤمنين وهم مشركون فقال{وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون } فانهم مؤمنون بوجود الصانع وبأن الله خلقهم وخلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله* ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) ولكنهم مشركون باتخاذ الشفعاء والتقرب الى الوسائط من المقربين وتسويتهم برب العالمين في التعظيم والتوجه بالدعاء والالتجاء؛ أم لا يشملهم هذا الخروج ويكون حكمهم حكم الدهريين الذين ينكرون وجود الصانع ؟ واذا كان هذا الخروج يشملهم فهل يشمل مشركي المسيحيين أيضاً لانهم مؤمنون بوجود الصانع أو لا يشملهم حيث ان شركهم يختلف عن شرك المسلمين فظاعة وشناعة فانهم يعتقدون تعدد واجب الوجود؟ أما المشركون من المسلمين فلا يعتقدون بتعدد واجب الوجود بل يعتقدون تعدد المستحق للعبادة ، هذه هي المسألة الاولى أرجو بيانها بيانا شافياً

(المسألة الثانية) قد نشم رائحة الاختلاف في قوله تعالى (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها — الآية)

فان الصدر يفيد ان المدعوين من دون الله عباد ، والعجز يدل على ان المدعوين جماد ، مع ان القرآن لاريب فيه من رب العالمين ولذا لا يوجد فيه اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) بل هو كتاب متشابه أي لاينافي بعضه بعضاً بل يؤيد بعضه البعض كما قال منزله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني) فالرجاء أن تزيلوا هذه الرائحة الكاذبة وتثبتوا له رائحته الطيبة الحقيقية الصادقة. وافادتي عن هاتين المسألتين إما أن تكون على صفحات مجلتكم (المنار) الشافية لما في الصدور واما أن تكون بخطاب خاص ان كان هناك مانع من الاول . وعنواني يكون هكذا « دمياط مصطفى نور الدين حنطر »

﴿ حاشية تناسب هذا المقام ﴾

أن بعض المشركين بل الغالب من أفرادهم يزعم أن جميع الآيات التي جاء فيها تقبيح الشرك وتوبيخ المشركين خاصة بالاصنام بمعنى الجماد مع أننا لو تتبعنا هذه الآيات التي جاءت بشأن الشرك والمشركين لوجدناها مصرحة بأن المشركين فريقان فريق يدعو الاصنام المجعولة تماثيل لعباد الله المقربين وفريق يدعو المقربين غير ناظر الى التماثيل ، فمما جاء في تسفيه أحلام الفريق الاول قوله تعالى (أتعبدون ماتنحتون ؟ ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) ومما جاء في التشنيع على الفريق الثاني قوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءاً وكانوا بعبادتهم كافرين) وقوله (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقربُ ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وقوله (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون) فهل يعقل ان الاصنام بمعنى الجماد تتصف بهذه الصفات التي وُصِفَ بها المدعون في هذه الآيات التي جاءت بشأن الفريق الثاني اذ لايعقل ان يتصف الجماد بالغفلة أو بضدها أو يتصف بالعداوة وضدها أو بالكفر وضده ولا يتأتى ان تبتغي الى ربها الوسيلة وان ترجو رحمته وتخاف عذابه ولا يمكن ان تكون الاصنام بمعنى الجماد ضدا على المشركين يوم القيامة ولا يتصور أن يوصف الجماد بموت أو حياة أو شعور ببعث فمن عنده أدنى مسكة من عقل يدرك ان جميع هذه الصفات لاتنطبق على الاصنام بمعنى الجماد بل لا تنطبق الا على المقربين من الملائكة أو الانبياء أو الصالحين الاولياء اه

﴿ جواب المنار عن حديث من يخرج من النار والايمان المنجي ﴾

قال الله تعالى (٤ : ٤٧ و١١٧ إن الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى (٥ : ٧٥ وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) وقال تعالى في سياق محاجة ابراهيم لقومه في التوحيد والشرك (٦ : ٨٢ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) وقد فسر النبي (ص)

الظلم هنا بالشرك . وهو نكرة في سياق النفي يفيد ان الأمن من العذاب المقيم الذي أعده الله للمشركين خاص بمن آمنوا إيمانا لا يشوبه شيء ما من الشرك وان كان مثقال حبة من خردل . وقد بينا حكمة ذلك في تفسير آيتي (ان الله لا يغفر ان يشرك به) فراجعه في تفسيرهما من مجلد المنار الخامس عشر . فعلم انه لا مندوحة عن حمل حديث البخاري المسئول عنه على ما يتفق مع هذه الآيات ، وان يراد بمثقال الخردلة من الايمان فيه المثال للايمان الخالص الذي لا يشوبه مثقال خردلة من شرك وهو الذي يعتد به في النجاة وان لم يترتب عليه ما يترتب على الايمان الكامل من الآثار العملية والنفسية لاسباب منعت من ذلك كان يموت المرء عقب اهتدائه الى التوحيد الصحيح فلم ينم في قلبه ولم يترعرع الى أن يكمل وتصدر عنه آثاره . فان لم يكن هذا هو المراد بالحديث كان معارضا لهذه الآيات ولا يمكن ترجيحه عليها أو إرجاعها اليه والقول بان مثقال حبة من خردل من ايمان مشوب بالشرك ينجي صاحبه من النار بعد دخولها ويجعله من أهل الجنة ، ولم يقل بهذا أحد من المسلمين بل أجمعوا على ان الشرك بالله لا يغفر منه شيء ، ومن تلوثوا به من المسلمين جنسية لا يسمونه شركا بل يسمونه اسما آخر ، الا من لم يبال بلقب الاسلام كالباطنية بعد تكونهم شيعا ذوات عصبية ، ثم إنه لا يمكن جعل ذلك خاصاً بأمة من الامم ، ولا شك انه يصدق على مشركي العرب في زمن البعثة انه كان في قلوبهم ايمان كحبة الخردل أو أعظم وانما المراد بحبة الخردل منتهى القلة فان القرآن شهد لهم بأنهم يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق ، وفيهم نزل (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) والآيتان اللتان أوردهما السائل في سؤاله بعد هذه الآية ، لا في المسلمين الذين يشركون بالله كشركهم ، فلو كان الايمان بوجود الله مع اتخاذ شركاء بذلك المعنى منجيا لكان مشركو العرب في الجاهلية ناجين حتما

أما حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله تعالى والذي حرم الله على صاحبه الجنة فهو مبين في القرآن في مواضع كثيرة جدا، وينقسم الى شرك في الالوهية بعبادة غير الله تعالى، ومخ العبادة وجوهرها الدعاء أي طلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة ، وشرك في الربوبية باتخاذ بعض الناس شارعين يحلون لهم ويحرمون عليهم ويشرعون لهم مالم يأذن به الله فيتبعونهم. وقد شرحنا ذلك مرارا كثيرة في المنار في التفسير منه وغير التفسير. والمعطل المنكر لوجود الله تعالى لا يسمى مشركا ولكنه شر من المشرك فاذا كان الله لا يغفر لمن يؤمن بأنه الحق الخالق الرازق اذا توجه الى غيره معه ودعاه من دونه

ولو ليقربه اليه زلفى ، فهل يغفر لمن جحده مطلقا ؟ ولا نرى وجها لتفرقة السائل بين الشرك باعتقاد تعدد المستحق للعبادة وتعدد واجب الوجود ، فان المسلمين مجمعون على أن المستحق للعبادة هو واجب الوجود وواجب الوجود هو المستحق للعبادة، وهو الله تعالى، لا تصدق العبارتان الا عليه تعالى، وان اختلفتا في المفهوم ، والعبارة الثانية من اصطلاحات المتكلمين تبعا للفلاسفة . فما ذكره من الشرك واحد ، والنصارى لا يقولون بتعدد واجب الوجود كما قال، ولكن لهم فيه فلسفة لا تعقل وهي التوحيد مع التثليث ، أما من يتوهم ان عند الله فرقاً بين المشركين باختلاف من أشركوهم معه في الدعاء أو غيره من خصائص الالوهية والربوبية فهو -كما يعلم السائل الموحد- جاهل أحمق اذ العبرة بحقيقة الشرك لا بأصناف الشركاء ، فلا فرق بين من أشرك به ملكا أو نبيا ومن أشرك به كوكباً أو حجراً أو شيطاناً . وفي مشركي المسلمين من أشركوا بالله بعض آل بيت نبيه بالعبادة والدعاء ومنهم من أشركهم بالتشريع أيضاً كاصناف الباطنية وآخرهم البابية، ومن هؤلاء من انسلخ من اسم الاسلام كما انسلخ من معناه ، ومنهم من حافظ على انتحال اسمه مع لقب مذهب أو طريقة أو طائفة ، ولو على سبيل التقية ، ومنهم من أشرك من دون آل البيت حتى النبات والجماد على نحو ما كان عليه مشركو الجاهلية وغيرهم . فاما المحافظون على اسم الاسلام وشرائعه الظاهرة فما نزغ به الشيطان بينهم جهل يسهل على العلماء ارجاعهم عنه اذا بينوا لهم التوحيد الخالص من غير تأويل، واما من ليسوا كذلك فقد صاروا ابعد عن الاسلام من كثير من الوثنيين الخلّص . وكل ذلك معروف

﴿ الجواب عن تسمية الاصنام عبادا ﴾

لم ير أشهر المتقدمين من المفسرين اشكالا في اطلاق لفظ « عباد » على الاصنام فابن جرير الذي هو أشدهم عناية بتقرير كل ما كان يعد مشكلا والجواب عنه لم يورده في الآية وفسر العباد بالأملاك . واما من بعدهم فقد أوردوا ذلك وأجابوا عنه . فالرازي ذكر جوابين { احدهما } ان المشركين لما ادعوا انها تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فلا جرم وردت هذه الألفاظ على وفق معتقداتهم ، ولذلك قال « فادعوهم فليستجيبوا لكم » وقال « ان الذين » ولم يقل التي { ثانيهما } ان هذا اللفظ (؟) ورد في معرض الاستهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا احياء عقلاء فاذا ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموهم آلهة وأربابا ؟ ثم ابطل ان يكونوا عبادا أمثالكم فقال « ألهم أرجل يمشون بها » الخ

ثم أكد هذا البيان بقوله « فادعوهم فليستجيبوا لكم » ومعنى هذا الدعاء طلب المنافع وكشف المضار من جهتهم . واللام في قوله « فليستجيبوا » لام الأمر على معنى التعجيز . والمعنى انه لما ظهر لكل عاقل انها لاتقدر على الاجابة ظهر انها لاتصلح للمعبودية اه المراد منه وما هو الا شرح لعبارة وجيزة في الكشاف لاتبلغ السطرين

وأقول ان تنزيل الاصنام منزلة العقلاء يؤخذ من اعادة ضمير العقلاء عليها ان لم يؤخذ من لفظ «عباد» وأخذها من الضمير أظهر، فان هذا اللفظ يدل في أصل معناه على التسخير والتذليل ولذلك قالوا أن العبادة مشتقة من قول العرب « طريق معبّد » وهو الذي سلك كثيرا حتى صار سلوكه سهلا لكونه ممهدا مذللا . قال الراغب: والعبادة ضربان عبادة بالتسخير وهو كما ذكرناه في السجود ، وعبادة بالاختيار وهي لذوي النطق . ثم قال : والناس كلهم عباد الله بل الاشياء كلها كذلك ولكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار اه وقال في مادة سجد: السجود أصله التطأمن والتذلل وجعل عبارة عن التذلل لله وعبادته وهو عام في الانسان والحيوان والجمادات . ثم ذكر انه ضربان سجود اختيار وسجود تسخير وان هذا عام للانسان والحيوانات والنبات. وذكر الشواهد من الآيات ومنها سجود النجم والشجر وسجود الظلال وكأنه جعله تابعا للشجر .

فعلم من هذا أن إطلاق لفظ عباد على الاصنام له وجه في اللغة، وعده منافيا لاثبات كونها جمادا ليس قويا . وانما يتجه اذا دعم بالسؤال عن نكتة اعادة ضمير العاقل عليها ، وملخص الجواب ان من سنن البلاغة العربية التي تكثر في القرآن تنزيل غير العاقل منزلة العاقل اذا أسند اليه فعل العاقل أو اعتقد له أو وصف به، فما هنا من هذا القبيل، فان الاصنام لم تعبد بالدعاء الا وقد جعلها الداعون ذات علم وارادة وقدرة فكان الكلام معهم والاحتجاج عليهم بحسب ذلك . ويمكن ان يبنى ذلك على أن التوجه الى الأصنام ليس لذاتها بل لكونها تمثل من وضعت تذكارا لهم من الصالحين، وانهم هم الذين كانوا يدعونهم في الحقيقة لصلاحهم الذي جعلوهم به واسطة بينهم وبين الله عز وجل، يقربونهم اليه زلفى ويشفعون لهم عنده. وقد ورد عن السلف ما يثبت ان الاصنام والتماثيل وضعت لذلك. روى البخاري وابن المنذر عن ابن عباس قال: صارت الاصنام والاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب، اما ودّ فكانت لكلب في دومة الجندل، واما سواع فكانت لهذيل ، واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف عند سبأ، واما يعوق فكانت لهمدان، واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، وكانوا اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا (أي ماتوا) أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون

أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . اه وروي في هذا المعنى غير ذلك ومنها انهم من أولاد نوح أو آدم . ومنه تعلم ان أصل بلية الشرك الغلو في تعظيم الصالحين وتعظيم ما يذكر بهم أو ينسب اليهم ، وقد ينسى المذكر بهم فيعتقد انه ينفع أو يضر بنفسه

﴿ ما الحكمة في الذبح ؟ ﴾

{ س١٩ } من صاحب الامضاء بلوندره

سيدي الاستاذ العزيز صاحب المنار

طلب الي أحد اصدقائي أن أنقل اليكم السؤال الآتي راجياً منكم أن تتفضلوا بالاجابة عليه في « المنار » الاغر : — ماهي الحكمة من الذبح ؟ اذا كان الغرض عدم تعذيب الحيوان فهناك طرق أوفق بكثير من الذبح الذي لايخلو بلا شك من التعذيب حتى باستعمال أحدّ سكين ، دع عنك ان الذبح يؤدي الى تصفية اعضاء الجسم من الدم الذي هو مادة مفيدة للغذاء ومحتوية على الجزء الاكبر من الحديد ؟

لوندرة في ١٣ مايو سنه ١٩١٣ احمد زكي ابو شادي بمستشفى سانت جورج

(ج) ليس الذبح أمرا ابتدأ الاسلام ايجابه على اهله لحكمة فيه يطلبها أو فائدة يكلف الناس الانتفاع بها ، وانما جاء الاسلام والناس على عادات في أكل الحيوانات بعضها لاعلاقة له بالدين وبعضها من تقاليده الخرافية، فمنع القسم الاخير البتة وهو الذبح للاصنام ونحوها وعلى النصب تعبدا وتدينا . وحرم من القسم الاول ما يستخبث عند اصحاب الطباع السليمة ويستقذر ، وهو على مهانة أكله مظنة الضرر ، وهو الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ، كما حرم تعذيب الحيوان بالوقذ وغيره وامر بالرفق والاحسان به بقدر الطاقة ، وحرم الموقوذة ـ التي تضرب بغير محدد حتى تحل قواها وتموت ـ لجعلها من الميتة ، وكذا ما اعتاده بعض فقراء العرب المتهنين من أكل فرائس السباع والنطائح وما يتردى في الوديان والحفر فيوجد ميتا ـ الا ما وقع من ذلك امام أعينهم فأدركوا فيه حياة فازهقوا روحه بأيديهم، فان أكله ليس فيه من مهانة النفس وضعتها وتعريضها للضرر مافي اكل ما يوجد منه في الفلوات والوديان مترديا أو مفترسا مثلا . ثم أباح لهم ماوراء ذلك مما لامهانة فيه ولا مظنة ضرر وأقرهم على ما اعتادوا من أنواع تذكيته وصيده فكانوا ينحرون الحيوان الكبير في لبته كالبعير والثور ويذبحون الصغير اذا قدروا عليه والا قتلوه بسهم أو حربة ، ويأكلون ما صادوه بأيديهم ورماحهم وسهامهم ومعاريضهم وما صادته لهم الجوارح فجاءتهم به ميتا ـ وتجد تفصيل ذلك في باب التفسير من هذا الجزء وما بعده ، مع النص باحلال الاسلام له كله

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

ومما تقدم تعلم أن القول بقيامة المسيح لم يكن - كما يزعم المبشرون الآن - الحصن الوحيد الذي وقي المسيحية من السقوط ، ولا كان محتما لانقاذ التلاميذ من هاوية اليأس والقنوط

ومن أكبر ماحدث للنصارى بعد ذلك هو - كما زعموا - اضطهاد نيرون لهم سنة ٦٤ ميلادية وهذا الاضطهاد اذا سلم أنه وقع عليهم فهو باجماع المؤرخين لم يكن سببه إلا سياسيا (أي إتهامه لهم بحريق رومية) ولم يكن لعقيدة قيامة المسيح أدنى دخل فيه (راجع أيضا رسالة الصلب صفحة ١٤٠-١٤٢) بل ولا في أي اضطهاد من الاضطهادات الرومانية العشرة الشهيرة (من سنة ٦٤—٣١١ م) والا فلينبؤونا من منهم أو من رسلهم قتل فيها من أجل «هذه» العقيدة ؟ فقول المبشرين انهم انما اضطهدوا لمجاهرتهم بالقول بقيامة المسيح لاأساس له البتة من التاريخ واذاً فقولهم ان النصارى انما صبروا على كل ماأصابهم لوثوقهم من هذه القيامة قد خوى على عروشه واندكت دعائمه كما لايخفى ، اذ لو لم يقولوا بها مطلقا لا أصابهم ما أصابهم وهم قائلون بها ماداموا حزبا ناميا مخالفين لغيرهم في كثير من أفكارهم وآرائهم وشؤونهم وسياستهم وأمانيهم وسائر أمورهم ولذلك أصيب اليهود في بعض هذه الاضطهادات بما أصيب به النصارى لاختلافهم أيضا عن الرومانيين في مثل ما تقدم فالقول بالقيامة وعدمها سواء بالنسبة لاضطهادهم وصبرهم عليه. وكيف نسلم صحة كل حكايات الاضطهاد هذه بعد الذي علمناه عن النصارى من المبالغات والتحريف والاكاذيب والزيادات ؟ (راجع ايضا رسالة الصلب ص ١٢١ و١٤٠ - ١٤٢) ومن الذي قال إن جميع القائلين بعقيدة القيامة هذه كانوا كذابين وانهم ما كانوا معتقدين لها في الواقع

ونفس الامر وان كانوا فيها واهمين ؟ وما يدرينا ان اكثر الاضطهادات التي يحكونها كانت تحصل لهؤلاء المساكين الصادقين في عقيدتهم اذ مثل هؤلاء هم الذين يندفعون عادة ويتعرضون للناس ويدعونهم اليها من غير أن يحسنوا السياسة معهم والرؤساء من ورائهم يحرضونهم سرا و يشجعونهم طمعا في نجاحهم ونكاية بخصومهم وهم عن الاذى بعيدون ؟ وهل حصول الاضطهاد لشخص اعتقد شيئا مّا يدل على ان عقيدته هذه صحيحة ؟ مع اننا نرى كثيرا من الناس يتوهمون شيئا و يعتقدونه فينالهم اذى كثير في سبيل ذلك ولا يتحولون عنه ، وما من دين في العالم او اي مذهب إلا ونال اتباعه الاولين اذى كثير واضطهاد فظيع فهل جميع الاديان والمذاهب صادقة ، وهي كلها متناقضة ؟ ولنرجع الى أصل موضوعنا فنقول : -

من العجيب أن بولس يذكر كل هؤلاء الاشخاص الذين أريناك حقيقة أمرهم ويترك ذكر (مريم المجدلية) وهي أول من قالت إنها رأت المسيح (يو ٢٠: ١٨ ومر ١٥ :٩) ولها فضل السبق في الذهاب الى القبر وقد ذكرت الاناجيل الاربعة اسمها وهي في الحقيقة البطل الاعظم لهذه الرواية ومع ذلك لايذكرها بولس ويذكر أشخاصا آخرين لم تذكرهم الاناجيل فما السبب في ذلك يا ترى ؟ السبب الاكبر في ذلك هو أن بولس - ككل العقلاء الحريصين - يرى أن شهادات النساء في مثل هذه الحالة لا قيمة لها وخصوصا لأنها كانت امرأة مختلة العقل ومصابة بالشياطين كما تقول الاناجيل (لو ٨:٢) ولذلك قال بولس في النساء ١ كو ١٤ :٣٤ (لتصمت نساؤكم في الكنائس لانه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا) وهو صريح في بيان رأيه في قيمة النساء عندهم خصوصا في المسائل الدينية وكذلك نرى أن شهادتهن ما كان يعول عليها عند قومه اليهود حتى ما كانوا يقبلونها في محاكمهم ، فلهذا ولعدم ضرورة التملق لهن لضعفهن وعدم الخوف منهن ترك بولس ذكر شهادة النساء في مسألة القيامة . مع أن شهادة مريم هذه عند النصارى هي أول شهادة وأعظمها في هذه المسألة ! !

فما تقدم يظهر لك شدة مبالغة بولس في هذه المسألة التي هي اصل دعواه واساس دعوته كما قال هو نفسه (١ كو ١٥:١٤) وذكره أشياء فيها - سياسة منه كما بينا -

لم يذكرها أحد قبله ممن رأوا المسيح وشاهدوا اعماله وهو مع ذلك لم يقل إنه رواها عنهم بل قال في رسالته الى اهل غلاطية (١:١٧-١٩) انه بعد ايمانه بالمسيح لم يصعد الى اورشليم الى الرسل بل ذهب الى بلاد العرب ثم رجع الى دمشق و بعد ثلاث سنين ذهب الى اورشليم ولم يقابل فيها احدا من الرسل الا بطرس و يعقوب . وجاء في سفر الاعمال (٩ : ١٩ و ٢٠) انه كان في دمشق « يكرز » بالمسيح اي قبل ملاقاة الرسولين . فهل كان اذاً « يكرز » بقيامته ام لا ؟ فالظاهر ان كرازته هذه واخباره بمسألة القيامة والرؤية بعدها مبينة على دعواه لنفسه الوحي بها لا لسبب آخر (وهيهات ان يثبت ذلك له) . ولذلك قال في رسالته الى اهل غلاطية (١:١١ و١٢) ان انجيله لم يأخذه عن اي انسان بل باعلان يسوع المسيح !! فهذه هي قيمة شهادته من الوجهة التاريخية فهو لم يكن راوياً شيئا في هذه المسألة وغيرها عن تلاميذ المسيح باعترافه بنفسه (١) !!

---

(١) حاشية : اعلم أن الذي اضطره الى هذا التصريح هو أنه وجد أن بعض الناس وخصوصا اليهود المتنصرين يفضلون « الرسل » عليه ولا يذعنون له ولا يثقون بتعاليمه الا اذا سألوا الرسل عنها وأقروها فأثار ذلك حقده وغضبه حتى لم يقدر أن يكظم غيظه فكتب في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس مايظهر به أنه أفضل من هؤلاء الرسل الذين اتخذوهم حجة عليه وأن أتعابه أكثر وأعماله أعظم (٢ كو ١١:٢٢-٣٣) ولما وجد أن هذا الكلام لم يجد مع مخالفيه نفعاً وأنهم لم يزالوا يعتبرون الرسل فوقه ويحكمونهم في أقواله وأعماله اضطر أن يظهر في رسالته الى أهل غلاطية أنه لا يبالي بهؤلاء الرسل مهما كانوا (٢:٥ و٦) وأن كل من خالفه منهم أو من غيرهم وأتى الناس بتعليم آخر غير تعليمه هو ولو كان ملكا من السماء يكون ملعونا مطروداً من رحمة الله (غل ١:٨ و٩) وأن تعاليمه لم يأخذها عن أي أحد منهم بل هي - كما ذكرنا - بوحي يسوع المسيح اليه (١:١١ و١٢) الذي رآه في السماء الثالثة وفي الفردوس وسمعه وكلمه (٢ كو ١٢:٢ - ٤) منذ سنين فلا يجوز لهم اذاً أن يحكموهم في أقواله وهو لم يقل انه أخذ شيئاً عنهم أو انه كان تلميذا لهم بل قال انه تلميذ المسيح بالوحي ورسوله الى الامم وانه أفضل من جميع الرسل (٢ كو ١١:٢٣) بعد ان كان يقول في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس انه أصغرهم وانه ليس أهلا لان يسمى رسولا (١٥:٩) فانظر وتعجب !!

ومما تقدم تعلم أنه لم يكن على وفق تام مع الرسل ولا مع أتباعهم الحقيقيين وخصوصا بعد أن علمت مخالفة يعقوب له في رسالته وذم يوحنا له في رؤياه كما سبق بيانه والظاهر من كتبهم القانونية أن بطرس كان مسالما له ، وذلك خوفه منه وضعف مواهبه عنه ولكن يقال في خطب اكليمندس الروماني أن بطرس هذا كان أيضاً يتتبعه ويحاربه ويكذبه وكذلك قيل في « رسالة بطرس ليعقوب » (راجع كتاب دين الخوارق ص ٣١٨ و٣١٩) وكان كثير من آباء النصرانية الاقدمين يمقتونه ويرفضون رسائله وكذلك الابيونيون كافة . فالسبب الحقيقي في شهرته بين النصارى بعد هو اتباع الامم غير اليهودية له وسرورهم بتعاليمه لسهولتها عليهم بسبب خلوها من جميع التكاليف الموجودة في غيرها ولموافقة عقيدته في الخلاص بالمسيح لعقيدة الوثنيين في آلهتهم المتجسدة النازلة الى الارض =

فمبالغاته السابقة في رؤيته هو وغيره للمسيح لا يعول عليها فان من يدعى ويقول لاهل غلاطية (في آسيا الصغرى) ان المسيح صلب بينهم وراوه بأعينهم امامهم مصلوبا (غل ٣: ١) لا يبعد عليه ان يقول ماشاء وشاء هواه . فان قيل ان المراد بهذه العبارة التي تشير اليها هو انهم راوا رسمه وصورته مصلوبا (١) كما ترجموها في النسخ العربية أو المراد تصويره لهم وصفا وتعبيرا ـ قلت وما فائدة هذا الكلام إذًا وما قيمته ؟ وأي حجة فيه على اهل غلاطية او غيرهم الذين سماهم اغبياء لأنهم خالفوه ولم يذعنوا له ؟ وهل مثل هذا التصوير الكلامي او الكتابي يكفي لاقناع الناس بمسألة الصلب او بصدقه فيما يدعيه ؟ ان هذا لامر عجاب !! ولماذا اضاعه النصارى ان كان مقنعا للناس لهذه الدرجة ؟ الحق الحق اقول ان النصارى في دينهم واهمون ، وعن طريق الصواب نا كبون ، هداهم الله الى الطريق القويم ، والصراط المستقيم

= لخلاص الناس . لذلك تهافتت تلك الامم الرومانية واليونانية على هذه الديانة البولسية فنجح معهم بولس في ذلك نجاحا كبيرا . نعم كان بعض خاصة اليونانيين طلاب الحكمة (الفلسفة) لا يبالون بعقيدته في الخلاص بيسوع ويهزأون بها (١ كو ١ : ١٨ و ٢٣) ومن كان منهم يعتقد مثلها في بعض آلهتهم اليونانية كان يسخر من بولس لجعله مخلص العالم رجلا من قومه اليهود وهم قوم محتقرون عندهم . ولكن عامة اليونانيين وجماهير الامم الاخرى الوثنية كانت عقائدها تشبه من كل وجه عقيدة بولس في الخلاص بالصلب والموت وان كان مخلصوهم غير مخلص بولس (راجع مثلا كتاب « ملخص تاريخ الدين » ص ١٠٨ ، وكتاب « المسحاء الوثنيين » ص ٢٠٦ وكتاب « شهود تاريخ يسوع » ص ٦٧) فسهل عليهم لذلك قبول أفكاره في يسوع وراجت بين الرومانيين شيئا فشيئا حتى عمتهم تقريبا وانتقلت الى بعض الخاصة أيضاً وما زالت هذه الديانة البولسية تنتشر بين الناس شيئا فشيئا لملاءمتها لذلك الوسط الروماني اليوناني الوثني الى أن صارت هي الديانة الرسمية للدولة الرومانية بعد مضي نحو ثلاثة قرون عليها ، ولولا ان « مخلصها » من اليهود المحتقرين عندهم لكانت أسرع انتشارا من ذلك بينهم لعدم مباينتها لعقائدهم الا في أشياء طفيفة قليلة ولاشتمالها على بعض مبادئ اشتراكية (أع ٤: ٣٢) واباحية (كو ٢: ١٦) أسهل بكثير مما في بعض الشرائع الاخرى، كالموسوية ونحوها التي لاخلاص فيها بالايمان وحده بل بأعمال شاقة كثيرة معه . ومنذ ذلك الحين صاروا يضطهدون الناس بعد أن كانوا مضطهدين ، وكان منهم ما كان مما تتفطر لذكراه قلوب الراحمين ، فزادت أيضا بهذا القهر والاكراه انتشارا ، والى الان تراهم على الضعفاء غالباً معتدين قاسين ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم !!

(١) حاشية : اذا صح أن المراد من هذه العبارة صورة المسيح ورسمه فلماذا اذا ينكر البروتستانت على الكاثوليك والارثودكس وضع الصور في كنائسهم ويدعون أنه لا مسوغ لهم في ذلك من كتبهم !!

﴿ تذييل للفصل السابق ﴾

جاء في انجيل يوحنا (يو ٢٠ : ٢٣) أن المسيح حينما قابل تلاميذه بعد قيامته من الموت قال لهم « من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » ولم يأت في عبارته هذه بقيد ولا شرط غير ماتراه فيها من تفويض الامر كله للتلاميذ !! فلنسأل هنا الاسئلة الآتية : —

(١) هل إذا غفروا لمذنب لم يتب تغفر ذنوبه أم لا ؟ فان غفرت فاين اذاً العدل الالهي وقد ساوَوا الطالح بالصالح بكلمة منهم واحدة ؟ ! وأي فائدة للتوبة والاستقامة مادام الامر موكولا لهم يهبونه لمن شاءوا متى شاءوا ولو لم يستحقه؟وهل لايحمل قول المسيح هذا - اذا صح - النفوس على ترك كل عمل من أعمال البر والتقوى والسعي فقط فيما يرضى هؤلاء التلاميذ ونوابهم كالملق لهم أو دفع مال أوغيرذلك وترك مايرضى الله تعالى مادام الامر في يدهم لافي يده تعالى ؟ فأي إباحة للشرور والمفاسد أعظم من ذلك ؟ وهل لاتعذر النصارى الذين عبدوا هؤلاء القديسين من قديم الزمان بعد أن علموا - من نصوص كتبهم - أنهم يمكنهم أن يفعلوا بهم مالم يفعله الله نفسه فيغفروا ذنوبهم ولو كانوا على العصيان والشر مقيمين ؟ وأي قدرة أكبر من ذلك ؟ وان لم تغفر ذنوب المذنب الا بالتوبة الى الله والعمل الصالح فلم لم يشترط ذلك المسيح في عبارته هذه وجعلها مطلقة كما ترى؟واذا اشترط ذلك فما تكون إذا فائدة غفران تلاميذه وأي فرق بين وجوده وعدمه وما مزيتهم على غيرهم ؟ وهل لاتكون هذه العبارة عبثا ظاهرا وقدرة موهومة أعطاها لتلاميذه ؟ وكيف يصل علم هؤلاء التلاميذ الى أسرارنفوس الناس والوقوف على حقيقة أمرهم حتى يعلموا إن كانت توبتهم صادقة صحيحة يستحقون لاجلها الغفران أم لا ؟ فهل أصبحوا آلهة للعالم بكلمة المسيح هذه؟!فغفرانكم أيتها الآلهة غفرانكم للعاصين مثلي الكافرين بكم ! !

(٢) واذا لم يغفروا لمذنب تاب ورجع الى الله وحده فهل يغفر له أم لا ؟ فان غفر الله له فما حاجة الناس إذاً الى طلب الغفران منهم ؟ وكيف قال المسيح « من أمسكتم خطاياه أمسكت » ؟ وان لم يغفر الله له فكيف وعد التائبين (راجع

مثلا حز ١٨ : ٢١ — ٢٤) بالغفران ولم يشترط شيئا آخر غير التوبة والصلاح في جميع كتب الانبياء السابقين أي حتى قبل عمل الكفارة المزعومة بصلب المسيح؟ فهل لم يعلم الله في تلك الازمنة بأولئك الآلهة الذين أشركهم - بزعمهم - المسيح معه فيما بعد حتى استقل بالعمل وحده بدون مراعاة رضاهم عن التائبين، فماذا يفعل اذا هم خالفوه في ذلك يوم القيامة ؟ وكيف تكون التوبة قبل هذه الكفارة أسهل منها بعدها فانها كانت قبلها قاصرة على إرضاء الإله وحده وأما بعدها فلا بد من إرضاء غيره معه وهم كثيرون ؟ تعالى الله عما يشركون ! وكيف لا يقدر الله الغفور الرحيم (مز ٨٦ : ٥ وخر ٣٤ : ٦) على الغفران بدون اذنهم حتى تكون مشيئته تابعة لمشيئتهم، أما مشيئتهم هم فنافذة - بمقتضى وعد المسيح هذا - كالسهام بحيث لا تقف أمامها ارادة الله نفسه ! فهم اذاً أقدر منه تعالى وأولى بالعبادة دونه وأحق ! فأي باعث على الشرك وعبادة البشر أكبر من ذلك ؟ فالآلهة اذاً عندهم ليسوا ثلاثة فقط بل هم كثيرون متعددون . فما معنى توحيدهم وأي فائدة منه بعد ذلك ؟ وأي ذل واستعباد للناس أكبر من ذلك ؟ وأي مبادئ أشد حضا من مبادئهم هذه على استبداد رؤسائهم الروحانيين (وهم خلفاء التلاميذ ونوابهم في الارض) استبدادهم بالمرؤسين وطغيانهم وتصرفهم فيهم كما يشاؤون ؟ ؟ وكيف بعد ورود مثل هذه العبارة في الاناجيل ينكر مبشر و البروتستنت الآن أن كل ما حصل في أوربا في القرون الخالية من ظلم رجال الكهنوت وغيرهم من رؤسائهم (انظر رو ١٣: ١ و٢) وأكلهم أموال الناس بالباطل ومفاسدهم واستبدادهم وسفك الدماء والمذابح العظيمة والشقاق الدائم بين فرق النصارى وغير ذلك انما هو كله كان من النتائج اللازمة لتلك المبادئ التي قررتها كتبهم التي يقدسونها الى الآن !! وكيف يعقل أن عبارة المسيح السابقة هي من الله ؟ أليست هي مما اختلقته شياطينهم ونسبوه كذبا لعيسى عليه السلام، وهو منها ومن أمثالها والله لبرئ (١) ؟ والا فكيف تتفق

(١) يعتقد البروتستنت أن المسيح قال حقيقة هذه العبارة، وأنه هو أيضا الذي وضع لهم فريضة العشاء الرباني التي قال في أثنائها لهم « خذوا كلوا . هذا هو جسدي (مشيرا الى الخبز) وأخذ الكأس وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي » (مت ٢٦ : ٢٦ - ٢٨) فبنى النصارى جميعا من قديم الازمان على العبارة الاولى وما ماثلها (مت ١٨ : ١٨) سلطة رجال الدين ووجوب الاعتراف لهم بالذنوب وقدرتهم على غفرانها الخ وعلى العبارة الثانية أن =

هذه العبارة مع قوله عليه السلام لمن سألته أن يجلس ابنيها واحدا عن اليمنى وواحدا عن اليسار في مجده قوله لها « وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي ان أعطيه الا الذين أعد لهم من أبي » (راجع متى ٢٠ : ٢٣ ومرقس ١٠ : ٣٧–٤٠) فاذا كان هو نفسه لا يمكنه أن يعطي شيئا الا لمن أراده الله فكيف اذاً تعطي تلاميذه الغفران لمن شاءوا ويمنعونه عمن شاءوا ؟ ان هذا لامر عجيب !

واذا كان النصارى يعتقدون قدرة التلاميذ على التصرف في الكون (مت ١٦ : ١٩ و ١٨ : ١٨) وغفران الذنوب ودينونة الخلائق والملائكة يوم القيامة (١ كو ٦ : ٢ و ٣) وان كلمة أحدهم تنقل الجبال ولا يستحيل عليها شيء كما سبق (مت ١٧ : ٢٠) فأي شيء أبقوه لله تعالى بعد ذلك كله سوى عمله بحسب مشيئتهم وانقياده لاوامرهم ونواهيهم ؟ وهل هذا هو التوحيد الذي جاء به عيسى وجميع

= الخبز والخمر يستحيلان فعلا الى جسد المسيح ودمه وأنهم انما يأكلون حقيقة إلههم (يسوع) ويشربون دمه في هذا القربان كما يفعل الوثنيون في آلهتهم . فلذا قست قلوب النصارى على بني البشر – من باب أولى – مادام دينهم يأمرهم بأكل إلههم وشرب دمه ! ولا أدري لماذا غضب على اليهود وعد عملهم به اساءة له مع أنه كان يطلب منهم ويود ان يأكلوا جسده ويشربوا دمه !! (انظر يو ٦ : ٥٢–٥٩) وكان مافعلوه به أقل مما طلب . ولماذا لا يغضب على أتباعه الذين يفعلون به ذلك مرارا الى اليوم ؟

اني البروتستنت في العصور المتأخرة وكذبوا النصارى جميعا في هذه المسائل وغيرها وأولوها لهم بغير ماعرفوه عن أقدم آباء النصرانية ولكننا نعجب غاية العجب كيف أن جميع أتباع المسيح حتى أحدثهم به عهدا لم يفهموا مراده من تلك العبارات – اذا صح أنه هو قائلها – وبقوا على الضلال فيها الى القرن السادس عشر !؟ فلم يسمع عن أحد منهم مايقوله البروتستنت فيها الآن

فاذا جاز عند البروتستنت ان يصل ضلال جميع النصارى في دينهم الى هذه الدرجة وان لا يفهموا مراد المسيح الحقيقي طول هذه القرون التي كانوا فيها يتخبطون في أعمالهم وعقائدهم فكيف لا يجوز أنهم ضلوا في غير ذلك وكانوا فيه من الواهمين ؟ وكيف اذاً ينكرون حاجتهم الى بعثة رسول الله والى ما جاء به من الاصلاح الكامل الذي سبق به جميع مصلحيهم حينما كانوا لا يخطر على بالهم أنهم في دينهم واهمون ، وفي الضلال هائمون ؟ مع أنه لولا أن جاء عليه السلام ما اهتدوا الى هذا الاصلاح ، أو لتأخر رقي العالم في العلم والدين والمدنية الى زمن أبعد وقرون أكثر فانه هو وأمته هم الذين نشروا كل ذلك في العالم القديم أجمع وايقظوا النصرانية من سباتها العميق الطويل . فلو لم يكن مرسلا من الله فهل يعقل أنه تعالى الحكيم الرحيم بعباده يتركهم ضالين في أمورهم ، حيارى في دينهم ، ظالمين مفسدين ، أغبياء جاهلين ، لا يعرف أحد منهم للصواب والحق اليقين والعلم سبيلا حتى كان أكبر قادتهم (بولس) يمدح الجهل والجهال ويذم الحكمة والحكماء ويقبل الناس ذلك منه على أنه وحي من الله مقدس (أنظر مثلا ١ كو : ١٧ – ٢٥ و ٢٧) فتركوا العلم وحرموا أنفسهم من استعمال العقل في كل شيء حتى ضلوا ضلالا بعيدا فلذا جاء القرآن بعكس ذلك وذم في أكثر صفحاته الجهل والجهال والتقليد ومدح العلم والعقل والتفكر وأوجب ذلك كله على المؤمنين فنهض بالعقل البشري نهضة لم يسبقه بها كتاب ، (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب)

الانبياء قبله ؟ وهل الى هذا الشرك والوثنية يدعون المسلمين الموحدين ولا يخجلون ؟ فأي عقل أسخف من هذا ؟ ومن الذي جن حتى يقبل ذلك منهم ؟

ومما تقدم هنا تعلم حكمة بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الزمن الذي بعث فيه ومقدار حاجة العالم اليه وقتئذ وحكمة اكثاره قبل كل شيء من الدعوة الى التوحيد الحقيقي والتنزيه بعد ان امتلأ العالم كله بالشرك والوثنية والتشبيه والتجسيم ، فهو إمام المصلحين وسابق المتأخرين منهم جميعا الذي ازال غياهب الباطل وظلماته ، ونشر الحق في الارض ودعا لعبادة الله تعالى وحده ، فخلّص الناس من الذل والاستبداد والاستعباد وساوى بين عباد الله أجمعين فمحق بذلك الظلم ورفع النفوس الى أعلى ذروة من الكمال البشري وأطلقها من أسر التقليد والاوهام والخرافات للعمل النافع والتعقل والتفكر في الدنيا والآخرة (راجع القرآن ٢ : ٢١٩) فانتشر في العالم بسرعة خارقة للعادة العلم والحرية الصحيحة والاخاء والمساواة والايمان بالحق والمدنية الراقية التي كانت أساسا لمدنية أوربة الحالية (١) فلله دره وما أكبره من مصلح عظيم ، ونبي كريم ، ورسول من الله أتى بالخير العميم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم . فلولا وحي الله اليه لما أمكنه الاتيان بمعشر ما أتى به وهو ربيب الجاهلين المشركين الوثنيين ولم يغب عن قومه غيبة تمكنه من تعلم القليل فضلا عن الكثير ، وأي بلاد كان فيها جميع ما أتى به الاسلام من الحقائق ، والعقائد الراقة ، والمبادئ

---

(١) يقول بعض العلماء الباحثين ان الاسلام أوجد قديماً – حينما كان الناس متمسكين بتعاليمه – أكبر دول في العالم وأعظمها علما ورقياً ومدنية وأنتج في كل علم ألوفاً من كبار العلماء والفلاسفة والحكماء المفكرين وأما تعاليم المسيحية فما زالت تفت في عضد الدولة الرومانية وهي دولتها الوحيدة اذ ذاك حتى قضت عليها ولم تنتج في مئات من السنين عالماً واحداً من كبار المحققين بل كان رجال الدين منهم يمقتون العلم ويضطهدونه اضطهاداً شديداً وكلما ظهر بينهم أحد بدا عليه شيء من العلم أو التفكر ثاروا عليه وأخمدوا أنفاسه بأفظع طرق الاعدام بحجة مخالفته للدين أو لنصوص كتابهم المقدس وكل ذلك معروف مشهور فلا حاجة لنقل شواهده هنا وكيف لا تضطهد ديانتهم هذه العلم والعلماء وهي في كل عقائدها وتعاليمها مناقضة للعقل الصحيح والفطرة البشرية على خط مستقيم كما لا يخفى ، وما ارتقت أوروبا الا بعد أن تركتها بتاتاً وأخذت بتعاليم أشبه بتعاليم الاسلام من كل شيء آخر وما نبغ بينهم الآن عالم محقق وفيلسوف كبير الا وهو للمسيحية عدوّ مبين ، أما فلاسفة المسلمين فكانوا في كل زمن أشد الناس حباً له ، وتمسكا به ، وغيرة عليه . فهل تستوي الظلمات والنور ؟

الصحيحة ، والاصول القويمة ، للدين الحق الكامل في كل شيء ؟ مع ان بعض هذه الاشياء لم تقف عليها أرقى علماء الغرب أو لم يجزموا بها الا في الاعوام الاخيرة ! وقد كانوا من قبل ظهور الاسلام الى مئات من السنين بعده كالانعام لا يهتدون الى العلم والحق سبيلا ، يسوم بعضهم بعضا سوء الظلم والاستبداد والاستعباد والاضطهاد حتى أضاء لهم قبس من نور الاسلام في الشرق فكان لهم هاديا وللرقي دليلا، سنة الله في كل من اتبع مبادئ دينه القويمة، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا

ولا يتوهمن القارئ مما ذكرناه هنا أن أحدا من المسلمين يقول ان « جميع » ماأتى به الاسلام لم يكن معروفا عند الأمم الاخرى قبل نزول القرآن . كلا فان هذه الدعوى لم يدّعها أحد من المسلمين ولن يدعيها كيف وقد قال القرآن الشريف نفسه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) الآية وقال (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى) وقال (إن هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وقال (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) وغير ذلك كثير فما في القرآن مما يوجد مثله في الاديان الاخرى القديمة نوعان : (١) إما أن يكون مما أوحاه الله اليهم وأبقاه الاسلام لما فيه من المصلحة للناس (٢) وإما أنه من الاشياء المستحسنة الصالحة التي وصل اليها الناس بعقولهم وكانت موافقة لحاجاتهم ونافعة لهم فأقرها الاسلام ولو لم تكن في الاصل وحيا فان الغرض من نزول القرآن وغيره من الكتب الالهية هو « الاصلاح » لا محو كل شيء موجود من قبل ولو كان صالحا نافعا فان الانبياء مصلحون لا اعداميون. قال تعالى على لسان شعيب « إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » ولا شيء أكثر موافقة لحال الناس مما وصلوا اليه بأنفسهم. ففائدة الوحي اذاً الى الانبياء هي (أولا) ارشادهم الى أصلح الموجود وأنفعه لأممهم ليبقوه وليمحو الفاسد الضار من بينهم، ولو اعتمدوا على العقل وحده

في هذا العمل اوقعوا في الخطأ والضلال من حيث يريدون النفع ولذلك قال في الآية السابقة « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت » (وثانيا) هي الاتيان بأشياء جديدة لم تكن تعرفها الأمم السابقة وقد بينا بعض ما أتى به الاسلام مما لم يسبقه به أحد في بعض كتبنا ورسائلنا فلا حاجة للتكرار هنا

فما في القرآن موافقا لما عند الأمم الاخرى انما هو لصحة ذلك عن أنبيائهم أو اصلاحه ونفعه وما فيه مخالفا لها هو لفساده وخطئه وضرره لتحريف كتبهم على ممر الازمان فان القرآن جاء ليبين لهم ما كانوا فيه يختلفون

ولو كان وجود أشياء في الدين المتأخر مما في الدين المتقدم يدل على كذب نبي الدين المتأخر لكان موسى مثلا من الكاذبين فان بعض شريعته يوجد مثله ـ مع اختلاف طفيف جدا ـ في شريعة حمورابي البابلي التي اكتشفت سنة ١٩٠٢ وهي أقدم من التوراة بنحو عشرة قرون ولكان عيسى أيضا كاذبا لأن جل نصائحه وتعاليمه ـ ان لم نقل كلها ـ كانت موجودة حرفا بحرف في كتب اليهود من قبل كما بينه كثير من علماء الافرنج (راجع مثلا كتاب « النصرانية والاساطير » ص ٤٠٣ ـ ٤٢٣ و « كتاب شهود تاريخ يسوع » ص ٢٣٥ ـ ٢٨٨) بل إن بعض حكم المسيح ونصائحه يوجد مثلها أيضا في كتب حكماء اليونان والهند والصين الاقدمين مثل كونفيوشس الصيني الذي مات سنة ٤٧٩ قبل الميلاد حتى أن حكمة عيسى عليه السلام الذهبية التي يفتخرون بها صباح مساء وهي قوله مت ٧: ١٢ (فكل ماتريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم أيضا بهم. لأن هذا هو الناموس والانبياء) قال مثلها تماما كونفيوشس المذكور وأرسطو أيضا في منتصف القرن الرابع قبل المسيح وغيرهما كثيرون (راجع كتاب « لغز العالم » تأليف إرنست هيكل ص ١٢٤) وجاء في سفر (طوبيت) من أسفار اليهود غير القانونية قول كاتبه ٤ : ١٦ (مالاتحب أن يفعله بك أحد لا تفعله بغيرك) وفي التلمود قول هيلل (Hillel) (ما لاتحبه لا تفعله بقريبك ، فان هذا هو التعليم كله) فان قيل ان هذه العبارات اليهودية بصيغة سلبية وهي لا شك أقل فضيلة من عبارة المسيح السابقة الواردة بطريقة ايجابية ، قلت : إن عبارة المسيح هذه كانت أيضا بطريقة سلبية في نسخ

الاناجيل القديمة ولكن النصارى حرفوها فيما بعد لتكون أكمل وأتم (راجع كتاب « شهود تاريخ يسوع » ص ٢٦٧)

وجاء في سفر اللاويين ١٩ : ٣٤ الامر بمحبة الغريب النازل في وسط اليهود كمحبة النفس وفي سفر الخروج ٢٣ : ٤ و ٥ ورد الامر بمساعدة العدوّ . راجع أيضا أمثال ٢٤ : ١٧ و ٢٥ : ٢١ و ٢٢ وأيوب ٣١ : ٢٩ وغير ذلك كثير وفي التلمود قوله (أحب من عاقبك) وقوله (خير لك أن يسيئك غيرك من أن تسيء) وقوله (الافضل أن تكون من المضطهدين (بالفتح) لا من المضطهدين) . أما قول المسيح مت ٥ : ٤٤ (باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى (١) مبغضيكم) فلا وجود له مطلقا في أقدم نسخ الاناجيل كما ذكره العلامة أرثر دروز في كتابه عن « شهود تاريخ يسوع » ص ٢٦٩ وإذاً فهو من مخترعاتهم ، على أن قول عيسى (أحبوا أعداءكم) ليس بأحكم مما نقلناه هنا عن كتب اليهود لأنه تكليف بما لا تطيقه النفس البشرية فهو من الغلو الذي لا يمكن لأحد العمل به مطلقا لأن قلب الانسان لا يمكن إرغامه على مثل ذلك . وهل من العدل والعقل أن يساوي الانسان بين الصديق والعدوّ فيضمهما في قلبه وينزلهما منزلة واحدة ؟ وهل لا يحمل هذا بعض الخبثاء الاشرار على الاسترسال في الاذى وعدم الكف عن الطغيان ؟ ولماذا لا يفعل أحد من النصارى بهذه الاوامر ولا دولة من دولهم ؟

وهنا نسأل المبشرين هل أولئك الشارعون الفضلاء - أمثال حمورابي ملك بابل وكونفيوشس حكيم الصين وغيرهم ممن ذكرنا - وصلوا الى ما وصلوا اليه بالعقل أم بالوحي ؟ فان كانوا وصلوا اليه بالعقل لكانوا اذاً أعقل وأرقى من موسى وعيسى الذين ما وصلا الى ما وصلا اليه الا بعون الله ووحيه كما يقول المليون ، وخصوصا لأن شريعة حمورابي اكمل مما في هذه التوراة باعتراف القس روس (Rouse) الانكليزي وغيره في كتابه في النقد ص ٦٤ . واذا كان من مبطلات وحي القرآن عندهم وجود

---

(١) تذكر قول القرآن (ويدرأون بالحسنة السيئة) وقوله (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ولكن ذلك ليس بحتم دائما لقوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل الى قوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور)

أشياء فيه موجودة عند الامم الاخرى فلم لا يبطل ذلك أيضا وحي التوراة والانجيل ؟ ولم خص الله بني اسرائيل - كما يزعمون - بالوحي والنبوة وهم من أقل الأمم عقلا ومن أكثرهم ميلا للضلال والكفر حتى انهم كثيرا ما ارتدوا هم وبعض أنبيائهم وعبدوا الاصنام مع كثرة المعجزات فيهم وتعدد الانبياء بينهم لدرجة مدهشة؟ وقد انتهى أمرهم أنهم أنكروا المسيح وصلبوه وقتلوه وبقى اليهود مصرين على كفرهم به الى اليوم؟ فهل من الحكمة والعدل أن تكثر الانبياء بينهم الى تلك الدرجة المعروفة ويحرم الله أمم جميع العالمين قاطبة من رسل اليهم منهم أو من غير أمة اليهود المعاندين المرتدين الكافرين؟ فكيف يؤاخذ الله تلك الامم ويلزمهم بالايمان بما لم يؤمن به اليهود أنفسهم الذين كثرت بينهم الآيات والمعجزات وتعددت منهم الانبياء والرسل ؟ وكيف تكون جميع نعم الله تعالى على عباده في هذا العالم مقسمة بين جميع الامم على شيء من المساواة (التامة أو الناقصة) ويحرم بالمرة جميع الناس ماعدا اليهود من أكبر نعمه وهي نعمة التجلي لهم والقرب منهم بالوحي والنبوة والارشاد الالهي الاكبر ويعطي ذلك كله لليهود وحدهم؟!

والاغرب من ذلك أن يكون اليهود هم المقصودين أولا وبالذات من بعثة عيسى حتى ما كان يجوز له ولا لرسله دعوة غيرهم من الامم الا اذا رفض اليهود الدعوة كما سنبينه (أنظر مثلا مت ١٥ : ٢٤ وأع ١٣:٤٦ و١٨:٦ ورو١:١٦) فكأن جميع الامم عند رب العالمين كلاب ، وقد سماهم المسيح نفسه بذلك فقال مت ١٥ :٢٦ « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » !! وإذا قارنا اليهود بمن في السموات والارض من ملائكة وأناسيّ ودواب وشياطين وغير ذلك بما فيهم من صالح وطالح ومهتد وضال ، وعلمنا - بحسب دين النصارى - أن الله لم يهتم بغير اليهود ، حتى تجسد ونزل الى الارض وحبس في هذا الجسد الانساني الى الابد من أجلهم أولا ، فرفضوه وأهانوه وقتلوه أدركنا كيف ان إلههم قد وضع الشيء في غير محله وأخطأ المرمى مرارا وظلم غيرهم بعدم اعتنائه بهم عنايته باليهود مع احتياج جميع المخلوقات الى هدايته مثلهم ورعايته وتدبيره لهم ولكنه أهملهم وبعد ذلك كله لم يعرف كيف يخلص اليهود بل أوقعهم في الهلاك الابدي بصلبهم له وحكم عليهم بالنار الدائمة فهو اذاً إله جاهل ظالم عاجز قاس حتى لم يعمل هو نفسه بما ألزم به الناس - عندهم -

من «وجوب» درء السيئة بالحسنة والبغض بالمحبة (مت ٥: ٣٩ - ٤٨) فصار منتقما حقودا حتى على مختاريه اليهود!! فكيف يوجب على الناس بعد ذلك ما لم يقدر عليه هو نفسه؟ وكيف جهل كل هذه النتائج ولم يعدل بين مخلوقاته العدل الممكن؟ قارن هذه العقائد بقول القرآن الشريف (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وقوله (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) وقوله (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن) وقوله (يدبر الامر) وقوله (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) وقوله (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما (١) من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) وقوله (الله لطيف بعباده) وقوله (وأوحى في كل سماء أمرها) الخ الخ فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الارض فانظر رعاك الله الى هذه الحقائق الدينية العلمية السامية التي جاء بها الأمي وهي ما كانت تخطر على بال واضعي دينهم ومؤلفي كتبهم المقدسة، بل ان وجود دواب في السموات كما في الارض ما كان يعرفه أحد من العالمين وخصوصا مؤلفي كتبهم الذين كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن المملكة الرومانية فقط (راجع ص ١٤ من هذه الرسالة) ولنرجع الى ما كنا فيه:

وان كان وصل أولئك الحكماء الى ما وصلوا اليه بالوحي الالهي فلم اذاً أخذ المبشرون ينكرون على القرآن مثل قوله (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٢)) وقوله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك)؟ أما عدم علمنا

(١) كان الاب مراكي (Marracci) وغيره من علماء النصارى يطعن في القرآن لقوله بتعدد العوالم في هذه الآية وغيرها مثل قوله (الحمد لله رب العالمين) وقد أصبحت الآن هذه المسألة حقيقة علمية فلكية لا شك فيها (راجع ترجمة سيل للقرآن هامش ٢ لسورة الفاتحة) والدابة تطلق على كل حيوان يدب (أي يمشي) على الارض ولو كان عاقلا كما يفهم من قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين (كالانسان) ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء)

(٢) أما قول القرآن الشريف في ابراهيم (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فالظاهر منه أن ذريته كثرت وانتشرت في سائر بقاع الارض مع القبائل الرُّحل في تلك الازمنة وامتزجت بجميع الامم امتزاجا تاماً حتى صارت منهم، ومن هذه الذرية كانت جميع الانبياء الذين أتوا بعد ابراهيم حتى من ظهر منهم في أمريكا فقد كانت متصلة بالعالم القديم في سالف الزمان، ولا =

بهؤلاء الرسل فذلك لايطعن فيما قرره القرآن – لغموض التاريخ القديم ونقصانه واختلاطه كثيرا بالباطل – كما لايطعن في صحة قصص التوراة وغيرها عن وجود بني اسرائيل في مصر وخروجهم (١) منها وغرق المصريين وآيات موسى بينهم

= تنس اننا لانعلم تاريخ وجود ابراهيم باليقين . وهذا التفسير يوافق قوله تعالى بعد ذكر بعض أولاده الانبياء (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم الى قوله اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ويوافق أيضاً التوراة الحالية (أنظر مثلا تك ٢٢ : ١٧ و١٨) . أما تغلب الكفر والوثنية ، والجهل والشر على تلك الامم فى عصور مختلفة كثيرة فهو كتغلب المرض على الصحة في الاحياء جميعاً حتى يقتلها وكتغلب الضعف والاضمحلال على الدول حتي يذهب بها ، سنة الله في خلقه ليكون العالم فى حركة دائمة مابين صعود وهبوط ، وأخذ وعطاء ، وعلم وجهل ، وصحة ومرض ، وحياة وموت ، وتقدم وتأخر الى غير ذلك من الصفات الملازمة لكيان هذا العالم واللازمة لاظهار كل نواميس الوجود وابراز جميع مواهب الانسان وغيره لميدان العمل ، وهي أدل دليل على حدوث هذا الكون ووجود خالقه الازلي تعالى . وكل أمر من ذلك سيستقر (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) . وهذه الآية الشريفة تنطبق على العلوم الطبيعية وغيرها الحديثة القائلة بتنازع البقاء وبقاء الانسب وسير كل مافي العالم في سبيل الارتقاء والكمال ، فان العالم كالنهر الجاري ترتفع أمواجه وتنخفض ولكن ذلك لا يوقف سيره ولا يمنع تقدمه للامام ، فتبارك الله أحسن الخالقين

(١) حاشية — جاء في كتاب « الاصول البشرية » صفحة ٨٨ لمؤلفه لينج أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير نقل عن (مانيثو) هذه الرواية المصرية القديمة التي ملخصها « أن موسى بعد أن هزم فرعون مصر – الذي فر الى بلاد الحبشة – حكم مصر ١٣ سنة وبعد ذلك عاد اليه فرعون هو وابنه ومعهما جيش عظيم فقهروه وأخرجوه منها الى بلاد الشام » وجاء فى قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٤١٠ أن هيرودوتس المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قال « ان ابن سيسوستريس ضرب بالعمى مدة عشر سنين لانه رمى رمحه في النهر وقد ارتفعت أمواجه وقت فيضه بسبب نوء شديد الى علو غير اعتيادي » اه ويقول المؤرخون ان ابن سيسوستريس هذا (وهو منفتاح الثاني) هو فرعون الخروج ويتخذون هذه العبارة اشارة الى غرقه في زمن موسى . ولكن يرى القاريء منها أنها لو كانت اشارة الى الغرق لكان الغرق فى النيل ، ومن الرواية الاولى يعلم أن موسى حكم بعد فرعون ١٣ سنة في مصر . وهاتان الروايتان هما من أقدم الروايات المصرية واصحها وربما كانتا الوحيدتين في هذه المسألة ، ولعل المصريين استغاثوا بمملكة الحبشة فأرسلت اليهم جيشاً فأوحى الله الى موسى بالخروج حينئذ من مصر وتركها لاهلها ، وعليه يجوز أن المصريين تكتموا خبر غرق ملكهم واستبدلوه بدعوى تقهقره الى الحبشة وقالوا انه هو الذي عاد بعد ذلك وأخرج موسى بالقوة سترا لخزيهم وخذلانهم وارضاء لملوكهم وأسر هؤلاء الملوك وربما أنه لولا عظم هذه الحادثة وشهرتها بينهم لانكروها بالمرة

ومن ذلك تعلم أن الخروج لم يكن عقب غرق المصريين مباشرة كما يفهم من التوراة ولم يكن السبب فيه هذه الحادثة التي غرق فيها فرعون وجيشه بل كان بعد ذلك ببعض سنين

ويرى المطلع على القرآن الشريف أن هاتين الروايتين صادقتان في مسألة غرق فرعون في النيل ومسألة حكم موسى فى مصر ١٣ سنة . أما الغرق فى النيل فيفهم من قول القرآن مثلا فى سورة طه (اذ أوحينا الى امك مايوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) ثم قوله في آخر هذه القصة (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم) فالمتبادر من ذلك أن فرعون غرق في نفس اليم الذي ألقى فيه موسى وهو النيل ومثل ذلك أيضا ماجاء في سورة القصص =

الخ لا يطعن في ذلك عدم وجود ما يؤيدها في الآثار المصرية القديمة (راجع كتاب « صدق المسيحية » ص ٢٠٤ و ٢١٢ وكتاب « الاصول البشرية » ص ٨٨ و ٨٩ و ٩٢) على أن العلماء المحققين قد أصبحوا الآن يشكون في أكثر ما في التاريخ القديم من الحوادث والحكايات لتعذر الوصول الى حقيقته حتى أنهم شكوا(١) في وجود مؤسسي الاديان المعروفة كموسى وعيسى ماعدا محمد عليهم الصلاة والسلام (راجع مثلا كتاب « المسحاء الوثنيين » ص ٢٣٨ و ٢٢٩ وكتاب « شهود تاريخ يسوع » ص ٢٩٤ و ٢٩٥)

= وهو قوله (فاذا خفت عليه فألقيه في اليم) ثم قوله فيها بعد (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أما مسألة حكم موسى في مصر والتمتع بها هو وقومه مدة من الزمن بعد الغرق فهو أيضا المتبادر من نحو قوله تعالى (فأراد (أي فرعون) إن يستفزهم من الارض فأغرقناه الى قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض) وقوله (فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل) ويجوز أن الشريعة أعطيت لموسى في الطور قبل تركه حكم مصر

وفي زمن موسى أعطى الله بني اسرائيل — بدلا عن مصر التي أمرهم بتركها — الممالك التي في شرق الاردن كما في كتبهم وفي زمن يشوع أعطاهم كل ارض كنعان الا بعض أجزاء منها (يش ١٣ : ١) وهذه الارض التي أعطيت لهم هي من أخصب أراضي العالم وأحسنها وهي المسماة عندهم بأرض الموعد لانهم كانوا وعدوا بها من قبل

فأين لمحمد صلى الله عليه وسلم علم ما بيناه من ذلك التاريخ وهو أجنبي عنه وعن قومه ومغاير للتوراة ومخالف لما يعتقده جميع اليهود والنصارى من قديم الزمان ولكنه موافق لاقدم الروايات المصرية وأصحها التي لا يعرفها — حتى الآن — الا واسعو الاطلاع من محققي المؤرخين ؟

أما مانيتو (Manetho) المذكور هنا الذي وافقت روايته ما جاء في القرآن الشريف فكان كاهنا لمعبد من أقدم المعابد وأشهرها ، وقد كتب تاريخ مصر بأمر بطليموس فيلادلفوس في القرن الثالث قبل المسيح وكان من أدق مؤرخي القدماء وأصدقهم وقد أخذ بأوثق المصادر وأصحها في كتابة تاريخه ، الا أن هذا التاريخ فقد مع ما فقد في حريق مكتبة الاسكندرية ولم يبق منه سوى مقتطفات في بعض الكتب القديمة اليونانية وقد أيد أكثر هذه المقتطفات ما اكتشف حديثا من الآثار المصرية والمكتوبات العتيقة مع أن آباء النصرانية كيوسيبيوس حرفوا كعادتهم كثيرا مما نقلوه منها لتطابق نصوص العهد القديم كما ذكره العلامة لينج في كتابه « الاصول البشرية » ص ١١ منه

(١) من أكبر أسباب شك علماء أوروبا المحققين في حوادث كتب العهد القديم وغيرها هو ما جاء فيها من تعيين الأوقات والسنين والاماكن وعدد الرجال وغير ذلك من التفاصيل التي كلما تعمقوا في البحث فيها وطبقوها على الآثار والمكتوبات القديمة ونحوها رجعوا بالخيبة والفشل فلذا أنكروا هذه القصص بحذافيرها (راجع مثلا الفصل السادس والسابع (من كتاب « الأصول البشرية » تأليف صموئيل لينج)ومن ذلك تعلم الحكمة في ترك القرآن أمثال هذه التفاصيل لانه إن ذكرها كما هي في كتب أهل الكتاب لكانت خطأ وان ذكرها على حقيقتها وخالف كتبهم فيها كلها لظنه الناس في تلك الازمنة الجاهلة مخطئاً خطأ كثيرا فاحشا وضحكوا منه وسخروا وشك أكثرهم في صدقه فكان تركها عين الحكمة ولذلك بقي القرآن الى الآن بعيدا عن أكثر مطاعن علماء النقد من هذه الوجهة. فيالله ما أحكمه من كتاب ، ولولا وحي الله لظن الأمي صحة كل ما في كتب أهل الكتاب ونقل عنهم شيئا كثيرا من هذه التفاصيل المغلوطة

ومما تقدم تعلم فساد -بل هذيان- ما في كتب المبشرين مثل كتاب (مصادر الاسلام) و (كتاب علم الاعلام في حقيقة الاسلام) وغيرهما فان وجود أشياء في القرآن مثل الموجودة عند الامم الاخرى مما يؤيد صحة قوله (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا) ونحوه مما سبق ذكره فما في كتبهم هذه يصح أن يكون حجة للقرآن لا عليه فليتدبروا في ذلك ان كانوا يعقلون، وللحق والهدى يطلبون،

﴿ فصل في بعض آيات القرآن في هذه المسائل السابقة ﴾

﴿ والمقارنة بينها و بين ماجاء في كتبهم عن المسيح وغيره ﴾

مما تقدم في الكلام عن الاناجيل تعلم الحكمة في كون القرآن الشريف لم يقل في موضع ما منه أن النصارى حرفت الانجيل كما قال مثل ذلك في اليهود مرارا لان النصارى لم يكن عندهم في وقت من الاوقات (انجيل عيسى) فحرفوه كما كان عند اليهود (توراة موسى) فحرفوا بعضها ونسوا البعض الآخر منها فلذا قال تعالى في اليهود « يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » . أما النصارى فلم يكن عندهم من الانجيل الا بعض اقوال قليلة كما بين سابقا ونسوا كثيره فلذا قال تعالى فيهم « اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » اي عقب المسيح مباشرة كما يدل عليه العطف بالفاء . وهذه الاقوال القليلة التي حفظوها عن المسيح تناقلوها أولا بالروايات الشفهية ثم كتبوها وضمنوها في كتب كانت تراجم لحياة المسيح سموها بالاناجيل وضموا اليها ماشاءوا من الاقوال والحوادث المخترعة والحقيقية ونسبوها كلها للمسيح عليه السلام حتى اختلط عندهم الحق بالباطل بحيث يتعسر الآن أو يتعذر تمييز جميع أقوال المسيح الصحيحة عن الاقوال المنسوبة اليه كذبا وقد اعترف يوحنا بأنه لم يكتب عن المسيح كل شيء (يو ٢١: ٢٥) فلم يكن الانجيل موجودا وحرفوه بل أضاعوا كثيرا منه كما قال تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به) أي جزءا عظيما منه وما بقي اختلط بكثير من الآراء المتنوعة والمذاهب المختلفة باختلاف الاهواء والاغراض والعقول فقد توخى كل من كتب منهم انجيلا في الازمنة الاولى تأييد غرض أو مذهب مخصوص أدته اليه معلوماته أو فلسفته كما سبق . لذلك

قال تعالى للنصارى (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وقال في أهل الكتاب عموما (وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقال (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)   (البقية تأتي)

الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث جمع من تاريخ الجهمية والمعتزلة ما يحق ان يأخذ نفسه بتحققه من أنعم عليه بشرف المنزلة، وفضل بالادب والعلم، والاخذ من الفنون بسهم

دعاني الى العناية به ما رأيت — لما أفضت بنا النوبة في قراءة صحيح البخاري الى «كتاب التوحيد والرد على الجهمية» — أن كلام الشراح عليه موجز، وان ليس في الايدي كتاب جمع تاريخهم وأحرز

جمعت ماتيسر من شؤونهم، ثم أشفعته بطرف من أخبار المعتزلة لتوافق الفرقتين في معظم المسائل المعروفة عنهم، وفي تلقيب كل غالباً بلقب الاخرى

كثر ما عر بقاريء التفاسير وشروح السنة ومؤلفات أصول الدين والفقه ومطولات التاريخ وكتب المقالات ذكر (الجهمية والمعتزلة)

---

*) رسالة فضفاضة اتحف بها المنار صديقه عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي

ذلك لانهما كانتا أول من ظهر من الفرق الاسلامية في صدر حضارة الاسلام بقواعد الاصول ، والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول،وفتح لأولي العلم باب النظر والتأويلات ، وانتصب للمجادلات والمناظرات ، وزحزح الواقفين عند ظواهر الرواية، الى منازل تأويل الدراية، وأشاع في الخافقين الآراء الغريبة في أصول الدين ، وفي تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين ، بَلْهَ ما اتفق لبعض الجهمية من اخافة امراء زمانهم بالخروج على عمال بني امية الظالمين، وانكارهم لاعمالهم الجائرة ، ونصبهم الحروب معهم الاعوام المتطاولة ، رغبة في تحكيم الكتاب والسنة والتقرب من الشورى كما سنقصه ، ولله أمر التاريخ فانه لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

قد يظن انا نريد الكلام على الجهمية والمعتزلة من جهة عقائدهم ومحاكمتهم فيما لها وعليها ، - كلا ،فقد حكاها أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل ، مابين عادٍ لها خبب ، وما بين عادٍ وراد ، وهكذا كبار المتكلمين،وجهابذة السلفيين، في مؤلفات لا يبلغها الاحصاء ، لاسيما المطولات منها [1]

(١) منها كتاب « تلبيس الجهمية ، في تأسيس بدعهم الكلامية » ويسمى « تخليص التلبيس، من كتاب التأسيس » للامام ابن تيمية . ومنها كتاب « الصواعق المنزلة ، على الجهمية والمعطلة» للامام ابن القيم . وكتاب « البيان،عن أصول الايمان، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان » تأليف أبي جعفر السمناني البغدادي المالكي صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني، رأيته في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب أيام رحلتي اليها عام (١٣٣٠) وهذا الكتاب مخطوط عام (٦٨٣) ومعه كتاب « حز الغلاصم في افحام المخاصم » — عند جريان النظر ، في أحكام القدر ، وكتاب « تحرير التنزيه، وتحرير التشبيه » للامام أحمد بن محمد الاسكندراني المالكي وكلها في الرد على المعتزلة لكن بقواعد الخلف

لا يزال الحوار بين هاتين الفرقتين ومن خلفهما غضا طريا كلما سنحت مسائلهم، وما أكثر سنوحها للمفسر والمحدث والمتكلم والاصولي - ذلك بان مسائلهم متشعبة من وجوه مايراد بالآيات والاخبار المأثورة في أبواب مسائلها ، وهي مرجع المستدلين كل حين

نعم أشرنا الى جمل من عقائدهم تتميما للمقصد من التعريف بأحوالهم؛ الا ان المقصد هو سرد ماأورده المؤرخون من الحوادث التاريخية والوقائع التي جرت من جرّائهم ،

وما عدا ذلك فانما ذكر تكميلا ايقاظا واعتبارا ، ولا غرو فهذا البحث من المباحث الضافية الذيول ، الواسعة الانواع

وهذا تفصيل ما تضمنته المقالة في دائرة بحثين :

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

١ من هي الجهمية ؟

٢ ذكر الجهم زعيم الجهمية

٣ خروج الجهم مع الحارث بن سريج على بني امية ، ودعوتهما الى الكتاب والسنة والشورى

٤ مقتل الجهم بن صفوان والحارث بن سريج

٥ من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك

٦ فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول

٧ مناظرة الجهم مع بعض السمنية وافحامه اياه، وماعلق على هذه المناظرة

٨ تلقيب الجهمية بالجبرية

٩ التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم

١٠ تمثل الشعراء بمذهب الجهمية
١١ بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم ، وشيء من أنباء الجعد وقتله
١٢ نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد استاذ الجهم
١٣ حمل الاثرية علي الجهمية والاغراء بهم
١٤ رأي الأثرية في الجهمية
١٥ رأي الجهمية في الأثرية
١٦ تفريط الجهمية في السمع ، وسواهم في العقل
١٧ بيان ان انقسام الناس الى التجهم ، يشبه انقسامهم الى التشيع ، وذلك ثلاث درجات

﴿ البحث الثاني في المعتزلة وفيه مطالب ﴾

١ التعريف بالمعتزلة
٢ سبب تلقيبهم المعتزلة
٣ تلقيب المعتزلة بالجهمية
٤ انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة
٥ ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى مذهبهم وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن
٦ أول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية
٧ تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك
٨ أول من تكلم في القدر
٩ رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري

ومسلم في صحيحيهما

١٠ بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

١١ شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية، والجهمية في اضطهاد الاثرية ، لما دالت لكل الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

١٢ ماتنج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب

١٣ حظر الائمة المحققين رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

١٤ بيان انه لا تضليل ، لمن أصاره اجتهاده الى التأويل

١٥ ماوصى به الائمة من اطراح أقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة أينما وجدت

هذا ماقدر جمعه على ضيق الوقت في بضعة شهور ، وراجعت لاجله عدة أسفار ، واقتبست ألطف ماأثر عن الكبار ، ولم تكن موالاة البحث والتنقيب ، باشق من العناية بالتنقيح والترتيب ، بيد ان التذرع للحقائق يستسهل دونه كل صعب ، ولا لذة تضاهي لذة العلم والحكمة واستنارة القلب ، والفضل لله سبحانه فيما هدى وألهم ، فلا نحصي ثناء عليه نسأله ان يعلمنا ما لم نكن نعلم

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

(١) من هي الجهمية ؟

الجهمية فرقة من فرق المسلمين ، انتحلت مذهب الجهم بن صفوان الآتي ذكره في مسائله المدونة في كتب المقالات والكلام . ثم توسعت بعد ذلك شأن المذاهب كلها التي استفحل أمرها ، وكثرت رجالها ، وتفرعت مسالكها ، وتنوعت مصنفاتها ، ولم تك قبل على شيء منها . وقد

يظن انها أمست أثراً بعد عين ، مع ان المعتزلة فرع منها، وهي في الكثرة تعد بالملايين على ماستعرف ؛ على ان المتكلمين المتأخرين المنسوبين للاشعري يرجع كثير من مسائلهم الى مذهب الجهمية ، كما يدريه المتبحر في فن الكلام ، والموازن بين أقوال هؤلاء وأقوال السلف ، ولذا قلنا في المقدمة قبل : ان الخلاف بين الجهمية وغيرهم لا يزال غضا طريا كلما سنحت مسائلهم . ولعل لقب الجهمية غلب على المعتزلة من عهد المأمون كما سنوضحه ، والله أعلم

(٢) ذكر الجهم زعيم الجهمية وطرف من أنبائه

الجهم هذا : هو ابن صفوان ، من أهل خراسان ، ينسب الى سمرقند وترمذ، ومحتده الكوفة. ويكنى أبا محرز. وكان مولى لبني راسب من الأزد . أخذ الكلام عن الجعد بن درهم، وكان فصيحا . اتخذه الحارث ابن سريج التميمي - أيام قيامه بخراسان - كاتباً له كما سنفصله، وكان يقص في بيت الحارث في عسكره وكان يخطب بدعوته وسيرته ،فيجذب الناس اليه، وكان يحمل السلاح ويقاتل معه ، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو اليها . وكان أكثر كلامه في الالهيات

يقول بعض من أرخه : لم يكن لجهم نفاذ في العلم ، يعني بالعلم علم الحديث والاثر فان الجمهور كان منكبا على تحمل الحديث وآثار الصحابة ومروياتهم ، الا فئة المتكلمين ، وفي مقدمتهم الجهم واخوانه ، فلم يكن لهم عناية برواية الحديث ولا تحمله . وكانوا يرون العلم ماهم فيه من علم الكلام ، ولذا كانوا يلقبون حملة الاثر بالحشوية ، -- كما سيأتي

أول ظهور مذهب جهم كان بترمذ ، فانه أظهره فيه للملأ وأشاعه

وحاور فيه . ثم أقام ببلخ، فكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده . ثم نفي الى ترمذ . ولما اتصل بالحارث بن سريج لم يزل معه الى ان قتلا ، كما سنفصله

هذا ما قاله الائمة من مجمل حال الجهم بن صفوان كالامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية ، والبخاري في كتاب خلق الافعال ، والطبري في تاريخه ، والامام ابن حزم في الفصل ، وابن عساكر وابن الاثير في تاريخيهما ، وابن حجر في الفتح (قلت) ومقاتل بن سليمان الذي كان يصلي في مسجده الجهم ، هو مقاتل البلخي المفسر المشهور الذي قال فيه الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل . وحكى العباس ابن مصعب - في تاريخ مرو - ان مقاتلا كان يقص في الجامع بمرو ، فقدم جهم فجلس الى مقاتل ، فوقعت العصبية بينهما ، فوضع كل منهما على الآخر كتابا ينقض عليه [1]

وعن أبي حنيفة رحمه الله قال : افرط جهم في نفي التشبيه ، حتى قال : انه تعالى ليس بشيء . وافرط مقاتل في معني الاثبات حتى جعله مثل خلقه : نقله الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) وفي حكاية العباس ابن مصعب مايدل على ان الجهم كان من المؤلفين في مذهبه

(٣) خروج الجهم مع الحارث بن سريج على أمراء بني أمية ، ودعوتهما
(الى الكتاب والسنة والشورى)

يمر بقارىء حوادث المائة الثانية للهجرة النبوية أخبار عن الحارث

---

(١) لو أبقت الايام لنا كتابي مقاتل والجهم ، لوقفنا على حقائق مذهب الجهم بما تفوق المعنعنات عنه بمراتب . فواأسفاه على ماطوته الاعصار، من مثل هذه الآثار

ابن سريج عجيبة تدل على حرصه على نشر العدل، وتحرقه من الظلم وأهله، ورغبته في العمل باحكام الكتاب والسنة، وفي القضاء على سلطة الاستبداد وجعل الامر شورى، وان نصبه الحرب مع بنى أمية، واتخاذه الجهم بن صفوان وزيراً في بث الدعوة كتابة وخطابة، انما كان لهذه المقاصد الحسنة

وملخص ما ذكره الطبري وابن الاثير وابن خلدون ان الحارث هذا كان عظيم الازد بخراسان [1]، وانه خلع سنة (١١٦) ولبس السواد، ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والبيعة للرضا. وأنكر سيرة هشام بن عبد الملك وأعماله، ونزل الفارياب وأتى بلخ، واستولى عليها وأقام بها عاملا، وسار الى الجوزجان وغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ. ثم أقبل الى مرو (بيضة خراسان) في ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم ودهاقين بلاد العجم. واقتتلوا مع أمير مرو قتالا شديداً، حتى انهزم أصحاب الحارث، ولم يبق معه الا زهاء ثلاثة آلاف، ثم عاد الحارث الى بلاد الترك، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم روسل بالعود الى خراسان، فأخذ الامان وعاد سنة (١٢٦) ولما قدم مرو لقيه الناس بكشميهن قال لهم: ماقرت عيني منذ خرجت الى يومي هذا، وما قرت عيني الا ان يطاع الله

قال ابن جرير الطبري: كان الحارث بن سريج يجلس على برذعة وتثنى له وسادة غليظة. ولما لقيه نصر بن سيّار وأنزله أجرى عليه كل يوم خمسين درهما، فكان يقتصر على لون واحد، وطلق أهله وأولاده، وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار، فلم يقبل، وأرسل

(١) أيام كانت فيالق العرب متغلغلة في احشاء بلاد فارس والديلم والخزر

الى نصر « اني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزوج عقائل العرب في شيء ، وانما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فان فعلت ساعدتك على عدوك »

وقال الحارث لنصر « خرجت من هذه المدينة - مرو - منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور ، وأنت تريدني عليه »

هذا كلام الحارث في مشربه نفسه ، وفي رأيه في سياسة الشعب ، وصدعه في وجوه اصلاحه ، وبه يعلم منزلة عقله ، ونبله وفضله ، وغيرته وتقواه ، رحمه الله   (البقية تأتي)

قانون

﴿ جماعة خدام الكعبة ﴾

(تمهيد للمترجم) شغلني شاغل عن اتمام مابدأت به من نقل (قانون جماعة خدام الكعبة) الذي أرسلت اليكم من قبل تمهيد المحامي الغيور المستر مشير حسين صاحب القدوائي له ، وقد كان تأليف هذه الجماعة المباركة في طور التكوين . ثم تمخضت الآراء في هذه المدة عن هذا الجنين الميمون فبرز الى الوجود صارخا بدعوة أبناء الاسلام الى كفالته ، والعناية بتربيته ، ليشب في حجر الغيرة الاسلامية ، ويترعرع في حضن الحمية الدينية ، برز الى الوجود فكفله رجال اتفق أغلب الناس على اخلاصهم في غيرتهم وصدقهم في اخلاصهم ، وعلى اقتدارهم ولياقتهم وصبرهم وثباتهم

اجتمعوا لاول مرة فتذاكروا وتداولوا ووضعوا مواد القانون الاساسي وقرروا اجراءه والعمل به . وقد حلف بعض ذوي الغيرة اليمين ودخل في الجماعة طائفة صالحة ، وقد نشر هذا القانون في العدد (٧٢) من جريدة (همدود) اليومية الصادرة من دهلي في يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩١٣ مفتتحة بتمهيد صغير لا بأس بنقله وهو هذا :

« نزف في ذيل هذا الى القراء أغراض ومقاصد وقواعد (جماعة خدام الكعبة) ونريد أن نبين معه أيضا أنه لأجل إلباس هذه الفكرة لباس العمل عقدت في ٦ مايو سنة ١٩١٣ جلسة في منزل جناب المولوي عبد الباري صاحب اللكهنوي وبعد المباحثة والمداولة اتفق الحاضرون على قبول هذه القواعد المنشورة في هذه المراسلة وقبل اختتام الجلسة حلف بعض الاشخاص يمين خدام الكعبة ودخل بمساعيهم في في الجماعة الى تلك الساعة عدد جيد

« من الممكن ان يعد بعض المحتاطين هذه الفكرة الحسنة بدعة ، ولكن الحق هو أن هذا المشروع ليس بغرض جديد اخترعه (خدام الكعبة) لانفسهم بل هو جزء من دين كل نفس

« ان أقوى وأكثر أسباب غفلة العالم الاسلامي اليوم عن أداء هذا الفرض الاولى الاهم هو أن المسلمين من بدء الاسلام وصلوا فاتحين وظلوا حاكمين ليس على جزيرة العرب وما جاورها من ممالك آسية فقط بل على جزء كبير من أفريقية وأوربة أيضا ، وفي هذا الزمن المنحوس أيضا كان اخواننا الاتراك - الذين تركوا آسية - حكاما على قطعة من أوربة ، وكانوا متعهدين بخدمة الكعبة مع الاهتمام الكافي ، ولا يزال جلالة السلطان المعظم يعد القيام بكنس الحرم المطهر من بواعث اليمن والسعادة ، ولكن لما صرنا نرى السلطنة العثمانية قد زالت عنها تلك اللياقة التي كانت تقدر بها على المحافظة على حرم الكعبة بالقوة والضبط كالسابق بسبب الصدمات التي تتوارد عليها من سنين صار من مقتضي غيرتنا الاسلامية ومحبتنا الدينية ان نحس بالغرض الذي تركناه خلف أظهرنا وان تنضم قولا وفعلا الى (خدام الكعبة)

« فكل من يعطف ويتوجع لهذا المشروع المسعود المبارك من عظماء الامة وكل من يرغب في الدخول فيه فليراسل خادم الخدام أو معتمديه »

« وأخيرا نريد أن نزيد أيضا أن قواعد وضوابط (خدام الكعبة) عارضة يمكن ترميمها ونسخها في المستقبل باتفاق آراء الاعضاء أو بالاغلبية ، فكل من يوافق على ضرورة هذا المشروع وغرضه وغايته يمكنه أن ينضم الى الجماعة بعد حلف اليمين ، ويمكنه أن يعدل أو ينسخ كل قاعدة أو مادة لايوافق عليها تماما . ان العمل لخدمة الكعبة وحرمتها غير محتاج في نفسه الى بيان ، ولكن العمل الذي يوضع فداء لبيت الله يكون نهرا جاريا بالفيوض يفيض منه المسلمون على كل مزرعة يريدون إرواءها لجعلها خضرة نضرة — ان شاء الله تعالى »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لا إله الا الله محمد رسول الله

« دستور العمل لجماعة خدام الكعبة »

الحاجة الى الجماعة

١ ـ ان الاطمئنان الذي كان لنا من قبل على بقاء حرمة الكعبة وعزتها لم يبق الآن فلذلك ولاجل بقاء حرمة الكعبة أسسنا جماعة خاصة بأبناء الاسلام باسم (جماعة خدام الكعبة)

الاغراض والمقاصد

٢ ـ الغرض الاصلي لهذه الجماعة تمكين حرمة الحرم المحترم ، والقيام بكل خدمة لاول مركز للتوحيد في الدنيا ، وهو بيت الله الذي عمره ابراهيم خليل الله ، وصيانته من أيدي غير المسلمين .

٣ ـ لأجل الحصول على هذا الغرض اتخذت (جماعة خدام الكعبة) هذه هذه التدابير :

(الف) يعد حماة التوحيد والبائعون أرواحهم للكعبة جماعة تصمم بقلوب صادقة على افتداء الحرم بالارواح والاموال ـ

(ب) يقومون بكل انتظام بتبليغ الاسلام الذي هو الخدمة الصادقة للكعبة وبارسال الدعاة الى كل جهة من أقطار الارض حيثما تدعو الضرورة وتقتضي الحال لنشر كلمة التوحيد وتوسيع اشاعتها ـ

(ج) يتصدون لتأسيس ملاجيء للايتام وفتح مدارس ابتدائية لابناء الاسلام في كل موضع ومقام ـ

(د) يسعون لتقوية وتكثير العلائق بين المسلمين و بين بيت الله الشريف و بذل المساعي يوما فيوما في توسيع وتسهيل وسائل وذرائع الذهاب والاياب من الكعبة المعظمة واليها

أعضاء الجماعة

٤ ـ يمكن لجميع الناطقين بكلمة التوحيد وكل أهل القبلة رجالا ونساء أن يكونوا أعضاء لهذه الجماعة ويقال لكل واحد منهم يدخل فيها { خادم الكعبة }

٥ - يجب على كل خادم للكعبة أن يحلف وقت الدخول فيها بكل اخلاص أمام مسلمين واضعا يده على القرآن المطهر ومستقبلا القبلة يمينا بالصيغة الآتية :

« أنا فلان ابن فلان استغفر الله الحاضر لدى والناظر الي والمطلع علي وأتوب اليه من جميع المعاصي وأشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأعاهد الله بقلب صادق على أن أسعى بكل اخلاص لاجل ابقاء حرمة هذه القبلة (ويشير بأصبعه اليها) وأن لا أبخل بمالي وروحي على الكعبة وقت حمل الاغيار عليها وأن أتبع أحكام وقواعد (جماعة خدام الكعبة) تماما ان شاء الله تعالى »

٦ - أما أولئك الخدام الذين يجعلون حياتهم وقفا على خدمة هذه الجماعة والذين يقال لهم { عشاق الكعبة } فيكون تحليفهم بصيغة اليمين الآتية :

أنا فلان ابن فلان بعد العلم باطلاع الله علي أقسم مستقبلا القبلة على أني أجعل حياتي نذراً لله على خدمة الحرم المحترم ومن الآن تكون حياتي وقفا على خدمة الكعبة وبقاء حرمة الكعبة وتكون أحكام (جماعة خدام الكعبة) لي من أهم الفرائض وأشد الضروريات . وأكون مستعداً بقلبي وروحي لامتثالها بلا عذر ولا تأخير ، ومتهيأ للذهاب من فوري الى أي قطعة من الارض يرسلوني اليها لا يمنعني مشكل ما، ومع هذا الاقرار والعهد والميثاق أقسم مرة أخرى بديني وربي ونبيي وقرآني وشرفي وعزتي وأنضم الى جماعة (عشاق الكعبة) »

٧ - يجوز أن ينضم بعض الافاضل الى (عشاق الكعبة) لمدة معينة ، وبعد القسم باليمين المذكور أعلاه يكون متعهدا بما تعهد به (عشاق الكعبة)

٨ - نفقات عشاق الكعبة ونفقات أهلهم وعيالهم ومساكنهم تكون على ذمة (جماعة خدام الكعبة) وهكذا تتعهد الجماعة باداء جميع نفقات الخدم التي تفوض اليهم

٩ - وتعطى هذه الحقوق أيضا لاولئك العشاق الذين دخلوا في (جماعة عشاق الكعبة) لمدة محدودة ماداموا في عدادهم

١٠ - يجب على جميع الخدام أن يعلقوا في ثيابهم على صدورهم علامة من قماش أصفر هلالية الشكل تنقش فيها كلمة { خدام الكعبة } بحروف سود ولا بد لكل عضو من تعليق هذه العلامة في كل جلسة من جلسات الجماعة التي يحضرها وفي وقت كل خدمة يقوم بها لها ، الا انه يفرض على { عشاق الكعبة } أن تكون ملابسهم دائما أبدا خضراء وأن تكون عليها عدا علامة (خدام الكعبة) علامة { عشاق الكعبة } أيضا ، وتكون ملابس هؤلاء في بعض الجلسات الخصوصية عباءة خضراء معلقة عليها العلامتان

نظام الجماعة

١١ـ نظام جماعة خدام الكعبة يكون بأيدي الحزب الاعلى من الجماعة الذين يقال لهم (جماعة خدام الكعبة الاصليين) والذين تقرر أن يكون مستقرهم الآن في دهلي

١٢ ـ تتفرع عن هذا الاصل فروع عليا في كل ولاية من ولايات الهند وفي كل امارة اسلامية أو وثنية فيها مما تختاره { جماعة خدام الكعبة الاصليين } و يسمى كل فرع منها باسم { جماعة خدام الكعبة العليا لولاية أو امارة كذا ... }

١٣ ـ وفرع كل ولاية يؤسس في متصرفيات تلك الولاية فروعا له يطلق عليها اسم (جماعة خدام الكعبة لمتصرفية كذا ... }

١٤ ـ فرع كل متصرفية ينشئ فروعا صغيرة له في المواضع التي يختارها من القضوات والنواحي والقرى التابعة لتلك المتصرفية بعد تقسيمها الى حلق ودوائر وينسب كل فرع منها الى الحلقة أو الدائرة التي انشئ فيها و يعبر عنها { بجماعة خدام الكعبة لحلقة أو دائرة ... }

١٥ ـ يجب على هذه الفروع الصغيرة أن تنتخب لها منها وكلاء يمثلونها في فرع المتصرفية التابعين لها ويحتم عليهم الدخول في القسمين من الجماعة (جماعة خدام الكعبة) العام و (جماعة عشاق الكعبة) الخاص

١٦ ـ يجوز لفرع { خدام الكعبة } في كل متصرفية ان يبلغ عدد أعضائه من ١٥ الى ٢٠ عضوا

١٧ ـ يجب على كل فرع كل متصرفية منفردا أو مجتمعا مع فروعه أن ينتخب (عاشقا) يرسله الى الفرع العالي من الولاية التابع لها وتجب عليه الاقامة في مركز الفرع

١٨ ـ يجب على كل جماعة أن تنتخب علاوة على الوكيل والعاشق (مشيراً) من عامة الخدام لا يجب عليه القيام في المركز بل يلزمه حضور كل جلسة

١٩ ـ يجوز لكل فرع عال أن يبلغ عدد أعضائه من ١٥ الى ٢٠ عشرين عضوا

٢٠ ـ يجب على كل فرع عال أن ينتخب له وكيلا من قسم العشاق يرسله الى (جماعة خدام الكعبة الاصليين) وتجب عليه الاقامة في مركزها

٢١ ـ يجب على كل فرع عال أن ينتخب على الوكيل العاشق (مشيراً) من الخدام أيضاً يلزمه حضور جلساتها ولا تلزمه الاقامة في مركزها

٢٢ ـ لهؤلاء المشيرين من الحقوق في الجلسات ما لغيرهم من الوكلاء العشاق

٢٣ – سيكون من الآن في جماعة خدام الكعبة الاصليين وكلاء من الولايات المذكورة أدناه وهي:

(الف) الهند الانكليزية

١ بنغال الشرقية
٢ بنغال الغربية
٣ بهار وأرويسه
٤ أود
٥ ولاية آجرة
٦ بنجاب
٧ ولاية حدود الهند
٨ السند
٩ بومباي
١٠ مدواس
١١ الولاية المتوسطة وبوار
١٢ راجبوتانه ووسط الهند
١٣ برما

(ب) الامارات الاسلامية

١ حيدر اباد الدكن
٢ بهوبال
٣ رامبور
٤ جونا كره
٥ بهاولبور
٦ خير بور السند
٧ تونك

(ج) امارات الهند الاخر

١ كشمير
٢ ميسور

٢٤ – ينتخب العضو لجميع جماعات «خدام الكعبة» لمدة سنتين فقط لافرق بين أن يكون من القسم الاعلى أو الادنى من الجماعة الاصليين أو من جماعات الفروع العليا في الولايات وغيرها

٢٥ – يفرض على أعضاء جماعات «خدام الكعبة الاصلية والفرعية» أن ينتخبوا منهم رئيساً يلقب «بخادم الخدام» «وذلك بعد الانتخاب العام الذي يكون على رأس كل سنتين» تفوض اليه الادارة العامة وتسلم له الصدارة العليا

٢٦ – وتنتخب كل جماعة عضوين منها بصفة وكيلين أو معتمدين «لخادم الخدام» يكونان تابعين له في اداء الخدم

٢٧ – الفروع التي في المتصرفيات تكون تابعة لاحكام الفروع العليا في الولايات وهذه تكون تابعة لاحكام الجماعة الاصلية

٢٨ – حكم الجماعة الاصلية يكون قطعياً ولا يعلوه حكم، ويفرض اتباعه على كل واحد من الخدام

بيت المال – مال الجماعة

٢٩ - يؤخذ على سبيل الاعانة روبية واحدة في السنة من كل عضو (لجماعة خدام الكعبة) سواء كان غنيا أو فقيراً من عامة الخدام أو من قسم (العشاق) الخاص حتى لايرى فرق في المساواة الاسلامية

٣٠ - ان المبلغ الذي يجتمع من هذه الاعانات يقسم الى ثلاث حصص متساوية وتتبع الطريقة الآتية في صرفها :

(الف) الحصة الاولى منها تعطى لتلك الحكومة الاسلامية المستقلة التي تقوم بالمحافظة على الحرم المحترم . ولكن بشرط أن تصرفها في الامور التي تتعلق بخدمة الحرم المحترم فقط التي تؤول الى بقاء حرمته وعظمته وتثبيت دعائم الحرية والامان في تلك الارض الطاهرة

(ب) أما الحصة الثانية فتصرف على ادارات جماعات خدام الكعبة وضرورياتها وتنظيم أمورها وعلى تبليغ الاسلام وانشاء المدارس الاسلامية الابتدائية لابناء الاسلام والملاجىء الخيرية للايتام وعلى مايماثل ذلك من الاعمال الصالحة ويصرف (مهما أمكن) مايبقى من واردات كل متصرفية او ولاية بعد النفقات الضرورية في ضروريات تلك الولاية أو المتصرفية

(ج) وأما الحصة الثالثة فتبقى محفوظة لتصرف في المحافظة على الحرم المحترم وقت اشتداد الضرورة واقتضاء الحاجة . ويمكن استعمال جزء منها في بعض الاعمال التجارية المفيدة الضرورية مما يكون له تعلق بخدمة الكعبة وغيرها من الاماكن الدينية . وذلك مثل شراء باخرة تحمل المسلمين الى أرض الحجاز وغيرها من المزارات والمعاهد العالية وتعود بهم بكل سهولة وراحة واقتصاد

٣١ - قد تقرر الذوات الآتية أسماؤهم أعضاء لجماعة (خدام الكعبة الاصليين) لمدة سنة ومنحوا اجازة عامة في أن يضيفوا اليهم خداماً وأن يزيدوا اعددهم، وفرض عليهم البدء بأعمال خدام الكعبة في جميع البلاد وأن يؤسسوا في بحر هذه السنة (جماعة خدام الكعبة الاصليين) وفروعها العليا وفروع الفروع ثم يقدموا استقالتهم وهم :

١ مولانا مولوي عبد الباري صاحب في لكهنو   خادم الخدام
٢ الدكتور ناظر الدين حسن المحامي في لكهنو – عضو
٣ حكيم عبد الولي صاحب في لكهنو – عضو

٤ مستر محمد علي صاحب منشيء جريدتي « كامريد » الانكليزية و « همدرد » الاوردية في دهلي — عضو

٥ مستر مشير حسين صاحب قدوائي المحامي في لكهنو — معتمد خادم الخدام

٦ مستر شوكت علي صاحب الحائز لحرفي بوا في رامبور — معتمد خادم الخدام

عليكده (الهند) في ٣٠ يونيو — عبد الحق البغدادي

نائب استاذ العربية في الكلية الاسلامية في عليكده

« المنار » نرحب بهذه الجماعة من صميم افئدتنا فهي خير ما ينفذ به اقتراحنا الذي اقترحناه في ص ١٩٣ من المنار . ولما كان تنقيح قانون هذه الجماعة جائزا نبادر الى إبداء رأينا في بعض قواعده التي نرى تنقيحها ضروريا قبل بدء العمل وأول ذلك غرض الجماعة والمقصد منها يجب ان يكون (صيانة الحرمين المحترمين معا حرم الله عز وجل وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم - واعلاء شأنهما بالعلم والعمران ، وتسهيل سبل زيارتهما للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وطلاب الدين والعلوم . ومن فروع هذا المقصد ان لا تبني جماعة خدام الكعبة شيئا من المدارس والمكاتب والملاجي والمستشفيات بمال الجماعة في غير الحرمين الشريفين الا بعد كفاية الحجاز من هذه الخيرات وامثالها كحفظ المياه وتوزيعها ، وتسهيل سبل الرزق على العرب فيه وفي طرقه حتى لا يضطروا الى الاعتداء على الحجاج

فهذا اول ما اطلب تنقيحه من هذا القانون ، ويليه وهو مترتب عليه - تقسيم مال الجماعة الى ثلاث حصص متساوية تصرف على الطريقة التي ذكرت في القاعدة « ٣٥ » فالرأي عندي ان لا يخصص للحكومة التي تحافظ على الحرم شيء من مال هذه الجماعة بل يجب أن تصرف الجماعة مالها بنفسها وأن تستعين على كل عمل لها بالحكومة فيما يتوقف على مساعدة الحكومة فان رأت في اثناء العمل ، وعلى هذا أرى أن تكون الحصة الاولى في الذكر للأعمال المادية التي تتعلق بعمران الحرمين وامنهما وتسهيل سبيل المعاش فيهما ، والثانية لما ذكر في القانون من الخدمة المعنوية بشرط جعله في الحرمين لا في كل مكان ، واوافق على ادخار الثلث لما عساه يطرأ من الضرورات بشرط أن يستغل بطريقة مأمونة . هذا ما اسارع به وأرجو أن يصادف قبولا من مؤسسي هذا العمل الشريف الذي ادعو جميع مسلمي الارض الى مشاركة إخواننا مسلمي الهند فيه وتأليف اللجان له على القاعدة التي بيناها . وسنعود الى البحث فيه بعد إن شاء الله تعالى

﴿ السيد الادريسي والحكومة العثمانية ﴾

لصاحب الامضاء

ولد السيد محمد الادريسي في بلدة (صبية) من أعمال العسير واسم والده السيد علي وجده السيد محمد وجد والده السيد أحمد الادريسي (رحمهم الله) وهذا هو الذي هاجر من المغرب منذ سبعين سنة تقريباً الى جهات العسير

اشتهر والد السيد الادريسي وأجداده وجميع أفراد عشيرته بالصلاح والتقوى والعفة والاستقامة وخدمة الدين الحنيف والشريعة الغراء فأصبحت هذه العشيرة الكريمة موضع اجلال اليمانيين واحترامهم واتفقت كلمة الناس على حب رجالها وسماع نصائحهم والرجوع اليهم في كثير من الشؤون المهمة ، وهذا من أهم الاسباب التي مهدت للسيد محمد سبيل الظهور في هذا المظهر ، مظهر السيادة والامارة

حفظ السيد محمد القرآن وأخذ بعض العلوم والفنون على أساتذة يمانيين في (صبية) وكان والده رحمه الله يمنعه من الاختلاط بالناس . ويقال ان السيد الادريسي لم يخالط الناس الا بعد ان جاوزت سنه العشرين

ذهب السيد محمد الى الازهر في مصر وهو في سن الخامسة والعشرين فدرس فيه بقية العلوم والفنون مدة ٧-٨ سنوات ثم غادر مصر الى السودان فلبث هنالك سنة وأشهرا ومنها عاد الى جهات العسير حيث يقيم الآن . وهو اليوم في سن التاسعة والثلاثين، قوي البنية، طويل القامة، صحيح الجسم، أسمر اللون، وعلائم الدهاء والذكاء والمتانة والرزانة بادية على وجهه .

لايخاطب السيد الادريسي اليمانيين - في خطاباته - الا بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، ولم يستملهم اليه ويمتلك قلوبهم ويتسلط على عقولهم الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة الدين والشريعة بالفعل ، ومنع الغزو وابطاله ، وإزالة الشقاق والاختلافات القديمة من بين القبائل والعشائر ، واحقاق الحق وتطبيق العدالة والمساواة بين الكبير والصغير والرفيع والوضيع من الاهلين

نعم ان السيد الادريسي لم يستمل اليمانيين - كما زعم بعض الكاذبين المنافقين - باستعمال الفوسفور والكهرباء وغير ذلك من الاختراعات العصرية الجديدة التي لم [illegible]ها عربان اليمن بعد قصد اقناعهم بولايته أو نبوته بل استمالهم اليه بالحجة والبرهان والمبادئ القويمة الصحيحة . ولم نسمع ونحن من صميم اليمن ان السيد الادريسي

ادعى هذه الدعوى أي الولاية وما أشبه

اليمانيون يحبون السيد الادريسي حبا كالعبادة، وينقادون له انقياداً أعمى ويطيعونه طاعة زائدة ، وينفذون أوامره بكل ارتياح ، والسعيد منهم من يتشرف بمقابلته ويتبارك بتقبيل يده وركبته . كل ذلك ناشئ من شدة تمسكه بقواعد العدل والمساواة وتطبيقها بين جميع الطبقات ، وعدم تمييزه زيداً الشريف (مثلا) على عمرو الضعيف بحال من الاحوال . واعتبار الجميع واحداً في القضاء والمعاملات

قبل أن يعود السيد الادريسي من مصر الى العسير كانت الفوضى في هذه الانحاء منتشرة والامن مفقوداً، والراحة مسلوبة والغزو كثيراً،واعتداءالقوي على الضعيف أمراً مألوفاً ، وكان الابن يخاف على نفسه من والده ، والوالد لايأمن على حياته من ولده ، وكان الانسان يجلس في الظلام ليلا خوفاً من أن يراه عدوه اذا أنار المصباح فيطلق عليه الرصاص .وكانت الطرقات مسدودة لكثرة اللصوص وقطاع الطريق. والخلاصة كانت الاهالي بأشد حالات الضيق من هذه الاحوال التي تسلب الراحة ففرج الله عنهم بقدوم السيد الادريسي الى العسير حيث بدأ بنصح وارشاد القبائل وشرع في نشر مبادئه وتعاليمه الدينية والمدنية بينهم ، فاستمالهم اليه وامتلك قلوبهم وجمع حوله منهم قوة ثم أخذ بتطبيق أحكام الشريعة عليهم بدون محاباة ولا مراعاة فأعدم المئين من الرجال الذين ارتكبوا جريمة القتل ، وقطع أيد كثيرة إقامة لحد السرقة ، فاستتب الامن ، وبطل الغزو ، وزال الشقاق ،وحل محله الوفاق بين القبائل ووقف القوي عند حده ، وامتد رواق العدل والمساواة في تلك الاصقاع ،فارتاحت الاهالي وأمنت على أرواحها وأموالها ، وصاروا كلما ذكروا عذاب الماضي وقاسوه بنعيم الحاضر يتضاعف حبهم للسيد الادريسي وتزداد طاعتهم له وانقيادهم لاوامره وتقوى الروابط بينه وبينهم .

أعدم السيد الادريسي عددا كبيراً من كبار القوم الذين ارتكبوا جريمة قتل الابرياء الضعفاء قصاصاً ولم يلتفت الى علو كعبهم ، ورفعة منزلتهم بين قومهم ،ولاالى شرفهم وعظمتهم ونفوذهم ، فلم يغضب لهذا الامر انسان لانه عدل وحق .

قاعدة السيد الادريسي في الحكم والادارة العدل وهو عنده فوق كل شيء،وهذا مما جعل الرأي العام في جهات جزيرة العرب عامة وفي جهات العسير منها خاصة يميل اليه ويحب خطته ويطري مبادئه ويثني على منهجه القويم

***

السيد الادريسي لم يفاجئ الحكومة العثمانية بالعدوان ولم يعلن عليها الحرب في حين من الاحيان ، بل كان الامر بالعكس . فان الباب العالي كان يصغي لا كاذيب ولاة اليمن وقوادها الجهلة المغرورين الذين كانوا يوسوسون له ويدسون الدسائس ضد السيد الادريسي فيأمر (أي الباب العالي) بجيش الجيوش وتسيير الحملات على السيد فيضطر هذا الى الدفاع فالهجوم فسحق القوات فحصار المدن والثغور فالاستيلاء عليها

في واقعة واحدة من الوقائع العديدة العظيمة التي حصلت بين رجال السيد وبين الجيش العثماني وهي (واقعة جازان) المشهورة قتل من الجنود العثمانية أكثر من أربعة آلاف عسكري ولم يعرف عدد الجرحى (١) والتجأ قائد الجيش الميرالاي محمد راغب بك الى السيد خوفاً من فتك الضباط به بسبب الخطأ الذي ارتكبه في هذه الواقعة على زعمهم . وبقي هذا القائد التركي عند السيد معززاً مكرماً مدة سنة ونصف ثم فر هارباً بدون أن يستأذن من السيد — مع ان السيد كان تاركا له الحرية في السفر أو البقاء — على باخرة انكليزية كانت مرت بجازان

*

لما أعلنت ايطالية الحرب على الدولة العثمانية أخلت هذه في الحال ميناء (جازان) من العسكر ولم يتيسر لها لضيق الوقت ولقلة وسائط النقل أن تنقل الى الحديدة غير الجنود فقط وتركت السلاح والمؤنة والذخائر والخيام والبغال . تركت أشياء كثيرة كانت معدة لحملة عسكرية مؤلفة من خمسة وعشرين تابوراً . فاستولى السيد الادريسي على كل ما تركوه ودخل (جازان) وهي أعظم ميناء على السواحل اليمانية بعد الحديدة ولا تزال في يده كما انه استولى بعد ذلك على غيرها من المواني مثل ميدي وشفيق وحبل وبركة والفوز ... وفي ميدي قلعة كبيرة مهمة أخذها الادريسي بما فيها من المدافع والذخائر

ولقد تمكن السيد الادريسي منذ نشبت الحرب بين الحكومة العثمانية وايطاليا الى الآن من جلب أكثر من مئة الف بندقية وخمسين مدفعاً ونيف من درجات مختلفة أي كبيرة ومتوسطة وصغيرة ، لان الطليان كانوا أغرقوا وأسروا بواخر خفر السواحل العثمانية كلها . فخلا للسيد الجو وانتهز هذه الفرصة الثمينة واستعد استعدادا عظيما . ولديه الآن اكثر من عشرين مدفعاً من المدافع الكبيرة التي ترمي الى مسافة

(١) أخبرنا أحد الضباط الذين كانوا في اليمن ان عدد القتلى من العثمانيين في جيزان كان أكثر من عدد جنود الادريسي الذين قتلوهم (وجيزان بالياء كما في القاموس لا بالألف)

١٠ - ١٥ كيلو متر وهي موضوعة في الحصون التي أنشأها في السواحل والثغور التي بيده . وقد تعلمت الجنود العربية استعمال المدافع واستخدامها في الحروب وبرعوا جداً في اطلاق القنابل . ولا يزال عند السيد عشرات من أفراد الجند وضباط الصف (الجاويشية) العثمانيين الذين أسروا أو التجأوا اليه في الحروب ومعظم هؤلاء من صنف المدفعية . واذا أضفنا عدد المدافع التي أخذها السيد من جيوش الدولة في الحروب والبنادق التي استولى عليها والتي كانت عند العربان من قبل الى الارقام السالفة الذكر يمكننا - بلا مبالغة - ان نقول : ان لدى رجال السيد الادريسي الآن أكثر من تسعين مدفعاً ومن مائتي (٢٠٠) الف بندقية جديدة من أحدث طرز . ومعظم البنادق الجديدة محفوظة مع ذخيرتها الكافية الوافية - لوقت الحاجة - في المخازن التي بنيت بصورة مخصوصة لها .

***

في قبضة السيد الادريسي الآن عدة مواني أهمها جازان وميدي وشفيق وبركة وحبل والقوز - كما ذكرنا آنفاً . وفي كل ميناء منهن جمرك له عمال موظفون من قبل السيد لاستيفاء الرسوم الجمركية من الواردات والصادرات، والرسوم التي يتقاضاها السيد أقل من الرسوم التي كانت تأخذها الدولة والتجارة كثيرة جداً بين هذه الثغور وبين عدن ومصوع لان هذه الثغور هي مواني قطعة العسير كلها وبعض جهات اليمن والحجاز . والسنابك (١) تروح وتغدو بينها وبين مصوع وعدن دائما . والأمن مستتب والرشوة - ولله الحمد - مفقودة ، والعدل موجود ، والظلم معدوم، والتسهيلات متوفرة ، والناس كلها ألسن مدح وثناء على السيد الادريسي الذي أحيا هذه القطعة وأصلح شؤون أهلها

ولقد انتشر نفوذ السيد الادريسي كثيراً من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب حتى السواحل بقدر ماقل وتناقص نفوذ الامام يحيى لاسباب لامحل لذكرها هنا . حتى ان كثيراً من القبائل التي كان عليها معظم المعول عند الامام يحيى أتت لعند السيد الادريسي وبايعته ووضعت عنده الرهائن من أولاد زعمائها ، وفي مقدمة هذه القبائل قبيلة حاشد العظيمة التي يقودها الشيخ ناصر بخيت

على رأس كل قبيلة من قبائل العسير قاض وأمير من قبل السيد الادريسي فالاول

---

(١) المنار : السنابك جمع سنبوك في لغتهم وهي نوع من السفن الشراعية . وفي سواحل الشام يطلقون لفظ السنبك (بضم السين والباء) على نوع من قوارب الصيادين الصغيرة وجمعه سنابك

ينظر في الشؤون القضائية، والثاني ينظر في الشؤون الادارية والحربية، ويجمع الزكاة الشرعية للسيد، والمخابرات الرسمية جارية بكمال الدقة والاهتمام بين المركز والضواحي

عند السيد الادريسي وكيل اسمه (يحيى زكريا) وهو بمثابة رئيس الحجاب أو الصدر الاعظم. وأمين لبيت المال واسمه (محمد يحيى) وهو بمثابة ناظر المالية، وكثير من القواد وكلهم يحملون السيوف دائما ولهم شارات مخصوصة كل بحسب رتبته ومقامه

***

أرسل قائمقام لحية ابراهيم بك خليل بتاريخ ١٠ مارس سنة ٣ ١٩ كتابا الى السيد الادريسي يطلب فيه الاذن بمقابلته فاذن له فجاء وأخبر السيد بان الوالي محمود نديم بك تلقى من الباب العالي أوامر تقضي بمخابرته بامر الصلح وحسم المشاكل وفض الاختلافات التي بينه وبين الدولة، وسأله هل يقبل بفتح المفاوضات؟ فقبل السيد، فقفل القائمقام المذكور راجعا الى لحية وأخبر بذلك الوالي برقيا، فغادر محمود نديم بك ومعه القائد سعيد باشا صنعاء ووصلا الى لحية في ٢٧ مارس سنة ١٩١٣ وأرسلا كتابا الى السيد يطلبان فيه حضوره لثغر ميدي ليقترب منهما فارسل السيد من قبله هيئة لمخاطبتهما على رأسها أمينه محمد يحيى بخطاب يقول فيه بلغوا كل ماتريدون لهذا الامين وهو يوصله اليّ حتى أعلم ماتريدون. (١)

***

كانت مطالب السيد الادريسي قبل ثلاث سنوات - كما ذكرها هو في كتابه الى الامام بسيطة جدا. اما مطالبه اليوم فهي لاتشابه تلك المطالب بوجه من الوجوه. ففي ذلك الحين لم يكن في يد السيد الادريسي ثغر من الثغور البحرية وقد أصبح اليوم في قبضة يده عدة موانئ كما تقدم في كل واحدة منهن بضعة مدافع كبيرة تحميها. وفي ذلك الحين لم يكن قد وقع بين رجاله وبين الدولة سفك دماء، وكان ذلك قبل حرب الطليان وما تلاها من المصائب وحرب البلقان وما أعقبها من النوائب، وجملة القول ان كلا من حالته وحالة الدولة لم تكن مثل ماهي الآن

يحق للسيد الادريسي اليوم ان لايرضى بما كان رضي به قبل ثلاث سنوات، ولم ترض به الحكومة العثمانية، لأن نفوذه خلال هذه المدة انتشر بين القبائل انتشاراً

---

(١) المنار: أورد الكاتب هنا نبذة من كتاب الادريسي الى الامام استدل بها على كونه لم يكن يقصد عداوة الدولة بل خدمتها والاتفاق معها وقد حذفناه لاننا كنا نشرنا ذلك الكتاب برمته في ج ٤ ص٣٠٠ م ١٦من المنار

هائلا، وأحواله انتظمت، ورجاله تسلحت، وقبائله استعدت، وعسا كره تعلمت وتمرنت على اطلاق القنابل واستعمال المدافع الكبيرة والصغيرة. وقد علمت من رجل كبير من رجاله انه سيستمسك بالمطالب الآتية:

١ – الاستقلال الاداري التام تحت سيادة الدولة

٢ – ان لا تتدخل الدولة في شؤون موظفي البلاد التي في قبضة يده والتي سيبين حدودها في المعاهدة

٣ – أن تكون الراية الهلال والنجم مع كلمة التوحيد (لا اله الا الله) من جهة (محمد رسول الله) من الجهة الاخرى

٤ – أن تكون الجنود محلية وعددها كاف لحماية البلاد في زمن السلم والحرب

٥ – ان تكون الجمارك في الثغور راجعة الى الامارة الادريسية والمعاهدات التجارية مع الدول من حقها أيضاً

٦ – أن تكون الاحكام طبق الشريعة الغراء واللغة الرسمية هي اللغة العربية فقط بحيث لا تعرف لغة سواها في التعليم والقضاء والادارة وفي المخابرات الرسمية مع الاستانة

٧ – كل ما ينشأ من المنافع العمومية كالسكك الحديدية والتلغراف والتليفون في جهات العسير يجب ان تكون لمنفعة الامارة وخاصة بها وخاضعة لها.

٨ – ان يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني قبل ان يجتمع مجلس المبعوثين العثماني يؤتى به من الاستانة على يد مندوب عال وعلى سفينة حربية ويقرأ باحتفال عام في المكان الذي يختاره الامير الادريسي

هذه هي أهم المواد الاساسية العمومية التي سيطلبها السيد الادريسي. وهناك مسائل أخرى خصوصية وفرعية لا أهمية لها. ولا نظن ان الصلح يتم بين السيد الادريسي وبين الحكومة العثمانية اذا رفضت هذه مطلباً واحداً من هذه المطالب الثمانية. ومن قاس هذه المطالب بمطالب السيد الاولى يتبين له الفرق العظيم بين هذه وتلك كما يظهر له جلياً بعد نظر رجال الحكومة العثمانية وطول باعهم في السياسة والادارة والسلام مصوع ٧ مايو سنة ١٩١٣ يماني

(المنار) لم يبق للدولة مع هذه المطالب الا اسم السيادة فلا يعقل ان تقبلها فان كانت تعجز عنه الآن فانها تفضل السكوت على اعطائه فرمانا تقيد نفسها به. والمعقول ان يكون للدولة مع الاستقلال الاداري بعض الحقوق العامة كاشتراط موافقتها على العهود التجارية مع الدول واخذ شيء مما يزيد على نفقات البلاد من دخلها

﴿ تفريط الاتحاديين بحقوق الدولة في خليج فارس والعراق ﴾

﴿ والطرف الشرقي من جزيرة العرب والتزلف بذلك الى انكلترة ﴾

ان خليج فارس وشط العرب وبلاد العراق وما يتصل بها من البلاد العربية خير للدولة العثمانية من الاستانة وما يتصل بها من البلاد الاوربية ، ولكن رجال الدولة وجمهور المتعلمين منهم في مدارس الاستانة مفتونون بعظمة القسطنطينية ومقامها التاريخي وموقعها الجغرافي ويعدون دولتهم مادامت هنالك دولة أوربية وان لم يجنوا من هذا الموقع وهذه النسبة الا النكال والوبل ، والسلاسل والاغلال ، بل فقد الاستقلال ، وهم مع كل ما أصابهم من الشقاء والخسار في فتح هذه البلاد الاوربية ثم في ترك معظمها لايزالون يعدون بقاءهم في قطعة أرض منها على شفا من طرف مملكتهم علواً وعظمة وان كان على حد المثل العامي « علو ولو على الخازوق » ولو عمرت الدولة تلك البلاد لكان لها منها ثروة تغنيها عن أوربة وتجعلها دولة أسيوية قوية عزيزة كاليابان بل أهم من اليابان لانها القلب الذي يصل الشرق بالغرب

من المعلوم بالضرورة من السياسة الاوربية الحاضرة ان الدول الكبرى انفرقن الى فرقين عظيمين بتنازع انكلترة وألمانية الاولوية في سيادة العالم . وما أظهر هذا التنافس والتنازع بينهما الا سكة حديد بغداد التي منحتها الدولة العثمانية للالمانيين فاقامت بذلك قيامة انكلترة عليهما وحملتها على موالاة الروسية ومواتاتها على ماتريد من العثمانية ومن ايران ، على معارضتها في ايصال الالمانيين سكتهم الى شط العرب أو خليج فارس ، فهذا الموقع العثماني المعظم الذي غير سياسة العالم القديم ، وجر على العثمانية والايرانية الرجز الاليم ، لاقيمة له في نفس ساسة الآستانة ، حتى كان من هوانه عليهم ماعهدت به جمعية الاتحاد والترقي الى مندوبها حقي باشا الذي أعطته اضاعة طرابلس الغرب مهارة عملية ، في اضاعة الممالك العربية ، وذلك انها أرسلته الى أوربة ليستميل اليها الدول بما يبذله لهن من المصالح والحقوق في البلاد العربية العثمانية ، تحقيقا لقول من قال منهم لبعض أبناء العرب في الاستانة : اننا نبيعكم ونرقي أنفسنا بثمنكم

بدأ حقي باشا الماهر بأن بذل لانكلترة منتهى ما تسعى اليه انكلترة من زمن طويل في شرق البلاد العربية ، بذل لها حقوق الدولة في شط العرب وخليج فارس وشرقي جزيرة العرب ، وهي تعمل عملها وتمد نفوذها في غربيها وجنوبيها لتحيط بها من جميع أطرافها ، ووالله انه لو بذل لها الآستانة ومابقي للدولة في أوربة كله واستبقى

مابدل منا كان الا بإذلا الذي هو أدنى ومستبقيا الذي هو خير . واننا قبل بيان ذلك ننشر نبذة لجريدة التيمس من مكاتبها في الآستانة عن مصالح انكلترة في البلاد العربية وهي:

كلام التيمس في حقوق انكلترة في بلاد العرب

« ان اهتمام انكلترة بما يحدث في البلاد العربية لهو أعظم أهمية مما يتصوره الناس فقد استولينا على عدن ولنا حق الحماية على كثير من الزعماء والقبائل في الداخلية فضلا عن سلطتنا على أمير عظيم الشأن وهو سلطان لحج ولنا فوق ذلك نفوذ الحماية على ساحل البلاد العربية الجنوبي الى عمان ومصالحنا أعظم من مصالح سوانا وهي مؤيدة بالمعاهدات . ثم ان زعماء العربان في ساحل القرصان على الخليج العجمي هم تحت حمايتنا وتوجد علاقات خاصة بيننا وبين شيخ الكويت وهو عامل عظيم في سياسة الاعراب وبذلك نجد أن نصف السواحل العربية كائن فعلا ومباشرة تحت نفوذ انكلترة ولذلك قد تكون الاحوال هناك أحياناً ذات أهمية خاصة لانكلترة

أما عدن بالذات فانها الآن في شغل داخلي شاغل فقد أدخل فيها مشروع جديد للضرائب والغاية منه سد نفقات تحسين المياه ومنع ذوي السوابق من الدخول اليها هذا المشروع قد أحدث شيئا من الانقسام والخلاف وهناك مشروع آخر تحت النظر لانشاء ترام بخاري من نواهي الى الشيخ عثمان . أما تجارة عدن فلا تتقدم والمناظرة شديدة بينها وبين جيبوتي والحديدة ولا يتيسر لعدن الحصول على نصيبها من تجارة الداخلية الا اذا وجدت المواصلات بينها وبين داخلية اليمن والاحوال هناك ليست على مايرام فالقبائل في نزاع دائم احداها مع الاخرى وجميعها مع الاتراك والقبائل الموجودة تحت حمايتنا تحارب القبائل الكائنة في آسية تحت حماية الدولة العثمانية والجيش العثماني يحارب أتباع امام صنعاء وحقيقة الامر ان الاتراك لم يستولوا فعلا على اليمن ولم يحسنوا الولاية على القسم الذي يملكونه

أما في الساحل الغربي الجنوبي فان سلطان مكلا الكائن تحت حماية انكلترة قد حارب أخيرا في بلاد حضرموت وهو يزحف على خصومه على انه لا يملك الا الف مقاتل فلا أهمية لغزواته والناس لا يعلمون شيئا عما يحدث في داخلية البلاد العربية يوميا من الغزو والحروب والخلاف الدائم مع أن البلاد العربية أنجبت فيما مضى رجالا حمل أتباعه السيف والدين فدخلوا القارات الثلاث ومع أنه لا ينتظر أن تنجب مثل هذا الرجل فيما بعد فلا يبعد أن تكون عاملا خطيرا في سياسة العالم

وتكلم الكاتب عن الخلاف القائم بين ابن سعود وابن الرشيد وختم مقالته بقوله

« ائن كان هؤلاء المتحاربون في ظاهر الامر لا يهمون انكلترة فربما استطاعوا يوما ما بطرق مختلفة أن يؤثروا في مركزنا في خليج العجم المتصل اتصالا تاماً بسلطتنا على الهند »

هذا ما كتبته جريدة التيمس لسان حال حكومتها في إثر ما كتبته عن حقوق دولتها أو مصالحها في مصر ، فهل تجهل حكومتنا العثمانية هذا أم تعرفه وتريد أن تحقق آمال انكلترة وتنيلها مآربها في البلاد العربية في مدة أقصر مما قدره ساستها لذلك ؟ وما هو حظ الدولة من ذلك ؟

نحن نعلم كما يعلم كل واقف على السياسة وسير الامم والدول فيها ان الانكليز قد مدوا أعينهم فأصابعهم الى خليج عمان وخليج فارس وشط العرب والعراق منذ ثلاثة قرون، ولكنهم كانوا ينظرون الى تلك المعاهد خلسة ، ويحركون أصابعهم فيها خفية ، وما زاد اهتمامهم في الامر الا توجه نابليون بونابرت الكبير الهمة الواسع الفكر والطمع الى سلوك طريق الاسكندر المكدوني ووصل الشرق بالغرب ، وانما هو طريق العراق وذلك الخليج ، ومنذ قضى دهاة الارض وأقطاب سياستها على نابليون ومطامعه جميعاً طفقوا ينفذون مقاصده لانفسهم بالتؤدة واغتنام الفرص كعادتهم فاحتلوا مصر بعد اخراجه منها بنحو ثلاثة أرباع القرن ويظهر ان دولتنا سهلت لهم أن يتمموا الامر كله في مثل هذه المدة ، كان من حسن حظهم ان سياسة عبد الحميد الخرقاء مكنت لهم في أرض مصر ثم أرادت أن توجد لهم خصما قوياً في العراق ومنفذه البحري الى الهند فاعطت امتياز سكة بغداد للالمان وأضرمت نار العداء والتنافس بينهم وبين الانكليز لمعارضة هؤلاء في مدها ومشايعة الفرنسيس لهم وبيد الفريقين معظم ثروة أوربة . وكانت الدولة العثمانية ولا تزال ترى ان حياتها متعلقة بتنازع دول أوربة الكبرى على المصالح والمنافع فيها ، بل كانت محصورة في تنازع انكلترة وروسية ، فأزال هذا التنازع عبد الحميد بسوء سياسته ولكنه استبدل به التنازع بين انكلترة وألمانية ، فجاء بعده الاتحاديون فكانوا شرا منه وممن قبله وبعده سياسة لانهم بما عقدوه من الاتفاق في هذه الايام بين مندوبهم حقي باشا والحكومة الانكليزية قد أزالوا هذا التنازع أيضاً فازالوا به كل عقبة تحول بين الدول وبين اقتسام بلادهم، ويظن أعداء العرب منهم انهم بذلوا أهم مواقع البلاد العربية وسلمت لهم الاناضول التركية !! ولكن هيهات هيهات ! ان عبد الحميد حفر اللغم تحت بلاد الاناضول والاتحاديون وضعوا فيه البارود وأضرموا فيه النار

وانما ننشر الآن مواد الاتفاق بين انكلترة وتركية ثم الآراء فيه وهذه ترجمته :

﴿ مواد الاتفاق بين انكلترة وتركية ﴾

« ١ » تعترف الحكومة الانكليزية بحقوق الدولة العثمانية على قضاء الكويت

« ٢ » تتنازل الدولة العلية عن ادارة شؤون هذا القضاء الداخلية الى حكومة انكلترة وتعترف بالاتفاق الذي تم مع شيخ الكويت وما له أن لانكلترة حق التصرف في مسائل الكويت الخارجية

« ٣ » تتنازل الدولة العلية عن جميع حقوقها في جزيرة قطر وتفوض الى انكلترة ادارتها وانشاء الفنارات والمحافظة على الامن في خليج البصرة

« ٤ » تكتفي انكلترة بمد سكة الحديد الى البصرة فقط وتترك الحق في مدها الى الكويت لادارة سكة حديد بغداد وانما تطلب تعيين مديرين من الانكليز في إدارة الشركة المذكورة

« ٥ » يصادق لانكلترة على امتيازاتها في نهري دجلة والفرات وعلى تأمين متاجرها في البلاد العربية (وفي رواية : ضبط الامن فيه !!)

« ٦ » تؤلف لجنة مختلطة من العثمانيين والانكليز لتسيير السفن وتطهير الانهر وانشاء الفنارات على شط العرب وتكون (الهيئتان) الفنية والتفتيشية من أعضاء هذه اللجنة من الانكليز الاختصاصيين

« ٧ » تحفظ حقوق أمير المحمرة على المحمرة

« ٨ » تسوى الحدود العثمانية الايرانية في أقرب آن

« ٩ » تتنازل الحكومة العثمانية عن حق مراقبتها على القروض المصرية

هكذا ذكرت المواد في بعض الجرائد ، وزاد بعضها حقوقا اخرى للانكليز وادمج في بعض المواد ما ذكر هنا في غيرها ، ومن الزيادة ماهو من قبيل الشرح والتفصيل كادخال جزيرة البحرين أو جميع الجزر هنالك في دائرة نفوذ الانكليز بحيث صارت جميع مغاوص اللؤلؤ في يدهم وهي التي لم تقدر الدولة ان تستفيد منها شيئا لجهل رجالها واحتقارهم للعرب واتخاذهم اعداء لهم . ومن الزيادات التي زادها بعضهم اطالة امتياز شركة بواخر لنش (او لنج) الانكليزية في شط العرب والدجلة والفرات وبيع البواخر العثمانية لها حتى لا يبقى في مياه العراق للعثمانيين تجارة ولا بريد الا وهو في قبضة الانكليز ، ومنها إعطاء حق استخراج المعادن وزيت البترول في العراق الى شركة انكليزية . ومن اطلع على ما جرت عليه انكلترة حديثا من استعمال زيت

البترول في تسيير سفنها الحربية يعلم ان البترول سيرتفع ثمنه وتكون تجارته من أهم تجارات الارض . وجملة القول ان في شط العرب وخليج فارس والعراق وما جاوره من بلاد العرب من ينابيع الثروة مالا يوجد مثله ولا مايقاربه في غيرها من بلاد الدولة ولا بلاد غيرها وناهيك بمكانة المكان الجغرافية والطبيعية والحربية والتجارية فخليج الكويت القاحلة خير من خليج الآستانة فان سمي هذا قرن الذهب ولا ذهب فيه ولا فضة ، فجدير بذلك أن يسمى خليج اللؤلؤ واللؤلؤ أثمن من الذهب . وقد وهبت الدولة حقوقها العظيمة في تلك البقاع البرية البحرية النهرية للانكليز في مقابلة وعدها اياها بالمساعدة على زيادة رسوم الجمرك وماتبغيه من عقد القروض وبيع الامتيازات والاراضي في أوربة واشتراء السفن ونحو ذلك . اعطت أثمن ما عندها نقدا رجاء ان تساعد نسيئة على شيء مبهم هو مهما عظم أحقر من احقر مابذلت ! (للكلام بقية)

باب الأخبار والآراء

﴿ جمعية بيروت الاصلاحية وقتل زكريا طباره ﴾

كان أول عمل عملته الوزارة الشوكية الاتحادية في البلاد العربية عزل ادهم بك والي بيروت وجعل حازم بك مكانه وبدأ هذا عمله باقفال نادي الاصلاح وحل عقد الجمعية الاصلاحية التي تألفت وأنشئ ناديها بأذن رسمي من سلفه الوالي أدهم بك الائتلافي ،

ثم قتل أحد رجال جمعية بيروت الاصلاحية زكريا أفندي طباره اغتيالا وأشيع ان قتله كان بايماز من الوالي حازم بك فعظم الامر على الناس ، ولكن مدير الشحنة (البوليس) ومعاون المدعي العمومي (وكيل النيابة) قد نشر كل منهما في الجرائد بلاغاً رسميا كذبا فيه ما أشيع من قتل الرجل بسبب سياسي أو إداري ، وإيماز خفي

أما سبب الاشاعة فهو ما اشتهر من أن هذا الوالي الاتحادي العريق قد اصطنع لنفسه زعنفة من الاشقياء الذين يعيثون في البلد فسادا بالعدوان وتهريب السلاح والدخان ، - وما كان من أعضاء جمعية الاصلاح من حمل جميع أهالي بيروت على اقفال محلاتهم التجارية ومعاهدهم العمومية يوما واحداً احتجاجاً على عمله وإيذاناً له بأن الجمعية الاصلاحية تمثل وطنها حق التمثيل - وما كان من إرادته اجبار الناس على فتح

اليه بزيادة الضغط على بعض طلاب الاصلاح ووقف بعضهم في دار الحكومة ومنهم زكريا أفندي طباره وبذلك زيد الاعتصاب فأقفلت المدينة يومين آخرين . ثم إن الوالي بادر الى اطلاق من وقفهم من رجل الاصلاح بشفاعة كبيري بيروت محمد افندي بيهم والفرد بك سرسق، وعلى أثر ذلك قتل زكريا أفندي اغتيالا في الطريق وهو ذاهب ليلا الى داره فقيل ما قيل ، ومنه ان الوالي اوعز الى بعض الاشقياء بان يقتلوا احمد مختار افندي بيهم وزكريا افندي، واستحضروا باذنه أحدهم المحكوم عليه بالاعدام من مرسيلية لأجل ذلك ووعده الوالي بعفو السلطان عنه

المعروف عند كل الناس ان جمعية الاتحاد والترقي جمعية ثورية وان لها أفراداً تسميهم الفدائيين أعدتهم لاغتيال خصومها وقد اتهمت بقتل كثيرين من رجال الصحافة في الآستانة وغيرهم كحسن بك فهمي وأحمد بك صميم، وبعد ان أعلنت هي رسميا انها تحولت من جمعية ثورة خفية الى حزب سياسي فعلت فعلتها بهجوم بعض أشقياء رجالها على الباب العالي وقتل ناظر الحربية وغيره في دائرة الصدارة منه واسقاط وزارة كامل باشا بذلك وإقامة وزارة محمود شوكت باشا مقامها ؛ ثم ان هذه الوزارة الاتحادية لم تحاكم من قتلوا ناظر الحربية ومن قتل معه ولو محاكمة صورية ، فاذا كان هذا أمرا يعرفه جماهير الناس من كل الامم فكيف يستغرب ما أشيع بين الناس من كون قتل زكريا طبارة كان جناية سياسية ؟

انما نحن ناقلون لا مثبتون ولا نافون وغرضنا من النقل العبرة والنصيحة فنقول للحكومة الاتحادية الحاضرة : انك أمرت بمعاملة الجمعية الاصلاحية في بيروت بالشدة والقسوة ، فهذه من جملة أعمالك المبنية على ما في مخاخ رجالك من النظريات التي نرى نحن انها باطلة ومؤدية الى ضد ما تريدين ، وقد قلنا مثل هذا القول في غير هذا العمل من أعمالك فصدق قولنا وسترين صدقه في هذه المرة أيضاً وفساد تلك النظريات ، وأن هذه الشدة تنفع العرب الذين تريد الجمعية سحقهم ومحقهم ولا تضرهم ، فان الامم لا تظهر قوة استعدادها الا بالضغط عليها ، فعسى ان تتدبر الحكومة والجمعية هذا القول فتبادر الى الاصلاح بمنتهى السرعة والاخلاص .

﴿ أحوال مسلمي روسية ﴾

﴿ افتتان بعض علماء التتار بعبد الحميد ورأيهم في سبب خذلان الترك حال شبانهم ﴾

رأينا في مجلة (دين ومعيشت) التي تصدر ببلدة أورنبورغ في روسية ويتولى

تحريرها بعض علماء التتار الجامدين على التقاليد المألوفة رأياً غريباً نشر فيها بامضاء « زاري» تحت عنوان «لماذا انهزم الاتراك ؟ » فأحببنا نشره لما فيه من العبرة بافتتان الناس بالملوك وتأييدهم بنصوص الدين وان كانوا ظالمين ، وهذه ترجمته :

انهزم العثمانيون لانهم استوجبوا غضب الله تعالى فلم ينصرهم وذلك أنهم خلعوا سلطانهم الذي خدمهم ٣٣ سنة خدمة جليلة وحفظهم من ذلك الخذلان بحكمه فيهم حكما مطابقا لرضاء الله تعالى(؟) وأنهم لم يعرفوا قدره بل عزلوه عن منصبه وأسقطوه من عرشه وفرقوه من تاجه فان الله تعالى حرمهم من الاراضي الاوروبية كلها وتركهم أذلاء في العالم تصديقا لما قاله نبيه المحبوب صلى الله عليه وسلم لأمته وتنبيها لعصيان الاتراك اياه . روى الامام الترمذي في (باب ما جاء في الخلفاء) الحديث الآتي : (من أهان سلطان الله في الارض أهانه الله) . وهذا الحديث ليس مختصاً بالسلطان التركي بل يشمل كل سلطان . اذا حقر الناس أي سلطان كان فلا بد أن تهان أنفسهم ويجازوا عليه(١). الشبان العثمانيون أهانوا السلطان عبد الحميد فالله تعالى جازاهم على ذلك وأهان أنفسهم وتركهم في ذلة وشقاء . نعم ان الاتراك شبانهم وشيوخهم سواء في اهانة سلطانهم عبد الحميد بل لم يخل عن هذه الاهانة العالم الاسلامي كله . ولكن السبب فيها هم الذين تركوا دين الله وراء ظهورهم وأبوا الشريعة الاسلامية ولم يخافوا الله تعالى . ان الذين أهانوا السلطان عبد الحميد ظهروا أولا في سلانيك فالله تعالى أخذ سلانيك من أيديهم أولا وأعطاها للآخرين

كان في مقدمة هؤلاء الناس الذين بغوا على السلطان عبد الحميد أنور بك ونيازي بك اللذان في قدمهما شؤم . فان أحدهما جاء الى بلاد الارناؤوط بقدمه النحسة فذهبت تلك البلاد من أيديهم ، وثانيهما قدم طرابلس الغرب فذهبت الى الطليان بشؤمه . هذا الرجل المشؤم بعد مارجع من طرابلس الغرب قدم البلاد الاوربية العثمانية فذهبت تلك البقاع الى الخلفاء البلقانيين . حفظ الله من قدوم هؤلاء الناس المشئومين بلاد الاناضول فاذا وطئوها فلا شك حينئذ في ذهاب الاناضول أيضا

ان العثمانيين مع ظهور جزاء الله تعالى فيهم لايتفكرون في شؤونهم ولا يبحثون

(١) المنار : يدخل في عموم قوله المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والعدل والجائر ، ولا يقول بهذا عالم ولا عاقل، وحديث الترمذي غريب ورد في الامير ابن عامر لا في الخليفة وفيه مقال ومراد راويه عدم اهانة الحكام التي تجري على الفوضى . ولا يصح اطلاق سلطان الله على حاكم الا اذا كان يقيم ما انزله من الكتاب والميزان والا فهو عدو الله ، وسلطان الله حجته وبرهانه ويطلق على من يقيم ذلك

عن اصلاح أحوالهم بل يمشون على أعقاب هؤلاء الناس ويجعلونهم رؤساء فيعرضون أنفسهم لغضب الله تعالى وقهره . اذا هم لم يفيقوا من غفلاتهم ولم يتوبوا من قبائحهم ولم يطلبوا عفو السلطان عبد الحميد مقبلين يديه ورجليه فليس بعيدا أن يأخذ الله تعالى منهم الخلافة والسلطنة بل هذا قريب جدا . تفكروا ! أي أمة من الامم اذا سئمت الشريعة التي بها قوامها وسخرت من طالبي هذه الشريعة ولقبتهم بـ «شريعت استرز» (١) وكرهت الشريعة كما يكره الارتداد بل ظلمت فوق ذلك أهل الدين منهم ولم تقف عند هذا الحد خوفاً من الله تعالى بل خوفاً من أوروبا فقط فماذا يفعل الله تعالى بهذه الامة ؟ أليس قليلا ولو جازاهم بأي جزاء ؟

لئن نسي الشبان العثمانيون ما فعلوا بعلماء الدين من الاهانة عند الانقلاب وبعده فان الله تعالى لا ينساه . فانه يعلم أن قطرة من دماء هؤلاء الفدائيين في سبيل الدين لا تقابلها دماء ألوف من الناس المشئومين . وزد على ذلك دم ناظم باشا الغازي في سبيل الله في الانقلاب الاخير وهذا يمنعهم أيضاً عن التقدم الى مدة طويلة . ودموع السلطان عبد الحميد وأحزانه في حبسه يكفيهم لاطفاء نورهم . وقى الله الامة الاسلامية من شرورهم اهـ

﴿ مقتطفات اخرى من جريدة وقت الروسية الاسلامية ﴾

منع الحكومة الروسية الدخول في الاسلام

يروون أن غاوريلوف من قرية (نيجينكه) بولاية اورنبورغ طلب الاذن في أن يدخل في الاسلام هو وأهل بيته ولكن جاء الرد من الوزارة الداخلية بعدم جواز الخروج من الارثوذكسية الى الاسلام (فلماذا لا تمنع دولة الخلافة الردة عن الاسلام)

عناية روسية بتنصير المسلمين

أن القسيس (واستورغف) الذي أرسلته نظارة الامور الروحانية (السينود) الى مدينة طاشقند سعى مدة وجوده فيها في افتتاح مدرسة تبشيرية لتنصير المسلمين ومقاومة المذاهب المبتدعة الضالة من النصارى

منع المسلمين من تأسيس مطبعة

وصل الينا أن محرر وناشر مجلة « اقتصاد » استأذن والي ولاية سامار في افتتاح

(١) المنار : جملة تركية معناها « طلاب الشريعة » كان يحكيها بعض أحرار الترك بلهجة التهكم بخصومهم من أعضاء الجمعية المحمدية وغيرهم

مطبعة اسلامية في بلدة سامار مركز الولاية ولكن الوالي لم يأذن له بذلك

حرية المسلمين وانتخاب النواب

كان أحمد جان أفندي شريف من أعضاء البلدية دعا العلماء وبعض وجهاء البلدة للضيافة في داره ولما التأم شمل المدعوين وأراد صاحب الدار تقديم الشاي لهم جاء مأمور المركز ومعه عدة من الشرط فخاطب الحاضرين بقوله : « قد وصل الينا أنكم تجتمعون هنا لمداولة الافكار في أمور الانتخابات للدوما والاجتماع لامثال هذا لا يمكن الا بعد الحصول على الاذن فيه فأنا أنذركم به » ولما بين له صاحب الدار أنه دعاهم للطعام فقط لا لشيء آخر كتب أسماء الحاضرين ثم راقبهم الى أن تم الاكل ، وكذلك كانوا قد وضعوا عدة من الشرط على الابواب الخارجية وبعد أن تم الاكل انتشر الضيوف ذهب المأمور وأعوانه .

مسألة الاعانة للهلال الاحمر

كان مسلمو أورنبورغ وقارغالى طلبوا الاذن من الوالي بجمع الاعانة للهلال الاحمر وكان الوالي وعد بمراجعة الوزارة الداخلية في ذلك والآن جاء الجواب من بطرسبرج بعدم الاذن لأنه لا يعد شيئاً مشروعاً في المملكة الروسية

(وقت . عدد ١٠١٢)

كان قادر أفندي رحيمف وأربعة من رفقائه من التجار طلبوا من وزارة الداخلية بالتلغراف منذ ١٣ يوما الاذن بجمع الاعانة في اورنبورغ للهلال الاحمر والتزموا انفاقها بواسطة قرينة السفير الروسي في الاستانة . وبعد انتظار الجواب أكثر من عشرة أيام من غير جدوى أعادوا طلبهم مرة ثانية وأرسلوا تلغرافا في ذلك الى بطرسبرج (وقت . عدد ١٠٧٠)

قزان ـ نوفمبر ١٦ : فتشت دار أمير خانف لاتهامه بجمع الاعانة للهلال الاحمر

اركوتسكي ـ (في سيبريا) جمع المسلمون هناك ٣٢٥٦ روبلا للهلال الاحمر وأرسلوها الى قرينة طرخان باشا السفير العثماني في بطرسبرج

سيواستوبول ـ بناء على الامر من بطرسبرج منع متصرف سيواستوبول قنصل الدولة العلية فيها من جمع الاعانة من المسلمين للهلال الاحمر . فلا يمكنه بعد الآن أن يجمع الاعانة الا من تبعة الدولة العلية

(وقت عدد ١٠٧٤)

كنا كتبنا في الجريدة ان مسلمي أورنبورغ طلبوا امرا بلسان البرق من وزارة لداخلية الاذن لهم بجمع الاعانة لجرحى الاتراك وانفاقها بواسطة السفارة الروسية في الاستانة . وفي الاخير اهتمت ببرقياتهم دائرة الاديان الاجنبية (غير الارثوذكس) وأخبرت نظارة الداخلية والي أورنبورغ بأنها سترسل الجواب في هذا الشأن عن قريب

(وقت عدد ١٠٧٥)

من أخبار بخاري في الايام الاخيرة أن المسلمين هناك أرادوا جمع اعانة للهلال الاحمر وطلبوا الاذن في ذلك من الحكومة المحلية فأطلقت حريتهم ولم يمنعهم مانع في أول الامر من جهة نيابة الحكومة الروسية ولكن جاء النائب بعد ذلك وأفهم الحكومة المحلية ضرورة ارسال نصف الاعانة الى دول البلقان المحاربة للدولة فلم يرض المسلمون بذلك فتركوا جمع الاعانة جريدة وقت عدد ١٠٧٦

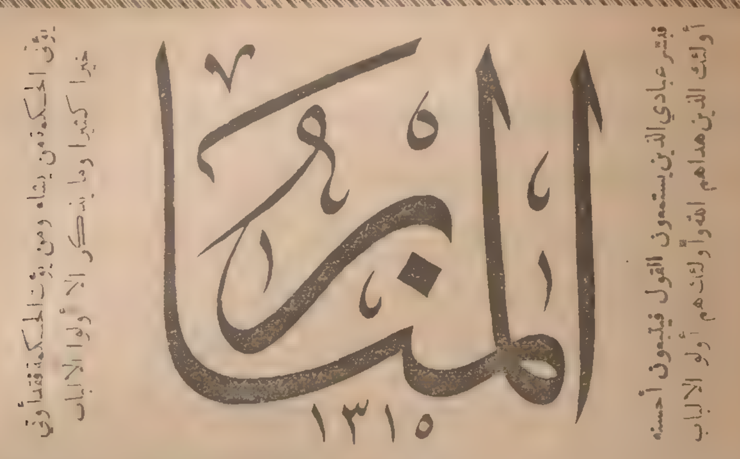
حرمة شهر رمضان

عقد أئمة بلدة اورنبورغ جلسة فيما بينهم تحت رئاسة الامام زاهد الله كشايف وتباحثوا في المحافظة على حرمة رمضان المبارك ان تهتك بمناسبة مجيئه سنة بعد سنة وقت اشتداد الحر وفي الايام الطويلة ووجود المفطرين فيه أحيانا بسبب ذلك وأجمعوا على مراقبة آداب الاسلام في الاسواق والاماكن العمومية ، فانتخب للقيام بما أجمعوا عليه عدة أشخاص عن كل حي من أحياء البلدة بعد استصدار الاذن به من الوالي . فاذا وجد في الاماكن العمومية من يسكر أو يأكل ويشرب في نهار رمضان يسلم حالا الى الامام بمساعدة البوليس وهو يعظه ثم يسلمه اليه ليحبسه برهة من الزمن في مركز البوليس ، وكذلك استصدروا امراً باقفال حانات الخمر (المشروبات الروحية) ثلاثة أيام العيد

﴿ اعطاء أراضي المسلمين لمهاجري الروس ﴾

وجد لجان المساحة في نظارة الأراضي والزراعة مقدارا كبيراً من أراضي القزاق ومسلمي تركستان زائدة عن حوائجهم فقررت أخذها للحكومة لأجل إسكان مهاجري الروس فيها .

وهي : ٤،٩٥٠،٠٠٠ فدان في متصرفية له پسي و ٣،٨٧٢،٠٠٠ فدان في متصرفية قاپال و ٣٦٧،٠٠٠ فدان في متصرفية جاركند و ٣،٢٣٨،٠٠٠ فدان في متصرفية آلماطا وكل هذه في ولاية (يدي صو) و ٥،١٠٧،٠٠٠ فدان في ولايتي فرغانه وصردريا (الفدان الروسي : ١١ ألف متر مربع تقريبا)



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٢٩ رجب ١٣٣١هـ ق ١٣ الصيف الأول ١٢٩١هـ ش ٤ يوليو ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

﴿ اكمال الدين بالقرآن ﴾

لم أر لعالم من حكماء الشريعة الاسلامية كلاما في هذه المسألة العظيمة مثل كلام الامام ابي اسحق ابراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي الغرناطي فقد ذكرها في غير ما موضع من كتابه (الموافقات) الذي لم يؤلف مثله في أصول الاسلام وحكمته. ومن أوسع كلامه فيها ماذكره في الطرف الثاني من كتاب الادلة الشرعية منه، وقد رأينا ان نلخصه ههنا تلخيصا، قال رحمه الله تعالى في (المسألة السادسة) منه:

« القرآن فيه بيان كل شيء على ذلك الترتيب المتقدم، فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة لا يعوزه منها شيء. والدليل على ذلك أمور (منها) النصوص القرآنية من قوله « اليوم أكملت لكم دينكم » الآية، وقوله « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء » وقوله « ما فرطنا في الكتاب

من شيء » وقوله « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » يعني الطريقة المستقيمة. ولو لم يكمل فيه جميع معانيها (أي الشريعة) لما صح اطلاق هذا المعنى عليه حقيقة، واشباه ذلك من الآيات الدالة على انه هدى وشفاء لما في الصدور ، ولا يكون شفاء لجميع ما في الصدور الا وفيه تبيان كل شيء (ومنها) ما جاء من الاحاديث والآثار المؤذنة بذلك كقوله عليه السلام « ان هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يعوجّ فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد » الخ [(١)] فكونه حبل الله باطلاق والشفاء النافع الى تمامه دليل على كمال الأمر فيه ، ونحو هذا في حديث علي عن النبي عليه السلام، وعن ابن مسعود « ان كل مؤدب يحب ان يؤتى أدبه وان أدب الله القرآن » [(٢)] وسئلت عائشة عن خلق رسول الله (ص) فقالت « كان خلقه القرآن » [(٣)] وصدق ذلك قوله « وانك لعلى خلق عظيم »...

ـ ثم أورد الشاطبي طائفة من كلام علماء السلف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تأييد هذه المسألة وقال ـ :

« ولقائل ان يقول ان هـذا غير صحيح لما ثبت في الشريعة من المسائل والقواعد غير الموجودة في القرآن وانما وجدت في السنة ويصدق ذلك ما في الصحيح من قوله عليه السلام « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » [(٤)] وهذا ذم ومعناه اعتماد السنة أيضا ، ويصححه قوله تعالى « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) الآية . قال ميمون بن مهران : الرد الى الله الرد الى كتابه،

(١) رواه ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن الانباري في المصاحف والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود. وأوله ما نذكره من رواية الحاكم في الهامش الثاني، واما الحديث الذي أشار اليه عن علي كرم الله وجهه فأوله « انها ستكون فتنة ـ قيل فما المخرج منها؟ قال ـ كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين » الحديث رواه الترمذي وغيره وفي رواية عند الامام احمد « اتاني جبريل فقال يا محمد ان الامة مفتونة بعدك ، فقلت له ما المخرج ؟ قال كتاب الله الخ ورواه آخرون من رواة ما قبله وفي اسانيده علل وكلام . وقد ورد في القرآن ما هو أصح مما أورده المصنف (٢) رواه الحاكم بلفظ « ان هذا القرآن مأدبة الله فأتوا من مأدبته ما استطعتم » وسنده ضعيف (٣) رواه احمد ومسلم وابو داود (٤) رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي رافع

والرد الى الرسول اذا كان حيا فلما قبضه الله تعالى فارد الى سنته ، ومثله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا) الآية - يقال ان السنة يؤخذ بها على انها بيان الـكتاب الله بقوله تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) وهو جمع بين الأدلة، لانا نقول ان كانت السنة بيانا للكتاب ففي[1] أحد قسميها ، فالقسم الآخر زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع. وقيل لعلي بن أبي طالب هل عندكم كتاب (؟) قال : لا الا كتاب الله أو فهم اعطيه رجل مسلم أو مافي هذه الصحيفة . قال قلت وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الاسير وان لايقتل مسلم بكافر[2] وهذا وان كان فيه دليل على انه لاشيء عندهم الا كتاب الله، ففيه دليل ان عندهم ماليس في كتاب الله، وهو خلاف ما أصّلت . والجواب عن ذلك مذكور في الدليل الثاني وهو السنة بحول الله اه

ثم قال في (المسألة الثانية) من مسائل الدليل الثاني (السنة) ما نصه وفيه بيان ما وعد به:

« رتبة السنة التأخر عن الـكتاب في الاعتبار ، والدليل على ذلك أمور (احدها) ان الكتاب مقطوع به والسنة مظنونة ، والقطع فيها انما يصح في الجملة لافي التفصيل . بخلاف الـكتاب فانه مقطوع به في الجملة والتفصيل ، والمقطوع به مقدم على المظنون فلزم من ذلك تقديم الـكتاب على السنة

(والثاني) ان السنة اما بيان للـكتاب أو زيادة على ذلك ، فان كان بيانا كان ثانيا على المبين في الاعتبار ، اذ يلزم من سقوط المبين سقوط البيان ولا يلزم من سقوط البيان سقوط المبين ، وما شأنه هذا فهو أولى في التقدم ، وان لم يكن بيانا فلا يعتبر الا بعد ان لايوجد في الـكتاب ، وذلك دليل على تقدم اعتبار الكتاب

(والثالث) مادل على ذلك من الاخبار والآثار كحديث معاذ « بم تحكم ؟ قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد ، قال بسنة رسول الله ، قال فان لم تجد ، قال أجتهد رأيي ، الحديث[3] وعن عمر بن الخطاب أنه كتب الى شريح : اذا أتاك

---

(١) لعل الاصل (في) وجواب الشرط قوله : فالقسم الآخر الخ (٢) اخرجه احمد والبخاري وابو داود والترمذي والنسائي عن ابي جحيفة قال قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي ما ليس في القرآن فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن ومافي هذه الصحيفة الخ والاستثناء منقطع، وسياق المصنف محرف (٣) رواه ابو داود والترمذي والدارمي

أمر فاقض بما في كتاب الله، فان أتاك ماليس في كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله (ص) الخ وفي رواية : اذا وجدت شيئا في كتاب الله فاقض فيه ولا تلتفت الى غيره . بين معنى هذا في رواية اخرى، انه قال له : انظر ماتبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه احدا ، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله[1] (ص) ومثل هذا عن ابن مسعود : من عرض له منكم قضاء فليقض بما في كتاب الله ، فان جاءه ماليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه (ص) الحديث[2] وعن ابن عباس انه كان اذا سئل عن شيء فان كان في كتاب الله قال به ، فان لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله (ص) قال به . وهو كثير في كلام السلف والعلماء . وما فرق به الحنفية بين الفرض والواجب راجع الى تقدم اعتبار الكتاب على اعتبار السنة، فان اعتبار الكتاب اقوى من اعتبار السنة . وقد لا يخالف غيرهم في معنى تلك التفرقة . « والمقطوع به في المسألة ان السنة ليست كالكتاب في مراتب الاعتبار »

« فان قيل هذا مخالف لما عليه المحققون - اما أولا فان السنة عند العلماء قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة ، لأن الكتاب يكون محتملا لأمرين فأكثر فتأتي السنة بتعيين احدهما فيرجع الى السنة ويترك مقتضى الكتاب. وايضا فقد يكون ظاهر الكتاب أمرا فتأتي السنة فتخرجه عن ظاهره ، وهذا دليل على تقديم السنة ، وحسبك انها تقيد مطلقه وتخص عمومه وتحمله على غير ظاهره حسبما هو مذكور في الاصول ، فالقرآن آت بقطع كل سارق فخصت السنة من ذلك سارق النصاب المحرز ، وأتى بأخذ الزكاة من جميع الاموال ظاهرا فخصته السنة بأموال مخصوصة . وقال تعالى « وأحل لكم ماوراء ذلكم » فأخرجت من ذلك نكاح المرأة على عمتها أو خالتها . فكل هذا ترك لظواهر الكتاب وتقديم للسنة عليه ، ومثل ذلك لا يحصى كثرة

« واما ثانيا فان الكتاب والسنة اذا تعارضا فاختلف أهل الاصول هل يقدم

---

(١) رواه ابن شيبة وابن جرير والبيهقي وغيرهم (٢) رواه عبد الرزاق في جامعه والدارمي وابن جرير في تهذيبه والبيهقي وغيرهم بالفاظ مختلفة وهو ليس من الحديث المرفوع

الكتاب على السنة أم بالعكس أم هما متعارضان ؟ وقد تكلم الناس في حديث معاذ ورأوا انه خلاف الدليل ، فان كل ما في الكتاب لا يقدم على كل السنة فان الاخبار المتواترة لا تضعف في الدلالة عن أدلة الكتاب ، واخبار الآحاد في محل الاجتهاد مع ظواهر الكتاب ولذلك وقع الخلاف ، وتأولوا التقديم في الحديث على معنى البداية بالاسهل الاقرب وهو الكتاب ، فاذا كان الامر على هذا فلا وجه لاطلاق القول بتقديم الكتاب بل المتبع الدليل

« فالجواب ان قضاء السنة على الكتاب ليس بمعنى تقديمها عليه واطراح الكتاب بل ان ذلك المعبر في السنة هو المراد في الكتاب فكان السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب ، ودل على ذلك قوله « لتبين للناس ما نزل اليهم » فاذا حصل بيان قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » بأن القطع من الكوع وان المسروق نصاب فأكثر من حرز مثله فذلك هو المعنى المراد من الآية ، لا أن نقول ان السنة أثبتت هذه الاحكام دون الكتاب ، كما اذا بين مالك أو غيره من المفسرين معنى آية أو حديث فعملنا بمقتضاه فلا يصح لنا ان نقول اننا عملنا بقول المفسر الفلاني دون أن نقول عملنا بقول الله أو قول رسوله عليه السلام . وهكذا سائر ما بينته السنة من كتاب الله تعالى . فمعنى كون السنة قاضية على الكتاب انها مبينة له فلا يوقف مع إجماله واحتماله ـ وقد بينت المقصود منه ـ لا أنها مقدمة عليه

« وأما خلاف الاصوليين في التعارض فقد مر في أول كتاب الادلة ان خبر الواحد اذا استند الى قاعدة مقطوع بها فهو في العمل مقبول والا فالتوقف، وكونه مستنداً الى مقطوع به راجع الى انه جزئي تحت معنى قرآني كلي وتبين معنى هذا الكلام هنالك . فاذا عرضنا هذا الموضع على تلك القاعدة وجدنا المعارضة في الآية والخبر معارضة أصلين قرآنيين فيرجع الى ذلك ، وخرج عن معارضة كتاب مع سنة، وعند ذلك لا يصح هذا التعارض الا من تعارض قطعيين، واما اذا لم يستند الخبر الى قاعدة قطعية فلا بد من تقديم القرآن على الخبر باطلاق

« وأيضا فان ماذكر من تواتر الاخبار انما غالبه فرض أمر جائز ، ولعلك

لانجد في الاخبار النبوية مايقتضي بتواتره الى زمن الواقعة ، فالبحث المذكور في المسألة بحث في غير واقع أو نادر الوقوع ولا كبير جدوى فيه والله أعلم

(المسألة الثالثة) السنة راجعة في معناها الى الكتاب فهي تفصيل مجمله ، وبيان مشكله ، و بسط مختصره ، وذلك لانها بيان له ، وهو الذي دل عليه قوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) فلا تجد في السنة أمرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية . وأيضا فكل مادل على ان القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل على ذلك ـ ولان الله قال (وانك لعلى خلق عظيم) وفسرت عائشة ذلك بأن خلقه القرآن واقتصرت في خلقه على ذلك ، فدل على أن قوله وفعله واقراره راجع الى القرآن ، لان الخلق محصور في هذه الاشياء ـ ولان الله جعل القرآن تبيانا لكل شيء فيلزم من ذلك ان تكون السنة حاصلة فيه في الجملة ، لان الامر والنهي أول مافي الكتاب . ومثله قوله (مافرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو يريد بانزال القرآن ، فالسنة اذا في محصول الامر بيان لما فيه ،وذلك معنى كونها راجعة اليه ـ وأيضا فالاستقراء التام دل على ذلك حسبما يذكر بعد بحول الله ، وقد تقدم في أول كتاب الادلة ان السنة راجعة الى الكتاب والا وجب التوقف عن قبولها وهو أصل كاف في هذا المقام »

ثم أورد الشاطبي الشبهات على هذا مع ردها ، وملخصها انه غير صحيح من أوجه (١) الآيات الواردة في تحكيم النبي (ص) واتباعه وطاعته واخذ ماأعطى والانتهاء عما نهى وحذر المخالفة عن أمره (٢) الاحاديث الدالة على ذم ترك السنة (٣) الاستقراء الدال على ان في السنة احكاما كثيرة لم ينص عليها القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وتحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ...(٤) « ان الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم خارجين عن السنة اذ عولوا على ما بنيت عليه من ان الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة فاداهم ذلك الى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله » وأورد بعض الاخبار والآثار عن الصحابة في ذلك

ثم أجاب بأن هذه الوجوه المذكورة لاحجة فيها على خلاف ماتقدم ، وتكلم

عن كل وجه منها . وملخص الجواب عن الوجه الاول والثاني ان السنة تطاع لأنها بيان للقرآن فطاعة الله العمل بكتابه وطاعة الرسول العمل بما بين به كتاب الله تعالى قولا أو عملا أو حكما ، ولو كان في السنة شيء لا أصل له في الكتاب لم تكن بيانا له ، ولا يخرج من هذا مافي السنة من التفصيل لاحكام القرآن الاجمالية وان كان تتراءى أنها ليست منه كالصلاة المجملة في القرآن المفصلة في السنة ولكننا علمنا بهذا التفصيل انه هو مراد الله من الصلاة التي ذكرها في كتابه مجملة . وملخص الجواب عن الرابع ان خروج أولئك الخوارج عن السنة لمكان اتباعهم الرأي والهوى واطراحهم السنن المبينة للقرآن . يعني انهم جعلوا بيانهم له أولى من بيان الرسول الذي جعله الله مبينا له . وقال في هذا الموضع « نعم يجوز ان تأتي السنة بما ليس فيه مخالفة ولا موافقة بل بما يكون مسكوتا عنه في القرآن الا اذا قام البرهان على خلاف هذا الجائز وهو الذي ترجم له في هذه المسألة فحينئذ لابد في كل حديث من الموافقة لكتاب الله كما صرح به الحديث المذكور فمعناه صحيح صح سنده أولا » اي فهذا الامر الجائز غير واقع ، والمراد بالحديث الذي اشار اليه الحديث الذي فيه وجوب موافقة الحديث للقرآن بعد عرضه عليه وقد اطال في تأييده

وأما الوجه الثالث فقد عقد له مسألة خاصة (وهي المسألة الرابعة) استغرقت خمس عشرة صفحة من الكتاب بين فيها بالادلة والامثلة والشواهد أنه لم يصح في السنة حكم لا أصل له في القرآن، بل كل ما ورد في ذلك له أصل هو بيان له، فليراجع ذلك من شاء

أما المسلك الذي سلكه (الشاطبي) في ارجاع بعض الاحكام الثابتة في السنة الى القرآن فهو انه ذكر الاصول الكلية التي تدور عليها أحكام القرآن في جلب المصالح ودفع المفاسد من الضروريات والحاجيات والتحسينيات و بين أن كل مافي السنة راجع اليها وضرب الامثلة في الضروريات الخمس الكلية وهي حفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض وقال « ويلحق بها مكملاتها، والحاجيات و يضاف اليها مكملاتها ولا زائد على هذه الثلاثة المقررة في كتاب المقاصد (أي من كتابه هذا) واذا نظرنا الى السنة وجدناها لاتزيد على تقرير هذه الامور فالكتاب

أتى بها أصولا يرجع اليها ، والسنة أتت بها تفريعا على الكتاب وبيانا لما فيه منها ولا تجد في السنة الا ماهو راجع الى تلك الاقسام

ثم بين ان الحاجيات تدور على قطب التوسعة والتيسير والرفق ورفع الحرج وأصل ذلك في القرآن وبيان السنة له بالعمل والقول، ون التحسينيات كالحاجيات فانها ترجع الى الآداب ومحاسن الاخلاق وأصلها في القرآن وبيان السنة لها كذلك بما هو أوضح في الفهم وأشفى في الشرح، وبين مسالك السنة في الاجتهاد في القرآن والقياس على أصوله وعلله لحفظ مقاصدها وبيانها للناس واخذ المعنى العام من مجموع ادلته المتفرقة وفقه مقاصده منها

وقد أورد الشواهد على ذلك والامثلة له . مثال من ذلك قوله في أصل حفظ المال: «وله أمثلة أحدها ان الله عز وجل حرم الربا ، وربا الجاهلية الذي قالوا فيه « إنما البيع مثل الربا » هو فسخ الدين في الدين ، يقول الطالب : إما ان تقضي وإما ان تربي . وهو الذي دل عليه أيضا قوله تعالى ﴿ وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ فقال عليه السلام « وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله » واذا كان كذلك وكان المنع فيه إنما هو من أجل كونه زيادة على غير عوض ، ألحقت السنة به كل ما فيه زيادة بذلك المعنى» وذكر حديث بيع الاصناف الستة سواء بسواء يدا بيد . ومن أراد الاطلاع على أمثلة كل نوع مما ذكره فليرجع الى كتابه

وقال في اواخر هذه المسألة : (فصل) وقد ظهر مما تقدم الجواب عما أوردوا من الاحاديث التي قالوا ان القرآن لم ينبه عليها . فقوله عليه السلام « يوشك رجل منكم متكئا على اريكته » الى آخره لايتناول مانحن فيه فان الحديث انما جاء فيمن يطرح السنة معتمدا على رأيه في فهم القرآن ، وهذا لم ندعه في مسألتنا هذه بل هو رأي أولئك الخارجين عن الطريقة المثلى . وقوله « الا وان ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله » صحيح على الوجه المتقدم إما بتحقيق المناط الدائر بين الطرفين الواضحين والحكم عليه وإما بالطريقة القياسية وإما بغيرها من المآخذ المتقدمة » اه

أقول الحديث الذي ذكر بعضه اكتفاء بذكره كله في الحجج التي أوردها

على قاعدته هو حديث المقدام بن معديكرب رواه احمد وابن ماجه والحاكم بلفظ « يوشك أن يقعد الرجل متكئا على اريكته يحدّث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، الا وان ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله » وسنده حسن فيه زيد بن الحباب قال فيه الامام احمد انه صدوق كثير الخطأ وذكره ابن حبان في الثقات ووصفه بكثرة الخطأ أيضا. وتكلموا في احاديث له عن سفيان تستغرب. وقد تركه الشيخان لذلك. واللفظ الآخر « لاألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من امري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لاندري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه » رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي رافع وقال الترمذي حسن وذكر ان بعضهم رواه مرسلا.

ومن القواعد التي يجب مراعاتها في هذا الباب ماينهى عنه النبي (ص) من من المباحات لكراهته لا لتحريمه، أو للمنع منه موقتا لعلة عارضة، ويوشك ان النهي عن أكل لحوم السباع من الاول، وعن الحمر الأهلية مع الاذن باكل الخيل يوم خيبر من الثاني، لولا ما روي بلفظ التحريم. ومثال العلة العارضة قلة الشيء مع الحاجة اليه، كما تنهى بعض الحكومات احيانا عن بيع الخيل في ايام الحرب او عن ذبح البقر لشدة الحاجة اليها في الفلاحة. وقد يرد الحديث بلفظين احدهما لفظ النبي (ص) والآخر لفظ بمعناه بحسب فهم الراوي. فقد روى مسلم واصحاب السنن ما عدا الترمذي من حديث ابن عباس ان النبي (ص) نهى عن كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وعن ابي هريرة انه قال « كل ذي ناب من السباع فأكله حرام » فيجوز ان يكون روي احدهما بالمعنى، فان كان حديث ابي هريرة هو المروي بالمعنى يجوز حمل النهي على الكراهة فلا يكون الحديث معارضا لحصر المحرمات فيما حصرها فيه القرآن. وفي معناه حديث ابي ثعلبة الخشني عند الجماعة ماعدا البخاري وابا داود. وله روايات أخرى. ولعل مالكا كان يفهم منه هذا فقد روي عنه قول بكراهة اكل هذه الاشياء وقول

بالاجتهاد وقد فات هذا صاحب الموافقات مع انه من فقهاء مذهب مالك. وسنعود الى مسألة السباع في تفسير الاية الآتية

وجملة القول ان الله تعالى اكمل الدين بالقرآن و بيان نبيه (ص) للناس ما نزل اليهم فيه ، فما صح من بيانه لا يعدل عنه الى غيره وما بعد سنته نور يهتدى به في فهم أحكامه للعالم بلغته مثل اجماع الصحابة أو عمل السواد الأعظم منهم وممن تبعهم في هداهم، فمن رغب عن سنتهم ضل وغوى، ولم يسلم من اتباع الهوى، واما ما توسع فيه بعض المصنفين في الفقه بعد الصحابة والتابعين من احكام العبادات والحلال والحرام بدعوى القياس الشرعي فهو ينافي اكمال الدين ويسره ورفع الحرج منه، وقد أنكر بعض أئمة العلماء هذا القياس وخصه بعضهم بما عدا العبادات، وفي معناها الحلال والحرام، على أنهم يستنبطون من عبارات شيوخهم فيجعلونها كنصوص الشرع، وان لم تضبط بالرواية كما ضبطت نصوص الشرع، و يعدون تعليلاتهم كتعليلات الكتاب والسنة ، فيجعلونها دليلا على الاحكام ومداراً للاستنباط ، بل صاروا يقدمونها على الكتاب والسنة، فما وافقها منهما جعلوه دليلا لها ، وما خالفته منهما أوجبوا العمل بها دونهما ، فصارت أحكام الدين المستنبطة على هذه الطريقة، أضعاف اضعاف الاحكام المنصوصة ، وهجر الكتاب والسنة لأجلها . فهل يتفق هذا مع الاعتقاد بأن الله أكمل الدين بكتابه ، و بينه بسنة رسوله (ص) ؟ أما القياس الصحيح ، وما نيط منه بأولي الأمر من المؤمنين ، فقد بيناه في تفسير (٤ : ٥٨ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) (* وسيأتي لهذه المباحث مزيد في تفسير « لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » من هذه السورة ان شاء الله تعالى

والمختار عندنا في اكمال الدين ما قاله ابن عباس وتبعه عليه الجمهور من أن المراد بالدين عقائده وأحكامه وآدابه ، العبادات وما في معناها بالتفصيل ، والمعاملات بالاجمال ونوطها بأولي الامر . ويدخل فيه ما اختاره ابن جرير من أمر الحج دخولا أوليا بقرينة الحال ، وأمر القوة وا كتفاء أمر المشركين قد علم من قوله

---

*) راجع المسألة السادسة من المسائل التي أوضحنا بها تفسير الآية في ص ٢١٠ والمسألة العاشرة في ص ٢١٧ من جزء التفسير الخامس أو في المنار ٦ ان لم تطالع تفسير الآية كله

« اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ويزيده تقريرا وتأكيدا قوله « وأتممت عليكم نعمتي » ولولا ان المراد بالدين جملته ومجموعه لما قال « ورضيت لكم الاسلام دينا » فالعجب من ابن جرير كيف أذهله ماتوهمه من تعارض الروايات عن هذا النص. وان قول ابن عباس (رض) ان اكمله فلا ينقصه أبدا اثبت وأظهر من قول عمر (رض) مابعد الكمال الا النقص ، الا أن يجمع بينهما بان ابن عباس اراد الدين نفسه ، وعمر اراد قوة الاخذ والاستمساك به والاخلاص فيه ، إذ لاشك في ان هذا المعنى كان في عهد النبي (ص) أتم وأكمل فالراجح انه هو مراد عمر ويؤيده ماروي عنه انه فهم من الآية قرب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وروي ذلك عن ابي بكر أيضا ،رضي الله عنهما وعن سائر الآل والصحب الصادقين المخلصين ، الذين حفظوا لنا بحفظ القرآن والعمل به وبالسنة هذا الدين ، فالعمدة في معرفته حق المعرفة القرآن والسنة العملية التي لم تعرف الا بجريهم عليها ، ولا سعة لمسلم ان يخرج عن هذين الأمرين باجتهاده ورأيه ، اما مالم يجر عليه العمل ولم يرد في القرآن من أخبار الآحاد القولية أو العملية التي لم تكن سنة متبعة للسواد الأعظم منهم ،فهي التي يجوز ان تكون محلا لاجتهاد المجتهدين من حيث صحة روايتها وتحقيق المراد منها ، وسلامتها من المعارضة ، والترجيح بين المتعارضات منها ، ولا يصح ان يكون شيء من ذلك عقيدة ولا أمرا كليا من أمور الدين ، اذ لو صح هذا لكان منافيا لمنة الله على المؤمنين كافة بأنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة ، ولا يعقل ان يكون هذا الاكمال والاتمام متوقفا على مالم يطلع عليه الا الآحاد من الناس . بل يكون هذا النوع في الفروع والمسائل الجزئية التي ينفع العلم بها ، ولا يضر احدا في دينه ان يجهلها ، ولهذا لم يشترط أحد من العلماء في الاجتهاد والامامة في فهم الدين الاحاطة بأحاديث الآحاد المتعلقة بهذه الجزئيات

ثم قال عز وجل ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم ﴾ الاضطرار هو دفع الانسان الى ما يضره وحمله عليه أو إلجاؤه اليه. فهو صيغة افتعال من الضرر ، وهذه الصيغة تدل على التكلف فالاضطرار تكلف مايضر بملجئ يلجئ اليه. والملجئ الى ذلك إما ان يكون من نفس الانسان وحينئذ لابد ان يكون ضررا حاصلا أو متوقعا

يلجئ الى التخلص منه بما هو أخف منه عملا بقاعدة « ارتكاب اخف الضررين » الثابتة عقلا وطبعا وشرعا ، واما ان يكون من غير الانسان كإكراه بعض الاقوياء بعض الضعفاء على ما يضرهم ، ومن هذا القبيل قوله تعالى (ثم أضطره الى عذاب النار) وما نحن فيه من القسم الأول ، والضرر الملجئ فيه هو المخمصة أي المجاعة ، وهي مأخوذة من خمص البطن أي ضموره لفقد الطعام ، فالجوع ضرر يدفع الانسان الى تكلف أكل الميتة وان كان يعافها طبعا ويتضرر بها او تكلف أكلها في حال الاختيار سواء كان بها علة أم لا ، وقد وافق الشرع الفطرة فأباح المضطر أكل الميتة وغيرها من المحرمات لهذه الضرورة . ولا يبيح ذلك أي جوع يعرض للانسان ولا الجوع الشديد مطلقا بل الجوع الذي لا يجد معه الجائع شيئا يسد به رمقه الا المحرم مما ذكر . يدل على هذا المعنى قوله « في مخمصة » أي فمن اضطر فاكل مما ذكر حال كونه في مجاعة محيطة به إحاطة الظرف بالمظروف لا يجد منفذا منها الا ما ذكر ، وحال كونه « غير متجانف لاثم » أي غير جائر فيه أو متمايل اليه متعمد له ، فالجنف الميل والجور ويصدق بالميل الى الاكل ابتداء و بالجور فيه باكل الكثير ، وهو في معنى قوله في آيتي الانعام والنحل « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » أي غير طالب له ولا متعمد ومتجاوز قدر الضرورة فيه . فعبارة سورة المائدة أوجز ، وانما اشترط هذا لأن الاباحة للضرورة فيشترط تحققها أولا وكونها هي الحامل على الاكل ، وان تقدر بقدرها فيأكل بقدر ما يدفع الضرر لا يعدوه الى الشبع ، وهذا الشرط معقول في حكم الضرورات فهو نافع المضطر ادبا وطبعا لانه يمنعه ان يتجرأ على تعود ما فيه مهانة له وضرر ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ أي فمن اضطر الى أكل شيء مما ذكر فأكل منه في مجاعة لا يجد فيها غيره وهو غير مائل اليه لذاته ولا جائر فيه متجاوز قدر الضرورة فان الله غفور لمثله لا يؤاخذه على ذلك ، رحيم به يرحمه ويحسن اليه .

الاصل في الاشياء الحل اذ من المعلوم بسنن الفطرة وآيات الكتاب ان الله سخر هذه الارض وما فيها للناس ينتفعون بها ، ويظهرون اسرار خلق الله وحكمه فيها ، وانما المحظور عليهم هو ما يضرهم ، ولكن الناس لا يقفون عند حدود الفطرة ،

واتقاء المضرة وجلب المنفعة ، بل دأبهم الجناية على فطرتهم ، والتصدي احيانا لفعل مايضرهم وترك ماينفعهم ، ومن ذلك ان العرب استباحت أكل الميتة والدم المسفوح من الخبائث الضارة ، وحرمت على أنفسها بعض الطيبات من الانعام بأوهام باطلة ، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك كما سيأتي بيانه في أواخر هذه السورة وفي سورة الانعام ، ولأجل هذا كانت الحاجة قاضية ببيان ما يحله الله تعالى مما حرموه ، بعد بيان ما حرمه مما احلوه ، وذلك قوله تعالى :

﴿ يسألونك ماذا احل لهم ﴾ الخ أي يسألك المؤمنون أيها الرسول : ماذا احل لهم من الطعام أو اللحوم خاصة ؟ والسؤال يتضمن معنى القول فهو حكاية لقولهم ، وانما قال « لهم » لا « لنا » مراعاة لضمير الغائب في « يسألونك » ويجوز في مثله مراعاة اللفظ كما هنا ومراعاة المعنى ، يقولون : أقسم زيد ليفعلن كذا ، ولأفعلن كذا . وقد ذكر أهل التفسير المأثور عدة روايات في هذا السؤال منها حديث ابي رافع عند الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه وملخصه أن النبي (ص) لما أمر ابا رافع بقتل الكلاب في المدينة جاء الناس فقالوا يارسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها ؟ فأنزل الله الآية فقرأها ، وذكر مسألة صيد الكلاب وأكل ما أمسكن منه كأنه تفسير لها . وروى ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير ان عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله (ص) فقالا يارسول الله قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا ؟ فنزلت . واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عامر ان عدي بن حاتم الطائي أتى رسول الله (ص) فسأله عن صيد الكلاب فلم يدر مايقول حتى انزل الله هذه الآية في المائدة « تعلمونهن مما علمكم الله » فاذا صحت هذه الروايات بلفظها فهي دليل على ان المائدة لم تنزل دفعة واحدة كما هو ظاهر روايات اخرى ، والا فهي مروية بالمعنى

﴿ قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ﴾ الطيب ضد الخبيث والمقابلة بينهما في القرآن كثيرة كقوله تعالى « قل لا يستوي الخبيث والطيب » وقد استعملا في الاناسي والاشياء والافعال والاقوال ومنه مثل الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة في سورة الرعد ، ومنه « بلدة طيبة » . قال الراغب الخبث

والخبيث ما يكره رداءة وخساسة محسوسا كان أو معقولا ، وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد . اه وقال في الحرف الآخر : وأصل الطيب ماتستلذه الحواس وما تستلذه النفس اه فجمل الطيب اخص من مقابله في بابه ، والصواب ماقلناه ، والطيبات من الطعام هي ماتستطيبه النفوس السليمة الفطرة المعتدلة المعيشة بمقتضى طبعها فتأكله باشتهاء ، وما أكله الانسان باشتهاء هو الذي يسيغه ويهضمه بسهولة فيتغذى به غذاء صالحا . وما يستخبثه ويعافه لايسهل عليه هضمه ولا ينال منه غذاء صالحا . فما حرمه الله في الآية السابقة خبيث بشهادة الله الموافقة لفطرته التي فطر الناس عليها ، فما زال السواد الاعظم من اصحاب الطباع السليمة والفطرة المعتدلة يعافون أكل الميتة حتف أنفها وما ماثلها من فرائس السباع والمترديات والنطائح ونحوها ، وكذلك الدم المسفوح ، وأما لحم الخنزير فانما يعافه من يعرف ضرره وانهماكه في اكل الاقذار . و (الجوارح) جمع جارحة وهي الصائدة من الكلاب والفهود والطيور كما قال الراغب ، قال المفسرون سميت الصوائد جوارح من الجرح بمعنى الكسب فهي كالكاسب من الناس قال تعالى (ويعلم ماجرحتم في النهار) أي كسبتم ، وقيل من الجرح بمعنى الخدش أي انمن شأنها ان تجرح ما تصيده ، و (مكلبين) اسم فاعل من التكليب وهو تعليم الجوارح وتأديبها واضراؤها بالصيد ، وأصله تعليم الكلاب ، غلب لانه الاكثر ، وقيل انه من الكلب (بالتحريك) بمعنى الضراوة يقال : هو كلب (ككتف) بكذا ، اذا كان ضاريا به وموضع « مكلبين » النصب على الحال ، وكذلك جملة « تعلمونهن مما علمكم الله » أو هي استئناف ، أي انتم تعلمونهن مما علمكم الله ، أي مما ألهمكم الله إياه وهداكم اليه من ترويضها والانتفاع بتعليمها ، وما ألهمكم ذلك الانتفاع الا وهو يبيحه لكم ، ونكتة هذه الجملة على القول بأنها حالية مراعاة استمرار تعاهد الجوارح بالتعليم لان اغفالها ينسيها ماتعلمت فتصطاد لنفسها ولا تمسك على صاحبها ، واما كما عليه شرط لحل صيدها نص عليه في الجملة التي بعد هذه . وهذا التعليل الذي ألهمنيه الله تعالى أظهر مما قالوه من انه المبالغة في اشتراط التعليم . واذا كانت الجملة مستأنفا فنكتتها تذكير الناس بفضل الله عليهم بهدايتهم الى مثل هذا التعليم ، على سنة القرآن في

مزج الاحكام بما يغذي التوحيد وينمي الاعتراف بفضل الله وشكر نعمه. وغاية تعليم الجارح ان يتبع الصيد بإغراء معلمه أو الصائد به وينزجر بزجره ويمسك الصيد عليه.

والمعنى أحل لكم أكل الطيبات كلها وصيد ما علمتم من الجوارح بشرطه.

أما الطيبات فظاهر الحصر في آيتي الانعام والنحل ان كل ما عدا المنصوص من المحرمات طيب فهو حلال، ولولاه لكان الظاهر ان يقال ان من الطعام ماهو خبيث بنص الكتاب وهو ماذكر في الآية السابقة، ومنه ماطيب حل بنص الكتاب كبهيمة الانعام وصيد البر والبحر أي ماشأنه ان يصاد منها. فاما البحر فكل حيوانه يصاد، واما البر فانما يصاد منه للاكل في العادة والعرف الغالب ما عدا سباع الوحش والطير، فتكون هذه السباع حراما، وهو ظاهر حديث ابن عباس «نهى رسول الله (ص) عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» وحديث أبي ثعلبة الخشني «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام» رواهما أحمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا الترمذي في الاول وأبا داود في الثاني. ومن أخذ بالحصر في الآيتين جعل النهي عما ذكر نهي كراهة وهو المشهور من مذهب مالك كما قال ابن العربي، وقال ابن رسلان مشهور مذهبه على اباحة ذلك. وهو لاينافي كراهة التنزيه، وكأنه يرى ان حديث أبي ثعلبة مروي بالمعنى ان كان قد بلغه، والسبع عند الشافعي مايعدو على الناس والحيوان فيخرج الضبع والثعلب لانهما لا يعدوان على الناس، وعند أبي حنيفة كل ما أكل اللحم قالوا فيدخل فيه الضبع والضب والنهر، واليربوع والفيل (؟) على ان النبي (ص) قد أجاز أكل الضب كما في حديث خالد بن الوليد وحديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما، وأحاديث أخرى، وصرح بانه يعافه لانه لم يكن في أرض قومه، وأجاز أكل الضبع، رواه أحمد والشافعي وأصحاب السنن وغيرهم وصححه الترمذي وغيره. وهو يدل لما ذكرناه من أخذ تحريم السباع من مفهوم الصيد، ونصه عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبدالله بن أبي عمارة قال قلت لجابر: الضبع أصيد هي؟ قال نعم، قلت آكلها؟ قال نعم، قلت آكلها؟ قال نعم، قلت أقاله رسول الله (ص)؟ قال نعم.

ويمكن ان يقال أيضا – لولا ماذكر من الحصر –: ان مالا نص في الكتاب

على حله أو على حرمته قسمان طيب حلال وخبيث حرام ، وهل العبرة في التمييز بينهما ذوق أصحاب الطباع السليمة أو يعمل كل أناس بحسب ذوقهم ؟ كل من الوجهين محتمل ، والموافق لحكمة التحريم الثاني وهو انه يحرم على كل أحد أن يأكل ماتستخبثه نفسه وتعافه لأنه يضره ولا يصلح تغذيته ، ولذلك قال بعض الحكماء : ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته ، وما أكلته وأنت لاتشتهيه فقد أكلك .
ويروى عن الشافعي ان العبرة ذوق اصحاب الطباع السليمة من العرب الذين خوطبوا بهذا أولا ، ويرد عليه ان النبي (ص) عاف أكل الضب وعلله بأنه ليس في ارض قومه واذن لغيره بأكله وصرح بأنه لا يحرمه ، فلا يحكم بذوق قوم على ذوق غيرهم ، وليس هذا أمر يتعلق باللغة حتى يقال انهم هم الذين خوطبوا بهذا النص أولا فالعبرة بفهمونه منه والناس لهم فيه تبع ، بل هو أمر متعلق بالاذواق والطباع ، ومعناه احل لكم أيها المكلفون مايستطاب أكله ويشتهى دون مايستخبث ويعاف، وحينئذ تكون العبرة بالسواد الاعظم من سليمي الطباع غير ذوي الضرورات والمعيشة الشاذة ، أو يختلف باختلاف الطباع بين الاقوام

هذا مارأينا بيانه في حل الطيبات واما صيد الجوارح فقد قيد النص حله بأن يكون الجارح الذي صاده مما أدبه الناس وعلموه الصيد حتى يصح أن ينسب الصيد اليهم ويكون قتل الجارح له كتذكية مرسله إياه فيخرج بذلك عن ان يكون من الفرائس ولذلك اشترط ان لا يأكل منه في قوله عز وجل ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ أي فكلوا من الصيد ما تمسكه الجوارح عليكم ، أي تصيده لاجلكم فتحبسه وتقفه عليكم بعدم أكلها منه فان أكلت منه لا يحل أكل ما فضل عنها لأنه مثل فريسة السبع المحرمة في الآية السابقة ، بل هي منها لأن الكلاب ونحوها من السباع ، وكذلك تسمى السباع كلابا ، ومنه حديث « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » روى احمد والشيخان عن عدّي بن حاتم ان النبي (ص) قال له « اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه » وفي رواية « اذا ارسلت كلبك المعلم فاذكر اسم الله ، فان امسك عليك فأدركته حيا فاذبحه ،

ان أدركته قد قَتلَ ولم يأكل منه فكله فان اخذ الكلب ذكاة » الحديث متفق عليه ، والحكم مجمع عليه ،

وروي عن بعض السلف الاخذ بظاهر عموم « مما أمسكن » فقالوا كل ماجاء به الكلب أو غيره أكل منه أو لم يأكل فهو قد أمسكه على صاحبه فله أكله وان لم يدرك فيه ذكاة . روى ابن جرير وغيره نحو هذا عن ابن عمر وسعد، وعن أبي هريرة وسلمان انهما قالا « وان أكل ثلثيه وبقي الثلث فكل » وعليه مالك. وفرق آخرون بين الكلاب ونحوها من السباع وبين الطير كالبازي فاباحوا ما أكل منه الطير دون ما أكل منه الكلب . روى ابن جرير هذا عن ابن عباس وعطاء والشعبي وابراهيم النخعي . ومن اسباب الخلاف في المسألة الخلاف في حد التعليم الذي اشترطه الكتاب في حل صيد الجوارح وأكد اشتراطه حتى لا يتساهل المسلم الضعيف النفس في أكل فضلات الكلاب والسباع . وقد اكتفى بعض العلماء في حد التعليم بطاعة الكلب ونحوه لمعلمه ثلاث مرات . وروى هذا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وعن أبي حنيفة مرتين . وعند الشافعية العبرة بالعرف . وحقيقة التعليم عند الجمهور ان يطلب الكلب أو البازي أو غيرهما الصيد اذا أغري به ويجيب اذا دعي - ويسمى ذلك إشلاء واستشلاء - ولا ينفر من صاحبه وان يمسك الصيد عليه . وموضع الخلاف في هذا الامساك المنصوص هل يشترط فيه ان لا يأكل الجارحة منه شيئا قط؟ أم يعد كل ماجاء به امساكا على صاحبه وان أكل بعضه ؟ الجمهور على الاول وهو الذي قدمناه لقوله (ص) في حديث عدي المتفق عليه « فاني أخاف ان يكون انما أمسك على نفسه » وهذا الحديث معارض بحديث أبي ثعلبة الخشني قال قال النبي (ص) في صيد الكلب « اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله تعالى فكل وان أكل منه ، وكل ماردت عليك يدك » رواه أبو داود وفي اسناده داود بن عمرو الأودي الدمشقي عامل واسط وثقه يحيى بن معين وقال أحمد حديثه مقارب وقال أبو زرعة لا بأس به وقال ابن عدي ولا أرى برواياته بأسا وقال العجلي ليس بالقوي وقال أبو زرعة الرازي هو شيخ. ومعنى قوله «ماردت

يدك » ماصدته بيدك مباشرة . قال الحافظ ابن كثير وقد طعن في حديث ثعلبة وأجيب بأنه صحيح لاشك فيه . وفي رواية أخرى له عنه قال قال لي رسول الله (ص) « كل ماردت عليك قوسك وكلبك » زاد ابن حرب « المعلم ويدك فكل ذكيا وغير ذكي » قال الخطابي في تفسير ذكي وغير ذكي : يحتمل وجهين أحدهما ان يكون أراد بالذكي ماأمسك عليه فادركه قبل زهوق نفسه فذكاه في الحلق او اللبة وغير الذكي مازهقت نفسه قبل ان يدركه ، والثاني ان يكون أراد بالذكي ما جرحه الكلب بسنه أو بمخالبه فسال دمه وغير الذكي ما لم يجرحه اه والاول أظهر لأن النبي (ص) سمى أخذ الكلب ذكاة كما تقدم . والحديث يدل على حل ما صاده الانسان بيده فمات بأخذه ولم يذكه لأن موته بيده ليس دون موته بأخذ الكلب ونحوه . وله وللنسائي ايضا من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان اعرابيا يقال له أبو ثعلبة قال يارسول الله إن لي كلابا مكلبة (كمعلمة وزنا ومعنى) فأفتني في صيدها فقال النبي (ص) « ان كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك » قال ذكيا أو غير ذكي ؟ قال « نعم » قال فان أكل منه ؟ قال « وان أكل منه » قال يارسول الله أفتني في قوسي قال « كل ماردت عليك قوسك » قال ذكيا وغير ذكي ؟ قال « ذكي وغير ذكي » قال وان تغيب عني ؟ قال « وان تغيب عنك مالم يَصَلّ (أي ينتن أو يتغير) أو تجد فيه أثر غير سهمك » ثم سأله عن آنية المجوس فأفتاه بغسلها والاكل فيها . قال الحافظ ابن حجر ولا بأس باسناده . وقد اختلفوا في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولهم فيه أقوال كثيرة سببها انه لم يسمع كل مارواه عن جده بل كان عنده صحيفة مكتوبة أو كتاب وهو مايسمونه « الوجادة » فمن ههنا ضعفه بعضهم وممن وثقه البخاري وإن لم يرو عنه في صحيحه لما له من الشروط فيه غير ثقة الراوي قال : رأيت أحمد وعليا واسحق والحميدي يحتجون بحديث عمرو بن شعيب فمن الناس بعدهم ؟ والتحقيق ما قاله الذهبي « لسنا نقول ان حديثه من أعلى أقسام الصحيح بل هو من قبيل الحسن »

فاذا كان حديث ابي ثعلبة مما يحتج به كما تقدم وهو معارض لحديث عدي

والجمع بينهما ممكن بحمل النهي في حديث عدي على كراهة التنزيه فلم لا يصار اليه ؟ قال بعضهم ان عديا كان موسرا فاختير له الحمل على الاولى بخلاف ابي ثعلبة فانه كان اعرابيا فقيرا ، وردوا هذا بتعليل الحديث بخوف ان يكون انما أمسك على نفسه ، وأقول ان مفهوم هذا التعليل ان من علم بالقرينة انه امسك عليه فله ان يأكل منه وان أكل الجارح قطعة منه لشدة جوعه مثلا كما يأكل من سائر طعام معلمه ، وان علم بالقرينة انه انما صاد لنفسه وأمسك لها لعدم انتهاء تعليمه وتكليبه فليس له أن يأكل الا اذا اعتقد ان النهي لكراهة التنزيه كما قال بعضهم . والخوف من الامساك على نفسه ترجيح له

اما « من » في قوله تعالى « مما أمسكن عليكم » فذهب ابن جرير الى انها للتبعيض فان ما يمسكه الجارحة حلال لحمه حرام فرثه ودمه فيؤكل بعضه وهو اللحم ، ورد قول بعض النحو يين انها زائدة . وأقول هي هنا مثلها في قوله تعالى « كلوا من الطيبات - كلوا من طيبات ما كسبتم - كلوا واشربوا من رزق الله - كلوا مما في الارض حلالا طيبا - كلوا من ثمره اذا أثمر » فمن في كل ذلك للابتداء على أصل معناها ، فان كانت للتبعيض فلانه الواقع غالبا لا لافادة حل بعض ما ذكر وتحريم بعض . ثم قال تعالى

﴿ واذكروا اسم الله ﴾ الظاهر المتبادر من هذا الامر اذكروا اسم الله على ما أمسكت عليكم جوارحكم من الصيد عند أكله . والمشهور ان المراد به التسمية عند ارسال الكلب ونحوه اخذا من حديث عدي بن حاتم « اذا أرسلت كلبك وسميت فأخذ فقتل فكل - وفي رواية - فان وجدت مع كلبك كلبا غيره وقد قتل فلا تأكل فانك لاتدري أيهما قتله » وفي رواية « فانما سميت على كلبك ولم تسمّ على غيره » وقد يقال ان هذا لم يرد في تفسير الآية فهو حكم قد ثبت بالسنة على رأي من يقول ان الاحكام تثبت بها وان لم يكن لها أصل في الكتاب . أو هو مأخوذ من آية أخرى كظاهر « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » أو يقال ان التسمية عند إرسال الكلب سنة

وقد اختلف العلماء في حكم التسمية اذ ليس فيها نص صريح اجمع السلف عليه ، روى ابن جرير عن ابن عباس انه قال في تفسير الآية هنا : اذا أرسلت جوارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج . فهو يرى ان التسمية عند إرسال الكلب سنة

وقد روى ذلك عن أبي هريرة أيضا وتقدم وعن طاووس، وروى البخاري والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة ان قوما قالوا يا رسول الله : ان قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال « سموا عليه انتم وكلوا » قال وكانوا حديثي عهد بالكفر . وهذا يؤيد ما قلناه قبل من ان ظاهر الآية طلب التسمية عند الاكل . واما فقهاء الامصار فقد قال الشافعي منهم بأن التسمية على الذبيحة مستحبة لا واجبة ولا شرط ، وقال ابو حنيفة ومالك واحمد في المشهور عنه هي واجبة وتسقط مع السهو والنسيان وفي رواية عن احمد انها تجب مطلقا . والعمدة في هذا الباب آية الانعام (٦ : ١٢١ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) فقد ذهب بعض مفسري الأثر الى أن المراد به ماذبح لغير الله، وذهب آخرون الى انه عام في جميع الذبائح ، قال ابن جرير بعد ذكر الروايات في الآية : والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله عني بذلك ماذبح للاصنام والآلهة أو ما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته ، واما من قال عني بذلك ماذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله وكفى بذلك شاهدا على فساده ، وقد بينا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى (لطيف القول في أحكام الشرائع الدين) فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع . واما قوله وانه لفسق فانه يعني ان أكل مالم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما اهل به لغير الله لفسق . اه وخصه بعض الشافعية بما اهل به لغير الله وجعل الجملة حالية أخذا من قوله تعالى « أو فسقا اهل لغير الله به » وهذا هو المختار عندنا وسنعود الى هذا المبحث في سورة الانعام ان شاء الله تعالى

﴿ واتقوا الله ان الله سريع الحساب ﴾ أي واتقوا الله أيها المؤمنون فيما أمركم به بأن تأتمروا به ، وفيما نهاكم عنه بأن تنتهوا عنه ، ان الله سريع الحساب لأن سنته في الجزاء على الاعمال انه أثر طبيعي لها لا يتخلف عنها ، فاعلموا أنه لا يضيع شيئا من أعمالكم بل تحاسبون وتجازون عليها في الدنيا والآخرة ، وهو يحاسب الناس كلهم يوم القيامة في وقت واحد ، فأجدر بحسابه ان يكون سريعا ، وقد تقدم تفسير هذه الجملة في سورة البقرة فليرجع اليه من شاء

ثم قال عز وجل ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾ للاتصال بين هذه الآية وما قبلها مناسبة غير سرد أحكام الطعام، وبيان أحكام الحلال والحرام، وهي ان سبب مشروعية التذكية التفصي من أكل المشركين الميتة، وسبب التشديد في التسمية على الطعام من صيد وذبيحة هو إبعاد المسلمين عما كان عليه المشركون من الذبح لغير الله تعالى بالاهلال به لاصنامهم أو وضعها على النصب، واستبدال اسم الله وحده بتلك الاسماء التي سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان، ليطهرهم من كل ما كانوا عليه من ادران الشرك. ولما كان اهل الكتاب في الاصل أهل توحيد ثم سرت اليهم نزغات الشرك ممن دخل في دينهم من المشركين ولم يشددوا في الفصل بينهم وبين ماضيهم، وكان هذا مظنة التشديد في مواكلة أهل الكتاب ومناكحتهم، كما شدد في أكل ذبائح مشركي العرب ونكاح نسائهم، بين الله لنا في هذه الآية أن لا نعامل أهل الكتاب معاملة المشركين في ذلك فأحل لنا مؤاكلتهم ونكاح نسائهم. وقد يستشكل إحلال الطيبات في ذلك اليوم على القول بأن المراد به يوم عرفة سنة حجة الوداع فإن حلها ذكر في بعض السور المكية كالاعراف. ويجاب بأن المراد انها كانت حلالا بالاجمال فلما حرم الله يوم انزال هذه السورة انواع الخبائث التي تدخل في عموم الميتة كما تقدم في الآية السابقة وكانت العرب تستحلها، ونفي تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي من طيبات الانعام وكانت العرب تحرمها، صار حل الطيبات مفصلا تمام التفصيل وحكمه مستقرا دائما، فهذا هو المراد بالنص، وقيل انه تمهيد لما بعده

وفسر الجمهور الطعام هنا بالذبائح واللحوم لان غيرها حلال بقاعدة أصل الحل ولم تحرم من المشركين وقيل انه عام يشملها. ومذهب الشيعة ان المراد بالطعام الحبوب أو البر لانه الغالب فيه، وقد سئلت عن هذا في مجلس كان أكثره منهم وذكرت الآية، فقلت ليس هذا هو الغالب في لغة القرآن فقد قال الله تعالى في هذه السورة أي المائدة (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) ولا يقول أحد ان الطعام من صيد البحر هو البر أو الحبوب. وقال (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على

نفسه من قبل ان تنزل التوراة) ولم يقل أحد ان المراد بالطعام هنا البر أو الحب مطلقا اذ لم يحرم شيء منه على بني اسرائيل لاقبل التوراة ولا بعدها . فالطعام في الاصل كل ما يطعم أي يذاق أو يؤكل، قال تعالى في ماء النهر حكاية عن طالوت ﴿ فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ﴾ وقال (فاذا طعمتم فانتشروا) أي أكلتم. وليس الحب مظنة التحليل والتحريم وانما اللحم هو الذي يعرض له ذلك لوصف حسي كموت الحيوان حتف انفه وما في معناه، أو معنوي كذكر اسم غير الله عليه، ولذلك قال تعالى (٦: ١٤٥ قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا) الآية ، وكله يتعلق بالحيوان، وهو نص في حصر التحريم فيما ذكر فتحريم ماعداه يحتاج الى نص. وقد شدد الله فيما كان عليه مشركو العرب من أكل الميتة بأنواعها المتقدمة والذبح للاصنام لئلا يتساهل به المسلمون الاولون تبعا للعادة. وكان أهل الكتاب أبعد منهم عن أكل الميتة والذبح لغير الله، ولانه كان من سياسة الدين التشديد في معاملة مشركي العرب حتى لايبقى في الجزيرة منهم أحد الا ويدخل في الاسلام . وخفف في معاملة أهل الكتاب استمالة لهم، حتى ان ابن جرير روى عن أبي الدرداء وابن زيد أنهما سئلا عما ذبحوه للكنائس فأفتيا بأكله قال ابن زيد: احل الله طعامهم ولم يستثن منه شيئا ، وأما أبو الدرداء فقد سئل عن كبش ذبح الكنيسة يقال لها جرجس اهدوه لها أنأكل منه؟ فقال ابو الدرداء للسائل: اللهم عفوا انما هم أهل كتاب طعامهم حل لنا وطعامنا حل لهم وامره بأكله . وروى ابن جرير أيضا وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » قال ذبائحهم ، وروى مثله عبد بن حميد عن مجاهد ، وعبد الرزاق عن ابراهيم النخعي . وقد أجمع الصحابة والتابعون على هذا ، وأكل النبي (ص) من الشاة التي أهدتها اليه اليهودية ووضعت له السم في ذراعها . وكان الصحابة يأكلون من طعام النصارى في الشام بغير نكير ولم ينقل عن أحد منهم خلاف الا في بني تغلب وهم بطن من العرب انتسبوا الى النصارى ولم يعرفوا من دينهم شيئا فنقل عن علي كرم الله وجهه انه لم يجز اكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم معللا ذلك بأنهم لم يأخذوا من النصارى الا شرب

الخمر، يعني انهم على شركهم لم يصيروا أهل كتاب، واكتفى جمهور الصحابة بانتمائهم الى النصرانية. روى ابن جرير عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى بني تغلب فقرأ هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » وفي رواية له عنه انه قال: كلوا من ذبائح بني تغلب وتزوجوا من نسائهم فان الله تعالى قال - وقرأ الآية - فلو لم يكونوا منهم الا بالولاية لكانوا منهم، أي يكفي في كونهم منهم نصرهم لهم وتوليهم إياهم في الحرب.

ولما كان من شأن كثير من الناس التعمق في الاشياء وحب التشديد مع المخالفين استنبط بعض الفقهاء في هذا المقام مسألة جعلوها محل النظر والاجتهاد وهي هل العبرة في حل طعام أهل الكتاب والتزوج منهم بمن كانوا يدينون بالكتاب (كالتوراة والانجيل) كيفما كان كتابهم وكانت أحوالهم وأنسابهم، أم العبرة باتباع الكتاب قبل التحريف والتبديل، وبأهله الاصليين كالاسرائيليين من اليهود؟ المتبادر من نص القرآن ومن السنة وعمل الصحابة انه لا وجه لهذه المسألة ولا محل، فالله تعالى قد احل أكل طعام أهل الكتاب ونكاح نسائهم على الحال التي كانوا عليها في زمن التنزيل وكان هذا من آخر ما نزل من القرآن وكان أهل الكتاب من شعوب شتى وقد وصفهم بأنهم حرفوا كتبهم ونسوا حظا مما ذكروا به في هذه السورة نفسها كما وصفهم بمثل ذلك فيما نزل قبلها. ولم يتغير يوم استنبط الفقهاء تلك المسألة شيء من ذلك. وقد تقدم في تفسير قوله تعالى (لا إكراه في الدين) ان سبب نزولها محاولة بعض الانصار اكراه أولاد لهم كانوا تهودوا على الرجوع الى الاسلام، فلما نزلت أمرهم النبي (ص) بتخييرهم، ولا شك انه كان في يهود المدينة وغيرهم كثير من العرب الخلص، ولم يفرق النبي (ص) ولا الخلفاء الراشدون بينهم في حكم من الاحكام

واستنبط بعضهم علة أخرى لتحريم طعام أهل الكتاب والتزوج منهم وهي اسناد الشرك اليهم في هذه السورة بقوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال في سورة البقرة (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)

وهذا هو عمدة الشيعة في هذه المسألة ، وأجيب عنه (أولا) بأن الشرك المطلق في القرآن اذا كان وصفا أو عد أهله صنفا من أصناف الناس لا يدخل فيه أهل الكتاب بل يعدون صنفا آخر مغايراً لهذا الصنف كما قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقال (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) الاية .(وثانيا) بأننا اذا فرضنا ان المشركين في آية البقرة عام فلا مندوحة لنا عن القول بأن هذه الآية قد خصصته أو نسخته لتأخرها بالاتفاق وللجريان العمل عليها ، ومنه أن حذيفة بن اليمان من أكبر علماء الصحابة قد تزوج يهودية ولم ينكر عليه أحد من الصحابة .

فقوله تعالى ﴿ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ معناه انهن حل لكم مطلقا لانه معطوف على قوله « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ومعنى المحصنات هنا الحرائر أو العفيفات أي غير الزواني فلا فرق بين المسلمة والكتابية وخص بعضهم الكتابية بالذمية وقال بعضهم انه عام فلا فرق بين الذمية والحربية ، ومن قال المراد بالمحصنات الحرائر منع نكاح الكتابية المملوكة ، وبه قال الشافعي . وقووه بقوله تعالى في سورة النساء (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) وقد يقال ان هذا علق هنالك على العجز عن المحصنات المؤمنات لان الله تعالى لم يكن أحل المحصنات الكتابيات وقد احلهن هنا فصارت حرائرهن كحرائر المسلمات واماؤهن كإمائهن . وقول الشافعي اجتمع في الامة الكتابية نقصان الكفر والرق، لا يقتضي التحريم ، وانما المقتضي له كون المراد بالمحصنات الحرائر وهو محل النظر والخلاف وروي عن مجاهد ، وأيده ابن جرير بأمر عمر بتزويج من زنت وكادت تبخع نفسها فانقذت وبعد البرء استشير في أمرها ، وروى عدة روايات في هذا المعنى. كأنه يريد أن العفة لا تشترط في النكاح وان عمر كان يجيز نكاح الزانية ، وليس هذا هو مراد عمر وانما أراد انها خرجت بالتوبة عن كونها زانية ، والروايات صريحة في ذلك . ففي بعضها : أليس قد تابت ? قال السائل بلى. وفي رواية المرأة الهمدانية التي شرعت في ذبح نفسها فادركوها فداووها فبرئت،

قال لهم: أنكحوها نكاح العفيفة المسلمة وفي رواية له : ان رجلا من أهل اليمن اصابت أخته فاحشة فأمرّت الشفرة على أوداجها فادركت فدوي جرحها حتى برئت، ثم ان عمها انتقل بأهله حتى قدم المدينة فقرأت القرآن ونسكت حتى كانت من أنسك نسائهم ، فخطبت الى عمها وكان يكره ان يدلسها ويكره ان يفشي على ابنة أخيه ، فأتى عمر فذكر ذلك له ، فقال عمر : لو أفشيت عليها لعاقبتك ، اذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوجها إياه . وفي رواية أخرى : أتى رجل عمر فقال إن ابنة لي كانت وئدت في الجاهلية فاستخرجتها قبل ان تموت فأدركت الاسلام فلما أسلمت أصابت حدا من حدود الله فعمدت الى الشفرة لتذبح بها نفسها فأدركتها وقد قطعت بعض أدواجها فداويتها حتى برئت، ثم انها أقبلت بتوبة حسنة فهي تخطب اليّ يا أمير المؤمنين فأخبر من شأنها بالذي كان ؟ فقال عمر أتخبر بشأنها تعمد إلى ماستره الله فتبديه ؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الامصار ، بل أنكحها بنكاح العفيفة المسلمة . وروى ابن جرير أيضا عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب : لقد هممت ان لا أدع أحدا أصاب فاحشة في الاسلام ان يتزوج محصنة . قال له أبيّ بن كعب : يا أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد يقبل منه اذا تاب اه

والاباضية يشددون في النكاح بعد الزنا لافرق عندهم بين من تاب ومن لم يتب . ولما كنت في مسقط في العام الماضي (١٣٣٠) كانت قد عرضت واقعة في ذلك على السلطان السيد فيصل فسألني عنها فقلت ان الاصل في هذه المسألة قوله تعالى (الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) ولما كانت التوبة من الشرك تبيح نكاح التي آمنت وانكاح الذي آمن والشرك أقوى المانعين والاباضية مجمعون مع سائر المسلمين على ذلك كان ينبغي بالاولى ان يجيزوا مثل ذلك في التوبة من الزنا وهو ما أجمع عليه سائر المسلمين .

وأما القول بأن المراد بالمحصنات هنا العفيفات من المؤمنات والكتابيات فهو

مروي عن مجاهد والشعبي والسدي وغيرهم وزاد بعضهم الاغتسال من الجنابة.قال مجاهد والشعبي وعامر : احصان اليهودية والنصرانية ان لاتزني وان تغتسل من الجنابة

وجملة القول ان مفسري السلف اختلفوا في المحصنات هنا فقال جماعة منهم هن الحرائر وجماعة هن العفائف عن الزنا.وكلا المعنيين صحيح فاذا جاز استعمال اللفظ فيهما على قول من يقول باستعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه فهو يتناولهما معا وإلا فالراجح المختار ان المراد بالمحصنات هنا الحرائر وتحريم نكاح الزواني يعرف من آية سورة النور وما هنا لا ينافيه ، ذلك بأن نكاح الإماء المسلمات يشترط فيهن العجز عن الحرائر كما في سورة النساء وتقدم آنفا، فالكتابيات بالاولى، والحل هنا مطلق في الفريقين وانما يصح الإطلاق في الحرائر دون الاماء بالاجماع ولم يقل أحد من المسلمين بنسخ ما اشترط في نكاح الامة هنالك بما هنا . وتفسير المحصنات بالعفائف لا يدخل في عمومه الإماء بالنص لأن الاصل في الخطاب الاحرار والحرائر والرق أمر عارض ولذلك احتيج الى النص على نكاحهن في سورة النساء، والغالب فيهن عدم العفة ، فاذا صح هذا خلافا لمن أدخل الإماء في عمومه من المفسرين لا يبقى وجه لإحلال الامة الكتابية الا القياس على الامة المسلمة . ومن قال ان الامة تدخل في عموم المحصنات بمعنى العفيفات فلا مندوحة له عن اشتراط عدم استطاعة نكاح حرة مسلمة أو كتابية لصحة نكاحها ، اما بقياس الاولى واما باعتبار ذلك الشرط نفسه هنا من قبيل تقيد المطلق بقيد المقيد وعليه الجمهور في حال اتحاد الحكم والسبب كما هنا ، ونقل بعضهم الاتفاق عليه كأنه لضعف الخلاف فيه لم يعتد به

وقد استدل بعضهم بقوله تعالى ﴿ اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ على ان المراد بالمحصنات الحرائر لأن معناه اذا اعطيتموهن مهورهن والامة لا تأخذ مهرها وانما يأخذه المالك . ويرده قوله تعالى (٤ : ٢٤ ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ـ الى قوله ـ وآتوهن أجورهن) فهو عين ماهنا . وقد رجحنا في تفسير تلك الآية القول بأن مهر الامة حق لها على الزوج لا لمولاها وهو مذهب مالك . ومن ذا الذي يستطيع ان يقول ان الإماء لا يعطين مهورهن — والله عز وجل يقول « اذا آتيتموهن اجورهن »

ولا خلاف في أن الاجور هي المهور ؟ غاية مايقوله الذين يقولون ان الامة لاتملك شيئا ولا يستثنون المهر من قاعدتهم بدليل الاية : ان للسيد ان يبقي لها المهر الذي تأخذه من زوجها وان يأخذه بحق الملك

ولك ان تقول إن دلالة قوله تعالى (محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) أقوى مما ذكر على ترجيح كون المراد بالمحصنات العفائف اذ يكون الشرط في الرجال عين الشرط في النساء ، وقوله « محصنين » هنا حال وهي قيد في عاملها فتفيد الشرطية . أي هن حل لكم اذا آتيتموهن أجورهن فعلا أو فرضا حال كونكم محصنين الخ والمراد بالمحصنين هنا الاعفاء عن الزنا فعلا أو قصدا دون الاحرار لانهم الاصل في الخطاب ولا نعلم في هذا خلافا ، و يطلق المحصن بكسر الصاد بمعنى اسم الفاعل وبمعنى اسم المفعول فالزواج يقصد به ان يكون الرجل محصنا والمرأة محصنة يعف كل منهما الآخر ويجعله في حصن يمنعه من الفاحشة جهرا أو على الشيوع وهو معنى المسافحة ، أو سرا باتخاذ خدن من الأخدان - وهو يطلق على الصاحب والصاحبة - بان لا يكون للمرأة صاحب أو خليل يزني بها سرا ولا يكون للرجل امرأة كذلك . وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة النساء

روى ابن جرير عن قتادة انه قال « ذكر لنا ان اناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير ديننا ؟ فأنزل الله عز ذكره (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) فاحل الله تزويجهن على علم اه والذي أراه ان هذه الجملة نزلت مع الآية لامتأخرة عنها ، وان ماقاله قتادة عن الصحابة (رض) معناه انه لما استغرب بعضهم نكاح نساء أهل الكتاب واستنكروه أنكر عليهم ذلك أهل العلم ووعظوهم بهذه الجملة التي ختمت بها الآية ، ومعناها ان الايمان لايكون الا بالاذعان لما أحله الله وحرمه ومن لم يذعن كان كافرا ومن كفر بما يجب عليه الايمان به من كتاب الله حبط عمله أي بطل ثوابه وخسر في الآخرة ماأعده الله للمؤمنين من الجزاء العظيم على الايمان الصحيح وهو ايمان الاذعان والعمل . روى ابن جرير عن مجاهد وعطاء تفسير الكفر بالايمان بالكفر بالله عز وجل ، وعن ابن عباس انه قال

في الآية : «أخبر الله سبحانه ان الايمان هو العروة الوثقى وانه لايقبل عملا الا به ولا يحرم الجنة الا على من تركه» ووجه ابن جرير قول مجاهد بأنه تفسير بالمراد لا بظاهر اللفظ ، وذلك ان الايمان هو التصديق بالله و برسله وما ابتعثهم به من دينه والكفر جحود ذلك، وفسرها هو على الوجه الذي يعطيه ظاهر اللفظ بقوله : ومن يأب الايمان بالله و يمتنع من توحيده والطاعة له فيما امره به ونهاه عنه فقد حبط عمله، وذلك الكفر هو الجحود في كلام العرب والايمان التصديق والاقرار ومن ابى التصديق بتوحيد الله والاقرار به فهو من الكافرين اه ووجه الرازي قول مجاهد وعزاه الى ابن عباس ايضا بأنه مجاز حسنه ان الله تعالى رب الايمان ورب كل شيء . وجعل الايمان بمعنى القرآن في قول قتادة انها نزلت فيمن استنكروا نكاح الكتابيات ، اي من حيث اشتماله على ما ذكر من الاحكام وفسره الزمخشري بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم . اي كما ذكر في الآية . وتبعه على ذلك البيضاوي وغيره

ومجمل معنى الآية : اليوم احل لكم الطيبات من الطعام ، فلا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم بمقتضى الاصل لم يحرمه الله عليكم قط، وطعامكم حلّ لهم كذلك أيضا ، فلكم ان تأكلوا من اللحوم التي ذكوا حيوانها أوصادوه كيفما كانت تذكيته وصيده عندهم ، وان تطعموهم مما تذكون وتصطادون ، و يدخل في ذلك لحم الاضحية خلافا لمن منعه ، ولا يخرج منه الا ما كان خاصا بقوم لايشملهم وصفهم كالمنذور على اناس معينين بالذوات أو بالوصف . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم حل لكم كذلك بمقتضى الاصل وما قرره في آية النساء « واحل لكم ماوراء ذلكم » لم يحرمهن الله عليكم اذا أعطيتموهن مهورهن التي تفرضونها لهن عند العقد - والاوجب لهن مهر المثل - بشرط ان تكونوا قاصدين بالزواج احصان أنفسكم وأنفسهن لا الفجور المراد بمسفح الماء جهرا ولا سرا . وسيأتي بيان ما هو الاحتياط وبحث اختلاف الزمان في المسألة . والتعبير بقوله « اليوم أحل لكم الطيبات » إنشاء لحلها العام الدائم كما تقدم ، ولكنه لم يقل مثل ذلك فيما بعده بل قال « حل لكم » وهو خبر مقرر للاصل في المسألتين – مسألة مؤاكلة أهل الكتاب ومسألة نكاح نسائهم –

فلم يكن شيئا منهما محرما من قبل وأحل في ذلك اليوم لا بتحريم من الله ولا بتحريم الناس على أنفسهم كما حرموا بعض الطيبات . فهذا ماظهر لنا من نكتة اختلاف التعبير وسكت عنه الباحثون في نكت البلاغة الذين اطلعنا على كلامهم . وحكمة النص على هذا الحل قطع الطريق على الغلاة ان يحرموه باجتهادهم أو اهوائهم، على ان منهم من حرمه مع النص الصريح ، ونص على ان طعامنا حل لهم دون نسائنا فليس لنا ان تزوجهم منا . هذا هو المتبادر لمن يفهم العبارة مجردا من تقاليد المذاهب، فمن فهم مثل فهمنا ففهمه حاكم عليه ، ولا نجيز لأحد ان يقلدنا فيه تقليدا

﴿ فصل في طعام الوثنيين ونكاح نسائهم ﴾

أخذ الجماهير من مفهوم أهل الكتاب ان طعام الوثنيين لا يحل المسلمين وكذا نكاح نسائهم سواء منهم من يحتج بمفهوم المخالفة في اللقب كالدقاق و بعض الشافعية ومن لا يحتج به وهم الجمهور . والقرآن لم يحرم طعام الوثنيين، ولا طعام مشركي العرب مطلقا كما حرم نكاح نسائهم بل حرم ما أهل به لغير الله من ذبائحهم كما حرم ما كان يأكله بعضهم من الميتة والدم المسفوح وحرم لحم الخنزير . واختلف الفقهاء في المجوس والصابئين فالصابئون عند أبي حنيفة كأهل الكتاب، والمجوس كذلك عند أبي ثور خلافا للجمهور الذين يقولون انهم يعاملون معاملة أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط ، ويروون في ذلك حديثا « سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم » ولا يصح هذا الاستثناء كما صرح به المحدثون ولكنه اشتهر عند الفقهاء ، ويقال ان الفريقين كانا أهل كتاب ففقدوه بطول الامد

وهذا ما كنت أعتقده قبل أن أرى فيه نقلا عن أحد من سلفنا وعلماء الملل والتاريخ منا وذكرته في المنار غير مرة . ثم رأيت في كتاب (الفرق بين الفرق) لابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩) في سياق الكلام على الباطنية :

« ان المجوس يدعون نبوة (زرادشت) ونزول الوحي عليه من عند الله تعالى ، والصابئين يدعون نبوة (هرمس) و (واليس) و (دوريتوس) و (افلاطون) وجماعة من الفلاسفة ، وسائر أصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين اقروا بنبوتهم و يقولون ان ذلك الوحي شامل للأمر والنهي -

والخبر عن عاقبة الموت وعن ثواب وعقاب وجنة ونار يكون فيهما الجزاء عن الاعمال السالفة » ثم ذكر ان الباطنية ينكرون ذلك . وقد نشرنا في فتاوى المجلد الثاني عشر من المنار سؤالا من جاوه عن تزوج المسلم بغير المسلمة كالوثنية الصينية ، واجبنا عنه بما نصه (ص ٢٦١) :

ذهب بعض السلف الى انه لايجوز المسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتابية وحرمة الزواج بالمشركة ويريدون من الكتابية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضا ، و بالمشركة الوثنية مطلقا، بل عدوا جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى، ومن الناس من قال إنهم من المشركين ، ولكن التحقيق انهم لايطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عند مايذكر أهل الاديان يعد المشركين أو الذين أشركوا صنفا وأهل الكتاب صنفا آخر يعطف أحدهما على الآخر ،والعطف يقتضي المغايرة كما هو مقرر ، وكذا المجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يتبادر الى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركي العرب اذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين

والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن إحداهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) الآية . والثانية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥ : ٥ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وقد زعم من حرم التزوج بالكتابيات ان هذه الآية منسوخة بتلك وروده بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فإن فرضنا ان أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب أن تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والا فهي نص مستقل في جواز التزوج بنسائهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم التزوج بغير المشركات والكتابيات من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالمجوس والصابئين ومثلهم البوذيون والبراهمة واتباع كونفوشيوس في الصين ، وقد علمت ان علماءنا

الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين ، وان ورد في الكتاب والسنة ماهو صريح في التفرقة والمغايرة . فكما غاير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨ : ١ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (٣ : ١٨٦ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) وذكر أهل الكتاب بقسميهم في معرض المغايرة في قوله (٥ : ٨٢ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركو ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية . كذلك ذكر الصابئين والمجوس وعدهم صنفين غير أهل الكتاب والمشركين والمسلمين فقال في سورة الحج (٢٢ : ١٧ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا العطف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس طائفتين مستقلتين ليستا من الصنف الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين و بالذين أشركوا . وذلك أن كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انها إلهية ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ولا يبعد أن يكون من جاؤا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (٣٥ : ٢٤ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣ : ٧ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (٥٧ : ١٧ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم ، لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر ، كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنين وان كانوا هم الذين يعنيهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه »

ويطبق العلماء عليهم حديث الصحيحين « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فمن؟» وبهذا يرد قول من حاولوا ادخال أهل الكتاب في المشركين وتحريم التزوج بنسائهم مستدلين بقوله تعالى بعد ذكر اتخاذهم احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (٩: ٣١ سبحانه وتعالى عما يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من أصناف الناس لا يقتضي مشاركة صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما بيناه في تفسير آية (٢ : ٢٢١ ولا تنكحوا المشركات) لاسيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس هو أخص صفته وليس عاما شاملا لافراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم أربابا يتبعونهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم، فان وصفهم الاخص اتباع الكتاب، وان كثيرين منهم يخالفون رؤساءهم في التحليل والتحريم ومنهم الموحدون كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون ببنوة المسيح بسبب الحرية في أوربة وأمريكة، وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لهم

والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر البراهمة والبوذيين وأتباع كنفوشيوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لهم في العراق والبحرين ولم يكونوا يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخرين، والمقصود من الآية حاصل بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة الى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ، ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لايقبلونها من مشركي العرب وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث. وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لعمر بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال : أشهد لسمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي سنده انقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يعدون أهل كتاب وليس بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبهما وزيادة خصائصهما لا يقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث في كل أمة رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان يقوم الناس بالقسط، كما ان اطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها مزايا مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وسلبه عن غيرهم

وقد ورد في روايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار عند قول صاحب المنتقى « واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب » ما نصه : لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرءونه فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل من خالفه، فأسري على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء » وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج باسناد صحيح عن ابن أبزى لما هزم المسلمون أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كما هي السنة المتبعة والفريضة اللازمة) فقال ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة الاوثان فنجري عليهم أحكامهم . فقال علي بل هم أهل كتاب. فذكر نحوه لكن قال: فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الاخدود لمن خالفه. فهذه حجة من قال كان لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع ارفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأمر الوارد لان في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم بخلاف النكاح فانه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس تحريم نكاحهم وذبائحهم متفقا عليه ولكن الاكثر من أهل العلم عليه اه

اذا علمت هذا تبين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا يتناول جميع الذين كفروا بنبينا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى

منهم فهذا نقل صحيح في المجوس ومنه تعلم ان للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركات والمشركين في القرآن خاصا بوثني العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب يقربهم من الاسلام، كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى ويقاس عليهم من عندهم كتب لايعرف أصلها ولكنها تقربهم من الاسلام بما فيها من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شاكلتهم. وقد صرح قتادة من مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سيأتي

وعلى هذا لايكون قوله تعالى «ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن» نصا قاطعا في تحريم نكاح الصينيات الذي اكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقتداء بهم فيه الى جاوه اوكاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين. ولا ادري مبلغ اثره في ذلك عندكم (الخطاب المستفتي) و بنفي كونه نصا قاطعا في ذلك لايكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والا لساغ لنا ان نحكم بكفر من لايحصى من مسلمي الصين.

هذا وان المشهور عند العلماء ان الاصل في النكاح الحرمة وان كان الاصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لابد من النص في الحل. ويمكن ان يقال اذا لم نقل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة إن الاصل الاباحة في كل شيء «حتى يرد النص بحظره» فاننا نرد الامر الى الكتاب العزيز فنسمعه يقول بعد النهي عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣ حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ماقد سلف، ان الله كان غفورا رحيما (٢٤) والمحصنات من النساء الا ماملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) الآية

فنقول على أصولهم ان قوله تعالى «وأحل لكم ماوراء ذلكم» لايخلو ان يكون قد نزل بعد ماجاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور

من تحريم نكاح المشركة والزانية او قبله ، فان كان نزل بعده صح أن يكون ناسخا له ، وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ماوراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا أم لا كما يستثنى منه ماورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين أو إلحاقا به ، وجعل مايحرم من الرضاع كالذي يحرم من النسب ، على القول المشهور في الاصول بجواز تخصيص القرآن بالسنة ، على ان الجمهور أحلوا التزوج بالزانية.
وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص « وأحل لكم ماوراء ذلكم » وأكد حل نكاح الكتابيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله

وخلاصة ماتقدم ان نكاح الكتابيات جائز لاوجه لمنعه ونكاح المشركات محرم ، وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات أو خاصا بمشركات العرب محل اجتهاد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا المشركات) : « وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية مرادا بحكمها مشركات العرب لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد بن جبير ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عده قائلا بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قال بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ماقاله قتادة من أنه تعالى ذكر وعنى بقوله « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء ، وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها » الخ ماأطال به في بيان حل نكاح الكتابيات

هذا مايظهر بالبحث في الدليل ولكننا لم نطلع على قول صريح لاحد من العلماء في حل التزوج بما عدا الكتابيات والمجوسيات من غير المسلمين ، وقد صرح بحل المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا وصرحوا بأن تفرده لايعد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لا يبيحون نكاح المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض أهل الاصول ان النهي لا يقتضي البطلان في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعللوا ذلك بأنه عقد موضوع للحل فلما انفصل عنه ما وضع له بالنهي المقتضي للحرمة كان باطلا بخلاف البيع لان وضعه للملك لا للحل بدليل مشروعيته في موضع الحرمة كالامة المجوسية فلذلك كان النهي عن شيء منه غير مقتض لبطلان العقد . فلا يقال عندهم إن نكاح الصينية يقع صحيحا وان كان محرما

وأما البحث في المسألة من جهة حكمة التشريع فقد بين تعالى ذلك في آية النهي عن التناكح بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضحنا ذلك في تفسير الآية وبينا الفرق بين المشركة والكتابية فيراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لأنهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو عين دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقي البشر، وازالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء . واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط . ولذلك دخل اهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من اهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة، ولما قامت لهذا الدين قائمة . ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام او الدعوة الى النار ان اهل الكتاب لم يكونوا يعذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب و بلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي، وقلبه الذي تتدفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف، وموئله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه، ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان، كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص٩٧) من هذا المجلد (الثاني عشر) وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يأرز في

المستقبل الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها . وهذا يؤيد تفسير قتادة المشركين والمشركات في الآية

اذا كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالصينيات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعليل الآية للحرمة صادقا عليهن ، وكيف يعطى الضد حكم الضد ؟ !

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكتابية اذا خشي ان تجذب المرأة الرجل الى دينها لعلمها وجمالها وجهله وضعف اخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في تزوج بعض ضعفاء المسلمين ببعض الأوربيات أو غيرهن من الكتابيات فيفتنون بهن ، وسد الذريعة واجب في الاسلام اه

ملخص هذه الفتوى ان المشركات اللاتي حرم الله نكاحهن في آية البقرة هن مشركات العرب وهو المختار الذي رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري وان المجوس والصابئين ووثنيي الهند والصين وأمثالهم كاليابانيين أهل كتب مشتملة على التوحيد الى الآن والظاهر من التاريخ ومن بيان القرآن ان جميع الامم بعث فيها رسل وان كتبهم سماوية طرأ عليها التحريف كما طرأ على كتب اليهود والنصارى التي هي احدث عهدا في التاريخ ، وأن المختار عندنا أن الاصل في النكاح الاباحة ولذلك ورد النص بمحرمات النكاح ، وان قوله تعالى بعد بيان محرمات النكاح « واحل لكم ما وراء ذلكم » يفيد حل نكاح نسائهم ، فليس لأحد ان يحرمه الا بنص ناسخ للآية أو مخصص لعمومها . وقد بينا في تفسير الآية التي نحن بصدد تفسيرها هنا ان الناس أخذوا بمفهوم أهل الكتاب وخصصوا أهل الكتاب باليهود والنصارى . وهذا مفهوم مخالفة منع الجمهور الاحتجاج به في اللقب . ولكن جرى العمل على هذا لأنه موافق للشعور الذي غلب على المسلمين في أول نشأتهم بعزة الاسلام وغلبة ، وظهور انحطاط جميع المخالفين له عن أهله ، ولهذا مال بعض المؤمنين الى تحريم نكاح الكتابيات المنصوص على حله في آخر سور القرآن نزولا ، فمنهم من تأول النص بان معنى « أوتوا الكتاب من قبلكم » عملوا به قبل الاسلام

و دانوا به قبل التحريف ، وهو تأويل ظاهر الفساد لا يصح لغة فان معنى أوتوه من قبلنا أعطوه أي أنزله الله عليهم والمفسرون متفقون على هذا المعنى في كل مكان ورد فيه هذا اللفظ، وفي معناه قوله تعالى (٦ : ١٥٦ أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) ولولا ان هذا هو المعنى لما كان للآية فائدة .

ومنهم من التمس نقلا عن بعض المتقدمين ليجعله حجة على القرآن فوجدوا في بعض الكتب ان ابن عمر منع التزوج بالكتابية متأولاً لآية البقرة وانه قال : لا أعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى . وهو معارض بما رواه عبد بن حميد عن ميمون بن مهران قال سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا عليّ هذه الآية « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم * ولا تنكحوا المشركات » اهـ من الدر المنثور وظاهر معنى العبارة ان الله أحل المحصنات من أهل الكتاب وحرم المشركات من العرب. والقول الاول رواه عنه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم مع التصريح بأنه تأول آية البقرة ، فهو اذا صح اجتهاد منه ولم يقل أحد من الاصوليين أن اجتهاد الصحابي يعمل به في مسألة فيها نص بل منعه الجمهور مطلقا ومن قال به اشترط عدم النص وان لا يكون له مخالف من الصحابة، أي لئلا يكون ترجيحا بغير مرجح، وهذا القول مع وجود النص مخالف لما كان عليه سائر الصحابة ومنهم والده عمر أمير المؤمنين فقد روى عنه عبد الرزاق وابن جرير انه قال: المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصراني المسلمة»

وتمسك بعضهم بقوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » وهو جهل عظيم فان هذا نزل في النساء المشركات اللواتي أسلم أزواجهن وبقين على شركهن

وأقول ان الجاهلين بأخلاق البشر يظنون ان الغلظة في معاملة المخالف في الدين هي التي يظهر بها الدين وتعلو كلمته ، وتنتشر دعوته ، والصواب أن سوء المعاملة هو أعظم المنفرات (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وما انتشر الاسلام في العصر الاول بتلك السرعة التي لم يسبق لها نظير في دين من الاديان الا بحسن معاملة أهله لمن يعاشرونهم و يعيشون معهم، ولولا ترك الخلف لسنة السلف في ذلك لما بقي في البلاد الاسلامية أحد لم يدخل الاسلام باختياره بل لعم الاسلام العالم كله

نقول هذا تمهيد البيان في حكمة مؤاكلة أهل الكتاب بلا تحرج من تذكيتهم وحل نسائهم: وهي ان من غرض الشارع بذلك تألفهم ليعرفوا حقيقة الاسلام الذي هو أصل دينهم قد أكمله الله تعالى بحسب سنته في الترقي البشري والتدريج في كل شيء الى ان ينتهي الى كماله، وهذا من مناسبات جعل هذه الآية بعد الآية المصرحة باكمال الدين . قال الاستاذ الامام في بيان حقيقة الاسلام من (رسالة التوحيد) :

« التفت الى أهل العناد فقال لهم « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وعنف النازعين الى الشقاق على مازعزعوا من أصول اليقين ، ونص على ان التفرق بغي وخروج عن سبيل الحق المبين، ولم يقف في ذلك عند حد الموعظة بالكلام، والنصيحة بالبيان ، بل شرع شريعة الوفاق وقررها في العمل ، فأباح المسلم ان يتزوج من أهل الكتاب وسوّغ مؤاكلتهم ، وأوصى ان تكون مجادلتهم بالتي هي أحسن ، ومن المعلوم أن المحاسنة هي رسول المحبة وعقد الألفة ، والمصاهرة انما تكون بعد التحاب بين أهل الزوجين والارتباط بينهما بروابط الائتلاف ، وأقل مافيها محبة الرجل لزوجته وهي على غير دينه ، قال تعالى (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) اه المراد منه

واذا كانت الحكمة فيما شرعه الله تعالى من مؤاكلة أهل الكتاب والتزوج منهم هي ازالة الجفوة التي تحجبهم عن محاسن الاسلام باظهار محاسنه لهم بالمعاملة كما تقدم فينبغي لكل مسلم يريد الزواج منهم ان يكون مظهراً لهذه الحكمة وسالكا سبيلها ،وذلك بأن يكون قدوة صالحة لامرأته ولاهلها في الصلاح والتقوى ومكارم الاخلاق،فان لم ير نفسه أهلا لذلك فلا يقدم عليه . واننا نرى بعض المسلمين من المصريين والترك يتزوجون من نساء الافرنج، ولكنهم يستدبرون بذلك هذه الحكمة فيرى أحدهم نفسه دون امرأته ويجعلها قدوة له ولا يرى نفسه أهلا لأن يكون قدوة لها ، ومنهم من يسمح لها بتنصير أولاده . ومثل هؤلاء ليسوا من المسلمين الا في الجنسية السياسية ، نفتنتهم بالكفر أكبر من فتنتهم بالنساء . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم



فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ متى يحرم الوقاع ﴾

(س ٢٠) من صاحب الامضاء بمكة المكرمة

ما قولكم ، دام ارشادكم ، في قول العلامة الفاضل ، والقدوة الكامل ، الشيخ ابراهيم الباجوري رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، في حاشيته على شرح العلامة ابن قاسم الغزي المسمى بفتح القريب في باب محرمات النكاح (صحيفة ١١٣ من السطر ٢٠) مانصه « أما التحريم غير الذاتي وهو العارض بسبب حيض ، أو احرام أو صوم ، أو نحو ذلك » ما المراد منه وما معناه فهل المراد ان الحائض أو الصائمة يحرم نكاحهما كما هو صريح كلامه أم لا وقد أوهم بعضهم أن المراد منه يحرم نكاحهما حتى افتى بذلك ، بينوا لنا بيانا شافيا وافيا لأن المسئلة واقعة كل عام ، مستمد الدعاء

محمد بصري الصولوي الجاوي المجاور بمكة المكرمة

(ج) المراد بالتحريم هنا تحريم الوقاع لا تحريم عقد النكاح والامر ظاهر ولذلك حذفنا ما اطلتم به في السؤال من مقابلة كتب الشافعية بعضها ببعض

﴿ قصص القرآن وكتب العهد العتيق ﴾

(س ٢١) كتب الينا الدكتور أخنوخ فانوس القسيس الأنجيلي القبطي سؤالا مطولا يبين فيه مخالفة بعض قصص القرآن (كقصة داود وطالوت) لما في أسفار العهد العتيق من تاريخ اليهود ويعد هذا شبهة على صحة ماجاء في القرآن العزيز .

وجوابه بالايجاز ان القرآن منزل من عند الله تعالى وخبر الله تعالى أصح من أخبار مؤرخي اليهود سواء منها ماتسمى مقدساً لاشتماله على أخبار الانبياء كسفر القضاة وسفر الايام ومالم يسم مقدساً كتاريخ يوسيفوس . واننا نرى أهل ملة السائل يجيبون عما خالف العهد الجديد به كتب اليهود بأن كتبته ما كانوا يلتزمون عبارات تلك الكتب بل روح معناها . أما نحن المسلمين فلا ثقة لنا بلفظها ولا بمعناها ولا مزية لها عندنا على غيرها من التواريخ القديمة ، والجديدة تفضلها ومع هذا نرى فيها كذبا كثيرا ، فهل يعارض بمثلها كتاب الله المعصوم ؟

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

ولعل الحكمة في إرادة الله تعالى اختلاف آراء النصارى ومذاهبهم في عقائدهم وغيرها هذا الاختلاف المعروف قبل البعثة المحمدية هي إشباع العقول من كثرة البحث والتفكير[1] وتوسيع معلومات الناس وتكبير مداركهم وترقيتها بذلك حتى تتهيأ لقبول العقائد والتعاليم الاسلامية بعد تشويقها الى معرفة الحقيقة وتطلبها الوقوف عليها حتى اذا عرفتها - بعد هذا التعب الشديد والضلال عنها وإن كانت سهلة كما هو شأن الحق دائما - عضت عليها بالنواجذ وما فرطت فيها الامة المحمدية تفريط من قبلها كبني اسرائيل الذين أوحي اليه الحق رخيصا فلم يعرفوا قيمته . ولو ضلت الامة المحمدية كلها عن الحقيقة وهي آخر الامم لاحتيج الى وحي جديد ولكن أراد الله أن يختم بمحمد النبوة لارتقاء البشر في عهده وكفاية العقل والقرآن لهدايتهم فلذا كان ما كان وصان القرآن . ولو أراد الله بقاء كتبهم للعمل بها الى يوم القيامة كما يزعمون لصانها كما صان القرآن الشريف من التحريف والتبديل والضياع ، ومع ذلك فقد أبقى الله تعالى فيها من العقائد الصحيحة والحكم والنصائح العالية مافيه هداية المفكرين ، وما به اظهار كذب أهل الكتاب ودسهم على

---

(١) لما آلت الى النصارى السلطة الدنيوية ورأوا أن البحث العقلي يؤدي الناس الى رفض عقائدهم التي أكرهوهم عليها حاولوا اخماد ميل الفطرة البشرية الى ماتشرئب اليه فحرموا من قديم الزمان استعمال العقل في مسائل الدين واعترفوا - ولا يزالون يعترفون - بأنه لا يمكن للعقل البشري ادراكها وأنه لا يجوز له رفضها وان خالفته وناقضت أحكامه !! ولا أدري كيف ، بعد ذلك يثبتون صحة أصل دينهم مع أن دلالة المعجزة على النبوة اساسها العقل؟ وليس هذا فقط بل كان رؤساؤهم يمنعون الناس من الاطلاع على كتبهم الدينية بأنفسهم قبل الاصلاح البروتستنتي لئلا يقفوا على عيوبها وتضاربها ومناقضتها للعلم والعقل فسدوا بذلك كل منفذ للبحث والتفكر بين أشياعهم ولكن لما أباح البروتستنت قراءة هذه الكتب بفضل ماوصلهم من دين المسلمين وكتبهم اشتغل الافرنج بالبحث في هذه الكتب وهم الآن على وشك أن يرفضوها كلها . وان كان بعضهم قد نبذها فعلا وراء ظهره قبل الآن بقليل الا أن المحامين عنها لا يزالون كثيرين !! ولله في خلقه شؤون

نبيهم ما لم يأتوا به وما لم يقولوه ولذلك تجد - اذا تأملت - مادسوه قلقا مضطربا لا يتفق مع تعاليم الانبياء الاصلية كما سبق تفصيل بعض ذلك في هذه الرسالة ، ولكن لا يدرك كل الناس الفرق بين الحق والباطل في هذه الكتب ولا يزالون في امرها مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

وما الاديان في هذا العالم الا كباقي الاشياء الاخرى قابلة للتبدل والتغير الذي به تسترد شبابها وقوتها . ألا ترى أن الاشجار مثلا تذبل وتسقط أوراقها كل سنة في زمن الشتاء حتى تصير كالميتة ثم اذا ذهب الشتاء انتعشت ، وأورقت وأزهرت وأثمرت ، وصارت أقوى وأبهج مما كانت ، فلا يعيق ذلك الذبول المؤقت صحتها وقوتها بل تكتسب به شبابا جديدا في كل سنة فكأنها تكتسب من الضعف قوة ومن الذبول والتغير صحة وشبابا ورقيا (١) . فكذلك سنة الله في الاديان وغيرها

(١) حاشية : لما لاحظ القدماء ضعف الشمس في زمن الشتاء وذبول الاشجار وسبات بعض الحيوانات أو موتها المجازي في ذلك الفصل وبعبارة أخرى موت الطبيعة وجزئياتها التي كانوا يعبدونها اعتقدوا جواز الموت على الآلهة وقالوا انه بسبب هذا الموت يحصلون على حياة أقوى وأرقى كما يسترد الانسان قواه بعد النوم فلما عبدوا البشر واتخذوا منهم آلهة قالوا أيضاً بموتهم وقيامهم (بعثهم) وارتفاعهم الى سماء الكمال والجلال وتغلبهم على الموت الادبي والحقيقي . ومن ذلك نشأت عقيدة النصارى في موت المسيح وقيامته وصعوده وتغلبه على الموت كما تتغلب الشمس والاشجار وغيرهما على موت الطبيعة (الكون) بعد أن تخضع له مدة الشتاء وهي ثلاثة أشهر ، فجعل النصارى في مقابلة ذلك مدة موت المسيح ثلاثة أيام لانه أرقى من تلك الآلهة فتكون مدة خضوعه أقل لتناسب مقامه وعظمه ولكنهم حافظوا على أصل العدد (أي الثلاثة) ومما زاد رغبتهم أيضا في جعل هذه المدة ثلاثة أيام بدل ثلاثة أشهر ورود بعض عبارات في العهد القديم أرادوا أن يجعلوها رمزاً أو نبوة عن مدة موت المسيح (راجع هوشع ٦ : ٢ ويونان ١ : ١٧ مع متى ١٢ : ٤٠) والى ذلك المعنى السابق في أصل هذه العقيدة أشار يوحنا { ١٢ : ٢٤ } في انجيله بقوله عن لسان المسيح « الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير » ومع ما في ظاهر هذا المثل من الخطأ العلمي كما بيناه في كتاب « دين الله » صفحة ٢٢٠ يدلنا على منشأ بعض أفكار النصارى وعقائدهم =

فهي وان تبدلت وتغيرت في بعض الاوقات لا أن ذلك يكسبها قوة وتقدما ورقيا بنهوض العقل البشري للبحث والتفكر فيها وبما يوحيه الله للناس من جديد فتعود اليها صحتها ويرجع اليها شبابها وتصير أحسن مما كانت بعمل الانبياء والمصلحين الذين يكونون لها كالشمس والماء للأشجار (راجع أيضا هامش صفحة ١٢٦ من هذه الرسالة)

هذا وانما استعمل الله لفظ (الأب) في التوراة والانجيل في حق الله ولفظ (الابناء) في حق المخلوقين (كما في مت ٥: ٩ و يو ٢٠: ١٧ وغيرهما) - اذا صحت رواية اليهود والنصارى - ولم يستعمل ذلك في القرآن لان الناس كانوا في تلك الاعصر الاولى ضعاف العقول حتى أنهم قل أن يفهموا شيئا بدون ضرب الامثال والتشبيه لهم فلذا كثرت في كتبهم فلأجل أن يعرفوا أن الله رؤف رحيم بهم محب لهم كما يحب الأب أبناءه بل أكثر سماه أنبياؤهم لهم (أبا) وسموهم (أبناءه) ولكن بعد زمن المسيح بقليل أي بعد انقطاع الانبياء فيهم الذين كانوا دائما يحذرونهم من الوثنية - صار الناس يحملون كلا من لفظ (الاب) و (الابن) على معناه الحقيقي وادعوا (كما في كتابات يوستينوس الشهيد [1] المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية وغيره كثيرون)

= ولذلك جعلوا يوم ٢٥ ديسمبر - وهو يوم ميلاد الشمس عند الوثنيين أي انقلابها الشتائي أو رجوعها الظاهري من عند مدار الجدي - جعلوه يوم الميلاد للمسيح { أنظر رسالة الصلب صفحة ١٣٨ } وجعلوا عيد قيامته في أول الربيع وهو وقت قيامة الشمس والاشجار والحيوانات من موت الشتاء أي يوم عيد قيامة آلهة الوثنيين الذي يتغلبون فيه على سلطان الظلمة والبرد وموت الطبيعة فقالوا ان المسيح تغلب في نفس هذا اليوم على الشيطان وظلمة القبر وعلى الموت الروحاني والجسماني فخلص هو نفسه من الموت الطبيعي وخلص أتباعه من الموت الروحاني وجعلوا قيامته في يوم الاحد وهو يوم الشمس (Sunday) أيضا الذي كانت تعبد فيه . وقد أفاض علماء الافرنج في هذه المباحث وبينوا اشتقاق عقيدة النصرانية في المسيح من تلك الأفكار الوثنية فانظر وتعجب !! « راجع مثلا كتاب « الاصول البشرية » ص ٦٢ وكتاب « حكايات من العهد الجديد » لمؤلفه جولد صفحة ١٢٨ — ١٣٠ »

(١) حاشية : كان يوستينوس هذا يونانياً خاضعاً للرومان ووثنيا وبعد دراسة طويلة للفلسفة اليونانية اعتنق المسيحية مصبوغة بالصبغة اليهودية واليونانية لأن أكثر آرائه الفلسفية كانت مستمدة من كتابات (فيلو) اليهودي الاسكندري . والاطلاع على أقواله في ولادة الله تعالى =

أن الله تعالى والد (الابن) ولادة حقيقية أي أنه جزء خرج منه ! وفهموا ماجاء في سفر المزامير (٢ : ٧) و رسالة العبرانيين (١ : ٥) (١) ونحوهما فهما خطأ ولهم في ذلك

= ابنه قبل جميع المخلوقات راجع كتاب « دين الخوارق » في الانكليزية صفحة (٤٥٦ ـ ٤٦٠) والحق أن هؤلاء الوثنيين المتنصرين هم الذين حملوا الى المسيحية وثنيتهم القديمة فبدلوا دين المسيح الحق وأفسدوه ومنهم انتقل الى ذراريهم محرفاً مبدلا فاسداً

وأعلم أن أول من أخذ بعقيدة الثالوث من قياصرة الرومان هو ثيودوسيوس (Theodosius) جلس على سرير الدولة سنة ٣٧٩ ومات سنة ٣٩٥ ومنذ جلوسه أخذ في اكراه الناس على هذه العقيدة اكراهاً شديداً حتى زال التوحيد الحقيقي من بين النصارى وهو الذي كان فاشياً وقتئذ في نفس عاصمة الدولة (القسطنطينية) . وبعد موته مباشرة انقسمت الدولة بين ولديه إلى قسمين ، وفي سنة ٤٧٦ ضاع القسم الغربي من دولة الرومان وانتهى أمره . فترى من هذا أن النصرانية الحالية لم تنتشر بسرعة بين الناس كما يزعم المبشرون ولم تدخل عقيدة الثالوث رسمياً في الدولة الرومانية الا في أواخر القرن الرابع مع وجود أمثالها عند كثير من الامم الوثنية ولم يكن انتشارها بين النصارى الاولين الا بالاكراه والجبر الشديد ، ومنذ دخول هذه النصرانية فيهم أخذت دولتهم في الضعف والاضمحلال كما قلنا حتى تلاشى قسمها الغربي سريعاً بعد ذلك ثم تلاشى القسم الشرقي أيضاً بأخذ المسلمين (القسطنطينية) سنة ١٤٥٣

ولولا قوة الدول الاوروبيـة الآن التي بلغتها بأسباب عمرانية اجتماعية عديدة متنوعة لما قامت لهذه العقيدة قائمة ، ومع ذلك ترى أكثر العلماء في أوروبا الآن قد أصبحوا ينبـذونها نبذ النواة ويسخرون منها ومن معتقديها الذين جلهم من العامة اومن رجال الدين الذين لاصناعة لهم الا الاحتراف به

(١) ان شئت أن تعرف ماذا كان كتبة العهدين يريدونه في أكثر المقامات (بالولادة من الله) فاقرأ مثلا (يع ١ : ١٨ و ١ يو ٤ : ٧ و ٥ : ١ و ٤ و ٥ و ٣ : ٩ و ٥ : ١٨ و ١٩ و ١ بط ١ : ٢٢ و ٢٣ وانجيل يوحنا ١ : ١٢ و ١٣) ومن اكبر المصادمات للبداهة العقلية في عقائد النصرانية (وكلها مصادمات) قولهم من غير أن يستندوا على شيء من كتبهم المقدسة ان أقنوم الابن قديم ممتاز عن الاب امتياز الاشخاص بعضها عن بعض منذ الازل ثم قولهم بعد ذلك كما في كتبهم انه مولود منه قبل جميع المخلوقات (كو ١ : ١٥ و مي ٥ : ٢) فلو كان امتياز شخصه أزليا لما كان مولوداً ولو كان مولوداً لما كان له وجود مستقل بشخصه منذ الازل !! والا فما معنى الولادة اذاً وكيف تكون منذ الأزل ؟ وما معنى « اليوم » في قول كتبهم (أنا اليوم ولدتك) فان كان شخصه مستقلا أزليا فكيف ولد في ذلك اليوم ؟ ! وما معنى خروجه منذ الأزل كما قال ميخا (٥ : ٢) أفلم يكن في الخارج ثم خرج ؟ واذا جاز ذلك فكيف تكون ذات الله عندهم غير قابلة للتفرق والانقسام ؟ وكيف يبقى بعد ذلك جوهر الابن وجوهر الاب واحدا ؟ (راجع أيضا كتاب دين الله ص ٥٠) واذا كان الابن قديما والله أب له منذ الازل فكيف قال بولس عن لسان =

سخافات اتصلت اليهم بعد أنبيائهم من الوثنيين والفلسفات الاجنبية كفلسفة (سقراط) و (أفلاطون) اللذين قالا بعقيدة (الكلمة) قبل المسيح بقرون كما اعترف بذلك (يوستينوس) نفسه في بعض كتبه وان كانت عقيدتهما طبعا أبسط من عقيدة النصارى المعروفة

= الله في حقه (عب ١: ٥) « أنا أكون (أي أصير) له أبا وهو يكون لي ابنا » كما قال ذلك بعينه في سليمان (٢ صم ٧: ١٤) وكيف يقول بولس أيضا (عب ١: ٤) (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ماورث اسما أفضل منهم) فهل مثل هذا الكلام يليق أن يقال في حق الله تعالى وهل تصح مقارنته بالملائكة وإظهار أيهما أفضل؟! ألا يدل ذلك وغيره كما قلنا سابقا على أن كتبة العهد الجديد ما كانوا يعتقدون ألوهية المسيح « حقيقة » بل ولا وجوده منذ الازل بمعنى أنه لم يسبق بعدم إلا اذا كانوا يريدون أن جميع المخلوقات صادرة عن ذات الله تعالى أي أنها جزء من جوهره كأصحاب القول « بوحدة الوجود » (Pantheism) وذلك حقيقة هو مايفهم من كثير من نصوص كتبهم اذا قورنت معا مثل (كو ١: ١٥ ورؤ ٣: ١٤ وأف ٤: ٦ و١ كو ٨: ٦ و ١٥: ٢٨ وأع ١٧ : ٢٨ ورو ١١: ٣٦ وغيرها) وبناء عليه يكون لفظ الولادة في اصطلاحهم مرادفا للفظ الخلق في هذا المقام ويكون المسيح في اعتقادهم هو أول المولودات أو الابناء أو المخلوقات على حد سواء وهو وحيد (يو ١: ١٨) في الاولية والعظم والمقام والقدرة وغير ذلك مما أوتيه دون سائر العالمين على ما يزعمون، فكأن الابناء الآخرين { تك ٦: ٢ و٤ وتث ٣٢: ١٩ و٢٠ } لا يعدون بجانبه شيئا لأنه هو خالقهم المسيطر الذي سلطه الله عليهم جميعا كما يدعون { مت ٢٨ : ١٨ ويو ٣ : ٣٥ و١ كو ١٥ : ٢٧ } وعندهم من هذا القبيل أيضا تسمية اسحاق في التوراة بابن ابراهيم « الوحيد » { تك ٢٢: ٢ و١٦ } مع وجود ابنه الآخر اسماعيل ولكنه ابنه من هاجر جارية سارة التي طردتها. وأعلم أن أمه مريم لم تسم «أم الله» (Theotokos) إلا منذ زمن أوريجانوس أي في القرن الثالث . وقد حارب هذه الفكرة في القرن الخامس كل من القس (أناسطاسيوس) و (نسطوريوس) أسقف القسطنطينية . ولكن لايزال بكل أسف هذا الاسم مستعملا إلى الآن عند الكاثوليك الذين يصلون لها ويعبدونها إلى اليوم!! (راجع كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » ص ٩٩ و ٢١٠)

قال بعض ظرفاء اليهود من الافرنج « لم لايتيه اليهود عجبا على سائر الامم =

وقد كان الرومانيون وغيرهم يعبدون بعض قياصرتهم في حياتهم ويألهونهم

= ونصف العالم المتمدن يعبد يهوديا والنصف الآخر يعبد يهودية؟» فليضحك القارئون! ولكن من تذكر أن الناس عبدت الحجر والشجر، لا يعجب من عبادتهم للبشر، فان وثنية هؤلاء لاشك أنها أرقى من وثنية أولئك فليهنأوا بها وليبقوها لهم ليعرض الموحدون عن الضحك منهم، والازدراء بعقولهم، فيريحون، ويستريحون، والا فليبشروا بالخيبة والفشل في إجابة دعوتهم إلى يوم القيامة، فان عقول البشر الآن ليست كما كانت في أزمنة الجهل والغفلة

وجاء في انجيل لوقا (٣:٢٢) أن الصوت الذي سمع من السماء بعد معمودية عيسى هو «أنت ابني الحبيب بك سررت» وفي انجيل العبرانيين زيادة هذه العبارة «وانا اليوم ولدتك» ونقل يوستينوس هذا الصوت عن الكتاب الذى كان في زمنه يسمى «مذكرات الرسل» هكذا «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» وذكر القديس أوغسطين (المتوفى سنة ٤٣٠) أن بعض نسخ انجيل لوقا في زمنه كانت فيها أيضا العبارة هكذا (٣ : ٢٢) «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» بدل قوله الموجود الآن «أنت ابني الحبيب بك سررت» ولا تزال العبارة الاولى توجد بصورتها المذكورة هنا في نسخة بيزا (Bezae) وفي الترجمة الايطالية القديمة توجد عبارة تقرب منها في المعنى . فمن ذلك يعلم أن العبارة كانت في الانجيل كما نقلها يوستينوس عن «المذكرات» ولكن لما استدل بها الموحدون من النصارى على أن المسيح ليس أزليا بدليل القول (أنا «اليوم» ولدتك) ـ الذي كان في نسخ انجيل لوقا القديمة وفي الاناجيل الاخرى الاولية وهو يفيد ولادته في يوم المعمودية لامنذ الازل كما يزعمون ـ كره النصارى المثلثون هذه العبارة وأبدلوها في الانجيل بقولهم «أنت ابني الحبيب بك سررت» (راجع كتاب دين الخوارق ص ٢٠٢ و٢٠٤)

فان قيل اذا صح قولك هذا أن أصل الصوت كان في الاناجيل «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك» كما في رسالة بولس الى العبرانيين ١ :٥ فلماذا حرفوه في الاناجيل ولم يحرفوه في هذه الرسالة؟ قلت لما كانت هذه الرسالة مكتوبة للعبرانيين {أي اليهود} كان الغرض من ذكر هذه المسائل فيها بيان نبوات العهد القديم الواردة في المسيح الذي كان ينتظره اليهود وتطبيقها على عيسى، كما هو ظاهر من الاصحاح الاول من هذه الرسالة، وجملة «أنا اليوم ولدتك» الواردة في هذا الاصحاح المراد بها الاشارة =

بعد موتهم (راجع ص ٤٤ من كتاب «التوراة غير موثوق بها» لمؤلفه Walter Jekyll وكانت عبادة البشر (١) وتأليههم شائعين في المملكة الرومانية في ذلك

= الى مافي المزمور {٢ : ٧} فاذا حرفها النصارى في هذه الرسالة ضاعت قيمتها لأن لليهود حينئذ أن يقولوا لهم «ان هذه الجملة لا وجود لها في كتبنا فهي ليست حجة علينا لأنها من اختراعاتكم» فلذا تركها النصارى في الرسالة العبرانية وحرفوها في الاناجيل لأنها فيها ليست إشارة الى هذه النبوات القديمة . ولو حذفوا هذه العبارة من الرسالة بالمرة (وكان هذا العمل في الحقيقة خيرا لهم من إبقائها لو أمكنهم) لقال اليهود ان المزمور الثاني عندنا هو من أهم النبوات عن مسيحنا فأرونا أيها النصارى كيف تطبقونه على مسيحكم ؟ وأيضا ربما إن هذه الرسالة كانت كثيرة التداول بين العبرانيين المتنصرين وغيرهم من الفرق الموحدة وهؤلاء ما كانوا يعتقدون في المسيح الألوهية الحقيقية فلذا لايهمهم تحريفها بأنفسهم في هذا الموضع ولو حرفها لهم آخر فيه بالحذف لخاف الفضيحة منهم واتضح لهم أمره وغشه

وكان بعض النصارى في بعض القرون الأولى يكرهون أيضا وصف المسيح بأنه نجار كما في انجيل مرقس (٦ : ٣) فحذفوا ذلك منه في كثير من النسخ حتى كان أريجانوس في القرن الثالث يقول ان المسيح لم يسم نجارا مطلقا في أي انجيل من الاناجيل التي كانت مستعملة في الكنيسة في زمنه ، وكذلك توجد بعض نسخ خطية من انجيل مرقس خالية من هذه التسمية ولكنها توجد في جميع ماعثروا عليه من النسخ الاقدم من هذه النسخ الخطية المحذوف منها هذا الاسم (أنظر كتاب «دين الخوارق» في الانكليزية صفحة ١٩٩)

فيعلم من ذلك ومما تقدم كله أن نسخ كتبهم كانت قليلة جدا لا توجد الا عند بعض الرؤساء حتى باعتراف متعصبيهم (أنظر كتاب «علم الاعلام في حقيقة الاسلام» ص ٦٥) وأنهم كانوا في كل عصر يتصرفون فيها بحسب مايبدو لهم من الآراء والأهواء، إلا اذا خافوا في بعض المواضع الشهيرة جدا أن يفتضح أمرهم فيتركونها زمنا ما أوهم على مضض منها حتى تتيسر لهم فرصة لازالتها وتحريفها سرا أو تدريجا ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(١) لذلك لا تستبعد على يهود العرب أنهم كانوا يعتقدون أن عزيرا (أو عزرا) هو ابن الله تعالى كما حكاه القرآن الشريف عنهم (٩ : ٣٠) فقد كان (فيلو) اليهودي الاسكندري المعاصر للمسيح وهو من أكبر فلاسفتهم يعتقد أن لله ابنا هو كلمته التي خلق بها الاشياء كما سبق . فلذا قال القرآن الشريف ـ بعد ان حكى عنهم قولهم في عزرا ـ « يضاهؤن (أي يشابهون) قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون» ولا تنس ميلهم القديم للكفر والارتداد وعبادة الآلهة الباطلة من قديم الزمان كما تشهد به كتبهم « راجع أيضا كتاب دين الله ص ٣٩ »

الزمن كما يفهم ذلك أيضا من نفس سفر الاعمال (١٢:٢٢و١٤:١١و٢٨:٦) فلما فشا في الناس ذلك المعنى الضار في الاب والابن بتأثير الوثنية أبطل الله هذه الاستعمالات المجازية في القرآن الذي هو آخر الكتب بعد أن حصل الناس على الغرض منها وأصبحت لا فائدة فيها لهم سوى أنها قد تجر بعض سخفاء العقول كما جرتهم من قبل الى الغلو فتوقعهم في الشرك والوثنية مرة أخرى بعد ختم الوحي والنبوة فلذا استبدلها الله تعالى باستعمالات أخرى أقرب الى تصوير الحقيقة، وأبعد عن الضرر، وتكفي الناس في ذلك الزمن لفهم المراد ما كفتهم تلك في الازمنة الاولى والبشر في طور الطفولية، فبين تعالى في كتابه العزيز أن الله رؤوف، رحيم، ودود، لعباده، وأنه يحبهم ويحبونه (قرآن ٣ : ٣١ و ٥ : ٥٤ و ١٦ : ١٨ و ٨٥ : ١٤ وغير ذلك كثير) وأنه وليهم (٢ : ٢٥٧) وهم أولياؤه (١٠ : ٦٢) وبدأ كل سورة منه ببسم الله الرحمن الرحيم وبين رسوله أن الخلق عياله وأنه أشفق عليهم وأرحم من الام على بولدها وبذلك ونحوه حصلوا على فهم مافهمه الاولون من الاب والابناء بدون أن يلحقهم مالحق أولئك من الشرك والوثنية، فان البشر في زمن البعثة المحمدية كانوا أرقى ممن سبقهم فكانت تكفيهم كما قلنا هذه العبارات لفهم المراد من محبة الله لهم بدون تشبيه ولا تمثيل. ولا تنس أن محمدا هو خاتم النبيين لذلك تركت هذه الاستعمالات المجازية في القرآن لعدم حاجة البشر اليها في فهم المراد ولانهم اذا وقعوا بسببها في الوثنية تعسر ابعادهم عنها بعد ختم الوحي والنبوة

هذا وفي قول القرآن الشريف (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يحبهم ويحبونه) من التكريم الالهي والتحبب واللطف ما لا يخفى على متأمل، فكان الله تعالى (وله المثل الاعلى) ساوى عباده به حتى صار يطالب رضاهم عنه وحبهم له كما يطلبون هم ذلك منه، وهو الذي بدأ - كما في هذه الآيات - بالرضا عنهم والحب لهم. فأي رفع لنفوس البشر وجذب لقلوبهم - بعد ان أماتها الشرك والوثنية - أكبر من ذلك ؟ فهم وان كانوا عباده إلا أنه لا يعاملهم معاملة السيد لعبيده بل معاملة الاخلاء بعضهم لبعض كما هو ظاهر من عبارات القرآن وهي لاشك أدعى لرفع نفوس الناس وتشريفهم وجذب قلوبهم الى الله تعالى من

قول الانجيل (أبانا الذي في السموات) فان الفرق بين درجة الاب مع ابنه ودرجة النظير مع نظيره لا يحتاج لتوضيح . وقول القرآن (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) وقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ليس كقول الانجيل هذا انه في السموات إذ دلالة الأول على القرب لا تقارن بدلالة الثاني عليه، وشتان بين من يدعو الذي في السموات وبين من يدعو الذي هو أقرب اليه من حبل الوريد ، وفرق بين النصراني الذي ينتسب الى الله ويقول إنه أبوه وبين المسلم الذي يتقرب اليه الله نفسه ويقول له: إني أقرب اليك من أجزاء جسمك الداخلية ، ويخاطب نفسه بقوله لها (ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي)

أما قوله تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) فليس المراد به إنكار تسميتهم أبناء الله بمعنى أحبائه بل المراد إنكار اختصاصهم بذلك - كما ادعت اليهود والنصارى -(١) وبعناية الله وبالوحي والنبوة والخير الأكبر وغير ذلك دون سائر العالمين فبين تعالى لهم أنهم عنده كسائر الناس خصوصا في زمن البعثة المحمدية التي ساوت بين جميع العالمين وان كانوا فضلوا في بعض الاشياء ، وفي بعض الاوقات عن غيرهم الا أن ذلك لم يكن لكل زمان ولا في كل شيء ، ورد عليهم دعواهم المحبة لله بأنهم يعصونه والمحب لمن يحب مطيع فهم كاذبون أيضا في دعوى محبتهم له، ولو كان لهم عنده مزية على غيرهم لما ساوى بين الناس جميعا في العقاب الدنيوي والاخروي ولذلك قال (يعذبكم بذنوبكم) أي كباقي الناس فالمراد أن الخلق كلهم عياله تعالى وأنه محب لهم جميعا ولم يبق مزية لكتابي على جاهلي ولا لأبيض على أسود ولا لعربي على عجمي بل الكل عند الله سواء (ان أكرمكم عند الله أتقاكم). ويجوز أن مذهب « وحدة الوجود » كان فاشيا في نصارى العرب ويهودهم كما كان فاشيا في أسلافهم الاولين

(١) راجع صفحة ١٢١ - ١٢٥ من هذه الرسالة

على ما بينا في حاشية (صفحة ١٤١) فيكون مرادهم بقولهم انهم أبناء الله أنهم مولودون أي ان مادتهم هي من ذات الله تعالى ، فكذبهم القرآن في هذه الدعوى و بين أنهم مخلوقون محدثون هم وسائر الناس بقدرته وصنعه لا مولودون منه ، فيجوز عليهم كل ما جاز على سائر الاحياء المخلوقة كالآلام والذل والعذاب وغيره ، ولا يعقل أن الله يهين نفسه و يعذبها لو صح قولهم ان ذاتهم هي من ذات الله تعالى ، بل له ملك السموات والارض بالقهر والايجاد لا بكونهما أجزاء منه . والوجه الاول - عندنا - أقرب الى ظاهر الآية فان المتبادر منها أن العطف في قوله (نحن أبناء الله وأحباؤه) هو للتفسير ، فمقصودهم أنهم وحدهم أحب الناس اليه كأنهم أبناؤه لأن ولد الانسان أحب اليه من كل من سواه كما لا يخفى

واعلم ان الله تعالى منزه عن الانفعالات النفسية والجولات الفكرية والتأثيرات القلبية ونحوها من صفات الحوادث فوصفه تعالى بالحب والرأفة والرحمة وغير ذلك هو أيضا لا ينطبق تماما على صفاته القديمة وانما هي ضرورة التعبير ألجأتنا الى هذه الالفاظ ونحوها لنفهم منها فضله علينا

اما الحب عندنا في جانب الله فمعناه (١) إفاضته الوجود وما يلزم له من النعم العديدة التي لا تحصى على جميع المخلوقين ولو كانوا به كافرين مشركين ودوام هذا التفضل والانعام على عباده المؤمنين الى الابد من غير أن يعود عليه تعالى أقل نفع له منهم جميعا أو أدنى فائدة ترتجى له إذ هو الغني عن كل ماسواه المفتقر اليه كل من عداه ، فحبه تعالى يمتاز عن حبنا في كونه صفة أزلية له تعالى وان تعلق بالموجودات بالفعل في وقت وجودها فهو كباقي الصفات الاخرى فان تعلقها بالحوادث هو في غير الازل مثل القدرة على الخلق ، وأيضا فحبه أكبر وأعظم ولا تشوبه أدنى شائبة من الحاجة الينا أو المنفعة - كما قلنا - لا كالمعتاد الغالب في حبنا مهما خلص ، وهو

(١) المنار : هذا التفسير غير ظاهر والصواب ان كل ماأطلق على الباري تعالى من الصفات التي يوصف بها الناس والافعال التي تسند اليهم فانما تفسر مع التنزيه بروح المعنى المستعمل فنفهم من حبه للصالحين من عباده انه يعاملهم معاملة المحب لمحبوبه من الرعاية والعناية التي يميزهم بها على الكفرة الفجرة الذين جحدوا فضله وخالفوا شرائعه وسننه مع تنزيهه عما لا يليق به كما اشار اليه الكاتب فحبه تعالى لخلقه شأن من شؤونه اللائقة بما يترتب عليها ماذكر فهو اخص من الفضل العام

يشمل جميع مخلوقاته حتى أعداءه منهم بالمعنى الذي بيناه هنا وهو دائم أبدا لعباده المؤمنين الذين يمدهم بالخير العظيم ، والفضل العميم ، والاحسان الكبير ، من غير أن يكون شيء من ذلك واجبا عليه تعالى بل هو كله محض فضل منه ورحمة ، وأيضا فقد ينشأ عن حب بعضنا بعضا شيء من الضرر كحب الام الجاهلة لولدها حتى تمنعه من كل عمل فيه مشقة ولو كان نافعا أو ضروريا ، وأما حب الله لنا فهو خال من كل ضرر ولا ينشأ عنه الا النفع المحض قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) وأيضا فالله عندنا غفور رحيم للمذنبين مهما كثرت جرائمهم بشرط التوبة الصحيحة بدون انتقام ولا سفك دم (ولا يكلف الانسان ما لا يطيق)

أما أرقى أنواع الحب عند النصارى فهي التي تؤدي الى الانتحار لخلاص الناس (كما في كتاب صدق المسيحية لمؤلفه ترتون ص ٢٨٣) ولكن مثل هذا الحب هو من شأن الضعفاء العاجزين المختلين الذين لا يقدرون على خلاص محبوبهم فلذا ينتحرون والله منزه عن ذلك وفوق ذلك ، على أن مثل هذا الحب مشاهد بين الناس فكثيرا ما ينتحر العاشق في سبيل معشوقه والأم لأجل ولدها مثلا فحب الله على قولهم هذا لا يمتاز عن الحب المعتاد بين ضعاف المخلوقين وشرارهم . ولعل من أسباب كثرة الانتحار بين الافرنج هذه العقيدة إذ من مقتضاها أن الانتحار ليس بعار ولا عيب فيه مادام ربهم نفسه قد ارتكبه ولو أن الحامل له عليه غير الحامل لاكثرهم ولكن الانتحار على كل حال هو مظهر من مظاهر اليأس والضعف والجبن وقلة العقل والحيلة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (لاحظ أيضا أن إلههم هو الذي أباح لهم شرب الخمر وشربها معهم وناولهم إياها بيده كما سنبينه (مت ٢٦ : ٢٧ - ٢٩ ومر ١٤ : ٢٣ - ٢٥ ويو ٢ : ١ - ١١) (راجع كتاب دين الله ص ٩٨) فلذا فشا فيهم الانتحار وشرب الخمر وهما من أكبر الموبقات ومع كل ما تقدم فالله تعالى باعترافهم لم ينتحر هو نفسه لخلاصهم بل ضحى (بالانسان يسوع) الذي أكرهه على ذلك إكراها كما بيناه في مقالة الصلب وغيرها وظلمه وهو بريء ولم يشفق عليه ولم يرحمه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فأين الثريا من الثرى وأين السماء من الارض ؟ فاذا لم يحمل الناس على حب الله خلقه لهم وتفضله عليهم بجميع أنواع النعم

الصغيرة والكبيرة وهدايته لهم بدون مقابل ورحمته بهم وعفوه عنهم وعدم تكليفهم الا يطيقون فهل يحملهم على حبه صلبه البريء (يسوع) لاجل خطيئة آدم وخطيئتهم وهم لم يقعوا في العصيان إلا بعلمه وارادته وتقديره؟ ومهما بالغ بعضهم في إرادة الانسان واختياره فان ذلك مخالف لما في كتبهم (راجع يو ١٢ : ٣٩ ـ ٤١ ورو ٩ : ١٧ و١٨ و١١ : ٧ و٨ و١٢ : ٣ وخر ٤ : ٢١ و٩ : ١٢ و١٠ : ١ واصم ٢ : ٢٥ وتث ٢ : ٣٠ واش ٦ : ١٠ ويشوع ١١ : ٢) وقد كان يمكنه أن يمنع وقوع الانسان (آدم) في هذه الخطيئة أو يمنع نسله من التأثر بخطأ أبيهم الذي أدخل بزعمهم الخطيئة في العالم كما قال بولس (رومية ٥ : ١٢) مع أنه لولا خلقه آدم بطبيعته ميالا من قبل للشر والعصيان لما عصاه وخالف أمره (راجع رسالة الصلب ص ١٢٣ ـ ١٢٥) ولو أراد أن ينجيهم من العقاب تفضلا منه ورحمة لما عارضه أحد ولما نافى ذلك عدله كما يزعمون والا فهل صلب البريء بدون ارادته فداء المذنبين هو الذي لا ينافي ذلك العدل الذي ما فهموه ؟ (راجع صفحة ١١ ـ ١٣ من كتابنا « دين الله ») وهل إيقاعهم في العصيان بخلق آدم ميالا للشر وخلقهم كذلك ومؤاخذتهم بذنبه وذنوبهم (أنظر مثلاثك ٣ : ١٥ ـ ١٩) وعدم العفو عنهم مطلقا الا بسفك الدم هو الذي يحملهم على حبه ؟ ولا يحمل المسلمين ما ذكرنا على حب الله الرؤف بهم الرحيم المنعم عليهم بكل شيء الغفور لذنوبهم جميعا بدون سفك دم أحد متى صحت توبتهم ورجعوا اليه وحده مستغفرين خاضعين مطيعين ؟ وهو الذي لا يسأل أحدا منهم الا عما اكتسبته يداه ؟ فتأملوا في ذلك أيها العاقلون واحكموا بيننا و بين القوم الظالمين . وليس غرضنا بهذه العبارة البحث هنا معهم في (مسألة القضاء والقدر) فقد وفيناها حقها في بعض أعداد المنار السابقة (م ١٠ ص ٧٣١) وانما الغرض مقارنة العقيدتين و بيان أيهما أشد حملا للناس على حب الله

واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لأنه مولود من مريم ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في الذنب فهو أيضا محتاج الى الكفارة مثلهم واذاً يكون غير طاهر ولا معصوما من الذنوب كما تزعمون لانه « ابن الانسان » الخاطئ وناسوته مخلوق من مريم بمقتضى التوالد الجثماني . وان كان لم يتلوث بذنب

آدم فلم تلوث غيره؟ (رومية ٥:١٢و١٧ و١ كو ١٥ :٢١ و٢٣) وكلنا من نسل آدم وطبيعتنا هي من طبيعته ؟ وان كان الله طهره من الخطيئة بحلوله فيه فإذاً يجوز التطهير من الذنوب بدون سفك الدم وهو خلاف ماتدعون؟ وان كان حلول الابن مطهرا من ذلك فلم لم يطهركم حلول روح القدس فيكم وكلكم هيكل الله الحي كما يقول بولس (١ كو ٣: ١٦ وأف ٤:٦ وراجع أيضا أع ٢ : ٤)فاذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الانسان مطهرا له من الذنوب فأي حاجة اذاً الى صلب المسيح؟ ولم لم يجعل الله موت شهدائهم الكثير بزعمهم كفارة عن باقي النوع الانساني وكلهم ممتلئون من روح القدس (رو ٥: ٥) ؟ وان قيل انه باعتبار ناسوته واقع مثلنا في خطيئة آدم ولكن صلبه وهو ابن الله كاف لتكفير الخطيئة عن جميع بني آدم وهو من ضمنهم ، قلت ان كان صلبه باعتبار أنه إله جاز على الله الموت والألم والجزع والاستغاثة بغيره والضعف وغير ذلك مما أظن أنكم تنزهون الله تعالى عنه وخصوصا بعد قول المصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) . وان كان صلبه باعتبار أنه انسان فهو خاطئ مثلنا بمقتضى طبيعته البشرية فلم لا يكون موته مكفرا عنه وحده ويكون ماينال كلا منا في هذه الحياة من المشاق والاحزان والموت أو القتل وغير ذلك كفارة له عن ذنبه وقد كان أصل العقاب على ذنب آدم (كما في سفر التكوين) الموت والألم والتعب وعداوة الشيطان أو الحية ونحو ذلك (تك ٢ : ١٧ و٣: ١٣-١٩) وكل هذه الاشياء واقعة بنا و باقية علينا الى الآن ؟ . وان كان لابد من سفك الدم فهي دعوى لا دليل لكم عليها ولم يكن موت المسيح بسفك دمه وذبحه بل ان ما فاض منه من مسامير الصلب لم يكن هو السبب في الموت كما بيناه في كتاب دين الله (ص ٥ و١٢) وفي رسالة الصلب (ص١٢٨ - ١٣٠) ولم لم يزل عن الانسان ذلك القصاص بعد الصلب ؟ ! واذا كان الله لا يكتفي بما حل بالانسان من المصائب والبلايا والموت وغيره في هذه الحياة ويصر على الانتقام منه في شخص أحد أفراد هذا النوع (المسيح) ويحمله من أنواع الاهانات والفظائع ماجعله يستغيث به فلا يغيثه ولا يرحمه (لو ٢٢:٣٩-٤٦ و روميه ٨:٣٢) مع أنه اتخذه له ابنا وحل فيه ـ واذا كان أيضا لا يكتفي بحلول روحه القدس في الناس ولا بتوبتهم واستقامتهم

ولا يستشهد كثير منهم في سبيله الا بعد سفك دم عيسى ويحب الضحايا البشرية من قديم الزمان ويتقبلها من مقربيها له (قض ١١ : ٢٩ - ٤٠) ويأمر أنبياءه بسفك دماء مالا يحصى من الحيوانات (١مل ٨ : ٦٣) وقتل مالا يعد من البشر (تت ٢٠ : ١٦) ويسر برائحة المحرقات (لا ١ : ١٧) اذا كانت كل هذه صفات إلههم فهو مجرد من كل رحمة وشفقة وحنان وعدو للانسان والحيوان. حتى أنه ندم على خلقه الانسان (تك٦: ٦) لشدة غيظه منه، وبغضه له، وخوفه منه، (تك ٣: ٢٢ و ١١: ٦) فكيف يمكن الانسان أن يحبه بعد ذلك؟ مع أن الله وهو أقدر منا طبعاً لم يحب الانسان ولم يرحم الابعض أفراد هذا النوع بعد أن شبع وروي من الدماء التي تملأ الانهار!! فهل ياقوم هذه العقيدة (١) هي التي تدعون أنها الطريقة الوحيدة لاظهار محبة الله للانسان وهل هذا إله محبة كما يسميه يوحنا (١ يو ٤ : ١٦) وهل كل هذه الاشياء التي صدرت منه ضد الانسان تحملنا على حبنا له ولا طريقة تحملنا على حبه غيرها؟ إن هذا لشيء عجيب

(البقية تأتي)

الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة *

(٤) مقتل الجهم والحارث وما أفضى من الوقائع اليه

في سنة ١٢٨ ولي ابن هبيرة العراق، فكتب الى نصر بن سيار بعهده على خراسان، وطلب البيعة لمروان بن محمد بن مروان، فابى الحارث وقال: انما أمنني يزيد بن الوليد ولم يؤمني مروان، ولا يجيز مروان

---

(١) كان من أثر هذه العقيدة في نفوس أتباعها أن الافرنج أغرقوا في حب سفك دماء مخالفيهم في الدين أو المذهب لعلهم يرضون بذلك إلههم هذا ويريحونه من أعدائه هؤلاء في زعمهم ويسرونه برؤيته لدمائهم مسفوحة تتدفق كالانهار على وجه الغبراء لانه لا يمكنه العفو عن أحد الا بسفك الدماء، فانعم به من اله رؤف رحيم!!

*) تابع لما نشر في ج ٦ م ١٦ ص ٤٤٩

أمان يزيد فلا آمنه . نخالف نصراً ، فأرسل اليه نصر يدعوه الى الجماعة وينهاه عن الفرقة واطماع العدو ، فلم يجبه الى ماأراد ، وخرج فعسكر وأرسل الى نصر : اجعل الامر شورى [1] فأبى نصر ، وأمر جهم بن صفوان أن يقرأ سيرته وما يدعو اليه على الناس ، فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه ، وأرسل الحارث الى نصر ليعزل سالم بن أحوز عن شرطته ويغير عماله ويقر الامر بينهما أن يختاروا رجالا يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله ، فاختار نصر مقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان . واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي ومعاذ بن جبلة . وأمر نصر كاتبه أن يكتب مايرضي هؤلاء الاربعة من السنن ، وما يختارونه من العمال ، فيوليهم ثغر سمرقند وطخارستان

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ماوراء النهر ويعطيه ثلاثمائة الف فلم يقبل . ثم تراضيا بأن حكما جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان ، فحكما « بأن يعتزل نصر وأن يكون الامر شورى » فلم يقبل نصر ، نخالفه الحارث وقدم على نصر جمع من أهل خراسان — حين سمعوا بالفتنة — وأمر الحارث أن تقرأ سيرته بالاسواق والمساجد وعلى باب نصر ، فقرئت فأتاه خلق كثير ، وقرأها رجل على باب نصر ، فضربه غلمان نصر فنابذهم الحارث وتجهزوا للحرب

ودل رجل من أهل مرو الحارث على نقب في سورها ، فمضى الحارث اليه ونقبه ودخل البلد وقتل من وقف في وجه جماعته ، وانتهبوا منزل سلم بن أحوز ، وركب سلم حين أصبح وأمر منادياً فنادى : من

(١) هذا ماعنيناه قبل من حرصه على الشورى وبتر الاستبداد

جاء برأس فله ثلثمائة ، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث وقاتلهم الليل كله ، وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه ، واسمه يزيد بن داود

وأسر يومئذ جهم بن صفوان فقال لسلم : ان لي وليا من ابنك حارث . فقال : ما كان ينبغي له أن يفعل ، ولو فعل ماأمنتك، ولوملأت هذه الملاءة كواكب وأبرأك الي عيسى بن مريم مانجوت، واللهلو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك ، والله لا يقوم علينا من اليمانية [1] اكثر مما قمت ، فقتله

ثم غلب الكرماني على مرو ، وخطب الناس فأمنهم، وهدم الدور ونهب الاموال فأنكر الحارث عليه ذلك ، ثم أتى الحارس مسجد عياض وأرسل الى الكرماني يدعوه الى أن يكون الامر شورى، فأبى الكرماني فانتقل الحارس عنه ، ثم اقتتل معه حتى قتل الحارث وأخوه وعدة، وذلك سنة ١٢٨

هذا مجمل مارواه الثقات في سبب مقتل جهم ومخدومه الحارث، وبه يعلم ما كانا عليه من الحرص على اقامة أحكام الكتاب والسنة، وجعل الامر شورى ، واباء الانغماس في امرة الظالمين ، ورفض اعطياتهم والعمل لهم

ومن تأمل ما قص يعلم ان قتل جهم انما كان لامر سياسي لا ديني ، وقد صرح بذلك سلم (رئيس شرطة نصر) قاتله بقوله : والله لا يقوم علينا من اليمانية اكثر مما قمت ، فتفطن ولا تكن أسير التقليد

(٥) من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك

قدمنا ان مقتل جهم كان عام ١٢٨ كما حكاه الطبري وغيره . وقال

---

(١) فيلق من فيالق العرب كان مرهوب المقام مخشي الخروج عليهم

الحافظ بن حجر في فتح الباري: أسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة له ان قتل جهم كان في سنة ١٣٢ (قال) والمعتمد ماذكره الطبري انه كان في سنة (١٢٨) وذكر ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن رحمة صاحب أبي اسحق الفزاري ان قصة جهم كانت سنة (١٣٠) (قال) وهذا يمكن حمله على جبر الكسر ، أو على ان قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج (ثم قال) وأما القول بأن قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبدالملك فوهم ، لان خروج الحارث بن سريج الذي كان جهم كاتبه كان بعد ذلك. ولعل مستند القول به ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد ابن حنبل ، قال: قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فان ظفرت به فاقتله (قال ابن حجر) ولا يلزم من ذلك أن يكون قتله وقع في زمن هشام، وان كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله أعلم

ولا يخفى ان نبز هشام - لجهم بأنه من الدهرية - في كتابه هذا - ان صح - انما أراد به زيادة الاغراء بقتله ، ليكون حجة له ، وتمويهاً على العامة ، ومن لا يدري حقيقة الامر في هدر دمه . وقد علمت ان الباعث على قتله أمر سياسي محض ، لان جهما كان خطيب الحارث وقارئ كتبه في المجامع ، والداعي الى رأيه والى الخروج معه على بني أمية وعمالهم ، لسوء سيرتهم وقبح أعمالهم وشدة بغيهم كما أثرناه قبل

ولا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ان الدهرية لا يقرون بألوهية ولا نبوة . وجهم كان داعية للكتاب والسنة ، ناقما على من انحرف

عنهما : مجتهدا في أبواب من مسائل الصفات ، فكيف يستحل نبزه بالدهرية وهي اكفر الكفر !؟ ومن هنا يعلم أن لاعبرة بنبز الامراء والملوك من ينقم عليهم سيرتهم بالالقاب السوءى ، والتاريخ شاهدعدل ، وليس القصد التحزب لجهم والدفاع عن مذهبه وآرائه ، كلا ! فأنا أبعد الناس عن التحزب والتعصب والتقليد ، ولكن الانصاف يدعو أن يذكر المرء ماله وما عليه اذا أريد درس حياته ومعرفة سيرته ، وذلك ماتوخيناه هنا

(٦) فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول

قد حكى مذهب جهم وفلسفته أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل ، وكذا في كتب الكلام المطولة ، وفيما صنف للردّ عليه وعلى أتباعه الجهمية

مرجع فلسفته ، وخلاصة مذهبه - : هو تأويل آيات الصفات كلها والجنوح الى التنزيه البحت، وبه نفى ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته ، وان يكون مرئيا في الآخرة، وان يتكلم حقيقة، وأثبت ان القرآن مخلوق

هذه أشهر مسائل جهم التي يقال لها (مقالة الجهمية) وله من الآراء سوى ذلك ، كالقول بنفي جهة العلو ، والقول بالقرب الذاتي ، وانه تعالى مع كل أحد ذاتا كما حكاه الرازي الحنفي في كتابه (حجج القرآن) عن الجهمية ، وأورد أدلتهم من الكتاب والسنة فانظره

كان من أعظم شبههم في باب الصفات اعتقاد أن ظاهرها يفيد التشبيه بالمخلوق أي ان مايفهم من نصوصها يماثل ما يفهم من صفات المخلوق ، فظاهر معناها التمثيل ، وهو مستحيل ، فيجب التأويل

وقد رد عليهم بان الظاهر المفهوم لو كان المراد به خصائص صفات

المخلوقين حتى يشبه المولى بخلقه ، لما خالف أحد في ردّه ونفيه، لان هذا ليس مرادا بالاتفاق، — للقطع بأنه تعالى ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، الا ان هذا ليس هو ظاهرها، وانما ظاهرها ما يليق بالخالق تعالى. وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا. والصفة تتبع موصوفها، فكما ان ذاته المقدسة ليست كذوات المخلوقين فكذلك صفاته

بهذا يقرب الامر من رفع الخلاف[1] اذ الظاهر عند خصوم الجهمية غيره عندهم، فانفكت الجهة. وللإمام ابن دقيق العيد تقريب آخر قرره في ذلك حيث قال: المنزهون لله عن سمات الحدوث ومشابهة المخلوقات بين رجلين: اما ساكت عن التأويل واما متأول (ثم قال) والأمر في التأويل وعدمه في هذا قريب عند من يسلم التنزيه. فانه حكم شرعي أعني الجواز وعدمه. فيؤخذ كما يؤخذ سائر الاحكام. الا ان يدعي مدعٍ ان هذا الحكم ثبت بالتواتر عن صاحب الشرع — أعني المنع من التأويل — ثبوتاً قطعياً. فخصمه يقابله حينئذ بالمنع الصريح. وقد يتعدى بعض خصومه الى التكذيب القبيح بالمنع الصريح اه

قال العلامة المقبلي في العلم الشامخ — بعد نقله ذلك — ونعم ما قال — « وتقريب مسافة الخلف بين الفريقين كان يمكن بمثل هذين التقريبين وغيرهما. لولا تعصب الحزبين كما سنبينه في آفة التعصب »

---

(١) قد بسط الكلام في مسألة الظاهر الامام ابن تيمية في كتاب التسعينية صفحة (١٢٢) من المجلد الخامس من فتاويه المطبوعة، وكذا في الرسالة المدنية المطبوعة في الهند في امرتسر

وبالجملة فتأثير مذهب الجهمية في الافكار، انما كان بتنبيهها الى التأويل، وسلوك منهج المجاز في تلك المسائل، وكان هذا الباب موصدا قبلها، لا يطرقه أحد ولا يخطر له

ثم درج المعتزلة على أثر الجهمية، قال الغزالي في الاحياء - مشيراً اليهم - فمن مسرف [1] في رفع الظواهر، انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها، حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم » وقوله تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » وكذلك في الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال (ثم قال الغزالي) وأولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعاً بصيراً، وأولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر، [2] وجملة من أحكام الآخره، ولكن أقروا بحشر الاجساد، والجنة واشتمالها على الملاذ المحسوسة، وبالنار وباشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود » اه

﴿ (٧) مناظرة الجهم مع بعض السمنية وإفحامه اياه، وما علق على هذه المناظر ﴾

روي أن الجهم لقي بعض السمنية [3] الخصميين، فقال له السمني : أريد مناظرتك، فان ظهرت حجتي عليك دخلت في ديني، وان ظهرت

(١) سيأتي بيان انقسام الناس في التجهم بأبسط مما هنا

(٢) سيأتي للمقبلي رد كون المعتزلة تنكر عذاب القبر في البحث ٩ من التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية الخ (٣) بضم السين المهملة وفتح الميم قوم في الهند دهريون

حجتك علي دخلت في دينك ، فكان مما كلم به الجهم أن قال له : ألست تزعم أن لك إلها ؟ قال الجهم: نعم، فقال له: فهل رأيت إلهك ؟ قال: لا ، قال فهل سمعت كلامه ، قال لا ، قال فشممت له رائحة ؟ قال لا . قال فوجدت له حسا ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له مجسا ؟ قال لا ، قال فما يدريك انه إله ؟ فأخذ الجهم في حج السمني بمثل حجته، فقال له : ألست تزعم أن فيك روحا ؟ فقال: نعم، قال: فهل رأيت روحك؟ قال لا، قال فسمعت كلامه؟ قال لا ، قال فوجدت له حسا ؟ قال لا، قال : فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان دون مكان

هذا ما حكاه الامام أحمد في الرد على الجهمية أثرناه باختصار وقوفاً على موضع الشاهد من فطنة جهم وبلاغته في افحامه خصمه

قال الامام ابن تيمية في التسعينية - بعد حكاية ذلك : لما ناظر الجهم من ناظره من المشركين السمنية من الهند الذين جحدوا الإله ، لكون السمني لم يدركه بشيء من حواسه ، لا ببصره ولا بسمعه ، ولا بشمه ، ولا بذوقه ، ولا بحسه ، كان مضمون هذا الكلام ان كل مالا يحسه الانسان بحواسه الخمس، فانه ينكره ولا يقرّ به ، فاجابهم الجهم انه قد يكون في الموجود مالا يمكن احساسه بشيء من هذه الحواس وهي الروح التي في العبد ، وزعم انها لا تختص بشيء من الامكنة . وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين (ثم قال ابن تيمية) : والحجة التي ذكرها مشركو الهند باطلة ، والجواب الذي أجاب به الجهم باطل ، وذلك ان قول القائل مالا يحس به العبد لا يقرّ به أو ينكره ، اما ان يريد به ان كل

أحد من العباد لايقر الا بما أحسه هو بشيء من حواسه الخمس ، أو يريد به انه لايقر العبد الا بما أحس به العباد في الجملة ، أو بما يمكن الاحساس به في الجملة

فان كان أراد الاول ، - وهو الذي حكاه عنهم طائفة من أهل المقالات، حيث ذكروا عن السمنية انهم ينكرون من العلم ماسوى الحسيات، فينكرون المتواترات والمجربات والضروريات النقلية وغير ذلك ، الا ان هذه الحكاية لاتصح على اطلاقها عن جمع من العقلاء في مدينة أو قرية . وما ذكر من مناظرة الجهم لم يدل على اقرارهم بغير ذلك ، وذلك ان حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لايتم الا بمعاونة بعضهم لبعض في الاقوال أخبارها وغير أخبارها وفي الاعمال أيضاً ، فالرجل منهم لابد ان يقر انه مولود ، وان له أباً وطئ أمه ، واماً ولدته ، وهو لم يحس بشيء من ذلك بحواسه الخمس، بل أخبر بذلك ووجد في قلبه ميلا الى ماأخبر به، وكذلك علمه بسائر أقاربه من الاعمام والاخوال والاجداد وغير ذلك ، وليس في بني آدم امة تنكر الاقرار بهذا . وكذلك لاينكر أحد من بني آدم انه ولد صغيرا ، وانه ربي بالتغذية والحضانة ونحو ذلك حتى كبر ، وهو اذا كبر لم يذكر احساسه بذلك قبل تمييزه ، بل لاينكر طائفة من بني آدم امورهم الباطنة مثل جوع أحدهم وشبعه، ولذته وألمه، ورضاه وغضبه، وحبه وبغضه، وغير ذلك مما لم يشعر به بحواسه الخمس الظاهرة، بل يعلمون ان غيرهم من بني آدم يصيبهم ذلك ؛ وذلك مما لم يشعروا به بالحواس الخمس الظاهرة ، وكذلك ليس في بني آدم من لايقر بما كان في غير مدينتهم من المدائن والسير والمتاجر وغير ذلك مما هم متفقون على الاقرار به ، وهم

مضطرون الى ذلك . وكذلك لاينكرون ان الدور التي سكنوها قد بناها البناءون ، والطبيخ الذي يطبخونه طبخه الطباخون ، والثياب المنسوجة التي يلبسونها نسجها النساجون ، وان كان مايقرون به من ذلك لم يحسه أحد بشيء من حواسه الخمس وهذا باب واسع ، فمن قال ان امة من الامم تنكر هذه الامور ، فقد قال الباطل

وقول من يقول من المتكلمين: ان السوفسطائية قوم ينكرون حقائق الامور ، وانهم منتسبون الى رئيس لهم يقال له سوفسطاء، وان منهم من ينكر العلم بشيء من الحقائق ، ومنهم من ينكر الحقائق الموجودة أيضاً مع العلوم ، ومنهم اللاادرية الذين يشكون فلا يجزمون بنفي ولا اثبات ، ومنهم من لايقر الا بما أحسه . قد رد هذا النقل والحكاية من عرف حقيقة الامر، وقال: ان لفظ السوفسطائية في الاصل كلمة يونانية معربة، أصلها سوفسطا : أي الحكمة المموهة ، فان لفظ سو معناه في لغة اليونان الحكمة ولهذا يقولون فيلا سوفا أي محب الحكمة ، ولفظ فسطا معناه المموهة، ومعلم المستأخرين المبتدعين ارسطو لما قسم حكمتهم التي هي منتهى علمهم الى برهانية وخطابية وجدلية وشعرية ومموهة وهي المغاليط سماها سوفسطا . ثم ظن بعض المتكلمين ان ذلك اسم رجل وانما أصلها ماذكر . وان كان لفظ السفسطة قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن جحد الحقائق، فلا ريب ان هذا يكون في كثير من الامور ، فمن الامم من ينكر كثيراً من الحقائق بعد معرفتها كما قال تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا» وقد يشتبه كثير من الحقائق على كثير من الناس كما قد يقع الغلط للحس أو العقل في أمور كثيرة ، فهذا كله موجود كوجود الكذب عمدا أو خطأً

اما اتفاق امة على انكار جميع العلوم والحقائق أو على انكار كل منهم لما لم يحسه ، فهو كاتفاق امة على الكذب في كل خبر ، أو التكذيب لكل خبر . ومعلوم ان هذا لم يوجد في العلماء والعلم بعدم وجود امة على هذا الوصف كالعلم بعدم وجود امة بلا ولادة ولا اغتذاء وامة لا يتكلمون ويتحركون ونحو ذلك مما يعلم ان البشر لا يوجدون على هذا الوصف

فالقول بوجود أمة لا تقر بشيء من المخبرات الا أن تحس المخبر بعينه ينافي ذلك، واذا كان كذلك فأولئك المتكلمون من المشركين والسمنية الذين ناظروا الجهم قد غالطوا الجهم ولبسوا عليه - حيث أوهموه ان مالا يحسه الانسان بنفسه لا يقر به ، فكان حقه أن يستفسرهم عن قولهم : مالا يحسه الانسان لا يقر به : هل المراد به هذا أو هذا ، فان أرادوا أولئك المعنى الاول أمكن بيان فساد قولهم بوجوه كثيرة ، وكان أهل بلدتهم وجميع بني آدم يرد عليهم ذلك . وان أرادوا المعنى الثاني - وهو ان ما لا يمكن الاحساس به لا يقر به ، فهذا لا يضر تسليمه لهم ، بل يسلم لهم ويقال لهم فان الله تعالى تمكن رؤيته وسمع كلامه ، بل قد سمع بعض البشر كلامه - وهو موسى عليه السلام وسوف يراه عباده في الآخرة ، وليس من شرط كون الشيء موجودا أن يحس به كل أحد في كل وقت ، أو ان يكن احساس كل أحد به في كل وقت ، فان اكثر الموجودات على خلاف ذلك ، بل متى كان الاحساس به ممكناً ولو لبعض الناس في بعض الاوقات ، صح القول بأنه يمكن الاحساس به ، وقد قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء » وهذا هو الاصل الذي ضل به جهم وشيعته حيث

زعموا ان الله لا يمكن أن يرى ولا يحس به بشيء من الحواس كما أجاب امامهم الاول للسمنية بامكان وجود موجود لا يمكن احساسه، ولهذا كان أهل الاثبات قاطبة متكلموهم وغير متكلميهم على نقض هذا الاصل الذي بناه الجهمية ، وأثبتوا ماجاء به الكتاب والسنة من أن الله يرى ويسمع كلامه وغير ذلك ، وأثبتوا أيضاً بالمقاييس العقلية ان الرؤية يجوز تعلقها بكل موجود فيجوز احساس كل موجود ، فما لا يمكن احساسه يكون معدوماً ، ومنهم من طرد ذلك في اللمس ، ومنهم من طرده في سائر الحواس كما فعله طائفة من متكلمة الصفاتية الاشعرية وغيرهم

والمقصود هنا ان أولئك المشركين المناظرين قالوا كلاما مجملا، فجعلوا الخاص عاما والمقيد مطلقاً حيث قالوا : أنت لم تحسه ، ومالم تحسه أنت لا يكون موجوداً : والمقدمة الثانية باطلة ، لكن موهوهاً بالمعنى الصحيح، وهو ان ما لا يمكن احساسه بحال لا يكون موجوداً : اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

البقية تأتي

نظرة في الحرمين الشريفين

« ومشروع جماعة خدام الكعبة »

ان السبب الذي دعا مؤسسي مشروع جماعة خدام الكعبة الى تأسيسه هو اعتقادهم ان الحكومة العثمانية لم تعد قادرة على حماية الحرمين الشريفين . وقد دعي الشيخ الجليل النواب وقار الملك الشهير الى الانتظام في سلك جماعة خدام الكعبة فقبل ذلك مع الفخر والشكر ولكنه اعتذر عن حضور جلسات لجنة الجماعة لضعفه وكتب مقالة في بعض الصحف قال في أوائلها ماترجمته :

« الاصل ان كل دين اذا لم تكن له قوة شديدة تحافظ عليه فبقاؤه وثباته وحفظ آثاره في منتهى العسر والصعوبة ، وقد يخرج أحيانا عن الامكان، وان ما فعله نصارى البلقان المغيرون من اكراه مئات الالوف من المسلمين على التنصر بقوة السيف لاوجه له الا أن الترك ما كانوا يقدرون على كفهم ومنعهم لتلك الاسباب التي نعلمها كانسا ، والثاني عدم وجود قوة شديدة في هذا الوقت تحفظ بها حرية المسلمين »

ثم قال النواب الجليل : ان الاتكال على مشروع خدام الكعبة يخالف الفتوة والعزم وان من رأيه « انه يجب على المسلمين أن يوقنوا مع التمسك القوي بهذا المشروع ان الترك هم العنصر الاسلامي الوحيد في الدنيا الذين اذا تطهروا من النقائص الداخلية والخارجية يمكنهم أن يقوموا على أحسن وجه في المستقبل ان شاء الله بما كانوا قائمين به الى الآن من المحافظة على تلك الاماكن والقيام بخدمة الكعبة المعظمة » ثم أورد آراء ونظريات وتمنيات في حال الترك وما يترتب على ميلهم الى التجارة والحرفة والصناعة اذا هم مالوا ، وبنى على تلك الآراء والنظريات انهم يمكنهم حماية اخوانهم وجيرانهم الايرانيين فوق حماية البلاد المقدسة وغيرها . وكانت نتيجة آرائه دعوة مسلمي الهند الى مساعدة الدولة العثمانية بالمال ، لتحقيق هذه الآمال ، وذلك بشراء قراطيس الدين الذي أصدرته نظارة المالية العثمانية

نتيجة حسنة لا نناقشه في مقدماتها من هذه الجهة بل نشكر له هذه الدعوة فان أقل فائدتنا من امداد اخواننا مسلمي الهند لدولتنا بالمال انه ربما تستغني بذلك عن بيع اراضي بلادنا للأجانب وقد عرضتها للبيع رسميا وهذا أكبر المصائب علينا وعلى حرمنا . ولكنه قال في سياق كلامه كلمة عن العرب لابد لي من ذكر ترجمتها هنا وبناء البحث في خدمة الكعبة المعظمة بل الحرمين الشريفين عليها وعلى الكلمة الأولى التي قالها في اخواننا الترك وذكرناها في فاتحة كلامنا هنا ، وهي :

« ان شجعاننا أقوياء مثل العرب عشاق الاسلام اذا مزجوا دمهم بعرقهم في المحافظة على الكعبة وروضة النبي (ص) وبقية الاماكن المقدسة مع الاتراك فلا يمكن لأي قوم في الدنيا مقابلتهم في جبالهم ورمالهم . ومتى ماعرف العرب ومهروا في العلوم والفنون الجديدة التي بدأ الترك بسلسلتها من إنشاء الجامعات في البلاد العربية فاعلموا ان هؤلاء العرب هم أولاد أولئك العرب الذين نشروا الى مدة من الزمن انوار العلوم في جميع الدنيا » اه

أقول: ياليت صديقنا النواب الجليل الصادق النية كان واقفا على حقيقة حال العرب

والترك ليؤلف بعقله المنطقي الكبير أقيسة مقدماتها صحيحة فتأتي بالنتائج الصحيحة التي نحتاج اليها من مثله ، وانني مضطر بسائق المصلحة الاسلامية الى ان اقول له (١) ان اخواننا الترك ليسوا هم الحماة للحرمين الشريفين الى الآن (٢) وانهم ليسوا أرقى من اخوانهم العرب في العلوم والفنون والعمران (٣) وانهم دونهم في التجارة والزراعة والكسب (٤) وانه لايوجد أحد في الدنيا يقدر على حماية الحرمين من العدو الاجنبي الا عرب الجزيرة من الحجازيين واليمانيين والنجديين والعراقيين والشاميين (٥) وان دولة الترك هضمت حقوق العرب وتعمدت اضعافهم وجعل الحرمين وما حولهما ابعد بلاد الدنيا عن العلوم والفنون والعمران (٦) واننا قمنا بعد الدستور نطالبها بحقوق العرب كافة على قاعدة اللامركزية لتقوى وتعمر كل بقعة بحسب حالها المناسب لها في في طبيعة الاجتماع البشري (٧) وانها كانت تقابل مطالبنا بالاحتقار والسخرية والسعي في تفريق الكلمة حتى علمت ان عاقبة هذا خسر وخطر فجنحت للوفاق وسيتم ان الله تعالى على الوجه النافع المرضي ، فان نازعني في مقدمة من هذه المقدمات فانا مستعد لبيانها له بالتفصيل

بقيت المسألة الحربية والشجاعة . ان العرب قسمان بدو وحضر فالحضر من القطرين الشامي والعراقي مشاركون لاخوانهم الترك في علم الفنون العسكرية الأوربية وفيهم مئات من الضباط اركان الحرب وغير اركان الحرب متخرجون في أوربة وفي الاستانة ، والعسكر يؤخذ من عرب ولايات القطرين وما بينهما كالموصل وديار بكر بالنظام الذي يؤخذ به من الولايات التركية وكل منهما آية في الشجاعة ولكن ضباط الترك اكثر . وقد ظهر لنا بالعيان ان الحروب النظامية التي يدير حركتها هؤلاء الضباط هي التي اذلتنا واسقطت قيمة شجاعة جنودنا في الحرب البلقانية الاخيرة وفي الحرب الروسية التي كانت قبلها وكانت مقدمة لاستقلال هؤلاء البلقانيين بعد ان كان اكثرهم تابعاً لدولتنا ونسب فيهما لقواد الترك من الخيانة ما لم يتلوث بمثله العرب، ولا يشك أحد في ان سلانيك عاصمة أحرار الترك والمركز العام لجمعية الاتحاد والترقي قد اخذها اليونان غنيمة باردة بخيانة حسني باشا ورجاله . ونحن لانحب المفاضلة بين العرب والترك في أمر مشترك بينهم كالجندية وانما ذممنا هنا خاص ببعض القواد والرؤساء الذين كانوا سبب كل بلاء حل بدولتنا لا للعنصر التركي. على انه قد كان للعرب في هذه الحرب البلقانية حملات خصهم العالم بالثناء عليها . لا افضل شعبا على شعب في الشجاعة والحرب ولكنني أقول : ان المدرسة الحربية وغيرها من مدارس الآستانة لم تفسد من دين

العرب واخلاقهم كما افسدت من غيرهم .

واما البدو من العرب ومن على شاكلتهم من سكان المدن والقرى في عقر الجزيرة فهم أشجع قلبا وأشد بأسا من حضر العرب والترك الموصوفين بالمدنية حتى ان عرب اليمن ونجد يصفون الجندي العثماني بالجبن والضعف ، ولو كان هؤلاء القوم يعرفون من النظام العسكري مايعرفه الجند العثماني ويحملون من السلاح مايحمله لكان التابور منهم يغلب عشرة توابير من غيرهم

قد اصبح من البديهيات التي لايختلف فيها اثنان أن الجيش العثماني لايقدر على صدّ اية دولة من الدول الكبرى اذ ارادت الاستيلاء على الحجاز وانما يقدر على ذلك عرب الحجاز واليمن ونجد والشام والعراق، لايحتاجون فيه الا الى القوت الضروري والسلاح والذخيرة واتفاق الكلمة ، فان كان هؤلاء مستعدين بما ذكرنا للدفاع عن حرمهم وبلادهم لايمكن أن تتجرأ دولة أوربية على الاصطلاء بنارهم لاسباب متعددة (منها) شجاعتهم وصبرهم وعدم مبالاتهم بالموت (ومنها) انهم لايقفون في وجه عدوهم ويحاربونه حرباً نظامية يقضى بها على معسكرهم اذا غلب، بل يتألفون عصابات تهاجم مكان الضعف منه عند اصابة الغرة فان لقيت ما لا قبل لها به فرت من وجهه في صحاريها واعتصمت بجبالها حتى تصيب غرة أخرى (ومنها) طبيعة البلاد وتعذر معيشة الاوربي فيها (ومنها) ان الخسارة الكبيرة فيها ليس وراءها ربح مادي يكون عوضاً عنها . وقد انقرض التاريخ الذي كان الاوربيون يسفكون فيه أنهار الدماء لاجل الانتقام الديني أو عظمة الملوك وقهر أعدائهم

كل مايمكن أن تفعله دولة أوربية بحرية في هذه السبيل هو أن تستولي على سواحل جزيرة العرب فتبدأ منها بما عدا الحجاز كاليمن وحضرموت والعراق وسورية ثم تجعل سواحل الحجاز تحت مراقبتها البحرية فتمنع عنها السلاح ، وتلقي العداوة والبغضاء بين أمراء الجزيرة ، فتغري بعضهم ببعض وتساعد من يستجيب لها على خصمه بالمال حتى اذا مافل الحديد الحديد ، وبأس القوم بينهم شديد ، وضبطت موارد الرزق ومنع السلاح تعقد الدولة التي تفعل ذلك مع كل أمير وزعيم في جهة من جهات الجزيرة اتفاقاً على حرية التجارة وتأمين التجار وغيرهم ، ويدخل وراء ذلك الخمر وتجاره والبغاء وتجاره ، والمبشرون وكتبهم، كما وقع في مسقط والكويت وجميع بلاد الدولة، فيقع العداء الشديد بين الشعب ورؤسائه ويتم لاعدائهم مايريدون منهم . وكم أظهر دعاة النصرانية من الافرنج الشغف والميل والرجاء والامل بأن ينشروا دعوتهم في

جوار الكعبة وعرفات ومسجد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وكم أظهر متعصبو السياسة ما يتمنونه من نقل الكعبة والقبر الشريف ووضعهما في (اللوفر) أو غير اللوفر من دور التحف والعاديات في أوربة لتكون أثراً تاريخيا يفتخرون به (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

فالواجب على الدولة العثمانية أولا وبالذات أن تعترف بالاستقلال الاداري والدفاعي لجميع امارات البلاد العربية ومنها الحجاز وعسير واليمن بشرط ان لا تنفرد إمارة منها بعقد اتفاق ولا معاهدة مع الاجانب لا سياسية ولا اقتصادية، وأن تساعدها على تنظيم ادارتها وقوى الدفاع فيها وعمرانها بالوسائل المقنعة المرضية عند أهلها ، وجمع كلمة أمرائها ، وأن يكون الجند الذي ينظم فيها عونا للدولة على أية دولة أجنبية تحاربها بقدر الاستطاعة وبهذا تربح الدولة قوة كبيرة لا تنفق عليها شيئا من المال ، وتستفيد اخلاص العرب في هذه الامارات وفي ولاياتها السورية والعراقية ، ولا تخسر في مقابلة هذا الربح شيئاً فانها منذ أعلنت امتلاكها لتلك الامارات في جزيرة العرب الى هذا اليوم لم تربح خزينتها منها شيئا بل خسرت الملايين من الاموال ومئات الالوف من الرجال وتخريب البلاد وافساد العمران . فبهذا يحفظ الحرمان الشريفان من عدوان الاجانب ، فان الشيء لا يحفظ الا بحفظ سياجه

فان قيل : ان الدولة ما تعمدت اضعاف العرب وحرمت بلادهم حتى الحرمين الشريفين من العلم الا خوفا ان يعتزوا ويقووا فيستقلوا دونها ويستعيدوا الخلافة الاسلامية فكيف تسعى هي الى تقويتهم؟ فالجواب ان هذا اللقب قد جنى على الاسلام والمسلمين أكبر الخطوب والمصائب وكان أشد أسباب ضعفهم من حيث لم ينفعهم شيئا وأنا أضمن ان اولئك الامراء يرضون بأن يعترفوا لسلطان الدولة بالخلافة اذا هي رضيت بما ذكرنا

والواجب على المسلمين في جميع بقاع الارض أن يساعدوا أهل تلك البلاد المقدسة على كل ما به حفظها وحياتها الدينية والمدنية سواء وفقت الدولة للقيام بما يجب عليها لها أم لم تقم بذلك ، وانما تطلب المساعدة منهم بالمال ثم بالرجال الذين يصرفون ذلك المال في انشاء المدارس والملاجئ وأسباب القوة والعمران، وتحسين معيشة العربان، واذا نجحت (جمعية خدام الكعبة) وأصاحت قانونها فانها تستطيع أن تؤدي خدمة جليلة يشكرها لها الله تعالى من فوق عرشه ويثيبها عليها ويشكرها لها جميع المسلمين، ومتى رأوا باكورة ثمرتها يدخلون فيها أفواجا والله الموفق والمستعان

﴿ احتفال لتكريم احمد فتحي باشا زغلول ﴾

احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية يعد في مقدمة الذين نبغوا بمصر في هذا العصر ، وهو من مريدي الاستاذ الامام في الفلسفة والادب والاجتماع وعلو الهمة ، ومن مزاياه التي فاق بها أهل طبقته الذين تعلموا على الطريقة الأوربية واتموا علومهم في أوربة أن اشتغاله في خدمة الحكومة بالجد وترقيه في مناصبها لم يصرفه عن الاشتغال بالعلم مطالعة وترجمة وتصنيفا فله عدة آثار علمية مطبوعة ما بين مصنف ومترجم وهو حسن الاختيار لما يترجمه، وناهيك بترجمته لكتاب روح الشرائع تأليف بنتام الشهير ، ولكتاب سر تقدم الانكليز السكسونيين لأدمون ديمولان في التربية والتعليم، ولكتابي روح الاجتماع وسر تطور الأمم - كلاهما لغوستاف لوبون - اللذين هما من خير ما كتب الافرنج في علم الاجتماع الانساني . وكان آخر ما ألفه شرحه للقانون المدني المصري الذي اعجبت به الحكومة وجمهور رجال القانون من القضاة والمحامين . وقد اسمعني مقدمته قبل إتمام طبعه فرأيته يجول في علم القوانين جولان الأئمة المجتهدين في علم الفقه فتذكرت له مثل هذه الجولة الاجتهادية اذ حضرت منذ خمس عشرة سنة محاكمته للأمير سيف الدين بمحكمة مصر الاهلية وكان رئيساً لها

ولما طبع هذا الشرح وانتشر اجتمع بعض رجال القانون والعلم من قضاة ومحامين وغيرهم تحت رياسة الشيخ محمد بخيت مفتي نظارة الحقانية ودعوا الى الاحتفال به في دار الجامعة المصرية فاجاب الدعوة جمهور عظيم من قضاة الشرع وعلماء الازهر وقضاة المحاكم الاهلية والمحامين والادباء والوجهاء وخطب شكري باشا وعبد العزيز بك فهمي والدكتور صروف ومحمود بك ابو النصر فأثنوا على المحتفل به وعلى كتبه عامة وكتابه الجديد خاصة ، وختمت الحفلة بخطبة له كانت أشد الخطب تأثيرا كما كانت احسنها إلقاء وهذا نصها :

﴿ خطبة فتحي باشا ﴾

سادتي !

رجعت الى المعاجم التمس منها كلمات تسمو معانيها الى سماء فضلكم ، أو صيغة حمد تفي بقليل من واجب شكركم ، فما راقني لفظ ولا شاقني معنى ، ورغبت عن التنقيب والاستفادة ، الى الاقرار والشهادة

أنا عاجز ، نعم أنا عاجز عن إيفائكم حق الثناء لقاء صنيعكم ، لكني لن أعجز عن الاحتفاظ بعهدكم ، والبقاء على الدوام متأثراً بجميلكم

شرفتم هذا المكان لتكريم خادم ظننتم به خيرا ، وما خيره الا منكم ، وأردتم أن توفوا له فضلا والفضل أنتم مواليه ، ولا أرى في اجتماعكم هذا الا حركة نفسية من حركات الامة تقطع دور السكون ، وتعلن يقظتها وشخوصها نحو الرقي ، بعد أن اختمرت الافكار وتمكن اليقين بأن لاحياة إلا بالحضارة ، ولا حضارة الا بالعلم ، وما أنا الا ذريعة تخذتموها للقيام بهذه الحركة المباركة

هذا مظهر خلق جديد كمن حتى اكتمل ، وسكن حتى نما وتم ، خلق لا تقوم أمة بدونه وهو عماد كل رقي ، هو محبة الكل خيرَ الكل في كل فرد من الافراد ، وظهور هذا الخلق دليل على ما للامة من الصفات الكريمة الاولية ، ومن الاخلاق الفطرية الاجتماعية ، مما اذا عولج صفا ، وأعلى مكانتها ، ووصل بها الى الدرجة التي تستحقها في هذا الوجود

من يخبر حال هذه الامة ويقف على كنه خلقها ، ويعرف جيدا حقيقة خصالها ، ويدرك الصحيح من آمالها ، وينعم النظر في أعمالها ، يقتنع بأن التربة زكية لا يفسد زرعها الا شيء من البذور الرديئة ، وبأن الخلق كريم يغشاه ستار من عدم العلم التام بالواقع ، وبأن الآمال كبيرة شريفة لكنها مشوبة بشكوك وأوهام تطوح بنا يوما ذات اليمين ويوماً ذات الشمال ، أما أعمالنا فثمرة هذا وذاك ، نهتاج والسكون واجب ، ونلهو وكل النجح في العمل ، وما كان شيء من كل هذا يكون لولا خطأ في تقدير حقيقة حالنا ، وعدم التفات الى حركة البيئة التي نحن فيها ، ونسيان لشيء كثير من الماضي ، ولهو عن الحاضر ، وعدم اهتمام بما هو آت ، ومحال أن تدوم هذه الحال ، فلابد لنا من اعداد العدة اللازمة لذلك التحول وما هي الا العلم

العلم هو سلم الامم الى حضارتها ، فهو كاشف ظلمات الجهل ، ومسدد الآراء ، ومنجح كل مجهود ، هو الذي اخترق الارض فأخرج مكنوناتها ، وحكم في المادة فاستلب منها كنوزها ، وتسلط على البحار فسادها ، ورقى الى الجو فحلق في القبة الزرقاء طالبا للناس علوا وكمالا ، وقرب الابعاد فأضاف الى الوقت أوقاتاً ، وضم الى حياة الانسان حياة وحياة ، بهذا أنار البصائر وشد العزائم ، وقوى الهمم ، فأنهض الامم ، وأعلى كلمة التي كان حظها منه وفيرا

أرجو أن يكون في مظهركم هذا دليل على اننا قطعنا دور التنافر والتفرق ، وعرفنا

الصواب بعد أن حجبته عنا الاوهام زمناً طويلا ، ودخلنا من باب العمل الصحيح النافع ، واقتنعنا بأن الضعف - وما الضعف الا الجهل - يطمس على القلوب ، ويجعل القوم يرون حسنا ماليس بالحسن ، يظنون أن التأخر آت من عارض خارجي وانهم اذا قعدوا عن التماس وسائل التقدم فالمقصد يجذبهم الى الوراء ، لكنهم متى علموا عرفوا أن العلة ذاتية ، وأن الدواء في اليد ، وأن قتل الوقت في الظنة والاتهام ، مضيعة لما يفيد ، وداع جديد من دواعي الضعف والتأخر

أرجو أن يكون في اجتماعكم هذا دليل على السآمة من هذه الحال ، بل على الفزع من أخطارها الاجتماعية الكبرى ، وعلى ان العلم الذي ينبث فينا أخذ ينقي الضمائر ويجمع شمل المتفرقين ، ويطهر السرائر ويوحد كلمة المتنافرين ، وينير البصائر فيهدينا الى أن التآزر شرط النجاح ، وأن يد الله مع الجماعة ، وأن التباغض مجلبة الشر ، والتنابذ يمهد سبيل الذل ، وان في التضاغن تهلكة للناس

لعل رجائي محقق باقبالكم على هذا المكان ملتفين حول راية واحدة مع اختلاف العناصر والمعتقدات ، ومنبعثين من روح واحد ألف بين قلوبكم جميعاً فتعارفتم وجئتم اخواناً فرحين بوجه باسم يحيي موجد هذا الروح وباعث ذاك الشعور - العلم سادتي !

ماخيم الجهل في أمة الا أذلها ، وما انبلج ضوء العلم بين قوم الا عزوا

أيها العلماء . أيها العظماء . أيها الشعراء والادباء ، قادة الافكار ، دعاة الامة ، اربأوا بها فالسبيل واضح ، علموا الامة ، علموا الامة

(المنار) اشار الخطيب المحتفل به الى ما امتاز به هذا الاحتفال على غيره حتى كان هو الأول في بابه ، وهو اجتماع اصناف من الناس لم يتفق اجتماعهم في أمثاله ، فقد كانت لجنة الاحتفال مؤلفة من بعض علماء الازهر وعلماء القانون وغير القانون من العلوم العصرية ، بعضهم من المسلمين وبعضهم من النصارى ، وبعض النصارى من قبط مصر وبعضهم من السوريين ، وكذلك الذين اجابوا الدعوة وحضروا الاحتفال. ومن أكبر ضروب العبرة في هذا الاجتماع حضور طائفة من علماء الأزهر وكون رئيسه من اشهر فقهائهم (وهو الشيخ محمد بخيت) وقد كانوا من قبل يشددون النكير على القوانين ومتعلميها ومن يحكم بها ولا نقول أكثر من ذلك في هذا المقام. ثم صار بعضهم يدخلون أبناءهم مدارس الحقوق ليتعلموا هذه العلوم ويحكموا بهذه القوانين . على أن القانون المدني اقرب من سائر القوانين الى فقه المسلمين

ومن ضروب العبرة فيه اختلاف ذوق المسلمين وشعورهم الديني والأدبي في مسألة تدل على مبلغ تأثير التفرنج في البلاد ، وهي ان بعض المسلمين الحاضرين كان انكر على جماعة العلماء تأخير صلاة المغرب الى قرب وقت العشاء فلما صلوها سروا بذلك وأثنوا خيرا ، وأنكر آخرون عليهم انهم قاموا من مكان الاحتفال قبل انتهائه الى مكان آخر صلوا فيه وعدوا ذلك من قلة الذوق ورأوا أنه كان ينبغي لهم تأخير المغرب عن وقتها ، ولعل بعض هؤلاء لا ينكر عليهم ترك صلاتها البتة لأجل الاحتفال ، فأين الشعور الاسلامي عند هؤلاء من شعور مسلمي نجد واليمن الذين لم يبق لهم ثقة بأحد من علماء الامصار التي دخلها التفرنج وفشا فيها

يقول أولئك المسلمون ان هذه المنكرات هي التي اضعفت الاسلام واضاعته ، ويقول هؤلاء المتفرنجون ان جمود أولئك المسلمين وجهلهم بحضارة العصر هي التي اضاعت ملك الاسلام وذهبت بقوته ، وأكبر المصائب على الاسلام وأهله وملكه في هذا العصر هو الاختلاف البعيد بين أهله في مقومات الامة ومشخصاتها ، وانحلال الروابط القديمة بالتفرنج الذي لم يستطع أهله ان يستبدلوا بما حلوه وقطعوه منها ما هو منها ولا مثلها . أما أسباب الضعف والقول الفصل فيها فقد بيناه في المنار غير مرة

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

كتاب الجغرافيا التجارية

تأليف ج . ج . شيشولم استاذ الجغرافية بجامعة ادنبرج . الجزء الاول من الطبعة الاولى مطبعة المعارف سنة ١٣٣٠ ه وسنة ١٩١٢ م . ص ٣٣١ بقطع رسالة التوحيد

الكتاب مطبوع طبعاً نظيفاً على ورق جيد مباحثه (١) فوائد دراسة الجغرافية التجارية (٢) قيمة البيانات العددية (٣) المنسوجات القطنية ، تحسين وسائل النقل ، حقائق عامة خاصة بانتاج وتوزيع وتبادل البضائع ، الجو ، التربة - الى غير ذلك ثم فصل الحاصلات فحاصلات الاقاليم المختلفة فالحاصلات المعدنية

﴿ رسالة في المحاسبة التجارية العملية ﴾

تأليف المسيو ف . جروفلير استاذ العلوم التجارية الطبعة الاولى بمطبعة المعارف بمصر سنة ١٣٣٠ ه وسنة ١٩١٢ ص ٤٠١ بقطع سابقها

الرسالة مطبوعة كطبع الكتاب السابق من حيث النظافة وجودة الورق ومباحثها:

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

الباب الاول عموميات في الفن وحواصل الاشياء أو القيم وحواصل الاشخاص الى آخر الحواصل وبيان كيفية وضع الدفاتر وأمثلة لذلك ثم الباب الثالث في الجرد والميزان الخ - والباب الرابع في حواصل القيم وحواصل الاشخاص وحواصل التاجر

وقد ذكر في مقدمتها بان لحسن أفندي فهمي اسماعيل مدرس مسك الدفاتر بمدرسة المحاسبة والتجارة الخديوية الفضل في تصحيح هذه الترجمة العربية على أصلها الفرنسي وفي ترجمة التمرينات الموجودة بهذه الرسالة وفي تحويل الجداول من السكة (العملة) الفرنسية الى السكة المصرية

﴿ تمرينات على المحاسبة التجارية والمالية ﴾

جزء أول جمعه سليم أمين حداد أفندي المدرس بمدرسة المحاسبة والتجارة الخديوية الطبعة الاولى منه بمطبعة المقتطف سنة ١٩١٢ ص ٢٧٦ بقطع المنار

الكتاب مطبوع طبعاً مضبوطاً على ورق جيد وكله تمرينات عمليه

هذه الثلاثة الكتب أصدرتها ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجاري بنظارة المعارف العمومية المصرية وهي كتب مدرسية تدرس في مدارس الحكومة باللغة العربية فنشكر الحكومة على قيامها للامة بما لم تقم هي لنفسها به وهي تطلب من الادارة المذكورة ومن مخزن المعارف ومن مكتبة المنار بمصر

﴿ حياة البلاد . في علم الاقتصاد ﴾

ملخص باختصار من احدث المؤلفات في هذا العلم بقلم رفيق افندي رزق سلوم أحد طلبة الحقوق السوريين في الاستانة طبع بمطبعة قسطنطين يني في حمص (سورية) سنة ١٩١٢ م ص ١٢٦ بالقطع الوسط ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

الكتاب مطبوع على ورق جيد ويحتوي على ٤١ درساً ويعقب كل درس تمرينات في موضوعه فهو جدير ان يكون كتاباً مدرسياً، وقد جعله جامعه هدية احترام الى السيد عبد الحميد الزهراوي اعترافاً بفضله وعلمه وقد نشر الكتاب بجريدة الحضارة التي كان يصدرها السيد الزهراوي في الاستانة

﴿ كتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة ﴾

انشاء عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي عني بنشره وتعليق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٩١٢ م صفحاته ١٩٢ بقطع تفسير سورة الفاتحة ثمنه ١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

هو كتاب تعليمي انشائي حري بالمعلمين والمتعلمين الاطلاع عليه لينسج واضعو الكتب

المدرسية على منواله في موضوعه وقد صدره ناشره بمقدمة بين فيها ماقاساه من التعب في استخراجه لصعوبة قراءة خطه وأظهر مكانة الكتاب في عالم الادب ونشر فيها صفحة منه نموذجا من أصله

﴿ الجواب المنيف. في الرد على من يدعي التحريف في الكتاب الشريف ﴾

صنفه الاستاذ الشيخ يوسف أحمد نصر الدجوي المدرس بالازهر طبع بمطبعة النهضة الادبية سنة ١٣٣١ ه و١٩١٣ صفحاته ٢٧٧ بقطع الاسلام والنصرانية على ورق جيد بحروف جيدة ويطلب من مكتبة المنار وثمنه ٨ قروش

موضوع الكتاب رد مفتريات كتاب « هل من تحريف في الكتاب الشريف » الذي ألفه القس كولديساك الانكليزي وقد جاء فيه المؤلف بالنصوص الواضحة والحجج الدامغة وصدره بفاتحة أوضح فيها سبب تأليف كتابه ونعى على حكام المسلمين وأغنيائهم وعلمائهم ماهم فيه من التواني عن نصرة الاسلام فقال : « واني لاعجب من متانة هذا الدين حيث لم يؤثر عليه (الصواب - يؤثر فيه) ذلك التيار الجارف الذي تؤلف له الجمعيات في أوربا وأميركا أو تصرف في سبيله مئات الملايين على حين ان حكومات المسلمين ساهية لاهية لا يعنيها أمر الدين، وان أغنياء المسلمين لايبذلون أقل قليل في ذلك السبيل وان علماءهم لا يتفقدون عامتهم بالارشاد والتذكير » الخ وليت الاستاذ تذكر بان نفرا من الفضلاء أهل الغيرة على الدين قد أنشأوا « جماعة الدعوة والارشاد » للغرض الذي يقصده وان عليه وعلى أمثاله تعضيد المشروع وما أراه الا فاعلا ان شاء الله تعالى

ويجدر بمن اطلع على الكتاب « هل من تحريف في الكتاب الشريف » والكتب التي ينشرها دعاة النصرانية بمصر أن يطلع على هذا الكتاب

﴿ النصائح العصرية في الخطب المنبرية والنفحات النبوية في الخطب العصرية ﴾

ديوانا خطب ألفهما الاستاذ الشيخ حسن خير الدين فتيان خطيب وامام الشافعية في جامع النصر وأحد مدرسي العربية في المدرسة الابتدائية في مدينة نابلس وكلاهما مطبوع بمصر ومضبوط الكلمات بالحركات ويطلبان من مكتبة المنار ومن الشيخ احمد على المليجي ملتزم طبعهما

من مميزات هذين الديوانين أن مؤلفهما لم يثبت فيهما من الاحاديث غير صحيح السند وجميعها معزوة الى مخرجيها والمؤلف من محبي الاصلاح الغيورين على الملة فنرجو ان يكون لاعماله - ومنها هذا المؤلف - نفعا عميما

باب الأخبار والآراء

قتل محمود شوكت باشا

أهم حوادث هذا الشهر قتل محمود شوكت باشا الصدر الاعظم وناظر الحربية. كان خارجا بسيارته الكهربائية من نظارة الحربية فدنت منها سيارة أخرى عند وقوفها في الطريق بسبب مرور جنازة وأطلق عليه الرصاص ثلاثة نفر منها فخر صريعا في الحال وطارت سيارة الجناة فلم يدرك لها أثر. وقد عرا جماعة الاتحاديين الوجل والذعر لهذه الفاجعة وهمّ زعماؤهم بالفرار من الاستانة أو الاستخفاء فيها فكان أثبتهم جأشا جمال بك محافظ العاصمة فثبتهم وبادر الى القاء القبض على كل من وجد من خصوم الاتحاديين السياسيين الذين كان يصرف جل أوقاته في مراقبتهم وأسلمهم الى ديوان الحرب العرفي وكل رجاله من الاتحاديين فعذبهم وأساء معاملتهم، فألقى الرعب في قلوب أهل العاصمة وتمكنت الحكومة والجمعية من الاحتفال بجنازة قتيلها فكان عظيما، وجعل ناظر الخارجية البرنس سعيد باشا حليم صدراً أعظم

ثم لم يلبث ديوان الحرب ان سجن مئين ونفى مثلهم وحكم بالاعدام على عشرة من كبار الزعماء الذين جعلهم جمال بك في موضع التهمة بالاشتراك بالقتل أو التدبير له. وبادرت الحكومة باخذ توقيع السلطان (الارادة السنية) بقتل من قبضت عليه منهم وفي مقدمتهم صالح باشا بن خير الدين باشا التونسي الشهير وهو من أصهار السلطان. وروت الجرائد ان أخت السلطان شفعت عنده في زوجها وبكت وأبكت ولم يمكن العفو عنه لاصرار الاتحاديين على قتله لانه من أكبر خصومهم. وحكموا أيضاً على صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان فاستخفى بمساعدة بعض الاجانب وفر كثير من خصومهم السياسيين لاعتقادهم ان الجمعية ستغتنم هذه الفرصة للفتك بجميع من تظفر به من المخالفين لها في سياستها. ومن جملة الذين فروا اسماعيل بك وكيل حزب الحرية والائتلاف، وكان الاتحاديون قبل الحادثة قد عرضوا عليه تأليف الوزارة من الحزبين (الاتحادي والائتلافي) فأبى وقال أن حزبه قد أعلن رسميا ترك العمل مدة الحرب لعدم التهويش على الحكومة بالسياسة فليس له صفة الاتفاق معهم الآن. وكذلك كانوا كلموا صباح الدين افندي في الاتفاق معهم فأبى. ذلك بانهم كانوا يشعرون بضعفهم ونفور الأمة منهم وكيد الاحزاب لهم فكان قتل زعيمهم قوة لهم لانه كان من قبل الأفراد لا الاحزاب كما علمنا فجعلوه حجة لتنكيل الحكومة بالرجال الذين يخالفونهم

اختلف العثمانيون والافرنج في الثناء الحسن والقبيح على محمود شوكت باشا كما هو شأن الناس في كل من ينال شهرة ، والحق الذي ظهر لي من كلام المختلفين واختباري الشخصي بلقائه مرارا متعددة في الآستانة وسماعي كلامه وآراءه وكلام العارفين فيه انه رجل عسكري غير سياسي ، وان معارفه العسكرية أكبر من شجاعته ، وانه كان يخاف جمعية الاتحاد والترقي لجاراها على اشتغال الجيش بالسياسة وكان يتربص الفرص لازالة سلطتها من الدولة الى ان اتهمه مجلس المبعوثين بالتواطؤ مع حقي باشا الصدر الاعظم على اضاعة طرابلس الغرب وطلب محاكمته معه فلم يجد امامه ملجأ يحميه من المجلس الا الجمعية التي اضاعت نفوذها من المجلس فكاد يسقط وزارتها بتهمة الخيانة ، عندذلك ساعدها محمود شوكت باشا بنفوذه وتأثيره في القصر السلطاني فاصدر لها ارادة من السلطان بحل المجلس وصار معها بقلبه وقالبه ، ووثقت هي به ، فولته منصب الصدارة ونظارة الحربية بعد اسقاطها وزارة كامل باشا الاخيرة بقتل ناظم باشا ناظر الحربية

لما جئت الآستانة في أول شوال سنة ١٣٢٧ للسعي في تأسيس جمعية الدعوة والارشاد فيها كتبت الى هادي باشا قائد الجحفل الثالث في سلانيك استشيره في بدء السعي في ذلك فكتب الي ان ابدأ بعرض المشروع على محمود شوكت باشا وأعمل برأيه وكتب اليه كتابا يعرفه بي ، فلما قابلته بين لي رأيه في المشروع وان الاسلام والدولة في أشد الحاجة اليه وما يخشى من المقاومة له ، وعهد الي ان اذهب من قبله الى الصدر الاعظم (حسين حلمي باشا) أولا ثم الى ناظر الداخلية (طلعت بك) وان أرجع اليه فأخبره بما يقولان ، ثم كانت سيرته معي أو سيرتي معه هكذا : كلما تجدد شيء في السعي أخبره به ويذكر لي رأيه فيه ، وقد كنت أجلس عنده الساعة والساعتين وأكتب من كلامه ما أراه جديرا بأن يكتب في دفتر المذكرات المؤرخ ، ومنه كلمة فلتت بالمناسبة في رأيه في زعماء الاتحاديين أشرت اليها في مقال سابق من غير عزو اليه ، وهي قوله بمناسبة وعد طلعت بك وحقي باشا بتنفيذ المشروع « هل صدقت ؟ ان هؤلاء ظاهرهم غير باطنهم »

لوأن محمود شوكت باشا شجاع لاسقط الجمعية أو أصلحها ، ولوانه أمر بمحاكمة قاتلي سلفه ناظم باشا لما اشتد السخط عليه وأقدم من أقدم على قتله

ذهب معي مرة لزيارته صديقي السيد عبد الحميد الزهراوي وكان مبعوثا فاثنينا على خطبته التي خطبها في نظارة الحربية بوجوب امتناع الضباط من الاشتغال بالسياسة وقلنا له اننا لا نزال نراهم على حالهم لم يمتنعوا ، وذكرنا له حادثة كانت وقعت في نابلس

من أقبح حوادثهم وأفظعها في العدوان، فقال أما هذا فقد امتنع اشتغالهم بالسياسة وأما في الاماكن البعيدة كبلادكم فيحتاج منعهم البتة الى زمن ، ولكن ظهر بعد ذلك رسميا مما كتبه في عريضة استقالته من نظارة الحربية ان قوله هذا غير صحيح . وذكرنا له مسألة التناظر والتغاير بين الترك والعرب وأعمال رجال الدولة والجمعية التي أحدثت الخلاف وما يجب من تلافيه . فقال انني أسمع كلاما في هذا لا يعجبني وأرى مستقبل الدولة لنا نحن العرب لاننا أكثر عددا وأزكى فهماً وأنشط في العمل ولكن يجب أن ندخل أولادنا مدارس الدولة ونرتقي بها ، ولكنه مع هذا لم يساعد العرب ولا كف عنهم شيئا من العدوان بل هو الذى سير الحملات العسكرية الى اليمن والكرك وحوران اطاعة للجمعية . على ان هذه الشدة هي التي كونت المسألة العربية الحاضرة

وقد بلغنا من الاخبار الخاصة انه كان في العهد الاخير عازماً على اجابة العرب الى مطالبهم الاصلاحية وان كان هو الذي أمر بتشديد حازم بك على طلاب الاصلاح في بيروت . وقد أشار طلعت بك في كلام له نشرته الجرائد الى ميل شوكت باشا الى اجابة العرب الى ما يطلبون من الاصلاح المعقول . وبالجملة فان للرجل ـ عفا الله عنه ورحمه ـ حسنات وسيئات وأمورا متناقضة والله أعلم بالسرائر

﴿ احتجاج حزب المحافظة على حقوق الانسان على فظائع الاتحاديين ﴾

لما اتصل بحزب حقوق البشر الفرنسيين خبر الاعمال الفظيعة التي ارتكبها الاتحاديون بحجة التحري عن قتلة شوكت باشا أرسل رسالة برقية بواسطة رئيسه الى مولانا السلطان من باريس في ١٨ يونيو احتجاجا على فظائع الاتحاديين وهذه ترجمة الرسالة :

اسمحوا ياصاحب الجلالة لاصدقاء مخلصين للدولة العلية أن يستغيثوا بما اتصفتم به من العدل والانصاف باسم ستين ألفا من الرعايا الفرنسيين (اعضاء حزبهم) اذ قد يتعذر على الرأي العام الاوربي أن يتصور قيام حكومة في أيام سلطان محب للقوانين والتقدم لالقاء القبض على الجموع العديدة عقب قتل شوكت باشا والقاء العذاب الاليم بهم واعدام المتهمين منهم دون أن تضمن لهم الحق بالدفاع عن أنفسهم

أجل ان الحكومات والشعوب لم تجن الا العلقم من اتباع سياسة الارهاب ولا شيء شر وأسوأ من التذرع بحجة جرم سياسي لالغاء الحزب المعارض والقضاء عليه القضاء الاخير

الامضاء : رئيس الحزب

﴿ الاتفاق التركي الانكليزي – وأثره في بلاد العرب ﴾

بينا في الجزء السابق شأن هذا الاتفاق ومواده وما فيه من الغبن والضرر على الامة العربية والدولة العثمانية بالاجمال واشرنا الى ان للكلام في موضوعه بقية ، وقد ضاق هذا الجزء بكثرة مواده عن نشر مالدينا من الاراء والاخبار فيه فنكتفي بذكر نتيجة واحدة من نتائجه وهي وصول سوء الظن بالسلطة الاتحادية الى امراء جزيرة العرب وعشائرها فاعتقدوا ما يعتقده جمهور أهل الرأي في الولايات أنها لبغضها للعرب تريد ان تحكم في رقابهم ورقبة بلادهم دولة أشد منها باسا واصعب مراسا وهي الدولة الانكليزية التي لا يرجى لهم اذا هي ملكت بلادهم استقلال ، الا اذا انقلب ما عليه الامم والدول الآن من شؤون الاجتماع من حال الى حال ، وقد حدث في هذه الاثناء حادثتان عظيمتان في تلك البلاد التي يتعلق الاتفاق بشؤونها ، وهما استيلاء الامير ابن سعود على بلاد الأحساء التي تسميها الدولة متصرفية نجد ، والثانية اشتداد الاضطراب في ولاية البصره حتى كان من نتائجه قتل قائد الدولة في البصرة (قومندان البصرة) ومتصرف المنتفج

استيلاء ابن سعود على الاحساء

نشرت جرائد العراق وسورية ومصر خبر استيلاء الأمير عبد العزيز بن سعود على تلك البلاد – الاحساء والقطيف والعقير – واخراجه لعمال الدولة وعسكرها منها وارسالهم الى العراق ، وجاءنا من أخبار تلك البلاد الخاصة مالم نر تفصيله في الجرائد. وابن سعود يرى ان هذه البلاد من إمارته التي ورثها عن آبائه وأجداده وانما استولت عليها الدولة أخيرا في عهد ولاية مدحت باشا على بغداد بمساعدة الشيخ مبارك الصباح وآل بيته ، وكان الشقاق يومئذ بين آل سعود قد أضعفهم فلم يستطيعوا مقاومة العشائر التي زحف بها على البلاد آل الصباح مع عسكر من الدولة

ثم سلطت الدولة ابن الرشيد على ابن سعود لينزع منه بقية البلاد فاتفق ابن سعود مع الشيخ مبارك الصباح على ابن الرشيد فاسترجع منه ماكان استولى عليه حتى لم يعد له نفوذ الا في عشيرته . ثم ان ابن سعود والشيخ مبارك تنبها لما يجب على المسلمين من الاتحاد والولاء فكانا شديدي التعلق والاخلاص للدولة العثمانية على كثرة ما يريانه من سوء معاملتها

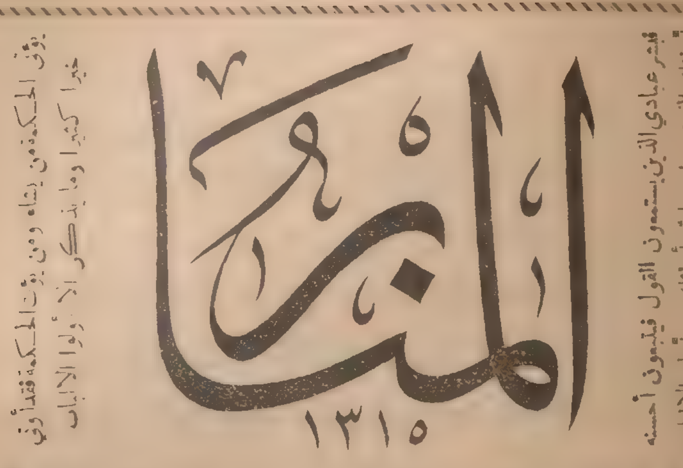
ولكن بيع الاتحاديين لشرقي بلاد العرب رقبتها أو مصالحها ومنافعها للانكليز بعد بيعهم طرابلس الغرب لايطالية جدير بأن يخيفهم على بلادهم فلا غرو اذا بادر

بن سعود لاسترجاع بلاد الاحساء

ومن الاخبار الخاصة ان ابن سعود طهر تلك البلاد عند استيلائه عليها من الرجس فأجلى العاهرات وبائعي احمر الى البحرين والبصرة) وأبطل الحكم بالقوانين وأقام الاحكام الشرعية . ومنها انه كتب الى السيد فيصل صاحب مسقط بأن يكون تابعاً لامارة نجد كما سبق وأوعده بأنه سيزحف على عمان فيصل اليه بعد أربعة أشهر . وبلاد عمان تتمخض الآن بالفتن فقد نصب الاباضية لهم إماما تبرأ اتباعه وهم عدة عشائر من السيد فيصل لموالاته الانكليز . ويقال ان ابن السعود اتفق مع بعض رؤساء العشائر في عمان على ان يؤيدوا امراءه ويساعدوه بالمال والرجال عند الحاجة على ان يصد عنهم مداخلة الانكليز في بلادهم التي تفسد عليهم دينهم بالبغاء

الاضطراب في البصرة

اصطنع الاتحاديون عجيمي بك السعدون من رؤساء عشائر العراق الذي اعتقلت والده فمات في السجن وسبب اصطناعها اياه أمران (أحدهما) انه نهب مال عمه وقدره ١٧٠ ألف ليرة عثمانية وهم يدورون حول الدينار ولو كان في النار (وثانيهما) اغراؤه بطالب بك النقيب الذي اعيا الجمعية نفوذه في البصرة على كونه مقاوما لسياستها المبنية على اضعاف العرب وهضم حقوقهم حتى انفض بنفوذه الناس من حولها وأقفل ناديها . وقد كان ناديها في بغداد اقترح على مركزها العام تعيين عميدها وعتادها في العراق أمير الألاي فريد بك واليا للبصرة ليكفيها أمر طالب بك ويخضع الولاية لعظمتها فلم يقبل اقتراحه خوفا ان يثير ذلك فتنة تعجز الحكومة عن تلافيها اذ ليس عندها جند كاف في العراق ولا سبيل الى ارسال جند من مكان آخر وهي في قتال مغلوبة فيه على أمرها في البلقان ، فاكتفت بجعل فريد بك قومندانا لها موقتا . فكان أول عمله إغراء عجيمي بك السعدون بالزحف برجاله على البصرة وطلب اخراج طالب بك منها أو يهجم برجاله عليها ، فزحف عجيمي حتى وصل الى قرب البصرة فاضطرب الناس وفر الاجانب الى الاماكن القريبة الآمنة كالمحمرة وبطلت التجارة ، وخاطب وكلاء الدول الحكومة بوجوب إكراه عجيمي بك على الرحيل ، وفي أثناء ذلك هجم بعض أشقياء العربان على فريد بك وهو في جهة العشار (مدخل البصرة من شط العرب) مع بديع بك نوري متصرف المنتفك فقتلوهما بالرصاص ، فسكنت بعد ذلك ثورة عجيمي بك السعدون وجاء البصرة مصالحا لطالب بك طالبا منه العفو . ثم انه أرسل برقية الى الحكومة باسمه واسم كبراء عشيرته يطلبون فيه اللامركزية الادارية في البلاد - فهذا مثال من سياسة الاتحاديين وادارتهم فنسأل الله حسن العاقبة ، وتوفيق الدولة



﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣١هـ ق ١١ الصيف الأول ١٢٩١هـ ش ٢ أغسطس ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

﴿ تتمة واستدراك في مباحث حل الطعام وحرامه والتذكية والتسمية ﴾

كتبنا ما تقدم في تفسير الآية مستعينين على فهمها ببيان سنة رسول الله (ص) وما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين في الصدر الاول ، وذلك شأننا في فهم كتاب الله عز وجل نستعين عليه بما ذكر وبأساليب لغة العرب وسنن الله في خلقه . ثم راجعنا بعد ذلك ما كتبناه في مسألة حل الطعام وحرامه في المجلد السادس من المنار فرأينا ما كان منه بفهمنا واجتهادنا موافقا لما هنا مع زيادة بيان لحكمة تحريم الميتة ، ونقول من كتب مذاهب الفقهاء المشهورة ، فأحببنا ان نلخص منه ما يأتي إتماما للفائدة، حتى لا يبقى للمضلين الجاهلين سلطان على المطلع عليه يضلونه به كما فعل أشياعهم من نحو عشر سنين اذ سئل الاستاذ الامام المفتي عن قوم من أهل الكتاب (في الترنسفال) يضربون رأس الثور بالبلطة ثم يذبحونه ولا يسمون الله

كي يذبحون الشاة بدون تسمية ، فأفتى بحل ذبيحتهم هذه ، فقام بعض أصحاب الاهواء يشنع على هذه الفتوى في بعض الجرائد و يعد هذه الذبيحة من الموقوذة ويدعي الاجماع على حرمة الاكل منها. فكتبنا في مجلد المنار السادس بيان الحق في هذه المسألة وما يتعلق بها ، وجاءتنا رسائل من بعض علماء مصر والغرب فنشرناها تأييدا لما كتبناه في تأييد الفتوى . ثم اجتمع طائفة من علماء المذاهب الاربعة في الازهر وألفوا رسالة أيدوا بها الفتوى بنصوص مذاهبهم وطبعها الشيخ عبد الحميد حمروش (من علماء الازهر وقضاة الشرع لهذا العهد) وهاك ما رأينا زيادته الآن:

﴿حكمة تحريم الميتة﴾ بينا (في ص ٨١٨ و ٨١٩ م ٦ من المنار) حكمة تحريم ما مات حتف انفه من ثلاثة وجوه أو ذكرنا له ثلاث حكم (١) تعظيم شأن القصد في الامور كلها ليكون الانسان معتمدا على كسبه وسعيه ، فان التذكية عبارة عن ازهاق روح الحيوان لأجل أكله ولها صور وكيفيات كثيرة كما علم من تفسيرنا للآية (٢) ان الميت حتف انفه يغلب ان يكون قد مات لمرض أو أكل نبات سام و بذلك يكون لحمه ضارا . وكذا اذا مات من شدة الضعف وانحلال الطبيعة (٣) استقذار الطباع السليمة له واستخباثه وعد أكله مهانة تنافي عزة النفس وكرامتها . ثم قلنا هنالك ما نصه :

« واما ما هو في معنى الميتة حتف أنفها من المنخنقة والموقوذة الخ فيظهر في علة تحريمه كل ما ذكر الا حكمة توقي الضرر في الجسم فيظهر فيه بدلها تنفير الناس عن تعريض البهيمة الموت باحدى هـذه الميتات القبيحة في حال من الاحوال ، وان يعرفوا ان الشرع يأمر بالمحافظة على حياة الحيوان وينهي عن تعذيبه أو تعريضه للتعذيب ، و يعاقب من يتهاون في ذلك بتحريم أكل الحيوان عليه كيلا يتهاون في حفظ حياته. فان الرعاة يغضبون أحيانا على بعض البهائم فيقتلونه بالضرب و يحرشون بين البهائم فيغرون الكبشين بالتناطح حتى يهلكا أو يكادا . ومن كان يرعى انعام غيره بالاجرة يقع له مثل هـذا أكثر ، ولو كان كل ما هلك بتلك الميتات حلالا لما بعد ان يتعمد الرعاة وأمثالهم من التحوت تعريض البهائم لها ليأكلوها بعذر. ويدل على هذه الحكمة أحاديث صحيحة منها قوله (ص) بعد النهي عن الخذف وهو الرمي بالحصا والبندق (الطين المشوي لذلك) انها لا تصيد صيدا ولا تنكأ

عدوا ولكنها تكسر السن وتفقأ العين » رواه أحمد والبخاري ومسلم اه

ثم ذكرنا (في ص ٨٢٣م٦) حكمة أخرى في ضمن مقالة وعظية لعالم مغربي أيد بها فتوى الاستاذ الامام قال : وهل عرف اولئك العلماء حكمة الذبح المعتاد وشيوعه بين المسلمين بقطع الحلقوم والمريء مع قيام غيره مقامه في الصيد والدابة الشاردة والسمك والجراد والجنين في بطن أمه ؟ . . . فليعلموا ان كل قتل بحسب الاصل موصل المقصود ولكن الله لحكمته ورحمته بنا و بالحيوان جعل بيننا قسمة عادلة ومنة عامة فحرم علينا ماقتله الحيوان وما مات في الخلاء بغير قصد منا ليبقى ذلك كله للحيوان يأكله لأنها امم أمثالنا. وكأنه تعالى لم يرض ان نأكل مالم نقصده ولم نفكر فيه . فاما المذكى والصيد والسمك والجراد ونحوها فانها كلها لاتؤخذ الا بالنصب والتعب اه

أقول انني لما رأيت هذه الحكمة التي لم تكن خطرت في بالي تذكرت أن أراجع كتاب حجة الله البالغة لعلي أجد فيه من الحكمة ماأقتبسه في هذا المقام فرأيته أطال في بيان حكمة محرمات الطعام مراعيا فيها المعتمد في بعض المذاهب ولم يذكر في الميتة والدم المسفوح الا أنهما نجسان وفي الخنزير الا انه مسخ بصورته قوم . وقد أعجبني في هذا الباب قوله « في اختيار أقرب طريق لازهاق الروح اتباع داعية الرحمة وهي خلة يرضى بها رب العالمين و يتوقف عليها أكثر المصالح المنزلية والمدنية . قال صلى الله عليه وسلم « مايقطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » (١) أقول كانوا يجبون أسنمة الإبل ويقطعون أليات الغنم وفي ذلك تعذيب ومناقضة لما شرع الله من الذبح فنهى عنه . قال (ص) « من قتل عصفورا فما فوقه بغير حقه سأله الله عز وجل عن قتله » (٢) قيل يارسول الله وما حقه ؟ قال « أن يذبحه فيأكله ولا يقطع رأسه فيرمي به » أقول ههنا شيئان مشتبهان لابد من التميز بينهما أحدهما الذبح للحاجة واتباع اقامة مصلحة النوع الانساني والثاني السعي في الارض بافساد نوع الحيوان واتباع داعية قسوة القلب » اه وهو موافق ومؤيد لما ذكرناه من قبل

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن أبي واقد واسناده حسن ورواه غيرهم عن غيرهم (٢) رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو واسناده حسن

﴿ حكمة اباحة قتل الحيوان لأجل أكله ﴾

ذهب بعض الفلاسفة الى ان تذكية الحيوان وصيده لأجل أكله قبيح لاينبغي للعاقل ان يأتيه ولا يحسن ان يعذب غيره من الاحياء لأجل شهوته ، ويترتب على هذا الاعتراض على الشرائع الإلهية التي أباحت أكل الحيوان كالموسوية والعيسوية والمحمدية . ومما يطعن به الناس في أبي العلاء المعري الفيلسوف العربي انه كان لا يأكل اللحم استقباحا له وأنه كان يعده توحشا لا انه كان يعافه بطبعه ككثير من الناس، وقد يشعر بهذا ماحكي عنه انه مرض فوصف له الطبيب فرّوجا فلما جيء به مطبوخا وضع يده عليه وقال : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الاسد؟ والجواب عن هذا ان الشرائع الالهية لو لم تبح للناس أكل الحيوان لكان هذا الاعتراض يرد على نظام الخلقة لان من سننه ان يأكل بعض الحيوان بعضا في البر والبحر ، فالانسان أجدر بأن يأكل بعض الحيوان لأن الله فضله على جميع أنواع الحيوان وسخرها له كما سخر له جميع مافي الأرض من الاجسام والقوى ليستعين بذلك على معرفته وعبادته واظهار آياته في خلقه وما أودع فيها من الحكم والعجائب واللطائف والمحاسن . وامتناع الناس عن أكل مايأكلون من الحيوان كالانعام لايعصمها من الموت بالمرض أو التردي أوفرس السباع لها، وربما كانت كل ميتة من هذه الميتات أهون وأخف ألما من التذكية الشرعية التي كتب الله فيها الاحسان ومنتهى العناية بالحيوان ، ونحن نرى الشاة اذا شمت رائحة الذئب أو سمعت عواءه تنحل قواها ، وكذلك شأن الدجاج مع الثعلب، وسائر الحيوانات غير المفترسة مع السباع المفترسة ، وإنما ألم الذبح لحظة واحدة، ويقول علماء الحياة إن إحساس الأنعام والدواب بالالم أضعف من احساس الانسان به فلا يقاس أحدهما على الآخر ، على ان من الناس من لايعظم ألمهم من الجرح فربما يقطع عضو الواحد منهم لعلة به ولا يتأوه ، وقد يغمى على غيره من مثل ذلك، ولا يحتمله الا كثيرون الا اذا خدروا تخديرا ، لايجدون معه ألما ولا شعورا

﴿ مذهب الحنفية في ذبائح أهل الكتاب ومناكحتهم ﴾

جاء في ص ٩٧ من الجزء الثاني من العقود الدرية . في تنقيح الفتاوى الحامدية) لابن عابدين الشهير صاحب الحاشية الشهيرة على الدر المختار ما نصه

« سئل في ذبيحة العربي الكتابي هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل مناكحته فصار كالمسلم في ذلك . ولا فرق في الكتابي بين أن يكون ذميا يهوديا ، حربيا أو عربيا أو تغلبيا لإطلاق قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب) والمراد بطعامهم مذكاهم، قال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه قال ابن عباس رضي الله عنهما « طعامهم ذبائحهم » ولان مطلق الطعام غير المذكى يحل من أي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالمذكى . وهذا اذا لم يسمع من الكتابي انه سمى غير الله كالمسيح والعزير واما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى « وما اهل لغير الله به » وهو كالمسلم في ذلك وهل يشترط في اليهودي ان يكون اسرائيليا وفي النصراني ان لا يعتقد أن المسيح إله ؟ مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه أفتى الجد في الاسرائيلي . وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك ، وكذلك في المبسوط فانه قال: ويجب ان لا يأكلوا ذبائح أهل الكتاب ان اعتقدوا أن المسيح إله وأن عزيرا إله ولا يتزوجوا نساءهم. لكن في مبسوط شمس الأئمة: وتحل ذبيحة النصراني مطلقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ، ومقتضى إطلاق الآية الجواز كما ذكره التمرتاشي في فتاواه. والاولى ان لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلا لضرورة كما حققه الكمال ابن الهمام ، والله ولي الانعام ، والحمد لله على دين الاسلام ، والصلاة والسلام على محمد سيد الانام ،

« قال العلامة قاسم في رسائله : قال الامام ومن دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نساؤه، وحكي عن عمر (رض) انه كتب اليه فيهم أو في أحدهم فكتب مثل ما قلنا ، فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية

فقد علمت أن النصارى فرق فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم أن نزعم ان بعضهم تحل ذبيحته ونساؤه وبعضهم يحرم ، الا بخبر ملزم ، ولا نعلم في هذا خبرا ، فمن جمعته اليهودية والنصرانية فحكمه واحد » بحروفه ـ اه ما في تنقيح الفتاوى الحامدية بحروفه ، وبهذه الفتوى أيد بعض علماء الازهر الفتوى الترنسفالية للاستاذ الامام

(حكم ماخنقه أهل الكتاب عند الحنفية)

ذكر الشيخ محمد بيرم الخامس الفقيه الحنفي في كتابه صفوة الاعتبار مبحثا طويلاً في ذبائح أهل أوربة ونقل عن علماء مذهبه ان ذبائح اهل الكتاب حلال مطلقا ، وجاء بتفصيل في انواع المأكول في أوربة ثم قال مانصه

« وأما مسألة الخنق فان كان لمجرد شك فلا تأثير له كما تقدم ، وان كان لتحقق فلم أرَ حكم المسألة مصرحا به عندنا وقياسها على تحقق تسمية غير الله انها محرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظيم من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقياس عليها يفيد الحلية حيث خصصوا بآية « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » آية « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » وآية « وما أهل لغير الله به » وكذلك تكون مخصصة لآية المنخنقة ويكون حكم الآيتين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب اذ لافرق بين ما أهل به لغير الله وما خنق فاذا أبيح الاول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني . وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبه بما يثلج به الصدر سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من من قبيل الذكاة كما أخبر كثير من علمائهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأسهل قتلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مرية في الحلية على هاته المذاهب .

فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لغير مذهبه ؟ قلت أما ان كان المقلد من أهل النظر وقلد الحنفي عن ترجيح برهان فهذا ربما يقال انه لايسوغ له ذلك (أي الا أن يظهر له ترجيح دليل الحل ثانيا) وأما ان كان من أهل التقليد البحت كما هو في أهل زماننا فقد نصوا على ان جميع الائمة بالنسبة اليه سواء والعامي لامذهب

له وانما مذهبه مذهب مفتيه ، وقوله : أنا حنفي أو مالكي : كقول الجاهل : أنا نحوي : لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فبأي العلماء اقتدى فهو ناج . على أن الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهد لغيره والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر البحث أبو السعود في شرح الاربعين حديثا النووية والف في ذلك رسالة عبد الرحيم المكي فليراجعهما من أراد الوقوف على التفصيل

« فان قيل : قد ذكرت ان الخنزير محرم وهو من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصصا بالحلية بهذه الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة فكذلك تكون المنخنقة ولماذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأي مرجح لذلك ؟ فالجواب ان المأكولات منها ماحرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شاكله من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها . وأما متروك التسمية أو ما أهل به لغير الله والمنخنقة فان التحريم أتى فيه لعارض وهو ذلك الفعل ثم أتى نص آخر عام في طعام أهل الكتاب وأنه حلال فأخرج منه محرم العين ضرورة وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسألتان احداهما مسألة التسمية والثانية مسألة المنخنقة فبقيتا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا احداهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيما بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم وذهب جمع عظيم منهم الى الاباحة وبقيت مسألة المنخنقة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما لهم مسكوتا عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لاتحاد العلة . وأما قياسها على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة . وانما أطلنا الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق وهو يهدي السبيل اهـ »

﴿ مذهب المالكية في طعام أهل الكتاب ﴾

جاء في كتاب الذبائح من (المدونة) مانصه : « قلت أفتحل لنا ذبائح نساء أهل الكتاب وصبيانهم ؟ قال ماسمعت من مالك فيه شيئا ولكن اذا حل ذبائح رجالهم فلا بأس بذبائح نسائهم وصبيانهم اذا أطاقوا الذبح . قلت أرأيت ماذبحوا

لاعيادهم وكنائسهم أيؤكل ؟ قال قال مالك : اكرهه ولا أحرمه . وتأول مالك فيه (او فسقا اهل لغير الله به) وكان يكرهه من غير ان يحرمه . قلت أرأيت ماذبحت اليهود من الغنم فأصابوه فاسدا عندهم لايستحلونه لاجل الرئة وما اشبهها التي يحرمونها في دينهم أيحل اكله للمسلمين ؟ قال كان مالك مرة يجيزه فيما بلغني اه والمدونة عند المالكية اصل المذهب فهي كالأم عند الشافعية

وجاء في كتاب احكام القرآن للامام عبد المنعم بن الفرس الخزرجي الاندلسي المتوفى سنة ٥٩٩ مانصه :

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) اتفق على ان ذبائحهم داخلة تحت عموم قوله تعالى « وطعام الذين أوتوا الكتاب » فلا خلاف في أنها حلال لنا واما سائر أطعمتهم مما يمكن استعمال النجاسات فيه كالخمر والخنزير فاختلف فيه فذهب الاكثرون الى ان ذلك من اطعمتهم .. وذهب ابن عباس الى ان الطعام الذي أحل لنا ذبائحهم فأما ماخيف منهم استعمال النجاسة فيه فيجب اجتنابه . واذا قلنا إن الطعام يتناول ذبائحهم باتفاق فهل يحمل لفظه على عمومه أم لا ؟ فالاكثر الى ان حمل لفظ الطعام على عمومه في كل ما ذبحوه مما أحل الله لهم او حرم الله عليهم او حرموه على انفسهم . والى نحو هذا ذهب ابن وهب وابن عبد الحكم وذهب قوم الى المراد من ذبائحهم ماأحل الله خاصة وأما ماحرم الله عليهم بأي وجه كان فلا يجوز لنا وهذا هو المشهور من مذهب ابن القاسم . وذهب قوم الى ان المراد بلفظ الطعام ذبائحهم جميعا الا ماحرم الله عليهم خاصة لاماحرموه على أنفسهم والى نحو هذا ذهب أشهب. والذين قالوا إن الله يجوز لنا أكل مالا يجوز لهم اكله اختلفوا هل ذلك على جهة المنع أو الكراهة وهذا الخلاف كله موجود في المذهب. واختلف أيضا فيما ذبحوه لاعيادهم وكنائسهم أو سموا عليه اسم المسيح هل هو داخل تحت الاباحة أم لا ؟ فذهب أشهب الى ان الآية متضمنة تحليله وان اكله جائز وكرهه مالك رحمه الله وتأول قوله تعالى « أو فسقا أهل لغير الله به » على ذلك ..

« الذين أوتوا الكتاب » اختلف العلماء في الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى من هم ... وقد اختلف في المجوس والصابئة والسامرة (كذا) هل هم

ممن أوتي كتابا أم لا وعلى هذا يختلف في ذبائحهم ومناكحتهم اه ملخصه

وفي كتاب احكام القرآن للقاضي ابي بكر بن العربي المالكي في تفسير هذه الآية ايضا مانصه : «هذا دليل قاطع على ان الصيد « وطعام الذين اوتوا الكتاب» من الطيبات التي اباحها الله وهو الحلال المطلق وانما كرره الله تعالى ليرفع به الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الخواطر الفاسدة التي توجب الاعتراضات وتحرج الى تطويل القول . ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها هل تؤكل معه او تؤخذ منه طعاما - وهي المسألة الثامنة - فقلت تؤكل لانها طعامه وطعام احباره ورهبانه وان لم تكن هذه ذكاة عندنا ، ولكن الله اباح لنا طعامهم مطلقا وكل مايرونه في دينهم فانه حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه . ولقد قال علماؤنا انهم يعطوننا نساءهم ازواجا فيحل لنا وطؤهن فكيف لانأكل ذبائحهم والأكل دون الوطء في الحل والحرمة » اه وفيما قاله القاضي نوع من التقييد والتشديد اذ اعتبر في طعامهم ماياً كله احبارهم ورهبانهم ، وهذا ما اعتمده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي مصر في فتواه الترنسفالية

وقد افتى المهدي الوزاني من علماء فاس بمثل ما افتى به مفتي مصر ولما علم بمشاغبة اهل الاهواء في فتوى مفتي مصر كتب رسالة في تأييد الفتوى بنصوص كتب المالكية المعتبرة نشرناها في آخر جزء من مجلد المنار السادس ومنها قوله :

« الدليل على صحة ماقاله الامام ابن العربي ماذكره العلماء فيما ذبحه أهل الكتاب للصنم فانه حرام مع المنخنقة وما عطف عليها وقيدوه بما لم يأكلوه والا كان حلالا لنا . قال الشيخ بناني على قول المختصر « وذبح لصنم » مانصه : الظاهر ان المراد بالصنم كل ماعبدوه من دون الله سبحانه وتعالى بحيث يشمل الصنم والصليب وغيرهما وان هذا شرط في أكل ذبيحة الكتابي كما في التتائي والزرقاني وهو الذي ذكره أبو الحسن رحمه الله في شرح المدونة وصرح به ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح ونصه : كره مالك رحمه الله ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقوله عز وجل « أوفسقا أهل لغير الله به» ولم يحرمه اذ

غير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لان الآية عنده انما معناها فيما ذبحوا لآلهتهم مما لا يأكلون ، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك إه .

« وقال في سماع عبد الملك عن أشهب. وسألته عما ذبح للكنائس قال لا بأس بأكله : ابن رشد : كره مالك في المدونة أكل ماذبحوا لأعيادهم وكنائسهم ، ووجه قول أشهب أن ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان تكون حلالا لنا لان الله تبارك وتعالى يقول « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » وانما تأول قول الله عز وجل « أو فسقا أهل لغير الله به » فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعاً إه

« فتبين ان ذبح أهل الكتاب اذا قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لانهم لا يأكلونه فهو ليس طعامهم ولم يقصدوا بالذكاة اباحته وهذا هو المراد هنا . واما ما يأتي من الكراهة في ذبح الصليب فالمراد به ماذبحوه لانفسهم لكن سموا عليه اسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم : هذا الغرض من كلام بناني وسلمه الرهوني بسكوته عنه فهذا شاهد لابن العربي قطعا لانه علق جواز الاكل على كونه من طعامهم والمنع منه على ضد ذلك. وأيضا ليس كل مايحرم في ذكاتنا يحرم أكله في ذكاتهم كمتروك التذكية عمدا فانها لاتؤكل بذبيحتنا وتؤكل بذبيحتهم حسبما تقدم، فاذاً المدار على كونها من طعامهم لاغير والله أعلم » اه المراد مما كتبه المفتي الوزاني

وقد أطال علماء الازهر في (ارشاد الامة الاسلامية ، الى أقوال الائمة في الفتوى الترنسفالية) القول في مذهب المالكية في طعام أهل الكتاب وفصلوها في بضع فصول ، الفصل السابع منها في بيان ان ماأفتى به ابن العربي (أي من حل ماخنقه أهل الكتاب بقصد التذكية لأكله) هو مذهب المالكية قاطبة ، والفصل الثامن في رد الرهوني برأيه عليه والتاسع في تفنيد كلام الرهوني و بيان بطلانه ، قالوا في أول الفصل السابع مانصه :

« إعلم انه أقر ابنَ العربي على ماأفتى به الوزاني وصاحب المعيار وأحمد بابا وابن عبد السلام وابن عرفة وغيرهم من محققي المالكية كالزياتي وقال وكفى بهم حجة وان رده الرهوني بالاقيسة. ومما توهمه ابن عبد السلام من التناقض بين كلامي

ابن العربي في أحكام القرآن من قوله « ما أكلوه على غير وجه الذكاة كالخنق وحطم الرأس ميتة حرام - وقوله - : أفتيت بان النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها تؤكل لانها طعامه وطعام أحباره وان لم تكن ذكاة عندنا لان الله أباح طعامهم مطلقا وكل مايرونه في دينهم فهو حلال لنا الا ما كذبهم الله فيه » دفعه ابن عرفة بما حاصله ان مايرونه مذكى عندهم حل لنا أكله وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة وما لا يرونه مذكى لا يحل و يرجع الى قصد تذكيته لتحليله وعدمه كما يعلم ذلك من التتائي على مختصر عند قول المصنف: أو مجوسيا تنصر وذبح لنفسه الخ ولم يفهم من عبارة أحد من هؤلاء المحققين ان ماأفتى به ابن العربي مذهب له وحده بل كل واحد وافقه على انه مذهب المالكية (و بيان ذلك) ان مبنى مذهب المالكية جميعا العمل بعموم قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) فكل ما كان من طعامهم فهو حل لنا سواء كان يحل لنا باعتبار شريعتنا أولا فالمعتبر في حل طعامهم ماهو حلال لهم في شريعتهم ولا يعتبر ذلك بشريعتنا و يدل لذلك النصوص والتعاليل الآتية وهو ماجرى عليه مالك وأصحابه فيما ذبحوه للصليب أولعيسى أو لكنائسهم »

« قال الزياتي في شرح القصيدة : الرابع ماذبح للصليب أولعيسى أولكنائسهم يكره أكله، بهرام عن ابن القاسم، وما ذبحوه وسموا عليه باسم المسيح فهو بمنزلة ماذبحوه لكنائسهم وكذلك ماذبحوه للصليب . وقال سحنون وابن لبابة هو حرام لأنه مما أهل لغير الله به وذهب ابن وهب للجواز من غير كراهة اه

« وفي القلشاني ان أشهب يرى أيضا الكراهة فيما ذبح للمسيح كابن القاسم وقال يباح أكله وقد أباح الله ذبائحهم لنا وقد علم مايفعلونه. وذكر القلشاني أيضا فيما ذبحوه لكنائسهم ثلاثة أقوال التحريم والكراهة والاباحة وان مذهب المدونة الكراهة . ونقل المواق عن مالك كراهة ماذبح لجبريل عليه السلام اه وفي منح الجليل عن الرماصي أجاز مالك رضي الله عنه في المدونة أكل ماذكر عليه اسم المسيح مع الكراهة والاباحة لابن حارث عن رواية ابن القاسم مع رواية أشهب وعنه أباح الله لنا ذبائحهم وعلم مايفعلونه اه وسيقول المصنف فيما يكره وذبح لصليب أو عيسى وليس تحريم المذبوح للصنم لكونه ذكر عليه اسمه بل لكونه لم تقصد

ذكاته ولا ولا فرق بينه وبين الصليب . قال التونسي وقال ابن عطية في قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ذبائح أهل الكتاب عند جمهور العلماء في حكم ماذكر اسم الله عليه من حيث لهم دين وشرع وقال قوم نسخ من هذه الآية حل ذبائح أهل الكتاب قاله عكرمة والحسن بن أبي الحسن وقال في قوله تعالى « وما أهل لغير الله به » قال ابن عباس وغيره فالمراد ماذبح للاصنام والاوثان، « وأهل » معناه صيح ، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب في استعماله حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم . ثم قال : والحاصل ان ذكر اسم غير الله لا يوجب التحريم عند مالك وفيه عن البناني وصرح ابن رشد في سماع ابن القاسم من كتاب الذبائح مانصه : كره مالك ماذبحه أهل الكتاب لكنائسهم وأعيادهم لانه رآه مضاهيا لقول الله « أو فسقا أهل لغير الله به » ولم يحرمه اذ لم ير الآية متناولة له وانما رآها مضاهية له لانها عنده انما معناها فيما ذبحوه لآلهتهم مما لا يأكلونه ، قال وقد مضى هذا المعنى في سماع عبد الملك من كتاب الضحايا، وقال في سماع عبد الملك من أشهب وسألته عما ذبح للكنائس قال لا بأس بأكله . ابن رشد: كره مالك في المدونة أكل ماذبحوه لاعيادهم وكنائسهم ووجه قول أشهب ان ماذبحوه لكنائسهم لما كانوا يأكلونه وجب ان يكون حلالا لان الله قال (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وانما تأول قوله عز وجل (أو فسقا أهل لغير الله به) فيما ذبحوه لآلهتهم مما يتقربون به اليها ولا يأكلونه فهذا حرام علينا بدليل الآيتين جميعا اه فتبين ان ذبح أهل الكتاب ان قصدوا به التقرب لآلهتهم فلا يؤكل لانهم لا يأكلونه فهو ليس من طعامهم ولم يقصدوا بذكاته اباحته وهذا هو المراد هنا واما ما يأتي من المكروه في: وذبح لصليب الخ فالمراد به ماذبحوه لانفسهم وسموا عليه باسم آلهتهم فهذا يؤكل بكره لانه من طعامهم اه

وذكر العلامة التتائي عن عبادة بن الصامت وأبي الدرداء وابي امامة جواز أكل ماذبح للصنم اه وانت لا يذهب عليك ان ماذبح للصنم مما أهل به لغير الله وانما جوزه هؤلاء الصحابة الاجلاء لكونه من طعام أهل الكتاب، تأمله . وقال العلامة التتائي عند قول المصنف « وذبح لصليب أو لعيسى » أي يكره أكل مذبوح

لاجله. محمد وابن حبيب: هو ما اهل به لغير الله وما ترك مالك العزيمة بتحريمه فيما ظننا الا للآية الاخرى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) فأحل الله تعالى لنا طعامهم وهو يعلم مايفعلونه وترك ذلك افضل. وقال محمد ايضا كره مالك ماذبحوه للكنائس او لعيسى او للصليب اوما مضى من احبارهم او جبريل او لأعيادهم. من غير تحريم اه ووجه الكراهة قصدهم به تعظيم شركهم مع قصد الذكاة اه منه بلفظه. وفي بهرام: وذهب ابن وهب الى جواز اكل ما ذبح للصليب اوغيره من غير كراهة نظرًا الى انه من طعامهم اه

وقال في منح الجليل عند ذكر كراهة شحم اليهودي عن البناني ثلاثة اقوال: في شحم اليهود الاجازة والكراهة والمنع وانها ترجع لى الاجازة والمنع لان الكراهة من قبيل الاجازة و الاصل في هذا اختلافهم في تأويل قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) هل المراد بذلك ذبائحهم أو ما يأكلون فمن ذهب الى ان المراد به ذبائحهم أجاز اكل شحومهم لانها من ذبائحهم ومحال ان تقع الذكاة على بعض الشاة دون بعض ومن قال المراد ما يأكلون لم يجز أكل شحومهم لانها محرمة عليهم في التوراة على ما أخبر به القرآن فليست مما يأكلون

وفي منح الجليل أيضا بعد الكلام على التسمية ما نصه

وقال في البيان والتبيين ليست التسمية شرطا في صحة الذكاة لان قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) معناه لا تأكلوا الميتة التي لم يقصد الى ذكاتها لانها فسق ومعنى قوله تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) كلوا مما قصدتم الى ذكاته فكنى عن التذكية بالتسمية كما كنى عن رمي الجمار بذكر اسمه تعالى حيث قال (واذكروا الله في أيام معدودات) اه المقصود منه

وقال في كبير الخرشي ودخل في قول المؤلف « ينا كح » أي يحل لنا وطء نسائه في الجملة ـ المسلم والكتابي معاهدا أو حربيا حرا أو عبدا ذكرا أو أنثى ولا فرق بين الكتابي الآن ومن تقدم خلافا للطرطوشي في اختصاصه بمن تقدم فان هؤلاء قد بدلوا فلا نأمن ان تكون الذكاة مما بدلوا . ورد بأن ذلك لا يعلم الا منهم فهم مصدقون فيه اه ومثله في التتائي بلا فرق

وقال في شرح اللمع عند قول المصنف واما من يذكي فمن اجتمعت فيه أربعة شروط ان يكون مسلما أو كتابيا الخ : واعلم ان المؤلف قد أطلق الكلام على صحة ذكاة الكتابي ولا بد من التفصيل في ذلك ليصير كلامه موافقا المشهور من المذهب وتلخيص القول في ذلك ان الكافر ان كان غير كتابي لم تصح ذكاته وان كان كتابيا كاليهودي والنصراني سواء كان بالغا أو مميزا ذكرا أو أنثى ذميا كان او حربيا فان كان ماذكاه مما يستحل اكله فذكاته له صحيحة ويجوز لنا الاكل منها وان كان مالك قد كره الشراء من ذبائحهم . والاصل في ذلك ان الله تعالى قد اباح لنا اكل طعامهم ومن جملة طعامهم مايذكونه ، وان كان ماذكاه مما لا يستحله بل مما يقول انه حرام عليه فان ثبت تحريمه عليه بنص شرعنا كذي الظفر في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) فالمشهور عدم جواز أكله وقيل يجوز وقيل يكره وان لم يثبت تحريمه عليهم بشرعنا بل لم يعرف ذلك الا من قولهم كالتي يسمونها بالطريفة بالطاء المهملة ففي جواز أكلنا منه وكراهته قولان وهما لمالك في المدونة قال اللخمي وثبت على الكراهة ولم يحرمه واقتصر الشيخ خليل في مختصره على القول بالكراهة ووجهه ابن بشير باحتمال صدق قولهم ، وهذا كله اذا كان الكتابي لا يستبيح أكل الميتة واما ان كان ممن يستحل أكلها فقال ابن بشير فان غاب الكتابي على ذبيحته فان علمنا انهم يستحلون الميتة كبعض النصارى أو شككنا في ذلك لن نأكل ماغابوا عليه وان علمنا انهم يذكون أكلناه اه وأما ما يذبحه الكتابي لعيده أو للصليب أو لعيسى أو للكنيسة أو لجبريل أو نحو ذلك فقد كرهه مالك مخافة ان يكون داخلا تحت قوله تعالى وما اهل لغير الله به ولم يحرمه لعموم قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) وهذا من طعامهم قال ابن يونس واستخفه غير واحد من الصحابة والتابعين وقالوا قد أحل لنا ذلك وهو عالم بما يفعلونه اه واما ما ذبحوه للاصنام فلا يجوز أكله قال ابن عبد السلام باتفاق لانه مما اهل به لغير الله قال اللخمي في تبصرته فيما ذبحه اهل الكتاب لعيدهم وكنائسهم وصلبانهم وما اشبه ذلك الصحيح انه حلال والمراد بما اهل لغير الله به ماذبح على النصب والاصنام وهي ذبائح المشركين . قال اصبغ في ثمانية أبي زيد وما ذبح على النصب هي الاصنام التي

كانوا يعبدون في الجاهلية قال وأهل الكتاب ليسوا أصحاب أصنام وفي البخاري قال زيد بن عمرو بن نفيل انا لا نأكل مما تذبحون لانصابكم يعني الاصنام وأما ماذبحه أهل الكتاب فلا يراعي ذلك فيهم وقد جعل الله سبحانه لهم حرمة فأجاز منا كحتهم وذبائحهم لتعلقهم بشيء من الحق وهو الكتاب الذي انزل عليهم وان كانوا كافرين ولوكان يحرم ماذبح باسم المسيح لم يجز ان يؤكل شيء من ذبائحهم الا ان يسئل هل سمى عليه المسيح أو ذبح للكنيسة بل لايجوز وان أخبرانه لم يسم المسيح لانه غير صادق واذا لم يجب ذلك حلت ذبائحهم كيف كانت اه

فانظر كيف تضافرت كل هذه النصوص كباقي نصوص جميع المالكية على اناطة الحل والحرمة بكونه حلالا عندهم أي يأكلونه وعدمه وهذا بعينه هو ما قصد اليه ابن العربي والحفار وقال أهل المذهب كلهم يقولون ويفتون بحل طعام أهل الكتاب ومن جهة أخرى تعلم ان الذبح للصليب لم يكن من الشريعة المسيحية الحقة لانه حادث بعدها اذ منشؤه حادثة الصلب المشهورة فكل هذا يفيد ان المعتبر عند المالكية ماهو حلال عند أهل الكتاب في شريعتهم التي هي عليها ومنه يعلم أيضا ماهو المراد من الميتة في قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) وانها التي لم يقصد ذكاتها كما يعلم انه انه يجب تقييد المنخنقة وما معها بما لم تقصد ذكاته و يكون هذا في المنخنقة وما معها بدليل الا ماذكيتم كما سبق ومنه يتضح ان المراد بالميتة في قولهم ان كان الكتابي يأكل الميتة فلا تأكل ماغاب الخ أنها مالم تقصد ذكاتها لأن القصد الى الذكاة لابد منه من مسلم أو كتابي حتى لو قطع رقبة الحيوان بقصد تجريب السيف أواللعب لا يحل كما تقدم ومنه يعلم ان الميتة المذكورة بالنسبة للكتابي هي الميتة عنده وهي التي لم يقصد ذكاتها لا الميتة عندنا ويتبين منه أيضا أن الشروط المذكورة للفقهاء في الذبائح والذكاة انما هي بيان مايلزم في الاسلام بالنسبة للمسلم لا لغيره

﴿ مذهب الشافعي في طعام أهل الكتاب ﴾

قال الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الصيد والذبائح من الام مانصه :

(١) احل الله طعام أهل الكتاب وكان طعامهم عند بعض من حفظت عنه

من أهل التفسير ذبائحهم ، وكانت الآثار تدل على إحلال ذبائحهم ، فان كانت ذبائحهم يسمونها لله تعالى فهي حلال ، وان كان لهم ذبح آخر يسمون عليه غير اسم الله مثل اسم المسيح أو يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم ، ولا أثبت ان ذبائحهم هكذا . فان قال قائل وكيف زعمت أن ذبائحهم صنفان وقد ابيحت مطلقة ؟ قيل قد يباح الشيء مطلقا وانما يراد بعضه دون بعض ، فاذا زعم زاعم ان المسلم اذا نسي اسم الله اكلت ذبيحته وان تركه استخفافا لم تؤكل ذبيحته وهو لايدعه للشرك كان من يدعه على الشرك أولى ان تترك ذبيحته - وقد احل الله عز وجل لحوم البدن (الابل) مطلقة فقال « فاذا وجبت (أي سقطت) جنوبها فكلوا منها » ووجدنا بعض المسلمين يذهب الى انه لايؤكل من البدنة التي هي نذر ولا جزاء صيد ولا فدية ، فلما احتملت هذه الآية ذهبنا اليه وتركنا الجملة لانها خلاف للقرآن ولكنها محتملة . ومعقول ان من وجب عليه شيء في ماله لم يكن له يأخذ منه شيئا لأنا اذا جعلنا له ان يأخذ منه شيئا فلم نجعل عليه الكل إنما جعلنا عليه البعض الذي اعطى فهكذا ذبائح أهل الكتاب بالدلالة على شبيه ما قلنا » اه بحروفه (ص ١٩٦ ج ٢ من الام)

أقول انه رحمه الله تعالى حرم ماذكروا اسم غير الله عليه بأقيسه على مسائل خلافية جعلها نظيرا المسألة وقيد بها اطلاق القرآن ، ومخالفوه في ذلك كمالك وغيره لايجيزون تخصيص الآية بمثل هذه الاقيسة التي غاية ماتدل عليه ان تخصيص القرآن جائز بالدليل ، ولهم ان يقولوا لنا لانسلم ان المسلم الذي يترك التسمية تهاونا واستخفافا لا تحل ذبيحته واذا سلمناه جدلا نمنع قياس الكتابي عليه فيما ذكر ، ولا محل هنا لبيان المنع بالتفصيل في هذا القياس وفيما بعده وهو أبعد منه . والظاهر ماتقدم من نصوص المالكية من ان ماذبحوه لغير الله ان كانوا لايأكلونه فهو غير حل للمسلم وان كانوا يأكلونه فهو من طعامهم الذي اطلق الله تعالى حله وهو يعلم مايقولون وما يفعلون، وهذا القول يظهر لنا نكتة التعبير بالطعام دون المذبوح أو المذكى لان من المذكى ماهو عبادة محضة لايذكونه لاجل أكله

(٢) ذهب الشافعي الى ذبائح نصارى العرب لاتؤكل واحتج بأثر رووه عن

عمر (رض) قال « ما نصارى العرب بأهل كتاب وما تحل لنا ذبائحهم وما انا بتاركهم حتى يسلموا او اضرب أعناقهم » وبقول عليّ المشهور في بني تغلب . فاما أثر علي كرم الله وجهه - وقد تقدم - فهو حجة على الشافعي لا له لأنه خاص ببعض العرب مصرح فيه بأنهم ليسوا نصارى. وأما أثر عمر (رض) فرواه في الام عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى وقد ضعفه الجهور وصرح بعضهم بكذبه وممن طعن فيه مالك وأحمد ، ومما قيل فيه انه جمع أصول البدع فكان قدريا جهميا معتزليا رافضيا ، وقد سئل الربيع حين نقل عن الشافعي انه كان قدريا ماحمل الشافعي على ان روى عنه فأجاب بانه كان يبرئه من الكذب ويرى انه ثقة في الحديث . أي والعبرة في الحديث بالصدق لا بالمذهب وقال ابن حبان بعد ان وصفه بالبدعة و بالكذب في الحديث: واما الشافعي فانه كان يجالس ابراهيم في حداثته ويحفظ عنه فلما دخل مصر في آخر عمره وأخذ يصنف الكتب احتاج الى الاخبار ولم تكن كتبه معه فاكثر ماأودع الكتب من حفظه وربما كنى عن اسمه. وقال اسحق بن راهويه: مارأيت أحدا يحتج بابراهيم بن أبي يحيى مثل الشافعي قلت للشافعي: وفي الدنيا أحد يحتج بابراهيم بن أبي يحيى ؟ اه ملخصا من تهذيب التهذيب . ومما يدل على عدم صحة الاثر عدم العمل به ، على انه رأى صحابي خالفه فيه الجمهور فلا يحتج به وان صح .

(٣) قال الشافعي في (باب الذبيحة وفيه من يجوز ذبحه) من الام (ص ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٢) « وذبح كل من أطاق الذبح من امرأة حائض وصبي من المسلمين أحب اليّ من ذبح اليهودي والنصراني وكل حلال الذبيحة غير اني أحب للمرء ان يتولى ذبح نسكه (أي كالاضحية والهدي) فانه يروى ان النبي (ص) قال لامرأة من أهله فاطمة أو غيرها « احضري ذبح نسيكتك فانه يغفر لك عند أول قطرة منها ».

(قال الشافعي) وان ذبح النسيكةَ غيرُ مالكها اجزأت لأن النبي نحر بعض هديه ونحر بعضه غيره ، وأهدى هديا فانما نحره من أهداه معه ، غير اني أكره ان يذبح شيئا من النسائك مشرك لأن يكون ما تقرب به الى الله على أيدي المسلمين ، فان ذبحها مشرك تحل ذبيحته أجزأت مع كراهتي لما وصفت

« ونساء أهل الكتاب اذا أطقن الذبح كرجالهم ، وما ذبح اليهود والنصارى لأنفسهم مما يحل المسلمين أكله من الصيد أو بهيمة الانعام وكانوا يحرمون منه شحما أوحوايا (اي مايحوي الطعام كالامعاء) أو ما اختلط بعظم أو غيره ان كانوا يحرمونه فلا بأس على المسلمين في أكله لان الله عز وجل اذا أحل طعامهم فكان ذلك عند أهل التفسير ذبائحهم فكل ماذبحوا لنا ففيه شيء مما يحرمون فلو كان يحرم علينا اذا ذبحوه لانفسهم من أصل دينهم بتحريمهم لحرم علينا اذا ذبحوه لنا ، ولو كان يحرم علينا بأنه ليس من طعامهم وإنما احل لنا طعامهم وكان ذلك على مايستحلون كانوا قد يستحلون محرما علينا يعدونه لهم طعاما فكان يلزمنا لو ذهبنا هذا المذهب أن نأكله لأنه من طعامهم الحلال لهم عندهم،ولكن ليس هذا معنى الآية ، معناها ماوصفنا والله أعلم »

هذا نص الشافعي فمذهبه ان المراد بطعامهم في الآية ذبائحهم خاصة لاعموم الطعام فما ذبحوه مما هو حلال لنا كذبائحنا لافرق بين ماحرم عليهم منه وما حل لهم ، وما حرم علينا لايحل اذا كان من طعامهم ، وهو مخالف في هذا المذاهب الاخرى التي أخذت بعموم لفظ الآية وعدتها كالاستثناء مما حرم علينا الا الميتة ولحم الخنزير فانهما محرمان لذاتهما لالمعنى يتعلق بالتذكية أو بما يذكر عليها ، وقد تقدم ذلك ، وقد شرح كون ماأحل لنا مما حرم عليهم لايحرم من ذبائحهم في موضع آخر (ص ٢٠٩ و ٢١٠ منه) و بين هنا انه يجب على كل عاقل بلغته دعوة محمد (ص) ان يتبعه في أصول شرعه وفروعه وحلاله وحرامه فما كان حراما عليهم صار حلا لهم بشرعه ، وحلا لنا بالأولى

﴿ مذهب الشافعي في نكاح أهل الكتاب ﴾

(قال الشافعي رحمه الله) وأهل الكتاب الذين يحل نكاح حرائرهم اليهود والنصارى دون المجوس،والصابئون والسامرة من اليهود والنصارى الا ان يعلم انهم يخالفونهم في أصل مايحلون من الكتاب ويحرّمون ، فيحرمون كالمجوس ، وان كانوا يجامعونهم (أي يوافقونهم) عليه ويتأولون فيختلفون فلا يحرُمون ، فاذا نكحها فهي كالمسلمة فيما لها وعليها الا انهما لايتوارثان » اه من مختصر المزني

(ص ٢٨٢ ج ٣ على هامش الام) وظاهر العبارة ان المجوس عنده من أهل الكتاب الا في نكاحهم وذبائحهم

﴿ مذهب أحمد وأصحابه في طعام أهل الكتاب والتسمية على الذبيحة ﴾

قال الشيخ الموفق عبد الله بن قدامة في (المقنع ـ ص ٥٣١ ج ٢) ما نصه « ويشترط للذكاة شروط أربعة أحدها أهلية الذابح وهو ان يكون عاقلا مسلما أو كتابيا فتباح ذبيحته ذكرا كان أو انثى، وعنه لا تباح ذبيحة نصارى بني تغلب ولا من أحد ابويه غير كتابي »

وذكر في حاشيته ان الصحيح من المذهب اباحة ذبيحة بني تغلب ، قال « واما من احد ابويه غير كتابي فقدم المصنف انها تباح وبه قال مالك وابو ثور واختاره الشيخ تقي الدين وابن القيم والثانية لا تباح وهو المذهب وبه قال الشافعي لانه وجد ما يقتضي الاباحة والتحريم فغلب التحريم كما لو جرحه (أي الصيد) مسلم ومجوسي اه اقول وللشافعي قول آخر هو ان العبرة بالاب وكان اللائق بقول الشافعية ان الولد يتبع اشرف الابوين في الدين ان يجعلوا ذبح الصغير كذبح اشرف والديه واما البالغ فلا وجه للبحث عن أبويه فانه اذا كان كتابيا كان داخلا في عموم الآية

ثم قال (في ص ٥٣٧ منه) « واذا ذبح الكتابي ما يحرم عليه كذي الظفر (أي عند اليهود) لم يحرم علينا وان ذبح حيوانا غيره لم تحرم علينا الشحوم المحرمة عليهم وهو شحم الثرب (اي الكرش) والكليتين في ظاهر كلام احمد رحمه الله . واختاره ابن حامد وحكاه عن الخرقي في كلام مفرد . واختار ابو الحسن التميمي والقاضي تحريمه . وان ذبح لعيده أو ليتقرب به الى شيء ما يعظمونه لم يحرم نص عليه » اه أي نص عليه الامام احمد وهو المذهب وان روي عنه التحريم وهو موافق فيه لمذهب مالك رحمهم الله تعالى

وقال (في ص ٥٣٥ منه) « الرابع (أي من شروط التذكية) ان يذكر اسم الله عند الذبح وهو ان يقول بسم الله لا يقوم مقامها غيرها الا الاخرس فانه يومئ الى السماء . فان ترك التسمية عمدا لم تبح وان تركها ساهيا ابيحت . وعنه

تباح في الحالين وعنه لا تباح فيهما »

قال في حاشيته : « قوله فان ترك التسمية عمدا الخ هذا هو المذهب فيهما وذكره ابن جرير إجماعا في سقوطها سهواً وروي ذلك عن ابن عباس و به قال مالك والثوري وأبو حنيفة واسحق . وممن أباح ما نسيت التسمية عليه عطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن ابي ليلى وجعفر بن محمد ، وعن احمد تباح في الحالين و به قال الشافعي واختاره ابو بكر لحديث البراء مرفوعا « المسلم يذبح على اسم الله سمى او لم يسم » وحديث ابي هريرة انه سئل فقيل: ارأيت الرجل منا يذبح وينسى ان يسمي الله ؟ فقال : اسم الله في قلب كل مسلم . رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي وضعفه . ولنا ماروى الاحوص بن حكيم عن راشد ابن سعد مرفوعا « ذبيحة المسلم حلال وان لم يسم مالم يتعمد » رواه سعيد وعبد بن حميد لكن الاحوص ضعيف ، وعن احمد لا تباح وان لم يتعمد لقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وجوابه انها محمولة على ما اذا ترك اسم التسمية عمدا بدليل قوله (وانه لفسق) ولأن كل ما نسيت التسمية عليه ليس بفسق لقوله عليه السلام « عفي لأمتي عن الخطأ والنسيان » اه

أقول من عجائب انتصار الانسان لما يختاره جعل الفسق هنا بمعنى ترك التسمية عمدا ، والظاهر فيه ما قاله الشافعية من انه ما أهل لغير الله به اخذا من قوله تعالى (أو فسقا أهل لغير الله به) وقد تقدم . وفي الباب من كتاب بلوغ المرام للحافظ ابن حجر مانصه : « وعن ابن عباس ان النبي (ص) قال « المسلم يكفيه اسمه فان نسي ان يسمي الله حين يذبح فليسم ثم ليأكل » اخرجه الدارقطني وفيه راو في حفظه ضعف وفي اسناده محمد بن يزيد بن سنان وهو صدوق ضعيف الحفظ . واخرجه عبد الرزاق باسناد صحيح الى ابن عباس موقوفا عليه وله شاهد عند ابي داود في مراسيله بلفظ « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله عليها ام لم يذكر » ورجاله موثوقون » اه وتقدم حديث عائشة عند البخاري قالت ان قوما يأتون باللحم لا ندري اذكروا اسم الله عليه ام لا فقال (ص) « سموا الله عليه انتم وكلوه »

وقد جعل علماء الازهر الفصل الأول من كتاب (ارشاد الامة الاسلامية) الذي تقدم ذكره في بيان مذهب الحنابلة في الذبيحة التي افتى بها مفتي مصر قالوا:

« ذهب الحنابلة الى ان المعتبر في حل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع أن تذكى وفيها حياة وان قلّت كالمريضة ، وهو قول علي وابن عباس والحسن وقتادة والسيد بن الباقر والصادق وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد . والتسمية عندهم ليست بشرط فيحل متروك التسمية عمداً أو سهواً من مسلم أو كتابي على رواية . وفي رواية عن احمد تشترط من مسلم لا من كتابي وعنه عكسها . ثم أيدوا هذه الخلاصة بنقل من كتاب (دقائق أولي النهى ، على متن المنتهى) ومن غيره

﴿ صفوة الخلاف بين الفقهاء والمختار منه في طعام أهل الكتاب ﴾

من تأمل مانقلناه من كتب المذاهب الاربعة المشهورة وما تخلله وسبقه من كلام غيرهم من أئمة السلف يظهر له ان المتفق عليه انه يحرم علينا من طعام أهل الكتاب ماحرم علينا في ديننا لذاته وهو الميتة ولحم الخنزير وكذا الدم المسفوح قطعا وان لم يذكر فيما تقدم من النقل، ولا نعلم أن أحداً منهم يأكله أو يشربه وكذلك الميتة كلهم يحرمونها. ولحم الخنزير محرم بنص التوراة الى اليوم، وقد استباحه النصارى باباحة مقدسهم بولس . وقد اختلف الفقهاء فيما عدا ذلك كما علمت فكل ما أكلناه مما عدا ذلك من طعامهم نكون موافقين فيه لقول بعض فقهائنا الذين شدد بعضهم وخفف بعض في هذه المسائل، وأشد الفقهاء تشديداً في ذلك وفي أكثر الاحكام الشافعية. ومن تأمل أدلة الجميع رأى ان أظهرها قول الذين أخذوا بعموم قوله تعالى (وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) ولم يخصصوه بذبائحهم فضلا عن تخصيصه بمحبوبهم كالشيعة ولا يشترط في حل طعامهم ان يأكل منه أحبارهم ورهبانهم كما قال ابن العربي واختاره شيخنا الاستاذ الامام مفتي مصر في الفتوى الترنسفالية فهو تشديد لامستند له الا الثقة بأن يكون ما يأكلونه غير محرم عليهم في كتبهم ، وقد نسخت شريعتنا كتبهم كما قال الشافعي وغيره فلا عبرة بما حرم عليهم فيها وقد قال الله تعالى في صفات

خاتم النبيين (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) ولا يشترط أيضا ان يكون طعامهم موافقا لشريعتنا سواء كانوا مخاطبين بفروعها قبل الايمان كما يقول الشافعي أوغير مخاطبين بها الا بعد الايمان كما يقول الجمهور، اذ لو كان هذا شرطا لما كان لاباحة طعامهم فائدة

قال ابن رشد في بداية المجتهد مانصه : « ومن فرق بين ماحرم عليهم من ذلك في أصل شرعهم وبين ماحرموا على أنفسهم قال ماحرم عليهم هو أمر حق فلا تعمل فيه الذكاة وما حرموا على أنفسهم أمر باطل فتعمل فيه التذكية . قال القاضي: والحق ان ماحرم عليهم أوحرموه على أنفسهم هو في وقت شريعة الاسلام أمر باطل اذ كانت ناسخة لجميع الشرائع فيجب أن لايراعى اعتقادهم في ذلك . ولا يشترط أيضا ان يكون اعتقادهم في تحليل الذبائح اعتقاد المسلمين ولا اعتقاد شريعتهم لانه لو اشترط ذلك لما جاز أكل ذبائحهم بوجه من الوجوه لكون اعتقاد شريعتهم في ذلك منسوخا واعتقاد شريعتنا لايصح منهم، وانما هذا حكم خصهم الله تعالى به فذبائحهم والله أعلم جائزة على الاطلاق والا ارتفع حكم آية التحليل جملة . فتأمل هذا فانه بين والله أعلم » اه

والامر كما قال القاضي وأقره ابن رشد ومراده بذبائحهم مذكاهم كيفما كانت تذكيته عندهم . وقد تقدم تحقيق معنى التذكية وأنها عبارة عن قتل الحيوان بقصد أكله ، وأقوال علماء السلف ومحققي المالكية في ذلك ، فلله در مالك والمالكية ، ان كلامهم في هذه المسألة أظهر من كلام مخالفيهم دليلا وأليق بيسر الحنيفية السمحة . ومن العجائب ان كثيرا من الناس يحبون ان تكون الشريعة عسرا لايسرا ، وحرجا لاسعة ، وان هم لم يلتزموها الا فيما يوافق أهواءهم ، فمن شدد على نفسه فذلك ذنب عقابه فيه ، ومن شدد على الامة حثونا التراب في فيه ، والله أعلم وأحكم

* *



افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

أسئلة من بلدة العطف (في القطر المصري)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

الى جناب ينبوع الفضائل ، ومتبوع الافاضل ، الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا مد الله في مدته ! السلام عليكم ورحمة الله

أما بعد فانى سائلكم لاعدمكم المسلمون عن امور اشتدت الحاجة اليها نلتمس اجابتنا عنها بمناركم الانور ولكم من الله تعالى الجزاء الأوفر

(س٢٠) - ١ فنسألكم عن آلات الملاهي من طبول ومزامير وذوات أوتار وفونوغراف هل فيها قول يجوز تقليده ؟ فأنا نجد في بعض كتب المالكية وبعض رسائل كرسالة الشيخ النابلسي وكرسالة للامير المالكي ذكر قول بالجواز مع ايراد ما يشعر بجواز العمل به

(س ٢٣) - ٢ وهل يعول على ما يذكره بعض الائمة من ان من قال كذا شعراً نال كذا أجراً كقول الشعراني من قال عقب كل صلاة جمعة

إلهي لست للفردوس أهلا　　ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي　　فأنك غافر الذنب العظيم

خمس مرات توفي مؤمنا بلا شك . نقله عنه الباجوري في حاشيته على أبي شجاع الشافعي ؟ فأن قلتم : نعم . فما مستند ذلك ومثله انما يؤخذ عن الشارع ولم ينقل عنه فيما أعلم انه وعد على شعر بأجر خاص ؟ وان قلتم : لا . فكيف استجاز الائمة ذكر ذلك مع ان منهم المجمع على جلالته كالسيوطي فقد أورد من هذا شيئاً في كتاب الارج في الفرج ؟

(س ٢٤) - ٣ هل يجوز لبس شيء شك في انه حرير دودة أو حرير زراعة ؟ وهل من علامة تميز بينهما أو يرجع في ذلك لذوي الخبرة بهذا الشأن ؟

(س ٢٥ و ٢٦) - ٤ هل يحرم شرب الدخان في مجلس القرآن ؟ ان قلتم : نعم ؟ فهل هو

اجماعي أو ثم قول يجوز تقليده بالحل ؟ وهل ضابط المجلس العرف أو ماهو ؟ فأن القراء قد يختصون بنحو دكة والسامعون معهم في نحو خيمة واحدة على دكة أخرى فيشرب البعض تعللا بأن المجلس انما هو محل القارئين والعرف يأبى ذلك وما دليل تحريم الشرب المذكور مع حدوث الدخان بعد زمن النبوة ؟

نلتمس الاجابة عن ذلك لابرحتم ملجأ للسائلين المبتغين سواء السبيل أمين
أحمد علي الطباخ بالمعطف (بحيره)

﴿ سماع آلات الطرب ﴾

بينا في الجزءين الاول والثاني من مجلد المنار العاشر خلاف العلماء في سماع آلات الطرب وأدلة من حظرها وأدلة من أباحها والترجيح بينها فعلم من ذلك ان سماعها مباح لذاته وقد يعرض له الحظر اذا ترتب على السماع معصية ، فليرجع السائل الى ما نشرناه هنالك عسى ان يعرف الحق في المسألة بدليله

﴿ الثواب المعين على انشاد شعر معين ﴾

ماذكر في السؤال شيء لادليل له من أدلة الشرع فلا يعول عليه ولا يلتفت الى ناقله كائنا من كان ، ولا يقبل كلام أحد في ثواب الآخرة وعقابها الا بدليل عن الله تعالى ورسوله (ص) وان الشعراني الذي نقل عنه الباجوري ذلك القول في البيتين ليس من الائمة المجتهدين ، ومن اتفق الناس على امامتهم في فقه الدين ليس كلامهم حجة ولا شرعا بالاجماع وانما معنى امامتهم ان لهم مسالك في فهم النصوص والاستنباط منها وترجيح متعارضها قد استفاد منها الناس وتبعوهم فيها وهي التي سميت مذاهب

﴿ لبس المشكوك فيه هل هو حرير أم لا ﴾

من شك في ثوب هل هو حرير محرم أم لا يجوز له ان يلبسه لان الحرمة لا تثبت بالشك والاحتياط ان لايلبسه حتى يراجع أهل المعرفة ويخرج من الشك الى اليقين . والعبرة في مثل هذا باهل الخبرة الذين يوثق بمعرفتهم

﴿ شرب الدخان في مجالس القرآن وحكم شربه ﴾

قد سبق لنا افتاء عن هذا السؤال . ونقول الآن بالايجاز : تعظيم القرآن واحترامه واجب قطعاً واهانته محرمة قطعاً بل يكفر متعمدها والعمدة في ذلك القصد ويجب

فيه مراعاة العرف والاصل في الدخان الحل الا اذا كان ضاراً اذ يحرم تناول كل ضار بالاجماع

﴿ الحلف بالرسول والحلف بغير الله ﴾

(س ٢٧ و ٢٨) من صاحب الامضاء بمصر (ورد من عدة سنين ونسي)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار

سأل سائل عن الحلف بغير الله تعالى فقال قوم يجوز الحلف برسوله صلى الله عليه وسلم فأنكرت ذلك لعدم مشروعيته فنسب آخر للمنار تقرير جواز الحلف بغير الله تعالى من نبي وولي فأسأل من فضيلتكم بيان الحق بهذه المسألة على صفحات المنار بدون احالة على أعداد سابقة خدمة للدين المبين واقبلوا في الختام سلام واحترام

علي يوسف المحامي بمصر

(حاشية) وأرجو بيان حكم الحلف بغير الله تعالى علي يوسف

(ج) صح في الاحاديث المتفق عليها ان النبي (ص) نهى عن الحلف بغير الله ونقل الحافظ ابن عبد البر الاجماع على عدم جوازه قال بعضهم : أراد بعدم الجواز ما يشمل التحريم والكراهة فان بعض العلماء قال ان النهي للتحريم وبعضهم قال انه للكراهة . وبعضهم فصل فقالوا اذا تضمن الحلف تعظيم المحلوف به كما يعظم الله تعالى كان حراما والا كان مكروهاً . أقول وكان الاظهر أن يقال ان المحرم أن يحلف بغير الله تعالى حلفاً يلتزم به فعل ما حلف عليه والبر به ، لان الشرع جعل هذا الالتزام خاصاً بالحلف به أي بأسمائه وصفاته ، فمن خالفه كان شارعا لشيء لم يأذن به الله . وبهذا يفرق بين اليمين الحقيقي وبين ما يجيء بصيغة القسم من تأكيد الكلام وهو من أساليب اللغة. وقد قالوا بمثل هذه التفرقة في الجواب عن قول النبي (ص) للاعرابي «أفلح وأبيه ان صدق » فقد ذكروا له عدة أجوبة منها نحو ما ذكرناه ، قال البيهقي ان ذلك كان يقع من العرب ويجري على ألسنتهم من دون قصد للقسم والنهي انما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف . قال النووي في هذا الجواب انه هو الجواب المرضي. وأجاب بعضهم بقوله ان القسم كان يجري في كلامهم على وجهين للتعظيم وللتأكيد والنهي انما وقع عن الاول . وأقول ان هذا عندي بمعنى قول البيهقي . وقيل انه نسخ وقيل انه خصوصية للنبي (ص) وقد ردوهما . والظاهر ان ما كان من حلف قريش بآبائها كان يقصد

به التعظيم والتزام ما حلف عليه ؛ ولذلك كان من أسباب النهي والا فلأنهم مشركون غالبا

روى أحمد والشيخان في صحيحهما عن ابن عمر أن النبي (ص) سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وفي لفظ « من كان حالفا فلا يحلف الا بالله — فكانت قريش تحلف بآبائها فقال — لاتحلفوا بآبائكم » رواه مسلم والنسائي . وروى الشيخان عنه أيضاً « من كان حالفاً فلا يحلف الا بالله » رفعه الى النبي (ص) وهو حصر ، وفي معناه حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي وابن حبان والبيهقي مرفوعاً « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون »

فهذه الاحاديث الصحيحة ولا سيما ما ورد بصيغة الحصر منها صريحة في حظر الحلف بغير الله تعالى ويدخل النبي صلى الله عليه وسلم في عموم « غير الله تعالى » والكعبة وسائر ماهو معظم شرعاً تعظيما يليق به ولا يجوز أن يعظم شيء كما يعظم الله عز وجل ولا سيما التعظيم الذي يترتب عليه أحكام شرعية ، ولقد كان غلو الناس في أنبيائهم والصالحين منهم سبباً لهدم الدين من أساسه واستبدال الوثنية به . ونسأل الله الاعتدال في جميع الاقوال والافعال

﴿ ترك العمل يوم الجمعة ﴾

(س ٢٩) من صاحب الامضاء بمصر

سيدي العلامة المفضال السيد محمد رشيد افندي رضا حفظه الله

ربما علمتم بحركة تجار دمشق واتفاقهم على اغلاق حوانيتهم ومحلاتهم في كل يوم جمعة ولكن هذا لم يرق لبعض المشاغبين كالشيخ عبد القادر الخطيب المعلوم عند سيادتكم وامثاله فتكلموا مع الوالي بعدم صلاحية ذلك واجبار التجار على الشغل في ذاك اليوم فطلب الوالي بعضاً من التجار وخاطبهم بهذا الشأن استحساناً لا جبراً فما قبلوا فلما رأى الشيخ عبد القادر الخطيب الموما اليه ان سعيه لدى الوالي لم يفده بشيء خطب في الجامع الاموي وقال انه لايجوز الاغلاق في يوم الجمعة واستدل بقول الخفاجي على انه تشبه باليهود والنصارى وأورد الآية الكريمة الواردة بحق يوم الجمعة وانه لطلب الرزق الى آخر ما املاه عليه ضميره . فالمسألة اخذت دوراً مهماً في دمشق لذلك كتب اليّ جماعة من التجار يطلبون ان اعرض هذا الامر لفضيلتكم ونقد لهم النصوص الواردة في يوم الجمعة ومن علماء المذاهب الاربع في الازهر ورد

اليهم ذلك حالا فلذا لكوني اعتبرت واعتادت الامة الاسلامية الاستنارة بعميم فضلكم ارجوكم التفصيل بكتابة ماورد بحق يوم الجمعة وسبق منذ ثلاثة سنين سألت فضيلتكم مثل هذا السؤال من السودان واجبتم عليه في المنار وبه عمل فادام الباري فضيلتكم سيدي

احمد حمدي النجار

(ج) سبق للمنار بيان هذه المسألة وفصلنا القول فيما ورد في يوم الجمعة في مقالات (المسلمون والقبط) التي جردت من المنار وطبعت في رسالة على حدتها فيمكنكم ارسال نسخة منها أو أكثر الى من كلفوكم ان تسألونا عن النصوص الواردة في يوم الجمعة. هذا وان قول الشيخ عبد القادر الخطيب انه لايجوز اغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة-ان صح عنه غريب جدا - لامن حيث انه اجتهاد منه وهو يحرم الاجتهاد في هذا العصر فان هذا ديدن جميع الذين يلغطون بالانكار على المصلحين الذين يدعون الناس الى الاهتداء بالكتاب والسنة يزعمون ان هذا الاهتداء يستلزم الاجتهاد الذي أغلق امثالهم بابه بالقول، فهم ينكرون الاجتهاد قولا ثم نراهم يحرمون على الناس بأهوائهم ما أحله الله لهم ويستدلون على ذلك بما لايدل عليه من الآيات والاحاديث وهو عين ماينكرون من الاجتهاد. والاهتداء بالكتاب والسنة الذين يدعو اليه المصلحون لايستلزم مثل ذلك فانه قد يكون مع الاستعانة على فهمها بكلام ثقات المفسرين والمحدثين

فاذا كان من يدعي تحريم إغلاق المحلات التجارية يوم الجمعة أو كراهته شرعا مقلدا لأحد الائمة فليأتنا بنص من كلامه أو نقل ثقات أصحابه المدونين لمذهبه في ذلك وان كان مجتهدا فلكل أحد ان يسأله عن دليله. وفي السؤال انه استدل على ذلك بقول الخفاجي انه تشبه باليهود والنصارى وهذا غير صحيح بل هو مخالفة لهم لأن اليهود يتركون العمل يوم السبت وخالفهم النصارى فتركوا العمل يوم الاحد، فلو قال فيمن يتركون العمل يوم الاحد من المسلمين في بلاد مصر وبيروت انهم تشبهوا بالنصارى لكان له وجه. واما من يتركون العمل يوم الجمعة فلا وجه لدعوى انهم متشبهون بهم الا اذا صح الاستدلال بالشيء على ضده. فان تشبه الانسان بقوم انما هو ان يفعل مثل فعلهم بحيث يشتبه حاله بحالهم فيظن من لا يعرفه انه منهم. ولا يقول عالم ولا عاقل ان التشبه بأجناس العمل العامة يكون محل بحث والا لكان من مقتضى عموم التشبه ان نترك كل أعمال العمران التي سبقونا اليها من فنون وضروب الصناعة والزراعة والتجارة. وقد فصلنا مسألة تشبه المسلمين بغيرهم غير مرة ومن أوسعها بياننا الفتوى ٦٩ من المجلد الرابع عشر (ص ٩٠٧ - ٩١١) فليراجعها من شاء

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

« فائدة بعثة عيسى والفرق بين صورته في القرآن وصورته في الاناجيل »

فان قيل اذا كانت هذه العقائد التي امتازت بها المسيحية عن الاسلام واليهودية باطلة فما فائدة بعثة عيسى إذًا ولم فتن الله الناس به حتى اتخذوه إلها ؟ قلت لاشك أن عيسى كان نبيا كبيرا ورسولا عظيما جعله الله مثالا حسنا للناس ليهتدوا بهديه وليقتدوا به في أخلاقه وأعماله وأقواله وسيرته الطاهرة وقد اشتهرت تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والرأفة والزهد في الدنيا كما قال القرآن الشريف (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) وذاع اصلاحه في الارض منذ وجوده للآن رغما عن كل ماطرأ على دينه من التحريف والتبديل مع كثرته . ومن فوائد بعثته أيضا أن الله تعالى جعله دليلا على قدرته على البعث والقيامة الاخروية فان الناس كانت قد ضعفت فيهم أو تلاشت من بينهم تقريبا هذه العقيدة الكبرى لدرجة جعلت الصدوقيين من اليهود (وهم الامة التي اشتهرت بكثرة الوحي فيها والانبياء) ينكرون البعث يوم القيامة (مت ٢٢:٢٣ وأع ٢٣ : ٨) وكان يوجد من النصارى أيضا من تبعهم في ذلك كبعض أهل كورنثوس كما يفهم من رسالة بولس الاولى اليهم (١٥ : ١٢) . ونجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة اللهم الا بعض اشارات طفيفة كما في سفر التثنية (٣٢ : ١٩ - ٤٣) ولعل السبب في ذلك وجودهم بين المصريين مدة ٤٣٠ سنة (خر ١٢ : ٤٠) واقتباسهم منهم هذه العقيدة التي كانت عالقة كثيرا بأذهان المصريين (١) فانتقلت منهم الى بني اسرائيل وأصبحت عندهم من الامور

(١) الظاهر أن المصريين أتتهم هذه العقيدة من طريق الوحي إليهم والا لماسبقوا اليهود بها. وكانوا يعتقدون أن قلب الانسان سيوزن يوم القيامة لمعرفة ان كان يستحق الرحمة أو العذاب ولعل مرادهم من ذلك هو كمراد القرآن عند المحققين مما ذكره متابها لذلك (مثل ٢١ : ٤٧) أي

التي لا يترددون في قبولها فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيرا فاكتفت كتبهم بالاشارة اليها أحيانا ، ولا تنس أن بني اسرائيل كانوا من أشد الامم ميلا للتقليد وخصوصا للامم الغالبة لهم فلذا انتقلت اليهم هذه العقيدة من المصريين وانتشرت بينهم ، أو كان السبب في قلة ذكر كتبهم لها أن الناس كانوا في تلك الازمنة قصيري الادراك بلداء الشعور وخصوصا اليهود ذوي الرقاب الصلبة (خر ٣٢ : ٩) فلذا ما كانوا يتأثرون ولا تنفعل نفوسهم بالمواعيد الآجلة انفعالها بالمواعيد العاجلة التي اكثرت كتبهم من ذكرها لهم لغلاظ قلوبهم وقساوتها ، فلما كثر بين الناس الشك في هذه العقيدة وارتقى ادراكهم ورق شعورهم عن ذي قبل جاء عيسى لتبيين هذه العقيدة العظمى واشتهر بالتصريح بها أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني اسرائيل وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمعجزاته العظيمة كاحياء الموتى وخلقه من الطين طيرا و بوجوده هو نفسه بدون أب خلافا لما اعتاده الناس. فالله تعالى الذي أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات (أع ٢ : ٢٢) لاشك أنه قادر على احياء الموتى يوم القيامة (١)

= المبالغة في بيان دقة الحساب وكمال العدل الالهي في دينونة الخلائق كأن أعمالهم أو قلوبهم توزن وزنا دقيقا بحيث لا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتي بها الله وعامل الانسان بحسبها

ولوجود عقيدة البعث عند المصريين تجد أن يوسف كما في القرآن الشريف لما تكلم مع الفتيين اللذين حبسا معه في مسائل الدين لم يحثهما على الايمان باليوم الآخر كما حثهما على التوحيد فان ذلك كان من أكبر عقائدهم حتى من قبل يوسف (راجع سورة يوسف ١٢ ، ٣٩ : و ٤٠ ») وترى أن عزيز مصر لما وجد امرأته خاطئة قال لها (استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) ولولا اعتقادهم بالدينونة في اليوم الآخر ما قال لها ذلك

(١) لذلك ترى ان أكثر معجزات عيسى هي مما له علاقة باحياء الميت كخلقه هو نفسه بدون أب وكاحياء الموتى على يديه وكتحويل الطين طيرا ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة على البعث فان الذي خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة في خلق الاحياء الراقية وأحيي على يديه الموتى بل الجماد لاشك أنه قادر على بعث الخلائق يوم القيامة مهما طرأ عليهم من الفساد والانحلال والتغير ومهما فقد من الشروط المعتادة أو اللازمة للحياة في هذه الدنيا . لذلك قال تعالى في عيسى (ولنجعله آية للناس) وجاء عن لسانه مكررا في موضع واحد (٣ : ٤٩ و ٥٠) قوله (اني قد جئتكم بآية من ربكم — الى قوله — وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون) =

فاصلاح الاخلاق وتذكير قومه بكلام الله القديم الذي كانوا هجروه وارشادهم الى حقيقة الشريعة وروحها والدعوة الى الايمان باليوم الآخر والزهد في الدنيا لشدة انغماس الناس في زمنه في الماديات هي أهم ماجاء عيسى به وهي أعظم ماعرف عنه بين جميع أتباعه واشتهر به على اختلافهم في الآراء والمعتقدات ولو أنهم جعلوا نعيم الآخرة روحانيا فقط - مع اعترافهم بالبعث الجثماني بل والعذاب الجسداني

- أي اذا علمتم مما جئتكم به من الآيات أن الله موجود وأنه سيبعثكم للحساب يوم القيامة كان واجباً عليكم ان كنتم تعقلون أن تتقوه كمال التقوى وتطيعوني

أما في زمن البعثة المحمدية - وقد ارتقى الناس في الجملة عن ذي قبل - فكانوا يرون أو يمكنهم أن يروا مالا يراه القدماء الا نادرا من أن آيات الكون الحاصلة أمامهم كل يوم تكفي لاثبات أن الله قادر على البعث لانه تعالى يخلق فعلا في كل وقت الاحياء النباتية والحيوانية من الجماد كما هو مشاهد لجميع الناس ، ولا شك أن اعادة الخلق أهون من بدءه كما قال القرآن الشريف (٣٠ : ٢٧) لذلك اكتفى القرآن بتنبيهم الى هذه الآيات الكونية في أكثر سوره وناقشهم فيها مناقشة عقلية منطقية كما هو معلوم لمن يتدبر آياته (راجع مثلا سورة الحج ٢٢ : ٥ - ٧) ومازال يرشدهم اليها ويذكرهم بها ويجادلهم فيها حتى اقتنع العرب اقتناعاً عقليا صحيحاً بقدرة الله على البعث وتبعتهم الامم الداخلة في الاسلام الى اليوم . فالناس وان كفتهم الحجة العقلية في زمن البعثة المحمدية وبعدها الأن أكثر الامم أوكلهم قبل ذلك ما كانت تكفيهم هذه الحجة أو لا تؤثر فيهم تأثيرها في الناس بعد الاسلام فلذا جاء عيسى وغيره لقومهم بالمعجزات الحسية ، والغالب ان الامم القديمة ما اقتنعت بهذه العقيدة اقتناعا عقليا جازماً وانما سلموها بعد ان رأوا من أنبيائهم مارأوا من المعجزات الحسية ونحوها لا بالحجج العقلية كأهل الاسلام وربما كان اقتناعهم بها بعد ذلك أقل درجة من اقتناع المسلمين ، ألا ترى الى قول ابرهيم وهو أبو النبيين (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) فاذا كان هذا حال ابراهيم فما بالك بغيره من الناس؟ والحق أن استعمال الحجج العقلية لاثبات المسائل الدينية لم يعرف بين أكثر الامم قبل الاسلام ومن عرف عندهم لم يبلغ مبلغه بين المسلمين كما لايخفى على المطلعين الباحثين في أحوال البشر وعقائدهم . والفضل في ذلك كله للقرآن الذي نهض بالعقل البشري نهضة لم يسبقه بها كتاب ، ان في ذلك لآيات لاولي الالباب

أيضا (١) - بسبب تأثير أقوال بعض فلاسفة اليونانيين فيهم (كارسطو) حتى أولوا

(١) من غرائب عقول النصارى أنهم مع تسليمهم بقيامة الاموات والبعث الجثماني (١ كو ١٥ : ١٢ - ٥٧) وبالعذاب الجسداني أيضا - كما قلنا في المتن - الدائم الى أبد الآبدين (مت ٥ : ٢٩ و ٨ : ١٢ و ١٣ : ٤٢ ورؤ ١٩ : ٢٠ و ٢٠ : ١٠) يعودون فينكرون النعيم الجثماني ويسخرون من المسلمين لانهم يقولون به !! فلا أدري لماذا يقبلون تعذيب الجسد بالنيران وغيرها ولا يقبلون تنعيمه بما يليق به من أكل وشرب وجماع وغير ذلك مع الادب والكمال ، واذا كان الله قضى بحصول هذه الاشياء في الدنيا للانسان والحيوان فأي استبعاد اذاً للقول بحصولها أيضا في الآخرة على نحو ٍ أكبر وأبهى وأفضل ؟ نعم ان الجماع شهوة بهيمية ولكنه هو كالاكل والشرب الذي قالت كتبهم بحصوله في الآخرة (لو ٢٢ : ٣٠) ولذلك سميت دار النعيم عندهم أيضاً بالفردوس (لو ٢٣ : ٤٣) أي البستان بالفارسية لما فيها من الاشجار والاثمار ونحوها واذا استعمل الجماع في محله مع الاحتشام والادب فلا عيب فيه مادام الانسان في الآخرة لم يخرج باعترافهم عن كونه حيوانا جسدانيا ، وأي فرق حقيقي بين اللذة الروحية واللذة الجسدية ؟ وكلتاهما لا تصل الى الانسان ولا تكون عادة الا بطريق الجسد وان كانت الاولى خيرا وأبقى من الثانية ولكن في الاخرة ستكون الاثنتان باقيتين ، هذا ولم يقل أحد من المسلمين ان لذة الآخرة كلذة الدنيا ولا أن الآخرة خالية من النعيم الروحاني ، وكيف يقول أحد منهم ذلك والقرآن يقول (ورضوان من الله أكبر) ويقول (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) وقال (وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة) و (وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية) وغير ذلك كثير (راجع كتابنا « الاسلام » ص ٥٠ و ٥١ منه)

واذا اقتصر القرآن على ذكر اللذات الروحية أيكون لكلامه من التأثير على عامة البشر ما كان له بذكر اللذتين ؟ ومَن مِنَ العامة يدرك اللذة الروحية أو يقدرها قدرها ؟ أو تنفعل نفسه لها ؟

هذا وسيرضى كلٌّ في الآخرة بما قسم له من النعيم كما يرضى الصغير بثوبه الصغير والكبير بثوبه الكبير بحيث اذا أعطى للكبير ثوب الصغير لغضب وعد ذلك استهزاء به وكذلك العكس كما قال المسيح عليه السلام في انجيل برنابا (١٧٦ : ١٠ - ١٦) ولذلك =

أقوال المسيح نفسه الدالة على عكس ماذهبوا اليه تقليدا لهم كما في متى (٢٦ : ٢٩) ولوقا (٢٢: ٣٠)

ولكن من المجمع عليه أن أكثر تعاليم عيسى وشغله الشاغل كان في الدعوة الى مكارم الاخلاق والسلم والتمسك بروح الدين[1] وجوهره والايمان باليوم الآخر والعمل على نشر ذلك كله بين العامة والخاصة من قومه ولكنه قل أن تعرض للالهيات لعدم حاجة اليهود اليها بل أحالهم فيها الى ناموسهم اذ فيه الكفاية منها ، وبين أن التوحيد هو أول كل الوصايا (راجع مثلا مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤) كما كان معلوما لديهم من قبل وقد استفاد العالم من تعاليمه كثيرا منذ زمنه الى الآن

وأما افتتان الناس به ودعواهم له الالوهية (وان كان هو تبرأ حتى من اطلاق لفظ «الصالح» عليه كما سبق (مت ١٩ : ١٧) فذلك لا يطعن في انتفاعهم العظيم به عليه السلام وفي أنه كان إماما ورحمة لهم وآية للعالمين كما أنه لا يطعن في فائدة نزول الغيث كونه قد يصيب بعض البيوت مثلا فيهدمها على أهلها ولا يطعن في نفع النار وغيرها أنها كثيرا ماتؤذي الانسان وتهلكه وهي أقوى ما يستعمله الانسان للتدمير في الحروب وغيرها

فهذه سنة الله في خلقه إذ يندر أن يوجد شيء في العالم خال من الضرر في جانب نفعه الكبير فكذلك بعثة عيسى وان أفادت الناس كثيرا الا أنها لم تخل من الاضرار بضعاف العقول الذين ألهوه وعبدوه من دون الله تعالى عما يشركون . فالاعتراض على بعثته بسبب ذلك كالاعتراض على جميع ماخلق الله مما لا يخلو من ضرر ولذلك أيد الله تعالى - كما قال القرآن - أتباع عيسى مع ضعف إيمانهم وفساد بعض عقائدهم

= قال تعالى في القرآن الشريف (ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) ولما كان الرجل في الدنيا أقوى وأفضل وأعقل من المرأة وأكبر شهوة منها فلا عجب ان كان ثوابه في الآخرة أكبر لان أعماله أعظم والذي فضله في الدنيا هو الذي سيفضله في الاخرة بسبب عمله ولا يثير ذلك حقد المرأة عليه كما بينا هنا

(١) لذلك وضع عن اليهود شيئا من اصر التوراة وأغلال الناموس كما فعل في يوم السبت حيث خفف شدة حكمه (راجع يو ٥ : ١٠ - ١٢ وخر ٢٠ : ١٠ وعد ١٥ : ٣٢ - ٣٦) فلذا قال الله تعالى في القرآن الشريف عن لسانه (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

حتى نشروا دينه على علاته في الارض وأصبحوا فيها ظاهرين . قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أي قل يا محمد كما قال عيسى لأصحابه ما ذكر ، والحكمة في قول القرآن ذلك بدل أن يقول (كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله) أنهم لم يكونوا في دينهم على ما يرام كما يفهم من قوله (ومكروا ومكر الله) لأن يهوذا باعتراف النصارى كان منهم وكذلك بطرس الذي سماه المسيح « شيطانا » وغيرهما كان ضعيف الايمان أو عديمه كما سبق بيانه (راجع صفحة ٥٢ و٨٨ و٩٢). وقال القرآن أيضا (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك) الآية وقال (فاختلف الاحزاب من بينهم) الآية . وإذا كان الله أيدهم مع ضعفهم هذا وفساد بعض عقائدهم بسبب أن في دينهم أشياء أخرى كثيرة صالحة للبشر وهي أكثر مما ألحق به من المفاسد فمن باب أولى يؤيد الله المؤمنين الصادقين الخالي دينهم وعقائدهم من التحريف والتبديل ، لذلك ضرب الله الحواريين مثلا للمؤمنين لبيان كرمه وحلمه وتفضله على عباده بالخير الكبير ولو لم يستحقوه كله ليعلموا أنهم ان نصروا الله ولو قليلا نصرهم هو كثيرا كما فعل بأصحاب عيسى ، ولم يضرب المثل بغيرهم من الامم السابقة المؤمنة لانهم لم يبق لهم ملك في الارض مشاهد كاليهود ، أو أنهم انقرضوا كمؤمني قوم صالح وهود .

هذا وقد بين القرآن الشريف تاريخ عيسى كما بيناه هنا فقال الله تعالى فيه (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (١) ولو نشاء لجعلنا منكم

(١) فانه مرسل اليهم أولا وبالذات فان رفضوا ولم يؤمنوا به دعى حينئذ غيرهم من الامم والا فلا (مت ٢٢ : ١ - ١٤) و (أع ١٣ : ٤٦ و١٨ : ٦) و (رومية ١ : ١٦) وأما محمد (ص) فمرسل للناس كافة سواء قبله العرب أو رفضوه ولكن يجب أن يبدأ بدعوتهم ليستعين بهم على دعوة غيرهم . هذا اذا تساهلنا معهم في فهم عبارات كتبهم المتناقضة حتى في هذه المسألة الهامة وسنتكلم معهم قليلا في ذلك قريبا بغير هذا التساهل

ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم[١] للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض[٢] الذي تختلفون فيه (اي كاختلاف اليهود في القيامة لعدم صراحتها في كتبهم) فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الاحزاب من بينهم (لاحظ العطف هنا بالفاء) فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون) والآيات

(١) أي سبب للعلم بها فانه هو ومعجزاته من أعظم الدلائل على امكان البعث ، وهذه العبارة في الآية مجاز مرسل علاقته المسببية فانه أطلق المسبب (وهو العلم) وأراد السبب (وهو عيسى ومعجزاته) كقولك « أمطرت السماء نباتا » أي مطرا يتسبب عنه النبات وقرئ أيضا { وانه لعلم للساعة } بفتحتين أي انه كالجبل الذي يهتدي به الى معرفة الطريق ونحوه فعيسى عليه السلام يهتدي الى طريقة اقامة الدليل على امكان الساعة وكيفية حصولها كما بينا في المتن

(٢) انما لم يقل « ولأبين لكم كل ما تختلفون فيه » لانه لم يفعل ذلك بل ترك بيان كثير من الاشياء كالفساد الذي دخل في أغلب كتبهم للبارقليط (محمد) الذي يأتي بعده لعدم استعداد الناس في زمنه لقبول كل شيء منه كما قال هو نفسه (يو ١٦ : ١٢ و١٣) وخصوصا اذا تعرض للطعن في كتبهم وهي رأس مالهم الوحيد وتراث أجدادهم ، ولو فعل ذلك لشك فيه الكثيرون منهم وكذبوه ولما اتبعه الا الاقلون أو النادرون فتضيع الفائدة من بعثته التي بيناها في المتن وهي التي بعث لأجلها، وأما قول الله تعالى عن لسانه { ومصدقا لما بين يدي من التوراة } فالمراد بمثل هذا التعبير أنه بمجيئه عليه السلام تحققت نبوات التوراة عنه وبه صحت وصدقت، وكلمة «التوراة» تطلق على كل كتب العهد القديم كما بيناه في كتاب « دين الله » { ص ٦٥ } فالمعنى أن مجيء عيسى كان وفق ما أنبأ به النبيون عنه من قبل ولولاه لما صدقت تلك النبوات فانها لا تنطبق الا عليه، وليس المراد أن عيسى يقر كل ما في التوراة كما يتوهم النصارى الآن من مثل هذه الآية والا لما قال بعدها مباشرة « ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم » فكيف يقرها وهو قد جاء ناسخاً لبعض ما فيها، فتدبر ذلك ولا تكن كهؤلاء الذين يهرفون بما لا يعرفون ، ويفسرون ما لا يفهمون !!

هذا اذا سلمنا ما في هذه الاناجيل من ان المسيح عليه السلام لم يطعن في كتب

في بيان فضائل المسيح ومزاياه وأعماله والثناء عليه عديدة شهيرة (١) فانظر الى آداب

= اليهود الموجودة في زمنه ولم يبين لهم مافيها من الفساد ولكن كيف يثق المسلم بما في هذه الاناجيل بعد الذي كتبناه فيها ؟ فيجوز أن المسيح بين لهم فساد كتبهم كله أو بعضه المهم ثم انهم أهملوا أغلب أقواله هذه تدريجيا حتى نسوها لعدم موافقتها لاهوائهم ولما شبوا وربوا وشابوا عليه وورثوه عن آبائهم كما أهملوا أقواله في التوحيد الحقيقي وخالفوا نصائحه ووصاياه في مسائل كثيرة مما بيناه وتغالوا في شأنه شيئا فشيئا حتى جعلوه إلهاً وهو -لاشك- بريء من هذه الدعوى، ولا يخفى أن تلاميذه - وهم ضعاف من وجوه كثيرة - لو كانوا أكثروا من الطعن في كتب اليهود وترديد أقوال المسيح فيها لنفروا اليهود منهم ومن دينهم ومسيحهم ولزاد اليهود في احتقارهم وايذائهم فلذا تحاشوا ذلك وخصوصاً لانه لا يمكنهم اقناعهم بصحة مسيحية عيسى الا بهذه الكتب فاستمروا على قبولها والتعويل عليها مجاملة وخوفاً من باقي أمتهم اليهود واستمالة لهم لادخالهم في دينهم بها، وربما أنهم حرفوا بعض أقوال المسيح التي نقلوها في هذه المسألة وجعلوها قاصرة على ذم المسيح اليهود باتباع تقاليدهم الموضوعة لا بتحريف كتبهم المقدسة كما هو الظاهر مما في انجيل مرقس مثلا (٧: ٦-١٣) (راجع أيضا كتاب دين الله صفحة ٨١-٨٤)

على ان بعض فرق النصارى الاقدمين في القرن الاول والثاني قد أنكروا العهد القديم كله أو اكثره كالابيونيين والماركيونيين وغيرهم ويبعد كل البعد أن تنكر هذه الفرق هذه الكتب من غير أن يستندوا على شيء رووه عن المسيح نفسه في أمرها وقد كانوا قريبي العهد به عليه السلام فتكون روايتهم أصح من رواية هذه الاناجيل التي لم يعرف لها سند الا في أواخر القرن الثاني وما خلت من التحريف بعد ذلك كما بينا . وجاء في انجيل برنابا أن المسيح نص على تحريف اليهود لكتبهم راجع مثلا الاصحاح ٤٤: ٣ منه وهو من الاناجيل القديمة وإن يكابرون فيه ويكذبون. وما يدرينا أنه كان يوجد في الاناجيل الاخرى التي رفضوها وأضاعوها مثل مافي انجيل برنابا أيضاً، ولا تنس ان أناجيلهم هذه الحالية لا تشمل جميع أعمال المسيح (وأقواله طبعا) باعتراف مؤلفيها (يو ٢١: ٢٥)

(١) من أكبر آيات اخلاص النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في دعواه أن القرآن الذي عظم جميع الانبياء تعظيما كبيرا وأثنى على كل من ذكره باسمه منهم فرداً فرداً ، وبرأهم من كل مارماهم به أهل دينهم من الكبائر والفضائح قل أن اختص =

القرآن العالية في المسيح فهو يصوره دائما بغير الصورة التي تفهم من الاناجيل وفيها
كثير من المسائل تؤدي الى الطعن الفظيع فيه كما أدت كثيرين الى ذلك في

= محمداً بمدح أو بفضل أو مزية دون غيره من اخوانه الانبياء عليهم جميعاً الصلاة والسلام،
بل كثيرا ما يذكر محمداً مع شيء من اللوم له أو العتاب أو الارشاد والتأديب ونحو
ذلك مما يعرفه المطلعون على القرآن الكريم . ولو كان محمد من الكاذبين لما سجل
على نفسه شيئا من هفواته في قرآنه (راجع مثلا ١٧ : ٧٣ ـ ٧٥ و٣٣: ٣٧ وغير
ذلك) ولخص نفسه بالمدح والتعظيم والتبجيل والاكرام في أغلب القرآن ، ولرفع
منزلته فوق كل منزلة ، ولنص على أنه أفضل النبيين وأقرب المقربين من رب العالمين
بل لادعى البراءة من كل عيب ونقص وخطأ ، ولنسب لنفسه العصمة من كل زلل
أو سهو أو نسيان ، ولما أمر في القرآن بطلب الرحمة والغفران من الله ولما ألزم
نفسه الفرائض الكثيرة والنوافل العديدة الشاقة في صلواته وصيامه وقيامه بالليل لعبادة
الرحمن (راجع كتاب دين الله ص ٧٠ و ٧) ولادعى الكمال المطلق في كل شيء،
ولقال ان العالم خلق لأجله ومن نوره وأنه أول موجود كما يقول عامة المسلمين
الآن فيه تقليدا للنصارى في عيسى ، بل لقال عن نفسه أكثر مما قال يوحنا في انجيله عن المسيح،
ولما نهى عليه السلام الناس ـ وبالغ في النهي ـ عن إطرائه كما أطرت النصارى عيسى أو لعدد
على الأقل في قرآنه جميع أعماله وأتعابه ومناقبه ومفاخره أو لأعجب بنفسه ومدحها
كثيرا كما فعل بولس في رسائله على ما سبق بيانه (في صفحة ٨٠ـ٨٢) ولكن اين ذلك
الكبر الباطل والغرور والاعجاب بالذات من تلك الروح العالية ، والنفس الطاهرة الكبيرة،
روح الصدق والاخلاص والتواضع والانكسار لله تعالى ؟ وفوق ما تقدم كله لم يذكر
في القرآن حادثة من حوادث حياته الا عرضا ولغرض غير مجرد تدوين أخباره
وسيرته فان الرغبة في ذلك لم تكن منه مطلقا والا لو أرادها لكانت (راجع أيضا
كتاب دين الله ص ٦١ ـ ٧١) زد على هذا أنه لم يضع للمسلمين موسما أو عيدا
أو نحو ذلك لتذكر شيء ما من حوادث حياته الشخصية كيوم ولادته أو هجرته
او اسرائه أو غير ذلك مما ابتدعه الناس بعده ولو شاء لجعل كثيرا من أمم الارض
تعبده أو على الاقل تذكره كل سنة بأعياد عديدة ومواسم متكررة . فأين هذا
ممن كان يطلب بنفسه من الناس أن يمدحوه ويظهر رغبته في ذلك كما فعل بولس
(٢ كو ١٢ : ١١) بل قد نهى (ص) ـ فوق هذا كله ـ مرارا عن تعظيم قبره =

أوروبة فنحن وان كنا نبرأ الى الله من مطاعنهم هذه نشير هنا (١) الى بعضها ولا نتعرض للبحث فيها طويلا بمثل ما تعرضوا به من المبالغة في الطعن اجلالا لمقامه السامي عندنا بسبب شهادة القرآن له ليس الا. فما عابوه به: ـ

أو اتخاذه وثناً أو عيداً حتى قال العلماء ان أحاديث زيارة قبره كلها ضعيفة أو موضوعة لايصح الاعتماد على شيء منها ولهذا لم يروها أهل الصحاح والسنن (راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية صفحة ٨٢ ـ ٨٦) فأي تواضع أكبر من ذلك ؟ وأي انكار للذات أعظم منه؟ لذلك كله ترك القرآن الحكم على هذه النفس العالية العجيبة {نفس محمد} وتقديرها قدرها للزمان، ولعقلاء الرجال المفكرين، الذين نبذوا التعصب والتقاليد وراء ظهورهم وتركوه خلفهم نسيا منسيا، فظهر لهم ولله الحمد بعد أن نظروا في أعمال النبي واصلاحه في الارض ودينه وشريعته وقارنوا ذلك بغيره من الاديان انه أكبر مصلح قام في الارض وأعظم من يسميهم المليون أنبياء وأخاص المخلصين، وأصدق الصادقين. وهذا الحكم عليه ليس صادرا من المسلمين، بل من كبار المفكرين، والعلماء في العالم المتمدن من ملحدين ومؤمنين، أحرار ومتعصبين {أنظر مثلا كتاب «نشوء القرآن التاريخي» للقس إدوارد سل ص ١٨٤} كما يعرف ذلك المطلعون على كتبهم،

وأكمل منك لم ترقط عيني ... وأعظم منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

(١) تنبيه: نظري الى المسيح في العبارات الآتية هو ليس من الوجهة الاعتقادية بل من الوجهة النقلية فقط بحسب روايات النصارى عنه فهو نظر تاريخي محض بقطع النظر عن اعتقاد المسلمين فيه — وفي جميع الانبياء — العصمة والكمال وبقطع النظر عن اعتقاد النصارى فيه الالوهية فليتنبه لذلك القارئ فان جوّزتُ عليه شيئا من من النقص البشري فليس ذلك لاعتقادي فيه ذلك - حاشا وكلا — بل هو لاجل مناقشة الخصوم فيما رووه عنه بأنفسهم. وعقيدتي في المسيح هي عقيدة القرآن أي أنه من أعظم الانبياء ومن أكرم الرسل مصلحي الانام وهداة البشر وهي العقيدة التي يلزمنا القرآن الشريف بها ولولاه لما عرفنا قدره بسبب ما يرويه نفس أتباعه عنه من النقائص كما سنبينه، فما يأتي هنا لم أقله عن لساني وانما هو عن لسان ملحديهم، وناقل الكفر ليس بكافر، وأنا معذور في ذلك لان النصارى هم البادئون بالاعتداء علينا وعلى ديننا وقد طغوا وبغوا فوجب علينا أن يوقفهم عند حدهم بسيف الحجة والبرهان وأن نرد كيدهم في نحرهم لعلهم يرجعون

(١) مسألة تردده وهو شاب عزب جميل على بيت مريم ومرثا أختها وهما عاهرتان (قارن لوقا ٧: ٣٦-٣٩ ويوحنا ١١: ١-٣ و١٢: ١-٨) وحبه لهما (يو ١١: ٥) والاكل في بيتهما والمبيت عندهما وذلك مريم قدميه ومسحها بشعرها ودهن رأسه بالطيب (لو ١٠: ٣٨ - ٤٢ ومت ٢١: ١٧ و٢٦: ٦-١٣) وكثرة اختلاط غيرهما من النساء به و بتلاميذه ومصاحبتهن لهم في كل مكان وخدمتهن له من أموالهن (لو ٨: ١ - ٣) الى غير ذلك مما يحرم علينا الاسلام الخوض فيه وسوء الظن بالمسيح بسببه ، وان لم يفتتن هو أو تلاميذه بهن فكيف لا تفتتن مثل هؤلاء النساء بهم واكثرهن عزبات ! ؟ ومن أراد الاطلاع على بعض مايقوله علماء الافرنج في مثل هذه المسألة فليقرأ الفصل السابع من كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » تأليف فيلب سدني (Philip Sidney)

(٢) وجود المسيح فى عرس يشرب الناس فيه الخمر بحضرته و يسكرون (يو ٢ : ١٠) وهو لاينكر عليهم ذلك بل ساعدهم على المنكر وحول لهم الماء خمرا فكأنه زاد الطين بلة (يو ٢ : ١ - ١١) حتى رماه المعاصرون له من اليهود بأنه شريب خمر محب للخطاة والعشارين (لو ٧: ٣٣ و٣٤) ومن كلامه في لوقا (٥: ٣٧ -٣٩) ومتى (٩: ١٧) يفهم أنه كان له دراية كبيرة بالخمر وأحوالها

(٣) اختصاصه أحد تلاميذه (يوحنا) بحبه، واتكاء هذا في حضنه والتدلل عليه وكان يوحنا اذ ذاك فتى صغيرا ، وعدم تجاسر التلاميذ الآخرين على سؤاله الا بواسطة هذا التلميذ المحبوب وحده (يو ١٣: ٢٣-٢٥) وتجرد عيسى عن ثيابه أمامهم بعد العشاء بدون مناسبة مما يوهم أنه سكر بكأس العشاء (يو ١٣: ٤ و٥ ومت ٢٦: ٢٩)

(٤) قولهم انه كذب مرة على اخوته وغشهم (٧: ٨ و١٠) راجع حاشية صفحة ١٢ و١٣ من هذه الرسالة (في النسخة المطبوعة على حدتها)

(٥) أمره تلاميذه بشراء السيوف وحملها للدفاع عنه فضرب أحدهم بالسيف عبد رئيس الكهنة ليقتله فأفلتت الضربة وأصابت أذنه فقطعتها (لو ٢٢ : ٣٦ — ٣٨ و٥٠) مع أنه كان في أول الامر يحض الناس على محبة الاعداء (مت ٥: ٤٤) وهو أمر مغاير للطباع البشرية حتى لم يقدر عليه هو نفسه فخالف بذلك وصيته وكان

أول من نقضها بعمله هذا (١) راجع أيضا رسالة الصلب ص ١٢٢ و١٢٣

(٦) عدم احترامه لامه مريم واهانتها مرارا أمام الناس (يو ٢: ٤ و١٩: ٢٦ ومت ١٢ : ٤٦ ـ ٥٠) ومخالفته بذلك قول الله (تث ٥ : ١٦) «أكرم أباك وأمك» ثم دعواه أنه ماجاء لينقض الناموس (مت ٥ : ١٧) مع أنه نقضه في أعظم أركانه وأكبر دعائمه (وهي الوصايا العشر) (٢)

---

(١) لذلك كله ولغيره قد استباح بعض الافرنج أو جميعهم الكذب في السياسة ونحوها واخلاف العهود فيها وشرب الخمور والسكر، وتبرج النساء وابداء زينتهن الفاتنة لجميع الناس، والخلوة بهن، والرقص معهن، ووطء غير المتزوجات من النساء ولم يعدوه من الزنا المحرم، والحروب الكثيرة العنيفة لاقل الاسباب والتغلب على الضعفاء والحقد على كل من خالفهم الخ الخ فيجوز أن أسلافهم وكتبة الاناجيل كانوا من الرومانيين وغيرهم الاباحيين والاشتراكيين الذين كان كل شيء عندهم مشتركا بينهم (أنظر أع ٢ : ٤٤ و٤٥) فما كانوا ينظرون الى هذه الاشياء نظرنا اليها نحن الآن فلذا نسبوا للمسيح ـ بلا حياء ـ ما بيناه هنا في المتن ليظهروا أن كل شيء قد أبيح لهم وأصبحوا غير مقيدين بشرع أو ناموس وما أسرع انتشار مثل هذه المبادىء الاباحية والاشتراكية بين الناس وخصوصا متبعي أهوائهم والفقراء وهم الذين يتألف منهم الجزء الاعظم من كل أمة، فمن العجيب بعد ذلك ـ لاول نظرة ـ أن المسيحية لم تصر الدين الرسمي للدولة الرومانية الا بعد ثلاثة قرون من زمن مؤسسها !! فهذا شيء من مدنيتهم التي يقولون انها من آثار المسيحية فيهم، والمسيحية الحقيقية براء منها وكذلك المسيح عليه السلام، كما يعلم ذلك من تعاليمه الاخرى العالية الطاهرة التي بقيت بعض آثارها في الاناجيل الى اليوم وان كانت مختلطة بغيرها مما أفسده الناس اتباعا لاهوائهم وشهواتهم، ولولا تعاليم المسيح هذه الحقيقية الشريفة التي حافظ عليها بعض فرق النصارى الاقدمين لكانت المسيحية أسرع انتشاراً بين الرومانيين مما كان، غير أنها ما كانت تسود ولا تدوم بين البشر الى الآن

(٢) قارن أعمال المسيح هذه مع امه على مافي الاناجيل بقول القرآن ٣١: ١٤ و١٥ (ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالدك الي المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم

(٧) إيجاده التقاطع والتفريق بين الناس وحضهم على بغض أهليهم وأقاربهم حتى آبائهم وأمهاتهم وأولادهم وأخواتهم (لو ١٤ : ٢٦ ومت ١٠ : ٣٤ - ٣٧) وهو الداعي - في اول امره - الى السلم ومحبة الاعداء كما سبق

وقوله المشار اليه هنا وهو (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض . ماجئت لألقي سلاما بل سيفا فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني) وقوله (لو ١٢ : ٤٩) « جئت لألقي نارا على الارض ليتها قد اضطرمت ٥١ أتظنون أني جئت لاعطي سلاما على الارض . كلا أقول لكم ، بل انقساما) كل ذلك ينطق بان إلقاء الحرب في الارض وايجاد التفريق والانقسام وعداوة الاهل والابناء سيكون صادرا من جانبه وجانب أتباعه لا من جانب خصومهم كما هو صريح هذه العبارات، وإن أولها المبشرون تعسفا بغير ما ذكرنا فلا نعبأ بتأويلهم لتكلفه وتعسفهم فيه ، ولذلك قال (لو ١٤ : ٢٦) « إن كان احد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا » فكيف يقول المبشرون بعد ذلك إن البغض والعداوة والحرب ستكون من جانب الناس لهم لا من جانبهم للناس والمسيح نفسه يقول إنهم هم الذين يجب عليهم أن لا يحبوا أهلهم واولادهم اكثر منه بل يبغضوهم ، فهم البادئون بالتفريق و بالعداء لا المبدوءون به كما يزعمون[1]

تعملون) وقوله ١٧ : ٢٣ و ٢٤ (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا - الى قوله - فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) . اما القرآن الشريف فقد كذب الأناجيل في هذه الدعوي أيضا ونص على ان المسيح كان باراً بوالدته ولم يكن جبارا شقيا كما في سورة مريم (١٩ : ٣٢) اي لم يكن عاقا لها ولا قاسيا على احد بخلاف ما يفهم من الاناجيل كما ستعرف

(١) اذا كانت هذه الذنوب كلها - وغيرها مما سيأتي - منسوبة للمسيح بشهادة كتبهم فكيف بعد ذلك يكون شفيعا للمذنبين (١يو ٢ : ١) وكيف يكون موته مكفرا عن خطيئاتهم جميعا ؟! وأين اذاً قداسته وعصمته؟ وأين قداسة الههم الذي يقبل خاطئا كهذا ليكون وسيطاً بينه وبين الناس المساكين الضعفاء (١ تي ٢ : ٥) ؟ وهل يريد الله أن يكون الناس أقدر على ضبط انفسهم من المسيح نفسه وهو لم يضبطها مع انه اله كما يزعمون ؟! لها بقية الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٨) تلقيب الجهمية بالجبرية

اشتهر عن جهم القول بالجبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى، ففي المواقف للعضد وشرحها للسيد: الجبرية ـ متوسطة تثبت للعبد كسباً كالاشعرية — وخالصة لا تثبته كالجهمية قالوا: لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها اه

لم يعد العضد في المواقف الجهمية فئة على حدتها كما فعل غيره من أرباب المقالات ، بل جعلها قسما من الجبرية ، فلذا عسر السقوط عليها من المواقف الا بالسبر ، وقد عرفتها

والجبر المذكور هو أحد آراء الجهمية ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة، وانما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا : ان القرآن ليس كلام الله وانه مخلوق اه

وعلى قول العضد الاشعرية جبرية متوسطة ، اذكر ماقاله العلامة المقبلي في العلم الشامخ (١) وعبارته : لما رأى محققو الاشاعرة بطلان مذهب جهم بالضرورة، وعود مذهب الاشعري واتباعه اليه بادنى المام، واضمحلال الكسب كيفما قلبته ، وبطلان سعي أهله ، تسللوا عنه لواذا ، فمنهم الراجع الى الحق صريحا ، ومنهم المقارب ولكن مع التستر باللهج بعبارات الاسلاف

---

*) تابع لما نشر في ج ٧ م ١٦ ص ٥٣٤ (١) طبع بمصر

وتمويه التقارب فيما بينهم وبين الاشعري والكون تحت رايته ، وقد رفضوه ونسبوه الى انكار الضرورة من حيث المعنى : ثم سمى المقبلي من هؤلاء المحققين امام الحرمين والفخر الرازي وغيرهما فانظره

* *

(٩) التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم

أرى من واجب كل من يؤرخ مذهب قوم، وكل من يناقش فرقة ما في مذهبها ، ان ينقل آراءها عن كتب علمائها الثقات، ويقوم بالعزو الى مآخذها ومصادرها ، لتكون النفس في طمأنينة مما يريبها ان لم يعن بهذا الواجب — هـذا كله اذا أمكن الظفر بكتبها نفسها ، وآرائها التي دونتها رجالها، ـ والا فعلى النهم بتعرف الحقائق ان يأثر عن كتب الائمة المحققين ماأثروه،ويبني على ما بنوه،مع التحري والتيقظ،وما على باذل جهده من ملام

وبالجملة فلا بد من السند في قبول مايعزى ويروى الى تلك الفرقة، فإما عن اسفارها أوعن امام ثقة أثر عنها،وأما رمي فرقة برأي ما بدعوى انه قيل عنها ذلك أو يقال ، فمما لا يقام له وزن في الصحة والاعتماد ، فلا يتعانى في رده أومناقشته ، وهذه القاعدة يجب ان تؤخذ دستورا وأمراً عاما في كل مايؤثر وينقل ، وأصلها مما نبه عليه أئمة الرواية عليهم الرحمة والرضوان،اذ لم يقبلوا الاثر الا بعد معرفة راويه وضبطه وثقته وعدالته، اذ ليس من السهل تشريع أمر ايجابا أو حظرا ، تحليلا أو تحريما، بل أمامه ماامامه من بذل غاية الوسع ، ونهاية الجهد ، في تعرف مورده ومصدره تحريا للحق ، واحتياطا للصواب ،وهكذا في كل مايؤثر من الاقوال والآراء، سواء كانت في الاصول أو الفروع أو اللغات أو الاقاصيص،

ودليل هذا الاصل آية « ولا تقف ، ماليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » وآية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

اذا عرف هذا تبين ان التساهل في الحكاية والنقل لا يقول به المحققون ، ويربأون بأنفسهم عن الخوض فيه . وانما يستروح به المتعصبون والمندفعون وراء كل ناعق ، أو المقلدون بدون تمحيص ونقد

من أعجب ما اتفق لي في ذلك ما رأيته في طبقات السبكي من قوله[1] : واما جهم فلا ندري ما مذهبه ، ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع الخ ثم قال[2] واعلم ان جهما غاص في المعاني بزعمه ، وأعرض عن الظواهر فسقط على أم رأسه ، وقامت عليه حجج الشرع ، ومنعته عن سبيل الحق أيّ منع ، الخ : فتأمل قول السبكي : فلا ندري ما مذهبه : ثم تهجمه عليه ، مع ان السبكي انتقد على ابن حزم في تحامله على الاشعري قبل أسطر وعبارته : وهذا ابن حزم رجل جريء بلسانه ، متسرع الى النقل بمجرد ظنه ، هاجم على أئمة الاسلام بالفاظه وفي كتابه (الملل والنحل) الازراء باهل السنة ، ونسبة الاقوال السخيفة اليهم ، من غير تثبت عنهم ، و التشنيع عليهم بما لم يقولوه : ثم قال السبكي : ان ابن حزم ما بلغه بالنقل الصحيح معتقد الاشعرى ، وانما بلغه عنه أقوال نقلها الكذابون عليه ، فصدقها بمجرد سماعه اياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع اه فنقول له : لقد كدت تقع فيما رميت به الامام ابن حزم . وممن نبه على ما وقع من تساهل بعض المؤلفين الامام فخر الدين الرازي في رسالته التي جمعها في المسائل

(١) جزء (١) صفحة (٤٣) طبع مصر (٢) ص (٤٥)

الواقعة له في رحلته الى ماوراء النهر، فقد قال في المسألة العاشرة مامثاله: كتاب الملل والنحل للشهرستاني كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه،الا انه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تأليف الاستاذ أبي منصور البغدادي (قال الرازي) وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ، ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب ، فلهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب اه كلام الرازي

وهكذا انتقد العلامة المقبلي في العلم الشامخ من ينقل مذهب المعتزلة من كتب الاشاعرة بانه حصل الغلط عليهم في بعض كلامهم . وذكر ان هذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب (قال) صحة الرواية تنبني على التحري وعدم المجازفة ، ثم أثنى على الرازي في تحريه النقل عن المعتزلة وعبارته: قد أكثر الرازي في تفسيره الحكاية عن القاضي وغيره من المعتزلة (ثم قال) الرازي أكثر الناس عناية في هذا الشأن، وأدقهم مسلكا وأوسعهم مجالا، وحاله في كتبه تحرير حجج الخصوم على أبلغ ما يمكنه ، وليس كسائر الاشاعرة لا يعرفون مذهب المعتزلة على حقيقته،ولا ينصفونهم فيما عرفوا (قال) وكذلك الزمخشري تنصيصاً وتلويحاً،وايماء وتصريحاً ، كما قال بعضهم انه دس الاعتزال تحت كل ذرة من كتابه

وقال أيضاً : علم من المختلفين في العقائد اتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت : ذكر ذلك في نقده على الذهبي في قوله عن الجاحظ انه باقمة قليل دين (قال) هو أجل من ذلك وان تحامل عليه مخالفوه في العقائد ، فلا يصدقون عليه ، وأصحابه المعتزلة أخبر به ، فهو عند المعتزلة

من جلة العلماء ، وعند الجميع مقدم الاذكياء الحكماء اه

وقال أيضاً : وقد صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير ، بل يروي الكذب والبهت، كما تذكر الاشاعرة أن المعتزلة تنكر عذاب القبر، ترى ذلك فاشيا بينهم ، مع ان النقل عنهم باطل ، وهو شبيه قذف الغافلات ، فان المعتزلة لا تكاد تظن قائلا يقول هذا الا شذوذ ، مثل المريسي وضرار وهما بيت الغرائب، مع ان ضراراً ليس من المعتزلة في رواياتهم ، لانهم رووا عنه القول بالرؤية بحاسة سادسة ، ورووا عنه القول بخلق الافعال ، وانه رجع عن الاعتزال، (قال) وعلى الجملة فليس شذوذه عن الفريقين بغريب ، وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله ، وانما هذه المسألة - كسائر المسائل - لا بد فيها من شذوذ كشذوذات العنبري والظاهرية ، وهذا شيء كثير يطلعك عليه كتب المقالات اه

ويتفرع من هذا البحث مسألة جليلة ، وهي الزام الناس لوازم أقوالهم ، واضافتها اليهم إضافة أقوالهم أنفسهم ، وقد نبه عليها أئمة الاصول قال الامام أبو اسحق الشيرازي في اللمع : ما يقتضيه قياس قول المجتهد لا يجوز أن يجعل قولا له (قال) ومن أصحابنا من قال انه يجوز أن يجعل ذلك قولا له ، وهذا غير صحيح ، لان القول ما نص عليه وهذا لم ينص عليه ، فلا يجوز أن يجعل قولا له اه

ومثله يجري في قولهم : لازم المذهب ليس بمذهب ، وقد رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية تفصيلا في هذه المسألة ، — وهو قوله في بعض فتاويه : لازم قول الانسان نوعان (أحدهما) لازم قوله الحق ، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه فان لازم الحق حق ، ويجوز أن يضاف اليه اذا علم

من حاله انه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ، وكثيرا مايضيف الناس الى مذهب الأئمة من هذا الباب (والثاني) لازم قوله الذي ليس بحق ، فهذا لايجب التزامه ، اذ أكثر ما فيه انه تناقض ، وقد ثبت ان التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام . ثم ان من عرف من حاله انه يلتزمه بعد ظهوره فقد يضاف اليه ، والا فلا يجوز أن يضاف اليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه ، وهو لايشعر بفساد ذلك القول ولا بلازمه (قال رحمه الله) وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب هل هو مذهب أم ليس بمذهب ، هو أجود من اطلاق أحدهما ، فما كان من اللوازم يرضي القائل بعد وضوحه به فهو قوله ، ومالا يرضاه فليس قوله وان كان متناقضاً وهو الفرق بين اللازم الذي يجب التزامه مع الملزوم ، واللازم الذي يجب ترك الملزوم للزومه ، وهذا متوجه في اللوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها ، فأما اذا نفى هو اللزوم ، لم يجز أن يضاف اليه اللازم بحال اه كلامه وهو تفصيل راعى فيه ما عليه أتباع الأئمة من اضافة مايجري على قواعدهم اليهم ، وجعله قولا لهم ، بحجة ان قواعدهم لاتأباه ، أو انه يعلم من حاله انه لايمتنع من التزامه ، كما قاله تقي الدين ،

ولا يخفى ان الاقعد هو التورع عن الاضافة مطلقا ، فان الذي يضاف الى المرء هو ماقاله أو رواه عنه ثقة ، وأما تقويل الانسان مالم يقل والزامه إياه ، وأخذ نتائج منه ، فهذا لايدل عليه منقول ، ولا يؤيده معقول ، ولا جرى عليه التابعون باحسان . وانما نشأ هذا لما استفحل أمر التقليد ، وعوملت أقوال المتبوعين معاملة أقوال المعصوم ونصوص الكتاب نعوذ بالله من ذلك ، وذلك ظاهر لمن له أدنى المام بسير القرون ، واختلاف

حال السلف عن الخلف في تحمل العلوم على أصولها

* *

(١٠) تمثل الشعراء بمذهب الجهمية

قال الامام ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » : أصل قول الجهمية هو نفي الصفات بما يزعمونه من دعوى العقليات التي عارضوا بها النصوص اذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقا للنصوص لا مخالفا ، ولما كان قد شاع في عرف الناس ان قول الجهمية مبناه على النفي صار الشعراء ينظمون هذا المعني كقول أبي تمام :

جهمية الاوصاف الا انهم   قد لقبوها جوهر الاشياء   اه

* *

(١١) بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد ابن درهم وشيء من أنباء الجعد وقتله

روى الأئمة ان أول من قال بخلق القرآن وخاض فيه وصيره هجيّراه الجعد بن درهم ، وكان مؤدب [1] مروان آخر ملوك بني أمية ، ولذا كان يلقب مروان بالجعدي ، لانه تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه ، قاله ابن الاثير

(١) المؤدب : معلم الأدب ، وهو رياضة النفس على حسن الاخلاق وفعل المكارم ، بمثابة المربي والمرشد ، أو معلم العلوم الادبية . ولا يخفى ان الامراء تعنى بانتقاء أماثل الفضلاء لتربية ابنائها على العلوم والاخلاق الفاضلة

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : أقام الجعد بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب وسكن الكوفة ، فلقيه بها الجهم بن صفوان فتقلد عنه هذا القول

وقال ابن الاثير في سيرة هشام : قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وأرسله الى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشاما ، فكتب الي خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله ، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه ، فلما صلى العيد يوم الاضحى ، قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم ، فاني أريد ان أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فانه يقول ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ ابراهيم خليلا ، تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرا : ثم نزل فذبحه اه

وقال ابن تيمية في الرسالة الحموية : أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين (ثم قال) وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه اه ومراده بالتعطيل حمل الصفات الربانية على المجاز المستلزم للتعطيل لان التعطيل من لوازم مذهبه

***

(١٢) نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد أستاذ الجهم

اشتهر هذا الامير بقتل الجعد ، وحكى ذلك كل من رد على الجهمية ومن الناس من أثنى عليه بقتله ، وعده غيرة على الدين ، ومنهم من رأى ان قتله كان لامر سياسي الا انه موه باسم الدين اقناعاً للعامة بقتله . ثم

منهم من وهم ان هذا الامير كان من الاخيار لاثره هذا ، ومنهم من رأى عكس هذا . ولما كان من متممات بحثنا هذا إماطة الحجاب عن الارتياب في هذا الرجل عولنا على أئمة التاريخ في ترجمة حاله [1] وملخصها ان خالدا هذا هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز من بجيلة ، فأماجده (يزيد) فانه أسلم مع أبيه أسد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه رواية يسيرة ، ثم خرج في عهد عمر رضي الله عنه الى الشام ، فكان بها وكان مطاعاً في اليمن عظيم الشأن ، ثم صار من قواد معاوية وأمراء بعوثه

وأما ابنه (عبد الله) فلم تكن له نباهة آبائه ، وأهل المثالب يقولون انه دَعِيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد بن الاشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قتل هرب ، حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ، ثم مضى عبد الله الى حبيب بن مسلمة الفهري وكتب له ، وكان كاتباً مفوّهاً ، وذلك في خلافة عثمان بن عفان فنال حظا وشرفاً . وكان يقال له خطيب الشيطان ، ووسم خيله (القسري) ثم تدسس ليملك خيلا في بلاد قسر [2] فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع ، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره

ثم نشأ ابنه خالد بالمدينة ، وكان خالد — هذا المترجم — في حداثته يتبع المغنين والمخنثين ، وكان يقال له (خالد الخرّيت [3]) وقع في شعر عمر بن أبي ربيعة تلقيبه بذلك . ثم صار في مرتبة أبيه بعده ، الى أن ولاه هشام

(١) كالطبري وابن الاثير والاغاني (٢) بفتح القاف وسكون السين بطن من بجيلة . وبجيلة كسفينة حي باليمن من معدّ اهـ قاموس (٣) الخريت الدليل العارف بأخرات الارض اي مضايقها

ابن عبد الملك العراق سنة (١٠٥) واستمر الى أن عزله هشام سنة (١٢٠)

وكان الاسلام بالعراق في عهد خالد ذليلا ، فكان يولي النصارى والمجوس على المسلمين ، وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطؤهن ، فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم . وسبب ذلك ان أم خالد كانت رومية نصرانية ، ابتنى بها أبوه في بعض أعيادهم فأولدها خالدا وأسدا ، ولم تسلم هي ، وبنى لها خالد بيعة في قبلة المسجد الجامع بالكوفة فكان اذا أراد المؤذن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس ، واذا قام الخطيب على المنبر رفع الناس أصواتهم بالقراءة ، فذمه الناس والشعراء ، فمن ذلك قول الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد
فكيف يؤم الناس من كانت امه ... تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لامه ... ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد ، لانه بلغه ان شاعرا قال:

ليتني في المؤذنين حياتي ... انهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم ... بالهوى كل ذات دَلٍّ مليح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها

وكان يبالغ في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، تؤثر عنه حكايات في ذلك عديدة وكان مذمماً للغاية، هجاه الفرزدق والاعشى بأشعار كثيرة ويذكر به أقوال تقشعر لذكرها الابدان ، وقد قص شيئا منها ابن الاثير وأبو الفرج الاصبهاني ، ولما قصها أبو الفرج قال في اثرها : اللهم العن خالدا واخزه وجدد على روحه العذاب

ثم آل أمر خالد الى أن غضب عليه هشام، وعزله عن العراق، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، وأمره بحبسه وتعذيبه ، فحبسه ثمانية عشر شهرا بالحيرة مع ابنه، الى أن أمر الوليد بضربه فضرب، ثم حبس، ثم حمل الى يوسف بن عمر فعذبه عذابا شديدا، ثم قتله ودفنه بالحيرة في المحرم سنة ١٢٦

وكانت غلة خالد بالعراق عشرين الف الف ، ولما ختن نائبه طارق ابنه بالكوفة أهدي اليه خالد الف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب، ولما ولي بعد خالد يوسف الثقفي قال يحيي بن نوفل يمتدحه ، ويعرض بأعمال خالد الذميمة :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا　　وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت　　له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً　　وما كان من قبل العقيلي يظهر

ومن أراد استيفاء أحواله وأخباره ، بأفظع من هذا، مما نصون عنه بحثنا المسطور فليرجع الى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني رحمه الله

**

(١٣) حمل الاثرية على الجهمية والاغراء بهم

قال الشهرستاني: كان السلف كلهم من أشد الرادين على جهم ونسبته الى التعطيل اه ومن أشهر كتبهم في الرد عليه كتاب الامام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية ، وكتاب الامام الدارمي، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية للامام البخاري في آخر صحيحه ، وفي كتابه خلق الافعال أيضاً . وكتاب لابن أبي حاتم وغير هؤلاء

ومن أوسع من عني بالرد عليهم من المتأخرين الامام ابن تيمية في

عدة من مؤلفاته وفتاويه، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم في بعض مؤلفاته مثل كتاب اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكتاب الكافية الشافية

وقد عد الامام أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه (شرح أصول السنة) ممن قال « القرآن كلام الله غير مخلوق » نحواً من خمسمائة وخمسين نفساً من التابعين الائمة المرضيين ، على اختلاف الاعصار ، ومضي السنين والاعوام ، (قال) وفيهم نحو من مائة امام ، ممن أخذ الناس بقولهم ، وتدينوا بمذاهبهم ، لا ينكر عليهم منكر ، (قال) ومن أنكر قولهم استتابوه ، او أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه [1] قال ولا خلاف بين الامة ان أول من قال « القرآن مخلوق » جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ومائة ثم جهم بن صفوان اهـ (للرسالة بقية)

فرنسا الاسلامية

جاء في جريدة (المفيد) المفيدة تحت هذا العنوان ما يأتي :

أثبتنا منذ أيام في صدر هذه الجريدة تعريب مقالة للطان أنّبت فيها حكومتها على ادارتها الجائرة في المستعمرات الافريقية ثم عثرنا اليوم على العدد الاول من جريدة فرنساوية صدرت حديثاً في باريس عنوانها « فرنسا الاسلامية » ومديرها الموسيو بول بروزون . غايتها البحث في آفريقية الفرنساوية ، وحض حكومة الجمهورية على تبديل شكل ادارتها في هذه البلاد ، لاجل استرضاء أهلها والاستيثاق من مودتهم، وجميع ماتقدم يدل دلالة واضحة على ان اكثر المفكرين من أمة الفرنسيس يرون ان استمرار فرنسا على انفاذ الخطة الادارية المعتادة في افريقية الشمالية ، أمر يضر بسياستها أعظم الضرر فضلا عن كونه لايتفق مع مبادئ دولة اشتهرت بانها مهد الحرية

«١» هذا موضع الشاهد من قولنا في الترجمة : والاغراء بهم

واذ كان يهم القراء جدا أن يعرفوا ماتقول جريدة « فرنسة الاسلامية » ولا سيما في عددها الاول ، فقد بادرنا الى تعريب افتتاحيته وهي الآتية :

ان عنوان هذه الجريدة يفيد خلاصة كل آرائنا ويعرّف بدون إشكال المقصد الذي ندعي اننا نتبعه . وان هذا العنوان بمثابة ضمانة للنصح المتبادل ، وبمثابة صورة للارتباط ، ثم على التقريب بمثابة رمز للاتفاق ، بين شعبين كانا في الامس متناكرين متعادبين ، ولكن قضت المقادير بلن يدنو أحدهما من الآخر ليسيرا غدا في طريق مشترك . وانه يبين اننا المجاهدون المقتنعون بفائدة سياسة الاتفاق ، باكثر مما يمكن تبيينه بالارشادات الطويلة

لامشاحة في ان فرنسة بفتوحاتها الافريقية قد اكتسبت حقوقاً . ولكن لامشاحة أيضاً في انها بالفتوحات المذكورة أصبحت مسؤولة عن واجبات مقدسة ، بازاء الذين وضعتهم تحت سيطرتها ، وهي لاتستطيع انكار ذلك

ان مستقبل هذه الامبراطورية الاسلامية الواسعة متوقف جميعه على الصورة التي تعرف بها فرنسة ان تطابق بين هذه الحقوق ، وهذه الواجبات

ان هذه الامبراطورية التي اكتملت اليوم باحتلال مراكش تشتمل على عدد من السكان يمكن تقديره بدون مبالغة زهاء عشرين مليون نسمة ، وكلهم يجمعهم دين واحد ، ولهم احترام شديد لتقاليدهم القديمة المتشابهة ، وهذا مايجده كل انسان مشروعا لهم ، فعلى أية طريقة يناسب فرنسة ان تسلك بازاء هذا الجمهور القلق الافكار الذي يرمقها بنظرات مملوءة من الرجاء ، ومملوءة من الوجل أيضاً ؟ هل يبدو لها ان تسحقه بتوحش ، وتدفعه نحو الصحراء ؟ هل يبدو لها ان تحكم عليه بالنفي ؟ هل يبدو لها ان تستعبده استعباداً شاقاً ؟ كل ذلك من المناهج الجرمانية التي لايستطاع تأليفها مع مزية فرنسة الشريفة الفائقة في العدالة والرقة . كيف هذه الامة الكريمة - التي لم يكن المظلومون يستنجدونها عبثاً - ترضى بان تتحمل مسؤولية ثقيلة مثل مسؤولية بولونية ، وفلندة ، والالزاس واللورين ؟ هل يتسنى لها ان تنكر أعمالها ، والعبارات الجميلة التي كتبتها بدماء شهدائها في الصفحات الاولى من دستورها ؟ كيف تجسر على ان تصادم الاحكام التاريخية ، حين ترتكب هي نفسها شتم الكلمات الثلاث البديعة « أي حرية مساواة إخاء » التي خطتها في ضميرها النقي ، وعلى عتبات جميع هياكلها وقصورها ؟ ومع ذلك فانه عدا كل مسئلة شعورية ، فان مصلحتها عينها تستدعي منها ان تتخذ لها موقفا غير هذا . انها اذا كانت في حكمها بمنزلة الام الظالمة ،

فانها تثير عليها في وسط حوزتها كثيراً من الاضغان ذات الخطر . وبالعكس ، انها بالعدل والرفق وباجراء مايستلزم عرفان الجيل تزيد قابلية النجاح في عملها العائد الى نشر المدنية .

ان الاعتماد على القوة وقت مزاولة الفتح هو لازم لسوء الحظ . فما دامت البلاد الخاضعة في ثورة مستترة ، وما دامت غير خالية من الهرج بالكلية ، فان استعمال الطرق القسرية مما يجوز فيه قبول العذر . ولذلك لانجادل في التدابير الاستثنائية التي ظنوا انه كان يجب العمل بها في الجزائر حين كان الشعب بتمامه خاضعاً لتأثير الجمعيات الدينية المؤسفة ، وحين كانت أصوات مشايخ الزوايا تصادف مكانا من قلبه . فالذي يحسن منا تقديره الآن هو انه لم يعد لهذه الخطة حق في الوجود، وانه من الواجب على فرنسه ان تستبدل بها في القريب العاجل خطة أخرى أكثر حرية وعدلا، وبذلك ترسم في افريقية أثراً مفيداً وثابتاً

فمن جراء تأثير المدرسة العبدية(١) وهي من اهم المدارس اللاهوتية، وهي التي اسبابها ونتائجها تنطبق انطباقاً غريباً على الاسباب والنتائج المكونة للحركة الفكرية الكبيرة القائمة حول الاصلاح — من جراء تأثير هذه المدرسة اخذ الاسلام في الانصلاح. ان تلاميذ الشيخ (محمد) عبده دخلوا في محاربة المتعصبين في الدين تعصباً أعمى. وهم يستنكرون كل البدع ، ويرفضون سلطة اصحاب المذاهب . واذ كانوا خصوما للتعصب الشديد فهم يعلمون التساهل الواسع . والشيخ عبده في تفاسيره للكتب الدينية يفصل العلم ومبدأ الاجتماع الذين يوضحهما الى اقصى درجاتهما عن حيز العقيدة الذي ينبغي ان يبقى نقياً ضمن أصول ثابتة .وبهذه الصورة لا يكون الشيخ عبده مقاوماً للدين كما يدعي اعداؤه ، بل ان هذا اللاهوتي العظيم كان متقيداً تمام التقيد بأحكام القرآن والسنة . وهو بذلك يعيد الاسلام الى طهارته الاصلية ، ويعيده الى شبابه من حيث ملامسة التقاليد والنصوص . وبتأثيره النافع تصير شريعة النبي «ص» كما وجب ان تكون في كل آن : أي دين التوحيد الحر المعقول الخالي من الاكليروس ومن التكاليف تقريباً ، الذي يبث في النفوس ادبا يقع تحت طاقتها ، والذي بقاعدته السالمة من كل روح اجبارية استطاع ان يخرج الى العالم مدنيتين مثل بغداد وقرطبة

---

(١) يريد بالمدرسة العبدية طريقة استاذنا الشيخ محمد عبده في فهم الدين والعلم وشؤون الاجتماع التي نشرها المنار

فالمدرسة العبدية من الآن فصاعدا تفسح للمسلمين العاملين بدون تقييد مجالا واسعا للنجاح ، وهي تسمح لهم فوق ذلك بان يمتزجوا بالماطفة مع الشعوب الغربية. فالهند ومصروسورية مدينات لهذه المدرسة بنجاح مدهش . ومنذ سنوات انتشرت هذه العقيدة في افريقية الفرنسية ففي بادئ الامر هزت تونس هزة نشاط كبيرة ، واليوم قد امتدت الى الجزائر وغداً ستنبه مراكش

فلا جرم ان هذه الحركة هي من الحركات التي تستحق اهتمام اوربة . فانكلترة وروسية وهولندة اللواتي عندهن مستعمرات اسلامية ، والمانية وايطالية اللواتي لهن الأمل بأن يصير عندهن من ذلك ـ كل هذه الدول ينظرن الى هذه الحركة باعتناء ولكن يظهر ان فرنسة وحدها غير شاعرة بها

ان هذه الغفلة « أي غفلة فرنسة » الخارقة للعادة ، والتي هي من قبيل الاثم وجلب الاخطار قد استمرت زمناً طويلا وهي تعرقل مجهوداتنا في السياسة الافريقية فمن اللازم ان تنتهي .

ان فرنسة يجب عليها تلقاء نفسها ان تهتم بهذه المسئلة مثل جاراتها بل أكثر ، لانه قد يتفق لسوء الحظ ان تصير اثنتان أو ثلاثة منهن عدوات لها في هذا المكان في المستقبل الاسلامي فينبغي لها ان تتخذ موقفا بازاء هذه الحركة التي اشرنا الى اسبابها ومنازعها .

هل يخطر لها ان تعتاقها ؟ ان ذلك لا يكون من الظلم الشنيع فقط ، بل من الطيش الذي لا فائدة منه أيضاً . لا يمكن توقيف الشعوب متى كانت أحكام المقادير الغامضة تدفع هذه الشعوب رغماعن نفسها ! اذا تظاهرت فرنسا بمناهضة هذه الحركة الوطنية في شمالي أفريقية ، فانها لا تستطيع ان تمنع شيئا ، فان هذه الحركة مع ذلك تجري ، ولا يكون نتيجة لهذا الحساب الفاسد الا ان تكوّن أعداء ألداء من الذين تستطيع ان تجعلهم معاضدين وأصدقاء ان لم تستطع جعلهم أبناء . وبالعكس اذا كانت تريد ان تظهر لهم الانعطاف ولا تتوقف عن منحهم مساعدة حرة خالصة فانها تستخرج لها من هذه الحركة نفسها فوائد فائقة الحد . لانها أولا اذا سلكت هذا المسلك فانها تقدر ان تراقب الحركة وان تديرها ، وان تدخل فيها معارفها ، ثم بعد ذلك تتضافر مع علية القوم على انفاذ ماتريد ان تعمله من نشر التمدن . وهذا شيء لا يعادله ثمن

لاينبغي لنا ان نقع في الوهم : اذا كنا لانعتمد على وساطة الاشخاص الذين لهم

علاقة ضيقة بالتقاليد الموروثة وبالايمان ، فاننا لانستطيع أبداً ان نتغلغل الى الاجزاء العميقة من الشعب،لان هذه الاجزاء بعيدة،ولا ثقة لها بنا ! فهل نستطيع ان نعرف ماذا يصدر عنها ؟ هل نستطيع ان نقدّر الآمال التي تنعقد لديها ، والاضغان التي تنمو عندها ؟ انها بلا جدال عرضة لنفوذ الجمعيات الدينية ، ومشايخ الزوايا . ولكن هل نعرف أين ؟ وكيف ؟ والى أية درجة ؟ وفوق ذلك ينبغي ان لاننسى الامم المعادية لنا التي ترجو ان تغلبنا يوما ما من جراء الصعوبات التي نصادفها هناك ، وان لهـذه الامم هناك عمالا سريين عديدين يعرفون حق المعرفة ان يستخرجوا من الجهالة نفعا . وفي مقابلة ذلك نحن المعدودون أصحاب البلاد ، من اجل اننا أصحاب البلاد ليس عندنا شيء من السلاح ، ولعمري ان حناننا ينشئ لنا سلاحاً كافياً . ان هـذا الحنان يساعد على ان يكون لنا في البلاد من أهل العرفان والتفكير والفهم رجال يقاومون الجمعيات الدينية ومشايخ الزوايا . فتصير علية القوم في جانبنا ، أوفي جانب خصومنا هو مما يتعلق بنا لا بغيرنا

في الوقت الحاضر رغماً عن انجلاء بعض الاوهام ، فان هذه الطبقة التي ذكرناها لم تزل تمتنع من الالتفات الى جهة فرنسة وهي مسوقة الى ذاك باسباب عديدة : أهمها ميلها الشديد الى حفظ مصالحها الاولية ، ذلك الميل الذي تكون شدته على قدر المعرفة لمسائل الامم . فهل ننكر هذا الاستعداد الميمون ونحتقر الفائدة التي تجم عنه لنا ؟ ان ذلك يكون خطيئة لا تغتفر ! ان هذه المسألة مما لها يستحق الانتباه ، فان السياسة العالمية عرضة للتبدل ، وانه لدى حالة كهذه قد يعرض لنا أسباب للندامة من حيث اننا لم نكن أكثر استبصاراً وكياسة مما كنا . فيلزم ان نعمل العكس وهو ان نحكم الرابطة التي تربط سكان هذا الوطن بنا ، وان نبدي لهم بأننا سعداء ومطمئنون بقبول معاضدتهم لنا في الامر . ومن أجل ذلك فانه من الواجب على حكومة الجمهورية ان تعمد في القريب العاجل الى انفاذ سياسة حرة عادلة في أفريقية الشمالية

ونحن عازمون على ان نطري هذه السياسة ، وان ندافع عنها
ان الذي تحتاج اليه امبراطوريتنا الافريقية هو القوانين الدستورية اه

(المنار) اننا لما صار لنا صلة بأهل تونس والجزائر وعلمنا من عقلائهم وأهل البصيرة فيهم حقيقة مايشكونه من سياسة فرنسة وادارتها لبـلادهم كنا نتعجب من أمر هذه الدولة التي تجمع بين الاضداد اذ هي في أوربة على ضد ماهي في أفريقية، هي في أوربة أم الحرية والمساواة وناشرة لواء العلوم والفنون وما ثم مسلمو أفريقيـة

رائحة ذلك منها في بلادهم - هذه الرائحة الطيبة التي تحيا بها الامم - بل شموا عوضا عنها رائحة خبيثة ، كنا نرى مسلمي هذه البلاد يبغضون هذه الدولة ويتربصون بها نوائب الدهر ، ويتمنون لو تيسر لهم الهجرة من بلادهم ولا نرى مثل هذا من مسلمي الهند ولا من غيرهم من مسلمي المستعمرات الاوربية حتى مسلمي روسية دولة التعصب الديني والسلطة المطلقة الاستبدادية ، فقد كتب الي كثير من أهل القوقاس يقولون انه قيل لنا انه يجب علينا الهجرة من بلادنا الى بلاد حكومتها اسلامية واننا لانود ان نبتغي ببلادنا بدلا الخ

كنا نتعجب من هذه الطريقة التي جرت عليها فرنسة في تونس والجزائر ونرى انه يمكنها ان تملك قلوب المسلمين كما ملكت ادارة بلادهم اذا هي أخلصت النية في تعليمهم علوم العمران مع عدم التعرض لحريتهم الدينية وعدم الطمع في سلبهم رقبة بلادهم، ولا ندري أيجهل أهلها هذا الامكان أم لا ، وكيف يجهلونه على ذكائهم وفطنتهم ؟ ولماذا لا يعملون به اذا كانوا يعلمونه وهم أبعد الناس عن التعصب الديني الذي يمنع غيرهم من مثل ذلك ؟

ثم اننا صرنا نسمع حينا بعد حين أصواتاً حرة من جو فرنسة نفسها تنبئ بهذا الامكان وتدعو الى سلوك سبيله ، ومن العجيب ان جريدة الطان التي هي لسان نظارة خارجية فرنسة كان ينعكس منها مثل هذا الصوت الذي سمعناه في هذه الايام من جريدة فرنسة الاسلامية . نوه أحد مكاتبي الطان منذ سنين بمثل ما تنوه به هذه الجريدة اليوم وذكر مايسميه بعضهم (المدرسة العبدية) وصرح بأن المنار هو الذي نشر هذه الفكرة الاصلاحية في تونس وان أهلها هم المعتدلون الواقفون بين العوام وزعمائهم من شيوخ الدرس والطريق الجامدين الذين لايريدون تغيير شيء مماهم عليه وبين المتفرنجين الذين انسلخوا من دينهم وعاداتهم اتباعاً لشهواتهم. وبمثل هذا صرح لورد كرومر في تقريره الذي تكلم فيه عن وفاة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) فقال ان تلاميذه وسط بين الجامدين الذين يبغضون المدنية والمتفرنجين الفاسدين ، لانهم دعاة للمدنية والتأليف بين المسلمين و بين غيرهم مع المحافظة على أصول دينهم، وقال انه يجب على جميع الاوربيين العطف عليهم ومساعدتهم

مرت السنون ولم نر لكلام الطان تأثيراً بل اننا نعلم حق العلم أن حزب (المدرسة العبدية) في تونس وشعارهم قراءة المنار يرون أنفسهم تحت مراقبة من الحكومة

الفرنسية وان أهل التعصب والجمود وأعداء المنار تؤيدهم فرنسة أم الحرية لان زعماءهم منافقون تستعملهم الحكومة في غش عوام المسلمين ، فلولا مظاهرة الحكومة لما كان دجال تونس داعية الخرافات ودعي الخوارق والكرامات يتجرأ على طبع قصيدة أخيه الدجال النبهاني في تكفير امامي الاصلاح الاسلامي في هذا العصر السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده وتكفير صاحب المنار أيضاً . ولماذا يتكئ هذا الدجال على فرنسة وهي تعلم ان خرافات أمثاله هي التي تجعل الشعب الاسلامي عرضة لقبول الفتن والثورات ومقاومة المدنية ? السبب معروف وقد ظهر بأجلى مظاهره في العام الماضي عند ماقام هذا الدجال الخرافي يدعو المسلمين الى ترك الاعتصاب في حادثة الترام الشهيرة ، فكان هو أول من ركب ودعا المسلمين الى الركوب في الترام. ولكن لايليق بفرنسة أن تجعل أمثال هؤلاء الدجالين من أنصارها وأحزابها وقد انقضى الزمن الذي يروج فيه دجلهم في مثل تونس المستيقظة أو كاد .

ان دعاة المدنية من المسلمين كمريدي (المدرسة العبدية) يودون الاستعانة على تعليم أمتهم بفضلاء الاخصائيين من الاوربيين، وقد رأت فرنسة في هذا العام ان أهل بيروت ـ أرقى مدن سورية ـ قاموا يطلبون بقرار من جمعيتهم الاصلاحية أن يكون في ولايتهم مستشارون ومفتشون من الاجانب، وعلمت فرنسة ان الرأي الاسلامي العام في بيروت وسائر سورية يفضل كل دولة أوربية على فرنسة فيما يطلبه لبلاده من مساعدة الاوربيين، وما سبب ذلك الا ادارتها وسياستها في تونس والجزائر ، ولولا ذلك لفضلوا فرنسة على جميع الاوربيين لان معظم مافي بلادهم من المدارس وأسباب العمران هو فرنسي، وقد تفضل ناظر خارجية فرنسة بمجاملة وفد المؤتمر العربي السوري الذي انعقد في باريس ووعده بالمساعدة ، فكان لهذه المجاملة وقع حسن في سورية

لاجل هذا كله أظن ان الزمان قد جعل صوت جريدة (فرنسة الاسلامية) مرجو القبول عند كثير من أحرار هذه الامة النجباء ، وانه ليس من المحال أن ينجح في حمل الحكومة على سن نظام دستوري عادل لادارة هذه الامبراطورية الاسلامية الافريقية ، وسترى فرنسة ـ ان هي شرعت في ذلك ـ ان العالم الاسلامي في سورية وسائر الاقطار يشكر لها عملها شكرا تحمد أثره في سياستها وأعمالها الاقتصادية ، وتجد لها من المسلمين أنصارا لهم تأثير عظيم ويليق بمثلها أن تعتمد عليهم . ان هذا الصوت الفرنسي الفصيح المنعكس عن مدينة باريس الزاهرة قد تلاقى مع صوت مثله في أرقى مدينة اسلامية وهي مصر، ألا وهو صوت المجلة الفرنسية المصرية التي أنشئت هنا حديثا

﴿ المجلة المصرية الفرنسية ورأيها في المنار ﴾

يصدر هذه المجلة الاجتماعية المفيدة في القاهرة المسيو (بول تريبيه) مديرها والمسيو (جاك لاويفر) رئيس تحريرها. وقد ذكرت مجلة المنار في العدد الثاني وهذه ترجمة ما قالته فيها:

أصدر الشيخ محمد رشيد رضا أول عدد من المنار منذ ١٥ عاماً فلم يمض عليه ردح من الزمن حتى رفع مجلته الى المكانة الرفيعة التي تشغلها بحق وسط العالم الفكري الاجتماعي والعالم الديني الاسلامي بفضل الافكار الحرة الاصلاحية التي لم يفتر عن نشرها. واذ كان الشيخ رشيد التلميذ المخلص الغيور لرجال الاصلاح مثل الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده فقد أخذ على نفسه ان ينشر أفكار وعقيدة هؤلاء المصلحين العظام. وأن يدافع عنها بكل غيرة وحمية مناضلا بكل حزم وعزم التقليد الضيق والخرافات العديدة والمحافظة على القديم المحفوفة بالوساوس وكل هذه الامور التي ساءت عاقبتها فأخرت ترقي الامم الاسلامية وتسلقها مرقاة التقدم

أهم باب يشغل صفحات مجلة المنار – شأن كل المجلات الاسلامية – هو المختص بالاجتهاد وبالتالي علم تطبيق الاحكام القرآنية. وهذا العلم عسر ومعقد الا انه يصعب أو يتعذر الاستغناء عنه لاجل النجاح في ادخال طرق الاصلاح بين قوم تمسكوا حرفياً بظاهر الآيات على ان كل الاعمال التي يقوم بها المصلحون المسلمون بين الطبقات الاسلامية ذات المدنية واهتمامهم الدائم متوقفة على توضيح وبيان أن أحد الاصلاحات ينطبق على الاوامر السماوية، أو أن احدى العادات هي من قبيل اساءة تأويل الاحكام القرآنية والسنن النبوية، وانه ينبغي نبذها أو تغييرها فتكون منطبقة على حقيقة الدين الاسلامي القويم، وبناء على ما تقدم اذا كان مسلمو العالم اتفقوا على الميل الى الحكومات الدستورية وتطلعوا اليها في هذه الايام فما ذلك الا لأن نخبة العقلاء منهم استطاعوا اقناعهم بان المبدأ الدستوري ليس غير مناف للعقيدة القرآنية فقط بل ان القرآن يأمر المسلمين بالشورى وتبادل الآراء لاجل ادارة الاشغال والمصالح العامة كما يتضح من آية (وشاورهم في الامر). على ان الشورى هي أس المبدأ الدستوري. وعلى هذا النمط يجري المصلحون في الامور الاخرى. اهـ أشارت الى ما جاء في بعض أعداد المنار من المباحث وهي (أوروبة والاسلام) و (امبراطور المانية والاسلام) ومقالة ترجمت من النوفي فريمية الروسية فيما قاله امبراطور ألمانية أمام المبشرين الكاثوليك الالمانيين في أفريقية.

الاتفاق الانكليزي التركي

على خليج فارس وشط العرب

نلخص هنا بعض آراء الجرائد الأوربية والعثمانية والمصرية في الاتفاق

﴿ الاتفاق ومطامع الدول ﴾

جاء في رسالة لمندوب المقطم في الآستانة (نشرت في ٢٠ جمادى الآخرة و٢٦ مايو) بعد ما ذكر مواد الاتفاق ما نصه :

هذا هو اساس الاتفاق العثماني الانكليزي والى القراء الآن بعض مطالب فرنسا التي لم تر الجرائد الباريسية ضرراً من نشرها

أولا ان تصدر الارادة السنية بانشاء مستشفيات فرنسوية على اساس اتفاق سنة ١٩٠١ بين حكومتي الآستانة وباريس

ثانياً ان يحافظ على شروط هذا الاتفاق في المستقبل

ثالثاً ان تعامل المكاتب الفرنسوية معاملة المكاتب العثمانية في مايتعلق بالشهادات وبالاعفاء من دفع الاموال الاميرية

رابعاً ان لايسجن فرنسوي في المملكة العثمانية في غير سجون القنصليات

خامساً ان يعترف بالتبعة الفرنسوية للتونسيين والمراكشيين

سادساً ان يلجأ الى التحكيم في بعض المسائل المختلف عليها بين الحكومة العثمانية وفرنسا

سابعاً ان تعطى فرنسا امتيازاً بانشاء فروع السكك الحديدية الآتية (أولا) في أرمينية (ا) خط سمسون سيواس (ب) خربوط — ديار بكر (ت) ديار بكر — ارضروم — طرابزون(ثانياً)في سورية (ا) مد سكة حديد الشام من رياق الى جهات الجنوب (ب) تقسيم نقل البضائع بين فرع سكة حديد الحجاز التي تبتدئ من حيفا وسكة حديدالشام التي تبتدئ من بيروت. والعناية بحماية المصالح الفرنسوية وفتح ميدان واسع لها لتنمو في تلك الانحاء

ثامناً ان تعطى فرنسا امتيازاً بانشاء المرافئ التالية ، وهي مرفأ انابولي وهركله على البحر الاسود وطرابلس وحيفا ويافا في سورية

***

ويظهر ان المانيا لم تكتف بما لها من الامتيازات المهمة في سكة حديد بغداد وغيرها في البلاد العثمانية فانها تسعى الآن لنيل مطالب اقتصادية في فلسطين لم أتمكن من معرفتها

وأما روسية فلها آمال كبيرة في البلاد الارمنية ستتم في العاجل القريب ان لم تتنبه الوزارة العثمانية الحاضرة لسوء العاقبة وتتدارك المسألة الارمنية بالحكمة والعزم والتساهل

وعلى ذكر المسألة الارمنية أقول ان الحكومة لم تتمكن بعد من انجاز وعدها للمجلس الملي الارمني فالحال في ولايات الارمن تزيد سوءا يوماً فيوماً ولا يعلم أحد ماسيقرره المجلس الملي في اجتماعه الآتي يوم الجمعة القادم . فاذا عجزت الحكومة عن المحافظة على حياة الارمن وأموالهم فلا بد من تفاقم الخطب واتخاذ وسائل لا تؤمن مغبتها على الدولة فتتحمل الوزارة الحالية بتهاملها هذا تبعة كبيرة ليس في أوربة أو أفريقية بل في الولايات الاناضولية وفي قلب البلاد العثمانية

﴿ الاتفاق وآراء الجرائد الانكليزية ﴾

قال المقطم في ١٢ رجب ما نصه :

أرسل الينا صديق لنا من انكلترة قصاصات من المقالات التي أنشأتها بعض الصحف الانكليزية على أثر اتفاق الكويت عن احتمال التفاهم بين انكلترا وألمانيا واتفاقهما فآثرنا تلخيص ماورد فيها لاهميته

قالت جريدة الكومنذايتور - دلتنا نتيجة المفاوضات التي دارت بين حكومتنا وحكومة برلين على بعض المسائل المعقدة في الشرق الادنى على انه أيسر لنا أن نسوي المسائل المهمة المختلف عليها بيننا وبين المانيا من أن نسوي بعض المسائل القليلة الاهمية كمسألة مسقط مع صديقاتنا (وتعني بذلك فرنسة)

وقالت جريدة الديلي كرونكل - ونحن نرجي الآن أن يعقد اتفاق بين انكلترا وألمانيا يكون متمماً للاتفاق الذي عقدناه مع الباب العالي اذ على هذا الاتفاق يتوقف كل شيء عملناه الى الآن . ولا يغنينا تعيين مديرين انكليزيين في مجلس ادارة سكة حديد بغداد ولا جعل البصرة منتهى سكة حديد بغداد فتيلا من غير هذا الاتفاق . أما المسألة الاولى من هاتين المسألتين فهي على شيء من الاهمية ولكن الثانية قليلة

الاهمية جداً في اعتبارنا لان البصرة وان تكن مدينة داخلية فهي واقعة على نهر كبير يصلح للملاحة ولها طريق نافذ الى خليج العجم

وقالت جريدة منشستر غارديان ـ أما من جهة الكويت فاننا قد اعترفنا بسيادة الدولة العلية عليها ولكننا اتخذنا كل حيطة تمنعها من اتيان أي عمل يشتم منه ان لها أقل حق فيها . على اننا دفعنا ثمنا باهضاً جدا مقابل هذا الاتفاق وهو اننا وعدنا(؟) الباب العالي بأن نسمح له بزيادة الرسوم الجمركية (١)

نعم ان هذه الزيادة تتناول جميع الدول على السواء بلا فرق ولا تميز ولكنها ستكون سبباً في اضعاف التجارة الاوربية في السلطنة العثمانية وتقليل مقطوعيتها ولا سيما التجارة الانكليزية فان خسارتها ستكون أكبر من خسارة كل تجارة سواها . فهل كانت مسألة الكويت وخوفنا على خليج العجم مساويين لهذه الخسارة . وهل زيادة الرسوم الجمركية أفضل وسيلة لزيادة ايراد الخزينة العثمانية وتحسين حالها ؟ اننا نرتاب في ذلك كثيرا

وقالت الديلي جرافك ـ لاندرك الحكمة من جعل البصرة نهاية لسكة حديد بغداد بدلاً من الكويت بعد تصريح الهرفون جاكو ناظر خارجية المانيا . فقد قال هذا الناظر ان المانيا لاتوافق على هذا الابدال الا اذا جعل شط العرب صالحاً للملاحة ومفاد ذلك ان المانيا ستجد امامها بابا مفتوحاً يوصلها الى خليج العجم كما لوكانت في الكويت تماماً ولكن من غير أن تنفق نفقات طائلة في تمديد الخط الحديدي الى هناك

وهناك مسألة أخرى تفتقر الى ايضاح وجلاء وهي ان المانيا أعيد اليها الحق بعد سكة حديد بغداد الى البصرة وقد كانت تنازلت عنه سنة ١٩١١ مقابل منحها امتيازاً بمد فرع أو فروع من خط سكة حديد بغداد الرئيسي غربا الى الاسكندرونة فهل يفهم من الاتفاق الجديد ان هذا الامتياز قد نزع منها الآن أم هو باق بيدها ؟ فاذا كان باقيا بيدها فتكون المانيا قد خرجت من المقارعة السياسية التي دارت على نهاية سكة حديد بغداد غانمة غنيمة كبيرة . فان ترسيخ قدمها في الاسكندرونة يعد ربحاً كبيرا في حد ذاته فكيف بها اذا وقد رسخت قدمها في الاسكندرونة والبصرة جميعا (ليتأمل العاقل)

---

(١) المنار : اشترطت انكلترة لهذا الوعد ان ترضى سائر الدول بمثله والمانية تريد جعل الزيادة من ضمانة الخط الحديدي ، وما ارى الجريدة الا هازلة في قولها هذا

﴿ كلام جريدة الطان الفرنسية في الاتفاق ﴾

ترجمت جريدة الاهرام مقالة لجريدة الطان في موضوع الاتفاق وخطبة ناظر خارجية انكلترة بينت فيه مقدماته ونتائجه ونكتفي ببيان حقيقة واحدة من الحقائق التي استنتجتها منه وهي :

(السادس) ان الاتفاق بين انكلترا وتركيا يعقبه اتفاق آخر بين انكلترا والمانيا وقد قال السير غراي في خطابه ان بين المانيا وتركيا اتفاقات خصوصية بشأن سكة بغداد ونحن لادخل لنا في تلك الاتفاقات الخصوصية . والآن نعقد نحن اتفاقات مع تركيا لا دخل لالمانيا فيها ولكن يجب ان نعلم ان هذه الاتفاقات لاتمس الحقوق المخولة لها من تركيا . فالاتفاق المراد عقده بين انكلترا والمانيا يقصد منه تسوية المسائل المختصة بسكة بغداد تسوية نهائية-قالت الطان- والسير غراي صادق في قوله فانه متى تمت الاتفاقات الجديدة تسوى مسألة تلك السكة نهائياً . وقد كنا منذ زمن طويل نتوقع هذه التسوية النهائية فامرها الآن لايدهشنا وانما نأسف لكون فرنسا لانصيب لها في هذه التسوية بسبب خطأ سياستها في السنين السابقة . ولقد كانت فرنسا وانكلترا في سنة ١٩٠٩ اتفقتا على طلب امتياز خط حديدي بين حمص وبغداد والبصرة غير ان معارضة المسيو بومبار في ذلك المشروع أفضت الى توقيف المفاوضات في سنة ١٩١٠ ثم أهمل المشروع اهمالا تاماً ولا يمكن الآن اعادته الى بساط البحث . ولا يحق لنا الآن ان نشكو من انكلترا لانها حاولت تسوية تلك المسائل دون اشراكنا معها فقد أعرضنا في الماضي عن الاشتراك معها فوقفنا الآن هو نتيجة خطأ سياستنا في الماضي . ولا أمل الآن الا في ان يتمكن وزير الخارجية الفرنساوية من صون مصالح فرنسا في الاجزاء الاخرى من السلطنة العثمانية {تأمل واعتبر}

(الاهرام) هذا ماقالته الطان وقد تناولت صحف اوروبا كلها هذا الخطاب فعقدت عليه الفصول الطويلة وأجمعت صحف انكلترا على ان الاتفاق يملك انكلترا طريق الهند وهذا كاف

﴿ الاتفاق ومغانم الانكليز والالمان منه ﴾

مقالة افتتاحية للاهرام تصرفنا في عنوانها فقط وهذا نصها :

عرف من أخبار المصادر التي يوثق بها ، ومن أقوال الصحف التي يعول على

أقوالها ، بل من خطاب السير أدوارد غراي المنشور بين التلغرافات ان الباب العالي رضي في الاتفاق الجديد بينه وبين انكلترا أن يترك كل دعوى من دعاوي السيادة على الكويت وقطر وجزر البحرين ومسقط وعمان ، واعترف لانكلترا بالحق المطلق في انارة الخليج الفارسي وخفارته ، وحقق لها كل أمنية وكل مطلب في شط العرب ، وثبت حقوقها المختصة بالملاحة في دجلة والفرات . كل هذا وغير هذا مما سبق نقله وبيانه وايضاحه في هذه الجريدة

تلك الاماني التي أدركتها انكلترا وتلك الغنائم التي نالتها بدت عظيمة جداً لاعين الدول الاخرى الكبرى صاحبات المرافق والمصالح في البلاد العثمانية . ورأت تلك الدول ان الحكومة العثمانية نفسها فتحت الباب وأوسعت المجال للمطامع والمطامح ومهدت السبيل لعرض المطالب والرغائب . رأت ذلك فاذا بالمطالب تكاد تغمر الباب العالي واذا بعض الدول تريد أن تأخذ من الباب العالي ومن انكلترا أيضاً « حصة أو تعويضاً »

أبدت ألمانيا في هذا المجال ـ وهي صديقة تركيا الصادقة المخلصة ـ انها لاتعرف للقناعة والاعتدال والاكتفاء معنى وهي التي تطالب التعويض الكبير بملء فيها . مع أنه اذا كانت انكلترا في الاتفاق الجديد تأخذ من دولتنا كثيراً فهي في الوقت نفسه تعطي المانيا على حساب دولتنا ماهو أكثر وأوفر وأغلى قيمة وأعظم شأناً

قد يدهش القارىء اذ لم يسمع أن انكلترا أعطت المانيا شيئاً ولكن من ينظر الى مضمون الاتفاق أو ماعرف منه حتى الآن يتبين له ان انكلترا صدقت بصفة نهائية على سكة حديد بغداد الالمانية وعدلت عن المعارضة والمقاومة والمماكسة أو اقامة العراقيل في سبيل ذلك المشروع الخطير وهي بذلك التصديق على سكة بغداد الالمانية قد أعطت المانيا مالا تقدر قيمته ولا تحصى فوائده . وهذه الحقيقة تجلي عند البحث في مشروع سكة بغداد

فساحة سكة بغداد الالمانية تقارب ثلاثة آلاف كيلو متر . تبدأ من حيدر باشا على البوسفور وتنتهي عند البصرة على شط العرب . ومن مراجعة عقد الامتياز الذي نالته الشركة الالمانية والاتفاقين اللذين عقد أحدهما سنة ١٩٠٨ والثاني سنة ١٩١١ يتبين ان الشركة حصلت على الحق في مد الفروع الكثيرة أو الخطوط المتفرعة من تلك السكة . ومن ذلك فرع بين حلب واورفه وفرع بين بغداد وخانكين الواقعة على حدود ايران وفرع يمد الى مرعش وفرع الى عينتاب وفرع الى ماردين وفرع

الى اربيل وفروع أخرى تتكون منها الصلة بين السكة الاصليـة والبحر المتوسط وتنتهي عند نقطة واقعة بين مرسين وطرابلس الشام · وتلك الفروع هي التي تزيد مساحة السكة الاصلية الى ثلاثة آلاف كيلو متر . وتلك السكة وفروعها تخلل آسيا الصغرى وأعالي سورية ومابين النهرين والعراق العربي وتجتاز من البلاد العثمانيـة الجهات والاقاليم التي فيها مصادر الحياة والثروة والخير

وليس ذلك كل مانالته شركة سكة حديد بغداد الالمانية فانها فوق ذلك حصلت على حق انشاء بعض المواني والمرافئ والارصفة اللازمة لرسو السفن والمخازن اللازمة لتخزين البضائع على تلك الارصفة وفي بنود الاتفاق بينهـا وبين الباب العالي أن الحكومة العثمانية تأذن لها بتسيير السفن في دجلة والفرات بحجة نقل عمالها والقصد الظاهر من ذكر هذه « الحجة » أن لاتقلق انكلترا على مصالحها في دجلة والفرات ولكن وراء هذه الحجة مقاصد كبيرة تضمرها ألمانيا

وفوق ذلك كله يحق للشركة أن تستخرج المعادن على مدى عشرين كيلو متراً عن جانبي السكة وهي بذلك تحصل على كنوز لايمكن تقدير قيمتها . ثم انها يحق لها أن تقطع من الغابات المجاورة للخط كل ماتحتاج اليه من الاخشاب، ويحق لها أن تنشئ المخازن والفنادق ومعامل الكهرباء وغيرها عن جانبي الخط . ويحتمل كثيرا أن تنشئ المستعمرات الالمانية في كل جهة طيبة الهواء والماء خصبـة الارض من الجهات التي تجتازها تلك الخطوط . ولقد كان مديرو الشركة كتبوا الى ناظر النافعة العثمانية كتاباً في سنة ١٩٠٣ وعدوا فيه بأن لايجلبوا النزلاء الاجانب أو لاينشئوا المستعمرات الالمانية في الجهات المجاورة للسكة، ولكن المارشال فون درغولتز باشا صرح منذ عامين بأن السلطان السابق عبد الحميد كان حتى آخر حكمه يود أن يرى النزلاء الالمان يزدادون ويكثرون في آسيا الصغرى ورجال الحكومة العثمانية الآن لا يقاومون المانيـا من هذه الوجهة

وبواسطة تلك السكة وفروعها وتلك الشروط وتلك الحقوق التي حصلت عليها المانيا تستطيع نشر نفوذها وبسط يدها وارساخ قدمها وادراك مآربها الاستعمارية في بلدان مترامية الاطراف أعيا بعضها الفاتحين وأعجز المغيرين في الازمنة السالفة، وكل ذلك دون أن تريق ألمانيا نقطة دم الماني. وقد تأسست شركة سكة بغداد برأس مال لايزيد على مئة وخمسين مليون فرنك ولم يدفع منه الا قيمة النصف فقط، ومع ذلك

يفشل المشروع ولا رجعت المانيا القهقرى في هذا السبيل بل خدمها حسن الحظ وحالفها النجاح وساعدتها انكلترا نفسها على تحقيق أمانيها فماذا يكون ياترى بعد عشرين أو ثلاثين عاماً حين تتوطد قدم المانيا ويعظم نفوذها ويرسخ في تلك البلدان الشاسعة الواسعة ؟ ومهما عززت انكلترا مركزها في الخليج الفارسي فان المنائر الانكليزية في ذلك الخليج لايمكن أن تكون قلاعاً منيعة أو حواجز متينة تصد تيار المطامع الالمانية

فالمانيا قد حصلت على مالم يحصل عليه غيرها ومستقبلها يهدد مستقبل سواها · فمن الغريب - وهذا حظها - أن تطلب الآن تعويضاً

﴿ التنازل عن العراق ﴾

جاء في عدد السبت ٢ رجب من المؤيد تحت هذا العنوان مانصه :

كتب « مسلم » في أحد أعداد المؤيد الماضية مقالة قال فيها: « كيف يتأثر القوم لوقع هذا المصاب وهم الذين تبرعوا بهذه العملية المؤلمة لسواهم، وهي عملية بتر هذه البلاد (الخليج الفارسي والعراق) من جسم السلطنة العثمانية، وقد تمت هذه العملية وجرائدهم ساكتة صامتة لاتبدي حراكا كأن هذا الحادث لايستحق أن تراق فيه نقطة من الحبر على صفحات تلك الجرائد »

وأنا لم أكن يومئذ على رأي حضرة « المسلم » فيما قاله عن جرائد الاستانة لانني خدعت بما قرأته من المقالات الطوال في الاحتجاج على ضم النمسا جزيرة (أطه قلعه) الى أملاكها وقد بلغ عويل صحف الاستانة في هذه المقالات درجة استفزت بها جريدة (عزم) التركية التي تصدر في الاستانة فقالت في عدد يوم ١٩ مايو

لا ندري هل القيامة قامت ؟ هل ذهبت البقية الباقية من أملاكنا في أوربا ؟ هل احتل الاعداء عاصمتنا ؟ هل أخذت الخلافة من يدنا ؟ هل رفعت سوريا لواء الثورة ؟ أم استولى الانكليز على بغداد ؟

— لا لم يحصل شيء من هذا . ولكن أطه قلعه ذهبت ، وعليها تبكي الصحف هي تبكي على أطه قلعه التي خرجت من يدنا منذ ربع قرن »

الى هذا الحد بلغ اهتمام صحف الاستانة بحادث أطه قلعه ولذلك لم أر معقولا أن تسكت عن حادث الخليج الفارسي والعراق . فلما قرأت مقالة المسلم الفاضل صرت

أبحث فيما وصل الينا من جرائد الاستانة هل هي تسكت حقيقة عما تم في العراق ، واذا هي سكتت فهل تعتذر وماذا عسى يكون عذرها ؟

بقيت على هذه الحال الى أن وصل مع البريد الاخير عدد ٥ مايو من جريدة (وظيفة) وهي الجريدة التي تتكلم بلسان العنصرية التركية وقد صارت في المدة الاخيرة أكثر صحف الاستانة حرية وشجاعة ؟ أو هي أقلهن تذبذباً وتملقاً في هذا الوقت الذي لم تبق فيه صحف معارضة هناك ، فرأيتها تعتذر عن سكوتها بقولها :

« ان المعاهدة الانكليزية العثمانية التي عقدت بين صدرنا الاسبق حقي باشا والسير أرثر نيكولسون مستشار ناظر خارجية انكلترا لم يبلغنا خبرها الا من المصادر الاوربية لان الباب العالي لايزال على ديدنه الغريب في كتم الاخبار عن الامة . ولذلك لم تصل الى يدنا أخبار صريحة عن هذا الامر المتعلق بقطر عظيم من أقطار الوطن العثماني وهي بلاد الجزيرة . وكل ما علمناه عن ذلك انما قرأناه في جريدة التيمس الانكليزية »

هذا هو عذرها . أما مواد هذه المعاهدة بين جماعة الاتحاديين ودولة الانكليز فقد أوردتها تلك الجريدة التركية كما يأتي :

« تحوي المعاهدة بيننا وبين الانكليز أربعة أمور : اثنان منها في مصلحة الانكليز واثنان في مصلحتنا

« فأول الامرين اللذين في مصلحة الانكليز اعترافنا لهم بحق حماية مقاطعة (الكويت) وتنازلنا عن السيادة التي لنا على شبه جزيرة (قطر) و(البحرين) وهذان القطران لم تحدد منطقتاهما ولم تعين أراضيهما وانا أعطينا الانكليز وظيفة تقرير الامن في خليج البصرة . ووسطناهم في حل الاختلافات التي بيننا وبين أمير المحمرة . واعترفنا لهم بحق حماية تلك المقاطعة

« وبالاختصار اننا اعترفنا لحكومة جلالة ملك الانكليز وأمبراطور الهند بتنازلنا له عن خليج البصرة وسواحله .

« ذلك هو أحد الامرين اللذين في مصلحة الانكليز . وأما الامر الثاني فيتعلق بالسياحة وسير السفن على طول نهري الفرات ودجلة ومجرى شط العرب ـ وهو مجمع النهرين ـ والاعتراف بكل ما حصل عليه الانكليز من الحقوق والامتيازات هناك . وأن تؤلف لجنة لتنظيم وادارة الاساكل والمواني وتسيير السفن في مجاري هذه الانهر حيث تخترق داخلية البلاد وأن يشترك الانكليز اشتراكا جديدا في هذه اللجنة

على ان هذا الامر الثاني لايزال مظلماً بالنسبة الى الامر الاول، لاسيما والانكليز كانوا قد حاولوا فيما مضى أن يكون لهم حق احتكار تسيير السفن في نهري الفرات ودجلة ومجرى شط العرب فقام أهل العراق وقمدوا لهذا الامر وعارضوا في اتمامه أشد المعارضة حتى اضطروا مجلس المبعوثان الى رفضه . . ولما قرأنا ماقرأناه في هذه الايام من مواد المعاهدة العثمانية الانكليزية تذكرنا مسألة الاحتكار ولذلك قصدنا الصدر الاعظم محمود شوكت باشا وسألناه عما اذا كان اعترف للانكليز بذلك فأجابنا بأن هذا الامر بقي مسكوتاً عنه

« على ان هذا اذا صح يكون للانكليز حق الارجحيــة . ومعنى ذلك ان على الحكومات العثمانية أن تعضد في المستقبل النفوذ والسلطة الانكليزية من مصب شط العرب الى منتهى سير السفن في نهري دجلة والفرات

« وصفوة القول ان الانكليز قد تمكنوا أولا من بسط حكمهم الى مصب شط العرب وصاروا أصحاب النفوذ والقدرة على مايلي ذلك من بلاد الجزيرة . تلك هي حصتهم

«أما حصتنا فهي ان الانكليز كانوا يمانعون في اتمام ماوعدنا به الالمان من تمديد سكة حديد بغداد الى البصرة فأذنوا بذلك الآن بشرط أن يكون لهم عضوان في مجلس ادارة شركة هذه السكة الحديدية وأن يكون للبضائع والتجارة الانكليزية نفس الامتيازات التي للبضائع والتجارة الالمانية . تلك هي احدى الفائدتين اللتين استفدناهما من المعاهدة

« والفائدة الثانية التي حصلنا عليها من وزارة سن جيمس هي ان هذه الوزارة وافقت على أن نزيد ٤ في المائة على الرسم الجمركي (١)

« وهنالك فائدة ثالثة للعثمانيين لم تذكر في نص المعاهدة وهي ان العثمانيين اكتسبوا عطف السياسة الانكليزية عليهم بصورة غير معينة أي ان الجفاء القديم قد زال الى زمان مؤقت وتلك فائدة أدبية لنا بدون شك »

وبعد ان أوردت هذه الجريدة التركية مواد المعاهدة الانكليزية العثمانية علقت عليها مايأتي :

« واذا أردنا تحليل نتيجة هذه المعاهدة ودققنا النظر فيما كسبناه وخسرناه منها لانري أن ذهاب قطر والبحرين والكويت وكل خليج البصرة من يدنا مما يستحق اللوم والانتقاد، لان مثل هذه المقاطعات تفيد دولة تريد أن تتوسع في قواها ولكنها

---

(١) المنار : أي ان الفائدة الأولى للألمان والثانية مقيدة بشرط أن ترضى سائر الدول بذلك ، والثالثة التي سيذكرها وهمية

على عكس ذلك تضر بالدولة الضعيفة . ويعلم قراؤنا أننا على رأي القائلين بتكثيف القوى العثمانية لا التوسع فيها، وسياسة التوسع في الملك والسلطه (انبرياليسم) خارجة عن برنامجنا (يتكلم المحرر باسم حزب العنصرية التركية أي ان بقاء هذه الاقطار البعيدة في حكم الدولة ضار بالدولة) لاننا مقتنعون بأنه لا يمكن الاطمئنان على مستقبل الدولة بتوزع قواها بل بتقرب أجزائها . من أجل ذلك نحن لا ننتقد أبدا هذه السماحة التي أبداها حقي باشا

« أما عن الامر الآخر فلا نقول الآن كلمتنا الاخيرة مادام النص غير معلوم عندنا وقد ظهر لنا أن المفاوضات لا تزال غامضة من هذه الجهة ولكننا نقول من الآن ينبغي للذين تساهلوا عما وراء (فنار الفاو) أن لا يتسامحوا بما يليه ، والذين يفرون من الامور الخشنة يجب عليهم ان يجتنبوا احداث أمور خشنة، ولعل السياسة العثمانية في لوندرة تظهر لنا مهارتها في هذا

« ونقول بشأن الأمرين اللذين هما في مصلحتنا ان الامر الاول وهو تمديد سكة حديد بغداد الى البصرة شيء كنا نتمناه من قبل لانه يمدد لنا نفوذنا أيضا الى هناك وان دخولنا الى الجزيرة بعد خروجنا من الروم ايلي شيء يسرنا جدا

« وبعكس ذلك مسألة الرسوم الجمركية فاننا نرى دولتنا تسلك فيها من القديم مسلكا مستقيماً ، ومحاولتها ضم ٤ في المائة على الرسوم الجمركية تدل على خطتها في فهم الامور الاقتصادية العثمانية . لا نحتاج الى النجاح في ضم ٤ في المائة الى رسوم الجمرك بل نحتاج في تنظيم التعريفة وتأسيسها، أما ضم ٤ في المائة فهو من مصلحة أوربا وليست هي التي ستدفع هذا الفرق بل الذى سيدفعه هم العثمانيون الذين سيشترون بضائع الأوربيين، وكان ينبغي لنا عند ما أعطينا أصدقاءنا حق الحكم على الخليج وأذنا لهم باحتلال الجزيرة أن نجعلهم يعترفون لنا بتنظيم التعريفة وحق عقد المعاهدات التجارية وبذلك كنا نخدم ثروة بلادنا . أما الآن فلا نزال في موقفنا القديم وهو أننا كلما أردنا أن نحصل على التعريفة ندفع عليها ثمنا باهظا كهذا . لا سيما ونحن متفقون مع دول المحالفة الثلاثية على ذلك ، وكان بقي علينا أن نتفق مع دول الاتفاق الثلاثي وكانت هذه فرصة لنا فأضعناها »

وبعد فاني لم أطلع على رأي لجريدة تركية في حادث الخليج الفارسي والعراق غير هذه الجريدة . وهو كما يرى القارئ مؤيد لقول حضرة « المسلم » في صحف الاستانة وأصحابها ولله في خلقه شؤون   (ميم)

باب الانتقاد والاستدراك على المنار

﴿ مذهب الاباضية في صلاة المسافر والاستفتاح والتأمين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

رحم الله أستاذنا وشيخنا السيد محمد رشيد رضا وأكرمه وأعانه ونصره . أما بعد فاني أريد أن أعرض من آثار المسلمين أجوبة على سؤالات السائل بالمنار الاغر الصادر بتاريخ جمادي الاولى سنة ١٣٣٠

ولم أقصد بهذ الآثار التفاضل أو التشهير بالاصوب أو الاحرى وانما مجرد عرض أقوال المسلمين أهل الدعوة على معرض أقوال غيرهم ليكون المجال أوسع للمستبصرين مع اعتبار اني لم اكن معترضاً ولا منتقدا ولا مدعياً بل اني كثير الجهل قليل العلم

الجواب على (س ١٠) ان القصر في السفر رخصة من الله تعالى وتخفيف ودليلها من الكتاب والسنة . أما الكتاب فقول الله تعالى { واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة } وأما السنة فقوله عليه الصلاة والسلام للفاروق رضي الله عنه حين سأله عن قصر الصلاة فقال « صدقة من الله تصدق بها عليكم فاقبلوا صدقته » وقوله عليه السلام « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه » فالمفهوم من هذا ان صلاة السفر سنة لايجوز تركها . وأما المسافة التي يجوز فيها صلاة السفر ففرسخان والدليل ماروي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم ومعه أصحابه حتى اذ صار في ذي الحليفة فصلى بهم ثم رجع فسئل عن ذلك فقال « أردت أن أعلمكم صلاة السفر أو قيل حد السفر » والفرسخ عند علماء أهل الدعوة رحمهم الله ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف ذراع .

ولا بد من المسافر أن ينوي سفراً مسافة تجاوز فرسخين فصاعداً وان لم ينو السفر وتعدى الفرسخين وتجاوز بيوت مصره أو بلده ووجبت الصلاة صلاها قصراً وجائز للمسافر اذا حضرت الصلاة أن يصلي خلف الامام المقيم أربعاً . والمسافر يلزمه القصر وان في بلده مادام لم ينو الاقامة فيها ولا ينكسر عليه القصر حتى يصل السور في المنزل وفي البيت الى بابه وفي الخص الى أوتاده ، والمقصود دخوله الوطن فعندها يصلي تماماً صلاة الاقامة ، وقد مضت السنة أن يقصر المسافرون وان أقاموا عشر سنين مالم يتخذوها وطناً ، وقد بلغنا ان عبد الله بن عمر أقام بأذربيجان سبعة عشر

شهرا يصلي قصراً والله أعلم

ومن آثار المسلمين ان الرجل اذا تزوج امرأة مسافرة وهو مقيم أتمت معه وان اشترى عبداً مسافراً أتم معه وان تزوج امرأة حاضرة لم يتم معها اذا كان مسافراً هو وهي في اعداد المقيمين ولا تقصر معه حتى تتحول معه مكاناً يتعدى الفرسخين. وان اشترى عبدا وهو مسافر وكان العبد مقيما كان في عداد المقيمين حتى يتحول معه ويجاوز الفرسخين

الجواب على (س ٢٣) المستحب عند المسلمين اقتداءاً كابر الصحابة عمر وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهم انهم اذا قاموا الى الصلاة وجهوا لها « بسبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » ثم بالاستعاذة من الشيطان الرجيم قبل تكبيرة الاحرام أو بعدها كلا الفعلين جائز، وقراءة فاتحة الكتاب بالبسملة خلف الامام فقط ، وأما فذاً فقراءة الفاتحة وثلاث آيات من القرآن على الاقل لقوله عليه السلام « لاصلاة الا بفاتحة الكتاب » فصاعداً وفي رواية أخرى انه أمر اعرابياً أن يقرأ في الصلاة فاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن، وما روي أيضاً من طريق آخر انه قال عليه السلام « وشيئاً من القرآن معها » والله تعالى أعلم . وأما التأمين بعد فاتحة الكتاب فلم يبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعله لانه لم يكن من القرآن وانما التأمين في الدعاء بعد اداء الصلاة والخروج منها لقوله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أي اذا خرجت من الصلاة فانصب الى الدعاء والله أعلم

(المنار) يعني الكاتب بأهل الدعوة من المسلمين الاباضية أهل مذهبه . أما قوله ان القصر في السفر رخصة ثم قوله انها سنة فيوافق قول الشافعية وقد رجحنا في التفسير وغير التفسير خلافه ، وانه واجب وتمام وعزيمة ولذلك لم يتم النبي (ص) الظهر والعصر والعشاء في سفر قط، وبه صرحت عائشة كما ثبت في صحيح البخاري، وفي (كتاب الجامع الصحيح) للفراهيدي المعتمد عند الأباضية . قال شارحه الشيخ عبيد الله بن حميد السالمي ـ وهو من أشهر علمائهم في هذا العصر ـ : « وقد أخذ بظاهره أصحابنا والحنفية والهادوية فالقصر عندنا واجب لاجائز فقط وهو المروي عن عمر وعلي ونسبه النووي الى كثير من أهل العلم .قال الخطابي كان مذهب أكثر علماء السلف وفقهاء الامصار على ان القصر هو الواجب في السفر » الخ ثم أورد ما اعترض به على هذا القول وأجاب عنه، ومنه آية فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) قال انها نزلت في صلاة الخوف لا السفر وان نفي الجناح لايستلزم نفي

الوجوب . اقول وهو الصواب الذي حققناه في التفسير من قبل - ومنه حديث عمر «صدقة من الله» الخ وأجاب عنه بأن كونه رخصة وتخفيفا لاينافي كونه تماما فانما ذلك بالنظر الى الاربع المفروضة في الحضر . وذكر حديثاً مرفوعا بغير سند « الركعتان في السفر ليستا قصرا انما القصر واحدة عند الخوف » وأجاب غيره عن حديث عمر بأن قوله (ص) « فاقبلوا صدقته » أمر بقبول القصر وهو للوجوب. وأما ماذكره في مسافة القصر فهو قريب مما بيناه في التفسير وفي مجلدي المنار السابع والثالث عشر وانه صح « ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ » والاحتياط الاخذ بالثلاثة الفراسخ . وما ذكره من فروع المسألة لم يذكر له دليلا

وأما ماقاله في افتتاح الصلاة بسبحانك اللهم وبحمدك فلم يصح فيه حديث مرفوع كما قلنا وأقوى ماورد فيه ان عمر رفع صوته به ليعلمه الناس فيقال لولا انه سنة تلقاها عن النبي (ص) لما فعل

وأما قوله في التأمين انه لم يبلغهم عن رسول (ص) فجوابه انه بلغ غيرهم وقد صحت الرواية فيه عند أهل السنة والجماعة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. على ان الاباضية يوافقون الحنفية في هذا القول، ومتى صحت السنة كانت حجة على كل مسلم

﴿ احراق الكتب الضارة والفرق بينها ﴾

جاءنا من العلامة المستشرق الانكليزي الشهير صاحب الامضاء ما نصه :

سيدي العلامة منشئ المنار

بعد التحيات فقد طالعت ماورد في الصفحة ٣٨٣ من المنار من استصوابكم احراق الكتب فذكرني ذلك حكاية جاء بها ياقوت في الجزء السادس من معجم الادباء كما يأتي: حدثني محب الدين محمد بن النجار (المتوفى ٦٤٣) قال حضر الوجيه النحوي (هو المبارك بن المبارك بن الدهان المتوفى ٦٠٢) بدار الكتب التي برباط المأمونية وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمه الخازن وقال كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه وأي شيء كان هذا الكتاب؟ قال كان كتاب نقض القرآن (يعني كتاب الفصول والغايات) فقال له أخطأت في غسله، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابن هبة الله وقال له مثلك ينهى عن مثل هذا ؟ قال نعم لايخلو ان يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً

منه أو دونه، فان كان مثله أو خيراً منه ـ وحاش لله ان يكون ذلك ـ فلا يجب ان يفرط مثله، وان كان دونه ـ وذلك مالا شك فيه ـ فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه . فاستحسن الجماعة قوله ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت اه وما كان أجدر بالمنار ان يفتي مثل فتوى ابن وجيه النحوي والسلام

المخلص

لست بقين من رجب سنة ١٣٣١ د س مرجليوث في اكسفرد

(المنار) انني أشكر للدكتور الفاضل انتقاده وما رأى المنار جديراً به ، وهو كما قال فلو كنت مكان ابن وجيه لقلت مثل قوله ، والفرق بعيد جداً بين الواقعة التي قال فيها ابن وجيه كلمته والواقعة التي استحسن فيها المنار احراق الكتب ، فذلك كتاب من آثار فيلسوف أديب لاتكاد توجد منه الا تلك النسخة في دار الكتب فالواجب حفظها والضن بها حفظاً لنتائج الافكار وآثار العلماء، وأما الكتب والرسائل التي يوزعها دعاة النصرانية بين عوام المسلمين في البحرين والخليج الفارسي وسائر البلاد فهي ـ على كونها مثارات فتن ـ كثيرة العدد، دائمة المدد، اذا أحرق بعض الناس نسخاً منها لايجنون على التاريخ ولا تفقد الارض أثراً صالحاً ولا فاسداً ، وانما تسد ذريعة الفتنة وتفرق الكلمة في بلاد ما اعتادت هذه المجادلات . وها أنا ذا أملك كثيرا من كتب النصارى القديمة والحديثة، ومن هذه الرسائل التي يطعن مؤلفوها في الاسلام طعناً يعتقد أكثرهم أو كلهم انه متحامل ومشاغب ولو في بعضه كما أظن، ولم أحرق في زمني شيئا منها ، ولو عثرت بكتاب من نوعها فقدت نسخه أو قلت لحرصت عليه اذا كان له قيمة في موضوعه وان اعتقدت ان مافيه باطل. وقد اقترحت في السنة الاولى من المنار احراق أكثر كتب علماء المسلمين التي اعتقد انها ضارة في أسلوبها أو موضوعها ومنها أكثر كتب التعليم في المعاهد الدينية المشهورة وان يبقى من كل كتاب منها نسخة أو نسخ قليلة تحفظ في دور الكتب ليطلع عليها الباحثون في تاريخ العلم وسيره. وانا نرى الحكومات الحرة تمنع كثيرا من الكتب والرسائل والجرائد السياسية والمجونية والجدلية اذا كانت ترى في نشرها ضررا ، وتصادر ماتضبطه منها كما نرى من انكلترة في السودان وغير السودان ، فما ارتأيناه من هذا القبيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الاصلاح والاتفاق بين الاتحاديين والعرب

قد عرف قراء المنار كافة أنه كان من مقاصد زعماء جمعية الاتحاد والترقي جعل الدولة العثمانية دولة تركية محضة تقلد فرنسة في سياستها وادارتها ، وكان من وسائل هذا المقصد المعظم عندهم إضعاف ماعدا الترك من الشعوب القوية التي تتألف منها هذه الدولة كالعرب والارنؤط ، وكان من مسارعتهم في هذا أن جيشوا الجيوش اللجبة على بلاد هذين الشعبين المخلصين لدولتهم ، الراضين معها بسوء حالهم ، وفعلوا الافاعيل الشنعاء في اليمن والكرك وحوران وبلاد الارنؤط . وعرف قراء المنار أيضا أننا قد جاهدنا حق الجهاد بالقول والسعي لمقاومة هذه الاعمال الضارة ، وصرحنا بأن تتريك العناصر بالسلطة والقوة أو بغير ذلك لم يعد مما يدخل في حدود الامكان ، وانه لو كان ممكنا لعذرنا الاتحاديين على محاولته سياسة لادينا ، لان الاسلام وهو دين الدولة الرسمي ودين جميع الترك فيها هو دين عربي كما قال الله عز وجل (١٣ : ٣٩ وكذلك أنزلناه حكما عربيا) وان اضاعة العربية اضاعة له

وقد عرف القراء أيضاً ان الدولة قد خسرت الملايين من الدنانير والالوف الكثيرة من الجند في تلك السبيل وما كانت العاقبة الا إضاعة الشعب الارنؤطي الباسل باخراجه من حضن الدولة الاسلامية ، وتنبيه الشعب العربي الكريم الى الخطر الذي ينذره وينذر الدولة بسرعة الانحلال والزوال ، من عالم السلطة والاستقلال ، وزاد في يقظته حادث طرابلس الغرب ، فمثل للعالم كله شدة ارتباطه بهذه الدولة على إضاعة رجالها هذه المملكة العربية العظيمة باخراج ما فيها من العسكر والسلاح وارساله الى قتال أخوانهم في اليمن ثم اشتدت اليقظة وعظم الخوف من الخطر بما كان من انكسار دولتهم في حرب البلقان ، فعلم عقلاؤهم وأهل البصيرة منهم ، أن استمرار السكوت والسكون يفضي الى إضاعة بلادهم المباركة وبلادهم المقدسة ، كما ضاعت طرابلس الغرب وألبانيا ومكدونية ، فهبوا لمطالبة الدولة بالاصلاح الذي تقوى به الامة بقوة كل عنصر من عناصرها وشعب من شعوبها ، على قاعدة اللامركزية الادارية التي لا يرجى ذلك بدونها ، وقد قرؤا البراهين الكثيرة في المنار على ذلك

قد اتفق ماعدا الاتحاديين من أهل الرأي والبصيرة من العثمانيين على ان دولتهم لا يرجى صلاحها ولا بقاؤها الا بالادارة اللامركزية ، وقد ظهرت الدعوة الى ذلك من الترك قبل العرب ، وقد قويت هذه الدعوة وانتشرت في المملكة على عهد وزارة

مختار باشا ووزارة كامل باشا الاخيرة ، ولم يكد الاتحاديون يسقطون وزارة كامل باشا ويعودون الى مقاعد الباب العالي حتى عادوا الى شنشنتهم الاولى في مقاومة كل حركة إصلاحية بالقوة القاهرة ، وكان قد تأسس حزب اللامركزية في مصر وانتشرت دعوته في الولايات العربية ، وتأسست جمعية بيروت الاصلاحية وتعارفت مع هذا الحزب ، وقام على أثر ذلك نبهاء العرب الذين يشتغلون في فرنسة بطلب العلوم والفنون والتجارة يطلبون عقد مؤتمر عربي في باريس لبيان حقوق العرب في الدولة وطلب اللامركزية ، وفوضوا أمر هذا المؤتمر الى حزب اللامركزية بمصر : وظهرت حركة الاصلاح في العراق بصورة مخيفة ، واتحد أهلها بحزب اللامركزية أيضا . وامتد الشعور بهذه النهضة المباركة الى ضباط العرب في الجيش المحارب وغير المحارب وخافت الحكومة أن يؤيدوها

بدأت وزارة شوكت باشا (رحمه الله وعفا عنه) بالضغط على جمعية بيروت الاصلاحية فاقفلت ناديها وحبست بعض أعضائها وهددتها بالحكم العرفي ... فظهر لها ولجمعية الاتحاد ان هذه الشدة مازادت أهل بيروت وهم تحت ضغط الحكومة العرفية الا اتحاداً واصراراً على ما قرروا طلبه من الاصلاح ، وكذلك فعل الاتحاديون في البصرة ، فاعقبتهم الشدة والتهديد كل حسرة ، فماذا يمكن أن يقاوم به من هم في البلاد الحرة كمصر واوربة وأمريكة ؟ حاولت حكومة الباب العالي ان تمنع عقد المؤتمر في باريس بالرغبة الى الحكومة الجمهورية في ذلك فلم تجب فرنسة طلبها هذا ، فاوعزت الى أنصار السلطة في سورية من رجال المال والالقاب وبعض الكتاب ان يطعنوا برجال المؤتمر وطلاب الاصلاح ، فلم يغن ذلك من شيء ، على انه قد قام به كثيرون من أغنياء سورية كعبد الرحمن بك اليوسف وفوزي باشا العظم ، ومن كتابها كالامير شكيب أرسلان والشيخ محيي الدين الخياط ، ومن اصحاب الجرائد كطه افندي المدور صاحب جريدة الرأي العام وعبد القادر افندي المغربي صاحب جريدة البرهان . وكذا جريدة الشعب المصرية التي يحررها أحداث الحزب الوطني ، وقد غلا هؤلاء كلهم في التشنيع على المصلحين ، والقدح في اللامركزيين ، وصوروا للناس ان ضياع المملكة واستيلاء الاجانب عليها انما يكون بهذا الاصلاح الذي يطلبه المصلحون على قواعد اللامركزية الادارية ، وان بقاء الدولة وغيرها انما يكون بتسليم ادارتها الى فئة الاتحاديين في الاستانة وما يعقده مندوبوهم من الاتفاق مع الدول على بيع أراضيها وامتيازاتها ومنافعها وسائر ما يقوى نفوذ الاجانب فيها !!

بعد هذا كله ثابت الجمعية الى رشدها ورأت ان الخير لها وللدولة في اجابة المصلحين

الى إرضاء العرب ـ والعاقل من استفاد من الحوادث واعتبر ـ وكان أعقل شرفاء مكة الشريف علي حيدر مراقباً لسير الحوادث وله عند الاتحاديين المكانة العالية ، فلما رأى فرصة إصلاح البين سانحة سعى لها سعيها ، وجمع بين طلعت بك الزعيم الاكبر للجمعية في الحكومة وعبد الكريم افندي قاسم الخليل رئيس المنتدى الأدبي لأجل ذلك ، إذ لا يوجد عربي في الاستانة يعرف من حركة النهضة العربية الاصلاحية ما يعرفه عبد الكريم هذا ، لانه سافر في هذه السنة عدة مرات بين الاستانة ومصر وسورية وكان مندوب حزب اللامركزية الى جمعية بيروت الاصلاحية وغيرها من أفراد وجماعات طلاب الاصلاح ، وله بالجميع صلة لم تنقطع . فأوقف طلعت بك على مقاصد اللامركزيين وطلاب الاصلاح كافة . وعلى هذا الاساس وضعوا للاصلاح احدى عشرة قاعدة عهد الى عبد الكريم أفندي السعي لموافقة جميع طلاب الاصلاح عليها

كتبت القواعد ووقع عليها طلعت بك بالنيابة عن جمعية الاتحاد والترقي ، وعبد الكريم افندي عن جمعية الشبان العربية - وهي جمعية اجتماعية اصلاحية معظم أفرادها من المتعلمين في مدارس الحكومة — وكان هذا التوقيع تمهيداً لاقناع حزب اللامركزية وجمعية الاصلاح البيروتية بالاتفاق — وهما ممثلان في المؤتمر العربي بباريس — رجاء أن يقنع به سائر العرب بعد ذلك ،

حمل صورة الاتفاق عبد الكريم افندي الى باريس واطلع عليه رئيس المؤتمر السيد عبد الحميد أفندي الزهراوي وغيره من الزعماء وبعد تنقيح وزيادة فيها صرحوا بأنهم يرضون أن ترسل جمعية الاتحاد والترقي اليهم وفداً من ثقات رجالها للمذاكرة للاتفاق عليه ، فعاد الى الاستانة وبلغ ، فندبت الجمعية مدحت بك شكري والحاج عادل بك من ثقات رجالها ليكونوا وفدها الى المؤتمر العربي بباريس ، فلما أزمعا الرحيل اعتلت صحة عادل بك فسافر مدحت شكري بك ومعه عبد الكريم افندي رسول الوفاق والسلام ، وبعد المذاكرة والمناقشة تم الاتفاق على القواعد الاثنتي عشرة الآتية ـ على ابهامها ـ رجاء الاتفاق على التفصيل بعد ، واقترح زيادة ١٣ قاعدة عليها لارضاء وفد بيروت موضوعها أن يكون نصف أعضاء المجلس العمومي في بيروت من المسلمين والنصف الآخر من غيرهم ، لان هذا أكبر ما أرضى به مسلمو بيروت نصاراها وبنوا عليه أساس اتفاقهم المحمود ، فوعد مدحت شكري بك بالسعي لاقناع جمعيته بها ، وعلى مسائل أخرى سرية تتعلق بالاشخاص . وعاد الى الآستانة على أن ينتظر مندوبو حزب اللامركزية وجمعية بيروت الاصلاحية في باريس تصديق الحكومة رسميا على القسم الجهري من الاتفاق وطلبهم الى

الاستانة لاجل مباشرة التنفيذ . وفي أثناء ذلك كانت الرسائل البرقية والبريدية متصلة بين الحزب في مصر ومؤتمر باريس وأرسل المؤتمر الى الحزب صورة الاتفاق

أبطأت الحكومة في التصديق على الاتفاق فساءت الظنون ، ولما كانت أمثال هذه الامور لاتخفى في جملتها وان خفي بعض تفاصيلها ، أذاعت شركة روتر برقية قالت فيها ان الحكومة وافقت العرب على ما يطلبون من الاصلاح رسميا وسيعين الزهراوي (رئيس المؤتمر) شيخاً للاسلام ، والشريف علي حيدر رئيساً لشورى الدولة ، ففرحت القلوب وسارع رفيق بك العظم رئيس حزب اللامركزية الى نشر مواد الاتفاق ظنا منه انه لم يبق مانع من نشرها وقد قررتها حكومة الباب العالي رسميا . وأرسل برقية شكر الى الصدر الاعظم وعد فيها بأن سيرسل الحزب وفدا الى الاستانة لاداء الشكر للحكومة فيها — ولكن تبين بعد ذلك أن كل هذا كان قبل أوانه ، وان برقية روتر كاذبة

ساء الاتحاديين نشر صورة الاتفاق وحق لهم ذلك ، وهاج عليهم أنصارهم الذين طعنوا في رجال المؤتمر وجميع طلاب الاصلاح لاجلهم ، فلهذا السبب ولاسباب أخرى كذبت جريدة طنين مانشر في الاستانة وغيرها من خبر الاتفاق ، ونشرت جمعية الاتحاد بياناً من مركزها العام فيها عزمت عليه الحكومة من الاصلاح في الولايات العربية وغيرها وزعمت أنها عزمت على ذلك من تلقاء نفسها ، أي لا إجابة لطلب أحد ، وفي البلاغ تعريض بذم أناس مبهمين وصفوا بالفساد . فكان هذا وذاك سبباً لاساءة الظن بالحكومة تبعاً لاساءة الظن بالجمعية ، وسرى سوء الظن الى عبدالكريم افندي .

وقد كنا عازمين على أن لا نكتب في هذا الموضوع شيئا الا بعد القرار الرسمي من الحكومة والتعارف التام بين الطالبين والمطالبين ، ولكننا اضطررنا الى هذا عسى أن يكون بيان الحقائق ، من أسباب التعارف الصحيح والاتفاق الثابت ، فلنا أن نقول الآن مانعلم وما نرى فيه المصلحة ، لاننا لانزال معارضين ونرى ان مطالبنا لم تقبل ، ولولا ذلك لجعلنا مقدمة الكلام على الاتفاق مرضية ولم نشر فيها الى الخطأ السابق ، وللجمعية أن تقول ماتراه موافقاً لسياستها ، وأن تكذب الاتفاق وتعرض بعدم المبالاة بطلاب الاصلاح . لاعبرة بالاقوال وانما العبرة بالعمل والاخلاص ، فمتى رأينا العمل الصالح من الحكومة ، وشممنا منه رائحة الاخلاص ، نتناسى الماضي لأن السياسة لا أضغان فيها ، وطلاب الاصلاح لايهمهم الا الاصلاح ، وسنكف عن حملات المعارضة وان كانت بحق ، الى أن ينجلي لنا الامر ، وهذا نص الاتفاق الاول باللغة التركية :

اتحاد وترقی مرکز عمومیسیله الشبيبة العربیه هیئتی

آره سنده منعقد

اتفاقنامه نك صورتیدر —

ماده ١ — بتون بلاد عربیه ده تحصیل ابتدائی واعدادي لسان عربيله تدريس أولنه جغی کبی تحصیل عالی ده‌ا کثریتك لسانیله أوله جقدر. وآنجق اعدادی مکتبلرنده لسان عثمانی تحصیلی مجبوری أوله جقدر .

ماده ٢ — بالجمله رؤسای مأمورين لغت عربیه یه واقف أوللری شرط أولوب مأمورين سائره ولایتجه تعيين أولنه جقلر ، آنجق ارادهٔ سنیه ایله تعيين أولنه جق حكام ومأمورين عدليه مرکزجه تعيين اولنه جقدر . ولاة مستثنا .

ماده ٣ — محلی جهات خيريه سنه صرفي مشروط أولان عقارات ومؤسسات وقفيه شرطلری وجهله جماعات محليه مجالسنه ترك اولنه جقدر .

ماده ٤ — أمور نافعه ادارهٔ محليه یه ترك اولنه جقدر .

ماده ٥ — أفراد عسكريه زمان صلح وآسایشده خدمت عسکریه لرینی بلاد عربيه داخلنده ملاصق قول أوردو منطقه لری دائره سنده ایفا ایده جکلر . وآنجق عسیر ، حجاز ، یمن قطعه لرینه شمدیلك سوقی ضروری أولان جنود همان بالعموم ممالك عثمانيه دن بر نسبت داخلنده کوندریله جکدر .

ماده ٦ — ولايات مجالس عموميه سنك صلاحيت قانونيه لری داخلنده ویره جکلری مقررات هر حالده نافذ أوله جقدر .

ماده ٧ — قابینه ده لاأقل أوچ عرب بولنمس اساس اعتباريله قبول ایدیله جکی کبی دوائر مرکزیه ده مستشار ومعاون صفتيله عینی عدد ده عرب ذوات بولندیریله جق ومأمورين انجمنلرینه شورای دولت دائرهٔ مشيخت وسائر دوائر مرکزیة مجالسنده ایکیشر اوچر اعضا بولندیرلمسی وهر نظارتده مختلف درجه لرده لا اقل دورت بش مأمورينك بولندیرلمسی اساس قبول اولنه جقدر.

ماده ٨ — حال حاضرده لاأقل بش عرب والی واون متصرف بولندیریله جق وديكر رفقاسنه نسبتله وجه قانونيسي اوزره ترقی ایتدیرلامش مأمورين ملكيه وعدليه وعلميه مغدوريتلری رفع وازاله اولنه جقدر . وفيما بعد مأمورينك نصب وترفيع وتأديب وعزللری بر قانون مخصوصله تعيين اولنه جقدر

ماده ٩ — هر ولایتدن لاأقل ایکی عرب ذات أعيان أعضالغنه تعيين اوله حق

(ولايت قيدى قالقه جقدر .)

ماده ١٠ — هر ولايت شعبات اداره‌دن لزومى أولانلرينه أجنبي متخصص مفتشلر تعيين اولنه جق واومفتشلرك وظيفه وصلاحيتلرى كنديلرندن مطلوب ومنتظر اولان فوائد انضباطيه واصلاحيه‌يى متكفل بر نظام مخصوصله تعيين اولنه جقدر

ماده ١١ — اداره‌سى ولايتـه ترك اولنان دوائرك بودجه‌سى حال حاضرده اولان آچيقلرينى قاپايه جق مقدار وارداتك ولايت بورجه سنه ضم وعلاوه سيـله ومسقفات ويركوسنك يوزده اللیسي امور معارفه صرف اولنمق او زره ترك وتخصيص اوله جقدر

عبد الكريم الخليل طلعت

وهذه ترجمة ماصدق عليه المؤتمر وهي التي نشرها رفيق بك العظم رئيس الحزب في الجرائد

﴿ صورة الاتفاق ﴾

١ ـ التعليم في جميع البلاد العربية يكون باللسان العربي في القسم الابتدائي والاعدادي ويكون بلسان الاكثرية في القسم العالي (في الاصل التركي: ولكن تحصيل اللسان العثماني في المكاتب الاعدادية اجباري)

٢ ـ يشترط ان يكون جميع رؤساء المأمورين ماعدا الولاة عارفين اللغة العربية اما من عداهم من المأمورين فيعينون في الولاية وانما يعين في العاصمة القضاة ورؤساء العدلية (الحقانية) الذين ينصبون بارادة سنية

٣ ـ الاوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية تترك ادارتها لمجالس الجماعات المحلية

٤ ـ تترك الامور النافعة (الاشغال) للادارة المحلية

٥ ـ العسكر يخدمون في البلاد القريبة منهم (في الاصل التركي : في مناطق المعسكرات القريبة منهم) ولكن العسكر الذي يلزم ارساله الى اليمن والحجاز أو عسير يرسل ضمن نسبة عادلة من جميع المملكة العثمانية

٦ ـ مقررات المجالس العمومية تكون نافذة على كل حال (في الاصل التركي زيادة : فيما هو من صلاحيتها القانونية)

٧ ـ يقبل مبدئياً ان يكون في هيأة الوزارة ثلاثة على الاقل من أولاد العرب ومثل ذلك يؤخذ منهم عدد بصفة مستشار أو معاون في النظارات ويؤخذ اثنان أو ثلاثة في كل مجلس من مجالس شورى الدولة ومحكمة التمييز ودائرة المشيخة وجميع الدوائر ويؤخذ أربعة أو خمسة على الاقل في مراكز أخرى مختلفة في كل نظارة

يعين خمسة ولاة على الاقل من أبناء العرب وعشرة متصرفين وتزال مغدورية الذين لم يترقوا اسوة بامثالهم من مأموري الملكية والعدلية والعلمية

٩ ـ يعين في مجلس الاعيان عدد من أولاد العرب بنسبة اثنين من كل ولاية

١٠ ـ يستخدم مفتشون اختصاصيون من الاجانب في الدوائر المقتضية فى كل ولاية وتعين وظائفهم وصلاحيتهم بنظام مخصوص

١١ ـ يعطى مقدار لسد عجز (ميزانية) الدوائر التي تترك ادارتها للولايات فيضاف هذا المقدار الى ميزانية الولاية ويعطى غير ذلك نصف رسوم العقارات على ان يصرف للمعارف

١٢ ـ يقبل مبدئياً أن تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللسان العربي وينظر في أمر تنفيذه بالتدريج

١٣ توسع سلطة المجالس العمومية ويكون نصف المجلس العمومي في بيروت من المسلمين ونصفه من غير المسلمين

﴿ أهم الانباء والحوادث ﴾

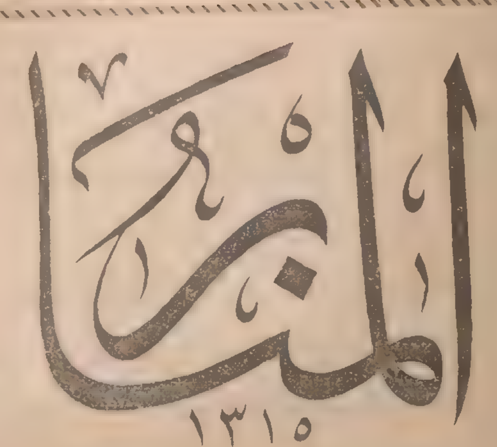
الشقاق والقتال بين البلقانيين واستعادتنا لأدرنة

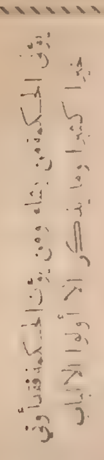
الشعب البلغاري شعب وحشي شديد القسوة ، وملكه فرديناند قوي الطمع والاثرة ، فهذه الاخلاق، قد أوقعت بين البلغاريين وحلفائهم الشقاق، فاتحدت اليونان والصرب على البلغار، واستحر بينهم القتال . وافترصت رومانيا ذلك فزحفت على أرض البلغار واقتطعت لنفسها ماتطمع فيه منها. فدارت الدائرة على البلغار ورأت دولتنا أنها أولى بانتهاز الفرصة فزحف جيشنا المرابط في شطالجه على أدرنة مخترقاً الحد الذي حدده مؤتمر الصلح الدولي في لوندرة . فأنذرتها انكلترة عاقبة ذلك ان لم ترجع وتحترم معاهدة لوندرة ــ وان لم يحترمها البلغاريون ــ فكان هذا أول حظنا من مساعدة انكلترة لنا في مقابلة مابذله حقي باشا لها وهو معظم ما تطمع فيه منا. ولكن الدولة لم تبال بالنذر لعلمها أن دول أوربة لاتتفق على مقاومتها بالقوة . ويبعد أن ينفرد احد منها بعمل حربي في البلقان وقد كان هذا الانقلاب الاخير . بسعي عاهل الالمان. فرجحت بذلك كفة التحالف الثلاثي في البلقان على كفة الاتفاق الثلاثي التي كانت هي الراجحة من قبل .ولله الامر من قبل ومن بعد .ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

عرض الاراضي المدورة وغيرها للبيع

قلنا من عدة أشهر ان الاتحاديين اذا تمكنوا من السلطة يبيعون كل ما يمكن بيعه للاجانب من أرض المملكة ومنافعها . وقد صدقت الايام قولنا هذا كما صدقت غيره فقدعرضت الحكومة المركزية زهاء ستة ملايين فدان مصري من الاراضي المدورة التي عمرها عبد الحميد وغيرها للبيع من الاجانب في ساعة العسرة المالية التي لايشتري أحد فيها أرضا في البلاد العثمانية الا أن تكون بعشر معشار ماتستحقه من الثمن وهذا اكبر خطر على الولايات العربية التي فيهامعظم هذه الارض ولذلك قامت قيامة الفلاحين وأصحاب الاملاك ــ لاالسياسيين ــ وطفقوا يكتبون المحاضر البرقية والبريدية يستغيثون بالحكومة أن تكف عن بيعها للأجانب وان تقسمها وتبيعها للاهالي. وألف أهل البصرة جمعية للسعي في مقاومة هذا البيع وهم يجتهدون في تعميمها في البلاد .فعسى أن تصغى الحكومة الى استغاثة الامة .وأن تسلك في بيع هذه الاراضي للاهالي ماسلكته الحكومة المصرية في بيع أراضي الدائرة السنية . وسنعود الى هذا البحث في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب





قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣١ هـ ق ١٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ ش ١ سبتمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ . مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧) وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

قال الرازي في وجه اتصال آية الوضوء بما قبلها : اعلم انه تعالى افتتح السورة بقوله « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وذلك لأنه حصل بين الرب وبين العبد عهد الربوبية وعهد العبودية فقوله « اوفوا بالعقود » طلب من عباده ان يفوا بعهد العبودية فكأنه قيل : إلهنا العهد نوعان عهد الربوبية منك وعهد العبودية منا فأنت أولى بأن تقدم الوفاء بعهد الربوبية والكرم، ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فاستقصى سبحانه في بيان مايحل ويحرم من المطاعم والمناكح ، ولما كانت الحاجة الى المطعوم فوق الحاجة الى المنكوح لاجرم قدم بيان المطعوم على المنكوح، وعند تمام البيان كأنه يقول قد وفيت بعهد الربوبية فيما يطالب في الدنيا من المنافع واللذات فاشتغل أنت في الدنيا بالوفاء بعهد العبودية. ولما كان أعظم الطاعات بعد الايمان الصلاة وكانت الصلاة لايمكن إقامتها الا بالطهارة لاجرم بدأ الله تعالى بذكر شرائط الوضوء » (لعل الاصل فرائض الوضوء)

أقول لو جعل هذا الوجه في الاتصال لهذه الآية وما بعدهامعا ـ وقد جمعناهما ـ لكان أظهر فانه في الثانية يذكرنا بعهده وميثاقه . والذي أراه أن وجه المناسبة بين آية الوضوء وما قبلها هو أن الحدثين اللذين هما سبب الطهارتين هما أثر الطعام والنكاح ، فلولا الطعام لما كان الغائط الموجب للوضوء ، ولولا النكاح لما كانت ملامسة النساء الموجبة للغسل ، وأما المناسبة بين آية الميثاق وما قبلها فهي ان الله تعالى بعد ان بين لنا طائفة من الاحكام المتعلقة بالعبادات والعادات ذكرنا بعهده وميثاقه علينا وما التزمناه من السمع والطاعة لله ولرسوله بقبول دينه الحق، لنقوم بها مخلصين

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة ﴾ قال المفسرون ان المراد بالقيام هنا ارادته أي اذا أردتم القيام الى الصلاة ، على حد قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) أي اذا أردت قراءته . على أن الغالب أن مريد الصلاة يقوم اليها من قعود أو نوم ، وقد يطلق لفظ القيام الى الشيء على الانصراف اليه عن غيره، ومن فسر القيام بارادته حاول ان يدخل في عموم منطوقه صلاة من يصلي قاعدا أو نائما لعذر .

وظاهر العبارة ان المراد بالقيام الى الصلاة عمومه في جميع الاحوال وان هذه

الطهارة تجب لكل صلاة وعليه داود الظاهري ، ولكن جمهور المسلمين على ان الطهارة لاتجب على من قام الى الصلاة الا اذا كان محدثا فهم يقيدون القيام الذي خوطب أهله بالطهارة بالتلبس بالحدث فالمعنى عندهم اذا قمتم الى الصلاة محدثين فاغسلوا وجوهكم الخ والعمدة في مثل هذا التقييد السنة العملية في الصدر الأول، روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن من حديث بريدة قال كان النبي (ص) يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد . فقال له عمر يارسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال « عمدا فعلته يا عمر » وروي بألفاظ كثيرة متفقة في المعنى . وروى أحمد والبخاري وأصحاب السنن عن عمرو بن عامر الانصاري سمعت أنس بن مالك يقول « كان النبي (ص) يتوضأ عند كل صلاة ، قال قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد مالم نحدث » و روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعا « لايقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » وروى أبو داود وصححه والدارقطني ـ قال الحافظ في بلوغ المرام واصله في مسلم ـ عن أنس بن مالك قال « كان أصحاب رسول الله (ص) على عهده ينتظرون العشاء حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤن » ورواه الشافعي في الام أيضا ، والترمذي بلفظ « لقد رأيت أصحاب رسول الله (ص) يوقظون للصلاة حتى اني لأسمع لأحدهم غطيطا ثم يقومون فيصلون ولا يتوضؤن » . وروى أحمد باسناد صحيح عن أبي هريرة مرفوعا « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك » وفي البخاري نحوه تعليقا ، وروى نحوه النسائي وابن خزيمة. وكذا ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة. فهذه الاخبار تدل على ان المسلمين لم يكونوا في عهد النبي (ص) يتوضؤن لكل صلاة وانما كان النبي (ص) يتوضأ لكل صلاة غالبا وصلى الصلوات يوم الفتح بوضوء واحد امام الناس لبيان الجواز. وقيل كان ذلك واجبا فنسخ يومئذ، والوصح هذا القول لنقل ان الصحابة كلهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة والمنقول خلافه ، فعلم ان الوضوء لكل صلاة عزيمة وهو الافضل وانما يجب على من أحدث ، وآخر الآية يدل على ذلك فانه ذكر المحدثين و وجوب

التيمم على من لم يجد الماء بعدهما فعلم منه ان من وجده وجب عليه ان يتطهر به عقبهما ، ولو كانت الطهارة واجبة لكل صلاة لما كان لهذا معنى. وقد نقل النووي عن القاضي عياض ان أهل الفتوى أجمعوا على ان الوضوء لا يجب الا على المحدث وانما يستحب تجديده لكل صلاة

﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ﴾ الغسل بالفتح إسالة الماء على الشيء والغرض منه إزالة ما على الشيء من وسخ وغيره مما يراد تنظيفه منه . والوجوه جمع وجه، وحدّه من أعلى تسطيح الجبهة الى اسفل اللحيين طولا ومن شحمة الاذن الى شحمة الأذن عرضا . والأيدي جمع يد وهي الجارحة التي تبطش وتعمل بها ، وحدها في الوضوء من رءوس الاصابع الى المرفق (وهو بفتح الميم والفاء و بالعكس) أعلى الذراع واسفل العضد

فالفرض الأول من أعمال الوضوء غسل الوجه ،وهل يعد باطن الفم والانف منه فيجب غسلهما بالمضمضة والاستنشاق والاستنثار أم ليسا منه فيحمل ماورد من أمر النبي (ص) بها والتزامه إياها على الندب ؟ ذهب جمهور فقهاء الامصار الى ان ذلك سنة ، واحمد واسحق وابو عبيد وابو ثور وابن المنذر و بعض فقهاء أهل البيت الى انه واجب واستدلوا بانها من الوجه و بالاحاديث المتفق عليها في الأمر بذلك والتزامه وهو سبب التزام المسلمين ذلك من الصدر الأول الى الآن. والمضمضة ادارة الماء وتحريكه في الفم ،والاستنشاق ادخال الماء في الانف والاستنثار اخراجه منه بالنفس. وليس للقائلين بعدم وجوب ماذكر دليل يعتد به في معارضة أدلة الوجوب . قال في (نيل الاوطار) قال الحافظ ابن حجر في الفتح : وذكر ابن المنذر أن الشافعي لم يحتج على عدم وجوب الاستنشاق مع صحة الأمر به الا بكونه لا يعلم خلافا في أن تاركه لا يعيد ، وهذا دليل فقهي فانه لا يحفظ ذلك عن احد من الصحابة والتابعين الا عن عطاء . وهكذا ذكر ابن حزم في المحلى اه اقول ان الذين يصح جعل تركهم حجة في هـذا الباب هم الصحابة ولم ينقل عنهم ترك المضمضة والاستنشاق حتى يبحث في إعادتهم ، وحديث « المضمضة والاستنشاق سنة» الخ الذي رواه الدار قطني عن ابن عباس مرفوعا ضعيف على ان السنة في كلامهم

هي الطريقة المتبعة وهو المعنى اللغوي فلو صح لكان جعله من أداة الوجوب أظهر

والفرض الثاني من أعمال الوضوء غسل اليدين الى المرفقين . وهل المرفقان مما يجب غسله أم هو مندوب ؟ الجمهور على انه يجب غسلهما واختار ابن جرير الطبري عدم الوجوب ونقله عن زفر بن الهذيل . وقال في نيل الاوطار اتفق العلماء على وجوب غسلهما ولم يخالف في ذلك الازفر وابو بكر بن داود الظاهري ، فمن قال بالوجوب جعل « الى » في الآية بمعنى مع ، ومن لم يقل به جعلها لانتهاء الغاية اه وقد استدل ابن جرير على ذلك « بان كل غاية حدت بالى فقد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحد وخروجها منه (قال) واذا احتمل الكلام ذلك لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه الا لمن لا يجوز خلافه فيما بين وحكم ، ولا حكم بأن المرافق داخلة فيما يجب غسله عندنا ممن يجب التسليم بحكمه » اه ولكن بعض علماء اللغة ومنهم سيبويه حققوا أن ما بعد إلى ان كان من نوع ماقبلها دخل في الحد والا فلا يدخل ، فعلى هذا تدخل المرافق فيما يجب غسله لأنها من اليد ، ولا يدخل الليل فيما يجب صومه بقوله تعالى « ثم اتموا الصيام الى الليل » لأن الليل ليس من نوع النهار الذي يجب صومه ، واستدل بعضهم على الوجوب بفعل النبي (ص) من حيث انه بيان لما في الآية من الاجمال ، ونازع آخرون في هذا الاستدلال ، ولكن لا نزاع في ان النبي (ص) كان يغسل المرفقين فقد ورد صريحا ولم يرد انه ترك غسلهما ، والالتزام المضطرد آية الوجوب . وانما المستحب إطالة الغرة والتحجيل فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ . وقال قال رسول الله (ص) « انتم الغر المحجلون من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله » والمراد باطالة الغرة غسل جزء من الرأس مع الوجه وجزء من العضدين مع اليدين وجزء من الساقين مع الرجلين مبالغة فى النظافة ، شبه ذلك بغرة الفرس وتحجيله وهو البياض في جبهته وقوائمه ، أو التشبيه للنور الذي يكون في هذه المواضع يوم القيامة ، وقال ابن القيم ان هذا اجتهاد من

ابي هريرة ولم يزد (ص) على المرفقين والكعبين

الفرض الثالث المسح بالرأس في قوله ﴿ وامسحوا برءوسكم ﴾ الرأس معروف ويمسح ما عدا الوجه منه لان الوجه شرع غسله لسهولته ، وكيفية المسح المبينة في السنة ان يمسحه كله بيديه اذا كان مكشوفا واذا كان عليه عمامة ونحوها يمسح ماظهرمنه ويتم المسح على العمامة . روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن زيد ان رسول الله (ص) مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر ، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدأ منه » وروى مسلم والترمذي عن المغيرة بن شعبة ان النبي (ص) توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين » وروى أحمد والبخاري وابن ماجه عن عمرو بن امية الضمري قال : رأيت رسول الله (ص) يمسح على عمامته وخفيه . وروى أحمد ومسلم وأصحاب السنن ماعدا أبا داود عن بلال قال : مسح رسول الله (ص) على الخفين والخمار . والخمار الثوب الذي يوضع على الرأس وهو النصيف وكل ماستر شيئا فهو خماره، وفسره النووي هنا بالعمامة أي للرجال لانها تستر الرأس. وخمر النساء معروفة. وروي المسح على العمامة او الخمار أو العصابة عن كثير من الصحابة يرفعونه الى النبي (ص) منهم سلمان الفارسي وثوبان وأبو أمامة وأبو موسى وأبو خزيمة . وظاهر الروايات ان المسح كان يكون على العمامة وما في معناها من الساتر وحده. والاخذ به مروي عن بعض الصحابة والتابعين منهم أبو بكر وعمر وأنس وأبو امامة وسعد بن مالك وعمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة وقال بجوازه جماعة من علماء الامصار منهم الاوزاعي وأحمد واسحق وأبو ثور وداود، وقال الشافعي ان صح الخبر عن رسول الله (ص) فبه أقول . وقد صح كما علمت ولكن الشافعية لايقولون به . ولم يشترط أحد من هؤلاء المسح عليها لبسها على طهر ولا التوقيت اذ لم يرو فيه شيء يحتج به الا ان أبا ثور قاس المسح عليها على المسح على الخف فاشترط الطهارة ووقت . والجمهور الذين لم يجيزوا المسح على العمامة وحدها قال من بلغته الاخبار منهم إن المراد المسح عليها مع جزء من الرأس كالرواية التي فيها ذكر الناصية . ومن مانعي الاقتصار عليها سفيان وأبو حنيفة ومالك والشافعي ولكنه قال اذا صح الحديث

بها قال به كما تقدم آنفا . وظاهر الروايات الاطلاق . وقد ورد في كثير من تلك الاخبار ذكر المسح على العمامة مع المسح على الخف، وقد كان نزع كل منهما حرجا وعسرا ففي مسحه نفي الحرج المنصوص عليه في الآية مع عدم منافاته لحكمة الوضوء وعلته المنصوصة أيضا وهي الطهارة والنظافة فان العضو المستور يبقى نظيفا، ولا حرج الآن في رفع العمائم في الحجاز ومصر والشام وبلاد الترك عن الرأس لأجل مسحه من تحتها في الجملة لانها توضع على قلانس ترفع معها بسهولة ولكن يعسر مسحه كله باليدين كلتيهما على الوجه الذي رواه الجماعة. وأما أهل الهند وأهل المغرب الذين يحتنكون بالعمامة كما كان يفعل السلف فيعسر عليهم رفع عمائمهم عند الوضوء. والاحتياط ان يظهروا ناصيتهم كلها أو بعضها فيمسحوا بها ويتموا المسح على العمامة ليكون وضوءهم صحيحا على جميع الروايات. ومن مسح شيئا او بشيء عليه ساتر قد يقال انه مسح ذلك الشيء أو به كما اذا قلت وضعت يدي على رأسي أو على صدري ، لا يشترط في كون ذلك حقيقة ان لا يكون عليه ساتر ، وانما نقول هنا ان الاصل المسح بالرأس بدون ساتر لأن الغرض من فرضيته تنظيفه من نحو الغبار وهو المتيسر فاذا كان عليه ساتر لا يصيبه الغبار

وقد اختلف فقهاء الامصار في أقل ما يحصل به فرض مسح الرأس فقال الشافعي في الام : اذا مسح الرجل بأي رأسه شاء ان كان لا شعر عليه و بأي شعر رأسه شاء باصبع واحدة أو بعض أصبع أو بطن كفه وأمر من يمسح له اجزأه ذلك. اه وبين فيه ان أظهر معني الآية ان من مسح من رأسه شيئا فقد مسح برأسه ، وان مقابل الاظهر مسح الرأس كله ولكن دلت السنة على انه غير مراد فتعين الأول. وذكر من السنة حديث المغيرة في المسح على الناصية والعمامة وحديثا مرسلا في معناه عن عطاء وسيأتي وقال الجزء الممسوح يجب ان يكون من الرأس نفسه أو من الشعر الذي عليه . وقال الثوري والاوزاعي والليث يجزىء مسح بعض الرأس و يمسح المقدم وهو قول احمد وزيد بن علي والناصر والباقر والصادق من أئمة أهل البيت. وذهب اكثر العترة ومالك والمزني والجبائي الى وجوب مسحه كله وهو رواية عن احمد . قاله في نيل الاوطار . وقال ابو حنيفة يجب مسح ربع الرأس . ولا يعرف هذا

التحديد عن غيره . قيل ان منشأ الخلاف الباء في قوله تعالى برءوسكم هل هي للتبعيض فيجزئ مسح بعض الرأس أم زائدة فيجب مسحه كله، أم هي للالصاق الذي هو أصل معناها؟ ووجه الحنفية قول امامهم على هذا بان المسح انما يكون باليد وهي تستوعب مقدار الربع في الغالب فوجب تعينه . وهذا أشد الاقوال تكلفا ، ولم يقل أبو حنيفة ولا أحد من المسلمين انه يشترط المسح بمجموع اليد فلو مسح ببعض أصابعه ربع رأسه أجزأه عند أبي حنيفة، وليست اليد ربع الرأس بالتحديد وقد عبروا هم انفسهم بقولهم غالبا . ولو كان مراد ابي حنيفة قدر اليد لعبر به . والحديث ليس نصا في مسح جميع الناصية فالخلاف في مسح الرأس يجري في مسح الناصية فالاستدلال بمسحها مصادرة . ونازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعيض قيل مطلقا ، وقيل استقلالا وانما تفيدها مع معنى الالصاق ، ولا يظهر معنى كونها زائدة، والتحقيق ان معنى الباء الالصاق لا التبعيض أو الآلة وانما العبرة بما يفهمه العربي من مسح بكذا ومسح كذا ، فهو يفهم من كلمة مسح العرق عن وجهه انه أزاله بامرار يده أو اصبعه عليه ، ومن مسح رأسه بالطيب أو الدهن انه أمره عليه ، ومن مسح الشيء بالماء انه أمر عليه ماء قليلا ليزيل ما علق به من غبار او اذى، ومن مسح يده بالمنديل انه أمرّ عليها المنديل كله أو بعضه ليزيل ما علق بها من بلل أو غيره، ومن مسح رأس اليتيم او على رأسه ومسح بعنق الفرس أو ساقه او بالركن او الحجر انه أمر يده عليه ، لا يتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح ولا بكل اجزاء الرأس او العنق او الساق او الركن او الحجر الممسوح . فهذا ما يفهمه كل من له حظ من هذه اللغة مما ذكر ومن قوله تعالى (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) على القول الراجح المختار ان المسح باليد لا بالسيف ، ومن مثل قول الشاعر

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

والاقرب ان سبب الخلاف ماورد من الاحاديث في المسح مع مفهوم عبارة الآية . قيل ان العبارة مجملة بينتها السنة ، وصرح الزمخشري بأنها من المطلق وجعل المطلق من المجمل، والتحقيق عند أهل الاصول ان المطلق ليس بمجمل لانه يصدق على الكل والبعض فأيهما وقع حصل به الامتثال، ولو سلم انه مجمل لكان الصحيح

في بيانه ما تقدم من ان المسح يكون على الرأس كله مكشوفا وعلى بعضه مع التكميل على العمامة كما ورد في الصحاح، ولم يرد حديث متصل بمسح البعض الا حديث أنس عند أبي داود قال: رأيت رسول الله (ص) يتوضأ وعليه عمامة قطرية (١) فأدخل يده تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة. وهذا الحديث لا يحتج به لان أبا معقل الذي رواه عن أنس مجهول، وقال الحافظ ابن حجر: في إسناده نظر. وقال ابن القيم في زاد المعاد انه لم يصح عنه (ص) في حديث واحد انه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة ولكنه كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة. وأما حديث أنس (وذكره كما تقدم آنفا) فهذا مقصود أنس به ان النبي (ص) لم ينقض عمامته حتى يستوعب مسح الشعر كله ولم ينف التكميل على العمامة وقد أثبته المغيرة بن شعبة وغيره فسكوت أنس عليه لا يدل على نفيه اه. وقد علمت ان حديث أنس لا يحتج به.

ومثله يقال في حديث عطاء المرسل الذي احتج به الشافعي في الام على الاكتفاء بالبعض والحنفية على الربع وهو ان رسول الله (ص) توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه او قال ناصيته. وهذا بصرف النظر عن الخلاف في الاحتجاج بالمرسل وقد منعه جمهور الامة من اهل السنة وغيرهم، وقال به ابو حنيفة وجمهور المعتزلة. والشافعي لا يحتج بالمرسل وقد رواه عن مسلم بن خالد المكي الفقيه وهو ثقة عنده ووثقه ابن معين مرة وضعفه اخرى كما ضعفه ابو داود وقال البخاري منكر الحديث والجرح مقدم على التعديل. وقد علمت انه لا يدل على وجوب مسح الربع

وجملة القول ان ظاهر الآية الكريمة ان مسح بعض الرأس يكفي في الامتثال وهو ما يسمى مسحا في اللغة، ولا يتحقق الا بحركة العضو الماسح ملصقا بالممسوح، فوضع اليد أو الاصبع على الرأس أو غيره لا يسمى مسحا، ولا يكفي مسح الشعر الخارج عن محاذاة الرأس كالضفيرة، وان لفظ الآية ليس من المجمل، وان السنة أن يمسح الرأس كله اذا كان مكشوفا وبعضه اذا كان مستورا ويكمل على الساتر، وان ظاهر الاحاديث جواز المسح على الساتر وحده والاحتياط ان يمسح معه جزءا من الرأس والله أعلم

(١) قطرية بكسر القاف وبفتحها وفتح الطاء نسبة الى قطر، وهو بلد في الاحساء قرب عمان. ورواية الكسر من التصرف في النسب

الفرض الرابع غسل الرجلين فقط أو مع مسحهما ، أو مسحهما بارزتين أو مستورتين بالخف أو غيره قال تعالى ﴿ وأرجلكم الى الكعبين ﴾ قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي و يعقوب « وأرجلكم » بالفتح أي واغسلوا ارجلكم الى الكعبين وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق من الجانبين . وقرأها الباقون - ابن كثير وحمزة وابو عمرو وعاصم - بالجر والظاهر أنه عطف على الرأس اي وامسحوا بأرجلكم الى الكعبين . ومن هنا اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما فالجماهير على ان الواجب هو الغسل وحده والشيعة الإمامية انه المسح وقال داود بن علي والناصر للحق من الزيدية : يجب الجمع بينهما ، ونقل عن الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري ان المكلف مخير بينهما ، وستعلم ان مذهب ابن جرير الجمع

اما القائلون بالجمع فارادوا العمل بالقراءتين معا للاحتياط ولانه المقدم في التعارض اذا امكن ، واما القائلون بالتخيير فاجازوا الاخذ بكل منهما على حدته ، والقائلون بالمسح فقد اخذوا بقراءة الجر وارجعوا قراءة النصب اليها . وذكر الرازي عن القفال ان هذا قول ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح عند ذكر مذهب الجمهور : ولم يثبت عن احد من الصحابة خلاف هذا الا عن علي وابن عباس وانس ، وقد ثبت عنهم الرجوع عن ذلك . واما الجمهور فقد اخذوا بقراءة النصب وارجعوا قراءة الجر اليها ، وايدوا ذلك بالسنة الصحيحة وإجماع الصحابة ، ويزاد على ذلك انه هو المنطبق على حكمة الطهارة . وادعى الطحاوي وابن حزم ان المسح منسوخ

وعمدة الجمهور في هذا الباب عمل الصدر الاول وما يؤيده من الاحاديث القولية ، واصحها حديث ابن عمر في الصحيحين قال : تخلف عنا رسول الله (ص) في سفرة فأدركنا وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا . قال فنادى بأعلى صوته « ويل للأعقاب من النار » مرتين أو ثلاثا . وقد يتجاذب الاستدلال بهذا الحديث الطرفان فللقائلين بالمسح ان يقولوا ان الصحابة كانوا يمسحون فهذا دليل على ان المسح كان هو المعروف عندهم ، وانما أنكر النبي (ص) عليهم عدم مسح أعقابهم . وذهب البخاري الى ان الانكار عليهم كان بسبب

المسح لا بسبب الاقتصار على غسل بعض الرجل ، ذكره في نيل الاوطار ثم قال : قال الحافظ (أي ابن حجر) وهذا ظاهر الرواية المتفق عليها . وفي أفراد مسلم فانتهينا اليهم وأعقابهم بيض تلوح لم يمسها الماء ، فتمسك بهذا من يقول باجزاء المسح ويحمل الانكار على ترك التعميم ، لكن الرواية المتفق عليها أرجح فتحمل عليها هذه الرواية بالتأويل وهو أن معنى قوله لم يمسها الماء أي ماء الغسل جمعا بين الروايتين ، وأصرح من ذلك رواية مسلم عن أبي هريرة ان النبي (ص) رأى رجلا لم يغسل عقبه فقال ذلك . اه وهذه واقعة أخرى

وقد روى ابن جرير المسح عن النبي (ص) وعن كثير من الصحابة والتابعين منهم علي كرم الله وجهه قال : اغسلوا الاقدام الى الكعبين ، وروى عن أبي عبد الرحمن قال قرأ على الحسن والحسين رضوان الله عليهما فقرآ « وأرجلكم الى الكعبين » فسمع علي عليه السلام ذلك وكان يقضي بين الناس فقال : « وأرجلكم » هذا من المقدم والمؤخر من الكلام . وتفسير هذا مارواه عن السدي من قوله : اما « وارجلكم الى الكعبين » فيقول اغسلوا وجوهكم واغسلوا أرجلكم وامسحوا برءوسكم فهذا من التقديم والتأخير . ومنهم عمر وابنه (رض) وروى عن عطاء انه قال : لم أر أحدا يمسح على القدمين . ومذهب مالك الغسل دون المسح وهو يحتج بعمل أهل المدينة فلو كان أحد منهم يمسح لما منع المسح البتة ، ولا يتفقون على الغسل الا لأنه السنة المتبعة من عهد النبي (ص) ولكن ابن جرير روى القول بالمسح عن ابن عباس وأنس من الصحابة وعن بعض التابعين ، ومن الرواية عن ابن عباس ان الوضوء غسلتان ومسحتان ، وعن أنس « نزل القرآن بالمسح والسنة الغسل » وهو من أعلم الصحابة بالسنة لانه كان يخدم النبي (ص) ثم قال ابن جرير بعد سوق الروايات في القولين ما نصه :

والصواب من القول عندنا في ذلك ان الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم واذا فعل ذلك بهما المتوضيء كان مستحقا اسم ماسح غاسل لان غسلهما امرار الماء عليهما أو اصابتهما بالماء ومسحهما امرار اليد وما قام مقام اليد عليهما ، فاذا فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح ، وكذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص

اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله «وأرجلكم» فنصبها بعضهم توجيها منه ذلك الى ان الفرض فيهما الغسل وانكارا منه المسح عليهما مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم مسحهما بالماء، وخفضها بعضهم توجيها منه ذلك الى ان الفرض فيهما المسح، ولما قلنا في تأويل ذلك انه معنيّ به عموم مسح الرجلين بالماء كره من كره للمتوضئ الاجتزاء بادخال رجليه في الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقام اليد توجيها منه قوله « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » الى مسح جميعهما عاما باليد أو بما قام مقام اليد دون بعضهما مع غسلهما بالماء » – (وههنا روى عن الحسن ان لمن يتوضأ في السفينة ان يغمس رجليه في الماء غمسا، وفي رواية يخضخض قدميه في الماء ثم قال)– فاذا كان في المسح المعنيان اللذان وصفنا من عموم الرجلين به بالماء وخصوص بعضهما به وكان صحيحا بالادلة الدالة التي سنذكرها بعد ان مراد الله من مسحهما العموم وكان لعمومها بذلك معنى الغسل والمسح فبيّنٌ صواب قراءة القراءتين جميعا أعني النصب في الارجل والخفض لان في عموم الرجلين بمسحهما بالماء غسلهما وفي امرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحهما ، فوجه صواب من قرأ ذلك نصبا لما في ذلك من معنى عمومها بامرار الماء عليهما ، ووجه صواب قراءة من قرأه خفضا لما في ذلك من امرار اليد عليهما أو ما قام مقام اليد مسحا بهما ، غير ان ذلك وان كان كذلك وكانت القراءتان كلتاهما حسنا صوابا فاعجب القراءتين اليّ ان أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضا لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت، ولانه بعد قوله « وامسحوا برءوسكم » فالعطف به على الرؤس مع قربه منه أولى من العطف به على الايدي وقد حيل بينه وبينها بقوله « وامسحوا برءوسكم » فان قال قائل: وما الدليل على ان المراد بالمسح في الرجلين العموم دون ان يكون خصوصا نظير قولك في المسح بالرأس ؟ قيل: الدليل على ذلك تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ويل للاعقاب وبطون الاقدام من النار » ولو كان مسح بعض القدم مجزيا عن عمومها بذلك لما كان لها الويل بترك ماترك مسحه منها بالماء بعد أن يمسح بعضها ، لان من أدى فرض الله عليه فيما لزمه غسله منها لم يستحق الويل

بل يجب ان يكون له الثواب الجزيل فوجوب الويل لعقب تارك غسل عقبه في وضوئه أوضح الدليل على وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء وصحة ما قلنا في ذلك وفساد ما خالفه اه كلام ابن جرير ورأيه واضح وهو العمل بالقراءتين معا بان يغسل المتوضىء رجليه ويمسحهما بيديه أو غير يديه في أثناء الغسل لأجل استيعاب غسلهما عناية بنظافتهما لأن الوسخ أكثر عروضا لهما من سائر الاعضاء، فاذا لم يمسحا لا يؤثر الماء الذي يصب عليهما التأثير المطلوب لتنظيفهما اذ يغلب عليهما الجفاف والوسخ، ويمسحهما في الغسل يستغنى بقليل الماء عن كثيره في تنظيفهما، والاقتصاد في الماء وغيره من السنة وكانوا في زمن التنزيل قليلي الماء في الحجاز . وقد تنبه الزمخشري لهذا المعنى فقال في بيان حكمة قراءة الجر : الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها، وقيل « الى الكعبين » فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة . اه

وقد أطنب السيد الآلوسي في (روح المعاني) في توجيه كل من أهل السنة والشيعة للقراءتين وتحويل احداهما الى الاخرى ورجح قول أهل السنة ثم تكلم عن الرواية عن الشيعة فقال :

« بقي لو قال قائل: لا أقنع بهذا المقدار في الاستدلال على غسل الأرجل بهذه الآية مالم ينضم اليها من خارج ما يقوى تطبيق أهل السنة فان كلامهم وكلام الامامية في ذلك عسى أن يكونا فرسا رهان؟ قيل له ان سنة خير الورى صلى الله تعالى عليه وسلم وآثار الأئمة رضي الله تعالى عنهم شاهدة على ما يدعيه أهل السنة وهي من طريقهم أكثر من ان تحصى. واما من طريق القوم فقد روى العياشي عن عليّ عن أبي حمزة قال سألت أبا هريرة عن القدمين فقال تغسلان غسلا . وروى محمد بن النعمان عن أبي بصير عن أبي عبدالله رضي الله تعالى عنه قال : اذا نسيت مسح رأسك حتى غسلت رجليك فامسح رأسك ثم اغسل رجليك. وهذا الحديث رواه ايضا الكلبي وابو جعفر الطوسي بأسانيد صحيحة بحيث لا يمكن تضعيفها

ولا تحمل على التقية لأن المخاطب بذلك شيعي خاص . وروى محمد بن الحسن الصفار عن زيد بن علي عن أبيه عن جده أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه انه قال جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما غسلت قدمي قال « يا علي خلل بين الاصابع » ونقل الشريف الرضى عن أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه في نهج البلاغة حكاية وضوئه صلى تعالى عليه وسلم وذكر فيه غسل الرجلين، وهذا يدل على ان مفهوم الآية كما قال أهل السنة ولم يدع أحد منهم النسخ ليتكلف لاثباته كما ظنه من لا وقوف له . وما يزعمه الامامية من نسبة المسح الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وانس بن مالك وغيرهما كذب مفترى عليهم فان احدا منهم ماروي عنه بطريق صحيح انه جوز المسح الا ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فانه قال بطريق التعجب: لانجد في كتاب الله تعالى الا المسح ولكنهم ابو الا الغسل . ومراده ان ظاهر الكتاب يوجب المسح على قراءة الجر التي كانت قراءته ولكن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لم يفعلوا الا الغسل، ففي كلامه هذا اشارة الى أن قراءة الجر مؤولة متروكة الظاهر بعمل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم . ونسبة جواز المسح الى ابي العالية وعكرمة والشعبي زور وبهتان أيضا وكذلك نسبة الجمع بين الغسل والمسح او التخيير بينهما الى الحسن البصري عليه الرحمة، ومثله نسبة التخيير الى محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير والتفسير الشهير ، وقد نشر رواة الشيعة هذه الا كاذيب المختلفة ورواها بعض أهل السنة ممن لم يميز الصحيح والسقيم من الاخبار بلا تحقق ولا سند واتسع الخرق على الراقع . ولعل محمد بن جرير القائل بالتخيير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب الايضاح للمسترشد في الامامة ، لا ابو جعفر محمد بن جرير بن غالب الطبري الشافعي الذي هو من اعلام اهل السنة ، والمذكور في تفسير هذا هو الغسل فقط لا المسح ولا الجمع ولا التخيير الذي نسبه الشيعة اليه . ولا حجة لهم في دعوى المسح بما روي عن امير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه انه مسح وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه وشرب فضل طهوره قائما، وقال: ان الناس يزعمون ان الشرب قائما لا يجوز وقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صنع مثل ما صنعت ، وهذا

وضوء من لم يحدث لان الكلام في وضوء المحدث لا في مجرد التنظيف بمسح الاطراف كما يدل عليه ما في الخبر من مسح المغسول اتفاقا. واما ماروي عن عباد بن تميم عن عمه بروايات ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم توضأ ومسح على قدميه فهو كما قال الحفاظ شاذ منكر لا يصلح للاحتجاج مع احتمال حمل القدمين على الخفين ولو مجازا، واحتمال اشتباه القدمين المتخففين بدون المتخففين من بعيد. ومثل ذلك عند من اطلع على احوال الرواة ماروا الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر رضي الله تعالى عنه عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبريل عليه السلام. وما روي عن احمد ابن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر رضي الله تعالى عنه عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفيه على الاصابع ثم مسحهما الى الكعبين، فقلت له لو ان رجلا قال بأصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين ايجزئ؟ قال لا الا بكفه كلها، الى غير ذلك مما روته الامامية في هذا الباب ومن وقف على احوال رواتهم، لم يعول على خبر من اخبارهم، وقد ذكرنا نبذة من ذلك في كتابنا (النفحات القدسية في رد الامامية) على ان لنا ان نقول لو فرض ان حكم الله تعالى المسح على مايزعمه الامامية من الآية فالغسل يكفي عنه ولو كان هو الغسل لا يكفي عنه فبالغسل يلزم الخروج عن العهدة بيقين دون المسح، وذلك لان الغسل محصل لمقصود المسح من وصول البلل وزيادة، وهذا مراد من عبر بانه مسح وزيادة فلا يرد ما قيل من ان الغسل والمسح متضادان لا يجتمعان في محل واحد كالسواد والبياض، وايضا كان يلزم الشيعة الغسل لانه الانسب بالوجه المعقول من الوضوء وهو التنظيف للوقوف بين يدي رب الارباب سبحانه وتعالى لانه الاحوط ايضا لكون سنده متفقا عليه للفريقين كما سمعت دون المسح للاختلاف في سنده، وقال بعض المحققين قد يلزمهم بناء على قواعدهم ان يجوزوا الغسل والمسح ولا يقتصروا على المسح فقط اهـ كلام الآلوسي

أقول ان في كلامه عفا الله عنه تحاملا على الشيعة وتكذيبا لهم في نقل وجد مثله في كتب أهل السنة كما تقدم، والظاهر انه لم يطلع على تفسير ابن جرير الطبري وقد نقلنا بعض رواياته ونص عبارته في الراجح عنده آنفا. وصفوة القول في مسألة فرض الرجلين في الوضوء

يتضح بامور (١) أن ظاهر قراءة النصب وجوب الغسل وظاهر قراءة الجر وجوب المسح (٢) ان مجال النحو واسع لمن أراد رد كل قراءة منهما الى الاخرى وربما كان رد النصب الى الجر أوجه في فن الاعراب، وكذلك مجال التجوز كقول أهل السنة أن المراد بمسح الرجلين غسلهما لانه ورد اطلاق لفظ التمسح على الوضوء ، وهو تكلف ظاهر ، وأقوى الحجج اللفظية لأهل السنة على الامامية جعل الكعبين غاية طهارة الرجلين وهذا لا يحصل الا باستيعابهما بالماء لأن الكعبين هما العظمان الناتئان في جانبي الرجل ، والامامية يمسحون ظاهر القدم الى معقد الشراك عند المفصل بين الساق والقدم ويقولون انه هو الكعب ففي الرجل كعب واحد على رأيهم، ولو صح هذا لقال الى الكعاب كما قال في اليدين الى المرافق لأن في كل يد مرفق واحد (٣) ان القول بكل من الغسل والمسح مروي عن السلف من الصحابة والتابعين ولكن العمل بالغسل أعم وأكثر وهو الذي غلب واستمر ، ولم ينقل عن النبي (ص) غيره الا مسح الخفين (٥) ان القول بعدم جواز الغسل أبعد عن النقل والعقل من القول بعدم جواز المسح وان روي كل منهما ، اما النقل فلانه ظاهر قراءة النصب ولصحة الروايات فيه ، واما العقل فلان الغسل هو الذي تحصل به الطهارة أي المبالغة في النظافة التي شرع الوضوء والغسل لاجلها ، كما هو منصوص في الآية نفسها ، ولأن المسح قد يدخل في الغسل دون العكس (٦) اذا قيل ان القراءتان متعارضتان والسنن متعارضة أيضاً نقول ان أهل السنة والشيعة متفقون على انه اذا أمكن الجمع بين المتعارضين يقدم على ترجيح أحدهما على الآخر ، والجمع هنا ممكن بما قاله ابن جرير وهو المسح في أثناء الغسل ، لان المسح هو امرار ما يمسح به على ما يمسح والصاقه به ، وصب الماء لا يمنع منه ، بل يتحقق به ، والآية لم تقل امسحوا أرجلكم بالماء ولا رؤوسكم، ولو قال هذا لكان أمراً بامرار اليد بغير ماء كمسح رأس اليتيم . ولكن لما قال « وامسحوا برؤوسكم » في سياق الوضوء علم بالقرينة وبباء الالصاق ان ذلك يحصل ببل اليد بالماء ومسحها بالرأس ، ولما قال « وأرجلكم » بالنصب والجر ولم يقل وبأرجلكم كان الظاهر ان يغسل الرجلان ويمسحا في أثناء الغسل بادارة اليد عليهما ، والا كان أمراً بامرار

اليد عليهما بغير ماء وهو غير معقول ولم يقل به أحد ، (٧) اذا امكن المراء فيما قاله ابن جرير فلا يمكن أن يماري أحد في الجمع بين المسح والغسل بالبدء بالاول على الوجه الذي يقول به موجبو المسح والتثنية بالغسل المعروف . (٨) لا يعقل لإيجاب مسح ظاهر القدم باليد المبللة بالماء حكمة بل هو خلاف حكمة الوضوء لأن طروء الرطوبة القليلة على العضو الذي عليه غبار أو وسخ يزيد وساخته و ينال اليد الماسحة حظ من هذه الوساخة ، ولولا فتنة المذاهب بين المسلمين لما تشعب هذا الخلاف في هذه المسألة وأمثالها كالمسح على الخفين

وخلاصة الخلاصة أن الغسل للرجلين المكشوفتين ومسح المستورتين هو الثابت بالسنة المتواترة المبينة للقرآن والموافق لحكمة هذه الطهارة ولا تعارض بين القراءتين ، ومن سرى اليه شيء من قراءة الجر في الصدر الاول رجع عنه لبيان النبي صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم وأحكم

المسح على الخفين وما في معناهما

ورد في المسح أحاديث كثيرة متفق على صحتها بين المحدثين . قال النووي في شرح مسلم وقد روى المسح على الخفين خلائق لايحصون من الصحابة ،قال الحسن حدثني سبعون من أصحاب رسول الله (ص) ان رسول الله (ص) كان يمسح على الخفين ، أخرجه عنه ابن أبي شيبة . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة . ونقل ابن المنذر عن ابن المبارك انه ليس في المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف لان كل من روي عنه منهم إنكاره فقد روي عنه اثباته . وأقوى الاحاديث حجة فيه حديث جرير فقد روى عنه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي انه بال ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل له : تفعل هكذا ؟ قال نعم رأيت رسول الله (ص) بال ثم توضأ ومسح على خفيه . قال أبو داود : فقال جرير لما سئل: هل كان هذا قبل المائدة أو بعدها ؟ « ما أسلمت الا بعد المائدة» . وفي الترمذي مثل هذا وقال الترمذي: هذا حديث مفسر لان بعض

من أنكر المسح على الخفين تأول مسح النبي (ص) على الخفين انه كان قبل نزول آية الوضوء التي في المائدة فيكون منسوخا اه

وهذا التأول هو سبب إنكار بعض الصحابة للمسح بعد المائدة وكأنه لما استفاض بينهم النقل عن مثل جرير رجعوا عن الانكار . وما روي في الانكار عن علي وأبي هريرة وعائشة لا يصح بل صح المسح عن علي وأبي هريرة بعد موت النبي (ص) . قال في نيل الاوطار : وأما القصة التي ساقها الامير الحسين في الشفاء وفيها المراجعة الطويلة بين علي وعمر واستشهاد علي لاثنين وعشرين من الصحابة فشهدوا بأن المسح كان قبل المائدة فقال ابن بهران (من علماء الشيعة الزيدية) لم أر هذه القصة في شيء من كتب الحديث ويدل لعدم صحتها عند أئمتنا ان الامام المهدي نسب القول بمسح الخفين في البحر الى عليّ عليه السلام اه ونقول هب انها صحت أليس قصاراها اثبات المسح قبل المائدة ونفيه بعدها بطريق اللزوم أو النص ؟ أوليس من القواعد ان المثبت مقدم على النافي ؟ بلى والصواب أن النقل الثابت المتواتر عن الصحابة هو المسح وان ماروي خلافه لايعارضه وقد عرف ان سببه اما عدم رؤية المسح واما ظن انه قد نسخ ، ثم عرف جمهورهم انه لم ينسخ وجرى على ذلك العمل

وأما فقهاء المذاهب وعلماء الامصار فقد اتفق أهل السنة منهم على جواز المسح. قال الحافظ ابن عبد البر : لا أعلم من روى عن أحد من فقهاء السلف إنكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة مصرحة عنه باثباته اه وقال ابن رشد الحفيد في بداية المجتهد في المسألة الاولى من مسائل المسح : فاما الجواز فيه ثلاثة أقوال القول المشهور انه جائز على الاطلاق وبه قال جمهور فقهاء الامصار ، والقول الثاني جوازه في السفر دون الحضر ، والقول الثالث منع جوازه باطلاق وهو أشذها ، والاقاويل الثلاثة مروية عن الصدر الأول وعن مالك . والسبب في اختلافهم مايظن من معارضة آية الوضوء الواردة في الامر بغسل الأرجل للآثار التي وردت في المسح مع تأخر آية الوضوء . وهذا الخلاف كان بين الصحابة في الصدر الأول فكان منهم من يرى أن آية الوضوء ناسخة لتلك الآثار وهو مذهب ابن عباس ،واحتج

القائلون بجوازه بما رواه مسلم انه كان يعجبهم حديث جرير وذلك انه روى انه رأى النبي عليه الصلاة والسلام يمسح على الخفين فقيل له انما كان ذلك قبل نزول المائدة فقال: ما أسلمت الا بعد نزول المائدة. وقال المتأخرون القائلون بجوازه ليس بين الآية والآثار تعارض لان الامر بالغسل متوجه الى من لاخف له والرخصة انما هي للابس الخف. وقيل ان تأويل قراءة الارجل بالخفض هو المسح على الخفين. وأما من فرق بين السفر والحضر فلان اكثر الآثار الصحاح الواردة في مسحه عليه الصلاة والسلام انما كانت في السفر مع ان السفر مشعر بالرخصة والتخفيف، والمسح على الخفين هو من باب التخفيف فان نزعه مما يشق على المسافر اه كلام ابن رشد. ويرد حجة المفرقين بين السفر والحضر الاحاديث الصحاح في التوقيت وسيأتي الكلام فيه، وموافقة مسح الخفين لمسح العمامة، ولحكمة التشريع ويؤيدها اشتراط لبس الخفين على طهارة وسيأتي

ونقل في نيل الاوطار اثبات المسح في السنة وتواتره عن الصحابة واتفاق علماء السلف عليه الا ما روي عن مالك من الخلاف في جوازه مطلقا أو للمسافر دون المقيم وعن ابن نافع في المبسوط ان مالكا انما كان يتوقف في خاصة نفسه مع افتائه بالجواز. ثم قال: وذهبت العترة جميعا والامامية والخوارج وأبو بكر بن داود الظاهري الى انه لايجزئ المسح عن غسل الرجلين واستدلوا بآية المائدة وبقوله (ص) لمن علمه « واغسل رجلك » ولم يذكر المسح وقوله بعد غسلها « لايقبل الله الصلاة من دونه » قالوا والاخبار بمسح الخفين منسوخة بالمائدة، وأجيب عن ذلك

(ثم ذكر الاجوبة فقال مانصه): « اما الآية فقد ثبت عنه (ص) المسح بعدها كما في حديث جرير المذكور في الباب وأما حديث « واغسل رجلك » فغاية مافيه الامر بالغسل وليس فيه مايشعر بالقصر ولو سلم وجود مايدل على ذلك لكان مخصصا بأحاديث المسح المتواترة. وأما حديث لايقبل الله الصلاة بدونه فلاينتهض للاحتجاج به فكيف يصلح لمعارضة الاحاديث المتواترة مع انا لم نجده بهذا اللفظ من وجه يعتد به. وأما حديث ويل للاعقاب من النار فهو وعيد لمن مسح رجليه ولم يغسلهما ولم يرد في المسح على الخفين، فان قلت هو عام فلا يقصر على السبب، قلت

لا نسلم شموله لمن مسح على الخفين فانه يدع رجله كلها ولا يدع العقب فقط ، سلمنا فاحاديث المسح على الخفين مخصصة للماسح من ذلك الوعيد . وأما دعوى النسخ فالجواب ان الآية عامة أومطلقة باعتبار حالتي لبس الخف وعدمه فتكون أحاديث الخفين مخصصة أو مقيدة فلا نسخ، وقد تقرر في الاصول رجحان القول ببناء العام على الخاص مطلقا. وأما من يذهب الى أن العام المتأخر ناسخ فلا يتم له ذلك الا بعد تصحيح تأخر الآية وعدم وقوع المسح بعدها، وحديث جرير نص في موضع النزاع، والقدح في جرير بأنه فارق عليا ممنوع فانه لم يفارقه وانما احتبس عنه بعد إرساله الى معاوية لاعذار، على أنه قد نقل الامام الحافظ محمد بن ابراهيم الوزير الاجماع على قبول رواية فاسق التأويل في عواصمه وقواصمه من عشر طرق ونقل الاجماع أيضا من طرق أكابر ائمة الآل وأتباعهم على قبول رواية الصحابة قبل الفتنة و بعدها ، فالاسترواح الى الخلوص عن أحاديث المسح بالقدح في ذلك الصحابي الجليل بذلك الامر مما لم يقل به أحد من العترة وأتباعهم وسائر علماء الاسلام، وصرح الحافظ في الفتح بأن آية المائدة نزلت في غزوة المريسيع وحديث المغيرة الذي تقدم وسيأتي كان في غزوة تبوك، وتبوك متأخرة بالاتفاق، وقد صرح أبو داود في سننه بأن حديث المغيرة في غزوة تبوك وقد ذكر البزار ان حديث المغيرة هذا رواه عنه ستون رجلا

« واعلم أن في المقام مانعا من دعوى النسخ لم يتنبه له أحد فيما علمت وهو أن الوضوء ثابت قبل نزول المائدة بالاتفاق فان كان المسح على الخفين ثابتا قبل نزولها فورودها بتقرير أحد الأمرين اعني الغسل مع عدم التعرض للآخر وهو المسح لا يوجب نسخ المسح على الخفين لا سيما اذا صح ما قاله البعض من ان قراءة الجر في قوله في الآية (وأرجلكم) مراد بها مسح الخفين . وأما اذا كان المسح غير ثابت قبل نزولها فلا نسخ بالقطع، نعم يمكن أن يقال على التقدير الأول ان الأمر بالغسل نهي عن ضده والمسح على الخفين من أضداد الغسل المأمور به، لكن كون الامر بالشيء نهيا عن ضده محل نزاع واختلاف وكذلك كون المسح على الخفين ضدا للغسل، وما كان بهذه المثابة حقيق بأن لا يعول عليه لا سيما في ابطال

مثل هذه السنة التي سطعت أنوار شموسها في سماء الشريعة المطهرة

« والعقبة الكؤود في هذه المسئلة نسبة القول بعدم اجزاء المسح على الخفين الى جميع العترة المطهرة كما فعله الامام المهدي في البحر، ولكنه يهون الخطب بأن امامهم وسيدهم أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب من القائلين بالمسح على الخفين ، وأيضا هو اجماع ظني وقد صرح جماعة من الأئمة منهم الامام يحيى بن حمزة بأنها تجوز مخالفته ، وأيضا فالحجة إجماع جميعهم وقد تفرقوا في البسيطة وسكنوا الاقاليم المتباعدة وتمذهب كل واحد منهم بمذهب أهل بلده، فمعرفة اجماعهم في جانب التعذر وأيضا لايخفى على المنصف ماورد على اجماع الامة من الايرادات التي لا يكاد ينتهض معها للحجية بعد تسليم امكانه و وقوعه وانتفاء حجية الاعم يستلزم انتفاء حجية الاخص اه

أقول أما حديث المغيرة بن شعبة الذي أشار اليه وقال انه كان في غزوة تبوك وقال انه تقدم وسيأتي فهو كما جاء في باب جواز المعاونة على الوضوء من المتن وعزاه الى الصحيحين « انه كان مع رسول الله (ص) في سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على الخفين » قال في الشرح : الحديث اتفقا عليه بلفظ : كنت مع النبي(ص) في سفر فقال لي يامغيرة خذ الاداوة فأخذتها ثم خرجت معه وانطلق حتى توارى عني حتى قضى حاجته ثم جاء وعليه جبة شامية ضيقة الكمين فذهب يخرج يده من كمها فضاق فأخرج يده من أسفلها ، فصببت عليه فتوضأ وضوءه للصلاة ثم مسح على خفيه . اه ومن المعلوم ان النبي (ص) انما لبس الجبة الرومية في غزوة تبوك كما ثبت في الصحيح وهي بعد نزول المائدة و بعد فتح مكة . ثم ذكر الحديث في باب شرعية المسح على الخفين من المتن وعزاه الى أحمد وأبي داود وفيه زيادة قلت : يا رسول الله آنسيت ؟ قال « بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي عز وجل » قال في الشرح الحديث اسناده صحيح اه أقول لعله مما يستدل به من قالوا ان قراءة (وأرجلكم) بالجر مراد بها مسح الخفين

المسح على كل ساتر كالجوربين والنعلين

قال في منتقى الاخبار : عن بلال قال رأيت النبي (ص) يمسح على الموقين

والخمار رواه أحمد . ولابي داود : كان يخرج فيقضي حاجته فآتيه بالماء فيتوضأ ويمسح على عمامته وموقيه . ولسعيد بن منصور في سننه عن بلال قال سمعت رسول الله (ص) يقول « امسحوا على النصيف والموق » . وعن المغيرة بن شعبة ان رسول الله (ص) توضأ ومسح على الجوربين والنعلين . رواه الخمسة (أي أحمد وأصحاب السنن الاربعة) الا النسائي وصححه الترمذي اه

وقال شارحه ان حديث بلال أخرجه الترمذي والطبراني والضياء أيضا . . . قال أبو داود ومسح على الجوربين علي بن طالب وابن مسعود والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو أمامة وسهل بن سعد وعمرو بن حريث وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس . وذكر روايات أخرى للحديث أعلوها ثم قال :

« والحديث بجميع رواياته يدل على جواز المسح على الموقين وهما ضرب من الخفاف قاله ابن سيده والأزهري ، وهو مقطوع الساقين قاله في الضياء . وقال الجوهري الموق الذي يلبس فوق الخف قيل وهو عربي وقيل فارسي معرب — وعلى جواز المسح على العمامة . وعلى جواز المسح على النصيف وهو أيضا الخمار قاله في الضياء - وعلى جواز المسح على الجورب وهو لفافة الرجل قاله في الضياء والقاموس وقد تقدم انه الخف الكبير ، وقد قال بجواز المسح عليه من ذكره ابو داود من الصحابة ، وزاد ابن سيد الناس في شرح الترمذي عبد الله بن عمر وسعد بن ابي وقاص وابا مسعود البدري عقبة بن عمرو ، وقد ذكر في الباب الاول ان المسح على الخفين مجمع عليه بين الصحابة وعلى جواز المسح على النعلين . وقيل وانما يجوز على النعلين اذا لبسهما فوق الجوربين . قال الشافعي ولا يجوز مسح الجوربين الا أن يكونا بنعلين يمكن متابعة المشي عليهما » اه

أقول انما اشترط بعضهم في المسح على النعلين أن يلبسا على الجوربين لأن نعالهم لم تكن تستر الرجلين ومتى كانت الرجل مكشوفة كلها أو أكثرها وجب مسحها . واما النعال المستعملة الآن التي تستر القدمين فلا يشترط ان تلبس على الجوارب على انها تلبس عليها غالبا . وقد علمت ان الجوارب هي التي يسميها عامة المصريين « شرابات » وعامة الشوام « قلاشين » وكل ما يستر الرجلين يمسح

عليه لا عبرة بالاسماء ولا اجناس . وما دام الساتر يلبس عادة يمسح عليه لا يمنع من ذلك حدوث الخروق فيه، لأن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يمسحون في الاسفار الطويلة كسفر غزوة تبوك ولا يعقل ان تخلو خفافهم من الخروق، ولم ينقل ان أحداً نهى عن المسح على خف فيه خروق ، ولو وقع ذلك لتوفرت الدواعي على نقله . ولكن بعض الفقهاء الذين كانوا يعيشون في حواضر الامصار ذات السعة واليسار كبغداد ومصر والمدينة المنورة شددوا في كثير من الاحكام بالرأي والقياس

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في فتوى له : « والمسح على الخفين قد اشترط فيه طائفة من الفقهاء شرطين (أحدهما) ان يكون ساترا لمحل الفرض وقد تبين ضعف هذا الشرط (أي من كلام له في أول الفتوى بين انه مخالف لاطلاق النصوص في المسح والمعلوم بالضرورة من حال الصحابة وهو ما أشرنا اليه آنفا وللقياس) (والثاني) ان يكون الخف يثبت بنفسه ، وقد اشترط ذلك الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد ، فلو لم يثبت الا بشده بشيء سير أو خيط متصل به أو منفصل عنه ونحو ذلك لم يمسح. وان ثبت بنفسه لكنه لا يستر جميع المحل الا بالشد كالزربول الطويل المشقوق يثبت بنفسه لكن لا يستر الى الكعبين الا بالشد ففيه وجهان أصحهما انه يمسح عليه . وهذا الشرط لا أصل له في كلام أحمد بل المنصوص عنه في غير موضع انه يجوز المسح على الجوربين وان لم يثبتا بأنفسهما بل بنعلين تحتهما، وانه يمسح على الجوربين مالم يخلع النعلين (أي ولا يشترط هذا في الجوربين اللذين يثبتان بأنفسهما كالجوارب المستعملة في هذا العصر)

« فاذا كان أحمد لا يشترط في الجوربين ان يثبتا بأنفسهما بل اذا ثبتا بالنعلين جاز المسح عليهما فغيرهما بطريق الاولى . وهنا قد ثبتا بالنعلين وهما منفصلان عن الجوربين فالزربول الذي لا يثبت الا بسير يشده به متصلا به أو منفصلا عنه أولى بالمسح عليه من الجوربين . وهكذا ما يلبس على الرجل من فرو وقطن وغيرهما اذا ثبت ذلك بشدهما بخيط متصل أو منفصل مسح عليهما بطريق الاولى

« فان قيل فيلزم من ذلك المسح على اللفائف وهو ان يلف على الرجل لفائف من البرد أو خوف الحفاء أو من جراح بهما ونحو ذلك . قيل في هذا وجهان ذكرها

الحلواني والصواب انه يمسح على اللفائف وهي بالمسح أولى من الخف والجورب ، فان اللفائف انما تستعمل في العادة وفي نزعها ضرر - إما إصابة البرد وإما التأذي بالحفاء وإما التأذي بالجرح - فاذا جاز المسح على الخفين والجور بين فعلى اللفائف بطريق الاولى . ومن ادعى في شيء من ذلك اجماعا فليس معه الا عدم العلم ولا يمكنه ان ينقل المنع عن عشرة من العلماء المشهورين فضلا عن الاجماع، والنزاع في ذلك معروف في مذهب احمد وغيره ».

ثم ذكر خلاف السلف وأهل البيت في المسح وقال

« فعلم ان هذا الباب مما هابه كثير من السلف والخلف حيث كان الغسل هو الفرض الظاهر المعلوم فصاروا يجوزون المسح حيث يظهر ظهوراً لا حيلة فيه ولا يطردون فيه قياسا صحيحا ولا يتمسكون بظاهر النص المبيح والا فمن تدبر ألفاظ الرسول (ص) وأعطى القياس حقه علم أن الرخصة منه في هذا الباب واسعة ، وان ذلك من محاسن الشريعة ومن الحنيفية السمحة التي بعث بها . وقد كانت أم سلمة تمسح على خمارها فهل تفعل ذلك بدون اذنه ؟ وكان أبو موسى الاشعري وأنس يمسحان على القلانس . ولهذا جوز أحمد هذا وهذا في الروايتين عنه . وجوز أيضا المسح على العمامة » اه

ثم ذكر قول من اشترط في العمامة ان تكون محنكة لانها يعسر نزعها وضعفه وبين ان سبب تحنيك العمائم طرد الخيل والجهاد لئلا تسقط وان أولاد المهاجرين والانصار لبسوا العمائم بلا تحنيك ثم كان الجند يربطون العمائم بالكلاليب أو العصائب، وانتقل من المقابلة والتنظير بين المسح عليها وعلى الخف الى المسح على الجبيرة وكونه يكون واجبا ،والى نظائر اخرى لا محل لذكرها هنا . وجملة القول ان مذهب الحنابلة في باب المسح أوسع المذاهب وأقربها الى السنة ويسر الشريعة كما أن مذهب المالكية أوسع في باب الطهام ، وكل ما كان أيسر ، فهو الى الحق أقرب ، (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وسيأتي بيان هذا في آخر الآية التي نحن بصدد تفسيرها

شرط المسح لبس الخف على طهارة

جاء في احدى روايات حديث المغيرة بن شعبة المتقدم الثابت في الصحيحين وغيرهما انه قال : كنت مع النبي (ص) ذات ليلة في مسير فأفرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه وغسل ذراعيه ومسح برأسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال « دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين » فمسح عليهما . وروى الحميدي في مسنده عنه قال : قلنا يارسول الله ايمسح احدنا على الخفين ؟ قال « نعم اذا ادخلهما وهما طاهرتان » وروى الشافعي واحمد وابن خزيمة والترمذي والنسائي وصححاه وغيرهم عن صفوان ابن عسال قال « أمرنا - يعني النبي (ص) - ان نمسح على الخفين اذا نحن ادخلناهما على طهر ثلاثا اذا سافرنا ويوما وليلة اذا أقمنا ولا نخلعهما الا من جنابة » وقد حمل الجمهور الطهارة في الحديث على الطهارة الشرعية فاشترطوا لجواز المسح ان يلبس الخف وما في معناه على وضوء . وذهب داود الظاهري الى ان المراد بها الطهارة اللغوية يعني انه لبسهما ورجلاه نظيفتان لاقذر عليهما ولا نجس اه

انما المسح على ظهر الخف

روى ابو داود والدار قطني عن علي كرم الله وجهه قال : « لو كان الدين بالرأي لكان اسفل الخف أولى بالمسح من اعلاه ، لقد رأيت رسول الله (ص) يمسح على ظاهر خفيه » قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام : اسناده حسن، وقال في التلخيص: اسناده صحيح . وروى احمد وابو داود والترمذي وحسنه عن المغيرة بن شعبة قال : رأيت رسول الله (ص) يمسح على ظهور الخفين . وجمهور العلماء على ان مسح ظهور الخفين كاف وهو المشروع وقال بعضهم لابد من مسح ظهورهما و بطونهما وروي عن ابن عمر انه كان يمسح على أعلى الخف وأسفله، وروى احمد وابو داود والترمذي والدارقطني وغيرهم عن المغيرة بن شعبة ان النبي (ص) مسح اعلى الخف وأسفله ، ولكن هذا الحديث معلول وقال ابو زرعة والبخاري لايصح . والعمدة ان الواجب في المسح مايطلق عليه اسم المسح

توقيت المسح

تقدم حديث صفوان بن عسال فيه . وروى احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن شريح بن هانئ قال سألت عائشة (رض) عن المسح على الخفين فقالت : سل عليا فانه أعلم بهذا مني ، كان يسافر مع رسول الله (ص) فسألته فقال قال رسول الله (ص) « المسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة » وروى احمد وابو داود والترمذي وابن حبان وصححاه عن خزيمة بن ثابت عن النبي (ص) انه سئل عن المسح على الخفين فقال « للمسافر ثلاثة ايام ولياليهن وللمقيم يوم وليلة » زاد في رواية ابي داود وابن ماجه وابن حبان « ولو استزدناه ازادنا » وحديث ابن ابي عمارة عند ابي داود صريح في الزيادة الى السبع ثم قال (ص) « نعم وما بدا لك » ولكن لا يصح . وجمهور علماء السلف على التوقيت بثلاثة أيام بلياليها للمسافر ويوم وليلة للمقيم . ومذهب مالك والليث بن سعد انه لاوقت له وان من لبس خفيه على طهارة مسح ما بدا له المسافر والمقيم فيه سواء . ذكره في نيل الاوطار وقال : وروي مثل ذلك عن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر وعبد الله ابن عمر والحسن البصري اه

﴿ ترتيب أعمال الوضوء ﴾

تلك فرائض الوضوء العملية المنصوصة وقد ذكرت في الآية مرتبة مع فصل الرجلين عن اليدين وفريضة كل منهما الغسل بالرأس الذي فريضته المسح ، ومضت السنة العملية في هذا الترتيب فدل ذلك على اشتراطه فيها ، وصح حديث « ابدأوا بما بدأ الله به » وهو عام وان كان سببه خاصا لوروده في السعي بين الصفا والمروة . ويؤيد الكتاب والسنة في ذلك القياس على سائر العبادات المركبة التي التزم النبي (ص) فيها كيفية خاصة كالصلاة ، ولا شك في ان الوضوء عبادة ومدار الأمر في العبادات على الاتباع فليس لأحد أن يخالف المأثور في كيفية وضوئه كما انه ليس له ان يخالفه في الصلاة كعدد الركوع والسجود وترتيبهما . ولا يظهر التعبد والاذعان لأمر الشارع وهديه في شيء من العبادة كما يظهر في التزام الكيفية المأثورة . ومن فوائد هذا الالتزام أنه من الامور التي تتوحد بها شخصية الامة فانما الامم بالصفات والاعمال

المشتركة التي تجمع بينها ، كما يدل عليه ما ورد في تعليل النهي عن الاختلاف في صفوف الصلاة . وقد صرح الشافعي بعدّ الترتيب من فرائض الوضوء وصرح الحنفية بأنه سنة لا فرض ، ونحمد الله ان كان الخلاف بالقول لا بالعمل ، فالكل يرتبون هذه الاعمال كما رتبها الله تعالى في كتابه ورسوله (ص) بسنته ، ولو عمل الناس بدعوى الجواز فتوضأ كل أهل مذهب بكيفية لكان عملهم هذا من شر ما تفرقوا فيه فتفرقت قلوبهم وضعف مجموعهم

﴿ النية للوضوء ككل عبادة ﴾

روي عن أئمة آل البيت عليهم السلام وعن اشهر علماء الامصار اشتراط النية في الوضوء فهو مذهب ربيعة ومالك والشافعي واحمد والليث واسحق بن راهويه ، واستدلوا على فرضيتها بحديث « انما الاعمال بالنية وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » رواه الجماعة كلهم من حديث عمر . واستدل عليه بعضهم بآية الوضوء نفسها لأن ترتيب أعمال الوضوء على القيام الى الصلاة يدل على ان هذه الاعمال لأجل الصلاة وذلك لا يكون الا بالنية . وقد عرف الشافعية النية بأنها قصد الشيء مقترنا بفعله، واشترطوا لتحققها وصحتها عدة شروط . وقال البيضاوي : النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلا ، والشرع خصصه بالارادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله وامتثال حكمه . ولهم في تعريفها أقوال أخرى وهذا أحسن ما رأيناه لهم فيها لأنه جامع المعنى الطبعي والمعنى الشرعي

ذلك أن النية نيتان : نية شرعية وسيأتي معناها ، ونية طبيعية وهي القصد الذي يتميز به فعل المختار الشاعر بفعله عن فعل المضطر والذاهل الذي تشبه حركته حركة النائم ، وهذا المعنى للنية ضروري في تحقق الفعل الاختياري فلا معنى للقول بوجوبه وافتراضه ، وقد يظهر القول بعده شرطا ليخرج به ما يقع للمحدث من غسل أطرافه لنحو الابتراد -وناهيك اذا غسلها بغير الترتيب المأثور- فاذا اراد الصلاة بعد ذلك يجب عليه الوضوء لها ، لأن عمله السابق لم يكن امتثالا لما أمر الله به وجعله شرطا لها .

وليس هذا هو المراد من النية بالحديث، وانما المراد المعنى الثاني للنية وهو الغرض الباعث على الفعل الاختياري وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى باتباع ما شرعه والاتيان به على الوجه الذي شرعه لأجله ، وهذا هو الإخلاص أو يلزم منه الاخلاص ، أي جعل العبادة خالصة من شوائب الرياء والاهواء لا غرض منها الا ما ذكر من التحقق بها على وجهها ، وابتغاء مرضاة الله تعالى فيها . كل من يهاجر يقصد الهجرة قصدا مقترنا بالفعل ، وكل من يتوضأ يقصد الوضوء عند الشروع فيه ، وكل من يصلي يقصد الاتيان باعمال الصلاة عند الشروع فيها ، وكل من يحرم بالحج يقصد الاتيان بمناسكه ، وما كل من يتلبس بهذه العبادات يقصد بها مرضاة الله تعالى بتحصيل الغرض منها كنصر الله ورسوله وإقامة دينه بالهجرة في عهد النبي (ص) وكالتمكن من إقامة الدين والاهتداء به بهجرة المسلم في هذا الزمان من مكان لا حرية له في دينه فيه إلى غيره . وقل مثل هذا في الوضوء وحكمته التي شرع لأجلها والصلاة وحكمتها والحج وحكمته ، فكما يهاجر بعض الناس لأجل الدين في الظاهر ولأجل التجارة أو الزواج أو غير ذلك من أغراض الدنيا في الباطن ، كذلك يسافر بعض الناس الى الحج لأجل التجارة والكسب أو غير ذلك من أغراض الدنيا فقط ، ومنها الرياء والسمعة ، واذا كان في الناس من يصلي رياء وسمعة ومنهم من يصلي لموافقة من يعيش معهم في عاداتهم كما يوافقهم في الزيّ والطعام والشراب، ففيهم من يصلي ابتغاء مرضاة الله والاستعانة بمناجاته وذكره على تهذيب نفسه ونهيها عن الفحشاء والمنكر، وكل منهم ينوي النية الطبيعية وهي قصد أعمال الصلاة عند فعلها ، اذ لا تحصل هذه الصلاة الا بهذا القصد

فظهر من هذا ان النية الطبيعية التي هي قصد الشيء عند فعله ضرورية لا معنى لفرضيتها وعدها من اركان الصلاة ، وان النية الواجبة في جميع الاعمال المشار اليها في الحديث هي النية بالمعنى الآخر الذي شرحناه، وبه يتحقق الاخلاص الذي هو روح العبادة وينتفي الرياء الذي هو شعبة من الشرك . ومن لاحظ له من هذه النية لاحظ له من عبادة الله تعالى، وما يأتيه من صورة العبادة لا يقبله الله منه في الآخرة، لانه لا تصلح به حاله ولا تتزكى به نفسه في الدنيا ، وان أنكر هذا الجسمانيون

الجامدون الذين جعلوا الدين عبارة عن حركات لسانية و بدنية لا علاقة لها بالقلب، ولا فائدة لها في تزكية النفس، فتراهم من أشد خلق الله تنطعا في ظواهر العبادة وأشدهم انسلاخا من روحها وسرها وحكمتها، وجعلوها حرجا وعسرا خلافا لما قاله الله تعالى. يتنطعون في الطهارة، وقد علت أجسادهم وثيابهم الوساخة، ويتنطعون في تجويد القراءة وحركات الاعضاء في الصلوات، ولا ينتهون عن الفواحش والمنكرات

ومن العجائب انهم جهلوا حقيقة النية المشروعة التي هي من أعمال القلب المحضة وابتدعوا كلمات يسمونها النية اللفظية لم يأذن بها الله ولا رسوله ولا عرفت في سنة ولا عن أحد من السلف، وقد غلوا في التنطع بها حتى انهم يؤذون المصلين بأصواتهم، ومنهم الوسوسون الذين يكررون هذه الاقوال و يرفعون بها أصواتهم: نويت فرائض الوضوء مع سننه، نويت فرائض الوضوء مع سننه ... الخ و يفعلون مثل هذا في نية الصلاة عند تكبيرة الاحرام، وأكثر هؤلاء الوسوسين من الشافعية الذين دقق بعض فقهائهم في فلسفة نيتهم فاشترط ان يتصور المصلي جميع أركان الصلاة القولية والعملية عند البدء بها، وذلك بين النطق بهمزة لفظ الجلالة المفتوحة وراء أكبر الساكنة من كلمة (الله اكبر) ليتحقق معنى قصد الشيء مقترنا بفعله، والمعلوم من الدين بالضرورة ان المطلوب عند كل ذكر تصور معناه فاذاً لا ينبغي للمصلي أن يتصور عند التكبير الا معنى التكبير، والامر لله العلي الكبير،

التسمية قبل الوضوء والذكر والدعاء بعده

ورد في التسمية للوضوء أحاديث ضعيفة يدل بعضها على وجوبها و بعضها على استحبابها قال الحافظ ابن حجر الظاهر ان مجموعها يحدث منها قوة تدل على ان له أصلا، ودعمها النووي بحديث «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أجذم» وهو مثلها. ولما كانت التسمية أمرا حسنا في نفسه ومشروعا في الجملة تساهل الفقهاء في علل ماورد فيها من الاحاديث وقال بعضهم بوجوبها و بعضهم بسنتها. حتى ان ابن القيم المحقق الشهير قال في بيان هدي النبي (ص) في الوضوء من كتابه (زاد المعاد): ولم يحفظ عنه انه كان يقول على وضوئه شيئا غير التسمية، وكل حديث في اذكار الوضوء الذي يقال عليه فكذب مختلق لم يقل رسول الله (ص) شيئا منه

ولا عنه لا منه ولا ثبت عنه غير التسمية في أوله وقول « أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » في آخره اه

أقول اما الشهادتان بعد الوضوء فقد روى حديثهما أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله (ص) « مامنكم أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول « أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » والعمدة في صحته رواية مسلم . واما زيادة الدعاء فهي في رواية الترمذي وقد قال هو في الحديث : وفي اسناده اضطراب ولا يصح فيه كثير شيء . ولكن رواية مسلم سالمة من هذا الاضطراب كما قال الحافظ ابن حجر ، وزاد النسائي في عمل اليوم والليلة والحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد بعد قوله من المتطهرين « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت، استغفرك وأتوب اليك » وقد روي هذا مرفوعا وموقوفا فضعفوا المرفوع ، وأما الموقوف فصححه النسائي وأنكر الحافظ ابن حجر على النووي تضعيفه . ومن هذا تعلم ان دعاء الاعضاء باطل وقد قال النووي في الروضة والمنهاج انه لا أصل له . قال الرملي في شرح المنهاج أي لا أصل له يحتج به ، وذكر انه روي ولكنه واه لا يعمل به ولا في فضائل الاعمال التي يعملون فيها بالحديث الضعيف

التيامن في الوضوء وغيره

فيه حديث عائشة في الصحيحين وغيرهما قالت « كان رسول الله (ص) يحب التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله » التنعل لبس النعلين والترجل ترجيل الشعر أي تسريحه . والطهور يشمل الوضوء والغسل . وفيه حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود وابن ماجه وابن حبان والبيهقي عن النبي (ص) قال « اذا لبستم فابدءوا بأيامنكم » جمهور المسلمين على ان البدء باليمين سنة قال النووي في باب التكريم والتزيين ليخرج دخول الخلاء ونحوه . ومذهب الشيعة وجوب التيامن في الطهارة ، ولكن روي عن علي كرم الله وجهه « ما أبالي بدأت بيميني

أو بشمالي اذا أكملت الوضوء » رواه الدارقطني . وروي عنه العمل بذلك أيضا طرق يقوي بعضها بعضا

الموالاة في الوضوء والتثليث

مضت السنة في الموالاة في الوضوء وعليها عمل المسلمين سلفا وخلفا ولا يعقل ان يغسل الإنسان بعض أعضائه بنية الوضوء ثم ينصرف الى عمل آخر ثم يعود الى إتمام مابدأ به الا لضرورة عارضة لايطول فيها الفصل ، وقد اختلف الفقهاء الذين يفرضون وقوع ماينذر وقوعه في الموالاة في الوضوء فذهب الاوزاعي ومالك وأحمد الى وجوبه ، وأبو حنيفة والشافعي في القول المعتمد عنه الى سنيته، والاصل في ذلك تعارض الاحاديث فيمن توضأ فكان في رجله لمعة أوموضع ظفر لم يصبه الماء فأمره النبي (ص) باعادة الوضوء في حديث و باحسان الوضوء في حديث أصح، والاحتياط ان لاتترك الموالاة ، والعمدة فيها ان لايقطع المتوضيء وضوءه بعمل أجنبي يعد في العرف انصرافا عنه ، وقال بعض العلماء اذا جف بعض الاعضاء قبل إتمام الوضوء انقطعت الموالاة. وهذا غير مسلم فقد يجف بعض الاعضاء بسرعة في الهواء الحار الجاف ولا يعد المتوضيء منقطعا عن وضوئه . ومثل هذا مما يعرفه الناس بغير تعريف . وقد ثبت في الصحيح ان النبي (ص) توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا ولكن لم يثبت عنه انه مسح بالرأس أكثر من مرة فالسنة ان يغسل كل عضو ثلاثا وان يمسح الرأس مرة واحدة ، وكذلك الحلف

غسل الكفين في أول الوضوء ومسح العنق

سيأتي في بيان كيفية وضوء النبي (ص) انه غسل كفيه ثلاثا قبل المضمضة فهو من سنن الوضوء باتفاق جمهور علماء الأمة ، وذهب بعض علماء الزيدية الى انه واجب ، ومجرد الفعل لايدل على الوجوب ولكنهم دعموه بحديث أبي هريرة في الصحيحين والسنن مرفوعا « اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده حتى يغسلها ثلاثا فانه لايدري أين باتت يده » وكلمة ثلاثا فيما عدا رواية البخاري . والمراد لايغمس يده في الماء سواء كان يريد تناوله لأجل الطهارة أو غيرها ،وقد بين سببه فانهم كانوا ينامون بالازار ولا يلبسون السراويلات الا قليلا وكانوا

كما قال الشافعي يستنجون بالحجارة و بلادهم حارة فلا يأمن النائم ان تطوف يده على ذلك الموضع النجس أو على قذر غيره . فالأمر بغسل اليدين لمن يريد غمسهما في الاناء واجب في هذه الحال ، وهي حال تغليب النجاسة ، و ينبغي ان تكون مما يرجح فيه الغالب على الاصل عند تعارضهما ، والاصل في اليد الطهارة . وقد حمل الجمهور الحديث على إفادة كراهة غمس اليدين في الماء قبل غسلهما وندب الغسل قبله عملا بالاصل . وقال احمد ان النهي للتحريم والأمر للوجوب ولكن خصه بنوم الليل لانه رواه هو والترمذي وابن ماجه بلفظ « اذا استيقظ أحدكم من الليل » قال النووي وحكي عن احمد في رواية انه ان قام من نوم الليل كره له كراهة تحريم، وان قام من نوم النهار كره له كراهة تنزيه (قال) ومذهبنا ومذهب المحققين ان هذا الحكم ليس مخصوصا بالقيام من النوم بل المعتبر الشك في نجاسة اليد ، فمن شك في نجاستها كره له غمسها في الاناء قبل غسلها سواء كان قام من نوم الليل أو نوم النهار او شك . وجملة القول ان الحديث ليس في الوضوء فلا يدل على وجوب غسلهما فيه ، ولكن ثبت كون غسلهما سنة من كيفية وضوئه الآتية

وأما مسح العنق فقد قال النووي انه بدعة ، وابن القيم : لم يصح عنه (ص) في مسح العنق حديث ألبتة . والصواب انه ورد فيه احاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة ومرسلة وقال بعضهم بحسن بعضها . ولذلك تعقب بعض الشافعية انفسهم ما قاله النووي بان البغوي وهو من أئمة الحديث قال باستحبابه

صفة وضوء النبي (ص)

روى احمد والشيخان عن عثمان بن عفان انه دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ، ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين، ثم قال رأيت رسول الله (ص) توضأ نحو وضوئي هذا ثم قال « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه » أي لا يحدث نفسه بشيء من الدنيا كما رواه الحكيم الترمذي . وقد روى احمد وغيره هذه الكيفية عن المقدام بن معد يكرب ، ولكنه قال « ثم مضمض واستنشق

ثلاثا ثم مسح برأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما » فعبر بالاستنشاق بدل الاستنثار في حديث عثمان المتفق عليه ، والاستنثار يستلزم الاستنشاق كما تقدم في بحث المضمضة . قيل ان « ثم » في الحديث لعطف الجمل لا للترتيب ، فان لم يصح هذا كان معنى الرواية انه كان (ص) نسي المضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه فغسلهما بعد ذلك ، فاذا ثبت هذا كان دليلا على ان باطن الفم والانف لا يعدان من الوجه الواجب غسله ، وهذا اقرب من القول بأن الترتيب في الوضوء غير واجب ، وقد تقدم الخلاف في ذلك . وصح الأمر بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق لغير الصائم ، وتقدم حديث ابي هريرة في صفة وضوئه (ص) وفيه ذكر الغرة والتحجيل

وروى الترمذي وصححه وابن ماجه عن ابي حية قال رأيت عليا توضأ فغسل كفيه حتى انقاهما ثم مضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا وغسل وجهه ثلاثا وذراعيه ثلاثا ومسح برأسه مرة ثم غسل قدميه الى الكعبين ، ثم قال : أحببت ان اريكم كيف كان طهور رسول الله (ص) . وصح ان النبي (ص) توضأ مرة مرة رواه احمد والبخاري واصحاب السنن عن ابن عباس . ومرتين مرتين رواه احمد والبخاري عن عبد الله بن زيد ، وأما التثليث فهو السنة التي جرى عليها العمل في الاكثر وغيره لبيان الجواز . ولم يصح مسح الرأس اكثر من مرة .

ومن سنن الوضوء الاقتصاد في الماء . صح عنه (ص) انه كان يتوضأ بمد ويغتسل بصاع كما في حديث أنس في الصحيحين وحديث سفينة في مسلم . وتقدير المد بالدراهم $\frac{4}{7}$ ١٢٨ (مئة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع الدرهم) والصاع أربعة أمداد . واتفق العلماء على ان الاسراف في ماء الطهارة مكروه شرعا ، وان اغترف من البحر ، والحكمة فيه تعليم الامة الاقتصاد في كل شيء . وكان (ص) على اقتصاده في الماء يسبغ الوضوء ويتمه . وورد في أحاديث السنن تعاهد موقي العينين وغضون الوجه وتخليل الاصابع واللحية وتحريك الخاتم ، وفي اسانيد هذه الاحاديث كلام فهي ليست في درجة الصحيح وانما يعمل بها لأنها موافقة لسنة الاسباغ ومتممة للنظافة

روى الجماعة (احمد والشيخان واصحاب السنن الاربعة) من حديث ابي هريرة مرفوعا « لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وفي رواية لاحمد « لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » وللبخاري تعليقا « لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » قال ابن منده في حديث الجماعة انه مجمع على صحته . وروى احمد والنسائي وابن حبان من حديث عائشة مرفوعا « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وروي عنها وعن غيرها في الصحاح والسنن انه (ص) كان يستاك عند القيام من كل نوم في ليل أو نهار وعند دخول بيته . والسواك يطلق على العود الذي يستاك به وعلى الاستياك نفسه ، وهو دلك الاسنان بذلك العود أو بشيء آخر خشن تنظف به الاسنان . يقال ساك فمه يسوكه سوكا ، ويقال استاك ولكن لا يقال استاك فمه . وخير العيدان للاستياك عود الأراك المعروف الذي يؤتى به من الحجاز لانه اذا دق طرفه قليلا يصير خيرا من السوك الصناعية التي تسمى « فرشة الاسنان » ويقال ان من خواصه شد اللثة اي ان فيه مادة تنفصل منه عند الاستياك به تشد اللثة . وتحصل السنة بالاستياك بالفرشة كما تحصل بشوص الاسنان بكل خشن يزيل القلح (صفرة الاسنان) وينظف الفم . ومن يواظب على السواك من أول عمره تحفظ له أسنانه التي هي ركن من أعظم أركان الصحة والجمال . وهي نعمة لا يعرف اكثر الناس قيمتها الا بعد ان يفسدها السوس ويضطر الى قلعها بعد ان يقاسي من آلامها مايقاسي

(لتفسير الآية بقية)

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

﴿ أسئلة من البحرين ﴾

«عن حكم الحج وترك الملوك والأمراء وبعض العلماء له»

(س ٣٠ - ٣٦) لصاحب الامضاء بجزيرة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة سيدي العلامة المصلح العليم مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير ادام الله تعالى شريف وجوده وسلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فالداعي لتحريره عرض مسئلة عرضت لنا في هذه الايام وهو اننا عشرة أشخاص نوينا هذه السنة التوجه لحج بيت الله الحرام ، والتمتع بمشاهدة مهد الاسلام ، وبهذه المناسبة صار بيننا جدال وكلام كثير بخصوص الحج ومناسكه فألجئنا الى طلب الاستهداء من حضرتكم لارشادنا الى السبيل الأقوم والصراط المستقيم ، فعليه قدمنا هذا الكتاب مؤملين فيه الجواب من حضرتكم على هذه الاسئلة وهي : -

علمنا ان الله سبحانه وتعالى قد اختار لنا الاسلام دينا وجعل هذا الدين مقاماً على خمسة أركان رئيسية وهي شهادة أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا . هذه هي الخمسة الاركان التي لا يكمل الاسلام الا بها - وبفضل المنار المنير وباقي كتب العلماء المصلحين الافاضل قد فهمنا المقاصد والحكم من الصلوات والزكاة والشهادتين والصيام كما قد فهمنا المقصد من الحج على الوجه العام ، ولكن اسمح لنا يا حضرة المفضال الحكيم ان نقول ان في الحج بعض أعمال لم نعرف الحكمة منها فلذلك جئنا بهذا الكتاب نلتمس منك هدايتنا الى ماجهلناه وهو

(١) ماهي الحكمة في الاجماع على تقبيل الحجر الاسود اذ عرفنا انه حجر

عني لا يضر ولا ينفع ولا يخفى مافي ذلك من المظاهرة الوثنية .

(٢) ما الحكمة في رمي الحجارة (الجمار) في القليب (؟) في (مزدلفة)

(٣) ما الحكمة في الهرولة بين المروتين

(٤) ما المقصد في ذبح الذبائح على كثرتها ودفن لحومها في (منى) وفي ذلك مافيه من النتائج الوخيمة التي تصدر من تعفن اللحوم اذ تنتشر الاوبئة منها ولماذا يمنع الناس من أكلها ؟ وهل ذلك لازم ومن المناسك التي لايتم الحج الا بها على هذه الصورة ؟ ولا يخفاكم مبلغ النقود الطائلة التي يدفعها الحجاج سنوياً ثمنا لهذه اللحوم اذ هي لاتقل عن خمسين الف جنيه فما قولكم لو صرفوا هذه المبالغ على اصلاح آبار مكة وطرقها وتكاياها وتنظيفها وعلى كل ما يعود على الحجاج بالراحة والصحة والسلامة .

(٥) لماذا اقاموا دون عرفه بنائين عن اليمين والشمال تعرف بالعلمين وكل من لم يكن خلف هذين البنائين ليس مقبول الحج مع أنه تكلف العناء ووصل الى مادونهما ؟ ولماذا يكون من خلفها مقبول الحج وهو في لهوه ولعبه وممارسة ما اعتاده في بلاده من الاعمال ؟ ومن كان دونها غير مقبول ولو كان على غير ذلك ؟ وهل هذان البناآن حدّ فاصل بين الله والناس أو بين الجنة والنار .

(٦) نري كثيراً من علماء الامة الاسلامية ومرشديها المصلحين منهم من عاش ومات وهو لم يحج مع انه ربما رحل في سنته مرتين أو ثلاثا الى أوربا أو الى غيرها من البلاد ولم يذهب الى مكة مع انه كان الالزم والاوجب ان يقصد مكة والحج كل موسم للنصح والارشاد . فهذا ساكن الجنان الاستاذ الامام والمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم عاشوا وماتوا وهم لم يروا مكة في وقت الحج . وحضرتك أيضا كذلك . فما هي الاسباب ياترى ونحن نعتقد ان امتناعكم جميعاً عن الحج لابد له من سبب فما هو ذلك السبب العظيم الذي يمنع رجال الاصلاح العظام عن الحج المقدس

(٧) وكذلك نري ان جميع ملوك الاسلام وأمراءه وأغنياءه لا يحجون ولا نرى الحجاج سواهم الا من فقراء الهند والصين والروسيا وجاوا وبلاد العرب كمصر وتونس وسوريا والعراق وغيرها. وهذا كثير من سلاطين آل عثمان {الخلفاء} وامراء البيت السلطاني وأعاظم الرجال من الوزراء والحكام والاغنياء المشار اليهم بالبنان كلهم لايحجون ولا يدور في خلد أحدهم ان يحج، فما هو السر في ذلك ياترى . وكم عجبنا لما سمعنا بحج أمير مصر قبل سنتين وكثر تحدث الناس في ذلك حتى تجرأ أحدهم فقال ان المقصود من حج العزيز غرض سياسي ورحلة في جهات

الحجاز لاغير وليس له مقصد في الحج قطعا . هـذا ماوجهناه لحضرتكم ملتمسين التنازل بمجاوبتنا عليـه ولك يا سيدنا الخيار في المجاوبة ان تكون على صفحات المنار أو كتاب مخصوص . واذ كانت في المنار تكون أعم وأنفع . وان أردت ان تجاوب على بعضها في المنار وبعضها كتابة مخصوصة فالامر اليـك، ونحن قد اتكلنا بعـد الله عليك ، ولنا كبير الامل ان حضرتك تهدينا الى سواء السبيل لا سيما وحجنا يتوقف على جوابكم لانه لايخفاك اننا نقصد الحج نطلب الاجر والغفران ،لاالاثم والخسران، فامط لنا بما أعطاك الله من سعة العلم نقاب الباطل عن وجه الحقيقة أدامك الله سراجا يهتدي به من ضل عن محجة الصواب والسلام عليك   من المخلص

٤ شعبان سنة ١٣٢١ الى مصر القاهرة   ناصر مبارك الخيري بالبحرين

﴿ أجوبة المنار ﴾

قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج جملة وتفصيلا، والانتقاد على ملوك المسلمين وامرائهم أنهم تركوا هذه الفريضة،وعذر الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في تأخير هذه الفريضة الى أن وافاه أمر ربه ، وكون عذرنا عين عذره . وما نظن ان السائل وأصحابه الذين أشار اليهـم قد علقوا حجهم على جواب هـذه الاسئلة ، ولعله قال ذلك لنبادر الى الجواب عنها ،وهانحن أولاء نبادر الى ذلك وان كان لدينا كثير من الاسئلة مقدمة عليها في التاريخ

حكمة تقبيـل الحجر الاسود

ما ذكره السائل في تقبيل الحجر الاسود قد سرى اليـه من شبهات النصارى والملاحدة الذين يشككون المسلمين في دينهم بأمثال هذا الكلام المبني على جهل قائليه من جهة وسوء نيتهم في الغالب من جهة أخرى. ومن عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لايعبـدون الحجر الاسود ولا الـكعبة ولـكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ماشرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيتـه أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والـكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الاسلام عن عبادته. وقد وضعوا فيه الاصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه . ذلك ان عبادة الشيء عبارة عن اعتقاد ان له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لايعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء كانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أو كانت غير ذاتية له بأن يُعتقد انه واسطة بين

من خلقه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية. ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الاسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له، ولا أن سلطته تقريب من يعبده ويلجأ اليه الى الله تعالى، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانما عقيدة المسلمين في الحجر هي ماصرح به عمر بن الخطاب {رض} عند تقبيله، قال «اني اعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله {ص} يقبلك ماقبلتك» رواه الجماعة كلهم أحمد والشيخان وأصحاب السنن. وقد بينا في المنار من قبل ان هذا القول روي أيضاً عن أبي بكر {رض} وروي مرفوعا الى النبي {ص} وان أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحة سنده. قال الطبري انما قال عمر ذلك {أي مع انه معلوم من الدين بالضرورة} لان الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الاصنام فخشي ان يظن الجهال ان استلام الحجر الاسود من باب تعظيم الاحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية، فاراد ان يعلم الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله (ص) لا لان الحجر يضر وينفع بذاته اه

فان قلت روى الحاكم عن ابي سعيد الخدري ان عمر لما قال ذلك قال له علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: انه يضر وينفع، وبين ذلك بأن الله لما اخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر، وانه سمع النبي (ص) يقول «يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد» فالجواب ان هذا الحديث باطل انفرد بروايته عن ابي سعيد ابو هارون عمارة بن جوين العبدي، وأهون ماقيل فيه انه ضعيف، وكذبه حماد بن زيد، وقال يحيى بن معين ضعيف لايصدق في حديثه، وقال الجوزجاني ابو هارون كذاب مفتر، وقال ابن حبان كان يروي عن ابي سعيد مالیس من حديثه، وقال شعبة كنت أتلقى الركبان أسأل عن أبي هارون العبدي فقدم فرأيت عنده كتابا فيه اشياء منكرة في علي (رض) فقلت ما هذا الكتاب؟ قال: هذا الكتاب حق، وقال شعبة أيضا: أتيت أبا هارون فقلت له اخرج الي ماسمعته من ابي سعيد، فأخرج الي كتابا فاذا فيه: حدثنا ابو سعيد ان عثمان ادخل في حفرته وانه لكافر بالله. فدفعت الكتاب في يده وقمت. وأقول ان طعنه في كل من الصهرين الكريمين يفسر لنا قول الدارقطني فيه «يتلون خارجي وشيعي» والذي يظهر لي من كلامهم هذا انه كان منافقا. فان قيل يقوي حديثه هذا حديث ابن عباس عند احمد والترمذي وغيرهما. قلت ليس في حديث ابن عباس انه ينفع ويضر وانما فيه انه يشهد لمن استلمه

بحق ، فاذا صحت هذه الشهادة فمهما كانت كيفيتها في عالم الغيب فهي لاتدل على ان الحجر الاسود يملك لأحد من الناس ضرا أو نفعا هو مختار فيه ، ولا يطالب أحد من المسلمين منه هذه الشهادة بألسنتهم ولا قلوبهم فيقال ان طلبه عبادة ، وشهادة أعضاء الانسان عليه يوم القيامة اصح من شهادة الحجر وليست معبودة بهذا المعنى

بقي ان يقال اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر كما قال عمر في الموسم تعليما للناس واقره جميع الصحابة عليه. وكان استلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله (ص) كما يتبع في سائر العبادات ، فما هي حكمة جعل ما ذكر من العبادة ؟ وهل يصح ماقيل من ان النبي (ص) تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين واستمالة لهم الى التوحيد؟ والجواب ان الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين، وانما هو من وضع امام الموحدين ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدأ للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر اليها فيكون الطواف بنظام لايضطرب فيه الطائفون . وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وان كانت مبنية بالحجارة . فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الامتثال لأمر الشارع واتباع ماورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لاتقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف وان قال به وبتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الامور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لايستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، واشد الناس عناية به الافرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لايعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل مايلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم اذا موّه علينا في شأن تعظيم الحجر الاسود فزعم أنه من آثار الوثنية، ونحن نعلم انه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم أمام موحد داع الى الله من النبيين المرسلين الذي عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي جمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى ؟

وبقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ماعتمده الصوفية فيها أخذا مما ورد في بعض الاحاديث الضعيفة كحديث علي السابق ، وحديث ابن عباس « الحجر الاسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ومستلمه مبايع له على توحيده والاخلاص له واتباع دينه الحق، والاعمال

الرمزية معروفة في جميع الاديان الالهية ، وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال ان الحجر يمين الله في الارض يصافح بها عباده . ومعاذ الله ان تكون لله جارحة، وانما شرع تقبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة ابليس حيث أمر بالسجود لآدم . اه وليس مراد من قال انه يمين الله ان لله جارحة ، وانما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فان صح وجب قبوله ومعناه ظاهر . قال الخطابي معنى كونه يمين الله في الارض ان من صافحه في الارض كان له عند الله عهد . وجرت العادة بان العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخاطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ، ولله المثل الأعلى اه

ولعمري لو أن ملوك الافرنج وعلماؤهم أمكنهم ان يشتروا هذا الحجر العظيم لتغالوا في ثمنه تغالياً لايتغالون مثله في شيء آخر في الارض، ولوضعوه في أشرف مكان من هيا كل التحف والآثار القديمة ، ولحج وفودهم الى رؤيته وتمنى الملايين منهم لو تيسر لهم لمسه واستلامه . وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع ابراهيم أبي الانبياء عليهم السلام وانهم ليتغالون فيما لاشأن له من آثار الملوك أو الصناع.

هذا وان من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفطرة في أقدم معابده ، واحياء شعائر ابراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » عليهما الصلاة والسلام . روى أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال أتانا ابن مربع (كمنبر واسمه يزيد) الانصاري ونحن بعرفة - في مكان يباعده عمرو عن الامام (١) - فقال اما إني رسول رسول الله (ص) اليكم يقول لكم « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي حديث ابن مربع الانصاري حديث حسن لانعرفه الا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار

وجملة القول ان مناسك الحج من شريعة ابراهيم وقد أبطل الاسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنيتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة، وان الكعبة من بناء ابراهيم

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث ادرجها رواية عمرو بن دينار ومعناها انهم في مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه . فقوله يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبد الله ابن صفوان التابعي أنه بعيد عن الامام الاعظم (ص) أي فلذلك ارسل اليهم رسولا

واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالاجماع المتواتر بينهم وكانوا يعظمونها هم والامم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضاً انهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد ابراهيم وانما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ويقال لأحدهما الركن الأسود لان فيه الحجر الاسود وللآخر اليماني فاذا ثنوهما قالوا اليمانيين تغليباً كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الاسلام وبعده لم يبق فيها حجر يعلم باليقين انه من وضع ابراهيم الا الحجر الاسود لامتيازه بلونه وبكونه مبدأ المطاف كان هو الاثر الخاص المذكر بنشأة الاسلام الاولى في ضمن الكعبة المذكرة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظاً وشرفاً . وقد علم بهذا ان الحجر له مزية تاريخية دينية وان كان الاصل في وضعه بلون مخالف للون البناء اهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا ان نقول ان لله تعالى ان يخصص ما شاء من الاجسام والامكنة والأزمنة لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص الحجر الاسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والاشهر الحرم ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأي

﴿ حكمة رمي الجمار ﴾

اذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج أعني انها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وانها احياء لدين ابراهيم أبي الانبياء وامام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الاسلام ومعاهده الاولى ، وان لاستحضار ذلك لتأثيراً عظيما في تغذية الايمان وتقوية الشعور به ، والثقة بانه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره ، فان جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنينا عن اقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الادوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فان ذلك لا يثنينا عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا الى التوقف وترك استعماله الى ان نتعلم الطب ونعرف حكمة اوزان تلك الاجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر الى الذهن من منشإ هذه العبادة ان هذه المواضع التي تسمى

الجمار كانت من معاهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فشرع لنا ان نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات نرمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير ، والعدد بالحصى - ومثله النوى في مثل الحجاز - من الامور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة ابراهيم الذي اقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لاحظ للنفس ولا محل للهوى فيها. والعبادة منها شعار يجتمع لها الناس وتقصد الامة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتزكيتها فقط كالتهجد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال ان الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لان هذا القول لا يصح الا في غير الشعائر اذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمي الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصرح به في جواب السؤال التالي، واما سبب وقوف ابراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله، ويكفينا ان نقتدي به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الاحاديث الضعيفة السند ان ابليس عرض له هنالك أي يوسوس له ويشغله عن اداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . روى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس « لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الارض » ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك

وروي عن محمد بن اسحق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له : طف به سبعاً » ثم ساق الحديث وفيه انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له ابليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل كبر وارمه سبع حصيات، (فرماه) فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل كبر وارمه فرماه ابراهيم سبع حصيات، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل كبر وارمه، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف، فغاب عنه ابليس . ثم مضى ابراهيم في حجه — الحديث . وليس تمثل الشيطان للانبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الانجيل المعتمد عند النصارى انه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فاذا صح ان ابليس عرض لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في اثناء أداء مناسكه

بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدي للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الاخلاق والطباع أن يأتي الانسان بعمل عضوي يظهر به كراهته لما يعرض له حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورميها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وان حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب .. والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري أو الاهانة معهود من الناس وله شواهد عند الامم كرجم بني اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) امجان ابن زراح واهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ :٢٤ و٢٥ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر ابي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشي الى مكة لاجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لا حظ للنفس فيه اتباعا لابراهيم اقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الارض ، ومحمد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ دينه كله في الارض ، صلى الله عليهم أجمعين

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الاحياء : « وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للامر اظهاراً للرق والعبودية . وانتهاضا لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والنفس في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لامله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان ، وانه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه ، وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، اذ لا يحصل ارغام أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر ، من غير حظ للنفس والعقل فيه » اهـ

﴿ حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة ﴾

الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر

الاسلام ، من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وروي أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها الى الماء زمن ولادتها اسماعيل حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والعمدة في هذه العبادة ماذكرناه في الكلام على رمي الجمار من اقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الارض واحياء سنن المرسلين فيها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث عائشة . واذكاره معروفة في المناسك.
وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا (ص) خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخبب أيضاً فهو دون العدود وفوق المشي المعتاد ، فان زادت السرعة كان عدوا

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث اظهار قوة المسلمين للمشركين، وكان قد علم النبي(ص) ان المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين قد أوهنتهم حمى يثرب، وروي في الصحيح أيضاً أن النبي(ص) لما قدم مكة لعمرة القضاء قال المشركون ان محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال . لذلك أمر (ص) أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ويمشوا في أربع من الاشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لان النبي (ص) فعله لسبب عارض، ثم بدا له فمضى عليه لانه علم أن المحافظة على مافعله النبي (ص) ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده ابراهيم (ص) ان لم تكن أولى، روى أبو داود وابن ماجه عنه أنه قال: « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الاسلام (أي وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله، مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وأصله في البخاري بلفظ « مالنا والرمل انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله — ثم قال— هو شيء صنعه رسول الله (ص) فلا نحب أن نتركه » وقوله « راءينا » مشاركة من الرؤية أي أريناهم قوتنا واننا لا نعجز عن مقاومتهم . وقيل هو من الرياء بمعنى اراءة ما هو غير الواقع أي أريناهم من الضعف قوة . والرياء مذموم لانه خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب . وقوله في الرواية الاولى « والكشف عن المناكب » معناه الاضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب ، وحكمته عين حكمة الرمل ، وقيل انما هو لاجل التمكن منه .

وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عند ماراوا النبي (ص) وأصحابه يرملون مضطبعين : هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا . وفي رواية أجلد منا .

فعلم من هذا ان الرمل أو الهرولة كما قال السائل انما شرعت في الطواف لسبب وانا نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله (ص) وأصحابه (رض) اتباعاً وتذكراً لنشأة الاسلام الاولى في عهدهم ، وهل توجد أمة من الامم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين ؟ لا لا فالحمد لله رب العالمين

﴿ حكمة ذبائح النسك . ودفن لحومها في منى ﴾

حكمة ذبائح الهدي والاضاحي معروفة لا يجهلها عامة المسلمين ، وهي طاعة الله تعالى وتقواه واظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين في ايام العيد التي هي ايام ضيافة الله للمؤمنين ، وهي من مناسك الحج لانها إحياء لسنة ابراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذي ابتلاه الله واختبره به لتظهر قوة ايمانه بالله تعالى وايثاره لرضاه . ونعمة الله بذلك على الناس كافة انما هي من حيث ان اسماعيل هو جد محمد (صلى الله عليهما وسلم) الذي ارسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة .

قال تعالى في البدن التي تنحر للنسك في (فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقال في ذبائح النسك عامة (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الآية . واما دفن لحومها في هذه الأزمنة ـ التي كثرت فيها الحجاج وقلت معرفتهم ومعرفة حكامهم باحكام الدين وحكمه ـ فليس من الدين في شيء ، وانما هو من الجهل بأمر الدين والدنيا . ولو كان للحجاز حكومة عاقلة رشيدة لعرفت كيف تحفظ ما زاد عن حاجة الناس من تلك اللحوم بجعل بعضها قديدا ، وبعضها مقايا من النوع الذي يقال له (قاورمه) ولأ فاضت منها على فقراء الحرم طول سنتهم ، وها نحن أولاء نرى الامم العاملة التي تعرف كيف تستفيد من جميع نعم الله تعالى تنقل اللحم الغريض والسمك الطري من قطر الى قطر ، حتى ان الغنم تذبح في استرالية ويباع لحمها في مصر من شمالي أفريقية وفي شمال أوربة أيضا ، ونحن قد جعلنا حسنات ديننا سيئات بسوء تصرفنا فصرنا حجة عليه في نظر الأمم كلها وهو حجة علينا عند الله تعالى . واذا جاز ان تترك هذه الذبائح وينفق ثمنها فيما ذكر السائل فمن يضمن

ان يقوم الناس بذلك ? كلا إن هذا شعار لايقوم غيره مقامه ، ولو كان للمسلمين من الاهتمام بعمران الحرمين وخدمة الحجاج ما أشار السائل اليه لما توقف قيامهم به على تركهم لهذا النوع من النسك

فان كان في الانعام التي تذبح هنالك ما يضر لحمه الآكلين، وعرف ذلك بشهادة الاطباء والعارفين ، فالواجب على الحكومة ان تمنع دخول هذا النوع الضار حتى لا يسوق الناس الى الحرم من الغنم وغيرها من النعم الا كل صحيح لا يخشى منه ضرر .

﴿ العلمان وحكمة حدود عرفة ﴾

اذا كان من أركان الحج الوقوف بعرفة وجب ان يكون لعرفة حدود معينة والا بطل معنى فرضية الوقوف فيها ، وهكذا كل عبادة اعتبر في فرضيتها مكان أو زمان كالطواف والسعي بين الصفا والمروة وصيام رمضان وكون الصيام من طلوع الفجر الى غروب الشمس، لا تحصل العبادة لمن خرج عن الحد المكاني او الزماني . واما مسألة القبول فهي شيء آخر: ما كل من أتى بأعمال العبادة الظاهرة نجزم بأن عمله مقبول عند الله تعالى، اذ يجوز ان يكون مرائيا بعمله غير مخلص فيه، وانما يتقبل الله من المتقين المخلصين، ولكن المخلص اذا لم يأت بالعمل الذي فرضه الله تعالى كما فرضه تعالى بحدوده من زمان ومكان ، فلا مجال للقول بان عمله مقبول لأن العمل لم يوجد ، فمن سعى الى الحج ولم يدرك الوقوف بعرفة وراء العلمين الذين هما أول حد عرفة لم يدرك الحج حتى يبحث في قبول حجه وعدم قبوله ، ومثله مثل من سعى الى صلاة الجمعة ولم يدرك ركعة منها مع الامام لايقال ان جمعته مقبولة أو غير مقبولة لأنه لاجمعة له وان سعى اليها من أول النهار مخلصا لله في ذلك ، ولكن الله لايضيع أجر من سعى الى الحج أو الجمعة أو غيرهما من العبادات مع الاخلاص فيثيبه على ذلك وان لم يسقط عنه الفرض، وكان لا بد في الجمعة من صلاة الظهر وفي الحج من ادائه تاما في ميقاته. وقد علم مما ذكرنا ان العلمين حد لعرفة لاحد بين الله والناس، ولا بين الجنة والنار

﴿ ترك بعض العلماء لفريضة الحج ﴾

الحج فرض على من استطاع اليه سبيلا وهو على التراخي لا الفور اذا وجد العذر ، والخلاف في المسألة مشهور . ولم يحج رسول الله (ص) الا في آخر سنة من عمره ولكنه اعتمر قبل ذلك . ومن ترك الحج وهو يستطيع السبيل اليه حتى مات، مات عاصيا لله تعالى . ولا يقتدى به ولا يعد تركه اياه عذرا لغيره . والسائل يقول

انه يري كثيرا من علماء الامة ومرشديها المصلحين لم يحجوا ، وانا لا اعرف أحدا من العلماء المصلحين ولا غيرهم من الجامدين الراضين بحال المسلمين السيئة ترك الحج بغير عذر حتى مات . وقد ذكر السائل منهم الاستاذ الامام والسيد الكواكبي رحمهما الله تعالى وذكرني معهما . فاما الكواكبي فهو من علماء الاجتماع والسياسة لا من علماء الدين وان كان له مشاركة ما في الفقه ونحوه لا تنكر ولا أدري احج أم لا ، وانا ماعرفته الا في مصر ولم يكن ذا سعة فيها ، نعم انه ساح بعد هجرته الى مصر في جزيرة العرب ثم عاد اليها ، ولكن بمساعدة من بعض الناس ، ومن لا يستطيع الحج الا بمال غيره لايجب عليه الحج ، ولا ان يقبل تبرع غيره له بنفقته ان هو تبرع

واما الاستاذ الامام فانا أعلم انه كان عازما على الحج وقد سمعت ذلك من لسانه وانه يريد أن يقيم في المدينة المنورة وما جاورها طائفة من الزمن ويبحث عن مواضع غزوات النبي (ص) بحثا يستعين به على ما كان ينويه من الكتابة في تاريخ الاسلام ، وتحرير سيرته عليه الصلاة والسلام ، وقد بينت عذره وعذري وسبب تأخيرنا للحج من قبل ، فمن ذلك قولي في تفسير قوله تعالى { ومن دخله كان آمنا } من جزء التفسير الرابع ما نصه : ان كثيرا من امراء المسلمين ونابغيهم يعلمون ان دون أدائهم لفريضة الحج عقبات سياسية لايسهل اقتحامها ، وقد جاء في صحف الاخبار أن أمير مصر استأذن السلطان في حج والدته وبعض أمراء اسرته فلم يأذن. وقد كان الاستاذ الامام يعتقد اعتقادا جازما فيه انه اذا حج يلقي بيديه الى التهلكة ، وانه لا امان له في الحرم الذي كان يرى الجاهلي فيه قاتل ابيه فلا يعرض له بسوء . وان كاتب هذه السطور يعتقد مثل هذا الاعتقاد فنسأل الله تعالى ان يحقق لنا ثانية مضمون قوله تعالى (ومن دخله كان آمنا) لنمتثل مافرضه علينا من حج هذا البيت » الخ

وأقول الآن قد ظهرت صحة اعتقاد الاستاذ واعتقادنا هذا في مرض موته حين قبضت الحكومة الحميدية العثمانية في بيروت على الحاج محيي الدين حماده عند عودته من مصر لانه كان ضيفا له وكانت بنت أخيه زوجا له ، وأخذت أوراقه وحبسته على وجاهته وحسن سيرته وبعده عن السياسة ومذاهبها ، ثم علمنا ان الحكومة كانت ترسل العسكر بعد ذلك ليلا لمراقبة سواحل بيروت وما يجاورها لانه بلغها ان الاستاذ يريد النزول فيها ! وكانت هذه الحكومة قبل ذلك وبعده تصادر كل كتاب يدخل المملكة العثمانية اذا وجد عليه أو فيه اسم محمد عبده أو اسم المنار ، أو مطبعة المنار ، دع اسم صاحب المنار . وتمنع أيضاً ذكر هذه الاسماء في الجرائد ، ويعلم قراء المنار في زمن عبد الحميد انه

كان ممنوعا من ممالكه وان والدي مات والعسكر يحيط بداره وكان أخي في السجن لان المنار وجد عنده ، وكانت الحكومة تعاقب كل من تعلم انه يقرأ المنار او يكاتب صاحبه . والسبب في ذلك كله وسوسة جواسيس السوء للسلطان عبد الحميد باننا نريد اقامة خلافة قرشية عربية في الحجاز أو غير الحجاز وكان من هؤلاء الجواسيس مصطفى باشا كامل

خلع السلطان عبد الحميد بعد وفاة الاستاذ الامام فظهر ورثته من الاتحاديين بعداء للعرب أشد خطرا علينا مما كان من عداء عبد الحميد لنا ، جئنا الآستانة وحاولنا أن نقنعهم بحسن نية العرب ووجوب انصافهم فلم نستطع . ثم جعلوا صاحب هذه المجلة من أعدى أعدائهم وذنبه عندهم انه يدعو الى النهضة العربية ، فكان قصد الحج في هذه المدة مما يقوي سوء ظنهم ، ولا يؤمن معه غدرهم ، وقد صادروا المنار في بريدهم ، ومنعوا دخوله لبلادهم ، كما فعل عبد الحميد لمثل ذلك السبب ، وقد صار خلفاء مصطفى كامل من زعماء الحزب الوطني وكتاب جرائده جواسيس لهم كما كان زعيمهم جاسوسا لعبد الحميد ، ويتهموننا بما كان يتهمنا به وفي مقدمتهم محمد بك فريد والشيخ عبد العزيز شاويش ، ولكننا دخلنا مع الاتحاديين الآن في طور جديد يرجى ان تمحى فيه سعاية الجواسيس ، فقد اعترفوا باننا نطلب حقا واجابونا الى بعضه رسميا ووعدوا بالباقي وعدا مؤكدا . فعسى أن يتم الاتفاق ، ويمحو آية الشقاق ، ويكون قد ظهر لهم حسن نيتنا واخلاصنا نحن وسائر طلاب الاصلاح من قومنا لهذه الدولة ، وحرصنا على تعزيزها واصلاح شأنها ، وهذا ما يظهرونه لنا الآن ، وقد بلغونا ان منع المنار قد ارتفع . ويترتب على حسن نيتهم في العرب رضاهم بعمران الحجاز ، وعدم خوفهم من زيارة طلاب الاصلاح له في النسك وغير النسك ، وحينئذ نرجو ان يوفقنا الله في العام القابل لاداء الفريضة بفضله وكرمه

﴿ ترك ملوك المسلمين وأمرائهم وأغنيائهم للحج ﴾

سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد على سلاطين آل عثمان وملوك ايران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج ، ولكن لم يخطر في بالنا ان أحدا من المسلمين يقتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة ، وكذلك الاغنياء المترفون لايصح أن يكونوا قدوة في ذلك ولا أن يكونوا شبهة من الشبهات على الحج . ومن سوء الظن القبيح أن يقول مسلم ان حج عزيز مصر الامير عباس الثاني كان لغرض سياسي ، وأي غرض سياسي يتوقف على ادائه لمناسك الحج ؟ على ان كثيرا من الاغنياء يحجون فان كان غير الاغنياء أكثر حجا فذلك لانهم في أنفسهم أكثر عددا ، وأقل فسقا وترفا . هذا مانراه كافيا في جواب هذه الاسئلة نعسى ان يراه السائل كذلك ، والله الموفق

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

(٨) جاء في انجيل متى ١٥ : ٢٢ - ٢٨ أن امرأة كنعانية صرخت اليه ليشفي ابنتها المجنونة وكانت تقول له «ارحمني ياسيد يا ابن داود» فلم يجبها بكلمة فصارت تصيح وراءه حتى طلب تلاميذه منه صرفها فقال لهم (لم ارسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) فجاءت وسجدت له قائلة « ياسيد أعني » فقال لها « ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين و يطرح للكلاب » فقالت « نعم ياسيد . والكلاب ايضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها » حينئذ شفي لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم والالحاح الكبير . فانظر الى مقدار عطفه ورحمته بالضعفاء !! وهو الرجل الذي يقولون انه جاء لخلاص الناس أجمعين . ألا يدل ذلك على ان كل ماجاء في تعاليمه مما يفيد معنى الرحمة والمسامحة والاحسان الى الناس ما كان يريده إلا امته اليهودية فقط لا غيرهم من الامم كما هو صريح عباراته في هذه القصة التي تدل على القساوة المتناهية حتى حركت اعمال المرأة عطف تلاميذه انفسهم قبله ولذلك طلبوا منه إجابة طلبها فأبى اولا . فهذه هي اخلاق هذا الرجل الذي يمدح نفسه بقوله (مت ١١ : ٢٩) (لاني وديع ومتواضع القلب) فهل يتفق هذا مع فعله مع المرأة الكنعانية ؟ نعم هو وديع ومتواضع القلب ولكن مع من ؟ مع الاقوياء من امة اليهود (١) ومع الرومانيين حكامه وحكام أمته !! اما الضعفاء الاجانب فهم

(١) نعم انه لما يئس من اليهود أخذ يسبهم ويلعنهم بأفحش الالفاظ كقوله (مت ٢٣ : ١٣ - ٣٦) « أيها المراؤون والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الافاعى » الخ وقوله لهم مت ٢١ : ٣١ «ان العشارين والزواني (وهم الذين كان يحبهم بنص الانجيل (أنظر مثلا لو ١١ : ٥) يسبقونكم الى ملكوت الله » فهذا مثل آخر من أمثلة محبته لاعدائه . ولكن أتدري ماذا حصل له بعد هذا السب مباشرة ؟ هم أخذوه وصلبوه =

عنده « كلاب » . فهذا هو مبلغ تعاليمه الداعية الى السلم والرحمة على غلوها احيانا .
فهو نفسه كان يخص بها اليهود رغما عن دعواهم الآن انها للبشر اجمعين !!

وهذه القصة تدل على أنه ليس باله لانه مقيد بارادة من أرسله كما يفهم من قوله (لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة) ولذلك تركها يوحنا كعادته وأتى بقصة المرأة السامرية وهي تغايرها بالمرة (يو ٤ : ٧ - ٣٠) وغرضه منها ان يظهر ان بعثته كانت عامة فقال انه كان يتكلم معهذه المرأة السامرية ويطلب الشرب منها مع أن اليهود لايجوز لهم معاملة السامريين حتى صار تلاميذه يتعجبون من ذلك وهذه القصة - كغيرها مما تقدم - تدل على تأخر زمن هذا الانجيل عن الاناجيل التي قبله ولذلك اتى بها ليظهر ان بعثته ليست قاصرة على اليهود كما يفهم من قصة المرأة الكنعانية ومن (مت ١٠ : ٥ و ٦) بل كانت للبشر كافة . اما قول متى ٢٨ : ١٩ (اذهبوا وتلمذوا جميع الامم) - فهو ان لم يكن اضافة متأخرة كقول مرقس بدعوة الخليقة كلها (١٦ : ١٥) الذي ثبت عندهم اضافته أيضا كما سبق (في صفحة ٥٠) - فالمراد به امم اليهود كافة فانهم - كما قال سفر الاعمال - كانوا في أورشليم وحدها من كل امة تحت السماء (أع ٢ : ٥ - ١٣) فما بالك بمن كانوا في أرض اليهودية كلها ؟ ويؤيد هذا المعنى قول المسيح لتلاميذه مت ١٠ : ٢٣ « فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان » فهذه المدن كانت عندهم العالم كله كما اريناك سابقا (ص ١٤ من هذه الرسالة) وعلى ذلك يحمل قوله في مرقس ١٣ : ١٠ « ينبغي ان يكرز اولا بالانجيل في جميع الامم » وقوله في متى ٢٤ : ١٤ « في كل المسكونة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » ولا تنس قول لوقا ٢ : ١ « صدر امر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة » اي ارض اليهودية خاصة كما قال صاحب « كتاب الهداية » المسيحي في مجلد ٢ ص ٢٥٥ ، وغيره

ومن أمثلة وداعته وتواضعه ورحمته غير ماتقدم ماجاء في انجيل متى (١٨ : ٢١

= وأهانوه شر اهانة ثم قتلوه . فهذه نتيجة شجاعته أمام هؤلاء الاقوياء بعد يأسه منهم وفشله في أمره ! ! كل هذا نقوله ونحن بريئون منه الى الله وانما نقوله الزاما للخصم واظهارا لما تجر اليه قصص هذه الاناجيل

و ٢٢) أن أحد تلاميذه مات أبوه فاستأذنه في الانصراف ليدفنه فلم يقبل وقال له « اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم » والظاهر من هذا القول ان أبا هذا التلميذ لم يكن مؤمنا به فلذا حقد عليه حتى بعد موته ومنع ابنه من الذهاب ليدفنه ولا ندري ماذا كان يفعل به لو قدر عليه وهو حي ؟ فهل هذا خلق الرجل الذي أمر غيره بمحبة الاعداء !! وقد داس بعمله هذا مع تلميذه على أمر التوراة باكرام الوالدين وأيضا بعمله مع أمه مريم ومخاطبته لها بقوله « يو ٢: ٤ ما لي ولك يا امرأة ». ولكن كان في أول الامر وخوفا من اليهود يقول لهم « مت ٥ : ١٧ لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس أو الانبياء » فما أصدق كلامه هذا وغيره !! وهذه القصة تظهر أيضا أنه ما كان يريد بتعاليمه الداعية الى السلم والرحمة والاحسان اليهود عامة كما قلنا من قبل تساهلا (ص١٩١) بل كان يريد بها من آمن به فقط من اليهود واتبعه ولذلك قال متى (١٢: ٤٦-٤٩) إن أمه واخوته جاءوا مرة اليه ووقفوا خارجا طالبين أن يكلموه فأخبره واحد من تلاميذه بذلك فقال « من هي امي ومن هم أخوتي ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي لان من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي » يعني من آمن به فقط (١) ولذلك أمر أتباعه ببغض غيرهم

(١) الظاهر من هذه العبارة ومن غيرها في الاناجيل أن مريم أمه وأخوته لم يكونوا به مؤمنين (انظر يو ٧ : ٥ ومر ٣ : ٢١) ، ولا عن أعماله راضين ، فلذا حقد عليهم وكرههم حتى أمه ، وقد بلغ من قسوة قلبها عليه وجوده أنها ذهبت ووقفت عند الصليب لتنظر ابنها وفلذة كبدها وهو مصلوب !! (يو ١٩ : ٢٥-٢٧) فلما رآها يسوع خاطبها مرة أخرى بقوله « يا امرأة » . فهذه هي أخلاق المرأة التي عبدها النصارى منذ القدم ، وهذه هي قيمتها عند ابنها . ولكن صورتها بحسب الاناجيل تغاير صورتها بحسب القرآن الشريف الذي أثنى عليها مراراً وعظمها وقال ان الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين وجعلها للناس آية . فالظاهر أن قصتها في الاناجيل مما دسه اليهود على النصارى ولشدة جهلهم وبعدهم عن التمحيص والتحقيق إذ ذاك دخلت عليهم الغفلة وصدقوهم فيها كما دخلت عليهم في غير ذلك كثيراً وصدقوا قصصهم في فسق أنبياء بني اسرائيل ومعاصيهم الكبيرة الكثيرة وصاروا يدافعون عن هذه القصص الفظيعة ويعتبرونها مقدسة الى الآن !! حاشا لله =

كما سبق (لو ١٤ : ٢٦) فهل هذا هو الامر بالاحسان الى الناس كافة حتى الاعداء ؟ ومتى عمل هو نفسه بذلك أو أتباعه الذين استغاثت الارض من سفكهم دماء بعضهم بعضا لأقل الاسباب ودماء غيرهم من الأمم بغير حق الى الآن. ومن منهم أدار خده الآخر للضار بين (مت ٥ : ٣٩) وأحب اعداءه ؟ أليست هذه التعاليم كلها حبرا على ورق، وهي مع ذلك غلو مذموم مخالف للعقل والعدل وللطبيعة البشرية، وإيجابها في جميع الاحوال مؤد الى الفساد بطغيان الاشرار و بتثبيط همة الاصدقاء وتنفيرهم لمساواتهم بالاعداء فيهملون ولا يبالون. ومن منهم ترك ما اعتادوه من الانغماس في الملاذ والشهوات والترف وباع كل ماله كما في لوقا (١٨: ٢٢) ووزعه على الفقراء ؟ واذا أطاع الناس هذا الامر أتصلح أحوال هذا المجتمع ويتقدم الى الامام أم يبطل فيه كل عمل واختراع واكتشاف واجتهاد مادامت الاموال كلها توزع من الاغنياء على الفقراء بلا عمل ولا حساب ؟ قال ملحدوهم الظاهر ان يسوع ما أمر بذلك إلا حيلة ليتمكن هو وتلاميذه من أخذ أموال الاغنياء ليعيشوا بها بلا عمل سوى التجول من مدينة الى أخرى صارفين في حاجاتهم كلها من أموال غيرهم حتى من النساء (لو ٨ : ١ - ٣) كما هو شأن أهل البطالة والكسل المتشردين ، واذا كان كل شيء ينال بالصلاة (كما قال في مت ١٨ : ١٩ و ٢٠) فما حاجته بعد الى أموال الناس التي كان يأخذها منهم ويحملها في صندوق مع يهوذا الاسخر يوطي (يو ١٢: ٦) ؟ فلماذا لم يترك المال لاهله و يسأل أباه السماوي فيعطيه كل ما احتاج اليه هو وتلاميذه الفقراء الذين لا عمل لهم بعد اتباعه (مت ٤ : ١٩ - ٢٢) سوى الانفاق من المال الذي كان يلقى لهم في الصندوق من الناس

فهذا شيء قليل من كثير مما أصبح بعض الافرنج يقولونه في المسيح. ومن أراد أكثر منه فليقرأ مثل كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » المذكور آنفا (The Truth about Jesus of Nazareth) واني أستغفر الله من كل هذا

= أن يصطفى من خلقه الفسقة الزناة السكيرين الكذبة الخونة (تك ٢٦: ٧ و ٢٧: ١٩) الكفرة (١ مل ١١: ٥ و ٦) الاشرار كما صورهم اليهود لا سامحهم الله

ومما جاء في هذا الكتاب الانكليزي وغيره من تأليف ملحدي النصارى أنفسهم

وقال هؤلاء الملحدون أيضا « اذا صح أن يسوع صدق في نبوة واحدة من نبواته فهي قوله (مت ١٠ : ٣٤) (لا تظنوا اني جئت لألقي سلاما على الارض . ما جئت لألقي سلاما بل سيفا) فان الارض لم تخضب بدم اكثر مما خضبها به أتباعه منذ أن صارت لهم قوة ودولة ولم يصدر عن أمة في العالم ماصدر من أمته-حتى من رؤساء الدين منهم- (١) من ظلم الابرياء والاذى والاضطهاد وسائر انواع المفاسد والمظالم حتى الآن كما هو مشاهد » أنظر مثلاً ص ١٣٠ و١٣١ من كتاب « الحقيقة عن يسوع الناصرة » ويقولون اذا كانت هذه ثمرة دينه في الارض فبئست الثمرة، واذا كان ذلك كله مما فعله في ثلاث سنين وهو فقير حقير ضعيف مضطهد (أش ٥٣ : ٣) فكيف به لو كان أوتي عزا ومالا وجاها وملكا كبيرًا وعمرًا طويلا . لذلك كفر به هؤلاء الناس وكفروا بدينه وبكل ماجاء به وألفوا المؤلفات الضخمة في مطاعنهم وردودهم وصاروا اليوم يدعون الناس في أوربة جهرًا الى آرائهم وأفكارهم . فليتأمل في ذلك دعاة النصرانية الذين يطعنون وهم في بلاد المسلمين (خوفا من أن يسمعهم ملحدوهم فيضحكون منهم) يطعنون في محمد بمطاعن ضعيفة واهية لاتعد شيئا بالنسبة لما فعله المسيح وما يفعله الان أتباعه كثيرًا كالانتحار وشرب الخمور والربا والمقامرة وحب المال الدرجة الفناء فيه والفسق والخلاعة والتبرج والزنا والقتل والظلم والانغماس في اللذات والشهوات وغير ذلك مما أتت به الى بلادنا مدنيتهم الافرنجية التي يسمونها مسيحية ولا يخجلون ويظنون أن المسلمين يخجلون من حكم الطلاق وتعدد الزوجات في الاسلام وجهاد الاعداء (٢) في سبيل الله بسبب

(١) ولذلك تراهم الآن، وقبل الآن ، في كل زمان ومكان، يباركون الجيوش، ويدعون « يسوع » لأجلها، ويصلون فرحا بانتصاراتها ونجاحها في سفك الدماء، وتيتيم الاطفال ، وهتك الاعراض ، وتخريب الديار، وهدم معالم التوحيد، وعبادة الرحمن، واستبدالها بالسجود للصور والصلبان ، وعبادة (ابن الانسان) وهو في الحقيقة من كل ذلك بريء وعليه حاقد ناقم، وما هم فيه الا متبعون أهواءهم وشياطينهم، فلا حول ولا قوة الا بالله (٢) ان شئت أن تقرأ بحثاً مستفيضاً في هذه المسائل كلها فاقرأ رسالتنا «الاسلام» في الرد على اللورد كرومر

ظلمهم لما فهذه الأشياء ـ على فرض قبحها ـ ليست كالاشياء التي رووها هم أنفسهم عن المسيح وأشرنا الى بعضها هنا ، والحكم عليها بالقبح مع ذلك ليس مما أجمع عليه العقل البشري كمسائلهم تلك بل هي أمور اعتبارية، ألا ترى ان مسألة تعدد الزوجات في الاسلام هي من المسائل التي يختلف الحكم عليها باختلاف عادات البلاد واختلاف أذواق أهلها فهي اقل من مسألة التزوج عند بعض الامم بالاقارب الاقربين مثلا . فنحن وان كنا نستفظع ذلك التزوج بالاقربين ونستقبحه ونمقته الا انه ليس من المسائل المجمع على قبحها بين سائر البشر ، وكذلك عادة رقص النساء مع غير ازواجهن وابداء زينتهن لغير محارمهن هي عندنا قبيحة شنيعة وعند الافرنج حسنة وتعمل رسميا في قصور ملوكهم ، فالخلاف بيننا وبينهم نقول فيه كما قال الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عنـدك راض والرأي مختلف

فان قيل : اذا كانت هذه المسائل التي حكيتها عن المسيح صحيحة فما جواب المسلمين عنها وهي تنافي معتقدهم في المسيح الذي عظمه القرآن تعظيما، وان كانت كاذبة فهل يعقل أن الانجيليين وهم أحباب المسيح يخترعونها وينسبونها اليه كذبا ؟ قلت : اننا لا نقول ان كل هذه المسائل اخترعها الانجيليون أنفسهم بل نقول إنها روايات كاذبة افتجرها بعض أعداء المسيح الاولين من اليهود وغيرهم وروجوها بين أتباعه حتى اشتهرت وظنوها روايات صحيحة فدخلت الغفلة على رواة النصرانية (حتى على كتاب الاناجيل) لشدة جهلهم وغباوتهم كما دخلت على كثير من محدثي المسلمين وكتاب السير منهم بعض أشياء من المنافقين والوضاعين توجب الطعن في محمد (ص) والاسلام مع الفرق العظيم بين رواة المسلمين ورواة غيرهم في نقد الحديث كما اعترف بذلك بعض علماء الافرنج أنفسهم (راجع مثلا كتاب « المسحاء الوثنيين » ص ٢٣٨ و ٢٣٩ لمؤلفه المستر روبرتسن J. M. Robertson) . ومع ذلك فقد ترك بعض الانجيليين بعض هذه الاشياء ولم يشر اليها أوذكرها ـ الذيوعها بين الناس ـ بطريقة مخففة لرفع الاشكال بقـدر الامكان بحيث لا يرى منها أصل القصة جليا واضحا الا بالرجوع الى الاناجيل كلها أو بعضها وأخذ عبارة فيها من هنا وعبارة من هناك حتى يتم فهم القصة، كمسألة تردد المسيح على بيت مريم ومرثا في قرية

(بيت عنيا). فان علاقة المسيح بهما وكونهما عاهرتين يحبهما المسيح ويكثر مخالطتهما والمبيت عندهما إلخ انما يستنتج ذلك كله من مجموع ما رووه فيهما لا من واحد منهم فقط

ومن أعظم الاسباب أيضا أن بعض هـذه المسائل كان يوجد مثلها عند الوثنيين الداخلين في المسيحية كما بيناه في حاشية (صفحة ١٨٥) وقد تأصلت في نفوسهم فلم يهن عليهم تركها فأدخلوها في دينهم الجديد ليجعلوا المسيح كأحد آلهتهم لكي لا يشعروا بالفرق الكبير بين الدينين — شأن البشر فيما ألفوه من آرائهم ومعتقداتهم ـ وقد قبل منهم أكثر النصارى ما أدخلوه جهلا منهم بحقيقة دينهم أو فرحا بهم واستمالة لهم لعلهم لا يرجعون

وربما كان غرض بعضهم أيضا من ذكر هـذه المسائل إظهار أن المسيح ـ وهو عندهم يغفر لمن يشاء (لو ٧ : ٤٧ ـ ٤٩) وقد أعطى هذه السلطة لتلاميذه أيضا كما سبق (مت ١٨ : ١٨ ويو ٢٠ : ٢٣) ـ فوق الناموس والشريعة وغير مقيد بها وله أن يتصرف فيها كما يشاء ويفعل ما شاء لانه هو واضعها ـ على زعمهم ـ وشارعها للناس (١) وأنه اذا اقترب من المعاصي فلا يقع فيها الا بمشيئته ولحكمة يجهلها، ولذلك ترى ان أكثر مثل هذه القصص التي أريد بها غالبا إظهار كبريائه وعدم مبالاته بالناموس وأنه فوق كل شيء واردة في انجيل يوحنا دون غيره أو مستوفاة فيه أكثر، وهو

---

(١) حاشية : هذا لا يدل على أنهم كانوا يعتقدون ألوهيته حقيقية لانهم يقولون إن ذلك مما أعطاه الله إياه كالقدرة على الخلق وغيره (أنظر يو ١٤ : ٢٤ و ٥ : ٣٠) وقال يوحنا أيضاً (٣ : ٣٥) (الاب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده) وهو صريح كما قلنا مراراً في أن الله هو الذي أعطاه كل شيء فهو عند كتاب العهد الجديد ليس إلها لذاته . فان قيل لعل هذا القول في { الابن } باعتبار الناسوت. قلت ان هذا الناسوت باعتراف النصارى عاجز جاهل كباقي البشر وليس في يده شيء وهو أيضاً حادث ولم يخلق شيئاً من العالم ، وانما الذي في يده ـ بزعمهم ـ كل شيء وخالق العالم { يو ١ : ٣ } هو { الله الابن } وهذا بنص الانجيل لم تكن له القدرة من ذاته بل الله هو الذي دفعها له كما قال يوحنا وغيره (أنظر أع ٢ : ٢٢ وأف ١ : ٢٢ و ١ كو ١٥ : ٢٧ و ٢٨ ومتى ١١ : ٢٧) فكيف إذاً يكون إلها حقيقيا مساويا للاب في كل شيء كما يزعمون ؟ !

الانجيل الذي ذكر أيضا (٨:٢ - ١١) قصة عدم رجم المسيح للزانية ونقضه شريعة موسى في ذلك (لا ٢٠ : ١٠) (راجع أيضا يو ٤ : ٩ - ٣٠) وأما عبارة انجيل لوقا (٩ : ٥٦) التي تشبه في المبدأ مسألة الرجم هذه فقد وجدوا أنها متروكة من بعض النسخ القديمة وهو دليل على زيادتها فيه ليجعلوا انجيل لوقا كانجيل يوحنا (أنظر يو ٣ : ١٧ و ١٢ : ٤٧) فيجوز أن يكون اختراع هذه المسائل والقصص هو لمثل ذلك الغرض (أي إظهار أنه فوق الناموس وأنه أكبر من كل شيء) وان كان هذا الاختراع قد أدى الى عكسه فذم الناس المسيح ذما شنيعا بسبب ما نسب اليه، ولكن كتابهم ما كانوا ينتظرون حصول هذه النتيجة المحزنة.
وأيضا فقد كان الاستهتار بالشريعة الموسوية وعدم المبالاة بها و بأحكامها أكبر ما سعى اليه بولس وتبعه في ذلك كثير من الامم لسهولته كما هو معلوم، فلذا قالوا عن المسيح ما قالوا فان مبادئهم كانت أقرب الى الاباحية والاشتراكية من أي شيء آخر كما سبق (أنظر صفحة ٥٩ و ١٠٥ و ١٨٧)

أما غرضنا نحن من ذكر هذه المسائل هنا مع اننا نبرأ منها الى الله مرارا وتنفر منها طباعنا و لاسلام يحرم علينا نسبتها الى عيسى عليه السلام ويوجب علينا التأدب في حقه وحق سائر الانبياء - فهو أن نظهر أننا يمكننا ان نقابل النصارى بالمثل لولا ديننا وآدابنا وأن نُريَ متعصبيهم أن الطعن في محمد عليه السلام بالروايات الضعيفة والاحاديث الموضوعة أو بالمسائل المختلف بيننا و بينهم في قبحها وحسنها ليس من العقل ولا من الانصاف في شيء، وعندهم في أناجيلهم القانونية (لا الموضوعة) ما يوجب الطعن فى المسيح بأشد مما يوجد عندنا في محمد، حتى نفر عقلاؤهم وعلماؤهم في أوربة من المسيح والمسيحية، ومن كان في بيت من زجاج لا يليق به ان كان عاقلا أن يرمي بالحجارة الساكنين في بيوت من حديد

ومما تقدم ترى ان الاعتقاد بهذه الاناجيل ضار بمقام المسيح عليه السلام ضررًا بليغا ولا خلاص للناس من كل الاشكالات المتقدمة وغيرها التي أوقعت المفكرين والعقلاء في الالحاد الا بنبذ هذه الكتب والاعتقاد بالقرآن الشريف فانه هو الذي برأ المسيح - بالحق - من كل عيب ومن كل دعوة الى عقيدة باطلة

ورفع مقامه رفعا حقيقيا عاليا . اما هذه الاناجيل فقد حطته من حيث لا تشعر وهي تسعى في تأليهه بنسبة اقوال اليه تدل ـ لو صحت ولن تصح ـ على جنون قائلها لشدة بساطة كاتبيها و بعدهم عن العلم الصحيح والعقل وشدة تأثرهم بالوثنية ، ومع ان رواية هذه الاناجيل هي عند النصارى أصح الروايات بل مكتوبة بالوحي الالهي ، فقد رأيت ما تؤدي اليه من نسبة ما لا يليق الى المسيح وهو منه براء عليه السلام. فكيف يكون الحال اذا عاملنا النصارى كما يعاملوننا في طعنهم في محمد (ص) وأخذهم بكل سخيف ضعيف من الروايات ؟ ولكن ديننا يحول بيننا و بين ذلك ، وهو أيضا لا يتيسر لنا لأنهم أضاعوا الروايات الاخرى وأغلب الاناجيل ولم يبق الا ما وافق آراءهم وأهواءهم ، ومع ذلك فنحن قد أخذنا بأصح رواياتهم في اعتقادهم وأريناك كيف تؤدي الى الطعن في المسيح عليه السلام ، وهم إنما يأخذون بأضعف الروايات عندنا وأسخفها بل بالموضوع منها وأحيانا يفتجر بعضهم الروايات لنا افتجارا ، فهل أمكنهم مع ذلك كله نسبة شيء قبيح قبحا حقيقيا لمحمد (ص) [1] كخلوته بالزانيات

(١) هذا مع انحطاط الوسط الذي نشأ فيه محمد صلى الله عليه وسلم من أكثر الوجوه عن الوسط الذي نشأ فيه المسيح حيث كانت توجد شرائع اليهود وكتبهم الدينية وآداب اليونان والرومان وكتبهم العلمية والفلسفية وغيرها . وأما أهل مكة والعرب عموماً فكانوا وثنيين جاهلين منغمسين في الشهوات كالخمر وحب النساء وفي سفك الدماء ووأد البنات والسلب والنهب والاذى والقسوة ففاقهم محمد جميعاً بدرجات عالية منذ صغره وكان مثال الكمال بينهم في كل شيء . وأما المسيح فلا نعلم في أي شيء فاق قومه بحسب هذه الاناجيل و جميع تعاليمه الحسنى توجد في كتب اليهود وغيرهم من قبل كما بينه كثير من علماء الافرنج أنفسهم كما ذكرنا سابقا (راجع ص ١١٨ ـ ١٢٠ من هذه الرسالة) نعم نحن لا ننكر أنه نشر هذه التعاليم العالية بين عامة اليهود علما وعملا بعد أن كانت في كتبهم لا يقرؤها الا بعض خاصتهم ويندر وجود من يعمل بها كلها منهم ولذلك قال تعالى فيهم (مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وبسبب عيسى (ص) انتشرت بين العامة والخاصة حتى عرفت في العالم الروماني كله واشتهرت بين الناس الى اليوم ، ولكنها مشوبة بشوائب كثيرة حاول بعضهم كالفيلسوف تولستوي تجريدها منها

وحبه لهن وترداده عليهن مرارا هو وتلاميذه ودلكهن قدميه بالطيب ودهن رأسه به ومسح رجليه بشعورهن، وعدم انكاره على الناس شرب الخمر ومساعدتهم على ذلك بل فرضه عليهم وسكره، وتجرده من ملابسه مرة أمام تلاميذه وعشقه لاحدهم واجلاسه له في حضنه، وكذبه على اخوته، وعقوقه لوالدته ومنعه تلميذه من دفن أبيه، وحقده على كل من لم يؤمن به الخ وهو مع ذلك كله فقير مسكين ضعيف مضطهد، فما بالك اذا أوتي ما أوتيه محمد من الملك والعز والمجد والعظمة وسعة الرزق وطول العمر.

وقد حث عيسى تلاميذه - وهو ضعيف - على المقاومة للدفاع عنه وحمل السيوف واستعمالها في ذلك وأمر الناس كافة ببغض آبائهم وسائر أقاربهم الاقربين والقائه الشقاق والحرب والتفريق بينهم، ثم إن أعظم تعاليمه موجبة لضعة النفس والذل، وهي ليست عملية ولا يمكن إطاعتها وفيها من الغلو ما فيها وتؤدي الى خراب هذا المجتمع - بل القيام ببعضها مستحيل حتى عليه هو نفسه كمحبة الاعداء وهو نفسه لم يحبهم بل كان يسبهم سبا شنيعا (مت ٢٣ :١٣ - ٣٦) ويحتد عليهم وما منعه من الانتقام منهم الا ضعفه كما بينا - ومن ذلك حثه الناس على بذل «جميع» مالهم للفقراء وعلى عدم اهتمامهم بشؤون الحياة وترك العمل [1] (مت ٥: ٤٤ و٦: ٢٥ و١٩ : ٢١-٢٥)

---

(١) مقتضى هذه التعاليم (مت ٦: ٢٥ -٣٤) و(لو ١٢: ٢٢-٣١) أن لايهتم الانسان بشيء من حاجاته الجسدية من مأكل وملبس ومشرب ومسكن وأن يهملها كلها وعلى ذلك تكون قذارة الثوب ورثاثته ووساخة الجسد والمسكن وفساد هوائه والفقر من المستحبات ودلائل التوكل والايمان في المسيحية . فمن من النصارى يعمل بهذه الاوامر ؟ واذا عملوا بها فكيف تكون حالتهم الصحية ؟ وهل هذه التعاليم تساعد على الاكتشافات والاختراعات وترقي العلوم الطبية والهندسية والاجتماعية والاقتصادية والنظامات الدستورية وغيرها من علوم العمران والحضارة والمدنية الاجتماعية ؟ وماحاجة الناس الى هذه العلوم اذاً واهمال الجسد والذل والفقر والكسل عن كل عمل دنيوي من أعظم دلائل الفضيلة والطاعة والايمان والتوكل على الله بحسب الانجيل ؟ وهل اتهام متعصبي النصارى الاسلام بأنه هو السبب في قذارة المدن وفساد هوائها وضعف صحة أهلها وخرابها واستبداد ملوكها صحيح أم هو مقتضى تعاليم المسيحية التي أخذ بها متصوفو المسلمين ثم عمتهم كلهم حتى أصبحوا أشد تمسكا بها من أهلها الذين أهملوها =

وحضه لهم على عدم التزوج وعلى الخصاء (مت ١٩ : ١١ و ١٢) وايجابه الطاعة العمياء

= البتة حتى ضرب بينهم وبينها بسور من حديد كما هو مشاهد في كل زمان ومكان. قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) الآية ونحو ذلك كثير سنذكر بعضه

وقول المسيح بحسب رواية لوقا (١٢ : ٢٢ – ٣١) « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون .... تأملوا الغربان انها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها . كم أنتم بالحري أفضل من الطيور .. .. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا .. .. بل اطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم) ـ فضلا عما فيه من الحض الصريح على ترك السعي والعمل والجد والاجتهاد في الدنيا ـ هو أيضا غير صحيح فان سنة الله في هذا الكون أن الانسان اذا ترك السعي والعمل خسر كل شيء ، ولو طلب ملكوت الله كل يوم الف مرة لما زيد له شيء من مطالب الحياة الا اذا أصبح عالة على الناس يحسنون اليه بشيء من كدهم وعملهم حتى اذا ورث شيئا وترك العمل فيه خسره تدريجيا الى أن يفقده . فاذا اتبع جميع الناس هذه التعاليم أكان العالم يصل الى ماوصل اليه من الرقي والتقدم ؟ وهل ماوصل اليه الافرنج الآن هو بفضل هذه التعاليم المسيحية كما يدعي المبشرون ؟ ومن منهم يعمل بها الا أهل البطالة والكسل أو الشحاذون ؟ وهل هذه الاوامر تتفق مع سنن الوجود ؟ فليجربها من شاء منهم وليترك الاهتمام والعمل ثم ليرنا أي شيء زيد له من مطالب الحياة ؟ أما القرآن الشريف فقال (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وقال (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي في أمورهما معا وما به صلاحهما فأين الثريا من الثرى ؟

وقال القرآن الشريف أيضا (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) ونحوه في القرآن كثير وهو يفيد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها أوتيها

والخضوع للرؤساء بلا قيد ولا شرط لشدة خوفه من قياصرة الرومان، ونصه على أن

= ولو كان كافرا ومن أراد الآخرة كذلك أوتيها وأما من لم يرد الدنيا ولم يعمل لها فلا يؤتى منها ما يؤتاه العاملون ولو كان صالحا تقيا طالبا لملكوت الله وهو الحق كما هو مشاهد بخلاف قول الانجيل فانه يفيد ان من طلب الآخرة ولم يطلب الدنيا أوتي الدنيا أيضاً. وقال القرآن (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) فطلب الدنيا شيء وطلب الآخرة شيء آخر ولا يعطاهما الا من طلبهما معا ولا يغني طلب الآخرة وحدها عن طلب الدنيا كما هو صريح الانجيل فان ذلك مخالف لسنن الكون المعروفة، وقد كانت هذه الافكار المسيحية من أسباب تأخر المسلمين فانها انتقلت اليهم ممن دخل في دينهم من النصارى الاولين وفشت فيهم مع ترك النصارى أنفسهم لها منذ أن ارتقوا ولو اتبعوها لتركوا كل عمل وكرهوا الحياة الدنيا وعدوها سجنا لهم يجب الخلاص منه بالتجرد عنه حتى يموت الانسان كبعض أهل الهند !! وهي مبادئ لا تتفق مع مبادئ القرآن في شيء كما لا يخفى على الباحثين . سر في المدن الاوروبية أو في الاحياء الافرنجية الشرقية، في أيام الآحاد، أو الاعياد، وانظر الى جمال الافرنج والافرنجيات وتأنقهم وجمال مساكنهم وملابسهم ومشاربهم ومآكلهم وتمتعهم بسائر أنواع اللذات والشهوات والمسرات وخصوصا التمتع بالنظر الى الكاسيات، العاريات، من الغانيات الحسان، والفتيات الفاتنات الكاعبات، الابكار والثيبات، وقل لي بأبيك في أي شيء تتفق هذه المدنية الاوروبية (أو الرومانية باعتبار أصلها) مع التعاليم المسيحية الحاثة على الفقر والتقشف وترك مطالب الحياة واهمالها كلها، والحاضة على الزهد في الدنيا والناهية عن الاعتناء بالجسد والآمرة بطلب الخبز الكفاف من الله يوما بيوم (مت ٦: ١١) والمحرمة النظر بشهوة الى الاجنبيات (مت ٥: ٢٨) مع أنه لا توجد نساء في الدنيا تبدي من الخلاعة والزينة وكشف أجزاء من أجسامهن واختلاطهن بالرجال والرقص معهم وتبادلهن معا كؤوس بنت الكروم أكثر من الافرنجيات المسيحيات!! فبأي حق أو عقل يسمون هذه المدنية الاوروبية بالمسيحية وبينهما كما بين السماء والارض، إني والله لا أجد في الدنيا اسما أكذب من هذا الاسم. ولا يصح اعتبار المسيحية الدين الكامل للبشر الختامي لهم بل كان فقط درجة تمهيدية في ذلك الزمن زمن بعد اليهود عن روح الدين وتعلقهم بقشوره وانتشار المدنية الرومانية وما فيها من الاسراف والترف والملاذ والاغراق في الماديات مع عدم ارتقاء العقل البشري الى الدرجة التي ارتقى اليها فيما بعد فأتت =

سلطتهم هي من الله (مت ٢٢: ١٥-٢٢ ويو ١٩: ١١) ولذلك قال بولس إتباعا له «ان من قاومهم فقد قاوم ترتيب الله وسيأخذ لنفسه دينونة» (رو ١٣: ١ و٢) (١)

= المسيحية بالغلو أيضاً لنقدر به على مقاومة كل ذلك ولتهيء النفوس لقبول الاصلاح الاسلامي الختامي الجامع بين مصالح الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد والخالي من الافراط والتفريط لعدم حاجة الناس في زمنه الى غلو المسيحية لارتقاء العقول والنفوس عن ذي قبل فيكفيها الاعتدال في بيان الحقيقة على أكمل أوجهها، فهذا هو سبب اختلاف المسيحية عن الاسلام في أوامرها وتعاليمها فانها لا تناسب الا زمنها ولكن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ولذلك تجده أقرب الى الفطرة البشرية والعقل من كل دين آخر ولا تجد سواه يتفق مثله مع أصول المدنية الصحيحة والحضارة والعمران والعلم. والذي يدلك على ارتقاء الناس في الجملة علما وعقلا ونفسا في عهده عن ذي قبل (مع أن ذلك من مقررات العلم الحديث القائل بترقي المتأخر عن المتقدم) أنهم كانوا أبعد عن الوثنية، أميل الى التنزيه والتوحيد، وكان عندهم ميل شديد ورغبة عظمى في البحث والنقد والتمحيص حتى حفظت أصول ديننا كلها بدون تحريف ولا تبديل ، وقد بلغوا في علم النقد والفلسفة العقلية مبلغاً لا نكون كاذبين اذا قلنا ان الافرنج الى الآن لم يساووهم تماما في ذلك ، ولذلك جاءهم الدين خالياً من التكليف بالمحال ومن الغلو ، معتدلا في جميع ما شرعه لهم، لأنهم كانوا قد ارتقوا عن درجة الطفولية التي كانوا فيها من قبل وأصبح عندهم من التمييز والعقل وقوة الارادة مالم يكن عند الاولين ، ولو جاءت المسيحية معتدلة مثله لما كان لها ما كان من التأثير في تلك العقول الضعيفة ، والنفوس الصغيرة ، ولبقي الناس حيث كانوا ، فتبارك الله أحكم الشارعين

(١) قارن ذلك بقول القرآن الشريف (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (لاحظ قوله هنا «منكم») فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وهو صريح في أن طاعة أولي الامر لا تجب علينا الا فيما لا يخالف الدين فان اشتبه علينا الأمر جاز لنا أن نتوقف وننازعهم فيه ووجب أن نرده إذاً الى الله ورسوله (أي ان كان حيا) حتى لا نعمل الا بما وافق الدين وهو يدل على وجوب العمل بالقياس والاستنباط المبنيين على العقل والتفكر فيما أوحاه الله الينا . والرد الى الرسول في زمنه واجب لأنه عليه الصلاة والسلام كان أعقلهم وهو أدرى الناس وأعلمهم بأسرار شريعته ومع ذلك فهو مأمور بالشورى بنص قوله تعالى (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)

= ولذلك كان عليه السلام يستشير أصحابه وكان منهم من يعارضه في أفكاره وآرائه حتى كان يرجع عن رأيه لرأيهم ولكن اذا قرر شيئاً بعد الشورى وبعد النظر في الكتاب العزيز ولو خالفهم فيه وجب الاذعان له واطاعته فانه كان يري مالا يرونه ولذلك قال تعالى (فردوه الى الله والرسول) والرد اليه خاص بزمنه وفي القرآن نحو ذلك من الآيات كثير كقوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) وقوله (اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فيرد الامر كله الى كتاب الله أو الى ماعلم عنه صلى الله عليه وسلم باليقين ، والذين يردون الامر هم نواب الامة ورؤساؤها وأولياء أمرها لقوله تعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر « منهم » لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فالمستنبطون الامر من كتاب الله هم هؤلاء الناس الخاصة من المؤمنين لا العامة منهم ويجب عليهم في بحثهم واستنباطهم مشاورة بعضا بعضا بحيث لايستبد أحد بالامر فيهم لقوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) فاذا قرروا شيئا بعد ذلك وجب على عامة الامة اطاعته مالم يكن مخالفا لدين الله فان ذلك بالضرورة لايكون مستنبطا منه ، واذا اختلف هؤلاء المستنبطون معا وتساوي عددهم ولم يمكن الترجيح بينهم كان للامة الحق في أن تعمل بما تراه من آرائهم أقرب الى نصوص الدين . هذا هو ما يستفاد من مجموع آيات القرآن في هذا الباب فأي مبادئ أدعى من هذه الى العدل ومنع الاستبداد وايجاب الشورى والتفكر والحرية وعزة النفس ؟ وأي فرق بينها بين نظامات أرقى أمم العالم الحالي النيابية الدستورية؟ والى أي الدينين (الاسلام أم المسيحية) ترى أن مبادئ هذه الامم الراقية أقرب أو أشبه ؟ وأنت ترى أن المسيحية توجب عليك الخضوع للسلاطين ولو كانوا ظالمين وتنص على أن سلطتهم هي من الله وأن من قاومها فقد قاوم الله واستحق عقابه كما قال بولس إرضاء للقوة الحاكمة في زمنه وتملقا لها كعادته (رو ١٣ : ١ ـ ٧) وقال بطرس أيضا (١ بط ٢ : ٣) (فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ١٤ أو الولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير الى قوله ١٨ أيها الخدام (أي العبيد) كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط للعنفاء أيضا) فان ذلك من القرآن الذي قال { ولا يعصينك في معروف } وقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والذي =

تاريخ الجهمية والمعتزلة *)

(١٤) رأي الأثرية في الجهمية

احسن من كتب في هذا المعنى الامام ابن قتيبة في شرح مختلف الحديث ، فانه صنفه انتصاراً لحاملي الأثر من خصومهم ، وكان ابن قتيبة للأثريين كالجاحظ للجهمية خطيبا مفوّها كاتبا بليغا ،وهاك ماقاله في مقدمة كتابه المنوه به : « اما بعد اسعدك الله تعالى بطاعته، وحاطك بكلاءته ، ووفقك للحق برحمته ، وجعلك من أهله ، فانك كتبت اليّ تعلمني ماوقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم ، واسهابهم في الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض ، حتى وقع الاختلاف ، وكثرت النحل ، وتقطعت العصم ، وتعادى المسلمون،

= الزم الناس بعتق من طلب الحرية من الأرقاء مكاتبة إن علمنا صلاحيته لذلك وأوجب عليهم إمداده بالمال حتى يقدر على مكاتبة سيده فقال تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وأحكام الرق في الاسلام شهيرة وهي من أعظم مايفتخر به في هذا العصر وما وصلت الى مثلها أوربة الا بشق الانفس وبعد قرون عديدة بفضل ديننا وكتبه وقد بينا شيئا منها في كتابنا (الاسلام) في الرد على اللورد كرومر (ص١٧–١٩و٤٠–٤٦) فليراجعه من شاء . ولكننا نعذر مؤسسي النصرانية كبولس وبطرس فيما قالا فانهما لو فاها ببنت شفة يفهم منها الانتقاد على نظامات الرومان اذ ذاك أو الخروج عليهم لما أبقوا للنصرانية باقية فكانت تلك السياسية في منتهى الحسن في زمن ضعفهم وذلهم فانهم كانوا يتقون كل ما يوجب ايذاءهم واضطهادهم وخصوصا مثل تلك المسائل السياسية ولذلك ترى الآن محققي المؤرخين من الافرنج أنفسهم يشكون في أكثر قصص اضطهاد النصارى الأولين بعد أن علمت مسالمتهم وخنوعهم اذ لا يفهم هؤلاء المحققون سببا لها وقد كان الرومانيون واسعي الصدر أحرارا في المسائل الدينية وخصوصا مع رعاياهم الضعفا الاذلاء الخاضعين لهم كال الخضوع كهؤلاء النصارى الأقدمين   الدكتور محمد توفيق صدقي

*) تابع لما نشر في ج ٨ م ١٦ ص ٦٠١

وأكفر بعضهم بعضا ، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث (الى ان قال) ومع روايتهم كل سخافة تبعث على الاسلام الطاعنين ، وتضحك منه الملحدين ، وتزهّد في الدخول فيه المرتادين ، وتزيد في شكوك المرتابين ، وقد قنعوا من العلم برسمه ، ومن الحديث باسمه ، ورضوا بان يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ، وزهدوا في ان يقال عالم بما كتب ، او عامل بما عمل (ثم قال) هذا ما حكيت من طعنهم على اصحاب الحديث . (ثم قال) وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله مالا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس ، وعيونهم تطرف على الاجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يتهمون آراءهم بالتأويل ، ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة ، وغرائب اللغة ، لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية . ولو ردوا المشكل منهما الي أهل العلم بهما لوضح لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع ، واعتقاد الاخوان بالمقالات ، والناس اسراب طير يتبع بعضها بعضا ، ولو وجد لهم من يدعي النبوة او الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياعا ، وقد كان يجب مع مايدعونه من معرفة القياس ، وإعداد آلات النظر ، ان لايختلفوا كما لايختلف الحساب والمساح والمهندسون ، فما بالهم أكثر الناس اختلافا ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين يدان برأيه ، وله عليه تبع [1]

(١) يشير الى فرق المعتزلة العديدة ، كما تراها في كتب الملل والنحل ، وهم المعنيون بعداء أهل الأثر

(ثم قال ابن قتيبة) « وقد كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب، احب ان اتعلق من كل علم بسبب، وان أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم، وانا مغتر بهم، طامع ان اصدر عنهم بفائدة، أو كلمة تدل على خير، او تهدي لرشد، فارى من جراءتهم على الله تبارك وتعالى، وقلة توقيهم، وحملهم انفسهم على العظائم لطرد القياس، ما ارجع معه خاسرا نادما »

ولقد غلا كثير من الاثرية في الحمل على الجهمية، فصرح بالتكفير واستحلال الدم، نعوذ بالله من الغلو، حتى قام الائمة المحققون وحظروا النبز بالكفر، كما ستراه في بحث على حياله، آخر مقالنا هذا ان شاء الله

ومن استقرأ كلام السلف في ذم الجهمية، تبين له ان سببه شيئان (الاول) شدة تمسك السلف بالظواهر، واعظام تأويلها بوجه ما، ولو سوغته اللغة بما فيها من المجاز، كأنهم أشفقوا ان يفضي باب التأويل الى التعطيل، بل رأوه هو هو، حتى ان لازم المذهب عندهم مذهب[1] قال ابن تيمية: ولما كان أصل قول جهم هو قول المبدلين من الصابئة، وهؤلاء شر من اليهود والنصارى كان الائمة يقولون ان قولهم شر من قول اليهود والنصارى.

(السبب الثاني) قال ابن تيمية: ان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم كانوا إبان ظهورهم يتسترون بالتجهم والتشيع اه فالتبسوا على السلف، لذلك حملوا عليهم كما روى البخاري في كتاب خلق الافعال عن أبي عبيد قال: ما ابالي أصليت خلف الجهمي والرافضي، أو صليت

(١) لا تنس ما مر من البحث والتفصيل في هذه المسألة في الكلام على التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم فتذكر

خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهم ولا يعارون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم اه ولا يشك ان مرادهم اولئك الزنادقة الملاحدة الذين تستروا بالتجهم والتشيع . اما صالحوا الجهمية والشيعة فبمعزل عن هذا الجرح كما لا يخفى

**

(١٥) رأي الجهمية في الاثرية

لما كان القصد مما جمعناه الوقوف على الحقائق التاريخية فيه ، كان من تمامه العلم بآراء هذه الفرق بعضها في بعض، ليزداد بصيرة في مذهبها من يروم مناقشتها الحساب ، قال الامام ابن بطة : ومن كلامهم — يعني الجهمية —: من انتحل مذهب الاثر واعتقد مافي الاحاديث على ظاهرها ، فهو حشوي زائغ ، وعند التحقيق كافر اه[١]

وقال الاديب عبد المؤمن الاصفهاني في « أطباق الذهب[٢] » مامثاله: مثل المقلد بين يدي المحقق، مثل الضرير بين يدي البصير المحدق، ومثل الحكيم والحشوي ، كالميتة والمشوي ، ماالمقلد الا جمل مخشوش ، له عمل مغشوش ، قصاراه لوح منقوش ، يقنع بظواهر الكلمات ، ولا يعرف النور من الظلمات ، يركض خيول الخيال ، في ظلال الضلال ، شغله نقل النقل ، عن نخبة العقل ، واقنعه رواية الرواية، عن در الدراية ، يروي في الدين عن شيخ هم ، كمن يقوده أعمى في ليل مدلهم ، ومن طلب

---

(١) أي لان الظاهر ـ على مايفهمونه ـ يؤدي الى التمثيل والتشبيه بالمخلوقات، وقد تقدم في فلسفة جهم شيء من التحقيق في معنى الظاهر ، بما يرجع الخلاف لفظيا

(٢) في المقالة السادسة والثلاثين

العلم بالعنعنت ، تورط في هوة العنت ، والحق وراء السماع ، والعلم بمعزل عن الرقاع ، فما أسعد من هدي الى العلم ونزل رباعه ، وأري الحق حقا ورزق اتباعه ، وما أشقى جهالا قلدوا الآباء فهم على آثارهم مقتدون ، (أوَ لو كان كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) اه

ومن مثل هذا يعلم مبلغ نفرة الجهمية من الاثر والاثريين، ونبذهم اياهم بما تجل أقدارهم عنه ، ولئن وجد في الرواة من جعل همه التوسع في الرواية دون الدراية ، — وهم الذين عناهم الامام مسلم في مقدمة صحيحه — الا ان أئمة الرواية لم يقنعوا الا بالبحث والتأصيل والتفريع والتخريج، وقد طبق علمهم الآفاق ، وسارت بمذاهبهم وأصولهم الركبان ، وسنذكر تفريط الجهمية في المنقول ، وهو ماحداهم الى النيل من أهله ، وبالله التوفيق

**

(١٦) تفريط الجهمية في السمع والنقل ، وسواهم في العناية بالعقل

من المعلوم ان الجهمية قصروا في علم السمع والنقل، وهو علم الرواية، فجانبوا كثيرا من المرويات المشهورة المعروفة عند أهلها، وتمحلوا في ردها أو تأويلها بمالا يرتضيه منصف، ففاتهم ركن عظيم من أركان أصول الشرع وهو السنة ، وما يتبعها من علومها المتنوعة ، وفنونها المحررة، وهل يزرى بعلم زخر بحره ، وتلاطم بالشرائع موجه ؟

قال المقبلي في العلم الشامخ — في تخطئة المعتزلة في رد الحديث الصحيح بمجرد الرأي مامثاله : فان صح الحديث لزمنا تصديقه ،فان فهمنا معناه والا رددنا علمه الى الله سبحانه ، ولكن هذه طريقة اعتمدها متكلمة المعتزلة ، وهي مردودة عقلا وسمعا ، فلذا ردوا أحاديث الصفات ، وفي

القرآن مافي الحديث من ذلك وما ينبغي التفرقة بينهما، وما أحسن جواب بعض المحدثين، وقد سئل عن أحاديث الصفات فقال: رواها الذين رووا لنا الصلاة والزكاة وسائر الشريعة فالواجب تسليم ماصح، وما اشتبه معناه رددناه الى الله سبحانه، فلا يغرنك قولهم آحادي فلا نقبله في مقابلة العقل، لان مارواه الثقات مقبول، والا اطرحنا أكثر الشريعة، والدليل على قبول الآحاد شامل لكل الدين، والتفرقة جاءت من قبلهم لامن قبل الله ورسوله، اذ العقل قد فرضنا انه لم يدرك حقيقة ذلك، فكيف يقال انه مصادم له اه

وأما خصوم الجهمية فهم أتقنوا علم السمع، وعلموا منه كثيرا من القواعد، وتواتر من السمع لهم مالم يتواتر لغيرهم، الا انهم ظنوا ان العلوم العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق، وحسبوا ان الاصغاء لعلم المعقول والنظر اليه يستلزم البدعة من غير بد، مع ان العقل السليم لاينافي السمع الصحيح. قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء: لاغنى بالعقل عن السماع، ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور، فاياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعاً بين الاصلين، فان العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالادوية اه

(لها بقية)

***

نموذج من انشاء طلبة السنة التمهيدية

﴿ لمدرسة دار الدعوة والارشاد ﴾

خيرنا الطلاب في امتحان آخر السنة التمهيدية (التحضيرية) الماضية بين موضوعين في الانشاء احدهما المفاضلة بين التربية والتعليم، وثانيهما حديث الصحيحين «المؤمن للمؤمن كالبنيان» الخ وانما ننشر هنا ما كتبه ثلاثة من المصريين لانهم زهاء نصف الطلبة وثلاثة من غيرهم : سوري وتركي وتتاوي . وانا ننشر ما كتبوه بنصه من غير تصحيح لاظهار درجة استفادتهم في سنة واحدة في لغتهم وأفكارهم ، وجل أفكارهم وآرائهم الاصلاحية والاجتماعية مقتبسة من دروس التفسير

﴿ اي الامرين اشد تأثيرًا في اصلاح الافراد والامم ﴾

﴿ التربية أم التعليم ؟ [1] ﴾

ان اصلاح الافراد والامم يتوقف على كل من التربية والتعليم ، ولكن اذا قارنا بينهما من حيث التأثير ألفينا التربية هي صاحبة المكانة العليا والقسم الاوفر . ذلك أن الانسان ينشأ في بادئ أمره ضعيف العقل ضئيل الجسم قصير الادراك فأول شيء يحتاج اليه التربية فاذا هو تعهد بالتربية الحسنة الموافقة للفطرة فنما عقله على الاستقلال بعيدا عن الاسر، وربت نفسه على الفضائل، وروعي جسمه بما يحفظه من طوارئ الطبيعة، لم يلبث حتى يصبح انسانا بالمعنى الصحيح قوي الارادة، مستعدا لكل مايلقى عليه من العلوم والمعارف، أهلا لأن يميز ما بين الصحيح الذي ترغب فيه فطرته وطبيعته، و بين الفاسد الذي ترغب عنه تربيته ونشأته، وحينئذ تبشر الامة التي يكون من أفرادها مثل هذا الذي أنبت نباتا حسنا ، فيعلو بها و يوصلها الى أوج الفلاح، كالسائل الذي يندفع بالحرارة وقوتها و يرتفع بها ما شاء الله أن يرتفع. واذا هو قد أهمل وترك فشب على التقاليد الوراثية، ونما على السخافات العادية، حتى تشبعت مدركاته بها، وتصلبت أعصابه عليها، أصبح خاسرا لنفسه، معاديا لما

---

[1] هذا ما كتبه محمد علي ابو زيد المصري البحراوي

وافق الفطرة من العلوم والمعارف فلم يقبل من العلم الا مايلائم تربيته ولم يثبت في فؤاده الا مايوافق نشأته وحينئـذ يكون علمه غير نافع فضلا عما يجلبه على الهيئـة الاجتماعية من الوبال والخسران فمن ذلك تبين لنا أن التربية هي الاساس الاول الذي ينبني عليه اصلاح الافراد ويقوم بحفظ كيان الامم والتعليم طبقة ثانية بعدها لا اعتماد له الا عليها

وحسبنا المشاهدة التي هي أعظم حجة وتاريخ الامم الذي هو أقوى برهان

﴿ أي الامرين أهم وأشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم ؟ ﴾

« التربية أم التعليم ؟ (١) »

من نظر الى الامم في مجموعها، والافراد في تقلبها، وراقب ماتقوم به من الاعمال، وتتصف به من الخصال ، وجد الفرق الكبير بين أمة وأخرى والبون الشاسع بين فرد ومن ماثله. نعم يجد هذه الامة قد ملكت المشارق والمغارب برا وبحرا، وصارت هي السائدة على العالم طرا، آخذة في النمو والارتقاء لا يعترضها محيط، ولا يثني عزيمتها صعوبة ، اختراق الجبال واجتياز المفاوز . بينما هو يجد تلك الامة في غاية الضعف والاضمحلال، مهينة بين الامم لاتحترم لها حقوق، ولا يراعى لها عهد ولا يحفظ ميثاق، آخذة في التقهقر والانخذلان(؟) تخاف من كل ناعق، وترهب من كل ناعب. ويجد هذا الفرد قد أدهش العالم بمخترعاته، وحرك الامم بيراعه، بينما يكون الآخر عالة على غيره يحتاج من يطعمه ويسقيه. ولقد يقف الناظر أمام هذه الحال متفكرا يسائل نفسه هل هذا الفرق نتيجة التربية أم نتيجة التعليم ؟ نقول له أيها الناظر لا تذهب بفكرك بعيدا أن التربية هي أساس كل مجد ، وأصل المفاخر والارتقاء ، فمن رأيته سائدا من الامم أو الافراد فاجزم بأن سموه ثمرة تربية صحيحة، ومن رأيته في أسوأ حال فاحكم بأن تربيته قد أهملت فلا يأتي بخير وأن تعلم علوم الأولين والآخرين. ذلك أن التربية تشمل تربية العقل والنفس والجسم . واذا ربى الانسان عقله على الاستقلال مع صحة المبادئ كان كنز المعارف وأب (؟) التفننات النافعة التي يسود

---

(١) هذا ما كتبه عبد العزيز ابو حمد المصري

بها صاحبه من عداه. زد على ذلك أنه يدرك الحق على أنه حق، ويدفع الباطل لبطلانه ويميز بين الحسن والقبيح من كل شيء تمييزا صحيحا، ويستنتج من الوقائع أمورا قد يعجز غيره عن فهمها بعد الحصول. واذا ربى نفسه على احتمال المشاق في ابتناء المعالي سهل عليه الجولان في الارض والسماء، وتاقت نفسه الى اكتناه دقائقهما، والوقوف على أسرارهما. ولقد يتوقع الهلكة مرارا (؟) وهو جاد في طريقه فلا تنثني عزيمته، ولا تهى قوته، حتى يحصل على مطلوبه أو يموت راضيا مطمئنا غير سائم من هذا السبيل، واذا ربى جسمه بما يحفظ صحته ويزيد في قوته، كان قويا على القيام بما يهيئه له عقله، وتشرئب اليه نفسه، فلا يفوته خير ولا تبعد عنه مكرمة، ويكسب الفخار غدوا ورواحا

أما التعليم فقد يكون مع عقل سقيم، ونفس حقيرة وجسم ضئيل، فلا ينفع فردا ولا أمة، بل قد يكون هو السبب في استئصال الافراد وهلاك الامم. لأن التعليم هو معرفة مسائل العلوم والفنون باعتبار نتيجته وهذه المعرفة يعبر عنها بالعلم، وهو كالريح تمر بالطيب فتطيب و بالخبيث فتخبث

وبالجملة فان من سره أن يكون سعيدا في الدارين، وشريفا في العالمين، فعليه بالتربية النافعة التى تكسب العقل صحة واستقامة، والنفس شجاعة واقداما، والجسم قوة ونماء، ولا يلوى على التعليم الا بعد الحظ الكبير من التربية، وربما بحسن التربية يعرف طريقا للتعليم أجدى من كل الطرق الموجودة (؟) في زمانه والله الموفق

﴿ أي الامرين اهم واشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم ؟ ﴾

« التربية أم التعليم؟ » (١)

التربية مصدر من تربى واصله ربا يربو. معناه النماء والزيادة وهذا النماء اما حسي واما غير حسي. فتربية الجسم تحصل بحفظه من الامراض والانحلال وبوقايته من الضعف

فمن اهتم بحفظ الصحة وراعى قانون الموازنة في اكله وشربه يسلم من الامراض ويكون صحيح الجسم قوي البنية. فبذلك يصفو دماغه ويكثر نشاطه الى كل عمل،

(١) هذا ما كتبه محمد سعيد التركي القسطموني

والتربية المتعلقة بالروح والنفس تحصل باحتراز الانسان من الافعال الدنيئة والاعمال القبيحة حتى يكون ميل النفس الى الاعمال الصالحة . وميل الروح الى مرجعها الاصلي .

فبذلك تقوى همة الافراد والامم وتعظم همتها ؟ ويصلح شأنها . واذا نمت عقول الامم وتزكت نفوسها يكون الاصلاح شأنها والارشاد ديدنها . واما التعليم فانه يرى في كثير من الناس ولكن لعدم التربية في أنفسهم لم ينفعهم تعليمهم ولا يزيد فيهم (؟) الا ضلالا وشقاوة

واذا ربى شخص نفسه وزكيها (؟) وأردف فيها التعليم كان من أعظم الناس ارشادا واصلاحا . ومن أهم ما يصلح شأن الافراد والامم هي التربية الكاملة والتعليم الصحيح. ومعنى لفظ التعليم الوقوف والاطلاع في شيء مجهول سواء كان ضارا أو نافعا . ولكن التربية هي التزكية والتنمية والعلو والارتفاع . ولذلك ؟ مخاطبة الله انبيه في كل مواضع في القرآن بلفظ الرب ، ويفهم من هذا ان من أعظم أسماء (؟) الحسنى هي (؟) لفظة (رب) .

وكذلك الخطاب للانبياء والامم الماضية صدر بلفظ الرب انه هو مربي العالمين ومربي كل شيء . ويقول وربك يعلم ما تكن صدورهم ، ورب العالمين ، أو غير ذلك . وأمر بالدعاء اليه بلفظ الرب . ولم يقل ولم يأمر ومعلمك ومعلم العالمين (؟) . فاذا ان التربية أهم وأشد تأثيرا في الاصلاح

﴿ أي الامرين أهم وأشد تأثيرا في اصلاح الأفراد والأمم ؟ ﴾
« التربية أم التعليم » (١)

لكل من التعليم والتربية تأثير في اصلاح الافراد ولأمم فهما لازمان لمن يريد اصلاح نفسه أو أمته . وتأثير التعليم هو أنه يحرك الافكار ويحمل الانسان بحب البحث دائما عن كل ما يجهله في امور الدين والدنيا . والتفكر والبحث سبب وصول الحقائق وهما أم لاختراعات والاكتشافات(؟) ولذلك نرى الامم التي انتشر

---

(١) هذا ما كتبه امين خليل التتاري

بين أفرادها التعليم تقدموا في الارتقاء وغيرها بعكس ذلك . ولكن تأثير التعليم ليس بشيء بالنسبة لتأثير التربية العملية وهي تربية العقل والروح والجسم . فأن كل فرد أو أمة توجد فيها هذه التربية يكون بالطبع جامعا بين العلم والعمل . والاعمال هي أساس الاصلاح . وكذلك هذه التربية تجعل نفوس الافراد والامم عزيزة أبية لاتقبل الخضوع لغيرها أبدا (؟) ولا ترضى بالذل والهوان بأي حال من الاحوال ، وبالتربية تصلح الاخلاق أكثر مما تصلح بالتعليم ، فأننا نرى كثيرا من المتعلمين فاسدي الاخلاق لعدم التربية فيهم ، ونراهم أيضا يكذبون و يسرقون ويخونون ويغشون ولا يفون بعهد اذا عاهدوك . وأما المتربون تربية صحيحة فهم يبتعدون من الاخلاق الذميمة ، ويحبون العمل أكثر من القول . ولا شك أن أمة انتشرت بينها التربية تسود على غيرها ، ولذلك ترى اليوم الامم المتربية سادت علينا معشر المسلمين من كل وجه . ومما يدل على أن التربية أشد تأثيرا في اصلاح الافراد والامم من التعليم ما وقع في صدر الاسلام للمسلمين من الاصلاح العظيم في الامة وفي أفرادها ولا شك أن سبب هذا الاصلاح هو تربية نفوسهم وتهذيبها من الاخلاق الفاسدة والعقائد الباطلة ، وما كان التعليم عندهم معهودا قط (؟) ومع ذلك سادوا على الامم المتمدنة (؟) المتعلمة بشدة تأثير التربية . فعلمنا من هذا أن التربية من أهم مايؤثر في الاصلاح ، وأما اذا كان معها التعليم فبالضرورة يكون أكمل وأتم في التأثير ، فحينئذ يجب علينا معشر المسلمين أن نصلح أحوالنا بالتربية الصحيحة والتعليم العملي كما يوجبه علينا ديننا الشريف حتى نكون خير أمة أخرجت للناس والله الهادى الى الصواب

﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ﴾ [1]

هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه أن المؤمنين في تناصرهم وتعاضدهم ومساعدة بعضهم لبعض في جميع مايحتاج اليه كل فرد منهم من الامور

---

(١) هذا ماكتبه محمد مصطفى الشريف المصري

الدينية والدنيوية كالبنيان في شدة تماسكه وقيام أجزائه بعضها ببعض، فكل طبقة من طبقات البناء لا تقوم الا بالمجاورة لها الملتصقة بها كما هو معلوم بالمشاهدة ، فكذلك المؤمنون حقا ، تراهم يسارعون الى مساعدة بعضهم بعضا بداعي الشفقة والرحمة الناشئين عن كمال الايمان والعلم بسنن الله تعالى في خلقه وحكمته البالغة، فقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يجعل حاجات الانسان متنوعة وأفكاره متباينة ومقاصده متعددة ، وجعله عاجزا عن القيام بجميع حاجياته بل يحتاج الى أبناء جنسه في قضاء مصالحه وسد عوزه ، فكل فرد يرجع الى الآخر فيما يعجز عنه ويقدر الآخر عليه ، تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فالمؤمن الكامل يجعل هذه السنة نصب عينيه فلا تمنعه المحبة الشخصية والمنفعة الذاتية عن ان يكون لاخوانه عونا ، وعلى سنة ربه جاريا ، بل يكون كالقطر أينما وقع نفع ، وقد أرشدنا الله الى ذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع فقال تعالى في الحث على الاتحاد الذي هو أساس كل خير ورأس كل فضيلة (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) الى غير ذلك . فينبغي للمؤمنين أن ينظروا بعين الانصاف ويهتدوا بهدي كتابهم حتى تتحسن أحوالهم ، وتنتظم معاملاتهم ، وهيهات هيهات أن يفوزوا الا اذا امتثلوا أمر ربهم ! أمرهم ربهم بأن يعطي غنيهم فقيرهم ، وينصر قويهم ضعيفهم ، ويعلم علماؤهم جهلاءهم ، ويسعى كل منهم في الاصلاح حسب ما استطاع ، ولن يضيع أجر من أحسن عملا

وبالجملة فاني أرى ان أعظم أسباب التقهقر والخذلان التي أضرت بالمسلمين في سائر البقاع انما هو الغفلة عن هذه السنة الالهية والاعراض عنها ، فلا يرى الباحث عن أخلاق المسلمين المتفقد أحوالهم في الغالب الا أبا لا يرحم ، وابنا لا يتأدب ، ويرى عداوة كبرى منتشرة بينهم وخصوصا الاقارب والعشائر . فاللهم عطفك وحنانك ونصرك وتأييدك ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ (١)

ان الله سبحانه وصف عباده المؤمنين بالإيثار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة بقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وأمرهم بالتعاون والتضافر على مصالحهم ليسهل عليهم القيام بها « والمرء كثير بأخيه » فشأن المؤمن حقا أن يكون لاخيه كالعضو لباقي الجسد يألم لالمه ويتعب بتعبه ويرتاح لراحته، يسعى كل عضو ويشتغل لمصلحة جميع الاعضاء، لاينثني عن العمل ولا يمل منه الا اذا أصابه مرض شديد يمنعه عن القيام بوظيفته، وهكذا شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين، وهكذا كانوا رضوان الله عليهم أجمعين، هم الذين بتعاونهم وشد أزر بعضهم بعضا أمكنهم أن يبثوا دين الله (الاسلام) في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يفتحوا البلاد ويخضعوا الملوك، ولولا التضافر على المصالح والقيام بدين الله الحنيف لما أمكنهم الوصول الى ما وصلوا اليه، وهذه سنة الله تعالى الكونية في الاستعلاء والاستيلاء وتنفيذ الاحكام دينية كانت أو غير دينية، والمرء لا يمكنه القيام بمصالح نفسه بنفسه من دون معين فضلا عن القيام بمصالح أمته، فالتعاون شيء ضروري لابد منه في اكثر حالات الانسان. نرى المرء اذا مد يده الى الماء وفرق أصابعه لايمكنه أن يأخذ من الماء شيئا ولكن اذا هو ضم أصابعه وصيرها كأنها قطعة واحدة من غير تفرق بين الاصابع أمكنه أن يأخذ مقدار ما تسع. ونرى الاسرة أو الامة اذا وقع بين أهليها الشقاق والبغضاء لاتلبث ان تتفرق رجالها، واذا تفرقوا آل أمرهم الى انحلال قواهم بتشتتها وتفرقها، وهناك الخسارة الكبرى حيث يمسون لا أمة ولا أسرة ولا ذوي شأن في العالم

ثم لايحسب المرء أنه اذا أعان أخاه كان النفع لأخيه فقط، وانما الفائدة مشتركة بينه وبين أخيه وغيرهما، واذا كان كل انسان يرى أنه قادر على إعانة آخر وأعانه بما يستطيع تكون أكثر افراد تلك الامة مكتفين لاحاجة تلجؤهم (؟) الى النهب والسلب ولا الى التعدي على حقوق الغير (؟) مطلقا ويا سعادة رجال يكونون من هذه الامة

---

(١) هذا ما كتبه السيد عبد الرحمن عاصم السوري القلموني

﴿ صورة وثيقة شرعية بفسخ حاكم حنبلي لنكاح غائب معسر[1] ﴾
وتنفيذ الحاكم الحنفي لحكمه (منقولة بحروفها)

الحمد لله تعالى
نفذت
نفذه الفقير اليه تعالى
محمد رفعت زاده صدقي زاده
القاضي بدمشق الشام
غفر الله لهما

ما نسب اليه فيه صحيح
كتبه الفقير الى الله عز شأنه مصطفى البرقاوي الحنبلي
ابن سليمان النابلسي المولى الخلافة بمحكمة
الكبرى بدمشق الشام

بمجلس الشريعة الغرا بمحكمة الكبرى بدمشق المحروسة أجله الله تعالى ثبت لدى مولانا فخر قضاة الاسلام الحاكم الحنبلي الموقع أعلاه بالبينة الشرعية العادلة المرضية بشهادة افتخار الافاضل الفخام الشيخ يسن افندي بن عمدة العلماء والمدرسين الفخام الشيخ حامد افندي عطار زاده والسيد مصطفى بن السيد عبد الله الحموي والسيد محمد بن السيد يسن الحموي المقبولين لديه بذلك شرعاً بمعرفة السيد محمد بن السيد سعيد الصواف الغائب عن دمشق وأعمالها مذ سنة واحدة وعشرة أشهر كوامل تقدم تاريخه الغيبة الشرعية المجوزة للحكم والقضاء على الغائب شرعاً ومعرفة زوجته الحرمة حنيفة المستقرة يومئذ في عصمته وعقد نكاحه بنت السيد يسن الحموي المرأة الكاملة الحاضرة بالمجلس وانه بعد ان عقد نكاحه الشرعي عليها ودخل بها واستمر بمعاشرتها برهة من الزمان سافر وغاب عنها الغيبة المزبورة تركها المدة المزبورة بلا نفقة ولا منفق شرعاً ولم يترك عندها شيئاً تبيعه وتنفق ثمنه عليها ولا أحالها على أحد بالنفقة ولم تعلم له مكاناً فتراسله وانقطع خبره عنها بالكلية وانه فقير معسر لامال له ولا نوال ولا ملكا ولا عقار وانها محتاجة لفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور ثبوتاً شرعيا وزكاهم السيد حمزة بن السيد عبد الغني السرداح والحاج أحمد بن الحاج عثمان عوف الحلبي التزكية الشرعية فحلفها الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه يمينا بالله تعالى العظيم الرحمن الرحيم على طبق ما شهدت به البينة وان من شهد لها شهد حقا وصدقا وظاهر الامر فيه كباطنه الحلف الشرعي بالمجلس فصبرها ووعظها الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه على ان يفرض لها نفقة على بعلها السيد محمد الغائب المزبور الى حين مجيئه فلم تصبر ولم تتعظ وأعادت تبدي فقرها وإعسارها وقلة ما بيدها

(١) ننشر هذه الوثيقة الشرعية اتماما للبحث الذي نشرناه في ص ٢٦٤ من منار هذا العام

واحتياجها لفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور وطلبت الحرمة حنيفة المزبورة من الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه أن يأذن لها بفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها اذناً شرعيا فعند ذلك استخار الله تعالى كثيراً واتخذه هادياً ونصيرا وأذن لها بفسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها اذنا شرعيا فعند ذلك أشهدت عليها المأذون لها الحرمة حنيفة المزبورة شهود آخره أنها فسخت عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور لغيبته ولفقره واعساره ولعدم النفقة والكسوة وغيرها واختارت فراقه وطلبت من الحاكم الحنبلي المشار اليه أعلاه الحكم في ذلك فعند ذلك حكم لها في فسخ عقد نكاحها من عصمة بعلها السيد محمد الغائب المزبور وبوقوع الفرقة بينهما حكما شرعيا بالتماس شرعي ثم أنفذ حكمه نائب سيدنا الحاكم الحنفي الواضع خطه وختمه أعلاه غب الدعوى والمرافعة لديه بحادثة ذلك انفاذاً شرعياً بالتماس شرعي بعد ان أعلمها السيد الحاكم الحنبلي أن عليها الاعتداد من يوم تاريخه أدناه بثلاث حيض كوامل حتى يحل لها أن تنكح زوجاً غيره إعلاماً شرعيا بالتماس شرعي وحرر في ثاني عشر ربيع الاول سنة خمسين ومائتين والف

شهود الحال

المحاسي	المحاسي	سيد ابراهيم	حبري
السيد محمد أمين	السيد محمد علي	محضر	السيد محمد أمين

المحاسي	المحاسي
السيد محمد أسعد	السيد محمد سليم

﴿ قرارات المؤتمر السوري العربي ﴾

اجتمع المؤتمر السوري العربي في باريس في شارع سان جرمين عدد ١٨٤ بتاريخ ٢١ حزيران (يونيو) سنة ٣ ١٩١ (١٦ رجب ١٣٣١) وقرر ما يأتي :

١ – ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة

٢ – من المهم أن يكفل للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في ادارة المملكة المركزية اشتراكا فعليا

٣ ـ يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها

٤ ـ كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني سنة ٩١٣ باجماع الآراء وهي قائمة على مبدأين أساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين

٥ ـ اللغة العربية في مجلس النواب (المبعوثين) العثماني يجب أن تكون معتبرة (*) ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية

٦ ـ تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى

٧ ـ يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها

٨ ـ يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية

٩ ـ سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية

١٠ ـ تبلغ أيضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية

١١ ـ يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسوية شكرا جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها

﴿ ملحق للطلبات السابقة ﴾

١ ـ اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح السورية العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها

٢ ـ ستكون هذه القرارات بروغراما سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح للانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البروغرام وطلب تنفيذه

﴿ بلاغ نظارة الداخلية العثمانية للولايات في شأن الاصلاح ﴾

جاء في جرائد سورية التي صدرت في شعبان الماضي ما نصه :

وردت من نظارة الداخلية الجليلة برقية مؤرخة في ٢٠ تموز (يوليو بالحساب الشرقي) سنة ١٣٢٩ مالية (١٣٣١ هجرية هذا تعريبها)

لما كان أمر ارتقاء جميع الولايات العثمانية وعمرانها وتأمين رفاهة وسعادة كل أفراد الاهالي بحسب أمزجتهم المتباينة وحاجياتهم المحلية نظر اليه بعين الاعتبار فبعد

(*) سئل الرئيس في الجلسة ما معنى كلمة معتبرة هنا ؟ فقال «يعني مقبولة»

الاتكال عليه سبحانه وتعالى جرت المخابرة مع الولايات بشأن الاصلاحات التي جرى الامعان فيها وشرع في تنفيذها ووضعها موضع العمل تدريجا وقد أصدر مجلس الوكلاء الخاص القرار الآتي :

(١) تسليم العقارات والبنايات الوقفية المشروط صرف ريعها للجهات الخيرية المحلية الى المجالس الملية حسب شرط الواقف وتوفيقاً للقانون الخاص الذي هو قيد الوضع

(٢) خدمة الافراد المحلية العسكرية مدتهم النظامية تكون في زمن السلم في دائرة المنطقة التفتيشية التابعين لها ولكن اذا اقتضى لدى الدولة حشد جنود على جهة من الحدود اكثر من القدر المعين لتلك المنطقة فهي تسوق كل قسم من العسكر بلا قيد ولا شرط أما الجنود الضروري سوقها الآن الى المقاطعات البعيدة كالحجاز واليمن وعسير ونجد فهي ترسل من جميع البلاد العثمانية على نسبة معينة

(٣) لما كان التدريس باللسان العربي في جميع المدارس الموجودة في البلاد التي يتكلم أكثرية أهلها بذلك اللسان هو مفيد في الاصل لانه يؤدي الى أن تكون تلك البلاد بأقرب آن مظهراً للتكمل المدني المحتاجة له في الحال والاستقبال فقد تقرر الآن الشروع في التدريس باللسان المذكور في المكاتب الابتدائية والاعدادية وأن يتذرع في المستقبل بالوسائل التي تجعل التدريس العالي بلسان الاكثرية ولكن ينبغي لاجل تصحيح اللسان الرسمي أن يحافظ بصورة مستقلة على المكاتب الاعدادية الموجودة في مراكز الولايات على أن يظل التدريس فيها باللسان التركي

(٤) (يجب) ان يكون المأمورون في تلك الانحاء واقفين على اللسان العربي عدا وقوفهم على اللسان الرسمي وان يدقق في هذا الامر عند تعيينهم

(٥) (يلزم) ان تعين الولايات المأمورين الثانويين ضمن دائرة القوانين والاصول المخصوصة . اما تعيين الحكام ومأموري العدلية المنصوبين بارادة سنية فهو عائد الى المركز

وقد جرى تبليغ هذا القرار الى نظارات الحربية والمعارف والاوقاف

هذا وحبا بالاسراع في الاصلاح تقرر هنا جلب وتعيين مفتشين اجانب بقدر اللزوم الذي تحتاجه شعبات الادارات في كل ولاية ووضع قانون لذلك . ثم من مقتضى حصر قانون الولايات ضم مقدار من المخصصات على ميزانيات الولايات لسد عجز الميزانيات المتعلقة بالوظائف المعينة المتروك امر رؤيتها وتمشيتها للادارة المحلية وعلى الاخص ميزانية المعارف والنافعة . ومن المقرر ان تنفذ في الحال القرارات التي تصدرها المجالس العمومية ضمن دائرة صلاحيتها القانونية

فنبلغكم على سبيل التعميم ان تبذلوا مزيد الاهتمام في العمل بمقتضى ذلك

الارادة السلطانية

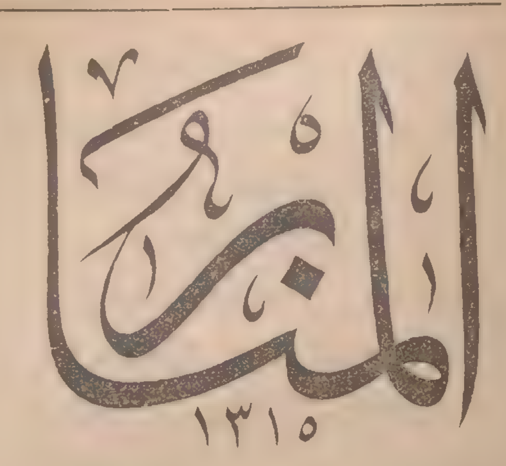
﴿ بشأن الاصلاح في البلاد العربية ﴾

نشرت صحف الآستانة يوم ٢٣ أغسطس الجاري الارادة السلطانية الصادرة بتنفيذ ما قرره مجلس الوكلاء من التغيير الاداري في البلاد العربية وهذه ترجمتها

« ان من وسائل الاصلاح الاساسية التي قرر مجلس الوكلاء تنفيذها والعمل بها (١) أن يعهد الى مجالس الطوائف المحلية بادارة أملاك ومعاهد الاوقاف المشروط صرف ريعها على الجهات الخيرية مع مراعاة شروط الواقفين والتزام نصوص القانون الخاص الذي باشرت الحكومة وضعه (٢) أن يؤدي الجنود خدمتهم الجندية في زمان السلم والامن داخل دائرة التفتيش التي هم تابعون لها . واذا رأت الدولة أن الحال تقتضي بزيادة عدد الجنود المحتشدة على جهة من جهات الحدود فللحكومة أن تحشد وتسوق كل صنف من أصناف العساكر من غير قيد ولا شرط . وأما العساكر الذين تمس الحاجة الآن الى إرسالهم الى الحجاز واليمن وعسير ونجد وأمثال هذه الاقطار فيؤخذون من كل البلاد العثمانية بنسبة صحيحة (٣) لأجل الاطمئنان على حصول ماتحتاج اليه البلاد العربية بوجه خاص من وسائل الحضارة والعمران في الحاضر والمستقبل فان من المفيد لذلك أن تكون لغة التعليم في مدارس تلك البلاد هي اللغة العربية ويبادر من الآن الى التعليم بهذه اللغة في المدارس الابتدائية والثانوية مع جعل تعلم اللغة التركية اجباريا ، وينظر من الآن في أسباب جعل التعليم العالي في المستقبل بالعربية في البلاد العربية ، ولكن لأجل تعميم اللسان الرسمي ينبغي أن يبقي التعليم بالتركية في المدارس الثانوية التي في مراكز الولايات (٤) يجب أن يلاحظ في تعيين الموظفين للبلاد العربية أن يكونوا عارفين اللغة العربية عدا اللغة الرسمية . أما الموظفون الذين من الدرجة الثالثة فتعينهم الحكومة المحلية في الولايات على النهج المنصوص عليه في القوانين الخاصة بذلك ، وأما الذين يتوقف تعيينهم على صدور ارادة سنية فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة

على مجلس الوكلاء تنفيذ ارادتنا السنية هذه .

في ١٤ رمضان سنة ١٣٣١ محمد رشاد



قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ شوال ١٣٣١ هـ ق ٩ الخريف الاول ١٢٩١ هـ ش ٣٠ ستمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

﴿ طهارة الغسل ، والتيمم والحدثان الاصغر والاكبر ﴾

ولما فرغ من طهارة الوضوء بين طهارة الغسل فقال ﴿ وان كنتم جنبا فاطهروا ﴾ أي اذا قمتم الى الصلاة وكنتم جنبا فتطهروا لها طهورا كاملا بان تغتسلوا ، فاطهروا أمر بالعناية بالطهارة والاستقصاء فيها وذلك لايكون الا بغسل البدن كله ، والدليل على ارادة الغسل بها قوله تعالى في آية التيمم (٤ : ٤٣ لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ولا جنبا ـ الا عابري سبيل ـ حتى تغتسلوا) والجنابة الموجبة للغسل معروفة عند جميع المسلمين ، وقد بينا في تفسير آية التيمم (ص ١١٦ ج ٥ تفسير) ان لفظ جنب استعمل استعمال المصادر في الوصفية فيطلق على المفرد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وان المختار اشتقاقه من الجنب (بالفتح) بمعنى الجانب فهو كناية عن المضاجعة المراد بها الوقاع على سنة القرآن في الكناية عما يستقبح التصريح به ،

وفي معنى الوقاع خروج المني وهو لازمه عادة فهو جنابة، وفي الحديث « انما الماء من الماء » رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري. أي انما يجب ماء الغسل من الماء الدافق الذي يخرج من الانسان مهما كان سبب خروجه، وسيأتي بيان ذلك في الكلام على حكمة الغسل، ولم يختلف المسلمون في هذا واختلفوا في الوقاع بدونه فقال بعضهم لا يجب الغسل به واحتجوا بهذا الحديث وحديث عثمان الناطق بانه لايجب به الا الوضوء. وهو معارض بحديث أبي هريرة الناطق بوجوب الغسل في هذه الحال، وهو في الصحيحين وصرح فيه مسلم بكلمة «وان لم ينزل» و بظاهر الآية وعليه الجمهور، ولا حاجة الى اطالة الشرح في هذه المسألة اذ لاخلاف فيها اليوم ولا أهواء، واختلفوا في المني اذا خرج بغير شهوة لعلة ما، فاذا خرجت بقية منه بعد الغسل مما خرج بشهوة فعدم وجوب الغسل منها ظاهر جدا.

ولما بين وجوب الطهارتين وكان مقتضاهما أن المسلم لا بد له من طهارة الوضوء كل يوم مرة أو اكثر من مرة في الغالب، ولا بد له من الغسل في كل اسبوع او كل شهر مرة أو عدة مرار في الغالب، بين الرخصة في تركهما عند المشقة أو العجز لان الدين يسر لا حرج فيه فقال عز وجل ﴿ وان كنتم مرضى ﴾ مرضا جلديا كالجدري والجرب وغير ذلك من القروح والجروح، أو أي مرض يضر استعمال الماء فيه أو يشق عليكم ﴿ أو على سفر ﴾ طويل أو قصير مهما كان سببه فالعبرة بما يسمى سفرا عرفا، ومن شأن السفر أن يشق الوضوء والغسل فيه ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴾ الغائط المكان المنخفض من الارض وهو كناية عن قضاء الحاجة من بول وغائط وصار حقيقة شرعية في هذا الحدث وعرفية في الرجيع الذي يخرج من الدبر، وملامسة النساء هي المباشرة المشتركة بين الرجال و بينهن، كل من التعبيرين كناية على سنة القرآن في النزاهة، كالتعبير بالجنابة هنا و بالمباشرة في سورة البقرة. والمراد أو أحدثتم الحدث الموجب للوضوء عند ارادة الصلاة ونحوها كالطواف، ﴿ ويسمى الحدث الاصغر ﴾ أو الحدث الموجب للغسل ﴿ ويسمى الحدث الاكبر ﴾ فلم تجدوا ماء تتطهرون به - أي اذا كنتم على حال من هذه الاحوال الثلاث: المرض أو السفر

أو فقد الماء عند الحاجة اليه لاحدى الطهارتين ﴿ فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾ أي فاقصدوا ترابا أو مكانا من وجه الارض طاهرا لا نجاسة عليه فاضربوا بأيديكم عليه وألصقوها بوجوهكم وأيديكم الى الرسغين بحيث يصيبها أثر منه . وقد شرحنا آية التيمم في تفسير سورة النساء وقفينا على تفسيرها بعشر مسائل في بيان معنى التيمم اللغوي والشرعي، ومحله الذي بينته السنة الصحيحة، وكونه ضربة واحدة للوجه واليدين ولا ترتيب فيه ، ومعنى الصعيد وما ورد فيه ، وكون المسافر والمقيم فيه سواء اذا فقد الماء ، وكون الصلاة به مجزئة لا تجب اعادتها ، وبحث تيمم المسافر مع وجود الماء ، وبحث التيمم من البرد والجرح ، وكونه كالوضوء في الوقت وقبله، وفي استباحة عدة صلوات به، والمسألة العاشرة في بيان حكمة التيمم. فمن شاء فليراجع هذه المسائل في الجزء الخامس من التفسير (ص ١٢٣ - ١٣٥)

نواقض الوضوء

وقد علم من الآية بطريق الكناية أن الحدث الذي يكون في الغائط ينقض الوضوء فلا تحل الصلاة بعده الا لمن توضأ ، وذلك الحدث هو خروج شيء من أحد السبيلين: القبل والدبر ، وظاهر الآية أن الذي ينقض هو الذي يخرج في محل التخلي (قضاء الحاجة) الذي عبر عنه بالغائط فلا يدخل فيه الريح والمذي اللذان يخرجان في كل مكان ، ولكن ثبت في السنة نقض الوضوء بهما ، وصح الحديث أن الريح الذي يخرج من الدبر يعتبر في نقضه للوضوء أن يسمع له صوت أو تشم له رائحة . روى أحمد والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة « لا وضوء الا من صوت أو ريح » أي رائحة قال البيهقي : هذا حديث ثابت . وقد اتفق الشيخان على اخراج معناه من حديث عبد الله بن زيد ، فما يحس الانسان بخروجه منه لا يسمع له صوتا ولا يجد له رائحة لا يعتد به وان كان في الصلاة .وقد روي الحديث بلفظ « اذا كان أحدكم في الصلاة فوجد ريحا من نفسه فلا يخرج حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » الريح الثانية الرائحة . والعمدة اليقين بأنه خرج منه شيء

واختلف العلماء في النقض بخروج الدم من البدن بجرح أو حجامة أو رعاف قيل ينقض مطلقا وقيل لا مطلقا وقيل ينقض كثيره دون قليله . ولا يصح في ذلك

حديث يحتج به مع توفر الدواعي على نقله لكثرة من كان يجرح من المسلمين في القتال، دع الحجامة وسائر الجروح والدمامل، بل روى أبو داود وابن خزيمة والبخاري تعليقا ان عباد بن بشر أصيب بسهام وهو يصلي فاستمر في صلاته، ولم ينقل ان النبي (ص) أمره باعادة الصلاة ولا بالوضوء من ذلك، ويبعد أن لا يطلع على ذلك وصح عن جماعة من الصحابة ترك الوضوء من يسير الدم

واختلفوا في القيء أيضا قالت العترة والحنفية ينقض اذا كان دفعة كبيرة من المعدة تملأ الفم وقال غيرهم لا ينقض، ولم يصح في نقضه حديث يحتج به .

واختلفوا في النوم على ثمانية مذاهب: (١) لا ينقض مطلقا وعليه الشيعة الامامية (٢) ينقض مطلقا وعليه الحسن البصري والمزني واسحق بن راهويه وابن المنذر (٣) ينقض كثيره مطلقا وعليه الزهري وربيعة ومالك وأحمد في رواية (٤) ينقض اذا نام مستلقيا أو مضطجعا أو على هيئة المصلي فيما عدا القعود وعليه أبو حنيفة وداود الظاهري (٥) ينقض في الصلاة لا في خارجها وعليه زيد بن علي (٦و٧) ينقض نوم الراكع والساجد أو الساجد فقط، رويا عن أحمد (٨) ان النوم ليس حدثا وانما هو مظنة الحدث فمن نام ممكنا مقعدته من الارض لا ينتقض وضوءه بحال ومن نام غير ممكن انتقض وضوءه، وبهذا القول يمكن الجمع بين الروايات المتعارضة في ذلك وان كان من العمل بترجيح الغالب على الاصل الذي هو البراءة وعدم خروج شيء .

وقد ثبت في حديث ابن عباس في الصحيح ان النبي (ص) نام حتى سمع غطيطه، ثم قام فصلى (صلاة الليل) ولم يتوضأ. قالوا تلك من خصائصه بقرينة ما ورد ان عينيه تنامان ولا ينام قلبه . وثبت في الصحيح من حديثه أيضا انه صلى معه صلاة الليل قال: « فجعلت اذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني» وثبت في حديث أنس ان الصحابة (رض) كانوا ينتظرون العشاء الآخرة حتى تخفق رؤسهم - أي تميل من النعاس أو النوم - ثم يصلون ولا يتوضؤن . رواه الشافعي في الام ومسلم وأبو داود وزاد من طريق شعبة « حتى اني لاسمع لاحدهم غطيطا » وحمله ابن المبارك والشافعي وغيرهما على نوم الجالس لان الغالب على منتظري الصلاة أن يكونوا جلوسا ، ولكن جاء في بعض الروايات « فيضعون جنوبهم فمنهم من ينام ثم يقوم الى الصلاة» رواها ابن القطان

عن شعبة عن قتادة عن أنس . ونقل النووي اتفاق العلماء على ان الجنون والاغماء وكل مايزيل العقل من سكر أو دواء وغيرهما ينقض الوضوء مطلقا

واختلفوا في الوضوء من لمس المرأة أي مس شيء من بدنها بغير حائل، روي عن ابن مسعود وابن عمر والزهري انه ينقض وعليه الشافعي ، وعن علي وابن عباس وعطاء وطاوس انه لاينتقض وعليه العترة والحنفية ، وقال بعضهم انما ينقض اللمس بشهوة فقط ، وقاسوا على هذا لمس الامرد . استدل المثبت والنافي بالآية اذ حمل بعضهم الملامسة فيها على الجس والآخرون على الوقاع ، وهذا هو الصحيح المختار وعليه ابن عباس . واختلفت الاحاديث في ذلك ، فأما النقض فلا يصح شيء مما استدل به عليه . وأما عدمه ففيه حديث عائشة عند مسلم والترمذي وصححه، انها وضعت يدها على قدم النبي (ص) وهو يصلي في المسجد ، وحديثها عند النسائي وصححه الحافظ ابن حجر في التلخيص : انه كان يصلي ليلا (أي في بيتها) وهي معترضة بين يديه كالجنازة فاذا أراد أن يسجد مسها برجله أي لتوسع له المكان . قيل يحتمل أن يكون المس بحائل وهو احتمال متكلف بل باطل ، وروي عنها من عدة طرق انه كان يقبل بعض أزواجه ولا يتوضأ ، واختلفوا في تصحيحها وتضعيفها . وأقول لو كان لمس المرأة ينقض الوضوء لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر

واختلفوا في نقض الوضوء بمس الفرج بدون حائل . والاصل فيه تعارض الاحاديث (فمنها) في اثبات النقض حديث بسرة المرفوع « من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ » رواه مالك والشافعي واحمد واصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي . وفي رواية لاحمد والنسائي « ويتوضأ من مس الذكر » قالوا ويشمل ذكر نفسه وغيره . وهو معقول وان كان الظاهر انه رواية بالمعنى. ولم يخرجه الشيخان في صحيحيهما لاختلاف وقع في سماع عروة من بسرة قيل سمع منها وقيل من مروان عنها ومروان مطعون فيه . وقيل ارسل مروان رجلا من حرسه الى بسرة فسألها عنه وعاد فأخبره بأنها قالته . والحرسي مجهول العدالة . وقال البخاري : ان هذا الحديث اصح شيء في هذا الباب . وان لم يخرجه في صحيحه لما ذكر . وحديث ام حبيبة المرفوع « من مس فرجه فليتوضأ » رواه ابن ماجه وصححه احمد

وأبو زرعة ـ وحديث ابي هريرة المرفوع « من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء » رواه احمد وابن حبان في صحيحه وصححه الحاكم وابن عبد البر أيضا ـ وحديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده يرفعه « ايما رجل مس فرجه فليتوضأ وأيما امرأة مست فرجها فتتوضأ » رواه احمد والترمذي. وروي الأخذ بهذه الاحاديث عن عمر وابنه عبد الله وابي هريرة وابن عباس وسعد ابن ابي وقاص وعائشة ، وعن عطاء والزهري وسعيد بن المسيب ومجاهد. وهو مذهب الشافعي واحمد واسحق ومالك في المشهور عنه . واشترط الشافعي ان يكون المس بباطن الكف وظاهر حديث ابي هريرة العموم لأن الافضاء معناه الوصول، وكأن الشافعي فهم هذا من ان الواقع ان المس الاختياري المعتاد انما يكون بباطن الكف وهو الذي يكون مظنة اثارة الشهوة التي هي علة النقض فيما يظهر فلا يعتد بغيره . وروي عن مالك ان الوضوء انما يندب من المس ندبا ، ويرده حديث ابي هريرة. وقيل ان رواية الفرج تشمل القبل والدبر وعليه الشافعي في الجديد . والظاهر ان المراد بالفرج القبل لموافقة اكثر الروايات ولأن شرج الدبر لا يلمس عادة ولا هو مظنة اثارة الشهوة .

وروي القول بعدم النقض بالمس عن علي وابن مسعود وعمار بن ياسر وعن الحسن البصري وربيعة وغيرهم من الصحابة والتابعين ، وهو مذهب الثوري والعترة والحنفية . وحجة هؤلاء في معارضة تلك الاحاديث حديث طلق بن علي ان النبي (ص) سئل: الرجل يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال « انما هو بضعة منك » رواه احمد واصحاب السنن الاربعة والدارقطني وصححه ابن حبان والطبري وابن حزم وعمرو بن علي بن العلاس وقال هو عندنا اثبت من حديث بسرة ، وروى عن علي بن المديني انه قال هو عندنا احسن من حديث بسرة . والصواب انه صحيح وان حديث بسرة اصح منه وأقوى دعائم لما يؤيده من الاحاديث الاخرى . وادعى بعضهم نسخ حديث طلق لأنه روى حديث النقض بلفظ حديث أم حبيبة . وقال بعضهم انما ينقض المس اذا كان بلذة . ورأى الشعراني في الجمع بين الحديثين على طريقته في الميزان ، ان نقض الوضوء بالمس عزيمة فكان النبي (ص) يوجبه على

أهل العزم من الصحابة سكان المدينة ومثلها سائر الامصار التي يسهل فيها الوضوء في كل وقت ، وعدم النقض رخصة رخص بها للسائل وكان بدويا ، وعلماء الاصول يردون مثل هذا الجمع بان أحاديث النقض وردت بصيغة العموم

واختلفوا في الوضوء من أكل لحوم الإبل فذهب الجمهور الى عدم النقض به وعليه الخلفاء الاربعة وكثير من الصحابة والتابعين وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية. وروي عن بعض الصحابة والتابعين القول بالنقض وهو مذهب احمد واسحق وكثير من علماء الحديث . وقد صح الحديث بالامر بالوضوء منها وقال الجمهور بنسخه، ولا يعرف حديث صريح مثبت للنسخ ولكن عمل الخلفاء الاربعة وجمهور الصحابة وأهل المدينة اذا لم يدل على النسخ فقد يدل على عدم صحة ماورد في النقض ، وان صحح المحدثون حديثين فيه حديث جابر بن سمرة وحديث البراء، فغير معقول ان يعرف جابر والبراء مايجهله الجمهور الاعظم ومنهم الخلفاء الراشدون

والخلاف في هذه المسألة كالخلاف في الوضوء مما مست النار أي من أكل ماطبخ وعولج بالنار قال بعضهم ينقض واحتجوا بحديث « توضئوا مما مست النار » رواه احمد مسلم والنسائي عن عائشة وزيد بن ثابت وابي هريرة .والجمهور على انه لاينقض ومنهم الخلفاء الاربعة والعبادلة الا عبدالله بن عمرو لم ار عنه شيئا ، وهو مذهب الفقهاء الاربعة واكثر علماء الامصار ، واحتجوا بأحاديث منها حديث ميمونة « اكل رسول الله (ص) من كتف شاة ثم قام فصلى ولم يتوضأ »وحديث عمرو بن أمية الضمري « رأيت النبي (ص) يحتز من كتف شاة (١) فأكل ولم يتوضأ» رواهما البخاري ومسلم

﴿ حكمة شرع الوضوء والغسل ﴾

ولما بين فرض الوضوء وفرض الغسل ، وما يحل محلها عند تعذرهما او تعسرهما ، تذكيرا بهما ومحافظة على معنى التعبد فيهما ، وهو التيمم - بين حكمة شرعها لنا مبتدئا ببيان قاعدة من أعظم قواعد هذه الشريعة السمحة فقال

(١) يحتز الخ اي يقطع منه بالسكين ويأكل قال النووي فيه جواز قطع اللحم بالسكين وقد تدعو الحاجة اليه لصلابة اللحم او كبر القطعة اه وقد أخطأ من قال يكره لغير حاجة الكراهة حكم شرعي يحتاج الى الدليل . ومن الحاجة ابقاء اليد نظيفة ومراعاة الصحة

﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ أي ما يريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم في هذه الآية - ولا في غيرها ايضا - حرجا ما ، أي أدنى ضيق وأقل مشقة ، لانه تعالى غني عنكم ، رؤف رحيم بكم ، فهو لا يشرع لكم الا ما فيه الخير والنفع لكم ، ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ من القذر والاذى ومن الرذائل والمنكرات والعقائد الفاسدة فتكونوا أنظف الناس أبدانا وأزكاهم نفوسا وأصحهم أجساما وأرقاهم أرواحا ، ﴿ وليتم نعمته عليكم ﴾ بالجمع بين طهارة الارواح وتزكيتها ، وطهارة الأجساد وصحتها ، فانما الانسان روح وجسد ، لا تكمل انسانيته الا بكمالها معا ، فالصلاة تطهر الروح وتزكي النفس لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتربي في المصلي ملكة مراقبة الله تعالى وخشيته لدى الاساءة ، وحبه والرجاء فيه عند الاحسان ، وتذكره دائما بكماله المطلق فتتوجه همته دائما الى طلب الكمال ، (راجع تفسير « ٢ : ١٣٧ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » في الجزء الثاني من التفسير) والطهارة التي جعلها الله تعالى شرطا للدخول في الصلاة ومقدمة لها تطهر البدن وتنشطه فيسهل بذلك العمل على العامل من عبادة وغير عبادة ، فما أعظم نعمة الله تعالى على الناس بهذا الدين القويم ! وما أجدر من هداه الله اليه ، بدوام الشكر له عليه ! ولذلك ختم الآية بقوله ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ أي وليعدكم بذلك لدوام شكره فتكونوا أهلا له ويكون مرجوا منكم لتحقق أسبابه ، ودوام المذكرات به ، فتعنوا بالطهارة الحسية والمعنوية ، وتقوموا بشكر النعم الظاهرة والباطنة .

وقد استعمل لفظ الطهارة في بعض الآيات بمعنى الطهارة البدنية الحسية ، وفي بعضها بمعنى الطهارة النفسية المعنوية ، وفي بعض آخر بالمعنيين جميعا لعدم المخصص . فمن الاول قوله تعالى (٧٤ : ٤ وثيابك فطهر) وقوله في النساء الحيض (٢ : ٢٢١ ولا تقربوهن حتى يطهرن) أي من الدم (فاذا تطهرن) أي اغتسلن بعد انقطاع الدم (فأتوهن من حيث أمركم الله) وختم الآية بقوله (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) والتطهر فيه شامل للطهارتين الحسية والمعنوية ، أي المتطهرين من الاقذار والاحداث ، ومن الفواحش والمنكرات ، فالسياق قرينة على المعنى الاول ، وذكر التوبة قرينة على المعنى الثاني ، ويشير اليه السياق

من حيث ان من أتى الحائض قبل ان تطهر وتتطهر يجب عليه التوبة . ومن المعنى الثاني خاصة قوله عز وجل (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) وقوله تعالى حكاية عن قوم لوط (أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أي من الفاحشة . ومنه قوله تعالى (٢ : ١٢٤ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) أي طهراه من الوثنية وشعائرها ومظاهرها كالاصنام والتماثيل والصور . ومن الآيات التي استعملت الطهارة فيها بمعنييها قوله تعالى (٩ : ١٠٩ لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) . فاذا تأملت هذه الآيات وعرفت استعمال القرآن لكلمة الطهارة في معنييها ترجح عندك ان الآية التي نفسرها من هذا القبيل، فذكر الطهارة بعد الأمر بالوضوء والغسل قرينة المعنى الاول، والسياق العام وذكر إتمام النعمة بعد الطهارة التي ذكرت بغير متعلق قرينة المعنى الثاني مضموما الى الاول

أما تفصيل القول في حكمة الوضوء والغسل - ويتضمن حكمة ما يجب من طهارة كل البدن والثياب من القذر - فيدخل في مسألتين نبين فيهما فوائدهما الذاتية وفوائدهما الدينية

الفوائد الذاتية للطهارة الحسية

أما فوائدهما الذاتية فثلاث (الفائدة الاولى) ما أشرنا اليه آنفا من كون غسل البدن كله وغسل اطرافه يفيد صاحبه نشاطا وهمة ويزيل مايعرض لجسده من الفتور والاسترخاء بسبب الحدث أو بغير ذلك من الاعمال التي تنتهي بمثل تأثيره ، فيكون جديرا بأن يقيم الصلاة على وجهها ، ويعطيها حقها من الخشوع ومراقبة الله تعالى ، ويعسر هذا في حال الفتور والكسل ، والاسترخاء والملل ، أو الحر والبرد ، ونزيد ذلك بيانا فنقول : من المعروف عقلا وتجربة ان الطهارة دواء لهذه العوارض فهي بمقتضى سنة رد الفعل تفيد البردان حرارة والحران ابترادا، وتزيل الفتور الذي يعقب خروج الفضلات من البدن كالبول والغائط اللذين يضر احتباسهما كاحتباس الريح في البطن ، فالحاقن من البول والحاقب من الغائط

والحازق من الريح كالمريض، وكل منهم تكره صلاته كراهة شديدة ، فمتى خرجت هذه الفضلات الضارّ احتباسها يشعر الانسان كأنه كان يحمل حملا ثقيلا وألقاه ، و يشعر عقب ذلك بفتور واسترخاء، فاذا توضأ زال ذلك ونشط وانتعش، وكذلك من مس فرجه او قبل امرأته او مس جسدها بغير حائل يحصل له لذة جسدية في بعض الاحيان ، وحدوث اللذة عبارة عن تنبه أو تهيج في العصب يعقبه فتور ما بمقتضى سنة رد الفعل،والوضوء يزيل هذا الفتور الذي يصرف النفس باللذة الجسدية عن اللذة الروحية والعقلية ، ولهذا اشترط بعض من قال بنقض الوضوء بمس ما ذكر ن يكون بلذة ، واكتفى بعضهم بكونه مظنة اللذة .

اما اذا بلغ الانسان من هذه اللذة الجسدية غايتها بالوقاع أو الانزال فيكون ذلك منتهى تهيج المجموع العصبي الذي يعقبه بسنة رد الفعل اشد الفتور والاسترخاء والكسل ، وضعف الاستعداد للذة الروحية بمناجاة الله وذكره ، ولا يزيل ذلك الا غسل البدن كله فلذلك وجب الغسل عقب ذلك . واشترط بعضهم في الانزال اللذة، ويحصل نحو هذا الضعف والفتور للمرأة بسببين آخرين وهما الحيض والنفاس فشرع لها الغسل عقبهما كما شرع لها الغسل من الجنابة كالرجل. والظاهر ان سبب ما ورد في السنة من الامر بالوضوء من اكل مامسته النار كله هو ما فيه من اللذة ، وخص منها لحم الإبل لانهم كانوا يستطيبونه أو لانه يستثقل على المعدة فيضعف النشاط عقب اكله ، ثم خفف النبي (ص) عن الامة في ذلك واكتفى بالحدث الذي هو غاية الاكل عن المبدإ كما هو مذهب الجماهير ، ومن زال عقله بمرض عصبي أو غيره كالاغماء والسكر وتناول بعض المخدرات والادوية لاينشط بعد افاقته الا اذا أمس الماء بدنه بوضوء أو غسل . وانني أرى ان هذا الدخان (التبغ والتنباك) الذي فتن به الناس في هذه الازمنة او كان في زمن الشارع لأوجب الوضوء منه ان لم يحرمه تحريما ، و يقرب من الاغماء ونحوه النوم ، ومهما اختلف الفقهاء في نقض الوضوء به هل هو لذاته أو لكونه مظنة لشيء آخر ؟ وهل ينقض مطلقا أو يشترط فيه الكثرة أو عدم تمكن المقعدة من الارض ؟ فالجماهير على وجوب الوضوء عقب النوم المعتاد

واعلم ان هذه الفائدة تحصل بالماء دون غيره من المائعات حتى مايزيل الوسخ

أكثر من الماء كالكحول، فلا تحصل عبادة الغسل بغيره لانعاشه وكونه أصل الاحياء كلها، وهذا الذي تعبر عنه الصوفية بتقوية الروحانية للعبادة وهو ما يدل عليه قوله تعالى « فان لم تجدوا ماء فتيمموا » الآية . ولا ينافي روحانية المائية المادة العطرة التي تقطر من الورد وغيره

(الفائدة الثانية من فوائد الطهارة الذاتية) ما أشرنا اليه من كونها ركن الصحة البدنية، و بيان ذلك ان الوساخة والقذر مجلبة الامراض والادواء الكثيرة كما هو ثابت في الطب، ولذلك نرى الاطباء ورجال الحكومات الحضرية يشددون في أيام الاوبئة والامراض المعدية - بحسب سنة الله تعالى في الاسباب - في الامر بالمبالغة في النظافة. وجدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس أجسادًا ، وأقلهم أدواءً وأمراضا ، لان دينهم مبني على المبالغة في نظافة الابدان والثياب والامكنة، فازالة النجاسات والاقذار التي تولد الامراض من فروض دينهم ، وزاد عليها ايجاب تعهد أطرافهم بالغسل كل يوم مرة أو مرارًا اذ ناطه بأسباب تقع كل يوم، وتعاهد أبدانهم كلها بالغسل كل عدة أيام مرة ، فاذا هم أدّوا ماوجب عليهم من ذلك تنتفي أسباب تولد جراثيم الامراض عندهم . ومن تأمل تأكيد سنة السواك وعرف مايقاسيه الالوف والملايين من الناس من أمراض الاسنان كان له بذلك اكبر عبرة . ومن دقائق موافقة السنة في الوضوء لقوانين الصحة غير تقديم السوك عليه تأكيد البدء بغسل الكفين ثلاث مرات ، وهذا ثابت في كل وضوء فهو غير الامر بغسلهما لمن قام من النوم ، ذلك بأن الكفين اللتين تزاول بهما الاعمال يعلق بهما من الاوساخ الضارة وغير الضارة مالا يعلق بسواهما، فاذا لم يبدأ بغسلهما يتحلل ما يعلق بهما، فيقع في الماء الذي به يتمضمض المتوضئ و يستنشق و يغسل وجهه وعينيه ، فلا يأمن ان يصيبه من ذلك ضرر مع كونه ينافي النظافة المطلوبة . ومن حكمة تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل جميع الاعضاء اختبار طعم الماء وريحه فقد يجد فيه تغيرًا يقتضي ترك الوضوء به .

﴿ الفائدة الثالثة من فوائد الطهارة الذاتية ﴾ تكريم المسلم نفسه في نفسه وفي أهله وقومه الذين يعيش معهم ، كما يكرمها ويزينها لاجل غشيان بيوت الله تعالى

للعبادة بهداية قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ومن كان نظيف البدن والثياب كان أهلا لحضور كل اجتماع وللقاء فضلاء الناس وشرفائهم ، ويتبع ذلك انه يرى نفسه أهلا لكل كرامة يكرم بها الناس ، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فانه يكون محتقراً عند كرام الناس لا يعدونه أهلا لان يلقاهم ويحضر مجالسهم ، ويشعر هو في نفسه بالضعة والهوان ، ومن دقق النظر في طبائع النفوس وأخلاق البشر رأى بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن ، أو طهارة الجسد واللباس وطهارة النفس وكرامتها – ارتباطا وتلازما ،

والطهارة في الآية تشمل الامرين معا كما تقدم ، وكل منهما يكون عونا للآخر ، كما ان التنطع والاسراف في أي واحدة منهما يشغل عن الاخرى . وهذا هو سبب عدم عناية بعض الزهاد والعباد بنظافة الظاهر ، وعدم عناية الموسوسين المتنطعين في نظافة الظاهر بنظافة الباطن ، والاسلام وسط بينهما ، يأمر بالجمع بين الامرين منهما ، وان اشتبه ذلك على بعض المحققين حتى هونوا أمر نظافة الظاهر في بعض كتبهم مع ذكرهم لادلتها في تلك الكتب ، والله تعالى يقول (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ولاجل هذا قال رسول الله (ص) « الطهور شطر الايمان » رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك الاشعري وله تتمة . وذلك ان الانسان مركب من جسد ونفس وكماله انما يكون بنظافة بدنه وتزكية نفسه ، فالطهور الحسي هو الشطر الاول الخاص بالجسد ، وتزكية النفس بسائر العبادات هو الشطر الثاني ، وبكلتيهما يكمل الايمان بالاعمال المترتبة عليه .

ويؤيد ذلك ما ورد من تأكيد الامر بالغسل يوم الجمعة والطيب ولبس الثياب النظيفة ، لانه يوم عيد الاسبوع يجتمع الناس فيه على عبادة الله تعالى فيطلب فيه ما يطلب في عيدي السنة . وورد في أسباب الامر بالغسل فيه خاصة ان بعض الصحابة كانوا يتركون فيه أعمالهم قبيل وقت الصلاة فتشم رائحة العرق منهم ولا تكون أبدانهم نظيفة ، وفي بعض هذه الروايات انهم كانوا يلبسون الصوف فاذا عرقوا علت رائحته ، حتى شمها النبي (ص) مرة وهو يخطب ، فكان يأمرهم بالغسل والطيب والثياب النظيفة لاجل هذا ، رواه ابن جرير وغيره . وقد روى

مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من عدة طرق ان النبي (ص) قال « غسل الجمعة واجب على كل محتلم » أي بالغ مكلف . وحكى ابن حزم القول بوجوب غسل الجمعة عن عمر وابن عباس وأبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعمرو بن سليم وعطاء وكعب والمسيب بن رافع وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد ، ولكن المالكية والشافعية على كونه سنة مؤكدة ، والوجوب قول الشافعي في القديم ورواية عنه في الجديد . وعارض القائلون بأنه سنة حديث الوجوب بما يدل على ان المراد به التأكيد لصحة صلاة الجمعة ممن توضأ فقط ، وقال الظاهرية انه واجب لليوم وليس شرطا لصحة صلاتها . وقال ابن القيم ان أدلة وجوبه أقوى من أدلة وجوب الوضوء من لمس المرأة ومس الفرج والقيء والدم

شبهات الملاحدة على جعل الطهارة عبادة

تلك فوائد الطهارة الذاتية لها التي شرعت لاجلها . واما فوائدها الدينية وجعلها عبادة ودينا فاننا قبل بيانها ننبه أذهان المؤمنين ، الى جهالة بعض المعطلين ، الذين ينتقدون جعل الطهارة من الدين ، ويزعمون انهم ينطقون بحقائق الفلسفة ، ولا نصيب لهم منها الا السفه ، والتقليد في الكفر ، من غير بينة ولا عذر ،

لانهم كفروا بالله تقليدا　عمي القلوب عموا عن كل فائدة

يقول هؤلاء العميان المنكوسون ، والاغبياء المركسون ، ان الطهارة والآداب يجب ان تؤتى لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها ، لا لأن الله تعالى امر بها ، ويثيب على فعلها و يعاقب على تركها ، ويزعمون ان الدين يحول دون هذه الفلسفة العالية التي ارتقوا اليها ، ويفسد نفس الانسان بتخويفه من العقاب ، ويحجبه عن معرفة الواجب والعمل به لانه الواجب أي حجاب ، ويحتجون على ذلك بأنهم هم وأمثالهم ممن لادين لهم ، أنظف ثياباً وأبدانا من جمهور المتدينين ، حتى المتنطعين منهم في الطهارة والموسوسين ، ومن يمدحهم الجمهور من الاولياء والقديسين . ونقول في كشف شبهتهم ، واظهار جهالتهم :-

(اولا) ان الدين الاسلامي الذي لا يوجد في الارض دين سماوي سواه ثابت الاصل ، سامق الفرع ، لم يشرع للناس شيئا الا ما كان فيه دفع لضرر أو

مفسدة ، أو جلب لنفع أو مصلحة ، وهو يهدي الناس الى معرفة أحكامه مع معرفة حكمها ، الكاشفة لهم عن فوائدها ومنافعها (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم و يعلمكم الكتاب والحكمة و يعلمكم مالم تكونوا تعلمون) فما يتبجحون بهمن الاهتداء الى وجوب القيام بالاعمال والآداب مع مراعاة منافعها وفوائدها ، هو مما هدى اليه الاسلام الذي عظم أمر حسن النية في جميع الامور ، وحث على طلب الحكمة في كل عمل

و (ثانيا) ان أمر الامم بالاعمال والآداب التي تفيدها في مصالحها الاجتماعية، ومنافع افرادها الشخصية ، ونهيها عن الافعال التي تضر الافراد والجمهور ، لايقبلان ويمتثلان بمجرد تعليلهما بدفع الضر وجلب النفع كما يزعمون ، لأمرين (أحدهما) ان اقناعك جميع أفراد الامة أو أكثرها بضرر كل ماتراه ضارا ونفع كل ماتراه نافعا متعذر ، ولم يتفق لأحد من العقلاء والحكماء ارجاع أمة من الامم عن عمل ضار ، ولا حملها على عمل نافع ، بمجرد دعوتهم الى ذلك بالدليل على نفع النافع وضرر الضار ، ولا ترى أمة ولا قبيلة من البشر متفقة على شيء من ذلك الا بسبب دعوة دينيه ، أو تقاليد أوصلهم اليها اختبارهم الموافق لطبيعة معاشهم ، وكثيرا ما تكون هذه التقاليد المتفق عليها بين قوم مختلفا فيها عند آخرين ، أو متفقا على ضرر مايراه اولئك نافعا ونفع مايرونه ضارا (ثاني الامرين) أن مجرد الاقناع والاقتناع بضرر الضار ونفع النافع لايوجب العمل ولا الترك ، لانه قد يعارضه هوى النفس ولذتها ، فيرجح الكثيرون أو الاكثرون الهوى على المنفعة ، خصوصا اذا كانت لأمتهم لا لأشخاصهم ، واننا نرى هؤلاء المعترضين المساكين يشربون الخمر وهم يعتقدون انها ضارة ، وقد أفقر القمار بيوت أمثلهم وأشهرهم ، وأذل من أذل منهم بالدين والحجز على ما يملك و بيعه حتى قيل انه أمات بعضهم غما وكمدا ، ونراهم مع ذلك مفتونين به لا يتركونه . فاذا كان هذا شأن أرقاهم علما وفهما وأدبا وفلسفة في اتباع اهوائهم التي ثبت لهم ضررها بالاختبار والعيان ، وليس وراء ذلك برهان؟ فكيف يزعمون انه يمكن تهذيب الامة بالاقناع العقلي على تعذره ، وما عرفوا من أثره . وأما مايعنون به من النظافة و بعض الآداب

فانهم لا يأتونه لما عندهم من الفلسفة والعلم بنفعه ، بل قلدوا فيه قوما اهتدوا اليه بأسباب اجتماعية علمية وعملية وتجارب واختبارات عدة قرون . حدثني رجل من أرقى الامة الانكليزية أخلاقا وآدابا وعلما واستقلالا — وهو مستر متشل أنس الذي كان وكيل نظارة المالية بمصر — انه لايزال يوجد في أوروبة من لا يغتسل في سنته أو في عمره ولا مرة واحدة ، وأن الشعب الانكليزي هو أشد الشعوب الاوربية عناية بالنظافة والقدوة لها فيها كما يظهر ذلك لكل مسافر في البواخر التي يسافر فيها كثير من الأمور بيين المختلفي الاجناس ، وان الانكليز قد تعلموا الاستحمام وكثرة الغسل من أهل الهند

ومن دلائل تقليد هؤلاء المتفرنجين المساكين في النظافة الظاهرة ، وانهم ليسوا فيها على شيء من العقل والفلسفة ، انهم في غسل الاطراف يستبدلون ما يسمونه « التواليت » بالوضوء الذي هو أكمل منه وأنفع ، وان من يعنى منهم بأسنانه يستبدل في تنظيفها «الفرشة» بسواك الأراك وهو أنفع منها بشهادة أئمتهم الافرنج ، كما قال أحد الاطباء الالمانيين لمن اوصاه باسنانه « عليك بشجرة محمد » (ص) وقد جاء في مجلة (غازتة باريس الطبية) تحت عنوان « عناية العرب بالفم » : بتأثير السواك تصير الاسنان ناصعة البياض واللثة والشفتان جميلة اللون الاحمر — الى ان قالت — وانه ليسوءنا ان لا تكون عنايتنا بافواهنا ونحن أهل المدنية كعناية العرب بها . وقالوا ان ما في عود الاراك من المادة العفصية العطرة يشد اللثة ويحول دون حفر الاسنان ، وانه يقوي المعدة على الهضم ويدر البول . وقد فاتنا ان نذكر هذا عند الكلام على السواك

و(ثالثا) اذا ثبت بالعقل والبرهان ، والاختبار والعيان ، ان اقناع أمة من الامم بالنفع والضر متعذر ، وأن حملها على ترك الضار وعمل النافع للافراد وللجمهور لانه نافع غير كاف في هدايتها — ثبت ان اصلاح شأنها بالفضيلة والآداب ، وترك المضار والاجتهاد في سبيل المنافع ، يتوقف على تأثير مؤثر آخر يكون له السلطان الاعلى على النفس ، وهو الدين . فثبت بهذا ان الجمع بين معرفة حِكم الاعمال وكونها طاعة لله تعالى تؤهل العامل لسعادة النفس في الآخرة كما يستفيد بها ما يترتب عليها

من المنفعة في الدنيا ، هو الذي يرجى أن يذعن له جمهور الامة ، فمن الناس من لا يطمئن قلبه بالايمان والاذعان لاحكام الدين الا اذا عرف حكمة كل أصل من أصوله وحكم من كليات أحكامه ، ومنهم من يذعن لكل ما يأمر به ولا يهمه البحث عن حكمته لان استعداده لطلب الحكمة ضعيف ، ولكنه اذا قبل ذلك بادئ بدء من غير معرفة حكمته لا يلبث أن ينال حظا من هذه الحكمة عند ما يتفقه في دينه كما يجب عليه . ومهما ضعف الدين فهو اعم تأثيرا من الاقناع العقلي ، فقلما يوجد مسلم متدين لا يغتسل من الجنابة . وما نراه من ترك كثير ممن يسمون مسلمين للكثير من مهمات الاسلام فسببه انه ليس لهم من الاسلام الا الاسم ، فلا تعلموا حقيقته ، ولا تربوا على تزكيته .

و (رابعا) ان معنى كون الطهارة وغيرها من الاعمال الادبية والفضائل دينا هو ان الوحي الإلهي يأمرنا بها لما فيها من الخير والفوائد الذاتية التي تنفعنا وتدرأ الضر عنا وهو ما بيناه أولا ، ولفوائد أخرى لا ندركها الا بجعلها من أحكام الدين

و (خامسا) – وهذا هو المقصد وما قبله تمهيد ومقدمات – ان الفوائد من جعل الطهارة من أحكام الدين وعباداته أربع وهي :

الفوائد الدينية للطهارة الحسية

(الفائدة الاولى) أن يتفق على المواظبة عليها كل مذعن لهذا الدين من حضري وبدوي ، وذكي وغبي ، وفقير وغني ، وكبير وصغير ، وأمير ومأمور ، وعالم بحكمتها ، وجاهل لمنفعتها ، حتى لا تختلف فيها الآراء ، ولا تحول دون العمل بها الاهواء ، كما هو شأن البشر في جميع ما يتفاوتون فيه من الاشياء

(الفائدة الثانية) أن تكون من المذكرات لهم بفضل الله ونعمته عليهم ، حيث شرع لهم ما ينفعهم ويدرأ الضرر عنهم ، فاذا تذكروا انه برضيه عنهم أن تكون أجسادهم على أكمل حال من النظافة والطهارة ، يتذكرون أن أهم ما فرض عليهم لاجله تطهير أجسادهم ، هو انه من وسائل تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم ، وتهذيب أخلاقهم التي يترتب عليها اصلاح أعمالهم ، لانه تعالى ينظر نظر الرضاء والرحمة الى القلوب والاعمال ، لا الى الصور والابدان ، فيعنون بالجمع بين الامرين ، توسلا بهما الى سعادة

الدارين ، كما هو مقتضى الاسلام « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

(الفائدة الثالثة) ان مجرد ملاحظة المؤمن امتثال أمر الله تعالى بالعمل، وابتغاء مرضاته بالاتيان به على الوجه الذي شرعه، مما يغذي الايمان به ، و يطبع في النفس ملكة المراقبة له ، فيكون له عند كل طهارة بهذه النية والملاحظة ـ التي شرحنا معناها في بحث نية الوضوء ـ جذبة الى حظيرة الكمال المطلق ، تتزكى بها نفسه ، وتعلو بها همته ، وتتقدس بها روحه ، فيصلح بذلك عمله ، وقس على هذه العبادة سائر العبادات . لهذا كان لاولئك المصطفين الاخيار ، من صحابة النبي المختار ، تلك الاعمال والآثار ، والعدل والرحمة والإيثار ، التي لم يعهد البشر مثلها في عصر من الاعصار ، وهذا مما يتجلى به قول جمهور العلماء بوجوب النية للوضوء والغسل وضعف قول من ذهب الى عدم وجوبها

(الفائدة الرابعة) اتفاق المؤمنين على أداء هذه الطهارات بكيفية واحدة وأسباب واحدة ، أينما كانوا ، ومهما كثروا وتفرقوا ، وان اتفاق أفراد الامة في الاعمال ، من أسباب الاتفاق في القلوب، فكلما كثر ما تتفق به كان اتحادها أقوى ، كما بيناه في موضع آخر

ثم نقول (سادسا) إن ما احتجوا به من تقصير كثير من المسلمين في الطهارة العامة لاحجة فيه . نعم أنهم صاروا يقصرون في النظافة، و يعدون الطهارة امرا تعبديا لاينافي القذارة، وانه يمكن ان يكون الانسان طاهرا وان كان كالجيفة في وسخه ونتنه، وان يكون نظيفا تام النظافة وهو غير طاهر ، و يعدون كثيرا من الطيب والمائعات المطهرة نجسة كالكحول وانواع الطيب التي يدخل فيها . ونحن نقول ان الدين الاسلامي حجة على امثال هؤلاء وليسوا حجة عليه، الا عند من يجهل حقيقته، و يتلقاه عنهم لا عن كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل، (ص) وا كثر هؤلاء المتفرنجين المعترضين يجهلون حقيقته ، ومنهم من لا يعرف من أصوله ولا من فروعه شيئا الا ما يسمعه و يراه من هؤلاء العوام ولا سيما المعممين منهم ، بل يعدون من الاسلام ما يسمعونه من بعض اعدائه

ويقرءونه في صحفهم وكتبهم التي ينشرها دعاة النصرانية ، ونحوها مايكتبه رجال السياسة، لانهم يتبعون فيه الهوى ، فكل من هذين الفريقين ينظر الى كتب الاسلام والى حال المسلمين بعين السخط ملتمسا منها ما يمكن له أن يعيبه و ينفر منه، فهولا يطلب حقيقته ولذلك لايدركها ، ولا يقول ماظهر لهمنها على وجهه ، بل يحرف الكلم عن مواضعه .

وجملة القول في الطهارة انها هي المبالغة في النظافة من غير تنطع ولا وسوسة ، وقد اتفق العلماء على انها من العبادات المعقولة المعنى حتى قال بعضهم لاتجب في الوضوء النية ولا الترتيب الذي ثبت في الكتاب والسنة والعمل المطرد. وقد اوجب الاسلام طهارة البدن والثوب والمكان ، كما أوجب غسل الاطراف التي يعرض لها الوسخ كل يوم بأسباب من شأنها ان تتكرر كل يوم ، وغسل جميع البدن بأسباب من شأنها ان تتكرر كل عدة أيام ، وا كد غسل الجمعة والعيدين وحث على السواك والطيب. وقد اشتهر امتياز الاسلام بالنظافة على جميع الاديان ، حتى صار هذا معروفا له عند غير أهله ، وسمعت كثيرين من أدباء النصارى يذكرون هذه المزية للاسلام ويعللونها بأن العرب كانت قليلة العناية بالنظافة لقلة الماء في بلادها واقرب أهل الحضر منها من البدو في قلة التأنق والترف

﴿ نفي الحرج من الدين واثبات اليسر ﴾

ما نفاه الله تعالى من الحرج في هذه الآية قاعدة من قواعد الشريعة وأصل من أعظم أصول الدين تبنى عليه وتتفرع عنه مسائل كثيرة . وقد أطلق هنا نفي الحرج والمراد به أولاً و بالذات ما يتعلق بأحكام الآية أو بما تقدم من الاحكام من أول السورة ، وثانيا و بالتبع جميع أحكام الاسلام ، ولهذا لم يقل مايريد الله ليجعل عليكم من حرج فيما شرعه لكم من أحكام الطهارة مثلا، لان حذف المتعلق يؤذن بالعموم ، وقد صرح بنفي الحرج من الدين كله في سورة الحج فقال (٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ، ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس) - الآية - وانما صرح في هذه الآية بنفي الحرج

من الدين كله لان سورة الحج من السور المكية التي بينت أصول الاسلام وقواعده الكلية، وهي تدل على ان القيام بما لا بد منه من عزائم الامور ليس من الحرج في شيء، لانه نفى الحرج بعد الامر بالجهاد في سبيل الله حق الجهاد وهو بذل الجهد في الطريق الموصل الى اقامة سنن الله تعالى وحكمته في خلقه وكل ما يرضيه من عباده من الحق والخير والفضيلة، ولا يصعد الانسان الى مستوى كماله الا ببذل الجهد في معالي الامور، وانما الحرج هو الضيق والمشقة فيما ضرره أرجح أو أكبر من نفعه، كالإلقاء بالايدي الى التهلكة، والامتناع من سد الرمق بلحم الميتة أو الخنزير أو الخمر لمن لا يجد غيرها، وكاستعمال المريض الماء في الوضوء أو الغسل مع خشية ضرره وكذلك استعماله في البرد بهذا القيد - او فيما يمكن ادراك غرض الشارع منه بدون مشقة في وقت آخر كالصيام في المرض والسفر. وقد صرح القرآن الحكيم بعد بيان فرضية الصيام والرخصة للمريض والمسافر بالفطر بأنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر

وقد بنى العلماء على أساس نفي الحرج والعسر واثبات ارادة الله تعالى اليسر بالعباد في كل ما شرعه لهم عدة قواعد وأصول، فرعوا عليها كثيرا من الفروع في العبادات والمعاملات، منها: اذا ضاق الامر اتسع * المشقة تجلب التيسير * درء المفاسد مقدم على جلب المنافع * الضرورات تبيح المحظورات * ما حرم لذاته يباح للضرورة، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة.

وقد ناط الفقهاء معرفة المشقة التي تجلب التيسير وتكون سبب التخفيف بعرف الناس فيما لا نص فيه. واستشكل القرافي هذا الضابط فيما يسكتون عن بيانه وتحديده من العرف وقال ان الفقهاء من أهل العرف وليس وراءهم من أهله الا العوام الذين لا يؤخذ بقولهم ولا رأيهم في الدين (وعبارته: لا يصح تقليدهم في الدين) ورأى إزالة الإشكال ان ما لم يرد الشرع بتحديده يتعين تقريبه بقواعد الشرع، و بين ذلك بقوله: يجب على الفقيه ان يفحص عن أدنى مشاق تلك العبادة المعينة فيحققه بنص أو اجماع أو استدلال، ثم ما ورد عليه من المشاق مثل تلك المشقة أو أعلى منها جعله مسقطا، وان كان أدنى منها لم يجعله مسقطا. مثاله التأذي بالعمل في الحج مبيح للحلق بالحديث الوارد عن كعب بن عجرة، فأي مرض آذى مثله أو أعلى منه

أباح والا فلا . والسفر مبيح للفطر فيعتبر به غيره من المشاق . اه و وافقه عليه أبو القاسم ابن الشاط الانصاري

وأقول فيما استشكله من نوط مالم يرد في الشرع بالعرف نظر ظاهر ، فان العلماء الذين ناطوا بعض المسائل بالعرف انما وقع ذلك منهم أفذاذا في أثناء البحث او التصنيف ، ويجوز ان يجهل كل فرد منهم العرف العام في كثير من المسائل ، وما اجتمع علماء عصر أو قطر للبحث عن عرف الناس في أمر ومحاولة ضبطه وتحديده ثم عجزوا عن معرفته وأحالوا في ذلك على العامة . ان من العلماء الفقير البائس والضعيف المنة (اي القوة والجلد) والغني المترف ، والقوي الجلد، وغير ذلك فيشق على بعضهم مالا يشق على الجمهور ، و يسهل على بعضهم مالا يسهل على الجمهور ، فالرجوع الى العرف فيما يشق على الناس ومالا يشق عليهم ضروري لابد منه ، وهو لا يعرف الا بمعاشرة الناس وتعرّف شؤونهم وأحوالهم ، وقد كثرت الدواهي في آراء الفقهاء الاجتهادية الذين يجهلون أمر العامة . ورحم الله من قال « الفقيه هو المقبل على شانه ، العارف بأهل زمانه » وما ذكره القرافي من التقريب محله مالا نص فيه ولا عرف مما يقع للافراد فيستفتون عنه ، واما نوط كل مالا نص فيه بآراء الفقهاء فهو الذي أوقع المسلمين في أشد الحرج والعسر من أمر دينهم حتى صاروا يتسللون منه لواذا ، و يفرون من حظيرته ذرافات وأفذاذا ، وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله تعالى

بعد ما بين تعالى هذه الاحكام، وقاعدة رفع الحرج التي تم بها الانعام، ذكرنا بما ان ذكرناه نكن من الشاكرين له والموفين بعهده فقال ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾ أي تذكروا يا أيها المؤمنون اذ كنتم كفارا متباغضين متعادين فأصبحتم بنعمته عليكم بالهداية الى الاسلام اخوانا في الايمان والاحسان. واذكروا ميثاقه الذي واثقكم به، أي عهده الذي عاهدكم به حين بايعتم رسوله محمداً (ص) على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر ، اذ قلتم له سمعنا ما أمرتنا به ونهيتنا عنه وأطعناك فيه ، فلا نعصيك في معروف ، وكل ما جئتنا فهو معروف. أخذ النبي (ص) العهد على الرجال والنساء بالسمع والطاعة فذكر

الله تعالى عهد النساء في سورة الممتحنة ولم يذكر عهد الرجال وهو في معناه الا انه يتضمن معنى القتال لحماية الدعوة الى الاسلام والدفاع عن أهلها . وكل نبي بعث في قوم أخذ عليهم ميثاق الله تعالى بالسمع والطاعة كما ترى مثل ذلك في الآيات الآتية. ومجرد قبول الدعوة والدخول في الدين يعد عهداً وميثاقا بالسمع والطاعة . وعهد الله وميثاقه الذي اخذه نبينا صلى الله عليه وسلم على اول هذه الامة عام يدخل فيه كل من قبل الاسلام ومن نشأ فيه من بعدهم الى يوم القيامة . فيجب ان نعد هذا التذكير خطابا لنا كما كان سلفنا الصالح من الصحابة (رض) يعدونه خطابا لهم

﴿ واتقوا الله ﴾ ايها المؤمنون ان تنقضوا عهده بمخالفة ما امركم به ونهاكم عنه في هذه الآيات او غيرها . او ان تزيدوا فيما بلغكم رسولكم من امر ربكم او ان تقصروا في حفظه، او تحرفوا كلمه عن مواضعه بالتأويل ، فتكونوا كالذين اخذ الله ميثاقهم من اهل الكتاب فنسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا الكلم عن مواضعه، وزادوا في دينهم برأيهم ونقصوا منه، كما ترون في هذه السورة – وكذا في غيرها – كثيراً من اخبارهم، وما كان من غضب الله عليهم وعقابه لهم ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ لا يخفى عليه ما اضمره كل واحد ممن اخذ عليهم الميثاق من الوفاء اوعدم الوفاء، وما تنطوي عليه سريرة كل احد من الاخلاص او الرياء ، وسيرون ما يترتب على ذلك من الجزاء

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ وجود الله ووحدانيته والقضاء والقدر ﴾

(س ٣٧ – ٣٩) من صاحب الامضاء الشهير بفاقوس

حضرة الاستاذ الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الافخم

تحية وسلاماً واشواقا ، (وبعد) فارجو ان تجيبوا بالبرهان الكافي والبيان الشافي في المنار

الآن على هذه الاسئلة (١) شاع وذاع وملأ الاسماع ان استاذاً ملحدا تلقى العلوم في مدرسة المعلمين وكمل بمدارس أوربة وعين مدرسا بمدرسة التجارة بمصر، انكر وجود الخالق تعالى مستندا على علم الطبيعة الذي يبحث فيه عن اشياء الكون وظواهر الموجودات قائلا امام الطلبة: الاعتقاد بوجود الاله من الاوهام التي لم يقم عليها دليل علمي ولا برهان حسي (٢) مما ألقاه هذا الاستاذ الملحد من الشبه على عقيدة القضاء والقدر امام الطلبة ان الانسان اثناء ملابسة الشرور اما ان يكون في سلطة القضاء والقدر اولا، فان قيل بالايجاب امتنعت عنه المسؤولية وصار غير مستحق للجزاء لاشرعا ولا قانونا وان قيل بالسلب بطل القضاء والقدر. وأما القول بأنه مجبور باطنا مختار ظاهرا فهو من السفسطائيات التي لايرضاها العلم والفلسفة (٣) سأل سائل (المقتطف) كيف اعتقد بعض فلاسفة اليونان تعدد الآلهة مع قيام البرهان العقلي على التوحيد الخالص؟ فاجاب (المقتطف) ان البرهان العقلي لاينفي التوحيد ولا يثبته وانما ثبت التوحيد بالالهام. فأعاد السائل السؤال فاعاد المقتطف الجواب بما لايخرج عن معنى ماتقدم. هذا وارجو ان يكون الجواب بالادلة العقليه والعلميه والفلسفيه والتاريخيه على الطريقة العصريه ولكم من الله الاجر ومن الامة الشكر ودمتم لصديقكم المخلص

احمد محمد الالفي خادم العلم الشريف

الادلة العلمية على وجود الله تعالى

(ج) - ١ - اذا صح ما نقل عن ذلك المدرس بمدرسة التجارة فهو جاهل مغرور لايعرف العلم الالهي ولا العلم الطبيعي، فلم يقل عالم ولاعاقل مؤمن ولا ملحد ان العلم الطبيعي ينفي وجود الخالق، وكل مازعمه بعض من طمست بصيرتهم في ذلك ان العلم الطبيعي لايثبت وجود الخالق ولا ينفيه، ولكن السواد الاعظم من عقلاء البشر وعلمائهم أثبتوا وجود الخالق بالبراهين العقليه والحجج العلميه، والمثبت مقدم على النافي لان نفي ما عدا المحال جهل، لانه عبارة عن عدم العلم بالمنفي. وقد صرحتم فيما نقلتموه عن ذلك الملحد الجديد بأنه استدل على عدم وجود الخالق بعدم الدليل العلمي والبرهان الحسي على وجوده، وعدم الدليل لايقتضي عدم المدلول، على ان دعوى عدم الدليل باطلة، والصواب عدم علمه هو بالدليل، وعدم العلم بالشيء لايقتضي عدم ذلك الشيء باتفاق العقلاء، بل هو من البديهيات. وفي كتب الكلام كثير من الادلة العقليه على وجود الخالق، وفي القرآن كثير من الادلة العقليه والادلة العلميه الكونيه على ذلك. وقد كتب محرر المقتطف مقالة عنوانها (آياته في خلقه) شرح

فيها الدلائل العقلية والطبيعية على وجود الخالق تعالى نشرناها في جزء ذي الحجة سنة١٣٢٨ بعد مقدمة وتمهيد في الدين والالحاد والاشتراكية (راجع ص ٩١٣م١٣)

القضاء والقدر

٢ - ماقاله ذلك الاستاذ الملحد في القضاء والقدر مبني على جهله - بمعنى القضاء والقدر وظنه انه عبارة عن الجبر وسلب الاختيار ،وهو ظن باطل آثم،وقد بينا حقيقة المسألة في المنار مراراً فلا نعيدها عند هذيان كل هاذ،والسائل الفاضل يعرف مواضع تحرير هذه المسألة من المنار

وحدانية الخالق

٣ - واما مسألة وحدانية الخالق عز وجل فهي تعلم من الدلائل على وجود الخالق لان تلك الدلائل تثبت وجود خالق واحد ، والتعدد مسألة ثانية تحتاج الي دليل آخر ، والعدد لا نهاية له فلا بد لمثبت التعدد من دليل يرجح به العدد الذي يدعيه على غيره. وتعلم من دلائل أخرى مبنية على تلك الدلائل، فمقالة المقتطف التي أشرنا اليها آنفاً تثبت وجود الله تعالى ووحدانيته معاً، وما قال المقتطف ان التوحيد انما عرف بالالهام الا ذهولا عن هذا المعنى ، وعن دلائل التوحيد الاخرى،وسبحان المنزه عن الغفلة والذهول.وجمهور فلاسفة اليونان كانوا إلهيين موحدين واثبتوا وجود الواجب بالادلة النظرية . وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون، واما الماديون فلايثبتون إلها ليثبتوا توحيده ، وما ذكر في خرافات اليونان من تعدد الآلهة لايعني به ان واجب الوجود الذي يطلقون عليه اسم «علة العلل» أي لكل موجود - حقيقة لها عدة افراد ، وانما ذلك مبني على نظريات أخرى في نظام كل امر كلي عام ، لا محل هنا لشرحها ، لايتسع وقتنا الآن ولا هذا الجزء من المنار لاطالة الكلام في هذه المسألة فنكتفي بان نذكر السائل - وهو من أهل العلم الذين تكفيهم الاشارة - ببعض البراهين العقلية والطبيعية . فمنها الاستدلال بوجود الممكنات في جملتها على وجود الواجب اذ يستحيل ان تكون قد أوجدت نفسها وان تكون وجدت من العدم المحض بدون موجد فلم يبق الا ان لها منشأ وجوديا آخر ليس من جنسها، أي ليس من الممكنات، وهو الواجب الازلي الذي وجوده ذاتي له .وهو حقيقة واحدة اضطر العقل الى اثباتها مع عدم معرفة كنهها،فلا مجال لدعوى التعدد فيها الا التحكم والفرض رجما بالغيب من مكان بعيد . ومنها ان فرض تعدد الوجود الواجب يوقع العقل في مشكلات لا يمكنه التفصي منها الا بابطال الفرض واثبات الوحدة. فان الواجب الذي

أثبت العقل وجوده هو مصدر وجود الممكنات في جملتها، لأن كل ممكن منها يجوز ان يكون مصدره ممكن آخر، واما جملة الممكنات في أسبابها ومسبباتها، وعللها ومعلولاتها، فلا يمكن ان تكون هي مصدر نفسها ولا ان يكون جزء منها مصدر الكل، ولا ان تكون من العدم المحض بغير موجد كما تقدم آنفاً، فالوجود الواجب الذي أثبتناه هو مصدر مجموع الممكنات، ولا معنى لذلك الا انها صادرة بارادته حسب علمه وهما صفتان ذاتيتان واجبتان له. فاذا فرضنا وجود واجب آخر يكون ذلك تناقضاً معناه ان جملة الممكنات صادرة عن كل منهما غير صادرة عنه، لأن القول بصدورها عن كل واحد يقتضي عدم صدورها عن الآخر الذي هو غيره ذاتاً وعلماً وارادة، فاذا استطعت ان تفرض وجود واجبين أو أكثر لأن الفرض لاحجر فيه فيتناول المحال، فانك لا تستطيع ان تثبت ذلك ولا ان تتفصى من مشاكله.

ولك ان تقول من وجه آخر ان الخالق هو مصدر هذه الموجودات ومصدر التدبير والنظام فيها، فاذا فرضنا تعدده المستلزم لاختلاف صفاته من العلم والحكمة والارادة والقدرة اذ لا معنى للتعدد الا هذا — لزم من هذا الفرض ان يكون التدبير والنظام صادرين عن علمين أو علوم مختلفة وارادات متباينة وذلك يستلزم اختلاف المرادات لاختلاف المعلومات، التابعين لاختلاف كنه الذات، وبذلك يختل النظام وتفسد الكائنات. وهو هذا برهان التمانع في قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أي في السموات والارض .

ومن الادلة الكونية الطبيعية على الوحدانية ما يؤخذ من قول جماهير علماء الكون ان لمجموع الكائنات مصدر وحدة من حيث المادة والقوة، مجهول الكنه والحقيقة دع ما يدل عليه النظام العام في الخلق من وحدة مصدره، ودع ما يدل عليه العلم الطبيعي من كون العناصر البسيطة التي يتركب منها عالم المادة لا بد لها من مبدإ وحدة، وتذكر قولهم ان الفاعل في مادة الكون الأولى الذي جعلها أطوارا انتقلت من طور منها الى طور بسنن طبيعية مطردة في منتهى الابداع والنظام انما هو شيء وجودي سموه القوة. وتذكر اعترافهم بالعجز عن معرفة كنه تلك القوة التي هي حقيقة واحدة، وان عمل القوة بالنظام الدقيق لا يعقل الا انه عمل عن علم وحكمة، يفتح لك باب آخر من دلائل التوحيد والوحدة، فان ادعاء ان هذه القوة عرض ذاتي للمادة لا يقوم البرهان الاعلى ضده لأنه يقتضي ان تكون هذه التطورات التركيبية ازلية وهي حادثة قطعا. ثم تذكر بعد ذلك كله ما انفتح من أبواب العلم لاثبات ما وراء المادة فان لم تعد منها مسألة إدراك الأرواح وظهور آثارها فلا يفتك ان منها ما يسمونه اليوم بالعقل الباطن، وللمقتطف فيه مقالة نشرت في جزء أغسطس من هذا العام، وهذا يحتاج كغيره الى شرح في جزء خاص.

تاريخ الجهمية والمعتزلة *

(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهم يشبه انقسامهم الى التشيع وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية : ليس الناس في التجهم على مرتبة واحدة ، بل انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ، فان التجهم والرفض هما أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام ، ولهذا كان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين بالتجهم والتشيع ، وقد كان أمرهم اذ ذاك لم ينتشر ويتفرع ويظهر فساده كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ، وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك ، كما قد ذكر الناس مقالاتهم ، كما ذكر أبو الحسن الاشعري وغيره في كتب المقالات

والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم ، والمعتزلة كانوا ضد الرافضة ، وهم الى النصب أقرب ، فان الاعتزال حدث من البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة ، وأهل البصرة كانوا بالضد ، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني بويه ، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعتزلة ، وظهرت القرامطة ظهوراً كثيرا ، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين

*) تابع لما نشر في ج ٩ م ١٦ ص ٧٠٣

الصابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل والنفس ، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره من سيما الرافضة ما يظن الجهال به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون ، اختاروا ذلك لان الجهل والهوى في الرافضة اكثر منه في سائر أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعلي شيئا من الإلهية أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتهما وعدالتهما ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلهما وموالاتهما ، وينازعون أهل السنة في فضلهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرقاة التي تصعد منه الرافضة ، فهم لهم باب

(وكذلك الجهمية على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا هو

مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال: فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئاً ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق. فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا نعم ، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تثبتون شيئا ، انما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى ، قالوا لم يتكلم ولا يتكلم ، لان الكلام لا يكون الا بجارحة ، والجوارح عن الله منتفية ، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيما لله ، ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال . وقال أبو الحسن الاشعري في كتاب المقالات والابانة : الذين نفوا صفات رب العالمين ، وقالوا انه لا علم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ، انما أخذوه عن اخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون ان للعالم صانعا لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره ، فاظهروا معناه ، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق التسمية من غير ان نثبت له علما أو قدرة أو سمعا أو بصرا . وقد أفصح بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم ، فزعم ان البارئ تعالى عالم قادر سميع بصير في المجاز لا في الحقيقة . وهذا القول وهو قول الغالية النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية ، ومن سبقهم من اخوانهم الصابئة الفلاسفة

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته ، وهم أيضاً لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة ، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز ، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية ، لكن فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ، لكن يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها ،كما تأول الاولون صفاته كلها . ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من اهل الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة ، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كابي محمد بن كلاب ومن اتبعه . وفي هذا القسم يدخل ابو الحسن الاشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء الى أهل السنة المحضة أقرب منهم الى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب اليهم طائفة هم الى الجهمية أقرب منهم الى أهل السنة المحضة ، فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقدموهم على أهل السنة والإثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب نفيه واثباته، وأكثر الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والاثبات اه[1]

---

(١) للكلام تتمة واسعة في التسعينية فليراجعها المستزيد

البحث الثاني في المعتزلة

وفيه مطالب

(١) التعريف بالمعتزلة

هذه الفرقة — كفرقة أهل السنة والجماعة — من أعظم الفرق رجالا، وأكثرها تابعاً، فان شيعة العراق على الاطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الاقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن، فانهم على مذهب المعتزلة في الاصول، كما قاله العلامة المقبلي في العلم الشامخ، وهؤلاء يعدون في المسلمين بالملايين، بهذا يعلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة، فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا، وأن لا فائدة للمناظرة معهم، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها

أما البلاد المنتشر فيها مذهب السلف الاثرية خاصة في العقائد، فهي بلاد نجد بتمامها، فانها سلفية الاعتقاد، لكن يغلب عليهم الجفاء والغلو. وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية الى مذهب السلف بنشر كتبه ودرسها. وفي العراق والحجاز والشام ومصر جماعات قليلة منهم يغلب عليهم الاعتدال

وأما السواد الاعظم من معظم البلاد الاسلامية فعلى مذهب الاشعري أعني ما يدعى انه مذهبه من تلك العقائد المبثوثة في كتب المتأخرين المتداولة، والا فالاشعري قد صرح في كتابه الابانة (*) بانه

(*) طبع في الهند بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٢١

على مذهب الامام احمد في الاعتقاد تصريحاً لا شبهة فيه . ولا ادل على مذهب المرء وعقده من كلامه أو ما خطته يمينه ، وسنذكر في آخر البحث مادعا الى انتشار مذهب الاشعري فانتظر

*
* *

(٢) سبب تلقيبهم بالمعتزلة

قال الامام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفِرَق : كان واصل ابن عطاء من منتابي مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الازارقة ، وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق : فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول الازارقة . وفرقة تزعم أن صاحب الذنب المجمع على تحريمه كافر مشرك . وفرقة تقول انه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الامة يقولون : إن صاحب الكبيرة من امة الاسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرسل وبالكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بان كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لاينفي عنه اسم الايمان والاسلام فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والاهواز ، واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الامة لامؤمن ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والايمان ، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة ،

ثم انهما اظهرا قولهما في المنزلة بين المنزلتين ، وضما اليها دعوة الناس الى قول القدرية على رأي معبد الجهني اه ملخصاً

وذكر ابن خلكان في ترجمة قتادة البصري - أحد كبار علماء التابعين - أن قتادة دخل مرة مسجد البصرة فاذا بعمرو بن عبيد و نفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم ، فامهم وهو يظن انها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف انها ليست هي فقال : انما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم اه

* * *

(٣) تلقيب المعتزلة بالجهمية

علم مما اسلفنا من حياة جهم وفلسفته أن انتشار آراء جهم وشيوع مسائله بين أولي العلم ولهج الناس بها كان سبق العصر الذي ظهرت فيه المعتزلة ، الا انه سبق قريب ، فان هذه الفرق والنحل الاسلامية كانت تترى يأتي بعضها إثر بعض ، وربما تعاصرت ، وقد يخمل بعضها بنباهة بعض ، أو تندغم احداها في الاخرى ، لما يجمعهما من القول بمسائل تتفقان عليها ، ومن ذلك المعتزلة مع الجهمية ، فان المعتزلة اخذت عن الجهمية القول بنفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ووافقتها عليها ، وان كان لكل فروع واختيارات غير ما للأخرى ، الا ان ما توافقوا فيه من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد ، فلذلك اطلق ائمة الاثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالامام احمد في كتابه الرد على الجهمية ، والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم ، انما يعنون بالجهمية فيه المعتزلة ، لأنهم كانوا في المتأخرين اشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض

المتقدمين بالرد والمناقشة الجهمية، لانها الأم لغيرها، والسابقة على سواها في الظهور، بل هي اول فئة ظهرت في الاسلام بمذهب التأويل، وقام حزبها بالدعوة الى مذهبها في ريعان الدولة الأموية كما تقدم، فلذا غلب عند السلف اسمها على غيرها ممن قاربها وتلقى عنها

بما ذكرناه يزول الاشكال والاشتباه الذي يراه بعضهم من ذكر الجهمية في تلك المسائل، مع انها في عرفهم ومايدرسونه في كتب الكلام المتأخرة مضافة الى المعتزلة. وحاصل دفع الاشكال ان تلقيبهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها فاحفظه

قال الامام ابن تيمية في منهاج السنة [1]: لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في اوائل المائة الثالثة على عهد المأمون واخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى، وطلبوا أهل السنة للمناظرة، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية وانواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا، لكن جهم اشد تعطيلا، لأنه ينفي الاسماء والصفات. وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار الجهمية اهـ

(١) جزء (١) صفحة (٢٥٦)

(لها بقية)

العرب والعربية

﴿ بهما صلاح الامة الاسلامية ﴾

رسالة لصديقنا السيد عبد الحق الاعظمي البغدادي مساعد استاذ اللغة العربية في مدرسة العلوم الكلية الاسلامية الشهيرة في عليكره (بالهند) والخطيب المفوّه الشهير بين في أولها ضعف المسلمين وسوء حالهم وكون اليأس منهم أقرب الى الرجاء فيهم- لولا ان اليأس ينافي الايمان بقدرة الله تعالى وعنايته - ثم بين انه تصدى لاصلاح حالهم كثيرون من طريق الدين ومن طريق العلم والمدنية وتقليد الامم القوية ، وشرح مذاهب دعاة الاصلاح المشهورة، وذكر ان بعض الافرنج ساعد بعضهم على بعضها كمساعدة الانكليز لمسلمي الهند في هذا العصر على التعليم، وبالغ في مدحهم على ذلك ، ثم قال ان كل تلك المذاهب والطرق الاصلاحية لم تغن عن المسلمين شيئا فلا يزالون على سوء حالهم ، والاخطار محدقة بهم . وانتقل من شرح ما تقدم بالاطناب التام بأسلوبه الخطابي الفصيح الى بيان رأيه في حل هذا المشكل ، وازالة هذا المعضل ، فقال ان لديه علاجا لاصلاح حال المسلمين ، واصلاح حال البشر بهم اجمعين ، وهو وصفة مؤلفة من جزئين يعرضهما على عقلاء المسلمين وأهل الغيرة منهم لعلهم يعالجون بتأليفهما والجمع بينهما هذه الامة التي تصلح بصلاحها كل الامم . أما الجزء الاول فهو تعميم اللغة العربية في العالم الاسلامي كله وجعلها لغة التكلم والتعلم والتعامل دون سواها . وههنا بين ان صلاح المسلمين يتوقف على هداية القرآن والسنة ، وهدايتهما تتوقف على احياء تأثيرهما في نفوس الناس وذلك يتوقف على احياء لغتهما واتقانها . واطنب في وصف مزايا اللغة العربية واسرارها وشدة تأثيرها وتأثير القرآن الحكيم وما يشهد لذلك من نشأة الاسلام الاولى في العرب . وأما الجزء الثاني من هذه الوصفة فننقله لقراء المنار بنصه وهو قوله:

﴿ الجزء الثاني من هذه الوصفة ﴾

اما الجزء الثاني من هذه الوصفة فهو الشعب العربي ، فالواجب يقضي على كل ساع في اعادة مجد الاسلام بايقاظ الامة العربية من نومتها، وتنبيهها من غفلتها، وانهاضها من كبوتها، وانتشالها من سقطتها، ومساعدتها

على الاستعداد للخطر المحدق بها، والمهدد لكافة الامة الاسلامية على بكرة ابيها، فقد فرغت وربما او كادت تفرغ من القضاء على استقلال العنصرين العظيمين من العناصر الاسلامية اللذين كانا موضع رجاء بقية العناصر في جميع بقاع الارض، ومطمح انظارهم في اعادة مجد الاسلام وحفظ سلطته وحماية اهله، ووقاية مهد الدين، وكعبة المسلمين، من تغلب الاجانب، وتوارد النوائب، وتزاحم المصائب - وهما عنصر الترك والفرس - على انهما حماهما الله من كيد الاعداء، بتوفيقهما لهدي القرآن، قد استبدلا الرابطة الجنسية اللغوية، بالجنسية الاسلامية القرآنية، فلا ترجى مع بقائهما بهذه العصبية الجاهلية، حياة الاسلام بالقرآن والسنة السنية، الا ان يثوبا الى رشدهما بالعرب والعربية،

اما العنصر الافغاني (ومن على شاكلته من الامارات الصغيرة المبعثرة هنا وهناك) فهو وان كان مستقلا في بلاده، مختارا في اموره واعماله، لم تأبه له اوربا ولم تعبأ به، وهو في الحقيقة « لا في العير ولا في النفير »، ولا امل لاحد فيه بان يرد للامة مقدار فتيل مما سلب منها او نقير، فلم يبق امام جمعيات اوربا من العقبات الشديدة لبلوغ امنيتها من محو الاسلام تماما واذلال ابنائه قاطبة ووضع اغلال الاستعباد في اعناقهم، وانتزاع سائر ممتلكاتهم من ايديهم، الا عنصر واحد هو اكبر العناصر الاسلامية وافضلها، واغيرها على الدين واجدرها بالقيام بامر المسلمين، الا وهو (العنصر العربي) الذي اعز الله به الاسلام، ورفع مقامه فوق كل مقام، وبه شيد صرح الايمان، واعلى كلمة الرحمن، واخرج الناس من الظلمات الى النور، وهداهم الى الطرق المثلى في جميع الامور، وجعل تعالت قدرته بلاد هذا العنصر الابي، مشرق هذا

النور الالهي، ومنبع حكمته، ومنار هدايته، ومصدر تعليمه وتربيته، ومظهر جلاله وعظمته ، واختارها جل ثناؤه مقرا لبيته الحرام مطاف العائذين ، ومطهر المذنبين، وقبلة المسلمين في سائر الارضين

فاذا غلب الاجانب العرب على امرهم ، وانشبوا براثنهم في احشاء بلادهم، فلا عاصم للامة بعد ذلك من امر الله ولا ملجأ ولا منجاة لها من نوائب الدهر وغوائله، ولتوطن نفسها على استقبال الموت الاحمر والبلاء الاسود، ثم الفناء والزوال، او الرسوف في اغلال الاستبعاد الى ابد الآباد، ومهما سلمت الامة العربية والبلاد العربية فان النفوس تظل مطمئنة راجية ان يعتز الاسلام بها يوما من الايام .

الا وان الخطر الذي يلحق بالاسلام من استيلاء الاجانب (الذين فرغوا له الآن) على الامة العربية والبلاد العربية ، اشد وامضى من كل خطر يصيبه من استيلائهم على غيرهما من العناصر والبلاد الاسلامية . لان العرب كما لا يخفى روح الاسلام وعزه، وبلادهم نقطة دائرته ومركزه، فالاستيلاء عليهما استيلاء على قلب الاسلام وضربة على ام دماغ الامة، فلا يرجى لها بعدها انتعاش او قيام، وقد قال عليه الصلاة والسلام ([1] اذا ذلت العرب ذل الاسلام) واذا ذل الاسلام فقل على الدنيا وما فيها السلام ، فان الخسارة تنتج من ذله ، والضر الذي يترتب على هوانه وزواله، يعمان البشر قاطبة ويشملان الموجودات طرا، لانه الدين الذي رضيه الله لعباده وأكمل به الاديان، والشرع الذي مابعده شرع ينتظر لاصلاح بني الانسان (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا)

(١) رواه ابو يعلى في مسنده عن جابر بن عبد الله — الجامع الصغير ج ١ ص٢٥

فاذا رغب المسلمون في بقاء جامعتهم وحياة امتهم، ورفع كلمتهم وحماية شريعتهم، وحفظ وجودهم وصيانة حقوقهم، وان يقام لهم وزن بين الامم، وتقوم لهم ومنهم دولة مهابة عزيزة بين الدول، وان ارادوا ان يحافظوا على الوديعة التي اودعت لديهم، والامانة التي بعد ان عرضت على السموات والارض فابين ان يحملنها فوضت اليهم، وهي وديعة التوحيد، وامانة الايمان بالعلي المجيد، وان يتمموا ما بدأوا به من اصلاح البشر اصلاحا يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة، وسعادتي الروح والجسم وطيب المعاش والمعاد — اذا ارادوا هذا ورغبوا في ذلك، فالواجب على عامتهم وخاصتهم قريبهم وبعيدهم عربيهم وعجميهم، ان يقوموا باحياء البلاد العربية بكل وسائل الحياة، وتقوية الامة العربية بجميع انواع القوى، وان يسدوا اولا بكل ما لديهم من حول وقوة كل منفذ من المنافذ التي يدخل منها الاجانب لافساد هذا الشعب الكريم والتلاعب به، واستدراجه وايقاعه في حبائل مكرهم وخداعهم، وأشراك غشهم واحتيالهم —

وليعلم المسلمون حيثما كانوا واينما وجدوا، ان كل دولة تنشأ لهم في اي بقعة من بقاع الارض وفي اي زمن من الازمان، اذا لم يكن العرب بناة اساسها، واركان بنائها وعمد صروحها، ومدبرو امورها ومديرو حركتها، واليد العاملة فيها والقوة التي ترتكن عليها، والروح التي تسري في مفاصلها، والاصل الذي تتفرع عنه اغصانها وتنمو عليه افنانها، فهي دولة لا تدوم ولا تحسن حالها ولا تسعد رعاياها، ولا يعتز بها الاسلام، ولا يبث هديه وارشاده بواسطتها بين الانام، ولا تقوم بما ندب اليه العرب رب العالمين، من جعلهم هداة مرشدين وائمة وارثين وزعماء مصلحين، وقادة

ناصحين وسادة عادلين —

وكما لا يعتز الاسلام بقيام دولة مثل هذه ولا يتمكن من اداء وظيفته على يديها، فكذلك لا يفجعه سقوطها ولا يؤلمه هبوطها، ولا يؤثر فيه انحلالها ولا يضره زوالها، فقد اعتز العنصر الفارسي عصورا ثم سقط، واعتز العنصر التركي دهورا ثم هبط، ولكنهما اهملا دعوة الاسلام ايام عزهما بل عطلا كثيرا من احكامه وتركا اكثر تعاليمه، فلم يكن سقوطهما مدعاة الى اليأس من الاسلام نفسه (وان كان صدمة شديدة وزلزالا عظيما على المسلمين في هذا العصر) لم يقل أحدانه سقطت به المدنية الاسلامية، فضلا عن الدعوة المحمدية، كفاجع سقوط العرب في الاندلس، ذلك الفاجع الذي قوض صروح السعادة ـ سعادة المدنية الفاضلة مدنية الاسلام الكاملة ـ من اوربا، وقضى على آمال العالم الانساني عامة والاسلامي خاصة من نشر الدين في هاتيك الربوع، وبث هدايته بين تلك الجموع، مما لو تم لعمت هذه السعادة كل الناس، ولفاز بالحسنيين جميع الشعوب والاجناس، ولساد الصلاح في البشر، وزال الفساد من البر والبحر ـ

ثم ان العنصر العربي جار عليه الظالمون وانهك قواه المعادون، ومزق وحدته المارقون، وفرق كلمته المنافقون، وعادى بين امرائه المبطلون، وضرب بعضه ببعض المغرضون، وسعى في تبديده الساعون، حتى ازهقوا روحه الادبية، وحالوا بينه وبين كل قوة مادية اومعنوية. ومنعوا عنه العلوم والمعارف، وسلبوا منه التالد والطارف، وسدوا في وجهه المنافذ، وضيقوا عليه المسالك، وافسدوا حالته الاجتماعية واحاطوا به بكل شر، وصدوا عنه كل خير (وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين) — (كم تركوا من جنات

وعيون وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك واورثناها قوما آخرين، فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

لكنه مع كل ذلك لا يزال اصلح العناصر الاسلامية للقيام بامر الاسلام، واعادة مجده الى الأنام، وصيانة هيكله من الانهدام، بل رفع مقامه فوق كل مقام، وبث دعوته وتجلية حقيقته، واصلاح الانام به واسعادهم بتعليمه، اذا كفر عن سيآتهم المسيئون، وتاب من خطيآتهم الخاطئون، وثاب الى رشدهم المفتونون، ورجع عن اغوائهم المغوون، وترك افسادهم المفسدون، واستبدلوا الوفاق بالنفاق، والاتحاد بالشقاق، والتعارف بالتناكر، والتآلف بالتنافر، والمحبة بالبغضاء، والاخلاص بالرياء، والصلح بالعداء، والاصلاح بالافساد، والتقرب بالابتعاد، والمساعدة بالاضطهاد، والتقوية بالاضعاف، والموازرة بالارجاف. ثم اطلقوا لهذا الشعب الكريم الحرية، وبثوا بين ابنائه الاذكياء المعارف والعلوم العصرية، وفتحوا لهم ابواب التجارة، ومكنوهم من اسباب الحضارة، وساعدوهم على اصلاح اراضيهم الواسعة المباركة، وعاونوهم على تفجير ينابيعها والانتفاع بمياه انهارها المتدفقة، وتنمية مزروعاتها، واستغلال خيراتها، واستخراج كنوزها، وتأمين السابلة، وتقريب طرق المواصلة، وتنظيم السبل وتسهيل التنقل، وتشييد المعامل الصناعية عليها، وترغيب ابناء البلاد فيها، وتنشيط عمالها، وترويج مصنوعاتها، وتنظيف مدنها وتخطيط دروبها، وترقية سكانها ورفعة شانها، وما اشبه ذلك من وسائل القوة واسباب الثروة ـ

فان فضائل الشعب العربي الكريم لاتزال كامنة فيه كمون النار في الزناد، واستعداده الفطري لايزال راسخاً في طبيعته رسوخ الجبال على

المهاد، وخصائصه ومميزاته واخلاقه وصفاته لا تنفك قائمة فيه ومتمكنة منه، لا ينتزعها نازع، ولا يبدلها تبدل الاقاليم والمواضع، ولا تقلعها اعاصير المظالم والزعازع. الا وان العرب ليسوا بحديثي نعمة في المدنية والمجد كسائر الامم التي قامت وسقطت، وظهرت ثم اختفت، وارتفعت ثم هبطت، ووجدت ثم عدمت، واحيت ثم ماتت، فان العرب كما قال السيد الامام [1] « اعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة، ويشهد لهم به التاريخ، فشريعة حمورابي اقدم الشرائع المعروفة كانت عربية، والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي، وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما، كالمدنية اليونانية والرومانية »

فتهيئة العرب للوثوب، وانهاضهم لرد المسلوب، وتنبيههم لحفظ الموجود، وتنشيطهم على ارجاع المفقود، لا تحتاج الى عناء كبير وعمل خطير، ووقت وفير ومال كثير، فما هو الا ازالة الرماد عن تلك الجذوة المدفونة، وقدح الزناد لاشعال تلك النار الكامنة، والتوفيق بينهم وبين حكام الاستانة، ولا اقول وبينهم وبين اخوانهم الترك - فان حكومة الآستانة لم تغز جزيرة العرب مرة من المرار العديدة برأي ترك الاناضول ولا ترك تركستان.

فيا ارباب الافكار المنيرة من المسلمين تفكروا في حالكم! ويا اصحاب العقول الكبيرة من المؤمنين تدبروا في مآلكم! ويا ذوي القلوب البصيرة من الموحدين انظروا الى مصيركم في مسيركم! ويا اهل الغيرة من المحمديين هذا

(١) المنار ص ٣٣٧ من المجلد ١٥

وقت الغيرة على دينكم وامتكم فاين شهامتكم وحميتكم؟ أين نجدتكم ومروءتكم؟ اين اخلاصكم في محبتكم؟ اين صدقكم في غيرتكم؟

قوموا بارك الله فيكم فشدوا ازر العرب اخوانكم، وساعدوهم على حماية دينكم، وحياط جامعتكم، وحفظ وحدتكم، ووقاية قبلتكم وكعبتكم، وصيانة قبر نبيكم، جودوا عليهم بالاموال، شاركوهم في الاعمال، تحملوا معهم بعض الاثقال، واعدوهم لميادين النزال، اسسوا لهم وفيهم المدارس العلمية، وشيدوا بينهم المعاهد الفنية، وبثوا فيهم المعارف العصرية، ومدوهم بوسائل الحياة والدعة، واسباب القوة والمنعة، ليقوموا بما فطروا عليه وعهد فيهم من الاعمال الكبيرة، والافعال المدهشة الخطيرة ـ

قوموا ايدكم الله ورعاكم فحققوا دعوة ابيكم ابراهيم الحنيف في ذريته المباركة التي اسكنها بواد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، ليقيموا الصلاة ويحيوا الموات، وينفخوا روح الحياة الطيبة النافعة في العالم، فاهووا اليهم بافئدتكم، واصرفوا عليهم من ثمرات عقولكم ومعارفكم، وابذلوا لهم من اموالكم ما تمكنكم منه مقدرتكم، لتطمئن منهم النفس ويستريح البال، فيشكروا الله على العناية والافضال، وينتاشوكم من مساقط الذلة والهوان، ويهبوا بكم الى مراقي السعادة والامان (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

قوموا حاطكم الله بستره الوافي، ومنعه الكافي، فآثروا باموالكم ومساعيكم اخوانكم العرب مؤسسي جامعتكم، وموجدي عزتكم، واصل سعادتكم، وايقظوهم من هذا النوم الذي امتد وطال لتبعثكم من مقابر

الخمول يقظتهم ، واحيوهم من هذا الموت الادبي الذي جلبه عليهم الانذال لتحيا بحياتهم امتكم من موتها العلمي والسياسي والحربي ، وتعتزوا بعزهم ، وتسلموا بسلامتهم، وتصان معاهد الدين بعزائمهم وتتأيد سلطة الشرع بهممهم ، ويعود اليكم ماكان لديكم من المدنية الفاضلة ، والحرية الشاملة والسيادة الكاملة ، والسلطة العادلة، فتصلحون وتُصلحون ، وتَسعدون وتُسعدون ، وتنالون وتعطون —

فان القصور الشواهق ،والارائك والنمارق ،واتساع مساحة البلاد ،وكثرة عدد الافراد ،وشرف الآباء والاجداد ، والالقاب الضخمة ، والمركبات الفخمة ، وامارة موهومة بايدي افراد معدودة ، وثروة معلومة في قبضة جماعة محدودة ،لاتعصم الامة من مصارع الاستعباد ، وشقاء العبيد والاسياد وتعاسة الابناء والاحفاد ، واحتلال الاجنبي للبلاد ، واستئثاره بخيراتها ، وتفرده بنعمها وحاصلاتها ، ولاتصد الاغيار عن اهانة الدين واذلال المؤمنين ،وهتك الحرمات وقتل الارادات ،والتحكم في الاموال والرقاب ، والتصرف بالخيول والقصور والقباب

اذا لم يقبض على دفة سفينتكم ايها المسلمون في هذا البحر العجاج -بحر الحياة الواسع الارجاء- وسط تلك الامواج المتلاطمة- امواج تنازع البقاء- بين هاتيك العواصف المتناوحة -عواصف تغلب الاقوياء على الضعفاء- ملاح مدره خواض غمرات ، وربان مقذف طلاع ثلمات ، ولم يقم بالامر حكيم حنكته التجارب ، وعليم بالبوادر والعواقب ، ولم يتول الزعامة قائد بصير باقتحام المضايق ، وخبير بالمفاتح والمغالق ،صبور على المشكلات وجسور

لدى الغارات، مدرب على المصاولات والمجاولات، كالشعب العربي الذي يعترف العالم باستعداده وخبرته وقدرته، وتقر الامم باقدامه وصبره وقوته، ويشهد له الله وملائكته وجميع مخلوقاته على عدله في سلطته وفضله في حكومته ونبله في سيرته، وعلى عظيم اعماله وكريم افعاله وقويم خصاله، وكمال اهليته وتمام جدارته ولياقته -

فقوموا اعانكم الله وسارعوا الى الانضمام الى هذا العنصر الكريم بعلومكم ومدارسكم، ونفوسكم ونفائسكم، واموالكم واعمالكم، وارحلوا اليه من كل مكان، واهجروا للاتصال به الديار والاوطان، واختلطوا به اختلاط الملح بالطعام، وامتزجوا به امتزاج الارواح بالاجسام، واتحدوا به اتحادا تاما روحاً وجسما حساً ومعنى قولا وفعلا سعيا وعملا، بحيث تكون اجسامكم كتلة واحدة، وقلوبكم مضغة واحدة، وعزائمكم عزيمة واحدة، وهممكم همة واحدة، وقواتكم قوة واحدة، وغاياتكم غاية واحدة، ونهاية اعمالكم الى نقطة واحدة، ومنتهى مساعيكم الى مصلحة واحدة، ليتحقق فيكم قوله تعالى (ان امتكم هذه امة واحدة) فيهب هذا العنصر القوي بكم هبته المعروفة، ويثب بكم كما وثب من قبل بآبائكم فيبدد هذه الشرور المتفاقمة -

واعلموا بصّركم الله ان العمل لايقاظ العرب من نومهم عين العمل لاحياء الوحدة الاسلامية التي ما وجدت في القرون الاولى الا بالعرب، وان البذل لمساعدة العرب على احياء مجدهم عين البذل لاعادة مجد الاسلام الذي ما تأسس بناؤه من قبل الا بايدي العرب ونفوس العرب وارواح العرب وقلوب العرب، وانهما لن يعودا مرة اخرى الا بالعرب متحدين

ومتفقين مع سائر الاجناس من المسلمين ، ولقد قال عليه الصلاة والسلام
([1] ان الايمان «اي اهله» ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها)
وقال جل جلاله (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين = ولقد علمتم النشأة
الأولى فلولا تذكرون)

هذا ما اوحى به اللب، وارشد اليه القلب، وهدى له الايمان، وتوفيق
الرحمن، وجالت فيه البصيرة وانعمت الفكرة، واملاه الوجدان على اللسان،
فتحرك لتسطيره وعرضه بالقلم والبنان، فان كنت اصبت المرمى فأسأل الله
ان يوفق اخواني المفكرين للعمل به ويعينهم على تحضير هذه الوصفة
ومناولتها لهذا المحتضر بكل تحفظ واحتياط وصبر وثبات ، وان كنت
اخطأت الهدف، وعدوت فصرت دون الغرض، ولم اهتد الى سر هذا
الامر فما انا باول سار غره القمر، وارجو ان يجازيني الله على حسن نيتي،
ويتجاوز عن زلتي ويغفر لي خطيئتي، انه هو الرؤف الرحيم

خاتمة

وخطاب لايقاظ هذه الامة النائمة

قال السيد الامام منشئ المنار ([2] ان للعرب في التاريخ القديم
نومات طويلة، تتلوها هبات ووثبات قوية، وكانت نومتهم قبل الاسلام
اطول نوماتهم زمنا ، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها اثرا ، وقد عادوا الى
النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم، وتلاميذهم في الحضارة يهيبون

(١) رواه احمد في مسنده والبخاري ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة (الجامع
الصغير ج ١ ص ٧٧) (٢) المنار ص ٣٣٧ من المجلد ١٥

بهم من امامهم : النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات، ومن مات فات)

فيا ايتها الامة العربية، الجامعة لاشرف الخصائص البشرية، وافضل الخصال وانواع الكمال : يا ايتها الوسيلة الوحيدة ، لجمع كلمة الشعوب الاسلامية العديدة : ياذات الاستعداد الفطري العجيب للنهضتين الدينية والمدنية !

لقد آن اوان هبتك لدفع جور الزمان، وحان وقت وثبتك لكف يد الحدثان، فقد بدا نجيث(؟) القوم، وبرح الخفاء فلا خفاء اليوم، وبلغ السيل الزبى، وبلغت العظم سكين العدى، فهبي بارك الله فيك من هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ومن مات فات

ياايها العرب! ياأشد العناصر الاسلامية انفة وحمية، واقواهم جنسية وعصبية ، واحرصهم على اباء الضيم، وابعدهم عن موجبات المذل واللوم، واصبرهم على المكاره والشدائد، وتذليل المصاعب في سبيل الوصول الى المقاصد ، وانشطهم على التغرب والسياحات ، واثبتهم في طلب اشرف الغايات، واعشقهم للاستقلال والحرية، واعرقهم في الفضائل النفسية، واعلمهم بقواعد الدين، واعرفهم بكتاب الله العربي المبين، واطوعهم لرسوله خاتم النبيين، واقدرهم على حماية دعوته، ورفع شأن امته، وصيانة دينه وشريعته، واجدرهم بتولي اصلاح شؤون المسلمين ، في امري الدنيا والدين

لقد اتتكم فالية الافاعي ايها العرب ! وجاوز الحزام الطبيين والتقى البطان والقتب ، فقوموا يا معقد الآمال وهبوا لتلافي مافات، وتدارك الامر قبل الفوات، وحفظ الامة من الشتات ، وانفضوا عن اعينكم غبار هذا النوم فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات، ومن مات فات

ياايتها الامة العربية! ياذات الاخلاق الرضية والعقول الزكية! ياطيبة الاصول والاغصان! باهرة العروق والافتنان! ياناضرة الازهار وحلوة الثمار! يا أقدم الامم حضارة ومدنية، واسبقها في وضع قواعد تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية، واهداها الى قوانين المعيشة الاشتراكية، وارعاها لاصول الشورى في الشئون العمومية، يامهذبة الاخلاق والعادات، ومقومة العقول والاعتقادات!

قومي ايدك الله ورعاك فأرجعي الانفس عن غيها والعقول عن زيغها، والافهام عن ضلالها والقلوب عن قساوتها، وردي الاخلاق الى نصابها والحقوق الى نقطتها والعقائد الى مركزها، وانقذي ابناء آدم من الحالة السيئة التي وصلوا اليها، وخذيهم الى المستوى الذي يليق بهم، اصعدي بهم الى المرتقى الذي يحسن لهم، واسلكي بهم سبيل النجاة التي توصلهم الى الفلاح في الدارين، والسعادة التامة في الحياتين، فقد وهبك الله من ذلك مالم يهبه لقوم، فهل يليق بك ويحسن منك هذا النوم في هذا اليوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات=

يا ايها العرب! ياهداة الامم الى الطريق الاقوم! وكاشفي الظلم والظلم! ودافعي الكروب والنقم! ياباذلي المعروف! ومغيثي الملهوف! ومجيري الضعيف من القوي المخيف! يامحرري الاقوام من رق الاستعباد! ومشيدي صروح العلوم والمعارف في كل قطر وواد! وناشري ألوية العدل والامان والسكينة في جميع البلاد! ورافعي مرتبة الحق والصدق والامانة في كل محفل وناد، ومؤسسي معاهد التمدن والحضارة في القرى والبواد=

قوموا لما خلقتم له أعانكم الله فان شعوب العالم الاسلامي في مشرق

الارض ومغربها وشمالها وجنوبها قد توجهت الى جهتكم وجوهها، وامتدت اليكم اعناقها، وشخصت نحوكم ابصارها، وصغت لكم قلوبها، وانصتت لما يحدث عنكم اسماعها، وتعلقت بكم آمالها، ونيطت بقضيتكم آجالها، وهي تستصرخكم لحماية الدين فاجيبوها، وتستغيث بكم من جور الظالمين فأغيثوها، وتستنجد بهممكم على صيانة حقوقها فانجدوها، وتستثير عزائمكم لدفع الاذى عنها فأثيروها، وتستجير بكم في هذا اليوم العصيب فاجيروها، وتدعوكم لهذا الخطر الرهيب فلبوها، وترجوكم وتؤمل فيكم فلا تؤيسوها، وكونوا عند رجائها واملها، وبادروا ذوي الآمال بآمالهم، ياخير قوم! وانهضوا من مضاجعكم فقد طال النوم، وان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات =

يا أيتها الامة العربية! يا زينة الامم والشعوب! وممهدة المسالك والدروب، وفاتحة البلدان، ومابسة التيجان، ياخواضة البحار! وجوابة الاقطار ومجرية الانهار، وممدنة الاقوام والامصار، ومؤمنة السبل والديار، ومصلحة العقول والافكار، ياحامية العرض والجار، ومبعدة الذل والصغار! ومزيلة الوصم والعار —

قومي يا آخر أمة اختارها الله لاصلاح العالم الانساني على سائر الامم، وندبها سبحانه وتعالى لاخراج البشر من هاتيك التعاسة التي عششت وفرخت، والظلمات التي امتدت واكفهرت، والفتن التي عمت وطمت، والمفاسد التي تزاحمت وتراكمت، فقمت بما فوض اليك خير قيام من إصلاح الرعايا والرعاة، وارضاء الخالق والمخلوقات، وكما قمت

من قبل فقومي اليوم، واتركي هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات —

ايها العرب لقد اكرمكم الله بلغة هي اقدم واوسع واغنى لغات العالم، وشرفكم بشريعة هي اكمل واتم واهدى الشرائع التي انزلت للامم، واوجدكم في اقليم جعله من جسم الكرة الارضية في محل القلب من ابن آدم، واودع فيه بيته العتيق، وندب اليه الناس من كل فج عميق، واوجد منكم وفيكم رسوله المصلح الاعظم، ونبيه الخاتم الاكرم، وزينكم بمحاسن لا يحصيها القلم والبنان، وخصكم بخصائص تجل عن ان يحيط بكنهها بيان

فقوموا ياخير امة اخرجت للناس واشحذوا انصل قرائحكم، واقدحوا ازند افكاركم، واجيلوا اجياد عقولكم. في وضع الخطط القويمة وتنظيم التدابير الحكيمة، وترتيب الاعمال العظيمة، للاخذ بناصر الشعوب الاسلامية المظلومة، وتطهير الارض من مظالم ومفاسد وشرور بقية الامم الظلومة، فان المعول عليكم بعد الله اليوم، فجافوا جنوبكم عن مضاجع النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات =

قوموا يا مركز دائرة الامم الاسلامية فتساندوا وتعاضدوا، وتحالفوا وتعاهدوا، وتفاوضوا وتشاوروا، وتظافروا وتناصروا، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وتهيئوا للعمل الاكبر، اجمعوا كلمتكم ولموا شعثكم، ورتبوا جموعكم وعبوا جيوشكم ورصوا صفوفكم، وانشروا راياتكم وهيئوا معداتكم، وحصنوا ثغوركم، وأحكموا اموركم، وخذوا حذركم واسلحتكم، وكونوا في المحافظة على الجامعة الاسلامية أخيط من ذرة، وفي مدافعة هذه المصائب النازلة على الامة أضبط من عائشة بن غنم وقت اخذه بذنب البكرة ،

واتركوا ايها المصطفون الاخيار هذا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ومن مات فات

ايها العرب الاجواد، قوموا على بركة الله فتناسوا الضغائن والاحقاد، وتباعدوا عن المشاحنات والمنازعات، وتجاهلوا المسآت القديمات، وجددوا الروابط والصلات، وانفروا خفافاً وثقالا، شبانا وشيوخاً وكهولا، اناثا وذكورا، بدواً وحضراً، لتتمم مابدأتم به وتشييد ما وضعتم اساسه، قوموا اقال الله عثرتكم، وايقظكم من نومتكم، فاجعلوا العزم امامكم، والحزم امامكم، والصبر جنتكم والثبات عدتكم وحماية الدين والامة اعلى مرامكم، وصيانة حقوق البشر نهاية مساعيكم، واصلاح العالم الغرض المقصود من قيامكم، واعلاء كلمة الله اول وآخر أعمالكم، فانتم لاغيركم بالشرف قوم، الوسيلة العظمى في هذا اليوم، فالسلام على الدنيا ومافيها ان لم تتركوا النوم، فان النوم في هذا الزمان سبات، فمن نام مات ومن مات فات

عبد الحق الاعظمي البغدادي

(١) المنار : قد طبعت هذه الرسالة على نفقة الشاب النجيب عبد الرحمن الذكير، التلميذ بمدرسة العلوم في عليكره نجل صديقنا البار الحاج مقبل الذكير التاجر الشهير في البحرين . وقد نشرت رسالة خطابية أخرى طبعت في العام الماضي تحث امراء جزيرة العرب وسادتها ورؤساء عشائرها على الاتحاد والاتفاق والاستعداد لحفظ الحرمين الشريفين وسياجهما المحيط بهما ، ثم لمساعدة الدولة العثمانية على حفظ بقية بلادها وأملاكها . وانما نبه أهل الغيرة ، على الاسلام والدولة ، الى كتابة امثال هذه الخطب والرسائل ما أصاب الاسلام والدولة من الفواجع في طرابلس الغرب والبلقان. بعد نكبة المغرب الاقصى وايران ، وقد كانت جماهير المسلمين والعثمانيين ، وادعين ساكنين ، غارّين مغرورين ، ظنا منهم ان قوة الدولة الحربية ، كافية لحفظ الحرمين مع سائر ولاياتها الاسيوية والافريقية والاوربية ، وكان أهل الرأي والاطلاع على

الحقائق قلما يجرأ احد منهم على بيان الخطر المحيط بالدولة كغيرها من ممالك الشرق، ومن تجرأ على ذلك رد قوله واتهم ، ولا سيما من كان من العرب ،كما بينا ذلك مرارا، كأنه كان يجب على العرب ان يرضوا دائما بالجهل والفقر والبداوة ، لئلا يقال انهم يطلبون العلم والثروة والحضارة ، لأجل الملك أو الخلافة ، وهما ارث آل عثمان ، الدائم الى آخر الزمان ، ونهاية الدوران ، وكذلك كان يقول المفسدون بالسعاية لعبد الحميد خان ، ومنهم من لايزال يكرر هذه السعاية في الآستانة الى الآن ،

ولكن الليل عسعس ، والصبح تنفس ، والحق حصحص ، والامر تمحص ، وعرف الذكي والبليد ، والغوي والرشيد ، ان كلا من الترك والعرب ، على خطر قد اقترب ، وانه لانجاة للفريقين، الا بازالة التنازع من البين ، واجتهاد كل منهما بتقوية نفسه ، ليمكنه ان يحمي حقيقته وحقيقة الآخر ، بأن يكون كل منهما عاملا لنفسه ولأخيه، ولذلك قام اذكياء الترك أولا يحثون على نهضة تركية ،وتلاهم بعض بعض أذكياء العرب في الدعوة الى نهضة عربية، وقد اتفق الفريقان اخيرا على القول بأنه لاتعارض بين النهضتين ، وأنه يجب ان يكونا متعاونين ، ولعنة الله على من ينكث ما فتلا من العهد ، وما سعيا اليه من احكام رابطة الود ، وعلى كل خادع منافق

أما نهضة الاسلام من حيث هو دين ، فلا ترجى الا من العرب ومتقني العربية من سائر المسلمين ، وقد صرحت الاحاديث النبوية ، بأن الاسلام سيأرز الى الحجاز ويعتصم بالبلاد العربية ، كما بينا ذلك من قبل ، وشايعنا عليه صاحبُ الرسالة اليوم ، روى مسلم عن ابي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن انس أن النبي (ص) قال « بدأ (١) الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » ورواه مسلم عن ابن عمر بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » ورواه الترمذي عن عمرو بن عوف المزني بلفظ « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل . ان الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » - والطبراني وابو نصر في الابانة عن عبد الرحمن ابن سنة بلفظ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء - قيل يا رسول

(١) فعل لازم مهموز من البدء كما ضبطه النووي وقال انه الرواية، وهو بمعنى ابتدأ، وقد استشكل بعضهم ضبط النووي وجعل الفعل مقصورا بمعنى ظهر لأن المهموز متعد، وقيل هو بمعنى طرأ على التضمين

الله وما الغرباء ؟ قال - الذين يصلحون عند فساد الناس » . وفي رواية بدون ذكر السؤال وزيادة « والذي نفسي بيده لينحازن الايمان الى المدينة كما يحوز السيل ، والذي نفسي بيده ليأرزن الاسلام ما بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها » - واحمد عن سعد بن ابي وقاص بلفظ قريب من هذا اللفظ . والاروية في حديث الترمذي بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء انثى الوعول اي تيوس الجبل ، وهي تعتصم في اعلى الجبال ولذلك يقال الوعل الاعصم ، وارز (كعلم وضرب ونصر) تجمع وعاد وثبت . والمعنى ان الدين سيمتقل ويعتصم في الحجاز ويجتمع فيه عند ما يكون غريبا ، فيعود الى الحجاز كما بدأ منه ، ويكون عزيزا قويا فيه كالأروية في شناخيب الجبال ، ثم يمتد وينتشر منه ثانية فيتم صدق الرسول (ص) في كونه عاد كما بدأ . وبهذا يجمع بين الحديث وبين وعد الله باظهار الاسلام على الدين كله ، ونحوه من الوعود

ان دعاة النصرانية يطاردون الاسلام في كل مكان ، ووراءهم امهم تمدهم بالملايين من الدنانير ، ودولهم تحميهم وتنصرهم بنفوذها الذي لا يعارض وقد اردنا ان ننشيء مدرسة لتخريج الدعاة الى الاسلام في عاصمة السلطنة العثمانية فلم تتجرأ حكومتها على الاذن لنا بالتصريح بذلك ، ثم لم ترض بانشاء المدرسة ولو باسم آخر ، على ان لدعاة النصرانية عدة مدارس في تلك العاصمة ، منها مدرسة عظيمة للبلغار . فقد ظهرت مقدمات أروز هذا الدين الى الحجاز واعتصامه فيه ليعود منه كما بدأ ، ومن البديهي ان ذلك انما يكون باحياء هدي الكتاب والسنة كما هو صريح في الحديث ، ولا يكون ذلك الا بحياة اللغة العربية ونهضة الامة العربية في الحجاز وسائر جزيرة العرب . نعم ان البدع في الحجاز الآن كثيرة كغيره من بلاد المسلمين ، وليس فيه حرية لمن يريد مقاومتها ولكن هذا سيزول ، وتتم بشارة الرسول (ص) وسينهض المسلمون في كل قطر لمساعدة عرب الحجاز وسائر الجزيرة على احياء الاسلام في مهده الاول ، وقد ظهرت بوادر ذلك بتأسيس (جمعية خدام الكعبة) في الهند ، ويرجى ان يعم ذلك جميع البلاد الاسلامية اذا نقح قانون الجمعية على الوجه الذي اشرنا اليه . والشرط الاساسي للنجاح ان لا يكون لهذه الجمعية صبغة سياسية لا ظاهرة ولا باطنة ، ومنه ان لا يكون لها علاقة بحكومة الحجاز ولا بالدولة التي تحمي الحجاز

وما ظهرت بوادر ميل المسلمين الى مساعدة العرب والعربية على إحياء الاسلام في مهده الا بعد ان ظهرت بوادر نهضة الامة العربية وتوجهها الى الاصلاح الديني والاجتماعي والمدني ، وهي جديرة بذلك بدليل اتفاقها في سورية والعراق والجزيرة على بناء هذا

الاصلاح على اساس اللامركزية الادارية ، اذ بذلك تحفظ حقوق الدولة العثمانية ويتمكن الارتباط بهـا ، وبه يعطى كل قطر حقه بحسب استعداده ومذاهب اهله ، فلا يكلف امام الزيدية في اليمن وامراء عسير ونجد والحجاز ان يجعلوا ادارة بلادهم كادارة ولاية بيروت مثلا ، فضلا عن ادارة الاستانة وادرنة . وكانت العرب ترى أن لها خصما واحدا في هذا العصر وهو جمعية الاتحاد والترقي التي رأوا منها ما رأوا من مقاومة لغتهم وسفك دمائهم في اليمن وعسير والـكرك وحوران ، والضغط على طلاب الاصلاح ببيروت. ولكن الجمعية اظهرت اخيرا الرجوع عن تلك السياسة والجنوح الى الاتفاق مع العرب فعسى أن تكون صادقة مخلصة في هذه المرة وينفذ ذلك قريبا

برح الخفاء وظهر ان الامة العربية تريد ان تحيا حياة مـدنية اجتماعية سامية ، ومتى ارادت الامة فعلت ، وقد ظهرت إرادتها في الطبقة المستنيرة منها وألفت لذلك الاحزاب والجمعيات، وعقدت في أشهر عواصم أوربة المدنية أول مؤتمر عربي للبحث في حقوقها وما تطلبه من دولتها ـ وكذلك ظهرت بوادر الاصلاح في كل الامم ـ فان عارضهم افراد ممن يسمون لوجهاء والسروات، وتبع هؤلاء الافراد بعض اوشاب من الأوباش، فليس هذا ببدع في سنن الاجتماع ، بل هو مطرد في كل الامم ، وستقضي سنة الانتخاب الطبيعي على هؤلاء المعارضين كما قضت على أمثالهم في الامم الاخرى

الأمة العربية تريد ان تحيا وقد بدأت تعمل عمل الأحياء ، وان لها دينا على جميع المسلمين ، لانها كانت استاذهم الأول في الدين ، ودينا على جميع امم المدنية ، لانها كانت الاستاذ لهم في جميع العلوم والفنون العقلية والكونية، فالواجب على الفريقين ان يساعدوها ، ويجب على الدولة العثمانية من ذلك ما لا يجب على غيرها ، وهو ان تعترف باستقلال جميع امراء الجزيرة في اليمن وعسير ونجد ، وتسمح لسائر الولايات بالادارة اللامركزية المطلوبة ، فان لم تفعل تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، ولله الامر من قبل ومن بعد ينصر من يشاء وهو القوي العزيز

﴿ نزوح العرب عن اسبانيا ﴾

ظهرت في احدى صحف نيويورك المسائية مقالة نفيسة لـكاتب اميركي قدير ساعد بها على جلاء الريب العالق بالاذهان حول حقيقة خروج العرب من بلاد الاندلس التي تدعى اليوم اسبانيا فآثرنا ايراد ملخصها وهو هذا

منذ ثلاث مائة واربع سنوات نفت اسبانيا العرب من داخل حدودها بناء على

امر ملكي اصدره فيلب الثالث فكان لها بذلك النفي انحار وطني

اعطت اسبانيا قبائل ماريسكوز مهلة ثلاثة ايام فقط لينزحوا في خلالها عن البلاد مع ان عددهم كان مناهزاً مليوناً ونصف المليون، والمتبادر الى الذهن ان قوماً هذا عديدهم يستحيل عليهم العمل بما ينطبق على الامر الصادر بحقهم ولا يستطيعون الجلاء عن البلاد بكل تلك السرعة، وحينئذ انشأت الحكومة تطردهم وتطاردهم بقسوة بربرية تفوق الوصف ، فعاملتهم معاملة الحيوانات والضواري اذ ذبحت منهم الوفاً ونقلت الباقين على بواخر (؟) الى سواحل افريقيا . وقد اجمع ثقاة المؤرخين على ان كثيرين من المطرودين كانوا يمرضون على السيف وهم على متون السفن وتطرح جثثهم في البحر حتى لقد قيل ان الاسبان فتكوا بمائة الف عربي من مجموع ١٤٠ الفاً كانوا منقولين دفعة واحدة الى القارة السوداء ، وما صافحوا الموت الا بعد مقاساة صنوف التعذيب والاهانات وتمثيل فظائع بهم تقشعر منها الابدان

ابتدأ عهدد انحطاط اسبانيا وخرابها منذ ثورانها الجنوني على العرب ونفيهم من اراضيها . فان قبائل الماريسكوز كانت تؤلف افضل طبقات الشعب الاسباني فانها صاحبة الافكار والمعارف والصناعة. ولما دفعتها امواج الحوادث الى اراضي افريقيا- وبعضها الى بطون الحيتان وجوف الارض - ابقت فراغا في اسبانيا لم يقم بعدها من يملأه . فان العلوم والفنون والصنائع انحطت بعدها او تقلص ظلها بالكلية من البلاد الاسبانية، وامست مقاطعات واسعة من ارضها ليس لها من يحرثها فكانت قفارا جرداء ليس فيها ساكن

ان الزراعة العجيبة التي صيرت سهول الاندلس مثال الفردوس قد امحت آثارها ولم يعد لها رسم ، وهكذا انقضى عهد المصانع الحريرية واساليب الري المنظمة التي كانت تحيا بها البلاد . وبالتالي فان البقاع التي كانت كجنة عدن بروائها باتت عبارة عن صحارى قاحلة

ان مغبة نفي العرب من الاندلس جاءت آفات على أبنائها . فان العلم الذي يتغلب على الطبيعة ويذلل قواتها لتخضع لارادة الانسان ، والذكاء الذي يصقل الاخلاق ويلطف العواطف ويعين على ايجاد الاخاء والتقدم، كانا في اسبانيا مجسمين بالعرب. ومنذ نفي العرب نفيت معهم تلك المزايا الراقية التي هي عناصر المدنية القديرة، وحل محلها بين الاسبانيين خرافات وأوهام هي شر اعداء الانسانية ومغاير الارتقاء

عظيمة كانت زلة اسبانيا بنفيها العرب من بلادها وعظيما كان القصاص الذي وقع على الاسبانيين بسبب زلتهم (مرآة الغرب)

تركيا في بلاد العرب

عقد محرر جريدة التيمس الانكليزية الشهيرة مقالة في مسألة شبه جزيرة العرب ترجمتها بالعربية جريدتا الهدى ومرآة الغرب الشهيرتين في نيويورك فأحببنا ان ننشر ترجمتها في المنار وهي : —

اهتم الناس كل الاهتمام بالمأساة العظيمة التي تمثلت في شبه جزيرة البلقان حتى انهم لم يكترثوا كثيرا للمعارك الصغيرة التي نشبت من مضي شهرين أو ثلاثة أشهر في بلاد العرب

وقد كانت بلاد العرب من مضي عدة قرون ارضا مجهولة مهجورة مرت حولها مجاري التاريخ البشري دون أن تتوغل فيها . وهي شبه جزيرة كبرى واقعة بين ثلاث قارات كبرى تتكسر امواج البحار العظمى على شواطئها من ثلاث جهات وكل سنة يسير على سواحلها العارية الجرداء عشرات الالوف من الناس ولكنها بالرغم من ذلك لا يعرف الناس عنها اكثر مما عرفوه عن اشور في ايام اشور بانيبال

ولكننا نسمع بعض الاحيان من وراء كثبانها المحرقة اصداء ضعيفة عن قتال شديد ناشب هناك ، وترد على اسواق بومباي والقاهرة اخبار معارك شديدة بين محاربين مدرعين وجيوش تتماصع بالسيوف وتتطاعن بالذوابل وتتراشق بالسهام وتتقاتل في الليل ويقع بينها حصار وخروج وهجوم ومباغتة

وهؤلاء الناس بالرغم من انهم لايزالون على بداوتهم يتأثرون بمجرى الشؤون الحديثة كما اثبتت الحوادث الاخيرة ، فلما انتصر البلغاريون على العثمانيين في تراقية وارجعوهم الى خطوط شتالجه قال الناس ان تركيا تقدر ان تنشيء مملكة عثمانية مجددة في اسيا الصغرى ، وقد وافقهم على قولهم هذا القليلون الذين عرفوا الحقيقة ولكنهم ارتابوا في ما اذا كان الاتراك يقدرون ان يؤيدوا سلطتهم المتداعية في اطراف بلاد العرب ، فلم تكد معاهدة الصلح توقع في لندن حتى ثار العرب في اواسط شبه جزيرة العرب ولكن ثورتهم لم تكن منظمة اذ لم تسر كتائب من الجنود المنظمة على الطرق الصحراوية بل وقع القتال بين ثلات قليلة من فرسان العرب غير المدربين على أساليب القتال الحديثة وشراذم من الجنود العثمانيين ذوي الملابس الرثة ، وقد انتصر العرب في الشهر الماضي على الجنود العثمانيين واخرجوهم من شرقي بلاد العرب وبذلك ذهبت فتوحات مدحت باشا المتقلقلة في بلاد العرب واصبحت الطرق الشرقية

الى مدينتي الاسلام المقدستين « مكة والمدينة » تحت رحمة زعماء العرب المنتصرين

ولا يمكن القول بأن اندحار الاتراك في الحرب البلقانية احدث هذه الحركة في بلاد العرب فانها بدون تلك الحرب ممكن حدوثها لان سيطرة الاتراك على بلاد العرب لم تكن قط قائمة على ركن منيع، فمن مضي مائة سنة قامت الحركة الوهابية في بلاد العرب واستولى الوهابيون الخارجون على الدين الاسلامي (؟) والخلافة الاسلامية على اكثر جهات شبه جزيرة العرب ونهبوا مكة مقدس المسلمين السنيين، وكربلاء محجة الشيعيين ، وهددوا مدينة دمشق، فعجز الاتراك عن اخماد ثورتهم فاستعانوا بمحمد علي باشا خديوي مصر فقمع من نخوتهم، واخمد الحركة الوهابية. ومنذ الغارة المصرية الكبرى على بلاد العرب نال الهلال انتصارات قليلة في تلك البلاد حتى ان الخط الحجازي لم تستطع الحكومة العثمانية تأمينه الا برشوة القبائل العربية ، فالخط الحديدي الممتد الى المدينة هو دائما تحت خطر

وقد نشبت بالامس ثورة طال عهدها في ولاية العسير جنوبي مكة، وثورة أخرى اعظم منها في ولاية اليمن ، ولا تزال نيران هاتين الثورتين كامنة تحت الرماد ، انفق الاتراك كثيرا من المال والرجال على اخمادهما فما نجحوا، ولذلك اخذ مركز الاتراك في تلك البلاد يتداعى يوما بعد آخر، ورؤية جنودهم المغلوبة المنطرحة على متن باخرة انكليزية في خليج بلاد فارس هي من الادلة الكثيرة الراهنة على تداعي مكانتهم في شبه جزيرة العرب

هذا وان تجدد القوة العربية في شكلها الحاضر يرجع الى عهد يزيد قليلا عن عن عشر سنين . اما منشئها الحقيقي فهو مبارك بن الصباح امير الكويت ذلك السياسي الشيخ والمحارب المنيع الجانب الذي ينبسط نفوذه على اكثر جهات بلاد العرب مع انه لم يطمع بارض خارجة عن حدود مسقط رأسه

وبيان الامر ان المصريين بعد ان اخمدوا الحركة الوهابية واسقطوا امراءها بني السعود انتقلت السيطرة على اواسط بلاد العرب الى ايدي امراء بني الرشيد الذين جعلوا عاصمتهم بلدة (حائل) في قلب شبه جزيرة العرب وحكموا هناك سبعين سنة وقد كانوا اقوياء الجانب اجرياء

وفي اوائل القرن الحاضر كان اميرهم المقيم في حائل ذا مطامع تتجاوز قوته فدعا نفسه « ملك بلاد العرب » وباشر الزحف على خليج فارس وهدد الكويت فخرج الامير مبارك بن الصباح من عاصمة امارته الصغيرة لملاقاته وقتاله فقاتله وانتصر

عليه، وتعقب رجاله المغلوبين حتى منتصف الطريق عبر بلاد العرب واستولى على حائل عاصمة ولايته . وكان غرض الامير مبارك من هذه الغارة تأديب ابن الرشيد فقط لابسط حكمه على نجد ولذلك قفل راجعا ، وعند رجوعه الى الكويت أخذه ابن الرشيد على غرة فانه جمع جموعه وباغت رجال الامير مبارك ليلا وهم يعبرون معبرا صخريا وضربهم ضربة قاضية فقتل منهم خلقا كثيرا، والذين نجوا من الموت في هذه المعركة ترادف كل ثلاثة منهم على متن جواد ووصلوا سالمين الى الكويت

غير أن الامير مباركا كان شجاعا جريئا فأضمر الشر لابن الرشيد ودعا أبناء اسرة السعود الوهابية التي اسقطها المصريون وعالهم وآواهم واعطاهم مالا وسلاحا وارسلهم الى الصحراء العربية لاسترجاع مملكتهم المفقودة

وكانت لابن الرشيد عاصمتان الحائل في الشمال والرياض في الجنوب فزحف احد شبان اسرة ابن السعود على الرياض وكان يجمع الرجال في مسيره حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف، وقد توقف بهم سرا في احدى القرى القريبة من الرياض وهجم تحت الظلام الحالك على المدينة بخمسين فارسا باسلا لا يهاب الموت

وقد وقعت هذه الحادثة من مضي عشر سنين وبهؤلاء الفرسان الخمسين تجددت ولاية ابن السعود، فانهم عند وصولهم الى باب المدينة جعلوا رئيس الحراس يفتحها لهم بخدعة حربية، ولما دخلوا اعملوا المهاميز في شواكل خيولهم واجتازوا اسواق المدينة بسرعة البرق وهجموا على قصر الحاكم ابن الرشيد وذبحوه، وعند انشقاق عمود الفجر دخل بقية رجالهم وجددوا الولاية الوهابية في تلك الجهة . وقد حصر ابن الرشيد ثلاث سنين في مدينة حائل ولكن ابن السعود انتصر عليه في آخر الامر وقهره في اقليم قاسم على منتصف الطريق بين المدينتين

أما المعركة الاخيرة التي نشبت بين رجال ابن السعود من جهة ورجال ابن الرشيد وبعض الجنود العثمانية من جهة اخرى، فقد اسفرت عن انتصار الاولين وقتل ابن الرشيد بثلاثة سهام اصابه احدها في فخذه فسمره بسرج جواده ، وقد ابلى رجال ابن السعود في هذه المعركة بلاء حسنا فكانوا لا يرمون سهما الا بعد معرفتهم انهم سيصمون به رجلا من اعدائهم

وكانت نتيجة هذه المعركة ان ابن السعود صار مسيطرا على كل نجد وتم له ما اراد من مضي عهد طويل من اخراج الاتراك من بلاد العرب وارجاعهم الى سواحل خليج العجم، ولكن انتصاره هذا لا يدل على تجدد الحركة الوهابية الحقيقية، بل هو تجدد

موقت لها، كما انه لاينوي اعلان جهاد جديد لان العالم لم يعد يرى بعد تيارا سريعا من القوات الاسلامية متدفقا من رمال بلاد العرب

نعم ان عرب البادية هناك يتضامون ولكنهم غير متحدين اتحادا يستطيعون به ايقاد حروب وفتوحات، ولا تجول في صدورهم حمية دينية كافية لان تمكنهم من اعلان جهاد جديد. أو ارغام غير المسلمين بالقوة، ولكن تجدد قوتهم يبطن خطرا على الاتراك، ولذلك ترى اصدقاء تركيا المخلصين لها ينصحون لها بنية صافية ان تصالح ابن السعود الذي يعتقد انه يميل الى مفاوضة السلطان بطاعة واحترام، فواحات الاحساء القليلة غير مفيدة لتركيا في حين ان علائقها الولائية بحاكم نجد تنفعها كثيرا، والامر الذي يهم تركيا اكثر من غيره في بلاد العرب هو ان تبقى لها السيطرة على مدينتي الاسلام المقدستين لتحفظ اعتبارها وهي صاحبة الخلافة الاسلامية في عيون المسلمين، وخير مايساعدها على ادراك غايتها هذه هو اتفاقها مع ابن السعود

وكان من الواجب عليها ان تكف عن ارسال الجنود الى اليمن، وتنشيء لها علائق ولائية مع امام صنعاء على قاعدة ان تسلطه على تلك الولاية تحت سيادتها، وكذلك يجب عليها ان تنهي ثورة العسير بهذه الصورة فتسلط الادريسي على تلك الولاية تحت سيادتها ايضا . وبهذه الطريقة تكتفي مؤونة ارسال كثير من المال والرجال الى تلك البلاد على غير فائدة، ولا تخسر حقوقا ارضية لاينازعها إياها منازع في الوقت الحاضر، وتستطيع بعد ان يهدأ بالها من جهة العرب ان تنصرف كل الانصراف الى المهام الحيوية التي لا تزال تنتظرها في آسيا الصغرى اه

(المنار) خير مافي هذه المقالة خاتمتها ، فهو النصح الخالص للدولة العثمانية الذي سبقنا اليه غير مرة (وقد يستفيد الظنة المتنصح) والقسم التاريخي منها يشوبه شيء من الخطأ كقوله ان الوهابيين كانوا خارجين على الدين الاسلامي والخلافة ، فهذا خطأ فهم مسلمون متشددون في التمسك بالاسلام ، وجل ما عزي اليهم من الشذوذ كذب افترته السياسة وبعضه من الخطأ الذي اقتضته طبيعة القتال لاتعاليم المذهب - وكقوله ان مكة مقدس أهل السنة ومحجهم، وكربلاء محج الشيعة . والصواب ان مكة هي محج جميع المسلمين ، واما كربلاء فليست محجا واجبا لأحد ولكن يزورها الشيعة كثيرا وغيرهم قليلا ، وما ذكره الكاتب من ان ابن سعود وامام اليمن والادريسي كلهم يودون الاستقلال في بلادهم تحت سيادة الدولة صحيح ، وأصح منه قولا ونصحا قوله ان الواجب على الدولة ان تترك قتالهم، وتعطيهم استقلالهم ، ولكن هل يعقل هذا رجال الآستانة ويعملون به ؟ الله أعلم

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

لهذا كله كان اليهود معاصروه يرون أنفسهم أرقى منه علما ونفسا وأخلاقا وتدينا (١) وما كانت تعجبهم أحواله وأعماله حتى كانوا يعيرونه بكثرة شرب الخمر وحب الخطاة كما سبق (لو ٧: ٣٤) وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم ير فيه معاصروه أدنى عيب ولم يطمع أحد منهم في مسابقته في العلم والفضل ، والكمال والعقل ، والصدق والاخلاص ، والصلاح والتقوى ، حتى عرف بين مشركيهم من صغره بالأمين والمأمون، وكان لهم نبراس الهدى ومثال الكمال بينهم في كل شيء ففاقهم بمراحل واسعة ، وأما المسيح - بحسب هذه الاناجيل - لم يفق الوسط الذي كان فيه . هذا كله مع ملاحظة أنه لم ينقل لنا عنه إلا القليل من أخبار حياته ، وأن مدة بعثته كانت قصيرة جدا ، وأن الناقلين لأخباره هذه هم صفوة أتباعه وأخص تلاميذه الذين كانوا - كما تقول النصارى - ملهمين من الله ، معصومين من الكذب والخطأ والنسيان في كل ما كتبوه عنه . فكيف بعد ذلك يليق بعاقل منصف أن يفضل عيسى على محمد وآداب المسيحية وتعاليمها على آداب الاسلام وتعاليمه ؟ وهو الذي لم ينشر الا التقوى والفضيلة بين الناس، ونص كتابه صريحا ببراءة بعض أنبيائهم مما رموهم به من الكبائر (راجع القرآن ٢ : ١٠٢ و٢٠ : ٨٧-٩٧) ولم يذكر من تاريخ الآخرين الا ما فيه عبرة وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقامة وتحصين الاخلاق والآداب بسياج الفضائل ، فلم ينسب لهم شرب الخمر ولا السكر به، ولا الخيانة ولا الزنا، ولا الغش ولا الكذب، ولا التعدي على بناتهم بالفسق فيهن ، ولا عمل لاصنام لامهم ولا الشرك بالله وعبادة غيره، الى

(١) هذا الكلام كله مبني على فرض صحة جميع ما في هذه الاناجيل كما قلنا مرارا ، فلا تنس ذلك ، والحق أننا لا نؤمن بها ولا نعبأ بروايتها

غير ذلك مما لا فائدة في نشره عن الأنبياء - لا إشاعة الفاحشة بين الناس والاستخفاف بالدين ومخالفة أوامره ونواهيه والكفر بالله أو الشرك به وخصوصاً لأن كتبهم ذكرت بعض هذه الجرائم ولم تذكر معها ماينفر منها كما ترى في سفر التكوين مثلا ، فللناس أن يقولوا اذا كانت الانبياء لم تقو على الاستقامة فكيف نقوى عليها ونحن أقل منهم في كل شيء ، واذا كان الله لم ينبذهم مع أننا نرى أن بعضهم لم يتب من ذنبه أو كفره فلم نخافه أو نخشاه ؟ ومن ذلك يعلم أن القرآن قد امتاز عن كتبهم بالفضائل وبالآداب العالية وبالحث الكثير على الصلاح والتقوى والتوبة حتى أنه لم يذكر لنبي هفوة الا ذكر معها استغفاره وانابته الى الله وتوبته منها مع أنه لم يذكر عنهم مثل ماذكرته كتبهم عن نوح مثلا (تك ٩ : ٢٠ - ٢٧) (١) ولوط (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٨) (٢) واسحاق (تك ٢٦ : ٧) ويعقوب (تك ٢٧ : ١٩)

(١) من العجيب أن الله قد أظهر رضاه عن نوح بعد جريمة السكر بأن تقبل دعاءه لأولاده حتى أنه ظلم لأجله حفيده كنعان بن حام وآخذه بذنب أبيه (تك ٩ : ٢٢ و ٢٥) فكيف يطيع الله نوحا لدرجة أن يعول على دعائه على كنعان البريء مع أن الظاهر من قصته أنه ما دعا على كنعان إلا لأنه لم يفق تماما من سكره فلم يميز بين ولده المذنب اليه وحفيده البريء ؟ ! ولم يذكر في كتبهم أن نوحا تاب من ذنبه هذا ، فأي عبرة للناس في هذه القصة سوى أنهم يعلمون منها ان الله تقبل دعاء السكران حتى ظلم لأجله حفيده ؟ فليكثر الناس اذاً من شرب الخمر ليكون دعاؤهم مقبولا عند إله النصارى هذا المحب للخمر وشاربيها حتى شبهته كتبهم بالسكران (مز ٧٨ : ٦٥) وامتلأت بذكر سكر الانبياء وإسكارهم لغيرهم وبإيجاب تقريبها للرب !! (راجع مثلا تك ٩ : ٢١ و ١٩ : ٣٢ و ٣٣ و ٣٥ و ٢٧ : ٢٥ وخر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ و ٢ صم ٦ : ١٩ و ١١ : ١٣ وبو ٢ : ٧ - ١٠ ومت ٢٦ : ٢٧)

(٢) يقول بعض المتذرين عن سيئات كتبهم وأنبيائهم ان جريمة لوط - سكره وزناه بابنتيه (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨) - هي منحصرة في السكر فقط لانه ارتكب ما ارتكب وهو لايعي شيئا والحكمة عندهم في ذكر هذه القصة هي اظهار درجة قبح شرب الخمر وبيان ماتؤدي اليه ، مع ان القصة ذكرت في كتبهم كأنها أمر عادي وكأن لوطاً لم يرتكب منكراً حتى لم يذكر أن الله وبخه أو عاقبه على ذلك أو أنه تاب من ذنبه ، بل قال ان ابنتيه حملتا من هذا الزنا ومنهما تناسل بعض الامم (الموآبيين وبني عمون) وبعد =

= ذلك سماه الكتاب المقدس بارا (٢ بط ٢: ٧-٩) فأي عبارة أتى بها الكاتب في قصته هذه لبيان شناعة هذا العمل الفظيع واستقباحه له أو وجوب التوبة منه ؟ و من من الناس يجهل مضار الخمر وهي عند السكيرين أنفسهم أم الخبائث وكلهم يعرفون ذلك ويعترفون به وبضعف ارادتهم عن تجنبها فما فائدة هذه القصة اذاً ؟ ولماذا لم ينتخب الكاتب حادثة أخرى من التي وقعت على أيدي أحد الاشرار السكيرين — وهي كثيرة في كل زمان ومكان — بحيث تكون العبرة فيها أظهر وأوضح لبيان شناعة الخمر وقبحها وضررها اذا صح أن هذا هو حقيقة غرض الكاتب من ذكر هذه القصة ؟ أما كان الأولى بكتبهم أن لا تبيح لهم الخمر ولا تأمرهم بشربها بدلا من ذكر هذه القصص الساقطة ؟ ! أو لا يشعر الانسان عند قراءتها انها تهيئ الاشرار الادنياء لارتكاب أفظع المنكرات أكثر مما تزجرهم عنها، لانه اذا كان لوط نبي الله الذي اختاره الله لوحيه وكلامه ولارشاد الناس لم يقدر على منع نفسه عن السكر وأقبح الفسق فكيف بهم وهم من أضعف المخلوقين ؟ وكيف يقدرون على ما لم يقدر عليه الانبياء المختارون المؤيدون بعناية الله ورعايته ؟ واذا صح أن لوطاً كان لا يعي شيئا حتى لم يقدر أن يميز بناته من غيرهن فكيف أمكنه مجامعتهن والحالة هذه مع العلم بأن الانسان اذا اشتد سكره الى درجة عدم تمييز بناته ومعرفتهن وفقد شعوره حتى لم يعلم باضطجاعهن ولا بقيامهن كما قال سفر التكوين (١٩: ٣٣ و٣٥) فلا يقوى على أي عمل أو أي حركة مقصودة . إذاً لوط مازنى إلا بعلمه وارادته وانما كان تأثير الخمر عليه — كعادتها — انها جرأته على ارتكاب اكبر جريمة وأضعفت قدرته على مقاومة شهوته هذه البهيمية (بل الأحط) واذاً فهو مسؤول عما اقترف كما في قوانين الامم الراقية . ومن أعجب العجائب أنه مع علمه بذنبه هذا ومعرفته لابنته — كما بينا — وزناه بها في أول ليلة وشعوره بأنه لم يقدر على مقاومة نفسه بسبب تأثير الخمر عليه عاد في الليلة الثانية فسكر مع ابنته الاخرى وزنى بها أيضاً وافتضها كالاولى ! افلم كال الله له بنير ما كال به لقومه ولم يخسف به الارض مثلهم مع أن اثمه اكبر وجرمه أفظع ؟ أفلا تنفر النفوس من مثل هؤلاء الانبياء وهم أنفسهم لم يعملوا بما يعظون به غيرهم ؟ ثم ألا تضيع بذلك الفائدة من بعثتهم ؟ فالحق ان هذه القصص مستحيلة على أنبياء الله بل على فضلاء البشر ولولا ذلك ماسمى كتابهم لوطاً بارا تقيا كما سبق ، وانما افتجر اليهود هذه القصص تبريرا لشرورهم الكثيرة وعصيانهم لله مرات عديدة واعتذارا بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة فكأن كاتبها يقول : « إذا كان أنبياء الله لم يقووا على الاستقامة فكيف نقوى امثالنا عليها ونحن أضعف منهم طبعاً =

وهرون (خر ٣٢: ١ ـ ٦)(١) وداود (٢ صم ١١: ٢ ـ ٢٧) وسليمان (١مل ١١: ٥و٦) وغيرهم من أنبياء الله الامناء الطاهرين الذين أقامهم الله ليكونوا قدوة حسنة ومثالا صالحا للناس. فهل قدرة الشيطان عندهم وصلت الى حد أن تغلب على الله = وكيف بعد ذلك يطالبوننا بالصلاح والتقوى أو يلومونا على العصيان والفسوق ؟ واذا كان الله غفر للانبياء هذه الجرائم كلها ولم يغضب عليهم ولم ينبذهم نبذ النواة بل رضي عنهم فلمَ لا يرضى كذلك عن اليهود ويغفر لهم كل ما اقترفوه ؟ » هذا وغيره ـ كما يأتي ـ ربما كان هو الحامل لكتاب اليهود على افتجار هذه الاقاصيص واختراع هذه الاكاذيب لارضاء أمتهم وملوكهم الفاسقين، ومكانها من الصحة لايخفى الا على من نقد كل تمييز فكاتبها انما هو دساس فاسق يريد بها غالبا ترويج الفسق والفجور واشاعة الفاحشة في الصالحين وستر قبائحه وقبائح قومه وإسكات اللائمين . فهذه ياقوم احدى قصص هذه الكتب التي يقولون انها لاتنشر الا الفضيلة بين الناس !

وقال العلامة « لينج » في كتابه {الاصول البشرية} صفحة ٨٧ ما مضمونه أن السبب الذي حمل اليهود على افتجار قصة لوط هذه هو بغضهم الشديد لنسله الموآبيين والعمونيين مع انهم أقاربهم، فقد كانت العداوة بين الفريقين شديدة جدا ومتأصلة فيهم من قديم الزمان كما لا يخفى على المطلعين على كتب اليهود (أنظر مثلا تث ٢٣: ٣ـ٦)

(١) اذا أردت الاطلاع على الجواب تفصيلا عن شبهتهم في لفظ «السامري» الوارد في القرآن أنه هو الذي صنع العجل فاقرأ مقالات « القرآن والعلم » في المنار مجلد ١١ جزء ٤ صفحة ٢٨٦ وكذلك كتاب « الدين في نظر العقل الصحيح » صفحة ١١٤ـ ١١٦، وص ٨٠ و٩٩ من الجزء الاول من كتاب « الهدى الى دين المصطفى » لأحد علماء الشيعة المحققين

وملخص الجواب وأحسنه : أن تعريب لفظ « شمرون » العبري (بكسر الشين وبضمها كما في يش ١١: ١ و١ مل ١٦: ٢٤ و١ أي ٧: ١) هو سامر أو سامرة ، فالسامريّ (وبالعبرية شِمروني بكسر الشين) هو أحد الشِّمرونيين (عد ٢٦: ٢٤) أولاد شمرون بن يساكر بن يعقوب (تك ٤٦: ١٣) وكانوا من عشائر بني اسرائيل المعدودين في الجند على عهد موسى عليه السلام وخرجوا معه من أرض مصر (أنظر تك ٤٦: ٨ و١٣ وعد ٢٦: ٤ و٢٤) فالسامريون الذين منهم سامريّ القرآن هم أولئك الشمرونيون ، لا السامرون الحاضرون الذين وجدوا بعد موسى بقرون . واعلم أن لفظ (شمرون) بكسر الشين =

غرضه أيضا في ذلك كما قلبه عليه مرارا في غير ذلك مما بيناه آنفا (راجع ص ١٢٣

= ورد في كتبهم علما لشخص « كما في ١ أي ٧ : ١ » واسما لمدينة « كما في يش ١١ : ١ و١٩ : ١٥ » و { شمرون } بضم الشين وردت اسما لجبل ولمدينة كما في « ١ مل ١٦ : ٢٤ » وكلا اللفظين من مادة واحدة في العبرية ومعناها « الحفظ » وربما كان ضبطهما في الاصل واحدا فأخطأوا فيه على مر الازمان وخصوصا لان جمهورهم كان قد نسي اللغة العبرية القديمة بعد سبي بابل « أنظر نح ٨:٨ » وهذا الضبط « الشكل » الحالي لم يكن عندهم قديما بل أحدثوه بعد المسيح بقرون ، واذا صح فلا يمنع مما ذكرنا ، وليس هذا التعريب المذكور هنا ببدع في اللغات ، ألا ترى أن الافرنج تسمي « جبل طارق » مثلا في لغاتهم جبرولتار (Gibraltar) وكان العرب يستبدلون في لغاتهم « شين » العبري المعجمة « بالسين » المهملة ، حتى أن أهل الكتاب « اليهود والنصارى » يعربون شين العبرية سينا فشمرون « بضم الشين كما في ١ مل ١٦ : ٢٤ » يسمونها السامرة ، وكذلك موشى « بالشين » موسى و (يشوع) يسوع أو عيسى كما سماه القرآن الشريف وكما هو في اللغة اليونانية وغيرها ايسوس (Iesous) وفي الانكليزية جيسس (Jesus) ويسمي الافرنج ايضا شمرون هذه ساميريا (Samaria) فكل اللغات تتصرف بالاسماء المنقولة ، فلم يستبيحون لأنفسهم وللناس ذلك ولا يبيحون للقرآن أن يسمي أحد « الشمرونيين » بالسامري وهو من التعريب المعروف في لغته

فان قيل : اذا كان هذا الرجل معروفا شهيراً بين بني اسرائيل حتى اذا أطلق لفظ السامري في زمنه فلا ينصرف الا اليه فلماذا لم تذكره كتبهم ؟

قلت : الظاهر أن كتبهم – مع طولها ولغوها – لم تستقص كل شيء فكم من أشياء تُرك ذكرها فيها لسبب ولغير سبب . ألا ترى أن بولس ذكر في إحدى رسائله أن ينيس ويمبريس قاوما موسى « ٢ تي ٣ : ٧ » ولا وجود لهذين الاسمين في الاسفار الموسوية أو غيرها مطلقا ولا تعرفهما اليهود ، وكذلك ذكر يهوذا في رسالته أن ميخائيل خاصم ابليس بخصوص جسد موسى « عدد ٩ » وأن أخنوخ تنبأ عن مجيء الرب مع قديسه « عدد ع ١٤ » ولا وجود لشيء من ذلك في باقي أسفار كتابهم المقدس

فهل يدل هذا على كذب بولس ويهوذا ؟ فالحق أن اليهود لم تخص السامري هذا بالذكر لأنهم أرادوا أن ينسبوا لهارون عمل العجل كما نسبوا لسليمان الكفر وكما نسبوا لغيرهما مانسبوا ، ولم يعمل السامري شيئاً آخر يذمهم قبل ذلك أو بعده =

من هذه الرسالة وص ١٠٩ و ١١٠ من رسالة الصلب) حتى جعل الذين أراد الله أن يكونوا مثالا حسنا للناس وهداية لهم وقدوة صالحة جعلهم شر الاشرار فأتوا من الشرور ما تنفر منه طباع أحط البشر أخلاقا كزنا الانسان ببناته ! ! وكيف يقبل الناس على تعاليمهم بعد فعالهم هذه ، وكيف سردت كتبهم أكثرها ـ كما قلنا ـ بطريقة لا تشعر بشناعتها ولا ببشاعتها ولا بالانكار على فاعلها ونبذه كنبذ النواة ! ؟ راجع كتاب دين الله (ص ٦٧ ـ ٧١) ثم راجع أيضا قصة داود وسليمان مع شمعي بن جيرا (في ١ مل ٢ : ٨ و ٩ و ٣٦ ـ ٤٦) وفيها ترى أن داود وهو على سرير الموت يوصي ابنه سليمان بقتل هذا الرجل (شمعي بن جيرا) بعد ان أقسم له بالله أنه لا يقتله فسلط ابنه عليه وهو محتضر . وسيرة داود عندهم معروفة مشهورة وقساوته وظلمه لا مثيل لهما (حاشاه) حتى أنه نشر أسرى بني عمون بالمناشير ونوارج الحديد والفؤوس (٢ صم ١٢ : ٣١ و ١ أي ٢٠ : ٣) وسيرهم في أتون الآجر أي أحرقهم بالنيران (راجع كتاب دين الله ص ١٢٥ و ١٢٦) وداود هذا هو الرجل الذي نصت كتبهم على أنه كان بارًّا ولم يعص الله قط الا في مسألة أوريا وزناه بزوجته وتعريضه للقتل بكتاب أرسله معه وهو لا يعلم ما فيه فقال سفر الملوك الاول (١٥ : ٥) عنه (لان داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته الا في قضية أوريا الحثي) (١) وهو صريح في أن الله راض عن داود

= حتى يذكروه به في غير هذا المقام ، فلما طال عليهم الأمد نسوا قصته الا قليلا منهم فان الظاهر أن القرآن لم يخالف في ذلك بعض روايات أهل الكتاب من العرب وهي التي كان يرويها عنهم ابن عباس وغيره كما في التفاسير ولذا لم يسمع انهم انتقدوا عليه هذه القصة ولو خالفهم لانتقدوها عليه كما انتقدوا عليه قوله عن مريم إنها أخت هارون وغير ذلك (راجع كتاب « الجواب الصحيح » لابن تيمية جزء ١ ص ٧٠ ـ ٧٣) على أن من راجع ما يكتبه الآن علماء الافرنج في كتبهم المقدسة علم أن هذه الكتب أصبحت مشكوكا فيها لدرجة أن الانسان لا يصح له أن يجزم بأي خبر فيها ولو كان مما يتوهمه متواترا بين أهل الكتاب إذ لا شيء متواتر بينهم ، ولا مقطوع بصحته ، ولا مجزوم بأصله وحقيقته الا القليل فذكرها للشيء وعدمه عندنا سيان

(١) حاشية : بمقتضى هذه العبارة تكون جميع أفعال داود الآتية وغيرها مرضية =

في كل أعماله السيئة الشنيعة القاسية إلا مسألة أوريا وهم لا يزالون يرتلون مزاميره و يعبدون الله بها !! فما بالهم الآن يطعنون على محمد لجهاده الاعداء الذين أذوه وآذوا أمته وفعلوا بهم من الاضطهاد والقتل ما فعلوا . أما اغتياله لبعض أعدائه المحاربين له ولأمته فقد تكلمنا عليه في كتاب « الاسلام » ص ٥٨-٦٠ (راجع أيضا كتاب « صدق المسيحية » في الانكليزية ص ٢٥١ و ٢٥٢ ففيه كلمة في هذا الموضوع دفاعا عن كتبهم الآمرة بابادة الكنعانيين (١) يصح أن تكون أيضا دفاعا عن الجهاد

= عند الله وكلها مستقيمة في عيني الرب وطبق وصاياه، فمن ذلك ما فعله ببني عمون كما ذكر في المتن وقتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول مع ان شاول طلب منه قتل ١٠٠ فقط (١ صم ١٨ :٢٥ و ٢٧) وتعليمه يوناثان أن يكذب على شاول {١صم ٢٠: ٦} وكذبه على أخيمالك الكاهن (١صم ٢١: ٢) وشكره لله على موت نابال لكي يتمكن من زواج امرأته المسماة أبجايل لانها جميلة الصورة (١صم ٢٥ :٣ و ٣٩) وكذبه على أخيش بعد قتله الرجال والنساء (١صم ٢٧: ٩-١١) ووصيته وهو محتضر لابنه بقتل رجل أقسم له بالله أن لا يعاقبه على ما فعل (١مل ٢: ١ و ٩) وزواجه بنساء كثيرة وأخذه سراري عديدة { ٢ صم ٥ :١٣ } وحزنه على امنون ابنه حينما قتل وبكائه من أجله بكاء مراً كل يوم مع انه فسق بأخته ابنة داود أيضاً وافتضها كرهاً وهي عذراء بعد ان خدعها خدعة دنيئة « ٢صم ١٣ » نخالف داود بذلك أمر الله القاضي بقتله « لا ٢٠: ١٧ » حتى انه لم يرد أن يحزنه لانه بكره كما فى الترجمة السبعينية « ٢صم ١٣: ٢١ » وحقد على ابنه « أبشالوم » الذي قتل امنون هذا انتقاماً لاختهما حتى طرده داود بعد رضاه بعودته اليه ولم ير وجهه مدة سنتين « ٢صم ١٤: ٢٤ و ٢٨ » قارن ذلك بفعل عمر بن الخطاب الذي جلد ابنه حتى مات لزناه وهو غير محصن بامرأة، فلم يشفق عليه ولم يرحمه حتى أنفذ فيه حكم الله { راجع أيضا كتاب «التوراة غير موثوق بها» في الانكليزية ص ١٠٢ و ١٠٣ } فكيف رضي إلههم لداود عن كل ذلك وغيره ولا يرضى الله تعالى لمحمد تعدد الزوجات القليل وغيره مما ينتقدونه عليه ؟! ولم يريدون ان يكيل تعالى لعباده بمكيالين ؟ ولو فرض جدلا ان النبي « ص » كان خاطئاً في شيء ما فالله تعالى قد طالبه مراراً في القرآن بالتوبة والاستغفار لذنبه ولم يقره على خطأ ما ، =

« ١ » راجع مثلا سفر التثنية « ٢٠ : ١٦ » تجد فيه الامر بابادة ست أمم حتى نسائهم وأطفالهم

وقتل الاعداء ولو غيلة) وكان لداود أيضا نساء عديدة وامتن الله عليه باعطائهن اياه (٢ صم ١٢ : ٨) فما بال النصارى لا يرون الخشبة في أعينهم و يرون القذى (ان سلم انه قذى) في أعين غيرهم ؟ ! فتراهم يستحسنون كل ذلك و يجعلون المسيح المثال الا كل للبشر على ما وصفته كتبهم به مما سبق ذكره ، وأما محمد فينبذونه و يستقبحون أعماله، وهو الذي أصلح العالم كله وخلصه من الشرك والوثنية وعبادة البشر والصور والصلبان والاصنام ودعا بوحي الله الى كل خير وحرم الخمر بتاتا وأمر باجتناب كل شر وضرر وأتى بمكارم الاخلاق الصحيحة قاطبة وفرض على أتباعه الصلوات الخمس وحث على قيام الليل في عبادة الرحمن وأوجب الصوم والزكاة وفعل كل خير بالايتام والفقراء وأبناء السبيل والاسرى والرقيق وغير ذلك مما فصلناه في كتبنا « الدين في نظر العقل الصحيح » و « الاسلام » و « دين الله في كتب أنبيائه » وغيرها ، وأصلح حال المرأة اصلاحا لم يسبقه به أحد، ودعا للعمل للدنيا والآخرة كقول القرآن (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وغيره مما ذكرناه سابقا . ثم إنك ترى ان جميع تعاليمه عملية وصالحة لخير هذا المجتمع ولا تزيده الا عزا ورفعة وعلما وتقدما ومدنية وهي بعيدة عن كل عيب أو غلو أو استحالة . ولا يرد علينا بحال المسلمين اليوم فان الاسلام (كما في القرآن والسنة النبوية) غير مسلمي هذا الزمان وفقهم الله لمعرفة حقيقة دينهم التي أخفاها عنهم الجهل والتقليد . ومن تمسك بحال مسلمي اليوم فهو كالمتمسك بحال نصارى القرون الوسطى أو نصارى الحبشة ونحوهم الآن مستدلا على قبح المسيحية وانحطاطها، فهل هذا من الانصاف والعقل في شيء ؟ !

= فأي الالهين أطهر وأقدس ، اذا صح أن الهنا غير إلههم كما يتبجح بذلك الآن متعصبو المبشرين منهم . على ان محمداً صلى الله عليه وسلم ما ارتكب صغيرة ولا كبيرة قط إلا هفوات بسيطة لا يخلو منها بشر وهي المسماة بالذنوب في القرآن على حد قول القائل « حسنات الابرار سيئات المقربين » وعدم ذكر مثلها لغيره من الانبياء كشعيب وهود وصالح وعيسى ويحيى وزكريا وغيرهم سببه أنه لا فائدة من ذكرها بالنسبة لهم بعد أن انقضى زمنهم ولان القرآن لم يأت بدقائق تواريخهم كلها إلا ما كان فيه عبرة لنا ولا يخفى ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول . أما ذكرها بالنسبة لمحمد « ص » فهو لارشاده وتأديبه وتكميله ولتعليم أمته وهدايتها لما فيه الخير والصلاح ولولا هداية الله لضل محمد كغيره من قومه وضلت أمته معه فلله الحمد هادي الضالين، رب العالمين

﴿ تذييل للفصل السابق ﴾

﴿ في النبيذ عند العرب ﴾

ننقل هنا ما يأتي بحروفه عن كتاب « الهدى الى دين المصطفى » لاحد علماء الشيعة المحققين بالعراق، قال حفظه الله في صفحة ٦٨ — ٧١ من الجزء الاول :

ان المتكلف (يريد صاحب « كتاب الهداية ») كان شاعرًا بما في كتب العهدين من تلويث قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبث لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها ، ولو انها صحت وكانت لها مداخلة فى أصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه

فقال فى الهداية ١ ج ص١٣ ان محمدًا شرب الخمر — وذكر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى السقاية فى مكة وقال اسقوني من هذا فقال العباس ألا نسقيك مما فى البيوت ؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا ولكن اسقوني مما يشرب منه الناس ، فأتي بقدح من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا

وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله عطش وهو يطوف بالبيت فأتي بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذَنوب (أي دلو) من ماء زمزم فصب عليه ثم شرب به فقال له رجل أحرام هذا يارسول الله ؟ فقال لا

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن ان اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح . وقد كان النبيذ على قسمين « احدهما » ان يطرح التمر أو الزبيب في الماء في الاواني التي تصبر على التمادي الى ان يبلغ حد الاسكار كأواني الدباء وهو القرع اليابس ، والمزفت وهي أو ان تطلى بالزفت ، والحنتمة وهي أوان خزفية تدهن بالقلي ؛ ونحوها فيترك زمنا طويلا الى ان يبلغ حد الاسكار « وثانيهما » ان ماء الحجاز كان مرا مضرا فيطرح فيه لمداواة طعمه وطبعه ما يتمكن الاعرابي منه في ذلك الزمان وهو

قليل من التمر فان ترق فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه في السقاء غدوة فيشربونه عشيا ويطرحونه عشيا فيشربونه غدوة حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب في الماء حلاوة مّا . وقد تضافرت الاخبار الكثيرة بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحنتمة بسبب انه يصبر عليه حتى يبلغ حد الاسكار ويرخص في نبيذ الاسقية وهو ان يطرح في السقاء كف ونحوه من التمر أو الزبيب فيشرب في يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب ، لأن اسقية البيوت لا تحتمل ان تشغل زمنا طويلا بالنبيذ ، ولا تقوى على بقائه (١) الى ان يختمر ويتعفن ويبلغ حد الاسكار ، انظر الى مسند احمد وغيره من كتب الحديث * فعلى المتكلف في تشبثه بما ذكر من الحديثين ان صحا في الجامعة الاسلامية (يعني اجماع المسلمين) ان يعين دلالتهما على ان النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذي ذكرنا انه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطييب طعم الماء على عادة أهل الحجاز - * - ونحن نقول ان المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم لا القسم المسكر لوجوه (أولها) انه لو كانت في مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع أوربا لما وسعت كفاية الألوف العديدة من الحجيج في الايام الكثيرة وهو يعطى مجانا لهم ، وكيف يقوى العباس على ذلك ؟ (وثانيها) ان السقاية في مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار (وثالثها) ان هذه الواقعة ان كانت فانما تكون بعد فتح مكة في أواخر أيام النبي (ص) ومقتضى الاخبار التي يذكرها المتكلف (الهداية ١ ج ص ٢٣ و٢٤) ان الخمر حرمت في اوائل الهجرة . وفي ما ذكره عن ابن مسعود ان رسول الله (ص) قال فيما شربه انه ليس بحرام، مع ان حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررة معلومة في الاسلام (ورابعها) الذي يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الأمام السادس من أهل البيت حيث قال في نبيذ السقاية . ان العباس كانت له حبلة

(١) يعني أنها تنفجر غالبا من الغاز الذي يتولد من الاختمار كما هي العادة إذا اختمر ما في الزق اختمارا شديدا وكان الزق قديما مستعملا من قبل كثيرا في البيوت كما يعرف ذلك يسوع نفسه ويضرب به المثل لكثرة مشاهدته لصناعة الخمر وممارسته لها حتى لم تغب عن ذهنه ولا في وقت تعليم الناس ولم ينس لذة العتيق منها !! حاشاه (راجع انجيل لوقا ٥: ٣٧-٣٩ وغيره من أناجيلهم)

وهي الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشي وينقعه بالعشي ويشربونه غدوة يريد ان يكسر به غلظ الماء على الناس

واما سر تقطيبه صلوات الله عليه في رواية ابن عباس فليس لان النبيذ الذي اعطي له كان من القسم المسكر ، بل لان حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ الاسقية ، فان الحلاوة اذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهوعات ، فزاد عليها من الماء الى ان ردها الى النحو المتعارف ، وارشدهم الى ان هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه هذا النحو من المشروب لاصلاح طعم الماء . ولو تنزلنا وفرضنا ان النبيذ المذكور في الروايتين كان من القسم المسكر لكانتا دليلا على انه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه ، ولم يشرب به حتى اخرجه عن موضوعه وصورته بارقة الماء الكثير عليه (١)

(١) يقول مؤلف هذه الرسالة : سلمنا صدق هذه الرواية وأن رسول الله شرب — وهو مسافر في الحج وفي الحر الغالب في بلادهم — من هذا الشراب المخفف المشتمل فرضا على أثر من الكحول المتولد من قليل من التمر أو الزبيب ما روى به ظمأه حيث لم يجد ماء صالحاً للشرب سواه ، وهو — على فرض أنه كان متخمراً — أقل في ذلك عادة مما في البيوت لقصر زمن التخمير، ولذلك أبى أن يشرب مما في البيوت وشرب هذا بعد اضعافه بالماء الكثير . ولا يخفى أن تحريم شرب مثل هذا الشراب المخفف جداً لارواء الظمأ في وقت الحر والسفر والتعب هو لسد الذريعة إن كان يوجد غيره صالحاً وخاليا من كل أثر من الكحول ، وقال الفقهاء إن ما حرم سدا للذريعة يباح للمصلحة فما بالك اذا كان ثم ضرورة حيث لا يوجد ماء عذب غيره ؟ أما من الوجهة الطبية فشرب ما كان به أثر من الكحول في الحر والسفر وبعد التعب لارواء الظمأ هو مغذ منبه مزيل للتعب ملطف للحرارة ولا ضرر فيه مطلقاً خصوصاً إذا لم يشرب به الانسان في حياته إلا مرة أو مرات قليلة جداً في مثل تلك الظروف ولم يعتده في جميع أوقاته كما يفعل مدمنو الخمر

فترى من هذا أن المصلحة بل الضرورة تبيح ما فعله رسول الله إن صح الحديث، وهو لاضرر فيه مطلقاً بل هو مما يدل على سماحة الاسلام وانه لا يحرم الا ما كان مضرا أو ما يخشى ضرره فشرائعه ليست عبثا ولا إعناتا ، والا فليخبرنا هذا العنيد =

أفبهذا يتشبث الكاتب و يقول بملء فمه ومهوى قلمه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرب الخمر ؟ !! وقد فات المتكلف المتشبث أن في أخبار الآحاد التي لاتقيم لها

= أيّ ضرر في ذلك الشراب والنبي لم يروَ أنه شربه أو شرب غيره بعد التحريم الا في هذه المرة حتى في أضعف الاحاديث وأسخفها التي يتمسك بها النصارى عادة في الرد علينا . فأين هذا من سكر أنبيائهم وإسكارهم لغيرهم كما بينا ومن شرب المسيح مرارا الخمر بمقتضى قوله لو ٧ : ٣٣ « لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان ٣٤ جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » وهو صريح في اعترافه بشرب الخمر بخلاف يحيي) حتى عيره معاصروه بذلك ، ولو كانوا كاذبين لأنكر عليهم قولهم هذا ولما كانت عبارته كما ترى ، وقد ذكرنا أيضا أنه حول الماء خمراً للسكارى في العرس « يو ٢ : ١٠ » وسقاهم أو أمرهم بشربها « عدد ٨ » وكذلك فرض على أتباعه شربها في العشاء الرباني ولو أنها كانت قليلة إلا أن شربها يتكرر كلما تكرر عمل هذا العشاء لذكراه ، وهو يعمل عندهم كثيراً فيجرهم إلى شربها الكثير وقد كان . وجاء في سفر التثنية ١٤ : ٢٦ قوله « وانفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك » وأمرت كتبهم اليهود بتقديمها للرب ، وأمتنت عليهم بانعام الله بها عليهم، وقدمتها انبياؤهم للناس مرات (راجع خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥ و٢٨ : ٧ وراجع أيضاً تث ١٤ : ٢٣ و ٣٣ : ٢٨ و ٢ صم ٦ : ١٩ إلخ إلخ ثم راجع « كتاب دين الله » صفحة ٩٨) فترى من هذا أن النصارى واليهود بمقتضى كتبهم يجب عليهم صناعة الخمر لاحتياجهم إليها في فرائض دينهم ولهم أن يشربوها قليلا أو كثيراً كما شاءوا . فمن يلوم الافرنج إذا على انغماسهم في شربها وكثرة صناعتهم لها وتجارتها حتى وقعوا ويقعون بسببها في كثير من الموبقات المهلكات فلهم العذر في ذلك فان دينهم هو الذي أداهم إلى ذلك كله !

نعم إن كتبهم قد ذمت الخمر والمسكر وشاربهما في بعض المواضع (راجع أمثال ٢٠ : ١ و٢٣ : ٢٠ و٣٠ وأش ٥ : ١١ و٢٢ ولو ٢١ : ٣٤ وأف ٥ : ١٨) ولكنها عادت فاباحتها كما بينا وهو من عجيب تناقضها واضطرابها بسبب تحريفهم لها في ذلك وغيره اتباعا لشهواتهم ، تعالى الله وحاشا لأنبيائهم أن يبيحوها لهم كما يفترون

الجامعة الاسلامية وزنا مايساعفه على مقصوده بعض المساعفة فقد روى في مسند احمد ان رجلا كان اذا قدم المدينة اهدى لرسول الله (ص) خمرا فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه الى رسول الله (ص) فقيل له ان الخمر قد حرمت ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر في مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قدس رسول الله لاتحوم حوله هذه الاوهام، وقد جاء عنه صلوات الله عليه في مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله (ص) أول ما نهاني عنه ربي شرب الخمر وعبادة الاوثان . وكذلك ان مشركي قريش، والعرب قد تمحلوا في تكذيب رسول الله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم انه صلوات الله عليه مجنون، ولو انه صلوات الله عليه كان يمكن ان يرمى بشرب الخمر والمسكر ليتيسر لهم ان يقولوا بلا مكابرة للوجدان ان ادعاءه (ص) للرسالة والوحي انما هو من سورة الخمر وعربدة السكر وخيالات الخمر . ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز. فياذ الرشد والفكر الحر الذي لم يستأسر للعصبية والتقليد، سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب الكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الالهامية في نحلته قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر وحضور مجالس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الاوهام . اه

(لها بقية)   الدكتور محمد توفيق صدقي

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

كثرت المطبوعات المراد تقريظها وحال ضيق الوقت عن النظر فيها نظر دقة وتزاحمت المواد فلم تدع محلا للاشارة اليها في كثير من أجزاء هذه السنة ونحن نشير الى طائفة منها في هذا العدد وموعدنا للاشارة الى باقيها الاعداد التالية

﴿ البيان السنوي للكلية العثمانية الاسلامية ﴾

(في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ غ لعامها الثامن عشر)

مازالت الكلية العثمانية الاسلامية في رقي ونجاح حتى نهضت بكثير من الشبان في بيروت الى افق الانسانية الراقية

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

انشئت هذه الكلية سنة ١٣١٣هـ فكانت مدرسة ابتدائية اجتمع لديها عشرات من التلاميذ وما زال يرتقي عدد التلاميذ بارتقاء المدرسة حتى بلغ في سنتها الماضية سنة ١٣٣٠ هـ — سنة ١٩١٢ ثمانمئة تلميذ وفيها من المعلمين من أبنائها وغير أبنائها زهاء أربعين معلماً . وقد كانت الى السنة العاشرة من سنيها نهارية وذاعت شهرتها في الآفاق فقصدها الطلاب من الانحاء الاسلامية القاصية فأنشأت قسما ليلياً منذ ثمان سنوات . وقد زاد المهدة عنايتهم بالمدرسة فادخلوا تسعة بنود اصلاحية في برنامجها

وبالاجمال فان الكلية سائرة على سنن التقدم والنجاح ومن أدلة ارتقائها ان شبان بيروت الذين يرجى منهم الخير للبلاد والامة هم من تلاميذها . وقد كان التعليم العالي في بيروت منتشراً وكانت ولا تزال الكليات الاجنبية مفتحة الابواب وقد كثر المتعلمون من غير المسلمين في تلك المدارس أهلية وأجنبية ولم تزدد الطوائف الا تباعداً وعداء. ولكن تلاميذ الكلية العثمانية ما كادوا يخالطون الناس في المدارس المالية والاعمال العمومية حتى انتشرت روح السلام والوفاق بين طوائف بيروت التي كان يظن الناس أجنبيهم ووطنيهم أنها ستكون فاتحة الشر والخراب في البلاد . من قرأ هذا البيان يزداد في شؤون المدرسة بياناً ، وفق الله هذه المدرسة وكثر من مثلها فى البلاد العربية . واننا نحث اخواننا أهل العراق على ارسال أبنائهم اليها لانها أرقى المدارس العربية الاسلامية في البلاد العثمانية

﴿ التقويم الجزائري ﴾

لسنته الثالثة — سنة ١٣٣١ هـ وسنة ١٩١٣ م — يصدر هذا التقويم في الجزائر الشيخ محمود كحول مدير تحرير جريدة كوكب افريقية والمستعرب بودى لوي ناظر صنافي الحروف العربية في مطبعة فونطانا الاخوين في الجزائر ، وثمنه فرنكان اثنان في الجزائر

صدر هذا التقويم سنة ١٣٢٩ الموافقة سنة ١٩١١ وفيه كثير من الفوائد الصحية والزراعية والجغرافية . ومناسك الحج والنبذ الادبية نظماً ونثراً مزيناً بصور مشاهير رجال القطر الجزائري ، وفيه أهم الحوادث التي وقعت في السنة الماضية ، وما زال في ارتقاء وزيادة في المادة حتى بلغت صفحاته ١٩٦ صفحة بقطع المنار بعد ان كانت في السنة الاولى ١٥٨

وقد رأيناه ينقل الفوائد عن المجلات المصرية فقد نقل في صفحة ٤٠ سنة ١٣٣٠ مقالة عنوانها « علم الفلك والقرآن » للدكتور محمد توفيق صدقي عن مجلة الطلبة المصريين (على أنها نشرت في المنار بزيادة تنقيح وفوائد) ومقالة في التفسير فى صفحة

٦٧ لسنة ١٣٣٠ عن مجلة المنار واخرى عنوانها « كلمات علمية عربية » في ص ١٢٩ عن المنار أيضاً . وقد حولها من الانكليزية الى الافرنسية السيد محمد بن أبي شنب أحد أساتذة المدرسة الثعالبية في الجزائر

﴿ الفصول المهمة في تأليف الامة ﴾

تأليف عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي طبع بمطبعة العرفان بصيدا ص ٢٣٦ بالقطم الصغير ثمنه ثمانية قروش ويباع في مكتبة المنار بمصر

اوردها سعد وسعد مشتمل　　ماهكذا تورد ياسعد الابل

اسم الكتاب يدل على موضوعه ولو وافق الاسم المسمى لكان الكتاب من احسن وانفع ما كتب في هذا العصر ولكن المؤلف نحا فيه منحى لايؤدي الى الغاية المقصودة بحسب الظاهر . وسلك مسلك الدعوة الى مذهبه والازراء بمذهب المخالف بأسلوب جديد في الدعوة ، فقد جاء بأهم المسائل الخلافية بين السنية والامامية وأيد ماشاء ووهن ماشاء مما جمل كلا من الفريقين تيمسك بما عنده من التقاليد ويدافع عن عصبيته

وكان الطريق الاسلم ان يدعو الى ما اتفق عليه الفريقان وهو جميع أصول الدين وما علم منه بالضرورة وان يدع ماوقع فيه الخلاف قديماً وحديثاً فان من دعا الى مذهب فقد دعا الى عصبية . وشأن المصلح الداعي الى التأليف ان يتحامى مثارات التفريق ولا يغني ذكر بعض من ضللهم بالتعظيم فتيلا لان خصومه يزنونه بأنه يتخذ حصن التقية موئلا

﴿ العراقيات ﴾

الجزء الاول منه وهو مختار من شعر عشرة من مشاهير شعراء العراق لجامعيه رضا وظاهر وزين طبع مطبعة العرفان ص ٢٠٠ ونيف بالقطم المتوسط على ورق جيد ثمنه ٩ قروش وربع قرش يباع بمكتبة المنار بمصر

افتتح هذا الديوان بكلمة لناشريه في « ماهية الشعر » فذكروا فيها بحث « منزلة الشعر عند العرب » وبحث « أدوار الشعر » الخ

والحق أنهم قد استخرجوا بهذا الديوان كنوزاً كانت مخبوءة عن الناس في مجاهل العراق فقد أثبتوا من شعر السيد محمد سعيد حبوبي والسيد ابراهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلي والشيخ جواد شبيب والشيخ ملا كاظم الازدي والشيخ عباس بن ملا

علي النجفي والسيد جعفر الحلي والشيخ عبد المحسن الكاظمي والاخرس البغدادي مايزري بقلائد العقيان وذكروا ترجمة كل واحد من هؤلاء القراء

﴿ الشيعة وفنون الاسلام ﴾

لمؤلفه السيد حسن الصدر من أكابر علماء العراق طبع بمطبعة العرفان بصيدا ص ١٥٠ بقطع المنار على ورق متوسط ثمنه ستة قروش ويباع في مكتبة المنار بمصر

اختصر المؤلف بهذا الكتاب كتابه « تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام » ويعني بالشيعة ما يعم كل من كان يوالي أمير المؤمنين علياً المرتضى عليه الرضوان والسلام ، ويخطئ من خرجوا عليه ولا سيما بني أمية مفرقي كلمة الاسلام، والسواد الاعظم من المسلمين كلهم شيعة بهذا المعنى العام ، لان النواصب والخوارج قليل عددهم في كل زمان . وقد ذكر من أسماء أفاضل الصحابة والتابعين رجالا معروفين بالسابقة والفضل عدهم من الشيعة ، وذكر فنونا جمة وأسماء أول من ألف فيها وربما كرر اسم المؤلف في عدة علوم

﴿ كتاب تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف ﴾

تأليف الشيخ عبد الباقي سرور نعيم من علماء الازهر. الطبعة الاولى بمطبعة الجمالية بمصر. ص ٦٨ بقطع المنار. ثمنه قرشان اثنان ويطلب من مكتبة المنار بمصر

وضع المؤلف كتابه هذا ردا على كتاب « هل من تحريف في الكتاب الشريف » الذي ألفه أحد دعاة النصرانية وانه والحق يقال قد ألجم ذلك الداعية بلجام الحجة والبرهان وأوضح فساد مايحتج به دعاة النصرانية من واهي الروايات وضعيفها وموضوعها. والكتاب كثير الفائدة بل هو أحسن كتاب رأيته في موضوعه وأحسن مافيه انه ينسب القول لقائله ويعزو الرأي لمقرره، فحيا الله المؤلف وبياه ولا زال يرسل من شواظه على اولئك المبطلين، ماردهم على أعقابهم خاسرين

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

لامام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني أعيد طبعه بمطبعة المنار للمرة الثانيه واضيف اليه حواشي الاستاذ الامام التي على نسخة الدرس وصحح فيه غلط الطبعة الاولى صفحاته ٤٢٨ وثمنه عشرون قرشاً واجرة البريد ثلاثة قروش ويطلب من مكتبة وادارة المنار بمصر

حركة الأمة الهندية الشرقية

﴿ والحكومة الهولندية ﴾

أردت بالأمة الهندية الشرقية سكان جزائر الهند الشرقية (جاوه . سومطرة بورنيو ، سليبس . وغيرها من الجزائر المجاورة لها)

سكان تلك الجزائر اجناس متعددة ، وشعوب مختلفة متفرقة ، أعظمها وأشهرها جاوية فملاوية ثم باتاكية ثم مكاسرية ثم بوقيسية ثم سنداوية . فكلها من أصل واحد وهو الملايو -

هذه الأمم متأخرة عن بقية الأمم مدنية وحضارة ولم تزل الى السنوات الاخيرة في انحطاطها ورقدتها

وقد كانت نهضة اليابان أيقظتها بعض اليقظة اذ قام رجالها وشبانها المستنيرون بالدعوة الى الاقتداء باليابان والأمم الغربية ، وبعبارة أخرى قاموا بالدعوة الى المدنية والحضارة ، والى اقامة المدارس، ونشر العلوم والمعارف في جميع البلاد الجاوية الملاوية . فكتب كتابهم في جرائدهم ومجلاتهم شيئاً كثيراً من هذا القبيل، وطلبوا من الحكومة زيادة المدارس . وكان القارئ لا يقرأ في الجرائد الملاوية والجاوية الا كلمات التقدم والتعليم والمدنية والحضارة الخ -

وبعد أن كثرت الاصوات والصيحات ولم يفتر كتابها عن الطلب والالحاح على الحكومة . اضطرت الحكومة الى قبول مطالبهم رغبة في تقدمهم وارتقائهم (اي بعد ظهور هذه الحركة خوف ان .... وما كانت راغبة في.........) وبذلك أصبح عدد المدارس الهندية الشرقية الهولندية زهاء ستة آلاف مدرسة مابين الابتدائي والثانوي والعالي ، وما بين مدارس الحكومة ومدارس الاهالي - أما الآن فلا أبالغ اذ قلت أن عددها ثمانية آلاف مدرسة .

قام الصينيون بعد قيام اليابان وقلبوا حكومتهم الاستبدادية الى الجمهورية الدستورية، وارسلوا شبانهم الى بلاد اليابان والبلاد الغربية ، لتلقي العلوم والفنون العصرية . فكان نهوضهم هذا سببا لقيام الامة الهندية الشرقية بالسعي والاجتهاد ، وبترك الخمول والرقاد، فظهرت حركاتها الوطنية الحية ونهضتها الحديثة في كل البلاد ، اكثر مما كانت عليها حين بدو النهضة اليابانية، وتأسست بعد الانقلاب الصيني عدة من الجمعيات والشركات

التي تقوم بالاعمال التي تعود منافعها ومصالحها على الامة والوطن -

اما انواع تلك الشركات والجمعيات فأشهرها ماترى :

(١) شركة الاسلام - هذه الشركة أسست منذ سنة وقد بلغ عدد أعضائها والمشتركين فيها الآن زهاء ٩٠٠٠٠٠

وغرضها الوحيد الوصول الى الدرجة الراقية واعلاء شأن الوطن والوطنيين معاً . وقد فتحت الشركة متاجر عديدة ، كما أنها أقامت مدارس كثيرة

ومن قانونها أن لايجوز لاعضائها والمشتركين فيها أن يشتروا شيئا ما من البضائع الاجنبية مادام ذلك الشيء موجوداً عند تجارها أوغيرهم من أصحاب التجارة الوطنية، وفوق ذلك تلح دائما على الوطنيين ان يفضلوا التجارة الوطنية على التجارة الاجنبية. وقد ظفرت بذلك بعض الظفر

(٢) حزب النابتة (الشبيبة) أو الحزب الوطني - هذا الحزب تأسس حديثاً وغرضه انقاذ الوطن والوطنيين من ظلمات الجهل الى نور العلم، ومن هاوية الانحطاط الى ميدان الحضارة والارتقاء

ومن وظيفته النظر في شؤونهم وأمورهم الاجتماعية والاقتصادية وفي المصالح العمومية - وبالجملة انه يقوم دائما بالواجب الوطني

(٣) جمعية المحبة - وغرضها الاتحاد والتضامن ، والاتفاق والتعاون ، وعلى الاخص مساعدة أبناء الفقراء واليتامى في تعليمهم وتهذيبهم

(٤) الشركات التجارية الوطنية - وهي الآن كثيرة الشيوع

وما عدا ذلك فانه توجد نهضتان عظيمتان ربما تعجبان من لم يعلم حركة تلك الامة من قبل-أولاهما أنه قد تأسست هناك مدرسة (الجامعة الجاوية) وغرضها ترقية العلوم والمعارف وهي تضاهي الجامعة المصرية في الغاية والمقاصد - ومركزها في بتاوى - وقد انتهت من اعداد المعدات اللازمة لها وللتدريس - وستبتدئ الدراسة فيها في أوائل سنة ١٩١٤

ولا يمكن أن يلتحق بهذه الجامعة لتلقي العلوم الا من تخرج في احدى المدارس العالية وكان يحمل الشهادة النهائية-ومؤسسو هذه الجامعة هم من أعضاء وكبار حزب النابتة

أما الثانية فهي حركة أعظم من الكل بل هي حادثة معجبة فان حصولها ما كان ينتظر في هذه الايام. وقد علم الكاتب علم اليقين أن مثل هذه الحادثة لا بد أن تحصل يد أن حصولها ليس في هذه الايام

وتفصيل ذلك أنه في شهر اغسطس الجاري أقامت الحكومة الهولاندية والشعب الهولاندي في البلاد الجاوية والملاوية احتفالا بعيد الاستقلال الهولندي والحرية الهولندية كما احتفلت الحكومة والامة الهولندية في بلادها

وقبل يوم الاحتفال بأيام اجتمع الشبان الجاويون في مجتمعهم للنظر في أمر هذا الاحتفال . وكان زعماؤهم أربعة هم الدكتور چيفتو ماغون كسوما المحرر بجريدة « دي اكسبرس الهولندية » وعبد المويس رئيس تحرير جريدة (هنديا شريكت) الملاوية ، وسواردي سوريا نيغرت ، وويجنادي سنستراء المحررين بجريدة (قوم مودا) الملاوية ، فهؤلاء كلهم من الوطنيين المسلمين المخلصين ومن عقلاء حزب النابتة

وكان من رأيهم بل رأي الاكثرين أن لايجوز للاهالي البتة أن يشتركوا مع الحكومة في الاحتفال ، ويفرحوا بذلك الاستقلال ، بدعوى أن الحكومة إذا احتفلت بعيد الاستقلال الهولندي ودعت الاهالي الى أن يشتركوا فيه ويفرحوا بسرورها فليس ذلك الا اهانة واحتقاراً للوطنيين أجمعين، ذلك لأن الاستقلال هو الاستقلال الهولندي لا استقلال الاهالي ، والاهالي لايزالون عبيداً لها ، فاذا اشترك الوطنيون في ذلك الاحتفال كان في الحقيقة احتفالين . احتفالا بالحرية الهولندية والاستقلال الهولندي، واحتفالا بعبودية الوطنيين والاهالي -ان ذلك لعيب كبير وعار عظيم

وبعد ان اتفقت آراء المؤتمرين كل الاتفاق كتب زعماؤهم الاربعة صور المنشورات فطبعوها ثم وزعوها بين الاهالي خواصهم وعوامهم- وكان من ضمن تلك المنشورات

(١) نهي الاهالي أن يشتركوا في الاحتفال البتة، وبين المنشور سبب ذلك بياناوافيا

(٢) الدعوة الى الاتحاد والاتفاق معهم في المطالب التي أرادوا تقديمها الى جلالة ملكة هولانده والى الحكومة الهولاندية ، وتلك المطالب مبينة في تلك المنشورات

(٣) الرجاء ممن يرغب في هذا المشروع أن يرسل اليهم بطاقة أو خطابا اعترافا برضائه واستحسانه ذلك المشروع ويجب عليه أن يوقع امضاءه عليه

أما مشروعهم فهو :

اتفقوا على أن يرسلوا ويقدموا الى ملكة هولاندة تهنئة بالتلغراف يهنئونها بعيد الاستقلال الهولندي بدلا عن الاشتراك مع الحكومة في الاحتفال، وفي الوقت نفسه يقدمون الى الحاكم العام للهند الشرقية الهولندية يهنئونه بذلك العيد من جهة ويقدمون له مذكرة مطالبهم من جهة أخرى

وأما مطالبهم فكثيرة . أهمها وأعظمها مايأتي :

الاول — إلغاء المادة الثالثة من قوانين الهند الشرقية الهولندية (أي امتياز الهولانديين خاصة والاوربيين عامة في الحكم والقضاء)

الثاني — اعطاء الوطنيين حقوقهم في مجلس شورى القوانين الهندية الشرقية الهولندية (Tweede kamer) الذي مركزه في عاصمة هولانده . أي أن يكون رجال ذلك المجلس من الوطنيين أكثر من الهولانديين ، أو يكون نصف الاعضاء منهم على الأقل ـ

الثالث — طلب المساواة والحرية التامة سواء كانت في الامور السياسية أو الدينية أو التجارية أو غير ذلك

هذا هو أهم مطالبهم وبعد نشر تلك المنشورات نشر سواردى رئيس تحرير جريدة قوم مودا (حزب النابتة) منشورات أخرى ذكر فيها بلهجة شديدة أن من الواجب أن يطلبوا برلماناً (مجلس نواب) ـ ولكن من الأسف أنه قبل أن يتموا أعمالهم ومشروعهم الجليل وبعد أن نشروا زهاء خمسة آلاف نسخة من تلك المنشورات أصدرت الحكومة أوامرها بالقبض على هؤلاء الاربعة ـ فألقي عليهم القبض وأدخلوا السجن

وكان الدكتور جيفتو المحرر بجريدة (دي اكسبرس) الهولندية قبض عليه البوليس في ادارة الجريدة كما ان عبد المويس المحرر بجريدة (هنديا شريكت) قبض عليه وهو في ادارة جرتدته أيضا ـ وأما سواردى المحرر بجريدة (قوم مودا) وويجنادي سسترا رئيس تحرير تلك الجريدة فقبض عليهما في بيتيهما ـ

والتحقيق جري بينهم وبين قاضي التحقيق . وربما أترجم الى العربية بعض التحقيقات اذا سنحت لي الفرصة ـ

فيرى القراء الكرام أن ما كتبه هؤلاء الاربعة لم يخرج ولم يتجاوز حقوقهم ولا حقوق الحكومة ، بل ذلك من مصالح الامة والوطنيين ـ

أما امتناعهم عن الاشتراك في الاحتفال فما كان الا دفاعاً عن كرامتهم وكرامة الاهالي ، وأما دعوتهم الى الاتفاق والاتحاد معهم في تلك المطالب فذلك من حقهم وواجباتهم فليس للحكومة حق في القبض عليهم وإلقائهم في السجن بوجه من الوجوه

وبمناسبة هذه المقالة أدعو اخواني الجاويين والملاويين الى تأييد تلك المطالب وضم أصواتنا الى أصواتهم ـ فكلنا نريد الحرية ولا نريد العبودية

كفانا أيها الاخوان الكرام نومنا السابق ، وذلنا الفائت ، فلا يجوز لنا ان نديم رقدتنا وذلنا فاتنا الآن في عصر الحضارة والتقدم لا في عصر الانحطاط والذل

يجب علينا جميعاً أيها الاخوان الكرام أن نلح على حكومتنا بأن تعترف بحقوقنا، وأن تقبل مطالبنا من غير تردد ولا عمه

يجب علينا ان نعلم ان بلادنا ليست (ملكا لهولندة) فان دخولها فيها كان بمعاهدات تجارية ثم بمعاهدات ودية عقدتها مع أمرائنا ، أما معاهدتا سنة ١٨١٤ وسنة ١٨٢٤ اللتان ضمتاها الى أملاكها فليستا باعترافنا

ولسلامة الحكومة الهولندية وسلامة الوطن والوطنيين وابقائها محبوبة من الاهالي يجب عليها ان تقبل مطالبنا وتراعي مصالحنا وفوق ذلك يجب عليها أن تعترف بأننا أصدقاء واخوان لها لا عبيد لها

فاذا اعترفت الحكومة بذلك فلا ريب انها تبقى في تلك الاصقاع آمنة مطمئنة فان الاهالي حينئذ يحبونها ويساعدونها لا يريدون الفراق والانفصال عنها أبداً

وبمناسبة هذه الحركة الجيدة أقول لكم أيها الاخوان الكرام كلمة في أمر التعلم وهي انه قد اعتاد آباؤنا الكرام وأخواننا الاعزاء أن يقتصروا على ارسال ابنائهم وشبانهم الى مكة المشرفة ومصر المحروسة والى البلاد الهولندية وحدهن ، وأرى أن ذلك من الخطأ العظيم ، والتقصير المبين — ولست في حاجة الى الحجج والبراهين لاثبات قولي وتأييده أكثر مما نرى ونشاهد، وهو تقدم اليابان والصينيين، أليست سرعة تقدمهم ورقيهم بفضل ارسال أبنائهم وشبانهم النجباء الى بلاد وعواصم أوربا وأمريكا ؟ ! فاذا علمنا ذلك فلماذا نقتصر على تلك البلاد فقط ؟ ؟

اذاً يجب علينا أن نبذل غاية جهدنا في احتذاء مثال هاتين الامتين لنكون في صف الامم الراقية في اقرب وقت — هدانا الله لصالح الاعمال ونجانا من هاوية الجهل والانحطاط والسلام أغسطس د . ى

(المنار) يظهر ان الكاتب لا يزال يغلو في سوء الظن بهولنده المستولية على وطنه، ولكن بلغنا من الثقات في تلك البلاد ان الحكومة الهولندية كانت مؤيدة لهذه الحركة الجديدة ان لم تكن هي المحرك الاول لها، ومن الثابت انها صارت تتساهل مع الاهالي في أمر التعليم الديني واللغة العربية وكانت تشدد في ذلك كل التشديد. وسبب ذلك ان وزارة الحزب الديني قد سقطت من عاصمة هولنده وخلفتها وزارة حزب الاحرار، فيجب على مسلمي تلك البلاد الحزم واغتنام الفرصة وان يشكروا لوزارة الاحرار تساهلها ولا ينفروها بالغلو لعل ذلك يكون مدعاة المزيد، وان يثنوا عليها بقدر ما كانوا يقدحون في الوزارة السابقة وزارة التعصب الديني الفاضح وسلب الحرية الدينية وغيرها لا ردها الله تعالى

﴿ الاصلاح اللامركزي في البلاد العربية . واتفاق الترك مع العرب ﴾

نشرنا في منار شعبان صورة الاتفاق الذي عقد بين جمعية الاتحاد والترقي وطلاب الاصلاح من العرب وأقره المؤتمر العربي بباريس وأكدت الجمعية العهود والمواثيق لتنفذنه الحكومة برمته . وقلنا انه لما وقع الخطأ من حزب اللامركزية بنشره نشرت الجمعية بلاغاً في أنديتها العربية يخالفه من عدة وجوه ، ثم ان طلعت بك عاقد ذلك الاتفاق بالنيابة عن الجمعية نشر بلاغاً رسميا بصفته ناظراً للداخلية بين فيه ماعزمت الحكومة عليه من الاصلاح ، وهو بين بين ، وفي ذلك قرار مجلس الوكلاء ، ثم نشرت إرادة السلطان السنية بتنفيذ ذلك ، ونشرنا في منار رمضان ترجمة بلاغ نظارة الداخلية ، وترجمة الارادة السنية ، وكان قطب الرحى في هذه الحركة الجديدة طلعت بك الرجل الفعال في الجمعية المدبرة للحكومة وفي الحكومة المنفذة لمقاصد الجمعية .

فرح المشتركون في هذه الحركة في الاستانة بهذه القرارات : وأقاموا في أثناء نشرها المآدب والاحتفالات ، فأكلوا وشربوا ، وأنشدوا وخطبوا ، عظموا أمرها واكبروا ، وهللوا لها وكبروا ، وارسلوا الكتب والبرقيات ، الى الأحزاب العربية والجمعيات ، في باريس ومصر وسورية والعراق ، يستنطقون ألسنتها ، وأقلامها وصحفها بالشكر والثناء ، على هذه النعم والآلاء ، التي جاد بها على العرب الاتحاديون الاسخياء ، ويطلبون ارسال الوفود منها الى العاصمة البزنطية ، لأداء الشكر للحكومة والجمعية ، والاشتراك في الاحتفالات والمآدب ، والمطاعم والمشارب ، كان يرسل هذه البرقيات والرسائل عبد الكريم افندي قاسم الخليل ، وعززه سليمان افندي البستاني ناظر الزراعة والتجارة . ولكن منعت الرزانة والبصيرة طلاب الاصلاح من اجابة الدعوة فما أجابها أحد ، وانما أرسل جماعة المؤتمر الذين ينتظرون في باريس وعد جمعية الاتحاد بتنفيذ الاتفاق المعهود وفدا منهم الى الاستانة ليختبروا حال الحكومة بالمشافهة مع وزرائها ويكتبوا اليهم بذلك ، لا لأجل الشكر على نعمة لاتزال في حيز الوعد المضطرب

كان اعضاء وفد باريس ثلاثة من مندوبي بيروت في المؤتمر وهم الشيخ احمد طباره واحمد مختار افندي بيهم وسليم افندي سلام ، استقبلهم على البحر في الاستانة سليمان افندي البستاني الوزير العربي وبعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي وجمهور طلبة العرب في مدارس الحكومة الذين يجمعهم المنتدى الادبي ، وقد ذهبوا بهم الى المنتدى الادبي حيث ألقيت الخطب المناسبة للمقام . وأعدت لهم جمعية الاتحاد ، أدبة حافلة ألقيت عليها الخطب أيضا ، ولقوا الصدر الاعظم وطلعت بك ناظر الداخلية فوعداهم بتنفيذ

الاصلاح المطلوب كله، وأكد الاخير لهم الوعد مراراً، وزاروا ولي العهد أيضا فأكرم وفادتهم . ثم قابلوا مولانا السلطان فرحب بهم وهش لهم وأظهر لهم ارتياحه الى اسعاد البلاد والامة. وبين سليم افندي سلام في حضرته السامية اخلاص العرب لسلطانهم وتعلقهم بالخلافة وغيرتهم على الدولة، ودعا الشيخ أحمد طباره دعاء مناسبا، وقد كان كلام كل منهم في كل اجتماع ومع كل وزير ومكاتب جريدة موزونا بميزان الروية والاعتدال، ليس فيه شيء يشف عن الغرور ولا الاغترار، ولا ينبئ بشيء من التملق ولا الدهان

في أثناء هذه الحوادث والوقائع كان زعماء المقاومين للاصلاح في سورية يتميزون غيظاً لانهم رأوا أنهم سودوا وجوههم عند أمتهم ارضاء للحكومة والجمعية فكانت العاقبة أن ازدرتهم، وأجابت دعوة طلاب الاصلاح وكرمتهم، فطفقوا يكتبون الى مركز الجمعية العام في الآستانة يعظمون شأن أنفسهم، ويهونون خطر طلاب الاصلاح وينالون منهم، ويزعمون أن زعامة الامة العربية في أيديهم لا في أيدي المصلحين، وان الحكومة اذا نفذت ما اتفقت عليه مع المصلحين يزول نفوذ الاتحاديين من بلاد العرب بتركهم اياها، فرأت الجمعية أن تأذن لهم بالمجيء الى الاستانة، قيل لترضيهم بشيء من التكريم الذي كرمت هي والحكومة به من حضر الاستانة من المصلحين، وقيل لتصالح بين الفريقين فتكتفي أمر الجميع، وقيل لاحكام الشقاق بين الفريقين لتجعل لنفسها عذراً في الغاء بعض مواد الاصلاح وارجاء بعض آخر، وقالت بعض جرائد هؤلاء المعارضين للاصلاح انها تريد أن تعقد مؤتمراً منهم ومن أمثالهم ومن بعض أفراد الاحزاب والجمعيات الاصلاحية من العرب المخلصين ومن مثل عدد الجميع من الترك .

وجملة القول ان جمعية الاتحاد والترقي قد ساوت بين وفدها الذي استقدمته ووفد الاصلاح في التكريم الذي هو عبارة عن المادبة ولقاء مولانا السلطان ولقاء ولي العهد والصدر الاعظم. وامتاز وفد الاصلاح بتكريم جميع ابناء العرب الذين في الاستانة له واحتفائهم به وبأنه قد وعد الوعود المؤكدة بسرعة تنفيذ الاصلاح المطلوب ما أعلنته الحكومة منه وما لم تعلنه، وبأنه لم يتملق ولم يدهن ولم يقبل ان يجتمع بمعارضي الاصلاح، وقد سافر الى بيروت. وبذلت الآستانة الجهد قبل ذلك وبعده في استقدام السيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر من باريس الى الاستانة وحده او مع من بقي معه من أعضاء المؤتمر فخاب السعي كما خاب في طلب رفيق بك رئيس حزب اللامركزية الى الآستانة، وذلك لأن حزب اللامركزية لم ير موجبا لذهاب الرئيسين ولا الوفدين الى الآستانة والحكومة لم تصرح بقبول الاتفاق الذي صدق عليه المؤتمر العربي

فمن هذه الخلاصة ومما نشرناه من قبل يعلم القاريء أن كل ماحصل من الاصلاح والاتفاق هو (١) ان الحكومة اعلنت بعض مطالب المصلحين وسكتت عن اهمها وهو توسيع سلطة المجالس العمومية على اساس الادارة اللامركزية وجعل جميع مسائل النافعة المحلية من خصائصها التأمن الامة من بيع رقبة بلادها ومنافعها الى الاجانب بدون رأيها ولامراعاة مصلحتها (٢) أن افراد جمعية الشبان العربية أدبوا مأدبة لزعماء جمعية الاتحاد والترقي. والجمعية أدبت لهم مأدبة مثلها ، واخرى لوفد المؤتمر العربي من جمعية بيروت الاصلاحية ، وثالثة الاناني من هذه المآدب الاتحادية لوفد المعارضين للاصلاح (٣) الوعود بالاصلاح (٤) الشروع بتنفيذ التعليم باللغة العربية في المكاتب الابتدائية وبعض المدارس السلطانية. أما هذه الاحتفالات والمآدب فلم يحضرها الا جماعة الاتحاديين وبعض الموظفين أو طلاب الوظائف من العرب في الاستانة وقليل من شباننا ورجالنا الذين هم على مشربنا في الاصلاح ، ولكن لم يقل فيها احد ممن يعده المصلحون منهم كلمة تشعر بالرضا مما حصل الا عبد الكريم افندي قاسم الخليل ، وقد آخذنه على ماقال وفعل جميع الهيئات الاصلاحية في جميع الجهات ، وانما كان معظم التهليل والتهويل فيها لاشياع الاتحاديين الذين كثر بهم سواد هذه المآدب والمحافل كالشيخ عبد العزيز شاويش ومعروف افندي الرصافي ، وكانت نتيجة ذلك كله ان الجمعيات الاصلاحية في مصر واوربة وسورية والعراق والجزيرة لم تثق بحصول مطالبها فعمدت الى لم شعثها وتوحيد سعيها وانتظار وعد الحكومة الاخير لوفد المؤتمر من اخوانها البيروتيين ، ولعل هذا الانتظار لا يعدو هذا الشهر ، فان شرعت الحكومة في تنفيذ المطالب الاساسية من الاصلاح فقل ان الدولة قد هدأت أحوالها الداخلية ، وصارت الى طور جديد من الحياة المدنية ، وان لم تفعل فاجزم بان المسألة العربية قد دخلت في طور عملي عام سيعقبه انقلاب لايعلم كيف يكون الا الله ،

اما المطالب الاساسية فأهمها اربعة امور (١) ان تكون جميع المسائل الادارية الداخلية من خصائص المجالس العمومية فلا يعطى في البلاد العربية امتياز بطريق حديدي ، أواستخراج معدن ، أوعمل زراعي أوغير ذلك ، ولا يباع شيء من أرض البلاد العربية للشركات المالية - لايكون شيء من ذلك وأمثاله الا بقرار من المجالس العمومية (٢) مشاركة العرب للترك في السلطة العليا بالعاصمة مشاركة تضمن بها مصالحهم (٣) ان يكون رؤساء مصالح الحكومة في الولايات العربية ممن يعرفون لغتها معرفة صحيحة ، وان يكون من عداهم من الموظفين من أهل الولايات أنفسها (٤) ان تكون اللغة العربية هي لغة الحكومة في جميع دوائر الولايات العربية ، ومقبولة في العاصمة أيضا

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الخريف الثاني ١٢٩١ هـ ش ٣٠ اكتوبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

(على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(١١:٩)[1] يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ، وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٠*١٢) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١١*١٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٢*١٤) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

(١) الجمهور على أن آخر الآية الاولى من هذه السورة « العقود » لا « يريد » كما في بعض مصاحف الاستانة الذي اعتمدنا عليه عند البدء بالسورة كما سبق لنا من قبل . ثم بعد المراجعة علمنا ان عدد ذلك المصحف فيه غلط فاعتمدنا عدد المصحف الذي على هامشه تفسير البيضاوي فهو الصحيح وعليه تكون هذه الآية هي التاسعة . واما في عدد (فلوجل) الذي يعتمده المستشرقون فهي الحادية عشر لانه جعل كلا من آية محرمات الطعام وآية الوضوء آيتين

آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

نادى الله المؤمنين في الآية الاولى من هذه السورة وأمرهم بالوفاء بالعقود عامة، ثم امتنّ عليهم بإباحة بهيمة الانعام لهم الا ما استثنى وما حرم من الصيد في حال الإحرام. وناداهم في الآية الثانية بل الثالثة فنهاهم عن أشياء وأمرهم باشياء، وحرم عليهم ما يضرهم من الطعام، الا في حال الضرورة التي يرجح فيها أخف الضررين على أشدهما، وأحل لهم الطيبات، وصيد الجوارح المعلمات، وطعام أهل الكتاب ونساءهم اذا كن محصنات، وذلك في أربع آيات، وناداهم ثالثا فأمرهم بالطهارة، وامتن عليهم برفع الحرج، وذكرهم بنعمه عليهم، وميثاقه الذي واثقهم به، ثم ناداهم بعد ذلك في الآية الاولى والآية الاخيرة من هذه الآيات بما ترى. واذا راجعت سائر السورة تجد النداء فيها كثيرا منه نداء بني اسرائيل في سياق الكلام عنهم، ونداء النبي (ص) مرارًا، ونداء المؤمنين مرارًا أيضا. هذا أسلوب في الخطاب يجوز ان يكون كل نداء منه مبدأ موضوع مستقل لا يناسب ما قبله، على ان المناسبة بين هذه الآيات ظاهرة، فانه تعالى بعد ان ذكرنا بميثاقه امرنا بأن نكون قوامين له شهداء بالقسط وذكرنا بوعده ووعيده لاننا بذلك يرجى ان نفي بميثاقه ولا ننقضه كما نقضه الذين من قبلنا كما حكى عنهم بعد هذه الآيات. ويظهر لك هذا الاتصال والتناسب مما يلي

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ﴾ القوّام هو المبالغ في القيام بالشيء وهو الاتيان به مقوّما تاما لانقص فيه ولا عوج. وقد حذف هنا ما أمرنا بالمبالغة في القيام به فكان عاما شاملا لجميع ما أخذ علينا الميثاق به من التكاليف حتى المباحات، أي كونوا من أصحاب الهمم العالية وأهل الاتقان والاخلاص لله تعالى في كل عمل تعملونه من أمر دينكم أو أمر دنياكم. ومعنى الاخلاص لله في أعمال الدنيا ان تكون بنية صالحة بأن يريد العامل بعمله الخير

والتزام الحق من غير شائبة اعتداء على حق أحد أو إيقاع ضرر به . والشهادة بالقسط معروفة وهي ان تكون بالعدل بدون محاباة مشهود له ولا مشهود عليه ، لاقرابته وولائه ، ولا لماله وجاهه ، ولا لفقره ومسكنته . فالشهادة إظهار الحق للحاكم ليحكم به ، أو إظهاره هو اياه بالحكم به ، أو الاقرار به لصاحبه . والقسط هو ميزان الحقوق متى وقعت فيه المحاباة والجور لاي سبب أو علة من العلل زالت الثقة من الناس ، وانتشرت المفاسد وضروب العدوان بينهم ، وتقطعت روابطهم الاجتماعية ، وصار بأسهم بينهم شديدا ، فلا يلبثون أن يسلط الله تعالى عليهم بعض عباده الذين هم أقرب الى اقامة العدل والشهادة بالقسط منهم فيزيلون استقلالهم ، ويذيقونهم وبالهم ، وتلك سنة الله التي شهدناها في الامم الحاضرة ، وشهد بها تاريخ الامم الغابرة ، ولكن الجاهلين الغافلين لا يسمعون ولا يبصرون ، فانى يعتبرون ويتعظون ؟

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ﴾ أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم وعداوتكم لهم ، على عدم العدل في أمرهم ، بالشهادة لهم بحقهم اذا كانوا أصحاب الحق ، ومثله الحكم له به ، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وإيثاره على الجور والمحاباة ، وجعله فوق الاهواء وحظوظ الانفس ، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما. فلا يتوهمن متوهم انه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر ، أو الحكم له بحقه على المؤمن

ولم يكتف بالتحذير من عدم العدل مهما كان سببه والنية فيه ، بل أكد أمره بقوله ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ أي قد فرضت عليكم العدل فرضا لاهوادة فيه فاعدلوا - هو أي العدل المفهوم من اعدلوا أقرب لتقوى الله أي لاتقاء عقابه وسخطه باتقاء معصيته وهي الجور الذي هو من أكبر المعاصي لما يتولد منه من المفاسد ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ الخبرة العلم الدقيق الذي يؤيده الاختبار ، أي لا يخفى عليه تعالى شيء من أعمالكم ظاهرها و باطنها، ولا من نياتكم وحيلكم فيها ، وهو الحكم العدل القائم بالقسط ، فاحذروا ان يجزيكم بالعدل على ترككم العدل، فقد مضت سنته العادلة في خلقه بان جزاء ترك العدل وعدم إقامة القسط في الدنيا

هو ذل الامة وهوانها ، واعتداء غيرها من الامم على استقلالها ، ولجزاء الآخرة أذل وأخزى ، وأشد وأبقى . قال نبينا (ص) « اذا ظُلم أهل الذمة كانت الدولة دولة العدوّ » رواه الطبراني عن جابر

وقد تقدم في سورة النساء (٤ : ١٣٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) — فراجع تفسيرها في ص ٤٥٥ - ٤٥٨ من جزء التفسير الخامس - وما أطلنا به هناك يغنينا عن الاطالة هنا ، على ان ماهنا ابلغ وان كان اخصر ، لأن حذف متعلق قوامين يدخل فيه القسط وغيره ، وتأكيد الامر بالعدل مع الاعداء والشهادة لهم به يفيد وجوبه مع غيرهم بالاولى .

ولما كان الأمر بالتقوى مما حتم على الاطلاق بعد بيان ان العدل هو أقرب ما يتقى به عقاب الله في الدنيا والآخرة لانه قوام الصلاح للافراد والإصلاح في الاقوام - ولما علل هذا الامر المطلق بان الله خبير بدقائق الاعمال وخفاياها ، وكان هذا التعليل يشير الى جزاء العاملين المتقين وغير المتقين - قال عز وجل في بيان الجزاء العام :

﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي الاعمال الصالحات التي يصلح بها أمر العباد في أنفسهم وفي روابطهم ومرافقهم الاجتماعية ، ومن اسسها العدل العام التام ، والتقوى في جميع الاحوال ، وماذا وعدهم ؟ أو ماذا قال في وعده لهم - والوعد من جملة القول - ؟ قال تعالى مبينا هذا ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ وهذا التعبير أبلغ من تعلق الوعد بالموعود نفسه كقوله تعالى في آخر سورة الفتح (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان ماهنالك خبر واحد لاتأكيد فيه ولا زيادة عناية بتقريره . وما هنا خبر بعد خبر ، فيه زيادة تأكيد أو تقرير للوعد ، فقد وعد وعدا مجملا من شأنه أن تتوجه النفس للسؤال عن بيانه فهذا خبر مستقل ، ثم بين ذلك الاجمال بخبر آخر أثبت فيه ان لهم مغفرة وأجرا عظيما ، فكأنه قال انه وعدهم وعدا حسنا أو جزاء حسنا ، ثم بين أن وعده مفعول وان لهؤلاء الموعودين عنده كذا وكذا . هذا اذا جعلت الجملة استئنافا بيانيا

وهو التقدير المقدم المختار ، وكذلك اذا جعلت الجملة الثانية من باب مقول القول تتضمن زيادة التقرير للموعود به وانتأكيد لوقوعه . ومعنى المغفرة ان ايمانهم وعلمهم الصالح يستر أو يمحو من نفوسهم ما كان فيها من سوء تأثير الاعمال السابقة فيغلب فيها حب الحق والخير وتكون صالحة لجوار الله تعالى ، والاجر العظيم هو الجزاء على الايمان والعمل المضاعف بفضل الله ورحمته أضعافا كثيرة . ولما بين الوعد اقتضى أن يبين الوعيد كما هي سنة القرآن في مثل هذا المقام فقال :

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ المراد الكفر بالله ورسله ولا فرق فيه بين الكفر بجميع الرسل ، والكفر ببعض والايمان ببعض كما تقدم في سورة النساء (٤: ١٥٠) لان الكفر بأي رسول منهم لا يكون ممن يعقل معنى الرسالة الا عنادا واستكبارا عن طاعته تعالى كما بيناه في تفسير تلك الآية . وآيات الله قسمان آياته المنزلة على رسوله ، وآياته التي أقامها في الانفس والآفاق للدلالة على وحدانيته وكماله وتنزيهه ، وعلى صدق رسله فيما يبلغون عنه . فهؤلاء الكفار المكذبون هم أصحاب الجحيم أي دار العذاب ، والجحيم النار العظيمة كما يؤخذ من قوله حكاية عن قوم ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) ومعلوم من الآيات الاخرى انهم جعلوا في ذلك البنيان نارا عظيمة . وهذا الجزاء على الكفر والتكذيب بقطع النظر عن أعمال الكافرين المكذبين، ولا ينفع مع مثل هذا الكفر والتكذيب عمل، فان افساده للارواح وتدسيته للنفوس لا يمحوها عمل آخر من أعمال الخير * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ *

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾ روى غير واحد ان الآية نزلت في رجل همّ بقتل النبي (ص) ارسله قومه لذلك وكان بيده السيف وليس مع النبي (ص) سلاح وكان منفردا. وأقوى هذه الروايات ما صححه الحاكم من حديث جابر وهي ان الرجل من محارب واسمه غورث بن الحارث (قال) قام على رأس رسول (ص) وقال : من يمنعك؟ قال « الله» فوقع السيف من يده فأخذه النبي (ص) وقال « من يمنعك ؟ » قال : كن خير آخذ. قال « تشهد أن لا إله الا الله واني رسول الله» قال: أعاهدك ان لا أقاتلك

ولأ كون مع قوم يقاتلونك . فخلى سبيله . فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس. وفي غير هذه الرواية ان السيف الذي كان بيد الأعرابي كان سيف النبي (ص) علقه في شجرة وقت الراحة فأخذه الرجل وجعل يهزه ويهم بقتل النبي (ص) فيكبته الله تعالى . وروي آخرون انها نزلت في قصة النبي (ص) مع بني النضير اذ ذهب اليهم ومعه ابو بكر وعمر وعلي (رض) يطالبون منهم الاعانة على قتل الرجلين الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري منصرفه من بئر معونة وكان معهما أمان من النبي (ص) لم يعلم به وقومهما محاربون. وكان النبي (ص) عاهد بني النضير على ان لا يحاربوه وان يعينوه على الديات . فلما طلب منهم ذلك وهو بينهم اظهروا له القبول وقالوا اقعد حتى نجمع لك ، وفي رواية قالوا : نعم يا أبا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا . فلما جلس بجانب حصنهم وجدوا ان الفرصة سنحت للغدر به ، وقال لهم حيي بن اخطب : لا ترونه اقرب منه الآن اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شرا أبدا . فهموا ان يطرحوا عليه صخرة وفي رواية رحى عظيمة . وانما اعتلوا بصنع الطعام ليكون لهم فيه وقت ينقلون الصخرة أو الرحى الى سطح الدار . ولا شك في انهم كانوا يريدون قتل من معه أيضا . وقيل كان معهم عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ايضا . وقد أعلم جبريل النبي (ص) بذلك فانطلق وتركهم ، ونزلت الآية في ذلك . وليس المراد أنها نزلت يومئذ وانما المراد انها نزلت مذكرة بهذه القصة، فان السورة نزلت عام حجة الوداع وذلك بعد غزوة بني النضير التي كانت في أوائل السنة الرابعة، وقيل قبل ذلك. وعلى هذا يجوز ان تكون الآية مذكرة بهذه الحادثة وبحادثة المحاربي وامثالهما من وقائع الاعتداء التي كانت كثيرة حتى بعد قوة الاسلام بكثرة المسلمين ، دع ما كان يقع في أول الاسلام من إيذاء المشركين وعدوانهم، فهو سبحانه يذكر المؤمنين بذلك كله . والمنة له جل جلاله في ذلك ليست قاصرة على من وقعت لهم تلك الوقائع من النبي (ص) والمؤمنين ، بل هي منة عامة يجب ان يشكرها له عز وجل كل مؤمن الى يوم القيامة، لأن حفظه لاولئك السلف الصالحين هو عين حفظه لهذا الدين القويم، فالنبي (ص) قد بلغ الرسالة وأدى الامانة ، وأصحابه هم الذين تلقوها عنها بالقبول وأدوها

لمن بعدهم بالقول والعمل . ومن فوائد هذا التذكير المتأخرين ترغيبهم في التأسي بسلفهم في القيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والاحسان ، واحتمال الجهد والصبر على المشاق في هذه السبيل وهي سبيل الله ، وهذا هو المعنى العام للجهاد في سبيل الله

﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ عطف على ما قبله ، اي اذكروا نعمة الله تعالى عليكم بعنايته بكم اذ همَّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم اي شارفوا ان يمدوا أيديهم اليكم بالقتل فكف أيديهم عنكم فلم يستطيعوا تنفيذ ما هموا به وكادوا يفعلونه من الايقاع بكم ، واتقوا الله الذي أراكم قدرته على اعدائكم وقت ضعفكم وقوتهم ، وتوكلوا عليه وحده فقد أراكم عنايته بمن يكلون أمورهم اليه بعد مراعاة سننه والسير عليها في اتقاء كل مايخشى ضره وسوء عاقبته ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون بقدرته وعنايته وفضله ورحمته ، لا على أنفسهم أنفسها ، ولا على اوليائهم وحلفائهم ، لأن هؤلاء قد يغدرون كما غدر بنو النضير وغيرهم . ولأن أنفسهم قد يكثر عليها الاعداء ، وتتقطع بها الاسباب ، فتقع بين امواج الحيرة والاضطراب ، حتى تفقد البأس ، وتجيب داعي اليأس ، ولا يقع هذا للمؤمن المتوكل على الله تعالى ، لأنه اذا هم ان ييئس من نفسه بتقطع الاسباب ، وتغليق الابواب ، وتغلب الاعداء ، وتقلب الأولياء ، يتذكر أن الله تعالى وليه ووكيله وانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وانه هو الذي يجير ولا يجار عليه ، فتتجدد قوته ، وتنفتق حيلته ، فيفر منه اليأس ، و يتجدد عنده ما اخلولق من البأس ، فينصره الله تعالى بما يستفيد من الايمان والذكرى والتوكل ، وما يخذل به عدوه و يلقي في قلبه من الرعب ، و بغير ذلك من ضروب عنايته عز وجل التي رآها كل متوكل من المؤمنين الكملة مع سيد المتوكلين محمد (ص) أيام ضعفهم وقلتهم وفقرهم ، وتألب الناس كلهم عليهم . وجملة القول ان الله تعالى أمرنا بالتقوى ثم بالتوكل ، وانما التقوى بذل الجهد في الوقاية من كل سوء وكل شر ومن مبادئ ذلك وأسبابه . ولا تحصل حقيقة التوكل الا بالسير على سنة الله تعالى في نظام الاسباب والمسببات لأن من يوكل الأمر اليه يجب ان يطاع. ومن تنكب سنن الله تعالى في العالم

وخالف شرعه فيما أمر به من عمل نافع ، ونهى عنه من عمل ضار ، لا يصح ان يسمى متوكلا عليه واثقا به . وقد حققنا مسألة التوكل والاسباب في تفسير آل عمران (راجع ص ٢٠٥ — ٢١٤ من جزء التفسير الرابع)

(١٥:١٣) وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ، وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ، لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٦:١٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٧:١٥) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

ان وجه الاتصال والمناسبة بين هذه الآيات وما قبلها يعلم مما تقدم من اخذ الله الميثاق على هذه الامة ، وهذا من المقاصد التي لا تختلف باختلاف الأزمنة فكان عاما في جميع الأمم التي بعث الله فيها الرسل ، كما قلناه في تفسير تلك الآية . فلما ذكرنا الله تعالى بميثاقه الذي واثقنا به ، على السمع والطاعه لخاتم رسله ، ذكر لنا اخذه مثل هذا الميثاق على اقرب الأمم الينا وطنا وتاريخا وهم اليهود والنصارى ، وما كان من نقضهم ميثاقه ، ومن عقابه لهم على ذلك في الدنيا ، وما ينتظرون من عقاب الآخرة وهو اشد وأبقى - لنعتبر بحالهم ، ونتقي حذو مثالهم ، وليبين لنا علة كفرهم بنبينا

وتصديهم لإيذائه وعداوة أمته ، وإقامة الحجة عليهم فيما تراه بعد هذه الآيات . فهذا مبدأ سياق طويل في محاجة أهل الكتاب وبيان أنواع كفرهم وضلالهم . قال تعالى

﴿ ولقد اخذنا ميثق بني اسرائيل ﴾ يقسم عز وجل انه قد أخذ العهد الموثق على بني اسرائيل ليعملن بالتوراة التي شرعها لهم ، لافادة تأكيد هذا الامر وتحقيقه والاهتمام بما رتب عليه، لأن الرسول قد علمه بالوحي الالهي اذ كان أميا لم يطلع على توراتهم ولا على شيء من تاريخهم . ولا يزال هذا الميثاق في آخر الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى عليه الصلاة والسلام (راجع تفسير « ٤ :١٥٣ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » من هذا الجزء من التفسير)

﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾ النقيب في القوم من ينقب عن أحوالهم ويبحث عن شؤونهم، من نقب عن الشيء اذا بحث أو فحص عنه فحصا بليغا ، وأصله الخرق في الجدار ونحوه كالنقب في الخشب وماشابهه . ويقال نقب عليهم (من باب ضرب وعلم) نقابة ، أي صار نقيبا عليهم . عدي باللام لما فيه من معنى التولية والرياسة . ونقباء بني اسرائيل هم زعماء اسباطهم الاثنى عشر . والمراد ببعثهم ارسالهم لمقاتلة الجبارين الذين يجيء خبرهم في هذه السورة ، قاله مجاهد والكلبي والسدي . فان صح هذا أخذ به والا فالظاهر ان بعثهم منهم هو جعلهم رؤساء فيهم ﴿ وقال الله اني معكم ﴾ اي اني معكم بالمعونة والنصر ما دمتم محافظين على ميثاقي ، قال الله هذا لموسى عليه السلام وهو بلغه عنه وكان يذكرهم به انبياؤهم ويجدده رسلهم، ويتوعدونهم نحو ما توعدهم به موسى عند أخذه عليهم اذا هم نقضوه ﴿ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ﴾ اي واقسم الله لهم على لسان موسى بما مضمونه لئن أديتم الصلاة على وجهها واعطيتم مافرض عليكم في اموالكم من الصدقة التي تتزكى بها نفوسكم وتتطهر من رذيلة البخل ﴿ وآمنتم برسلي وعزرتموهم ﴾ اي برسلي الذين ارسلهم اليكم بعد موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد

(صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين) وهذه هي نكتة تأخير الايمان بالرسل وهو من اصول العقائد على الصلاة والزكاة وهما من فروع الاعمال ، فان الخطاب لقوم مؤمنين بالله ورسوله الذي بلغهم ذلك . والتعزير النصرة مع التعظيم كما قال الراغب ، وسمي مادون الحد من التأديب الشرعي تعزيرًا لانه نصرة من حيث انه قمع المعزر عما يضر ومنع له ان يقارفه . فالتعزير قسمان: ان ترد عن المرء ما يضره ، او ترده هو عما يضره ، والأول هو تعزير الناس للرسل ﴿ واقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ اي وبذلتم من المال والمعروف فوق ما أوجبه الله وفرضه عليكم بالنص فكنتم بذلك بمثابة من اقرض ماله لغني ملي وفيّ فهو لا يضيع عليه ولكنه يجده امامه عند شدة الحاجة اليه. واذا اردت ان تعرف ما في هذا التعبير ، من البلاغة والتأثير ، فارجع الى تفسير قوله تعالى (٢ : ٢٤٥ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) في ص ٤٥٦-٤٦٢ من جزء التفسير الثاني ﴿ لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ﴾ هذا جواب القسم ، أي لأزيلن بتلك الحسنات الخمس - الصلاة والزكاة والايمان بالرسل وتعزيرهم والاقراض الحسن - تأثير سيئاتكم الماضية من نفوسكم ، فلا يبقى فيها خبث يقتضي العقاب . وذلك بحسب ما مضت به سنة الله تعالى من اذهاب الحسنات للسيئات ، كما يغسل الماء القاذورات ، ﴿ ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ لا يدخلها الا من كان طاهر النفس من الشرك وما يتبعه من مفسدات الفطرة ، وقد تقدم بيان هذا وتفسير هذه العبارة مرارًا . ولما بين الله تعالى العمل الصالح والوعد بالجزاء الحسن عليه ، أعقبه ببيان حال من كان على ضده فقال ﴿ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أي ضل الصراط المستقيم والسبيل السويّ الذي يوصل سالكه الى إصلاح قلبه وتزكية نفسه ، ويجعله أهلا لجوار الله تعالى في تلك الجنات ، وانحرف عن وسطه فخرج عنه بسلوك احدى سبل الباطل المفسدة للفطرة والمدسية للنفس التي ينتهي سالكها الى دار الجحيم ، والخزي المقيم

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ أي فبسبب نقضهم ميثاقنا الذي أخذناه عليهم وواثقناهم به - ومنه الايمان بمن نرسله اليهم من الرسل ونصرهم وتعزيرهم - استحقوا لعنتنا والبعد من رحمتنا ، لأن نقض الميثاق

قد دنس نفوسهم وأفسد فطرتهم ، وقسى قلوبهم ، حتى قتلوا الانبياء بغير حق ، وافتروا على مريم وبهتوها ، وأهانوا ولدها الذي أرسله الله تعالى لهدايتهم واصلاح ما فسد من أمرهم وحاولوا قتله ، وافتخروا بذلك بمجرد الشبهة ، فمعنى لعنهم وجعل قلوبهم قاسية أن نقض الميثاق وما ترتب عليه من المعاصي والكفر كان بحسب سنة الله تعالى في تأثير الأعمال في النفوس مبعدا لهم عن كل ما يستحقون به رحمة الله وفضله ، ومقسيا لقلوبهم حتى لم تعد تؤثر فيها حجة ولا موعظة ، فهذا معنى اسناد اللعنة وتقسية القلوب اليه تعالى ، وليس معناه مايزعمه الجبرية من أنه شيء خلقه الله ابتداء وعاقبهم به ولم يكن مسببا عن أعمالهم الاختيارية التي هي علة لذلك ، ولا كما يفهمه بعض الجاهلين لسنن الله تعالى في الجزاء الإلهي ، اذ يظنون انه من قبيل الجزاء الوضعي المرتب على مخالفة الشرائع والقوانين في الدنيا . وقد بينا مرارا انه ليس كذلك وانما هو من قبيل الامراض والآلام المرتبة على مخالفة قوانين الطب ، وهذا أمر معقول في نفسه مطابق للواقع ولحكمة التكليف ، وجامع بين النصوص ، ولو خلق الله القسوة في قلوبهم ابتداء فلم تكن أثرا لأعمالهم الاختيارية السيئة لاستحال ان يذمهم بها و يعاقبهم عليها . قرأ حمزة والكسائي «قسيّة» بتشديد الياء على وزن فعيلة ، وهو أبلغ في الوصف من «قاسية» وهي قراءة الباقين . ولاجل موافقة القراءتين كتبت الكلمة في المصحف الامام بغير ألف . وقيل ان قسية بمعنى رديئة فاسدة من قولهم : درهم قسي ، على وزن شقي أي فاسد مغشوش . وقد رد الزمخشري هذا المعنى الى القسوة بمعنى الصلابة لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين فاذا غشا بادخال بعض المعادن فيهما كالنحاس أفادهما ذلك قسوة وصلابة

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ التحريف إمالة الشيء عن موضعه الى أي جانب من جوانب ذلك الموضع ، مأخوذ من الحرف وهو الطرف والجانب . والكلم جمع كلمة وتطلق على اللفظ المفرد وهو ما اقتصر عليه النحاة ، وعلى الجملة المركبة ذات المعنى التام المفيد ، كقولك كلمة التوحيد . وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الالفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان ، وبتحريف المعاني

بحمل الالفاظ على غير ما وضعت له . وقد اختار كثير من علمائنا الاعلام هذا المعنى في تفسير الآية وعللوه بأن التصرف في ألفاظ كتاب متواتر متعسر أو متعذر، وسبب هذا الاختيار والتعليل عدم وقوف أولئك العلماء على تاريخ أهل الكتاب وعدم اطلاعهم على كتبهم، وقياس تواترها على القرآن. والتحقيق الذي عليه العلماء الذين عرفوا تاريخ القوم واطلعوا على كتبهم التي يسمونها التوراة وغيرها (وكذا كتب النصارى) هو ان التحريف اللفظي والمعنوي كلاهما واقع في تلك الكتب ماله من دافع . وانها كتب غير متواترة . فالتوراة التي كتبها موسى عليه السلام وأخذ العهد والميثاق على بني اسرائيل بحفظها - كما هو مسطور في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع - قد فقدت قطعا باتفاق مؤرخي اليهود والنصارى ولم يكن عندهم نسخة سواها ولم يكن أحد يحفظها عن ظهر قلب كما حفظ المسلمون القرآن كله في عهد النبي (ص) وهذه الاسفار الخمسة التي ينسبونها الى موسى فيها خبر كتابته التوراة وأخذه العهد عليهم بحفظها وهذا ليس منها قطعا، وفيها خبر موته، وكونه لم يقم بعده أحد مثله الى ذلك الوقت أي الذي كتب فيه ما ذكر من سفر التثنية . وهذا نص قاطع في كون الكاتب كان بعد موسى بزمن يظهر أنه طويل، وكون ما ذكر ليس من التوراة في شيء، ومن المشهور عندهم انها فقدت عند سبي البابليين لهم . وفي هذه الاسفار مالا يحصى من الكلم البابلي الدال على انها كتبت بعد السبي ، فأين التواتر الذي يشترط فيه نقل الجم الغفير الذين يؤمن تواطؤهم على التبديل والتغيير في كل طبقة من الطبقات بحيث لا ينقطع الاسناد في طبقة مّا ؟ والمرجح عند محققي المؤرخين من الافرنج ان هذه التوراة الموجودة كتبت بعد موسى ببضع قرون، والمشهور ان أول من كتب الاسفار المقدسة بعد السبي عزرا الكاهن في زمن ملك ارتحششتا الذي أذن له بذلك إذ أذن لبني اسرائيل بالعودة الى بلادهم . وقد أوضحنا هذه المسألة في تفسير سورة آل عمران وسورة النساء ، وسنزيده بيانا

﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس انه قال « نسوا الكتاب » - وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد انه قال : نسوا كتاب الله إذ انزل عليهم، ومرادهما الحظ منه أي نسوا طائفة من أصل الكتاب، وروى

ابن مبارك وأحمد في الزهد عن ابن مسعود انه قال في تفسير الآية: اني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها. يعلل بذلك ما أفادته الآية من نسيانهم لبعض ما ذكرهم الله به من كتابه. وفسر النسيان بعض العلماء بترك العمل، كأن هؤلاء استبعدوا نسيان شيء من أصل كتاب القوم وإضاعته، لتوهمهم انه كان متواترًا. والحق انهم أضاعوا كتابهم وفقدوه عند ما أحرق البابليون هيكلهم وخربوا عاصمتهم، وسبوا من أبقى عليه السيف منهم، فلما عادت اليهم الحرية في الجملة جمعوا ما كانوا حفظوه من التوراة ووعوه بالعمل به، أو ذكروه في بعض مكتوباتهم لنحو الاستشهاد به، ونسوا الباقي. وقد حققنا هذا المعنى في تفسير الآية الثانية من آل عمران وكذا (٣: ٢٢ و ٤: ٤٤ و ٥٠ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب).
ولعمري ان هذه الجملة « فنسوا حظا مما ذكروا به » وتلك الجملة « أوتوا نصيبا من الكتاب » لمن أعظم معجزات القرآن التي أثبتها التاريخ لنا بعد بعثة النبي (ص) بعدة قرون، ولم يكن يخطر على بال أحد من العرب في زمن البعثة وهم أميون ان اليهود فقدوا كتابهم الذي هو أصل دينهم ثم كتبه لهم كاتب منهم نشأ في السبي والاسر بين الوثنيين بعد عدة قرون، فنقص منه وزاد فيه، ولم تعرف المصادر التي جمع منها ما كتبه معرفة صحيحة. بل كان هذا مما خفي عن علماء المسلمين عدة قرون بعد انتشار العلم فيهم.

أثبت الله تعالى في هذه الآية ان اليهود يحرفون كلم كتابهم عن مواضعه، وانهم نسوا حظا مما ذكروا به، وفي سورتي آل عمران والنساء (٣: ٢٢ و ٤: ٤٤ و ٥٠) انهم اوتوا نصيبا من الكتاب، وفي (٤: ٤٨) انهم يحرفون الكلم عن مواضعه. ومفهوم قوله « أوتوا نصيبا » انهم نسوا نصيبا آخر وهو ماصرح به هنا. وذهب بعض المفسرين الى أن المنسي هو البشارة بالنبي (ص) وبيان صفاته، وهو لا يصح لانهم لو نسوها كلها لما صح قوله في علمائهم انهم « يعرفونه كما يعرفون ابناءهم» وهو ما صرح به واقسم عليه من آمن منهم. وحمله بعضهم على ترك العمل به، وهو مجاز من إطلاق اللفظ وارادة لازمه، والاصل في الكلام الحقيقة وانما يصار الى المجاز عند امتناع ارادتها، ولا امتناع هنا. ومن دلائل ارادة الحقيقة آية « اوتوا نصيبا

من الكتاب » فمعنى ماهنالك وما هنا ان اهل الكتاب الذين كانوا في عهد النبي (ص) - ومثلهم من قبلهم فصاعداً الى زمن السبي وخراب بيت المقدس الذي فقدت فيه التوراة ومن بعدهم الى اليوم والى ماشاء الله - اوتوا نصيبا من الكتاب ونسوا نصيبا منه بسبب فقد الكتاب وعدم حفظهم له كله في الصدور . ثم ان الذي اوتوه منه وبقي لهم، ماكانوا يعملون به كما يجب ولا يقيمون ما يعملون به منه كما ينبغي، بل كانوا يحرفونه عن مواضعه باللي والتأويل، على انه وصل اليهم محرفا لفظه لأنه نقل من قراطيس وصحف متفرقة لا ثقة بأهلها ولا بضبط ما فيها . وسنذكر تتمة هذا البحث في الكلام على نسيان النصارى حظا مما ذكروا به

﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ الخائنة هنا الخيانة كما روي عن قتادة . والعرب تعبر بصيغة الفاعل عن المصدر احيانا كما تعكس ، فاستعملت القائلة بمعنى القيلولة، والخاطئة بمعنى الخطيئة . أو هي وصف لمحذوف اما مذكر والهاء للمبالغة كما قالوا راوية لكثير الرواية ، وداعية لمن تجرد للدعوة الى الشيء . وإما مؤنث بتقدير نفس أو فعلة أو فرقة خائنة ، والمعنى انك أيها الرسول لاتزال تطلع من هؤلاء اليهود المجاورين لك على خيانة بعد خيانة ماداموا مجاورين او معاملين لك في الحجاز ، فلا تحسبن انك قد أمنت مكرهم وكيدهم بتأمينك اياهم على انفسهم، فانهم قوم لا وفاء لهم ولا أمان ، وقد نقضوا عهد الله وميثاقه من قبل، فكيف يرجى منهم الوفاء لك بعد ذلك النقض وما ترتب عليه من قساوة قلوبهم وقتلهم لأنبيائهم ﴿ الا قليلا منهم ﴾ كعبد الله بن سلام واخوانه الذين اسلموا فهؤلاء صادقون في اسلامهم لايقصدون خيانة ولا خداعا ﴿ فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ﴾ فاعف عما سلف من هؤلاء القليل واصفح عن مسيئهم وعاملهم بالاحسان الذي يحبه الله تعالى ، وأنت أيها الرسول أحق الناس بتحري مايحبه الله ، وهذا رأي أبي مسلم . أو فاعف عما سلف من جميعهم واضرب عنه صفحا ، إيثارا للاحسان والفضل ، على مايقتضيه العدل، قيل كان هذا أمرا مطلقا ثم نسخ بآية التوبة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) - الآية - وروي هذا عن قتادة . ويرده قتال النبي (ص) لليهود قبل نزول التوبة ، وكون آية التوبة نزلت بقبول الجزية وهو يتفق مع العفو والصفح ، فانهم

بخياناتهم صاروا حربيين واستحقوا ان يقتلوا ، وقبول الجزية منهم بعد عفوا وصفحا عن قتالهم ، واحسانا اليهم . وثم وجه آخر وهو ان الامر بالعفو والصفح انما هو عن الخيانات الشخصية لا عن نقض العهد الذي يصيرون به محاربين لا يؤمن جوارهم . وهذا اظهر من جعل الامر بالعفو مقيدا بشرط محذوف تقديره ان تابوا وآمنوا وعاهدوا أو التزموا الجزية ، هذا ملخص ما يقال في رأي الجمهور .

ولولا أن نزول هذه السورة متأخر عما كان بين النبي (ص) واليهود من القتال وعن نزول التوبة لقلت يحتمل ان يكون المراد هنا يهود بني النضير خاصة بقرينة ما جاء قبل هذا السياق من خبر محاولتهم قتل النبي (ص) غدرا منهم وخيانة ، ويكون المراد بالعفو والصفح عنهم ترك قتالهم والرضاء منهم بما دون القتل بعد القدرة عليه وهذا هو الذي وقع

ثبت في السيرة النبوية ان النبي (ص) رغب عند ما آوى الى المدينة في مصالحة اليهود وموادعتهم ، فعقد العهد معهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا من يحاربه ، ولا يوالوا عليه عدوا له ، وان يكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم وحريتهم في دينهم . وكان حول المدينة منهم ثلاث طوائف : بنو قينقاع و بنو النضير و بنو قريظة . فكان بنو قينقاع أول من غدر وتصدى لحرب النبي (ص) جهرا ، لأنهم كانوا أشدهم بأسا ، فلما ظفر بهم وسأله عبد الله بن أبي رئيس المنافقين فيهم وهبهم له ، وكانوا حلفاء للخزرج ، وكان هو يتولاهم وينصرهم وينصر غيرهم من اعداء النبي (ص) ما استطاع . وهذا ضرب من العفو والصفح .

وأما بنو النضير فنقضوا العهد أيضا وهموا بقتل النبي (ص) وحل له قتالهم ، ولكنه اختار السلم وأن يكتفي أمرهم بطردهم من جواره ، فبعث اليهم « أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها وقد أجلتكم عشرا ، فمن وجدت بها بعد ذلك ضربت عنقه » وأقاموا يتجهزون أياما . ثم ثناهم عن عزمهم عبد الله بن أبي اذ أرسل اليهم أن لا تخرجوا فان معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان . وكان رئيسهم حيي بن أخطب شديد العداوة للنبي (ص) وهو الذي كان أطمعهم بقتله وحملهم على الغدر به ، فغره قول رئيس

المنافقين، فبعث الى النبي (ص) انا لانخرج فافعل ما بدالك. وهذا اعلان للحرب. فخرج النبي (ص) والمسلمون اليهم يحمل لواءه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فلما انتهوا اليهم أقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، وخانهم ابن أبي ولم تنصرهم قريظة وغطفان، فلما اشتد عليهم الحصار رضوا بالخروج سالمين. وكان النبي (ص) قدرا على استئصالهم ولكنه اختار العفو والاحسان واكتفاء شرهم بابعادهم عن المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم وما حملت الابل الا السلاح. وأجلاهم الى خيبر. ولا شك ان هذا ضرب من ضروب العفو والاحسان عظيم. والظاهر أن الآية نزلت بعد ذلك كله لأنها من آخر ما نزل، ولم يعاقب اليهود بعدها على خيانة ولا غدر، ولكنه أوصى بإجلائهم عن جزيرة العرب بعده.

ولما بين الله تعالى العبرة بنقض اليهود لميثاقهم ومن كان من أمرهم، أعقبه ببيان حال النصارى في ذلك فقال ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ أي وكذلك أخذنا ميثاق الذين سموا أنفسهم نصارى من اهل الكتاب الاول، وهم الذين قالوا انهم اتبعوا المسيح ونصروه، وقد صاروا طائفة مستقلة مؤلفة من الاسرائيليين وغيرهم. فنقضوا ميثاقهم ونسوا حظا ونصيبا مما ذكروا به على لسان المسيح عيسى بن مريم كما فعل الذين من قبلهم ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ﴾ الفاء للسببية أي فكان نسيان حظ عظيم من كتابهم سببا لوقوعهم في الاهواء والفرق في الدين الموجب بمقتضى سنتنا في البشر للعداوة والبغضاء. والاغراء التحريش واسناده الى الله تعالى مع كونه من أعمالهم الاختيارية سببا ومسببا لانه من مقتضى سننه في خلقه. فهذا جزؤهم في الدنيا ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ عند ما يحاسبهم في الآخرة، ينبئهم بحقيقة ضلالهم ويجازيهم عليها بعد ذلك ليعلموا انه حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة.

بين الله لنا ان النصارى نسوا حظا مما ذكروا به كاليهود. وسبب ذلك أن المسيح عليه السلام لم يكتب ما ذكرهم به من المواعظ وتوحيد الله وتمجيده والارشاد لعبادته، وكان من اتبعوه من العوام، وأمثلهم حواريه وهم من الصيادين. وقد اشتد

اليهود في عداوتهم ومطاردتهم ، فلم تكن لهم هيأة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ماحفظوه من انجيل المسيح وتحفظه . ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة ان كثيرا من الناس كانوا يبثون بين الناس في عصرهم تعاليم باطلة عن المسيح ، ومنهم من كتب في ذلك ، حتى ان الذين كتبوا كتبا سموها الاناجيل كثيرون جدا كما صرحوا به في كتبهم المقدسة وتواريخ الكنيسة . وما ظهرت هذه الاناجيل الاربعة المعتمدة عندهم الآن الا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح عند ماصار للنصارى دولة بدخول الملك قسطنطين في النصرانية ، وإدخاله إياها في طور جديد من الوثنية ، وهذه الاناجيل عبارة عن تاريخ ناقص للمسيح ، وهي متعارضة متناقضة مجهولة الاصل والتاريخ ، بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغات التي ألفوها بها . وقد بينا في تفسير أول سورة آل عمران حقيقة انجيل المسيح وكون هذه الكتب لم تحو إلا قليلا منه كما تحتوي السيرة النبوية عندنا على القليل من القرآن والحديث . وهذا القليل من الانجيل قد دخله التناقض والتحريف

وقد أورد الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (اظهار الحق) المشهور مئة شاهد من الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى على التحريف اللفظي والمعنوي فيها ، نقلت بعضها على سبيل النموذج في تفسير آية النساء (٤ : ٤٨) ومنها ما عجز مفسرو التوراة عن تمحل الجواب عنه وجزموا بأنه ليس مما كتبه موسى عليه السلام . فراجعه في (ص ١٤٠ من جزء التفسير الخامس) • والظاهر ان التنكير في قوله « نصيبا وحظا » للتعظيم أي ان ما نسوه وأضاعوه منه كثير ، وما أوتوه وحفظوه كثير أيضا ، فلو كانوا يعملون به ما فسدت حالهم ، ولا عظم خزيهم ونكالهم . وهذا هو المعقول في حال عدم حفظ الاصل بنصه في الصدور والسطور ، ونحن نجزم بأننا نسينا وأضعنا حظا من حديث نبينا (ص) لعدم كتابة علماء الصحابة كل ما سمعوه ، ولكن ليس منه ماهو بيان للقرآن أو من أمور الدين ، فان جميع امور الدين مودعة في القرآن ومبينة في السنة العملية ، وهي قد حفظت كلها بالعمل و بالتدوين . وما دون من الحديث مزيد هداية و بيان • هذا وان العرب كانت امة حفظ ودونوا الحديث في العصر الاول ، وعنوا بحفظه

وضبط متونه وأسانيده عناية شاركهم فيها كل من دخل في الاسلام ، ولم يتفق مثل ذلك غير المسلمين من المتقدمين والمتأخرين

٥

لسنا في حاجة الى تفصيل القول في ضياع حظ عظيم من كتب اليهود ، وفي وقوع التحريف اللفظي والمعنوي فيما عندهم منها ، وفي ايراد الشواهد من هذه الكتب ومن التاريخ الديني عند أهل الكتاب على ذلك ، لانه ليس بيننا وبين اليهود مناظرات دينية تقتضي ذلك . ولولا أن النصارى أقاموا بناء دينهم وكتبهم التي يسمونها (العهد الجديد) على أساس كتب اليهود التي يسمونها (العهدالعتيق) لم زدنا في الكلام عن كتب اليهود على ماثبت بماوصفها به القرآن العزيز بالاجمال. ونعم الحاجة تدفعنا الى بعض التفصيل في ثبات نسيان النصارى واضاعتهم حظا عظيما مما جاء به المسيح عليه السلام ، وتحريف الكتب التي في أيديهم ، لأنهم أسرفوا في التعدي على الاسلام والطعن فيه ، فكان مثلهم كمثل من بنى بيتا من الزجاج على شفا جرف من الرمل وحاول ان ينصب فيه المدافع ليهدم حصنا حصينا مبنيا على جبل راسخ (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين)

وقد قامت مجلتنا المنار بما يجب من هذا البيان، ودفع مابدأ به دعاة النصرانية من الظلم والعدوان ، وسبق في التفسير قليل من كثير مانشر في المنار . ونذكر هنا بعض المسائل في ذلك بالايجاز

﴿ فصل في ضياع كثير من الأنجيل وتحريف كتب النصارى المقدسة ﴾

(١) ان الكتب التي يسمونها الاناجيل الاربعة تاريخ مختصر للمسيح عليه السلام لم يذكر فيها الا شيء قليل من أقواله وأفعاله في أيام معدودة بدليل قول يوحنا في آخر انجيله : « هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق . وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ، آمين »

هذه العبارة يراد بها المبالغة في بيان ان الذي كتب عن المسيح لا يبلغ عشر معشار تاريخه . ومن البديهي ان تلك الاعمال الكثيرة التي لم تكتب وقعت في أزمنة كثيرة ، وانه تكلم في تلك الازمنة وعند تلك الاعمال كثيرا . فهذا كله قد ضاع ونسي . وحسبنا هذا حجة عليهم في إثبات قول الله تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به » وحجة على بعض علمائنا الذين ظنوا ان كتبهم حفظت وتواترت . قال صاحب ذخيرة الالباب « ان الانجيل لا يستغرق كل أعمال المسيح ولا يتضمن كل أقواله ، كما شهد به القديس يوحنا »

(٢) الانجيل في الحقيقة واحد وهو ماجاء به المسيح عليه السلام من الهدى والبشارة بخاتم النبيين (ص) وهو ما كان يدور على ألسنة كتاب تلك التواريخ الاربعة وغيرهم حكاية عن المسيح وعن ألسنتهم أنفسهم . قال متى حكاية عنه (٢٦ : ١٣ الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها) أي مافعلته المرأة التي سكبت قارورة الطيب على رأسه . أوجب عليهم ان يخبروا كل من يبلغونهم الانجيل في عالم اليهودية كلها بما فعلته تلك المرأة ، فخبر تلك المرأة ليس من الانجيل الذي جاء في كلام المسيح . وقد ذكر في تلك التواريخ امتثالا لامره . وسميت تلك التواريخ أناجيل لأنها تتكلم عن انجيل المسيح ومجيء بشيء منه . ولذلك بدأ مرقس تاريخه بقوله « بدء انجيل يسوع المسيح » ثم قال حكاية عن المسيح (١ : ١٥ فتوبوا وآمنوا بالانجيل » فالانجيل الذي أمر الناس ان يؤمنوا به ليس هو أحد هذه التواريخ الاربعة ولا مجموعها . وهو الذي سماه بولس في رسالته الاولى الى أهل تسالونيكي « الانجيل » المطلق (٢ : ٤) وانجيل الله (٢ : ٨ و ٩) وانجيل المسيح (٣ : ٢). والكتاب الالهي يضاف الى الله بمعنى انه أوحاه ، والى النبي بمعنى انه أوحي اليه أو جاء به كما يقال توراة موسى

(٣) كانت الاناجيل في القرون الاولى للمسيح كثيرة جدا حتى قيل انها بلغت زهاء سبعين انجيلا . وقال بعض مؤرخي الكنيسة ان الاناجيل الكاذبة كانت ٣٥ انجيلا. وقد رد صاحب كتاب (ذخيرة الألباب) الماروني القول بكثرتها

وقال ان سبب ذلك تسمية الواحد بعدة أسماء . وقال ان الخمسة والثلاثين لاتكاد تبلغ العشرين . وعدها كلها وذكر ان بعضها مكرر الاسم، وذكر منها انجيل القديس برنابا . وذكر ان جاحدي الوحي طعنوا في الاناجيل ثلاثة مطاعن: (١) ان الآباء الذين سبقوا القديس يوستينوس الشهيد لم يذكروا الا أناجيل كاذبة ومدخولة (٢) لاسبيل الى اظهار أسفار العهد الجديد التي خطها مؤلفوها (٣) قد فات الجميع معرفة الموضع والعهد اللذين كتبت فيهما (٤) ان كورنتس وكربوكراتوس قد نبذا ظهريا منذ أوائل الكنيسة انجيل القديس لوقا ، والألوغيين انجيل القديس يوحنا. ولم يستطع ان يرد هذه الاعتراضات ردا مقبولا عند مستقلي الفكر

وقال الدكتور بوست البروتستاني في قاموس الكتاب المقدس: ان نقص الاناجيل غير القانونية ظاهر لأنها مضادة لروح المخلص وحياته . ونحن نقول اننا قد اطلعنا على واحد منها وهو انجيل برنابا فوجدناه أكمل من مجموع الاربعة في تقديس الله وتوحيده وفي الحث على الآداب والفضائل . فاذا كان هذا برهانهم على رد تلك الاناجيل الكثيرة واثبات هذه الاربعة فهو برهان يثبت صحة انجيل برنابا قبل غيره أو دون غيره

(٤) بدء تحريف الانجيل من القرن الاول . قال بولس في رسالته الى أهل غلاطية (١ : ٦ إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ، لا ليس هو آخر غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحوّلوا انجيل المسيح) فالمسيح كان له إنجيل واحد ، وبين بولس انه كان في عصره من القرن الأول اناس يدعون المسيحيين الى انجيل غيره بالتحويل أي التحريف كما في الترجمة القديمة ، وفي ترجمة الجزويت (يقلبوا) بدل يحولوا ، وهي أبلغ في التحريف والتبديل ، وبين بولس ان الناس كانوا ينتقلون سريعا الى دعاة هذا الانجيل المحرف المحول عن أصله الذي جاء به المسيح

وقد بين بولس في رسالته الثانية الى أهل كورنثيوس (١١ : ١٣ - ١٥) ان هؤلاء القوم الذين يحرفون انجيل المسيح « رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى رسل المسيح » وتتمة العبارة تدل انهم كانوا كرسل المسيح ويشتبهون

بهم كما يشتبه الشيطان بالملائكة ، اذ « يغير شكله الى ملاك نور » وفي الفصل الخامس عشر من سفر الاعمال مايوضح هذه المسألة وهو ان اليهود كانوا ينبثون بين المسيحيين و يعلمونهم غير مايعلمهم رسل المسيح ، وان المشايخ والرسل أرسلوا برنابا و بولس الى انطاكية ليحذروا أهلها من هؤلاء المعلمين الكاذبين،وان بولس وبرنابا تشاجرا وافترقا هنالك . وهما ماتشاجرا وافترقا الا لاختلافهما في حقيقة تعليم المسيح، فبرنابا يذكر في مقدمة انجيله ان بولس كان من الذين خالفوا المسيح في تعليمه . ولا شك ان برنابا أجدر بالتقديم والتصديق من بولس لانه تلقى عن المسيح مباشرة ، وكان بولس عدوا للمسيح والمسيحيين ، ولولا أن قدمه برنابا للرسل لما وثقوا بدعواه التوبة والايمان بالمسيح ولكن النصارى رفضوا انجيل برنابا المملوء بتوحيد الله وتنزيهه و بالحكمة والفضيلة، وآثروا عليه رسائل بولس وأناجيل تلاميذه لوقا ومرقس وكذا يوحنا كما حققه بعض علماء اوربة ، لان تعاليم بولس كانت أقرب الى عقائد الرومانيين الوثنية ، فكانوا هم الذين رجحوها ورفضوا ماعداها ، اذ كانوا هم أصحاب السلطة الاولى في النصرانية . وهم الذين كونوها بهذا الشكل ،

(٥) اختلف علماء الكنيسة وعلماء التاريخ في الاناجيل الاربعة التي اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ و بأي لغة كتبت ؟وكيف فقدت نسخها الاصلية ؟ كما ترى ذلك مفصلا في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى وفي غيرها من كتب الدين والتاريخ . وهذه كلمات من كتب المدافعين عنها

قال صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين): ان متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب انجيله قبل مرقس ولوقا و يوحنا. ومرقس ولوقا كتبا انجيلهما قبل خراب اورشليم ، ولكن لايمكن الجزم في اية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص لانه ليس عندنا نص إلهي على ذلك »

(انجيل متى) قال صاحب ذخيرة الالباب : ان القديس متى كتب انجيله في السنة ٤١ للمسيح ..... باللغة المتعارفة يومئذ في فلسطين وهي العبرانية أو السيروكلدانية (ثم قال) : ثم ماعتم هذا الانجيل ان ترجم الى اليونانية ثم تغلب

استعمل الترجمة على الاصل الذي لعبت به أيدي النساخ الابونيين ومسخته بحيث أضحى ذلك الاصل هملا بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادي عشر . اه

أقول ياليت شعري من هو الذي ترجم انجيل متى باليونانية ومن عارض هذه الترجمة على الاصل قبل أن يعبث به النساخ ويمسخوه ? الله أعلم

ثم قال صاحب الذخيرة « يترجح انه كتبه في نفس اورشليم » وقال « انما هو رواية جدلية عن المسيح لا ترجمة حياته »

(وقال) ان البروتستانت المتأخرين منهم شكوا في كون الفصلين الاولين منه لمتى

وقال الدكتور (بوست) في قاموس الكتاب المقدس : واختلف القول بخصوص لغة هذا الانجيل هل هي العبرانية أو السريانية التي كانت لغة فلسطين في تلك الايام . وذهب آخرون الى انه كتب باليونانية كما هو الآن . ثم تكلم في شبهة عظيمة على أصل هذا الانجيل تكلم فيها صاحب الذخيرة أيضا وهي ان شواهده في العظات من الترجمة السبعينية للعهد العتيق ، وفي بقية القصة من الترجمات العبرانية ، واجاب كل منهما عن ذلك بما تراءى له ، ثم رجح (بوست) انه ألف باليونانية خلافا لجمهور رؤساء الكنيسة المتقدمين . فثبت بهذا أولئك انه لا علم عندهم بتاريخه ولا لغته ، وانهم لا يظنون

ثم قال « ولا بد ان يكون هذا الانجيل قد كتب قبل خراب أورشليم – الى ان قال – « ويظن البعض ان انجيله الحالي كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ » وقد علمت ان صاحب الذخيرة زعم انه كتب سنة ٤١ • وان هي لا ظنون وأوهام يناطح بعضها بعضا

وأما علماء النصارى الاقدمين فالمأثور عنهم ان متى لم يكتب هذا الانجيل وانما كتب بعض أقوال المسيح باللغة العبرانية والنصارى يحتجون الآن على كون هذه الاناجيل التي لاسند لها لفظيا ولا كتابيا كانت معروفة في العصور بأقوال لأولئك العلماء المتقدمين هي حجة عليهم لا لهم . وقد جاء في المنار بيان ذلك غير مرة

واقدم شهادة ينقلونها في ذلك شهادة (بابياس) اسقف هيرا بوليس في منتصف القرن الثاني فقد نقل عنه (اوسابيوس) المتوفى سنة ٣٤٠ ما ترجمته « ان

متى كتب مجموعة من الجمل باللغة العبرانية وقد ترجمها كل بحسب طاقته »

ويمتاز انجيل متى بأن من نسب اليه من تلاميذ المسيح ، وبأنه أقرب الى التوحيد وأبعد عن الوثنية من سائر الاناجيل

﴿ انجيل مرقس ﴾ ذكر صاحب الذخيرة ان مرقس كان عبرانيا ملة (اي لانسبا) وانه كان تلميذاً لبطرس وتبناه بطرس ، وأنه اقتبس انجيله من انجيل متى ومن خطب بطرس . وان بعض المتأخرين زعموا انه كان يوجد انجيل سابق لانجيلي متى ومرقس اخذا عنه انجيليهما ، وان بعض البروتستانت شكوا في الاعداد الاثنى عشر الاخيرة من الفصل السادس عشر من هذا الانجيل لاسباب منها انه لاذكر لها في النسخ الخطية القديمة

وقال (بوست) مرقس لقب يوحنا ، يهودي يرجح انه ولد في اورشليم . (قال) وتوجه مرقس مع بولس وبرنابا خاله في رحلتهم التبشيرية الأولى غير أنه فارقهما في (برجه) فصار علة مشاجرة قوية بين بولس وبرنابا وبعد ذلك تصالح مع بولس فرافقه الى (رومية) وكان مع بطرس لما كتب رسالته الأولى (ابط ٥ : ١٣) ثم مع تيموثاوس في (افسس) ولا يعرف شيء حقيقي عن حياته بعد ذلك »

ثم ذكر انه كتب انجيله باليونانية وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية فاستدل بذلك على انه كتبه في رومية (قال) أنما المشابهة بين انجيلي متى ومرقس حملت بعض الناس على ان يعتقدوا ان الثاني مختصر الاول .

ولم يذكر هذا ولا ذاك تاريخ كتابة هذا الانجيل . وقد روي عن ايرنياوس انه كتبه بعد موت بطرس وبولس فلم يطلعا عليه ، فكيف نثق بأنه وعى ماسمعه من بطرس واداه كما سمعه ؟ هذا اذا صحت نسبته اليه بسند متصل، ولن تصح

﴿ انجيل لوقا ﴾ قال في الذخيرة ان لوقا كان من انطاكية ومن الشراح من ظن انه اغريقي متهود لانه لايذكر الكتاب المقدس الا نقلا عن الترجمة السبعينية « ومنهم من قال انه وثني هاد الى الحق وارتد الى الدين القويم » وقال « لوقا كان تلميذا ومعاونا لبولس »

ثم قال ما نصه « قد اغفل متى ومرقس بعض حوادث وأمور تتعلق بسيرة المسيح ، وقام بعض الكتبة واختلقوا ترجمة مموهة ليسوع المسيح ، وكثيرا ما فاتهم فيها الرواية والتدقيق ، فبعث ذلك بلوقا على وضع انجيله ضنا بالحق ، فكتبه باليونانية وجاء كلامه اصح وأفصح واشد انسجاما من كلام باقي مؤلفي العهد الجديد . وذهب كثير من المحققين الى انه كتب انجيله في السنة ٥٣ للمسيح وقيل بل سنة ٥١ »

ثم ذكر الخلاف في المكان الذي كتبه فيه وبين غرضه منه فقال في آخره « وان يكشف النقاب عن الاغلاط المدخولة في تراجم حياة المسيح المموهة (أي الاناجيل التي ردتها الكنيسة) وينفي كل ركون اليها » ثم بين انه كان يحمل انجيلي متى ومرقس وانه اقتبس منهما ما وافقهما فيه . ثم عقد فصلا لما اعترض به على ماحذفوه واسقطوه من هذا الانجيل لانهم رأوه لايليق بالمسيح أو لعلة أخرى

وقال الدكتور بوست في قاموسه : ظن بعضهم انه (أي لوقا) مولود في انطاكية الا ان ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس (قال) « ومن تغيير صيغة الغائب الى صيغة المتكلمين في سياق القصة يستدل ان لوقا اجتمع مع بولس في ترواس (أع ١٦ :١) وذهب معه الى فيلبى في سفره الثاني ، ثم اجتمع معه ثانية في فيلبى بعد عدة سنين (أع ٢٠ : ٥ و ٦) وبقي معه الى ان اسر واخذ الى رومية (أع ٢٨ : ٣٠) ولم يعلم شيء من حياته بعد ذلك »

فلينظر القارىء كيف يستنبطون تاريخه من أسلوب عبارته التي لم تصل اليهم بسند متصل لاصحيح ولا ضعيف ، كما استدلوا على كونه ايطاليا لا فلسطينيا من كلامه عن القطرين ، ذلك بأنه ليس عندهم نقل يعرفون به شيئا عن مؤسسي دينهم .

ثم قال «وظن البعض ان لفظة انجيلي» الواردة في (٢ : تي ٢ :٨) تدل على ان بولس الف انجيل لوقا وان لوقا لم يكن الا كاتبا »

ثم قال « وقد كتب هذا الانجيل قبل خراب أورشليم وقبل الاعمال ويرجح انه كتب في قيصرية في فلسطين مدة اسر بولس سنة ٥٨ - ٦٠م غير ان البعض يظنون انه كتب قبل ذلك » اه

فأنت ترى من التعبير بلفظ الترجيح والظن ومن الخلاف بين سنة ٥١ و٥٣

كما في الخلاصة و٥٨ و٦٠ كما انه لاعلم عند القوم بشيء « وان هم الا يظنون » ولعل الذين قالوا ان بولس هو الذي كتب هذا الانجيل هم المصيبون لمشابهة اسلوبه لاسلوب رسائله باعترافهم . فان قيل وما تفعل بتحريفه ؟ قلت هو كتحريفها. وتجد فيه مثل ماتجد فيها من ذكر وضع بعض الناس لاناجيل كاذبة . ومن لنا بدليل يثبت لنا صدقه هو ؟ وأنى لنا بتمييز هذه الاناجيل ومعرفة صادقها من كاذبها ؟

﴿ انجيل يوحنا ﴾ تقول النصارى ان يوحنا هذا هو تلميذ المسيح ابن زبدي وسالومه ، ويقول أحرار المؤرخين منهم غير ذلك كما في دائرة المعارف الفرنسية ويرجح بعضهم انه من تلاميذ بولس أيضا . وذكر في الذخيرة ثلاثة أقوال في تاريخ كتابته وهي ٦٤ و ٩٤ و٩٧ وانه كتبه باليونانية ليثبت الوهية المسيح ويسد النقص الذي في الاناجيل الثلاثة « اجابة لرغبة أكثر الاساقفة ونواب كنائس آسية والحاحهم عليه ان يبقى من بعده ذكرا مخلدا » ومفهوم هذا انه لولا هذا الإلحاح لم يكتب ماكتب، واذا لبقيت أناجيلهم ناقصة وخلوا من شبهة على عقيدتهم المعقدة التي لا تعقل، اذ لا توجد الشبهة عليها الا في هذا الانجيل الذي هو أكثر الاناجيل تناقضا، وناهيك بجمعه بين الوثنية والتوحيد، وقوله عن المسيح إنه ان كان يشهد لنفسه فشهادته حق ، ثم قوله عنه في موضع آخر انه وان كان يشهد لنفسه فشهادته ليست حقا ـ الى أمثال ذلك

وقال الدكتور بوست « ويظن انه كتب في أفسس بين سنة ٧٠ و ٩٥ ثم قال في الرد على علماء اوربة الاحرار مانصه :

« وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الانجيل لكراهتهم تعليمه الروحي ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح . غير ان الشهادة بصحته كافية: فان بطرس يشير الى آية منه (٢ بط ١ : ١٤ قابل يو ٢١ : ١٨) واغناطيوس و بوليكربس يقتطفان من روحه ونحواه. وكذلك الرسالة الى ديوكنيتس وباسيلدس وجوستينس الشهيد وتاتيانس . وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها الى منتصف القرن الثاني. و بناء على هذه الشهادة وعلى نفس كتابته الذي يوافق مانعلمه من سيرة يوحنا نحكم انه

من قلمه . ولا فكتابته من المكر والغش على جانب عظيم . وهذا الأمر يعسر تصديقه لان الذي يقصد ان يغش العالم لايكون روحيا ولا يتصل الى علو وعمق الافكار والصلوات الموجودة فيه . واذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما حتى نضطر للحكم انه لم يكن منهم من كان قادرا على تأليف كهذا ، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه الا يوحنا ، ويوحنا ذاته لا يستطيع تأليفه بدون إلهام من ربه » اه

أقول ان من عجائب البشر ان يقول مثل هذا القول او ينقله معتمدا له عالم طبيب كالدكتور بوست ! فانه كلام لا يخفى بطلانه وتهافته على الصبيان . ولا أعقل له تعليلا الا ان يكون تصنعا وغشا لإرضاء عامة النصارى لا لارضاء اعتقاده ووجدانه ، أو يكون التقليد الديني من الصغر قد ران على قلب الكاتب فسلبه عقله واستقلاله وفهمه في كل ما يتعلق بأمر دينه . واليك البيان بالايجاز

ان الدكتور بوست من أعلم الاوربيين الذين خدموا دينهم في سورية وأوسعهم اطلاعا ، وهو يلخص في قاموسه هذا أقوى ما بسطه علماء اللاهوت في اثبات دينهم وكتبهم ورد اعتراضات العلماء عليها . فاذا كان هذا منتهى شوطهم في اثبات إنجيل يوحنا الذي هو عمدتهم في عقيدة تأليه المسيح، فماهو الظن بكلام المؤرخين الأحرار والعلماء المستقلين في ابطال هذا الانجيل ؟

ابتدأ رده على منكري هذا الانجيل بأن بطرس أشار الى آية منه في رسالته الثانية . فهذا أقوى برهان عندهم على كون هذا الانجيل كتب في العصر الاول

فأول مانقوله في رد هذا الدليل الوهمي ان رسالة بطرس الثانية كتبت في بابل سنة ٦٤ و٦٨ كما قال صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) وانجيل يوحنا كتب سنة ٩٥ او ٩٨ على ما اعتمده بوست وصاحب هذا الكتاب وسائر علماء طائفتهم (البروتستانت) فهو قد الف بعد كتابة رسالة بطرس بثلاثين سنة أو اكثر على رأيهم، فاذا وافقها في شيء فأول ما يخطر في بال العاقل انه نقله عنها وان ألف بعدها بعدة قرون ، فكيف يكون ذلك دليلا على صحته ؟ ولو لم يكن في رد هذه الشبهة الواهية الا احتمال نقل المتأخر وهو يوحنا عن المتقدم وهو بطرس لكفى، وهم

جازمون بتقدمه عليه وان لم يكن عندهم تاريخ صحيح لاحد منهما ، بل تاريخ ولادة المسيح ورسهم الذي يؤرخون به كل شيء فيه خطأ كما حققه يعقوب باشا أرتين وغيره

ونقول (ثانيا) اننا قابلنا بين (٢ بط ١ : ١٤) وبين (يو ٢١ : ١٨) فلم نجد في كلام بطرس في ذلك العدد اشارة واضحة الى ماذكره يوحنا . فعبارة بطرس التي سموها شهادة له هي قوله « عالما ان خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضا » وعبارة يوحنا المشهود لها هي أن المسيح قال لبطرس « الحق الحق أقول لك لما كنت اكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء . ولكن متى شخت فانك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء »

فمعنى عبارة بطرس انه يستبدل مسكنه باختياره ويرحل عن القوم الذين يكلمهم . ومعنى عبارة المسيح انه اذا شاخ وهرم يقوده من يخدمه ويشد له منطقته . فان فرضنا ان بطرس كتب هذا بعد يوحنا لم يكن فيه أدنى شبهة على تصديق يوحنا في عبارته هذه ، فضلا عن تصديقه في كل انجيله . فما أوهى دينا هذه اسسه ودعائمه ! !

ذكرني هذا الاستدلال نادرة رويت لي عن رجل هرم من صيادي السمك (ولا أذكر هذا الوصف تعريضا بتلاميذ المسيح عليه السلام وعليهم الرضوان) قال ان رجلا غريبا من الدراويش علمه سورة لا يعرفها أحد من خلق الله سواهما الا أن خطيب البلد يحفظ منها كلمتين يدلان على أصلها . وأول هذه السخافة التي سماها سورة : باسم الله الذين المددا . عند النبي أحمدا ، نبينا محمدا ، في الجنان مخلدا ، إجت فاطمة الزهرا ، بنت خديجة الكبرى ، آلت او ياباتي ياباتي علمني كلمتين الخ . والكلمتان اللتان يحفظهما الخطيب منها هما « فاطمة الزهرا وخديجة الكبرى » (عليه السلام) لانه كان يقول في دعاء الخطبة الثانية بعد الترضي عن الحسن والحسين « وارض اللهم عن أمهما فاطمة الزهرا ، وعن جدتهما خديجة الكبرى »

ولا يخفى على القارىء ان الاتفاق بين هذه الاسجاع العامية وخطبة خطيب البلد في تينك الكلمتين أظهر من الاتفاق بين رسالة بطرس وانجيل يوحنا ، بل ليس بين هذا الانجيل وهذه الرسالة اتفاق ما فيما زعموه تكلفا وتحريفا للعبارة عن معناها

واما استدلاله باقتطاف اغناطيوس و بوليكربس من روح هذا الانجيل فهو مثل استدلاله بشهادة بطرس له بل أضعف . اذ معنى هذا الاقتطاف انه روي عن هذين الرجلين شيء يتفق مع بعض معاني هذا الانجيل ، فاذا سلمنا ان هذا صحيح فهو لايدل على ان هذا الانجيل كان معروفا في زمنهما في القرن الثاني للمسيح لانهما لم يذكراه ولم يعزوا اليه شيئا . و يجوز ان يكون ما اتفقا فيه من المعنى — ان صح ذلك ولم يكن كالاتفاق الذي ذكروه بينه و بين بطرس — مقتبسا من كتاب آخر كان متداولا في ذلك الزمان ، كما يجوز ان يكون مأخوذا من التقاليد الموروثة عند بعض شعوبه . مثال ذلك ان يوحنا انفرد باستعمال لفظ (الكلمة) والقول بألوهية الكلمة ، ولم يؤثر هذا عن غيره من مؤلفي الكتب المقدسة عندهم ، ولا عن أحد من تلاميذ المسيح . وقد بينا في تفسير (وكلمته ألقاها الى مريم) ان هذه العقيدة وهذا اللفظ مما أثر عن اليونان والبراهمة والبوذيين وقدماء المصريين ، و بحث فيها ايضا (فيلو) الفيلسوف اليهودي المعاصر للمسيح . فاذا فرضنا ان (اغناطيوس) استعمل هذا اللفظ وذكر هذه العقيدة في القرن الثاني ، لايكون هذا دليلا على نقلها عن يوحنا وعلى ان انجيل يوحنا ورسالته ورؤياه كانت معروفة في القرن الثاني ، لاحتمال ان يكون نقل ذلك عن الامم الوثنية التي كانت تدين بهذه العقيدة قبل يوحنا وقبل المسيح عليه السلام . واذا كان الاتفاق بينهما في المعنى الذي انفرد به يوحنا عن غيره لايدل على ما ذكر فكيف يدل عليه الاتفاق في المعاني الاخرى التي لم ينفرد بها يوحنا

فتبين من هذا النقد الوجيز ان ماذكره بوست وسماه كغيره شهادة لانجيل يوحنا ليس شهادة ، وان سميناه شهادة فلا مندوحة لنا عن القول بأنها شهادة زور.

واما زعمهم ان نفس كتابة هذا الانجيل توافق ما يعرفونه عن سيرة يوحنا ، فهو تمويه بديهي البطلان ، وليس ليوحنا عندهم سيرة تثبت أو تنفي

بقي استدلاله الاخير على صحة هذا الانجيل بأنه لو لم يكن من قلم يوحنا لكان الكاتب له على جانب عظيم من المكر والغش ! قال: « وهذا الامر يعسر تصديقه لان الذي يقصد ان يغش العالم لايكون روحيا » الخ ! فنقول إن هذا الاستدلال ينبيء بسذاجة من اخترعه ونقله وغرارتهم ، وان شئت قلت بغباوتهم أو قصدهم مخادعة الناس .

وبطلانه بديهي، فان الكاتب للمعاني الروحية لايجب ان يكون روحيا ، والكاتب في الفضائل لايقتضي العقل ان يكون فاضلا . وقد كان في مصر كاتب من أبلغ كتاب العربية في الاخلاق والفضائل ، ومع هذا وصفه بعض عارفيه بقوله « ان حروف الفضيـلة تتألم من لوكها بفمه ، ووخزها بسن قلمه » وان الروحانية التي نجدها في انجيل برنابا وما فيه من تقديس الله وتنزيهه، وفي الافكار والصلوات، لهو أعلى وأشد تأثيرًا في النفس من انجيل يوحنا ، ويزعمون مع هـذا كله انه قصد به غش الناس وتحويلهم عن التثليث والشرك الى التوحيد والتنزيه ! !

ان هذا المسلك الاخير الذي سلكه بوست في الاستدلال على صحة نسبة انجيل يوحنا اليه يقبله المقلدون لعلماء اللاهوت عندهم بغير بحث ولا نظر، والناظر المستقل يراه يؤدي الى بطلان نسبته اليـه لأسباب أهمها ثلاثة (١) جاء بعقيدة وثنية نقضت عقيـدة التوحيـد الخالص المقررة في التوراة وجميع كتب أنبياء بني اسرائيـل ، وقد صرح المسيح بأنه ماجاء لينقض الناموس بل ليتممه . وأصـل الناموس وأساسه الوصايا العشر، وأولها وأولاها بالبقاء ودوام البناء وصية التوحيد (٢) مخالفته في عقيـدته وأسلوبه لـكل ماهو مأثور عن جماعته وقومه قبل المسيح وبعده (٣) مخالفته للاناجيل التي كتبت قبله في أمور كثيرة ، أهمها تحاميه ما ذكر فيها من الاعراض البشرية المنسوبة الى المسيح مما ينافي الألوهية كتجربة الشيطان له وخوفه من فتك اليهود به ، وتضرعه الى الله خائفا متألما ليصرف عنه كيدهم وينقذه منهم ، وصراخه وقت الصلب من شدة الألم - الى غير ذلك .

ومن تأمل أساليب الاناجيل ونحواها يرى ان انجيل يوحنا غريب عنها، ويجزم بأن كاتبه متأخر سرت اليه عقائد الوثنيين ، فاحب ان يلقح بها المسيحيين

ونقول (ثالثا) اذا فرضنا ان موافقة بعض أهل القرن الثاني لهذا الانجيل في روح معناه يعد شهادة له بأنه كان موجودًا في منتصف القرن الثاني، فأين الشهادة التي تثبت انه كان موجودًا في القرن الاول والنصف الاول مما بعده ؟ ثم تبين لنا من تلقاه عنه حتى وصل الى أولئك الذين اقتطفوا من روحه

بعد كتابة ماتقدم راجعت (اظهار الحق) فرأيته استدل على ان انجيل يوحنا

ليس من تصنيف يوحنا الذي هو أحد تلاميذ المسيح بعدة أمور (منها) أسلوبه الذي يدل على ان الكاتب لم يكتب ما شاهده وعاينه بل ينقل عن غيره (ومنها) آخر فقرة منه وهي ما أوردناه في الاستدلال على أنه لم يكتب عن أحوال المسيح وأقواله الا القليل ، فانه ذكر فيها يوحنا بضمير الغائب وانه كتب وشهد بذلك ، فالذي ينقل هذا عنه لابد أن يكون غيره ، وقصاراه انه ظفر بشيء مما كتبه فحكاه عنه ونقله في ضمن انجيله ، ولكن أين الاصل الذي ادعى ان يوحنا كتبه وشهد به ؟ وكيف نثق بنقله عنه ونحن لانعرفه ورواية المجهول عند محدثي المسلمين لايعتد بها البتة (ومنها) أنهم نقلوا أن الناس أنكروا كون هذا الانجيل ليوحنا في القرن الثاني على عهد (ارينيوس) تلميذ (بوليكارب) الذي هو تلميذ يوحنا . ولم يرد عليهم أرينيوس بأنه سمع من بوليكارب ان أستاذه يوحنا هو الكاتب له (ومنها) نقله عن بعض كتبهم مانصه « كتب (استادلن) في كتابه : ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية بلا ريب ، (ومنها) ان المحقق (برطشنيدر) قال: ان هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد (كذا) في ابتداء القرن الثاني (ومنها) ان المحقق (كروتيس) قال ان هذا الانجيل كان عشرين بابا فألحقت كنيسة افساس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا (ومنها) ان جمهور علمائهم ردوا احدى عشرة آية من أول الفصل الثامن الخ

(٦) علمنا مما تقدم ان النصارى ليس عندهم اسانيد متصلة ولا منقطعة لكتبهم المقدسة ، وانما بحثوا ونقبوا في كتب الاولين والآخرين وفلوها فليا لعلهم يجدون فيها شبهة دليل على ان لها أصلا كان معروفا في القرون الثلاثة الاولى للمسيح ، ولكنهم لم يجدوا شيئا صريحا يثبت شيئا منها ، وانما وجدوا كلمات مجملة أو مبهمة فسروها كما شاءت أهواؤهم وسموها شهادات، ونظموها في سلك الحجج والبينات، وان كانت هي ايضا غير منقولة عن الثقات ، ثم استنبطوا من فحواها ومضامينها مسائل متشابهة زعموا ان كلا منها يؤيد الآخر ويشهد له . وقد أشرنا الى ضعف كل واحدة من هاتين الطريقتين

فثبت بهذا البيان الوجيز صدق قول القرآن المجيد « فنسوا حظا مما ذكروا به»

وثبت به انه كلام الله ووحيه ، إذ ليس هذا مما يعرف بالرأي حتى يقال ان النبي(ص) قد اهتدى اليه بعقله ونظره . كيف وقد خفي هذا عن أكثر علمائنا الاعلام عدة قرون لعدم اطلاعهم على تاريخ القوم . وأغرب من هذا ان بعض كبراء المصريين الذين ارتقوا بعلمهم واختبارهم الى أرفع المناصب سألني مرة : كيف نقول نحن (المسلمين) ان للنصارى كتابا واحدا يسمى الانجيل هو عبارة عما أوحاه الله الى عيسى فدعا قومه الى الايمان به ، مع ان النصارى أنفسهم لا يقولون هذا ولا يعرفونه وانما عندهم أربعة أناجيل هي عبارة عن قصة المسيح وسيرته ؟ فأجبته ان الانجيل الذي ننسبه الى المسيح ونقول انه هو ماأوحاه الله اليه هو الذي يذكر في هذه الاناجيل عن لسان المسيح باللفظ المفرد الخ ما علم مما تقدم

ونظير هذه العبارة وأمثالها في الدلالة على كون القرآن من عند الله تعالى قوله تعالى « وأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » وأنت ترى مصداق هذا القول بين فرقهم وبين دولهم لم ينقطع يوما ما

(٧) أن أحد فلاسفة الهنود درس تاريخ الاديان كلها وبحث فيها بحث مستقل منصف ، وأطال البحث في النصرانية لما للدول المنسوبة اليها من الملك وسعة السلطان والتبريز في الفنون والصناعات ، ثم نظر في الاسلام فعرف انه الدين الحق فأسلم ، وألف كتابا باللغة الانكليزية سماه (لماذا أسلمت) بين فيه ما ظهر له من مزايا الاسلام على جميع الاديان ، وكان أهمها عنده ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي له تاريخ صحيح محفوظ ، فالآخذ به يعلم انه هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله النبي الامي العربي المدفون في المدينة المنورة من بلاد العرب . وقد كان من مثار العجب عنده أن ترضى أوربة لنفسها دينا ترفع من تنسبه اليه عن مرتبة البشر فتجعله إلها ، وهي لا تعرف من تاريخه شيئا يعتد به ، فان هذه الاناجيل الاربعة على عدم ثبوت أصلها وعدم الثقة بتاريخها ومؤلفيها لا تذكر من تاريخ المسيح الا وقائع قليلة ، حدثت كما تقول في أيام معدودة . ولا يذكر فيها شيء يعتد به عن نشأة هذا الرجل وتربيته وتعليمه وأيام صباه وشبابه !! ولله في خلقه شؤون

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿صرف الزكاة للاعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرهما من العلم النافع﴾

(س ٤٠) من الشيخ عبدالله بن عمر مدحج ناظر المدرسة الابتدائية الاسلامية ببلد الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) نذكره بالمعنى مختصرا

سبب السؤال ان السائل اسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة التعليم ، ولا بد لهذا من نفقة . وملخص السؤال : هل يجوز ان يدفع أغنياء البلد شيئا من زكاة اموالهم للاعانة على هذا التعليم ويدخل ذلك في بعض الاصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة ام لا ؟

(ج) اذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا خلاف في جواز دفع الزكاة لهم ، ولا يكلفون ان يتركوا التعليم لاجل كسب آخر وان قدروا عليه لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما يجب علمه على المسلمين أو يسن لهم ، فان كانوا لا يحسنون كسبا آخر فالامر أظهر . ويجوز ان يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه اياه من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ الفقراء أو المساكين . ولكن المعلمين ونظار المدارس لا يعدون من الاصناف التي تجب لها الزكاة لذاتهم وبوصف المعلمين الا على التوسع في تفسير (وفي سبيل الله) والمشهور عند جمهور الفقهاء ان المراد بهذا الصنف الغزاة في سبيل الله . وزاد بعض الأئمة فيه الحج ، واختار الاستاذ الامام ان المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به الى الله تعالى . وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعا.

وجملة القول إن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة اذا كانوا فقراء او مساكين أو غارمين بغير خلاف . ومثل ذلك اعطاؤها لأولياء التلاميذ الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم ، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضا ، واظن ان هذا كاف في المقصود والله اعلم

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ فصل في رد مايستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم ﴾

قد يقول بعض القارئين : إذا صح قولك فيما سبق بضياع جزء عظيم من الانجيل واختلاط الحق بالباطل فيما بقي منه حتى فسد تقريبا فما معنى قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) وقوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) وكيف مدح الله التوراة والانجيل وحث أهل الكتاب على إقامتهما في مثل قوله في سورة المائدة (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) وغير ذلك ؟ قلت : —

أما قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) فمعناه أنه عليه السلام جاء طبق ما عندهم عنه في التوراة والانجيل يعني أن أحواله جميعا توافق البشائر المخبرة بمجيئه تمام الموافقة ولا تختلف عنها في شيء كما بيناه في كتاب دين الله . وهناك فرق بين قولك (جئت مصدقا لقول فلان) وقولك (أنا مصدق بقوله) فمعنى الاول أن فلانا أخبر بمجيئك فجئت مصدقا لاخباره عنك ومعنى الثاني أنك تؤمن بقوله وتصدقه ، ولم يرد في القرآن مطلقا أنه قال إنه هو أو محمد (ص) جاء مصدقا بما معهم . (راجع أيضا صفحة ١٧٦ من هذه الرسالة)

وإذا سلمنا أنه لافرق بين قول القرآن (مصدقا لما معهم) و بين أن يقول (مصدقا بما معهم) فليست العبارة نصا على أنه مصدق بكتبهم هذه التي معهم إذ لم يذكر فيها لفظ « الكتب » ولا يجوز أن يكون القرآن مصدقا بجميع ما معهم من دينهم لأنه رد عليهم في كثير منه. فتعين إذاً أن يكون المراد أنه مصدق ببعض ما معهم، وهذا حق فان القرآن يوافق دينهم في كثير من عقائده وآدابه وتعاليمه، فدين

الاسلام أقرب الاديان اليهم ومع ذلك هم نفروا منه ورفضوه بأشد مما يرفضون الوثنية كما هو مشاهد حتى هذا اليوم. ويجوز أن يكون المراد مصدق بأن أصل ما معهم من الله وأن فيه أشياء كثيرة صالحة للناس ونافعة لهم وموروثة بينهم عن أنبيائهم

وأما قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) فالمراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مفتراة بدليل وجود أمثالها بين الناس قبل نزوله ، فهي وان اختلفت قليلا في بعض التفاصيل أو الجزئيات عما يرويه الناس الا أنها توافقها في الجملة وتصدقها في الجوهر ، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله بل اسألوا عنها أهل الكتاب تجدوا أنها معروفة بينهم ومروية في كتبهم. فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضعف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله لان النبي لم يطلع على كتب أهل الكتاب

ولا يستنتجن القارئ من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوراة والانجيل في شيء ما . كلا ! اذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطله . فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ومخالفته لها في بعض الجزئيات كما قلنا

ويجوز أن يكون المراد بقوله (تصديق الذي بين يديه) تصديق الحق الذي عندهم لا كل الذي عندهم والا لدخل في ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لازالته ومحقه ، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لابطاله ، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما في سورة المائدة ونحوها من مدح التوراة والانجيل وأمر أهلها بالحكم بهما . فهاك بيان ما اشتبه عليهم من آيات هذه السورة : قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة) وهي شريعة موسى (فيها هدى ونور) وهو أمر لا ننكره ونؤمن به ، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا في اثبات دعواهم (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وهم معلمو شريعة

اليهود وعلماؤها ، يحكمون ويفتون ويقضون (بما استحفظوا من كتاب الله) بما طلب منهم المحافظة عليه من التوراة ، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوراة كانت مؤقتة ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم انما يحكمون بما لم ينسخ منها (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يعلمون انه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره ، فعلمو اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتون ولا يقضون الا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به. ولما كانت شريعتهم صالحة ازمنهم ونافعة لهم قال الله تعالى لهم (فلا تخشوا الناس واخشون) الخ وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ، ويقاومون المصلحين، ويقتلون النبيين (عب ١١: ٣٧) ويشركون ويرتدون ، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا سفر التثنية أصحاح ٢٨-٣١) ثم قال الله تعالى (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ... وآتيناه الانجيل ......) وكما قال تعالى لأتباع موسى « لا تخشوا الناس واخشون » الآية قال أيضا لاتباع عيسى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وانما خص « أهل الانجيل » بالذكر لبيان أن الانجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان. وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالأمة اليهودية (في صفحه ١٩٣ و ١٩٤) وحذف لفظ « القول» في القرآن كثير كما في قوله تعالى « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » وقوله (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه، فكذلك هنا حذف لفظ « قلنا » قبل لفظ « ليحكم ». وفي قراءة حمزة - وهي من القراآت السبعة المتواترة بين المسلمين - (ولِيَحكُمَ) بكسر اللام وفتح الميم، والمعنى آتينا عيسى الانجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث اليهم من بني اسرائيل (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) أي شاهدا على ما فيه من الحق والباطل، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريفه كما زعم بعضهم فان الشاهد على أي شيء كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع مرتكبيها منها وانما هو يقرر أمام القضاء ما يعلمه عنها . وقد توسعنا في بيان ذلك في كتاب دين الله (في حاشية صفحة ٨٤ و ٨٥) فراجعه ان شئت (فاحكم بينهم « يا محمد » بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) بأن تعمل بما في كتبهم فانهم كتبوها كما شاءوا وشاءت

أهوائهم وابتدعوا فيها من شرائع الله ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالباطل. زد على ذلك أننا (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فوننا وضعنا لكل أمة سابقة ولاحقة طريقة وشريعة توافق مصلحتها وقد تخالف مصلحة غيرها فلا تعمل الا بما أنزلناه اليك فان شريعتهم - حتى السالمة من التحريف والتبديل - فيها ما لا يوافق امتك ولا يناسب حالها (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) أي لتسارع كل امة من السابقين واللاحقين في طريق الطاعات وعمل الخيرات ، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الامم الغابرة فان الجميع طولبوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة الى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الأمم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بعضكم مع بعض أو بعض الأمم السابقة بمن أدركوه من الامم اللاحقة . ثم قال تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون) فأي شيء في هذه الآيات يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل مع أنها صريحة في عكس ذلك وفي نسخها والامر بعدم الالتفات اليها بعد القرآن ؟ ألا ان الغرض يعمي ويصم !!

وأما قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتي تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) الآية فمعناها هكذا (لستم على شيء) يصح أن يقال انه دين أو يعتد به (حتى تقيموا) أي تعملوا طبق الواجب بأحكام (التوراة والانجيل) وتحيوا شرائعها وتطيعوا أوامرها وتنتهوا بنواهيها فان الاقامة هي الاتيان بالعمل على أحسن أوجهه كاقامة الصلاة مثلا أي فعلها على الوجه اللائق بها ولا يدخل في ذلك القصص التي في التوراة والانجيل ولا العقائد ونحوها فانها ليست عملية . والمراد ان يعملوا بما بقي عندهم من أحكام التوراة والانجيل على علاته وعلى ما به من نقص وتحريف وزيادة فان شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقل أقسامها تحريفا . وأكثر التحريف في القصص والاخبار والعقائد وما ماثلها وهي لاتدخل في الامر بالاقامة ، ولا شك ان أحكام التوراة والانجيل

وما فيهما من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لاتزال فيها أشياء كثيرة لاعيب فيها ونافعة للبشر وفيها هداية عظمى للناس فهي مما يدخل تحت قوله تعالى (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) فاذا أقام أهل الكتاب أحكامهما على علاتها كانوا لاشك على شيء يعتد به ويصح أن يسمى دينا واذا لم يقيموهما وجروا على خلافهما كانوا مجردين من كل شيء يستحق أن يسمى دينا وكانوا مشاغبين معاندين وبدينهم غير مؤمنين ايمانا كاملا. وهذه قضية صحيحة لايشك فيها عاقل وهي المعنى المتبادر من الآية، فأي شيء في هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل وعلى وجودهما عند أهلهما كاملين وخصوصا بعد قوله تعالى كما سبق في اليهود والنصارى (ونسوا حظا مما ذكروا به) . فالآية تشبه قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين) أي (وكيف يحكمونك) وهم لا يعتقدون صدقك وصحة نبوتك (وعندهم التوراة فيها حكم الله) في المسألة التي تحاكموا فيها الى النبي وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة ووجود هذا الحكم الخاص فيها لاينافي القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) اما باعتبار عرفهم - كما نسميها نحن الآن وكما نسمي معبودات الوثنيين « بآلهتهم » ودعاة النصرانية « بالمبشرين » - أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوراة الحقيقية ، ولولا ذلك ما صح أن نسمي هذه الكتب بالتوراة والانجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذي عندهم في توراتهم التي يدعون الايمان بها ويعتقدون صحتها (وما اولئك بالمؤمنين) بك ولا بكتابهم وانما هم قوم مشاغبون معاندون متلاعبون مستهزئون لايخافون الله ولا يخشون عقابه في الدنيا والآخرة لقساوة قلوبهم وخلوها من الايمان الصحيح، ولذلك لايبالون بما خالف أهواءهم ولو كان في كتبهم المقدسة عندهم

ولنا أن نقول أيضا: ان معنى تلك الآية (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) الحقيقيين ، وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد في نقد ماعندهم منهما نقدا علميا عقليا تاريخيا صحيحا حتى يستخلصوا حقهما من باطلهما بقدر الامكان

كما يفعل علماء الافرنج الآن ، ونتيجة ذلك العناء كله أن يكونوا على شيء من الدين الحق وهذا أمر لاشبهة فيه . ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واستراحوا، ولكنهم كما قال تعالى لايزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا ، وحسدا وعنادا ، فلا يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم باصلاح دينهم من المفاسد وتنقيته من الشوائب، فلم يدركوا خير هذا ولا ذاك . فكأن الآية تريهم أنهم اذا لم يتبعوا القرآن يجب عليهم القيام بعبء ثقيل جدا من البحث والتمحيص و بعد ذلك يكونون على شيء من الحق لا على الحق كله ولو أقاموا التوراة والانجيل الحقيقيين غاية الاقامة ، فما بالك اذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقتهما؟ فهم ليسوا على شيء مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليه ، فان كتبهم قد صارت خلقة بالية ، لذلك قال رسول الله لعمر – حينما رأى ورقة من التوراة بيده – «ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي » (أنظر كتاب « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي » صفحة ٥٦ و٥٧)

فان قيل وكيف يحثهم الله على العمل بأي شيء من دينهم ومنه ما جاء القرآن ناسخا له ؟ قلت لاشك أن كل عاقل مهما كان دينه يقول كما قال القرآن، فانه خير لأهل الكتاب ولنا وللعالم أجمع أن يعملوا بشرائع دينهم فانهم حينئذ يتجنبون الكذب والتحريف والعناد والاذى والافساد في الارض واهلاك الحرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعمله الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جميعا « ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك » فمراد القرآن – على التفسير الاول للآية – حثهم إن أصروا على عدم الايمان به [1] على العمل بدينهم على الأقل ليستريح النبي وأتباعه من أكثر شرورهم ورذائلهم . ولكن هل بعد العمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا ؟ فالذي يفهم من الآية أنهم يكونون على شيء من الدين وهو – لا شك – خير من لا شيء ، ولا يفهم انهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذي لاغاية أعظم منه فان ذلك لا يكون الا بالاسلام (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون)

(١) كما ينبيء عنه قوله في آخر هذه الآية (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) الدكتور محمد توفيق صدقي

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٤) انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وغيرهم

قال الامام ابن تيمية : لما كان بعد المائة الثانية انتشرت المقالة التي كان السلف يسمونها (مقالة الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه (ثم قال) وهذه التأويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها ابو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وابو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن احمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم ، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه ، كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الائمة المشاهير في زمن البخاري ، وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي ثم ردها ، ويعلم بمطالعة كتابه ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية إه

وقال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشر المريسي: انه تفقه على أبي يوسف فبرع ، واتقن علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقالته ، واحتج لها ودعا اليها إه

* * *

(*) تابع لما نشر في ج ١٠ م ١٦ ص ٧٤٥

(٥) ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون، ودعوته الى مذهبهم وما
جرى على المشاهير في مسألة خلق القرآن

من سنن الاحزاب والفرق في هذا الكون، أن كل حزب قويت عصبته وعصبيته يتطاول الى الغلب، ويتطالّ على التغلب، فيصرف مستطاعه لهذه السبيل، ويسعى جهده لتأييده من اي طريق امكن، ابتغاء انفراده، وتكثير سواده، فاذا اتيح لعصبة مّا ان تمدها قوة سلطان قاهر، وجبار مستبد، وجد لها من نفوذ الكلمة وانتشار الدعوة، وكثرة الاعوان، ما تبلغ به اقصى امانيّها، والناس على دين ملوكهم بين راغب في حطامهم، أو مقلد يتبع كل ناعق

وقد عرف الخليفة (المأمون) بمحبته للعلم والعلماء، وشغفه في الحكمة والحكماء، بل لم ير في اولاد الملوك من تعشق العلوم الحكمية على حداثة سنه، واقام بين العلماء لمناظرتهم في جميع انواع العلوم مثله، فما دخل عليه مرة الا والفي في مجلس من العلماء والادباء. وقد ورث ذلك عن ابيه (الرشيد) فقد كان العلماء والادباء لا يفارقونه في حضر ولا في سفر، حتى أنه ليطلب شاعره في أطراف الليل فيجده ببابه مع غيره من محدث أو نديم. وانما قرب العلماء الى الرشيد ما بنفسه من الميل الى الأدب، والحرص على احراز العلوم، حتى كانوا اذا اجتمعوا بداره سما الى مناظرتهم من حيث العلم والتواضع له، لا من حيث السيادة عليهم، وهو بموضعه الجليل من الخلافة. وكان من الفضل بحيث ان مآدبه لم تخل قط من عالم أو أديب أو شاعر. وبلغ به التواضع لهم ان معاوية المحدث الضرير كان اذا جلس الى طعامه قام الرشيد من موضعه وصب الماء على يده تعظيما لقدر العلماء،

فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك لأشرف من شرفك،
وكانت همة الرشيد مصروفة الى ترجمة كتب الفلاسفة من يونان وغيرهم
بعد ان رأى جعفراً وزيره يبتاع من صحفهم ما يأمر التراجمة بتعريبه ، ثم
يعطيهم زنة الكتاب المعرب ذهبا ، لان سوق العلم كانت نافقة عند
البرامكة ، وقد استنهضوا هم العلماء الى تعريب صحف الاعاجم ،
فنافسهم الرشيد في ذلك، اذ كان في نفسه من الميل الى الأدب، والتشوق
الى الاطلاع على كنوز الحكمة ما عرف ، فانفذ رسله في احراز الاسفار
القديمة ، وامر بتعريبها [1] واخباره في العلم ومحاضرات العلماء كثيرة

ولما افضت الخلافة الى ابنه (المأمون) اقتدى بابيه أو اربى عليه ،
فطارت شهرته في العلم والفلسفة ، الى أن حظي بقربه أحمد بن ابي دؤاد [2]
وكان ابتداء اتصاله به انه قال : كنت احضر مجلس القاضي يحيى بن اكثم
مع الفقهاء ، فاني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون ، فقال له : يقول لك
أمير المؤمنين انتقل الينا وجميع من معك من اصحابك ، فلم يحب أن أحضر
معه ، ولم يستطع ان يؤخرني ، فحضرت مع القوم ، وتكلمنا بحضرة المأمون
فأقبل المأمون ينظر اليّ اذا شرعت في الكلام، ويتفهم ما أقول ويستحسنه،
ثم قال لي: من تكون؟ فانتسبت له، فقال: ما أخرك عنا؟ فكرهت ان احيل
على يحيى فقلت : حبسة القدر وبلوغ الكتاب اجله ، فقال لا اعلمن ما كان
لنا من مجلس الا حضرته فقلت : نعم يا أمير المؤمنين

(١) عن كتاب حضارة الاسلام

(٢) بضم الدال وفتح الهمزة الممدودة بعده ، على وزن فؤاد

وقيل: قدم يحيى بن اكثم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون آخر سنة (٢٠٢) وهو حدث سنه نيف وعشرون سنة ، فاستصحب جماعة من اهل العلم والمروآت ، منهم ابن أبي دؤاد ، فلما قدم المأمون بغداد في سنة (٢٠٤) قال ليحيى : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول الي، فاختار منهم عشرين فيهم ابن ابي دؤاد. ثم قال : اختر منهم، فاختار خمسة فيهم ابن ابي دؤاد ، واتصل امره ، واسند المأمون وصيته عند الموت الى اخيه (المعتصم) وقال فيها : « وابو عبد الله ابن ابي دؤاد لا يفارقك، أشركه في المشورة في كل امرك ، فانه موضع ذلك

ولما ولي (المعتصم) الخلافة ، جعل احمد بن ابي دؤاد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن اكثم وخص به احمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهراً الا برأيه

وكان ابو العيناء يقول [1]: ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من ابن ابي دؤاد، وكان اخذ عن واصل بن عطاء مسائل الكلام حتى تضلع من الكلام ، واصبح داعية اليه ، فلما اتصل بالمأمون دس له القول بخلق القرآن ، وحسنه عنده ، وصيره يعتقده حقا مبينا ، الى أن أجمع رأي المأمون في سنة (٢١٨) على الدعاء اليه ، فكتب الى نائبه على بغداد اسحق ابن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا يقول فيه :

« وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم، والسواد الاكبر»

« من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا روية ، ولا استضاء»

(١) عن تاريخ ابن خلكان

« بنور العلم وبرهانه ، أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة »
« دينه ، وقصور ان يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا »
« بينه وبين خلقه ، وبين ما انزل من القرآن ، فاطبقوا على انه قديم لم »
« يخلقه الله ويخترعه ، وقد قال تعالى « انا جعلناه قرآنا عربيا » فكل ما »
« جعله فقد خلقه [1] كما قال: « وجعل الظلمات والنور » وقال « نقص »
« عليك من أنباء ماقد سبق » فاخبر انه قصص لامور احدثه بعدها ، »
« وقال « احكمت آياته ثم فصلت ، والله محكم آياته ومفصله ، فهو خالقه »
« ومبتدعه ، ثم انتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وان من »
« سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال ، حتى »
« مال قوم من أهل السمت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، الى موافقتهم ، »
« فنزعوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا من دون الله وليجة الى ضلالهم »

الى أن قال

« فرأى أمير المؤمنين ان اولئك شر الامة ، المنقوصون من التوحيد حظا ، أوعية الجهالة ، واعلام الكذب ، ولسان ابليس الناطق في

---

(١) التفريع بالكلية انما يصح في مادة جعل بمعنى خلق كآية « وجعل لكم السمع والابصار - وجعل الظلمات والنور » لا في جعل بمعنى صير ، ففرق بين المعنيين الخلق والتصيير ، فكما ورد في التنزيل جعل بمعنى خلق ، فقد ورد بمعنى صير ، ومنه آية « انا جعلناه قرآنا عربيا » اي صيره قرآنا عربيا وأنزله بلغة العرب ولسانها ، ولم يصيره أعجميا فينزله بلغة العجم ومنه آيات « ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض - وجاعلوه من المرسلين - جعله دكا - ربنا واجعلنا مسلمين لك - رب اجعل هذا البلد آمنا » وامثالها مما الجعل فيه بمعنى التصيير البتة . وليس كتابنا هذا للمناقشة والتمحيص ، فلا نطيل بذلك

أوليائه ، والهائل على اعدائه ، من أهل دين الله . واحق ان يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق به من عمي عن رشده وحظه من الايمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير المؤمنين أن أكذب الناس من كذب على الله ووحيه ، وتخرص الباطل ، ولم يعرف الله حق معرفته ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتحنهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله واحداثه ، وأعلمهم اني غير مستعين في عمل ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فاذا اقروا بذلك ووافقوا فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب لنا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم والامر لهم بمثل ذلك »

هذه صورة كتاب المأمون في المحنة ، وقد ذيله باشخاص كبار فقهاء بغداد وائمة الاثر والرواية ، وتم الامر بالمحنة التي طار شررها وطال ضررها ، واشتهر من بين رجالها (الامام احمد بن حنبل) رحمه الله ورضي عنه ، ولها في التاريخ ذيل طويل ، وممن استوفى اطرافها التاج السبكي في طبقاته ، فليرجع اليها المستزيد

ثم موضع الغرابة من كتاب المأمون ، هو حمل الناس على غير ما يعتقدون ، واكراههم على امر لم تمض به سنة ، ولم يجدوا فيه برهانا من أنفسهم ، مع أن الاكراه على أصل الأصول ، ومابه العصمة والنجاة ، — وهو الدين الخالص — قد اباه الشرع ونهى عنه في غير ما موضع من التنزيل الكريم ، كآية «لا اكراه في الدين» واية «أفأنت تكره الناس

حتى يكونوا مؤمنين» وآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن سكرة الدولة، وانقلاب الرأي عقيدة بالتسليم والتقليد، وعظم الطول والقدرة، كل ذلك يحول دون الانصاف والاعتدال غالبا

وقد يظن ان ما اذاقه المأمون من الاضطهاد لرجال محنته، كان باعثه ما اشار اليه في رسالته من نبز من اضطهدهم لجماعته بالكفر والضلال، واشاعتهم ذلك بين العامة، اذ قال في رسالته المتقدمة اعذاراً لمن يلم به الملام «ثم انتسبوا الى السنة، وانهم أهل الحق والجماعة، وأن من سواهم اهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال» وجلي انه لا يطيق الصبر على هذا فئة رأسهم في هذا المعتقد الخليفة فقضاته ووزراؤه

ثم قد يمكن ان يكون ذلك من بواعثه، وقد يكون انتقاما من اضطهاد سابق، ومقابلته بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره، اذ كان للاثرية دولة في عهد الامويين وصدراً من الخلافة العباسية، وكانت اقوالهم في تكفير مخالفيهم من الجهمية، ورميهم بالزندقة، وهدر دمهم، تغري بهم، وتُحفظ الامراء عليهم، وتستفز ذوي البطش منهم على الايقاع بهم، كما يدري ذلك من سبر أقوالهم في الجهمية، ولم يكن قتل الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي، بل ومثل محمد بن سعيد الشامي المصلوب[1] الا من جراء مقالاتهم فيهم، والتاريخ ابو العجب

وقد كان بدء المحنة بالقول بخلق القرآن سنة (٢١٨) الى ان افضت

---

(١) اتهموه بالزندقة، واغروا به ابا جعفر المنصور، فصلبه، مع ان غاية ما رمي به انه كان يضع الحديث، ومع ذلك فقد روى عنه الثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والمحاربي وآخرون، وقد غيروا اسمه على وجوه ستراً له. انظر بسط ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي

الخلافة الى المتوكل . فأمر سنة (٢٣٤) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ماعليه الناس في ايام المعتصم والواثق من القول بخلق القرآن، وامر الناس بالتسليم والتقليد، وامر الشيوخ المحدثين باظهار السنة والجماعة. ولكل زمان دولة ورجال .

قال نابغة البلغاء ابو بكر الخوارزمي في احدى رسائلة : ليس من فرق الاسلام فرقة ، الاوقد هبت لاهلها رويحة ، ودلت لها دولة ، كما اتفق المختار بن عبيد الله للكيسانية ، ويزيد بن الوليد للغيلانية ، وابراهيم ابن عبيد الله للزيدية، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتصم والواثق للمعتزلة، والمتوكل للنواصب والحشوية إه

(٦) اول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية

قال السفاريني في شرح عقيدته : معظم خلافيات علم الكلام مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة ، لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف، لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم . فأول من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة ابو حذيفة واصل بن عطاء ، وهو رئيس المعتزلة واول من سمي معتزليا، وله من التصانيف كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الخطب في العدل والتوحيد، وكتاب السبيل الى معرفة الحق، وكتاب معاني القرآن، وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب التوبة ، وله غير ذلك ، وكانت ولادته سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٣١)

قال ابن خلكان : كان واصل احد الائمة البلغاء المتكلمين وكان في ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، — كما حكاه الشهرستاني

ومثله في السبق الى التصنيف في ذلك عمرو بن عبيد — من كبار ائمة المعتزلة له كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة توفي سنة (١٤٣) قال الذهبي في الميزان : كان المنصور — الخليفة الشهير — يخضع لزهد عمرو وعبادته ويقول : كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

* *

(٧) تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك

قال الشهرستاني :المعتزلة يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية : وذلك لاسنادهم افعال العباد لقدرهم وانكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي القدريين

وقال ابو منصور البغدادي في كتاب (الفرق) في تعداد المسائل التي اتفق عليها القدرية المعتزلة : ومنها قولهم جميعا بان الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، وان الناس هم الذين يقدرون اكسابهم ، وانه ليس لله تعالى في اكسابهم صنع ولا تقدير ، ولاجل هذا سماهم أهل السنة قدرية اه

وقال ابن الاثير : سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه . وقد قالوا لمخالفيهم انتم الأولى بتسمية القدرية ، لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله ، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافيه ، فاجابهم المثبتون بان مثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه اه

وقال الامام ابن تيمية: في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، واصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله ، و الايمان بامره ونهيه، ووعده ووعيده ، وظنوا ان ذلك ممتنع ، وكانوا قد آمنوا بدين

الله وامره ونهيه. ووعده ووعيده، وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي ، لانهم ظنوا ان من علم ماسيكون ، لم يحسن منه ان يأمر وهو يعلم ان المأمور يعصيه ولايطيعه ، وظنو أيضاً انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن ان يخلق من يعلم انه يفسد ، فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة انكروا انكاراً عظيما وتبرؤا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر : اخبر اولئك اني بريئ منهم وانهم مني براء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو ان لأحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر .وذكر عن ابيه حديث جبريل، وهذا اول حديث في صحيح مسلم ، وقد اخرجه البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة أيضا مختصراً

ثم كثر الخوض في القدر ، وكان اكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة . فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم ، وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد، فصاروا في ذلك حزبين، النفاة يقولون : لا ارادة الا بمعنى المشيئة ، وهو لم يرد الا ما امر به ، ولم يخلق شيئا من افعال العباد . وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله ، فقالوا : ليست الارادة الا بمعنى المشيئة ، والامر والنهي لايستلزم ارادة ، وقالوا : العبد لافعل له البتة ولاقدرة ، بل الله هو الفاعل القادر فقط . وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات إه

(لها بقية)

بيان للامة العربية من حزب اللامركزية (*)

من المعلوم أن الامة العربية المستظلة براية الهلال العثماني من أخلص الامم للدولة العلية وأشدها استمساكا بعروة الجامعة العثمانية وقد مضت على هذه الامة قرون عانت فيها ضروباً من المحن والمصائب بسبب الادارة السيئة التي أنتجها الحكم المطلق في المملكة العثمانية وهي صابرة على ذلك بحكم الجهل الذي كان مخيما عليها وعلى كل الشعوب العثمانية وراضية بما يصيبها من الجور رغبة في بقاء الرابطة التي تربط الشعوب العثمانية بالدولة العلية وتقيها شر التفرق المفضي الى ضياع المملكة واقتسامها بين الطامعين فيها من دول الاستعمار

صبرت الشعوب العربية العثمانية على ذلك طويلا وللصبر حد ينتهى اليه. ولما رأت هذه الشعوب أن الالتجاء الى رابطة عامة قد دخلها الوهن ، والسكوت على مرض بلغ حد الاعضال ليس من الاخلاص للدولة التي يودون بقاءها في شيء ، وان الاخطار التي ألمت بالمملكة فذهبت بقسم عظيم منها بسبب سوء الادارة وفساد الحكم تهددهم بمثل ما أصاب غيرهم لامحالة — هب عقلاؤهم والمفكرون فيهم الى البحث عن أقرب الطرق المؤدية الى السلامة، فصاح بهم اليأس ينذرهم فوات الوقت ودنو ساعة الخطر ، فلم يجد الى ذلو بهم منفذاً ، بل رأوا ان اليأس استسلام للهلاك فنبذوه، نظروا فرأوا ان أدواء الوطن والامة كثيرة ترجع كلها الى أمر واحد هو شكل الادارة التي تدار بها المملكة ، ذلك الشكل الذي مضى عليه مئات من السنين لم يخط فيها بالامة والدولة الى الامام بينما الممالك الاخرى تسير في طرق الترقي والمدنية سير السابق المجد ، بل أصبحت المملكة العثمانية في أخريات الممالك ثروة وقوة وعمراناً ، بل هي لا تكاد تكون بالنسبة الى أصغر الممالك الاوربية شيئاً مذكورا

ذلك بأنه مامن ولاية من ولاياتها تستطيع أن تعمل لنفسها بنفسها عملا نافعاً لها موجبا لعمرانها ، جالبا لثروتها ، فتمهيد الطرق واقامة القناطر والجسور ومد السكك الحديدية وتجفيف المستنقعات واستخراج المعادن وتسيير مركبات الترام وتنوير المدن بالكهرباء أو غيرها وتأليف الشركات واستثمارها المرافق البلاد ونشر التعليم وانشاء المدارس وما شابه ذلك من أسباب الارتقاء والثروة والعمران

(*) نشر حزب اللامركزية هذا البيان بالتاريخ الذي يراه القراء في آخره وسنتكلم عنه في موضع آخر

- كله منوط بعاصمة الملك متوقف على اذن المركز وارادته ان شاء أعطى وان شاء منع .

وها نحن أولاء نرى معظم الولايات العثمانية بل كلها مملوءة بكنوز الطبيعة ومعادن الارض ، ولم نر ولاية من هذه الولايات انتفعت يوماً من هذه الكنوز المدفونة على كثرتها ، مع انها مورد رزق عظيم للحكومة ولاهل الولايات لو كانت تعمل فيها أيدي الشركات اليوم ، وهيهات أن يكون ذلك مادام أهل البلاد ليس لهم من أمر مرافق بلادهم شيء . وما دامت الحكومة المركزية هي المتصرفة بكل شيء

زد على هذا ان عدم كفاءة الموظفين الذين يقذف بهم المركز الى الولايات وجهلهم بكيفية تطبيق القوانين وعادات البلاد ولغاتها وحاجاتها قد أوجد اضطراباً وتشويشاً في ادارة الامور في كل ولاية ، فأساء سمعة الحكومة العثمانية حتى أحجمت كل شركة وطنية أوشبه شركة وطنية عن استثمار خيرات البلاد أو عمل أي عمل نافع لها ، فصار الاهلون عالة على الاجانب الذين تحتكر شركاتهم منافع البلاد وعالة على الحكومة التي لا تفتح لهم أبواب موارد الرزق الاقتدار ، وفقدت منهم مزايا الجماعات الانسانية كالاعتماد على النفس والتعاون على المشاريع النافعة والنظر في وسائل عمران الوطن ، بل لايكاد يوجد أثر من روح الاستقلال الشخصي في نفوس أفراد العثمانيين فهم ينتظرون من حكومتهم أن تفتح لهم المدارس للتعليم وتنشيء الملاجيء للفقراء ، وتدفعهم الى كل عمل من أعمال الحياة ، وما ظنك بأسرة نشأت وهي عالة على ربها لا تطرق باباً من أبواب العمل ولا تألف التمرن على أي سبب من أسباب الحياة ، ماظنك بهذه الاسرة اذا فقد يوماً صاحبها عن العمل واستسلم لعوامل الضعف ؟ ألا تصبح عرضة للفاقة وتصير الى الهلاك المحتم ؟!

ان حال الامة العثمانية اليوم يشبه حال هذه الاسرة لاعتمادها في كل شيء على الحكومة المركزية وفقدانها روح التضامن وروح الاستقلال الشخصي ، ولعموم الجهل بين اكثر الطبقات فيها لانها لا تملك لنفسها حتى ولا شؤون التعليم فضلا عن باقي شؤون الحياة .

هذا ما فكر فيه عقلاء العرب وخشوا بعده من سوء مصير قومهم اذا استمر شكل الادارة في الحكومة على ما كان عليه من استئثار المركز بالسلطة على كل شيء ، وبهذا ثبت لديهم أن الضعف الذي اعتور الدولة وسرى الى سائر أجزاء المملكة لا يمكن تلافيه اذا أريد بقاء الدولة وسلامة استقلالها إلا بأن يناط بأهل كل ولاية النظر في شؤونها الادارية والتعليمية ، أي بأن يكون لها نوع من الحكم الذاتي الموجود في كل الممالك الراقية اليوم في أوربا وأميركا المعروف باسم

(Decentralisation Administratire) أي اللامركزية الادارية ، الذي يود رجال حكومتنا أن يسموه توزيع السلطة أو توسيع المأذونية . وعلى هذا المبدإ ولاجل نجاة الوطن والدولة تأسس في مصر حزب اللامركزية الادارية العثماني لا لمصلحة الشعوب العربية وحدها بل لمصلحة الدولة نفسها ؛ لان كل ارتقاء وغنى وقوة تنالها الشعوب العثمانية انما هو ارتقاء وغنى وقوة للدولة . وهل للدولة قيام أو وجود الا بمجموعة هذه الاجزاء التي تتألف منها المملكة فذاتقويت قويت الدولة والعكس بالعكس ؟

ولقد تلقت الامة العربية وعقلاؤها والخاصون من أبنائها في كل ولاية نبأ تكوّن هذا الحزب بكل ارتياح وسرور ، لانهم شاعرون كشعور المؤسسين لهذا الحزب بالخطر المحدق بالاوطان وبالحاجة الى التمسك بأسباب الترقي الصحيح والنهوض السريع وانا صرنا من الحرج الى حالة لامخلص لنا منها ولا للدولة التي نود بقاءها وسلامتها لبقائنا وسلامتنا الا بانتهاج أقرب الطرق المؤدية للسلامة ، ألا وهو مشاركة الشعب للحكومة في ادارة شؤون البلاد والتوفر على عمرانها وارتقاء أهلها .

لم يشذ عن مشاركتنا بهذا الشعور بفضل الله الا أفراد من عباد المنفعة في الامة العربية وآخرون يقادون الى مفتريات هؤلاء مكرهين بزمام الحاجة اليهم ، أو التقليد لهم على غير علم ، وهؤلاء متى حصحص لهم الحق كانوا اليه أميل ، وبأنصاره ألزم ، واذن لا يكون هناك أدنى ريب في أن سواد الامة العربية الاعظم وعقلاءها وذوي الرأي فيها مجمعون على استحسان مبدإ اللامركزية واثقون بأنه خير وسيلة للنجاة والنجاح ، وهذه حقيقة وان عرفتها الحكومة المركزية تحاول أن تجاهلها ولا تعطي الامة العربية ماتريده لاجل حياتها ولاجل دولتها أيضاً

إننا لايجوز لنا أن نرتاب في نية الحكومة ومقاصدها اذا أقامت الدستور ، اذ ما من حكومة دستورية في العالم تأبى ترقي الشعب وراحته ، انما نرتاب في فهم هيئتها الحاضرة معنى اللامركزية التي ينشدها طلاب الاصلاح ومقدار اخلاص هؤلاء لدولتهم ووطنهم ؛ مع أننا أثبتنا للحكومة أننا لسنا طلاب عنت بل طلاب اصلاح ؛ بأن رضينا منها بدون ماهو وارد في برنامج حزبنا تمهيداً لسبيل الوفاق الدائم بين الحكومة والشعب العربي الذي كلما برهنت الحكومة على الثقة به وتوطين العزيمة على اصلاح حاله زادها اخلاصاً ، وازداد باخوانه الاتراك ثقة ؛ والى دوام مشاركتهم في السراء والضراء ميلا

رضينا منها بدون ما هو طلبتنا من الاصلاح على قواعد برنامجنا ولكنها ويا للاسف لم ترض حتى بما هو دون المطلوب لنا ، ولم تف بما وعدت به خلص

الامة العربية وعقلاءها الذين نابوا عنها في المؤتمر العربي. اذ هذا المؤتمر كما تعلم الامة العربية الكريمة عقد في باريس باسمها ، وكانت مباحثه دائرة على منافع اللامركزية الادارية وطلبها للبلاد العربية . واذ كان المؤتمرون فيه يمثلون معظم الجمعيات العربية والشعب العربي الكريم فقد أوفدت جمعية الاتحاد والترقي التركية التي هي حزب الحكومة اليوم المتكلم بلسانها مندوباً من قبلها للاتفاق مع أعضاء المؤتمر على مواد اصلاحية سبق الاتفاق عليها بين الشبيبة العربية وبين مركز الجمعية في الاستانة تمهيدا لعرضه على المؤتمر ، ورأى المؤتمرون أن يبرهنوا للحكومة وللعالم أجمع على أنهم انما يريدون الاصلاح ولو أتى تدريجاً ، وأن من الاخلاص لدولتهم أن لا يكون على عملهم مسحة من الجفاء ، وأن يقبلوا بمواد الاتفاقية مع بعض التحوير اذا وعدت الحكومة بقبولها وسرعة تنفيذها . ثم وعدت الحكومة بقبولها الا أنها لما أعلنت بيانها في الاصلاح جاء مخالفاً لنص الاتفاقية من بعض الوجوه وفيه تغيير ظاهر . ولما صدرت الارادة السنية على بيان الحكومة رأينا نص البيان قد تغير أيضاً ،

ولكي يرى أبناء الامة العربية الكرام الفرق بين برنامج حزب اللامركزية وما رضينا به دونه في اتفاقية باريس ، ثم بيان الحكومة لقرار مجلس الوكلاء المنافي لجوهر الاتفاقية ، ثم القرار الذي صدرت عليه الارادة السنية ومباينته للقرار الاصلي - نأتي في هذا البيان على نصوصها جميعاً لمقارنة بعضها ببعض ووقوف الشعب العربي الكريم على ما بينها من المباينة ، وانا مع رضانا بالقليل لم نحصل عليه

. . . .

(وههنا نشر في البيان برنامج حزب اللامركزية . ثم الاتفاق الذي صدق عليه مؤتمر باريس ثم بيان الحكومة بما قررت قبوله من الاتفاقية ، ثم ترجمة الارادة السنية بتنفيذ ذلك - وكل هذا قد نشرناه في المنار من قبل، ثم عقب البيان على ذلك بما يأتي)

﴿ المقابلة بين برنامج الحزب واتفاقية باريس وماقررته الحكومة ﴾

بالمقابلة بين برنامج الحزب والاتفاق الذي صادق عليه مؤتمر باريس يرى القارىء الكريم الفرق العظيم بينهما ، فالبرنامج يتضمن طلب اللامركزية الادارية بكل معانيها والاتفاق ليس فيه الا شيء قليل غامض من مطالب اللامركزية ومع هذا رضي المؤتمر بمضمون هذا الاتفاق بانيا ذلك على حسن نية الحكومة وعزمها الاكيد على اجراء الاصلاح على قواعد اللامركزية بالتدريج ، فكان من الواجب أن تثبت الحكومة حسن نيتها للامة العربية بالمبادرة بتنفيذ مواد الاتفاق لنتأكد الثقة

بينهما ويتعاونا على ترقية البلاد واحياء قوة الدولة التي كاد يعروها الدثور بسبب الادارة السيئة

ولكن الحكومة لم تفعل ذلك بل أصدرت بيانها الذي رآه القراء الكرام وهو يباين ذلك الاتفاق من وجوه كثيرة. منها ان ذلك البيان يقول في المادة الرابعة « ان التعليم في الولايات العربية يكون في المدارس الابتدائية والاعدادية باللغة العربية » ولكنه نفى ذلك في المادة الخامسة أو الفقرة الثانية من المادة الرابعة بقوله : « ولاجل تعميم اللسان الرسمي يجب المحافظة على المدارس الاعدادية في مراكز الولايات ودوام التدريس فيها باللغة التركية »

ومنها ان البيان المذكور لم يترك للولايات سوى تعيين الموظفين الصغار واشترط معرفتهم التركية مع العربية بحجة انها اللغة الرسمية مع ان اتفاقية باريس تقضي بأن جميع موظفي البلاد العربية يعينون فيها ماعدا الرؤساء الذين يعينون بارادة سنية ، وأن يقبل مبدئيا أن تكون المعاملات الرسمية في البلاد العربية باللسان العربي فيتيسر أن يكون أولئك الموظفون من أهل الولايات نفسها وفي هذا التعديل الذي جاء في البيان حرمان اهل الولايات العربية حتى من الوظائف الصغيرة كالتسويد وكتابة المحاضر ، وفيه من الضرر على صغار المأمورين مافيه لان معظمهم يجهلون اللغة التركية فاشتراط معرفتهم بها بمثل هذا القيد القانوني يوجب طرد الالوف منهم طرداً من وظائفهم الحالية باسم القانون بدلا من فتح الباب لغيرهم في خدمة حكومتهم المحلية

ومنها ان اتفاقية باريس تقول بلزوم ترك أمور النافعة للادارة المحلية وهذا البيان لم يتعرض البتة لهذا الامر مع ان ترك الامور النافعة للولاية واعتبار اللغة المحلية لغة المعاملات الرسمية من أهم ماتعلق عليه آمال المصلحين في اصلاح ادارة البلاد بيد أهلها والاعتماد في ترقيتها على أبنائها

ومنها أن اتفاقية باريس نصت على أن يعطى مقدار من المال لسد عجز الدوائر التي تترك ادارتها للولايات (ويراد بها بالضرورة المعارف والنافعة) ويعطى غير ذلك نصف رسوم العقارات على أن يصرف للمعارف ولكن المادة التي جاءت في بيان الحكومة بخصوص مالية الولاية لم تصرح بذلك بل هي غامضة كما يرى القراء الكرام

أما مايتعلق بالمناصب والوظائف التي تقرر أن تعطى للعرب في الاتفاق المكتوب والاتفاق اللساني المفصل له فنترك الكلام عليه لانه في نظر حزبنا أمر ثانوي يراد منه الثقة بتنفيذ تلك المراد على وجهها . على ان هذا البيان على نقصه وغموضه ومباينته لاتفاقية باريس وعدم الاشارة فيه الى ماورد فيها أيضاً من اعتبار قرارات

المجالس العمومية نافذة فانه طرأ عليه نقص آخر لما صدرت الارادة السنية بتنفيذه كما يعلم ذلك من مقابلتهما ولا حاجة للبيان

وهذا كله يدل على ان الحكومة لم تستعمل الصراحة في رفض أو قبول مطالب المصلحين فكان ذلك داعية الريب فيما تعد به من الاصلاح، ولهذا عدلت اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر عما كانت قررته عند ما أذيع خبر قبول الحكومة لمطالب العرب وهي أن ترسل وفدا الى الاستانة لشكر الحكومة على ما أظهرته من الميل لاجابة مطالب المصلحين فقد كانت رفعت شكرها ببرقية الى الصدارة معربة عن استبشارها بعصر ترق جديد تدخل فيه الامة العثمانية، وعصر وئام يكون فاتحة خير وسعادة على العنصرين الكريمين الترك والعرب العثمانيين ، وكتبت بغرضها من ارسال الوفد الى أحد أركان الدولة منتظرة رأيه في الامر ، وفي أثناء ذلك أعلن بيان الحكومة فاذا هو كما قدمنا مباين لاتفاقية باريس ، ولا يختلف عن قانون الولايات الا بشيء طفيف ، فأحزن ذلك الذين كانوا مستبشرين بحسن نية الحكومة من الشعب العربي ، وأوجب عدول اللجنة العليا عن ارسال الوفد ، وكتبت ببيان السبب الى أحد أركان الدولة الذي كانت كتبت اليه قبل ذلك. ومما جاء في آخر كتابها الذي أرسل باسمها من رئيس اللجنة العليا قوله :

« ولما جاءت التلغرافات العمومية مبشرة بتصديق الحكومة على الاتفاقية التي تمت مع العرب رأينا أن نبرهن للحكومة على اخلاصنا وحسن نيتنا وعلى شكرنا العظيم فقدمت تلغرافاً بالنيابة عن اللجنة للصدارة أعرب فيه عن شكرها وآمل أن نكون دخلنا في عصر جديد من عصور الاصلاح الحقيقي وذكرت فيه ان حزبنا سيوفد وفداً خاصا لتقديم الشكر للحكومة. و رغماً عن تكذيب مركز الاتحاد والترقي لخبر هذا الاتفاق بصورة مهينة لطلاب الاصلاح كما رأيتم ذلك بالضرورة في جريدة طنين فان اللجنة كانت باقية على هذا العزم لاعتبارها ان الحقائق هي التي تنشد لا الالفاظ وان ما صار الاتفاق عليه في باريس والاستانة مع أبناء العرب وان كان دون ما في بروغرام حزب اللامركزية الا انه يكفي للدلالة على حسن التفاهم مع الحكومة والسير في سبيل الاصلاح ولو بالتدريج ، وليس لنا غاية من وراء ذلك كما يشهد الله . ولكن الحكومة ببيانها الاخير شوهت مواد تلك الاتفاقية تشويها ولم ترض بذلك القليل الذي رضينا به فأدخلت اليأس من جديد في نفوس أعضاء حزبنا ونفوس الامة العربية جمعاء فرأت اللجنة أن تؤخر الآن ارسال الوفد وأن تخاطبكم بصفتكم من شهود ذلك الاتفاق في باريس بما عولت عليه ، وهو انها توقف ارسال الوفد على أحد أمرين : إما رضاء الحكومة بالاتفاقية

المذكورة وتطبيقها بالحرف . واما أن تودع مسئلة اللامركزية برمتها الى رأي الامة بأن تصادق على بروغرام حزبنا لنسير في تأييد مبدئه بالطرق القانونية التي تسير فيها الاحزاب عامة في كل مملكة دستورية فاذا كانت البلاد مستعدة لهذا النوع من الحكم ثبت مبدأنا ونفذ بالتدريج . واذا كان غير ذلك نكون قمنا بالواجب الذي تدعونا اليه ضمائرنا ونعتقد انه محتم علينا بازاء دولتنا ووطننا . واذا كانت الحكومة لاترى هذا ولا ذاك ولا توافق على الاتفاقية ولا تقبل الاعتراف بهذا الحزب فقد عولنا معتمدين على الله وحسن النية والاخلاص لهذا الوطن ومعونة الامة العربية وأهل الرأي فيها على المضي في الوجهة التي رسمناها لا نفسنا لاجل سعادة الاوطان وسلامتها وسلامة الدولة أيضاً ونترك تقدير النتائج المترتبة على ذلك الى ضمائر القابضين على زمام الامر اليوم » الخ

***

فهذا الكتاب وما قبله من البيانات الواضحة يثبت لابناء الامة العربية الكريمة اننا لم نأل جهداً في تحقيق رغباتها وتأييد مطالبها في اصلاح الوطن وترقيه وسعادته وان رائدنا الاخلاص لدولتنا ووطننا ، وانما هذا الاخلاص لايمنعنا اذا رأينا اصراراً من الحكومة على رأيها القديم في الامة العربية ومطلاً وتسويفاً في اجابة مطالبها ان نتخذ خطة العزم والحزم والثبات امام كل الموانع التي تحول دون تحقيق آمالنا في ترقي بلادنا واسعاد أهلها وجعلهم قوة ذات حياة وحركة ، متضامنين في العمل على صيانة الوطن وسلامة العنصر العربي الكريم من الاخطار الحائقة به ، خصوصاً في هذا العصر الذي اشتد فيه التنافس بين الامم في مضمار تنازع البقاء ، وأصبحت كل العناصر العثمانية عرضة لفقد الاستقلال والموت الشائن المهين ، موت الخمود والخمول ، اذا استمرت عالة على الحكومة في كل شيء فاقدة كل وسائل الارتقاء والكمال والاعتماد على النفس

وانما نعتمد في هذا التضامن الداعي لنجاة الوطن ونجاة الامة من الاضمحلال على ذكاء العنصر العربي الكريم وكفاءة أبنائه واستعدادهم وعلى النية الخالصة لله وللوطن والدولة ، ونرجو أن يؤازرنا على سعينا هذا كل من أظلته سماء البلاد العربية لنثبت للعالم أجمع أن الامة العربية التي قوي الزمان على محو معظم الأمم القديمة لم يقو على محوها ، وان الامة التي استمد منها العالم القديم روح المدنية والتشريع منذ ستة آلاف سنة أي من عصر حمورابي وكان العالم الجديد مديناً في مدنيته لها من الف سنة أي من عصر الرشيد والمأمون وما بعدهما لا يجوز العدل والانسانية أن تسحق بأقدام الطامعين والسياسيين . وان الاوطان التي أنبتت

حمورابي أول واضع للشرائع المدنية وأخرجت مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام الذين قلبوا نظام العالم الانساني وأخرجوه من ظلمات الوثنية والرذائل الى نور التوحيد والفضائل، لا يجوز أن تكون أوطاناً لغير أهلها النابتين من ترابها والناشئين فيها مادام في صدورهم نفس يتردد و يدل على الحركة والحياة

* *

لايوجد فيما نعلم عربي مخلص تظله راية الهلال العثماني الا و يريد البقاء للدولة والحياة مع اخوانه الاتراك تحت راية واحدة هي راية الهلال ، ليكونوا قوة له وهو يكون قوة لهم وكلاهما قوة للدولة، كما انه لايوجد عربي يعقل معنى الحياة والوجود يرضى أن يكون مكانه من هذه الدولة مكان العبد المملوك من المالك . والمسود من السيد ، ولا مكان الاجنبي من الفاتح المستعمر، بل يطلب كل عربي يعقل معنى الحياة أن يكون مكانه من التركي في هذه المملكة مكان الاخ الشقيق من أخيه الشقيق ، لايمتاز أحدهما عن الآخر بحق شرعي ولا قانوني، وانما يتفاضل افراد كل من الشعبين بعلومهم وأعمالهم. و يعتقد عقلاء العرب ان بقاء الدولة بدون هذه المساواة مؤلفة من هذين العنصرين محال ، واذا هما افترقا — لاقدر الله — فالله وحده هو العليم بالمآل

فاذا كان اخواننا هؤلاء لايريدون أن يفهموا هذه الحقيقة - وإن أودوا بنا و بأنفسهم فنبذوا الجميع في هاوية الدمار - فان الشعب العربي قد عرفها ، وهو يريد الحياة ويجاهد في سبيلها ، بمنتهى ماعنده من القوة والجلد والحزم ، فمن العبث أو من الخطأ الموجب لتنافر القلوب وتجافيها أن يحال بينه و بين الاصلاح الذي يطلبه لنفسه ولاوطانه ، والقوة التي ينشدها لحفظ كيانه ، و بقاء الدولة التي يحترم وجودها و يود بقاءها، ولكن بقاء عزيزاً شريفاً نافعاً للامة العربية لاضاراً بها قاضيا على وجودها

و بما ان الواسطة لترقي هذه الامة وسلامتها هو أن يكون لها حق الاشراف على مرافق بلادها، وحق المشاركة في ادارة مصالحها، وحق التعليم والتعامل بلغتها ، وهذا لا يتأتى بغير الادارة اللامركزية فقد رأى عقلاؤها والمفكرون فيها وجوب السعي لنيل هذا النوع من الادارة بكل الوسائل الممكنة . و بما انه ما من عاقل من ابناء العرب يطلب شيئا فوق اللامركزية الادارية التي تضمن له الحكم الذاتي من جهة و بقاء الرابطة السياسية بالدولة العثمانية من جهة أخرى — بناء على ذلك كله — تدعو اللجنة العليا لحزب اللامركزية كل الجمعيات العربية وكل العقلاء من افراد هذه الامة الكريمة الى توحيد الكلمة والوجهة والغاية ومؤازرتها فيما تدعو اليه من المطالب العامة الموافقة لمصلحة الجميع ، ومتى نلنا هذه الاصول العامة تبعها بالسهولة ما يطلبه بعضهم لبعض الولايات خاصة ، على ان انصارها والقائلين

بصحة مبدئها في سائر انحاء البلاد العربية كثيرون ولله الحمد، بل هم جماهير أهل الرأي والغيرة والاخلاص ، لا كما يغش رجال الدولة طلاب المنافع والمناصب بالتملق والدهان ، وستعلم حكومتنا ان الامة العربية متحدة متكافلة ، تردد صوت طلاب الاصلاح اللامركزي في كل مكان، وعسى ان تقنع بالآية التي تراها اليوم فلا تحتاج الى ما هو اكبر منها من الآيات .

(مظاهرة العرب السلمية اليوم)

في هذا اليوم الذي يصدر فيه هذا المنشور ترى حكومتنا العليا في الآستانة آية من آيات صدقنا ونصحنا واخلاصنا لها — في هذا اليوم تهتز أسلاك البرق وتنبض عروقه بين عاصمة الدولة وجميع الولايات العربية العثمانية والجاليات العربية العثمانية في الممالك الاجنبية ، فتشعر حكومة العاصمة بما تنبض به قلوب العرب العثمانيين في مشارق الارض ومغاربها ، في هذا اليوم تستوي الشمس على كرسيها من القبة الزرقاء - وفخامة الصدر الاعظم مستو على كرسيه في الباب العالي، ووفود طلاب اللامركزية من العرب واقفون في ادارات البرق (التلغراف) في سورية وفلسطين والجزيرة والعراق وفي أوربا وأمريكا يخاطبون فخامته بما نصه العربي (بعد عنوان الخطاب) :

« قد برهنت الامة العربية باقوالها وأفعالها ، ومسلك أحزابها وجمعياتها وصحفها ، على شدة اخلاصها لدولتها ، وحرصها على سلامة السلطنة العثمانية كلها ، واتفاق شعوبها على عمرانها وترقيتها. وقد ثبت لها بالبرهان ان ذلك لا يتحقق ولا تبقى الدولة وتحيا الا بالادارة اللامركزية الواسعة التي يظهر بها استعداد كل شعب من شعوب الامة العثمانية فتتبارى في ميدان العلم والعمل. وقد سمعنا عن لسان مولانا السلطان الاعظم وأركان دولته ما يدل على الرغبة في اجابة الامة والعرب خاصة الى مطالبهم الاصلاحية ، فنحن لهذا نسترحم من مقام الصدارة العظمى اعلان وتنفيذ أحكام اللامركزية الادارية الواسعة في ولايتنا ، واعطاء الشعب حريته في هيئاته النيابية وامور المعارف والنافعة وجميع الشؤون الاقتصادية المحلية ، واعتبار اللغة المحلية لغة رسمية ، والامر لوليه

*

— وفي هذا اليوم ترفع اللجنة العليا لحزب اللامركزية الادارية العثماني برقية الى فخامة الصدر الاعظم تؤيد بها برقيات امتها الكريمة هذا نصها :

الاستانة - الصدارة العظمى

اليوم تظهر لكم الامة العربية رأيها وارادتها بالبرق من كل جهة ، وتطالبكم بلسان أهل الرأي فيها باعلان اللامركزية الادارية الواسعة في كل ولاياتها . فلجنة حزب اللامركزية بمصر تنهي الى فخامتكم انها تؤيد هذا الطلب الحق بكل قوتها ، راجية من حكمة حكومتكم إحلال رأي الامة الموافق للشرع والدستور محل الاعتبار والقبول

رئيس حزب اللامركزية بمصر
رفيق العظم

صفوة القول وخلاصته

ان الأمة العربية متفقة في جميع الولايات العثمانية على طلب الادارة اللامركزية الواسعة المبينة قواعدها الكلية في برنامج الحزب ، ويؤيد أهل الولايات في ذلك المهاجرون من اخوانهم العرب في مصر وأوربة وأمريكة . ولا ينافي اتفاقهم على القواعد العامة وتضامنهم وتكافلهم فيها بعض المطالب الخاصة ببعض الولايات كطلب جمعية بيروت الاصلاحية امورا مخالفة لبعض مطالب جمعية البصرة مثلا . فطلاب الاصلاح كلهم إلب واحد وكلمتهم واحدة ، والامة كلها معهم تشد أزرهم وتنبذ من يخالفهم نبذ النوى . ولا يمكن ان تسكن هذه الحركة ، وتسكت الاحزاب والجمعيات عن الصراخ أمام الأمة والحكومة ، بالتلهي ببعض قشور المطالب وماهو مطلوب منها في المرتبة الثانية ، أو ماهو منها بمنزلة الفروع من الاصول

اصول المطالب وما لا يعتد بغيره الا معه

الاصول الاساسية من مطالب العرب هي ما اشارت اليه برقية الامة وهذا تفصيله بالاختصار :

(١) حرية الشعب في هيآته النيابية . وأهمها حريته في انتخاب أعضاء مجالس الولايات العمومية ومجلس المبعوثين وغيرهما - وجعل جميع قرارات المجالس العمومية نافذة فيما هو داخل في اختصاصها وهو كل ما يتعلق بمصلحة الولايات التي لا تتعلق بالسياسة الخارجية ولا الحربية

(٢) حريته في أمور المعارف . وأهمها ان يكون التعليم كله باللغة العربية ، وان تناط ادارته بالمجالس المحلية

(٣) حريته في أمور النافعة والشؤون الاقتصادية بأن تكون جميع أعمالها بأيدي المجالس المحلية ، الا ما يتعلق بالسياسة الخارجية أو الحربية ، فللمجالس العمومية في هذا حق الرأي المحترم فقط ، وما حق التنفيذ فمن خصائص الحكومة العليا في العاصمة . وعلى كل حال لا يجوز اعطاء امتياز في الولاية بانشاء طريق

أو استخراج معدن أو عمل زراعي ولا بيع أرض أميرية ونحو ذلك من الشؤون المحلية الا بقرار من مجلسها العمومي

(٤) اعتبار اللغة العربية رسمية في جميع الولايات العربية بان تكون جميع معاملات الحكومة بها في هذه الولايات، فلا يقبل فيها موظف الامن أهلها الذين يحسنونها قولا وكتابة ، لان نشر التعليم بلغة الامة كما يجب يتوقف على التعامل بها في شؤونها ومصالحها العامة

فمتى نالت الامة هذه الاصول الاساسية تساهلت فيما عداها وفي بعض الفروع المترتبة عليها والتدرج فيها . ذلك بان حياة الامة لا تكون الابحريتها فيما مر ذكره، وحياة لغتها بالعلم والعمل ، وتدبير ثروتها والاستقلال بمنافعها الاقتصادية كلها ؛ والا كانت جاهلة فقيرة ذليلة مضطهدة ابد الدهر . فاذا ساعدت الامة العربية حكومتها على ذلك تعتقد أنها تريد لها الحياة فتكون مخلصة لها كل الاخلاص ، والا عملت كل ما في طاقتها للوصول الى حقها في احياء لغتها والحياة بها ، واحياء أرضها ، والتمتع بخيراتها ومنافعها . ومن أراد الحياة الشريفة الطيبة لا يلام ، واذا سعى لها سعيها نالها بسلام او بغير سلام ، ومتى أرادت الامة فعلت ، ومتى سارت وصلت ، وتلك سنة الله في جميع الامم ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

صدر بمصر القاهرة في ٩ ذي القعدة سنة ١٣٣١ - ٢٦ ايلول سنة ١٣٢٩ (مالية عثمانية) ٩ اكتوبر سنة ١٩١٣

الجنسية واللغة

يراد بالجنسية الانتساب الى قوم تضمهم جامعة واحدة ويخضعون لقانون واحد بدون التفات الى وحدة الأصل وكثرة العدد واختلاف اللغة والدين، كالجنسية الفرنساوية والالمانية والانكليزية والعثمانية والنمساوية الخ. وهي في عرف الناس وفي نظر رجال الحكومات صفة لازمة للقومية وقوة مقومة لكيان المملكة وحفظ المجتمع، وفي نظر بعض علماء الاجتماع ضلال من ضلالات الزمان، التي استولت - كما استولى غيرها - على الاذهان، ولا بد ان يقضي الزمان بالغائها كما قضى على غيرها من الاوهام والخرافات

يظهر لاول وهلة ان هذا الرأي الاخير بدعة تزعزع أركان الوطنية ، وتبدد عناصر القومية، وتضعف روابط الجامعة وتهدم بناء المملكة. ولكن يتضح بعد الامعان والتمعن في ما يلي انه حقيقة لا بد من ثبوتها في المستقبل البعيد

اذا استولى الوهم على الذهن كان أشد تأثيراً فيه من العقل واذا اندسّ في أخلاق الامم وعاداتها كان شديد المراس لايزحزح الاّ بعد جهد وعناء شديدين . واذا طال الزمن على عقيدة فاسدة شقّ على العقل والعلم نقضها واقناع الجمهور بفسادها، لان الخرافات اعلق بالاذهان من الحقيقة وأشد منها تمكناً واستمساكا، بدليل مانرى منها الى الآن في عادات أرقى الامم مدنية وأعلاها علماً وأدباً . ومن قبيلها اجماع الناس على الاعتقاد بالجنسية اعتقاداً غلب فيه الوهم على الحقيقة ، فيعطونها ماليس لها من الحدود والصفات والمميزات التي لاتعتبر في نظر علماء الاجتماع الا حيلا سياسية لاستعباد الاقوام الصغيرة وتعضيد القوة الحاكمة. وهي تظهر بأشد مظاهرها في البلاد التي تقوى الروح الوطنية فيها وتصبح خطراً على البلاد المجاورة ، وحيث الرغائب والاميال والحذر من المستقبل والاستنكار من تقدم الامم الاخرى وتفوقها والانفعال من خسارة بعض الامتيازات تحوّل الاذهان عن فهم الحقيقة وتميل بها الى تفسير القضايا الاجتماعية تفسيراً يوافق تلك الرغائب والاميال . نرى ذلك في فرنسا التي خسرت سيادتها في أوربا بعد وحدة المانيا ووحدة ايطاليا ، وفي النمسا حيث تطالب الشعوب المظلومة بحقوقها، فاذا خلا الذهن من تلك الاكدار حسب الروح الوطنية ظاهرة من الظواهر الطبيعية تؤثر في الفرد كما تؤثر في العموم ولها حدمرا نو لايمكن توقيفه أو منعه كما انه لايمكن توقيف المد والجزر أو منع حرارة الشمس في ابان الحر. على ان من الضلال الفاضح أن يكون أساس الجنسية الاساس الذي وضعته السلطات الحاكمة وتحاول أن ترسخ في الاذهان ان أقل جنوح عن نظامها يفقد الانسان جنسيته ويجعله شريدا طريداً في مجاهل الانسانية

فما هو أساس الجنسية ؟ وماهي علامتها المميزة ؟

اذا رجعنا إلى الانتروبولوجيا وهو العلم الوحيد الذي يرجى منه حل المسألة لم نجد فيه مايفي بالغاية ، لان علماء الانتروبولوجيا فريقان الواحد يقول بتعدد أصول الانسان والآخر يقول بوحدة الاصل ، فالقائلون بالتعدد يزعمون ان الاسباب التي ساعدت على ظهور الانسان في بقعة من الارض ساعد مثلها على ظهوره في بقعة أخرى، وان مابين الانسال البشرية من الاختلافات الجوهرية كاختلاف اللون والصفات والتركيب مسبب عن اختلاف الاصول وليس عن تحول الصورة الاصلية ، وتطبيق الحياة على الاحوال المحلية . فهذا الرأي لايحل المسألة حلا شافيا عدا عن انه لايخلو من النقد ولم يتفق عليه علماء الانتروبولوجيا . أما الفريق الثاني فيقول ان التغييرات

التي تحصل في النسل الواحد بفعل الاحوال المحيطة وتأثير العوامل المحلية هي حدود للجنسية وينسب لكل شعب صفات خاصة تميزه عن بقية الشعوب ولو كانت من نسل واحد . على ان تلك الصفات ليست الا صفات خارجية لاتدل دلالة صريحة على وجود حدود فاصلة بين الهيئات الوطنية لان في كل شعب ولا سيما في النسل الابيض أفرادا كبارا وصغارا وشعرا أشقر وأسود وعيوناً زرقاً وسودا ومزاجا باردا، حارا. واذا تغلبت بعض الصفات في شعب والبعض الآخر في شعب آخر فالعلامات الجسمية والعقلية تقرب أن تكون واحدة وليس فيها من الصفات الخصوصية ما يمتاز بها شخص عن آخر وتعرف بها جنسيته كما يعرف النسل الاسود بالجلد الاسود والشعر الاجعد وهيئة القحف والوجه

فهذه الصفات التي يعلقون عليها أهمية كبرى ليست بيولوجية لتحدث تغييراً في ذاتية الانسان، ولا جوهرية لتضع حدوداً فاصلة بين الجنسيات، لانها تكتسب بالتعليم والتهذيب والتدريب وتزول بعد البلوغ وفي ظروف معلومة. تدلنا على ذلك أحوال الولد الذي ينقل طفلا من قومه وينمو ويعيش في وسط آخر بعيد عن أهله فانه يكتسب صفات ذلك الشعب الغريب ولا يظهر فيه أثر من صفات قومه لان تلك الصفات أعراض قابلة الزوال حتى لقد يخسر البالغ صفات قومه ويكتسب صفات قوم يخالطهم كما اكتسب البرامكة صفات العرب وضرب المثل ببلاغة توافيعهم ، وكما ان الايوبيين وهم أكراد صاروا أشد نعرة للعرب من العرب أنفسهم، وكان منهم شعراء وعلماء وأجازوا الشعراء ووقف منهم على أبوابهم مالم يقف على أبواب غيرهم من ملوك العرب . والسموأل وابن سهل يهوديان وهما شاعران عربيان تتدفق الروح العربية من أنفاسهما . والامثلة على ذلك كثيرة يروى منها عند كل الامم فقد قام كتبة المانيون من أصل فرنساوي تفتخر بهم المانيا وقام المانيون في فرانسا وايطاليون في انكلترا وقس عليه . فالرابطة الدموية اذاً ليست شرطاً جوهرياً لتحديد الجنسية فالهيغونوت (وهم البروتستانت الفرنساويون الذين هربوا من الاضطهاد) الذين هاجروا الى براندبورج أصبحوا من أفضل الالمان، والهولانديون في امستردام الجديدة صاروا أميركيين لاغبار على وطنيتهم . أي ان الحرب والمهاجرات الكبرى والاسفار مزجت الناس بعضهم ببعض حتى لم يبق فارق يفرق العناصر القومية بعضها من بعض عدا عن ان التشريع لا يعير القرابة الدموية أقل أهمية ، لأنه يسهل للغرباء ان يتجنسوا بجنسية المملكة أي يصيروا وطنيين لهم ما لاهل الوطن من الحقوق وعليهم ما على

مواطنيهم من الواجبات. فالانثروبولوجيا ليست أساساً للجنسية وكل مايقال فيها واهن من هذه الجهة وغير ثابت

وقد حاولوا أن يجعلوا أساس الوطنية الاشتراك في المنافع والمرافق وقالوا: ان مايجعل الناس أعضاء أمة واحدة هو الماضي المشترك والمستقبل المشترك وكونهم تحت سلطة واحدة وخضوعهم لشرائع واحدة واشتراكهم في الافراح والاتراح. الا أن ذلك نظرية سفسطية تصح قولا ولا تثبت فعلا لان الروماني في غاليسيا لايشعر على الاطلاق بكونه بولونيا مع ان الرومان والبولونيين اشتركوا في الشرائع والنظامات السياسية منذ اكثر من الف سنة. والفيلاندي يعتبر جنسيته غير جنسية السويدي رغماً عن انهما يؤلفان شعبا واحدا ويسيران على سياسة واحدة منذ اكثر من الف سنة أيضا. لاريب في أن الشرائع والنظامات واتفاق العادات والاخلاق وارتباط الاعمال تقرب العناصر بعضها من بعض وتولد فيها شعورا بالتضامن، الا أنها لا تنزع جنسية من صدور قوم ولا تخلق أخرى في قوم آخرين

كل ذلك فن احتيالي تضرب به الحقيقة عرض الحائط. فالجنسية لا تعرف من صفات الفرد الا ماندر والشرائع والنظامات لاتحدد الجنسية حدا صحيحاً فاصلا بالرغم عما لها من التأثير في الاخلاق. بل مايحددها هو اللغة لان بها وحدها يصبح الانسان عضواً من شعب خاص وبها يتولد فكره وشعوره وبها يقتبس منهج الشعب الذي كونها وأنماها ووضع فيها أسرار عقله ونفث فيها نسمات روحه وكساها بادق خصوصياته العالمية. وبها يصبح ابنا ووارثاً لكل المفكرين والشعراء ولكل النبغاء وقواد الشعب، وبها يشابه قومه فكراو عملا لانها تستهوي الافراد بتاريخها وآدابها. وهي بالحقيقة الانسان كله لانها سلك الايصال للمدركات الخارجية والآلة الجوهرية التي تساعد على العمل في العالم الخارجي. فمن بين الملايين يقوم مفكر واحد يفكر في قومه فيكتب لهم لاصلاح مجتمعهم فيأخذ الملايين عنه ما أنتجته قريحته الذكية وينالون باللغة ما لا ينالونه بأية آلة أو واسطة أخرى، فاللغة هي أقوى رابطة تربط الناس بعضهم ببعض لان أخوين لايتكلمان لغة واحدة يكونان بعيدين أحدهما عن الآخر أكثر من غريبين يتعارفان ويتبادران السلام بلغة واحدة

كنت وبعض الزملاء في الاستانة وكنا نختلف الى بعض الأندية ونتكلم بلغتنا العربية فابتدرنا شيخ يناهز الستين تتقاذفه عوامل الفرح واليأس والقنوط والامل والحب والبغض قال بالحرف « ياشقاوتي هنا أبناء وطني يتكلمون العربية وأنا أموت

حسرة في الاستانة » قلنا : ومن أين الشيخ ؟ قال : من بغداد ، قلنا : وأين سورية من بغداد ؟ قال : تجمعنا اللغة

وقعت بين الانكليز والاميركان حروب طاحنة وحصلت مشاكل شتى زادت شقة البعد بين الشعبين ، ولكنهما تجاه غير الانكليزي واحد ، ويشعران بانفسهما انهما أبناء بريطانيا العظمى

لما قامت الحرب بين الانكليز والبوير خفق قلب الهولانديين وتفتت أثاً وغماً عن انقطاع العلاقة السياسية بين هولاندا والكاب منذ نحو قرن . وفي حرب ١٨٧٠ تشيع أهل سويسرا وباجيكا للفرنساويين وحنوا اليهم بكل جوارحهم رغماً عما بينهم وبين الفرنساويين من الفرق العظيم في الشرائع والاخلاق والجنسية السياسية والتذكارات التاريخية وفي حرب الشلسويك هولشتين فزع النروجيون للدنمارك وتطوع بعضهم لمساعدتهم مع انهم يكرهونهم ويقبحونهم وقد تحرروا من سلطتهم بعد حروب طويلة ولا شيء يربطهم بهم سوى اللغة الا ان هذا اللاشيء هو كل شيء

رقي اللغة عنوان رقي الامة وانحطاط اللغة دليل على انحطاط الامة لانها تتخذ أهمية اذا استخدمتها الامة آلة لنهوضها ورقيها وتقل أهميتها اذا كانت الامة منحطة ومستعبدة للفئة الصغرى منها المستبدة بأحكامها . لان في مثل هذه الحال لا تحتاج اليها الهيئة الحاكمة لانها لا تتنازل الى مخاطبة الافراد ولا يحتاج اليها الافراد أيضاً لانه لا يحق لهم ان يفرغوا مافي قلوبهم في قالب من الكلام الحسن ولا يبقى منها الا ما يلزم القرويين للتفاهم أو للهذر والمزاح أو للتأوه والتحسر والشتم . وقانون الاستبداد يقضي باظلام البصائر فيحب الظلام ويقبح النور ويسد سبل التهذيب ويقفل أبواب المدارس ويجعل السوط قاموس اللغة ومتنها وكل علومها وآدابها . والشريف في الامة لا يرى ما يدعوه الى التعلم لان حقوقه يؤيدها شرف الولادة فهو سيد بدون أن يفتح فماً أو أن يغمس قلماً في دواة

فالجنسية في هذه الحالة واطئة لان علامتها الرئيسية واطئة . الا ان الاحوال تغيرت في هذه الايام حتى في روسيا وتركيا وأصبح لكل فرد من أفراد الرعية حق الدفاع عن نفسه وأن يعلو فوق الحد الذي وضعته فيه أحوال ولادته . وفتحت أبواب التعليم وانتشرت الجرائد ، وأعطيت حرية الخطابة فاتسع نطاق اللغة ورقت حواشيها وسمت آدابها ، وأمعن فيها الكبير والصغير والغني والفقير حتى الملوك أنفسهم ، اذ علموا ان لا بد لهم من سهولة الكلام في كثير من الاحوال ، وأصبح كل عقبة تقف في سبيل

استعمال اللغة الخاصة بالامة أو كل ضغط يوجب استعمال لغة أجنبية عار وعنفا لا يحتملان.
ومن كانت جنسيته الصغرى في البلاد التي يتوطنها وكانت لغته غير اللغة الرسمية وحُظر عليه استعمال لغته وأجبر على استعمال لغة أجنبية فانه يشعر بألم لا يعرفه الا من مرّ بهذه الشقة وعانى مشقاتها لانه يكون كعبد من عبيد القرون الوسطى أو كمجرم محكوم عليه بالنفي . وما من أحد في الكون يرضى بحرمانه من أهم قوة في الحياة بها يبث شعائره ويعبر عن أفكاره . وما الحرمان من ألقاب الشرف بشيء بالنسبة الى الحرمان من اللغة الخاصة . وتقييد الارجل بالقيود ليس بشيء بالنسبة الى تقييد اللسان الذي به تحبس قوى العقل في قفص يمنعها من الظهور والانتشار ويشل حركتها ويقتلها في المحيط المفسد بسياسة الظلم . فنكران اللغة نكران للانانية لا يرضى به إلا من سفلت طباعه وتدنى الى أن ينحني ويعفر وجهه بالتراب امام الهيئة الحاكمة المستبدة ويضحي حقوقه ويدوس على أقدس عاطفة من عواطف الجنسية . على ان مثل هذا السافل أو الجبان قليل في العالم لان الاكثرية تتمسك بلغتها وتدافع عنها كما تدافع عن حياتها وتقاوم كل قوة تعمل لاذلالها . ويمكن للامة الحاكمة أن تجعل لغتها اللغة الرسمية وأن تمنع لغة الامة المحكومة من المحاكم والمدارس والكنائس والجمعيات والمعاملات ولكنها لا تستطيع أن تمنع حركة الافكار التي تهيأ لنسف بناء تلك السياسة بعد ان أصبح سجنا لا مسحة عليه من الانسانية بدلا من أن يكون ملجأ لتقوية الضعيف وتخفيف آلامه

لا يمكن ان نقنع انسانا ذا عقل سليم بقطع رأسه ولا تستطيع شريعة ان تقنع امة حية بترك لغتها ومظهر عقلها الخاص . وكل مملكة تحتوي على جنسيات متعددة لا بد من وقوع التنافر والشقاق فيها واذا تكافأت فيها القوات تجزأت وانحلت . فما هو العلاج الشافي لذلك؟ هذه مسئلة من أعقد المسائل الاجتماعية التي حارت في حلها الافهام وهي لا تحل الا بالطرق الراهنة التي لا اشكال فيها ولا تمويه

أفضل حل يرتأيه رجال السياسة هو اللامركزية بكل معانيها المتسعة وهو حل مقبول يجب التسليم به الى ان يظهر أفضل منه لانه نظري أكثر مما هو عملي، فاللامركزية قد يمكن تطبيقها والعمل بها في المملكة التي تحتوي جنسيتين متساويتين عدداً وقوة وارتقاء بحيث يستطاع التساوي والتفاهم بينهما كما في بلجيكا، ويعسر أو يستحيل في المملكة التي تكثر فيها الجنسيات كما في النمسا التي تحتوي على أكثر من عشر جنسيات متباعدة ومتنافرة بحيث لا يتألف منها مجموع مندمج في جسم المملكة ، لان التساوي

بين العناصر المتعددة يقضي باستعمال كل لغات البلاد في كل الادارات من مكتب بوسطة القرية الى الوزارة ومن غرفة قاضي الصلح الى محكمة النقض والابرام ومن اللجان البلدية الى المجالس النيابية عدا مايوجب من انشاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية لكل عنصر والسعي لتهذيب آداب كل لغة ومكافأة النبوغ في كل منها . وتلك مطالب لا يمكن تحقيقها والعمل بها لان ذلك تجزئة المملكة وتفكيك للروابط التي تربط عناصرها بعضها ببعض

ولا يمكن لمملكة تكثر فيها العناصر ان تستغني عن لغة للمملكة تكون اللغة الرسمية فالعنصر الذي تكون هذه لغته يصبح سائداً والعناصر الاخرى مسودة فتتفاوت الحقوق وتمتنع المساواة لان الشريعة تطلق لسان البعض وتخرس لسان البعض الآخر وتقسم أبناء الوطن الواحد الى قسمين أحدهما وطني حميم والآخر نصف وطني

رأينا مما تقدم ان اللغة مطلب حيوي لاينال بالاتفاقات المبرقعة والعقود المعوجة، وان عقدة الاشكال فيها لاتحل الا بالطرق التي ذكرناها حلا يرضي الجنسيات على اختلافها لما ظهر لنافيها من الاشكال والتعقيد وصعوبة التطبيق . فالحل الصادق الصحيح هو القوة لان كل ماعداها لايفيد الا لتهدئة ثائر الخواطر الى أجل معلوم، لان تنازع اللغة كتنازع البقاء لابد من أن يجري مجراه وينتهي بالهزيمة أو بالموت أو بالفوز. ويجب على المطالب بهذا الحق الحيوي أن يقبل الوعود بالامتيازات وأن يرفض الاقتراحات للتسوية والتراضي، فاما لاشيء وإما كل شيء

بدا تنازع الجنسيات منذ آلاف من السنين وكمنَ في مامضى من الزمان كما تكمن النار في الحطب، وقد هبّ من سباته ليسترد القوة التي سُلبت منه لان الجنسية المسلوبة الحقوق لا تقيم على الضيم الى الابد الا اذا ضعفت حيويتها وقضى الناموس الطبيعي عليها بالموت . يغير شعب نشيط على بلاد فيفتحها عنوة ويستولي على أهلها ويستبد بأحكامها الا انه اذا لم يكن له قوة كافية يوهن بها المغلوب ولم يمحُ لغته بقي دائما في خطر من القيام عليه. واذا كان المغلوب اكثر منه عددا قد يطرده من البلاد أو ينزع السلطة منه ويرغمه على انكار جنسيته

وأما في المهاجر فتغلب القوة بطريقة لاتبعد عن طريقة الفتح لان المهاجرين اذا كانوا أقوياء وكثيرين طردوا السكان الاصليين وحلوا محلهم، والا فاما أن ينكروا جنسيتهم ويندمجوا في جنسية البلاد أو أن يرحلوا عنها ويطلبوا مهجراً يستقلون به

ويحافظون فيه على جنسيتهم

وعلى ذلك يكون أفضل حل لتنازع الجنسيات اما الادماج والاندماج واما الفصل والانفصال ، وكلاهما لا يتم الا بالقوة. والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث

هذه هي مسئلة الجنسيات في نظر بعض علماء الاجتماع وهي الفصل الاخير من فصول المأساة التي بدأ تمثيلها منذ بدء المهاجرات أو بعدها بمدة. وكانت الفترات بين الفصول طويلة الا انها لا تطول الى الابد ، فقد أرخي الستار على المشهد الاخير ليحضر بعده مشهد من أشد المشاهد هولا تمثل فيه معارك عنيفة بين الحق والقوة وتنتهي بانتصار القوة .

لا يوجد ناموس في الدنيا (يحظر) على الكائن الحي الاحتفاظ بشروط كيانه ، ولم يوجد في الدنيا من قال للاسد وهو يفترس خروفاً : تخل عن هذا الخروف . لان الاسد يقبض على الخروف بدافع يدفعه الى ذلك وهذا الدافع هو الحق الذي يخوله افتراسه . على ان للخروف أيضاً حقاً بان يقتل الاسد اذا استطاع الى ذلك سبيلا . فالحق والقوة يجتمعان في حالة الدفاع عن الحياة أو في ما كان باهميتها . والشريعة المدنية نفسها تخوّل الانسان حق الدفاع عن نفسه أي تجيز له في بعض الظروف ان يدافع عن حقه بالقوة . والحرب ليست الا دفاعاً بالقوة عن حق للامة . يرى شعب أن شيئا يلزم لحياته أو لكمالياته فيمد يده الى ذلك الشيء ويكون حقه به كحق الاسد بالخروف وصاحب ذلك الشيء يمنعهُ من اخذهِ اي يستعمل القوة للدفاع عن حقهِ وليس للمغلوب منهما ان يشكو بل عليهِ ان يستعد لاستئناف القتال في المستقبل . واذا غُلب ايضا وحكم عليه بالانكسار الى الابد وجب ان يرضى بما حكمت عليه الطبيعة وان يعلم انهُ خروف وليس اسداً فيطبق احوالهُ الحيوية على احوال الخروف لانه لايستطيع ان يحارب الطبيعة التي لم تلدهُ اسداً

للامة التي تسلب لغتها منها حق شرعي بالدفاع عن اثمن ملك لها واذا لم يكن لها قوة كافية للاحتفاظ بهذا الملك سقط حقها به . وللامة السائدة حق بالاحتفاظ بشرف لغتها وبمنع كل امتياز يضرّ بها او يضعف اهميتها واذا لم تستطع ان تؤيد حقها هذا بالقوة وجب ان تذعن لمطالب الامة المسودة فتساويها بحقوقها وتتنازل عن سلطتها المطلقة وتحتفظ بما يستطاع من السيادة ، لانها اذا كانت شرطاً لازماً لحياتها اصبح زوالها قاضياً عليها بالموت لا محالة

لايتوهمن احد اني ارمي في هذا البحث الى غاية مخصوصة او ان اعني فيه امة مخصوصة اذ لاغرض لي بالسياسة ووجهتي فيه الوجهة العلمية الاجتماعية فألم بالمسئلة من كل اطرافها واطلقه على كل الجنسيات المختلطة على الالمان في النمسا وبوهيميا وعلى الدنماركيين في الشلسويك الشمالية والبولونيين في بوزن والرومانيين في ترانسلفانيا والطليان في التراتين ولا استثني العرب في تركيا . فالخمسة الملايين من المجر لهم الحق ان يحوّلوا الى مجر الاحد عشر مليونا المغايرين لهم الذين في هنكاريا وكأنهم بذلك يستمرون على العمل لاستقرار الفتح الذي بدأ سنة ٨٨٤ . الا ان الالمان والسلاف والرومان الذين في هنكاريا لهم الحق ايضاً بان يدافعوا عن انفسهم فاذا فازوا على المجر ونزعوا منهم جنسيتهم سقط حق المجر وقضي عليهم ان يرضخوا لما قدر لهم منذ اكثر من الف سنة . والتشك لهم حق بان يطلبوا مملكة لانفسهم يتحررون فيها من الالمان وكأنهم بذلك يستأنفون المعارك القديمة التي جرت بينهم وبين الالمان في المارش والجبال البيضاء . وللالمان حق ايضا بان يقاوموا بالقوة قوة اكبر وان يشهروا حربا ثالثة تكون الفاصلة بعد الحربين التاريخيتين السابقتين فيبرهنوا للتشك نهائيا انهم ليسوا اكفاء لمقاومة الفاتحين الذين دخلوا البلاد منذ اثني عشر قرنا ولم يقاومهم فيها احد

بقيت لي الكلمة الاخيرة عن تركيا وهي البلاد التي تهمنا اكثر من سواها لانها الوطن الذي نحن اليه ونحافظ على وحدته وكيانه فاقول: ان انفصال بعض الجنسيات عن تركيا في الحرب الاخيرة قد يكون في مصلحتها ومنفعتها لانها كانت سوساً ينخر في جسم المملكة . وبقي فيها جنسيتان كبيرتان متكافئتان هما الترك والعرب وما عداهما فجنسيات صغيرة ليس لاحداها أو لمجموعها من القوة مايخشى منه على نزع السيادة من الأمة السائدة ويقدر لها اما الرضوخ للقوة واما الاندماج في احدى الجنسيتين الكبيرتين . فاذا اذعن الاتراك لمطالب العرب وساووهم بانفسهم واشركوهم في الاحكام والادارات اشتد ساعدهم وصلح حالهم وقوي ملكهم والا كان القول الفصل للقوة وانتهى بها الاشكال على احد امرين اما الاذعان واما الانفصال . وسيبرهن المستقبل صحة هذه النظرية ان لم يكن عاجلا فآجلا ، تلك سنة الكون لاتنقضها سياسة الرياء ولاتحولها عن مجراها الوعود الكاذبة والعقود المرقعة

ان مأساة الجنسية التي بدأ تمثيلها منذ الوف من السنين على مرسح العالم لابد ان تختم بمشهد تشهده اوربا تمثل فيه المذابح والشرور والجرائم وبجانبها الشجاعة

والشهامة والشرف . تلك مظاهر الطمع والجشع وهذه مظاهر القوة الحيوية ، لان الفروع المنفصلة عن جذوعهـا تحن الى الرجوع الى اصلها فتجاهد ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، فاما ان تموت في جهادها او ان تفوز فتجتمع باصولها . ذلك جهاد عنيف تموت فيه الامم الصغيرة وتباد الفروع التي ليس لها قوة كبرى من جنسها تفزع اليها وتخلصها من نير عبوديتها ، وتثبت الامم الكبرى التي لايقوى عليها منازع . وقد ينقضي القرن العشرون قبل تمثيل هذا المشهد المؤلم ومن يعش بعده يكن في امن من حفظ جنسيته والتمتع بها حيثما كان

تلك سنة الحياة العامة والقوة تكسبها الحق بالبقاء وهي سنة تحكم على الشموس في الفضاء ، كما تحكم على القناعيات في الماء ، اذا هلكت بها امة فلان ليس لها قوة تساعدها على البقاء كالكائنات البيولوجية التي تهلك في ادوار النمو

الدكتور
امين ابو خاطر
(المقتطف)

صحيفة

« التيمس الافريقية ومجلة الشرق »

سيدي الاستاذ العلامة محرر « المنار »

السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد دفعني الكتابة هذه الرسالة بشأن جريدة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » مقالةٌ مفيدةٌ بعنوان « خدمة المسألة المصرية في انجلترا » اطلعتُ عليها في « الاهرام » الغراء الصادرة في ٢٣ شوال الماضي . قال حضرة كاتبها بعد ان عدّد الصفات الواجبة في الجريدة التي يمكن أن تخدم « المسألة المصرية » في انجلترا بصورة دائمة مأمونة مضمونة النفع ما يأتي : (هذه الجريدة التي أشير اليها هي صحيفة « التيمس الافريقية ومجلة الشرق » ، وهي مجلة شهرية صغيرة الحجم كبيرة الفائدة زهيدة الثمن يتسابق الى شرائها الانكليز المهتمون بالمسائل الشرقية والافريقية قبل الشرقيين والافريقيين أنفسهم ، وتديرها شركة دولية لا لغرض تجاري بل لخدمة صوالح الشعوب الملوّنة ، ولما ظهرت مقالة « الدستور المصري » في عدد اغسطس بعثت برسالة شكر الى رئيس تحريرها على اعتداله ونزاهته وأملت منه أن يوسع مافيها من باب الكلام على مصر فكتب اليّ يقول إنه لولا انّ اغراض الشركة انسانية وسياسية لاتجارية لما استحقت « المسألة المصرية » أقلّ نصيب من

عناية المجلة ، لأنه لا يوجد في الشركة فرد واحد مصري من حملة الاسهم ، كما انه لا يباع منها في مصر عدد يستحق الذكر ، ولا يوجد لها في القطر المصري الا عدد قليل من المشتركين ، وربما كان مايباع منها في مصر غالباً للانكليز أو للاوربيين المقيمين فيها ، فياللعار والخجل .... !!) اهـ .

قرأت هذا بين حيرة وأسف أو زادت حيرتي عند ماقرأت الكلمات الآتية في مقالة حضرة الكاتب المشار اليه : (.... وهذا النوع من الصحافة الذي هو قادر على خدمتنا موجود فعلا ويدعونا لادلاله أكثر من مرة على شكوانا — وقد قرأت هذه الدعوة في عدة جرائد مصرية — ونحن لاهون صامتون كأنما لاعيون لنا ولا عقول) اهـ . وأظن انه لاغرابة في حيرتي ودهشتي لأني ما كنت أظن ان اقبال الوطنيين المتعلمين بمصر على هذه المجلة النفيسة التي تدافع عن صوالح مصر بغيرة وتعقل يقل عن اقبال اخوانهم في اوروبا الذين يعضدونها بكل قواهم ، وما كنت أظن ان وطنيتنا لاتزال محصورة في القول دون العمل ، وان مصر التي يوجد بها عشرات الآلاف من المتعلمين العارفين باللغة الانكليزية لايتقدم منها ولو بضع مئات للاشتراك في هذه الصحيفة النافعة التي لا يُربي اشتراكها على ٦ شلنات في السنة بما في ذلك أجرة البريد . على ان الأنكى هو أن نبخل أيضاً بنفثات أقلامنا في سبيل خدمة الامة ، والا فما معنى عدم تلبية كتاب مصر المتضلعين من اللغات الاوروبية لنداء تلك المجلة الذي تكرر مراراً كثيرة على صفحات أغلب الصحف المصرية ، فان قيل : ان اخلاصها مشكوك فيه . فيكفي لدحض ذلك دعوة المجلة إيانا لدلالتها على شكاوينا بالرغم من عدم مساعدتنا المالية لها ، ويكفي أيضاً لبطلان هذا الزعم ان نعلم ان رئيس تحريرها هو صاحب ذلك الكتاب التاريخي السياسي المشهور « في أرض الفراعنة ـ in the Land of the Pharaohs » الذي نوّر به ذهن الرأي العام الانكليزي عن حقيقة الشؤون المصرية نخدم به مصر خدمة جليلة في وقت لم يعضده فيه مصري واحد ، وفي حين انه لو كان أنفق ذكاءه المشهود به وأوقف قلمه على نصرة الباطل وتشويه سمعة المصريين خاصة والشرقيين عامة كما جرت عادة الكتاب الاوروبيين لفاضَ عليه ذهب الاحتلاليين ولرفعوا منزلته السياسية الى أبعد مايصل اليه المتخيل . وان قيل : ان مركز الجريدة السياسي ومكانة الكتاب الذين يحررون فيها غير عالية ، فلا أدل على كذب ذلك من تناقل الصحف الانكليزية المشهورة لما يكتب فيها ، ومَن مِن سادتنا الكتاب المصريين تفوق منزلته أمثال شارلس روشر ، وأليس

شاهب . ودوجلاس سليدن . وكاثلين فريزر . واللورد لامنجتون . واللورد نيوتن والمستر أوبري هربرت . وبدوين ساندز (جورج رافالوفتش) وج . ب فيشر . ولورد موبري واسترتون . والكابتن دكسن جونسون ، وكثيرين غيرهم لاتحضرني أسماؤهم وكلهم مابين كاتب فيها أوصديق لها . ويكفي للدلالة على نفوذها أنها هي صاحبة الفضل في تكوين « الجمعية العثمانية » التي وقفت الى مقاومة «الجمعية البلقانية» وتحويل أغلبية الرأي العام الانكليزي الى جانب العثمانيين بالاجتماعات السياسية العظيمة التي عقدتها وتعقدها في كل مناسبة . وبالنشرات والمقالات وعلى الاخص بترجمة كتاب بيرلوتي (نزع تركيا Turquie Agonisante) الى اللغة الانكليزية

بعدهذا البيان ياسيدي الاستاذ اسمح لي ان أتطرق للكلام على النقطة الاساسية التي حركتني لتحرير هذا الكتاب ونبهتني اليها مقالة (خدمة المسألة المصرية في انجلترا) السالفة الذكر ، فاقول ان مجلة «التيمس الافريقية» ليست مجلة سياسية محضة بل لها أغراض ومرام أعلى من ذلك أهمها خدمة « السلام العام » وازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق وقتل روح التعصب الاعمى للدين أو للون . وبالاختصار هي تعمل جهدها لاحلال الوئام وحسن التفاهم بين جميع شعوب الارض . وأظن سيادتكم تعلمون أنه يوجد في انجلترا خاصة وأوروبا عامة من الآراء السخيفة عن الدين الاسلامي مايدهش له كل من يعتقد في الاوروبيين حب التحقيق والتسامح ، ولست أدري والله ماهي ذمم اولئك المؤلفين الذين نقلوا اليهم هذه المعتقدات الساقطة التي يبرأ منها الاسلام والمسلمون وأفهموهم ان العادات والخرافات القبيحة الملتصقة بالشعوب الاسلامية الحاضرة (كما التصقت من قبل بالشعوب المسيحية) بسبب الجهل – سنة الله في أرضه – هي جزء من الدين الاسلامي . وكيفما كان الباعث لاولئك الكتاب على نشر هذه الاباطيل فالحقيقة المرة ان جذورها لاتزال ثابتة حتى الآن ولم يقتلع الا شيء ضئيل منها بهمة أمثال العلامة السيد أمير علي الهندي والاستاذين الكبيرين أرنلد وبراون . على ان حزب هؤلاء الافاضل المحققين المصلحين لايزال صغيراً لايعتد به ولا تزال القوة العظمى في أيدي السير هري جونستون والمستر نويل بكستون ومن على شاكلتهم ممن لايحركهم غير التعصب الذميم وعداء مايجهلون.

والخلاصة ان كل مسلم في هذه البلاد لايجد من أهلها – وأستثني الاقلية الضئيلة التي تعرف التسامح ولا تفهم الدين فهماً معكوساً كما أستثني الافراد القليلين الذين بحثوا بأنفسهم وعرفوا مزايا الدين الاسلامي وحسناته الواضحة لكل ذي عقل سليم –

لا يجد من أهلها غير ازدراء به وترفع عنه يرجع بعضه الى التعصب اللون ويرجع البعض الآخر لاحتقار دينه «البربري» ومهما حاول مناقشتهم وابلاغهم مقر الحقيقة لايرى منهم الا ابتعاداً وتفسيراً لمناقشته بانها مغالطة لايوافق عليها علماء الاسلام . وان الباعث له على تفسيره المقبول وبيانه المعقول (الذي يعتبر مغالطة) هو شعوره بسقوط دينه وايثاره الدفاع عنه بما اكتسبه من المعلومات الغربية عن الاعتراف بذلك السقوط ..... !!

ومن هذا ترى ياسيدي المفضال انه لم تبق وسيلة لتبديل هذا الحال العجيب الا بتسابق علماء الاسلام المستوطنين في البلاد الشرقية — وسيادتكم في مقدمتهم — الى دحض هذه المفتريات في الصحف الأوروبية ذاتها ، ولا أنسب من جريدة (التيمس الافريقية ومجلة الشرق) لعل من ذلك مايكفي لاخراس ألسنة الافاكين، ورفع رؤوس جميع المسلمين المقيمين في أوربا الذين لايقبل دفاعهم عن دينهم (بحجة انهم انما يكتبون متأثرين بالمدنية المسيحية !!) .

وليس غرضي ان أشير بفتح باب مناقشة دينية عنيفة ومجادلة خصوم الدين الاسلامي بشكل منفر كالذي اعتاده أغلبهم لأنه بغض النظر عن قلة الحذق في ذلك فالمجلة المشار اليها التي غرضها الاساسي التوفيق لا التفريق وخدمة الحقيقة بوجه عام لايمكن أن ترحب بكتابة على تلك الصورة ، ولكنها ترحب (على مايظهر لي مما نشر من قبل فيها) بكل كتابة أساسها التسامح والتحقيق وحب التوفيق ، ولا شك ان هذا المبدأ مما يرتاح اليه أئمة الاسلام الذين نحتاج الى بياناتهم النزيهة لتنوير الرأي العام الاوروبي في كثير من المسائل التي شوهت لديه ، وأخص بالذكر « مسألة المرأة المسلمة » فان الفكرة السائدة هنا هي ان المرأة المسلمة لاحقوق لها ، تباع وتشرى كبيع السلع ، ومقيدة بكثير من الاغلال والقيود التي لايمكن أن تتفق مع الحضارة الصحيحة ومبادئ الانسانية

هذا ويحسن ان أذكر هنا ماقرأته في « التيمس الافريقية » من أنها مستعدة لقبول كل مايكتب في صالح مبادئها بأية لغة أوربية وان قلم ترجمتها ينقله الى الانكليزية، ولا أظن أن من العسير على العلماء المسلمين أن يوفقوا بين اصدقائهم العارفين باللغات الاوربية الى ايجاد من يتبرع لهم بترجمة آرائهم الى الفرنسية أو الالمانية أو غيرهما ان لم يجدوا من يقدر على ترجمتها مباشرة الى الانكليزية ، وحبذا لو بعث كل عالم منهم بصورته الشمسية الى المجلة المذكورة لتنشر بجانب مقاله لعل في هذا مايدحض الرأي الشائع هنا عن ان الدين الاسلامي يحرم التصوير الشمسي ......!!

واخيراً أؤمل ان يكون من رسالتي هذه محرك للهمم ، لانه اذا كان من السخافة أن تنام عن استنباط الوسائل التي نصون بها كرامتنا وندفع بها مهاجمة عدو ، فمن الجنون أن نتعامى عن تلك الوسائل اذا هي وجدت فعلا وكانت متهافتة علينا ، وليس مما يشرّفنا أن نقرن بخلنا المالي في سبيل المصلحة العامة بخلنا القولي أيضاً ، ولنتخذ لنا من نهضة الامم البلقانية والوسائل التي اعتمدت عليها في سبيل ذلك عبرة نعتبر بها - فانه لولا استئجار تلك الحكومات لكثير من الصحف الاوربية وتصويرها العثمانيين بصورة المتوحشين - ولولا ضربها على النغمة القديمة في تمثيل الدين الاسلامي دينا « بربرياً » مريعاً لايستحق أنصاره الا الفناء لأنهم أهل مفسدة - لولا ذلك لما استطاعت جذب اغلب الاوروبيين الى صفها ، الذين لم ينتبهوا لحقيقة الحالة الا بعد ضياع الفرصة ، ومعاذ الله ان أشير على المسلمين أو العثمانيين بالتشبه بالبلقانيين في تشويه الحقائق ، ولكني أطالبهم بعدم الاستمرار على التواني في الدفاع عن مصالحنا وخدمة الحق الذي يشهد الله أنا في جانبه ، وإطلاع الاوروبيين على حقيقة الواقع لدينا وصدق شؤوننا التي يعمل أهل الاغراض ليل نهار على تشويهها .

وأختم كتابي بذكر عنوان المجلة المشار اليها ليرجع اليه كل غيور تدفعه غيرته للمساعدة المالية أو الأدبية ، هذا مع العلم بأن مركز « الجمعية العثمانية — The Ottoman Committee » الرئيسي هو في ادارتها ، وهذا هو نص العنوان :-

The African Times & Orient Review
158, Fleet Street, LONDON, E. C.

برنجهام « عماد الدين »

*

(المنار) نشكر للكاتب الغيور نصحه وارشاده ، ونتمنى لو يقبل قراء الانكليزية من اخواننا المصريين على الاشتراك في هذه الصحيفة التي طالما تمنى عقلاؤهم أن يكون لهم مثلها في وطنهم ، وهي في لندن أنفع منها في مصر ، ونتمنى لو يوافيها أهل العلم الصحيح بالمقالات التي تبين للاوربيين حقيقة ديننا ومظالمنا ، فان أهل الفضيلة والاستقلال النفسي والانصاف وحب العدل لا يحصى عددهم في أوربة فاذا عرفوا حقيقة حالنا كانوا قوة لنا لا نستطيع تكوين مثلها في بلادنا . وانما كان ولا يزال يغش هؤلاء الفضلاء رجال السياسة ودعاة الدين ، (المبشرون) وكلا الفريقين يستحل الكذب والبهتان وقلب الحقائق لان رياسته ومجده ورزقه تتوقف على رواج هذه التجارة فمن يقيس جميع الأوربيين على مايرى ويسمع من تعصب هذين الفريقين فهو مخطئ ضال

مصاب مصر والصحافة العربية الاسلامية

« بالشيخ علي يوسف رحمه الله تعالى »

في صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين من هذا الشهر (ذي القعدة الحرام-اكتوبر) فجعت مصر بأكبر سياسي فيها، وأشهر كاتب من كتاب صحفها، النابغة العصامي الكبير، صديقنا الشيخ علي يوسف منشئ جريدة المؤيد اشهر الجرائد الاسلامية في العالم واعلاها قيمة، وشيخ السادات الوفائية بمصر، فاهتز القطر المصري لوفاته، واضطرب اضطرابا ظهر أثره في جمهور العقلاء والمفكرين، وشعر بأنه فقد ركنا من أركان حياته السياسية والاجتماعية يعز أن يرى له خلفا، أو يجد عنه عوضا، واعترف الموافق للفقيد في سياسته والمخالف له فيها بأن مصاب مصر فيه كبير، وأن الفراغ الذي حدث بفقده واسع يعز ان يوجد من يملؤه. وسيشارك القطر المصري في مصابه سائر الاقطار الاسلامية، ولا سيما العربية

حسب الرجل نبوغا وفضلا أن يوصف في قومه ببعض أسماء التفضيل، ويكون وصفه بها حقا لامراء فيه، وفي مصر كثير من الكتاب والمشتغلين بالسياسة، ولا خلاف بين العارفين المنصفين في كون الفقيد أوسعهم في الشؤون المصرية خبرة، واسدهم رأيا، وامضاهم عزما، واكتبهم قلما. وانك لتجد العقلاء المفكرين يجيلون الآن قداح الفكر، ويراجع بعضهم بعضا الرأي، ويتساءلون بينهم: من يخلف عليا في سياسته المصرية الاسلامية؟ فلا يكون الجواب الا: يجب التفكر والبحث.

كيف نبغ هذا الرجل في مصر بين ألوف ممن نالوا مالم ينله من شهادات المدارس الدينية والمدنية، ونشؤا في بيوت أكبر من بيته جاها واكثر مالا؟

نفس عصام سوّدت عصاما وعلمته الكرّ والاقداما

ان المدارس لا تعطي أبناءها نبوغا، ولكنها تعطيهم آلات للعمل وسلاحا للجهاد، أو تدلهم على ذلك. وما كل من وجد الآلة يحسن العمل، ولا كل من يحمل السيف والقنا، يصيب بهما مقاتل العدى. وبيوت الجاه والمال، لا تستطيع ان تكوّن عظماء الرجال، وانما ينبغ النابغون باستعدادهم الذاتي وصفاتهم النفسية، وقد أودع الله في فطرة فقيدنا حاظا عظيما من هذه الصفات والسجايا، أعلاها قوة الارادة وصحة العزيمة، والاقدام مع الرويّة، والثبات والصبر، والبصيرة في العواقب، وحب معالي الامور واحتقار سفسافها،

وقد دفعه استعداده للظهور الى التطفل على الصحافة من غير استعداد لها بتعليم معلم، أو تربية مرب، فأقدم غير هياب ولا وكل، وعلم نفسه الكتابة بالتمرن والعمل، حتى صار طفيلي الكتابة هو صاحب مائدتها الكبرى في وطنه، وما تلك المائدة الا (المؤيد) ويالها من مائدة كان يفضلها على غيرها أكبر كتاب العصر، فيرغبون ان يكونوا طهاة يهيئون لها الطعام الطيب تارة، وضيوفاً يأكلون ما طاب لهم مما يطبخه صاحبها أو يختاره من طيبات غيره. وان شئت قلت: كان المؤيد مدرسة جامعة عليا يلقي فيها أكبر علماء المسلمين وكتابهم الدروس العالية في العلم والدين والسياسة والاقتصاد والادارة وسائر المعارف الاجتماعية، فكان من أساتذتها وأعوانها الاستاذ الامام والشيخ عبد الكريم سلمان وأمين باشا فكري وحسن باشا عاصم وسعد باشا زغلول وقاسم بك أمين وعلي بك فخري والمويلحي والهلباوي وغيرهم من الكتاب والمفكرين، وكان أكبر أنصارها ومروجيها وزير مصر العظيم مصطفى رياض باشا. وناهيك بمن كانوا يتعاهدونها برسائلهم من سائر الاقطار الاسلامية. وأما الذين تربوا فيها، وتعلموا الكتابة او السياسة بارشاد فقيدنا اليوم، فكثيرون جداً، ومن أشهرهم مصطفى باشا كامل ومحمد أفندي مسعود وحافظ بك عوض

مولده ونشأته ومؤيده

ولد الفقيد في بلدة صغيرة تسمى (بلصفورة) في مديرية جرجا سنة ١٢٨٠ وبعد تعلم مبادئ القراءة والكتابة مال الى طلب العلم فابتدأ بالطلب على شيخ من شيوخ العلم والتصوف في (بني عدي) كان له عناية بتربية أخلاق تلاميذه قلما يلتفت الى مثلها أمثاله في هذا الزمان. ثم في سنة ١٢٩٩ جاء الازهر للمجاورة فيه فأقام فيه ثلاث سنين أو أربعا يشتغل كما يحب، وعني من نفسه بالادب ونظم الشعر، وفي السنة الخامسة مل الطلب، وجنحت نفسه لما هي مستعدة له من العمل، فأنشأ (مجلة الآداب) بالاشتراك مع الشيخ أحمد الماضي، ثم استبدلا جريدة المؤيد بمجلة الآداب سنة ١٣٠٧ ثم استقل الفقيد بها بعد ذلك. فرباها بعزمه وحزمه وثباته وذكائه، وربته بما أدخلته فيه من الحوادث السياسية والمدنية، وما جعلت له من الصلة بكبار رجال الحكومة وسمو الأمير والتعاون مع كبار الكتاب والمفكرين. فلولا صبر الشيخ علي وثباته وفطنته لما قوي المؤيد على ما لقيه من المقاومة وتحامل الاحتلال والاجانب وناهيك بنفوذهم في مصر، ولولا المؤيد لما كان الشيخ علي ذلك السياسي المحنك والكاتب القدير، فانه لم يتعلم الكتابة والسياسة في بني عدي ولا في الازهر، وما ثم من كتابة ولا سياسة. فظهر بهذا ان الرجل قد نبغ باخلاقه وسجاياه التي

دفعته الى الاقدم على العمل ، وأقدرته على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، حتى صار أشهر رجال السياسة في قومه ، وأقدر كتابها في وطنه، وعرف اسمه الشرق والغرب ، فتقدم الى الامام، وتخلف أصحاب الشهادات العالية في العلوم القديمة والحديثة فصاروا وراءه في هذا الميدان . فبهذا يعلم القارئ ان الرجل دخل في عالم العمل وهو لا يحمل من آلاته الصناعية والفنية شيئا يذكر ، ولم يمنعه ذلك ان يبذ حاملي أحدث الآلات الصناعية والفنية ، وانه خاض معامع الجلاد في الجدال وهو أعزل ، فجدّل فرسانها المدججين بامضى أسلحتها الحديثة * هذا وما ... فكيف لو ... *

كانت الصحافة المصرية قبل المؤيد وقفاً على السوريين المسيحيين. والسوري من أقدر الناس على الاصطباغ بصبغة الوطن الذي يهاجر اليه، وعلى خدمته للعلم والادب والسياسة فيه كما يخدم في وطنه . فاذا هاجر الى أوربة يقدر ان يكون أوربياً ، واذا هاجر الى أمريكة يقدر ان يكون أمريكياً ، فاجدر به ان يكون مصريا في مصر التي يصح ان تسمى وطناً أصلياً له ، لانه يشارك أهلها في اللغة وأكثر العادات ، لقرب الجوار وكثرة الاختلاط ، وناهيك بهما وبمكانتهما من مقوّمات الامم وروابط الجنسيات ، لهذا كانت خدمة أكثر السوريين الذين اشتغلوا بالصحافة مرضية عند المصريين، ولولا ذلك لما نجحوا وعاشوا هذه العيشة الراضية ، وصار بعضهم صاحب ثروة واسعة . بل أقول ان أكثر الصحف السورية ومديريها ومحرريها قد صادفوا في مصر قبولا ومساعدة من جمهور الامة وهم المسلمون ، وما نجح من نجح منهم الا بمساعدة الامة برضاها واختيارها ، اللهم الا المقطم فانه أنشئ مشايعاً للاحتلال الانكليزي ، فكره ذلك منه المسلمون فكان نجاحه بنفوذ الاحتلال والحكومة المصرية ، مع قدرة أصحابه وبراعتهم، وسعة علمهم واختبارهم وما شعر المسلمون بشدة حاجتهم الى جريدة وطنية اسلامية الا بعد ظهور المقطم بهذه السياسة وان كانت مصبوغة بصبغة وطنية ، تحاول اقناع المصريين بأن كل ما ترمي اليه هو الموافق لمصلحة مصر في هذا العهد أو الطور الذي دخلت فيه . واذا جاز اقناع بعض الناس بان هذا صواب في الجملة ، فلا يمكن إقناعهم بأن كل ما يحاول الانكليز عمله في مصر إما موافق لمصلحة المصريين، أو يجب سكوتهم عليه وان لم يكن موافقا لمصلحتهم ، وهو ما كانت تدور عليه سياسة المقطم

ظهور المقطم في وقته كان طبيعيا ، وظهور المؤيد وقيامه بمعارضته كان ضروريا، وقد كانت جريدة الاهرام معارضة للمقطم في سياسته الاحتلالية ، ولكن ذلك لم يكن مغنيا للمصريين المسلمين عن انشاء جريدة تشعر بشعور الامة وهي اسلامية، وتعبر عن

رأيها ووجدانها من كل وجه ؛ ومهما صدقت وطنية المخالف للامة في دينها ، وأخلص في خدمتها ، فانه لا يمكنه ان يشعر بشعورها ، ويدرك كنه مصالحها ويغار عليها كغيرها ؛ فكيف اذا كان مبلغ صدقه لها لا يعدو صدق الصانع الأمين الذي يجيد الصنعة على قدر الاجرة !

هذا وان للدين دخلا كبيرا في المصالح السياسية والوطنية لا ينكره الا جاهل أو مكابر . فها نحن أولاء نرى طائفة القبط كانت وما زالت اشد معارضة للمسلمين في منازعهم السياسية والمصالح والمنافع المصرية من الاجانب أنفسهم ، بل نرى مثل هذا في أرقى البلاد مدنية ، فان طائفة البروتستانت في (أرلندة) غير راضية بالاستقلال الذي رضيته الحكومة الانكليزية لوطنها لان أكثر أهله من طائفة الكاثوليك ، وكلهم نصارى !

إذن . كان من أكبر تقصير مسلمي مصر واهمالهم وتوكلهم أن لا يكون لهم جريدة اسلامية سياسية ، أو عدة جرائد اسلامية سياسية وغير سياسية ، وقد كان فقيدنا اليوم هو الذي أزال هذا النقص ، والفضل الاكبر فيه له . ومما ينتقد على القطر كله انه لم يستطع ايجاد شقيقة أخرى للمؤيد ، بل مرض المؤيد بما أصاب مؤسسه من الامراض الجسدية والنكبات المالية ، وخيف عليه السقوط على قوة اساسه ، ونور نبراسه ، ولم تظهر الكفاءة من أحد لانشاء مثله ، واسست له شركة فلم تستطع الاضطلاع بأمره ، وانما كان أعضاء شركته كغيرهم يرجون ان يعود الى ما كان عليه بعودة الصحة الى مؤسسه . فلما وقع قضاء الله تعالى شعروا وشعر جميع أهل الرأي والغيرة بوجوب العناية به ، كما يليق بمكانته وأفقه ، وهذا هو موضوع حديثهم وهمهم اليوم

لا يمكن ان تحل محل المؤيد جريدة أصحابها وكتابها من غير المسلمين ، ولا من المسلمين المتفرنجين ؛ بل لا بد ان يكون الروح المدبر لمثل هذه الجريدة كروح من فقدنا اليوم — اسلامي قبل كل شيء — بأن تكون تربيته اسلامية وعنده من المعارف الاسلامية والوقوف على حال العصر ما يعرف به كيف يحافظ على مصالح امته الملية ؛ من غير إخلال بالحقوق العامة والمنافع الوطنية ؛ ليعرف كيف يدير السفينة في مهاب العواصف الاجتماعية والسياسية التي تمس الدين ومصالح أهله ، كالعاصفة التي هبت منذ بضع عشرة سنة على المحاكم الشرعية بسعي بطرس باشا غالي فكادت تقوض بناءها المعنوي ، وكعاصفة القبط التي أرادوا بها ان يأتوا على آخر ما بقي للمسلمين من شيء في حكومة هـذه البلاد ، حتى شعائر الجمعة والاعياد ، وكعاصفة متفرنجي المسلمين الذين يدعون الى فرنجة النساء ، وهتك ما بقي من آثار العفاف والصيانة والحياء ، باسم تحرير

المرأة وتمدينها ، وترقية الامة وتعليمها ، وكالعاصفة التي اثارها بعض أهل الاهواء من المسلمين لمقاومة مشروع الدعوة والارشاد - فهل يرجى ان يدير سفينة المصلحة الاسلامية في مهاب امثال هذه العواصف مسيحي مهما كان محبا للبلاد وأهلها ، أو متفرنج جاهل بحقيقة الاسلام يصدق عليه المثل « صديق أحمق شر من عدو عاقل » ؟

الا انه قد علم المسلم وغير المسلم انه لم توجد في مصر جريدة سياسية اسلامية بحق الا جريدة المؤيد ، وان وجودها ضروري من الضروريات ، لا من الحاجيات أو التحسينيات . نعم وجدت عدة صحف للمسلمين لكنها غير اسلامية المشرب والسياسة . وقد أكثر بعضها الجعجعة باسم الاسلام والمسلمين ، وأظهرت الغلو في التشنيع على المعارضين والمخالفين ، تحاول بذلك ان تميت المؤيد وتحل محله . وانما تلك نزعات أهواء ، ومظاهر سمعة ورياء ، وكان أمثلها جريدة اللواء ، واين اللواء من المؤيد

واين الثريا واين الثرى واين معاوية من علي

ما كان اللواء الا إعلانا لوطنية صاحبه ، وشاعرا يطريه في كل عدد ، على حين تمر السنة والسنين ولا ينشر في المؤيد شيء في تعظيم صاحبه ، اللهم الا في الحوادث التي يكتب فيها شيئا يكون شديد الوقع في البلاد ، فيحبذه الناس بالبرقيات والرسائل ، ويرى ان في نشرها ، بيانا لرأي الجمهور في موضوعها ، ولا يصده عن النشر كونه هو الموضوع او كون الموضوع يتضمن الثناء عليه . فالفصل بين المؤيد واللواء ان المؤيد جريدة المصلحة العامة للدين والدولة ومصر وأميرها ، على قاعدة ان مصلحة مصر مرتبطة بسلطة أميرها . واما اللواء فهو - وان انشئ محاكاة المؤيد لأن صاحبه تربى في حجر صاحب المؤيد - لم يكن الا جريدة مصطفى كامل نفسه ، فكانت تكون مع الامير تارة وعليه تارة ، وتوافق احكام الاسلام ومصلحته تارة وتخالفها تارة ، يدور ذلك كله على ذلك المحور الشخصي ، وليس هذا مقام إثبات هذه المسألة بالشواهد والبينات . وحسبي ان أذكر الواعين بتهييج اللواء اليهود على الاستاذ الامام ، لأنه فسر ما ذمهم الله تعالى به في القرآن ، وبتشنيعه للقصاص في القتل عند دفاعه عن ضابط قتل آخر في السودان ، وقد كتب الله علينا القصاص بنص القرآن ، دع انقلابه على أمير البلاد الذي لو لا نعمه عليه لم يكن شيئا مذكورا ، وقد مات اللواء وصاحبه ومات صاحب المؤيد ايضا ، فلا هوى لأحد في ترجيح احدى الجريدتين على الأخرى ، وانما غرضنا بيان الحقيقة انصافا للتاريخ ، وتنبيها للأمة الى مزية المؤيد وفضله لتحافظ عليه ، وتذكيراً لشركة المؤيد ، ولاصحاب النفوذ في البلد ، بوجوب انتقاء رئيس

لتحريره يحفظ مزاياه كلها من حيث هو جريدة اسلامية عربية مصرية ·
(وسنتكلم على سياسة الفقيد وسائر ماتري فيه العبرة من سيرته فيما يأتي ان شاء الله تعالى)

﴿الازهر ودعاة النصرانية﴾

قد اشتدت في هذا العام حملة دعاة النصرانية بمصر (وكذا في غيرها) على الاسلام واتحدت جمعياتهم على ذلك · وهم يبذلون جهدهم هنا في اغواء بعض مجاوري الازهر الذين فتنوا بالاختلاف الى جمعياتهم التي يدعون فيها الى دينهم ويطعنون فيها في الاسلام · ونحن نعلم ان المجاور في الازهر قد يقيم فيه بضع سنين لا يتلقى كتابا من كتب العقائد ، وان كثيرا منهم لا يفهمون مايتلقونه منها فهما صحيحا ، وان الذين يفهمون هذه الكتب المتداولة كشروح السنوسية والجوهرة والنسفية وحواشيها لا يستفيدون منها علما يدفعون به شبهات دعاة النصرانية ومطاعنهم في الاسلام، لأن مسائل هذه الكتب محدودة لاغناء فيها الآن وهي تتلقى بالتقليد ، ومن اظهر الاشتباه في شيء منها ينبز بلقب الاعتزال أو الابتداع او الكفر ·

ألا فليتذكر المجلس الأعلى للأزهر ومجلس ادارته أن هؤلاء المجاورين في بلاد اطلقت فيها حرية الطعن في الاديان ، وانه يطبع فيها كل سنة ألوف كثيرة من الكتب في الطعن في القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام ، وأن بلادا كهذه يجب ان تعلم فيها العقائد وعلم الكلام، على طريقة الاستقلال والاستدلال، الموافقة لحاجة الزمان والمكان،وان السنوسية والنسفية والدوانية لاغناء فيها الآن ، وان هذه الفوضى في الأزهر مع هذا الضعف في تعليم أصول العقائد والدفاع عنها ستفضي الى الخزي والعار بافتتان بعض المجاورين الجاهلين وتنصرهم ، فانه اذا تنصر بعض مجاوري الأزهر يتخذ ذلك دعاة النصرانية حجة على عجز اكبر معاهد العلم الاسلامي في الارض عن إثبات الاسلام وإبطال شبهات النصرانية

فأقترح على المجلس الأعلى للأزهر أمرين يجب عليه المبادرة اليهما (احدهما) تغيير طريقة تدريس العقائد وعلم الكلام وجعلها على الوجه الذي فهم من سابق كلامنا هنا وهوما بيناه في الفصل الملحق بنظام دار الدعوة والارشاد (ثانيهما) حصر طلاب الازهر بنظام جديد، يجعل فيه لكل مئة منهم نقيب، ولكل عشرة من المئة عريف، ليسهل معرفة سيرتهم واحوالهم عند مشايخ الأروقة ومجلس الادارة · ثم يجعل غشيانهم محافل دعاة النصرانية مشروطا باذن من مجلس الادارة او من رئيس لجنة خاصة

تعين للنظر في ذلك . وهي لا تأذن لأحد منهم الا بعد العلم بغرضه من الذهاب، و بكنه استعداده في هـذا الامر ، وما يجب ان يزود به من الوصية ، و يشـترط عليه بعد العودة ما كان من تأثير ماسمعه ورآه في نفسه ، ويرشد من يؤذن لهم بحضور هذه المحافل الى قراءة الـكتب النافعـة في موضوع الخلاف بين الاسلام والنصرانية . ومن خالف مثل هذا يمحى اسمه من دفاتر الازهر، وتعلن حقيقة حاله حتى لا يغتر بصفته أحد . وإذا قبل المجلس رأينا يستغني بهذا الاجمال عن التفصيل ، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

﴿ بيان حزب اللامركزية والاصلاح في الولايات العربية ﴾

نشرنا في غير هذا الموضع بيان حزب اللامركزية الا قليلا منه أشرنا الى سبب حذفه . أما السبب الذي حمل الحزب على هذا وعلى حمل اللجان والجمعيات العربية على ارسال البرقيات الى الصدارة العظمى بطلب اللامركزية فهو مشروح في البيان . ونزيد عليه شيئا نعلمه علم اليقين عسى أن تتدبره الوزارة حق التدبر وهو :

ان بعض المتملقين للحكومة اليوم، الذين كانوا أشد تملقا للحكومة الحميدية من قبل ، مازالوا يغشون الوزارة الحاضرة وجمعية الاتحاد والترقي يتهوين أمر طلاب الاصلاح اللامركزي وتحقيرهم، وزعمهم انهم لا قيمة لهم عند الامة ولا هي ترى رأيهم ، وان الحـكومة يمكنها أن تأتي هذا البنيان من القواعد بمعونتهم، وهم أصحاب الزعامة بزعمهم ، وما عليها الا أن تواتيهم على ما جربوا من السياسة الحميدية فتعيد فتنة الرتب والاوسمة سيرتها الاولى ، وتفتن بزخرفها وزينتها أشهر علماء المسلمين ، وبعض قرنائهم من المعارضين ، فيتحد الفريقان على المصلحين ، ويحاربون الاصلاح باسم الدين ، الذي جدل به عبد الحميد فرسان الاحرار تجديلا ، فجعلهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، (ولـكنهم اهتدوا بعد الى القوة)

هذا ما بلغ رجال الحزب من خبر المعارضين للاصلاح ، ثم رأوا ان الحـكومة انخدعت لرقيتهم . وأمطرت على حملة العمائم مطرا من الرتب والاوسمة، بدون عمل كوفئوا بها عليه ولا مناسبة . ومن يهتدي برأي رجال عبد الحميد ، لامندوحة له عن عمل عبد الحميد! ولم نكن ننتظر هذا من رجال حكومتنا الحاضرة. ولـكنهم سوّفوا في ماوعدوا به من الاصلاح ، حتى ماصدرت به ارادة مولانا السلطـان ، وعادوا الى التجارب التي تضيع بها نفـائس الاوقات ، فأراد حزب اللامركزية أن يريهم آية

من أكبر الآيات ، على صدقه واخلاصه هو وسائر المطالبين بالاصلاح ،وأنهم هم زعماء الامة لا أولئك المدعون الكاذبون ، الغارّون المغرورون ، وسيعلمون أيضا ان معارضي الاصلاح من المعممين ، تمدهم الامة من المنافقين ، فلا نفوذ لهم في أمر الدنيا ولا الدين، وأما من عداهم من الصادقين، فهم لا يبيعون دينهم وأمتهم بالرتب والنياشين

هذا وان رجال حكومتنا يعلمون ان اكثر المعارضين للاصلاح من العرب أولو تملق ودهان ، وطلاب مناصب ومنافع ، ولكنهم كانوا يظنون ان السواد الاعظم من العرب أقرب الى رأيهم ، لغلبة الجهل عليهم ، وان لهم نفوذا في البلاد اذا أيدته السلطة يزداد قوة ، فيكون عونا للحكومة على ماتريد من الامة ، فأراد الحزب ان يخدم الحكومة بكشف الحقيقة لها في هذا الامر أيضا . لعلها تبادر الى الاصلاح من تلقاء نفسها ، في هذا الوقت الذي يعده طلابه فضلا واحسانا منها

فاذا هي أصرت على المطل والتسويف يخشى ان تنتقل المسألة العربية بحسب سنة الله تعالى في نظام الاجتماع البشري الى طور آخر يضطر الحكومة الى الاصلاح اضطرارا ، او يلجئ الاجانب الى التوسط بينها وبين العرب ، كما أنشؤا يتوسطون بينها وبين الارمن . وهذا مالا يرضاه طلاب الاصلاح من العرب، ولذلك لم يسعوا اليه كما سعت الارمن ، ولكنهم يخشون ان تلجيء اليه طبائع الاحوال، وتقضي به سنن الاجتماع

﴿ عناية نظارة المعارف المصرية باللغة العربية ﴾

عرفنا احمد حشمت باشا ناظر المعارف بمصر من قبل ان يتولى هذه النظارة ومن قبل أن يدخل في سلك الوزارة غيوراً على اللغة العربية حريصا على إصلاح التعليم بها ، وكان يتكلم في ذلك مع من يراهم أهلا ، أو يرجو منهم عملا ، ويساعد الادباء والمؤلفين بماله وجاهه عند مايرى لذلك طريقاً . وقد ظهرت هذه الغيرة والحرص منه في عهد وزارته للمعارف ، فلا يزال يجد ويجتهد في اصلاح التعليم لهذه اللغة والتعليم بها ، وتوسيع نطاق العلوم والفنون فيها ، فهو الذي سن سنة التعليم العملي في النظارة ، واسس مدارس جديدة للزراعة والتجارة ، وزاد في دروس مدارس البنات كل ما يحتجن اليه من العلوم والاعمال، عند مايصرن ربات بيوت وامهات أولاد. وقد نشر في هذا الشهر منشورات حتم فيها العناية بدرس متن اللغة وضبطها واتقان تدريسها ، وشكل كتب التعليم ، وتسهيل قراءتها بما سموه الترقيم ، وهو وضع علامات للوقف التام وغير التام فيها، وعلامات للاستفهام والتعجب وغير ذلك مما سبقنا الى استعماله في المنار، وسنتكلم عن هذا الاصلاح بالتفصيل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الخريف الثالث ١٢٩١ هـ ش ٢٩ نوفمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٦ * ١٨) يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (١٧ * ٠) قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٨ * ٠) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

بين الله تعالى لرسوله (ص) والمؤمنين أنه أخذ الميثاق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى من قبل ، كما أخذه على هذه الامة الآن ، وأنهم نقضوا ميثاقه ، وأضاعوا حظا عظيما مما أوحاه تعالى اليهم ، ولم يقيموا ما حفظوا منه . وهذا البيان من دلائل نبوته (ص) التي هي من معجزات القرآن الكثيرة . ثم ناداهم

بعد ذلك ووجه اليهم الخطاب في إقامة الحجة عليهم بقوله عز وجل :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ قيل ان هذه الآية نزلت في قصة إخفاء اليهود حكم رجم الزاني حين تحاكموا الى النبي (ص) في ذلك وستأتي القصة في هذه السورة . والصواب أن الآية على إطلاقها فكان رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لاهل الكتاب كثيراً من الاحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم، منها حكم رجم الزاني وهو مما حفظوه من أحكام التوراة (كما تراه في ٢٢: ٢٠ ـ ٢٤ من سفر التثنية) ولم يلتزموا العمل به ، وأنكروه أمام النبي (ص) فأقسم على عالمهم ابن صوريا وناشده الله حتى اعترف به . فهذا مما كانوا يخفونه عند وجوب العمل به أو الفتوى . وكذلك أخفوا صفات النبي (ص) والبشارات به وحرفوها بالحمل على معان أخرى . اليهود والنصارى في هذا سواء . وهذا النوع غير ما أضاعوه من كتبهم ونسوه البتة ، كنسيان اليهود ما جاء في التوراة من خبر الحساب والجزاء في الآخرة . وما أظهره لهم الرسول مما كانوا يخفونه عنه وعن المسلمين كانت الحجة عليهم فيه أقوى ، لانهم كانوا يعلمون أنه أمي لم يطلع على شيء من كتبهم، ولهذا آمن من آمن من علماء اليهود المنصفين واعترفوا بعد ايمانهم بما بقي عندهم من البشارات وصفات النبي (ص)

﴿ ويعفو عن كثير ﴾ مما كنتم تخفونه فلا يفضحكم ببيانه . وهذا النص حجة عليهم ايضا لانهم يعلمون انهم يخفون عن المسلمين وعن عامتهم كثيراً من المسائل لئلا يكون حجة عليهم إذ هم لا يعملون به ، كدأب علماء السوء في كل أمة : يكتمون من العلم ما يكون حجة عليهم ، كاشفا عن سوء حالهم ، أو يحرفونه تحريفا معنويا بحمله على غير معناه المراد

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ في المراد بالنور هنا ثلاثة أقوال: احدها أنه النبي (ص) ، ثانيها أنه الاسلام ، ثالثها انه القرآن . ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورا هو انها للبصيرة كالنور للبصر ، فلولا النور لما أدرك البصر شيئا من

المبصرات ، ولولا ما جاء به النبي من القرآن والاسلام لما أدرك ذو البصيرة من أهل الكتاب ولا من غيرهم حقيقة دين الله ، وحقيقة ما طرأ على التوراة والانجيل من ضياع بعضها ونسيانه ، وعبث رؤساء الدين بالبعض الآخر باخفاء بعضه وتحريف البعض الآخر ، ولظلوا في ظلمات الجهل والكفر لا يبصرون . والكتاب المبين هو القرآن ، وهو بين في نفسه مبين لما يحتاج اليه الناس لهدايتهم ، ولولا عطفه على النور لما فسروا النور الا به ، فان الاصل في العطف ان يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير ، وهو الذي أختاره هنا لتوافق هذه الآية وما بعدها قوله تعالى في أواخر سورة النساء (٤ : ١٧٢ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ١٧٣ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقد قال هنا بعد ذكر هذا النور :

﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ فبين مزية النور والكتاب المبين بضمير المفرد فقال « يهدي به » ولم يقل بهما ، فكان هذا مرجحا لكون المراد بهما واحدا وهو القرآن . وثم شواهد أخرى تؤيد ما اخترناه غير آيتي النساء ، كقوله تعالى في المهتدين من أهل الكتاب في سورة الأعراف بعد ذكر بعثة النبي (ص) اليهم (٧ : ١٥٧ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وكقوله تعالى في سورة التغابن (٦٤ : ٨ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) على ان هذا المعنى لا يتغير اذا قلنا ان النور هنا هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فانه هو المظهر الأكمل للقرآن ببيانه له وتخلقه به كما قالت عائشة (رض) : كان خلقه القرآن . ولا نعدم لذلك شاهدا من آياته فقد وصفه الله تعالى في سورة الاحزاب بقوله (وسراجا منيرا)

وليرجع القارئ الى تفسيرنا لآيتي النساء اللتين ذكرناهما آنفا فقد بينا في تفسيرهما معنى كون القرآن نورا مبينا بما ينفعه في فهم ما هنا .

وقد ذكر الله هنا لهذا النور ثلاث فوائد (الاولى) انه يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، أي ان من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور يهديه

— هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة — الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل مايرديه و يشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى وحقوق نفسه الروحية والجسدية وحقوق الناس . فيكون متمتعا بالطيبات مجتنبا للخبائث ، تقيا مخلصا ، صالحا مصلحا ، و يكون في الآخرة سعيدًا منعما، جامعا بين النعيم الحسي الجسدي، والنعيم الروحي العقلي . وخلاصة هذه الفائدة انه يتبع دينا يجد فيه جميع الطرق الموصلة الى ماتسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة ، لانه دين السلام والاخلاص لله ولعباده ، دين المساواة والعدل ، والاحسان والفضل

(الفائدة الثانية) الاخراج من ظلمات الوثنية والخرافات والاوهام التي أفسد بها الرؤساء جميع الاديان واستعبدوا أهلها - الى نور التوحيد الخالص الذي يحرر صاحبه من رق رؤساء الدين والدنيا ، فيكون بين الخلق حرًّا كريما ، و بين يدي الخالق وحده عبدًا خاضعا . وقوله « باذنه » فسروه بمشيئته و بتوفيقه . والاذن العلم. يقال أذن بالشيء اذا علم به ، وآذنته به أعلمته فأذن ، و يقال أذن بالتشديد وتأذن بمعنى أعلم غيره ، ويقال أذن له بالشيء اذا أباحه له . وأذن له أذنا استمع. والظاهر أن الإذن هنا بمعنى العلم أي يخرجهم من الظلمات الى النور بعلمه الذي جعل به هذا القرآن سببا لانقشاع ظلمات الشرك والضلال من نفس من يهتدي به ، واستبدال نور الحق بها ، بنسخه وازالته لها ، فهو اخراج يجري على سنن الله تعالى في تأثير العقائد الصحيحة في النفوس واصلاحها إياها — لا انه يحصل بمحض الخلق واستئناف التكوين من غير أن يكون القرآن هو المؤثر فيه

(الفائدة الثالثة) الهداية الى الصراط المستقيم . وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين في أقرب وقت ، لانه طريق لاعوج فيه ولا انحراف فيبطئ سالكه أو يضل في سيره ، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن على الوجه الصحيح الذي أنزله الله تعالى لأجله ، كما كان عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الخلاف والتأويل ، بأن تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة في تزكية الانفس و إصلاح القلوب واحسان الاعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله في خلق الانسان .

(١٩) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ؟ (٢٠٠٠) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠*٢١) وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصٰرَىٰ : نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (*) . قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ . يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٢١*٢٢) يَاأَهْلَ ٱلْكِتٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ ، أَنْ تَقُولُوا : مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ . فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ . وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة ، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة ،

فقال ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ قال البيضاوي : «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم ، وقيل لم يصرح به أحد منهم ، ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا: لا إله الا واحد - لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم، توضيحا لجهلهم ، وتفضيحا لمعتقدهم ، » وذكر الفخر الرازي في تفسيره ان هـذا القول مبني على عقيـدة الحلول والاتحاد ، وأنه لازم مذهب النصارى وان كانوا لا يقولونه أو لا يقوله أحد منهم. وصرح بعض المفسرين بان هذا المذهب مذهب اليعقوبية منهم خاصة . وذلك ان السابقين من المفسرين والمؤرخين ذكروا ان النصارى ثلاث فرق: اليعقوبية والملكانية والنسطورية . واعلم ان أمثال الزمخشري والبيضاوي

(*) قال علماء المصحف ان كلمتي أبناء واحباء هنا كتبتا في بعض المصاحف بالالف كما تكتب في الرسم المعتاد وفي بعضها بالواو هكذا « ابنؤا الله واحبؤه »

والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرءوا كتبهم ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم الا قليلا ، وانما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة . ومنها ماهو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة ، فالقول بها لا ينافي وحدانية الخالق . وكان يقول مثل هذا بعض علماء النصارى لعلماء المسلمين ؛ والظاهر ان بعض المتقدمين كان يعتقد هذا ، كما انه يوجد الآن في نصارى اوربة وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون ان المسيح نبي رسول لا إله . ولعله لم يبق في النصارى من يقول بتلك الفلسفة ، لأنهم في كل عصر يغيرون في دينهم ماشاؤا ان يغيروا في فلسفته وغير فلسفته. وكان أكبر تغيير حدث بعد هؤلاء المفسرين مذهب (البروتستانت) أي اصلاح النصرانية ، حدث منذ أربع قرون وصار هو السائد في أعظم الامم مدنية وارتقاء كالولايات المتحدة وانكلترة وألمانية . نسف هذا المذهب أكثر التقاليد والخرافات النصرانية التي كانت قبلها ثم استبدل بها تقاليد أخرى فصار عدة مذاهب في الحقيقة ، ومع هذا ترى هؤلاء المصلحين الذين زعموا انهم أعادوا النصرانية الى أصلها لم يستطيعوا ان يرجعوها الى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنبياء بني اسرائيل ورسل الله اجمعين ، فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح وبالتثليث ويعدون الموحد غير مسيحي ، كما يقول ذلك الفرقتان الكبيرتان الاخريان من فرق النصرانية في هذا العصر — وهم الكاثوليك والارثوذكس — فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول ان الله هو المسيح بن مريم ، وان المسيح بن مريم هو الله . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا • والظاهر ان النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة كما قال مفسرونا

قال (الدكتور بوست) في تاريخ الكتاب المقدس عند الكلام على لفظ الجلالة ما نصه :

« طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفدى ، والى الروح القدس التطهير . غير ان الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الاعمال على السواء .

أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد . وقد أشير الى هذا في (تك ص ١) حيث ذكر « الله » و « روح الله » الخ (قابل مز ٣٣ : ويو ١٦ : ١٠ و ٣) والحكمة الالهية المشخصة في (أم ص ٨) تقابل الكلمة في (يو ص ١) وربما تشير الى الاقنوم الثاني . وتطلق نعوت القدير على كل اقنوم من هذه الاقانيم الثلاثة على حدته » اه بحروفه

والحق ان العهد القديم ـ أي كتب الانبياء الذين كانوا قبل المسيح ـ ليس فيها شيء ظاهر ولا خفي في عقيدة التثليث لأنها عقيدة وثنية محضة . ومن أغرب التكلف تفسير الحكمة في امثال سليمان بالكلمة بالمعنى الذي يريدونه وهو وهم لم يخطر في بال سليمان ، ولا المسيح عليهما السلام، وسترى انهم قالوا : ان استعمال الكلمة بهذه المعنى لم يرد الا في كلام يوحنا ! ! وقد كان جميع أنبياء الله تعالى موحدين ، اعداء للوثنية والوثنيين . وانما يصح ان يقال ان التوحيد ظاهر جلي في العهد الجديد أيضا ، والتثليث فيه هو الخفي . فان العقيدة التي يدعو اليها دعاة النصرانية ، والعبارات التي يذكرونها في ألوهية المسيح والتثليث لاتفهم كلها من العهد الجديد ، بل هنالك عبارات يتحكمون في تفسيرها وشرحها كما يهوون ، على خلاف شهير فيها بين متقدميهم ومتأخريهم

والعمدة عندهم في هذه العقيدة أول عبارة من انجيل يوحنا وهي « في البدء كانت الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة » وقد اطلقوا لفظ الكلمة على المسيح ، فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة انجيل يوحنا : والله هو المسيح بن مريم . وهذا عين ما أسنده القرآن اليهم ، فكيف يقول البيضاوي والرازي انه اسند اليهم لازم مذهبهم ؟

قال بوست في قاموسه : « يقصد بالكلمة السيد المسيح ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى الا في مؤلفات يوحنا (١ : ١ ـ ١٤ وايو ١ : ١ ورؤ ١٩ : ١٣) وقد استعمل الفيلسوف (فيلو) لفظة « الكلمة » غير انه يقصد بها غير ماقصد يوحنا » اه

أقول قد بينا في تفسير « فنسوا حظا مما ذكروا به » انهم قالوا ان يوحنا ما كتب انجيله في آخر عمره الا إجابة لاقتراح من ألحوا عليه بذلك للعلة التي ذكروها .

فلولا هذا الاقتراح والإلحاح لما كتب ، ولو لم يكتب لم تعرف هذه العقيدة — فثبت أن هذه العقيدة لم يذكرها المسيح نفسه في كلامه ولا دعا اليها أحد من تلاميذه الذين انتشروا في البلاد للدعوة الى انجيله ، ولم يعرفها أحد الا في العشر العاشر من القرن الأول الذي كتب فيه يوحنا انجيله هذا ان صح ان يوحنا الحواري هو الذي كتبه - ولن يصح - ولا يعقل ان يسكت المسيح وجميع تلاميذه عن هذه العقيدة اذا كانت هي أصل الدين كما تزعم النصارى ، بل الذي تتوفر عليه الدواعي ان يقررها المسيح نفسه في كلامه ، ويجعلها تلاميذه أول ما يدعون اليه و يكررونه في أقوالهم ورسائلهم .

ولا يغرنك ما أشار اليه (بوست) من الشواهد عن رسالة يوحنا ورؤياه فتظن أن هنالك نصا أو نصوصا في اثبات هذه العقيدة ، كلا ! ان الشاهد الذي عزاه الى أول رسالته الأولى هو : « الذي كان من البدء ، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة » فكلمة الحياة لا تفيد هذه العقيدة الا بتحكمهم . وأما الشاهد الذي عزاه الى الرؤيا فهو : « ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم و يحارب ١٢ وعيناه كلهيب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ١٤ والاجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض نقيا ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد » فانت ترى ان هذه الاوصاف لا تنطبق على المسيح وانما تنطبق على اخيه محمد عليهما الصلاة والسلام ، فمن اسمائه الصادق والأمين ، و بالعدل كان يحكم و يحارب الخ ولم يكن للمسيح شيء من هذه الصفات . ولفظ « كلمة الله » هنا لا يفيد معنى تلك العقيدة ولا يشير اليها لأن كل شيء وجد بكلمة الله وهي كلمة التكوين (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

وأما الدليل على كون هـذه العقيدة وثنيـة فهو يظهر لك جليا فيما كتبناه في تفسير قوله تعالى من هذا الجزء (٤ : ١٦٩ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم —

الى قوله -- ولا تقولوا ثلاثة) وذلك ان زعمهم « ان الله هو المسيح بن مريم » جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثني الشرق والغرب. وقد أوردنا هنالك من شواهد كتب التاريخ وآثار الاولين ماعلم به قطعا ان النصارى أخذوا هذه العقيدة عنهم . وسنعود الى ذكرها عند تفسير قوله تعالى من هذه السورة « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » ـ

قال تعالى في تبكيت هؤلاء الناس ورد زعمهم :

﴿ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجرئين على مقام الالوهية بهذا الزعم الباطل : من يملك من أمر الله وارادته شيئا يدفع به الهلاك والاعدام عن المسيح وامه وعن سائر أهل الارض ان أراد عز وجل ان يهلكهم ويبيدهم ؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتجهيل ، أي إن المسيح وامه من المخلوقات التي هي قابلة لطروء الهلاك والفناء عليها كسائر أهل الارض، فاذا أراد الله ان يهلكهما ويهلك أهل الارض جميعا لايوجد أحد يستطيع ان يرد ارادته ، لانه هو المالك لامر الوجود كله ، ولا يملك أحد من أمره شيئا يستطيع به ان يصرفه عن عمل يريده ، أو يحمله على أمر لايريده ، أو يستقل بعمل دونه . تقول العرب : ملك فلان على فلان أمره . اذا استولى عليه فصار لايستطيع ان ينفذ أمرا ولا ان يفعل شيئا الا به أو باذنه . قال ابن دريد في وصف الخمرة التي لم يكسر المزج حدتها، ولم تبطل النار تأثيرها :

لم يملك الماء عليها أمرها ✻ ولم يدنسها الضرام المحتضى

وقوله تعالى « فمن يملك من الله شيئا » أبلغ من مثل هذا القول لأنه نفى ان يملك أحد بعض أمره تعالى فضلا عن ملك أمره كله . فصار المعنى انه لا يوجد أحد يستطيع ان يرد أمره أو يحوله عن ارادته بوجه ما ولو الدعاء والشفاعة ، اذ لايستطيع أحد ان يشفع عنده الا باذنه لمن ارتضاه، فلامر في ذلك كله له وحده عز وجل . ويدخل في عموم ذلك المسيح نفسه وغيره من الانبياء ، وكذا الملائكة

عليهما السلام. فإذا كان المسيح لا يستطيع ان يدفع عن نفسه الهلاك او عن والدته كما انه لا يستطيع غيره ان يدفعه عنه اذا أراد الله تعالى انزاله به، فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء ؟

ومن غريب تهافت هؤلاء الناس انهم قالوا ان شر نوع من أنواع الاهلاك وهو الصلب نزل بالمسيح - الذي هو الكلمة ، والله هو الكلمة بزعمهم - ولم يستطع ان يدفعه عن نفسه ، وأنه استغاث بربه خائفا وجلا ضارعا خاضعا ليصرف عنه ذلك الكأس فلم يجبه الى ماطلب !! وهم يكابرون انفسهم في دفع هذا التهافت بمثل قولهم: انه كان له طبيعتان ومشيئتان، ثنتان منهما إلهيتان وثنتان بشريتان ، وليت شعري اذا كان هذا ممكنا فهل يمكن معه ان يجهل المسيح بطبيعته البشرية طبيعته الالهية فيعترض عليها بمثل قولهم عنه في انجيل متى (٢٧ : ٤٦ الهي الهي لماذا تركتني) ويستنجدها غير عالم بما يمكن وما لا يمكن لها بمثل ما قالوه عنه في انجيل متى (٢٦ : ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : ياأبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس - الى ان قال - ٤٢ فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا : إن لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك) ؟ كلا إن هذا أعظم حجة عليهم مصدقة لحجة القرآن ، فان مشيئة الله لا يردها شيء.

ثم ان الطبيعة البشرية هي التي خاطبت البشر فاذا كان هذا شأنها ، لا يقبل قولها ولا يوثق بتعليمها ، فكيف تجعل مع الطبيعة الاخرى شيئا واحدا ، يسمى ربا وإلها ويعبد ، والناس مارأوا الا الطبيعة البشرية ، ولا عرفوا غيرها ولا سمعوا الا كلامها ولا رأوا الا أفعالها ؟ والنكتة في عطف من في الارض جميعا على المسيح وامه التذكير بأنهما من جنس البشر الذين في الأرض وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . واناجيلهم تعترف بأن المسيح كان كغيره في الشؤون البشرية كما سيأتي في تفسير « ما المسيح بن مريم الا رسول » الآية

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما ﴾ الظاهر ان هذه الجملة حالية أي فمن يملك من الله شيئا ان أراد اهلاك المسيح وامه واهل الارض قاطبة والحال انه هو صاحب الملك المطلق والتصرف الاستقلالي الكامل في السموات والارض

وما بينهما ، أي ما بين اجرام واجزاء هذين العالمين العلوي والسفلي بالنسبة اليكم .

وهذا الملك والتصرف مما تعترف به النصارى ، ولكنهم زعموا ان صاحب هذا الملك العظيم والتصرف المطلق والكمال الاعلى قد عرض له بعد خلق آدم ـ الذي ندم وتأسف من كل قلبه أنه خلقه ـ أمر عظيم ، وهو ان آدم عصاه فاقتضى عدله ان يعذبه هو وذريته ! واقتضت رحمته ان لا يعذبهم ، فوقع التناقض والتعارض بين مقتضى صفاته فلم يجد لذلك مخرجا يجمع به بين مقتضى العدل والرحمة ، الا أن يحل في بطن امرأة من ذرية آدم ويتكون جنينا فيه فتلده انسانا كاملا وإلها كاملا ! ثم يعرض نفسه لشر قتلة لعن صاحبها على لسان رسله وهي الصلب ، فداء لآدم وذريته ، وجمعا بين عدله بتعذيب واحد منهم هو وحده البريء من الذنب ، ورحمة الآخرين إن آمنوا بهذه العقيدة ولو بغير عقل ، ثم انه لم يتم له هذا الجمع لأن اكثر البشر لم يؤمنوا بها !! فهو لا بد أن يعذبهم في الآخرة . على أنه عذب كثيرا من الناس بمثل ما عذبه به وبغير ذلك ومنهم المؤمنون بتلك العقيدة ، فلماذا لم يكن تعذيبهم في الدنيا فداء لهم ؟ وهل هذا هو الجمع بين العدل والرحمة ؟ !

ولما كانت شبهتهم على كون المسيح بشرا إلها ، وانسانا ربا ، هي أنه خلق على غير السنة العامة في خلق البشر ، وانه عمل اعمالا غريبة لا تصدر عن عامة البشر ، قال تعالى في رد هذه الشبهة ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ أي لما كان له ملك السموات والأرض وما بينهما ، كان من المعقول أن يكون خلقه للاشياء تابعا لمشيئته ، فقد يخلق بعض الاحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا انوثة كاصول أنواع الحيوان ، ومنها ابو البشر عليه السلام ، وقد يخلق بعضها من ذكر فقط أو انثى فقط ، وقد يخلق بعضها بين ذكر وانثى ، ولا يدل شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات على بعض على حلول الاله الخالق فيها ، بل هذا لا يعقل ولا يمكن . فامتياز الارض على عطارد أو زحل بوجود الاحياء فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلا على كون الارض إلها لذلك الكوكب الذي فضلته بهذه المزية . كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها أو ربا لمن لم توجد فيهم هذه المزايا ، لان المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق ، فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا نسبته الى

خالقه كنسبة سائر المخلوقات اليه تعالى وأما الامتياز ببعض الافعال الغريبة فهو معهود من البشر أيضا ، ونقل ذلك عن جميع الامم والملل ، وقد ادعت الامم الوثنية لأصحابها الالوهية والربوبية ، وأجمع الانبياء من بني اسرائيل وغيرهم على توحيد الله تعالى وسموا تلك الغرائب بالآيات الالهية ، وقالوا ان الله تعالى قد يؤيد بها أنبياءه ورسله . فلماذا خرجتم أيها النصارى عن سنة النبيين والمرسلين ، واتبعتم سنة الوثنيين كقدماء الهنود والمصريين الذين جعلوا غرابة خلق مقدسيهم وغرابة بعض افعالهم ، دليلا على ألوهيتهم وربوبيتهم ؟ ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فكل ما تعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته ، وانما يعد بعض خلقه غريبا بالنسبة الى علم البشر الناقص لا بالنسبة اليه تعالى . وكذلك غرابة بعض افعالهم ، تكون عن علم كسبي يجهله غيرهم ، أو قوة نفسية لم يبلغها سواهم ، أو تأييد رباني لا صنع لهم فيه ولا تأثير .

روى ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : أتى رسول الله (ص) ابن أبي وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلمهم وكلموه ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ماتخوفنا يا محمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فانزل الله فيهم ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ الى آخر الآية . ومن قرأ كتب اليهود والنصارى رأى فيها لقب « ابن الله » قد أطلق على آدم . (انظر انجيل لوقا ٣ : ٣٨) وعلى يعقوب وداود مع لقب البكر (انظر سفر الخروج ٤ : ٢٢ و٢٣ والمزمور ٩٨ : ٢٦ و٢٧) وكذا على افرام (انظر نبوة ارمياء ٣١ : ٩) وعلى المسيح عليهم السلام ولكن بدون لقب البكر . وأطلق مجموعا على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين . وهذا الاستعمال كثير في العهد الجديد . ومنه ماحكاه متى في وعظ المسيح على الجبل (٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) وقال بولس في رسالته الى أهل رومية (٨ : ١٤ لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) وجاء في سياق المناظرة بين المسيح واليهود من انجيل يوحنا مانصه (٨ : ٤١ أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني — الى ان قال — ٤٤

أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون ان تعملوا) وفي هذا المعنى ماجاء في الرسالة الاولى من رسالتي يوحنا (٣ : ٩ كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع ان يخطىء لانه مولود من الله ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس) فعلم من هذه النصوص وأشباهها ان لفظ « ابن الله » يستعمل في كتب القوم بمعنى حبيب الله الذي يعامله الله معاملة الاب لابنه من الرحمة والاحسان والتكريم . فعطف أحباء الله على أبناء الله للتفسير والايضاح ، وانما تحكم النصارى بهذا اللقب فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة الى المسيح و بالمعنى المجازي بالنسبة الى غيره من الصالحين . ومعنى الابن الحقيقي محال على الله تعالى لانه عبارة عن الولد الذي ينشأ من تلقيح الرجل بمائه لبعض مافي رحم المرأة من البيض . فالمعنى المجازي متعين كما ترى وسنوضحه في تفسير (وقالت النصارى المسيح ابن الله) ولما كان ما ذكرناه مؤيدا بالشواهد هو المعنى المراد لاولئك المتبجحين من اليهود والنصاري حسن ردّ الله تعالى عليهم بقوله لنبيه محمد (ص) :

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ﴾ أي قل لهم أيها الرسول : اذا كان الامر كما زعمتم فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم في الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضي وكما ترون في تاريخكم الحاضر . ومن هذا العذاب لليهود ماكان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الاكبر وبلادهم المرة بعد المرة ، ومن ازالة ملكهم من الارض ، وللنصارى مانكل به بعضهم ببعض . وهو شر من تنكيل الوثنيين والنصارى باليهود . أي ان الاب لا يعذب ابنه والمحب لا يعذب حبيبه ، فلستم اذا أبناء الله ولا أحباءه ، بل أنتم بشر من جملة من خلق الله تعالى ، وهو عز وجل الحكم العدل لا يحابي أحدا ، وانما يغفر لمن يعلم انه مستحق المغفرة ، و يعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب ، فهو يجزيكم بأعمالكم ، كما يجزي سائر البشر أمثالكم ، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم وسلفكم وكتبكم ، فانما العبرة بالايمان الصحيح والاعمال الصالحات ، لا بمن سلف من الآباء والامهات

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ﴾ أثبت الله تعالى في

هذه الآية مثل ما ثبت في التي قبلها من أن له ملك السموات والأرض وما بين أجزائهما وأجزائهما من المخلوقات، الا أنه ختم تلك بكونه على كل شيء قديرا، لأن المقام مقام الغرابة في الخلق، وامتياز بعضه على بعض. وختم هذه ببيان كون المرجع والمصير اليه. لأن المقام مقام الجزاء على الاعمال، وذلك ان السموات والارض ومن فيهما و بين عالميهما نسبتها اليه تعالى واحدة، وهي انه الخالق المالك الرب ذو التصرف المطلق في كل شيء بمقتضى العلم والحكمة، والعدل والفضل، وهي المخلوقات المملوكة، وجميع من يعقل فيهما من الانس والجن والملائكة عبيد له لا أبناء ولا بنات (١٩: ٩٤ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وفي ختمها بقوله « واليه المصير » اشعار بأنه سيعذبهم في الآخرة على هذا الكفر والغرور والدعاوي الباطلة، فيعلمون عند ما يصيرون اليه انهم عبيد آبقون يجازون، لا ابناء ولا أحباء يحابون

وقد استشكل بعضهم كون تعذيبهم دليلا على بطلان دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، لأنه ان أريد به عذاب الآخرة لاتقوم به الحجة عليهم لانكارهم إياه، وان أريد به عذاب الدنيا أورد عليه انه غير قادح في ادعائهم لأن النبي (ص) وأمته لم يسلموا من محن الدنيا كالذي حصل في وقعة احد وقتل الحسن والحسين عليهما السلام، ونحن نعتقد أن الذين ابتلوا بهذه المحن من أحباء الله تعالى. وأجاب الرازي عن هذا الاشكال بثلاثة أجوبة حاصل الأول اننا نعتقد ان النبي (ص) وخيار أمته من أحباء الله تعالى ولا ندعي أنهم أبناء الله تعالى. وحاصل الثاني ان المراد عذاب الآخرة وقد اعترف به اليهود اذ قالوا « ان تمسنا النار الا اياما معدودة » وحاصل الثالث ان المراد به المسخ الذي وقع بعض اليهود قبل الاسلام أضيف الى المخاطبين لأنهم من جنسهم. قال الرازي بعد شرح الأجوبة بعبارة أخرى: وهذا الجواب أولى لأنه تعالى لم يكن ليأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يحتج عليهم بشيء لم يدخل بعد في الوجود، فانهم يقولون لانسلم أنه تعالى يعذبنا، بل الأولى ان يحتج عليهم بشيء قد وجد حتى يكون الاستدلال قويا متينا. اه

ونحن نقول ان هذا الاخير أضعفها وانهم لا يعترفون به أيضا، وانه لاحجة فيه ولا في الثاني على النصارى فيكون تسليما لهم أو إقرارا على دعوى انهم أبناء

الله ، وهم الذين يكثرون هـذه الدعوى و يتبجحون بها ، ثم ان التعبير بالمضارع « يعذبكم » ينفي ان يكون المراد تعذيبا خاصا بطائفة وقع في الزمن الماضي . وأقوى أجوبته الأول ولكنه لم يفطن لما فيه من القوة ولم يبينه بيانا تاما ، على انه لم يحرر أصل الدعوى فيهتـدي الى تحرير الجواب . والصواب ان هـذا الاشكال لا يرد على الاسلام والقرآن ، واليك البيان الصحيح الذي يتضاءل به حتى يدخل في خبر كان :

كان اليهود يعتقدون انهم شعب الله الخاص ميزهم لذاتهم على جميع البشر فلا يمكن أن يساويهم شعب آخر عنده وان كان اصح منهم ايمانا وأصلح عملا ، وانهم لا يكونون تابعين لغيرهم في الدين ، فلا يصح ان يتبعوا محمدا (ص) لأنه عربي لا اسرائيلي . والفاضل لا يتبع المفضول بزعمهم . ولا يمكن ان يؤاخذهم الله على الكفر به لأنهم شعبه الخاص المحبوب ، فهو لا يعاملهم الا معاملة الوالد لأبنائه الاعزاء والمحب لحبوبه الخاص . واما النصارى فقد أربوا عليهم في الغرور ، وان كان النبي الذي يدعون اتباعه قد جاهد غرور اليهود جهادا عظيما ، فهم يدعون ان المسيح قد فداهم بنفسه وانهم أبناء الله بولادة الروح ، والمسيح ابنه الحقيقي ، ويخاطبون الله تعالى دائما بلقب الأب . وقد كانت جميع فرقهم في زمن بعثة النبي (ص) اشد من اليهود فسادا وافسادا وفسقا وفجورا وظلما وعداونا بشهادة مؤرخي الامم كلها منهم ومن غيرهم ، ومع هذا كله كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وانهم غير محتاجين الى اصلاح في دينهم ولا دنياهم ، ولهذا رفضوا مادعاهم اليه النبي (ص) من التوحيد الخالص والفضائل الصحيحة والاعمال الصالحة ، وردوا ماجاءهم به من كون مرضاة الله تعالى ومثوبته لا تنالان الا بتزكية النفس وإصلاحها بالتوحيد والعمل .

هذا حاصل ما كان عليه اليهود والنصارى من الغرور بدينهم و بأنفسهم و بأنبيائهم الذين تركوا هديهم وضلوا طريقهم ، وقد عبر الكتاب الحكيم عن ذلك هنا بأوجز لفظ واخصره وهو قولهم « نحن أبناء الله واحباؤه » وحاصل ردّه عليهم : انكم من نوع البشر الذي هو من جنس مخلوقات الله تعالى ، وانه ليس لكم ولا لغيركم من طوائف البشر امتياز ذاتي خاص ولا نسبة ذاتية اليه تعالى ، لأن جميع خلقه بالنسبة اليه سواء ، وقد مضت سنته في البشر بأن يعذبهم في الدنيا بما كسبت

أيديهم ، و يعفو عن كثير من أعمالهم و يغفرها فلا يعجل لهم العذاب عليها . وذلك بحسب مشيئته ، المطابقة لعلمه وعدله وحكمته ،فاذا كان لكم امتياز ذاتي على جميع البشر فلم يعذبكم بذنوبكم في هذه الدنيا كما يعذب غيركم بذنوبهم؟ وأنتم تعلمون هذا علم اليقين من أنفسكم ومن تاريخكم. والمضارع «يعذبكم »هنا لبيان الشأن والسنة في معاملتهم ، فهو يدل على ان هذا التعذيب ثابت في كل زمان متى وقع سببه ،ووجدت علته . والكلام في سنة الله في الأمم والشعوب ، وتاريخهم فيه كتاريخ غيرهم قبل البعثة وفي زمنها و بعدها : ماعذبت أمة من الامم بشيء الا وعذبوا بمثله ، فلو كانوا ابناء الله واحباءه ولو مجازا بحسب مابيناه بالشواهد من كتبهم ، لما حل بهم ماحل بغيرهم ، أولم تكن لهم ذنوب يعذبون بها كما قال (١ يو٣: ٩)

اذا فقهت هذا ظهر لك ان إشكال الرازي غير وارد أصلا ، فان الكلام في الامم والشعوب وابطال دعوى ان يكون شعب منها ممتازا عند الله بذاته، لاتجري عليه سننه في سائر خلقه، و النبي(ص)لم يدع أن أمته لها مثل هذا الامتياز ، وان كل من انتمى اليها كان من ابناء الله ولامن أحبائه مهما عملوا من الاعمال، فيقال: لم غلب خيارهم اذا في غزوة أحد وعاملهم الله بما يعامل به سائر الناس؟ يثبت لك هذا ما أنزله الله تعالى في شأن غزوة أحد من الآيات، فقد بين فيها أن ما أصاب المسلمين انما أصابهم بذنوبهم، إذ خالف الرماة أمر نبيهم وقائدهم، وتنازعوا واختلفوا في أمرهم، وان الايام دول، والعاقبة للمتقين، فهم الذين يتعظون بالحوادث فلا يعودون الى مثل ماعوقبوا به . وقد قال تعالى في فاتحة سياق هذه القصة (٣: ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ١٣٨ هذا بيان للناس وهدى وموعظة المتقين ١٣٩ ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) ثم قال (١٥٢ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه، حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون) الخ آية ١٥٥ ثم قال(١٦٥ أولما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) الخ

فأنت ترى أن هذه الآيات تبين لنا سنته تعالى في البشر ، وان الجزاء انما يكون على الاعمال ، لا على الاسماء والالقاب ، وهذا هو الذي يصدقه الوجود وتشهد به تواريخ جميع الاقوام والاجيال . غاية الامر ان شأن أهل الايمان الصحيح والدين القيم أن يكونوا أعرف بسنن الله تعالى في خلقه ، فتكون ذنوبهم التي يعاقبون بها موعظة يتعظون بها ، وتمحيصا يكمل نفوسهم بالصبر و يعلي شأنها ، وان يكونوا من المتقين لكل ماجعله الله سببا للخيبة والخسران، كالظلم والبغي والعدوان، والتنازع والتفرق والغرور وعدم النظام . وبهذا يكونون من أحباء الله تعالى و يكون ماحل بهم من قبيل تربية الوالد لولده ، ولا يحسن أن يسمى تعذيبا ، لان مرارة الدواء الذي يشفيك من السقم ، ليس كالسوط الذي لا يصيبك منه الا الألم .

ومن راجع تفسير هذه الآيات في الجزء الرابع من تفسيرنا هذا يتجلى له الحق في ذلك تمام التجلي . ولكن المسلمين لم يعتصموا بهذا البيان ، فيتقوا غرور أهل الكتاب ، بل اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، الى ان آل الامر الى ضد ما كان ، فترك جماهير أهل الكتاب ذلك الغرور بدينهم ، واهتدوا بسنن الله في الامم والدول التي كانت قبلهم ، فساروا عليها في سياسة ملكهم ، وكان آخر حوادث غرور دولهم الكبرى غرور دولة الروسية ، في حربها مع دولة اليابان الوثنية ، على انه لم يكن غرورا دينيا محضا ، بل كان ممزوجا بالاستعداد الدنيوي مزجا . و بقي من اتبعوا سننهم من المسلمين ، ثابتين على تقليد أولئك المخذولين ، وقتن بعضهم بالمتأخرين المعتبرين ، ولكنهم ما احتذوا مثالهم في أمر الدنيا ولا رجعوا في مثله الى هدي الدين ، (وما يتذكر الا من ينيب)

أقام الله الحجة على أهل الكتاب ودحض شبهتهم التي غرتهم في دينهم ، فحسن بعد هذا ان يذكرهم بحجته عليهم يوم القيامة اذا هم أصروا على غرورهم وضلالهم ، فقال :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ أي قد جاءكم رسولنا المبشر به في كتبكم، المنتظر في اعتقادكم ، فان الله أخبركم على لسان

موسى انه سيقيم نبيا من بني إسماعيل أخوتكم ، وعلى لسان عيسى بن مريم بانه سيجيء بعده البارقليط روح الحق الذي يعلمكم كل شيء ، ولا تزال هذه البشارات في كتبكم ، وان حرفتموها بسوء فهم أو بسوء قصد منكم ، وهو النبي الكامل المعهود الذي سأل أجدادكم عنه يحيى (يوحنا) عليه السلام ، ففي أوائل الانجيل الرابع ان اليهود أرسلوا كهنة ولاويين فسألوا يوحنا : أأنت المسيح؟ قال لا. أأنت ايليا ؟ قال لا . أأنت النبي؟ قال لا . وهذا هو الرسول محمد النبي العربي الامي الذي لم يتعلم شيئا ، وهو يبين لكم على فترة أي انقطاع من الرسل، وطول عهد على الوحي، جميع ماتحتاجون اليه من أمر دينكم، ومايصلح به أمر دنياكم، من العقائد الحق التي أفسدتها عليكم نزغات الوثنية ، والاخلاق والآداب الصحيحة التي أفسدها عليكم الافراط والتفريط في الامور المادية والروحية ، والعبادات والاحكام التي تصلح بها أموركم الشخصية والاجتماعية - فترك التصريح بمفعول « يبين لكم » لإفادة العموم - ويدخل فيه مابينه لكم مما كنتم تخفون من الكتاب لإقامة الحجة عليكم . ولو لم يكن رسولا من عند الله تعالى لما عرف هذا ولا ذاك مما تقاصرت عنه علوم احباركم ورهبانكم ، وحكمائكم وساستكم .جاء رسولنا محمد يبين لكم كل هذا ليقطع معذرتكم ويمنعكم يوم القيامة ﴿ أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير ﴾ يبشرنا بحسن عاقبة المؤمنين الصالحين المتقين ، وينذرنا ويخوفنا سوء عاقبة المفسدين الضالين المغرورين.

﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يبين لكم ان أمر النجاة والخلاص ، والسعادة الابدية في دار القرار ، ليس منوطا بأمانيكم التي تتمنونها ، وأوهامكم التي تغترون بها ، بل هو منوط بالايمان والاعمال، وان الله تعالى لايحابي أحدا من الناس، قال تعالى (٤ :١٢٢ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من الله وليا ولا نصيرا ٤:١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثي وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فلا يعجزه أن يريكم صدق نبيه بنصر دعوته واعلاء كلمته عليكم في الدنيا، لتقيسوا على ذلك ان عقلتم ما يكون من الامر في الدار الاخرى .

روى أبناء اسحق وجرير والمنذر وابي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن

عباس قال : دعا رسول الله (ص) يهود الى الاسلام فرغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه . فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود اتقوا الله، فوالله لتعلمون انه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: انا ماقلنا لكم هذا وما انزل الله من كتاب من بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده . فانزل الله الآية . اي انزلها في هذا السياق متضمنة للرد عليهم

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الفترة من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته . وقال الراغب : الفتور سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة ، وذكر الآية . والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدة قرون . وقوله «أن تقولوا» تقدم مثله ، ومنه « يبين الله لكم أن تضلوا » في آخر سورة النساء . وتقدم وجه اعرابه ، وان بعضهم يقدر له : كراهية أن تضلوا أو أن تقولوا ، ومثله اتقاء أن تقولوا ، بل هذا أحسن و بعضهم يقدر النفي فيقول : لئلا تقولوا . والمعنى على كل وجه ما ذكرناه آنفا من منعهم من هذا الاحتجاج وقطع طريقه عليهم .

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه و بلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ انا عربي وليس العرب مني ﴾

(س ٤١) من صاحب الامضاء بمصر

مولاي السيد الامام منشئ المنار نفع الله به المسلمين

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فاننا نلتمس كتابة جواب على سؤالنا هذا في المنار الاغر لكشف الغمة عن صحة الحديث المسؤل عنه ومعناه

السؤال: قرأنا في جريدة المفيد البيروتية كتاب تهديد جاءها من بعض الترك يذم

فيه العرب جاء فيه حديث « أنا عربي وليس العرب مني » فهل من سند صحيح لهذا الحديث بهذه الرواية ام برواية اخرى؟ واذا صح افلا يكون النبي (ص) قد تبرأ من عموم العرب وهم قومه وهو منهم؟ وما سبب ذلك اذا صح؟

ثم اننا نسمع بشيوع هـذا الحديث في امـة الترك حتى ان كل من خدم في العسكرية « الجهادية » سمعه منهم بروايات منها « انا عربي وليس الاعراب مني » ومنهـا « انا عربي وليس أعرب مني » فأية الروايات أصح؟ افيـدونا لازلتم ملجأ لحل الغوامض

سائل

(ج) لايصح شيء من ألفاظ هذا الحديث بل هو موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم . وانا لم أسمعه من أحد الا من بعض افراد عسكر بلدنا الذين حضروا حرب البلقان الاولى وحرب الروسية للدولة وغيرهم ممن أدوا الخدمة العسكرية مع أمثالهم من الترك . نقل الينـا هؤلاء ان بعض أفراد الترك كانوا يحتقرونهم ويقولون لهم : ان الله قد ذم العرب في القرآن العظيم الشان بقوله (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وان النبي(ص) قال فيهم «أنا عربي وليس العرب مني » فمن هؤلاء من كان يتعجب من هذه الاقوال ولايدري ما يقول كالاميين . ومنهم بعض الاذكياء الذين يقرءون القرآن كانوا يجيبون عن الآية بمـا يقابلها من قوله تعالى في سورتها - التوبة (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) فيفهم من مجموع الآيتين ان تلك في كافري الاعراب ومنافقيهـم ، وهـذه في مؤمنيهم الصـادقين الصـالحين ، وان المدح والذم فيها ليس للجنس. ولـكن لم أسمع من أحد ولا عن أحد منهم أنه أجاب بأن الاعراب هم سكان البادية خاصة والواحد أعرابي، وان علة كون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحضر هي جفوة البداوة وقسوتها وخشونتهـا كما هو معروف عند جميع الامم ، وان التعرب أي سكنى البادية كان محرما على المؤمنين بعد الهجرة لوجوب ملازمة النبي (ص) ونصرته

وأما الحديث فلم يكن أحد من أولئك العوام يعلم ان بعض الناس قد كذب على الرسول (ص) ونسب اليه أحاديث لم يروها عنه أحد من نقلة حديثه منها ماله معنى صحيح ومنها مامعناه باطل كلفظه . وهذا القسم منه مالا يعرف بطلان معناه الا العلماء، ومنه ماهو بديهي يعرف بطلانه كل من شم رائحة الاسلام كقول أولئك السفهاء من الترك انه(ص) قال « أنا عربي وليس العرب مني » اذ لامعنى لهذا النفي الا التبرؤ من قومه

العرب . وليس الغريب أن يحفظ هـذا بعض المتعلمين المتفرنجين الذين أفسدت السياسة عليهم دينهم فكان من عصبيتهم الجنسية التركية بغض العرب ، ولكن العجيب الغريب وصول هذه المفسدة الى عوامهم الذين نسمع ان أكثرهم باق على فطرته الاسلامية يحب العرب تدينا لانهم قوم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

وقد سمعت من بعض من شهد هـذه المحاورات انهم كانوا يجيبون عن الحديث بأن أصله « أنا عربي وليس أعرب مني » وأنهم رووه محرفاً. ولا أدري أهذا شيء كان سمعه ممن أجاب بمثل هذا الجواب ؟ أم ظن أن أصله ماذكر نصححه بظنه ؟

واني أورد هنا بعض الاحاديث الواردة في مناقب العرب إتماما للحجة على أولئك المنافقين من الترك وتثبيتاً لاخواننا المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم . فمنها قوله (ص) « أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وكذا العقيلي ووضع السيوطي بجانبه في الجامع الصغير علامة الصحة . ومنها « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن واثلة . ولفظ الترمذي « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً » الخ فهذا الحديث الصحيح يدل مع قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ان العرب بني اسماعيل هم صفوة أصفياء الله من البشر كلهم وصفوتهم قريش وصفوة قريش بنو هاشم ، فهم لب اللباب ، وخاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم صفوتهم فهو سيد ولد آدم على الاطلاق، فكيف يتبرأ من قومه الذين اصطفاهم الله تعالى واصطفاه منهم ؟ ومن عساه يستبدل بهم في عرف أولئك المنافقين ؟ وقد روى الحاكم هذا المعنى من حديث ابن عمر بلفظ آخر وهو : « ان الله اختار من آدم العرب واختار من العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم » وروى أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » وسند هذا ضعيف يؤيده ويقويه سائر الاحاديث في الباب مما تقدم وما هو في معناه كحديث « لا يبغض العرب الا منافق » رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائده عن علي كرم الله وجهه ، وحديث « لا يبغض العرب مؤمن » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وحديث « من

احب العرب فهو حي حقا » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس .

فهذه الاحاديث تدل على ان هؤلاء الذين عرفوا ببغض العرب كلهم من المنافقين المبغضين لله تعالى ولرسوله (ص) وقد اشتهر عن بعض أهل الجراءة منهم التصريح ببغض الاسلام ، والنيل من مقام خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، والطعن في الخلفاء وسائر الصحابة الكرام ، وهم يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم انتقاما من الاسلام ، ولا غرو ففي حديث جابر عند ابي يعلى بسند صحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اللهم اعز الاسلام واعز العرب ، اللهم وأعز من أعز العرب وأذل من أذلهم الى يوم القيامة .

﴿ تحويل مصلحة الأوقاف العمومية بمصر الى نظارة ﴾

الاوقاف العمومية هي المحبوسة على المصالح الاسلامية العامة كالمساجد والمدارس والتكايا أو عمل البر والخير مطلقا أو مقيدا . ومنها أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأزهر. فمنها ما وقف على ذلك ابتداء ومنها ما آل صرفه الى بعض هذه المصالح بعينه أو مطلقا ، كأوقاف الملوك التي لاتراعى شروطها والأوقاف التي جهلت شروطها أو تعذر صرفها فيها . وقد كانت هذه الأوقاف قبل النظام الجديد الذي أوجده (محمد علي الكبير) في مصر تابعة لحال حكومتها في الفوضى والاختلال والضياع، ثم أدخلت في سلك النظام حتى جعلت نظارة من نظارات الحكومة قبل الاحتلال الانكليزي . ثم جعلت مصلحة مستقلة ناظرها الشرعي هو الحاكم العام للبلاد (الخديو) وهو يوكل عنه مديرا يتولى الاعمال الادارية العامة، وأضيف اليها كثير من الاوقاف الخصوصية لثقة بضبطها . وما يناط بالقاضي الشرعي من تلك الاعمال كالاذن بالاستبدال وتولية النظار وعزلهم يرجع فيه الى قاضي مصر . وقد ترقت هذه المصلحة بالتدريج وكثر دخلها ، وعمر كثير من مبانيها وأرضها . ولكن الناس ينتقدون إدارتها وديوانها بأشد مما ينتقدون به نظارات الحكومة ومصالحها ، وكان المخلصون منهم يتمنون أن يكون نظامها أتم من نظام تلك النظارات والمصالح وارتقاؤها أكمل لتكون حجة على اقتدار المصري على الاعمال العامة بدون مراقبة الاجنبي وسيطرته ، حتى لا يكون للمحتلين وجه للتعرض لها ووضعها تحت سيطرتهم

حدثني شيخنا الاستاذ الامام في سنة ١٣١٦ عند حدوث مسألة إصلاح المحاكم

الشرعية انه كان قال للأمير منذ سنين : ان في يد مولانا (وفي الاصل افندينا) ثلاث مصالح لا يمد الانكليز اليها أيديهم الآن لأنها دينية ، اذا أصلحتها تحيي بها المسلمين وهي الاوقاف والازهر والمحاكم الشرعية . فهذه الكلمة المسجلة في المنار منذ سنين تدل على ان أهل الرأي من المسلمين كانوا يخافون من أوائل العهد بالاحتلال أن تفضي سيطرته الى الدين بجعل معاهد العبادة والتعليم الديني والقائمين به وبالوظائف الدينية تحت سيطرة غير المسلمين ، وكذلك ريع الاوقاف الاسلاميـة المحبوسة على مصالح المسلمين ، فلا يبقى للمسلمين استقلال ما حتى في أمر دينهم ، فماذا يكون لهم من الاستقلال في أمر دنياهم ؟

وإنما جاء هذا الخوف مما يعلمونه من تصرف بعض الاوربيين في مستعمراتهم الاسلامية كتصرف فرنسة في أوقاف الجزائر وتونس وفي جعلها المساجد والتعليم الديني تحت سيطرتها ، وذلك أشد ما بغضها الى مسلمي تلك البلاد وإلى جميع المستنيرين من مسلمي الارض . ولكن الانكليز أوسع من الفرنسيس صدرا ، وأكبر أناة وروية وصبرا ، وأعلم بمداراة شعور الأمم وأدق خبرا ، وأدرى بمسالك التدريج في إحكام النفوذ والسلطة وأصح فكرا . وبهذه المزايا التي نبغوا فيهـا ، وبما في مصر من الاستعداد الطبيعي للعمران في أرضها وأهلها وحكومتها ، وبتغلغل الأوربيين فيها وما لهم فيها من الامتيازات والاملاك والديون - بهذا كله امكن لهم (أي للانكليز) أن يسلكوا في في ادارتها والسيطرة على حكومتها مسلكا لطيفا لم تشعر الامة بثقل وطأته ، ولا بأنها فقدت شيئا كان لها قبله . ذلك بأنهم كانوا يتقون كل ماله علاقة بالدين ، ويعملون سائر الاعمال بالأوامر الخديوية العالية وقرار النظار الوطنيين . وبأن الجرائد المعارضة لم تكن تنتقد أحدا من رجال الانكليز الا قليلا، وانما كانت تبالغ في انتقاد الوزارة المصرية وتلصق كل ما تنكره من الاعمال بها، وكانت عاقبة هذا ان كل إصلاح حصل في مصر حفظ ونسب الى المحتلين . وكل ما كان ينتقد عليهم أو على الحكومة المصرية بسببهم قد نسيه الجمهور، إما لأنه سلبي، وإما لأنه ألف، وإما لانه عمل عارض ليس له صورة باقية . واما تأثير هذا المسلك في خارج القطر المصري فهو أنه قد جعل للانكليز اسما سميا ، وقدرا عليا ، وصار مسلمو الشرق والغرب ، يفضلونهم به على جميع الافرنج أو جميع دول الارض .

لاجل هذا عجب كثير من الناس في هذه الأيام من تصدي لورد كتشنر الى تحويل مصلحة الاوقاف الاسلامية الى نظارة مع علم الناس بأن النظار مجبورون على

ان يكونوا تحت سيطرة المعتمد الانكليزي في مصر كما هو الواقع ، وكما صرح به ناظر خارجية انكلترة رسميا ، وكما يفهم من اقتراح لورد كرومر من قبل (وسيأتي نصه) ولكن اللورد أعد للأمر عدته ، واقنع به حكومته ، وحكومته وثقت من حكومة الآستانة بأنها تساعدها على ماتريد عمله في مصر من هذا الامر وغيره وان كان له علاقة بالدين ، لتعمله بنفوذ الخليفة الذي جربت بريطانية نفوذه الديني في الهند . وكانت الاسباب في مصر ممهدة بما أضعف قانون المطبوعات من حرية الجرائد . وما كان يخشى الا من الازهر ، وقد شاع في البلد ان الازهريين شرعوا في معارضة قوية لكن الحكومة تلافتها بسرعة وحزم . فقدر اللورد كتشنر على ما تمناه لورد كرومر ولم يجرأ على تنفيذه

مدح لورد كرومر في تقاريره مصلحة الاوقاف ولا سيما تقرير سنة ١٩٠٢ ووصف تقدمها وشهد بأنها تعطي جميع المستحقين كل بارة يستحقونها في وقتها، وانهم لم يكونوا يصلون الى حقوقهم من قبل هذا النظام. وأشار في بعض التقارير الى انتقاد بعض الناس عليها وحاجتها الى الاصلاح . وقال في تقريره عن سنة ١٩٠٤ — وهي السنة التي عقد فيها « الاتفاق الانكليزي الفرنسي وصدق عليه غيرهما من الدول — ان دخل الديوان بلغ في هذه السنة ٣٠٣٠٠٠ ج م» ونفقاته ٢٢٠٠٠٠ ج م فالزيادة ٨٣٠٠٠ ج م وان مال الاوقاف الاحتياطي بلغ ١٧٥٠٠٠ ج م في آخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ (قال) وفي سنة ١٨٩٦ كان العجز في حساب ديوان الاوقاف ٢٧٠٠٠ ومن ذلك الوقت انقلب العجز الى زيادة تتعاظم عاما فعاما حتى بلغ مجموع الزيادات في الثماني سنوات الاخيرة لا اقل من ٤٠٩٠٠٠ ج م (أي زهاء نصف مليون جنيه مصري) ثم قال في خاتمة الكلام عنه بعد ذكر تنظيم هراري باشا لحساباته مانصه :

« ولم يجر في الاوقاف مايذكر غير ذلك ولاتزال ادارتها قاصرة جدا كما يعترف بذلك أولو الالباب من المسلمين . غير ان هذا الموضوع ليس من المواضيع التي يتعرض لها مشيرو الدولة البريطانية كثيراً » اه أي لتعلقه بأمر الدين

ثم قال في تقريره عن سنة ١٩٠٥ بعد التصريح بأن ديوان الاوقاف أصلح في السنوات الاخيرة بعض الاصلاح مانصه : « واعتقادي ان الاصلاح الوحيد المرضي هو وضع هذا الديوان تحت ادارة ناظر مسئول يكون عضوا في مجلس النظار وتيسر مراقبة أعماله كما تراقب سائر النظارات . أما الآن فانه تحت ادارة مدير عمومي مستقل عن مجلس النظار على الغالب » اه وانما قال : على الغالب ، لان حسابات الاوقاف تحت مراقبة نظارة المالية

فيعلم من هذا ان معنى جعل مصلحة الاوقاف نظارة هو وضعها تحت مراقبة الانكليز أي ان الاموال التي تقام بها شعائر الاسلام في المساجد - ومنها ما هو للحرمين الشريفين - والتي ينفق منها على التعليم الديني تكون تحت مراقبة وسلطة المستشار المالي الانكليزي والمعتمد السياسي البريطاني مادام هذا هو الشكل الذي تدير به بريطانية حكومة هذا القطر . ولا يوجد مسلم يرضى بهذا باختياره، فكان من المنتظر أن تقوم قيامة القطر بالمعارضة والاحتجاج على هذا العمل ، ثم تردد صداه جميع البلاد الاسلامية ، ولكن حال دون ذلك ما أشرنا اليه وما نبينه من الاسباب والتمهيدات التي اتخذت والاسراع في التنفيذ . وكيف كان ذلك ؟

ان الذي شاع وذاع في البلد هو أن اللورد عرض المشروع على الخديو وقال ان حكومة لوندرة جزمت به ، فعارض الخديو أولا ، ثم اتفقا على استفتاء الآستانة بناء على ان هذا المشروع يتعلق بالدين والسلطان هو الخليفة صاحب السلطة الدينية العليا ، فرفع الامر الى الآستانة فجاء الجواب حالا في أيام العيد بأن تحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة جائز لان الامر في الاستانة كذلك . فقطعت فتوى الخليفة كل كلام في شكل المشروع كما قطعت جهيزة قول كل خطيب ، الا أن بعض الجرائد كالمؤيد بينت الفرق بين نظارات الاستانة ونظارات مصر بأن تلك مستقلة تحت سلطة الخليفة، وشيخ الاسلام هو العضو الاول في مجلس النظار ، وهذه تحت مراقبة دولة أجنبية ، ولكن اللورد تلافى هذا الاعتراض قبل وقوعه بما اعلن وأشيع من خبر اتفاقه مع الحكومة على أن لا يكون لنظارة الاوقاف الجديدة مستشار انكليزي بل تكون مستقلة في أعمالها ويكون لها مجلس أعلى من المسلمين تقيد به تصرفات الناظر كالمجلس الاول في الجملة

الحق أقول ان هذا كان مؤثرا ، وان جواب الاستانة لم يفعل في القلوب والافواه، فعله في الجرائد والاقلام، فالذين لم يقولوا فيه شيئا بأقلامهم، قد قالوا بقلوبهم وأفواههم، ولكن ايقنوا بأنه لا بد من تنفيذ المشروع، فصار همهم في جعله مسورا بما يكفل استقلال أوقافهم، وصرف أموالها في مصالحهم، وجعل القول الفصل فيها لهم دون الاجانب . فكان جمهور الامة يود تأخير صدور الامر العالي به الى أن تنعقد الجمعية التشريعية في أوائل السنة الآتية - وما هي ببعيد - لتصدق عليه وتقرره فتطمئن به قلوب الامة . وقد كررت جريدة المؤيد القول في هذا الاقتراح . وكتب سعد باشا زغلول الشهير بمعارفه القانونية والاجتماعية وباستقلال الرأي مقالا في المقطم نقلته سائر الجرائد اقترح فيه

ان يكون رأي الجمعية التشريعية قطعيا نافذا فيما يعرض عليها من ميزانية نظارة الاوقاف وما يوضع له من اللوائح والنظام · وقد ايد اقتراحه بالبيان الذي صادف استحسان جمهور المسلمين ـ وانما قلت جمهور المسلمين لأنه يوجد في المسلمين كما يوجد في غيرهم من الشعوب من لا يبالي بالمصالح الدينية العامة ، ومن لا يبالي بالمصالح الدنيوية العامة ايضا ، ومن لا يعرف له رأي لانه إمعة يتابع كل أحد في مجلسه ، وناهيك بمن يدهنون لاصحاب السلطة والنفوذ في كل شيء

ونشرت نبذة في جريدة المؤيد عزيت الى عالم من كبار العلماء تتضمن اقتراحا آخر ربما كان اصدق معبر عن رأي الجمهور في هذا الامر لأنني سمعت بعض الأذكياء يتحدثون به قبل نشر المؤيد له ويقولون ان هذا هو الذي يوده جميع المسلمين. وهاك نص تلك النبذة :

﴿ الرأي الاسلامي العام في مسألة الاوقاف ﴾

لعالم من كبار علماء المسلمين

عرف القراء رأي المؤيد الخاص في هذه المسألة المهمة . وقد كان همنا في هذه الايام مصروفا الى الوقوف على الرأي الاسلامي السائد في جميع الطبقات المفكرة من المسلمين فيها . فعلمنا بعد كثرة السؤال واكتشاف الآراء ان جمهور المسلمين لم تظهر لهم فائدة معقولة في هذا التغيير والتحويل في ادارة هذه المصلحة الاسلامية فكان هذا داعية الوسواس وسوء الظن ، وسرى فيهم اعتقاد أن هذا التغيير تمهيد لصرف أوقاف المسلمين في بعض الامور العمومية التي يجب الانفاق عليها من خزينة الحكومة أو من جميع طوائف الامة ، فيشارك المسلمين غيرهم من الطوائف في منفعة أوقافهم التي وقفها سلفهم لمصالحهم وشعائرهم الخاصة عبادة لله تعالى وتقربا اليه. ونحن نبرئ الحكومة وكذا المحتلون من ارادة ذلك أو الرضاء به . ونقترح على أولي الامر مولانا الخديو ورجال حكومته أن يجعلوا في نص لائحة الاوقاف الجديدة أو الامر العالي الذي يصدر في هذه المسألة مايزيل وسواس الامة وتطمئن به قلوبها وهو أن لا يصرف شيء من أموال الاوقاف في غير الشعائر الاسلامية والتعليم الاسلامي وسائر المصالح الخاصة بالمسلمين ، حتى يعلم الخاص والعام ان أوقاف المسلمين سالمة لهم كغيرهم من الطوائف التابعة للحكومة المحلية (محفوظ)

ثم صدر الامر العالي بالمشروع وفي مقدمته اشارة الى معنى هذا الاقتراح .وفيه من الضمان مايراه القراء وهذا نصه :

﴿ صورة الأمر العالي بتحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة ﴾

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على أمرنا الصادر في ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ بالتصديق على لائحة الاوقاف ومراعاة لرغبتنا في زيادة تحسين السير في جميع المصالح العمومية بحكومتنا وتمكين رعايانا من الاشتراك في مراقبة مرافق الامة طبقاً للقوانين النظامية

ونظراً للازدياد الذي طرأ على الاعمال القائم بها ديوان عموم الاوقاف واتساع نطاق الامور الموكولة اليه وتعددها فضلا عما هو منظور لها من النماء

ونظراً الى الفائدة التي تترتب حينئذ على جعل هذا الديوان نظارة يتولى شؤونها ناظر بعنوان « ناظر الاوقاف » يدخل في هيئة مجلس النظار ، ويعطى له توكيل منا بالصيغة المقررة من قديم الزمان ، ويدير الاعمال التي من اختصاص ديوان عموم الاوقاف بنفس المسؤولية الملقاة على عاتق سائر النظار في نظاراتهم ، بحيث يبقى لمصلحة الاوقاف استقلالها الذاتي ، وتكون ميزانيتها قائمة بنفسها على حدتها، ويكون على هذا الناظر السهر على حسن سير تلك المصلحة ، واستعمال أموالها في شؤون الامة الاسلامية، والمحافظة على الاحترام الواجب للشروط والقيود المدونة في الوقفيات طبقاً لاحكام الشرع الشريف ، مع الاهتمام باقامة الشعائر الدينية والاعمال الخيرية المتعلقة بها كما يجب ، والرجوع الى المحكمة الشرعية في جميع الاحوال التي نصت اللائحة الحالية على الرجوع فيها اليها

ولما كان من الضروري دقة البحث في التعديلات والتحسينات التي قد تدعو الحاجة الى ادخالها في نظام مصلحة الاوقاف ، ومن المفيد ان يضم الى الناظر المشار اليه مجلس يعاونه في هذه المهمة ويحل محل مجلس الاوقاف الاعلى الحالي بنفس الاختصاصات المخولة له ، بحيث تبلغ نتيجة هذا البحث الى مجلس النظار ، كما ان كل تعديل في النظام الحالي يجب تقديمه الى الجمعية التشريعية للمناقشة فيه ثم عرضه علينا لصدوره في صيغة قانون —

فبعد موافقة رأي مجلس النظار امرنا بما هو آت

المادة الاولى ـ تنشأ نظارة للأوقاف يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة وتحل محل ديوان عموم الاوقاف

المادة الثانية -- يتألف المجلس الاعلى من ناظر الاوقاف بصفة رئيس ومن

شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ومن ثلاثة أعضاء آخرين يكون تعيينهم منا بناء على طلب مجلس النظار

فاذا حدث مانع لناظر الاوقاف تكون رئاسة المجلس الاعلى لوكيل نظارة الاوقاف واذا حدث مانع لواحد من العالمين المشار اليهما فيقوم مقامه عالم آخر يعينه مجلس النظار

وتكون مداولات المجلس صحيحة ان حضره اربعة من الاعضاء على الاقل

وعند انقسام الآراء يكون رأي الرئيس مرجحاً

المادة الثالثة - تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضى ارادة خديوية تصدر منا بناء على طلب نظارة الاوقاف وتصديق المجلس الاعلى وبعد اخذ رأي الجمعية التشريعية

ويقدم للجمعية التشريعية ايضا الحساب الختامي لكل سنة بعد انقضائها

المادة الرابعة - تلغى جميع النصوص المخالفة لأمرنا هذا . وفي جميع النصوص الاخرى يكون اسم - ناظر الاوقاف - ونظارة الاوقاف - بدلا من مدير عموم الاوقاف - وديوان عموم الاوقاف

المادة الخامسة - على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا. ويسري العمل به بمجرد نشره في الجريدة الرسمية

صدر بسراي القبة ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٣١ - نوفبر سنة ١٩١٣ عباس حلمي

* *

هذا هو نص الأمر العالي الخديوي بجعل مصلحة الاوقاف نظارة. وخير ما فيه النص في مقدمته على صرف أموال هذه الاوقاف في مصالح المسلمين ومراعاة الاحكام الشرعية فيها . فان هذا النص يؤمن المسلمين من ضياع شيء من أوقافهم على غير مصالحهم اذا روعي والتزم . وبهذا تكون هذه المصلحة خيرا مما كانت عليه من هذا الوجه فان كثيرا من أهل العلم والدين ينتقدون تخصيص خمسة آلاف جنيه من أوقاف المسلمين لمدرسة الجامعة المصرية التي هي مدرسة دنيوية عامة ، لا تعاليمها اسلامية ولا معلموها ولا طلابها من المسلمين وحدهم . وقد صدر الامر العالي الخديوي بتعيين احمد حشمت باشا ناظر المعارف ناظرا للأوقاف وهو الذي اتفق على الثقة به الأمير والعميد ، وله في الامة ذكر حميد ، وههنا بحث شرعي مهم :

نظارة الاوقاف في نظر الشرع الاسلامي

لم نكتب في هذه المسألة شيئا قبل انتهائها اذ ليس من عادتنا الدخول في السياسة او الادارة المصرية العملية وانما نكتب ما نكتب في بعض المسائل لأجل العبرة والتاريخ.

وقد كان سألنا بعض كبراء الانكليز هل تحويل مديرية الاوقاف الى نظارة جائز في الدين الاسلامي أم لا ؟ فكان مما قلناه في الجواب : اذا كان المراد من هذا التحويل تسمية المتولي لامور الاوقاف والمتصرف فيها « ناظرا » فهذه التسمية هي الموافقة لاصطلاح الشرع ، اذ الذي يعرف في كتب الفقه لفظ « ناظر الوقف » « ونظار الاوقاف » وأما لفظ « مدير الوقف » فلا يذكر فيها ، واذا كان المراد من هذا التحويل تغيير نظام ادارة الاوقاف وجعل الناظر المتولي لها تحت سيطرة اجنبية كما هو شأن نظار الحكومة المصرية غير مستقل بعمله فيكون له حكم آخر ... وذكرنا له ذلك الحكم بالاجمال وان التفصيل فيه يتوقف على معرفة ذلك التغيير ما هو

تعيين نظار الاوقاف وعزلهم من حقوق قضاة الشرع . وكان ناظر الاوقاف العمومية التي يديرها الديوان قبل هذا التحويل هو الخديو عباس حلمي باشا، وكان مدير الاوقاف وكيلا شرعيا عنه . والمفهوم من نص الامر العالي ان الامر في هذا بقي كما كان ، وان الناظر الجديد ناظر سياسي يكون وكيلا للناظر الشرعي ، فهو كما جعله ناظرا سياسيا يجعله وكيلا شرعيا عنه ، فجميع تصرفاته الشرعية تكون له بصفة الوكالة عن الناظر الشرعي ، والذي له بالاصالة وصفة النظارة هو ما عدا ذلك كالمشاركة في اعمال مجلس النظار

ومن هنا يظهر الفرق بين الناظر في الاستانة والناظر في مصر عند الفقهاء ، فالذي يولي النظار هناك هو صاحب السلطة الشرعية العليا هناك وهنا ، وهو الذي يولي شيخ الاسلام وقاضي مصر ويأذن لشيخ الاسلام بتولية قضاة الشرع وعزلهم ، وهو الذي يولي خديو مصر نفسه فليس له من السلطة الشرعية الا ما اعطاه في فرمان توليته

وبقي من مباحث هذه المسألة أن الحكومة جعلت شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية عضوين في المجلس الاعلى لهذه النظارة ليطمئن المسلمون على كون أوقافهم لا يتصرف فيها الا على وفق شرعهم وحسب مصالحهم ، وكون معاهد التعليم الديني تبقى مضمونة التقدم والارتقاء . ورضاء المعتمد الانكليزي بهذا مع عدم تعيين مستشار انكليزي لهذه النظارة مما يقصد به اقناع المسلمين بأن الانكليز لا يريدون من هذه النظارة شيئا ينافي مصلحة المسلمين المحضة .

وقد يقال هنا لم لم يجعل نصف أعضاء هذا المجلس من علماء الشرع ونصفه من علماء الادارة والنظام مع كون الترجيح في هذه الحالة بين النصفين يكون للناظر الذي هو من القسم الثاني وان لم يحضر من اعضائه الا واحد فقط ؟ واذا فرضنا الآن ان الشيخين ارتأيا في المجلس رأيا أو اقترحا اقتراحا مبنيا على جعل بعض الأعمال

مطابقا لحكم الشرع أو لمصلحة المعاهد الدينية وخالفهما فيه سائر الأعضاء وهم الاكثر فكيف يتحقق ما ذكرناه من حكمة تعيينهما وهما لا يرجح لهما رأي في المجلس الا اذا وافقهما الناظر وسائر الاعضاء ، وهؤلاء اذا خالفوا الشيخين نفذ رأيهم حتما ؟ لا أجد لهذا السؤال جوابا يؤيد الحكومة الا أن وجود الشيخين يضمن ما ذكر من موافقة الشرع والمصالح الاسلامية ببيانهما للمجلس ما عساه يخفى على سائر الاعضاء من الاحكام وحاجات المعاهد الدينية . ولا يخشى حينئذ أن يخالفهما سائر الاعضاء وكلهم من المسلمين الذين تجتهد الحكومة في جعلهم من أهل الاستقامة واستقلال الرأي . والحق ان استقامة أعضاء المجلس الاعلى لهذه النظارة واستقلالهم وكفاءة الناظر هي التي عليها المدار في الاصلاح المطلوب ، فنسأل الله تعالى لهم التوفيق

الاصلاح في نظارة المعارف

(في عهد أحمد حشمت باشا)

ان المصريين الذين تعلموا في المدارس المصرية من أميرية وأهلية وأجنبية يعدون في هذا القطر بمئات الالوف ، وفيهم ألوف كثيرة يحملون شهادات التعليم الثانوي والتعليم العالي . ولكن الذين ينفعون البلاد بعلمهم قليلون جدا ، وأكثرهم كل على الامة ينفقون كثيرا ولا يربحون الا قليلا . ويندر أن يوجد فيهم من يقدر على الاستقلال بعمل يحصل به قوته ، فجمهور الفلاحين الاميين خير منهم وأنفع للبلاد لان مدار حياتها على عملهم ، وأكثر مايستخرجونه من خيرات الارض ينفقه المتعلمون في شهواتهم وزينتهم ولهوهم فيجعلون للاجانب الحظ الاوفر من هذه الاموال ، ثم ان حظ أكثر هؤلاء المتعلمين من الحياة المعنوية ليس أشرف ولا أرقى من حظهم من الحياة المادية بل ربما كان دونه.

ومن بحث عن أسباب ذلك يعثر في أول الطريق بالسبب الاول له وهو القصد من التعليم ، ذلك ان أكثر المتعلمين يقصدون من التعلم شهادة يكون لهم بها رزق مضمون من الحكومة . فهم لا يقصدون تهذيب أنفسهم وتكميلها بالفعل ولا الاستعانة على الاعمال الاستقلالية التي ترقي الامة . فاذا جاوز هذا السبب يلقاه وراءه السبب الثاني، وهو كون التعليم نظريا لا عمليا في الغالب . فمن تدبر هذين السببين يعرف قيمة ماشرع فيه حشمت باشا من الاصلاح العظيم بفتح أبواب التعليم العملي لعلوم اللسان وعلوم الحياة ، إذ أنشأ مدارس جديدة للزراعة والصناعة والتجارة وما يتعلق بها من علوم الاقتصاد والقوانين وفنون مسك الدفاتر والمحاسبة وأعمال المصارف (البنوك)

والشركات والسمسرة ، وعني باصلاح مدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة ومدرسة الصنائع التي كانت من قبل

واهتم بمدارس البنات كما اهتم بمدارس البنين فحول التعليم فيها من الطريقة النظرية والمحفوظات اللسانية الى الطريقة العملية ، بتعليم كل ماتحتاج اليه ربات البيوت في ادارة بيوتهن ، وأنشأ مدرسة جديدة داخلية سميت مدرسة التدبير المنزلي يتعلم البنات فيها الدين والادب وحفظ الصحة والحساب وجميع أعمال البيوت من طبخ وغسل وكي ثياب وخياطة وتطريز وترقيع .

وحوّل التعليم عن اللغة الانكليزية الى اللغة العربية في التعليم الاول والثاني وبعض التعليم العالي ، وانشأ لجنة لاجل ترجمة الكتب بالعربية . وفتح ابواب الامل لمن يترجم الكتب التي تحتاج اليها المدارس بشراء النسخ الكثيرة منها . وشرع في طبع عدة كتب نفيسة من آثار علمائنا على نفقة دار الكتب الخديوية . وآخر ماعني به جعل تعليم اللغة العربية عمليا أيضاً لتكون اللغة ملكة في اللسان والقلم . وكان آخر ما أصدره من المنشورات في ذلك وهو :

﴿ المنشور الاول ﴾

وضع علماء العصور السابقة الشكل في اللغة العربية ليدل على هيئة النطق بالحروف الهجائية في صيغ الكلمات ، فهو من الاجزاء الضرورية في الكتابة العربية ، والمحافظة عليه من اقوى الاسباب في صحة اللغة ، ومن أعظم وسائل التسهيل على القارئين

وتركه يؤدي في كثير من الاحيان الى الخطأ أو الالتباس في نطق الالفاظ ، والى صعوبة القراءة . فمن الواجب استعماله في الكتب على العموم ، وفي كتب التعليم على الخصوص ، وفي كتب تعليم اللغة العربية على الاخص

ولكن كتب تعليم تلك اللغة المستعملة بالمدارس كثير منها خال من الشكل بالمرة والقليل منها مشكول شكلا غير واف بالحاجة

وبما ان الشكل من الاهمية بالمكانة العظمى ، وعليه المدار في انتشار صحيح اللغة بين الجمهور على العموم ، والمتعلمين على الخصوص ، رأت النظارة أن تلفت المؤلفين الى التدقيق في رعاية هذا الامر الاساسي فيما يؤلفونه من كتب التعليم ، ولا سيما فيما يختص منها بالمكاتب والمدارس وسائر معاهد التعليم التي تحت اشرافها

وتعلن النظارة انها من الآن فصاعدا لاتقبل من كتب تعليم اللغة العربية للمكاتب

الاولية ، والمدارس الابتدائية والثانوية ، الا ما كان مشكولا شكلا تاما . سواء كان مقدماً اليها لتقرره من جديد أم مطلوباً اعادة طبعة مما سبق لها تقريره

كما انها تفضل من الكتب المذكورة الخاصة بالمدارس العالية ما كان بالشكل التام

﴿ المنشور الثاني ﴾

ملخصه أن كل ما يقدم الى النظارة من المؤلفات التاريخية والجغرافية او يطلب منها اعادة طبعه يجب ان تضبط فيه الاعلام بالشكل التام ، وكذا كل كلمة يمكن ان يقع فيها الالتباس .

﴿ المنشور الثالث ﴾

طريقة تحفيظ القطع المنتخبة باقراء القطع قبل تفسير مافيها من المفردات اللغوية والاساليب الغريبة ، قلما تأتي بالفائدة المقصودة من استظهار المختارات الشعرية والنثرية « وهي التضلع من متن اللغة والتوسع في أساليب تراكيبها »

لذلك رأينا أن نلفت حضرات المعلمين الى ما يأتي

(١) أن يعد المعلم قبل الشروع في التحفيظ - ماتحتوي عليه القطعة من المفردات اللغوية ويكتبها مسلسلة بعضها تحت بعض على شكل عمودي ويكتب امام كل كلمة اللفظ الذي يفسرها

(٢) أن تكون كتابة الاسماء المطلوب تفسيرها على صيغة المفرد، واذا مست الحاجة تقرن بمثنياتها وجموعها . وأن تكون كتابة الافعال ايضا على صيغة الماضي ، واذا دعت الحال تصحب بالمضارع والامر ، وأن يضبط بالشكل مايلزم من احرف الكلمة لصحة النطق بها

(٣) أن يكلف التلاميذ تفهم الكلمات وتفسيرها . واستظهار جميع ذلك . ويختبرهم فيه بالسؤال والمذاكرة

(٤) بعد التحقق من استثبات التلاميذ الكلمات وتفسيرها ، يقرأ معهم القطعة ويتفهم واياهم معانيها المرادة والاساليب الغريبة التي يظن غموضها على افهامهم، ليكون ذلك بمثابة تطبيق لاستعمال المفردات اللغوية في تراكيب القطعة ثم يكلفهم حفظ تلك القطعة

ويحسن اتباع هذه الطريقة في المطالعة المقصود بها فهم المعنى

ذلك اجدر لاستقرار اللغة في نفوسهم، وحضور مفرداتها وأساليب تراكيبها في ذهانهم ، فيجدون بعد ذلك ما يريدونه من مبانيها ومعانيها طوع مرادهم ، وعلى اطراف ألسنتهم وأسنة أقلامهم .   (للموضوع بقية)

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٨) أول من تكلم في القدر

اشتهر ان أول من احدث القول بالقدر (معبد الجهني) قال الذهبي في الميزان: هو تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة ، فكان اول من تكلم في القدر . قتله الحجاج صبراً لخروجه مع ابن الاشعث اه وكان أولا يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله

ويروى ان من اول تكلم في القدر (غيلان بن ابي غيلان الدمشقي) ويقال انه اخذ عن معبد ، ولا منافاة فالاولية نسبية ، بمعنى ان كلا منهما سبق وتقدم على كل من خاض في القدر بعدهما

وغيلان هذا كان مولى عثمان بن عفان ، وكانت داره بدمشق في ربض باب الفراديس شرقي دمشق . وحكي ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كان لام غيلان على رأيه ، فكف عن ذلك حتى مات عمر ، فلما مات سال غيلان في القدر سيل الماء ، وكان يفتي الناس لما حج مع هشام سنة (١٠٦) . قال الاوزاعي : قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام ابن عبد الملك ، فتكلم غيلان وكان رجلا مفوّها ، ثم اكثر الناس الوقيعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر ، واحفظوا هشام بن عبد الملك عليه ، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه

(*) تابع لما نشر في ج ١١ م ١٦ ص ٨٣٩

(٩) رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان
البخاري ومسلم في صحيحيهما

من المقرر في الاصول ان ائمة الرواية والأثر لم يتجافوا الرواية عن المبدّعين، فقد تحملوا عن الشيعة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم. ومع تصلب الشيخين في الرواة وتحرّيهما، لم يريا مانعا من الرواية عن أعلام من رمي ببدعة، انتجاعا للعلم واستقاء للحكمة من مناهلها. وقد سبر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اسماء من رمي بذلك ممن خرج له البخاري. وسرد الحافظ السيوطي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) منهم من خرج له الشيخان اواحدهما. واما من رمي بذلك ممن روى لهم غير الشيخين فقد تكفلت به كتب الرجال. ومن اشهرها الآن (نقد الرجال) للحافظ الذهبي

ولما كان بحثنا في الجهمية والمعتزلة رأيت مما يتممه ايراد من سُمّي من رجالهما في الصحيحين ليعلم بذلك تسامح المحدثين في الاخذ عمن رمي ببدعة — اذا كان ثقة صدوقا — وفي تلقي السنة منه طرحا للتعصب، واعترافا بقدر ذوي الفضل

(١) (بشر بن السري) قال السيوطي: رمي برأي جهم — وهو نفي صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن — وقال الذهبي: حديثه في الكتب الستة، روى عنه الامام أحمد، وقال كان متقنا للحديث عجبا. وقد زعم الذهبي انه رجع عن التجهم، لكن يبطله تعصب الحميدي عليه، وقوله: جهمي لايحل ان يكتب عنه، فمع كونه جهميا روى عنه الائمة المشاهير، ولم يحفلوا بقول الحميدي ولا غيره فيه

(٢) ثور بن زيد المدني (٣) ثور بن يزيد الحمصي (٤) حسان بن عطية المحاربي (٥) الحسن بن ذكوان (٦) داود بن الحصين (٧) ذكريا بن اسحق (٨) سالم بن عجلان (٩) سلام بن عجلان (١٠) سلام بن مسكين (١١) سيف بن سليمان المكي (١٢) شبل بن عباد (١٣) شريك بن ابي نمر (١٤) صالح بن كيسان (١٥) عبد الله بن عمرو (١٦) عبد الله بن ابي لبيد (١٧) عبد الله بن ابي نجيح (١٨) عبد الاعلى بن عبد الاعلى (١٩) عبدالرحمن بن اسحق المدني (٢٠) عبدالوارث بن سعيد الثوري (٢١) عطاء بن ابي ميمونة (٢٢) العلاء ابن الحارث (٢٣) عمرو بن ابي زائدة (٢٤) عمران بن مسلم القصير (٢٥) عمير بن هانئ (٢٦) عوف الاعرابي (٢٧) كهمس بن المنهال (٢٨) محمد ابن سواء البصري (٢٩) هرون بن موسى الاعور النحوي (٣٠) هشام الدستوائي (٣١) وهب بن منبه (٣٢) يحيى بن حمزة الحضرمي

قال السيوطي : هؤلاء رموا بالقدر ، وكلهم ممن روى له الشيخان أو احدهما إه وقال ابن تيمية : في هؤلاء — يعني القدرية — خلق كثير من العلماء والعباد ، كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم . وقال الامام احمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا اكثر اهل البصرة، قال ابن تيمية : وهذا لأن مسألة خلق افعال العباد وارادة الكائنات مسألة مشكلة إه

* *

(١٠) بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

كما ان اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهومه لغة واصطلاحا ووجودا ، فان الفرق التي تنوع

اجتهادها في مسائل الكلام ، ربما تربو على مجتهدي الفروع ، وكيف لا تكون من المجدين وهي تستدل وتحكم ، وتبرهن وتقضي ، وتجادل خصومها بمآخذها ، وترى ان ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يعقد على سواه ، ولا يدان الحق تعالى بغيره ؟

وجليّ ان ما يبعث على بذل الجهد في الفروع ، هو نظير ما يبعث عليه في الاصول أو اعظم ، فان مسألة الرؤية وخلق الاعمال وخلق القرآن وارادة الكائنات، لما تشابهت الآيات والاخبار فيها ، ذهب كل فريق الى ما رآه اوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأليق بعظمة الله سبحانه وثبات دينه ، فكانوا لذلك مجتهدين ، وفي اجتهادهم مأجورين ، وان كانوا في القرب من الحق متفاوتين

نعم لا يمكن ان يقال في مسائل الاصول ان كل مجتهد فيها مصيب ، وان الحق فيها متعدد ، كما قاله الاكثرون في غيرها من مسائل الفروع المجتهد فيها ، وذلك لان مسائل الاصول امور ذاتية لا تختلف بالاضافة ، ولا تحتمل اجتهادين يمكن ان يكون الامر على هذا أو ذاك ، بل لابد من كونه على احدهما البتة ، والامور الذاتية لا تتبع الاعتقاد، بل الاعتقاد تتبعها ، فلذلك كان المصيب فيها واحدا ، والحق منها واحداً ، والمخطئ معذوراً غير آثم ، لأنه بذل وسعه، واستنفد طاقته ، وما يراه غيره نصا يراه هو غير نص، فالحقيقة عند احدهما مجاز عند الآخر ، وبالعكس.

وقد ذهب الغزالي الى ان الاثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الاصول . وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم ، وقطع الصحبة معهم ، وتشديد الانكار عليهم ، مع ترك التشديد على

المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه : هذا ما احتج به الغزالي .

وعجيب من مثله ان يعد هذا دليلا على تأثيمهم ! واي مناسبة بين الدعوى والدليل ؟ على ان دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي ائمة الحديث عن كثير منهم ، وحمل السنن النبوية عنهم ، وجعلهم في الآثار حجة بينهم وبين ربهم ، وقد سبق لنا عدة ممن روى لهم الشيخان من الجهمية والمعتزلة والقدرية . وبقي ممن رويا لهم من الاباضية والمرجئة والشيعة عدد عديد كما تراه في مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر والتدريب شرح التقريب للسيوطي وميزان الاعتدال للذهبي . وقدمنا ما قاله الامام أحمد رحمه الله ورضي عنه : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم (ثم قال) لكن من كان داعية لم يخرجوا له ولهذا لم يخرج اصحاب الصحيح لمن كان داعية إﻫ

وقد اشتهر هذا (اعني أن من كان داعية الى بدعته لم يخرجوا له) مع ان العراقيّ اعترض ذلك بان الشيخين احتجا بالدعاة ،فاحتج البخاري بعمران بن حطان الخارجي ، واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ، وكان داعية الى الارجاء ، فاني يستقيم مع ذلك دعوى هجران السلف لهم ، وقطع الصحبة معهم ، وهم قد حملوا عنهم من السنة مالم يوجد عند غيرهم ، واصبح مرويّهم حجة دامغة ابد الآباد ؟ . نعم كان بعض السلف سلق بعض متقدمي الجهمية والقدرية بألسنة حداد ، ورموهم بما هم برآء منه ، وكان ذلك ايام ضعفهم وقلتهم ، اما وقد انتشر مذهبهم بعد ،ودالت

الدولة لهم ، ودخل فيه قوم من العلماء والعباد ، فلم يسع من عاصرهم من ائمة الحديث الا التحمل عنهم وانصافهم ، كما رأيت في عبارة الامام احمد المتقدمة

فتبين مما ذكرناه ان ماعول عليه الغزاليّ في المستصفى لا يصح دليلا ولا شبهة مع ماعرفت من تخريج الشيخين عنهم ، بله غيرهما ، ممن نزل شرطه في تخريجه عن شرطهما ، كاصحاب السنن والمسانيد والمعاجم ، فان هذه الكتب ملأى بالمبدّعين من الفرق كلها ، كما يعرفه من سبر طبقات الرجال ، ورأى رموز من خرج لهم من الرواة المشاهير

وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ماللمجتهدين، امر لا يرتاب فيه منصف ، والمجتهد معذور بل مأجور وان اخطأ ، واذا انتفى الاثم عن المجتهد فانى يصح نبزه بالالقاب السوءى والحفيظة عليه ؟وهل فرّق الأمة وجعلها شيعا واذهب ريحها الا هذا التنابز والإزراء المعيب ، مع مايجمع الكل من اخوة الاسلام ؟

ولقد انصف العلامة المقبلي في قوله في بحث الكلام مع المعتزلة من كتابه العلم الشامخ ما مثاله : اني لست بمعتزلي ولا اشعري ، ولا أرضى بغير الانتساب الى الاسلام ، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، واعدّ الجميع اخوانا ، واحسبهم على الحق اعوانا . انتهى

ومن طالع كتاب (حجج القرآن) للامام احمد الرازي الحنفي رحمه الله ، ورأى تمسك كل فرقة من فرق الاسلام بآيات واخبار ذهب بها اجتهادها الى انها نصوص أو ظواهر فيما تذهب اليه ، عذرها ورحمها ، وعلم انها لم تكل جزافا ، وانما وزنت الامر بمعيار ما ادى اليه النظر ، وتوخت الحق جهدها . نعم ليس كل من يتوخى الحق يصيبه ،

إلا انه ليس على باذل جهده ملام ، والسلام

وقد حكى السبكي في طبقاته عن ابيه انه وقف لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة) افتتح بذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ظنا منه انه منهم على عقيدتهم (قال السبكي) وهذا نهاية في التعصب، فانما ينسب الى المرء من مشى على منواله إه وجلي ان الذي اوصلهم الى عد الصحابة منهم ،هو الشغف بمذهبهم ، والاعتقاد بأنه الحق والصواب . ولا غر فان الوَلِع بمذهب يحاول ان يرد الكتاب والسنة وخيار الناس اليه ، بيد ان من هؤلاء مجتهدين ، ومنهم مقلدون ، وبينهما بون عظيم ، فان المجتهدين يؤثرون مذهبهم لما يرشدهم الدليل اليه ، فهم يستدلون ثم يعتقدون ، واما المقلدون فهم يؤثرون مذهبهم حبا او عصبية ، فيعتقدون ثم يستدلون لما يعتقدون ، فان رأوا خلافه اعرضوا عنه : « فما أضيع البرهان عند المقلد »

قال الامام أحمد بن المختار الرازي في مقدمة كتابه (حجج القرآن) لما استخرج منه حجج كل طائفة ما مثاله : وما من فرقة الا ولها حجة من الكتاب ، وما من طائفة الا وفيها علماء ، نحارير فضلاء ، لهم في عقائدهم مصنفات ، وفي قواعدهم مؤلفات ، وكل منهم يؤوّل دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه ، وما منهم من أحد الا ويعتقد انه هو المحق السعيد ، وان مخالفه لفي ضلال بعيد « كل حزب بما لديهم فرحون » (قال) وليس قصدنا بيان مقولات المتكلمين ، من المتأخرين والمتقدمين ، ولكن القصد ان نذكر جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب ، ثم نذكر حجج الحديث ، لكل قوم من القديم والحديث ، لكيلا يعجل

طاعن بطعنه في فرقة ، ولا يغلو قادح بقدحه في طائفة

وكتابه هذا بديع جدا، رتبه على ثلاثين بابا، في كل باب فصول جمة، وقال رحمه الله في خاتمته ماصورته : هذا آخر ما اوردنا من حجج القرآن ، لجميع اهل الملل والاديان ، وهي (بمجموعها حجة) على اصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل، وينسبون مخالفيهم الى التعطيل(وحجة ايضا) على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل ، والتخطئة والتجهيل ، (وحجة ايضا) على من ينكر النظر في كتب الاصول ، أو يقول فيها بالمنقول دون المعقول (وحجة ايضا) على من يكفر أهل القبلة ، أو يمير طائفة بالقلة ، أو يخرجهم ببدعة عن الملة (وحجة ايضا) على من يجزم على مجتهد واحد بالاصابة ، أو يعجل في تضليل فرقة وعصابة (وحجة أيضا) على العلماء القاصرين أيضا في العربية ، الغالين في الجدل والعصبية إه

* *

(١١) شبهة الاثرية فى اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية
لما دالت لكل منهم الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

قدّمنا ان شيوخ الرواية ، وأعلام الاثر ، كانوا يغرون الامراء بمخالفيهم ، لما يذيعونه من تكفيرهم وزندقتهم ، وتم لهم الامر في مثل غيلان والجعد ومحمد بن سعيد المصلوب وامثالهم ، — كما حكيناه قبل .

قال الامام ابن تيمية في بعض فتاويه :ان السلف الذين كفروا الجهمية، قالوا يستتابون فان تابوا والا قتلوا (قال ابن تيمية)لكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقا ، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب ، فانه لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر ، اذ كثير من الناس

يخطىء فيما يتأوله من القرآن ، ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوع عن هذه الأمة ، والكفر لا يكون الا بعد البيان (قال) والائمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة ، ويقولون: القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم امروا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لأنهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا الناس،فقتلوا لاجل الفساد في الارض ،وحفظا لدين الناس ان يضلوهم إه

هذا ما حكاه الامام ابن تيمية في شبهة من امر بقتلهم ، وقد حكى الشبهتين بصيغة التمريض ، ليشير الى ان ما زعموه دليلا ليس بدليل ولا شبهة ، فان سفك دم المعصوم انما يكون بامر قاطع ، قد نص عليه نصا لا احتمال فيه ولا اشتباه اذ مثله يكون من المحكمات الواضحات ، والاحكام الجليات ، لا مما تتجاذبه الآراء ، وتترادّه الاقوال ، لانه لا اعظم بعد الشرك من سفك دم المعصوم ، وكل من اتى بالشهادتين فقد عصم دمه الا بحقه المنصوص عليه ، والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة لا حاجة الى ايرادها ، وكلها متفقه على ان كل من اظهر الاسلام فقد عصم دمه وماله ، وإن كان يخفي جحوداً أو تعطيلا كالمنافقين ، لان لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر

اذا كان هذا الحكم في العصمة يعم المنافقين ، فكيف لا يتناول من لا يشك في ايمانه ، ويبذل وسعه لحفظ العقيدة ؟ فانى يستحل دمه لمجرد انه تأول بابا من ابواب العلم ، خالف فيه رأي غيره ، مع انه لم يجحد من الدين شيئا ؟

ومن هذا كل ما ذكروه في قتل الزنديق ، فانه لا حجة فيه قاطعة ، ولا بينة ناصعة ، كما أوضحته في تعليقاتي على (الروضة الندية) للسيد صديق حسن خان ، والمدقق يرى انه لا يمكن ان يؤتى في مسألة قتل الزنديق ببرهان من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا من نصٍ محكم ولا من ظاهرٍ ولا من آحاد لا صحيح ولا حسن ، لان الزنديق ان اظهر الاسلام واسر الإلحاد فحكمه كالمنافق ، وبالاجماع هو معصوم الدم . وان جهر بالكفر فلا يحكم عليه بالردة الا بعد ان تزاح كل علة ، ولا يبقى لمرتاب شبهة ، وهناك تجري عليه احكام المرتدين

وقد تقرر اجماعا ان الحدود تدرأ بالشبهات ، فمِنْ عكس القضية ان يجلب الحدود بالشبهات ، والبحث يدريه حق الدراية من تطلب لكل فرع دليله من الكتاب او السنة ، ولم يعول الا عليهما

وبالجملة فدعوى كفر مثل هذه الفرق مردودة بما ذكرنا . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ان الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، او الامتناع عن متابعته ، كما سنأثره عنه بعد مفصلا في بحث « حظر الائمة المحققين ، من رمي فرق المسلمين بالتكفير » فسقط دعوي هدر دمهم بالتكفير

واما دعوي استحلال دمهم بانهم من السعاة في الفساد في الارض ، فمردودة بان الآية لا تعم مثلهم قط وان جرينا على ان العبرة بعموم اللفظ ؛ لأن العموم في الآية انما هو فيما شابه الحالة التي نزلت فيها أعني فيمن كان محاربا لله ورسوله محادًّا لهما ، متظاهراً بالكفر بالدين ، ساعيا بافساد

السابلة بالقتل والنهب واخلال الأمن ، فالعموم هو في كل من اتصف بذلك ، في أي زمان ومكان ، فمن أين يشمل عموم الآية من كان مؤمنا قانتا محافظاً على شعائر دينه ، متأولا في ابواب من العلم مااتسع له اللغة ، ولا يأباه اللسان ، وهو لم يُرَدْ من لفظ الآية لامنطوقا ولامفهوما ، ولم تنزل في مثله . وفي الحقيقة هذا جليٌّ لايحتاج الى ان ينبه على مثله ، لان هذه الفرق المتأولة مؤمنة موحدة مطيعة لله ورسوله ، ليست محاربة لله ورسوله ، ولا محادة لهما ، ولا ساعية في الارض بالفساد قتلا ونهبا ، فمن المحال ان يدعى شمول الآية لها ، وهل يعم المؤمنين مانزل في الكافرين ؟ والقائل بذلك من السلف مخطئ في اجتهاده ، أو أنه لم يبذل الوسع فيه ، ولذلك خالف فيه الائمة المحققون واجمعوا على عدم تكفيرهم كما سيأتي مأثورا

وكأن الذي سبب لهم ما سبب من الاضطهاد ، هو ضعفهم في اول الامر وقلتهم ، ولذلك لما كثروا وقوي حزبهم ، وتمذهب لهم في عهدهم من كل ورع وتقي ، من هو قدوة وعدل رضي ، لم ير مخالفوهم بدآ من تحمل الحديث والعلم عنهم ، حرصا على الحكمة ان تضيع بموت اهلها ، كما قدمنا عن الامام احمد ، في اعتذاره عن الرواية عن القدرية ، مع انهم فرقة من الجهمية ـ هذا ما كان من امر الاثرية ، في اضطهاد الجهمية ـ

واما الجهمية (المعتزلة) فقد اعتذروا عن اضطهاد خصومهم ـ الاثرية ـ لما دالت لهم الدولة ، بما قدمناه من نص كتاب المأمون في المحنة المشهورة ، وبما اوضح بعضه ايضا خطيبهم (الجاحظ) فقد قال [1] :

(١) نقلا عما طبع له في حاشية الكامل للمبرد ج ٢ ص (١٣١) فما بعدها

وبعد فنحن لم نكفر الا من اوسعناه حجة، ولم نمتحن الا اهل التهمة، وليس كشف المتهم من التجسس، ولا امتحان الظنين من هتك الاستار، ولو كان كل كشف هتكا، وكل امتحان تجسسا، لكان القاضي اهتك الناس لستر، واشد الناس كشفا لعورة، (قال) والذين خالفوا في العرش انما ارادوا نفي التشبيه فغلطوا، والذين انكروا أمر الميزان انما كرهوا ان تكون الاعمال اجساما واجراما غلاظا. فان كانوا قد اصابوا فلا سبيل عليهم، وان كانوا قد اخطأوا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر، وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالمخلوق، فبين المذهبين أبين الفرق، وقد قال صاحبكم [1] للخليفة المعتصم — يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخاصين، إعذاراً وانذارا — : امتحنتني وانت تعرف ما في المحنة، وما فيها من الفتنة، ثم امتحنتني من بين جميع هذه الأمة. قال المعتصم: وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ولو لم يكن قد حبسك على تهمة، لامضى الحكم فيك، ولو لم يخفك على الاسلام ما عرض لك، فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة، ولا من طريق الاعتساف، ولا من طريق كشف العورة، اذا كانت حالك هذه الحال، وسبيلك هذه السبيل.

(ثم قال الجاحظ) وكان آخر ماحج [2] فيه ان احمد ابن ابي دؤاد قال له: أليس لا شيء الا قديم او حديث؟ قال: نعم، قال او ليس القرآن شيئا؟ قال نعم، قال: أوليس لا قديم الا الله قال: نعم، قال: فالقرآن اذا

---

(١) يعني الامام أحمد رحمه الله يخاطب به الأثرية

(٢) يعني الامام احمد رحمه الله

حديث . قال ليس انا متكلم (ثم قال الجاحظ) وزعم[1] يومئذ ان حكم كلام الله تعالى لحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا ، فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقا ومحدثا . فقال له ابن ابي دؤاد: اليس قد كان الله يقدر ان يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال نعم . قال: فهل كان يجوز هذا في العلم ؟ وهل كان جائزاً ان يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره؟ قال: لا، وقال له روينا في تثبيت ما نقول الآثار، وتلونا عليك الآية من الكتاب، واريناك الشاهد من العقول التي بها لزم الناس الفرائض، وبها يفصلون بين الحق والباطل ، فعارضنا انت الآن بواحدة من الثلاث ، فلم يكن ذلك عنده .

(ثم قال الجاحظ) وعبتم علينا إكفارنا اياكم، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث ، وقلتم تكفرونا على انكار شيء يحتمل التأويل ، ويثبت بالاحاديث؟ فقد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث ، وان لا تكفروا احدا خالفكم في شيء ، وانتم اسرع الناس الى اكفارنا ، والى عداوتنا والنصب لنا اه . كلام الجاحظ

فانظر الى حججهم وحجاجهم ، واعتذار الخليفة وقتئذ بالخوف على الاسلام من خصومهم ، تعلم انه بلغ عقدهم بمذهبهم مبلغا لا غاية وراءه من التيقن والتصاب ، مع ان كل ماذكروه لا يحل اضطهادهم لمخالفيهم ، اذ الرأي انما يدفع بالحجة والبرهان ، لا بقوة السلطة والسلطان .

واعجب ما جاء في كلام الجاحظ قوله « وعبتم علينا اكفارنا اياكم

---

(١) يعني الامام احمد ايضا

- الى قوله - : وانتم اسرع الناس الى اكفارنا » اذ يدل ان الشدة والعداء والحدة أصارت الفريقين الى استحلال ايقاع كل بالآخر ما يستطيعه من ضروب الايذاء بالقول والفعل ، حتى صار يخيل للمرء ان ذات هذه المذاهب من شأنها ان تملأ قلوب ذويها بغضا ونفارا من مخالفيها ، وانها منبت للإحن ، ومصدر للمحن والفتن . ولقد اثر هذا النبذ في اتباع الفريقين تأثيرا لم تحمد عقباه ، اذ لاتمحوه من انفس كل منهم كرور الايام ، ولا مرور الاعوام ؛ ما دام يقرأ في زبر كل فريق خلاف عقد الآخر ، والتشنيع عليه ، ولم ينج من هذه الحفائظ والشحناء الا من نفض غبار التقليد ، وأوى من الاجتهاد الى ركن شديد .

ولقد يعجب المرء من (احمد ابن ابي دؤاد) وله من وفرة العقل ، وكبر الفهم والنبل ، ما اصاره من افراد الرجال ؛ كما يدريه من قرأ أخباره في مثل تاريخ ابن خلكان ، ومع ذلك يغري الملوك بمن خالف مذهبه ؛ ويسعى لديهم بما يعجل نكالهم ، وقد اثر عنه من ذلك ما شوه وجه حياته ؛ وكسف شمس فضائله ، فقد بلغ به التعصب لمذهبه ما أصاره يؤذي من أهل مذهبه من يخالف بعض مسائل منه . ومن ذلك ما حكاه ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني في اخبار سعيد ابن حميد البغدادي الكاتب الشاعر المشهور ان اباه كان وجها من وجوه المعتزلة نخالف احمد بن ابي دؤاد في بعض مذهبه ، فاغري به المتعصم ، وقال إنه شعوبي [1] زنديق ، فحبسه مدة

---

(١) في الاساس : فلان شعوبي ومن الشعوبية ، وهم الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم فضلا على غيرهم : والشين مضمومة . وفي التاج : قال ابن منظور : وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب =

طويلة ، ثم بانت براءته له او للواثق بعده ، فخلى سبيله ، وكان شاعرا ايضا ، فكان يهجوا احمد بن ابي دؤاد بقوله :

لقد اصبحت تنسب في إياد * بأن يكنى ابوك ابا دُؤاد
فلو كان آسمه عمرو بن معدي * دعيت الى زبيد أو مراد
لئن افسدت بالتخويف عيشي * لما اصلحت عيشك في إياد
وان تك قد اصبت طريف مال * فبخلك باليسير من التلاد

هذا ما قصه الاصفهاني ، وبه يظهر مبلغ تعصب ابن ابي دؤاد في مذهبه ، حتى صار يستحل لاجله الوشاية والسعاية بالابرياء والاتقياء ، ولقد آذى بذلك نفسه فاصبح ممقوتا منسي الفضائل على كثرتها فيه ، حتى قال عنه الذهبي في الميزان :جهمي بغيض

وحكى السبكي في ترجمة محمد بن الحسن البحاث من كبار قضاة الشافعية : أن الصاحب بن عباد عرض عليه مرة القضاء ، على شرط انتحال مذهبه — يعني الاعتزال — فامتنع وقال : لا ابيع الدين بالدنيا : فتمثل له الصاحب بقول القائل :

فلا تجعلني للقضاة فريسة * فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة * وايديهم دون الشضوص شصوص [2]

= شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري اه وللامام ابن قتيبة كتاب في الرد على الشعوبية سماه (كتاب العرب) ظفرت بكراريس من أوله مخطوطة ، وقد نشرناها في مجلة المقتبس في الجزء (١١) من المجلد (٤)

(٢) جمع شص (بالكسر) حديدة عقفاء يصاد بها السمك (ويفتح) والشص اللص الحاذق اه قاموس

فأجابه البحاث بديهة بقوله :

سوى عصبة منهم تخص بعفة * ولله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد وانما * يزين خواتيم الملوك فصوص

وهذا ايضا مما يستنكر من مثل الصاحب ، وهو ما هو . ولقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر ، الخ . ومع هـذا فهو يحول دون ذوي الكفاءة في القضاء الا بتقليدهم مذهبه ، ولكن لاعجب مادامت مسائل المذاهب صارت عند مقلديها عقائد ، والمعتقد لا يرفع لسوى عقيدته رأسا ، ولا يقيم لغيرها وزنا ، ولا يعير لمخالفه اذنا ، وبالله التوفيق

وقد اشار لضروب اضطهادهم ، وما آلت اليه عاقبة امرهم ، الامام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، في خلال فتوى له بقوله : وقد اشتهر الامام احمد بمحنة هؤلاء الجهمية فانهم اظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه ، وان القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى ، ودعوا الناس الى ذلك ، وعاقبوا من لم يجبهم اما بالقتل واما بقطع الرزق ، واما بالعزل عن الولاية ، واما بالحبس والضرب ، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى اظهر الله به باطلهم ، ونصر اهل الايمان والسنة عليهم ، واذلهم بعد العز ، واخملهم بعد الشهرة ، واشتهر عند خواص الامة وعوامها : ان القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر إهـ وما كان اغنى الفئتين عن الغلوّ والفتون ، فانا لله وانا اليه راجعون

(لها بقية)

الاسلام وحرية العقيدة
وكتاب الدعوة الاسلامية

أرسل محمد سعدي بك مكاتب جريدة اقدام التركية في لندن مقالة الى جريدته في الآستانة اقتبسها عن فصل لمجلة (الشرق الادنى) الانكليزية نشرته بمناسبة صدور كتاب الاستاذ ارنولد الذي سماه « الدعوة الاسلامية The Preaching of Islam » ونحن نترجم هذه المقالة عن جريدة اقدام وهذا نصها :

« كان للكتاب الجديد الذي أصدره الاستاذ { ارنولد } وقع عظيم عند الراغبين في درس أحوال العالم الاسلامي . لانه بينما كانت الكتب التي سبق انتشارها بشأن الشريعة الاسلامية وصاحبها مملوءة بالاكاذيب والاغلاط اذا بكتاب الاستاذ { ارنولد } قد كشف النقاب عما فيها من البهتان بما امتاز به كتابه من التحقيق

وقد أبان لنا هذا الكتاب أحوال الاسلام منذ ظهر في أم القرى الى أن عم أقطار الدنيا فكان دينا عاما للناس أجمعين ، وان فيه من الفصول النافعة عن كيفية انتشار الاسلام بين العرب فالاتراك ما يصح أن يكون تاريخا لهذا الدين

وان الاستاذ ارنولد قد دحض بمتانته وبلاغته وحكمته تلك الفرية التي اخترعها بعض المسيحيين المتعصبين عن انتشار الاسلام بالسيف في بدء ظهوره حتى قال في رد ذلك : « ان الاسلام لم يستعن بالسيف بقدر ما استعانت النصرانية بالنار والمال »

ثم قال : « وان (خرافة السيف) هذه التي يذكرها المتعصبون من النصارى بحدة وتحمس ليس لها أصل في الحقيقية لان التقاليد التي جرى عليها الاسلام والحكمة العامة التي جاء بها القرآن دائرتان حول تعويد البشر السلام والصلاح . والاسلام دين من السهل نشره وقد أرشد محمد (صلى الله عليه وسلم) كل المسلمين الى ضرورة السعي لهذه الغاية بتعليمه اياهم أن يعلموا غيرهم مايعلمونه . وهذه الهداية النبوية قد عملت في نشر الاسلام مالا تعمله قوة السياسة والجيش . ونحن نرى الآن كيف أن الحكومات الاسلامية كلها أشرفت على الهلاك ومع ذلك كان الاقبال على الاسلام أعظم من الاقبال على أي دين آخر ، والداخلون فيه يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا يظهر للباحث من النظر في أبسط الاحصائيات ، وفي هذه الامور مايدلنا على أمر قطعي وهو أن الاسلام قام على أساس قوة حكمية معنوية لايحتاج معها الى قوة مادية لنشر دعوته

« ومما يدعو الى الحيرة والعجب أن كل انتصار كان للعرب في حروبهم وكل استيلاء كان لهم في فتوحهم لم يكن شيء منه في شكل « حرب دينية » الا أن هذا العمل العظيم الذي قام به العرب لم يكن مما يسر أولئك المسيحيين فصوروه بالصورة التي شاؤها له وتوجهت أنظار كل مؤرخيهم الى أن الاسلام انتشر بقوة السيف، أما الوسائل الاخرى التي كانت للاسلام في انتشاره فكانت مجهولة عند أولئك المؤرخين

« الحقيقة ان الجيش العربي لم يطرق ديار فارس وبيزانس ليغير دين سكانها، بل ان مسألة الدين كانت آخر شيء يخطر على بال الجيش العربي

« الباعث الحقيقي على تلك النهضة العربية العامة هو أن هذه الامة الشجاعة النشيطة قد أحست وهي في البادية بحاجتها الى التبسط في الثروة والعمران فدفعتها هذه الحاجة الى ممالك جيرانها وكان اندفاعها عاما ومنتظما وكانت حركته مسيرة بالتأثير الطبيعي الذي لتلك الحكومات الملهمة في المدينة المنورة، وهذه الحكومة أسست بحكمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الذين أخذوا الهداية عنه فعاش بها الاسلام الى اليوم وسيبقى بها دينا رسميا عاما عائشا الى الابد، ونحن اذا نظرنا في الامر نظرة انصاف يتبين لنا ان انتشار الدين الاسلامي لم تساعد عليه نهضة ذلك الجيش العربي الفاتح الظافر بل الذي ساعد على انتشاره الحالة النفسية التي كان فيها سكان البلاد المفتوحة

« وان نصارى الشرق بعد الفتح العربي كانوا متمتعين بحرية الدين الحقيقية الزاهرة الى حد ان النصارى الشرقيين كانوا يرجحون العيشة في الادارة الاسلامية لما رأوا من أن الحرية المذهبية عند بني دينهم في الغرب كانت لفظا مجردا عن معناها الصحيح

« الدين الاسلامي دين منطقي فطري منزه كل التنزه عن الاساطير والخرافات، وهو قائم على الاحكام الصادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض ولهذا صار الاسلام مقبولا في كل الاقطار »

***

ومن الناس من يزعم أن الاسلام ليس دينا اجتماعيا ولكن الاستاذ ارنولد يدحض هذا الزعم بقوله : « الاسلام دين عملي جاء بالهداية الحكيمة لكثير من الفلاسفة والشعراء والعلماء الآلهيين والحكماء . وقد مر على هذه الارض زمان كادت تختنق فيه بظلمة الجهل فأدركها الاسلام بمدارسه الجامعة، ومن ذا الذي ينكر الفوائد العظمى التي نالتها أوربا من هذه المدارس الاسلامية ومما بعثته الينا من العلوم والفلسفة ؟

« واذا شاء القارئ دليلا أعظم من هذا نقول له حسب الاسلام أن يكون منزها

عن نقيصة الرهبانية وعن مهنة التبشير والرئاسة الدينية ، أما الدعوة الى الاسلام فهي واجبة على كل مسلم لافي مقابل أجرة من متاع الدنيا كما هي الحال في النصرانية بل في سبيل الله ولله ، والفرق بين الدعوتين ظاهر

« وان الدعوتين تظهران بما لهما من الاثر في أفريقية ، فالدعوة الى الاسلام يقوم بها هناك التجار المسلمون وان لهؤلاء التجار فضلا حقيقيا في القضاء على تجارة الرقيق كما أن لهم الهمة العالية في نشر الاسلام . وانما يقاومون عادة الرق لانه يؤلمهم أن يباع اخوانهم المسلمون كما تباع السلع . ويرون هذا منافيا لرابطة الإخاء ، ولذلك كان النجاح الحقيقي في منع الرق من أفريقية من نصيب الاسلام

« وكذلك اذا أردنا أن نقول الحقيقة بشرف وانصاف فلا بد من القول بأن الذي علم الزنوج مزية النظافة والقناعة والاخلاق الانسانية هو الاسلام أيضا ؛ ولهذا كان الاسلام جديرا بما كان له في الاقطار الافريقية من الحب في القلوب والاقبال عليه من الجميع والنظر اليه بأنه معجزة خارقة »

ومن الناس من قال ان الاسلام دين لاتدخل فيه الا الامم التي في الشرق المتوسط وذلك لما جاء في هذا الدين من الاحكام القاسية التي تنافي مبادئ المدنية فكان جواب الاستاذ ارنولد على هذه التهمة بما يأتي :

« ان في هذا القول مغالطة وهو مخالف للواقع لان الاسلام قد انتشر في الصين وبلاد المغول والتتر وفي الامم الكثيرة في شرق آسيا وفي وسطها وهؤلاء يعدون بالملايين وفي كل يوم تضم اليهم ألوف جديدة من الناس » اه

ذلك هو كتاب المستر أرنولد الذي نشره حديثاً فأبان به أسباب ارتقاء الاسلام وتقدمه ذاكرا ذلك بلسان نزيه وانصاف عال

ويقول الكاتب الفاضل المستر « وليم مكسويل » الذي صدق على هذه المسائل : « ان الحالة السيئة التي وصل اليها العالم الاسلامي لاعار فيها على الاسلام مطلقا . والسبب الحقيقي لتدني المسلمين هو أن الاتراك المهيمنين على الاسلام في هذه الايام بينما كان يجب عليهم أن يأخذوا بروح الهداية الاسلامية والمعاني القرآنية تركوا كل هذا وانصرفوا الى الالفاظ والاشكال وصاروا يهربون من الارتقاء والتجدد والحياة في صغير أمورهم وكبيرها »

وان الذي يقرأ كتاب الاستاذ أرنولد باهتمام خاص يجد فيه الاسباب التي تنعش الاسلام وتبعث فيه روح الحياة » انتهى

المؤيد

(المنار) : ان (أرنولد) من فضلاء الانكليز المستقلين في رأيهم، المنصفين في حكمهم، الذين قلنا أن عددهم في الاوربيين لايحصى، وهو قد عاشر المسلمين في الهند واطلع على كثير من كتبهم ، فلم يأخذ علمه بالاسلام عن دعاة النصرانية ولا عن رجال السياسة الذين قلنا فيهم إنهم يغشون أهل الانصاف من أقوامهم بما يشوهون به الاسلام . وكتابه هذا ليس جديدا بل ألفه منذ أعوام ، وربما نشر بالطبع نشرا جديدا

كتب الرجل كتابه على بصيرة وعلم يزينهما الانصاف فقل غلطه في اخباره وفي آرائه أيضا . فمما يخطئه به كل مسلم قوله — بحسن النية وقصد المدح — « ان احكام الاسلام صادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض » على أنها عبارة يمكن تفسيرها تفسيرا صحيحا بان الاحكام الاسلامية المستنبطة من الكتاب والسنة انما استنبطها علماء عقلاء اتبعوا فيها الحق والمصلحة لا الأغراض والاهواء . وانما نخطئ مايتبادر الى الافهام من ان مراده بما ذكر أصل الاسلام من كتابه وسنة الداعي اليه صلى الله عليه وسلم ، وان ذلك كان نتاج عدة عقول سليمة . ومن لم يؤمن بالوحي لامندوحة له عن مثل هذا الرأي . وكذلك قوله « ان مسالة الدين كانت آخر ما يخطر في بال الجيش العربي الفاتح » والصواب عندنا ان هداية الناس الى الاسلام كانت أول مايخطر في بال اولئك الفاتحين ولكن بدون اكراه ولا اجبار ، فكانوا يعتقدون ان فتحهم للبلاد وحماية حرية الدين فيها مع العدل والمساواة هو الذي يظهر لاهلها المستعدين للتمييز بطلان ماقلدوا فيه سلفهم، وحقيقة ما عليه الفاتحون لبلادهم، فكان لدخول الناس في الاسلام افواجا سببان (احدهما) ما كانت عليه الشعوب التي فتح العرب بلادها من الخرافات والتقاليد الباطلة (وثانيهما) مارأوه من فضائل العرب وعدلهم وحريتهم وحقيقة دينهم . فكانت حالهم النفسية أعظم داع الى دينهم الحق، واقتصر هو على السبب الاول.

نعم انه أصاب في قوله: إن فتوحاتهم ما كانت دينية بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون . وهو التنكيل بالمخالف او يرجع عن دينه فهذا المعنى ماخطر في بال أحد من فاتحي العرب في وقت ما ولا يبيحه الاسلام . وأما قوله ان الاسلام لايحتاج الى دعاة ومبشرين فهو انما يصح اذا أقامه أهله، اما وقد صار جمهور أهله منحرفين عن هدايته العليا بالفعل، ودعاة النصرانية يهاجمونه بالتضليل والافك، فقد وجب ان يتربى ويتعلم طائفة من المسلمين كيف يدعون اليه ببيان حقيقته، وكيف يدافعون عنه باظهار أباطيل خصومه.

واما قول (وليم مكسويل) ان سبب ضعف المسلمين هو ترك الترك لروح هداية القرآن، فهو وان أقره مكاتب اقدام وادارة تحريرها من الترك يحتاج الى شرح طويل

المرأة قبل الاسلام وبعده

مقال في مسألة تعدد الزوجات نشره بالانكليزية في اوربة السيد أمير علي العلامة العصري الشهير بدفاعه عن الاسلام وترجمه بالعربية أحمد افندي نجيب ونشره في المؤيد . وهذه ترجمته :

١

في غضون التطورات الاجتماعية الاولى كان تعدد الزوجات أمرا لامناص للعالم منه البتة . ذلك لان هروب القبائل التي ما كانت تهدأ ثائرتها قط . والنتائج الطبيعية اللازمة لذلك من نقص عـدد الذكور وزيادة عدد النساء أوجدت بالضرورة تلك العادة التي تعتبر بحق في أيامنا هذه احدى الآفات التي لابد للعالم من التخلص منها

فاذا تصفحنا تاريخ الامم الشرقية في تلك العصور الخوالي وجدنا تعدد الزوجات عادة مألوفة ومتبعة ولقد زادها ثباتاً ورسوخا بين الناس حينئذ ما كان من أمر ملوك ذلك الوقت الذين كانوا يزعمون انهم يحكمون بوحي من عند الله فانهم بما كان لهم من هذه السيطرة الكبرى قد صبغوا تلك العادة بصبغة رسمية وذلك بتزوجهم هم أنفسهم بأكثر من امرأة واحدة . فاذا تتبعنا تاريخ الهندوس مثلا وجدنا أن تعـدد الزوجات عندهم عادة متبعة من قديم الزمان شأنهم في ذلك شأن البابليين والاشوريين والفرس فانهم هم أيضاً لم يكن عندهم حد يقفون عنده في الزواج ، واذا تتبعنا تاريخ الامم والشعوب الاخرى وجدنا أن الطبقة العليا من البراهمة حتى في هـذه الازمنة الحديثة تتزوج بما تشاء من النساء من غير حرج .

وهكذا كان شأن الاسرائيليين قبل موسى وبعده فان شريعة ذلك النبي لم تتصادم مع تلك العادة بل تمشت معها في طريقها القديم . نعم ان تلمود بيت المقدس (كتاب تقاليد اليهود) نص على أنه لا يحق لرجل أن يتزوج بأكثر من العدد الذي في استطاعته أن يعول أمره ، وأن (الربانيين) قرروا فيما بينهم أن الرجل لاينبغي أن يتزوج باكثر من أربع نساء ، ولكننا نرى (القرايين) منهم لايذهبون مذهبهم ولا يسلمون بتحديد ما

أما الفرس فقد كان دينهم حينئذ يعد من يتزوج بأكثر من امرأة بحسن الجزاء.

وأما الفينيقيون فقد انحط الزواج عندهم الى درجة الفحش بمعنى ان الرجل أصبح يعقر ما شاء من النساء بغير حرج . وأما شعوب تراسيا وليـديا وبلاسجيا - تلك

الشعوب التي قطنت في أماكن شتى من أوروبا وغرب آسيا. فقد بلغت عادة تعدد الزوجات عندهم حدا يقصر عنه الوصف

هذا ما كان من تعدد الزوجات في الشرق القديم. وأما الغرب فقد كانت منزلة المرأة في (أثينا) مهد المدنية والحضارة منه كمنزلة المتاع تعرض في الاسواق وتنقل من يد الى يد ، وبالجملة يحق عليها كل ما كان يحق على أثاث البيت الصرف . كان الاثينيون فوق ذلك يعتبرون المرأة شيطاناً لا غنى عنه في ترتيب المنزل وتربية الاطفال ، وكان يحق للرجل منهم أن يتخذ ما شاء من النساء بغير حساب، وأما الشارع في اسبارطه فان كان لم يأذن للرجل باتخاذ أكثر من زوجة الا في ظروف مخصوصة - فقد أجاز للمرأة أن تتخذ أكثر من بعل واحد

هذا- وأما الدولة الرومانية فانه يحتمل أن الظروف المخصوصة التي تكونت فيها هذه الدولة أبت أن تجعل تعدد الزوجات مشروعاً في بدء حياتها. ومهما يكن من أمر حكاية اغتصاب نسوة الصابيين المشهورة وقيمتها التاريخية فلا ريب عندي ان وجود هذه الحكاية وتناقلها من السلف الى الخلف من شأنه ارشادنا صراحة الى الاسباب التي ساعدت على وضع تلك القوانين الاولية للزواج في الدولة الرومانية رغما من بقاء عادة تعدد الزوجات في البلاد المحيطة بها (برومية) من كل جانب، خصوصاً بين الانزسكانيين . ولقد كان نتيجة احتكاك الرومانيين عدة قرون مع بقية شعوب ايطاليا والحروب والفتوحات التي وقعت حينئذ كذلك، وكل ما كان من أمر الابهة والفخفخة التي جاءتهم على أثر نجاحهم في الاستعمار - كان نتيجة ذلك كله ان سقطت منزلة العقود الزوجية المقدسة وأصبح الرجال يعيشون مع النساء بغير عقد أو كتاب، بمعنى ان النساء جميعا أصبحن في منزلة السراري والحظايا . ومما زاد هذه الحالة قوة وثباتاً ما كان من أمر قوانين البلاد التي اضطرت الى الاعتراف بهذه الحالة رسميا — فالحرية المطلقة التي أعطيت للمرأة حينئذ ، وضياع ذلك الرباط الذي كان يربطها بالرجل، والحالة الناشئة عن ذلك من استبدال الرجل لنسائه أو نقلهن من يد الى يد - كلها أمور تدل صراحة على وجود عادة تعدد الزوجات بالفعل ، وان وجدت تحت اسم مستعار

هذا وبينما هذه الامور جارية على ما بينا في الغرب كانت المسيحية قد ظهرت في الشرق وبدأ نورها يتألق في أفق العالم الروماني بأسره، ولا ريب ان هناك أسباباً كثيرة منها الروح وتأثيرها على تعاليم المسيح قد حدت (بني الناصرة) الى أن يضع من

قيمة الزواج مطلقا وان لم يحرمه أو يأمر بمنعه على أي شكل كان

على أن تعدد الزوجات بقي بالرغم من ذلك كله جاريا مجراه الاصلي في البلاد الرومانية الى ان جاء جوستنيان فوضع القوانين لابطال هذا التعدد، ولكن هذا الابطال الذي جاءت به تلك القوانين لم يؤثر تأثيره المطلوب وبقي تعدد الزوجات معمولا به ومتبعاً الى ان استنكرته الهيئة الاجتماعية الحديثة فأبطلته

واذا أردنا أن لا نتوسع في ذكر ما نصته تلك القوانين في معاملة النساء اللواتي سبق زواجهن برجل واحد نقول: انها خصت المرأة الاولى بكل المميزات، وأبقت النساء الاخرى في أشد حالات التعاسة والشقاء، وزد على هذا ان أولادهن يحرمون من ارث أبيهم ومن كل حق اجتماعي آخر

وانه يجمل بنا في هذا المقام أن نلاحظ أن تعدد الزوجات بالصورة التي ذكرناها آنفا ما كان خاصاً بالطبقة العليا من الشعب في (رومية) بل تعداها الى كل الطبقات ولم يستثن من ذلك طبقة رجال الدين الذين نسوا أقسام العزوبة التي أقسموها وأصبح الرجل منهم يجمع في بيته أكثر من امرأة شرعيات كنّ أو غير شرعيات

وان التاريخ ليثبت أن تعدد الزوجات ما كان مستنكرا الى وقت قريب جداً ولقد ذكر (سنت اوغستين) نفسه ان ليس في تعدد الزوجات من اثم أو عيب مطلقا وقال انه مادامت شريعة البلاد تبيح تعدد الزوجات فلا شيء في ذلك بتاتا: وقال (هلم) ان المصلحين الالمانيين أقروا على صلاحية الجمع بين امرأتين أو ثلاث اذا كانت المرأة عاقراً أو اذا كان فيها مايماثل ذلك من النقص، وقال بعض أصحاب الرأي من الاوروبيين أيضا انه لاعيب مطلقا في تعدد الزوجات وان المسيح نفسه لم يصرح قط بابطال هذه العادة: ولقد استطرد هؤلاء المفكرون الى القول بان وحدة الزوجية المنتشرة في اوروبا الآن هي عادة من عوائد الالمانيين أو الرومانيين الاغريق، وهذا قول مخالف للواقع والتاريخ. ذلك لان هؤلاء القوم استدلوا على صحة قولهم بشهادة اثنين من كتاب الرومان ولكن هذه الشهادة - على كونها لم تثبت - لم يعززها كتاب آخرون. فان هذين الكاتبين مشهوران بطمس معالم الحقائق اتباعا لأهوائها. والواقع اننا اذا تمشينا مع (تاسيتش)- وهو أحد هذين الكاتبين- فيما زعمه عن وحدة الزوجية بين الالمان - فاننا نري أنفسنا امام حقيقة تاريخية تفسد عليه زعمه، وهذه الحقيقة ذكرها أغلب المؤرخين وهي وجود أثر من آثار تعدد الزوجات القديمة في الطبقة العليا من الالمان في القرن التاسع عشر ٠

الحقيقة ان (تاسيتش) اراد من ذكر هذه الاكذوبة في كتابه (أخلاق الالمان) استفزاز عواطف بني وطنه الرومانيين لمجاراة الاخلاق الموهومة لجيرانهم الالمانيين ليصلحوا من شؤونهم و يقلعوا عن الشهوات واتخاذ السراري والخطيات .
هذا واذا استأنفنا البحث عن تاريخ تعدد الزوجات في الدولة الرومانية وجدنا ان هذه العادة كان معترفا بها في أواخر الجمهورية وفي بداية الامبراطورية وان الاعتراف بهذه العادة ظاهر من المنشور الذي أذاعه القانون بأمر الحكومة حينئذ لابطال هذه العادة ولكن هذا المنشور لم ينجح نجاحه المطلوب فيكفينا لاثبات ذلك ان الامبراطرة (هناريس واركاديوس) اللذين حكما في نهاية القرن الرابع، و(قسطنطين) وولده فيما بعد ، لازموا العادة القديمة . على أن (ثلاثتين الثاني) أصدر منشوراً بعد ذلك أيضاً اذن فيه لمن يريد من الرعية أن يتزوج بعدة نساء، وليس في تاريخ الكنيسة مايدلنا على أن رجال الدين عارضوا هذا القانون بل بقي معمولا به لدى من خلفه من الامبراطرة حتى جاء (جوستنيان) كما أسلفنا فأعاد منعها . ومن العبث أن يظن ان هذه القوانين الجديدة وضعت تطبيقا لاحكام دينية مسيحية فان أكبر مستشاري هذا الرجل (جوستنيان) ما كان يعترف بوجود الله ومع ذلك فان هذه القوانين لم تحول ذلك التيار الجارف قيد شبر، وكل مايقال فيها انها كانت فاتحة حياة فكرية للعالم الجديد. واذا كانت وحدة الزوجية قد انتشرت في أوروبا الآن فليس ذلك نتيجة من نتائج هذه القوانين وغيرها وانما هي نتيجة عمل تفكيري محض انتهى اليها المجتمع الجديد بعد تجارب عدة من القرون



بعد أن بينا في مقالنا السالف تاريخ تعدد الزوجات في العالم باسهاب نعود اليوم فنذكر أن أكبر غلطة يرتكبها الكتاب المسيحيون في هذا العصر هي ما يزعمونه من أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو أول من شرع تعدد الزوجات للخلق وأجازه لهم . نعم انه بطل اليوم رأي القائلين بان محمدا هو أول من أوجد تعدد الزوجات في العالم وأول من قال به ، لا لأن هذا الرأي قد ظهر انه مخالف للحقيقة والتاريخ فقط ، بل لان من يقول به لنا يلصق بنفسه تهمة الجهل الفاضح باساس هذه المسألة الاجتماعية القديمة — أقول نعم أنه بطل اليوم هذا الرأي ولكن زعمهم أن النبي أجاز هذه العادة وصرح بها كما ذكرنا ما زال مذهب المسيحيين عموما والمتعلمين منهم

خصوصا ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا زعم فاسد باطل كما سنبينه بعد .

أن محمدا (ص) وجد تعدد الزوجات عادة معمولا بها بين قومه كما وجدها معمولا بها في كافة الاصقاع المجاورة لبلاده . نعم ان الامبرطورية المسيحية حاولت بما وضعته من القوانين أن تضع حدا لتلك الحالة المحزنة كما ذكرنا في الفصل السالف ولكن نتيجة هذا العمل كانت على غير ما يراه أصحاب هذه القوانين ، فان تعدد الزوجات سار في تياره القديم بغير انقطاع ، ونساء الرجل الواحد خلا الاولى منهن بقين على حالتهن الاولى من التعاسة والشقاء

أما في بلاد الفرس فقد كان سقوط الآداب وانحطاطها حوالي الوقت الذي ظهر فيه النبي امرا موجبا للدهشة والحزن معا ، فانه لم يكن ثم قانون للزواج مطلقا . واذا كان ثم قانون من هذا القبيل فقد كان مهملا وغير معمول به أصلا. ولما كانت قوانين البلاد لم تحدد على كل حال العدد الذي يقف الرجل عنده في الزواج كان من أمر الفارسيين أن استمرؤا هذا المرعى الخصيب وصار الرجل منهم يتخذ ما شاء من الزوجات ، زائدا على السراري والحظيات (رولنجر صحيفة ٤٠٦)

ولقد كان بين العرب الاقدمين واليهود عدا ما قلناه عن عادة تعدد الزوجات عادة أخرى هي الزواج بشروط مخصوصة ، وكذا الزواج لمدة معينة ، ولا ريب أن وجود مثل هذه الحالة في شبه جزيرة العرب كان من شأنه تحطيم وجود الامة الاجتماعي باسره ، الا ان الله قيض لها من يرفع شأنها ويأخذ بيدها من هذه الوهدة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ورفع من شأن المرأة فارتفع البناء الاجتماعي باكمله

لقد كان مركز المرأة بين اليهود والعرب في اقصى دركات الانحطاط ، فقد كان شأن الموسوبة في بيت أبيها شأن الخادمة . كان والدها يستطيع ان يبيعها بيع السلع ، وكان اخوتها يستطيعون ان يتصرفوا فيها كما يشاءون بعد موته ، وأنكى من ذلك انه كان لا يحق لها ارث أبيها الا اذا لم يكن له خلف من الذكور . أما بين العرب الذين كانوا كثيري الاحتكاك بجيرانهم المتحضرين فقد كانت قيمتها عندهم قيمة المتاع الصرف ، أي كانت المرأة جزءاً من أملاك الوالد أو الزوج ، ومن تترمل من نساء الآباء تصبح فيما بعد من نساء الابناء بحق الارث . ومن هنا نعلم معنى كلمة (نكاح المقت) التي ذكرتها الشريعة الاسلامية في شأن من يتزوج من الابناء بنساء الآباء حينما حرمت على العرب تلك العادة . ولقد بلغ من كراهية هؤلاء القوم للاناث من أولادهم انهم

كانوا يحرقونهن(١) احياء. وهذه العادة أبطلها النبي كما أبطل عادة ذبح الاطفال ضحية للآلهة

هذا ـ أما في امبراطوريتي الفرس وبيزانطية فقد كان شأن المرأة من الانحطاط شأنها في كل جاورها من البلاد . وانه في ذلك الوقت الذي كان فيه البناء الاجتماعي للعالم يتهدم من كل جانب ـ في ذلك الوقت الذي أخذت فيه الصيحات ترتفع من كل فج طالبة الاصلاح الحقيقي للمجتمع ـ في ذلك الوقت الذي اقتنع فيه العالم كافة بنقص القوانين والشرائع الموجودة حينئذ ـ أقول في ذلك الوقت العسير جاء النبي باصلاحاته وأخذ يدعو الناس الى العمل بها. وان من يتأمل في تلك الاصلاحات يرى ان (احترام المرأة) ركن من اركانها الهامة، وعماد من عمدها القوية، وانه ليكفينا ان نبرهن هنا على تأثير هذه التعاليم الجديدة في اخلاق من تبع هذا النبي الكريم من العرب بما كان من احترام هؤلاء القوم لابنته وحبهم لها حبا جعلهم يلقبونها بسيدة الجنة وسيدة النور . وهذا تحول غريب بالنسبة لمعاملة المرأة وتغيير معتقدهم فيها . ولا ينبغي ان ننسى مع ذلك ان تأثير هذه التعاليم في أخلاق النساء أنفسهن قد أكسبهن ذلك الاحترام ، فمن ذا الذي يجهل ذلك الطهر والعفاف اللذين كانا يتوجان فاطمة الزهراء ؟ ومن ذا الذي لم يسمع عن ربيعة وآلاف غيرها من النساء الفضليات

هذا وان من الشرائع التي جاء بها النبي في شأن النساء ما كان من ابطاله عادة التزوج بشروط ، وانه إن يكن قد أباح الزواج المؤقت أولا فانه حرمه في العام الثالث من الهجرة ، ولقد أعطى النساء فوق ذلك حقوقا ما كانت لهن من قبل، وأهم تلك الحقوق ما كان من مساواته لهن بالرجال في تقلد وظائف القضاء بين الناس، زد على هذا أنه قيد عادة تعدد الزوجات بقيود هي عين النهي المطلق ، فانه ـ على كونه خفض عدد النساء اللاتي يصح للرجل التزوج بهن معا الى أربع فقط ـ قد اشترط لذلك المساواة التامة بينهن تطبيقا للآية الشريفة (فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة) ولقد كانت هذه الآية التي تلت آية الاذن بالتزوج بذلك العدد(٢) موضوع بحث المفكرين من علماء الاسلام في العالم أجمع، فان العدل والمساواة بين النساء ليس معناه المساواة بينهن في المأكل والملبس فقط، بل يقتضي المساواة في الحب(٣) والاخلاص لهن جميعا . ولما كانت المساواة في مسائل الشعور والاحساس هي عين المستحيل يكون هذا الشرط في منزلة المنع التام للتزوج بأكثر من امرأة واحدة . ولقد أخذ بهذا الرأي فعلا

(١) المنار : المعروف انهم يدفنونهن (٢) الصواب ان هذا الشرط جاء بعد الاذن في آية واحدة (٣) العدل في الحب لا يجب لانه ليس اختياريا وهلا استدل بقوله تعالى « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء »

طائفة المعتزلة في أيام حكم المأمون ، وعلموا الناس ان الاسلام يقضي بالتزوج بامرأة واحدة . وانه ان تكن المطاردات العنيفة التي طاردهم بها (المتوكل) قد وقفت انتشار هذه الآراء الصائبة في العالم الاسلامي، فلا ريب في أن الطبقات المستنيرة من المسلمين ظلت تعتقد أن تعدد الزوجات مخالف لتعاليم نبيهم الكريم ، كما هو مخالف المجتمع المدني الحديث

ان تعدد الزوجات تابع على كل حال لتطورات الزمان، ففي ظروف مخصوصة وفي أحوال اجتماعية مخصوصة يكون تعدد الزوجات كما ذكرنا في أول الفصل السالف لازما ومحتم الوجود لحماية النساء من الفقر الذي يجلب معه كل رذيلة. والواقع اننا اذا استقصينا أسباب انحطاط الآداب المخيف في عواصم أوربا المتمدنة فاننا لانجد لذلك سببا أقوى من هذا الفقر المدقع الذي يدفع النساء الى ركوب هذا المركب الخشن والالتجاء الى بؤرات الفساد حيث يبعن أعراضهن ابتغاء القوت واللباس . ولقد قال (الا باهوك والسيدة دوق غوردون) : ان ثم أحوالا مخصوصة مجردة عن كل اعتبار ديني تدفع الناس في الشرق الى التزوج باكثر من امرأة واحدة . ان تقدم الحركة الفكرية في العالم وتغيير تلك الاحوال المخصوصة قد حديا بالناس الى ابطال هذه العادة والتبرئ منها الآن، ولذلك نرى ان تلك البلاد الاسلامية التي زالت منها تلك الاحوال المخصوصة أصبح أهلها ينظرون الى هذه العادة بعين السخط فعلا، ويعدونها مخالفة للشرع والدين تماما ، وأما البلاد التي ما زالت فيها أحوال المجتمع على نقيض ذلك فان تعدد الزوجات فيها باق ولازم البقاء حتما

ورب معترض يقول : ان عبارة الشرع في هذا الموضوع تحتمل تأويل الفقهاء واختلافهم ، وان تعدد الزوجات لا يبطل اذا الا بعد عناء طويل ، وان وراء العقبة الاجتماعية عقبة دينية أخرى. واننا مع اعترافنا بوجاهة هذا الاعتراض وانه يستحق في الواقع اعتبار المسلمين الذين يرغبون في تخليص دينهم من الشبهات نقول : ان موافقة القوانين أيا كان نوعها لاحوال كل زمان ومكان هو دليل نفعها وخيرها للناس، وان قانون الزوجية الموجود في الآيات القرآنية الشريفة تنطبق عليه هذه الصفات تمام الانطباق، فان ذلك القانون يوافق تمام الموافقة أحوال المجتمع المدني الحاضر كما يوافق أحوال المجتمع القديم، فلا هو اذا يتغافل عن حاجات الانسانية الراقية، ولا هو يتناس أن ثم شعوبا وقبائل في الارض تجر عليها وحدة الزوجية أشد المصائب والمها. ففي الوقت الذي تفهم عبارة القرآن كما هو المقصود منها تماما ، وفي الوقت الذي تطبق تطبيقا

موافقا لاحوال الزمان ، تزول هذه العادة وتمحي بلا صعوبة البتة . ولا ريب ان هذا الوقت الذي يفحص فيه المسلمون أقوال نبيهم فحصا جديداً ويضربون عرض الحائط بتفاسير بعض رجال الدين ليس ببعيدان شاء الله

وان أوربا التي يذكر تاريخها ماكان من تصرف رجال دينها في كثير من العصور بأقوال كتبها كتصرف رجالنا تنفيذا لنفس هذه الاغراض الدينية أولى بها أن تنظر بصبر وتؤدة الى مساعي رجال ديننا الحديثين لاطلاق الافكار الحرة من أسرها القديم، وتطبيقها تطبيقا يوافق الجيل الحاضر ، بدل ان تعجل علينا وعلى ديننا بصب الشتائم كل يوم . وان الوقت الذي تتحرر فيه الشريعة الغراء وتطلق من سجن وضعها فيه بعض رجالنا يصبح من السهل على الشارع في كل بلد اسلامي أن يضع قانونا يطبق فيه الشريعة السمحة على منع تعدد الزوجات. ولاريب ان هذه النتيجة التي تبعث على الغبطة والسرور ستتحقق حتما بعد ان بدأ مسلمو العالم المستنيرين بفحص كلام القرآن والنبي الكريم غير متأثرين بالافكار العتيقة التي ثبت فشلها الآن

وانه يسرنا ان نتيجة هذا الفحص هي على ما كنا ننتظر ، فان القول بوحدة الزوجة يرتفع اليوم من كل جوانب العالم الاسلامي

والواقع ان كراهية تعدد الزوجات وشعور الناس بضرره من الوجهة الاجتماعية ان لم يكن من الوجهة الادبية قد أخذا بالمسلمين في الهند الى نزع هذه العادة من بينهم ، وأصبحت الشروط التي اتفق الناس هناك على وضعها في عقود الزواج انه لا يصح الاقتران بأخرى مع وجود الزوجة الاولى . وعلى ذلك ترى ان ٩٥ في المئة من مسلمي الهند يقتصرون اليوم على التزوج بواحدة ، وفي بلاد فارس لا يتعدى المتزوجون باكثر من امرأة اثنين في المئة وان أملنا وطيد في ان علماء المسلمين يجتمعون في مؤتمر ديني ليقرروا فيما بينهم قاعده منع تعدد الزوجات . اهـ

(المنار) بينا من قبل ان تعدد الزوجات خلاف الاصل في نظام الفطرة والشرع ولكن قد يحتاج اليه فاذا قل الرجال في بلد أو بلاد بالحروب أوالمهاجرة فقد يكون من مصلحة النساء أولا والهيئة الاجتماعية ثانياً ان يتزوج الاغنياء الفضلاء القادرون على الانفاق والعدل بين النساء أكثر من واحدة لتقليل شقائهن وصيانتهن من الفسق ولتكثير نسل الامة . وقد يقع مثل هذه الضرورة لبعض الافراد . فأكمل الشرائع في هذه المسألة هي الشريعة الاسلامية التي تتسع لاباحة هذا الامر عند الحاجة اليه ومنعه عند توقع المفسدة منه . وقد ضيقت في شروطه بحيث تتعذر في غير حال الضرورة واقامة المصلحة دون

مجرد التمتع . وأمثل طرق المنع الاشتراط في العقد على الأولى ان لايتزوج عليها ، وهو شرط يبيحه بعض الفقهاء ويدل عليه الحديث الصحيح . وللحاكم المسلم ان يمنع المباح الذي تخشى مفسدته

١ ـ سقوط مسقط « *

La chute de Mascate.

مسقط هي الثغر العربي البحري حاضرة بلاد عمان على حرف بحرها في عرض ٢٣ درجة و٢٧ دقيقة من الشمال وفي طول ٥٦ درجة و١٥ دقيقة من الشرق فيها نحو ٣٥ الف من السكان وميناؤها حسن وكان قد حصنها سابقاً البرتغاليون: وتجارتها مع بمبي وخليج فارس نافقة ، والميناء الصغير الذي يجاورها واسمه « مطرح » يعد من مرافقها وكان قد فتحها البوكرك في سنة ١٥٠٧ فامتلكها البرتغاليون الى سنة ١٦٤٨ ثم خرجت من أيديهم وتقلبت عليها الاحوال حتى أصبحت هدفاً للنفوذ الانكليزي الى هذه الايام الاخيرة فجاءتنا الاخبار ان الانكليز احتلوها وغدت من أملاكهم . ولا بد من أن نعرض على القراء مجمل الانباء منذ أقرب عهد الينا أي منذ عهد السيد سعيد بن سلطان لتقوم في الفكر صورة الحقيقة منذ نشأتها الى هذا العهد . وقد استندنا في أغلب هذه الرواية على حضرة سليمان افندي الدخيل صاحب الرياض فنقول :

كان لمسقط في عهد السيد سعيد بن سلطان شأن يذكر أصبحت فيه حاضرة إمارة كبيرة على سيف الخليج الفارسي تمتد على الثغور البحرية المجاورة لها حتى جزيرة البحرين التي لم يتغلب عليها مع أنه حارب أهلها أشد المحاربة . ومن الثغور التي كانت تضاف الى الامارة المذكورة (لنجة) و (بندر عباس) وما يجاورهما من البلاد الايرانية الواقعة على خليج فارس . لا بل امتدت أجنحة امارته الى ساحل شرقي افريقية مثل بلاد (لامو) و (منباسة) و (الانقزيجة) و (بندر السلام) و (هنزوان) و (الجزيرة الخضراء) و (زنجبار وغيرها)

وكان قد أقام له حاضرتين وهما (مسقط) للبلاد الواقعة في بحري عمان وفارس (وزنجبار) للاقطار الافريقية. وعقد معاهدة مع والي البصرة ومثلها مع دولة الهند ليحافظ على استقلاله وأمور دياره حتى ان فرنسة أقرت له بلقب سلطان العرب أو أمبراطورهم وقد نالت رعيته من الرفاهية ورغد العيش مالم تنله تلك الاقطار في سابق الاعصار ، وكان له أسطول ذو حول وطول يمخر أبحر الهند وفارس وعمان .

* » منقولة بحروفها من مجلة لغة العرب البغدادية المفيدة

بقيت تلك الدولة في نمو وزهو الى أن توفى السيد سعيد فانقسمت دولته بين أبنائه قسمين : شطر عربي وشطر افريقي ، فكان الشطر الافريقي نصيب السيد ماجد ومن بعده السيد برغش ووقع الشطر العربي حصة للسيد تويني الذي قتله ابنه السيد سالم ليستولي على سلطنته ، وما بدأ هذا الرجل بالقبض على زمام الامر الا واستعرت نيران الفتن واندلعت ألسنة اللهيب الى تلك الديار ولم تخمد الا بتغلب السيد تركي عليها وهو ابن السيد سعيد أخي السيد تويني. وبقيت الامور تجري في مجراها الى عهد السيد فيصل بن تركي السلطان العربي الحالي ، فتقاسم الانكليز والالمانيون تلك البلاد في معاهدات سنة ١٨٩٠ وأفضت ثغور فارس والبحرين والكويت الى حماية الانكليز . وهكذا أخذت البلاد تخرج من أيدي أصحابها .

ولما اخترع الافرنج البواخر وسيروها على متان البحار وشحنوها آلات جهنمية وبقي العرب على حالتهم الاولى من اتخاذ السفن الشراعية أو ذوات المقاذيف ضعفت قواهم في المحاربة وتأخروا عن سائر الامم التي كانت تزداد قواها بازدياد عدد بواخرها وبوارجها ومدرعاتها فاضطر أمير مسقط أن يساير الافرنج والانكليز خوفاً من أن تفلت بلاده من يديه قهرا وقسرا بدون أن يتمكن من معارضة المتغلبين الطامحة أبصارهم الى دياره . فاضطر الى منع النخاسة (بيع الرقيق) ثم الى منع بيع الاسلحة ثم الى غير هذه المطالب مما أوغر صدور العرب عليه ودفعهم الى الخروج عليه .

وأول من نفث في صدور الناس روح العصيان هو الشيخ عبد الله السالمي من (الشرقية) فانه دعاهم الى أن يبايعوه وقد كان بلده (ضبية) ومسكنه في بلد (القابل) الذي أميرها الشيخ عيسى بن صالح . وأول من بايعه هو هذا الشيخ وكانت المبايعة سرا. والغاية من هذا الخروج اقامة السيد فيصل {اماما شرعيا} على الاباضية في مسقط يكون نافذ القول والاحكام لاسلطاناً ، ولهذا كتبا اليه كتاباً ليطلعاه على ما جال في فكرهما فأبى السيد فيصل قائلا انه « سلطان وامام معاً » وانه حر القول والفعل في مملكته يعمل مايشاء ويقول مايشاء .

فلما بلغ ذلك الخبر الى الشيخين امتعضا وانضم اليهما جم شايعوهما في أفكارهما، ثم طلبوا جميعهم الى السيد فيصل أن يقطع دابر الموبسات من مسقط وعمان وأن يمنع شرب المسكرات والدخان وتجول المبشرين في تلك البلاد الى غير هذه المطالب، فأبى كل الاباء قائلا : ان الانسان خلق حرا ولا يحق لي أن أقيده بقيود

فلما رأوا انه رفض كل ماطلبوه منه اجتمع الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى

ابن صالح والشيخ عبد الله بن سعيد وعقدوا مجلسا خفيا في (سمائم) من بني الريحة {١} وقرروا أن يبعثوا الشيخ عبد الله بن حميد الى جميع ديار عمان ليدعو أهلها الى النهوض مع الشيوخ المذكورين والى محاربة السيد فيصل لكونه أبى تلبية مطالبهم. فجرى الامر على ماقرروه ومكنوا الصلح في قبائل عمان المختلفة وربطوا بعضها ببعض ليكونوا يداً واحدة على السيد السلطان. ثم سار الشيخ عبد الله بن حميد الى (تنوف) {٢} بليدة قريبة من «نزوة» وواجه شيخها حمير الامامي الذي أمر للحال بجمع علماء الاباضية وذاكرهم في الامر فقر رأيهم على تعيين امام ومبايعته، فأقاموا عليهم الشيخ سالم بن راشد الخروسي {٣} ودخلوا « نزوة » سرا ودعوا سكانها الى المبايعة فبايعوا الامام وكان في مقدمتهم بنو يام والكنود {٤}

فلما بلغ الخبر أمير نزوة وهو السيد سيف بن حمد من أبناء بني سعيد هجم عليهم بعسكره كبحاً لجماحهم . لكنهم أبلوا بلاء حسناً وقتلوا من بني سعيد خاصة أكثر من ٢٥ رجلا وجرحوا الوالي ثم بعد ذلك أخذت نزوة أو قل: سلمت نفسها بدون ممانعة لضعف أهلها وقوة محاربيهم، وللحال أخرجت العساكر من القلعة الحصينة {٥} واحتلها أتباع الامام

اما الوالي فانه لما رأى الحال على تلك الصورة لجأ الى أحد المساجد فطلبوا اليه ان يطاوع الامام والا يعامل معاملة الاسير، فاستمهلهم ساعة قبل الجواب فلما امهلوه انتحر .

قبض الامام على زمام الامر في نزوة ولما قرت فيها قدمه أرسل يقول لسكان بيت سليط (٦) اما الطاعة واما الحرب . فسالموه وأطاعوه . ثم سار وقد قسم جنده الى طائفتين وجه الطائفة الاولى الى (بركة الموز) (٧) والطائفة الاخرى الى الرستاق (٨) وما كادت تصل تلك الجنود الى تلك الديار الا وانقاد سكانها للهاجمين

(١] بنو الريحة قبيلة كثيرة العدد عتيدة العدد أصلها من ذيبان (٢) تنوف واقعة على سفح الجبل الاخضر المشهور بكثرة الاشجار وبما يتفتق عند حضيضه من الانهار وهو يبعد عن مسقط مسير خمسة أيام واما نزوة وتسمى اليوم نزوى فهي عاصمة بلاد عمان في سابق العهد وهي الى يومنا هذا مدينة كبيرة فيها ما يقرب من ٣٦٠ مسجداً كذا على رواية سليمان افندي الدخيل ولعل الاصح ٣٦ مسجداً بحذف الصفر وفيها جامع كتب عليه انه « حول مسجداً في سنة ٧٠ للهجرة » وكان في السابق كنيسة للنصارى (٣) هذا الامام تابع لتسعة ائمة تقدموه وكلهم من قبيلة خروس القوية (٤) وهما قبيلتان مشهورتان في تلك المدينة (٥) هذه القلعة من القلاع المنيعة القديمة قال عنها سليمان افندي الدخيل انها قوية البناء لا تؤثر فيها المدافع الجديدة (كذا) ولعله يريد بالمدافع الجديدة تلك التي يتخذها الصبيان من ... الكاغد ؟ ! «٦» بلد حصين منيع «٧» وهي بلدة كبيرة منيعة « ٨ » وهي من المواصم القديمة

بدون معارضة . ثم زحفوا على بلاد الحزم (١) فبايع أهله الامام . ثم زحفوا الى ولاية العوابي (٢) فلم يقاومهم فيها أحد . وفي تلك الاثناء كانت الطائفة الثانية من الجند قد زحفت من (بركة الموز) الى (ولاية نزكي) (٣) وقالوا لواليها : ان أنت وافقتنا على أمرنا أقناك اماماً . فسلمهم القلعة بدون محاربة وللحال لفوا رأسه بعمامة وقالوا له : « كن مستعداً لان تكون خليفة (!!!) بعد امامنا هذا (!) .

لما سمع السيد فيصل هذه الامور جيش جيشاً فيه ٥ آلاف جندي وأمر عليه ابنه السيد نادر فلما وصل الى قرب موقع الامام الجديد في (سمائم) قلب له جيشه ظهر المجن فانحاز الى جيش الخصم ولم يبق معه الا فرقة من البلوص وأولاد بني سعيد وكلهم لايتجاوز عددهم التسعين . فلما رأى هذه الخيانة لجأ الى حصن سمائم فدخله ولبث فيه محصورا مدافعا بالمدافع التي كانت هناك دفعاً لهجمات عدوه الشديدة

اما قبائل ذلك الموطن فانها لم تنفعه فتيلا لانها كلها خانته وانحازت الى الامام الجديد الذي اشتد ساعده لما رأى من الفوز المبين، ومع ماتوفق له من انضمام القوم اليه لم يستفد من محاصرة السيد نادر عظيم فائدة لانه كان يدحرهم شر دحر بما كان يمطره عليهم من قذائف مدافعه . ولهذا رأى الامام من الاوفق له ان يتركه وشأنه ويحاصر البلد محاصرة ضيقة بحيث يبقى السيد نادر وهو في حصنه في بؤرة البلد

ثم ان الشيوخ تفرقوا بجنودهم فسار الشيخ حمير بجنوده الى (سمائم السفلى) وسار الشيخ عيسى الى بلد (سرور) فبايعه أهلها . وسار الامام ومعه الشيخ عبدالله الى سمائم العليا (٤) محاصرين السيد نادراً . ثم انهم لما لم يروا نتيجة اتعاب محاصرتهم حفروا سرباً أو نفقاً تحت الارض على بعد ربع ساعة (كذا ولعل في هذه الرواية غلواً عظيما ولا سيما لان الارض هناك ذات حجارة صلبة سوداء تكاد تكون كالحرة) ينتهي الى القلعة ونسفوا بالبارود شيئاً يسيراً من الحصن ولم يصب أحد بضرر لا من المحاصرين ولا من المحاصرين، لكن لما أعادوا الكرة وأخذوا ينسفون الحصن للمرة الثانية رجع مفعول البارود على جند الامام وأهلك من قومه نفوساً كثيرة .

اما الشيخ عيسى فانه أوغل في البلاد وبايعه أهلها وما زال يمعن فيها حتى وصل الى بلد (فنكا) فارسل السيد فيصل عليه جيشاً جراراً وعند وصوله الى بلد

«١» وهي بلاد فيها قلعة حصينة اذا دخلها الدخيل لا يهتدي الى الخروج منها الا مع دليل يهديه «٢» ولاية حصينة هي من أول املاك السيد فيصل «٣» يعين والي هذه الولاية باسم من الامام فيصل وابن عمه (٤) سمائم أو سمائل السفلى وسمائم أو سمائل العليا وسرور كلها بلاد واسعة على مسافة يومين الى اربعة ايام من مسقط

(الحوث) رجع على أعقابه وذهب الى بلاد (السيب) بدون ان يرى العدو بل علم ان العدو قد احتل (الحوث) قبل ان يصل اليه وبايعه أهله فحقق سعي جيش السيد فيصل . - وأما جيش الامام الذي كان قد احتل (الرستاق) فانه تجاوزه وأمعن في البلاد حتى دخل (العوابي) وفيها ابناء السيد فيصل وهما حمود وحمد، ومعهما السيد (هلال) والي (بركة) فلما رأوا صولة العدو فروا هاربين من القتل فأخذها الامام وأخرج منها العسكر الموجود فيها وامتلك الاسلحة المذخرة هناك وباعها للعشائر

استمرت هذه المحاربة نحو أربعين يوما . وفي الآخر رأى السيد فيصل ان لاطاقة له على مقابلة العدو فاستنجد بالانكليز فامدوه بست بوارج هائلة. وبخمسمائة جندي ، واعديه ان يساعدوه في كل ما يطلب، وان لايمدوا في البر أكثر من مسافة ساعة . وقد احتلت الجنود الانكليزية بعض القلاع وأخذوا يقاومون العدو أشد المقاومة وأصبحوا أصحاب الامر والنهي في عمان

ولما قرت قدم الانكليز في مسقط وفي سائر ديار عمان وأصبحوا فيها أصحاب الامر والنهي نشروا فيها أجنحة الامن والراحة والسكون. حتى ان أحد تلك الارجاء كتب الى جريدة الدستور البصرية « ان السكينة قد عادت الى ربوعها بعد ان اتخذ الانكليز جميع وسائل الحرب لصد العدو عن مهاجمتها لا بل شرعوا المذاكرة في أمور الصلح بينهم وبين الامام الاباضي » فتبارك مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . اه بنصه

(المنار) نشر في جرائد مصر والعراق وسورية عدة مقالات في اخبار هذه الفتنة لم نر فيها أوفى من هذه المقالة المختصرة المفيدة . واذا صح ماقاله الراوي من ان الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى بن صالح كتبا الى السيد فيصل رحمه الله تعالى بما ذكر ، وانه أجابهما بما ذكر (في ص٩٤٢) فقد أعذرا اليه، واللوم عليه اكبر من اللوم على غيره. نعم اننا نعلم انه صار مغلوبا على أمره للانكليز في حاضرة مسقط ،وانه لم يعد يستطيع منع المبشرين- الذين هم أصل كل فتنة في كل البلاد التي يحلون فيها فيفسدون على اهلها جامعتهم ويفرقون كلمتهم، ويمهدون السبل لازالة استقلالهم اذا كان لهم استقلال- ولا منع المومسات والمسكرات بدون اذن الانكليز، ولن يأذنوا بذلك. ولكنه لاينبغي مع هذا ان يجيب بما قيل إنه أجاب به من الرضا بدعوة المسلمين الى ترك دينهم الحق، وإباحة الفجور والفسق ، وعدهما من الحرية التي لا يجوز تقييدها ، اذ لا يوجد في

الارض مملكة تبيح لكل أحد أن يفعل ما يشاء ، غير مراعية استعداد الرعية ، ولا عواقب الامور الادبية والسياسية ، ولا تهييج الاحقاد الدينية . فالانكليز وهم اعرق الافرنج في الحرية لا يبيحون للكاثوليك ان يظهروا شعائر مذهبهم في مثل عيد الفصح في لندره ، ولا يسمحون للمبشرين من أهل دينهم ومذهبهم ان يدعوا الى النصرانية جهرا في جميع بلاد السودان المصري الانكليزي ، ويقال انه ليس في بلادهم مواخير علنية للبغاء . فهل كان السيد فيصل أوسع من الانكليز حرية وسياسة؟ ام تلك الرواية عنه كاذبة ؟ وإلا فأين الاسلام ؟ واين العقل والذكاء ؟ انني استبعد جداً ان يكون الغرور بهذه الالفاظ التي يلوكها بيننا الافرنج والمتفرنجون قد وصل حتى عقل السيد فيصل الى ذلك الحد الذي يدل عليه الجواب الذي عزي اليه، وعسى ان يكتب الي نجله النجيب صديقي السيد نادر (١) ما هو الحق في هذه المسألة

وقد صرحت المقالة بأن الانكليز قد احتلوا سواحل عمان كلها ، وصاروا اصحاب الامر والنهي فيها ، فاذا صح الخبر فلا بد ان يعملوا كل ذلك باسم سلطان مسقط ، ويسموا عملهم خدمة ومعاونة له ، حتى لاينفر منهم سائر أهل الخليج الفارسي من شيوخ العرب الذين يريدون الاستيلاء على بلادهم مثل (ابجه) و (دبي) بالفتح السلمي ، كاستيلائهم التدريجي على القسم الجنوبي من بلاد ايران . وأهل الشرق قد جنّوا بالألفاظ فهم يعولون عليها ، ويهتمون بها مالا يهتمون بالحقائق .

الآن أقول انني لما كنت في ضيافة السيد فيصل منذ سنة ونصف تقريبا ورأيت حال حاضرته مسقط قلت له : انني اتوقع ان ينصب قومك الاباضية إماما لهم ويخرجوا عليك باسم الدين ، فارى أن تجتهد في تلافي الامر قبل وقوعه ، وتتدارك الفتنة قبل اشتعال نارها ، بأن تجمع كلمة قبائل عمان وتؤلف من شيوخهم مجلس شورى ، وتجعل عاصمة المملكة في الجبل الاخضر ، وتنظم أمور المالية ، وتقيم العدل الشرعي في داخلية البلاد ، ولا يضرك بعدها العجز عن بعض الامور في حاضرة مسقط لمكان النفوذ الاجنبي فيها . وفصلت له القول في ذلك تفصيلا ، ولكنني فهمت منه انه ليس لديه من الرجال ، من يستطيع القيام بهذه الاعمال ، ومن الغريب ان ما توقعته قد وقع بعد سنة فقط

---

(١) نادر بالدال المهملة لا المعجمة كما تكرر في مقالة لغة العرب . ونحن اعلم بضبط اسمه لاننا لقيناه وسمعنا والده وأهله يذكرون اسمه ويخاطبونه به ، وبيننا صلة بالمكاتبة

الشيخ علي يوسف



٢

سياسته العامة والعثمانية خاصة

كان الشيخ علي كاتبا سياسيا ، وكانت سياسته اسلاميه عثمانية مصرية . ثم لما ظهر الاتحاديون العصبية التركية، واضطهاد العرب والعربية ، كانت سياسته اسلامية عربية أولا ثم عثمانية . أعني انه يخدم الدولة العثمانية في كل ما يستطيعه الا اذا كان معارضا للاسلام او العرب ، وقد خدمها أجل خدمة في تأسيسه لجمعية الهلال الاحمر في مصر، فهوالذي سن هذه السنة الحسنة في مصر فاستفادت الدولة منها تلك الألوف الكثيرة من الجنيهات مع بعثات طبية منظمة أدّت لها الخدمة النافعة في حربي طرابلس والبلقان،كما كان له في مؤيده اليد البيضاء في اعانتها من قبل على حرب اليونان

كان للمؤيد التأثير العظيم فيما عليه المصريون الآن من التعلق الشديد بالدولة العثمانية والحب الخالص لها . وقد كانوا يمقتون الترك وحكم الترك مقتا شديدا لانهم لم يروا من آثار حكمهم ولم يحفظوا من اخبار حكامهم ما يوجب غير ذلك . وقد تجلى ذلك في الثورة العرابية أظهر التجلي ، فكان زعماؤها عازمين على جعل حكومتهم مصرية محضة يتولى ادارتها المصريون دون الترك والمستتركين من الشركس وغيرهم . فلما وقعت البلاد تحت سيطرة الاحتلال الاجنبي ثقل ذلك على المسلمين طبعا ، وأحسوا بضعفهم، فحدث عند بعض المشتغلين بالسياسة فكرة التعلق بالدولة والرجاء فيها . وكبر ذلك ونمي بل وجد وظهر منذ تولى الأريكة الخديوية العزيز (الحاجّ عباس حلمي الثاني) وفقه الله وأيده ، فانه بما سنه من زيارة الآستانة في كل عام ، أوجد في مصر حركة سياسية وطنية لم تكن في غابر الايام ، وجرأ المصريين على مالم يكونوا يتجرؤن عليه من قبل، وولى وجوههم شطر تلك العاصمة ، وأنطق السنتهم واجرى أقلامهم، بما لم يكن يعهد من احد منهم ، وكان المؤيد خطيب هذا المنبر ، أو منبر خطباء هذه السياسة ، ولكن مصر لم تستفد شيئا مما كانت ترجوه من هذه السياسة. وانما استفادت منه الدولة تعلق السواد الاعظم من المصريين بها وحبهم إياها ، فكان من أثره جمع لاعانات لها في كل حرب تدخل فيها

لاموضع هنا لبيان أثر هذه السياسة في معاملة الانكليز لمصر وللدولة العثمانية ،

ولا لبيان تأثير هذا الحب والتعلق من الخديو وأمته في نفس السلطان عبد الحميد ثم في نفوس من خلعوه وخلفوه في هذه الدولة ، ولا لبيان سيرتهم مع عزيز مصر ، ولا مع الانكليز فيما يتعلق بسياسة مصر . لأن موضوعنا سياسة « الشيخ علي يوسف في المؤيد وفي نفسه » وخلاصة القول فيها انها كانت اسلامية في كل حال - عثمانية مصرية معا أيام كانت الآمال والأماني تنوط بالدولة حل المسألة المصرية باخراج الانكليز من مصر - ثم عثمانية محضة مصرية محضة بعد ما خابت تلك الآمال ، وطاحت تلك الاماني والاحلام ، التي كان يقال في مثلها « حياتنا بين يدي المابين »

ثم عربية عثمانية في العهد الاخير ، كما اشرنا الى ذلك في فاتحة الكلام . بل صارت خدمته للدولة في هذا العهد داخلة في سياسته الاسلامية العامة . وسيأتي الكلام في سياسته المصرية خاصة .

يقول أعداؤه وخصومه في السياسة من قومه انه كان متقلبا في سياسته ، ويعدون عليه من ذلك ما قد يعد له . والسياسة متقلبة بنفسها ، فالذي يجمد على حال واحدة لا يستطيع ان يكون سياسيا ، لان الاحوال تتغير دائما ، والسياسي هو الذي يدور معها كيفما دارت . وفي الحكم والامثال « دوام حال من المحال » وانما يعاب على الرجل أن يكون متقلبا في المقاصد لا في الوسائل

فعلى هذه القواعد التي لا نزاع فيها يرد أنصار الفقيد شبهة خصومه بانه كان في سياسته أثبت من الأطواد . أما سياسته الاسلامية فالامر فيها ظاهر ، ولم يتهمه بالتحول عنها متهم ، وأما سياسته العثمانية فقد ثبت عليها حتى الممات أيضا . وآخر خدمة خدم بها الدولة تأسيس جمعية الهلال الاحمر المصرية ، وكان عضوا عاملا في جمعية اعانة الحرب أيضا . نعم انه شن على جمعية الاتحاد والترقي حربا عوانا لاعتقاده ان ما سارت عليه في سياسة الدولة وادارتها كان ضاراً بالدولة العلية والامة العثمانية عامة ، وقومه العرب خاصة ، ومضعفا للرابطة بين الدولة وبين مصر .. ومنافيا للسياسة الاسلامية أيضا ولم يكن رحمه الله منفردا بهذا الاجتهاد بل كان متفقا فيه مع جماهير العثمانيين من الترك والعرب الذين الفوا عدة أحزاب لمقاومة الجمعية ، وصار اكثر اعضاء مجلس الامة عليها فاضطرت الى حله بالارادة السلطانية . ثم ان الجمعية نفسها صرحت بأنها كانت مخطئة في كثير من أعمالها ومقاصدها وانها رجعت عنها ، ومنها تتريك العرب وغيرهم من الاقوام العثمانيين

فظهر للمتتبع للحوادث انه قد ظهر انه كان مصيبا في انتقاده ، وكان آخر ما ظهر للجمهور من ضرر سياستها هو أول شيء كان أول من انتقده عليها جهرا ،

وهو جعل السلطة في أيدي الضباط واشتغالهم بالسياسة وقد قال في هذا الموضوع كلمته المشهورة في بيروت في أول العهد باعلان الدستور ، وسكر الناس كلهم بخمرة الفرح والسرور ، وهي « ان السيف والسياسة لا يجتمعان في غمد واحد » قال ذلك لما رأى بعض صغار الضباط الاتحاديين في بيروت يتصرف في الحكومة تصرف الحاكم المطلق المستبد. ثم تبين أن ضرر اشتغال الضباط بالسياسة والادارة قد اضعف الدولة وقسم القوة فيها على نفسها ، وكان أهم اسباب الخذلان في الحرب البلقانية الاخيرة كما صرح به القائد الالماني الكبير (البارون فندر غلتز) باشا منظم الجيش العثماني

ويقولون ان التقلب والذبذبة في السياسة العثمانية هو ماجرى عليه خصوم الفقيد الذين صدق عليهم المثل « رمتني بدائها وانسلت » ذلك بأنهم ينتصرون لصاحب القوة أخطأ أم أصاب ، نهض بالدولة ام هوى بها . فكانوا يقدسون السلطان عبد الحميد ويقولون في طلاب الدستور والاصلاح منه اشد مما قال مالك في الخمر . وكانت قاعدة سياستهم ما وضعه لهم زعيمهم مصطفى كامل باشا من الغلو في السلطان عبد الحميد والتشنيع على طلاب الاصلاح والدستور منه ، حتى انه اوجب على من ينطق بالشهادتين - الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة لمحمد (ص) بالرسالة - ان يثلثهما بالشهادة للسلطان عبد الحميد الخ وقد صرحوا في جريدتهم اللواء قبل اعلان الدستور بيوم واحد بأن طلاب الدستور اعداء الدولة الخونة لأنه يضر الدولة ويفسدها .. بل كانوا بعد إعلان الدستور ايضا يصيحون في وجوه بعض العثمانيين المبتهجين به. ثم لما استقرت السلطة لجمعية إعلان الدستور وصار بيدهم المال والقوة قدسوهم كما كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد، وصاروا يلعنون خصومهم كما كانوا يلعنونهم عند ما كانوا خصوم السلطان عبد الحميد

هذا ملخص ما يرد به أنصار الشيخ علي على خصومه في مسألة ثباته على سياسته العثمانية في جوهرها ، وهو انه كان يتبع المصلحة ويدور معها ، وهم يتبعون رجال السلطة ويدورون معهم . وقد فتح ههنا الباب لخصم ثالث يقول : ان الشيخ عليا كان من أنصار السلطان عبد الحميد أيضا ، بل هو استاذ مصطفى كامل في الغلو فيه ، وقد نال من رتبه واوسمته اكثر مما نال مصطفى كامل ، وبقي ثابتا على الثناء عليه فلم ينقلب عليه بعد سقوطه ، كما انقلب عليه تلاميذ مصطفى كامل ، وكنا ننتظر ان يعد أنصاره هذا من ثباته . ولكننك تذكر عنهم أن الشيخ كان يتبع في خدمة الدولة العلية المصلحة ، لا الرجال الذين بيدهم المال والقوة ، فهل كان الشيخ علي يجهل ان السلطان عبد الحميد مخرب للدولة أم لا ؟ ان قلت: نعم! فما هو بالسياسي ، وان: قلت لا!

فما هو بالناصح الذي يتبع المصلحة . وانما الناصح في هذه المسألة هو المقطم دون المؤيد ودون اللواء الذي تلقى عنه السياسة الحميدية كالمصرية ، ثم أربى عليه في الغلو فيها وغش الناس بمدح ذلك السلطان المخرب . فما قول انصار الشيخ الذي يبالغون في مدح سياسته فيفرقون في هذا ؟ وما قولك وانت تبحث في سياسته بحث المؤرخ الصادق المنصف ؟

أقول ان آخر ما أعرف من شوط أنصار سياسة المؤيد في هذه المسألة ان السلطان كان هو الدولة ، فكان لابد لمن ينتصر لها لكونها إسلامية وللتقوي بها على الاحتلال الاجنبي في مصر من مدح السلطان والدفاع عنه كيفما كانت سيرته في سياسته وادارته المملكة . والسياسي لايكون صوفيا ولاناسكا يلتزم الحق من كل وجه ، بل يلتزم مصلحته والمنفعة التي اتخذها قاعدة لسياسته . والمقطم ما كان يذم السلطان ويندد بمخازيه انتصاراً للحق وغيرة على الدولة ، بل ليصرف عن الدولة قلوب المصريين ويقطع حبل رجائهم فيها خدمة للاحتلال، لاجل هذا كان في حجاج وخصام دائم مع المؤيد ثم مع اللواء الذي اتبع سنن المؤيد وغلا فيها غلوا كبيراً . واما الانتفاع برتب السلطان واوسمته فلا يلام عليه مثل الشيخ علي ولا مصطفى كامل ، لان المتصدي للزعامة السياسية يحتاج الى ذلك ، لانه يزيد في جاهه ويعلي من كلمته، ويؤهله للقاء عظماء الحكام والسياسيين أصحاب المناصب فيعدونه من طبقتهم . وانما يعاب بمثله من يخدم المصلحة العامة تعبداً لله تعالى ، أو من يبني خدمته على مقاومة تمييز بعض الناس على بعض بهذه الرتب التي تضعها الحكومة ويطلب إبطالها ، ليتفاضل الناس بعلومهم وأعمالهم ، لا بالألقاب اللفظية ، ولاحلي الأوسمة الفضية والذهبية

أما أنا فأقول إن كلا من المؤيد واللواء – ومثلهما الاهرام – قد أضر المسلمين والعثمانيين عامة والمصريين خاصة بما جرين عليه من الاسراف في مدح السلطان عبد الحميد والدفاع عنه ، ولولا ان جمهور المسلمين كانوا يحملون ذم المقطم لسياسته وادارته وتنديده به على سوء النية ويظنون ان أخباره غير صادقة ، ولولا تلك الردود عليه لكان نفع ما نشره عظيما ، ولقد كان يكون النفع أعظم لو كان المؤيد واللواء ينشران مثل تلك الاخبار ويبنون عليها مطالبة السلطان بالاصلاح ، مشايعة لطلابه من العثمانيين مع الاعتدال .

وقد كنت أقول لمن اذاكرهم في ذلك من عقلاء المصريين : إن المقطم ينشر بعض ما يعلم ، ويعلم بعض مايقع . وانه يجب عليكم أن تعتبروا بأخباره ، مهما كان

ظنكم ورأيكم في نيته . والا كنتم طالبين للتلذذ بمدح الدولة والسلطان ، لا لمعرفة الحقيقة التي يتبعها الصلاح والفساد . فتشايعون السلطان على ما يضر ، وتتكلون عليه في امر الاسلام وأمر مصر ، وكل ذلك من بناء المصلحة على وعث من الرمل . بدلا من بنائها على الصخر ، وهو ان تعرف الامة حقيقة حال دولتها وحكومتها ، وتعتمد على سعيها وعملها في إصلاح نفسها واصلاحها .

ومما أعرفه للشيخ علي رحمه الله تعالى من المزية في سياسته العثمانية ، بل في اخلاقه وسجاياه الفطرية ، انه كان كلما ازداد علما وخبرة باحوال الدولة ازداد ميلا الى مساعدة طلاب الاصلاح من العثمانيين على ما يطلبونه ، ولكن مع روية واعتدال ، ومحافظة على كرامة السلطان لعدة اسباب (منها) مراعاة صلة الولاء بينه وبين الخديو التي كان هذا يحافظ عليها فلا ينقطع عن زيارة ذاك سنة من السنين . (ومنها) ماكان يراه اولا من نفع تعلق المصريين به في المسألة المصرية (ومنها) اتقاء ان يظنوا أنه صار خصما للدولة . (ومنها) ان مفاجأة الناس بخلاف ما يرونه ربما يفضي الى ضد ما يراد منه ، وينفرهم من المؤيد ، فلماذا لم يعد خصومه هذا من ثباته على حفظ كرامة السلطان ، ويعدون مساعدته لطلاب الاصلاح من التقلب في السياسة وعدم الثبات ؟

لا اذكر من الشواهد على رغبته في معرفة حقيقة حال الدولة ومساعدة طلاب الاصلاح فيها ما كان بينه وبين مراد بك صاحب جريدة (ميزان) الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي الاولى ، ولا ما كان من صلته بمحمود باشا الداماد ، فان هذا مما لا أعرف حقيقته وخفاياه . واكتفي بأصح الشواهد وأثبتها وهو ما وقع لي معه :

إنما كثر اجتماعي به وكان مبدأ صحبتي له في سنة ١٣١٦ اذ كنت أطبع (المنار) بمطبعته في أواخر سنته الاولى وأوائل سنته الثانية قبل شراء مطبعة له ، وما كان اسرع ما وثق بي على قلة ثقته بالناس . ولما رأيته يحدثني بحرية واستقلال فكر ، ويقبل مني ما أذكره له من الانتقاد على الدولة والسلطان ، خلافا لاكثر من عرفت في مصر من الاخوان ، رغبت اليه في جعل المؤيد لسانا لطلب الاصلاح في الدولة ، فقال لي : اكتب ما تشاء من رأيك في ذلك مع الاعتدال وحفظ كرامة السلطان ، وذلك كاف في ايصال هذه الافكار والآراء الى الناس . فكتبت عدة مقالات في موضوع حاجة الدولة الى الاصلاح وما يجب منه في هذا العصر . فكان ينشرها في صدر المؤيد غالبا كما ينشر غيرها من مقالاتي التي كنت اذيلها بامضا (م . ر) ويعزوها هو الى « احد افاضل الكتاب المجيدين »

ما كنت أظن يومئذ ان أحدا من المتعلمين المدركين في مصر ينكر عليه نشر تلك المقالات لانني كنت أنشر في المنار ما هو اشد منها في تمثيل الخلل والفساد، وما يجب على الامة والدولة من الاصلاح . حتى دخلت عليه يوما فاذا هو في جدال مع محمد بك فريد في مقالة من تلك المقالات . كان فريد يقول له ان نشر مثل هذه المقالة يعد خروجا من المؤيد عن خطته، وان ذلك قد ساء اخوانهم الوطنيين جداً .... وقد علمت منه بعد ذلك ان كثيرا من أصحابه كلموه بهذا اللسان، ولم يرأن يذكر لي ذلك حتى سمعت بأذني . وأطلعني ايضا على رسالة جاءته من تونس واخرى من جاوه في الرد على مقالة من مقالات (المنار) ساءت كثيراً من الناس في تلك الاقطار، إذ عدوا النصيحة لجهلهم عداوة للدولة وخروجا عليها، ولكنه لم ينشرهما لانه كان يرى ان ما ينشره المنار حق، وقد كتب بمداد الغيرة والاخلاص للدولة .

أليس هذا دليلا على كونه كان يراعي المصلحة العامة، ويحب إصلاح الدولة ويساعد المصلحين، بشرط ان لا يضر بنفسه ولا بجريدته ؟ بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ولعله لولا ظهور جريدة اللواء والتزامها خطة الغلو في تقديس السلطان عبد الحميد وفي المسألة المصرية ووقوفها للمؤيد بالمرصاد، وإساءتها تأويل كل ما ينشر فيه بقلم الروية والاعتدال، لما وقف المؤيد بالمصريين عند ما عهدوا في السياسة العثمانية، بل لسدد وقارب في السير الى الغاية التي تجب، وهي معرفة حقيقة حال الدولة ومعرفة حقيقة أنفسهم، ومكانهم منها ومكانها منهم، وما يجب عليهم لها ولانفسهم، ولكانت مصر حينئذ هي المعين الاكبر لاحرار العثمانيين على ما كانوا يطلبون من الاصلاح، ولوصلوا بذلك الى خير مما كان من اكراه الجيش السلطان على اعلان الدستور ثم خلعه بقوة السلاح، وما ترتب على ذلك من الشقاق والخذلان، الذي نشكو من سوء عواقبه الآن.

وجملة القول في سياسة المؤيد العثمانية إنها بنيت أولا على اساس المسألة المصرية، وقصد بها تقوية الصلة بين الدولة ومصر، وبين السلطان والخديو . وكان الشيخ علي لا يعرف في أول العهد بها من أمر الدولة والسلطان شيئا، الا ما اقتضته الحال من تلك الحركة الخديوية ووافق ماجبل عليه من النزعة الاسلامية . ثم انه صار كلما زاد علما بالدولة واختبارا يتلطف في النصح، ويساعد طلاب الاصلاح من العثمانيين، مع مراعاة ما كان يرمي اليه من تقوية الصلة بين مصر والدولة العلية، والمحافظة على كرامة السلطان ان لم يكن لذاته فلما هو متحمل به من لقب الخلافة الاسلامية، ولما بينه وبين عزيز مصر من الرابطة الرسمية

واما اللواء فقد بدأ سياسته العثمانية بما تلقفه من سياسة المؤيد في طفوليته، (أي المؤيد) وغلا فيها كدأبه وعادته ،وكان كلما زاد صاحبه معرفة بسوء حال السلطان عبد الحميد وزبانيته، يزداد غلوا في اطرائه وتقديسه، وإسرافا في التشنيع على طلاب الاصلاح للدولة . ذلك بأنه كان له راتب مالي يأخذه من (المابين) فوق مانال من الرتب والاوسمة لنفسه ولكثير من المصريين، وفوق المال الذي كان يأخذه بأسماء أخرى كعقد الاحتفالات السنوية بعيد الجلوس السلطاني في أوربة . ووراء ذلك ما لايحسن ذكره في هذه الترجمة . فاذا كان هذا هو الثبات المحمود عند الذين يطعنون في الشيخ علي لتحوله عنه ، فأعدل مانحكم به في هذه القضية قول الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل »

على اننا رأينا ان الشيخ ثبت على خدمته للدولة في تقوية حقوقها في مصر ، وناهيك بتلك الغارة الشعواء التي شنها على حكومة بلاده في مسألة القضاء الشرعي اذ أرادت بضغط الانكليز ان تبطل جعل تولية قاضي مصر الاكبر من حقوق السلطان يرسله من الآستانة ، وفي إعانة المصريين لها بالأموال ، ولا سيما في أزمنة الحروب والشدائد . وفي تقوية الصلة بين عابدين والمابين (كما يقال في عرف هذا العصر) وقد ختم ذلك بأفضل خاتمة ، وهي تأسيس جمعية الهلال الاحمر ، واستقال أخيرا من لجنة إعانة الحرب البلقانية لأنه اقترح أن ترسل اللجنة الى الدولة ما بقي في صندوقها من المال - وهو مبلغ كبير - بعد انتهاء الحرب ، فابى الرئيس واكثر الاعضاء ذلك. فليدلنا المعارضون على خدمة غيره لها ، انتي تضاهي خدمته وتغني غناءها . ومن سبر غور السياسة يعلم ان حملته على الاتحاديين كانت انفع للدولة في سياستها ومصلحتها الدائمة من تلك الاعانات المالية ، لأنها تفيد في اصلاح سياستها الدائمة . والاعانة منفعة موقتة عارضة ، ورحم الله الاستاذ الامام حيث قال : « ما وعظك مثل لائم ، ولا قوّمك مثل مقاوم »

سياسته المصرية

كانت مقاومة الاحتلال والسعي لجلاء الجيش الانكليزي عن مصر من قواعد سياسة المؤيد الاساسية ، وقد كان ذلك مرجوّا لأن حكومة لندرة كانت تصرح رسميا بأن احتلالها للبلاد المصرية موقت وانها ستنجلي عنها ، ولأن دول أوربة كانت معارضة لها في احتلالها معرقلة لكل مايثبت قدمها ، واشدهن في ذلك فرنسة ، ولأن

الدولة العثمانية كان يحسب لها حساب كبير في هذا . فلما عرف الفقيد حقيقة الدولة العثمانية ، ومنتهى شوطها في المسألة المصرية ؛ ورأى كيف رجعت فرنسة القهقرى في حادثة (فشوده) الشهيرة ، ثم كيف عقدت (سنة ١٩٠٤) مع انكلترة الاتفاق على ترك حقوقها لها بمصر ، في مقابلة مساعدتها على احتلال مملكة مراكش ، ثم كيف تتابعت سائر الدول الكبرى على اقرار انكلترة على احتلالها في مصر ، واعطائها العهود على عدم معارضتها فيه ـ لما علم ذلك رأى ان العمل النافع لمصر انما يكون فيها وفي لندرة ، لأن الجذب والدفع صار محصورا بين المصريين والانكليز ؛ فلا رجاء في احد يساعد المصريين مساعدة يرجى نفعها الا بعض احرار الانكليز محبي الانصاف أو المعارضين لحكومتهم في سياستها الاستعمارية . فحصر عمله في هذين الامرين ، فقامت عليه قيامة جريدة اللواء وأنصارها ، وسموا المؤيد بالمقطم الاحمر ، لأن الوطنية وخدمة مصر عندهم تتجلى في شيئين : مطالبة الانكليز بالجلاء عن مصر ، وشتم نظار الحكومة وذم كل عمل تعمله في مصر . أما الفقيد فقد اغتنم فرصة إصرار اللواء على الغلو في المعارضة للسير على ما أوجبه عليه تغير السياسة الخارجية وطول التجربة والاختبار من الاعتدال في المعارضة ، واقامة الحجة لمصر بأن فيها من يتكلم ويناضل بالحجة والبرهان ، لا بالتمويه ومكابرة الحس والعيان ، وكان يرى ان الحمق والجهل قد تكون مجنا الروية والعقل ، فيكره أن يصادر اللواء في حريته ، على ايذائه له ولوطنه .

أما عمله في مصر لمصر فطرقه وأنواعه كثيرة ؛ منها ما هو خاص بتنبيه الاهالي وارشادهم الى ما ينفعهم في التربية والتعليم والآداب والفضائل ، وفي الكسب والاقتصاد والتعاون على الخير ، ومنها ما يتعلق بحقوق الامة على الحكومة ، والتعارض والتجاذب بين مصر والمحتلين

وكان ركن سياسته المصرية الركين تأييد نفوذ الامير الشرعي (الخديو) وسلطته في كل أمر ، والتوسل الى ذلك بكل ممكن ، ويحتج بأن كل ما زاد في سلطته ونفوذه فهو ربح لمصر على الاحتلال ، وكل ما نقص منها فهو مزيد في سلطة الاحتلال ونفوذه . فكل أمر للامير فيه رأي أو قصد فهو الخادم الأمين له فيه ، ينصره برأيه وقلمه ولسانه ، وان خالف رأي نفسه ، الا أنه في هذه الحالة قد يتلطف في عرض رأيه على مسامع الامير قبل الشروع في العمل ؛ فان قبل فذاك ، والا أخذ بقول الشاعر : * سيد القول ما يقول الرئيس * وقد ثبت على هذه السياسة واستقام على هذه الطريقة طول حياته ، ولقي في ذلك من الأَلاقيّ ما يلقاه أمثاله من كيد الحاسدين له على قربه

من أريكة الخديو بمعارضته للمصريين له في السياسة والرأي ، وخسر كثيرا من الاصدقاء الذين لا ينكر ما له عليه وعلى الامة من الفضل ؛ لان هؤلاء يرون أن الاخلاص للبلاد في خدمة الامير انما يكون بحسب اعتقادهم ورأيهم وان لم يرضه احيانا.

وقد كانت اضاعته لبعض هؤلاء الاصدقاء الاوفياء لهذين حجج من رموه بقلة الثبات وعدم الوفاء ، ويقل من يعرف كنه هذه الوقائع ويزنها بالقسطاس المستقيم ، ويقل في هذا الجيل من يبين للناس ما هو الراجح والمرجوح في هذا الميزان ، للتعريف بحقيقة هذا الرجل الذي يقل مثله في الرجال

اننا سمعنا بعض الذين رثوا الرجل في منظومهم ومنثورهم قد وصفوه بأنه أوفى الاصدقاء، في هذا الزمن الذي قل فيه الوفاء، واني -- ولا أنكر ان بعض الناس غلوا في اطرائه -- أقول انه كان ذا وفاء يقل من يفضله به وأما الذين يصفونه بعدم الوفاء فمنهم صاحب الهوى المتبع الذي يتكلم بسوء قصد ، ومنهم المنصف الذي يعتقد ما يقول

اما سيء القصد فلا علاج لمرضه ولا جواب لقوله . وأما المنصف فله عندي جواب استخرجته من الشواهد التي عرفتها في هذا الباب ولعلها أوضحها واكبرها ، وهو ان الرجل كان سياسيا قبل كل شيء ، فهو ما ترك صداقة صديق الا في سبيل السياسة ، والا بعد ان تعذر عليه الجمع بين صداقته وبين ما تقتضيه تلك السياسة .

ومالي لا أصرح فأقول كان اذا غضب مولاه ، الذي تدور سياسته على قطب رحاه ، على أحد اصدقائه ، يبذل كل ما يراه في وسعه من وسائل ارضائه ، فان لم يستطع حافظ على مودته بالقدر الممكن . فاذا رأى انه مضطرا الى هجره هجره هجرا جميلا ، واذا اضطر الى كتابة ما يسوءه لا يتعدى حد الضرورة التي تقتضيها السياسة الا قليلا . واذا استطاع في أثناء ذلك ان يخدمه بشيء خدمه، ان لم يكن ذلك في الجهر ، فمن وراء الستر . وهل يستطيع السياسي الذي يخدم الامراء والملوك أكثر من هذا ؟

كأني ببعض هؤلاء المنصفين يقول اذا قرأ هذا : « ان عندي انتقاداً آخر على الرجل وهو انه ما كان يقف في مثل هذا عند حد المصلحة العامة أو عند الحق ومقتضى الفضيلة » واني أذكر هؤلاء -- الذين تمثل بعضهم أمامي الآن -- بما قلته من قبل في السياسي الذي يشتغل بالسياسة فعلا من كونه لا يزن أعماله بالميزان الذي يزن به الصوفي أو فيلسوف الأخلاق ، وليس ما شرحته من سيرة الرجل في هذه المسألة بالذي يكثر في عصرنا من تصل به الفضيلة الى مثله . ولا هو بالذي يرتقي الى وضعه في ميزان سياسة عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ولا بالذي

بعد من مقامات الصديقين ، المشروحة في كتابي احياء العلوم ومدارج السالكين أين هذه السيرة ممن كان اذا سخط من أحد لانه لم يعظمه التعظيم الذي يحبه لنفسه ، يغلو جهد طاقته في ذمه وإيذائه ، ويقصد له بكل طريق يسير فيه ولو الى خدمة الملة والامة، فيضع له العواثير ، ويحفر له الاحافير ، ولا يرقب فيه الاًّ ولا ذمة ؟ أيجوز أن يقرن هذا بذاك ؟ كلا إن ذلك ظلم وجهل بأقدار الرجال ، لايذهب الى مثله الا بلداء العوام واغرار الاطفال . (للترجمة بقية)

باب الاخبار والآراء

كتاب ابن الرشيد الى الصدر الاعظم

ذكر في بعض الصحف أن سعود باشا الرشيد كتب الى الصدارة العظمى كتابا قال فيه:

« علمنا أن بعض الناس يقومون الآن في بعض الولايات طالبين من الدولة العلية مطالب مجحفة بحقوق الدولة ومنافية للدين الاسلامي الحنيف . الامر الذي ساءنا جدا . وعليه ليكن معلوما لدولتكم ولدى العالم الاسلامي أجمع اننا لانقبل هذه الشؤون المضرة بالدين الاسلامي والدولة . واننا مستعدون مع كافة جنودنا وقبائلنا للقيام بما تأمرنا به الدولة العلية ولا نحيد عن اوامر خليفتنا المعظم » اه

ونحن نقول « أفلح الأعرابي ان صدق » في قوله انه لايرضى بما ينافي الدين وانه لايقبل الشؤون المضرة بالدين والدولة . نقول هذا ونحن لانعلم ماهي المطالب التي يعنيها إذ لم يبلغنا أن الناس طلبوا في بعض الولايات ما ذكره ، ولو أنه أشار الى تلك المطالب لعلمنا مبلغ صحة حكمه عليها، وهل هو مصيب فيه او مخطئ ؟ وهل قال قوله عن علم باحكام دين الله ام لا ؟

وياليت شعري اذا علم الامير ابن الرشيد ارشدنا الله وإياه الى نصر الدين والدولة - ان بعض الناس يطلبون من الدولة منع الفواحش والمنكرات كالسكر والزنا والربا والمجاهرة بالفطر في رمضان نهارا من دار الملك والخلافة ومن غيرها من البلاد العثمانية واقامة الحدود الشرعية فيها كلها ، وعدم بيع شيء من ارضها أو معادنها للاجانب ، هل يكون مستعدا مع جنوده وقبائله لنصرتهم وشد أزرهم ؟ فان كان ينصرهم ولو بلسانه وقلمه فليعلن هذا كما أعلن ذاك ، وإن لم يفعل علم العالم الاسلامي أجمع انه غير مستعد الآن الا لما كان يعده له السلطان عبد الحميد من قبل،

من سفك دماء المسلمين في جزيرة العرب مهد الاسلام وحوزه لأجل توسيع سلطته في بلاد امراء آل سعود وتكثير ماله وإعلاء رتبه الرسمية العثمانية عند من يرضيهم هذا وهو ما يتهمه به المشتغلون بالسياسة في ديار الشام والعراق حتى الآن . وان من هؤلاء من هم أعلم بالشرع وأحكام الاسلام منه ومن الصدر الاعظم أيضا

ما يجب على أمراء جزيرة العرب الآن

أما نحن فنقول له ان أفضل خدمة يخدم بها الاسلام والدولة الاسلامية أيدها الله بتوفيقه وتسديده، هو أن يساعد على ما يجمع كلمة المسلمين لا على ما يفرقها بأي اسم كان ، واول ما يجب عليه من ذلك عقد الاتفاق بينه وبين جاره الامير ابن سعود والعهد والميثاق على السلم والامان وان لا يبغي أحدهما على الآخر ولا يقاتله البتة ، واذا وقع خلاف بينهما على شيء يحكمان فيه من يرضيان حكمه ، وعلى ان يتعاونا على تأمين جميع البلاد التي يصل نفوذهما اليها ، ومنع غزو الاعراب بعضهم لبعض فيها ، وعلى نشر العلم الديني وما يعد فرض كفاية من علوم الدنيا في بلادهما ، وعلى تنظيم قوتهما الحربية على قاعدة قول الله عز وجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والمرابطة فيها لحفظ الحرمين الشريفين وما هو سياج لهما من جزيرة العرب . وان يتحدا على هذا مع اميري اليمن الامام والادريسي، فبهذا يرضيان الله ورسوله والمؤمنين ، ويكفيان الدولة مؤنة إرسال الحملات العسكرية المرة بعد المرة الى العراق والشام واليمن ونجد ،وسفك دماء المسلمين فيها لاخضاع العرب او حفظ الامن ، أو جمع السلاح وما اشبه هذه الاسباب والحجج ، التي كثيرا ما كانت باطلة ، ناشئة عن وشاية سافلة،أو نية سيئة . واقترح ان يتضمن هذا العهد والميثاق إعانة الدولة على كل حرب تكون بينها وبين أعداء الاسلام بكل ما يقدران عليه من قوتهما الحربية

الا وليعلم الامير ابن الرشيد وفقه الله تعالى وأرشده الى ما يحبه ويرضاه انه لا شيء اضر على الاسلام من تنازع اهله وتفرقهم وسفك بعضهم دماء بعض ، وانه لولا هذا التفرق والشقاق ما زال ملك الاسلام من الشرق والغرب، ولم يبق له الا هذه البقعة المهددة بالزوال في كل يوم ، وان الدولة العثمانية أيدها الله بتوفيقه لا تقدر ان تحمي بعسكر الاناضول عاصمتها وبلادها الاوربية والاسيوية ثم تحمي به الحرمين وجزيرة العرب ، وانما يقدر على ذلك العرب وحدهم اذا اتفقوا . وليعلم ان زوال قوة العرب من الجزيرة ستفضي الى وقوعها في قبضة الاجانب في أسرع وقت وأقربه فلا يبقى للمسلمين استقلال ولا حرية في الأرض ، الا بقدر ما تنعم به أوربة عليهم.

الا وليعلم ابن الرشيد وغيره ان دول أوربة يراجع بعضهم بعضاً القول في تحديد مناطق نفوذهم السياسي والاقتصادي في البلاد العربية والاناضول ، وانهم يتشاحون في قسمتها كما يتشاحون في قسمة المال ؛ لأن صاحب كل منطقة يتفقون على إعطائها له يعد نفسه مالكا لها بحق الفتح السلمي ، ولم يبق من عذر لأحد في الاغترار باعترافهم باسم الدولة . فان بقاء هذا الاسم أنفع لهم من عدمه ، لأنهم يستعملون به نفوذها الصوري والمعنوي لادارة البلاد واخضاع المسلمين فيوفرون مالهم ورجالهم. فاذا اتفقوا على القسمة كما هو المنتظر في كل يوم ، وانفردت كل دولة بالنفوذ في ساحل من سواحل جزيرة العرب . فقل على الجزيرة والحجاز السلام ، لان حياتها المادية خرجت من أيدي اهل الاسلام . فمن كان لديه غيرة وقوة فليفكر في استعمالهما لتلافي هذه الاخطار ، لا لتهديد طلاب الاصلاح في الولايات .

حرية المسلمين الدينية بمصر

لدعاة النصرانية (المبشرين) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لاغرض لهم منها الا تنصير المسلمين ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم العلم وعمل الخير ، ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام ، وتنفير المسلمين من الاسلام . دع النشرات والأوراق الصغيرة التي ينثرونها في المستشفيات ، والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم مع هذا ان يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام ، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم ! أليس من عجائب الغلو في تعصب القوم أن يسعى الى هذا أو يحدث به أو يفكر فيه بعض أبناء الأمتين الامريكية والانكليزية ، أعرق أمم الافرنج في احترام الحرية ؟

وقد سئلنا عما ينشر في المنار من الرد على النصارى فأجبنا: إننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لامهاجمين، وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا اضعاف ما كتبنا ، وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين

أثم الجميع ، وانه يجب على المسلمين الهجرة من البلاد التي ليس لهم حرية فيها في إظهار دينهم والدفاع عنه . وانا مع هذا نفضل ان يسكت هؤلاء المعتدون عنا ونسكت عنهم على أن مجالهم أوسع في الرد علينا ، لاننا نؤمن بنبيهم وكتابهم الذي أنزله الله عليه ونعد الطعن فيه كفراً كالطعن في نبينا بلا فرق . ولا نستطيع أن نقول كما يقولون ، ولا ان نخوض كما يخوضون

ألا انه لم يكن يظن أحد من الناس ان الحرية التي كانت مصر تفاخر فيها أوربة من كل وجه تتضاءل بعد ورد كرومر حتى يطمع الطامعون فيها بمثل ما ذكرنا ، وهي التي رفعت اسم انكلترة حتى صار جميع مسلمي الأرض يفضلونها على جميع دول أوربة ، ضعفت في مصر الحرية السياسية تخفف على الناس المصاب فيها راحتهم من أولئك الأحداث السفهاء ، فاذا اضطهدت الحرية الدينية فأي شيء يخفف على المسلمين مصابها ويعزيهم عنها ؟ على ان الذي ظهر لنا ان أولي الشأن قد اقنعوا أولئك السعاة المحالين بأنهم هم المعتدون وانه يصدق على رد المنار عليهم « واحدة بواحدة ـ بل بمئات ـ والبادئ أظلم »

﴿ مسألة الأرمن وتعصب أوربة الديني ﴾

لم تكد دولتنا تمضي عقد الصلح بينها وبين اليونان ، وتنفض يدها من حرب البلقان حتى فاجأتها الدولة الروسية بما ليس في الحسبان ، اذ اقترحت أن تكون الولايات الخمس التي يقيم فيها الأرمن مستقلة في ادارتها يتولاها كلها حاكم أوروبي أو عثماني مسيحي تختاره الدول الكبرى ويعينه السلطان (كمتصرف لبنان بل نفوذ الدولة فيه أضعف) وأن تكون مجالسها العمومية نصفها من الأرمن والنصف الآخر من غيرهم ! وفرنسة وانكلترة تؤيدان روسية في طلبها ! فليتأمل العاقل كيف يدخل التعصب الديني في أعمال أوربة وسياستها ! هذه الولايات فيها زهاء خمس ملايين من المسلمين وثلاثة أرباع المليون من الارمن ، وفيها كثير من اليهود أيضاً . وتريد دول الانسانية والمدنية أن يكون نصف الاعضاء الذين يديرون أمرها من النصارى مع جعل الحاكم منهم . فان كانت المسألة دينية فما هو المرجح لدين النصارى ؟ وان كانت جنسية ففي تلك الولايات الترك والعرب والكرد واللاز والاسرائيليين فلم لم يكن لكل جنس أعضاء يمثلونه ؟ ؟

خاتمة السنة السادسة عشرة

نختتم سنتنا السادسة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب والآل، وقد وقع ما كنا في تلك الفاتحة توقعناه، وظهرت بوادر ما كنا نخشاه، ولا حول ولا قوة الا بالله، ومالي وقد انذرت وبينت الا أن اقول كما قال يعقوب نبي الله « إنما اشكو بثي وحزني الى الله، واعلم من الله ما لا تعلمون »

ان غفلة هـذه الامة عن نفسها، وتماريها بالنذر الخاصة بأمر هلاكها بزوال استقلالها، لم يدع لنا مجالا للتنبيه على تقصير المقصرين منها في حقوق المنار، والنسبة في ذلك بين الاصناف والاجناس والاقطار، كما كنا نفعل في خواتيم السنين بقصد الموعظة والاعتبار، وإنما يتعظ ويعتبر من لا يعقل ان قيامه بحقوق ابناء جنسه، هو عين إقامته وحفظه لحقوق نفسه، «وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون»

الانتقاد على المنار

ندعو القراء على رأس كل سنة الى انتقاد ما يرونه منتقدا في المنار. ونذكر في خاتمة السنة جملة ما ورد علينا من الانتقاد، ونبين رأينا فيما لم نكن بيناه من قبل، ولم ينتقد احد علينا في هذه السنة شيئا الا عبارة في مقالة من مقالات الدكتور محمد توفيق صدقي في الطعن في الاوربيين، انكرها بعض الحكام قولا لا كتابة. وهي - وان كان مثلها لا ينكر في أوربة نفسها، وما كان ينكر في مصر قبل هـذه الايام - ليست مما أرضى بمثلها للمنار ولو رأيتها قبل الطبع لاصلحتها. وقد طبع في هـذه السنة عدة نبذ من ردّ الدكتور على النصارى لم أرها قبل الطبع ولم اصحح فيها شيئاً، ولا عهدت اليه بتصحيح شيء منها، وقد جرى هذا خلاف عادتي لكثرة الشواغل.

وانتقد بعض أهل البحرين الاجابة عن أسئلة من سأل منهم عن حكم مناسك الحج، ولم ينكروا الاجابة نفسها. ووجه انكارهم ان السائل معترض على الاسلام لا مستفيد. واذا صح هذا تكون اجابته أولى كما سنوضحه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

وقد منعت الحكومة العثمانية دخول المنار الى ولاياتها في أثناء هذه السنة ثم اذنت بدخوله فلهذا لم تصل بعض الاجزاء الى المشتركين في وقتها، ولمن لم يصل اليه شيء ان يطلبه وان فات الوقت المحدد في نظام الادارة لطلب الاجزاء المفقودة

ونسأل الله تعالى ان يوفقنا ويوفق أمتنا، لما يرفع مقته وغضبه عنا، فطوبى للمعتبرين المشمرين، وويل للغافلين المقصرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تأثيرها السريع في انحاء العالم المعمور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من عموم دول أوربا

أسماء وبيان استعمال هذه الادوية الموضحة أدناه

ـــ

١٥ كبسول نصوحي لشفاء السيلان المزمن والحاد ومزيل الالتهابات
١٢ اكسير نصوحي مزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض عند السيدات
١٢ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم ويقوي الجسم عموما
١٢ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تأكيداً ويقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة
١٠ صبغة العروس تعيد الشعر الاسود والكوستاناوى الى لونه الاصلي
١٠ ماء الشباب يزيل الكلف والقشف ويكسب الجسم نعومة ولطافة
١٠ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع القشرة معا .
١٠ اكسير العشبة المركب منقي للدم ويشفي الامراض الزهرية و(الربو)
٠٨ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن من غير ألم
٠٦ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الآلام التي تحصل في الظهر
٠٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد منه انتفاخ البطن والبواسير من غير مغص
٠٥ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة
٠٥ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب
٠٥ نقط نصوحي للوقاية من الكليرا ومكروباتها وتصليح المعدة وازالة المغص
٠٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة ٤ دقائق بغاية السهولة من غير خطر
٠٣ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة ويجلو البصر
٠٥ اكزيمول ضد أمراض الاكزيما الحديثة والمزمنة على اختلاف أنواعها
٠٤ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما
٠٣ نشوق صحي ضد الزكام ويشفي النوازل وينعش للجسم

ويوجد بمحلاتنا عدة مقويات ومن ضمنها (حبوب الصقانقور الهندي)

والمستودع العمومي بمعمله الكيماوي بأجزاخانة نصوحي بأول شارع عبد العزيز بقرب العتبة الخضراء .

مكتبة المنار

لاصحابها

رضا و خطيب و قتلان

العنوان: مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

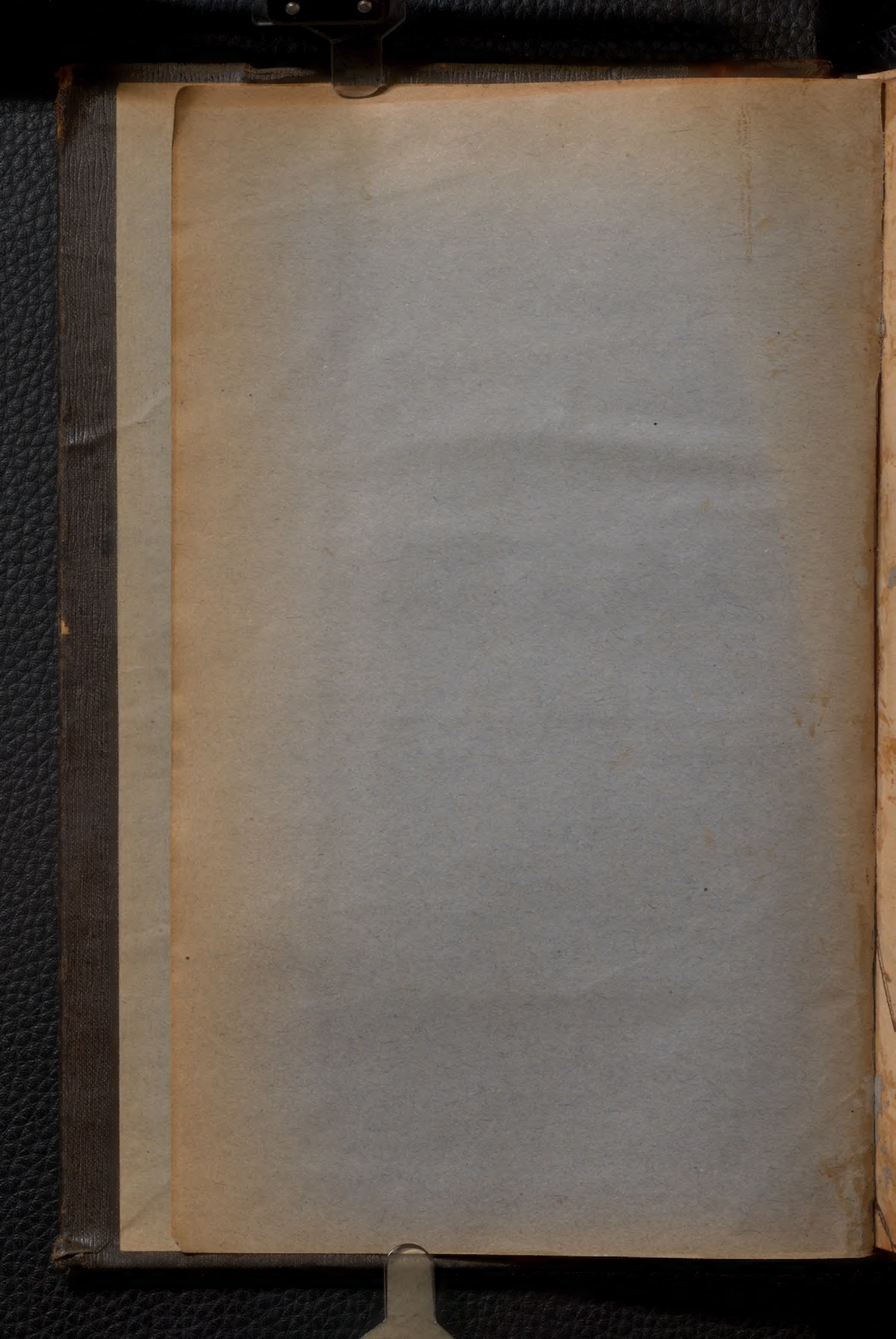
اطلب قائمة مكتبة المنار ترسل اليك مجانا

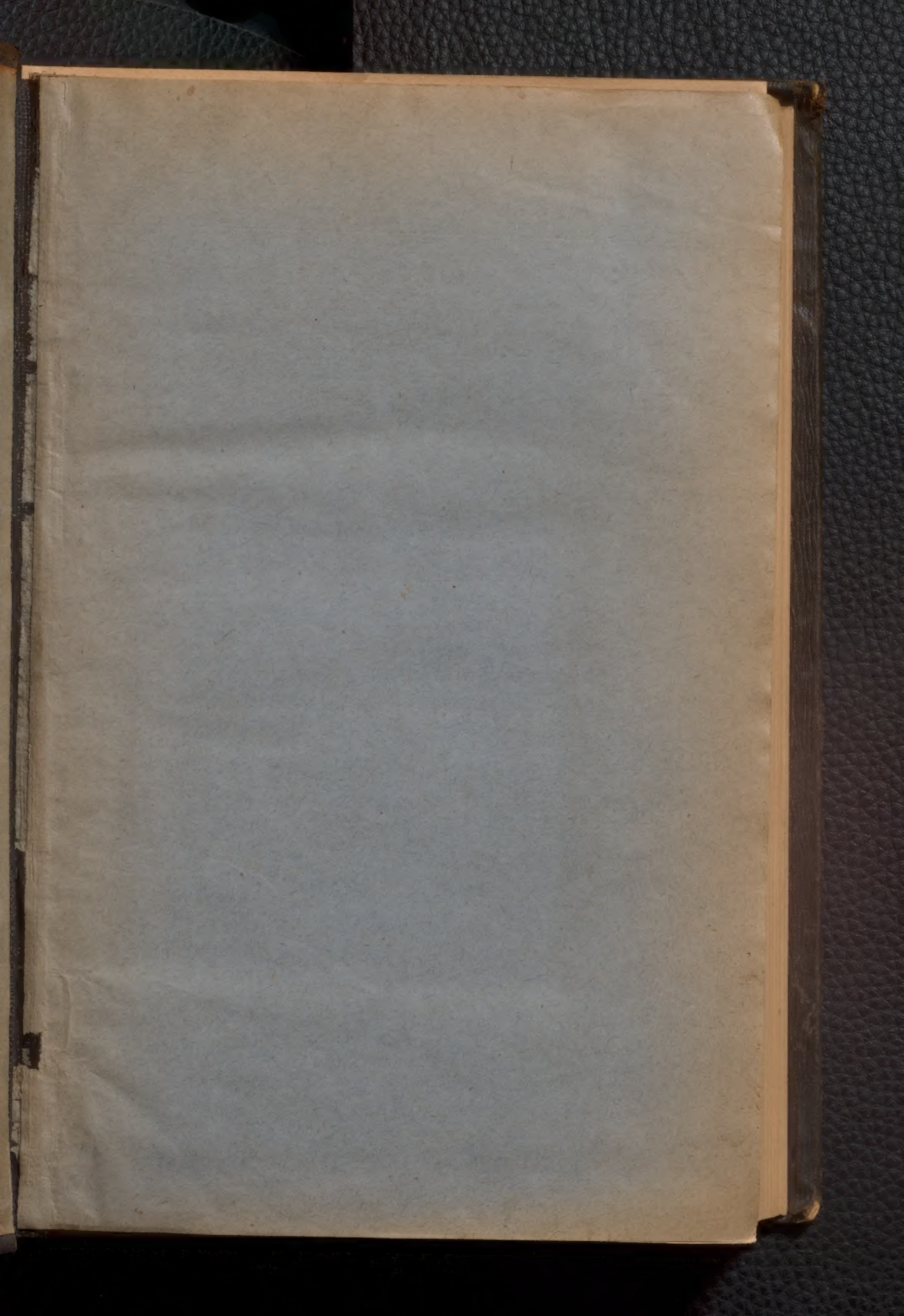
هذه المكتبة مستعدة لتصدير مطبوعات المنار وسائر المطبوعات لخارج القطر المصري ولتصدير مايطلب منها من الكتب والادوات المدرسية وليس على الطالب سوى ارسال الثمن مع أجرة البريد والمكتبة لاتسأل عن الصادرات اذا كانت غير مسجلة (مسوكرة)

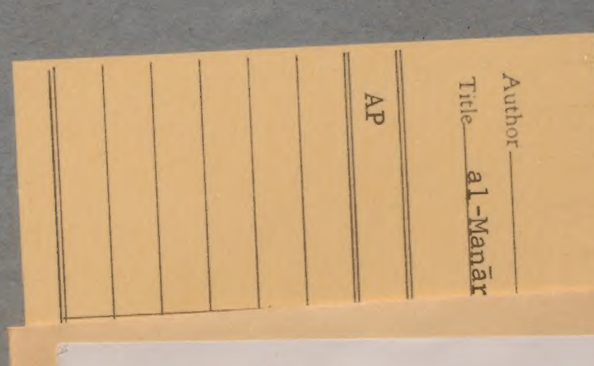
والمرجو من طلاب الكتب أن لا يعتمدوا على غير ادارة المنار بطلب مطبوعات مطبعة مجلة المنار في الجملة وأما مايطلب منها مفردا كنسخة ونسختين فهو كسائر الكتب يطلب من «مكتبة المنار بشارع عبد العزيز» في خطاب مستقل يرسل اليها ولا يرسل باسم الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة «كارت فيزيت» والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة. والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار







Author
Title al-Manār
AP

